سلسلة نصوص تراثية للجيبان

(١٤٣٠)

حسن الأدب وسوء الأدب

في كتب التراث

تفاسير وأحاديث وآثار وآداب

(جمع موسع)

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

" المؤن يطلب معاذير إخوانه والمنافق يطلب عثرات إخوانه

١٤ – سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الثقفى يقول سمعت حمدون القصار يقول إذا زل أخ من إخونكم فاطلبو له سبعين عذرا فإن لم تقبله قلوبكم فاعملوا أن المعيت أنفسكم حيث ظهر لمسلم سبعون عذرا فلم تقبله

ومن آدابها معاشرة من يثق بدينه وأمانتهفي ظاهره وباطنه يقوله الله تبارك وتعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية

والصحبة والمعاشرة على وجوه فالمعاشرة مع الأكابر والمشايخ بالحرية والخدمة لهم والقيام بأشغالهم والمعاشرة مع الأقران والأوساط بالنصيحة وبذل الموجود والكون عند الأحكام ما لم يكن إثما

والمعاشرة مع الأصاغر والمريدين بالإرشاد والتأديب والحمل على ما يوجبه ظاهر العلم وأدب السنة وأحكام البواطن والهدايا التي تقويمها **بحسن الأدب** ." (١)

" النعمة التي لا يحسد عليها صاحبها التواضع والبلاء الذي لا يرحم صاحبه عليه العجب

ومن جوامع أدابها

٥٩

– ٥٩ ما سمعت محمد بن أحمد الملامتي يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول قال سألت أبا عثمان عن الصحبة فقال

الصحبة مع الله **بحسن الأدب** ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع الرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بملازمة العلم واتباع السنة والصحبة مع الأولياء بالاحترام والخدمة والصحبة مع الإخوان بالبشر والانبساط وترك الإنكار عليهم ما لم يكن خرق شريعة أو هتك حرمة

قال الله تعالى لنبيه خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين الآية

والصحبة مع الجهال بالنظر إليهم بعين الرحمة ورؤية نعمة الله عليك حيث ." (٢)

"المقدمة

، - ،

أحق ما أستفتح به الكلام ، الحمد لمولانا الكريم ، وأفضل الحمد ما حمد به الكريم نفسه ، فنحن نحمده

---

(١) آداب الصحبة، ص/٤٥

(٢) آداب الصحبة، ص/٦٥

به Y « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا . ماكثين فيه أبدا »(الكهف ٣/١٨) ، و « الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور »(سبأ ٢/٣٤) .

أحمده على قديم إحسانه ، وتواتر نعمه ، حمد من يعلم أن مولاه الكريم علمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضله عليه عظيما . وأسأله المزيد من فضله ، والشكر على ما تفضل به من نعمه ، إنه « ذو فضل عظيم »(آل عمران ١٧٤/٣) .

وصلى الله على محمد عبده ورسوله ، ونبيه ، وأمينه على وحيه وعباده ، صلاة تكون له رضا ، ولنا بها مغفرة ، وعلى آله أجمعين ، وسلم كثيرا طيبا .

أما بعد .. فإني قائل ، وبالله أثق للتوفيق والصواب من القول والعمل ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم Y

أنزل الله عز وجل القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأعلمه فضل ما أنزل عليه ، وأعلم خلقه في كتابه ، وعلى لسان رسوله Y أن القرآن عصمة لمن اعتصم به ، وحرز من النار لمن اتبعه ، ونور لمن استنار به ، وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

ثم أمر الله خلقه أن يؤمنوا به ، ويعملوا بمحكمه Y فيحلوا حلاله ، ويحرموا حرامه ، ويؤمنوا بمتشابهه ، ويعتبروا بأمثاله ، ويقولوا « آمنا به كل من عند ربنا »(آل عمران ٧/٣) .

ثم وعدهم على تلاوته والعمل به Y النجاة من النار ، والدخول إلى الجنة .

ثم ندب خلقه عز وجل إذا هم تلوا كتابه أن يتدبروه ، ويتفكروا فيه بقلوبهم ، وإذا سمعوه من غيرهم Y أحسنوا استماعه .

ثم وعدهم على ذلك الثواب الجزيل ، فله الحمد .

ثم أعلم خلقه Y أن من تلا القرآن ، وأراد به متاجرة مولاه الكريم ، فأنه يربحه الربح الذي لا بعده ربح ، ويعرفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة .

قال محمد بن الحسين Y جميع ما ذكرته ، وما سأذكره إن شاء الله ، بيانه في كتاب الله عز وجل ، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قول صحابته رضي الله عنهم ، وسائر العلماء ، وسأذكر منه ما حضرني ذكره إن شاء الله ، والله الموفق لذلك .

وقال عز وجل « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن

تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور »(فاطر ٣٥/٢٩،٣٠) .

وقال عز وجل « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما »(الإسراء ١٧/٩،١٠) .

وقال عز وجل « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا »(الإسراء ١٧/٨٢) . وقال عز وجل « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين »(يونس ١٠/٥٧) . وقال عز وجل « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما »(النساء ٤/١٧٤،١٧٥) . وقال عز وجل « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »(آل عمران ٣/١٠٣) وحبل الله هو القرآن . وقال عز وجل « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد »(الزمر ٣٩/٢٣) . وقال عز وجل « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا »(طه ٢٠/١١٣) .

ثم إن الله عز وجل وعد لمن استمع إلى كلامه ، **فأحسن الأدب** عند استماعه بالاعتبار الجميل ، ولزوم الواجب لاتباعه ، والعمل به ، يبشره منه بكل خير ، ووعده على ذلك أفضل الثواب .

فقال عز وجل « فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب »(الزمر ٣٩/١٧،١٨) . وقال عز وجل « وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون » إلى قوله « واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون »(الزمر ٣٩/٥٤،٥٥) .

قال محمد بن الحسين Y فكل كلام ربنا حسن لمن تلاه ، ولمن استمع إليه ، وإنما هذا والله أعلم صفة قوم إذا سمعوا القرآن تتبعوا من القرآن أحسن ما يتقربون إلى الله تعالى ، مما دلهم عليه مولاهم الكريم ، يطلبون بذلك رضاه ، ويرجون رحمته ، سمعوا الله قال « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون »(الأعراف ٧/٢٠٤) ، فكان حسن استماعهم يبعثهم على التذكر فيما لهم وعليهم ، وسمعوا الله عز وجل قال « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد »(ق ٥٠/٤٥) .

وقد أخبرنا الله عن الجن ، وحسن استماعهم للقرآن ، واستجابتهم فيما يجذبهم إليه ، ثم رجعوا إلى قومهم ، فوعظوهم بما سمعوا من القرآن بأحسن ما يكون من الموعظة . قال الله عز وجل « قل أوحي إلي

أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا »(الجن ١/٧٢) .
وقال الله عز وجل « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به »(الأحقاف ٣١/٤٦Y29) .
قال محمد بن الحسين Y وقد قال الله عز وجل في سورة ق والقرآن المجيد ، ما دلنا على عظيم ما خلق من السماوات والأرض ، وما بينهما من عجائب حكمته في خلقه ، ثم ذكر الموت وعظيم شأنه ، ثم ذكر النار وعظيم شأنها ، ثم ذكر الجنة ، وما أعد فيها لأوليائه ، فقال عز وجل « لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد »(ق ٣٥/٥٠) إلى آخر الآية ، ثم قال بعد ذلك « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »(ق ٣٧/٥٠) .." [١]

"باب Y ذكر أخلاق أهل القرآن

، ـــ ،

قال محمد بن الحسين Y ينبغي لمن علمه الله القرآن ، وفضله على غيره ممن لم يعلم كتابه ، وأحب أن يكون من أهل القرآن ، وأهل الله وخاصته ، وممن وعده الله من الفضل العظيم ؛ لزوم ما تقدم ذكرنا له .
وقال الله عز وجل « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته »(البقرة ١٢١/٢) ، قيل في التفسير Y يعملون به حق عمله .
ومما قاله النبي صلى الله عليه وسلم Y « الذي يقرأ القرآن ، وهو ماهر به مع الكرام السفرة ، والذي يقرأ القرآن ، وهو عليه شاق ، فله أجران » .
وقال بشر بن الحارث Y سمعت عيسى بن يونس يقول Y إذا ختم العبد القرآن ، قبل الملك بين عينيه . فينبغي له أن يجعل القرآن ربيعا لقلبه ، يعمر به ما خرب من قلبه ، ويتأدب بآداب القرآن ، ويتخلق بأخلاق شريفة ، تبين به عن سائر الناس ممن لا يقرأ القرآن .
فأول ما ينبغي له Y أن يستعمل تقوى الله عز وجل في السر والعلانية ، باستعمال الورع في مطعمه ، ومشربه ، وملبسه ، ومكسبه ، ويكون بصيرا بزمانه وفساد أهله ، فهو يحذرهم على دينه ، مقبلا على شأنه ، مهموما بإصلاح ما فسد من أمره ، حافظا للسانه ، مميزا لكلامه .
إن تكلم تكلم بعلم ، إذا رأى الكلام صوابا ، وإذا سكت سكت بعلم ، إذا كان السكوت صوابا ، قليل

---

(١) أخلاق حملة القرآن للآجري، ص/٢

الخوض فيما لا يعنيه ، يخاف من لسانه أشد مما يخاف من عدوه ، يحبس لسانه كحبسه لعدوه ، ليأمن من شره وسوء عاقبته ، قليل الضحك فيما يضحك فيه الناس ، لسوء عاقبة الضحك ، إن سر بشيء مما يوافق الحق تبسم ، يكره المزاح خوفا من اللعب ، فإن مزح قال حقا ، باسط الوجه ، طيب الكلام .

لا يمدح نفسه بما فيه ، فكيف بما ليس فيه ، يحذر من نفسه أن تغلبه على ما تهوى مما يسخط مولاه . لا يغتاب أحدا ، ولا يحقر أحدا ، ولا يسب أحدا ، ولا يشمت بمصيبة ، ولا يبغي على أحد ، ولا يحسده ، ولا يسيء الظن بأحد إلا بمن يستحق ، يحسد بعلم (١) ، ويظن بعلم (٢) ، ويتكلم بما في الإنسان من عيب بعلم ، ويسكت عن حقيقة ما فيه بعلم .

قد جعل القرآن والسنة والفقه دليله إلى كل خلق حسن جميل ، حافظا لجميع جوارحه عما نهي عنه ، إن مشى مشى بعلم ، وإن قعد قعد بعلم ، يجتهد ليسلم الناس من لسانه ويده . ولا يجهل ، فإن جهل عليه حلم ، ولا يظلم ، فإن ظلم عفى ، ولا يبغي ، وإن بغي عليه صبر ، يكظم غيظه ليرضي ربه ، ويغيظ عدوه ، متواضع في نفسه ، إذا قيل له الحق قبله ، من صغير أو كبير .

يطلب الرفعة من الله عز وجل لا من المخلوقين ، ماقتا للكبر ، خائفا على نفسه منه ،

لا يتأكل بالقرآن ، ولا يحب أن تقضى له به الحوائج ، ولا يسعى به إلى أبناء الملوك ، ولا يجالس به الأغنياء ليكرموه .

إن كسب الناس من الدنيا الكثير بلا فقه ولا بصيرة ، كسب هو القليل بفقه وعلم ، إن لبس الناس اللين الفاخر ، لبس هو من الحلال ما يستر عورته ، إن وسع عليه وسع ، وإن أمسك عليه أمسك ، يقنع بالقليل فيكفيه ، ويحذر على نفسه من الدنيا ما يطغيه .

يتبع واجبات القرآن والسنة ، يأكل الطعام بعلم ، ويشرب بعلم ، ويلبس بعلم وينام بعلم ، ويجامع أهله بعلم ، ويصحب الإخوان بعلم ، يزورهم بعلم ، ويستأذن عليهم بعلم ، يجاور جاره بعلم .

ويلزم نفسه بر والديه ، فيخفض لهما جناحه ، ويخفض لصوتهما صوته ، ويبذل لهما ماله ، وينظر إليهما بعين الوقار والرحمة ، يدعو لهما بالبقاء ، ويشكر لهما عند الكبر ، لا يضجر بهما ، ولا يحقرهما ، إن استعانا به على طاعة أعانهما ، وإن استعانا به على معصية لم يعنهما عليها ، ورفق بهما في معصيته إياهما ، **يحسن الأدب** ليرجعا عن قبيح ما أرادا ، مما لا يحسن بهما فعله ، يصل الرحم ، ويكره القطيعة ، من قطعه لم يقطعه ، من عصى الله فيه ، أطاع الله فيه .

يصحب المؤمنين بعلم ، ويجالسهم بعلم ، من صحبه نفعه ، حسن المجالسة لمن جالس ، إن علم غيره

رفق به ، لا يعنف من أخطأ ولا يخجله ، رفيق في أموره ، صبور على تعليم الخير ، يأنس به المتعلم ، ويفرح به المجالس ، مجالسته تفيد خيرا ، مؤدب لمن جالسه بأدب القرآن والسنة .

إن أصيب بمصيبة ، فالقرآن والسنة له مؤدبان ، يحزن بعلم ، ويبكي بعلم ، ويصبر بعلم ، ويتطهر بعلم ، ويصلي بعلم ، ويزكي بعلم ، ويتصدق بعلم ، ويصوم بعلم ويحج بعلم ، ويجاهد بعلم ، ويكتسب بعلم ، وينفق بعلم ، وينبسط في الأمور بعلم ، وينقبض عنها بعلم ، قد أدبه القرآن والسنة .

يتصفح القرآن ليؤدب به نفسه ، ولا يرضى من نفسه أن يؤدي ما فرض الله عز وجل عليه بجهل ، قد جعل العلم والفقه دليله إلى كل خير .

إذا درس القرآن فبحضور فهم وعقل ، همته إيقاع الفهم لما ألزمه الله عز وجل من اتباع ما أمر ، والانتهاء عما نهى ، ليس همته متى أختم السورة ، همته متى استغني بالله عن غيره ، متى أكون من المتقين ، متى أكون من المحسنين ، متى أكون من المتوكلين ، متى أكون من الخاشعين ، متى أكون من الصابرين ، متى أكون من الصادقين ، متى أكون من الخائفين ، متى أكون من الراجين ؟ .

متى أزهد في الدنيا ، متى أرغب في الآخرة ، متى أتوب من الذنوب ، متى أعرف النعم المتواترة ، متى أشكر عليها ، متى أعقل عن الله جلت عظمته الخطاب ، متى أفقه ما أتلو ، متى أغلب نفسي على هواها ، متى أجاهد في الله عز وجل حق الجهاد ، متى أحفظ لساني ، متى أغض طرفي ، متى أحفظ فرجي ، متى استحيى من الله عز وجل حق الحياء ، متى اشتغل بعيبي ، متى أصلح ما فسد من أمري ، متى أحاسب نفسي ؟ .

متى أتزود ليوم معادي ، متى أكون عن الله راضيا ، متى أكون بالله واثقا ، متى أكون بزجر القرآن متعظا ، متى أكون بذكره عن ذكر غيره مشتغلا ، متى أحب ما أحب ، متى أبغض ما أبغض ، متى أنصح لله ، متى أخلص له عملي ؟ .

متى أقصر أملي ، متى أتأهب ليوم موتي ، وقد غيب عني أجلي ، متى أعمر قبري ، متى أفكر في الموقف وشدته ، متى أفكر في خلوتي مع ربي ، متى أفكر في المنقلب ؟ .

متى أحذر ما حذرني منه ربي ، من نار حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وغمها طويل ، لا يموت أهلها فيستريحوا ، ولا تقال عثرتهم ، ولا ترحم عبرتهم ، طعامهم الزقوم ، وشرابهم الحميم ، كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها ليذوقوا العذاب ، ندموا حيث لا ينفعهم الندم ، وعضوا على الأيدي أسفا على تقصيرهم في طاعة الله عز وجل ، وركوبهم لمعاصي الله تعالى ، فقال منهم قائل « يقول يا ليتني قدمت لحياتي »(

الفجر ٢٤/٧٩) ، وقال قائل « رب ارجعون . لعلي أعمل صالحا فيما تركت »(المؤمنون ٩٩/٢٣،١٠٠) ، وقالِ قائل « يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها »(الكهف ٤٩/١٨) ، وقال قائل « يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا »(الفرقان ٢٨/٢٥) ، وقالت فرقة منهم ، ووجوههم تتقلب في أنواع من العذاب ، فقالوا « يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا »(الأحزاب ٦٦/٣٣) .." [١]

"باب Y ذكر أخلاق من يقرأ القرآن على المقرئ

، ــــ ،

قال محمد بن الحسين رحمه الله Y من كان يقرأ على غيره ، ويتلقن ، فينبغي له أن **يحسن الأدب** في جلوسه بين يديه ، ويتواضع في جلوسه ، ويكون مقبلا عليه ، فإن ضجر عليه احتمله ، وإن زجره احتمله ، ورفق به ، واعتقد له الهيبة ، والاستحياء منه .

وأحب أن يتلقن ما يعلم أنه يضبطه ، هو أعلم بنفسه ، إن كان يعلم أنه لا يحتمل في التلقين أكثر من خمس خمس ، فلا ينبغي أن يسأل الزيادة ، وإن كان يعلم أنه لا يحتمل أن يتلقن إلا ثلاث آيات ، لمْ يسأل أن يلقنه خمسا ، فإن لقنه الأستاذ ثلاثا لم يزده عليها ، وإن علم هو من نفسه أن يحتمل خمسا سأله أن يزيده على أرفق ما يكون ، فإن أبى لم يؤذه بالطلب ، وصبر على مراد الأستاذ منه ، فإنه إذا فعل ذلك كان هذا الفعل منه داعية للزيادة ممن يلقنه إن شاء الله .

ولا ينبغي له أن يضجر من يلقنه فيزهد فيه ، وإذا لقنه شكر له ذلك ، ودعا له ، وعظم قدره .

ولا يجفو عليه إن جفا عليه ، ويكرم من يلقنه إذا كان هو يكرمه ، وتستحي منه إن كان هو لم يستح منك . تلزم أنت نفسك واجب حقه عليك ، فبالحري أن يعرف حقك ، لأن أهل القرآن أهل خير وتيقظ وأدب ، يعرفون الحق على أنفسهم .

فإن غفل عن واجب حقك ، فلا تغفل أنت عن واجب حقه ، فإن الله عز وجل قد أمرك أن تعرف حق العالم ، وأمرك بطاعة العلماء ، وكذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم .." [٢]

"٦ - أخبرنا أبو بكر ، قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد بن عفير الأنصاري ، ثنا عبد الصمد بن محمد العباداني ، ثنا عبد الصمد بن يزيد ، قال : سمعت الفضيل بن عياض ، يقول : « من مقت نفسه في ذات الله D أمنه الله D من مقته » قال أبو بكر : فإن قال قائل : فبين لي أخلاقها القبيحة

---

(١) أخلاق حملة القرآن للآجري، ص/٢٧

(٢) أخلاق حملة القرآن للآجري، ص/٦٧

. قيل له : هي الأخلاق التي قد استوطنتها النفس ، وليس تحب مفارقتها ، وهي أخلاق كثيرة إذا تصفح الإنسان نفسه وجدها كذلك . فإنها نفس متبعة للهوى . منهمكة في لذة الدنيا . باسطة لطول أمل عن قليل ينقضي . قليلة الاكتراث لأجل لا بد أن يغشى . راغبة في حب دنيا إذا أحبها قلب عبد قسى . زاهدة في دار نعيمها لا يفنى . محبة لأخلاق تعلم أنها مضرة بها غدا . ضاحكة مستبشرة ناعمة بما عنه مولاها نهى . نفس تحزن على ما لم يجر لها به المقدور مما أملته من الدنيا صباحها والمسا . نفس يخف عليها السعي والكد في طلب الدنيا ، نفس تلذ بالفتور عن الخير الذي إليه مولاها دعا . نفس تهم بالنفقة في طاعة الله ، فيوعدها الشيطان الفقر ، فتميل إلى ما إليه دعا . نفس وعدها الله المغفرة ، والفضل فلم تثق ، ولم ترض . نفس تثق بوعد مخلوق ، وعند وعيد مولاها تتلكا . نفس ترضي المخلوقين بسخط ربها ، وعن رضا مولاها تتوانى . نفس ندبها الله إلى الصبر عند المصائب ، تعزية منه لها ، فلا تقبل العزا . نفس تتصنع للمخلوقين بوفاء الوعد ، وفيما عهد الله الكريم إليها قليلة الوفا . نفس تترك المعاصي بعد القدرة عليها ، حياء من المخلوقين ، وعند نظر الله العظيم إليها قليلة الحيا . نفس قليلة الشكر لله الكريم على نعم لا تحصى . نفس تستعين بنعم الله الكريم على معاصيه في صباحها والمسا . نفس يخف عليها مجالسة البطالين ، ويثقل عليها مجالسة العلما . نفس تطيع الغاش ، وتعصي أنصح النصحا . نفس تسارع فيما تهوى ، وهي تتعلل بالتسويف للتوبة اليوم وغدا . قال أبو بكر محمد بن الحسين : من عرف من نفسه هذه الأخلاق ، وغيرها ، سارع إلى رياضتها ، بحسن الأدب لها ؛ ليردها إلى ما هو أولى بها من تقوى الله D ، في السر والعلانية ، بالندم الشديد ، والنزوع من قبيح ما صح عنده من هذه الأخلاق ، إن فيه شيء منها ، وإصلاح ما يستأنفه في طول عمره ، والله D الموفق لذلك." (١)

"يقول: جفوت مرة أبا القاسم الحداد رحمه الله، فكتب إلي:

ستذكرني إذا جربت غيري ... وتعلم أنني لك كنت كنزا

بذلت لك الصفاء بكل ود ... وكنت كما هويت، فصرت حزا

وهنت إذا عززت وكنت ممن ... يهون إذا أخوه عليه عزا

ستنكت نادما في الأرض مني ... أتعلم أن رأيك كان عجزا

فرجعت إليه، قال: ما هززتك للاعتذار، لكن اشتملت بك إلى الوفاء.

ومن الفتوة كرم الصحبة والقيام بحسن الأدب فيها. وهو أن يصحب من فوقه بالتعظيم، ويصحب أشكاله

(١) أدب النفوس للآجري، ص/٨

بالموافقة والألفة، ويصحب من دونه بالعطف والشفقة والرحمة، ويصحب الوالدين بالخضوع والمطاوعة، ويصحب الأولاد بالرحمة، وحسن التأديب، ويصحب الأهل بحسن المداراة، ويصحب الأقارب بالبر والصلة، ويصحب الإخوان بصدق المودة، ودفع المجهود في المحبة، ويصحب الجيران بكف الأذى، ويصحب العامة ببشاشة الوجه، ولين الكف، ويصحب الفقراء بتعظيم حرماتهم ومعرفة أقدارهم، ويصحب الأغنياء بإظهار الاستغناء عنهم، ويصحب العلماء بقبول ما يشيرون به عليه، ويصحب الأولياء بالتذلل والانقياد لهم، وترك الإنكار عليهم، ويجتنب في أوقاته صحبة المبتدعين والمدعين والمظهرين بالزهد رغبة في استتباع الناس، وأخذ ما في أيديهم.." (١)

"الأصبهاني يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: ما مددت رجلي في الخلوة قط. واستعمال الآداب مع الله أولى، وسمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت عمر البسطامي رضي الله عنه يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد رحمه الله يقول: قمت ليلة أصلي فعييت، فجلست ومددت رجلي، فسمعت قائلا يقول أو هاتفا: من يجالس الملوك يجب أن يجالسهم **بحسن الأدب**.

ومن الفتوة حفظ المودة القديمة. كذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله يحب حفظ الود القديم)). سمعت أبا بكر الرازي [يقول]: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت أبا محمد المغازلي يقول: من أراد أن تدوم له المودة، فليحظ مودة إخوانه القدماء.

ومن الفتوة ستر الأحوال. كما قال سهل بن عبد الله: خمسة أشياء فيها جوهر النفس: فقير يظهر الغنى، وجائع يظهر الشبع، ومحزون يظهر الفرح، ورجل بينه وبين إنسان عداوة فيظهر له المحبة، ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يظهر ضعفا.." (٢)

"قال النووي : " معناه أنه شبيه بالراكب في خفة المشقة عليه وقلة تعبه وسلامة رجله مما يعرض في الطريق من خشونة وشوك وأذى ونحو ذلك " .

رابعا : يستحب الصلاة بالنعال .

وسيأتي الحديث عنها .

)

٣٦ – وعنه قال : (ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ، إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه

---

(١) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي، ص/٥٦

(٢) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي، ص/٦١

) .

معاني الكلمات :

طعاما : الطعام ما يطعمه من مأكول أو مشروب .

الفوائد :

١- كل طعام مباح ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعيبه .

٢- السنة فيمن قدم له طعاما إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، فلا يتكلم فيه بقدح أو عيب .

٣- لا ينبغي للإنسان أن يعيب طعاما ، لأن ذلك ينافي شكر نعمة الله .

٤- مدح والطعام والثناء عليه جائز فقد قال صلى الله عليه وسلم : (نعم الإدام الخل) .

٥- حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان يحافظ على مشاعر الناس ، فلا يقدح في عملهم ولا يخدش شعورهم .

٦- بيان **حسن الأدب** ، لأن المرء قد لا يشتهي طعاما ويشتهيه غيره .

)

٣٧ – وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، لا يتمثل الشيطان بي) .

معاني الكلمات :

لا يتمثل بي : لا يتصور بي .

الفوائد :

١- فضل رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام .

٢- الشيطان لا يتمثل في صورة النبي صلى الله عليه وسلم .

٣- أن الإنسان إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم على صفته المعروفة ، فإنه قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم حقا لأن الشيطان لا يتمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم .

٤- لا بد أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم على صفته التي خلقه الله عليها .

وقد كان محمد بن سيرين إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال : صف لي الذي رأيته ؟ فإن وصف له صفة لا يعرفها قال : لم تره .." [1]

"٦٢٠- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجاءه رجل من الأنصار ، فسلم على النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم قال : يا رسول الله! أي المؤمنين أفضل؟ قال :«أحسنهم خلقا». قال : فأي المؤمنين أكيس؟ (١)قال :«أكثرهم للموت ذكرا ، وأحسنهم لما بعده استعدادا ، أولئك الأكياس».(٢) = حسن

---

(١) أكيس : الكيس : خلاف الحمق ، هو العقل ، **حسن الأدب** ، والرفيق في الأمور ، وكذلك يراد به العلو والفطنة .

(٢) ابن ماجه [٤٢٥٩] باب ذكر الموت والاستعداد له ، تعليق الألباني "حسن".." [2]

"١٤- أنا أبو عمرو عبد الوهاب، أنا والدي، أنا أبو يحيى علي بن سليمان الخرقي، ثنا أبو قلابة، ثنا عمرو بن خليفة، ثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((الحياء من الإيمان؛ والإيمان: في الجنة، والبذاء من الجفاء؛ والجفاء في النار)).

قال الإمام: البذاء: الفحش في المنطق وقلة الحياء. **والجفاء: سوء الأدب**، وترك الأخذ بأدب الله وأدب الرسول.." [3]

"١١٢٧- أخبرنا أحمد بن علي المقرئ، أنبأ هبة الله بن الحسن الحافظ، أنبأ منصور بن علي، ثنا عبد الله بن محمد البغوي، ثنا عبد الله بن عون الخراز، ثنا هشيم، أنبأ منصور عن الحسن، عن أبي بكرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، البذاء من الجفاء، والجفاء في النار)).

البذاء: فحش الكلام وقلة الحياء، **والجفاء: سوء الأدب** والعمل بخلاف السنة.." [4]

---

(١) أحاديث مختارة من الصحيحين، ص/٣٦

(٢) العمل الصالح، ص/٩٣٥

(٣) الترغيب والترهيب لقوام السنة، ١/٦٧

(٤) الترغيب والترهيب لقوام السنة، ٢/٤٨

"(٣) مناقب الخلفاء الراشدين الأربعة

(خ م) ، عن سعيد بن المسيب قال :

أخبرني أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – أنه توضأ في بيته ثم خرج ، فقال : لألزمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ولأكونن معه يومي هذا ، قال : فجاء المسجد فسأل عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالوا : " خرج ووجه هاهنا (١) " ، قال : فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخلت بئر أريس (٢) فجلست عند الباب – وبابها من جريد (٣) – " حتى قضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حاجته فتوضأ " ، فقمت إليه " فإذا هو جالس على بئر أريس ، وتوسط قفها (٤) وكشف عن ساقيه ، عن ركبتيه (٥) ودلاهما في البئر " ، فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب ، فقلت : لأكونن بواب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اليوم ، فجاء أبو بكر – رضي الله عنه – فدفع الباب ، فقلت : من هذا ؟ ، فقال : أبو بكر ، فقلت : على رسلك ، ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : " ائذن له وبشره بالجنة " ، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر : ادخل ، " ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – يبشرك بالجنة " ، فدخل أبو بكر) (٦) (فحمد الله ثم) (٧) (جلس عن يمين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معه في القف ، ودلى رجليه في البئر "كما صنع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " ، وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيرا – يريد أخاه – يأت به ، فإذا إنسان يحرك الباب (٨) فقلت : من هذا ، فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت : على رسلك ، ثم جئت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسلمت عليه فقلت : هذا عمر بن الخطاب يستأذن ، فقال : " ائذن له وبشره بالجنة " ، فجئت فقلت : ادخل ، " وبشرك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجنة ") (٩) (فحمد الله ثم) (١٠) (دخل فجلس مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في القف عن يساره ، ودلى رجليه في البئر ، ثم رجعت فجلست ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيرا يأت به ، فجاء إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ ، فقال : عثمان بن عفان ، فقلت : على رسلك ، فجئت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته) (١١) (فقال : " ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه ") (١٢) (فجئته فقلت له : ادخل ، " وبشرك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجنة على بلوى تصيبك ") (١٣) (فحمد الله ثم قال : الله المستعان) (١٤) (فلما دخل عثمان " غطى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ركبتيه ") (١٥) (فوجد عثمان القف قد ملئ ، فجلس وجاهه من الشق الآخر ، قال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم) (١٦) (اجتمعت ها هنا

وانفرد عثمان (١٧)) (١٨) .

---

(١) أي : توجه جهة كذا . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٠ / ص ٤٦٩)

(٢) هو بستان بالمدينة معروف ، وهو بالقرب من قباء ، وفي بئرها سقط خاتم النبي - صلى الله عليه وسلم - من إصبع عثمان - رضي الله عنه - .

فتح الباري لابن حجر - (ج ١٠ / ص ٤٦٩)

(٣) الجريدة : سعفة النخل سميت بها لكونها مجردة عن الخوص وهو ورق النخل . تحفة الأحوذي(ج ٤ / ص ٨٠)

(٤) هو الداكة التي تجعل حول البئر . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٠ / ص ٤٦٩)

(٥) (خ) ٣٤٩٢

(٦) (خ) ٣٤٧١ ، (م) ٢٨ - (٢٤٠٣)

(٧) (خ) ٣٤٩٠

(٨) فيه **حسن الأدب** في الاستئذان ، قال ابن التين . ويحتمل أن يكون هذا قبل نزول قوله : (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) . قلت : وما أبعد ما قال ، فقد وقع في رواية عبد الرحمن بن حرملة " فجاء رجل فاستأذن " وسيأتي في آخر مناقب عمر من طريق أبي عثمان النهدي عن أبي موسى بلفظ " فجاء رجل فاستفتح " ، فعرف أن قوله : " يحرك الباب " إنما حركه مستأذنا لا دافعا له ليدخل بغير إذن . فتح الباري(ج ١٠ / ص ٤٦٩)

(٩) (خ) ٣٤٧١ ، (م) ٢٨ - (٢٤٠٣)

(١٠) (خ) ٣٤٩٠

(١١) (خ) ٣٤٧١ ، (م) ٢٨ - (٢٤٠٣)

(١٢) (خ) ٣٤٩٢ ، (م) ٢٨ - (٢٤٠٣) ، (ت) ٣٧١٠

(١٣) (خ) ٣٤٧١

(١٤) (خ) ٣٤٩٠

(١٥) (خ) ٣٤٩٢

(١٦) (خ) ٣٤٧١ ، (م) ٢٩ - (٢٤٠٣)

(١٧) فيه وقوع التأويل في اليقظة وهو الذي يسمى الفراسة ، والمراد اجتماع الصاحبين مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في الدفن ، وانفراد عثمان عنهم في البقيع . فتح الباري لابن حجر - (ج ١٠ / ص ٤٦٩)

(١٨) (خ) ٦٦٨٤." [١]

"٩٤٧ - نا أحمد بن بكر قال : أتيت عمر بن شبة فأنشدته : سلم الناس جميعا لك في حسن الأدب وانتهى العلم إلى علم ابن شبة وكتب فقال : يا أحمد : اكتب ويحك ، يعني انبه." [٢]

"٩٧٤ - نا أحمد بن بكر قال: أتيت عمر بن شبة فأنشدته:

[البحر الرمل]

ﷺسلم الناس جميعا ... لك في حسن الأدب

وانتهى العلم إلى ... علم ابن شبة وكتب

فقال: يا أحمد: اكتب ويحك، يعني انبه." [٣]

"غيبه والهوى شريك العمى ومن التوفيق سعة الرزق نعم طارد الهموم اليقين وفي الصدق النجاة عاقبة الكذب شر عاقبة رب بعيد أقرب من قريب ورب قريب أبعد من بعيد والغريب من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه من اقتصر على قدره كان أبقى له ونعم الخلق وأوثق العرى التقوى من أعتبك قد هوى وقد يكون اليأس إدراكا إذا كان الطمع هلاكا كم من مريب قد شقى به غيره ونجا هو من البلاء جانيك من يجني عليك وقد تعدى الصحاح مبارك الجرب وليس كل عورة تظهر ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده ليس كل من طلب وجد ولا كل من توقى نجا آخر الشيء فإنك إن شئت عجلته أحسن إن أحببت أن يحسن إليك احتمل أخاك على كل ما فيه ولا تكثر العتاب فإنه يورث الضغينة ويجر إلى المغضبة وكثرته من سوء الأدب استعتب من رجوت صلاحه قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من كابد الحرية عطب ومن لم يعرف زمانه حرب ما أقرب النقمة من أهل ا لبغي وأخلق من عدر أن لا يولى له زلة العالم أقبح زلة وعلة." [٤]

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٣٨٣/٤

(٢) معجم ابن الأعرابي، ٤٤٨/٢

(٣) معجم ابن الأعرابي، ٥٠١/٢

(٤) جامع الأحاديث، ١٣٢/٣٠

" ٣٥ – وفي قوله فرآه حزينا ما يدل على إثبات التفرس في الوجوه وقد احتج بهذا المعنى بعض أهل الفراسة بما يطول ذكره وأكره الإكثار إذ الغرض غيرهما

٣٦ – وفيه دليل على الاستدلال بالعبرة لأهلها إذ استدل بالحزن الظاهر في وجهه على الحزن الكامن في قلبه حتى حداه على سؤال حاله

٣٧ – وفي قوله ما بال أبي عمير دليل على أن من السنة إذا رأيت أخاك أن تسأل عن حاله

٣٨ – وفيه دليل كما قال بعض أهل العلم على **حسن الأدب** بالسنة في تفريق اللفظ بين سؤالين فإذا سالت أخاك عن حاله قلت مالك كما قال النبي في حديث أبي قتادة مالك يا أبا قتادة وإذا سألت غيره عن حاله قلت ما بال أبي فلان كما قال ." (١)

" استعن على سيرك إلى الله بترك من شغلك عن الله عز و جل وليس بشاغل يشغلك عن الله عز و جل كنفسك التي هي بين جنبيك

قال وحدثني أبو القاسم المخرمي قال سمعت ابا على الروذباري يقول النفس مجبولة **على سوء الأدب** والعبد مأمور بملازمة الأدب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد مجتهد في ردها فمتى اعانها فهو شريكها في فسادها

قال ابن جهضم وحدثني خلف بن الحسن العباداني قال سمعت سمنونا يقول أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه

قال وحدثنا محمد بن أحمد الزبيري قال حدثنا أبو بكر الكناني قال قال لي علي بن سعيد رأيت في النوم امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت قالت حوراء قلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدي قلت فما مهرك قالت حبس نفسك عن مألوفاتها

أخبرنا علي بن أبي عمر قال أنبأنا رزق الله وطراد قالا أنبأنا ابن بشران قال حدثنا ابن صفوان قال حدثنا أبو بكر بن عبيد قال حدثنا سلمة بن شبيب عن إبراهيم بن الأشعث سمع الفضل بن عياض يقول في قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم قالا لا تغفلوا عن أنفسكم فإن من غفل عن نفسه فقد قتلها

---

(١) فوائد حديث أبي عمير، ص/٢٦

أخبرنا ابو بكر الصوفي قال أنبأنا ابن أبي صادق قال أنبأنا ابن باكويه قال سمعت أحمد بن علي البوازيجي قال سمعت أبا عمران الحديثي يقول ما مددت يدي مذ عقلت عن الله عز و جل ولنفسي فيه نصيب ولولا أن الله عز و جل أودعنا هذه النفوس بحفظها له لجعلنا على ذروة كل جبل منها قطعة ." (١)

"ص -٧٣- ... نفسه في مجلس الوزير أبي علي بن مقلة١ سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

وأفتى محمد بن أبي زيد فيمن قال لصبي: لعن الله معلمك و ما علمك، وقال: **أردت سوء الأدب** و لم أرد القرآن قال يؤدب القائل.

قال: وأما من لعن المصحف فإنه يقتل. هذا آخر كلام القاضي عياض.

فصل : في تحريم تفسيره بغير علم

ويحرم تفسيره بغير علم، و الكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، و الأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه. و أما تفسيره للعالم فجائز حسن، و الإجماع منعقد عليه.

فمن كان من أهل التفسير جامع للأدوات التي تعرف بها معناه، وغلب على ظنه المراد، فسره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعاني و الأحكام الخفية و الجلية، و العموم و الخصوص، و الإعراب و غير ذلك، و إن كان ممالا يدرك بالاجتهاد، كالأمور التي طريقها النقل و تفسير الألفاظ اللغوية، فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله.

أما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته، فحرام عليه التفسير.

ولكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله.

ثم المفسرون برأيهم من غير دليل صحيح أقسام:

*فمنهم: من يحتج بآية على تصحيح مذهبه وتقوية خاطره، مع انه لا يغلب على ظنه أن ذلك هو المراد بالآية، و إنما يقصد الظهور على خصمه.

*ومنهم: من يقصد الدعاء إلى خير و يحتج بآية من غير أن يظهر له دلالة

---

١ هو: محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، أبو علي، أديب، شاعر، حسن الخط، من الوزراء، و ولد في بغداد سنة(٢٧٢هـ) وولي الخراج في أعمال فارس، توفي سنة (٣٢٨هـ).." (٢)

---

(١) ذم الهوى، ص/٤٩

(٢) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات، ص/٧٣

"حياة شيوخه، حتى إن أحمد بن حنبل جلس معه مرة، فجاء أحد إخوانه يعتب عليه أن ترك مجلس ابن عيينة - شيخ الشافعي، ويجلس إلى هذا الاعرابي! فقال له أحمد: «اسكت، إنك إن فاتك حديث بعلو وجدته بنزول، وإن فاتك عقل هذا أخاف أن لا تجده، ما رأيت أحدا أفقه في كتاب الله من هذا الفتى».

وحتى يقول داود بن علي الظاهري الامام في كتاب مناقب الشافعي: " قال لي إسحق بن راهويه: ذهبت أنا وأحمد بن حنبل إلى الشافعي بمكة فسألته عن أشياء، فوجدته فصيحا **حسن الأدب**، فلما فارقناه أعلمني جماعة من أهل الفهم بالقرآن أنه كان أعلم الناس في زمانه بمعاني القرآن، وأنه قد أوتي فيه فهما، فلو كنت عرفته للزمته، قال داود: ورأيته يتأسف على ما فاته منه ".

وحتى يقول أحمد بن حنبل: «لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث».

ثم يدخل العراق، دار الخلافة وعاصمة الدولة (١)، فيأخذ عن أهل الرأي علمهم ورأيهم، وينظر فيه، ويجادلهم ويحاجهم، يزداد بذلك بصرا بالفقه، ونصرا للسنة، حتى يقول أبو الوليد المكي الفقيه موسى بن أبي الجارود: "كنا نتحدث نحن وأصحابنا من أهل مكة أن الشافعي أخذ كتب ابن جريح (٢) عن أربعة أنفس: عن مسلم بن خالد، وسعيد بن سالم، وهذان فقيهان، وعن عبد المجيد بن العزيز بن أبي رواد، وكان أعلمهم بابن جريج، وعن عبد الله بن الحرث المخزومي، وكان من الاثبات، وانتهت رياسة الفقه بالمدينة إلى مالك بن أنس، رحل إليه ولازمه وأخذ عنه، وانتهت رياسة الفقه بالعراق إلى أبي حنيفة، فأخذ عن صاحبه محمد بن الحسن جملا ليس فيها شئ إلا وقد سمعه عليه، فاجتمع له علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث، فتصرف في ذلك، حتى أصل الأصول، وقعد القواعد، وأذعن له الموافق والمخالف، واشتهر أمره. وعلا ذكره، وارتفع قدره، حتى صار منه ما صار ".

---

(١) دخل الشافعي بغداد ثلاث مرات، الأولى وهو شاب سنة ١٨٤ أو قبلها في خلافة هارون الرشيد، والثانية في سنة ١٩٥ ومكث سنتين، والثالثة سنة ١٩٨ فأقام أشهرا، ثم خرج إلى مصر،

(٢) انتهت رياسة الفقه بمكة إلى ابن جريج.." [١]

"٦٥١ - حدثنا موسى -يعني ابن إسماعيل-، حدثنا أبان، حدثنا قتادة حدثني بكر بن عبد الله، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذا، قال: "فيهما خبث"، قال في الموضعين: "خبث" (١).

---

(١) مسند الشافعي الشافعي ص/٤

٦٥٢ - حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن هلال ابن ميمون الرملي، عن يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم" (٢).

٦٥٣ - حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا علي بن المبارك، عن حسين المعلم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه

---

(١) رجاله ثقات وهو مرسل. أبان: هو ابن يزيد العطار.

وانظر ما قبله.

(٢) إسناده حسن من أجل هلال بن ميمون، وباقي رجاله ثقات.

وأخرجه البزار في "مسنده" (٣٤٨٠)، وابن حبان (٢١٨٦)، والطبراني (٧١٦٤) و (٧١٦٥)، والحاكم ١/ ٢٦٠، والبيهقي ٢/ ٤٣٢، والبغوي في "شرح السنة" (٥٣٤) من طريق مروان بن معاوية، بهذا الإسناد.

ولفظ ابن حبان وحده: "خالفوا اليهود والنصارى".

قال في "الدر المختار" للحصكفي: وينبغي لداخل المسجد تعاهد نعله وخفه، وصلاته فيهما أفضل، وعلق ابن عابدين في "حاشيته" على قوله: "وصلاته فيهما" فقال: أي في النعل والخف الطاهرين أفضل مخالفة لليهود. لكن إذا خشي تلويث فرش المسجد بها ينبغي عدمه وإن كانت طاهرة، وأما المسجد النبوي فقد كان مفروشا بالحصى في زمنه - صلى الله عليه وسلم - بخلافه في زماننا، ولعل ذلك محمل ما في "عمدة المفتي" من أن دخول المسجد منتعلا **من سوء الأدب**. فتأمل.

قال السهارنفوري في "بذل المجهود" ٤/ ٣٢٠ - ٣٢١: "وأما في زماننا فينبغي أن تكون الصلاة مأمورة بهما حافيا لمخالفة أهل الكتاب، فإنهم لا يخلعونها عن أرجلهم".." [١]

"١٤ - باب في التخيير بين الأنبياء

٤٦٦٨ - حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا عمرو -يعني ابن يحيى- عن أبيه

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا تخيروا بين الأنبياء" (١).

٤٦٦٩ - حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي العالية

عن ابن عباس، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن

---

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٤٨٦/١

متى" (٢).

---

(١) إسناده صحيح، وهيب: هو ابن خالد بن عجلان، وعمرو بن يحيى: هو المازني، وأبوه: هو يحيى بن عمارة بن أبي الحسن.
وأخرجه البخاري (٢٤١٢) عن موسى بن إسماعيل، بهذا الإسناد، وفيه قصة.
وأخرجه البخاري (٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤) (١٦٣) من طريق سفيان الثوري، عن عمرو بن يحيى، به.
وهو في "مسند أحمد" (١١٢٦٥)، و"صحيح ابن حبان" (٦٢٣٧).
قوله: "لا تخيروا" قال السندي: من التخيير، أرشدهم إلى ما ينبغي لهم من التأدب مع الكل، إذ التخيير ربما يؤدي إلى التنقيص وسوء الأدب، وهذا لا ينافي أن يكون بعضهم أفضل كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ [البقرة: ٢٥٣].
(٢) إسناده صحيح، أبو العالية: هو رفيع بن مهران.
وأخرجه البخاري (٣٤١٣) عن حفص بن عمر، بهذا الإسناد.
وأخرجه البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٧) (١٦٧) من طريق محمد بن جعفر، عن شعبة، به.
وهو في "مسند أحمد" (٢١٦٧)، و"صحيح ابن حبان" (٦٢٤١).." [١]

"حدثنا بحر بن نصر، قال: ثنا أسد، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، عن مجاهد، قال: «ﷺبين الملائكة وبين العرش سبعون حجابا من نور، وحجاب من ظلمة، وحجاب من نور، وحجاب من ظلمة» قال أبو بكر: لم أخرج في هذا الكتاب من المقطعات؛ لأن هذا من الجنس الذي نقول: إن علم هذا لا يدرك إلا بكتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم لست أحتج في شيء من صفات خالقي عز وجل إلا بما هو مسطور في الكتاب أو منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الصحيحة الثابتة أقول وبالله توفيقي، وإياه استرشد: قد بين الله عز وجل في محكم تنزيله الذي هو مثبت بين الدفتين أن له وجها، وصفه بالجلال والإكرام والبقاء، فقال جل وعلا: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٧] ونفى ربنا جل وعلا عن وجهه الهلاك في قوله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] وزعم بعض جهلة الجهمية أن الله عز وجل إنما وصف في هذه الآية نفسه، التي أضاف إليها الجلال، بقوله: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٧٨] وزعمت أن الرب هو: ذو الجلال والإكرام، لا

---

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٦١/٧

الوجه قال أبو بكر: أقول وبالله توفيقي: هذه دعوى، يدعيها جاهل بلغة العرب -[٥٢]-، لأن الله عز وجل قال: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٧] فذكر الوجه مضموما في هذا الموضع، مرفوعا، وذكر الرب بخفض الباء بإضافة الوجه، ولو كان قوله: ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٧] مردودا إلى ذكر الرب في هذا الموضوع لكانت القراء ة: ذي الجلال والإكرام مخفوضا ، كما كان الباء مخفوضا في ذكر الرب جل وعلا ألم تسمع قوله تبارك وتعالى: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٧٨] ، فلما كان الجلال والإكرام في هذه الآية صفة للرب، خفض ذي خفض الباء الذي ذكر في قوله: ﴿ربك﴾ [الرحمن: ٧٨] ، ولما كان الوجه في تلك الآية مرفوعة ، التي كانت صفة الوجه مرفوعة، فقال: ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٧] فتفهموا ياذوي الحجا هذا البيان، الذي هو مفهوم في خطاب العرب، ولا تغالطوا فتتركوا سواء السبيل، وفي هاتين الآيتين دلالة أن وجه الله صفة من صفات الله، صفات الذات، لا أن وجه الله هو: الله، ولا أن وجهه غيره، كما زعمت المعطلة الجهمية، لأن وجه الله لو كان الله لقرئ: ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام فما لمن لا يفهم هذا القدر من العربية، ووضع الكتب على علماء أهل الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم -[٥٣]- وزعمت الجهمية عليهم لعائن الله أن أهل السنة ومتبعي الآثار ، القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، المثبتين لله عز وجل من صفاته ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله المثبت بين الدفتين وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بنقل العدل عن العدل موصولا إليه مشبهة، جهلا منهم بكتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وقلة معرفتهم بلغة العرب، الذين بلغتهم خوطبنا وقد ذكرنا من الكتاب والسنة في ذكر وجه ربنا بما فيه الغنية والكفاية ، ونزيده شرحا، فاسمعوا الآن أيها العقلاء ، ما نذكر من جنس اللغة السائرة بين العرب، هل يقع اسم المشبهة على أهل الآثار ومتبعي السنن؟ نحن نقول: وعلماؤنا جميعا في جميع الأقطار: إن لمعبودنا عز وجل وجها كما أعلمنا الله في محكم تنزيله، فذواه بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، ونفى عنه الهلاك، ونقول: إن لوجه ربنا عز وجل من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره، محجوب عن أبصار أهل الدنيا، لا يراه بشر ما دام في الدنيا الفانية ونقول: إن وجه ربنا القديم لا يزال باقيا، فنفى عنه الهلاك والفناء ، -[٥٤]- ونقول: إن لبني آدم وجوها كتب الله عليها الهلاك، ونفى عنها الجلال والإكرام غير موصوفة بالنور والضياء والبهاء التي وصف الله بها وجهه تدرك وجوه بني آدم أبصار أهل الدنيا، لا تحرق لأحد شعرة فما فوقها، لنفي السبحات عنها، التي بينها نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم لوجه خالقنا ونقول: إن وجوه بني آدم

محدثة مخلوقة، لم تكن، فكونها الله بعد أن لم تكن مخلوقة، أوجدها بعد ما كانت عدما، وإن جميع وجوه بني آدم فانية غير باقية، تصير جميعا ميتا، ثم تصير رميما، ثم ينشئها الله بعد ما قد صارت رميما، فتلقى من النشور والحشر والوقوف بين يدي خالقها في القيامة، ومن المحاسبة بما قدمت يداه وكسبه في الدنيا ما لا يعلم صفته غير الخالق البارئ ثم تصير إما إلى جنة منعمة فيها، أو إلى النار معذبة فيها، فهل يخطر يا ذوي الحجا ببال عاقل مركب فيه العقل، يفهم لغة العرب، ويعرف خطابها، ويعلم التشبيه، أن هذا الوجه شبيه بذاك الوجه؟ وهل هاهنا أيها العقلاء ، تشبيه وجه ربنا جل ثناؤه الذي هو كما وصفنا وبينا صفته من الكتاب والسنة بتشبيه وجوه بني آدم، التي ذكرناها ووصفناها؟ غير اتفاق اسم الوجه، وإيقاع اسم الوجه على وجه بني آدم، كما سمى الله وجهه وجها، ولو -[٥٥]- كان تشبيها من علمائنا لكان كل قائل: أن لبني آدم وجها ، وللخنازير والقردة، والكلاب، والسباع، والحمير، والبغال، والحيات، والعقارب، وجوها، قد شبه وجوه بني آدم بوجوه الخنازير والقردة، والكلاب وغيرها مما ذكرت ولست أحسب أن عقل الجهمية المعطلة عند نفسه، لو قال له أكرم الناس عليه: وجهك يشبه وجه الخنزير والقرد، والدب، والكلب، والحمار، والبغل ونحو هذا إلا غضب، لأنه خرج **من سوء الأدب** في الفحش في المنطق من الشتم للمشبه وجهه بوجه ما ذكرنا، ولعله بعد يقذفه ، ويقذف أبويه ولست أحسب أن عاقلا يسمع هذا القائل المشبه وجه ابن آدم بوجوه ما ذكرنا إلا ويرميه بالكذب، والزور، والبهت أو بالعته، والخبل، أو يحكم عليه بزوال العقل، ورفع القلم، لتشبيه وجه ابن آدم بوجوه ما ذكرنا فتفكروا يا ذوي الألباب، أو وجوه ما ذكرنا أقرب شبها بوجوه بني آدم ، أو وجه خالقنا بوجوه بني آدم؟ فإذا لم تطلق العرب تشبيه وجوه بني آدم بوجوه ما ذكرنا من السباع واسم الوجه ، قد يقع على جميع وجوهها كما يقع اسم الوجه على وجوه بني آدم ، فكيف يلزم أن يقال لنا: أنتم مشبهة؟ ووجوه بني آدم ووجوه ما ذكرنا من السباع والبهائم محدثة، كلها مخلوقة، قد قضى الله فناءها وهلاكها وقد كانت عدما ، فكونها الله وخلقها وأحدثها ، وجميع ما ذكرناه من السباع والبهائم لوجوهها أبصار ، وخدود وجباة، وأنوف وألسنة، وأفواه، وأسنان، وشفاه -[٥٦]- ولا يقول مركب فيه العقل لأحد من بني آدم: وجهك شبيه بوجه الخنزير، ولا عينك شبيه بعين قرد، ولا فمك فم دب، ولا شفتاك كشفتي كلب، ولا خدك خد ذئب إلا على المشاتمة، كما يرمي الرامي الإنسان بما ليس فيه فإذا كان ما ذكرنا على ما وصفنا ثبت عند العقلاء وأهل التمييز، أن من رمى أهل الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم بالتشبيه فقد قال الباطل والكذب، والزور والبهتان، وخالف الكتاب والسنة ، وخرج من لسان العرب وزعمت المعطلة من الجهمية: أن معنى الوجه الذي ذكر الله في الآي: التي تلونا

من كتاب الله، وفي الأخبار التي روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم كما تقول العرب: وجه الكلام، ووجه الدار، فزعمت لجهلها بالعلم أن معنى قوله: وجه الله: كقول العرب: وجه الكلام، ووجه الثوب، ووجه الدار، ووجه الثوب، وزعمت أن الوجوه من صفات المخلوقين وهذه فضيحة في الدعوى، ووقوع في أقبح ما زعموا أنهم يهربون منه، فيقال لهم: أفليس كلام بني آدم، والثياب والدور مخلوقة؟، فمن زعم منكم أن معنى قوله: ﴿وجه الله﴾ [البقرة: ١١٥] : كقول العرب: وجه الكلام، ووجه الكلام، ووجه الثوب، ووجه الدار، أليس قد شبه - عڊى أصلكم - وجه الله بوجه الموتان؟ لزعمكم - يا جهلة - أن -[٥٧]- من قال من أهل السنة والآثار ، القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم لله وجه وعينان، ونفس، وأن يبصر ويرى ويسمع: أنه مشبه عندكم خالقه بالمخلوقين، حاشا لله أن يكون أحد من أهل السنة والأثر شبه خالقه بأحد من المخلوقين فإذا كان على ما زعمتم بجهلكم، فأنتم شبهتم معبودكم بالموتان نحن نثبت لخالقنا جل وعلا صفاته التي وصف الله عز وجل بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولا إليه ونقول كلاما مفهوما موزونا، يفهمه كل عاقل نقول: ليس إيقاع اسم الوجه للخالق البارئ بموجب عند ذوي الحجا والنهى أنه يشبه وجه الخالق بوجوه بني آدم قد أعلمنا الله جل وعلا في الآي التي تلوناها قبل أن الله وجها، ذواه بالجلال والإكرام، ونفى الهلاك عنه، وخبرنا في محكم تنزيله أنه يسمع ويرى، فقال جل وعلا لكليمه موسى ولأخيه هارون صلوات الله عليهما: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦] ، وما لا يسمع ولا يبصر: كالأصنام ، التي هي من الموتان ألم تسمع مخاطبة خليل الله صلوات الله عليه أباه: ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾ [مريم: ٤٢] ؟ أفلا يعقل - يا ذوي الحجا - من -[٥٨]- فهم عن الله تبارك وتعالى هذا: أن خليل الله صلوات الله عليه وسلامه لا يوبخ أباه على عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ، ثم يدعو إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر، ولو قال الخليل صلوات الله عليه لأبيه: أدعوك إلى ربي الذي لا يسمع ولا يبصر، لأشبه أن يقول: فما الفرق بين معبودك ومعبودي؟ والله قد أثبت لنفسه أنه يسمع ويرى، والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله جل وعلا وصف بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لجهلهم بالعلم، وقال عز وجل: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ [الفرقان: ٤٤] فأعلم الله عز وجل أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام، بل هم أضل سبيلا، فمعبود الجهمية عليهم لعائن الله كالأنعام التي لا تسمع ولا تبصر والله قد ثبت لنفسه: أنه يسمع ويرى، والمعطلة من الجهمية تنكر كل

صفة لله وصف بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لجهلهم بالعلم، وذلك أنهم وجدوا في القرآن أن الله قد أوقع أسماء من أسماء صفاته على بعض خلقه، فتوهموا لجهلهم بالعلم أن من وصف الله بتلك الصفة التي وصف الله بها -[٥٩]- نفسه، قد شبهه بخلقه، فاسمعوا يا ذوي الحجا ما أبين من جهل هؤلاء المعطلة أقول: وجدت الله وصف نفسه في غير موضع من كتابه، فأعلم عباده المؤمنين أنه سميع بصير ، فقال: ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] ، وذكر عز وجل الإنسان فقال: ﴿فجعلناه سميعا بصيرا﴾ [الإنسان: ٢] ، وأعلمنا جل وعلا أنه يرى، فقال: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ [التوبة: ١٠٥] ، وقال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦] ، فأعلم عز وجل أنه يرى أعمال بني آدم، وأن رسوله وهو بشر يرى أعمالهم أيضا، وقال: ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء﴾ [النحل: ٧٩] وبنو آدم يرون أيضا الطير مسخرات في جو السماء ، وقال عز وجل: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ [هود: ٣٧] ، وقال: ﴿تجري بأعيننا﴾ [القمر: ١٤] ، وقال: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ [الطور: ٤٨] ، فثبت ربنا عز وجل لنفسه عينا، وثبت لبني آدم أعينا، فقال: ﴿ترى أعينهم تفيض من -[٦٠]- الدمع﴾ [المائدة: ٨٣] فقد خبرنا ربنا: أن له عينا، وأعلمنا أن لبني آدم أعينا، وقال لإبليس عليه لعنة الله: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥] ، وقال: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ [المائدة: ٦٤] ، وقال: ﴿الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] ، فثبت ربنا جل وعلا لنفسه يدين، وخبرنا أن لبني آدم يدين، فقال: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ [آل عمران: ١٨٢] ، وقال: ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ [الحج: ١٠] ، وقال: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح: ١٠] ، وقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] وخبرنا: أن ركبان الدواب يستوون على ظهورها، وقال في ذكر سفينة نوح: ﴿واستوت على الجودي﴾ [هود: ٤٤] ، أفيلزم – ذوي الحجا – عند هؤلاء الفسقة أن من ثبت لله ما يثبت الله في هذه الآي أن يكون مشبها خالقه بخلقه، حاشا الله أن يكون هذا تشبيها كما ادعوا لجهلهم بالعلم -[٦١]-، نحن نقول: إن الله سميع بصير كما أعلمنا خالقنا وبارئنا، ونقول من له سمع وبصر من بني آدم: فهو سميع بصير، ولا نقول: إن هذا تشبيه المخلوق بالخالق ونقول: إن لله عز وجل يدين، يمينين لا شمال فيهما، قد أعلمنا الله تبارك وتعالى أن له يدين، وخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنهما: يمينان لا شمال فيهما -[٦٢]-، ونقول: إن من كان من بني آدم سليم الجوارح والأعضاء فله يدان: يمين وشمال ولا نقول: إن يد المخلوقين كيد الخالق ، عز ربنا عن أن تكون يده كيد خلقه، وقد

سمى الله لنا نفسه عزيزا، وسمى بعض الملوك عزيزا، فقال: ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾ [يوسف: ٣٠] ، وسمى أخوة يوسف أخاهم يوسف: عزيزا، فقالوا: ﴿يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا﴾ [يوسف: ٧٨] ، وقال -[٦٣]-: ﴿قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ [يوسف: ٨٨] ، فليس عزة خالقنا العزة التي هي صفة من صفات ذاته، كعزة المخلوقين الذين أعزهم الله بها، ولو كان كل اسم سمى الله لنا به نفسه وأوقع ذلك الاسم على بعض خلقه: كان ذلك تشبيه الخالق بالمخلوق على ما توهم هؤلاء الجهلة من الجهمية، لكان كل من قرأ القرآن وصدقه بقلبه أنه قرآن ووحي، وتنزيل، قد شبه خالقه بخلقه وقد أعلمنا ربنا تبارك تعالى أنه الملك، وسمى بعض عبيده ملكا فقال: ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ [يوسف: ٥٠] ، وأعلمنا جل جلاله أنه العظيم، وسمى بعض عبيده عظيما، فقال: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١] ، وسمى الله بعض خلقه عظيما فقال: ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ [التوبة: ١٢٩] ، فالله العظيم، وأوقع اسم العظيم على عرشه، والعرش مخلوق، وربنا الجبار المتكبر ، فقال: ﴿السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾ [الحشر: ٢٣] ، وسمى بعض الكفار متكبرا جبارا، فقال: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ [غافر: ٣٥]

-[٦٤]- وبارئنا عز وجل الحفيظ العليم، وخبرنا أن يوسف عليه السلام قال للملك: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ [يوسف: ٥٥] ، وقال: ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ [الذاريات: ٢٨] ، وقال: ﴿بغلام حليم﴾ [الصافات: ١٠١] ، فالحليم والعليم اسمان لمعبودنا جل وعلا، قد سمى بهما بعض بني آدم، ولو لزم – يا ذوي الحجا – أهل السنة والآثار إذا أثبتوا لمعبودهم يدين كما ثبتهما الله لنفسه وثبتوا له نفسا عز ربنا وجل، وإنه سميع بصير، يسمع ويرى، ما ادعى هؤلاء الجهلة عليهم أنهم مشبهة، للزم كل من سمى الله ملكا، أو عظيما ، ورءوفا، ورحيما، وجبارا، ومتكبرا، أنه قد شبه خالقه عز وجل بخلقه، حاشا لله أن يكون من وصف الله عز وعلا بما وصف الله به نفسه، في كتابه، أو على لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مشبها خالقه بخلقه -[٦٥]- فأما احتجاج الجهمية على أهل السنة والآثار في هذا النحو بقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] ، فمن القائل إن لخالقنا مثلا؟ أو إن له شبيها؟ وهذا من التمويه على الرعاع والسفل، يموهون هذا على الجهال ، يوهمونهم أن من وصف الله بما وصف به نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فقد شبه الخالق بالمخلوق، وكيف يكون – يا ذوي الحجا – خلقه مثله؟ نقول: الله القديم لم يزل، والخلق محدث مربوب، والله الرازق، والخلق مرزوقون، والله الدائم الباقي وخلقه هالك غير باق، والله الغني عن جميع خلقه، والخلق فقراء إلى الله خالقهم، وليس

في تسميتنا بعض الخلق ببعض أسامي الله بموجب عند العقلاء الذين يعقلون عن الله خطابه أن يقال: إنكم شبهتم الله بخلقه، إذ أوقعتم أسامي الله على خلقه ، وهل يمكن عند هؤلاء الجهال حل هذه الأسامي من المصاحف أو محوها من صدور أهل القرآن؟ أو ترك تلاوتها في المحاريب وفي الجدور والبيوت؟ أليس قد أعلمنا منزل القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم أنه الملك؟ وسمى بعض عبيده ملكا، وخبرنا أنه السلام، وسمى تحية المؤمنين بينهم سلاما في الدنيا وفي الجنة، فقال: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ [الأحزاب: ٤٤] ، ونبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم قد كان يقول يوم فراغه -[٦٦]- من تسليم الصلاة: «اللهم أنت السلام ، ومنك السلام» ، وقال عز وجل: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾ [النساء: ٩٤] فثبت بخبر الله أن الله هو السلام ، كما في قوله: ﴿السلام المؤمن المهيمن﴾ [الحشر: ٢٣] ، وأوقع هذا الاسم على غير الخالق البارئ، وأعلمنا عز وجل أنه المؤمن، وسمى بعض عباده المؤمنين ، فقال: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال: ٢] ، وقال: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ [النور: ٦٢] الآية ، وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ [الحجرات: ٩] ، وقال: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ [الأحزاب: ٣٥] ، وقد ذكرنا قبل أن الله خبر أنه سميع بصير، وقد أعلمنا أنه جعل الإنسان سميعا بصيرا، فقال: ﴿هل أتى على الإنسان -[٧٦]- حين من الدهر﴾ [الإنسان: ١] إلى قوله: ﴿فجعلناه سميعا بصيرا﴾ [الإنسان: ٢] والله الحكم العدل، وخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم " أن عيسى ابن مريم ينزل قبل قيام الساعة حكما عدلا وإماما مقسطا، والمقسط أيضا اسم من أسامي الله عز وجل." (١)

"١٨٢٧ - حدثنا إبراهيم بن الحارث، قال: ثنا يحيى بن أبي بكير، قال: ثنا شعبة، عن حماد، عن عمرو بن عطية وكان يسمى المسيح قال: سمعت سلمان، يقول: «إذا خرج الإمام يوم الجمعة، فلا تخط رقاب الناس، ولا تكلم» وقال أحمد بن حنبل، وسئل عن التخطي إلى الصف الأول، قال: لا تخطى رقاب الناس، وكان قتادة يقول: لا بأس أن يتخطى رقاب الناس إلى مجلسه، وقال الأوزاعي في قوم جلوس على باب المسجد، وخلفهم متسع: لا بأس أن يتخطاهم إلى السعة. وفيه قول ثالث: وهو أن التخطي إذا خرج الإمام، وقعد على المنبر، فمن تخطى حينئذ، فهو الذي فيه الحديث، فأما قبل ذلك، فلا بأس به إذا كانت بين يديه فرج، وليرفق في ذلك، هذا قول مالك، وقد روينا عن قتادة أنه رخص أن يتخطى إلى مجلسه، إن كان له قبل أن يخرج الإمام، فإذا خرج، فليجلس في أدنى مجلس. وفيه قول رابع: قاله الشافعي، قال: أكره

(١) التوحيد لابن خزيمة ابن خزيمة ٥١/١

تخطي رقاب الناس يوم الجمعة، قبل دخول الإمام وبعد؛ لما جاء فيه من الأذى لهم، وسوء الأدب، فإن كانت -[٨٦]- خطوه إلى الفرجة بواحد، أو اثنين رجوت أن يسعه التخطي، وإن كثر كرهته له، إلا أن لا يجد السبيل إلى مصلى يصلي فيه الجمعة، إلا أن يتخطى فيسعه التخطي، إن شاء الله. وفيه قول خامس: وهو أن يتخطى بإذن القوم الذين يتخطاهم، روينا عن أبي نضرة أنه كان يجيء يوم الجمعة، وقد اجتمعوا، فيقول: أتأذنون لي أن أتخطاكم؟، فيتخطا إلى مجلسه. قال أبو بكر: تخطي رقاب الناس غير جائز؛ لحديث عبد الله بن بسر، ولا فرق بين القليل، والكثير منه؛ لأن الأذى لا يجوز منه شيء أصلا، وإذا جاء فوسعوا له، فتخللهم، ولم يتخطاهم، فهو غير داخل فيما نهي عنه، والله أعلم." (١)

"٥ - حدثنا أحمد بن علي الموصلي، نا وهب بن -[١٧]- بقية، ثنا خالد بن عبد الله، عن حميد، عن أنس بن مالك: «أن النبي صلى الله عليه وسلم ﷺ كان -[١٨]- يأتي أم سليم، وكان إذا مشى يتوكأ، فكان ينام على فراشها» - ثم ذكر الحديث بطوله - قال أبو العباس: وفيما روينا من قصة أبي عمير ستون وجها من الفقه والسنة، وفنون الفائدة والحكمة، فمن ذلك أن سنة الماشي أن لا يتبختر في مشيته ولا يتبطأ فيه، فإنه صلى الله عليه وسلم كان إذا مشى توكأ كأنما ينحدر من صبب، ومنها أن الزيارة سنة، ومنها الرخصة للرجال في زيارة النساء غير ذوات المحارم -[١٩]-، ومنها زيارة الحاكم الرعية، ومنها أنه إذا خص الحاكم بالزيارة والمخالطة بعض الرعية دون بعض فليس ذلك بميل، وقد كان بعض أهل العلم يكره للحكام ذلك،

٦ - وإذا ثبت ما وصفنا كان فيه وجه من تواضع الحاكم للرعية،

٧ - وفيه دليل على كراهية الحجاب للحكام،

٨ - وفيه أن الحاكم يجوز له أن يسير وحده،

٩ - وأن أصحاب المقارع بين يدي الحكام والأمراء محدثة مكروهة؛ لما روي في الخبر: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمنى على ناقة له لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك،

(١) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف ابن المنذر ٨٥/٤

١٠ - وفي قوله: «يغشانا» ما يدل على كثرة زيارته لهم،

١١ - وأن كثرة الزيارة لا تخلق الحب والمودة ولا تنقصها إذا لم يكن معها طمع،
-[٢٠]-

١٢ - وأن قوله عليه السلام لأبي هريرة: «زر غبا تزدد حبا» كما قاله بعض أهل العلم؛ لما رأى في زيارته من الطمع؛ لما كان بأبي هريرة من الفقر والحاجة حتى دعا له النبي صلى الله عليه وسلم في مزودة، وكان لا يدخل يده فيها إلا أخذ حاجته فحصلت له الزيارة دون الطمع،

١٣ - وفي قوله: «يخالطنا» ، ما يدل على الألفة بخلاف النفور، وذلك من صفة المؤمن، كما روي في بعض الأخبار «المؤمن ألوف، والمنافق نفور» ،

١٤ - ومنها أن ما روي في الخبر: «فر من الناس فرارك من الأسد» إذا كانت في لقيهم مضرة لا على العموم، فأما إذا كانت فيه للمسلمين ألفة ومودة، فالمخالطة أولى

١٥ - وفيه دلالة على الفرق بين شباب النساء وعجائزهن في المعاشرة، إذ اعتذر النبي صلى الله عليه وسلم -[٢١]- إلى من رآه واقفا مع صفية ولم يعتذر من زيارته أم سليم، بل كان يغشاهم الكثير،

١٦ - وفي قوله: «ما مسست شيئا قط ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم» ما يدل على مصافحته، وإذا ثبتت المصافحة دل على تسليم الزائر، إذا دخل

١٧ - ودل على مصافحته،

١٨ - ودل على أن يصافح الرجل دون المرأة؛ لأنه لم يقل: فما مسسنا، وإنما قال: ما مسست، وكذلك كانت سنته صلى الله عليه وسلم في التسليم على النساء ومبايعته، إنما كان يصافح الرجال دونهن،

١٩ - وفي لين كفه ما يدل على أنه لا ينبغي أن يتعمد المصلي إلى شدة الاعتماد على -[٢٢]- اليدين

في السجود كما اختار ذلك بعضهم؛ لما وجده في صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان شثن الكفين والقدمين، فقال: ينبغي أن يتعمد إلى شدة الاعتماد على اليدين في السجود ليؤثر على يديه دون جبهته،

٢٠ - وفيه ما يدل على الاختيار للزائر إذا دخل على المزور أن يصلي في بيته كما صلى النبي صلى الله عليه وسلم،

٢١ - وفيه ما يدل على ما قاله بعض أهل العلم أن الاختيار في السنة الصلاة على البساط، والجريد والحصير، وقد قيل في بعض الأخبار: إنه كان حصيرا باليا، وذلك أن بعض الناس كان يكره الصلاة على الحصير، وينزع بقول الله تعالى ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ [الإسراء: ٨] ،

٢٢ - وفي نضحهم ذلك له وصلاته عليه مع علمه صلى الله عليه وسلم أن في البيت صبيا صغيرا دليل على أن السنة ترك التقزز،

٢٣ - ودليل على أن الأشياء على الطهارة حتى يعلم يقين النجاسة.
-[٢٣]-

٢٤ - وفي نضحهم البساط لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على أن الاختيار للمصلي أن يقوم في صلاته على أروح الحال وأمكنها، لا على أجهدها وأشدها؛ لئلا يشغله الجهد عما عليه من أدب الصلاة وخشوعها كما أمر الجائع أن يبدأ بالطعام قبل الصلاة خلاف ما زعم بعض المجتهدين إذ زعم أن الاختيار له أن يقوم على أجهد الحال، كما سمع في بعض الأخبار أنهم لبسوا المسح إذا قاموا من الليل وقيدوا أقدامهم،

٢٥ - وفي صلاته في بيتهم؛ ليأخذوا علمها دليل على جواز حمل العالم علمه إلى أهله إذا لم يكن فيه على العلم مذلة، وأن ما روي في أن العلم يؤتى ولا يأتي إذا كانت فيه للعلم مذلة أو كان من المتعلم على العالم تطاول،
-[٢٤]-

٢٦ - وفيه دلالة اختصاص لآل أبي طلحة إذ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتهم،

٢٧ - وأخذهم قبلة بيتهم بالنص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الدلائل والعلامات،

٢٨ - وفي قوله: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاء مازحه، ما يدل على أنه كان يمازحه كثيرا، وإذا كان كذلك كان في ذلك شيئان

٢٩ - أحدهما أن ممازحة الصبيان مباح،

٣٠ - والثاني أنها إباحة سنة، لا إباحة رخصة؛ لأنها لو كانت إباحة رخصة لأشبه أن لا يكثرها، كما قال في مسح الحصى للمصلي: «فإن كنت لا بد فاعلا فمرة» ؛ لأنها كانت رخصة لا سنة.
-[٢٥]-

٣١ - وفيه إذ مازحه صلى الله عليه وسلم ما يدل على ترك التكبر والترفع،

٣٢ - وما يدل على حسن الخلق،

٣٣ - وفيه دليل على أنه يجوز أن يختلف حال المؤمن في المنزل من حاله إذا برز، فيكون في المنزل أكثر مزاحا، وإذا خرج أكثر سكينة ووقارا إلا من طريق الرياء، كما روي في بعض الأخبار: كان زيد بن ثابت من أفكه الناس إذا خلا بأهله، وأزمتهم عند الناس،

٣٤ - وإذا كان ذلك كما وصفنا ففيه دليل على أن ما روي في صفة المنافق أنه يخالف سره علانيته ليس على العموم، وإنما هو على معنى الرياء والنفاق، كما قال جل ثناؤه: ﴿و إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم، إنما نحن مستهزءون﴾ ،
-[٢٦]-

٣٥ - وفي قوله: فرآه حزينا، ما يدل على إثبات التفرس في الوجوه، وقد احتج بهذا المعنى بعض أهل

الفراسة بما يطول ذكره، وأكره الإكثار إذ الغرض غيرهما،

٣٦ - وفيه دليل على الاستدلال بالعبرة لأهلها، إذ استدل صلى الله عليه وسلم بالحزن الظاهر في وجهه على الحزن الكامن في قلبه، حتى حداه على سؤال حاله،

٣٧ - وفي قوله: «ما بال أبي عمير؟» دليل على أن من السنة إذا رأيت أخاك أن تسأل عن حاله،

٣٨ - وفيه دليل - كما قال بعض أهل العلم - على **حسن الأدب** بالسنة في تفريق اللفظ بين سؤالين، فإذا سألت أخاك عن حاله قلت: ما لك؟ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي قتادة: «ما لك يا أبا قتادة؟» ، وإذا سألت غيره عن حاله قلت: «ما بال أبي فلان؟» كما قال -[٢٧]- النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: «ما بال أبي عمير؟» ،

٣٩ - وفي سؤاله صلى الله عليه وسلم من سأل عن حال أبي عمير دليل على إثبات خبر الواحد،

٤٠ - وفيه دليل على أنه يجوز أن يكنى من لم يولد له، وقد كان عمر بن الخطاب يكره ذلك حتى أخبر به عن النبي صلى الله عليه وسلم،

٤١ - وفي قوله: مات نغيره الذي كان يلعب به، تركه النكير بعد ما سمع ذلك صلى الله عليه وسلم دليل على الرخصة في اللعب للصبيان،

٤٢ - وفيه دليل على الرخصة للوالدين في تخلية الصبي وما يروم من اللعب إذا لم يكن من دواعي الفجور، وقد كان بعض الصالحين يكره لوالديه أن يخلياه،

٤٣ - وفيه دليل على أن إنفاق المال في ملاعب الصبيان ليس من أكل المال بالباطل إذا لم يكن من الملاهي المنهية،

٤٤ - وفيه دليل على إمساك الطير في القفص،

-[٢٨]-

٤٥ - وقص جناح الطير؛ لمنعه من الطيران وذلك أنه لا يخلو من أن يكون النغيرة التي كان يلعب بها في قفص أو نحوه من شد رجل أو غيره، أو أن تكون مقصوصة الجناح، فأيهما كان المنصوص فالباقي قياس عليه؛ لأنه في معناه، وقد كان بعض الصحابة يكره قص جناح الطائر وحبسه في القفص،

٤٦ - وفيه دليل على أن رجلا لو اصطاد صيدا خارج الحرم، ثم أدخل الحرم لم يكن عليه إرساله، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم حرم الاصطياد بين لابتي المدينة، وأجاز لأبي عمير إمساكه، فيها وكان ابن الزبير يفتي بإمساك ذلك ومن حجته فيه أن من اصطاد صيدا ثم أحرم وهو في يده فعليه إرساله، فكذلك إذا اصطاد في الحل، ثم أدخله الحرم، وفرق الشافعي بين المسألتين كما وصفنا، فقال: من اصطاد، ثم أحرم والصيد في ملكه فعليه إرساله -[٢٩]-، ومن اصطاده ثم أدخله الحرم، فلا إرسال عليه.

٤٧ - وفي قوله: «ما فعل النغير؟» دليل على جواز تصغير الأسماء كما صغر النغيرة، وكذلك المعنى في قوله كان ابن لأبي طلحة يكنى أبا عمير،

٤٨ - وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مازحه بذلك يبكي أبو عمير، ففي ذلك دليل أن قول النبي في حديث آخر: إذا بكى اليتيم اهتز العرش ليس على العموم في جميع بكائه، وذلك أن بكاء الصبي على ضربين: أحدهما بكاء الدلال عند المزاح والملاطفة، والآخر بكاء الحزن أو الخوف عند الظلم أو المنع عما به إليه الحاجة، فإذا مازحت يتيما أو لاطفته فبكى فليس في ذلك إن شاء الله تعالى اهتزاز عرش الرحمن،
-[٣٠]-

٤٩ - وقد زعم بعض الناس أن الحكيم لا يواجه بالخطاب غير العاقل، وقال بعض أصحابنا: ليس كذلك، بل صفة الحكيم في خطابه أن لا يضع الخطاب في غير موضعه، وكان في هذا الحديث كذلك دليل، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم واجه الصغير بالخطاب عند المزاح فقال: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟» ولم يواجهه بالسؤال عند العلم والإثبات، بل خاطب غيره، فقال: «ما بال أبي عمير؟» ،

٥٠ – وفيه دليل على أن للعاقل أن يعاشر الناس على قدر عقولهم، ولا يحمل الناس كلهم على عقله،

٥١ – وفي نومه صلى الله عليه وسلم عندهم دليل على أن عماد القسم بالليل وأن لا حرج على الرجل في أن يقيل بالنهار عند امرأة في غير يومها،

٥٢ – وفيه دليل على سنة القيلولة،
-[٣١]-

٥٣ – وفيه دليل على خلاف ما زعم بعضهم في أدب الحكام أن نوم الحكام والأمراء في منزل الرعية ونحو ذلك من الأفعال دناءة تسقط مروءة الحاكم،

٥٤ – وفي نومه على فراشها دليل على خلاف قول من كره أن يجلس الرجل في مجلس امرأة ليست له بمحرم، أو يلبس ثوبها وإن كان على تقطيع الرجال،

٥٥ – وفيه أنه يجوز أن يدخل المرء على امرأة في منزلها وزوجها غائب، وإن لم تكن ذات محرم له،

٥٦ – وفي نضح البساط له ونومه على فراشها دليل على إكرام الزائر،

٥٧ – وفيه أن التنعم الخفيف غير مخالف للسنة، وأن قوله: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور» ليس على العموم إلا فيما عدا ال تنعم القليل،

٥٨ – وفيه دليل على أنه ليس بفرض على المزور أن يشيع الزائر إلى باب الدار، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتشييع الضيف إلى باب الدار، إذ لم يذكر في هذا الحديث تشييعهم له إلى الباب،
-[٣٢]-

٥٩ – وقد اختلف أهل العلم في تفسير ما ذكر من صفة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث هند بن أبي هالة: كانوا إذا دخلوا عليه لا يفترقون إلا عن ذواق، قال بعضهم أراد به الطعام، وقال بعضهم: أراد به

ذواق العلم، ففي تفسير هذا الحديث الدليل على تأويل من تأوله على ذواق العلم إذ قد أذاقهم -[٣٣]- العلم، ولم يذكر فيه ذواق الطعام،

٦٠ - وكان من صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان يواسي بين جلسائه حتى يأخذ منه كل بحظ، وكذلك فعل رسول صلى الله عليه وسلم الله في دخوله على أم سليم صافح أنسا، ومازح أبا عمير الصغير، ونام على فراش أم سليم حتى نال الجميع من بركته صلى الله عليه وسلم،

٦١ -وإذ كان طلب العلم فريضة على كل مسلم فأقل ما في تحفظ طرقه أن يكون نافلة، وفيه أن قوما أنكروا خبر الواحد، ثم افترقوا فيه واختلفوا، فقال بعضهم بجواز خبر الاثنين قياسا على الشاهدين، وقال بعضهم بجواز خبر الثلاثة، ونزع بقول الله جل ذكره: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ [التوبة: ١٢٢] الآية، وقال بعضهم بجواز خبر الأربعة قياسا على أعلى الشهادات وأكبرها، وقال بعضهم بالشائع والمستفيض -[٣٤]-، فكان في تحفظ طرق الأخبار ما يخرج به الخبر عن حد الواحد إلى حد الاثنين، وخبر الثلاثة والأربعة، ولعله يدخل في خبر الشائع المستفيض،

٦٢ - وفيه أن الخبر إذا كانت له طرق وطعن الطاعن على بعضها احتج الراوي بطريق آخر ولم يلزمه انقطاع ما وجد إلى طريق آخر سبيلا

٦٣ - وفيه أن أهل الحديث لا يستغنون عن معرفة النقلة والرواة ومقدارهم، في كثرة العلم والرواية ففي تحفظ طرق الأخبار ومعرفة من رواها وكم روى كل راو منهم ما يعلم به مقادير الرواة ومراتبهم في كثرة الرواية

٦٤ - وفيه أنهم إذا استقصوا في معرفة طرق الخبر عرفوا به غلط الغالط إذا غلط، وميزوا به كذب المدلس، وتدليس المدلس،

٦٥ - وإذا لم يستقص المرء في طرقه واقتصر على طريق واحد كان أقل ما يلزمه إذا دلس عليه في الرواية أن يقول: لعله قد روي ولم أستقص فيه، فرجع باللائمة والتقصير على نفسه والانقطاع، وقد حل لخصمه، فذلك كله ستون وجها من فنون الفقه والسنة، والفوائد، والحكمة،

٦٦ – ثم نزيد على الستين أن مثل هذا الحديث فيه تثبيت الامتحان والتمييز بيننا وبين أمثالهم إذ لم يهتدوا إلى -[٣٥]- شيء من تخريج فقهه، ويستخرج أحدنا منه – بعون الله وتوفيقه – كل هذه الوجوه، وفي ذلك وجهان: أحدهما اجتهاد المستخرج في استنباطه، والثاني تبيين فضيلته في الفقه والتخريج على أغياره، والعين المستنبط منها عين واحدة، ولكن من عجائب قدرة اللطيف في تدبير صنعه أن تسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الأكل." (١)

". . . . .

=وفي هذا الحديث من الفوائد:

جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة، عن كل وحد قطعة مبهمة منه، وهذا وإن كان فعل الزهري وحده، فقد أجمع المسلمون قبوله منه.

وفيه مشروعية القرعة حتى بين النساء، وفي المسافرة بهن، والسفر بالنساء حتى في الغزو.

وفيه جواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل ولو كان فيه مدح ناس، وذم ناس إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكي إذا كان بريئا عن قصد نصح من يبلغه ذلك، لئلا يقع فيما وقع فيه من سبق، وأن الاعتناء بالسلامة من وقع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم وتحصيل الأجر للوقوع فيه.

وفيه استعمال بعض الجيش ساقة يكون أمينا ليحمل الضعيف، ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح.

وفيه إغاثة الملهوف، وعون المنقطع، وإنقاذ الضائع، وإكرام ذوي القدر، وإيثارهم بالركوب، وتجشم المشقة لأجل ذلك، **وحسن الأدب** مع الأجانب خصوصا النساء لا سيما في الخلوة.

وفيه ملاطفة الزوجة، وحسن معاشرتها، والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق، وفائدة ذلك أن تتفطن لتغيير الحال، فتعتذر أو تعترف، وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذي باطنه لئلا يزيد ذلك في مرضه.

وفيه ذب المسلم عن المسلم خصوصا من كان من أهل الفضل، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل، وبيان مزيد فضيلة أهل بدر.

وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع، وتعرف صحته وفساده بالتنقيب على من قيل فيه: هل وقع منه قبل ذلك ما يشبهه أو يقرب منه، واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفا بالخير إذا لم يظهر

---

(١) فوائد حديث أبي عمير لابن القاص الطبري، ابن القاص ص/١٦

عنه بالبحث ما يخالف ذلك.

وفيه مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب، وتوجيهه هنا أنه سبحانه وتعالى ينزه أن يحصل لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنيس، فيشرع شكره بالتنزيه في مثل هذا.

وفيه توقف خروج المرأة من بيتها على إذن زوجها ولو كانت إلى بيت أبويها.

وفيه البحث عن الأمر من يدل عليه المقول فيه، والتوقف في خبر الواحد ولو==." (١)

". . . . .

= مختصرا بلفظ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يأمر فيمن زنى ولم يحصن جلد مئة وتغريب عام.

وأخرجه الطبراني ٥١٩٤ من طريق الزهري، به مختصرا بنحوه.

والعسيف: الأجير، سمي بذلك لأن المستأجر يعسفه في العمل، والعسف: الجور، أو هو بمعنى الفاعل لكونه يعسف الأرض بالتردد فيها، يقال: عسف الليل عسفا: إذا أكثر السير فيه، ويطلق العسف أيضا على الكفاية، والأجير يكفي المستأجر الأمر الذي أقامه فيه.

وفي الحديث الرجوع إلى كتاب الله نصا واستنباطا، وجواز القسم على الأمر لتأكيده، والحلف بغير استحلاف، وحسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم وحلمه على من يخاطبه بما الأولى خلافه، وأن من تأسى به من الحكام في ذلك يحمد كمن لا ينزعج لقول الخصم مثلا: احكم بيننا بالحق.

وفيه أن **حسن الأدب** في مخاطبة الكبير يقتضي التقديم في الخصومة ولو كان المذكور مسبوقا، واستحباب استئذان المدعي والمستفتي والحاكم والعالم في الكلام.

وفيه أن من أقر بالحد وجب على الإمام إقامته عليه ولو لم يعترف مشاركه في ذلك.

وفيه أن المخدرة التي لا تعتاد البروز لا تكلف الحضور لمجلس الحكم، بل يجوز أن يرسل إليها من يحكم لها وعليها.

وفيه أن السائل يذكر كل ما وقع في القصة لاحتمال أن يفهم المفتي أو الحاكم من ذلك ما يستدل به على خصوص الحكم في المسألة لقول السائل: إن ابني كان عسيفا على هذا، وهو إنما جاء يسأل عن حكم الزنى، والسر في ذلك أنه أراد أن يقيم لابنه معذرة ما، وأنه لم يكن مشهورا بالعهر ولم يهجم على المرأة مثلا ولا استكرهها، وإنما وقع له ذلك لطول الملازمة المقتضية لمزيد التأنيس والإدلال، فيستفاد منه الحث

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٢٣/١٠

على إبعاد الأجنبي من الأجنبية مهما أمكن، لأن العشرة قد تفضي على الفساد، ويتسور بها الشيطان إلى الإفساد.

وفيه أن الصحابة كانوا يفتون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي بلده.

وفيه أن الحكم المبني على الظن ينقض بما يفيد القطع.

وفيه أن الحد لا يقبل الفداء، وفيه جواز الاستنابة في إقامة الحد، وفيه أن حال الزانيين إذا اختلفا أقيم على كل واحد حده لأن العسيف جلد والمراة رجمت.." (١)

"٦ - أخبرنا أبو بكر ، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد بن عفير الأنصاري ، ثنا عبد الصمد بن محمد العباداني ، ثنا عبد الصمد بن يزيد ، قال: سمعت الفضيل بن عياض ، يقول: «ﷺمن مقت نفسه في ذات الله عز وجل أمنه الله عز وجل من مقته» قال أبو بكر: فإن قال قائل: فبين لي أخلاقها القبيحة. قيل له: هي الأخلاق التي قد استوطنتها النفس ، وليس تحب مفارقتها ، وهي أخلاق كثيرة إذا تصفح الإنسان نفسه وجدها كذلك. فإنها نفس متبعة للهوى. منهمكة في لذة الدنيا. باسطة لطول أمل عن قليل ينقضي. قليلة الاكتراث لأجل لا بد أن يغشى. -[٢٥٧]- راغبة في حب دنيا إذا أحبها قلب عبد قسى. زاهدة في دار نعيمها لا يفنى. محبة لأخلاق تعلم أنها مضرة بها غدا. ضاحكة مستبشرة ناعمة بما عنه مولاها نهى. نفس تحزن على ما لم يجر لها به المقدور مما أملته من الدنيا صباحها والمسا. نفس يخف عليها السعي والكد في طلب الدنيا ، نفس تلذ بالفتور عن الخير الذي إليه مولاها دعا. نفس تهم بالنفقة في طاعة الله ، فيوعدها الشيطان الفقر ، فتميل إلى ما إليه دعا. نفس وعدها الله المغفرة ، والفضل فلم تثق ، ولم ترض. نفس تثق بوعد مخلوق ، وعند وعيد مولاها تتلكا. نفس ترضي المخلوقين بسخط ربها ، وعن رضا مولاها تتوانى. نفس ندبها الله إلى الصبر عند المصائب ، تعزية منه لها ، فلا تقبل العزا. نفس تتصنع للمخلوقين بوفاء الوعد ، وفيما عهد الله الكريم إليها قليلة الوفا. نفس تترك المعاصي بعد القدرة عليها ، حياء من المخلوقين ، وعند نظر الله العظيم إليها قليلة الحيا. نفس قليلة الشكر لله الكريم على نعم لا تحصى. -[٢٥٨]- نفس تستعين بنعم الله الكريم على معاصيه في صباحها والمسا. نفس يخف عليها مجالسة البطالين ، ويثقل عليها مجالسة العلما. نفس تطيع الغاش ، وتعصي أنصح النصحا. نفس تسارع فيما تهوى ، وهي تتعلل بالتسويف للتوبة اليوم وغدا. قال أبو بكر محمد بن الحسين: من عرف من نفسه هذه الأخلاق ، وغيرها ، سارع إلى رياضتها ، **بحسن الأدب** لها؛ ليردها إلى ما هو أولى بها من

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ١٠/٢٨٥

تقوى الله عز وجل ، في السر والعلانية ، بالندم الشديد ، والنزوع من قبيح ما صح عنده من هذه الأخلاق ، إن فيه شيء منها ، وإصلاح ما يستأنفه في طول عمره ، والله عز وجل الموفق لذلك." (١)

"يقول: جفوت مرة أبا القاسم الحداد رحمه الله، فكتب إلي:

ستذكرني إذا جربت غيري ... وتعلم أنني لك كنت كنزا

بذلت لك الصفاء بكل ود ... وكنت كما هويت، فصرت حزا

وهنت إذا عززت وكنت ممن ... يهون إذا أخوه عليه عزا

ستنكت نادما في الأرض مني ... أتعلم أن رأيك كان عجزا

فرجعت إليه، قال: ما هززتك للاعتذار، لكن اشتملت بك إلى الوفاء.

ومن الفتوة كرم الصحبة والقيام **بحسن الأدب** فيها. وهو أن يصحب من فوقه بالتعظيم، ويصحب أشكاله بالموافقة والألفة، ويصحب من دونه بالعطف والشفقة والرحمة، ويصحب الوالدين بالخضوع والمطاوعة، ويصحب الأولاد بالرحمة، وحسن التأديب، ويصحب الأهل بحسن المداراة، ويصحب الأقارب بالبر والصلة، ويصحب الإخوان بصدق المودة، ودفع المجهود في المحبة، ويصحب الجيران بكف الأذى، ويصحب العامة ببشاشة الوجه، ولين الكف، ويصحب الفقراء بتعظيم حرماتهم ومعرفة أقدارهم، ويصحب الأغنياء بإظهار الاستغناء عنهم، ويصحب العلماء بقبول ما يشيرون به عليه، ويصحب الأولياء بالتذلل والانقياد لهم، وترك الإنكار عليهم، ويجتنب في أوقاته صحبة المبتدعين والمدعين والمظهرين بالزهد رغبة في استتباع الناس، وأخذ ما في أيديهم.." (٢)

"الأصبهاني يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: ما مددت رجلي في الخلوة قط. واستعمال الآداب مع الله أولى، وسمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت عمر البسطامي رضي الله عنه يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد رحمه الله يقول: قمت ليلة أصلي فعييت، فجلست ومددت رجلي، فسمعت قائلا يقول أو هاتفا: من يجالس الملوك يجب أن يجالسهم **بحسن الأدب**.

ومن الفتوة حفظ المودة القديمة. كذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله يحب حفظ الود القديم)) . سمعت أبا بكر الرازي [يقول] : سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت أبا محمد المغازلي يقول: من أراد أن تدوم له المودة، فليحظ مودة إخوانه القدماء.

---

(١) أدب النفوس للآجري الآجري ص/٢٥٦

(٢) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي أبو عبد الرحمن السلمي ص/٥٦

ومن الفتوة ستر الأحوال. كما قال سهل بن عبد الله: خمسة أشياء فيها جوهر النفس: فقير يظهر الغنى، وجائع يظهر الشبع، ومحزون يظهر الفرح، ورجل بينه وبين إنسان عداوة فيظهر له المحبة، ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يظهر ضعفا.." (١)

"١٤ - سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الثقفي يقول: سمعت حمدون القصار يقول: «ﷺإذا زل أخ من إخوانكم فاطلبوا له سبعين عذرا، فإن لم تقبله قلوبكم فاعلموا أن المعيب أنفسكم؛ حيث ظهر لمسلم سبعون عذرا فلم تقبله» ومن آدابها معاشرة من يثق بدينه وأمانته في ظاهره وباطنه لقول الله تبارك وتعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية. والصحبة والمعاشرة على وجوه، فالمعاشرة مع الأكابر والمشايخ بالحرية والخدمة لهم والقيام بأشغالهم. والمعاشرة مع الأقران والأوساط بالنصيحة وبذل الموجود، والكون عند الأحكام ما لم يكن إثما. والمعاشرة مع الأصاغر والمريدين بالإرشاد والتأديب والحمل على ما يوجبه ظاهر العلم، وآداب السنة وأحكام البواطن، والهداية التي تقويمتها **بحسن الأدب**." (٢)

"ومن جوامع آدابها

٥٩ - ما: سمعت محمد بن أحمد الملامتي يقول: سمعت أبا الحسين الوراق يقول: قال: سألت أبا عثمان عن الصحبة فقال: " ﷺالصحبة مع الله **بحسن الأدب**، ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بملازمة العلم واتباع السنة، والصحبة مع الأولياء بالاحترام والخدمة، والصحبة مع الإخوان بالبشر والانبساط وترك الإنكار عليهم، ما لم يكن خرق شريعة أو هتك حرمة. قال الله تعالى لنبيه: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩] الآية. والصحبة مع الجهال بالنظر إليهم بعين الرحمة، ورؤية نعمة الله عليك حيث -[٦٦]- لم يجعلك مثلهم، والدعاء لهم ليعافيهم الله من بلاء الجهل " ومن آدابها: حفظ المودة القديمة، والأخوة الثابتة كذلك

٦٠ - روي عن النبي صلى عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «إن الله تعالى يحب حفظ الود القديم»

٦١ - وإن امرأة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأدناها، فقيل له في ذلك فقال:

---

(١) الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي أبو عبد الرحمن السلمي ص/٦١

(٢) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي أبو عبد الرحمن السلمي ص/٤٥

«إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»

٦٢ - أنا محمد بن عبد الله الشيباني، ببغداد قال: أنا محمد بن سعيد البرجمي قال: أنا سعيد بن عثمان التنوخي قال: أنا محمد بن ثمال الصنعاني قال: أنا عبد المؤمن -[٦٧]-، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمثل معناه." (١)

"أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير، في كتابه ، وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني قال: سمعت الجنيد، يقول: سمعت أبا عبد الله الحارث بن أسد، يقول وسئل عن المراقبة لله وعن المراقب، لربه فقال: " إن ﷺالمراقبة تكون على ثلاث خلال -[٩٤]- على قدر عقل العاقلين ومعرفتهم بربهم يفترقون في ذلك فإحدى الثلاث الخوف من الله، والخلة الثانية الحياء من الله والخلة الثالثة الحب لله فأما الخائف فمراقب بشدة حذر من الله تعالى وغلبة فزع، وأما المستحيي من الله فمراقب بشدة انكسار وغلبة إخبات، وأما المحب فمراقب بشدة سرور وغلبة نشاط وسخاء نفس مع إشفاق لا يفارقه ولن تكاد أن تخلو قلوب المراقبين من ذكر اطلاع الرقيب بشدة حذر من قلوبهم أن يراهم غافلين عن مراقبته، والمراقبة ثلاث خلال في ثلاثة أحوال أولها التثبيت بالحذرقبل العمل بما أوجب الله، والترك لما نهى الله عنه مخافة الخطأ فإذا تبين له الصواب بالمبادرة إلى العمل بما أوجب الله والترك لما نهى الله مخافة التفريط فإذا دخل في العمل فالتكميل للعمل مخافة التقصير فمن لم يثبت قبل العمل مخافة الخطأ فغير مراقب لمن يعمل له إذ كان لا يأمن من أن يعمل على غير ما أحب وأمر به، ومن لم يبادر ويسارع إلى عمل ما يحب الله بعد ما تبين له الصواب فما راقب إذا بطأ عن العمل، لمحبة من يراقبه إذ يراه متثبطا عن القيام بما أمر به، ومن لم يجتهد في تكميل عمله فضعيف مقصر في مراقبة من يراقبه إذا قصر عن إحكام العمل لمن يعمل وقد علم أن الله جل ثناؤه يحب تكميله وإحكامه، وقال: سبع خلال يكمل لها عمل المريد وحكمته: حضور العقل ونفاذ الفطنة وسعة العمل بغير غلط وقهر العقل للهوى وعظم الهم كيف يرضي الرب تعالى والتثبت قبل القول والعمل، وشدة الحذر للآفات التي تشوب الطاعات، وأقل المريدين غفلة أدومهم مراقبة مع تعظيم الرقيب، والدليل على صدق المراقبة بإجلال الرقيب شدة العناية بالفطنة لدواعي العقل من دواعي الهوى والتثبيت بالنظر بنور العلم والتمييز بين الطاعة وما شابهها من الآفات وقوة العزم على تكميل المراقبة في الحظوة في عين المليك المطلع، وشدة الفزع مما يكره خوف المقت، والدليل على قوة الخوف شدة

(١) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي أبو عبد الرحمن السلمي ص/٦٥

الإشفاق مما مضى من السيئات أن لا تغفر وما تقدم من الإحسان أن لا يقبل، ودوام الحذر فيما يستقبل أن لا يسلم، وعظم الهم من عظيم الرغبة، وعظيم الرغبة من كبر المعرفة بعظيم قدر المرغوب فيه -[٩٥]- وإليه، وسمو الهمة يخفف التعب والنصب ويهون الشدائد في طلب الرضوان، ويستقل معه بذل المجهود بعظيم ما ارتفع إليه الهم، والنشاط بالدءوب دائم، والسرور بالمناجاة هائج، والصبر زمام النفس عن المهالك وإمساك، لها على النجاة فاليقين راحة للقلوب من هموم الدنيا وكاسب لمنافع الدين كلها **وحسن الأدب** زين للعالم وستر للجاهل، من قصر أمله حذر الموت ومن حذر الموت خاف الفوت ومن خاف الفوت قطع الشوق ومن قطع الشوق بادر قبل زوال إمكان الظفر فاجعل التيقظ واعظك والتثبت وكيلك والحذر منبهك والمعرفة دليلك والعلم قائدك والصبر زمامك والفزع إلى الله عز وجل عونك ومن لم توسعه الدنيا غنى ولا رفعة أهلها شرفا ولا الفقر فيها صفة فقد ارتفعت همته وعزفت عن الدنيا نفسه، من كانت نعمته السلامة من الآثام ورغب إلى الله في حوادث فوائد لمريد نقل عن الدنيا بقلبه، ومن اشتد تفقده ما يضره في دينه وينفعه في آخرته وذكر اطلاع الله إليه، ومثل عظيم هول المطلع وأشفق مما يأتي به الخير فقد صدق الله في معاملته وحقق استعمال ما عرفه ربه، ومن قدم العزم لله على العمل بمحبته ووفى لله بعزمه وجانب ما يعترض بقلبه من خطرات السوء ونوازع الفتن فقد حقق ما علم وراقب الله في أحواله، كهف المريد وحرزه التقوى والاستعداد عونه وجنته التي يدفع بها آفات العوارض وص ور النوازل، والحذر يورثه النجاة والسلامة، والصبر يورثه الرغبة والرهبة، وذكر كثرة سوالف الذنوب يورثه شدة الغم وطول الحزن، وعظم معرفته بكثرة آفات العوارض في الطاعات تورثه شدة الإشفاق من رد الإحسان "." (١)

"أخبرنا جعفر بن محمد، في كتابه ، وحدثني عنه عثمان بن محمد قال: سمعت الجنيد بن محمد، يقول: سمعت الحارث بن أسد، يقول، " ﷺونعت المختصين بالمعرفة والإيمان فقال: هم الذين جعلهم الحق أهلا لتوحيده وإفراد تجريده -[١٠٦]- والذابون عن ادعاء إدراك تحديده مصطنعين لنفسه مصنوعين على عينه ألقى عليهم محبة منه له ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ [طه: ٤١] ﴿ولتصنع على عيني﴾ [طه: ٣٩] ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ [طه: ٣٩] فأخذ أوصاف من صنعه لنفسه والمصنوع على عينه والملقى عليه محبة منه له أن لا يستقر لهم قدم علم على مكان ولا موافقة كفاء على استقرارهم ولا مناظرة عزم على تنفيذهم هم الذين جرت بهم المعرفة حيث جرى بهم العلم إلى نهاية غاية، خنست العقول وبادت الأذهان وانحسرت المعارف وانقرضت الدهور وتاهت الحيرة في الحيرة عند نعت أول قدم نقلت لمرافقة وصف

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠/٩٣

محل لمحة مما جرى عليهم من العلوم التي جعلها لهم به له هيهات ذلك له ما له به عنده له، فأين تذهبون؟، أما سمعت طبه لما أبداه وكشفه ما رواه واختصاصه لسر الوحي لمن اصطفاه ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]، شهد له أنه عبده وحده لم يجر عليه استعبادا لغيره يخفي ميل همة، ولا إلمام شهوة ولا محادثة نظرة ولا معارضة خطرة ولا سبق بلفظه لا يسبق أهل الحق الحق بنطق ولا رؤية حظ بلمحة، أوحى إليه حينئذ ما أوحى هيأه لفهم ما أولاه بما به تولاه واجتباه فحمل حينئذ ما حمل أوحى إليه حينئذ ما أوحى بالأفق الأعلى، ضاقت الأماكن وخنست المصنوعات عن أن تجري فيها أو عليها أوحى ما أوحى إلا بالأفق الأعلى ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ [النجم: ١٦] انظر نظر من خلا في نظره من عين منظوره إلى السدرة حيث غشاها ﴿ما يغشى﴾ [النجم: ١٦] فثبتت لما غشاها وانظر إلى الجبل حيث تجلى له ﴿جعله دكا﴾ [الأعراف: ١٤٣] وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك أن أعود لمسألتك الرؤيا بعد هذا المقام، وإلى إكثاره ما فرط من سؤاله وإلى أن القلم لو صادف حقيقة الرسم لا يليق به الكتم، وانظر إلى إخباره عن حبيبه ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ [النجم: ١٣] العند هاهنا لا ينتهي مكان، إنما ينتهي وقت كشف علم لوقت، وانظر إلى فضل الوقتين ومختلف المكانين وفرق ما بين المنزلتين في العلو والدنو، وكذا فضلت عقول المؤمنين من العارفين فمنها من يطيق خطاب المناجاة مع علم قرب من ناجاه وأدناه فلا يستره في الدنو علم الدنو ولا في العلو علم -[١٠٧]- العلو ومنها من لا يطيق ذلك فيجعل الأسباب هي المؤدية إليهم الفهم وبها يستدرك فهم الخطاب فيكون منه الجواب أن لا يقف عند قوله ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ [الشورى: ٥١]، وهذه أماكن يضيق بسط العلم فيها إلا عند المفاوضة لأهل المحاضرة وفي الاشتغال بعلم مسالك الطرقات المؤدية إلى علوم أهل الخاصة الذين خلوا من خلواتهم وبرئوا من إرادتهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون عصفت بهم رياح الفطنة فأوردتهم على بحار الحكمة فاستنبطوا صفو ماء الحياة لا يحذرون غائلة ولا يتوقعون نازلة ولا يشرهون إلى طلب بلوغ غاية بل الغايات لهم بدايات هم الذين ظهروا في باطن الخلق وبطنوا في ظاهره أمناء على وحيه، حافظون لسره نافذون لأمره قائلون بحقه عاملون بطاعته: ﴿يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ [المؤمنون: ٦١] جرت معاملتهم في مبادئ أمورهم **بحسن الأدب** فيما ألزمهم القيام به من حقوقه فلم تبق عندهم نصيحة إلا بذلوها ولا قربة إلا وصلوها سمحت نفوسهم ببذل المهج عن أول حق من حقوقه في طلب الوسيلة إليه فبادرت غير مبقية ولا مستبقية بل نظرت إلى أن الذي عليها في حين بذلها أكثر بحالها

مما بذلت، لوائح الحق إليها مشيرة وعلوم الحق ـديها غزيرة لا توقفهم لائمة عند نازلة ولا تثبطهم رهبة عند فادحة ولا تبعثهم رغبة عند أخذ أهبة بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء "." (١)

"سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت محمد بن أحمد الملامتي، يقول: سمعت الحسين الوراق، يقول: سألت أبا عثمان عن الصحبة، فقال: «ﷺالصحبة مع الله عز وجل **بحسن الأدب** ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم، والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والحرمة، والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخلق، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر والانبساط ما لم يكن إثما، والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم، ورؤية نعمة الله عليك أن عافاك مما ابتلاهم به»." (٢)

"سمعت أبا الحسن بن مقسم، يحكي عن أبي محمد الجريري قال: سمعت أبا إسحاق المارستاني، يقول: «ﷺرأيت الخضر عليه السلام فعلمني عشر كلمات وأحصاها بيده اللهم إني أسألك الإقبال عليك والإصغاء إليك والفهم عنك والبصيرة في أمرك والنفاذ في طاعتك والمواظبة على إرادتك والمبادرة في خدمتك **وحسن الأدب** في معاملتك والتسليم لك والتفويض إليك»." (٣)

"أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير في كتابه، وحدثني عنه أبو عمرو العثماني، -[٢٧٦]- قال: ثنا أبو العباس بن مسروق، قال: ثنا محمد بن سنان، قال: ثنا عمر بن حبيب، عن ابن عون، قال: سمعت محمد بن سيرين، يقول: " ﷺثلاثة ليس معهم غربة: **حسن الأدب** وكف الأذى ومجانبة الريب "." (٤)

"حدثنا أحمد بن عبيد الله بن محمود، ثنا عبد الله بن وهب، ثنا أبو صالح عمرو بن خلف الخثعمي ثنا ضمرة بن ربيعة، قال: سمعت سفيان الثوري، يقول: كان يقال **ﷺحسن الأدب** يطفئ غضب الرب عز وجل." (٥)

"حدثنا محمد بن عمر، ثنا عبد الله بن بشر بن صالح، ثنا عمرو بن خلف الخثعمي، ثنا أيوب بن سويد، قال: سمعت الثوري، يقول: كان يقال: «**ﷺحسن الأدب** يطفئ غضب الرب»." (٦)

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠/١٠٥
(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠/٢٤٥
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠/٣٣٣
(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٢/٢٧٥
(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٦/٣٦٢
(٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٧/٧٩

"٦٦١١ - أخبرنا أبو سعيد قال: حدثنا أبو العباس قال: أخبرنا الربيع قال: قال الشافعي: «ﷺوأكره تخطي رقاب الناس يوم الجمعة، لما فيه من الأذى لهم وسوء الأدب»

٦٦١٢ - وقد روي عن الحسن مرسلا، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يتخطى رقاب الناس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجلس، فقد آنيت وآذيت».

٦٦١٣ - قال: وروي عن أبي هريرة أنه قال: «ما أحب ترك الجمعة ولي كذا وكذا، ولأن أصليها بظهر الحرة أحب إلي من أن أتخطى رقاب الناس»

٦٦١٤ - قال أحمد: أما الرواية فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد روي ذلك عنه موصولا." (١)

"١٢٣٦١ - وبإسناده قال: حدثنا الشافعي، عن مالك، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن، وعن محمد بن النعمان بن بشير، حدثاه عن النعمان بن بشير أنه قال: إن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني نحلت ابني هذا غلاما كان لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ﷺأنحلت كل ولدك مثل هذا؟» فقال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فأرجعه». أخرجه البخاري، ومسلم في الصحيح من حديث مالك -[٦٣]-. وأخرجه مسلم من حديث ابن عيينة.

١٢٣٦٢ - أخبرنا أبو عبد الله قال: حدثنا أبو العباس قال: أخبرنا الربيع قال: قال الشافعي: وقد سمعت في هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أليس يسرك أن يكونوا في البر إليك سواء؟» قال: بلى قال: «فأرجعه».

١٢٣٦٣ - قال أحمد: وهذا في رواية داود بن أبي هند، وغيره، عن عامر الشعبي، عن النعمان بن بشير.

١٢٣٦٤ - قال الشافعي في رواية أبي عبد الله: حديث النعمان حديث ثابت، وبه نأخذ، وفيه دلالة على أمور منها: **حسن الأدب** في أن لا يفضل رجل أحدا من ولده على بعض في نحل، فيعرض في قلب المفضل عليه شيء يمنعه من بره؛ لأن كثيرا من قلوب الآدميين جبل على الإقصار عن بعض البر إذا أوثر

---

(١) معرفة السنن والآثار البيهقي، أبو بكر ٤٠٢/٤

عليه.

١٢٣٦٥ - ودلالة على أن نحل الوالد بعض ولده، دون بعض جائز، من قبل أنه لو كان لا يجوز، كان يقال: إعطاؤك إياه وتركه سواء؛ لأنه غير جائز، وهو على أصل ملكك الأول أشبه من أن يقال: أرجعه، وقوله صلى الله عليه وسلم: «فأرجعه». دليل على أن للوالد رد ما أعطى الولد، وأنه لا يحرج بارتجاعه فيه.

١٢٣٦٦ - قال: وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أشهد غيري»، وهذا يدل على أنه اختيار." (١)

"ﷺباب كراهية الجلوس في وسط الحلقة لما فيه والله أعلم من تخطي رقاب الناس **مع سوء الأدب** وترك الحشمة.." (٢)

"الفصل الخامس قول النبي، صلى الله عليه وسلم: " لا أدري " لما قيل له: " فيم يختصم الملأ الأعلى "

قيل: فيه وجهان: أحدهما: أنه يحتمل أنه كان يعلم لكن استعمل **حسن الأدب** بحضرة من هو أعلم به، حتى لا يدعي ذلك بحضرة من هو أعلم كما قال تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ وقيل: إنه يحتمل أنه لم يعلم ثم علم بعد ذلك ما بين المشرق والمغرب بأن زويت له الأرض كما روي في الحديث: " زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها "." (٣)

"٢١ - سمعت أبا القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن العباس بن عبيد الله بن جعفر الشافعي، بمكة، حرسها الله، في المسجد الحرام، يقول: سمعت أستاذنا الفقيه أبا الحسين الأردبيلي، ببغداد، في مسجد ابن المرزبان، يقول: اجتمع أبو زرعة الرازي الحافظ وجماعة من حفاظ الحديث رحمهم الله في مسجد يتذاكرون، فدخل شاب يدل بحفظ فتخطى رقاب الناس حتى جلس بينهم، فنظر إلينا أبو زرعة، ثم قال: يا بني تأدبوا، ثم تعلموا، فإن الروح تألم **من سوء الأدب** كما يألم البدن من مضيض الألم." (٤)

---

(١) معرفة السنن والآثار البيهقي، أبو بكر ٦٢/٩

(٢) السنن الكبرى للبيهقي البيهقي، أبو بكر ٣٣٢/٣

(٣) إبطال التأويلات أبو يعلى ابن الفراء ص/١٢١

(٤) الثالث عشر من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي أبو طاهر السلفي ص/٢٢

". . . . .

= ٧/ ٢٨٧ - ٢٨٨ برقم (٥٠٩٨).

وأخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ٢٨٣ برقم (١١٧٤٤) من طريق محمد بن عبد الله، وعبدان بن أحمد قالا: حدثنا تميم بن المنتصر، بهذا الإسناد.

وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٤/ ٢٤٧ باب: في الكتابة وقال: "قلت: في الصحيح وغيره بعضه- رواه الطبراني وفيه تميم بن المنتصر، وقد روى عنه غير واحد، ولم يجرحه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح".

وما أشار إليه الهيثمي أخرجناه- برواياته الكثيرة، وطرقه- في مسند الموصلي ١٠/ ٤١٠ - ٤١٤ برقم (٤٤٣٥).

وفي قصة بريرة- برواياتها المتعددة- جواز بيع المكاتب والرقيق بشرط العتق، وجواز الاستعانة بالمرأة المتزوجة، وجواز تصرف المرأة بمالها بغير إذن زوجها، وبذل المال في طلب الأجر، وفيه بطلان الشروط الفاسدة في المعاملات، وصحة الشروط المشروعة، وفيه مشروعية الخطبة في الأمر المهم، والقيام فيها، وتقدمة الحمد والثناء، وقول: أما بعد عند ابتداء الكلام في الحاجة، وأن من وقع منه ما ينكر استحب عدم تعيينه. وفيه أن المرء إذا خير بين مباحين قآثر ما ينفعه لم يلم، وفيه اعتبار الكفاءة في الحرية، وفيه سقوط الكفاءة برضى المرأة لا ولي لها، وفيه قبول الغني هدية الفقير، وفيه الفرق بين الهدية والصدقة في الحكم، وفيه جواز الصدقة على من يمونه غيره، وفيه مشاورة المرأة زوجها في التصرفات، وسؤال العالم عن الأمور الدينية، وفيه استحباب إدخال السرور على قلب المؤمن، وفيه جواز خطبة الكبير والشريف لمن هو دونه، وفيه **حسن الأدب** في المخاطبة حتى من الأعلى مع الأدنى، وأنه لا عار على الرجل في إظهار حبه لزوجه، وفيه أنه يجوز لمن سئل قضاء حاجة أن يشترط على الطالب ما يعود عليه نفعه، وفيه أن حق الله مقدم على حق الأدمي، وفيه أن حكم الحاكم لا يغير الحكم الشرير فلا يحل حراما، ولا يحرم حلالا، وفيه قبول خبر الواحد الثقة، وفيه أن البيان بالفعل أقوى من القول، وفيه جواز الرواية بالمعنى والاختصار من الحديث، والاقتصار على بعضه بحسب الحاجة، فإن الواقعة واحدة، وقد رويت بألفاظ مختلفة، وزاد بعض الرواة ما لم يذكر الآخر، ولم يقدح ذلك في صحته عند أحد من العلماء. ولتمام الفائدة انظر فتح الباري ٩/ ٤١٠ - ٤١٦ فقد أطال الحافظ فأجاد وأفاد. =." (١)

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد نور الدين الهيثمي ١٢٣/٤

"النفس وهو أن تبذلها في قضاء حوائج الخلق وصنائع المعروف مع الصديق والعدو والتواضع ولين الجانب واحتمال الأذى والتغافل عن زلل الإخوان وعدم الخوض // ٢٢٧ // فيما شجر بين الصحابة ومن تقدم من الأكابر وترك مجالسة الغافلين إلا أن تذكرهم أو تذكر الله فيهم والكف عن الخوض في الأعراض وفي آيات الله وترك الطعن على الملوك والمذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الغضب إلا عند انتهاك محارم الله وترك الحقد والغل من الصدر والصفح عن المسيء وهو أن لا تغضب لنفسك وإقالة عثرات أهل المروءة ذوي الهيئات والإبقاء على أهل الستر وتعظيم العلماء وأهل الدين وإكرام ذي الشيبة وإكرام كريم القوم من كانوا من مسلم وكافر كل ذلك على الحد المشروع مما يحق ذلك أن تكرم به ذلك الشخص **وحسن الأدب** مع الله ومع كل أحد من حي وميت وحاضر وغائب ورد الغيبة عن أعراض المسلم وإياك وكثرة الكلام والتصنع والتمشدق فإن كثرة الكلام تؤدي إلى سقطه وتوقير // ٢٢٨ // الكبير والرفق بالضعيف ورحمة الصغير وتفقد المحتاجين ومواساتهم بالبر والصلة وميسور القول والهداية وقري الضيف وإفشاء السلام والتحبب إلى الناس على الحد المشروع ولا تكن لعانا ولا طعانا ولا عيابا ولا سخابا ولا تجز أحدا بالسيئة في حقك إلا إحسانا والنصيحة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم ولا تنتظر الدوائر لأحد ولا تسب أحدا من عباد الله تعالى على التعيين من حي ولا ميت فإن الحي لا يعرف إن كان كافرا بما يختم له وإن كان مؤمنا بما يختم له ولا تعير أحدا من أهل الشهوات بشهواتهم ولا ترد الرياسة على أحد ولا توطيء عقبك خدمة عن أمرك وإياك أن تترك الناس يبولون في أذنك بنقل من يسوءك عنك وعن غيرك ولتحب المؤمنين كلهم مسيئهم إليك ومحسنهم لحبهم الله ورسوله ولا تبغضهم لبغضهم إياك أو من // ٢٢٩ // كان من أهل الدره ورسوله صلى الله عليه وسلم أوصاني بهذا رسول الله صلى الله عليه." (١)

"(خ) ، وعن أنس - رضي الله عنه - (أن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله) (١) (ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه ، قال: " والله) (٢) (لا تدعون منها درهما (٣) ") (٤)

---

(١) (خ) ٢٨٨٤

(٢) (خ) ٣٧٩٣

---

(١) الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي للبديري - مخطوط (ن) البديري ص/١٢٦

(٣) المراد أنهم أخوال أبيه عبد المطلب، فإن أم العباس هي نتيلة بنت جنان بالجيم والنون، وليست من الأنصار، وإنما أرادوا بذلك أن أم عبد المطلب منهم، لأنها سلمى بنت عمرو بن أحيحة ، وهي من بني النجار، ومثله ما وقع في حديث الهجرة أنه – صلى الله عليه وسلم – نزل على أخواله بني النجار، وأخواله حقيقة إنما هم بنو زهرة ، وبنو النجار أخوال جده عبد المطلب.

قال ابن الجوزي: وإنما قالوا: (ابن أختنا) لتكون المنة عليهم في إطلاقه ، بخلافه ما لو قالوا: عمك ، لكانت المنة عليه – صلى الله عليه وسلم –، وهذا من قوة الذكاء **وحسن الأدب** في الخطاب، وإنما امتنع – صلى الله عليه وسلم – من إجابتهم لئلا يكون في الدين نوع محاباة. فتح الباري (ج ٨ / ص ٢)

(٤) (خ) ٢٤٠٠ ، (حب) ٤٧٩٤، (ك) ٥٤٠٨ ، (طس) ٤٦٢٤." [(١)]

"مناقب الخلفاء الراشدين الأربعة

(خ م) ، عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – أنه توضأ في بيته ثم خرج ، فقال: لألزمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولأكونن معه يومي هذا ، قال: فجاء المسجد ، فسأل عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالوا: " خرج ووجه هاهنا (١) " ، قال: فخرجت على إثره أسأل عنه ، حتى دخلت بئر أريس (٢) فجلست عند الباب – وبابها من جريد (٣) – " حتى قضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حاجته فتوضأ " ، فقمت إليه ، " فإذا هو جالس على بئر أريس ، وتوسط قفها (٤) وكشف عن ساقيه ، وفي رواية: (عن ركبتيه) (٥) ودلاهما في البئر " ، فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب ، فقلت: لأكونن بواب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اليوم ، فجاء أبو بكر – رضي الله عنه – فدفع الباب ، فقلت: من هذا؟ ، فقال: أبو بكر ، فقلت: على رسلك ، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن ، فقال: " ائذن له وبشره بالجنة "، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ، " ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – يبشرك بالجنة " ، فدخل أبو بكر) (٦) (فحمد الله ، ثم) (٧) (جلس عن يمين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معه في القف ، ودلى رجليه في البئر "كما صنع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " ، وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست ، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني ، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا – يريد أخاه – يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب (٨) فقلت: من هذا ، فقال: عمر بن الخطاب فقلت: على رسلك ، ثم جئت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسلمت عليه ، فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن ، فقال: " ائذن له وبشره بالجنة " ، فجئت

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٤٢٥/١٤

فقلت: ادخل ، " وبشرك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجنة ") (٩) (فحمد الله ، ثم) (١٠) (دخل فجلس مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في القف عن يساره ، ودلى رجليه في البئر ، ثم رجعت فجلست ، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا يأت به ، فجاء إنسان يحرك الباب ، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان ، فقلت: على رسلك ، فجئت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته) (١١) (فقال: " ائذن له ، وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه ") (١٢) (فجئته فقلت له: ادخل ، " وبشرك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجنة على بلوى تصيبك ") (١٣) (فحمد الله ثم قال: الله المستعان) (١٤) (فلما دخل عثمان " غطى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ركبتيه ") (١٥) (فوجد عثمان القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر ، قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم) (١٦) (اجتمعت ها هنا ، وانفرد عثمان (١٧)) (١٨).

---

(١) أي: توجه جهة كذا. فتح الباري (ج ١٠ / ص ٤٦٩)

(٢) هو بستان بالمدينة معروف، وهو بالقرب من قباء ، وفي بئرها سقط خاتم النبي – صلى الله عليه وسلم – من إصبع عثمان – رضي الله عنه –. فتح الباري (ج ١٠ / ص ٤٦٩)

(٣) الجريدة: سعفة النخل ، سميت بها لكونها مجردة عن الخوص ، وهو ورق النخل. تحفة الأحوذي (ج ٤ / ص ٨٠)

(٤) قف البئر: هو الداكة التي تجعل حول البئر. فتح الباري (١٠/ ٤٦٩)

(٥) (خ) ٣٤٩٢

(٦) (خ) ٣٤٧١، (م) ٢٨ – (٢٤٠٣)

(٧) (خ) ٣٤٩٠

(٨) فيه **حسن الأدب** في الاستئذان، قال ابن التين: ويحتمل أن يكون هذا قبل نزول قوله: ﴿لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾.

قلت: وما أبعد ما قال، فقد وقع في رواية عبد الرحمن بن حرملة: " فجاء رجل فاستأذن " وسيأتي في آخر مناقب عمر من طريق أبي عثمان النهدي عن أبي موسى بلفظ: " فجاء رجل فاستفتح " ، فعرف أن قوله: " يحرك الباب " إنما حركه مستأذنا ، لا دافعا له ليدخل بغير إذن. فتح الباري (ج ١٠ / ص ٤٦٩)

(٩) (خ) ٣٤٧١، (م) ٢٨ – (٢٤٠٣)

(١٠) (خ) ٣٤٩٠

(١١) (خ) ١٦٣٤، (م) ٢٨ - (٢٤٠٣)

(١٢) (خ) ٣٤٩٢، (م) ٢٨ - (٢٤٠٣)، (ت) ٣٧١٠

(١٣) (خ) ٣٤٧١

(١٤) (خ) ٣٤٩٠

(١٥) (خ) ٣٤٩٢

(١٦) (خ) ٣٤٧١، (م) ٢٩ - (٢٤٠٣)

(١٧) فيه وقوع التأويل في اليقظة ، وهو الذي يسمى الفراسة، والمراد: اجتماع الصاحبين مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في الدفن، وانفراد عثمان عنهم في البقيع. فتح (١٠/ ٤٦٩)

(١٨) (خ) ٦٦٨٤." [1]

"(خ) ، وعن أنس - رضي الله عنه - (أن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله) (١) (ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه ، قال: " والله) (٢) (لا تدعون منها درهما (٣) ") (٤)

---

(١) (خ) ٢٨٨٤

(٢) (خ) ٣٧٩٣

(٣) المراد أنهم أخوال أبيه عبد المطلب، فإن أم العباس هي نتيلة بنت جنان بالجيم والنون، وليست من الأنصار، وإنما أرادوا بذلك أن أم عبد المطلب منهم، لأنها سلمى بنت عمرو بن أحيحة ، وهي من بني النجار، ومثله ما وقع في حديث الهجرة أنه - صلى الله عليه وسلم - نزل على أخواله بني النجار، وأخواله حقيقة إنما هم بنو زهرة ، وبنو النجار أخوال جده عبد المطلب.

قال ابن الجوزي: وإنما قالوا: (ابن أختنا) لتكون المنة عليهم في إطلاقه ، بخلافه ما لو قالوا: عمك ، لكانت المنة عليه - صلى الله عليه وسلم -، وهذا من قوة الذكاء **وحسن الأدب** في الخطاب، وإنما امتنع

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٥٩/١٥

- صلى الله عليه وسلم - من إجابتهم لئلا يكون في الدين نوع محاباة. فتح الباري (ج ٨ / ص ٢)
(٤) (خ) ٢٤٠٠ ، (حب) ٤٧٩٤، (ك) ٥٤٠٨ ، (طس) ٤٦٢٤." [١]

"(م س) ، وعن ناعم مولى أم سلمة - رضي الله عنها - قال: سئلت أم سلمة: أتغتسل المرأة مع الرجل؟ ، قالت: نعم إذا كانت كيسة (١) " رأيتني ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - نغتسل من مركن (٢) واحد [من الجنابة] (٣) نفيض على أيدينا حتى ننقيهما ، ثم نفيض علينا الماء " (٤)

---

(١) أرادت **حسن الأدب** في استعمال الماء مع الرجل. شرح سنن النسائي (ج ١ / ص ١٧٨)
(٢) المركن: إناء واسع كبير يستعمل في الاغتسال.
(٣) (م) ٤٩ - (٣٢٤) ، (حم) ٢٦٥٤١ ، (ت) ٦٢
(٤) (س) ٢٣٧ ، (حم) ٢٦٧٩٢ ، (جة) ٣٨٠." [٢]

"(خ) ، وعن أنس - رضي الله عنه - (أن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله) (١) (ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه ، قال: " والله) (٢) (لا تدعون منها درهما (٣) ") (٤)

---

(١) (خ) ٢٨٨٤
(٢) (خ) ٣٧٩٣
(٣) المراد أنهم أخوال أبيه عبد المطلب، فإن أم العباس هي نتيلة بنت جنان بالجيم والنون، وليست من الأنصار، وإنما أرادوا بذلك أن أم عبد المطلب منهم، لأنها سلمى بنت عمرو بن أحيحة ، وهي من بني النجار، ومثله ما وقع في حديث الهجرة أنه - صلى الله عليه وسلم - نزل على أخواله بني النجار، وأخواله حقيقة إنما هم بنو زهرة ، وبنو النجار أخوال جده عبد المطلب.
قال ابن الجوزي: وإنما قالوا: (ابن أختنا) لتكون المنة عليهم في إطلاقه ، بخلافه ما لو قالوا: عمك ، لكانت المنة عليه - صلى الله عليه وسلم - وهذا من قوة الذكاء **وحسن الأدب** في الخطاب، وإنما امتنع

---

[١] الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٦٠/١٩
[٢] الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٨٩/٢٣

- صلى الله عليه وسلم - من إجابتهم لئلا يكون في الدين نوع محاباة. فتح الباري (ج ٨ / ص ٢)
(٤) (خ) ٢٤٠٠ ، (حب) ٤٧٩٤، (ك) ٥٤٠٨ ، (طس) ٤٦٢٤." [١]

"وابن عطية والواحدي. وقيل: نزلت لما قال المسلمون: ائذن لنا يا رسول الله في قتالهم فقد طال إيذاؤهم إيانا، فقال:" لم أومر بعد بالقتال" فأنزل الله تعالى:" وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن"، قاله الكلبي. وقيل: المعنى قل لعبادي الذين اعترفوا بأني خالقهم وهم يعبدون الأصنام، يقولوا التي هي أحسن من كلمة التوحيد والإقرار بالنبوة. وقيل: المعنى وقل لعبادي المؤمنين إذا جادلوا الكفار في التوحيد، أن يقولوا الكلمة التي هي أحسن. كما قال:" ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم «١» ". وقال الحسن: هو أن يقول للكافر إذا تشطط: هداك الله! يرحمك الله! وهذا قبل أن أمروا بالجهاد. وقيل: المعنى قل لهم يأمروا بما أمر الله به وينهوا عما نهى الله عنه، وعلى هذا تكون الآية عامة في المؤمن والكافر، أي قل للجميع. والله أعلم. وقالت طائفة: أمر الله تعالى في هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصة، **بحسن الأدب** وإلانة القول، وخفض الجناح وإطراح نزغات الشيطان، وقد قال صلى الله عليه وسلم:" وكونوا عباد الله إخوانا". وهذا أحسن، وتكون الآية محكمة. قوله تعالى:" (إن الشيطان ينزغ بينهم) " أي بالفساد وإلقاء العداوة والإغواء. وقد تقدم في آخر الأعراف «٢» ويوسف «٣». يقال: نزغ بيننا أي أفسد، قاله اليزيدي. وقال غيره النزغ الإغراء. (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) أي شديد العداوة. وقد تقدم في البقرة «٤». وفي الخبر" أن قوما جلسوا يذكرون الله، عز وجل فجاء الشيطان ليقطع مجلسهم فمنعته الملائكة فجاء إلى قوم جلسوا قريبا منهم لا يذكرون الله فحرش بينهم فتخاصموا وتواثبوا فقال هؤلاء الذاكرون قوموا بنا نصلح بين إخواننا فقاموا وقطعوا مجلسهم وفرح بذلك الشيطان". فهذا من بعض عداوته.

---

(١). راجع ج ٧ ص ٦٠ و٣٤٧.
(٢). راجع ج ٧ ص ٦٠ و٣٤٧.
(٣). راجع ج ٩ ص 267.
(٤). راجع ج ٢ ص ٢٠٩. [.....]." [٢]

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٩٢/٣٧
(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٧٧/١٠

"الثانية– في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم وذلك كان دأب السلف الصالح وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح وحصلوا على السعي الناجح، فرسخت لهم في العلوم أقدام وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام. قال البخاري: ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث. الثالثة– قوله تعالى: (وإذ قال موسى لفتاه) ٦٠ للعلماء فيه ثلاثة أقوال: أحدهما– أنه كان معه يخدمه والفتى في كلام العرب الشاب ولما كان الخدمة أكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم: فتى على جهة **حسن الأدب** وندبت الشريعة إلى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي) فهذا ندب إلى التواضع، وقد تقدم هذا في (يوسف) «١». والفتى في الآية هو الخادم وهو يوشع بن نون بن إفراثيم ابن يوسف عليه السلام. ويقال: هو ابن أخت موسى عليه السلام. وقيل: إنما سمي فتى موسى لأنه لزمه ليتعلم منه وإن كان حرا، وهذا معنى الأول. وقيل: إنما سماه فتى لأنه قام مقام الفتى وهو العبد قال الله تعالى: (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) «٢» وقال: (تراود فتاها عن نفسه) ٣٠ «٣» قال ابن العربي: فظاهر القرآن يقتضي أنه عبد وفي الحديث: أنه كان يوشع بن نون. وفي (التفسير) أنه ابن أخته وهذا كله مما لا يقطع به والتوقف فيه أسلم. الرابعة– قوله تعالى: (أو أمضي حقبا) ٦٠ قال عبد الله بن عمر: والحقب ثمانون سنة. مجاهد: سبعون خريفا. قتادة: زمان. النحاس: الذي يعرفه أهل اللغة أن الحقب والحقبة زمان من الدهر مبهم غير محدود، كما أن رهطا وقوما مبهم غير محدود: وجمعه أحقاب.

---

(١). راجع ج ٩ ص ١٩٤ وص ١٧٦ وص ٢٢٢.

(٢). راجع ج ٩ ص ١٩٤ وص ١٧٦ وص ٢٢٢.

(٣). راجع ج ٩ ص ١٩٤ وص ١٧٦ وص ٢٢٢.." [١]

"قوله تعالى: (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) [فيه مسألتان]: الاولى قوله تعالى:" قال له موسى هل أتبعك" هذا سؤال الملاطف، والمخاطب المستنزل «١» المبالغ في **حسن الأدب**، المعنى: هل يتفق لك ويخف عليك؟ وهذا كما في الحديث: هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ؟ وعلى بعض التأويلات يجئ كذلك قوله تعالى:" هل يستطيع ربك

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١/١١

أن ينزل علينا مائدة من السماء" [المائدة: ١١٢] حسب ما تقدم بيانه في" المائدة" «٢». الثانية- في هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب، ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضله الله، فالخضر إن كان وليا فموسى أفضل منه، لأنه نبي والنبي أفضل من الولي، وإن كان نبيا فموسى فضله بالرسالة. والله أعلم. و" رشدا" مفعول ثان ب"- تعلمن". (قال) الخضر: (إنك لن تستطيع معي صبرا) أي إنك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمي، لأن الظواهر التي هي علمك لا تعطيه، وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه، ولا طريق الصواب. وهي معنى قوله: (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) والأنبياء لا يقرون على منكر، لا يجوز لهم التقرير. أي لا يسعك السكوت جريا على عادتك وحكمك. وانتصب" خبرا" على التمييز المنقول عن الفاعل. وقيل: على المصدر الملاقى في المعنى، لأن قوله:" لم تحط". معناه لم تخبره، فكأنه قال: لم تخبره خبرا، وإليه أشار مجاهد. والخبير بالأمور هو العالم بخفاياها وبما يختبر منها. قوله تعالى: (قال ستجدني إن شاء الله صابرا) أي سأصبر بمشيئة الله. (ولا أعصي لك أمرا) أي قد ألزمت نفسي طاعتك وقد اختلف في الاستثناء، هل هو يشمل قوله:" ولا أعصي لك أمرا" أم لا؟ فقيل: يشمله كقوله:" والذاكرين الله كثيرا والذاكرات" «٣» [الأحزاب: ٣٥]. وقيل: استثنى في الصبر فصبر، وما استثنى في قوله:" ولا أعصي لك أمرا" فاعترض

---

(١). في ك: المشترك.

(٢). راجع ج ٦ ص ٣٦٥.

(٣). راجع ج ١٤ ص ١٨٥.." [1]

"قوله تعالى: (فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا «١» فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى: (فهل نجعل لك خرجا) استفهام على جهة **حسن الأدب**." خرجا" أي جعلا. وقرى:" خراجا" والخرج أخص من الخراج. يقال: أد خرج رأسك وخراج مدينتك. وقال الأزهري: الخراج يقع على الضريبة، ويقع على [مال] «٢» الفيء، ويقع على الجزية وعلى الغلة. والخراج اسم لما يخرج من الفرائض في الأموال. والخرج: المصدر. وقوله تعالى: (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أي ردما، والردم ما جعل بعضه على بعض حتى يتصل. وثوب مردم أي مرقع قاله الهروي. يقال: ردمت الثلمة أردمها بالكسر ردما أي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١/١٧

سددتها. والردم أيضا الاسم وهو السد. وقيل: الردم أبلغ من السد إذ السد كل ما يسد به والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع ومنه ردم ثوبه إذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها فوق بعض. ومنه قول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم

«٣» أي من قول يركب بعضه على بعض. وقرى" سدا" بالفتح في السين، فقال الخليل وسيبويه: الضم هو الاسم والفتح المصدر. وقال الكسائي: الفتح والضم لغتان بمعنى واحد. وقال عكرمة وأبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة: ما كان من خلقة الله لم يشارك فيه أحد بعمل فهو بالضم، وما كان من صنع البشر فهو بالفتح. ويلزم أهل هذه المقالة أن يقرءوا" سدا ١٠" بالفتح وقبله" بين السدين" بالضم، وهي قراءة حمزة والكسائي. وقال أبو حاتم عن ابن عباس وعكرمة عكس ما قال أبو عبيدة. وقال ابن أبي إسحاق: ما رأته عيناك فهو سد بالضم وما لا ترى فهو سد بالفتح. الثانية- في هذه الآية دليل على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها، ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا يتركون وما هم عليه، بل يوجعون ضربا ويحبسون أو يكلفون «٤» ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه.

---

(١). قراءة نافع.

(٢). من ك.

(3). تمامه:

أم هل عرفت الدار بعد توهم

(٤). في ك: ينكلون.." (١)

"[سورة النمل (٢٧): الآيات ٣٢ الى ٣٤]

قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون (٣٢) قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين (٣٣) قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (٣٤)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥٩/١١

فيه ثلاث مسائل: الأولى- قوله تعالى: (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري) الملأ أشراف القوم وقد مضى في سورة" البقرة" «١» القول فيه. قال ابن عباس: كان معها ألف قيل. وقيل: اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف. والقيل الملك دون الملك الأعظم. فأخذت في **حسن الأدب** مع قومها، ومشاورتهم في أمرها، وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل أمر يعرض، بقولها: (ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) فكيف في هذه النازلة الكبرى. فراجعها الملأ بما يقر عينها، من إعلامهم إياها بالقوة والبأس، ثم سلموا الأمر إلى نظرها، وهذه محاورة حسنة من الجميع. قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا هم أهل مشورتها، كل رجل منهم على عشرة آلاف. الثانية- في هذه الآية دليل على صحة المشاورة. وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:" وشاورهم في الأمر" في" آل عمران" إما استعانة بالآراء، وإما مداراة للأولياء. وقد مدح الله تعالى الفضلاء بقوله:" وأمرهم شورى بينهم". والمشاورة من الأمر القديم وخاصة في الحرب، فهذه بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس:" قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون" لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وحزمهم فيما يقيم أمرهم، وإمضائهم على الطاعة لها، بعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها، وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم وجدهم كان ذلك عونا لعدوهم عليهم، وإن لم تختبر ما عندهم، وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة

---

(١). راجع ج ٣ ص ٢٤٣ طبعه أولى أو ثانية. [.....]." [1]

"**من سوء الأدب**. وقيل: كانوا جاءوا شفعاء في أسارى بني عنبر فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم، وفادى على النصف. ولو صبروا لأعتق جميعهم بغير فداء." والله غفور رحيم"

[سورة الحجرات (٤٩): آية ٦]

يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦)

فيه سبع مسائل: الأولى- قوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ" قيل: إن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط. وسبب ذلك ما رواه سعيد عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة مصدقا»

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٩٤

إلى بني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم- في رواية: لإحنة كانت بينه وبينهم-، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام. فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا، فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالدا أنهم متمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكروه، فعاد إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فنزلت هذه الآية، فكان يقول نبي الله صلى الله عليه وسلم:] التأني من الله والعجلة من الشيطان [. وفي رواية: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بني المصطلق بعد إسلامهم، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم خافهم، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن القوم قد هموا بقتله، ومنعوا صدقاتهم. فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزوهم، فبينما هم كذلك إذ قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك فخرجنا إليه لنكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة، فاستمر راجعا، وبلغنا أنه يزعم لرسول الله أنا خرجنا لنقاتله، والله ما خرجنا لذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وسمي الوليد فاسقا أي كاذبا. قال

(١). المصدق (بتخفيف الصاد وتشديد الدال) العامل الذي يجبى الصدقات.." (١)

"والعبيد، فعبس وأعرض عنه، فنزلت الآية. قال الثوري: فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول: [مرحبا بمن عاتبني فيه ربي]. ويقول: [هل من حاجة]؟ واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما. قال أنس: فرأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سوداء. الرابعة- قال علماؤنا: ما فعله ابن أم مكتوم كان **من سوء الأدب** لو كان عالما بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره، وأنه يرجو إسلامهم، ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة، أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني، وكان النظر إلى المؤمن أولى وإن كان فقيرا أصلح وأولى من الأمر الآخر، وهو الإقبال على الأغنياء طمعا في إيمانهم، وإن كان ذلك أيضا نوعا من المصلحة، وعلى هذا يخرج قوله تعالى: ما كان لنبي أن يكون له أسرى [الأنفال: ٦٧] الآية على ما تقدم «١». وقيل: إنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تأليف الرجل، ثقة بما كان في قلب ابن أم مكتوم من الإيمان، كما قال: [إني لأصل الرجل وغيره أحب إلي منه، مخافة أن يكبه الله في النار على وجهه [. الخامسة- قال ابن زيد: إنما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم وأعرض عنه، لأنه أشار إلى الذي كان يقوده أن

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١١/١٦

يكفه، فدفعه ابن أم مكتوم، وأبى إلا أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه، فكان في هذا نوع جفاء منه. ومع هذا أنزل الله في حقه على نبيه صلى الله عليه وسلم: عبس وتولى بلفظ الإخبار عن الغائب، تعظيما «٢» له ولم يقل: عبست وتوليت. ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيسا له فقال: وما يدريك أي يعلمك لعله يعني ابن أم مكتوم يزكى بما استدعى منك تعليمه إياه من القرآن والدين، بأن يزداد طهارة في دينه، وزوال ظلمة الجهل عنه. وقيل: الضمير في لعله للكافر يعني إنك إذا طمعت في أن يتزكى بالإسلام أو

يذكر، فتقربه الذكرى إلى قبول الحق

---

(١). راجع ج ٨ ص ٤٥ فما بعدها.

(٢). في أ، ح: تعليما.." [1]

"تصنعونه بأملاككم ولا شعورها به قبل وقوعكم، ونحن من صفتنا الكرم حذرناكم من عقابنا قبل وقوعه واسيناكم بجميل [إحساننا*] على قيامكم بأحكامنا مع اتصافنا بالعدل، ولا استحقاق لكم علينا خلقنا من شئنا منكم للخير، وخلقنا من شئنا منكم للشر، وإياكم والعبث علينا في أحكامنا فيكم بها عدل، وإياكم وطلب التعليل وسوء الأدب (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)، انتهى.

قيل لابن عرفة: كيف هذا التحليل؟ وهل كانت محرمة [أولا*]؟ فقال إن قلت: إن الأشياء كانت على الحصر فظاهر، وإن قلنا إنها على الأرجح، فالسؤال وارد؛ لأنه لا فائدة فيه، قيل به: وكذلك إن كانت على الحصر؛ لأن هذه السورة مدنية من آخر ما نزل، وقد كانت هذه الأشياء حلال في أول الإسلام، فأجاب بوجهين:

الأول: إشارة إلى ما كانت عليه الجاهلية من تحريم السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي، فاقتضت هذه الآية تحليل ذلك كله للمسلمين.

الثاني: في ذكر التحليل ليرتب عليه أشباه هذه الأمور المخرجة منه.

قوله تعالى: (بهيمة الأنعام).

جعله الزمخشري من إضافة الأعم من وجه إلى وجه من وجه، مثل: عندي خاتم حديد، وكان بعضهم يقول: الصواب أنه من إضافة الأعم مطلقا إلى الأعم من وجه، والأول أجود من الثاني؛ لأن هذا قليل الوقوع

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٣/١٩

بخلاف الأول.

قوله تعالى: (إن الله يحكم ما يريد).

قال ابن عرفة: كان بعضهم يقول: هذه الآية دليل على إبطال العمل بالقياس؛ لأن الإرادة من شأنها التفريق بين المتماثلين، والجمع بين المختلفين، وإنما الذكر من خصائصها جواز ذلك لا لزومه.

قال ابن عرفة مرة أخرى: وانظر هل فيها دليل على أنه لا يأمر إلا بما أراد؟ وأجيب: بأن المعنى أن الله يحكم ما يريد الحكم به لا ما يريده في نفسه.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ... (٢)﴾

قال ابن عرفة: إن قلت: لم كرر النداء (يا أيها الذين آمنوا) وهلا اكتفى بال أول فيقال: [ولا تحلوا شعائر الله*]؟ فالجواب: أنه إذا قلت: قام زيد وعمرو توهم تبعية أحد الرجلين للآخر في القيام، فإذا أردت نفي هذا التوهم، قلت: قام زيد وعمرو فأفاد." [١]

"جبل من كل واحد منهن جزءا، والجزء النصيب، واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال وليس في ذكر ذلك كثير فائدة.

(ثم ادعهن) أي قل لهن تعالين بإذن الله تعالى (يأتينك) إتيانا سريعا (سعيا) أي مشيا سريعا. والمراد بالسعي الإسراع في الطيران أو المشي وقيل السعي هو الحركة الشديدة، وقيل العدو، وقيل الطيران، وفيه أنه لا يقال للطائر إذا طار سعى، فالحكمة في السعي دون الطيران أن ذلك أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطيور، أو أن أرجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة (واعلم أن الله عزيز حكيم) في صنعه.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: وضعهن على سبعة أجبل وأخذ الرؤوس بيده فجعل ينظر إلى القطرة تلقى القطرة والريشة تلقى الريشة حتى صرن أحياء ليس لهن رؤوس فجئن إلى رؤوسهن فدخلن فيها، وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل **وحسن الأدب** في السؤال، حيث أراه ما سأل في الحال، وأرى العزير ما أراه بعد إماتته مائة عام (١).

---

(١) قال ابن عباس: فأخذ هذه الطير حسب ما أمر وذكاها ثم قطعها قطعا صغارا، وخلط لحوم البعض

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/٨١

إلى لحوم البعض مع الدم والريش حتى يكون أعجب، ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزءا على كل جبل، ووقف هو من حيث يرى تلك الأجزاء وامسك رؤوس الطير في يده، ثم قال: تعالين بإذن الله، فتطايرت تلك الأجزاء وطار الدم إلى الدم والريش إلى الريش حتى التأمت مثل ما كانت أولا وبقيت بلا رؤوس، ثم كرر النداء فجاءته سعيا، أي عدوا على أرجلهن. وقد ذكر القرطبي القصص عن المفسرين في ماهية الطيور وكيفية جمعها.." (١)

"لراعنا مجرى انظرنا أو فتلا بها وضما لما يظهرونه من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرونه من السب والتحقير (١).

(وطعنا) أي قدحا (في الدين) بقولهم لو كان نبيا لعلم أنا نسبه، فأطلع الله سبحانه نبيه – صلى الله عليه وسلم – على ذلك (ولو أنهم قالوا سمعنا) قولك (وأطعنا) أمرك (واسمع) ما نقول (وانظرنا) أي أفهمنا لا تعجل علينا أي لو قالوا هذا مكان قولهم سمعنا وعصينا وراعنا بلسان المقال أو الحال (لكان خيرا لهم) مما قالوه (وأقوم) أي أعدل وأولى من قولهم الأول وهو قولهم سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لما في هذا من المخالفة وسوء الأدب واحتمال الذم في راعنا.

(ولكن) لم يسلكوا ذلك المسلك الحسن، ولم يأتوا بما هو خير لهم وأقوم، بل استمروا على كفرهم ولهذا (لعنهم الله بكفرهم) أي خذلهم وأبعدهم بسبب كفرهم (فلا يؤمنون) بعد ذلك (إلا) إيمانا (قليلا) وهو الإيمان ببعض الكتب دون بعض، وببعض الرسل دون بعض، وقيل هو اعترافهم بأن الله خلقهم ورزقهم وقيل إلا نفر قليل كعبد الله بن سلام، وعبر الزمخشري وابن عطية عن هذا القليل بالعدم يعني أنهم لا يؤمنون ألبتة.

---

(١) في " مشكل القرآن " ٢٩١: هؤلاء قوم من اليهود كانوا يقولون للنبي – صلى الله عليه وسلم – إذا حدثهم وأمرهم: سمعنا، ويقولون في أنفسهم: عصينا، وإن أرادوا أن يكلموه بشيء قالوا له: اسمع يا أبا القاسم، ويقولون في أنفسهم: لا سمعت، ويقولون له: راعنا، ويوهمونه في ظاهر اللفظ أنهم يريدون: انتظرنا، حتى نكلمك بما نريد، كما تقول العرب: أعرني سمعك وراعني، أي: انتظرني وترفق بي وتلوم علي، هذا ونحوه، وإنما يريد سبه بالرعونة في لغتهم، فقال الله سبحانه: (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) ويقولون كذا وكذا، ويقولون: (راعنا ليا بألسنتهم) أي: قلبا للكلام بها، (وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١٣/٢

سمعنا وأطعنا﴾ مكان قولهم: سمعنا وعصينا، وقالوا: واسمع، مكان قولهم: لا سمعت، وانظرنا، مكان قولهم: راعنا لكان خيرا لهم وأقوم.." (١)

"(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) أي بمثل ما فعل بكم لا تجاوزوا ذلك.

قال ابن جرير: نزلت هذه الآية فيمن أصيب بظلامة أن لا ينال من ظالمه إذا تمكن إلا مثل ظلامته لا يتعداها إلى غيرها ونحوه في البيضاوي، وهذا صواب لأن الآية وإن قيل أن لها سببا خاصا كما سيأتي فالاعتبار بعموم اللفظ وعمومه يؤدي هذا المعنى الذي ذكره، وسمى سبحانه الفعل الأول الذي هو فعل البادئ بالشر عقوبة مع أن العقوبة ليست إلا فعل الثاني وهو المجازي، للمشاكلة وهي باب معروف وقع في كثير من الكتاب العزيز.

ثم حث سبحانه على العفو فقال (ولئن صبرتم) عن العاقبة بالمثل وعن الانتقام بتركه بالكلية (لهو) بضم الهاء وسكونها قراءتان سبعيتان أي فالصبر (خير للصابرين) من الانتصاف ووضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد.

وقد ذهب الجمهور إلى أن هذه الآية محكمة لأنها واردة في الصبر عن المعاقبة والثناء على الصابرين على العموم، وفي تعليم **حسن الأدب** في كيفية استيفاء الحقوق والقصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة، وهذه الأشياء لا تكون منسوخة ولا تدلق لها بالنسخ، وقيل هي منسوخة بآيات القتال وبه قال ابن عباس والضحاك ولا وجه لذلك.

أخرج الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار:." (٢)

"النهار فلذلك قالوا (لبثنا يوما) أي لظنهم أن الشمس قد غربت فلما رأوا الشمس لم تغرب قالوا (أو بعض يوم) وكان قد بقيت بقية من النهار وقد مر مثل هذا الجواب في قصة عزير في البقرة أو للشك، وقيل للتفصيل أي قال بعضهم كذا وبعضهم كذا وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب.

(قالوا) متوقفين في قدر مدة لبثهم (ربكم أعلم بما لبثتم) إما على طريق الاستدلال أو كان ذلك إلهاما لهم من الله سبحانه أي أنكم لا تعلمون مدة لبثكم وإنما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الأولين بأجمل

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤٠/٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٤١/٧

ما يكون من مراعاة **حسن الأدب** وبه يتحقق التحزب إلى الحزبين المعهودين في قوله سابقا لنعلم أي الحزبين.

وقد استدل ابن عباس على أن عددهم سبعة بهذه الآية لأنه قد قال في الآية قال قائل منهم وهذا واحد، وقالوا في جوابه لبثنا وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة.

(فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة) كأنه قال القائل منهم يعني يمليخا اتركوا ما أنتم عليه من المحاورة وخذوا في شيء آخر مما يهمكم وفيما تنتفعون به والفاء للسببية أي فأرسلوا واحدا منكم إلى البلد، والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ويقال لها الرقة وفي الحديث (وفي الرقة ربع العشر) وجمعت شذوذا جمع المذكر السالم يقال عندي رقون والباء للمصاحبة والملابسة.

وفي حملهم لهذه الورق معهم دليل على أن إمساك بعض ما يحتاج إليه الإنسان لا ينافي التوكل على الله، والمدينة أفسوس بضم الهمزة كما قاله النيسابوري وهي مدينتهم التي كانوا فيها من مدائن الروم ويقال لها اليوم." (١)

"الله عليه وسلم فوالذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتبطر وتشكر شكرا من لحومهم " (١).

وقد ثبت في الصحيحين من حديث زينب بنت جحش قالت: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق "، قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: " نعم إذا كثر الخبث " (٢)، وأخرجا نحوه من حديث أبي هريرة مرفوعا وقد ذكرنا تفصيل حالهم في حجج الكرامة فراجعه (فهل نجعل لك خرجا) هذا الاستفهام من باب **حسن الأدب** مع ذي القرنين وقرئ خراجا.

قال الأزهري: الخراج يقع على الضريبة ويقع على مال الفيء ويقع على الجزية وعلى الغلة، والخراج أيضا اسم لما يخرج من الفوائض في الأموال والخرج المصدر، وقال قطرب: الخرج الجزية والخراج في الأرض وقيل: الخرج ما يخرجه كل أحد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان، وقيل: هما بمعنى واحد قال ابن عباس خرجا أي أجرا عظيما وجعلا من الأموال.

(على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أي ردما حاجزا بيننا وبينهم فلا يصلون إلينا، قال الخليل وسيبويه: الضم (٣) هو الاسم والفتح المصدر، وقال الكسائي: الضم والفتح لغتان بمعنى واحد وقد سبق قريبا ما حكيناه

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٧/٨

عن أبي عمرو بن العلاء وأبي عبيدة وابن الأنباري من الفرق بينهما.
وقال ابن أبي إسحاق: ما رأته عيناك فهو سد بالضم وما لا ترى فهو سد بالفتح وقد قدمنا بيان من قرأ بالفتح وبالضم في السدين.

---

(١) الترمذي ٢/ ١٩٧ - الحاكم ٤/ ٤٨٨ - الإمام أحمد ٢/ ٥١٠.
(٢) مسلم ٢٨٨٠ - البخاري ١٥٨٢.
(٣) الضم: أي ضم السين في " سدا " ومثله الفتح.." [١]

"وروى سعيد بن المسيب والحارث الأعور عن علي بن أبي طالب أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الأنبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به، وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها، وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كان على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر سماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس.
قال النسفي: والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب، وإنما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح، لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه، وأعظم أثرا فيه، مع مراعاة **حسن الأدب** بترك المجاهرة انتهى قال أبو السعود: وأما ما يذكر من أنه عليه السلام تزوج امرأة أوريا فهو إفك مبتدع مكروه، ومكر مخترع تمجه الأسماع، وتنفر عنه الطباع، ويل لمن ابتدعه وأشاعه، وتبا لمن اخترعه وأذاعه، وسيأتي الكلام على ذنب داود عليه السلام في آخر هذه القصة.." [٢]

"(ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) أي: لو انتظروا خروجك، ولم يعجلوا بالمناداة لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم، لما في ذلك من رعاية **حسن الأدب** مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورعاية جانبه الشريف والعمل بما يستحقه من التعظيم والتبجيل، وقيل: إنهم جاؤوا شفعاء في أسارى فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم، وفادى نصفهم، ولو صبروا لأعتق الجميع ذكر معناه مقاتل.
وقيل: يفيد أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولا لأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١٦/٨
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٨/١٢

(والله غفور رحيم) كثير المغفرة والرحمة بليغهما، لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم من إساءة الأدب إن تابوا وأنابوا.." (١)

"(فسبح باسم ربك العظيم) الفاء لترتيب ما بعدها من ذكر الله سبحانه وتنزيهه على ما قبلها مما عدده من النعم التي أنعم بها على عباده، وجحود المشركين لها، وتكذيبهم بها، وقيل: قل سبحان ربي العظيم.

" وجاء مرفوعا أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم "، وسبح متعدي بنفسه وبحرف الجر، فالباء زائد والإسم باق على معناه، أو بمعنى الذات أو بمعنى الذكر، قال الكرخي قالوا: كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها **عن سوء الأدب**، وقيل: لفظة باسم زائدة، والمعنى: فسبح ربك وهذا أبلغ لما يلزم ذلك بالطريق الأولى على سبيل الكناية الرمزية، وأثبتوا ألف الوصل هنا في إسم ربك لأنه لم يكثر دوره كثرته في البسملة.." (٢)

"(يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا) وقرىء تفاسحوا (في المجالس) قرىء على الجمع لأن لكل واحد منهم مجلسا، وقرىء على الإفراد، قال الواحدي: والوجه التوحيد في المجلس، لأنه يعني به مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، والتفسح التوسع، يقال: فسح له يفسح فسحا أي وسع له ومنه قولهم: بلد فسيح أمر الله سبحانه المؤمنين **بحسن الأدب** بعضهم مع بعض بالتوسعة في المجلس، وعدم التضايق فيه قال قتادة ومجاهد والضحاك: كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض، وقال ابن عباس والحسن ويزيد بن أبي حبيب: هو مجلس القتال إذا اصطفوا للحرب، كانوا يتشاحنون على الصف الأول، ولا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال، لتحصيل الشهادة.

وقال القرطبي: الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس، اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو يوم جمعة وأن." (٣)

"" صفحة رقم ٦١٥ "

جبل : وقضاء ربك . ولا يجوز أن يتعلق الباء في بالوالدين بالإحسان : لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته) إما (هي (إن) الشرطية زيدت عليها (ما) تأكيدا لها ، ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ، ولو

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٣٥/١٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٨٠/١٣

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٤/١٤

أفردت (إن) لم يصح دخولها ، لا تقول : إن تكرمن زيدا يكرمك ، ولكن إما تكرمنه . و) أحدهما (فاعل يبلغن ، وهو فيمن قرأ (يبلغان) بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين و) كلاهما (عطف على أحدهما فاعلا وبدلا . فإن قلت : لو قيل إما يبلغان كلاهما ، كان كلاهما توكيدا لا بدلا ، فمالك زعمت أنه بدل ؟ قلت : لأنه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا للاثنين ، فانتظم في حكمه ، فوجب أن يكون مثله . فإن قلت : ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا ، وعطفت التوكيد على البدل ؟ قلت : لو أريد توكيد التثنية لقيل : كلاهما ، فحسب ، فلما قيل : أحدهما أو كلاهما ، علم أن التوكيد غير مراد ، فكان بدلا مثل الأول) أف (صوت يدل على تضجر . وقرىء : (أف) بالحركات الثلاث منونا وغير منون : الكسر على أصل البناء ، والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم ، والضم إتباع كمنذ . فإن قلت : ما معنى عندك ؟ قلت : هو أن يكبرا ويعجزا ، وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره ، فهما عنده في بيته وكنفه ، وذلك أشق عليه وأشد احتمالا وصبرا ، وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة ، فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال ، حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما : أف ، فضلا عما يزيد عليه . ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ، ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في استطاعة) ولا تنهرهما (ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك . والنهي والنهر والنهم : أخوات) وقل لهما (بدل التأفيف والنهر) قولا كريما (جميلا ، كما يقتضيه **حسن الأدب** والنزول على المروءة . وقيل : هو أن يقول : يا أبتاه ، يا أماه ، كما قال إبراهيم لأبيه : ياأبت ، مع كفره ، ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفا وسوء الأدب وعادة الدعار . قالوا : ولا بأس به في غير وجهه ، كما قالت عائشة رضي الله عنها : نحلني أبو بكر كذا . وقرىء : (جناح الذل) ، الذل : بالضم والكسر فإن قلت : ما معنى قوله) جناح الذل (؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أن يكون المعنى : واخفض لهما جناحك كما قال) واخفض جناحك للمؤمنين الحجر : ٨٨) فأضافه إلى الذل أو الذل ، كما أضيف حاتم." (١)

"" صفحة رقم ٢٢ "

لك ، فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان ، إلا أن إبراهيم عليه السلام لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء

---

(١) تفسير الكشاف. ، ٢/٦١٥

همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذريته كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه . ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ، ولم يخل ذلك من **حسن الأدب** ، حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به ، ولكنه قال : أخاف أن يمسك عذاب ، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب ، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب ، وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه ، وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث قال :) ورضوان من الله أكبر ذالك هو الفوز العظيم (فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله ، أكبر من العذاب نفسه وأعظم ، وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله :) يا أبت (توسلا إليه واستعطافا ف) ليبلوكم فى ما (في) ما لا يسمع (و) ما لم يأتك (يجوز أن تكون موصولة وموصوفة ، والمفعول في) لا يسمع ولا يبصر (منسي غير منوي ، كقولك : ليس به استماع ولا إبصار) شيئا (يحتمل وجهين ، أحدهما : أن يكون في موضع المصدر ، أي : شيئا من الغناء ، ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين . والثاني : أن يكون مفعولا به من قولهم : أغن عني وجهك) إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك (فيه تجدد العلم عنده .

) قال أراغب أنت عن آلهتى ياإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا (

مريم : (٤٦) قال أراغب أنت . . . . .

لما أطلعه على سماجة صورة أمره ، وهدم مذهبه بالحجج القاطعة ، وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات ، أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد ، فناداه باسمه ، ولم يقابل) يا أبت (بيابني ، وقدم الخبر على المبتدأ في قوله :) أراغب أنت عن الهتى ياإبراهيم إبراهيم (لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعني ، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته ، وأن آلهته ، ما ينبغي أن يرغب عنها أحد . وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عما كان يلقي من مثل ذلك من كفار قومه) لارجمنك (لأرمينك بلساني ، يريد الشتم والذم ، ومنه (الرجيم) المرمي باللعن . أو لأقتلنك ، من رجم الزاني . أو لأطردنك رميا بالحجارة . وأصل الرجم : الرمي بالرجام) مليا (زمانا طويلا من الملاوة : أو مليا بالذهاب عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب ، حتى لا." [١]

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٢٢/٣

"" صفحة رقم ٦٧ "

الأبوة . وقيل : كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث : أبو العباس ، وأبو الوليد ، وأبو مرة والترجي لهما ، أي : اذهبا على رجائكما وطمعكما ، وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه . فهو يجتهد بطوقه ، ويحتشد بأقصى وسعه . وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع ءاياتك طه : ١٣٤) أي : يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والإذعان للحق) أو يخشى (أن يكون الأمر كما تصفان ، فيجره إنكاره إلى الهلكة .

) قالا ربنآ إننا نخاف أن يفرط علينآ أو أن يطغى (

طه : (٤٥) قالا ربنا إننا . . . . .

فرط : سبق وتقدم . ومنه الفارط : الذي يتقدم الواردة . وفرس فرط : يسبق الخيل ، أي : نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها . وقرىء (يفرط) من أفرطه غيره إذا حمله على العجلة . خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان ، أو من جبروته واستكباره وادعائه بالربوبية . أو من حبه الرياسة ، أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة) قال الملا من قومه الأعراف : ٦٠)) قال الملا من قومه (وقرىء (يفرط) من الإفراط في الأذية ، أي : نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة . أو يجاوز الحد في معاقبتنا إن لم يعاجل ، بناء على ما عرفا وجربا من شرارته وعتوه) أو أن يطغى (بالتخطى إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي ، لجرأته عليك وقسوة قلبه . وفي المجىء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز : باب من **حسن الأدب** وتحاش عن التفوه بالعظيمة .

) قال لا تخافآ إننى معكمآ أسمع وأرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسراءيل ولا تعذبهم قد جئناك بأية من ربك والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى إلينآ أن العذاب على من كذب وتولى (

طه : (٤٦) قال لا تخافا . . . . .

) معكما (أي حافظكما وناصركما) أسمع وأرى (ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل ، فأفعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما ، فجائز أن يقدر أقوالكم وأفعالكم ، وجائز." (١)

"" صفحة رقم ٨٤ "

خلافها ، وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي

---

(١) تفسير الكشاف ، ٦٧/٣

إظهارها عليه ، فقال عمر : لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس . والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب . فإن قلت : لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح ؟ قلت : لكونها أبلغ في التوبيخ ، من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به ، كان أوقع في نفسه ، وأشد تمكنا من قلبه ، وأعظم أثرا فيه ، وأجلب لاحتشامه وحيائه ، وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحا ، مع مراعاة **حسن الأدب** بترك المجاهرة . ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة أن يعرض له بإنكار عليه ولا يصرح . وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه ، وذلك أزجر له لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه ، فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة ، مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة . فإن قلت : فلم كان ذلك على وجه التحاكم إليه ؟ قلت : ليحكم بما حكم به من قوله :) لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ص : ٢٤) حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه) وهل أتاك نبؤا الخصم (ظاهره الاستفهام . ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد ، والتشويق إلى استماعه والخصم : الخصماء ، وهو يقع على الواحد والجمع ؛ كالضيف . قال الله تعالى :) حديث ضيف إبراهيم المكرمين الذاريات : ٢٤) لأنه مصدر في أصله ، تقول : خصمه خصما ؛ كما تقول : ضافه ضيفا . فإن قلت : هذا جمع . وقوله : (خصمان) تثنية فكيف استقام ذلك ؟ قلت : معنى خصمان : فريقان خصمان ، والدليل عليه قراءة من قرأ : خصمان بغي بعضهم على بعض : ونحوه قوله تعالى :) هاذا خصمان اختصموا فى ربهم الحج : ١٩) . فإن قلت : فما تصنع بقوله :) إن هذا أخى ص : ٢٣) وهو دليل على اثنين ؟ قلت : هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض . فإن قلت : فقد جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكان . قلت : معناه أن التحاكم كان بين ملكين ، ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون . فإن قلت : فإذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله :) وهل أتاك (و) خصمان (؟ قلت : لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به . فإن قلت : بم انتصب (إذ) ؟ قلت : لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك ، أو بالنبأ ، أو بمحذوف." (١)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ٣٤

إلى عائد من الضمير ، وإنما جاءهم المفسدون مع فساد غيرهم لشدة فسادهم ، فكأنه لم يعتد بغيره.

---

(١) تفسير الكشاف ، ٤/٨٤

وينتصر المؤلف – رحمه الله – في النحو للمذهب البصري ، وذلك بترجيح أقوالهم ، كما صنع في قوله تعالى : فلما ذهبوا به [يوسف : ١٥] حيث قال «١» : محذوف الجواب ، والكوفيون يجعلون «أجمعوا» جوابا ، والواو مقحمة ، وإقحامها لم يثبت ، ولا له وجه في القياس.
وقد يذكر – أحيانا – بعض المصطلحات الكوفية ، مثل : النصب على القطع ، أي : على الحال «٢». ولعله تأثر في ذلك بالفراء الذي جرى على هذه الاصطلاحات في كتابه معاني القرآن.
أما استشهاد المؤلف في هذا الكتاب بأشعار العرب وأمثالهم وأقوالهم فقليل جدا ، لكنه توسع في ذلك في وضح البرهان حيث أكثر من ذكر الشواهد الشعرية حتى إنه أفرد تلك الشواهد بمصنف خاص شرح فيه تلك الأبيات.
سابعا : ذكر لطائف تتعلق بالنظم القرآني ، وذلك من حيث أسلوبه وبلاغته ، فأورد من ذلك على سبيل المثال ، سبب تقديم العبادة على الاستعانة في قوله تعالى : إياك نعبد وإياك نستعين ، فقال «٣» : «و إياك نستعين» على نظم آي السورة ، وإن كان «نعبدك» أوجز ، ولهذا قدم «الرحمن» والأبلغ لا يقدم. وقدمت العبادة على الاستعانة لهذا ، مع ما في تقديم ضمير المعبود من **حسن الأدب**.
وعند تفسير قوله تعالى : وما هم بمؤمنين [البقرة : ٨] قال «٤» :

---

(١) إيجاز البيان : ٤٣١.
(٢) إيجاز البيان : ٥٦٤.
(٣) إيجاز البيان : ٦٠.
(٤) إيجاز البيان : ٦٨.." (١)
"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ٦٠
و الربط لأن صفات الله تؤخذ من أشراف «١» المعاني.
٥ [إيا] «٢» اسم موضوع مضمر مفرد غير مضاف. والكاف حرف خطاب لا موضع له [من الإعراب] «٣» مثل كاف «ذلك».
وإياك نستعين على نظم آي السورة [و لاقتضائه الحصر] «٤» ، وإن كان نعبدك أوجز ، ولهذا قدم الرحمن والأبلغ لا يقدم.

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ١/٣٤

[٢/ أ] وقدمت العبادة على الاستعانة/ لهذا ، مع ما في تقديم ضمير المعبود من **حسن الأدب**. والحمد دون العبادة ففخم بالغيبة ليقاربه لفظ العبادة بقصور المخاطبة في اللفظ ، وعلى هذا أسند لفظة النعمة إلى الله وصرف لفظ الغضب إلى المغضوب عليهم.

وسؤال الهداية الحاصلة للتثبيت عليها «٥» لا سيما وبإزاء كل دلالة شبهة. وقيل : هي الهداية إلى طريق الجنة.

وقيل «٦» : هي حفظ القرآن والسنة. والتعبد بالدعاء فيما «٧» لا بد أن

---

(١) في ج ، ك : أشرف.

(٢) في الأصل : «إياك» ، والمثبت في النص عن نسخة «ج».

(٣) عن نسختي «ك» و«ج» وعن كتاب المؤلف وضح البرهان في مشكلات القرآن.

(٤) عن نسخة «ج».

(٥) انظر تفسير الطبري : ١/ ١٦٩ ، معاني القرآن للزجاج : ١/ ٤٩ ، معاني القرآن للنحاس : ١/ ٦٦ ، المحرر الوجيز : ١/ ١٢٠. وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره : ١/ ٤٤ : «فإن قيل : كيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها ، وهو متصف بذلك؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟ فالجواب : أن لا ، ولو لا احتياجه ليلا ونهارا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله إلى ذلك ، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية ، ورسوخه فيها ، وتبصره ، وازدياده منها ، واستمراره عليها ، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق.

(٦) لم أهتد إلى قائله ، ونقل المؤلف في وضح البرهان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن الصراط المستقيم هنا كتاب الله فيكون سؤال الهداية لحفظه وتبين معانيه. [.....]

(٧) في «ج» : مما.." (١)

"وقد احتوت هذه السورة على تشريعات كثيرة تنبئ بأنها أنزلت لاستكمال شرائع الإسلام،ولذلك افتتحت بالوصاية بالوفاء بالعقود،أي بما عاقدوا الله عليه حين دخولهم في الإسلام من التزام ما يؤمرون به، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ البيعة على الصلاة والزكاة والنصح لكل مسلم، كما في حديث

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ١/٦٠

جابر بن عبد الله في الصحيح."وأخذ البيعة على الناس بما في سورة الممتحنة"، كما روى عبادة بن الصامت.ووقع في أولها قوله تعالى: ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾ [المائدة:١]فكانت طالعتها براعة استهلال.

وذكر القرطبي: "أن فيها تسع عشرة فريضة ليست في غيرها،وهي سبع في قوله: ﴿والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع...وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام﴾ [المائدة:٣] ﴿وما علمتم من الجوارح مكلبين﴾ [المائدة:٤] ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب...والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾ [المائدة:٥]،وتمام الطهور: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾ [المائدة:٦] "أي إتمام ما لم يذكر في سورة النساء ﴿والسارق والسارقة﴾ و ﴿لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم إلى قوله عزيز ذو انتقام﴾ [المائدة:٩٥]،و ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ [المائدة:١٠٣]،وقوله تعالى: ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ [المائدة:١٠٦]الآية وقوله: ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة﴾ [المائدة:٥٨]ليس في القرآن ذكر للأذان للصلوات إلا في هذه السورة".اهـ

وقد احتوت على تمييز الحلال من الحرام في المأكولات،وعلى حفظ شعائر الله في الحج والشهر الحرام، والنهي عن بعض المحرمات من عوائد الجاهلية مثل الأزلام،وفيها شرائع الوضوء،والغسل، والتيمم، والأمر بالعدل في الحكم،والأمر بالصدق في الشهادة،وأحكام القصاص في الأنفس والأعضاء،وأحكام الحرابة،وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفاق المنافقين،وتحريم الخمر والميسر،والأيمان وكفارتها،والحكم بين أهل الكتاب،وأصول المعاملة بين المسلمين،وبين أهل الكتاب، وبين المشركين والمنافقين،والخشية من ولايتهم أن تفضي إلى ارتداد المسلم عن دينه،وإبطال العقائد الضالة لأهل الكتابين،وذكر مساو من أعمال اليهود،وإنصاف النصارى فيما لهم من **حسن الأدب** وأنهم أرجى للإسلام وذكر قضية التيه،وأحوال المنافقين،والأمر بتخلق المسلمين بما يناقض أخلاق الضالين في تحريم ما أحل لهم،والتنويه بالكعبة وفضائلها وبركاتها على الناس،وما تخلل ذلك أو تقدمه من العبر،والتذكير للمسلمين بنعم الله تعالى،والتعريض." (١)

"وإن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم. وتقدم في سورة المائدة قوله تعالى ﴿ومن يكفر بالأيمان فقد حبط عمله﴾ [المائدة: ٥].

وظاهر الآية التحذير من حبط جميع الأعمال لأن الجمع المضاف من صيغ العموم ولا يكون حبط جميع الأعمال إلا في حالة الكفر لأن من الأعمال الإيمان فمعنى الآية: أن عدم الاحتراز **من سوء الأدب** مع

---

(١) التحرير والتنوير، ٨/٥

النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذا النهي قد يفضي بفاعله إلى إثم عظيم يأتي على عظيم من صالحاته أو يفضي به إلى الكفر. قال ابن عطية: أي يكون ذلك سببا إلى الوحشة في نفوسكم فلا تزال معتقداتكم تتدرج القهقرى حتى يؤول ذلك إلى الكفر فحبط الأعمال. وأقول: لأن عدم الانتهاء **عن سوء الأدب** مع الرسول صلى الله عليه وسلم يعود النفس بالاسترسال فيه فلا تزال تزداد منه وينقص توفير الرسول صلى الله عليه وسلم من النفس وتتولى من سيء إلى أشد منه حتى يؤول إلى عدم الاكتراث بالتأدب معه وذلك كفر. وهذا معنى ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ لآن المنتقل من سيء إلى أسوأ لا يشعر بأنه آخذ في التملي من السوء بحكم التعود بالشيء قليلا حتى تغمره المعاصي وربما كان آخرها الكفر حين تضرى النفس بالإقدام على ذلك. ويجوز أن يراد حبط بعض الأعمال على أنه عام مراد به الخصوص فيكون المعنى حصول حطيطة في أعمالهم بغلبة عظم ذنب جهرهم له بالقول، وهذا مجمل لا يعلم مقدار الحبط إلا الله تعالى.

ففي قوله ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ تنبيه إلى مزيد الحذر من هذه المهلكات حتى يصير ذلك دربة حتى يصل إلى ما يحبط الأعمال، وليس عدم الشعور كائنا في إتيان الفعل المنهي عنه لأنه لو كان كذلك لكان صاحبه غير مكلف لامتناع تكليف الغافل ونحوه.

[٣] ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾

عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] كان أبو بكر لا يكلم رسول الله إلا كأخي السرار، أي مصاحب السر من الكلام، فأنزل الله تعالى ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ الآية. فهذه الجملة استئناف بياني لأن التحذير الذي في قوله ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ [الحجرات: ٢] الخ يثير في النفس أن يسأل سائل عن ضد حال الذي يرفع صوته.

وافتتاح الكلام بحرف التأكيد للاهتمام بمضمونه من الثناء عليهم وجزاء عملهم،." (١)

" ١٤٤ الآية وذلك على الندب عند مالك ويستوعب الوجه بالمسح وأما اليدان فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين ولفظ الآية محتمل لأنه لم يحد وقد احتج من قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق فيحمل على المقيد وهو تحديدها في الوضوء بالمرفقين الذين أوتوا نصيبا من الكتاب هم اليهود هنا وفي الموضع الثاني قال السهيلي فالموضع الأول نزل في رفاعة بن زيد بن التابوت وفي الثاني نزل في كعب بن الأشرف يشترون الضلالة عبارة عن إيثارهم الكفر على الإيمان فالشراء مجاز كقوله

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٥/٢٦

اشتروا الضلالة بالهدى وفي تكرار قوله كفى بالله مبالغة من الذين هادوا من راجعة إلى الذين أوتوا نصيبا أو إلى أعدائكم فهي بيان وقال الفارسي هي ابتداء كلام تقديره من الذين هادوا قوم وقيل هي متعلقة بنصيرا على قول الفارسي يحرفون الكلم يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى وقيل الكلم هنا التوراة وقيل كلام النبي صلى الله عليه وسلم غير مسمع معناه لا سمعت راعنا ذكر في البقرة سمعنا وأطعنا عوض من قولهم سمعنا وعصينا واسمع عوض من قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا عوض من قولهم راعنا وهو النظر أو الانتظار فهذه الأشياء الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمهم على قولها لما فيها **من سوء الأدب** مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأخر عوضا عن تلك لكان خيرا لهم فإن هذه ليس فيها سوء أدب مصدقا ذكر في البقرة أن نطمس وجوها قال ابن عباس طمسها أن تزال العيون منها وترد في القفا فيكون ذلك ردا على الدبر وقيل طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالأدبار في خلوها عن الحواس أو نلعنهم أي نمسخهم كما مسخ أصحاب السبت وقد ذكر في البقرة أو يكون من اللعن المعروف والضمير يعود على الوجوه والمراد أصحابها أو على الذين أوتوا الكتاب على الالتفات إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن." (١)

" ١٧٣ حبيبه ففي ذلك بشارة لمن أحبه الله وجعلكم ملوكا قيل جعل منكم ملوكا أي أمراء وقيل الملك من له مسكن وامرأة وخادم ما لم يؤت أحدا من العالمين قيل يعني المن والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات وعلى هذا يكون العالمين خاصا بأهل زمانهم لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم وقيل المراد كثرة الأنبياء فعلى هذا يكون عاما لأن الأنبياء في بني إسرائيل أكثر منهم في سائر الأمم الأرض المقدسة أرض بيت المقدس وقيل الطور وقيل دمشق التي كتب الله لكم أي قضى أن تكون لكم ولا ترتدوا على أدباركم يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة والرجوع إلى الطريق الذي جاءوا منه فإنه روي أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر قوما جبارين هم العمالقة قال رجلان هما يوشع وكالب يخافون أي يخافون الله وقيل يخافون الجبارين ولكن الله أنعم عليهما بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما ادخلوا عليهم الباب أي باب المدينة فاذهب أنت وربك إفراط في العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢٦٠/١

لا أملك إلا نفسي وأخي قاله موسى عليه السلام ليتبرأ إلى الله من قول بني إسرائيل ويبذل جهده في طاعة الله ويعتذر إلى الله وإعراب أخي عطف على نفسي لأن أخاه هارون كان يطيعه وقيل عطف على الضمير في لا أملك أي لا أملك أنا إلا نفسي ولا يملك أخي إلا نفسه وقيل مبتدأ وخبره محذوف أي أخي لا يملك إلا نفسه فافرق بيننا أي فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة وقيل افصل بيننا وبينهم بحكم قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة الضمير في قال لله تعالى." (١)

"عليها فاستغفر وأناب فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم وهذا الجواب لا يخفى ما فيه **من سوء الأدب** مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا والإشراق يعني وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفر شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها محشورة أي مجموعة كل له أواب أي كل مسبح لأجل تسبيح داود ويحتمل أن يكون أواب هنا بمعنى رجاع أي ليرجع إلى أمره وآتيناه الحكمة قيل يعني النبوة وقيل العلم والفهم وقيل الزبور وفصل الخطاب قال ابن عباس هو فصل القضاء بين الناس بالحق وقال علي بن أبي طالب هو إيجاب اليمين على المدعى عليه والبينة على المدعي وقيل أراد قول أما بعد فإنه أول من قالها وقال الزمخشري معنى فصل الخطاب البين من الكلام الذي يفهمه من يخاطب به وهذا المعنى اختاره ابن عطية وجعله من قوله تعالى إنه لقول فصل وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها ... ٥٧٥." (٢)

" ٢٢٦ النفاثات بالألف واللام ونكر ما قبله وهو غاسق وما بعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه فالجواب أنه عرف النفاثات ليفيد العموم لأن كل نفاثة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما في بعض دون بعض من شر حاسد أذا حسد الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصى الله بها في السماء والأرض أما في السماء فحسد إبليس لأدم وأما في الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد ثم إن الحسد على درجات الأولى أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣٠٤/١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٤٤٣/٢

هو غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام **الثانية سوء الأدب** مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله الثالثة تألم قلبه من كثرة همه وغمه فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة ولله در القائل (وإني لأرحم حسادي لفرط ما ضمت صدورهم من الأوغار) (نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار) وقال آخر (إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدو) (فدام لي ولهم مابي وما بهم ومات أكثرنا غيظا بما يجد) ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكي كأنه مظلوم ولقد صدق القائل (كل العداوة قد ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسد) وقال حكيم الشعراء (وأظلم خلق الله من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب) قال ابن عطية قال بعض الحذاق هذة السورة خمس آيات وهي مراد الناس." (١)

" صفحة رقم ١٦٩

الاستئناف معظما لها بقوله حكاية عنهم) قالوا أتتخذنا هزوا) أي مكان هزء ومهزوءا بنا حين نسألك عن قتيل فتأمرنا بذبح بقرة ، فجمعوا إلى ما أشير إليه من **إساءتهم سوء الأدب** على من ثبتت رسالته بالمعجزة فرد كلامه كفر ، فذكرهم بما رأوا منه من العلم بالله المنافي للهزء بأن قال) أعوذ بالله) أي أعتصم بمن لا كفوء له من) أن أكون من الجاهلين (فإنه لا يستهزئ إلا جاهل ، والعوذ اللجاء من متخوف لكاف يكفيه ، والجهل التقدم في الأمور المنبهمة بغير علم – قاله الحرالي .

) قالوا (تماديا في الغلظة) ادع لنا ربك) أي المحسن إليك فكان تخصيصهم له بالإضافة غاية في الجفاء (يبين) من التبيين وهو اقتطاع الشيء ، والمعنى مما يلابسه ويداخله – قاله الحرالي .

والمراد المبالغة في البيان بما يفهمه صيغة التفعيل (لنا ما هي) تلك البقرة (قال إنه يقول) .

ولما كانوا يتعنتون أكد فقال) إنها بقرة لا فارض) أي مسنة فرضت سنها أي قطعتها) ولا بكر) أي فتية صغيرة) عوان) أي نصف وهو خبر مبتدأ محذوف ، وبين هذا الخبر بقوله) بين ذلك) أي سني الفارض والبكر) فافعلوا ما تؤمرون (فإن الاعتراض على من يجب التسليم له كفر فلم يفعلوا بل سألوا بيان اللون بعد بيان السن بأن) قالوا ادع لنا ربك (تماديا في الجفاء بعدم الاعتراف بالإحسان) يبين لنا ما لونها (بعد بيان سنها ، واللون تكيف ظاهر الأشياء في العين – قاله الحرالي .

) قال (وأكد لما مضى من تلددهم فقال) إنه يقول (وأكد إشارة إلى مزيد تعنتهم فقال) إنها بقرة صفراء

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣٧٧/٣

(وأكد شدة صفرتها بالعدول عن فاقعة إلى قوله معبرا باللون) فاقع لونها) أي خالص في صفرته .

قال الحرالي : نعت تخليص للون الأصفر بمنزلة قانئ في الأحمر فهي إذن متوسطة اللون بين الأسود والأبيض كما كانت متوسطة السن ،) تسر الناظرين) أي تبهج نفوسهم بأنك إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها - قاله وهب) قالوا ادع لنا ربك (المحسن إليك بالإجابة في كل ما سألته) يبين لنا ما هي (ثم عللوا تكريرهم لذلك بقولهم) إن البقر) أي الموصوف بما قدمته) تشابه) أي وقع تشابهه) علينا (وذكر الفعل لأن كل جمع حروفه أقل من حروف واحدة فإن العرب تذكره نقل عن سيبويه ؛ ثم أدركتهم العناية فقالوا) وإنا إن شاء الله) أي الذي له صفات الكمال وأكدوا لما أوجب توقفهم من ظن عنادهم وقدموا التبرك بالمشية لذلك على خبر إن) لمهتدون) أي إلى المراد فتبركوا بما لا تكون بركة إلا به قال إنه يقول إنها) أي هذه البقرة التي أطلتم التعنت في أمرها) بقرة لا ذلول (من الذل وهو حسن الانقياد -." [1]

" صفحة رقم ٣٩١

ولما كان الصبر والأفعال المرضية عزيزة في العباد لا تكاد توجد فلا يكاد يصدق بها ، علل سبحانه هذا الإكرام له (صلى الله عليه وسلم) وأكده ، فقال على سبيل الاستنتاج مما تقدم ردا على من يظن أن الشكوى إليه تنافي الصبر ، وإشارة إلى أن السر في التذكير به التأسي في الصبر : (إنا) أي على ما لنا من العظمة) وجدناه) أي في عالم الشهادة طبق ما كان لنا في عالم الغيب ليتجدد للناس من العلم بذلك ما كنا به عالمين ، ولما كان السياق للحث على مطلق الصبر في قوله

٧٧ ( ) واصبر على ما يقولون ( ) ٧

[المزمل : ١٠] أتى باسم الفاعل مجردا على مبالغة فقال : (صابرا (ثم استأنف قوله : (نعم العبد (ثم علل بقوله مؤكدا لئلا يظن أن بلاءه قادح في ذلك : (إنه أواب) أي رجاع بكليته إلى الله سبحانه على خلاف ما يدعو إليه طبع البشر ، قال الرازي في اللوامع : قال ابن عطاء : واقف معنا **بحسن الأدب** لا يغيره دوام النعمة ، ولا يزعجه تواتر البلاء والمحنة ، روى عبد بن حميد في مسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : وضع رجل يده على النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) (إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر ، إن كان النبي من الأنبياء ليبتلي بالقمل حتى يقتله وإن كان النبي من الأنبياء ليبتلي بالفقر حتى

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٦٩/١

يأخذ العباة فيحويها وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء) .

ولما ذكر سبحانه من ابتلاه في بدنه وماله وولده ثم جعل له الماء بردا وسلاما وعافية ونظاما وشفاء وقواما ، عطف عليه من ابتلاه بالنار على أيدي الجبابرة فجعلها عليه بردا وسلاما باعتماده عليه وصبره لديه ، ونجاه من كيدهم ، وجعل أيده بمفرده فوق أيدهم ، قم ابتلاه بالهجرة لوطنه وأهله وعشيرته وسكنه ، ثم بذبح ابنه ، فصبر على ذلك كله ، اعتمادا على فضل الله ومنة فقال : (واذكر عبدنا (بالتوحيد في رواية ابن كثير للجنس أو لإبراهيم وحده عليه السلام لأنه أصل من عطف عليه دينا وأبوة ، فبين الله أساس عطفه عليه في المدح بالعبودية أيضا ، ثم بين المراد بقوله : (إبراهيم (وعطف على العبد لا على مبينه لئلا يلزم بيان واحد بجماعة إذا أريد به إبراهيم وحده لا الجنس ابنه لصبره على دينه في الغربة بين عباد الأوثان ومباعدي الإيمان ، فلم يلفت لفتهم ولا داناهم ، بل أرسل إلى أقاربه في بلاد الشرق ، فتزوج منه من وافقته على دينه الحق ، واستمر على إخلاص العبادة لا يأخذه في الله لومة لائم إلى أن مضى لسبيله فقال : (وإسحاق (ثم أتبعه ولده الذي قفا أثره ، وصبر صبره ، وابتلى ولده ، وبهجة كبده ، ." (١)

" صفحة رقم ٤٩٥

الحزن في قلوب) الذين آمنوا) أي يتوهمهم أنهم بسبب شيء وقع ما يؤذيهم ، والحزن : هم غليظ وتوجع يرق له القلب ، حزنه وأحزنه بمعنى ، وقال في القاموس : أو أحزنه : جعله حزينا ، وحزنه : جعل فيه حزنا .

فعلى هذا قراءة نافع من أحزن أشد في المعنى من قراءة الجماعة .

ولما كان ربما خيل هذا من في قلبه مرض أن في يد الشيطان شيئا من الأشياء ، سلب ذلك بقوله : (وليس) أي الشيطان وما حمل عليه من التناجي ، وأكد النفي بالجار فقال : (بضارهم) أي الذين آمنوا) شيئا (من الضرر وإن قل وإن خفي - بما أفهمه الإدغام) إلا بإذن الله) أي تمكين الملك المحيط بكل شيء علما وقدرة ، روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه) ولما كان التقدير : فقد علم أنه لا يخشى أحد غير اللہ لأنه لا ينفذ إلا ما أراده ، فإياها فليخش المربوبون ، عطف عليه قوله : (وعلى الله) أي الملك الذي لا كفوء له ، لا على أحد غيره) فليتوكل المؤمنون) أي الراسخون في الإيمان في جميع أمورهم ، فإنه القادر وحده على إصلاحها وإفسادها ، ولا يحزنوا من أحد أن يكيدهم بسره ولا

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٩١/٦

بجهره ، فإنه إذا توكلوا عليه وفوضوا أمورهم إليه ، لم يأذن في حزنهم ، وإن لم يفعلوا أحزنهم ، وخص الراسخين لإمكان ذلك منهم في العادة ، وأما أصحاب البدايات فلا يكون ذلك منهم إلا خرق عادة .

المجادلة : (١١ - ١٢) يا أيها الذين. .. . .

) يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن اللہ غفور رحيم)

ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس بالمقال فينشأ عنه ظن الكدر وتباعد القلوب ، أتبعه الاختصاص بالمجلس الذي هو بماعدة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر في الكلام فينشأ عنه الحزن ، معلما لهم بكمال رحمته وتمام رأفته بمراعاة **حسن الأدب** بينهم وإن اكن من أمور العادة دون أحكام العبادة ، فقال مخاطبا لأهل الدرجة الدنيا في الإيمان لأنهم المحتاجون لمثل هذا الأدب : (يا أيها الذين آمنوا (حداهم بهذا الوصف على الامتثال) إذا قيل لكم) أي من أي قائل كان فإن الخير يرغب فيه لذاته : (تفسحوا) أي توسعوا أي كلفوا أنفسكم في إيساع المواضع) وفي المجلس) أي الجلوس أو مكانه لأجل من يأتي فلا يجد مجلسا .." [1]

"فلذلك صرفت وهذه نذارة من نوح لقومه دعاهم إلى عبادة الله وحده ورفض آلهتهم المسماة ودا وسواعا ويغوث ويعوق وغيرها مما لم يشتهر وقرأ الكسائي وحده غيره بالكسر من الراء على النعت ل " إله " وهي قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وأبي جعفر وقرأ الباقون غيره بالرفع وقرأ حمزة والكسائي هل من خالق غير الله خفضا وقرأ الباقون غير الله رفعا والرفع في قراءة الجماعة هنا على البدل من قوله " من إله " لأن موضع قوله " من إله " رفع وهو الذي رجح الفارسي ويجوز أن يكون نعتا على الموضع لأن التقرير ما لكم إله غيره أو يقدر غير ب إلا فيعرب بإعراب ما يقع بعد إلا وقرأ عيسى بن عمر غيره بنصب الراء على الاستثناء قال أبو حاتم وذلك ضعيف من أجل النفي المتقدم وقوله " عذاب " يحتمل أن يريد به عذاب الدنيا ويحتمل أن يريد به عذاب الآخرة

و " الملأ " الجماعة الشريفة قال الطبري لا امرأة فيهم وحكاه النقاش عن ثعلب في الملأ والرهط والنفر والقوم وقيل هم مأخوذون من أنهم يملؤون النفس والعين ويحتمل أن يكون من أنهم إذا تمالؤوا على أمر تم وقال سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري عند قفول رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر إنما قتلنا

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٩٥/٧

عجائز صلعا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (أولئك الملأ من قريش لو حضرت أفعالهم لاحتقرت فعلك)

والملأ صفة غالبة وجمعه أملاء وليس من باب رهط وإن كانا اسمين للجمع لأن رهط لا واحد له من لفظه وملأ يوجد من لفظه مالىء قال أحمد بن يحيى المالىء الرجل الجليل الذي يملأ العين بجهرته فيجيء كعازب وخادم ورائح فإن أسماء جموعها عرب وخدم وروح وإن كانت اللفظة من تمالأ القوم على كذا فهي مفارقة باب رهط ومنه قول علي رضي الله عنه ما قتلت عثمان ولا مالأت في دمه وقال ابن عباس الملؤ بواو وكذلك هي في مصاحف الشام وقولهم لنراك يحتمل أن يجعل من رؤية البصر ويحتمل من رؤية القلب وهو الأظهر و " في ضلال " أي في إتلاف وجهالة

بما تسلك

وقوله لهم جوابا عن هذا " ليس بي ضلالة " مبالغة في **حسن الأدب** والإعراض عن الجفاء منهم وتناول رفيق وسعة صدر حسبما يقتضيه خلق النبوة وقوله " ولكني رسول " تعرض لمن يريد النظر والبحث والتأمل في المعجزة

قال القاضي أبو محمد ونقدر ولا بد أن نوحا عليه السلام وكل نبي مبعوث إلى الخلق كانت له معجزة تخرق العادة فمنهم من عرفنا بمعجزته ومنهم من لم نعرف

وقرأ السبعة سوى أبي عمرو أبلغكم بشد اللام وفتح الباء بسكون الباء وتخفيف اللام وقوله صلى الله عليه وسلم " وأعلم من الله ما لا تعلمون " وإن كان لفظا عاما في كل ما علمه فالمقصود منه هنا المعلومات المخوفات عليهم لا سيما وهم لم يسمعوا قط بأمة عذبت فاللفظ مضمن الوعيد

". (١)

"قال القاضي أبو محمد ولا يصح المعنى على هذا بأن يجعل " قل " مختصة بهذه الألفاظ على معنى أن يقول لهم النبي قولوا التي هي أحسن وإنما يصح بأن يكون " قل " أمرا بالمحاورة في هذا المعنى بما أمكن من الألفاظ كأنه قال بين لعبادي فتكون ثمرة ذلك القول والبيان قولهم " التي هي أحسن " وهذا المعنى يجوزه مذهب سيبويه الذي قدمنا ومذهب أبي العباس المبرد أن " يقولوا " جواب لأمر محذوف تقديره وقل لعبادي قولوا التي هي أحسن يقولوا فحذف وطوي الكلام ومذهب الزجاج أن " يقولوا " جزم بالأمر بتقدير " قل لعبادي " ليقولوا فحذفت اللام لتقدم الأمر وحكى أبو علي في الحلبيات في تضاعيف

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤٨٢/٢

كلامه أن مذهب أبي عثمان المازني في " يقولوا " أنه فعل مبني لأنه مضارع حل محل المبني الذي هو فعل الأمر لأن المعنى " قل لعبادي " قولوا واختلف الناس في " التي هي أحسن " فقالت فرقة هي لا إله إلا الله ويلزم على هذا أن يكون قوله " لعبادي " يريد به جميع الخلق لأن جميعهم مدعو إلى لا إله إلا الله .

ويجيء قوله بعد ذلك " إن الشيطان ينزع بينهم " غير مناسب للمعنى إلا على تكره بأن يجعل " بينهم " بمعنى خلالهم وأثناءهم ويجعل النزع بمعنى الوسوسة والإضلال وقال الجمهور " التي هي أحسن " هي المحاورة الحسنى بحسب معنى قال الحسن يقول يغفر الله لك يرحمك الله وقوله " لعبادي " خاص بالمؤمنين فكأن الآية بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم وكونوا عباد الله إخوانا ثم اختلفوا فقالت فرقة أمر الله المؤمنين فيما بينهم **بحسن الأدب** وخفض الجناح وإلانة القول واطراح نزغات الشيطان وقالت فرقة إنما أمر الله في هذه الآية المؤمنين بالانة القول للمشركين بمكة أيام المهادنة وسبب الآية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه بعض الكفرة فسبه عمر وهم بقتله فكاد أن يثير فتنة فنزلت الآية وهي منسوخة بآية السيف وقرأ الجمهور ينزغ

". (١)

"ومنه قول الأعشى

(وقد أخالس رب البيت غفلته

وقد يحاذر مني ثم ما يئل) " البسيط "

ثم عقب تعالى توعدهم بذكر الأمثلة من القرى التي نزل بها ما توعد هؤلاء بمثله وفي قوله " وتلك القرى " حذف مضاف تقديره " وتلك " أهل " القرى " يدل على ذلك قوله " أهلكناهم " فرد الضمير على أهل القرى و " القرى " المدن وهذه الإشارة إلى عاد وثمود ومدين وغيرهم .

" وتلك " ابتداء و "

القرى " صفته و " أهلكناهم " خبر ويصح أن يكون " تلك " منصوبا بفعل يدل عليه " أهلكناهم " .

وقرأ الجمهور لمهلكهم بضم الميم وفتح اللام من أهلك ومفعل في مثل هذا يكون لزمن الشيء ولمكانه ويكون مصدرا فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول وقرأ عاصم في رواية أبي بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام وقرأ في رواية حفص لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام وهو مصدر من هلك وهو في مشهور اللغة

---

(١) المحرر الوجيز ، ٣/٤٧٩

غير متعد فالمصدر على هذا مضاف إلى الفاعل لأنه بمعنى وجعلنا لأن هلكوا موعدا

٥٢٧

وقالت فرقة إن هلك يتعدى تقول أهلكت الرجل وهلكته بمعنى واحد وأنشد أبو علي في ذلك

(ومهمه هالك من تعرجا

) " الرجز "

فعلى هذا يكون المصدر في كل وجه مضافا إلى المفعول وقوله " وإذ قال موسى " الآية ابتداء قصة ليست من الكلام الأول المعنى اذكر واتل و " موسى " هو موسى بن عمران بمقتضى الأحاديث والتواريخ وبظاهر القرآن إذ ليس في القرآن موسى غير واحد وهو ابن عمران ولو كان في هذه الآية غيره لبينه وقالت فرقة منها نوف البكالي أنه ليس موسى بن عمران وهو موسى بن مشني ويقال ابن منسي وأما فتاه فعلى قول من قال موسى بن عمران فهو يوشع بن نون بن إفراييل بن يوسف بن يعقوب وأما من قال هو موسى بن مشني فليس الفتى يوشع بن نون ولكنه قول غير صحيح رده ابن عباس وغيره والفتي في كلام العرب الشاب ولما كان الخدمة أكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة **حسن الأدب** وندبت الشريعة إلى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي فهذا ندب إلى التواضع والفتى في الآية هو الخادم ويوشع بن نون يقال هو ابن أخت موسى عليه السلام وسبب هذه القصة فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى جلس يوما في مجلس لبني إسرائيل وخطب فأبلغ فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك قال لا فأوحى الله إليه بلى عبدنا خضر فقال يا رب دلني على السبيل إلى لقيه فأوحى الله إليه أن يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ " مجمع البحرين " فإذا فقدت الحوت فإنه هنالك وأمر أن يتزود حوتا ويرتقب زواله عنه ففعل موسى ذلك وقال لفتاه على جهة إمضاء العزيمة " لا أبرح " أسير أي لا أزال وإنما قال هذه المقالة وهو سائر ومن هذا قول الفرزدق

". (١)

"هذه مخاطبة المستنزل المبالغ في **حسن الأدب** المعنى هل يتفق لك ويخف عليك وهذا كما في الحديث هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وعلى بعض التأويلات يجيء كذلك قوله " هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة " وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم رشدا بضم الراء والشين وقرأ أبو عمرو رشدا بفتح الراء والشين ونصبه على وجهين أحدهما أن يكون مفعولا ثانيا ب "

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٥٣/٣

تعلمني " والآخر أن يكون حالا من الضمير في قوله " أتبعك " ثم قال الخضر " إنك لن تستطيع معي صبرا " أي إنك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من عملي لأن الظواهر التي علمك لا تعطيه " وكيف تصبر على " ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب فقرب له موسى الأمر بوعده أنه سيجده ثم استثنى حين حكم على نفسه بأمر فقوى الخضر وصاته وأمره بالإمساك عن السؤال والإكنان لما يراه حتى يبتدئه الخضر لشرح ما يجب شرحه ،وقرأ نافع فلا تسألني بفتح اللام وتشديد النون وإثبات الياء وقرأ ابن عامر كذلك إلا أنه حذف الباء فقال تسألن وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي تسألني بسكون اللام وثبوت الياء وقرأ الجمهور خبرا بسكون الباء

وقرأ الأعرج خبرا بضمها وقوله " فانطلقا " روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة فعرف الخضر فحملا بغير قول إلى مقصد أمه الخضر وعرفت " السفينة " بالألف واللام تعريف الجنس لا لعهد عينها فلما ركبا عمد الخضر إلى وتد فجعل يضرب في جنب السفينة حتى قلع به فيما روي لوحين من ألواحها فذلك هو معنى " خرقها " فلما

٥٣١

رأى ذلك موسى غلبه ظاهر الأمر على الكلام حين رأى فعلا يؤدي إلى غرفة جميع من في السفينة فوقفه بقوله " أخرقتها " وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم لتغرق أهلها بالتاء وقرأ أبو رجاء لتغرق بشد الراء ،فتح الغين وقرأ حمزة والكسائي ليغرق أهلها برفع الأهل وإسناد الفعل إليهم والإمر الشنيع من الأمور كالداهية والإد ونحوه ومنه أمر إمر ابن أبي كبشة ومنه أمر القوم إذ كثروا وقال مجاهد (الإمر) المنكر .

." (١)

"الباقون يفقهون من فقه والضمير في " قالوا " للقوم الذين من دون السدين و " يأجوج ومأجوج " قبيلتان من بني آدم لكنهم ينقسمون أنواعا كثيرة اختلف الناس في عددها فاختصرت ذكره لعدم الصحة وفي خلقهم تشويه منهم المفرط الطول ومنهم مفرط القصر على قدر الشبر وأقل وأكثر ومنهم صنف عظام الآذان الأذن الواحدة وبرة والأخرى زعرى يصيف بالواحدة ويشتو في الأخرى وهي تعمه واختلفت القراءة فقرأ عاصم وحده يأجوج ومأجوج بالهمز وقرأ الباقون ياجوج وماجوج بغير همز فأما من همز فاختلف فقالت فرقة هو اعجمي علتاه في منع الصرف العجمة والتأنيث وقالت فرقة هو معرب من أحج وأج علتاه في منع

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٥٨/٣

الصرف التعريف والتأنيث وأما من لم يهمز فإما أن يراهما اسمين أعجميين وإما أن يسهل من الهمز وقرأ رؤبة بن العجاج آجوج ومأجوج بهمزة بدل الياء واختلف الناس في إفسادهم الذي وصفوهم به فقال سعيد بن عبد العزيز إفسادهم أكل بني آدم وقالت فرقة إفسادهم إنما عندهم توقعا أي سيفسدون فطلبوا وجه التحرز منهم وقالت فرقة إفسادهم هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر وهذا أظهر الأقوال لأن الطائفة الشاكية إنما تشكت من ضرر قد نالها وقولهم " فهل نجعل لك خرجا " استفهام على جهة **حسن الأدب** والخرج المجبي وهو الخراج وقال قوم الخرج المال يخرج مرة والخراج المجبي المتكرر فعرضوا عليه ان يجمعوا له أموالا يقيم بها أمر السد قال ابن عباس " خرجا " أجرا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم خرجا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وهي قراءة طلحة بن مصرف والأعمش والحسن بخلاف عنه وروي في أمر " يأجوج ومأجوج " أن أرزاقهم هي من التنين يمطرونها ونحو هذا مما لم يصح وروي أيضا أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف والأنثى لا تموت حتى تخرج من بطنها ألف فهم لذلك إذا بلغوا العدد ماتوا ويروى أنهم يتناكحون في الطرق كالبهائم وأخبارهم تضيق بها الصحف فاختصرتها لضعف صحتها وقوله "

". (١)

"هذه القصة تضمنت الإعلام بغيب والإيمان بما قطع أن محمدا عليه السلام لم يكن يعرفه ثم ظهر على لسانه في ذلك ما في الكتب المتقدمة وليست هذه الآية مثالا لقريش إلا في أمر الأصنام فقط لأنه ليس فيها تكذيب وعذاب وقول إبراهيم عليه السلام " ما تعبدون " استفهام بمعنى التقرير والصنم ما كان من الأوثان على صورة ابن آدم من حجر أو عود أو غير ذلك ونظل عرفها في فعل للشيء نهارا وبات عرفها في فعله ليلا وطفق عامة للوجهين ولكن قد تجيء ظل بمعنى العموم وهذا الموضع من ذلك والعكوف اللزوم ومنه المعتكف ومنه قول الراجز عكف النبيط يلعبون الفنزجا ثم أخذ إبراهيم عليه السلام يوقفهم على أشياء يشهد العقل أنها بعيدة من صفات الله وقرأ الجمهور بفتح الياء من يسمعونكم وقرأ قتادة بضمها من أسمع وبكسر الميم والمفعول على هذه القراءة محذوف وقرأ جماعة من القراء " إذ تدعون " بإظهار الذال والتاء وقرأ الجمهور " إذ تدعون " بإدغام الذال في التاء بعد القلب ويجوز فيه قياس مذكر ولم يقرأ به وطرد القياس أن يكون اللفظ به إذ ددعون والذي منع من هذا اللفظ اتصال الدال الأصلية بالفعل فكثرت المماثلات وقولهم بل " وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " أقبح وجوه التقليد لأنه على ضلالة وفي أمر بين

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٧٣/٣

خلافه وعظيم قدره فلما صرحوا لإبراهيم عليه السلام عن عدم نظرهم وأنه لا حجة لهم خاطبهم ببراءته من جميع ما عبد من دون الله وعداوته لذلك وعبر عن بغضته واطراحه لكل معبود سوى الله تعالى بالعداوة إذ هي تقتضي التغيير ومحو الرسم وقيل في الكلام قلب لأن الاصنام لا تعادي وإنما هو عاداها وقوله " إلا رب العالمين " قالت فرقة هو استثناء متصل لأن في بغضته الأقدمين من قد عبد الله وقالت فرقة هو استثناء منقطع لأنه إنما اراد عبادة الأوثان من كل قرن منهم ولفظه " عدو " تقع للجميع والمفرد والمؤنث والمذكر

.

قوله عز وجل

سورة الشعراء ٧٨٨٧

أتى إبراهيم عليه السلام في

هذه الأوصاف التي وصف الله عز وجل بها بالصفات التي المتصف بها يستحق الألوهية وهي الأوصاف الفعلية التي تخص البشر ومنها يجب أن يفهم ربه عز وجل وهذا **حسن الأدب**

٢٣٥

". (١)

"في العبارة والكل من عند الله تعالى وقوله " يطعمني ويسقين " تعديد للنعمة في الرزق وقال أبو بكر الوراق في كتاب الثعلبي يطعمني بلا طعام ويسقيني بلا شراب كما قال النبي عليه السلام وإني ابيت عند ربي يطعمني ويسقين وأسند إبراهيم المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله عز وجل وهذا **حسن الأدب** في العبارة والكل من عند الله تعالى وهذا كقول الخضر عليه السلام فأردت أن أعيبها وقال جعفر الصادق إذا مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة وقرأ الجمهور هذه الأفعال يهدين بغير ياء وقرأ نافع وابن أبي إسحاق يهدين وكذلك ما بعده وأوقف عليه السلام نفسه على الطمع في المغفرة وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلته وقوله " خطيئتي " ذهب فيه أكثر المفسرين إلى أنه أراد كذباته الثلاث قوله هي أختي في شأن سارة وقوله " إني سقيم " وقوله " بل فعله كبيرهم " وقالت فرقة أراد ب " الخطيئة " اسم الجنس فدعا في كل أمره من غير تعيين .

قال القاضي أبو محمد وهذا أظهر عندي لأن تلك الثلاث قد خرجها كثير من العلماء على المعارض وهي وإن كانت كذبات بحكم قول النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات وبحكم ما في

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢٨٢/٤

حديث الشفاعة من قوله في شأن إبراهيم نفسي نفسي فهي في مصالح وعون شرع وحق وقرأ الجمهور خطيئتي بالإفراد وقرأ الحسن خطاياي بالجمع والحكم الذي دعا فيه إبراهيم هو الحكمة والنبوة ودعاء إبراهيم في مثل هذا هو في معنى التثبيت والدوام ولسان الصدق في الآخرين هو الثناء وخلد المكانة بإجماع من المفسرين وكذلك أجاب الله دعوته فكل ملة تتمسك به وتعظمه وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم قال مكي وقيل معنى سؤاله أن يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق فأجيبت الدعوة في محمد صلى الله عليه وسلم

قال القاضي أبو محمد وهذا معنى حسن إلا أن لفظ الآية لا يعطيه إلا بتحكم على اللفظ واستغفاره لآبيه في هذه الآية هو قبل أن تبين له

بموته على الكفر أنه عدو لله أي محتوم عليه وهو عن الموعدة المذكورة في غير هذه الآية وفي قرءاة أبي بن كعب واغفر لي ولأبوي إنهما كانا من الضالين .

قوله عز وجل

سورة الشعراء ٨٨٩٥

" يوم " بدل من الأولى في قوله " يوم يبعثون " والمعنى يوم لا ينفع إعلاق بالدنيا ومحاسنها فقصد من ذلك العظم والأكثر لأن المال والبنين هي زينة الحياة الدنيا وقوله " بقلب سليم " معناه خالص من الشرك والمعاصي وعلق الدنيا المتروكة وإن كانت مباحة كالمال والبنين قال سفيان هو الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيء غيره .

قال القاضي أبو محمد وهذا يقتضي عموم اللفظة ولكن السليم من الشرك هو الأهم وقال الجنيد .

٢٣٦

." (١)

"وقرأ نافع فألقه بكسر الهاء وفرقة فألقه بضمها وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي بإشباع ياء بعد الكسرة في الهاء وروى عنه ورش بياء بعد الهاء في الوصل وقرأ قوم بإشباع واو بعد الضمة وقرأ البزي عن أبي عمرو وعاصم وحمزة فألقه بسكون الهاء وروي عن وهب بن منبه في قصص هذه الآية أن الهدهد وصل فألفى دون هذه الملكة حجب جدرات فعمد إلكوة كانت بلقيس صنعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها إياها فدخل منها ورمى الكتاب على بلقيس وهي فيما يروي نائمة فلما انتبهت وجدته فراعها

---

(١) المحرر الوجيز ، ٤/٢٨٣

وظنت أنه قد دخل عليها أحد ثم قامت فوجدت حالها كما عهدته فنظرت إلى الكوة

٢٥٨

تهمما بأمر الشمس فرأت الهدهد فعلمت أمره ثم جمعت أهل ملكها وعليه قومها فخاطبتهم بما يأتي بعد

.

قوله عز وجل

سورة النمل٢٩ ٣٤

في هذا الموضع اختصار لما يدل ظاهر القول عليه تقديره فألقى الكتاب وقرأته وجمعت له أهل ملكها و " الملأ " اشراف الناس الذين ينوبون مناب الجميع ووصفت الكتاب بالكرم إما لأنه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم فعظمته إجلالا لسليمان وهذا قول ابن زيد وإما أنها أشارت إلى أنه مطبوع عليه بالخاتم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كرم الكتاب ختمه وإما إن أرادت أنه بدىء " بسم الله " ف "كريم " ضد أجذم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام لم يبدأ باسم الله تعالى فهو أجذم ثم أخذت تصف لهم ما في الكتاب فيحتمل اللفظ أنه نص الكتاب موجزا بليغا وكذلك كتب الأنبياء وقدم فيه العنوان وهي عادة الناس على وجه الدهر ثم سمى الله تعالى ثم أمرهم بأن لا يعلوا عليه طغيانا وكفرا وأن يأتوه " مسلمين " ويحتمل أنها قصدت إلى اقتضاب معانيه دون ترتيبه فأعلمتهم " أنه من سليمان " وأن معنى ما فيه كذا وكذا وقرأ ابي وأن بسم الله بفتح الهمز وتخفيف النون وحذف الهاء وقرأ ابن أبي عبلة أنه من وأنه بفتح الهمزة فيهما وفي قراءة عبد الله وأنه من سليمان بزيادة و " بسم الله الرحمن الرحيم " استفتاح شريف بارع المعنى معبر عنه بكل لغة وفي كل شرع و " أن " في قوله تعالى " أن لا تعلوا علي " يحتمل أن تكون رفعا على البدل من "كتاب " أو نصبا على معنى بأن لا تعلوا أو مفسرة بمنزلة أي قاله سيبويه وقرأ وهب بن منبه أن لا تغلوا بالغين منقوطة قال أبو الفتح رواها وهب عن ابن عباس وهي قراءة الأشهب العقيلي ذكرها الثعلبي ثم أخذت في **حسن الأدب** مع رجالها ومشاورتهم في أمرها وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل أمر فكيف في هذه النازلة الكبرى فراجعها الملأ بما يقر عينها من إعلامهم إياها بالقوة والبأس أي وذلك مبذول." (١)

"قال السدي المعنى نحن حفظتكم في الدنيا واولياؤكم في الآخرة والضمير في قوله " فيها " عائد على الاخرة و " تدعون " معناه تطلبون و " نزلا " نصب على المصدر

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤/٣٠٧

وقراءة الجمهور بضم الواو وقرأ أبو حيوة بإسكانها

وقوله تعالى " ومن احسن قولا " الآية ابتداء توصية محمد عليه السلام وهو

لفظ يعم كل من دعا قديما وحديثا الى الله تعالى والى طاعته من الأنبياء والمؤمنين والمعنى لا احد احسن قولا ممن هذه حاله والى العموم ذهب الحسن ومقاتل وجماعة وبين ان حالة محمد عليه السلام كانت كذلك مبرزة إلى تخصيصه بالآية ذهب السدي وابن زيد وابن سيرين

وقال قيس بن أبي حازم وعائشة ام المؤمنين وعكرمة نزلت هذه الآية في المؤذنين

قال قيس " وعمل صالحا " هو الصلاة بين الآذان والإقامة

وذكر النقاش

١٦

ذلك عن ابن عباس ومعنى القول بأنها في المؤذنين انهم داخلون فيها واما نزولها فبمكة بلا خلاف ولم يكن بمكة آذان و إنما ترتب بالمدينة وان الآذان لمن الدعاء الى الله تعالى ولكنه جزء منه

والدعاء إالى الله بقوة كجهاد الكفار وردع الطغاة وكف الظلمة وغيره أعظم غناء من تولي الاذان إذ لا مشقة فيه والأصوب ان يعتقد ان الآية نزلت عامة

قال زيد بن علي المعنى دعا إلى الله بالسيف

وقرأ الجمهور (إنني) بنونين

وقرأ ابن أبي عبلة (إني) بنون واحدة

وقال فضيل بن رفيدة كنت مؤذنا في أصحاب ابن مسعود فقال لي عاصم بن هبيرة إذا أكملت الآذان فقل " إنني من المسلمين " ثم تلا هذه الآية

ثم وعظ تعالى نبيه عليه السلام ونبهه على أحسن مخاطبة فقرر ان الحسنة والسيئة لا تستوي أي فالحسنة أفضل وكرر في قوله " ولا السيئة " تاكيدا ليدل على أن المراد ولا تستوي الحسنة والسيئة ولا السيئة والحسنة فحذف اختصارا ودلت " لا " على هذا الحذف

وقوله تعالى " ادفع بالتي هي أحسن " آية جمعت مكارم الأخلاق وانواع الحلم والمعنى ادفع امورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعلة او بالسيرة التي هي أحسن السير والفعلات فمن ذلك بذل السلام **وحسن الأدب** وكظم الغيظ والسماحة في القضاء والاقتضاء وغير ذلك

قال ابن عباس إذا فعل المؤمن هذه الفضائل عصمه الله من الشيطان وخضع له عدوه وفسر مجاهد وعطاء

هذه الآية بالسلام عند اللقاء ولا شك ان السلام هو مبدأ الدفع بالتي هي أحسن وهو جزء منه ثم قال تعالى "كأنه ولي حميم " فدخل كاف التشبيه لأن الذي عنده عداوة لا يعود وليا حميما وإنما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي الحميم

والحميم هو القريب الذي يحتم للإنسان

والضمير في قوله " يلقاها " عائد عل هذه الخلق التي يتضمنها قوله " ادفع بالتي هي أحسن "

وقالت فرقه المراد ومايلقى لا إله إلا الله وهذا تفسير لا يقتضيه اللفظ

." (١)

"كان امر عبد الله بن أبي ابن سلول انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فبلغ الناس الى ماء سبق اليه المهاجرون وكانهم غلبوا الأنصار عليه بعض الغلبة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه قد كنت قلت لكم في هؤلاء الجلابيب ما قلت فلم تسمعوا مني وكان المنافقون ومن لا يتحرى يسمى المهاجرين الجلابيب ومنه قول حسان بن ثابت

(أرى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا

وابن القريعة امسى بيضة البلد) " البسيط "

فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أتحض علينا يا حسان) ثم إن الجهجاه الغفاري كان اجيرا لعمر بن الخطاب ورد الماء بفرس لعمر فازدحم هو وسنان بن وبرة الجهني وكان حليفا للأوس فكسع الجهجاه سنانا فغضب سنان فتأثروا ودعا الجهجاه يا للمهاجرين ودعا سنان يا للأنصار فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (ما بال دعوى الجاهلية) فلما أخبر بالقصة قال (دعوها فانها منتنة)

واجتمع في الأمر عبد الله بن أبي في قوم من المنافقين وكان معهم زيد بن أرقم فتى صغيرا لم يتحفظ منه فقال عبد الله بن أبي او قد تداعوا علينا فوالله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك وقال لهم " لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل " وقال لهم إنما يقيم هؤلاء المهاجرون مع محمد بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا فذهب زيد بن أرقم الى عمه وكان في حجره وأخبره فأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا زيد غضبت على الرجل او لعلك وهمت) فأقسم زيد ما كان شيء من ذلك ولقد سمع من عبد الله بن أبي ما حكى فعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي عند رجال من الأنصار

---

(١) المحرر الوجيز ، ٥/١٥

فبلغه ذلك فجاء وحلف ما قال وكذب زيدا وحلف معه قوم من المنافقين فكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا وصدق عبد الله بن أبي فبقي زيد في منزله لا يتصرف حياء من الناس

٣١٤

فنزلت هذه السورة عند ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيد وقال له (لقد صدقك الله يا زيد ووفت أذنك) فخزي عند ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول ومقته الناس ولامه المؤمنون من قومه وقال بعضهم امض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترف بذنبك يستغفر لك فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأي وقال لهم لقد أشرتم علي بأن أعطي زكاة من مالي ففعلت ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد قال القاضي أبو محمد فهذا هو قصص هذه السورة موجزا و (تعال) نداء يقتضي لفظه انه دعاء الأعلى للأسفل ثم استعمل لكل داع لما فيه من **حسن الأدب**

". (١)

" صفحة رقم ٤٥٢

والصداع ، والقيء ، والبول ، وقد ذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال .

) وحور عين (والحور البيض سمين لبياضهن ، وفي العين وجهان :

أحدهما : أنهن كبار الأعين ، كما قال الشاعر :

إذا كبرت عيون من النساء

ومن غير النساء فهن عين

الثاني : أنهن اللاتي سواد أعينهن حالك ، وبياض أعينهن نقي ، كما قال الشاعر :

إذا ما العين كان بها احورار علامتها البياض على السواد

) كأمثال اللؤلؤ المكنون (فيه وجهان

: أحدهما : في نضارتها وصفاء ألوانها .

الثاني : أنهن كأمثال اللؤلؤ في تشاكل أجسادهن في الحسن من جميع جوانبهن ، كما قال الشاعر :

كأنما خلقت في قشر لؤلؤة

فكل أكنافها وجه لمرصاد

) لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما (فيه ثلاثة تأويلات

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢٨٧/٥

: أحدها : لا يسمعون في الجنة باطلا ولا كذبا ، قاله ابن عباس .

الثاني : لا يسمعون فيها خلفا ، أي لا يتخالفون عليها كما يتخالفون في الدنيا ، ولا يأثمون بشربها ، كما يأثمون في الدنيا ، قاله الضحاك .

الثالث : لا يسمعون فيها شتما ولا مأثما ، قاله مجاهد .

يحتمل رابعا : لا يسمعون مانعا لهم منها ، ولا مشنعا لهم على شربها .

) إلا قيلا سلاما سلاما (فيه ثلاثة أوجه

: أحدها : لكن يسمعون قولا سارا وكلاما حسنا .

الثاني : لكن يتداعون بالسلام على **حسن الأدب** وكريم الأخلاق .

الثالث : يعني قولا يؤدي إلى السلامة .

ويحتمل رابعا : أن يقال لهم هنيئا .

(الواقعة : (٢٧ - ٤٠) وأصحاب اليمين ما . . . . .

" وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل." (١)

"﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ﴾ بعد ما أنجاهم الله من عدوهم فرعون وقومه، وأهلكهم الله، وبنوا إسرائيل ينظرون.

﴿ فأتوا ﴾ أي: مروا ﴿ على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴾ أي: يقيمون عندها ويتبركون بها، ويعبدونها.

ف ﴿ قالوا ﴾ من جهلهم وسفههم لنبيهم موسى بعدما أراهم الله من الآيات ما أراهم ﴿ يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾ أي: اشرع لنا أن نتخذ أصناما آلهة كما اتخذها هؤلاء.

ف ﴿ قال ﴾ لهم موسى: ﴿ إنكم قوم تجهلون ﴾ وأي جهل أعظم من جهل من جهل ربه وخالقه وأراد أن يسوي به غيره، ممن لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؟"

ولهذا قال لهم موسى ﴿ إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ﴾ لأن دعاءهم إياها باطل، وهي باطلة بنفسها، فالعمل باطل وغايته باطلة.

﴿ قال أغير الله أبغيكم إلها ﴾ أي: أأطلب لكم إلها غير الله المألوه، الكامل في ذاته، وصفاته وأفعاله. ﴿ وهو فضلكم على العالمين ﴾ فيقتضي أن تقابلوا فضله، وتفضيله بالشكر، وذلك بإفراده وحده بالعبادة، والكفر بما يدعي من دونه.

---

(١) النكت والعيون . ، ٤٥٢/٥

ثم ذكرهم بما امتن الله به عليهم فقال: ﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون ﴾ أي: من فرعون وآله ﴿ يسومونكم سوء العذاب ﴾ أي: يوجهون إليكم من العذاب أسوأه، وهو أنهم كانوا ﴿ يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم ﴾ النجاة من عذابهم ﴿ بلاء من ربكم عظيم ﴾ أي: نعمة جليلة، ومنحة جزيلة، أو: وفي ذلك العذاب الصادر منهم لكم بلاء من ربكم عليكم عظيم، فلما ذكرهم موسى ووعظهم انتهوا عن ذلك.

ولما أتم الله نعمته عليهم بالنجاة من عدوهم، وتمكينهم في الأرض، أراد تبارك وتعالى أن يتم نعمته عليهم، بإنزال الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية، والعقائد المرضية، فواعد موسى ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسى، ويتهيأ لوعد الله، ويكون لنزولها موقع كبير لديهم، وتشوق إلى إنزالها.

ولما ذهب موسى إلى ميقات ربه قال لهارون موصيا له على بني إسرائيل من حرصه عليهم وشفقته: ﴿ اخلفني في قومي ﴾ أي: كن خليفتي فيهم، واعمل فيهم بما كنت أعمل، ﴿ وأصلح ﴾ أي: اتبع طريق الصلاح ﴿ ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ وهم الذين يعملون بالمعاصي.

﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ الذي وقتناه له لإنزال الكتاب ﴿ وكلمه ربه ﴾ بما كلمه من وحيه وأمره ونهيه، تشوق إلى رؤية الله، ونزعت نفسه لذلك، حبا لربه ومودة لرؤيته.

ف ﴿ قال رب أرني أنظر إليك قال ﴾ الله ﴿ لن تراني ﴾ أي: لن تقدر الآن على رؤيتي، فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها، ولا يثبتون لرؤية الله، وليس في هذا دليل على أنهم لا يرونه في الجنة، فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأنه ينشئهم نشأة كاملة، يقدرون معها على رؤية الله تعالى، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل، فقال – مقنعا لموسى في عدم إجابته للرؤية – ﴿ ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه ﴾ إذا تجلى الله له ﴿ فسوف تراني ﴾ .

﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ الأصم الغليظ ﴿ جعله دكا ﴾ أي: انهال مثل الرمل، انزعاجا من رؤية الله وعدم ثبوته لها (١) ﴿ وخر موسى ﴾ حين رأى ما رأى ﴿ صعقا ﴾ فتبين له حينئذ أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤية الله، فموسى أولى أن لا يثبت لذلك، واستغفر ربه لما صدر منه من السؤال، الذي لم يوافق موضعا و[لذلك] (٢) ﴿ قال سبحانك ﴾ أي: تنزيها لك، وتعظيما عما لا يليق بجلالك ﴿ تبت إليك ﴾ من جميع الذنوب، وسوء الأدب معك ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ أي: جدد عليه الصلاة والسلام إيمانه، بما كمل الله له مما كان يجهله قبل ذلك، فلما منعه الله من رؤيته – بعدما ما كان متشوقا إليها – أعطاه خيرا كثيرا فقال:

(١) كذا في ب، وفي أ: وعدم ثبوت.

(٢) زيادة من هامش ب.." (١)

"﴿ ٨٩-٩٦ ﴾ ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا * وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا * قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ .

يقول تعالى: ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ أي: نوعنا فيه المواعظ والأمثال، وثنينا فيه المعاني التي يضطر إليها العباد، لأجل أن يتذكروا ويتقوا، فلم يتذكر إلا القليل منهم، الذين سبقت لهم من الله سابقة السعادة، وأعانهم الله بتوفيقه، وأما أكثر الناس فأبوا إلا كفورا لهذه النعمة التي هي أكبر من [ص ٤٦٧] جميع النعم، وجعلوا يتعنتون عليه]باقتراح[(١) آيات غير آياته، يخترعونها من تلقاء أنفسهم الظالمة الجاهلة.

فيقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أتى بهذا القرآن المشتمل على كل برهان وآية: ﴿ لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ﴾ أي: أنهارا جارية.

﴿ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ﴾ فتستغني بها عن المشي في الأسواق والذهاب والمجيء.

﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ﴾ أي: قطعا من العذاب، ﴿ أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ﴾ أي: جميعا، أو مقابلة ومعاينة، يشهدون لك بما جئت به.

﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ أي: مزخرف بالذهب وغيره ﴿ أو ترقى في السماء ﴾ رقيا حسيا، ﴿ و ﴾ ومع هذا فـ ﴿ ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴾

ولما كانت هذه تعنتات وتعجيزات؛ وكلام أسفه الناس وأظلمهم، المتضمنة لرد الحق وسوء الأدب مع الله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يأتي بالآيات، أمره الله أن ينزهه فقال: ﴿ قل سبحان ربي ﴾

(١) تفسير السعدي، ص/٣٠٢

عما تقولون علوا كبيرا، وسبحانه أن تكون أحكامه وآياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة. ﴿ هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ ليس بيده شيء من الأمر.
وهذا السبب الذي منع أكثر الناس من الإيمان، حيث كانت الرسل التي ترسل إليهم من جنسهم بشرا.
وهذا من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشرا منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة.
فلو ﴿ كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ﴾ يثبتون على رؤية الملائكة والتلقي عنهم؛ ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ ليمكنهم التلقي عنه.
﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ فمن شهادته لرسوله ما أيده به من المعجزات، وما أنزل عليه من الآيات، ونصره على من عاداه وناوأه.
فلو تقول عليه بعض الأقاويل، لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين، فإنه خبير بصير، لا تخفى عليه من أحوال العباد خافية.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.." (١)

"[ص ٥٨٧]

﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ﴾ بل يعبدونه وحده مخلصين له الدين حنفاء مقبلين عليه معرضين عما سواه.
﴿ ولا يقتلون النفس التي حرم الله ﴾ وهي نفس المسلم والكافر المعاهد، ﴿ إلا بالحق ﴾ كقتل النفس بالنفس وقتل الزاني المحصن والكافر الذي يحل قتله.
﴿ ولا يزنون ﴾ بل يحفظون فروجهم ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴾ ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أي: الشرك بالله أو قتل النفس التي حرم الله بغير حق أو الزنا فسوف ﴿ يلق أثاما ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه ﴾ أي: في العذاب ﴿ مهانا ﴾ فالوعيد بالخلود لمن فعلها كلها ثابت لا شك فيه وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل واحد من هذه الثلاثة لكونها إما شرك وإما من أكبر الكبائر.
وأما خلود القاتل والزاني في العذاب فإنه لا يتناوله الخلود لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار ولا يخلد فيها مؤمن ولو فعل من المعاصي ما فعل، ونص تعالى على

---

(١) تفسير السعدي، ص/٤٦٦

هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان والزنا فيه فساد الأعراض.

﴿ إلا من تاب ﴾ عن هذه المعاصي وغيرها بأن أقلع عنها في الحال وندم على ما مضى له من فعلها وعزم عزما جازما أن لا يعود، ﴿ وآمن ﴾ بالله إيمانا صحيحا يقتضي ترك المعاصي وفعل الطاعات ﴿ وعمل عملا صالحا ﴾ مما أمر به الشارع إذا قصد به وجه الله.

﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ أي: تتبدل أفعالهم وأقوالهم التي كانت مستعدة لعمل السيئات تتبدل حسنات، فيتبدل شركهم إيمانا ومعصيتهم طاعة وتتبدل نفس السيئات التي عملوها ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة وإنابة وطاعة تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية.

وورد في ذلك حديث الرجل الذي حاسبه الله ببعض ذنوبه فعددها عليه ثم أبدل مكان كل سيئة حسنة فقال: : يا رب إن لي سيئات لا أراها هاهنا " والله أعلم.

﴿ وكان الله غفورا ﴾ لمن تاب يغفر الذنوب العظيمة ﴿ رحيما ﴾ بعباده حيث دعاهم إلى التوبة بعد مبارزته بالعظائم ثم وفقهم لها ثم قبلها منهم.

﴿ ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا ﴾ أي: فليعلم أن توبته في غاية الكمال لأنها رجوع إلى الطريق الموصل إلى الله الذي هو عين سعادة العبد وفلاحه فليخلص فيها وليخلصها من شوائب الأغراض الفاسدة، فالمقصود من هذا الحث على تكميل التوبة وإيقاعها على أفضل الوجوه وأجلها ليقدم على من تاب إليه فيوفيه (١) أجره بحسب كمالها.

﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾ أي: لا يحضرون الزور أي: القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل والغيبة والنميمة والسب والقذف والاستهزاء والغناء المحرم وشرب الخمر وفرش الحرير، والصور ونحو ذلك، وإذا كانوا لا يشهدون الزور فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ويفعلوه.

وشهادة الزور داخلة في قول الزور تدخل في هذه الآية بالأولوية، ﴿ وإذا مروا باللغو ﴾ وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فيه فائدة دينية ولا دنيوية ككلام السفهاء ونحوهم ﴿ مروا كراما ﴾ أي: نزهوا أنفسهم وأكرموها عن الخوض فيه ورأوا أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سفه ونقص للإنسانية والمروءة فربأوا بأنفسهم عنه.

وفي قوله: ﴿ وإذا مروا باللغو ﴾ إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه، ولكن عند المصادفة التي

من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه.
﴿ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم ﴾ التي أمرهم باستماعها والاهتداء بها، ﴿ لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ أي لم يقابلوها بالإعراض عنها والصمم عن سماعها وصرف النظر والقلوب عنها كما يفعله من لم يؤمن بها ولم يصدق، وإنما حالهم فيها وعند سماعها كما قال تعالى: ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾ يقابلونها بالقبول والافتقار إليها والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذانا سامعة وقلوبا واعية فيزداد بها إيمانهم ويتم بها إيقانهم وتحدث لهم نشاطا ويفرحون بها سرورا واغتباطا.
﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا ﴾ أي: قرنائنا من أصحاب وأقران وزوجات، ﴿ وذرياتنا قرة أعين ﴾ أي: تقر بهم أعيننا.
وإذا استقرأنا حالهم وصفاتهم عرفنا من هممهم وعلو مرتبتهم أنهم لا تقر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم عالمين عاملين وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم فإنه دعاء لأنفسهم لأن نفعه يعود عليهم ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم فقالوا: ﴿ هب لنا ﴾ بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين لأن بصلاح من ذكر يكون سببا لصلاح كثير ممن يتعلق بهم وينتفع بهم.
[ص ٥٨٨]
﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين والكمل من عباد الله الصالحين وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يقتدى بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم ويسير أهل الخير خلفهم فيهدون ويهتدون.
ومن المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدرجة -درجة الإمامة في الدين- لا تتم إلا بالصبر واليقين كما قال تعالى: ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ فهذا الدعاء يستلزم من الأعمال والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره المؤلمة ومن العلم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، خيرا كثيرا وعطاء جزيلا وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل.
ولهذا، لما كانت هممهم ومطالبهم عالية كان الجزاء من جنس العمل فجازاهم بالمنازل العاليات فقال: ﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ﴾ أي: المنازل الرفيعة والمساكن الأنيقة الجامعة لكل ما يشتهى وتلذه الأعين وذلك بسبب صبرهم نالوا ما نالوا كما قال تعالى: ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام

عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ ولهذا قال هنا ﴿ ويلقون فيها تحية وسلاما ﴾ من ربهم ومن ملائكته الكرام ومن بعض على بعض ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات.

والحاصل: أن الله وصفهم بالوقار والسكينة والتواضع له ولعباده **وحسن الأدب** والحلم وسعة الخلق والعفو عن الجاهلين والإعراض عنهم ومقابلة إساءتهم بالإحسان وقيام الليل والإخلاص فيه، والخوف من النار والتضرع لربهم أن ينجيهم منها وإخراج الواجب والمستحب في النفقات والاقتصاد في ذلك – وإذا كانوا مقتصدين في الإنفاق الذي جرت العادة بالتفريط فيه أو الإفراط، فاقتصادهم وتوسطهم في غيره من باب أولى– والسلامة من كبائر الذنوب والاتصاف بالإخلاص لله في عبادته والعفة عن الدماء والأعراض والتوبة عند صدور شيء من ذلك، وأنهم لا يحضرون مجالس المنكر والفسوق القولية والفعلية ولا يفعلونها بأنفسهم وأنهم يتنزهون من اللغو والأفعال الردية التي لا خير فيها، وذلك يستلزم مروءتهم وإنسانيتهم وكمالهم ورفعة أنفسهم عن كل خسيس قولي وفعلي، وأنهم يقابلون آيات الله بالقبول لها والتفهم لمعانيها والعمل بها، والاجتهاد في تنفيذ أحكامها، وأنهم يدعون الله تعالى بأكمل الدعاء، في الدعاء الذي ينتفعون به، وينتفع به من يتعلق بهم وينتفع به المسلمون من صلاح أزواجهم وذريتهم، ومن لوازم ذلك سعيهم في تعليمهم ووعظهم ونصحهم لأن من حرص على شيء ودعا الله فيه لا بد أن يكون متسببا فيه، وأنهم دعوا الله ببلوغ أعلى الدرجات الممكنة لهم وهي درجة الإمامة والصديقية.

فلله ما أعلى هذه الصفات وأرفع هذه الهمم وأجل هذه المطالب، وأزكى تلك النفوس وأطهر تلك القلوب وأصفى هؤلاء الصفوة وأتقى هؤلاء السادة"

ولله، فضل الله عليهم ونعمته ورحمته التي جللتهم، ولطفه الذي أوصلهم إلى هذه المنازل.

ولله، منة الله على عباده أن بين لهم أوصافهم، ونعت لهم هيئاتهم وبين لهم هممهم، وأوضح لهم أجورهم، ليشتاقوا إلى الاتصاف بأوصافهم، ويبذلوا جهدهم في ذلك، ويسألوا الذي من عليهم وأكرمهم الذي فضله في كل زمان ومكان، وفي كل وقت وأوان، أن يهديهم كما هداهم ويتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم.

فاللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك، لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير إن لم تيسر ذلك لنا، فإنا ضعفاء عاجزون من كل وجه.

نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين وكلتنا إلى ضعف وعجز وخطيئة، فلا نثق يا ربنا إلا برحمتك التي بها خلقتنا ورزقتنا وأنعمت علينا بما أنعمت من النعم الظاهرة والباطنة وصرفت عنا من النقم، فارحمنا

رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك فلا خاب من سألك ورجاك.

ولما كان الله تعالى قد أضاف هؤلاء العباد إلى رحمته واختصهم بعبوديته لشرفهم وفضلهم ربما توهم متوهم أنه وأيضا غيرهم فلم لا يدخل في العبودية؟

فأخبر تعالى أنه لا يبالي ولا يعبأ بغير هؤلاء وأنه لولا دعاؤكم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة ما عبأ بكم ولا أحبكم فقال: ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ﴾ أي: عذابا يلزمكم لزوم الغريم لغريمه وسوف يحكم الله بينكم وبين عباده المؤمنين. تم تفسير سورة الفرقان، فلله الحمد والثناء والشكر أبدا.

---

(١) في ب: فيوفيهم.." (١)

"﴿ ١٥ - ٤٤ ﴾ ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين * وورث سليمان داود ﴾ إلى آخر القصة.

يذكر في هذا القرآن وينوه بمنته على داود وسليمان ابنه بالعلم الواسع الكثير بدليل التنكير كما قال تعالى: ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ الآية.

﴿ وقالا ﴾ شاكرين لربهما منته الكبرى بتعليمهما: ﴿ الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾ فحمدا الله على جعلهما من المؤمنين أهل السعادة وأنهما كانا من خواصهم.

ولا شك أن المؤمنين أربع درجات: الصالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصديقون ثم فوقهم الأنبياء، وداود وسليمان من خواص الرسل وإن كانوا دون درجة أولي العزم [الخمسة]، لكنهم من جملة الرسل الفضلاء الكرام الذين نوه الله بذكرهم ومدحهم في كتابه مدحا عظيما فحمدوا الله على بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد أن يكون شاكرا لله على نعمه الدينية والدنيوية وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها بل يرى أنها تستحق عليه شكرا كثيرا، فلما مدحهما مشتركين خص سليمان بما خصه به لكون الله أعطاه ملكا عظيما وصار له من الماجريات ما لم يكن لأبيه صلى الله عليهما وسلم فقال: ﴿ وورث سليمان داود ﴾.

أي: ورث علمه ونبوته فانضم علم أبيه إلى علمه، فلعله تعلم من أبيه ما عنده من العلم مع ما كان عليه من

---

(١) تفسير السعدي، ص/٥٨٧

العلم وقت أبيه كما تقدم من قوله ففهمناها سليمان، وقال شكرا لله وتبجحا بإحسانه وتحدثا بنعمته: ﴿ يا أيها الناس علمنا مِنطق الطير ﴾ فكان عليه الصلاة [والسلام] يفقه ما تقول وتتكلم به كما راجع الهدهد وراجعه، وكما فهم قول النملة للنمل كما يأتي وهذا لم يكن لأحد غير سليمان عليه الصلاة والسلام.
﴿ وأوتينا من كل شيء ﴾ أي: أعطانا الله من النعم ومن أسباب الملك ومن السلطنة والقهر ما لم يؤته أحدا من الآدميين، ولهذا دعا ربه فقال: ﴿ وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ (١) فسخر الله له الشياطين يعملون له كل ما شاء من الأعمال التي يعجز عنها غيرهم، وسخر له الريح غدوها شهر ورواحها شهر.
﴿ إن هذا ﴾ الذي أعطانا الله وفضلنا واختصنا به ﴿ لهو الفضل المبين ﴾ الواضح الجلي فاعترف أكمل اعتراف بنعمة الله تعالى.
﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾ أي: جمع له جنوده الكثيرة الهائلة المتنوعة من بني آدم، ومن الجن والشياطين ومن الطيور فهم يوزعون يدبرون ويرد أولهم على آخرهم، وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم وحلهم وترحالهم قد استعد لذلك وأعد له عدته.
وكل هذه الجنود مؤتمرة بأمره لا تقدر على عصيانه ولا تتمرد عنه، قال تعالى: ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك ﴾ أي: أعط بغير حساب، فسار بهذه الجنود الضخمة في بعض أسفاره (٢)
[ص ٦٠٣]
﴿ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة ﴾ منبهة لرفقتها وبني جنسها: ﴿ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ فنصحت هذه النملة وأسمعت النمل إما بنفسها ويكون الله قد أعطى النمل أسماعا خارقة للعادة، لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب. وإما بأنها أخبرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع وأمرتهن بالحذر، والطريق في ذلك وهو دخول مساكنهن.
وعرفت حالة سليمان وجنوده وعظمة سلطانه، واعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم فليس عن قصد منهم ولا شعور، فسمع سليمان عليه الصلاة والسلام قولها وفهمه.
﴿ فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ إعجابا منه بفصاحتها (٣) ونصحها وحسن تعبيرها. وهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأدب الكامل، والتعجب في موضعه وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب.

وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه، يدل على شراسة الخلق والجبروت. والرسل منزهون عن ذلك.
وقال شاكرا لله الذي أوصله إلى هذه الحال: ﴿ رب أوزعني ﴾ أي: ألهمني ووفقني ﴿ أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ﴾ فإن النعمة على الوالدين نعمة على الولد. فسأل ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته الدينية والدنيوية عليه وعلى والديه، ﴿ وأن أعمل صالحا ترضاه ﴾ أي: ووفقني أن أعمل صالحا ترضاه لكونه موافقا لأمرك مخلصا فيه سالما من المفسدات والمنقصات، ﴿ وأدخلني برحمتك ﴾ التي منها الجنة ﴿ في ﴾ جملة ﴿ عبادك الصالحين ﴾ فإن الرحمة مجعولة للصالحين على اختلاف درجاتهم ومنازلهم.
فهذا نموذج ذكره الله من حالة سليمان عند سماعه خطاب النملة ونداءها.
ثم ذكر نموذجا آخر من مخاطبته للطير فقال: ﴿ وتفقد الطير ﴾ دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية. ولم يصنع شيئا من قال: إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منها (٤) ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل بل الدليل العقلي واللفظي دال على بطلانه، أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها، ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، ينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات.
وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: " وطلب الهدهد لينظر له الماء فلما فقده قال ما قال " أو " فتش عن الهدهد " أو: " بحث عنه " ونحو ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها. وأيضا فإن سليمان عليه السلام لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف -مع ذلك- يحتاج إلى الهدهد؟"
وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلما للمتقدم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللبيب الفطن يعرف أن هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالا منقولة عن غير

رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقته قبلها لكون اللفظ دالا عليها، وإن خالفته لفظا ومعنى أو لفظا أو معنى ردها وجزم ببطلانها، لأن عنده أصلا معلوما مناقضا لها وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته.

والشاهد أن تفقد سليمان عليه السلام للطير، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير ﴿ فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ﴾ أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفيا بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائبا من غير إذني ولا أمري؟.

[ص ٦٠٤]

فحينئذ تغيظ عليه وتوعده فقال: ﴿ لأعذبنه عذابا شديدا ﴾ دون القتل، ﴿ أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ أي: حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته.

﴿ فمكث غير بعيد ﴾ ثم جاء وهذا يدل على هيبة (٥) جنوده منه وشدة ائتمارهم لأمره، حتى إن هذا الهدهد الذي خلفه العذر الواضح لم يقدر على التخلف زمنا كثيرا، ﴿ فقال ﴾ لسليمان: ﴿ أحطت بما لم تحط به ﴾ أي: عندي العلم علم ما أحطت به على علمك الواسع وعلى درجتك فيه، ﴿ وجئتك من سبإ ﴾ القبيلة المعروفة في اليمن ﴿ بنبإ يقين ﴾ أي: خبر متيقن.

---

(١) في النسختين: فقال: (رب هب) وهو خطأ.

(٢) في أ: في بعض في.

(٣) في ب: بنصح أمتها.

(٤) في ب: منه.

(٥) كذا في ب، وفي أ: هيبته.." [1]

"وقرأ أيوب السختياني : ولا الضألين ، بإبدال الألف همزة فرارا من التقاء الساكنين. وحكى أبو زيد دأبة وشأبة في كتاب الهمز ، وجاءت منه ألفاظ ، ومع ذلك فلا ينقاس هذا الإبدال لأنه لم يكثر كثرة

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦٠٢

توجب القياس ، نص على أنه لا ينقاس النحويون ، قال أبو زيد : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن ، فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب دأبة وشأبة. قال أبو الفتح : وعلى هذه اللغة قول كثير :

إذا ما العوالي بالعبيط احمأرت

وقول الآخر :

وللأرض إما سودها فتجلتبياضا وإما بيضها فادهأمت

وعلى ما قال أبو الفتح إنها لغة ، ينبغي أن ينقاس ذلك ، وجعل الإنعام في صلة الذين ، والغضب في صلة أل ، لأن صلة الذين تكون فعلا فيتعين زمانه ، وصلة أل تكون اسما فينبهم زمانه ، والمقصود طلب الهداية إلى صراط من ثبت إنعام الله عليه وتحقق ذلك ، وكذلك أتى بالفعل ماضيا وأتى بالإسم في صلة أن ل يشمل سائر الأزمان ، وبناه للمفعول ، لأن من طلب منه الهداية ونسب الأنعام إليه لا يناسب نسبة الغضب إليه ، لأنه مقام تلطف وترفق وتذلل لطلب الإحسان ، فلا يناسب مواجهته بوصف الانتقام ، وليكون المغضوب توطئة لختم السورة بالضالين لعطف موصول على موصول مثله لتوافق آخر الآي. والمراد بالإنعام ، الإنعام الديني ، والمغضوب عليهم والضالين عام في كل من غضب عليه وضل. وقيل المغضوب عليهم : اليهود ، والضالون النصارى ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، وابن زيد. وروي هذا عن عدي بن حاتم ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا صح هذا وجب المصير إليه ، وقيل اليهود والمشركون ، وقيل غير ذلك. وقد روي في كتب التفسير في الغضب والضلال قيود من المتصوفة لا يدل اللفظ عليها ، كقول بعضهم غير المغضوب عليهم ، بترك **حسن الأدب** في أوقات القيام بخدمته ، ولا الضالين ، برؤية ذلك ، وقيل غير هذا. والغضب من الله تعالى إرادة الانتقام من العاصي لأنه عالم بالعبد قبل خلقه وقبل صدور المعصية منه ، فيكون من صفات الذات أو إحلال العقوبة به ، فيكون من صفات الأفعال ، وقدم الغضب على الضلال ، وإن كان الغضب من نتيجة الضلال ضل عن الحق فغضب عليه لمجاورة الأنعام ، ومناسبة ذكره قرينة ، لأن الإنعام يقابل بالانتقام ، ولا يقابل الضلال الإنعام فالإنعام إيصال الخير إلى المنعم عليه ، والانتقام إيصال الشر إلى المغضوب عليه ، فبينهما تطابق معنوي ، وفيه أيضا تناسب التسجيع ، لأن قوله ولا الضالين ، تمام السورة ، فناسب أواخر الآي ، ولو تأخر الغضب ، ومتعلقه لما ناسب أواخر الآي. وكان العطف بالواو الجامعة التي لا دلالة فيها على التقديم والتأخير لحصول هذا

المعنى من مغايرة جمع الوصفين ، الغضب عليه ، والضلال لمن أنعم الله عليه ، وإن فسر اليهود والنصارى.
فالتقديم إما للزمان أو لـشدة العداوة ، لأن اليهود أقدم وأشد عداوة من النصارى.
جزء : ١ رقم الصفحة : ١٤
وقد أنجر في غضون تفسير هذه السورة الكريمة من علم البيان فوائد كثيرة لا يهتدي إلى استخراجها إلا من كان توغل في فهم لسان العرب ، ورزق الحظ الوافر من علم الأدب ، وكان عالما بافتنان الكلام ، قادرا على إنشاء النثار البديع والنظام. وأما من لا اطلاع له على كلام العرب ، وجسا طبعه حتى عن الفقرة الواحدة من الأدب ، فسمعه عن هذا الفن مسدود ، وذهنه بمعزل عن هذا المقصود. قالوا : وفي هذه السورة الكريمة من أنواع الفصاحة والبلاغة أنواع : .
." (١)

"والمراد بالرب هنا هو الله تعالى. وذكر النقاش عن بعض المفسرين هنا أن المراد بالرب هارون ، لأنه كان أسن من موسى ، وكان معظما في بني إسرائيل محببا لسعة خلقه ورحب صدره ، فكأنهم قالوا : اذهب أنت وكبيرك. وهو تأويل بعيد يخلص بني إسرائيل من الكفر. وربك معطوف على الضمير المستكن في اذهب المؤكد بالضمير المنفصل ، وقد تقدم الكلام على ذلك في قوله : ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ ورددنا قول من ذهب إلى أنه مرفوع على فعل أمر محذوف يمكن رفعه الظاهر ، فيكون من عطف الجمل التقدير : فاذهب وليذهب ربك. وذهب بعض الناس إلى أن الواو واو الحال ، وربك مرفوع بالابتداء ، والخبر محذوف. أو تكون الجملة دعاء والتقدير فيهما : وربك يعينك ، وهذا التأويل فاسد بقوله فقاتلا.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٤٢
﴿إنا هاهنا قاعدون﴾ هذا دليل على أنهم خارت طباعهم فلم يقدروا على النهوض معه للقتال ، ولا على الرجوع من حيث جاءوا ، بل أقاموا حيث كانت المحاورة بين موسى وبينهم. وها من قوله هاهنا للتنبيه ، وهنا ظرف مكان للقريب ، والعامل فيه قاعدون. ويجوز في مثل هذا التركيب أن يكون الخبر الظرف وما بعده حال فينتصب ، وأن يكون الخبر الاسم والظرف معمول له. وهو أفصح.
﴿قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى ﴾ لما عصوا أمر الله وتمردوا على موسى وسمع منهم ما سمع من كلمة الكفر وسوء الأدب مع الله ولم يبق

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٦/١

معه من يثق به إلا هارون قال ذلك ، وهذا من الكلام المنطوي صاحبه على الالتجاء إلى الله والشكوى إليه ، ورقة القلب التي تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب : ﴿إنمآ أشكوا بثى وحزنى إلى الله﴾ وعن علي أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلى قتال المنافقين فما أجابه إلا رجلان ، فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال : أين تتبعان مما أريد ؟ والظاهر إن وأخي معطوف على نفسي ، ويحتمل أن يكون وأخي مرفوعا بالابتداء ، والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه أي : وأخي لا يملك إلا نفسه ، فيكون قد عطف جملة غير مؤكدة على جملة مؤكدة ، أو منصوبا عطفا على اسم إن أي : وإن أخي لا يملك إلا نفسه ، والخبر محذوف ، ويكون قد عطف الاسم والخبر على الخبر نحو : إن زيدا قائم وعمرا شاخص ، أي : وإن عمرا شاخص. وأجاز ابن عطية والزمخشري أن يكون وأخي مرفوعا عطفا على الضمير المستكن في أملك ، وأجاز ذلك للفصل بينهما بالمفعول المحصور. ويلزم من ذلك أن موسى وهارون عليهما السلام لا يملكان الأنفس موسى فقط ، وليس المعنى على ذلك ، بل الظاهر أن موسى يملك أمر نفسه وأمر أخيه فقط. وجوز أيضا أن يكون مجرورا معطوفا على ياء المتكلم في نفسي ، وهو ضعيف على رأي البصريين. وكأنه في هذا الحصر لم يثق بالرجلين اللذين قالا : ادخلوا عليهم الباب ، ولم يطمئن إلى ثباتهما لما عاين من أحوال قومه وتلونهم مع طول الصحبة ، فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في ثباته. قيل : أو قال ذلك على سبيل الضجر عندما سمع منهم تعليلا لمن يوافقه ، أو أراد بقوله : وأخي ، من يوافقني في الدين لا هارون خاصة. وقرأ الحسن : إلا نفسي وأخي بفتح الياء فيهما.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٤٢

﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ ظاهره أنه دعا بأن يفرق الله بينهما وبينهم بأن يفقد وجوههم ولا يشاهد صورهم إذا كانوا عاصين له مخالفين أمر الله تعالى ، ولذلك نبه على العلة الموجبة للتفرقة بينهم وبين الفسق فالمطيع لا يريد صحبة الفاسق ولا يؤثرها لئلا يصيبه بالصحبة ما يصيبه ، ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خآصة﴾ ﴿يرثها عبادى الصالحون﴾ وقبل الله دعاءه فلم يكونا معهم في التيه ، بل فرق بينه وبينهم ، لأن التيه كان عقابا خص به الفاسقون العاصون. وقال ابن عباس والضحاك وغيرهما : المعنى فافصل بيننا بحكم يزيل هذا الاختلاف ويلم الشعث. وقيل : المعنى فافرق بيننا وبينهم في الآخرة حتى تكون منزلة المطيع مفارقة لمنزلة العاصي الفاسق. وقال الزمخشري : فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق ، وعليهم بما يستحقون ، وهو في معنى الدعاء عليهم ، ولذلك وصل به قوله : فإنها محرمة عليهم

، على وجه التشبيه. وقرأ عبيد بن عمير ويوسف بن داود : فافرق بكسر الراء وقال الراجز :

يا رب فافرق بينه وبينيأشد ما فرقت بين اثنين

وقرأ ابن السميقع : ففرق. والفاسقون هنا قال ابن عباس : العاصون. وقال ابن زيد : الكاذبون. وقال أبو عبيد : الكافرون.

﴿قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنةا يتيهون فى الارض﴾ أي قال الله

٤٥٧

". (١)

"وقال مجاهد : إن معناه إذا رأيت منهما في حال الشيخوخة الغائط والبول اللذين رأيا منك في حال الصغر فلا تقذرهما وتقول ﴿أف﴾ انتهى. والآية أعم من ذلك. ولما نهاه تعالى أن يقول لهما ما مدلوله أتضجر منكما ارتقى إلى النهي عما هو من حيث الوضع أشد من ﴿أف﴾ وهو نهرهما ، وإن كان النهي عن نهرهما يدل عليه النهي عن قول ﴿أف﴾ لأنه إذا نهي عن الأدنى كان ذلك نهيا عن الأعلى بجهة الأولى ، والمعنى ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك ﴿وقل لهما﴾ بدل قول أف ونهرهما ﴿قولا كريما﴾ أي جامعا للمحاسن من البر وجودة اللفظ. قال ابن المسيب : قول العبد المذنب للسيد اللفظ. وقيل : ﴿قولا كريما﴾ أي جميلا كما يقتضيه **حسن الأدب**. وقال عمر : أن تقول يا أبتاه يا أماه انتهى. كما خاطب إبراهيم لأبيه يا أبت مع كفره ، ولا تدعوهما بأسمائهما لأنه من الجفاء وسوء الأدب ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة نحلنِي أبو بكر كذا. ولما نهاه تعالى عن القول المؤذي وكان لا يستلزم ذلك الأمر بالقول الطيب أمره تعالى بأن يقول لهما القول الطيب السار الحسن ، وأن يكون قوله دالا على التعظيم لهما والتبجيل.

وقال عطاء : تتكلم معهما بشرط أن لا ترفع إليهما

٢٧

بصرك ولا تشد إليهما نظرك لأن ذلك بنا في القول الكريم. وقال الزجاج قولا سهلا سلسا لا شراسة فيه ، ثم أمره تعالى بالمبالغة في التواضع معهما بقوله : ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ . وقال القفال في تقريره وجهان. أحدهما : أن الطائر إذا ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه ، فخفض الجناح كناية عن حسن التدبير وكأنه قيل للولد اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك.

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٦٨/٣

الثاني : أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه ، وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه. وقال ابن عطية : استعارة أي اقطعهما جانب الذل منك ودمث لهما نفسك وخلقك ، وبولغ بذكر الذل هنا ولم يذكر في قوله : ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ وذلك بسبب عظم الحق انتهى. وبسبب شرف المأمور فإنه لا يناسب نسبة الذل إليه.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢

وقال الزمخشري : فإن قلت : ما معنى ﴿جناح الذل﴾ ؟ قلت : فيه وجهان. أحدهما : أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال : ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ فأضافه إلى الذل أو الذل كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول. والثاني : أن يجعل لذله أو لذله جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا ، وللقرة زمانا مبالغة في التذلل والتواضع لهما انتهى. والمعنى أنه جعل اللين ذلا واستعار له جناحا ثم رشح هذا المجاز بأن أمر بخفضه. وحكي أن أبا تمام لما نظم قوله :

لا تسقني ماء الملام فإننيصب قد استعذبت ماء بكائيا

جاءه رجل بقصعة وقال له اعطني شيئا من ماء الملام ، فقال له : حتى تأتيني بريشة من جناح الذل. وجناحا الإنسان جانباه ، فالمعنى واخفض لهما جانبك ولا ترفعه فعل المتكبر عليهما. وقال بعض المتأخرين فأحسن :

أراشوا جناحي ثم بلوه بالندىفلم أستطع من أرضهم طيرانا

وقرأ الجمهور ﴿من الذل﴾ بضم الذال. وقرأ ابن عباس وعروة بن جبير والجحدري وابن وثاب بكسر الذال وذلك على الاستعارة في الناس لأن ذلك يستعمل في الدواب في ضد الصعوبة ، كما أن الذل بالضم في ضد الغير من الناس ، ومن الظاهر أنها للسبب أي الحامل لك على خفض الجناح هو رحمتك لهما إذ صارا مفتقرين لك حالة الكبر كما كنت مفتقرا إليهما حالة الصغر. قال أبو البقاء : ﴿من الرحمة﴾ أي من أجل الرحمة ، أي من أجل رفقك بهما فمن متعلقة ب(اخفض) ، ويجوز أن يكون حالا من جناح. وقال ابن عطية : من الرحمة هنا لبيان الجنس أي أن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكمنة في النفس لا بأن يكون ذلك استعمالا ، ويصح أن يكون ذلك لابتداء الغاية انتهى. ثم أمره تعالى بأن يدعو الله بأن يرحمهما رحمته الباقية إذ رحمته عليهما لا بقاء لها. ثم نبه على العلة الموجبة للإحسان إليهما والبر بهما واسترحام الله لهما وهي تربيتهما له صغيرا ، وتلك الحالة مما تزيده اشفاقا ورحمة لهما إذ هي تذكير لحالة

إحسانهما إليه وقت أن لا يقدر على الإحسان لنفسه. وقال قتادة : نسخ الله من هذه الآية هذا اللفظ يعني ﴿وقل رب ارحمهما﴾ بقوله تعالى : ﴿ما كان للنبى والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين﴾
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢
". (١)

"﴿جاوزا قال لفتاه ءاتنا غدآءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا * قال أرءيت إذ أوينآ إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت ومآ أنسانيه إلا الشيطان أن أذكرها واتخذ سبيله فى البحر﴾ ﴿موسى ﴾ المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران عليه السلام ، ولم يذكر الله في كتابه موسى غيره ، ومن ذهب إلى أنه غيره وهو موسى بن ميشا بن يوسف ، أو موسى بن افراثيم بن يوسف فقول لا يصح ، بل الثابت في الحديث الصحيح وفي التواريخ أنه موسى بن عمر ان نبي إسرائيل ، والمرسل هو وأخوه هارون إلى فرعون ، وفتاه هو يوشع بن نون بن إفراثيم بن يوسف بن يعقوب عليهم الصلاة والسلام ، والفتى الشاب ولما كان الخدم أكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة **حسن الأدب** ، وندبت الشريعة إلى ذلك. ففي الحديث : "لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي". لأنه كان يخدمه ويتبعه. وقيل : كان يأخذ منه العلم. ويقال : إن يوشع كان ابن أخت موسى عليه السلام وسبب هذه القصة أن موسى عليه السلام جلس يوما في مجلس لبني إسرائيل وخطب فأبلغ ، فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال : لا ، فأوحى الله إليه أن يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ ﴿أبلغ مجمع البحرين﴾ أسير أي لا أزال. قال ابن عطية : وإنما قال هذه المقالة وهو سائر. ومن هذا قول الفرزدق :
جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٤٠
فما برحوا حتى تهادت نساؤهمببطحاء ذي قار عباب اللطائم
انتهى. وهذا الذي ذكره فيه حذف خبر ﴿لا أبرح﴾ وهي من أخوات كان ، ونص أصحابنا على أن حذف خبر كان وأخواتها لا يجوز وإن دل على حذفه إلا ما جاء في الشعر من قوله :
لهفي عليك للهفة من خائفيبغي جوارك حين ليس مجير
أي حين ليس في الدنيا. وقال الزمخشري : فإ ن قلت : ﴿لا أبرح﴾ إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة على السفر ، وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت : هو بمعنى لا أزال وقد
١٤٣

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦/١٨

حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه ، أما الحال فلأنها كانت حال سفر ، وأما الكلام فلأن قوله ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له ، فلا بد أن يكون المعنى لا يبرح مسيري ﴿حتى أبلغ﴾ على أن ﴿حتى أبلغ﴾ هو الخبر ، فاما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم ، فانقلب الفعل عن ضمير الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف انتهى. وهما وجهان خلطهما الزمخشري : أما الأول : فجعل الفعل مسندا إلى المتكلم وهو وجه وتقديرا وجعل الخبر محذوفا كما قدره ابن عطية و﴿حتى أبلغ﴾ فضلة متعلقة بالخبر المحذوف وغاية له. والوجه الثاني جعل ﴿لا أبرح﴾ مسندا من حيث اللفظ إلى المتكلم ، ومن حيث المعنى إلى ذلك المقدر المحذوف وجعله ﴿لا أبرح﴾ هو ﴿حتى أبلغ﴾ فهو عمدة إذ أصله خبر للمبتدأ لأنه خبر ﴿أبرح﴾ .

وقال الزمخشري. أيضا : ويجوز أن يكون المعنى ﴿لا أبرح﴾ م١ أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه ﴿حتى أبلغ﴾ كما تقول لا أبرح المكان انتهى. يعني إن برح يكون بمعنى فارق فيتعدى إذ ذاك إلى مفعول ويحتاج هذا إلى صحة نقل ، وذكر الطبري عن ابن عباس قال : لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه بمصر ، فلما استقرت الحال خطب يوما فذكر بآلاء الله وأيامه عند بني إسرائيل ، ثم ذكر ما هو عليه من أنه لا يعلم أحدا أعلم منه.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٤٠

قال ابن عطية : وما يرى قط أن موسى عليه السلام أنزل قومه بمصر إلا في هذا الكلام ، وما أراه يصح بل المتظاهر أن موسى مات بفحص التيه قبل فتح ديار الجبارين ، وهذا المروي عن ابن عباس ذكره الزمخشري فقال : روي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله ، وقال : إن الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له : قد علمنا هذا فأي الناس أعلم ؟ قال : أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله فأوحى الله إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر ، كان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى ، وذكر أيضا في أسئلة موسى أنه قال : إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه ، قال : أعلم منك الخضر انتهى. وهذا مخالف لما ثبت في الصحيح من أنه قيل له هل أحد أعلم منك ؟ قال : لا.

." (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٠٥/٦

"وقيل : حين عرض عليه موسى وهارون عليهما السلام ما عرضا شاور آسية فقالت : ما ينبغي لأحد أن يرد هذا فشاور هامان وكان لا يبت أمرا دون رأيه ، فقال له : كنت أعتقد أنك ذو عقل تكون مالكا فتصير مملوكا وربا فتصير مربوبا فامتنع من قبول ما عرض عليه موسى ، والترجي بالنسبة لهما إذ هو مستحيل وقوعه من الله تعالى أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه ، وفائدة إرسالهما مع علمه تعالى أنه لا يؤمن إقامة الحجة عليه وإزالة

٢٤٥

المعذرة كما قال تعالى : ﴿ولو أنآ أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ الآية.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٤٣

وقيل : القول اللين ما حكاه الله هنا وهو ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بااية من ربكا والسلام على من اتبع الهدى * إنا﴾ وقال أبو معاذ : ﴿قولا لينا﴾ وقال الفراء لعل هنا بمعنى كي أي كي يتذكر أو يخشى كما تقول : اعمل لعلك تأخذ أجرك ، أي كي تأخذ أجرك. وقيل : لعل هنا استفهام أي هل يتذكر أو يخشى ، والصحيح أنها على بابها من الترجي وذلك بالنسبة إلى البشر وفي قوله ﴿لعله يتذكر أو يخشى ﴾ دلالة على أنه لم يكن شاكا في الله. وقيل : ﴿يتذكر﴾ حاله حين احتبس النيل فسار إلى شاطئه وأبعد وخر ساجدا لله راغبا أن لا يخجله ثم ركب فأخذ النيل يتبع حافر فرسه فرجا أن يتذكر حلم الله وكرمه وأن يحذر من عذاب الله. وقال الزمخشري : أي ﴿يتذكر﴾ ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والإذغان للحق ﴿أو يخشى ﴾ أن يكون الأمر كما يصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة.

فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط تسبق الخيل انتهى. وقال الشاعر :

واستعجلونا وكانوا من صحابتناكما تقدم فارط الوراد

وفي الحديث : "أنا فرطكم على الحوض". أي متقدمكم وسابقكم ، والمعنى إننا نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها. وقرأ يحيى وأبو نوفل وابن محيصن في روايته ﴿أن يفرط﴾ مبنيا للمفعول أي يسبق في العقوبة ويسرع بها ، ويجوز أن يكون من الإفراط ومجاوزة الحد في العقوبة خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعذاب من شيطان ، أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية ، أو من حبه الرياسة ، أو من قومه القبط المتمردين الذين قال الله فيهم ﴿قال الملا من قوم فرعون﴾ ﴿وقال الملا من قومه﴾ .

وقرأت فرقة والزعفراني عن ابن محيصن ﴿يفرط﴾ بضم الياء وكسر الراء من الإفراط في الأذية ﴿أو أن يطغى ﴾ في التخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي تجرئة عليك وقسوة قلبه ، وفي المجيء به هكذا على سبيل

الإطلاق والرمز باب من **حسن الأدب** والتجافي عن التفوه بالعظيمة.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٤٣

والمعية هنا بالنصرة والعون أسمع أقوالكما وأرى أفعالكما. وقال ابن عباس ﴿أسمع﴾ جوابه لكما ﴿وأرى ﴾ ما يفعل بكما وهما كناية عن العلم ﴿فأتياه﴾ كرر الأمر بالإتيان ﴿فقولا إنا رسولا ربك﴾ وخاطباه بقولهما ﴿ربك﴾ تحقيرا له وإعلاما أنه مربوب مملوك إذ كان هو يدعي الربوبية. وأمرا بدعوته إلى أن يبعث معهما بني إسرائيل ويخرجهم من ذل خدمة القبط وكانوا يعذبونهم بتكليف الأعمال الشاقة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء. وقد ذكر في غير هذه الآية دعاؤه إلى الإيمان فجملة ما دعى إليه فرعون الإيمان وإرسال بني إسرائيل.

ثم ذكرا ما يدل على صدقهما في إرسالهما إليه فقالا ﴿قد جئناك باية من ربك﴾ وتكرر أيضا قولهما ﴿من ربك﴾ على سبيل التوكيد بأنه مربوب مقهور ، والآية التي أحالا عليها هي العصا واليد ، ولما كانا مشتركين في الرسالة صح نسبة المجيء بالآية إليهما وإن كانت صادرة من أحدهما. وقال الزمخشري : ﴿قد جئناك باية من ربك﴾ جارية من الجملة الأولى وهي ﴿إنا رسولا ربك﴾ مجرى البيان والتفسير ، لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها التي هي المجيء بالآية ، وإنما وحد بآية ولم يثن ومعه آيتان لأن المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال : قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم﴾ ﴿مآ أنت إلا بشر مثلنا فأت﴾ ﴿أولو جئتك بشىء مبين﴾ انتهى. وقيل : الآية اليد. وقيل : العصا ، والمعنى بآية تشهد لنا بأنا رسولا ربك. والظاهر أن قوله ﴿والسلام على من اتبع الهدى ﴾ فصل للكلام ، فالسلام بمعنى التحية رغبا به عنه وجريا على العادة في التسليم عند الفراغ

٢٤٦

". (١)

"قال : "كنا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ جاءه عمرو بن مرة فقال له : يا رسول الله إن الله كتب علي الشقوة ، فلا أراني أرزق من دفي بكفي ، فائذن لي في الغناء من غير فاحشة.

فقال عليه الصلاة والسلام : " لا آذن لك ولا كراهة ولا نعمة كذبت أي عدو الله لقد رزقك الله [رزقا] طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه على ما أحل الله لك من حلاله ، أما لو قلت بعد هذه المقدمة شيئا ضربتك ضربا وجيعا ".

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٧٩/٦

وأما المعنى فإن الله – تعالى – منع المكلف من الانتفاع بهن وأمر غيره بمنعه من الانتفاع به ، ومن منع من أخذ الشيء والانتفاع به لا يقال : إنه رزقه إياه ، ألا ترى أنه لا يقال : إن السلطان قد رزق جنده مالا قد منعهم من أخذه ، وإنما يقال : إنه رزقهم ما مكنهم من أخذه ، ولا يمنعهم منه ، ولا أمر بمنعهم منه.

وأجاب أصحابنا عن التمسك بالآيات بأنه كان الكل من الله ، فإنه لا يضاف إليه ذلك ؛ لما فيه من سوء الأدب ، كما يقال : يا خالق المحدثات والعرش والكرسي ، ولا يقال : يا خالق الكلاب والخنازير ، وقال : ﴿يشرب بها عباد الله﴾ [الإنسان : ٦] فخص اسم العباد بالمتقين ، وإن كان الكفار أيضا من العباد ، وكلك هاهنا خص اسم الرزق بالحلال على سبيل التشريف ، وإن كان الحرام رزقا أيضا.

وأجابوا عن التمسك بالخبر بأنه حجة لنا ؛ لأن قوله عليه الصلاة والسلام : " فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه " صريح في أن الرزق قد يكون حراما.

وأجابوا عن المعنى بأن هذه المسألة محض اللغة ، وهو أن الحرام هل يسمى رزقا أم لا ؟ ولا مجال للدلائل العقلية في الألفاظ ، والله أعلم.

و " نفقط الشيء : نفد ، وكل ما جاء مما فاؤه نون ، وعينه فاء ، فدال على معنى ونحو ذلك إذا تأملت ، قاله الزمخشري ، وذلك نحو : نفد نفق نفر " نفذ " " نفش " " نفح " " نفخ " " نفض " " نفل ".

٢٩٣

و " نفق " الشيء بالبيع نفاقا ونفقت الدابة : ماتت نفوقا ، والنفقة : اسم المنفق.

فصل في معاني " من " و " من " هنا لابتداء الغاية.

وقيل : للتبعيض ، ولها معان أخر : بيان الجنس : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ [الحج : ٣٠].

والتعليل : ﴿يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق﴾ [البقرة : ١٩].

والبدل : ﴿بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ [التوبة : ٣٨].

والمجاوزة : ﴿وإذ غدوت من أهلك﴾ [آل عمران : ١٢١].

وانتهاء الغاية : " قربت منه ".

والاستعلاء ﴿ونصرناه من القوم﴾ [الأنبياء : ٧٧].

والفصل : ﴿يعلم المفسد من المصلح﴾ [البقرة : ٢٢٠].

وموافقة " الباء " ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ [الشورى : ٤٥] ، ﴿ماذا خلقوا من الأرض﴾ [فاطر : ٤٠].

والزيادة باطراد ، وذلك بشرطين كون المجرور نكرة والكلام غير موجب.

واشترط الكوفيون التنكير فقط ، ولم يشترط الأخفش شيئا.

و " الهمزة " في " أنفق " للتعدية ، وحذفت من " ينفقون " لما تقدم في " يؤمنون ".

فصل في قوله تعالى " ومما رزقناهم ينفقون " قال ابن الخطيب : في قوله : ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فوائد : إحداها : أدخل " من " للتبعيض نهيا لهم عن الإسراف والتبذير المنهي عنه.

وثانيها : قدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم ، كأنه قال : يخصون بعض المال بالتصدق به.

وثالثها : يدخل في الإنفاق المذكور في الآية ، الإنفاق الواجب ، والإنفاق المندوب ، والإنفاق الواجب أقسام : أحدها : الزكاة وهي قوله تعالى : ﴿يكنزون الذهب والفضة وِلا ينفقونها﴾ [التوبة : ٣٤].

وثانيها : الإنفاق على النفس ، وعلى من تجب عليه نفقته.

وثالثها : الإنفاق في الجهاد.

وأما الإنفاق المندوب فهو أيضا إنفاق لقوله تعالى : ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم﴾ [المنافقون : ١٠] ، وأراد به الصدقة ؛ لقوله بعد : ﴿فأصدق

٢٩٤

وأكن من الصالحين﴾ [المنافقون : ١٠] فكل هذه داخلة تحت الآية ، لأن كل ذلك سبب لاستحقاق المدح.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧٩

" والذين " عطف على " الذين " قبلها ، ثم لك اعتباران : أحدهما : أن يكون من باب عطف بعض الصفات على بعض كقوله : [المتقارب] ١٢٨ - إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله : [السريع] ١٢٩ - يا ويح زيابة للحارث الصـ

ـابح فالغانم فالآيب

." (١)

"والجرر جمع جرة.

والكظامة : حلقة من حديد تكون في طرف الميزان تجمع فيها خيوطه ، وهي - أيضا - السير الذي يوصل بوتر القوس.

والكظائم : خروق بين البئرين يجري منها الماء إلى الأخرى ، كل ذلك تشبيه بمجرى النفس وتردده فيه.

---

(١) تفسير اللباب ل ا بن عادل . ، ص/٣٥

فصل قال صلى الله عليه وسلم : " من كظم غيظا – وهو يقدر على إنفاذه – ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " من كظم غيظا – وهو يقدر على أن ينفذه – دعاه الله – عز وجل – يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، حتى يخيره من أي الحور شاء ".

﴿والكاظمين الغيظ﴾ : الذين يكفون عيظهم عن الإمضاء ، ونظيره قوله : ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ [الشورى : ٣٧] ، وقال صلى الله عليه وسلم : " ليس الشديد بالصرعة ، لكن ه الذي يملك نفسه عند الغضب ".

٥٤١

الصفة الثالثة : قوله : ﴿والعافين عن الناس﴾.

قال القفال : يحتمل أن يكون هذا راجعا إلى ما ذم من فعل المشركين في أكل الربا ، فنهي المؤمنين عن ذلك ، وندبوا إلى العفو عن المعسرين ، فإنه تعال قال – عقب قصة الربا والتداين – : ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾ [البقرة : ٢٨٠] وقال ﴿وأن تصدقوا خير لكم﴾ [البقرة : ٢٨٠].

ويحتمل أن يكون هذا بسبب غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين مثلوا بعمه حمزة ، وقال : لأمثلن بهم فندب إلى كظم هذا الغيظ.

وقال الكلبي : العافين عن المملوكين سوء الأدب.

وقال زيد بن أسلم ومقاتل : عمن ظلمهم وأساء إليهم ، قال صلى الله عليه وسلم : " لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ، ويعفو عمن ظلمه ويعط من حرمه ".

وروي عن عيسى ابن مريم أنه قال : " ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك ، ذاك مكافأة ، إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ".

ثم قال : ﴿والله يحب المحسنين﴾ هذه اللام يحتمل أن تكون للجنس ، فيدخل كل محسن ، وأن تكون للعهد ، فتكون إشارة إلى هؤلاء.

وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن الله – تعالى – يعفو عن العصاة ، لأنه قد مدح الفاعلين لهذه الخصال ، وأحبهم ، وهو أكرم الأكرمين ، والعفو والغفور الحليم ، والآمر بالإحسان ، فكيف يمدح بهذه الأفعال ، ويندب إليها ، ولا يفعلها ؟ إن ذلك لممتنع في العقول.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٥٣٤

يجوز أن يكون معطوفا على الموصول قبله ، ففيه ما فيه من الأوجه السابقة ، وتكون الجملة من قوله :

﴿والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران : ١٣٤] جملة اعتراض بين المتعاطفين.
ويجوز أن يكون " والذين " مرفوعا بالابتداء ، و " أولئك " مبتدأ ثان ، و " جزاؤهم " مبتدأ ثالث ، و " مغفرة " خبر الثالث ، والثالث وخبره خبر الثاني ، والثاني وخبره خبر الأول.
وقوله : ﴿إذا فعلوا﴾ شرط ، وجوابه : ﴿ذكروا﴾.
قوله : ﴿فاستغفروا﴾ عطف على الجواب ، والجملة الشرطية وجوابها صلة الموصول ، والمفعول الأول لـ " استغفروا " محذوف ، أي : استغفروا الله لذنوبهم ، وقد تقدم الكلام على " استغفر " ، وأنه تعدى لاثنين ، ثانيهما بحرف الجر ، وليس هو هذه اللام ، بل " من " وقد يحذف.
فصل في سبب النزول قال ابن مسعود : قال المؤمنون : يا رسول الله ،كانت بو إسرائيل اكرم على الله منا ؛كان أحدهم إذا أذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه ، اجدع أنفك ، افعل كذا ، فأنزل الله هذه الآية.
قال عطاء : نزلت في نبهان التمار – وكنيته أبو مقبل – أتته امرأة حسناء ، تبتاع منه تمرا ، فقال لها : إن هذا التمر ليس بجيد ، وإن في البيت أجود منه ، فذهب بها إلى بيته ، فضمها إلى نفسه ، وقبلها ، فقالت له : أتق الله ، فتركها ، وندم على ذلك ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية.
وقال مقاتل والكلبي : آخى رسول الله بين رجلين ، أحدهما من الأنصار ، والآخر من ثقيف ، فخرج الثقفي في غزاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر ، وخلف الأنصاري على أهله ، يتعاهدهم ، واشترى لهم اللحم ذات يوم ، فلما أرادت المرأة أن تأخذ منه ، دخل على أثرها ، وقبل يدها ، فوضعت كفها على وجهها ، ثم ندم الرجل وانصرف ، ووضع التراب على رأسه ، وهام على وجهه ، ولما رجع الثقفي لم يستقبله الأنصاري ، فسأل امرأته عن حاله ، فقالت : لا أكثر الله في الإخوان مثله ، ووصفت له الحال ، والأنصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ، فطلب الأنصاري الثقفي حتى وجده ، فأتى به
٥٤٣
." (١)

"فصل اعلم أنه – تعالى – أمر برعاية العدل والإنصاف في هذه الآية ورتب ذلك على أربع مراتب : الأولى : قوله : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ يعني : إن رغبتم في استيفاء القصاص ، فاقنعوا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/١٢٤٢

بالمثل ولا تزيدوا عليه ؛ فإن استيفاء الزيادة ظلم ، والظلم ممنوع منه في عدل الله ورحمته ، وفي قوله – تعالى – : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ دليل على أن الأولى ألا يفعل ؛ كما يقول الطبيب للمريض : إن كنت تأكل الفاكهة ، فكل التفاح ، فإن معناه : الأولى بك ألا تأكله ، فذكر – تعالى – بطريق الرمز والتعريض [على] أن الأولى تركه.

والمرتبة الثانية : الانتقال من التعريض إلى التصريح ، وهو قوله – عز وجل – : ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ وهذا تصريح بأن الأولى ترك ذلك الانتقام ؛ لأن الرحمة أفضل من القسوة ، والانتفاع أفضل من الإيلام.

المرتبة الثالثة : وهو الأمر بالجزم بالترك ، وهو قوله : " واصبر " ؛ لأن في المرتبة الثانية ذكر أن الترك خير وأولى ، وفي هذه المرتبة الثالثة صرح بالأمر بالصبر في هذا المقام ، ولما ك ان الصبر في هذا المقام شديدا شاقا ، ذكر بعده ما يفيد سهولته ؛ فقال – تعالى – : ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ أي : بتوفيقه ومعونته ، وهذا هو السب الكلي الأصلي في حصول جميع أنواع الطاعات.

ولما ذكر هذا السبب الكلي الأصلي ، ذكر بعده ما هو السبب الجزئي القريب ؛ فقال – جل ذكره – : ﴿ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ ؛ وذلك لأن إقدام الإنسان على الانتقام ، وعلى [إنزال] الضرر بالغير لا يكون إلا من هيجان الغضب ، وشدة الغضب لا تحصل إلا لأحد أمرين : أحدهما : فوات نفع كان حاصلا في الماضي ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ولا تحزن عليهم﴾ قيل : معناه : ولا تحزن على قتلى " أحد " ، أي : ولا تحزن بفوات أولئك الأصدقاء وقيل : ولا تحزن عليهم في إعراضهم عنك ، ويرجع حاصله إلى فوات النفع.

والسبب الثاني : أن شدة الغضب قد تكون لتوقع ضرر في المستقبل ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ ، ومن وقف على هذه اللطائف ، عرف أنه لا يمكن كلام [أدخل] في الحسن والضبط من هذا الكلام.

قوله : " للصابرين " يجوز أن يكون عاما ، أي : الصبر خير لجنس الصابرين ، وأن

١٩٠

يكون من وقوع الظاهر موقع المضمر ، أي : صبركم خير لكم.

قوله : " إلا بالله " أي : بمعونته ، فهي للاستعانة.

قوله : " في ضيق " قرأ ابن كثير هنا وفي النمل : بكسر الضاد ، والباقون : بالفتح ، فقيل : هما لغتان

بمعنى في هذا المصدر ؛ كالقول والقيل.

وقيل : المفتوح مخفف من " ضيق " ؛ ك " ميت " في " ميت " ، أي : في أمر ضيق ، فهو مثل هين في هين ، و " لين " في " لين " ، قاله ابن قتيبة.

ورده الفارسي : بأن الصفة غير خاصة بالموصوف ، فلا يجوز ادعاء الحذف ولذلك جاز : مررت بكاتب ، وامتنع بآكل.

وأما وجه القراءة بالفتح ، قال أبو عبيدة الضيق بالكسر في قلة المعاش والمساكن ، وما كان في القلب ، فإنه الضيق.

وقال أبو عمرو : " الضيق بالكسر : الشدة ، والضيق بالفتح : الغم ".

قوله تعالى : ﴿مما يمكرون﴾ متعلق بـ " ضيق " و " ما " مصدرية ، أو بمعنى الذي ، والعائد محذوف.

فصل هذا من الكلام المقلوب ؛ لأن الضيق صفة ، والصفة تكون حاصلة في الموصوف ، ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة ، فيكون المعنى : فلا يكن الضيق فيك ؛ لأن الفائدة في قوله : ﴿ولا تك في ضيق﴾ هو أن الضيق إذا عظم وقوي ، صار كالشيء المحيط بالإنسان من الجوانب ، وصار كالقميص المحيط به ، فكانت الفائدة في هذا اللفظ هذا المعنى.

المرتبة الرابعة : قوله : ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ المناهي ، ﴿والذين هم محسنون﴾ وهذا يجري مجرى التهديد ؛ لأنه في المرتبة الأولى : رغب في ترك الانتقام على سبيل الرمز ، وفي الثانية : عدل عن الرمز إلى التصريح ، وهو قوله – عز وجل – : ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ ، وفي المرتبة الثالثة : أمر بالصبر على سبيل الجزم ، وفي هذه المرتبة الرابعة : كأنه ذكر الوعيد على فعل الانتقام ، فقال : ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ عن استيفاء الزيادة ، ﴿والذين هم محسنون﴾ : في ترك أصل الانتقام ؛ فكأنه قال : إن أردت أن أكون

١٩١

معك ، فكن من المتقين ومن المحسنين ، وهذه المعية بالرحمة والفضل والتربـيـة.

وقوله – تعالى – : ﴿الذين اتقوا﴾ إشارة غلى التعظيم لأمر الله ، وقوله – جل ذكره – ﴿والذين هم محسنون﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله ، وذلك يدل على أن كمال سعادة الإنسان في التعظيم لأمر الله ، والشفقة على خلق الله – تعالى – .

قيل لهرم بن حيان عند قرب وفاته : أوص ، فقال : إنما الوصية في المال ولا مال لي ، ولكن أوصيك

بخواتيم سورة النحل ، قال بعضهم : إن قوله – جل ذكره – : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ منسوخ بآية السيف ، وهذا في غاية البعد ؛ لأن المقصود من هذه الآية تعليم **حسن الأدب** في كيفية الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – ، وترك التعدي وطلب الزيادة ، ولا تعلق بهذه الأشياء بآية السيف والله أعلم بمراده.

روى أبو أمامة ، عن أبي بن كعب – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ سورة النحل ، لم يحاسبه الله – تعالى – بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا ، وأعطي من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية ".

١٩٢

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ١٨٥." [(١)]

"[المنافقون : ٤] وإنما فعل به ذلك تشبيها بالمصادر نحو : " الولوع ، والقبول " وقد يقال : أعداء ، وعدوة ، وقوله : " عدو لي " على أصله من غير تقدير مضاف ولا قلب ، لأن العدو والصديق يجيئان في معنى الواحدة والكثرة ، قال الشاعر : ٣٩١٠ – وقوم على ذوي مئرة

أراهم عدوا وكانوا صديقا

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٣٨

وتقدم الكلام في نظيره عند قوله : " إنا رسول ".

وقيل : المعنى : ﴿فإنهم عدو لى ﴾ لو عبدتهم يوم القيامة ، كقوله : ﴿سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾ [مريم : ٨٢].

(وقيل : الأصنام لا تعادى لأنها جماد ، والتقدير : فإن عبادهم عدو لي).

وقيل : بل في الكلام قلب تقديره : فإنهم عدو لهم وهذان مرجوحان لاستقامة الكلام بدونهما ، فإن قيل : لم قال : ﴿فإنهم عدو لى ﴾ ولم يقل فإنها عدو لكم ؟ فالجواب : أنه – عليه السلام – صور المسألة في نفسه ، بمعنى أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها ، وأراهم أنها نصيحة نصح بها نفسه ، فإذا تفكروا وقالوا : ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه فيكون أدعى إلى القبول.

قوله : ﴿إلا رب العالمين﴾ فيه وجهان : أحدهما : أنه منقطع ، أي : لكن رب العالمين ليس بعدو لي.

وقال الجرجاني : فيه تقديم وتأخير ، أي : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون إلا رب

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٢٧٢

٤١

العالمين فإنهم عدو لي ، و " إلا " بمعنى " دون ، وسوى ".

والثاني : أنه متصل ، وهو قول الزجاج ، لأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام ، فقال إبراهيم : كل من تبعدون أعداء لي إلا رب العالمين.

وقال الحسن بن الفضل : معناه : إلا من عبد رب العالمين.

وقيل : معناه : فإنهم غير معبود لي إلا رب العالمين.

ثم وصف معبوده ، وهو قوله : " الذي خلقني " يجوز فيه أوجه : النصب على النعت لـ " رب العالمين " ، أو البدل ، أو عطف البيان ، أو على إضمار " أعني ".

والرفع على خبر مبتدأ مضمر ، أي : هو الذي خلقني ، أو على الابتداء.

و " فهو يهدين " جملة اسمية في محل رفع خبرا له.

قال الحوفي : ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط.

وهذا مردود.

لأن الموصول معين ليس عاما ، وأن الصلة لا يمكن فيها التجدد ، فلم يشبه الشرط وتابع أبو البقاء الحوفي ، ولكنه لم يتعرض للفاء ، فإن عنى ما عناه الحوفي فقد تقدم ما فيه ، وإن لم يفعله فيكون تابعا للأخفش في تجويزه زياة الفاء في الخبر مطلقا نحو : " زيد فاضربه " وقد تقدم تجويزه.

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٣٨

واعلم أن إبراهيم - عليه السلام - لما استثنى رب العالمين وصفه بما يستحق العبادة لأله بأوصاف : أحدهما : قوله ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ ، وذلك لأن الله تعالى أثنى عليه

٤٢

نفسه بهذين الأمرين في قوله : ﴿الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ﴾ [الأعلى : ٢ - ٣].

وقال : " خلقني " بلفظ الماضي ، لأن خلق الذات لا يتجدد في الدنيا ، بل لما وقع بقي إلى الأمد المعلوم.

وقال : " فهو يهدين " بلفظ المستقبل ، لأن الهداية مما تتكرر كل حين وأوان ، سواء كانت تلك الهداية من المنافع الدنياوية بتمييز الناف عن الضار ، أو من المنافق الدينية بتمييز الحق عن الباطل والخير عن الشر.

قوله : ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾.

يجوز أن يكون مبتدأ وخبره محذوف وكذلك ما بعده ، ويجوز أن تكون أوصافا لـ " الذي خلقني " ودخول الواو جائز ، وقد تقدم تحقيقه في أول البقرة كقوله : ٣٩١١ - إلى الملك القرم وابن الهمام

وليث الكتيبة في المزدحم

وأثبت ابن إسحاق - وتروى عن عاصم أيضا - ياء المتكلم في : " يسقين ، ويشفين ، ويحيين ".

فصل المعنى : يرزقني ويغدوني بالطعام والشراب ، ونبه بذكر الطعام والشراب على ما عداهما.

قوله : ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ أضاف المرض إلى نفسه ، وإن كان المرض والشفاء كله من الله استعمالا لحسن الأدب كما قال الخضر : ﴿فأردت أن أعيبها﴾

٤٣

". (١)

"سورة عبس

وتسمى سورة السفرة مكية ، وهي اثنان وأربعون آية ، وثلاثون كلمة ، وخمسمائة وثلاثون حرفا.

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ١٥١

قوله تعالى : ﴿عبس وتولى ﴾ أي : كلح بوجهه ، يقال : عبس وبسر وتولى ، أي : أعرض بوجهه.

قوله : ﴿أن جآءه﴾.

فيه وجهان : أحدهما : أنه مفعول من أجله ، وناصبه : إما " تولى " وهو قول البصريين ، وإما " عبس " وهو قول الكوفيين ، والمختار مذهب البصريين لعدم الإضمار في الثاني ، وتقدم تحقيق هذا في مسائل النزاع والتقدير : لأن جاءه الأعمى فعل ذلك.

قال القرطبي : إن من قرأ بالمد على الاستفهام ، فـ " أن " متعلقة بمحذوف دل عليه ﴿عبس وتولى ﴾ والتقدير : أأن جاءه اعرض عنه وتولى ؟ فيوقف على هذه القراءة على " تولى " ، ولا يوقف عليه على قراءة العامة.

فصل في سبب نزول الآية قال المفسرون : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم ، واسم مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم ، وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم صناديد قريش : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٩٢٤

١٥٢

جهل بن هشام ، والعباس بن عبد المطلب ، وأمية بن خلف ، والوليد بن المغيرة ، يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : علمني مما علمك الله ، وكرر ذلك عليه ، فكره قطعه لكلامه ، وعبس وأعرض عنه ، فنزلت هذه الآية.

قال ابن العربي : أما قول المفسرين : إنه الوليد بن المغيرة ، أو أمية بن خلف والعباس ، فهذا كله باطل وجهل ؛ لأن أمية والوليد كانا بـ " مكة " وابن أم مكتوم كان بـ " المدينة " ما حضر معهما ، ولا حضرا معه ، وماتا كافرين ، أحدهما : قبل الهجرة ، والآخر في " بدر " ، ولم يقصد أمية " المدينة " قط ، ولا حضر معه مفردا ، ولا مع أحد ، وإنما أقبل ابن أم مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الإسلام ، وقد طمع في إسلامهم ، وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى ، فقال : يا رسول الله علمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكثر النداء ، ولا يدري أنه مشتغل بغيره ، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه ، وقال في نفسه : يقول هؤلاء إنما اتباعه العميان والسفلة والعبيد ، فعبس وأعرض عنه ، فنزلت الآية.

" قال الثوري : فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم بسط له رداءه ، ويقول : " مرحبا بمن عاتبني فيه ربي " ، ويقول : " هل من حاجة " ؟ واستخلفه على " المدينة " مرتين في غزوتين غزاهما ".

قال أنس رضي الله عنه : فرأيته يوم " القادسية " راكبا وعليه درع ، ومعه راية سوداء.

فصل في معاتبة الله تعالى رسوله قال ابن الخطيب : ما فعله ابن أم مكتوم كان يستحق التأديب والزجر ، فكيف عاتب الله – تعالى – رسول على تأديبه ابن أم مكتوم ؟ .

وإنما قلنا : إنه كان يستحق التأديب ؛ لأنه وإن كان أعمى لا يرى القوم ، لكنه سمع

١٥٣

مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأولئك الكفار ، وكان بسماعه يعرف شدة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأنهم ، فكان إقدامه على قطع كلام النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة.

وأيضا : فإن الأهم يقدم على المهم ، وكان قد أسلم ، وتعلم ما يحتاج إليه من أمر دينه ، أما أولئك الكفار ، فلم يكونوا أسلموا بعد ، وكان إسلامهم سببا لإسلام جمع عظيم ، فكان كلام ابن مكتوم كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل ، وذلك محرم.

وأيضا : فإن الله – تعالى – ذم الذين يناجونه من وراء الحجرات بمجود ندائهم ، فهذا النداء الذي هو كالصارف للكفار عن [قبول] الإيمان أولى أن يكون ذنبا ، فثبت أن الذي فعله ابن أم مكتوم كان ذنبا ومعصية.

وأيضا : فمع هذا الاعتناء بابن أم مكتوم ، فكيف لقب بالأعمى ؟ .

وأيضا : فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤدب أصحابه بما يراه مصلحة ، والتعبيس من ذلك القبيل ، ومع الإذن فيه ، كيف يعاتب عليه ؟ .

والجواب عن الأول : أن ما فعله ابن أم مكتوم كان **من سوء الأدب** لو كان عاملا بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره ، وأنه يرجو إسلامهم ، ولكن الله عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة ، أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغنى ، وكان النظر إلى المؤمن اولى ، وإن كان فقيرا أصلح وأولى من الإقبال على الأغنياء طمعا في إيمانهم ، وإن كان ذلك أيضا طمعا في المصلحة ، وعلى هذا يخرج قوله تعالى : ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى ﴾ [الأنفال : ٦٧] الآية.

وقيل : إنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تأليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن أم مكتوم من الإيمان ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه مخافة أن يكبه الله على وجهه " .

وقال ابن زيد : إنما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم ، وأعرض عنه ؛ لأنه اشار إلى الذي كان يقوده أن يكفه ، فدفعه ابن أم مكتوم ، وأبي إلا أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمهن فكان في هذا نوع جفاء منه ، ومع هذا أنزل الله تعالى في حقه : ﴿عبس وتولى ﴾ ، بلفظ الإخبار عن الغائب تعظيما له ، ولم يقل : عبست وتوليت.

ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيسا له ، فقال : " وما يدريك " أي : يعلمك " لعله " ابن أم مكتوم " يزكى " بما استدعى منك تعليمه إياه من القرآن والدين ، وإنما ذكره بلفظ العمى ليس للتحقير ، بل كأنه قيل : إنه بسبب عماه يستحق مزيد الرفق والرأفة ، فكيف يليق بك يا محمد ، أن

١٥٤." (١)

"عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج خداج غير تمام» «١» . قال: فقلت له: إذا كان خلف الإمام؟ قال: فأخذ بذراعي وقال:

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٥٢٠٣

«يا فارسي- أو قال: يا ابن الفارسي- اقرأ بها في نفسك» [٥٣] «٢» .

واحتجوا أيضا بما

روى أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: كانوا يقرءون خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «خلطتم علي القرآن» «٣» .

وهذا الخبر فيه نظر، ولو صح لكان المنع من القراءة كما

رواه النضر بن شميل.

أخبرنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم يقرءون القرآن ويجهرون به: «خلطتم علي القرآن» [٥٤] «٤»

، فليس في نهيه عن القراءة خلف الإمام جهرا ما يمنع عن القراءة سرا. ونحن لا نجيز الجهر بالقراءة خلف الإمام لما فيه من سوء الأدب والضرر الظاهر.

وقد روى يحيى بن عبد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي حازم، عن البياضي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يناجي ربه، فلينظر بما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن» [٥٥] «٥» .

ودليل هذا التأويل حديث عبد الله بن زياد الأشعري قال: صليت إلى جنب عبد الله بن مسعود خلف الإمام فسمعته يقرأ في الظهر والعصر. وكذلك الجواب عن احتجاجهم

بخبر عمران بن الحصين قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر فلما انصرف قال: أيكم قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) «٦» ، قال رجل: أنا ولم أرد به إلا الخير. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد عرفت أن بعضكم خالجنيها» [٥٦] «٧» .

واحتجوا أيضا

بحديث أبي هريرة: فإذا قرأ فأنصتوا، وليس الإنصات بالسكوت فقط إنما الإنصات أن تحسن استماع الشيء ثم يؤدى كما سمع

، يدل عليه قوله تعالى في قصة الجن:

فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا «٨» .

وقد يسمى الرجل منصتا وهو قارئ مسبح إذا لم يكن جاهرا به، ألا ترى

أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: ١٣٢. [.....]

(٢) مسند الحميدي: ٢/ ٤٣٠.

(٣) مجمع الزوائد: ٢/ ١١٠.

(٤) مجمع الزوائد: ٢/ ١١٠.

(٥) مسند أحمد: ٢/ ١٢٩، مجمع الزوائد: ٢/ ٢٦٥، بتفاوت.

(٦) سورة الأعلى: ١.

(٧) مسند أحمد: ٤/ ٤٢٦.

(٨) سورة الأحقاف: ٢٩- ٣٠.." [(١)]

"طاشوا، فإذا طاشوا طاروا، فإذا طاروا وصلوا، فإذا وصلوا اتصلوا، فهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وقال الجنيد: يحشر الناس كلهم عراة إلا من لبس لباس التقوى، وغراثا إلا من أكل طعام المعرفة، وعطاشى إلا من شرب شراب المحبة.

وإذا مرضت أضاف إبراهيم (عليه السلام) المرض الى نفسه وإن كان من الله سبحانه لأن قومه كانوا يعدونه عيبا فاستعمل **حسن الأدب**، نظيرها قصة الخضر حيث قال فأردت أن أعيبها «١» وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما «٢» .

فهو يشفين يبرئني يحكى أن أبا بكر الوراق مر بطبيب يعطي الناس الأدوية فوقف عليه وقال: أيفعل دواؤك هذا أمرين؟

قال: وما هما؟

فقال: رد قضاء قاض وجر شفاء شاف؟

فقال: لا قال: فليس [ذلك بشيء] .

وقال جعفر الصادق: إذا مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة «٣» .

سامر بن عبد الله «٤» : إذا أمرضتني مقاساة الخلق شفاني بذكره والأنس به.

والذي يميتني ثم يحيين أدخل هاهنا (ثم) للقطع والتراخي.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٣٣/١

قال أهل اللسان والإشارة: يميتني بالعدل ويحييني بالفضل، يميتني بالمعصية ويحييني بالطاعة، يميتني بالفراق ويحييني بالتلاقي، يميتني بالخذلان ويحييني بالتوفيق، يميتني غنى ويحييني به، يميتني بالجهل ويحييني بالعلم.

والذي أطمع أرجو أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين قراءة العامة بالتوحيد.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حنش قال: حدثنا أبا القاسم بن الفضل قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أحمد بن يزيد قال: حدثنا روح عن أبي اليقظان قال: حدثنا الحكم السلمي

---

(١) سورة الكهف: ٧٩.

(٢) سورة الكهف: ٨٢.

(٣) تفسير القرطبي: ١٣/ ١١١.

(٤) في النسخة الثانية: قال أبو عبد الله.." [1]

"٨١ - وقوله: ﴿والذي يميتني﴾ أي: في الدنيا ﴿ثم يحيين﴾ للبعث. قاله ابن عباس، والمفسرون (١).

قال صاحب النظم: كانوا لا يدفعون الموت، إلا أنهم يجعلون له سببا سوى الله، ويكفرون بالبعث، فأعلم إبراهيم أنه هو الذي يميت، ثم يحي (٢). ودخلت (ثم) للتراخي الذي بين الموت والحياة (٣).

٨٢ - وقوله: ﴿والذي يميتني﴾ قال مقاتل: أرجو (٤) ﴿أن يغفر لي خطيئتي﴾ قال مجاهد، ومقاتل، والكلبي، والحسن (٥)، هي قوله لسارة: أختي، وقوله: ﴿إني سقيم﴾ وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ وهي الكذبات الثلاث (٦).

= [الشورى: ٣٠] وفيه كفارة. وجعل البغوي ٦/ ١١٨، إضافة المرض إلى نفسه استعمالا **لحسن الأدب**. وهذا أولى، والله أعلم.

(١) "تفسير ابن جرير" ١٩/ ٨٥.

(٢) "تفسير الوسيط" ٣/ ٣٥٥، منسوبا لصاحب النظم.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٦٩/٧

(٣) وقد أحسن الواحدي صنعا في إعراضه عن ذكر الأقوال الغريبة، والشاذة التي ذكرها الثعلبي ٨/ ١١١ ب، عن بعض أهل المعرفة، وإن كان الأحسن أن يشير إلى نقده لتلك الأقوال كما فعل القرطبي ١٣/ ١١١، وغيره من أهل العلم.

(٤) "تفسير مقاتل" ٥١ ب. و"تنوير المقباس" ٣٠٩.

(٥) الحسن غير موجودة في نسخة (ب).

(٦) "تنوير المقباس" ٣٠٩. و"تفسير مجاهد" ٢/ ٤٦٢. و"تفسير مقاتل" ٥١ ب. وأخرجه بسنده ابن جرير ١٩/ ٨٥، عن مجاهد. وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٠، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعا. ولفظه عند البخاري، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (لم يكذب إبراهيم -عليه السلام- إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله -عز وجل-؛ قوله: ﴿إني سقيم﴾ وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن هاهنا رجلا معه امرأة مر أحسن =." [١]

"أبو عمرو الفراتي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن إسماعيل العنبري، أخبرنا أبو عبد الله بن حازم البغوي بمكة، أخبرنا أبو صالح بن أيوب الهاشمي، أخبرنا إبراهيم بن سعد، أخبرنا سعيد بن محمد، عن يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله من عابد بخيل" (١) .

﴿والكاظمين الغيظ﴾ أي: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، والكظم: حبس الشيء عند امتلائه ٦٩/أوكظم الغيظ أن يمتلئ غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره. ومنه قوله تعالى: " إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين " (سورة غافر -١٨) أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عمرو الفراتي، أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الإسفرايني، أخبرنا أبو عبد الله بن محمد زكريا العلاني، أخبرنا روح بن عبد المؤمن، أخبرنا أبو عبد الرحمن المقري أخبرنا سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء ". (٢) .

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧/ ٧٠

﴿والعافين عن الناس﴾ قال الكلبي عن **المملوكين سوء الأدب**، وقال زيد بن أسلم ومقاتل: عمن ظلمهم وأساء إليهم. ﴿والله يحب المحسنين﴾ (٣) .

﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (١٣٥) ﴾

قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ الآية قال ابن مسعود: قال المؤمنون: يا

---

(١) أخرجه الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في السخاء: ٦ / ٩٥ - ٩٦ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث سعيد بن محمد وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إنما يروى عن يحيى بن سعيد عن عائشة شيء مرسل. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعيد بن محمد الوراق وهو ضعيف. المجمع: ٣ / ١٢٧. وانظر: فيض القدير للمناوي: ٤ / ١٣٩.

(٢) أخرجه أبو دواد في الأدب باب فيمن كظم غيظا: ٧ / ١٦٤ قال: المنذري وسهل بن معاذ بن أنس الجهني: ضعيف والذي روى عنه هذا الحديث: أبو مرحوم عبد الرحيم بم ميمون الليثي مولاهم المصري ولا يحتج بحديثه. وأخرجه الترمذي في البر والصلة باب في كظم الغيظ: ٦ / ١٦٦ وقال: هذا حديث حسن غريب وأخرجه في القيامة أيضا. وأخرجه ابن ماجه في الزهد باب الحلم برقم (٤١٨٦) : ٢ / ١٤٠٠، وأحمد في المسند: ٣ / ٤٣٨. وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢ / ٣١٧: لعبد بن حميد والبيهقي في الشعب.

(٣) في المطبوع هذه الزيادة: "عن الثوري: الإحسان أن تحسن إلى المسيء فإن الإحسان إلى المحسن تجارة". وليست في النسختين المخطوطتين.." [(١)]

"﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين (٨٤) واجعلني من ورثة جنة النعيم (٨٥) ﴾

﴿وإذا مرضت﴾ أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالا **لحسن الأدب** كما قال الخضر: "فأردت أن أعيبها" (الكهف-٧٩) ، وقال: "فأراد ربك أن يبلغا أشدهما" (الكهف-٨٢) . ﴿فهو يشفين﴾ أي: يبرئني من المرض. ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ أدخل "ثم" هاهنا للتراخي، أي: يميتني في الدنيا ويحييني في الآخرة. ﴿والذي أطمع﴾ أي: أرجو، ﴿أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٠٥/٢

أي: خطاياي يوم الحساب. قال مجاهد: هو قوله: "إني سقيم"، وقوله: "بل فعله كبيرهم هذا"، وقوله لسارة: "هذه أختي"، وزاد الحسن وقوله للكواكب: "هذا ربي". وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حفص بن غياث، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قال: قلت يا رسول الله: ابن جدعان، كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: "لا ينفعه إنه لم يقل يوما، رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين" (١) وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه، وإخبار أنه لا يصلح للإلهية من لا يفعل هذه الأفعال. ﴿رب هب لي حكما﴾ قال ابن عباس: معرفة حدود الله وأحكامه. وقال مقاتل: الفهم والعلم. وقال الكلبي: النبوة (٢) ﴿وألحقني بالصالحين﴾ بمن قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة. ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أي: ثناء حسنا، وذكرا جميلا وقبولا عاما في الأمم التي تجيء بعدي، فأعطاه الله ذلك، فجعل كل أهل الأديان يتولونه ويثنون عليه. قال القتيبي: وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون به. ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ أي: ممن تعطيه جنة النعيم.

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، برقم (٢١٤) : ١ / ١٩٦.

(٢) اعتمده الطبري ولم يذكر غيره، وهو مروي أيضا عن ابن عباس وانظر الأقوال في: زاد المسير: ٦ / ١٣٠.." (١)

"القول على معناه لأن معنى (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) . ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به، حتى يستقيم تفسيره يأن اعبدوا الله ربى وربكم. ويجوز أن تكون «أن» موصولة «١» عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه، أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة، وأنزلت عليهم من البينات، وأرسلت إليهم من الرسل إن تعذبهم فإنهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز القوى القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب. فإن قلت: المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال: (وإن تغفر لهم) «٢» ؟ قلت: ما قال إنك تغفر

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١١٨/٦

لهم، ولكنه بنى الكلام على: إن غفرت، فقال: إن عذبتهم عدلت، لأنهم أحقاء

---

(١) . عاد كلامه. قال: ويجوز أن تكون أن موصولة ... الخ» قال أحمد: يريد بجعله عطف بيان أن يسلم من تقدير إطراح الأول في البدل وخلو الصلة حينئذ من العائد. وقد بينا أن ذلك غير لازم في البدل. والعجب أنه أيضا في مفصله لم يفصل بين عطف البيان والبدل، إلا في مثل قول المرار:

أنا ابن التارك البكري بشر

لأنه لو جعله بدلا للزم تكرير العامل، وإضافة اسم الفاعل العرف بالألف واللام إلى العلم ولم يفصل بينهما في غير هذا المثال ومن حيث المعنى أن المعتمد في عطف البيان الأول. وأما الثاني فللتوضيح. والمعتمد في البدل الثاني.

وأما الأول فبساط لذكره، لا على أنه مطرح مهدر.

(٢) . قال محمود «إن قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وإن تغفر لهم ... الخ» ؟ قال أحمد رحمه الله: تذبذب الزمخشري في هذا الموضع فلا إلى أهل السنة ولا إلى القدرية. أما أهل السنة، فالمغفرة للكافر جائزة عندهم في حكم الله تعالى عقلا، بل عقاب المتقى المخلص كذلك غير ممتنع عقلا من الله تعالى، وإذا كان كذلك فهذا الكلام خرج على الجواز العقلي، وإن كان السمع ورد بتعذيب الكفار وعدم الغفران لهم، إلا أن ورود السمع بذلك لا يرفع الجواز العقلي. وأما القدرية فيزعمون أن المغفرة للكافر ممتنعة عقلا، لا تجوز على الله تعالى لمناقضتها الحكمة، فمن ثم كفحتهم هذه الآية بالرد، إذ لو كان الأمر كزعمهم لما دخلت كلمة «إن» المستعملة عند الشك في وقوع الفعل بعدها لغة في فعل لا شك في عدم وقوعه عقلا، ولكان ذلك من باب التعليق بالمحال، كأن يبيض القار وأشباهه. وليس هذا مكان. فقول الزمخشري إذا (إن تغفر لهم) لم يعدم وجها من الحكمة في المغفرة لأن العفو عن المجرم حسن عقلا لا يأتلف بقواعد السنة، إذ لا يلتفت عندهم إلى التحسين العقلي، ولا يأتلف أيضا بنزغات القدرية، لأنهم يجزمون بأنه لا وجه من الحكمة في المغفرة للكافر، ويقطعون بمنافاتها الحكمة. فكيف يخاطب الله تعالى به، فعلم أن عيسى عليه السلام يبرأ إلى الله من هذا الإطلاق ومما اشتمل عليه **من سوء الأدب**، فان قول القائل لمن يخاطبه: ما فعل كذا فلن يعدم فيه عذرا ووجها من المصلحة كلام مبذول وعبارة نازلة

عن أوفى مراتب الأدب، إنما يطلقها المتكلم لمن هو دونه عادة، فنسأل الله إلهام الأدب وتجنب ما في إساءته من مزلات العطب.." (١)

"بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ونظمهما في سلك القضاء بهما معا، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في استطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك. والنهى والنهر والنهم: أخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا، كما يقتضيه **حسن الأدب** والنزول على المروءة. وقيل:

هو أن يقول: يا أبتاه، يا أماه، كما قال إبراهيم لأبيه: يا أبت، مع كفره، ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار «١» . قالوا: ولا بأس به في غير وجهه، كما قالت عائشة رضى الله عنها: نحلنى أبو بكر كذا «٢» . وقرئ: جناح الذل، والذل: بالضم والكسر فإن قلت: ما معنى قوله جناح الذل؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون المعنى: واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه إلى الذل أو الذل، كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى: واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول. والثاني: أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا، كما جعل لبيد للشمال «٣» يدا، وللقوة زماما، مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما، لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس، ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك. فان قلت: الاسترحام لهما إنما يصح إذا كانا مسلمين. قلت: وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الايمان، وأن يدعو الله لهما بالهداية والإرشاد، ومن الناس من قال: كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ. وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال: كل ذلك واصل إليه، ولا شيء أنفع له من الاستغفار. ولو كان شيء أفضل منه ل أمركم به في الأبوين. ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين. وعن النبى صلى الله عليه وسلم «رضا الله في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما «٤» » وروى «يفعل البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار، ويفعل

---

(١) . قوله «وسوء الأدب وعادة الدعار» من الدعارة وهي الفسق والخبث والفساد. كذا في الصحاح. (ع)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٩٦/١

(٢) . أخرجه في الموطأ عن الزهري عن عائشة قالت «إن أبا بكر كان نحلنى جداد عشرين وسقا من ماله بالعالية.

فلما حضرته الوفاة. قال: ما من الناس أحب إلى منك» .

(٣) . قوله «كما جعل لبيد الشمال يدا» في قوله:

وغداة ريح قد كشفت وقرة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها (ع)

(٤) . أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال: روى موقوفا. ورواه البزار وقال: لا نعلم أحدا أسنده إلا خالد بن الحرث. وفيه نظر، لأن الحاكم أخرجه من طريق عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة مرفوعا وكذا أخرجه الطبراني وال بيهقي من رواية القاسم بن سليم عن شعبة مرفوعا. وللبيهقي أيضا من رواية الحسين بن الوليد عن شعبة مرفوعا. قال: وروينا أيضا من رواية أبى إسحاق الفزاري وزيد بن أبى الرها وغيرهم مرفوعا. ورواية أبى إسحاق عند أبى يعلى. وقال البخاري. في الأدب المفرد: حدثنا آدم بن أبى إياس حدثنا شعبة فذكره موقوفا وفي الباب عن ابن عمر أخرجه البزار وقال: تفرد به عصمة بن محمد الأنصارى عن يحيى بن سعيد. [.....]." (١)

"إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذريته كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه. ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره «١» ما هو فيه من التبعة والوبال، ولم يخل ذلك من **حسن الأدب**، حيث لم يصرح بأن العقاب لا حق له وأن العذاب لا صق به، ولكنه قال: أخاف أن يمسك عذاب، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب، وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه، وسماه الله تعالى المشهود له «٢» بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله، أكبر من العذاب نفسه وأعظم، وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله يا أبت توسلا إليه واستعطافا. ف ما

في ما لا يسمع

وما لم يأتك يجوز أن تكون موصولة وموصوفة، والمفعول في لا يسمع ولا يبصر

منسى غير منوي، كقولك: ليس به استماع ولا إبصار شيئا

يحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون في موضع المصدر، أى: شيئا من الغناء، ويجوز أن يقدر نحوه مع

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٥٨/٢

الفعلين السابقين. والثاني: أن يكون مفعولا به من قولهم: أغن عنى وجهك إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فيه تجدد العلم عنده.

[سورة مريم (١٩) : آية ٤٦]

قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا (٤٦)

لما أطلعه على سماجة صورة أمره، وهدم مذهبه بالحجج القاطعة، وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات، أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل يا أبت بيا بنى، وقدم الخبر على المبتدأ في قوله أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته، ما ينبغي أن يرغب عنها أحد. وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لأرجمنك لأرمينك بلساني، يريد الشتم والذم، ومنه الرجيم المرمى باللعن. أو لأقتلنك، من رجم الزاني. أو لأطردنك رميا بالحجارة.

وأصل الرجم: الرمي بالرجام «٣» مليا زمانا طويلا من الملاوة: أو مليا بالذهاب عنى

---

(١) . قوله «وبما يجره» لعله وما يجره، فيكون عطفا على سوء العاقبة. (ع)

(٢) . قوله «وسماه الله تعالى المشهود له» لعله «مشهود له بأن رضوانه أكبر من الثواب» فليحرر. (ع)

(٣) . قوله «وأصل الرجم الرمي بالرجام» أى الحجارة الضخام، كذا في الصحاح. (ع)." [1]

"أى: يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والإذعان للحق أو يخشى أن يكون الأمر كما تصفان، فيجره إنكاره إلى الهلكة.

[سورة طه (٢٠) : آية ٤٥]

قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى (٤٥)

فرط: سبق وتقدم. ومنه الفارط: الذي يتقدم الواردة. وفرس فرط: يسبق الخيل، أى: نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها. وقرئ يفرط من أفرطه غيره إذا حمله على العجلة. خافا أن يحمله حامل على المعاجلة

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٢٠

بالعقاب «١» من شيطان، أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية. أو من حبه الرياسة، أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقرئ: يفرط، من الإفراط في الأذية، أى: نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة. أو يجاوز الحد في معاقبتنا إن لم يعاجل، بناء على ما عرفا وجربا من شرارته وعتوه أو أن يطغى بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي، لجرأته عليك وقسوة قلبه. وفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز: باب من **حسن الأدب** وتحاش عن التفوه بالعظيمة.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٤٦ الى ٤٨]

قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى (٤٦) فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى (٤٧) إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى (٤٨)

معكما أى حافظكما وناصركما أسمع وأرى ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل، فأفعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما، فجائز أن يقدر أقوالكم وأفعالكم، وجائز أن لا يقدر شيء، وكأنه قيل: أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر. وإذا كان الحافظ والناصر كذلك، تم الحفظ وصحت النصرة، وذهبت المبالاة بالعدو. كانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون والقبط، يعذبونهم بتكليف الأعمال الصعبة: من الحفر والبناء ونقل الحجارة، والسخرة في كل شيء، مع قتل الولدان، واستخدام النساء قد جئناك بآيةٍ من ربك جملة جارية من الجملة الأولى

---

(١) . قال محمود: «معنى يفرط علينا يعجل بعقوبتنا ... الخ» قال أحمد: وإذا روعي في الأدب إطلاق هذه اللفظة عن مجروريها، فلا يبعد أن يراعى في الأدب بالاعتراف بتقلد منة الله عز وجل زيادة المجرور في قوله اشرح لي صدري كما قدمته آنفا، والله أعلم.." (١)

"صفا لأنه أهيب في صدور الرائين. وروى أنهم كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا إقبالة واحدة. وعن أبى عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى، لأن الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين. ووجه صحته أن يقع علما لمصلى بعينه، فأمروا بأن يأتوه. أو يراد.

ائتوا مصلى من المصليات وقد أفلح اليوم من استعلى اعتراض. يعنى: وقد فاز من غلب.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٦٦

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٦٥ الى ٦٦]

قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى (٦٥) قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦)

أن مع ما بعده إما منصوب بفعل مضمر. أو مرفوع بأنه خبر مبتدإ محذوف. معناه:

اختر أحد الأمرين، أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا. وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه، وتواضع له وخفض جناح، وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم «١» ، وكأن الله عز وعلا ألهمهم ذلك، وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار إلقائهم أو لا، مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب، حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر. ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم، فإذا فعلوا: أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه، وسلط المعجزة على السحر فمحقته، وكانت آية نيرة للناظرين، وعبرة بينة للمعتبرين. يقال في «إذا» هذه: إذا المفاجأة. والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت، الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف إليها، خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة الجملة ابتدائية لا غير، فتقدير قوله تعالى فإذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم. وهذا تمثيل. والمعنى:

على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعى. وقرئ عصيهم بالضم وهو الأصل، والكسر إتباع، ونحوه: دلى ودلى، وقسى وقسى. وقرئ «تخيل» على إسناده إلى ضمير الحبال والعصى وإبدال قوله أنها تسعى من الضمير بدل الاشتمال، كقولك: أعجبنى زيد كرمه، وتخيل على كون الحبال والعصى مخيلة سعيها. وتخيل. بمعنى تتخيل. وطريقه طريق تخيل. ونخيل: على أن الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء. يروى أنهم لطخوها بالزئبق، فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت، فخيلت ذلك.

---

(١) . قال محمود: «لقد ألهمهم الله **حسن الأدب** مع موسى عليه السلام في تخييره وإعطاء النصفة من أنفسهم» قال أحمد: وقبل ذلك تأدبوا معه بقولهم فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه ففوضوا ضرب الموعد إليه، وكما ألهم الله عز وجل موسى هاهنا أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون إلقاؤه العصا بعد قذفا بالحق

على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، كذلك ألهمه من الأول أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم، ليكون الحق أبلج على رؤس الأشهاد، فيكون أفصح لكيدهم وأهتك لستر حرمهم، والله أعلم." (١)

"على ما امتحنت به. وقيل: خطبها أوريا ثم خطبها داود، فآثره أهلها، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن، مع كثرة نسائه. وأما ما يذكر أن داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال: يا رب إن آبائي قد ذهبوا بالخير كله، فأوحى إليه: إنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها: قد ابتلى ابراهيم بنمروذ وذبح ولده، وإسحاق بذبحه وذهاب بصره، ويعقوب بالحزن على يوسف. فسأل الابتلاء فأوحى الله إليه: إنك لمبتلى في يوم كذا وكذا، فاحترس، فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور، فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب، فمد يده ليأخذها لابن له صغير، فطارت، فامتد إليها، فطارت فوقعت في كوة، فتبعها، فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها، وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء، «١» فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء. أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت، وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد، ففتح الله على يده وسلم، فأمر برده مرة أخرى، وثالثة، حتى قتل، فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء، وتزوج امرأته. فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين، «٢» فضلا عن بعض أعلام الأنبياء. وعن سعيد ابن المسيب والحرث الأعور: أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء «٣» . وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث به وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها، وأعظم بأن يقال غير ذلك.

وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه. فقال عمر: لسماعى هذا الكلام أحب إلى مما طلعت عليه الشمس. والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب. فإن قلت: لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح؟ قلت: لكونها أبلغ في التوبيخ، من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به، كان أوقع في نفسه، أشد تمكنا من قلبه، وأعظم أثرا فيه، وأجلب لاحتشامه وحيائه، وأدعى إلى التنبه على الخطإ فيه من أن يبادره به صريحا، مع مراعاة **حسن الأدب** بترك المجاهرة. ألا ترى إلى الحكماء كيف

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٧٣/٣

أوصوا في سياسة الولد إذا

---

(١) . قوله «من غزاة البلقاء» في الصحاح: مدينة بالشام. (ع)

(٢) . قوله «من أفناء المسلمين» في الصحاح: يقال: هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو. وعبارة النسفي بدل قوله: فهذا ونحوه ... الخ: فلا يليق من المتسمين ... الخ. (ع)

(٣) . لم أجده." (١)

"ولد الملك لتعظيم أبيه، وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض، وهو المبالغة في نفى الولد والإطناب فيه، وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد، وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محالا مثلها، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة، وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها. ونظيره أن يقول العدلى للمجبر «١» . إن كان الله تعالى خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا، فأنا أول من يقول: هو شيطان وليس بإله، فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفى أن يكون الله تعالى خالقا للكفر، وتنزيهه عن ذلك وتقديسه، ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا، مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب إليه، والشهادة القاطعة بإحالته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه، وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه. ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له-: أما والله «٢» لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى-: لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك. وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه، فقيل: إن كان للرحمن ولد في زعمكم، فأنا أول العابدين الموحدين لله، المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه. وقيل: إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد: إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد. وقرأ بعضهم:

العبدين. وقيل: هي إن النافية، أى: ما كان للرحمن ولد، فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد، وروى أن النضر بن عبد الدار بن قصى قال: إن الملائكة بنات الله فنزلت، فقال النضر: ألا ترون أنه قد صدقنى. فقال له الوليد بن المغيرة: ما صدقك ولكن قال: ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة: أن لا ولد له. وقرئ: ولد، بضم الواو. ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السماوات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد،

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٨١/٤

ليدل على أنه من صفة الأجسام.

---

(١) . قوله «ونظيره أن يقول العدلى للمجبر» يريد: أحد المعتزلة لأحد أهل السنة، وفي هذا التنظير من سوء الأدب في حقه تعالى ما لا يخفى. (ع)

(٢) . قوله «قال له: أما والله» في الصحاح: «أما» مخفف تحقيق للكلام الذي يتلوه اه. ولعل حذف الألف لغة، فليحرر. (ع)." [١]

"وقد استدل أصحاب الشافعي رضى الله عنه بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر، وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر.

[سورة الحشر (٥٩) : الآيات ٢١ الى ٢٢]

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (٢١) هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢)

هذا تمثيل وتخييل «١» ، كما مر في قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة وقد دل عليه قوله وتلك الأمثال نضربها للناس والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره. وقرئ: مصدعا على الإدغام وتلك الأمثال إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل.

[سورة الحشر (٥٩) : الآيات ٢٣ الى ٢٤]

هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (٢٣) هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٤)

الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كأنه يشاهده. وقيل: ما غاب عن العباد وما شاهدوه. وقيل: السر والعلانية. وقيل: الدنيا والآخرة القدوس بالضم والفتح- وقد قرئ بهما- البليغ في النزاهة عما يستقبح. ونظيره: السبوح، وفي تسبيح الملائكة:

سبوح قدوس رب الملائكة والروح. والسلام بمعنى السلامة. ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٢٦٦

في وصف كونه سليما من النقائص. أو في إعطائه السلامة والمؤمن واهب الأمن. وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار، كما تقول في قوم موسى من قوله تعالى واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين. والمهيمن الرقيب على كل شيء، الحافظ له، مفيعل من الأمن، إلا أن همزته قلبت هاء. والجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد، أى أجبره، والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة. وقيل: المتكبر عن ظلم عباده. والخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه من بعض بالأشكال

---

(١) . قال محمود: «هذا تخييل وتمثيل كما تقدم الخ» قال أحمد: وهذا مما تقدم إنكارى عليه فيه، أفلا كان يتأدب بأدب الآية: حيث سمى الله هذا مثلا ولم يقل: وتلك الخيالات نضربها للناس، ألهمنا الله **حسن الأدب** معه والله الموفق.." [١]

"ومحله النصب على الحال، كأنه قال: ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك «١» ، ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله، لأنها زائدة لتأكيد النفي. والمعنى، استبعاد ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسدا، وأنه من إنعام الله عليه بحصافة العقل «٢» والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة، بمنزل وإن لك على احتمال ذلك وإساغة الغصة فيه والصبر عليه لأجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك به «٣» ، لأنه ثواب تستوجبه «٤» على عملك، وليس بتفضل ابتداء، وإنما تمن الفواضل لا الأجور على الأعمال.

[سورة القلم (٦٨) : آية ٤]

وإنك لعلى خلق عظيم (٤)

استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات «٥» من قومه وحسن مخالفته ومداراته لهم. وقيل: هو الخلق الذي أمره الله تعالى به في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضى الله عنها: أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن، ألست تقرأ القرآن: قد أفلح المؤمنون «٦» .

[سورة القلم (٦٨) : الآيات ٥ الى ٦]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٠٩/٤

فستبصر ويبصرون (٥) بأيكم المفتون (٦)

المفتون المجنون، لأنه فتن: أى محن بالجنون. أو لأن العرب يزعمون أنه من تخبيل الجن، وهم الفتان للفتاك منهم، والباء مزيدة. أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود، أى: بأيكم

---

(١) . قوله «منعما عليك بذلك» كذا في النسفي بعد ما سبق فيه ما أنت بنعمة ربك أى بانعامه عليك بالنبوة وغيرها. وهذا مرجع الاشارة. (ع)

(٢) . قوله «وإنه من إنعام الله بحصافة» لعله من إنعام الله عليه بحصافة العقل أى استحكامه. كما أفاده الصحاح. (ع)

(٣) . قال محمود: «معناه غير مقطوع، كقوله عطاء غير مجذوذ ... الخ» قال أحمد: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يرضى من الزمخشري بتفسير الآية هكذا. وهو صلى الله عليه وسلم يقول «لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة» ولقد بلغ **بالزمخشرى سوء الأدب** إلى حد يوجب الحد، وحاصل قوله: أن الله لا منة له على أحد ولا فضل في دخول الجنة لأنه قام بواجب عليه، نعوذ بالله من الجرأة عليه.

(٤) . قوله «لأنه ثواب تستوجبه على عملك» وجوب الثواب عليه تعالى مذهب المعتزلة، ولا يجب عليه شيء عند أهل السنة. (ع)

(٥) . قوله «احتماله الممضات» أى: الموجعات. أفاده الصحاح. (ع)

(٦) . أخرجه مسلم من رواية زرارة ابن أبى أو في عن سعد بن هشام عنه، وفيه قصة، وأخرجه الحاكم مختصرا بلفظ المصنف.." (١)

"فلذلك صرفت، وهذه نذارة من نوح لقومه دعاهم إلى عبادة الله وحده ورفض آلهتهم المسماة ودا وسواعا ويغوث ويعوق وغيرها مما لم يشتهر، وقرأ الكسائي وحده «غيره» بالكسر من الراء على النعت ل إله، وهي قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وأبي جعفر، وقرأ الباقون «غيره» بالرفع، وقرأ حمزة والكسائي «هل من خالق غير الله» خفضا، وقرأ الباقون: «غير الله» رفعا والرفع في قراءة الجماعة هنا على البدل من قوله من إله لأن موضع قوله: من إله رفع، وهو الذي رجح الفارسي، ويجوز أن يكون نعتا على الموضع لأن التقرير ما لكم إله غيره، أو يقدر «غير» ب «إلا» فيعرب بإعراب ما يقع بعد «إلا» ، وقرأ عيسى بن عمر

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٨٥/٤

«غيره» بنصب الراء على الاستثناء، قال أبو حاتم: وذلك ضعيف من أجل النفي المتقدم، وقوله عذاب يحتمل أن يريد به عذاب الدنيا ويحتمل أن يريد به عذاب الآخرة.
والملأ الجماعة الشريفة، قال الطبري: لا امرأة فيهم، وحكاه النقاش عن ثعلب في الملأ والرهط والنفر والقوم، وقيل هم مأخوذون من أنهم يملؤون النفس والعين، ويحتمل أن يكون من أنهم إذا تمالؤوا على أمرتم، وقال سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري عند قفول رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر إنما قتلنا عجائز صلعا. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أولئك الملأ من قريش لو حضرت أفعالهم لاحتقرت فعلك» . والملأ صفة غالبة وجمعه أملاء وليس من باب رهط وإن كانا اسمين للجمع لأن رهط لا واحد له من لفظه، و «ملأ» يوجد من لفظه مالىء قال أحمد بن يحيى: المالئ الرجل الجليل الذي يملأ العين بجهرته فيجيء كعازب وخادم ورائح فإن أسماء جموعها عرب وخدم وروح، وإن كانت اللفظة من تمالأ القوم على كذا فهي مفارقة باب رهط ومنه قول علي رضي الله عنه: ما قتلت عثمان ولا مالأت في دمه، وقال ابن عباس «الملؤ» بواو وكذلك هي في مصاحف الشام، وقولهم لنراك يحتمل أن يجعل من رؤية البصر، ويحتمل من رؤية القلب وهو الأظهر وفي ضلال أي في إتلاف وجهالة بما تسلك.
وقوله لهم جوابا عن هذا ليس بي ضلالة مبالغة في **حسن الأدب** والإعراض عن الجفاء منهم وتناول رفيق وسعة صدر حسبما يقتضيه خلق النبوة، وقوله: ولكني رسول تعرض لمن يريد النظر والبحث والتأمل في المعجزة.
قال القاضي أبو محمد: ونقدر ولا بد أن نوحا عليه السلام وكل نبي مبعوث إلى الخلق كانت له معجزة تخرق العادة فمنهم من عرفنا بمعجزته ومنهم من لم نعرف.
وقرأ السبعة سوى أبي عمرو «أبلغكم» بشد اللام وفتح الباء، بسكون الباء وتخفيف اللام، وقوله صلى الله عليه وسلم وأعلم من الله ما لا تعلمون وإن كان لفظا عاما في كل ما علمه فالمقصود منه هنا المعلومات المخوفات عليهم لا سيما وهم لم يسمعوا قط بأمة عذبت فاللفظ مضمن الوعيد.
قوله عز وجل:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٦٣ الى ٦٤]

أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون (٦٣) فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين (٦٤)." [١]

"يجاب، وأن قوله هاهنا يقولوا إنما هو جواب قل.

قال القاضي أبو محمد: ولا يصح المعنى على هذا بأن يجعل قل مختصة بهذه الألفاظ على معنى أن يقول لهم النبي: قولوا التي هي أحسن وإنما يصح بأن يكون قل أمرا بالمحاورة في هذا المعنى بما أمكن من الألفاظ، كأنه قال بين لعبادي، فتكون ثمرة ذلك القول والبيان قولهم التي هي أحسن، وهذا المعنى يجوزه مذهب سيبويه الذي قدمنا ومذهب أبي العباس المبرد: أن يقولوا جواب لأمر محذوف، تقديره: وقل لعبادي «قولوا التي هي أحسن» يقولوا فحذف وطوي الكلام، ومذهب الزجاج: أن يقولوا جزم بالأمر، بتقدير قل لعبادي ليقولوا، فحذفت اللام لتقدم الأمر، وحكى أبو علي في الحلبيات في تضاعيف كلامه: أن مذهب أبي عثمان المازني في يقولوا أنه فعل مبني، لأنه مضارع حل محل المبني الذي هو فعل الأمر لأن المعنى قل لعبادي قولوا، واختلف الناس في التي هي أحسن فقالت فرقة: هي لا إله إلا الله، ويلزم على هذا أن يكون قوله لعبادي يريد به جميع الخلق، لأن جميعهم مدعو إلى لا إله إلا الله. ويجيء قوله بعد ذلك إن الشيطان ينزغ بينهم غير مناسب للمعنى، إلا على تكره، بأن يجعل بينهم بمعنى خلالهم، وأثناءهم، ويجعل النزع بمعنى الوسوسة والإضلال، وقال الجمهور: التي هي أحسن هي المحاورة الحسنى بحسب معنى قال الحسن: يقول: يغفر الله لك، يرحمك الله، وقوله لعبادي خاص بالمؤمنين، فكأن الآية بمعنى قوله عليه السلام، «وكونوا عباد الله إخوانا» ثم اختلفوا، فقالت فرقة: أمر الله المؤمنين فيما بينهم **بحسن الأدب**، وخفض الجناح، وإلانة القول، واطراح نزغات الشيطان، وقالت فرقة: إنما أمر الله في هذه الآية المؤمنين بإلانة القول للمشركين بمكة، أيام المهادنة، وسبب الآية: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه بعض الكفرة، فسبه عمر وهم بقتله، فكاد أن يثير فتنة، فنزلت الآية وهي منسوخة بآية السيف، وقرأ الجمهور: «ينزغ» بفتح الزاي، وقرأ طلحة بن مصرف: «ينزغ» ، بكسر الزاي على الأصل قال أبو حاتم: لعلها لغة، والقراءة بالفتح، ومعنى النزغ: حركة الشيطان بسرعة ليوجب فسادا، ومنه قول النبي عليه السلام «لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح لا ينزع الشيطان في يده» فهذا يخرج اللفظة عن الوسوسة، و «عداوة الشيطان البينة» هي قصته مع آدم عليه السلام فما بعد، وقوله تعالى: ربكم أعلم بكم الآية، هذه الآية تقوي أن التي قبلها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة وذلك أن هذه المخاطبة في قوله ربكم أعلم بكم هي لكفار

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٤١٥

مكة بدليل قوله وما أرسلناك عليهم وكيلا فكأن الله عز وجل أمر المؤمنين أن لا يخاشنوا الكفار في الدين ثم قال للكفار إنه أعلم بهم، ورجاهم وخوفهم، ومعنى يرحمكم بالتوبة عليكم من الكفر، قاله ابن جريج وغيره، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: فإنما عليك البلاغ، ولست بوكيل على إيمانهم ولا بد، فتتناسب الآيات بهذا التأويل ثم قال تبارك وتعالى لنبيه عليه السلام وربك أعلم بمن في السماوات والأرض وهو الذي فضل بعض الأنبياء على بعض بحسب علمه فيهم، فهذه إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى استبعاد قريش أن يكون الرسول بشرا، المعنى: لا تنكروا أمر محمد عليه السلام، وإن أوتي قرآنا، فقد فضل النبيون، وأوتي داود زبورا، فالله أعلم حيث يجعل رسالاته، وتفضيل بعض الرسل، هو إما بهذا الإخبار المجمل دون أن يسمى المفضول وعلى هذا يتجه لنا أن نقول محمد." (١)

"وقالت فرقة إن هلك يتعدى، تقول أهلكت الرجل وهلكته بمعنى واحد، وأنشد أبو علي في ذلك: [الرجز] ومهمه هالك من تعرجا فعلى هذا يكون المصدر في كل وجه مضافا إلى المفعول، وقوله وإذ قال موسى الآية ابتداء قصة ليست من الكلام الأول، المعنى: اذكر واتل، وموسى هو موسى بن عمران بمقتضى الأحاديث والتواريخ وبظاهر القرآن، إذ ليس في القرآن موسى غير واحد، وهو ابن عمران ولو كان في هذه الآية غيره لبينه، وقالت فرقة منها نوف البكالي أنه ليس موسى بن عمران، وهو موسى بن مشنى، ويقال ابن منسى، وأما «فتاه» فعلى قول من قال موسى بن عمران، فهو يوشع بن نون بن إفراييم بن يوسف بن يعقوب، وأما من قال هو موسى بن مشنى فليس الفتى يوشع بن نون، ولكنه قول غير صحيح، رده ابن عباس وغيره و «الفتي» في كلام العرب الشاب، ولما كان الخدمة أكثر ما يكونون فتيانا، قيل للخادم فتى، على جهة **حسن الأدب**، وندبت الشريعة إلى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي» ، فهذا ندب إلى التواضع، و «الفتى» في الآية هو الخادم، ويوشع بن نون يقال هو ابن أخت موسى عليه السلام، وسبب هذه القصة فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى جلس يوما في مجلس لبني إسرائيل، وخطب فأبلغ، فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك قال لا، فأوحى الله إليه بلى:

عبدنا خضر، فقال يا رب دلني على السبيل إلى لقيه، فأوحى الله إليه أن يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فإذا فقدت الحوت فإنه هنالك، وأمر أن يتزود حوتا، ويرتقب زواله عنه، ففعل موسى ذلك وقال لفتاه على جهة إمضاء العزيمة لا أبرح أسير، أي لا أزال، وإنما قال هذه المقالة وهو سائر، ومن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٤٦٤

هذا قول الفرزدق: [الطويل]

فما برحوا حتى تهادت نساؤهم ... ببطحاء ذي قار عياب اللطائم

وذكر الطبري عن ابن عباس: قال: لما ظهر موسى وقومه علىٰ مصر، أنزل قومه بمصر، فلما استقرت الحال خطب يوما، فذكر بآلاء الله وأيامه عند بني إسرائيل، ثم ذكر نحو ما تقدم، وما مر بي قط أن موسى عليه السلام أنزل قومه بمصر إلا في هذا الكلام، وما أراه يصح، بل المتظاهر أن موسى مات بفحص التيه قبل فتح ديار الجبارين، وفي هذه القصة من الفقه الرحلة في طلب العلم، والتواضع للعالم، وقرأ الجمهور «مجمع» بفتح الميمين، وقرأ الضحاك «مجمع» بكسر الميم الثانية، واختلف الناس في مجمع البحرين أين هو؟ فقال مجاهد وقتادة هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم.

قال القاضي أبو محمد: وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام، هو مجمع البحرين

هو عند طنجة وهو حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه السائر من دبور إلى صبا. وروي عن أبي بن كعب أنه قال مجمع البحرين بإفريقية، وهذا يقرب من الذي قبله، وقال بعض أهل العلم هو بحر الأندلس من البحر المحيط، وهذا كله واحد حكاه النقاش وهذا مما يذكر كثيرا، ويذكر أن القرية التي أبت أن تضيفهما هي الجزيرة الخضراء، وقالت فرقة مجمع البحرين يريد بحرا ملحا وبحرا عذبا، فعلى هذا إنما كان." (١)

"وجد الخضر قاعدا على تيح البحر، وسمي الخضر خضرا لأنه جلس على فروة يابسة فاهتزت تحته خضراء، روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، و «الرحمة» في هذه الآية النبوءة، وقد ذكرنا الحديث المضمن أن سبب هذه القصة أن موسى عليه السلام، قيل له تعلم أحدا أعلم منك، قال: لا، وحكى الطبري حديثا آخر، مضمنه: أن موسى عليه السلام قال: من قبل نفسه: أي رب، أي عبادك أعلم؟ قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة خير تهديه، قال رب فهل في الأرض أحد؟ قال نعم فسأل السبيل إلى لقيه، والحديث الأول في صحيح البخاري، وقرأ الجمهور «من لدنا» بتشديد النون وقرأ أبو عمرو من «لدنا» بضم الدال وتخفيف النون، قال أبو حاتم هما لغتان.

قوله عز وجل:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٢٧/٣

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٦٦ الى ٧٣]

قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا (٦٦) قال إنك لن تستطيع معي صبرا (٦٧) وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا (٦٨) قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا (٦٩) قال فإن اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا (٧٠)

فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا (٧١) قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا (٧٢) قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا (٧٣)

هذه مخاطبة المستنزل المبالغ في **حسن الأدب**، المعنى: هل يتفق لك ويخف عليك، وهذا كما في الحديث «هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ» وعلى بعض التأويلات يجيء كذلك قوله هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة [المائدة: ١١٢] وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم «رشدا» بضم الراء والشين، وقرأ أبو عمرو «رشدا» بفتح الراء والشين، ونصبه على وجهين: أحدهما: أن يكون مفعولا ثانيا ب تعلمن والآخر أن يكون حالا من الضمير في قوله أتبعك ثم قال الخضر، إنك لن تستطيع معي صبرا أي إنك يا موسى، لا تطيق أن تصبر على ما تراه من عملي، لأن الظواهر التي علمك لا تعطيه، وكيف تصبر على ما تراه خطأ، ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب، فقرب له موسى الأمر بوعده أنه سيجده، ثم استثنى حين حكم على نفسه بأمر فقوى الخضر وصاته وأمره بالإمساك عن السؤال والإكنان لما يراه حتى يبتدئه الخضر لشرح ما يجب شرحه، وقرأ نافع فلا «تسألني» بفتح اللام، وتشديد النون وإثبات الياء وقرأ ابن عامر كذلك إلا أنه حذف الباء فقال «تسألن» ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي «تسألني» بسكون اللام وثبوت الياء، وقرأ الجمهور «خبرا» بسكون الباء، وقرأ الأعرج «خبرا» بضمها، وقوله فانطلقا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة، فعرف الخضر فحملا بغير قول إلى مقصد أمه الخضر، وعرفت السفينة بالألف واللام تعريف الجنس لا لعهد عينها، فلما ركبا عمد الخضر إلى وتد فجعل يضرب في جنب السفينة حتى قلع به، فيما روي لوحين من ألواحها فذلك هو معنى خرقها فلما." (١)

"الباقون «يفقهون» من فقه، والضمير في قالوا: للقوم الذين من دون السدين، ويأجوج ومأجوج: قبيلتان من بني آدم لكنهم ينقسمون أنواعا كثيرة، اختلف الناس في عددها، فاختصرت ذكره لعدم الصحة، وفي خلقهم تشويه: منهم المفرط الطول، ومنهم مفرط القصر، على قدر الشبر، وأقل، وأكثر، ومنهم صنف:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٣٠/٣

عظام الآذان، الأذن الواحدة وبرة والأخرى زعرى يصيف بالواحدة ويشتو في الأخرى وهي تعمه، واختلفت القراءة فقرأ عاصم وحده «يأجوج ومأجوج» بالهمز وقرأ الباقون: «يأجوج وماجوج» بغير همزة فأما من همز، فاختلف: فقالت فرقة: هو أعجمي علتاه في منع الصرف: العجمة والتأنيث، وقالت فرقة: هو معرب من أجج وأج، علتاه في منع الصرف التعريف والتأنيث، وأما من لم يهمز فإما أن يراهما اسمين أعجميين، وإما أن يسهل من الهمز، وقرأ رؤبة بن العجاج: «آجوج ومأجوج» بهمزة بدل الياء، واختلف الناس في «إفسادهم» الذي وصفوهم به، فقال سعيد بن عبد العزيز: «إفسادهم» : أكل بني آدم، وقالت فرقة «إفسادهم» إنما عندهم توقعا، أي سيفسدون، فطلبوا وجه التحرز منهم، وقالت فرقة: «إفسادهم» هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر، وهذا أظهر الأقوال، لأن الطائفة الشاكية إنما تشكت من ضرر قد نالها، وقولهم فهل نجعل لك خرجا استفهام على جهة **حسن الأدب**، و «الخرج» :
المجبي، وهو الخراج، وقال قوم: الخرج: المال يخرج مرة، والخراج المجبي المتكرر، فعرضوا عليه أن يجمعوا له أموالا يقيم بها أمر السد، قال ابن عباس خرجا: أجرا، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم «خرجا» وقرأ حمزة والكسائي «خراجا» وهي قراءة طلحة بن مصرف والأعمش والحسن بخلاف عنه وروي في أمر يأجوج ومأجوج أن أرزاقهم هي من التنين يمطرونها، ونحو هذا مما لم يصح، وروي أيضا أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف، والأنثى لا تموت حتى تخرج من بطنها ألف، فهم لذلك إذا بلغوا العدد ماتوا، ويروى أنهم يتناكحون في الطرق كالبهائم، وأخبارهم تضيق بها الصحف، فاختصرتها لضعف صحتها وقوله قال ما مكني الآية، المعنى قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله لي من القدرة والملك، خير من خرجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، وبعمل منكم بالأيدي، وقرأ ابن كثير «ما مكنني» بنونين، وقرأ الباقون «ما مكني» بإدغام النون الأولى في الثانية، وهذا من تأييد الله تعالى لذي القرنين، فإنه «تهدا؟؟؟» في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه، فإن القوم، لو جمعوا له خرجا لم يمنعه منهم أحد، ولوكلوه إلى البنيان، ومعونتهم بالقوة أجمل به، وأمر يطاول مدة العمل، وربما أربى على المخرج، و «الردم» أبلغ من السد، إذ السد كل ما سد به، و «الردم» وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، ومنه ردم ثوبه: إذا رقعه برقاع متكاثفة، بعضها فوق بعض، ومنه قول الشاعر:
[الكامل] هل غادر الشعراء من متردم أي من قول يركب بعضه على بعض.
قوله عز وجل:." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٤٢/٣

"هذه القصة تضمنت الإعلام بغيب والإيمان بما قطع أن محمدا عليه السلام لم يكن يعرفه ثم ظهر على لسانه في ذلك ما في الكتب المتقدمة، وليست هذه الآية مثالا لقريش إلا في أمر الأصنام فقط لأنه ليس فيها تكذيب وعذاب، وقول إبراهيم عليه السلام ما تعبدون استفهام بمعنى التقرير، والصنم ما كان من الأوثان على صورة ابن آدم من حجر أو عود أو غير ذلك، و «نظل» عرفها في فعل للشيء نهارا وبات عرفها في فعله ليلا، وطفق عامة للوجهين، ولكن قد تجيء ظل بمعنى العموم وهذا الموضع من ذلك، و «العكوف» اللزوم، ومنه المعتكف، ومنه قول الراجز: «عكف النبيط يلعبون الفنزجا» . ثم أخذ إبراهيم عليه السلام يوقفهم على أشياء يشهد العقل أنها بعيدة من صفات الله، وقرأ الجمهور بفتح الياء من «يسمعونكم» ، وقرأ قتادة بضمها من أسمع وبكسر الميم والمفعول على هذه القراءة محذوف، وقرأ جماعة من القراء إذ تدعون بإظهار الذال والتاء، وقرأ الجمهور إذ تدعون بإدغام الذال في التاء بعد القلب ويجوز فيه قياس مذكر، ولم يقرأ به وطرد القياس أن يكون اللفظ به «إذ ددعون» والذي منع من هذا اللفظ اتصال الدال الأصلية بالفعل فكثرت المماثلات، وقولهم بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، أقبح وجوه التقليد لأنه على ضلالة وفي أمر بين خلافه وعظيم قدره، فلما صرحوا لإبراهيم عليه السلام عن عدم نظرهم وأنه لا حجة لهم خاطبهم ببراءته من جميع ما عبد من دون الله وعداوته لذلك وعبر عن بغضته واطراحه لكل معبود سوى الله تعالى بالعداوة إذ هي تقتضي التغيير ومحو الرسم، وقيل في الكلام قلب لأن الأصنام لا تعادي وإنما هو عاداها، وقوله إلا رب العالمين قالت فرقة هو استثناء متصل لأن في بغضته الأقدمين من قد عبد الله، وقالت فرقة هو استثناء منقطع لأنه إنما أراد عبادة الأوثان من كل قرن منهم، ولفظة عدو تقع للجميع والمفرد والمؤنث والمذكر.

قوله عز وجل:

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٧٨ الى ٨٧]

الذي خلقني فهو يهدين (٧٨) والذي هو يطعمني ويسقين (٧٩) وإذا مرضت فهو يشفين (٨٠) والذي يميتني ثم يحيين (٨١) والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (٨٢)

رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين (٨٣) واجعل لي لسان صدق في الآخرين (٨٤) واجعلني من ورثة جنة النعيم (٨٥) واغفر لأبي إنه كان من الضالين (٨٦) ولا تخزني يوم يبعثون (٨٧)

أتى إبراهيم عليه السلام في هذه الأوصاف التي وصف الله عز وجل بها بالصفات التي المتصف بها يستحق

الألوهية وهي الأوصاف الفعلية التي تخص البشر، ومنها يجب أن يفهم ربه عز وجل وهذا **حسن الأدب**." (١)

"في العبارة، والكل من عند الله تعالى، وقوله يطعمني ويسقين تعديد للنعمة في الرزق، وقال أبو بكر الوراق في كتاب الثعلبي يطعمني بلا طعام ويسقيني بلا شراب، كما قال النبي عليه السلام «إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقين، وأسند إبراهيم المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله عز وجل. وهذا **حسن الأدب** في العبارة والكل من عند الله تعالى، وهذا كقول الخضر عليه السلام: أن فأردت ها أن عيبها. وقال جعفر الصادق إذا مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة، وقرأ الجمهور هذه الأفعال «يهدين» بغير ياء، وقرأ نافع وابن أبي إسحاق «يهدين» ، وكذلك ما بعده وأوقف عليه السلام نفسه على الطمع في المغفرة وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلته، وقوله خطيئتي، ذهب فيه أكثر المفسرين إلى أنه أراد كذباته الثلاث، قوله هي أختي في شأن سارة، وقوله إني سقيم [الصافات: ٨٩] ، وقوله بل فعله كبيرهم [الأنبياء: ٦٣] ، وقالت فرقة أراد ب «الخطيئة» اسم الجنس فدعا في كل أمره من غير تعيين.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أظهر عندي لأن تلك الثلاث قد خرجها كثير من العلماء على المعارض، وهي وإن كانت كذبات بحكم قول النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، وبحكم ما في حديث الشفاعة من قوله في شأن إبراهيم نفسي نفسي فهي في مصالح وعون شرع وحق، وقرأ الجمهور «خطيئتي» بالإفراد، وقرأ الحسن «خطاياي» بالجمع، و «الحكم» الذي دعا فيه إبراهيم هو الحكمة والنبوة، ودعاء إبراهيم في مثل هذا هو في معنى التثبيت والدوام. و «لسان الصدق» في الآخرين هو الثناء وخلد المكانة بإجماع من المفسرين، وكذلك أجاب الله دعوته، فكل ملة تتمسك به وتعظيمه وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، قال مكي وقيل معنى سؤاله أن يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق فأجيبت الدعوة في محمد صلى الله عليه وسلم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا معنى حسن إلا أن لفظ الآية لا يعطيه إلا بتحكم على اللفظ، واستغفاره لأبيه في هذه الآية هو قبل أن تبين له بموته على الكفر أنه عدو لله، أي محتوم عليه وهو عن الموعدة المذكورة في غير هذه الآية، وفي قراءة أبي بن كعب «واغفر لي ولأبوي إنهما كانا من الضالين» .

قوله عز وجل:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٢٣٤

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٨٨ الى ٩٥]

يوم لا ينفع مال ولا بنون (٨٨) إلا من أتى الله بقلب سليم (٨٩) وأزلفت الجنة للمتقين (٩٠) وبرزت الجحيم للغاوين (٩١) وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون (٩٢)

من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون (٩٣) فكبكبوا فيها هم والغاوون (٩٤) وجنود إبليس أجمعون (٩٥)

يوم بدل من الأولى في قوله يوم يبعثون [الشعراء: ٨٧] والمعنى يوم لا ينفع إعلاق بالدنيا ومحاسنها فقصد من ذلك العظم والأكثر لأن المال والبنين هي زينة الحياة الدنيا، وقوله بقلب سليم معناه خالص من الشرك والمعاصي، وعلق الدنيا المتروكة وإن كانت مباحة كالمال والبنين، قال سفيان هو الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيء غيره.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يقتضي عموم اللفظة، ولكن السليم من الشرك هو الأهم، وقال الجنيد." (١)

"تهمما بأمر الشمس فرأت الهدهد فعلمت أمره ثم جمعت أهل ملكها وعلية قومها فخاطبتهم بما يأتي بعد.

قوله عز وجل:

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٢٩ الى ٣٤]

قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم (٢٩) إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم (٣٠) ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين (٣١) قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون (٣٢) قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين (٣٣)

قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (٣٤)

في هذا الموضع اختصار لما يدل ظاهر القول عليه تقديره فألقى الكتاب وقرأته وجمعت له أهل ملكها، والملأ أشراف الناس الذين ينوبون مناب الجميع، ووصفت «الكتاب بالكرم» إما لأنه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم فعظمته إجلالا لسليمان، وهذا قول ابن زيد، وإما أنها أشارت إلى أنه مطبوع عليه بالخاتم، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كرم الكتاب ختمه» وإما إن أرادت أنه بدىء بسم الله ف كريم ضد أجذم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل كلام لم يبدأ باسم الله تعالى فهو أجذم،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٢٣٥

ثم أخذت تصف لهم ما في الكتاب فيحتمل اللفظ أنه نص الكتاب موجزا بليغا وكذلك كتب الأنبياء وقدم فيه العنوان وهي عادة الناس على وجه الدهر، ثم سمى الله تعالى، ثم أمرهم بأن لا يعلوا عليه طغيانا وكفرا وأن يأتوه مسلمين، ويحتمل أنها قصدت إلى اقتضاب معانيه دون ترتيبه فأعلمتهم إنه من سليمان وأن معنى ما فيه كذا وكذا، وقرأ أبي «وأن بسم الله» بفتح الهمز وتخفيف النون وحذف الهاء، وقرأ ابن أبي عبلة «أنه» من «وأنه» بفتح الهمزة فيهما، وفي قراءة عبد الله «وأنه من سليمان» بزيادة، وبسم الله الرحمن الرحيم، استفتاح شريف بارع المعنى معبر عنه بكل لغة وفي كل شرع، و «أن» في قوله تعالى: ألا تعلوا علي يحتمل أن تكون رفعا على البدل من كتاب، أو نصبا على معنى «بأن لا تعلوا» ، أو مفسرة بمنزلة أي قاله سيبويه، وقرأ وهب بن منبه «أن لا تغلوا» بالغين منقوطة، قال أبو الفتح رواها وهب عن ابن عباس وهي قراءة الأشهب العقيلي ذكرها الثعلبي ثم أخذت في **حسن الأدب** مع رجالها ومشاورتهم في أمرها وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل أمر فكيف في هذه النازلة الكبرى، فراجعها الملأ بما يقر عينها من إعلامهم إياها ب «القوة والبأس» أي وذلك مبذول إليك فقاتلي إن شئت، ثم سلموا الأمر إلى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع، وفي قراءة عبد الله «ما كنت قاضية أمرا» بالضاد من القضاء، وذكر مجاهد في عدد أجنادها أنها كان لها اثنا عشر ألفا، قيل تحت يد كل واحد منهم مائة ألف.

قال القاضي أبو محمد: وهذا بعيد، وذكر غيره نحوه فاختصرته لبعد الصحة عنه، ثم أخبرت بلقيس عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها، وفي الكلام خوف على قومها وحيطة لهم واستعظام لأمر سليمان عليه السلام، وقالت فرقة إن وكذلك يفعلون من قول بلقيس تأكيدا منها للمعنى الذي أرادته، وقال ابن عباس: هو من قول الله تعالى معرفا لمحمد عليه السلام وأمته ومخبرا به.." (١)

"ذلك عن ابن عباس، ومعنى القول بأنها في المؤذنين أنهم داخلون فيها، وأما نزولها فبمكة بلا خلاف ولم يكن بمكة آذان وإنما ترتب بالمدينة، وأن الآذان لمن الدعاء إلى الله تعالى ولكنه جزء منه. والدعاء إلى الله بقوة كجهاد الكفار وردع الطغاة وكف الظلمة وغيره أعظم غناء من تولي الاذان إذ لا مشقة فيه والأصوب أن يعتقد أن الآية نزلت عامة. قال زيد بن علي المعنى: دعا إلى الله بالسيف.

وقرأ الجمهور: «إنني» بنونين. وقرأ ابن أبي عبلة: «إني» بنون واحدة.

وقال فضيل بن رفيدة: كنت مؤذنا في أصحاب ابن مسعود، فقال لي عاصم بن هبيرة: إذا أكملت الآذان فقل: إنني من المسلمين ثم تلا هذه الآية.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٢٥٨

ثم وعظ تعالى نبيه عليه السلام ونبهه على أحسن مخاطبة، فقرر أن الحسنة والسيئة لا تستوي، أي فالحسنة أفضل، وكرر في قوله: ولا السيئة تأكيدا ليدل على أن المراد: ولا تستوي الحسنة والسيئة ولا السيئة والحسنة، فحذف اختصارا ودلت لا على هذا الحذف.

وقوله تعالى: ادفع بالتي هي أحسن آية جمعت مكارم الأخلاق وأنواع الحلم، والمعنى: ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعلة أو بالسيرة التي هي أحسن السير والفعلات، فمن ذلك بذل السلام، **وحسن الأدب**، وكظم الغيظ، والسماحة في القضاء والاقتضاء وغير ذلك. قال ابن عباس: إذا فعل المؤمن هذه الفضائل عصمه الله من الشيطان وخضع له عدوه، وفسر مجاهد وعطاء هذه الآية بالسلام عند اللقاء، ولا شك أن السلام هو مبدأ الدفع بالتي هي أحسن وهو جزء منه، ثم قال تعالى: كأنه ولي حميم فدخل كاف التشبيه لأن الذي عنده عداوة لا يعود وليا حميما، وإنما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي الحميم. والحميم: هو القريب الذي يحتم للإنسان. والضمير في قوله: يلقاها عائد على هذه الخلق التي يتضمنها قوله: ادفع بالتي هي أحسن. وقالت فرقة: المراد: وما يلقى لا إله إلا الله، وهذا تفسير لا يقتضيه اللفظ.

وقوله: إلا الذين صبروا مدح بليغ للصبر، وذلك بين للمتأمل، لأن الصبر للطاعات وعن الشهوات جامع لخصال الخير كلها. والحظ العظيم: يحتمل أن يريد من العقل والفضل، فتكون الآية مدحا. وروي أن رجلا شتم أبا بكر الصديق بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فسكت أبو بكر ساعة، ثم جاش به الغضب فرد على الرجل، فقام النبي عليه السلام فاتبعه أبو بكر وقال: يا رسول الله قمت حين انتصرت، فقال إنه كان يرد عنك ملك، فلما قربت تنتصر، ذهب الملك وجاء الشيطان، فما كنت لأجالسه، ويحتمل أن يريد: ذو حظ عظيم من الجنة وثواب الآخرة، فتكون الآية وعدا، وبالجنة فسر قتادة الحظ هنا.

قوله عز وجل:

[سورة فصلت (٤١) : الآيات ٣٦ الى ٣٩]

وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم (٣٦) ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (٣٧) فإن استكبروا

فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون (٣٨) ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير (٣٩)." [١]

"فنزلت هذه السورة عند ذلك، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيد وقال له: «لقد صدقك الله يا زيد ووفت أذنك» ، فخزي عند ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول، ومقته الناس، ولامه المؤمنون من قومه وقال بعضهم: امض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعترف بذنبك يستغفر لك، فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأي، وقال لهم: لقد أشرتم علي بأن أعطي زكاة من مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد.

قال القاضي أبو محمد: فهذا هو قصص هذه السورة موجزا، و «تعال» نداء يقتضي لفظه أنه دعاء الأعلى للأسفل، ثم استعمل لكل داع لما فيه من **حسن الأدب**. وقرأ نافع والمفضل عن عاصم «لووا» بتخفيف الواو، وهي قراءة الحسن بخلاف ومجاهد، وأهل المدينة، وقرأ الباقون وأبو جعفر والأعمش:

«لووا» بشد الواو على تضعيف المبالغة، وهي قراءة طلحة وعيسى وأبي رجاء وزر والأعرج، وقرأ بعض القراء هنا: «يصدون» بكسر الصاد، والجمهور بضمها، وقوله تعالى: سواء عليهم الآية، روي أنه لما نزلت: إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم [التوبة: ٨٠] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لأزيدن على السبعين» ، وفي حديث آخر: «لو علمت أني إن زدت على السبعين غفر لهم لزدت» ، فكأنه عليه السلام رجا أن هذا الحد ليس على جهة الحتم جملة، بل على أن ما يجاوزه يخرج عن حكمه، فلما فعل ابن أبي وأصحابه ما فعلوا شدد الله تعالى عليهم في هذه السورة، وأعلم أنه لن يغفر لهم دون حد في الاستغفار، وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أعلم أني إن زدت غفر لهم» نص على رفض دليل الخطاب.

وقرأ جمهور الناس: «أستغفرت» بالقطع وألف الاستفهام، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: «آستغفرت» بمد على الهمزة وهي ألف التسوية، وقرأ أيضا: بوصل الألف دون همز على الخبر، وفي هذا كله ضعف لأنه في الأولى: أثبت همزة الوصل، وقد أغنت عنها همزة الاستفهام، وفي الثانية: حذف همزة الاستفهام وهو يريدها وهذا مما لا يستعمل إلا في الشعر.

وقوله تعالى: هم الذين أشار عبد الله بن أبي ومن قال بقوله، قاله علي بن سليمان ثم سفه أحلامهم في أن ظنوا إنفاقهم هو سبب رزق المهاجرين ونسوا أن جريان الرزق بيد الله تعالى، إذا انسد باب انفتح غيره، وقرأ

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٦/٥

الفضل بن عيسى الرقاشي: «حتى ينفضوا» بضم الياء وتخفيف الفاء، يقال: «أنفض» الرجل إذا فني طعامه فنفض وعاءه والخزائن موضع الإعداد، ونجد القرآن قد نطق في غير موضع بالخزائن ونجد في الحديث: «خزنة الربح» وفي القرآن: من جبال فيها من برد [النور: ٤٣] ، فجائز أن تكون هذه عبارة عن القدرة وأن هذه الأشياء إيجادها عند ظهورها جائز. وهو الأظهر. إن منها أشياء مخلوقة موجودة يصرفها الله تعالى حيث شاء، وظواهر ألفاظ الشريعة تعطي هذا. ومعناه في التفسير قال عتت على الخزان، وفي الحديث: «ما انفتح من خزائن الربح على قوم عاد إلا قدر حلقة الخاتم، ولو انفتح مقدار منخر الثور لهلكت الدنيا» ، وقال رجل لحاتم الأصم: من أين تأكل، فقرأ: ولله خزائن السماوات والأرض، وقال الجنيد: خزائن السماء: الغيوب، وخزائن الأرض: القلوب: وقرأ الجمهور:." (١)

"قوله تعالى: هل يسمعونكم والمعنى: هل يسمعون دعاءكم. وقرأ سعيد بن جبير وابن يعمر وعاصم الجحدري: «هل يسمعونكم» بضم الياء وكسر الميم، إذ تدعون قال الزجاج: إن شئت بينت الذال، وإن شئت أدغمتها في التاء وهو أجود في العربية لقرب الذال من التاء. قوله تعالى: أو ينفعونكم أي: إن عبدتموهم أو يضرون إن لم تعبدوهم؟ فأخبروا عن تقليد آبائهم. قوله تعالى:

فإنهم عدو لي فيه وجهان: أحدهما: أن لفظه لفظ الواحد والمراد به الجميع فالمعنى: فانهم أعداء لي. والثاني: فان كل معبود لكم عدو لي. فان قيل: ما وجه وصف الجماد بالعداوة؟ فالجواب: من وجهين. أحدهما: أن معناه: فانهم عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم. والثاني: أنه من المقلوب والمعنى: فإني عدو لهم، لأن من عاديته عاداك، قاله ابن قتيبة. وفي قوله تعالى: إلا رب العالمين قولان: أحدهما: أنه استثناء من الجنس، لأنه علم أنهم كانوا يعبدون الله مع آلهتهم، قاله ابن زيد.

والثاني: أنه من غير الجنس فالمعنى: ولكن رب العالمين ليس كذلك، قاله أكثر النحويين.

قوله تعالى: الذي خلقني فهو يهدين أي: إلى الرشد، لا ما تعبدون والذي هو يطعمني ويسقين أي هو رازقي الطعام والشراب.

فإن قيل: لم قال: «مرضت» ، ولم يقل: «أمرضني» ؟ فالجواب: أنه أراد الثناء على ربه فأضاف إليه الخير المحض، لأنه لو قال: «أمرضني» لعد قومه ذلك عيبا، فاستعمل **حسن الأدب** ونظيره قصة الخضر حين قال في العيب: «فأردت» «١» ، وفي الخير المحض: «فأراد ربك» «٢» .

فإن قيل: فهذا يرده قوله: والذي يميتني. فالجواب: أن القوم كانوا لا ينكرون الموت، وإنما يجعلون له سببا

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥/٣١٤

سوى تقدير الله عز وجل، فأضافه إبراهيم إلى الله تعالى، وقوله تعالى: ثم يحيين يعني للبعث، وهو أمر لا يقرون به، وإنما قاله استدلالا عليهم والمعنى: أن ما وافقتموني عليه موجب لصحة قولي فيما خالفتموني فيه. قوله تعارى: والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يعني: ما يجري على مثلي من الزلل والمفسرون يقولون: إنما عنى الكلمات الثلاث التي ذكرناها في الأنبياء «٣» ، يوم الدين يعني:
يوم الحشر والحساب وهذا احتجاج على قومه أنه لا تصلح الإلهية إلا لمن فعل هذه الأفعال.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٨٣ الى ٨٩]
رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين (٨٣) واجعل لي لسان صدق في الآخرين (٨٤) واجعلني من ورثة جنة النعيم (٨٥) واغفر لأبي إنه كان من الضالين (٨٦) ولا تخزني يوم يبعثون (٨٧)
يوم لا ينفع مال ولا بنون (٨٨) إلا من أتى الله بقلب سليم (٨٩)
قوله تعالى: هب لي حكما فيه ثلاثة أقوال: أحدها: النبوة، قاله أبو صالح، عن ابن عباس.
والثاني: اللب، قاله عكرمة. والثالث: الفهم والعلم، قاله مقاتل، وقد بينا قوله: وألحقني بالصالحين

---

(١) الكهف: ٧٩.
(٢) الكهف: ٨٢.
(٣) الأنبياء: ٦٣.." (١)

"قوله تعالى: والطير محشورة وقرأ عكرمة، وأبو الجوزاء، والضحاك، وابن أبي عبلة: «والطير محشورة» بالرفع فيهما، أي: مجموعة إليه، تسبح الله معه كل له في هاء الكناية قولان: أحدهما:
ترجع إلى داود، أي: كل لداود أواب أي: رجاع إلى طاعته وأمره، والمعنى: كل له مطيع بالتسبيح معه، هذا قول الجمهور. والثاني: أنها ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: كل مسبح لله، قاله السدي.
قوله تعالى: وشددنا ملكه أي: قويناه. وفي ما شد به ملكه قولان: أحدهما: أنه الحرس والجنود قال ابن عباس: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل. والثاني: أنه هيبة ألقيت له في قلوب الناس وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضا. قوله تعالى: وآتيناه الحكمة وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها الفهم، قاله ابن عباس، والحسن وابن زيد. والثاني: الصواب، قاله مجاهد.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٤١/٣

والثالث: السنة، قاله قتادة. والرابع: النبوة، قاله السدي.
وفي فصل الخطاب أربعة أقوال: أحدها: علم القضاء والعدل، قاله ابن عباس والحسن.
والثاني: بيان الكلام، روي عن ابن عباس أيضا. وذكر الماوردي أنه البيان الكافي في كل غرض مقصود.
والثالث: قوله: «أما بعد» ، وهو أول من تكلم بها، قاله أبو موسى الأشعري والشعبي.
والرابع: تكليف المدعي البينة، والمدعى عليه اليمين، قاله شريح وقتادة وهو قول حسن لأن الخصومة إنما تفصل بهذا.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٢١ الى ٢٦]
وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب (٢١) إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط (٢٢) إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب (٢٣) قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (٢٤) فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٢٥)
يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (٢٦)
قوله تعالى: وهل أتاك نبأ الخصم قال أبو سليمان: المعنى: قد أتاك فاستمع له نقصص عليك. واختلف العلماء في السبب الذي امتحن لأجله داود عليه السلام بما امتحن به على خمسة أقوال «١» : أحدها: أنه قال: يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لو وددت أنك

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥١: قد قدمنا لكم وأوضحنا أن الأنبياء معصومون عن الكبائر إجماعا، وفي الصغائر اختلاف وأنا أقول إنهم معصومون عن الصغائر والكبائر، لوجوه بيناها في كتاب «النبوات» من أصول الدين. وقد قال جماعة: لا صغيرة في الذنوب وهو صحيح، وتحقيقه أن الكفر معصية ليس فوقها معصية كما أن النظرة معصية ليس دونها معصية، وبينهما ذنوب إن قرنتها بالكفر والقتل والزنا والعقوق كانت صغائر، وإن أضفتها إلى ما يليها في القسم الثاني الذي بعده من جهة النظر كانت كبائر. والذي أوقع الناس في ذلك رواية المفسرين وأهل التقصير من المسلمين في قصص الأنبياء مصائب

لا قدر عند الله لم اعتقدها روايات ومذاهب، ولقد كان من **حسن الأدب** مع الأنبياء صلوات الله عليهم ألا تبث عثراتهم لو عثروا، ولا تبث فلتاتهم لو استفلتوا، فإن إسبال الستر على الجار والولد والأخ فضيلة أكرم فضيلة، فكيف سترت على جارك حتى لم تقص نبأه في أخبارك، وعكفت على أنبيائك وأحبارك تقول عنهم ما لم يفعلوا، وتنسب إليهم ما لم يتلبسوا به، ولا تلوثوا به، نعوذ بالله من هذا التعدي والجهل بحقيقة الدين في الأنبياء والمسلمين والعلماء والصالحين. وقد وصيناكم إذا كنتم لا بد آخذين في شأنهم ذاكرين قصصهم ألا تعدوا ما أخبر الله عنهم، وتقولوا ذلك بصفة التعظيم لهم والتنزيه عن غير ما نسب الله إليهم، ولا يقولن أحدكم: قد عصى الأنبياء فكيف نحن، فإن ذكر ذلك كفر.

- قلت: لو لم يذكر المصنف هذه الآثار لكان أولى، وقد أطال في ذلك رحمه الله وإنما هذه الآثار من ترهات الإسرائيليين وأساطيرهم.." (١)

"فالاسم آلة الدعاء، والمدعو هو الله تعالى، والمغايرة بين ذات المدعو وبين اللفظ الذي يحصل به الدعاء معلوم بالضرورة.

واحتج من قال الاسم هو المسمى بالنص، والحكم، أما النص فقوله تعالى: تبارك اسم ربك [الرحمن: ٧٨] والمتبارك المتعالي هو الله تعالى لا الصوت ولا الحرف، وأما الحكم فهو أن الرجل إذا قال:

زينب طالق، وكان زينب اسما لامرأته وقع عليها الطلاق، ولو كان الاسم غير المسمى لكان قد أوقع الطلاق على غير تلك المرأة، فكان يجب أن لا يقع الطلاق عليها.

والجواب عن الأول أن يقال: لم لا يجوز أن يقال: كما أنه يجب علينا أن نعتقد كونه تعالى منزها عن النقائص والآفات، فكذلك يجب علينا تنزيه الألفاظ الموضوعة لتعريف ذات الله تعالى وصفاته عن العبث والرفث وسوء الأدب.

وعن الثاني أن قولنا زينب طالق معناه أن الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق، فلهذا السبب وقع الطلاق عليها.

المسألة الرابعة: التسمية عندنا غير الاسم، والدليل عليه أن التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة، وذلك التعيين معناه قصد الواضع وإرادته، وأما الاسم فهو عبارة عن تلك اللفظة المعينة.

والفرق بينهما معلوم بالضرورة.

الاسم أسبق من الفعل وضعا:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٦٤/٣

المسألة الخامسة [الاسم أسبق من الفعل وضعا] : قد عرفت أن الألفاظ الدالة على تلك المعاني تستتبع ذكر الألفاظ/ الدالة على ارتباط بعضها بالبعض، فلهذا السبب الظاهر وضع الأسماء والأفعال سابق على وضع الحروف، فأما الأفعال والأسماء فأيهما أسبق؟ الأظهر أن وضع الأسماء سابق على وضع الأفعال، ويدل عليه وجوه: - الأول: أن الاسم لفظ دال على الماهية، والفعل لفظ دال على حصول الماهية بشيء من الأشياء في زمان معين، فكان الاسم مفردا والفعل مركبا، والمفرد سابق على المركب بالذات والرتبة، فوجب أن يكون سابقا عليه في الذكر واللفظ.

الثاني: أن الفعل يمتنع التلفظ به إلا عند الإسناد إلى الفاعل، أما اللفظ الدال على ذلك الفاعل فقد يجوز التلفظ به من غير أن يسند إليه الفعل، فعلى هذا الفاعل غني عن الفعل، والفعل محتاج إلى الفاعل، والغني سابق بالرتبة على المحتاج، فوجب أن يكون سابقا عليه في الذكر.

الثالث: أن تركيب الاسم مع الاسم مفيد، وهو الجملة المركبة من المبتدأ والخير، أما تركيب الفعل مع الفعل فلا يفيد البتة، بل ما لم يحصل في الجملة الاسم لم يفد البتة، فعلمنا أن الاسم متقدم بالرتبة على الفعل، فكان الأظهر تقدمه عليه بحسب الوضع.

تقدم اسم الجنس على المشتق وضعا:

المسألة السادسة [تقدم اسم الجنس على المشتق وضعا] : قد علمت أن الاسم قد يكون اسما للماهية من حيث هي هي، وقد يكون اسما مشتقا." (١)

"لا يتفاوت الحال فيه سواء كان هو في نفسه ملكا أو بشرا. ألا ترى أن جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كأضياف إبراهيم، وأضياف لوط، وكالذين تسوروا المحراب، وكجبريل حيث تمثل لمريم بشرا سويا.

والوجه الثالث: أن إنزال الملك آية باهرة جارية مجرى الإلجاء، وإزالة الاختيار، وذلك مخل بصحة التكليف.

الوجه الرابع: أن إنزال الملك وإن كان يدفع الشبهات المذكورة إلا أنه يقوي الشبهات من وجه آخر، وذلك لأن أي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك، ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلته أنت، فعلمنا أن إنزال الملك وإن كان يدفع الشبهة من الوجوه المذكورة لكنه يقوي الشبهة من هذه الوجوه.

وأما قوله ثم لا ينظرون فالفائدة في كلمة ثم التنبيه على أن عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر، لأن مفاجأة

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠٧/١

الشدة أشد من نفس الشدة. وأما الثاني: فقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا أي لجعلناه في صورة البشر. والحكمة فيه أمور: أحدها: أن الجنس إلى الجنس أميل. وثانيها: أن البشر لا يطيق رؤية الملك، وثالثها: أن طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة البشر، وربما لا يعذرونهم في الإقدام على المعاصي.

ورابعها: أن النبوة فضل من الله فيختص بها من يشاء من عباده، سواء كان ملكا أو بشرا.

ثم قال: وللبسنا عليهم ما يلبسون قال الواحدي: يقال لبست الأمر على القوم ألبسه لبسا إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا، وأصله من التستر بالثوب، ومنه لبس الثوب لأنه يفيد ستر النفس والمعنى أنا إذا جعلنا الملك في صورة البشر فهم يظنون كون ذلك الملك بشرا فيعود سؤالهم أنا لا نرضى برسالة هذا الشخص. وتحقيق الكلام أن الله لو فعل ذلك لصار فعل الله نظيرا لفعلهم في التلبيس، وإنما كان ذلك تلبيسا لأن الناس يظنون أنه بشر مع أنه ليس كذلك، وإنما كان فعلهم تلبيسا لأنهم يقولون لقومهم إنه بشر مثلكم والبشر لا يكون رسولا من عند الله تعالى.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٠]

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن (١٠)

اعلم أن بعض الأقوام الذين كانوا يقولون إن رسول الله يجب أن يكون ملكا من الملائكة كانوا يقولون هذا الكلام على سبيل الاستهزاء، وكان يضيق قلب الرسول عند سماعه فذكر ذلك ليصير سببا للتخفيف عن القلب لأن أحدا ما يخفف عن القلب المشاركة في سبب المحنة والغم. فكأنه قيل له إن هذه الأنواع الكثيرة **من سوء الأدب** التي يعاملونك بها قد كانت موجودة في سائر القرون مع أنبيائهم، فلست أنت فريدا في هذا الطريق.

وقوله فحاق بالذين سخروا منهم الآية ونظيره قوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله [فاطر: ٤٣] وفي تفسيره وجوه كثيرة لأهل اللغة وهي بأسرها متقاربة. قال النضر: وجب عليهم. قال الليث (الحيق) ما حاق بالإنسان من مكر أو سوء يعمله فنزل ذلك به، يقول أحاق الله بهم مكرهم وحاق بهم مكرهم، وقال الفراء (حاق بهم) عاد عليهم، وقيل (حاق بهم) حل بهم ذلك. وقال الزجاج «حاق» أي أحاط. قال الأزهري: فسر الزجاج (حاق) بمعنى أحاط وكان مأخذه من الحوق وهو ما استدار بالكمرة. وفي الآية بحث آخر وهو أن لفظة (ما) في قوله ما كانوا به يستهزؤن فيها قولان: الأول: أن المراد به القرآن والشرع وهو ما جاء به محمد عليه السلام.

وعلى هذا التقدير فتصير هذه الآية من باب حذف المضاف، والتقدير فحاق بهم عقاب ما كانوا به يستهزؤن.." (١)

"أني أجعلكم من المقربين عندي. قال المتكلمون: وهذا يدل على أن الثواب إنما يعظم موقعه إذا كان مقرونا بالتعظيم والدليل عليه أن فرعون لما وعدهم بالأجر قرن به ما يدل على التعظيم وهو حصول القربة.

المسألة الثالثة: الآية تدل على أن كل الخلق كانوا عالمين بأن فرعون كان عبدا ذليلا مهينا عاجزا وإلا لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة في دفع موسى عليه السلام وتدل أيضا على أن السحرة ما كانوا قادرين على قلب الأعيان وإلا لما احتاجوا إلى طلب الأجر والمال من فرعون لأنهم لو قدروا على قلب الأعيان فلم لم يقلبوا التراب ذهبا ولم لم ينقلوا ملك فرعون إلى أنفسهم ولم لم يجعلوا أنفسهم ملوك العالم ورؤساء الدنيا والمقصود من هذه الآيات تنبيه الإنسان لهذه الدقائق وأن لا يغتر بكلمات أهل الأباطيل والأكاذيب. والله أعلم.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١١٥ الى ١١٩]

قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين (١١٥) قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤ بسحر عظيم (١١٦) وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون (١١٧) فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون (١١٨) فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (١١٩)

[في قوله تعالى قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين] في الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال الفراء والكسائي: في باب «أما وإما» إذا كنت آمرا أو ناهيا أو مخبرا فهي مفتوحة وإذا كنت مشترطا أو شاكا أو مخيرا فهي مكسورة تقول في المفتوحة أما الله فاعبدوه وأما الخمر فلا تشربوها وأما زيد فقد خرج.

وأما النوع الثاني: فتقول: إذا كنت مشترطا إما تعطين زيدا فإنه يشكرك قال الله تعالى: فإما تثقفنهم في الحرب فشرد [الأنفال: ٥٧] وتقول في الشك لا أدري من قام إما زيد وإما عمرو وتقول في التخيير لي بالكوفة دار فإما أن أسكنها وإما أن أبيعها والفرق بين إما إذا أتت للشك وبين أو أنك إذا قلت جاءني زيد أو عمرو فقد يجوز أن تكون قد بنيت كلامك على اليقين ثم أدرك الشك فقلت أو عمرو فصار الشك

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٨٧/١٢

فيهما جميعا فأول الاسمين في «أو» يجوز أن يكون بحيث يحسن السكوت عليه ثم يعرض الشك فتستدرك بالاسم الآخر ألا ترى أنك تقول: قام أخوك وتسكت ثم تشك فتقول: أو أبوك وإذا ذكرت إما فإنما تبني كلامك من أول الأمر على الشك وليس يجوز أن تقول ضربت إما عبد الله وتسكت وأما دخول (أن) في قوله: إما أن تلقي وسقوطها من قوله: إما يعذبهم وإما يتوب عليهم [التوبة: ١٠٦] فقال الفراء: أدخل (أن) في إما في هذه الآية لأنها في موضع أمر بالاختيار وهي في موضع نصب كقول القائل: اختر ذا أو ذا كأنهم قالوا اختر أن تلقي أو نلقي وقوله: إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ليس فيه أمر بالتخيير ألا ترى أن الأمر لا يصلح هاهنا فلذلك لم يكن فيه «أن» والله أعلم.

المسألة الثانية: قوله: إما أن تلقي يريد عصاه وإما أن نكون نحن الملقين أي ما معنا من الحبال والعصي فمفعول الإلقاء محذوف وفي الآية دقيقة أخرى وهي أن القوم راعوا **حسن الأدب** حيث قدموا موسى." (١)

"الكذاب لقب نفسه بالرحمن. والثاني: أن يسموا الله بما لا يجوز تسميته به، مثل تسمية من سماه- أبا- للمسيح. وقول جمهور النصارى: أب، وابن، وروح القدس، ومثل أن الكرامية يطلقون لفظ الجسم على الله سبحانه ويسمونه به، ومثل أن المعتزلة قد يقولون في أثناء كلامهم، لو فعل تعالى كذا وكذا لكان سفيها مستحقا للذم، وهذه الألفاظ مشعرة بسوء الأدب. قال أصحابنا: وليس كل ما صح معناه جاز إطلاقه باللفظ في حق الله، فإنه ثبت بالدليل أنه سبحانه هو الخالق لجميع الأجسام، ثم لا يجوز أن يقال: يا خالق الديدان والقرود والقردان، بل الواجب تنزيه الله عن مثل هذا الأذكار، وأن يقال: يا خالق الأرض والسموات يا مقيل العثرات يا راحم العبرات إلى غيرها من الأذكار الجميلة الشريفة. والثالث: أن يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسماه، فإنه ربما كان مسماه أمرا غير لائق بجلال/ الله، فهذه الأقسام الثلاثة هي الإلحاد في الأسماء.

فإن قال قائل: هل يلزم من ورود الأول في إطلاق لفظه على الله تعالى أن يطلق عليه سائر الألفاظ المشتقة منه على الإطلاق؟

قلنا: الحق عندي أن ذلك غير لازم لا في حق الله تعالى، ولا في حق الملائكة والأنبياء وتقريره: أن لفظ «علم» ورد في حق الله تعالى في آيات منها قوله: وعلم آدم الأسماء كلها [البقرة: ٣١] علمك ما لم تكن تعلم

[النساء: ١١٣] وعلمناه من لدنا علما [الكهف: ٦٥] الرحمن علم القرآن [الرحمن: ١، ٢] ثم لا يجوز

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤/٣٣٤

أن يقال في حق الله تعالى يا معلم، وأيضا ورد قوله: يحبهم ويحبونه [المائدة: ٥٤] ثم لا يجوز عندي أن يقال يا محب. وأما في حق الأنبياء، فقد ورد في حق آدم عليه السلام: وعصى آدم ربه فغوى [طه: ١٢١] ثم لا يجوز أن يقال إن آدم كان عاصيا غاويا، وورد في حق موسى عليه السلام: يا أبت استأجره [طه: ٢٦] ثم لا يجوز أن يقال إنه عليه السلام كان أجيرا، والضابط أن هذه الألفاظ الموهمة يجب الاقتصار فيها على الوارد، فأما التوسع بإطلاق الألفاظ المشتقة منها فهي عندي ممنوعة غير جائزة.
ثم قال تعالى: سيجزون ما كانوا يعملون فهو تهديد ووعيد لمن ألحد في أسماء الله. قالت المعتزلة: الآية قد دلت على إثبات العمل للعبد، وعلى أن الجزاء مفرع على عمله وفعله.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٨١]
وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٨١)
اعلم أنه تعالى لما قال: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس [الأعراف: ١٧٩] فأخبر أن كثيرا من الثقلين مخلوقون للنار أتبعه بقوله: وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ليبين أيضا أن كثيرا منهم مخلوقون للجنة. واعلم أنه تعالى ذكر في قصة موسى قوله: ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون [الأعراف: ١٥٩] فلما أعاد الله تعالى هذا الكلام هاهنا حمله أكثر المفسرين على أن المراد منه قوم محمد صلى الله عليه وسلم،
روى قتادة وابن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها هذه الأمة
وروي أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال: «هذه فيهم وقد أعطى الله قوم موسى مثلها»
وعن الربيع بن أنس أنه قال: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال: «إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم»
وقال ابن عباس يريد أمة محمد عليه الصلاة والسلام المهاجرين والأنصار.
قال الجبائي: هذه الآية تدل على أنه لا يخلو زمان البتة عمن يقوم بالحق ويعمل به ويهدي إليه وأنهم لا يجتمعون في شيء من الأزمنة على الباطل، لأنه لا يخلو إما أن يكون المراد زمان وجود محمد صلى الله عليه وسلم، / وهو." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤١٧/١٥

"الطفل الذين لم يظهروا
[النور: ٣١] ويجوز أن يكون الضيف مصدرا فيستغنى عن جمعه كما يقال: رجال صوم. ثم قال: أليس منكم رجل رشيد وفيه قولان: الأول: رشيد بمعنى مرشد أي يقول الحق ويرد هؤلاء الأوباش عن أضيافي. والثاني: رشيد بمعنى مرشد، والمعنى: أليس فيكم رجل أرشده الله تعالى إلى الصلاح. وأسعده بالسداد والرشاد حتى يمنع عن هذا العمل القبيح، والأول أولى.
ثم قال تعالى: قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وفيه وجوه: الأول: ما لنا في بناتك من حاجة ولا شهوة، والتقدير أن من احتاج إلى شيء فكأنه حصل له فيه نوع حق، فلهذا السبب جعل نفي الحق كناية عن نفي الحاجة. الثاني: أن نجري اللفظ على ظاهره فنقول: معناه أنهن لسن لنا بأزواج ولا حق لنا فيهن ألبتة. ولا يميل أيضا طبعنا إليهن فكيف قيامهن مقام العمل الذي نريده وهو إشارة إلى العمل الخبيث. الثالث: ما لنا في بناتك من حق لأنك دعوتنا إلى نكاحهن بشرط الإيمان ونحن لا نجيبك إلى ذلك فلا يكون لنا فيهن حق. ثم إنه تعالى حكى عن لوط أنه عند سماع هذا الكلام قال: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد وفيه مسألتان:
المسألة الأولى: جواب «لو» محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير: لمنعتكم ولبالغت في دفعكم ونظيره قوله تعالى: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال [الرعد: ٣١] وقوله: ولو ترى إذ وقفوا على النار [الأنعام: ٢٧] قال الواحدي وحذف الجواب هاهنا لأن الوهم يذهب إلى أنواع كثيرة من المنع والدفع.
المسألة الثانية: لو أن لي بكم قوة أي لو أن لي ما أتقوى به عليكم وتسمية موجب القوة بالقوة جائز قال الله تعالى: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل [الأنفال: ٦٠] والمراد السلاح، وقال آخرون القدرة على دفعهم، وقوله: أو آوي إلى ركن شديد المراد منه الموضع الحصين المنيع تشبيها له بالركن الشديد من الجبل.
فإن قيل: ما الوجه هاهنا في عطف الفعل على الاسم؟
قلنا: قال صاحب «الكشاف» : قرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن، كأنه قيل لو أن لي بكم قوة أو آويا.
واعلم أن قوله: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد لا بد من حمل كل واحد من هذين الكلامين على فائدة مستقلة، وفيه وجوه: الأول: المراد بقوله: لو أن لي بكم قوة كونه بنفسه قادرا على الدفع وكونه متمكنا إما بنفسه وإما بمعاونة غيره على قهرهم وتأديبهم، والمراد بقوله: / أو آوي إلى ركن شديد هو أن لا يكون له قدرة على الدفع لكنه يقدر على التحصن بحصن ليأمن من شرهم بواسطته. الثالث:

أنه لما شاهد سفاهة القوم وإقدامهم **على سوء الأدب** تمنى حصول قوة قوية على الدفع، ثم استدرك على نفسه وقال: بلى الأولى أن آوي إلى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله تعالى، وعلى هذا التقدير فقوله: أو آوي إلى ركن شديد كلام منفصل عما قبله ولا تعلق له به، وبهذا الطريق لا يلزم عطف الفعل على الاسم، ولذلك

قال النبي عليه السلام: «رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد» .

[سورة هود (١١) : آية ٨١]

قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب (٨١)." (١)

"البحث الثالث: هذا من الكلام المقلوب، لأن الضيق صفة، والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون المصوف حاصلا في الصفة، فكان المعنى فلا يكن الضيق فيك، إلا أن الفائدة في قوله: ولا تك في ضيق هو أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل الجوانب وصار كالقميص المحيط به، فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى والله أعلم.

المرتبة الرابعة: قوله: إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وهذا يجري مجرى التهديد لأن في المرتبة الأولى رغب في ترك الانتقام على سبيل الرمز، وفي المرتبة الثانية عدل عن الرمز إلى التصريح وهو قوله: ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وفي المرتبة الثالثة أمرنا بالصبر على سبيل الجزم، وفي هذه المرتبة الرابعة كأنه ذكر الوعيد في فعل الانتقام فقال: إن الله مع الذين اتقوا عن استيفاء الزيادة: والذين هم محسنون في ترك أصل الانتقام، فإن أردت أن أكون معك فكن من المتقين ومن المحسنين. ومن وقف على هذا الترتيب عرف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون على سبيل الرفق واللطف مرتبة فمرتبة، ولما قال الله لرسوله: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ذكر هذه المراتب الأربعة، تنبيها على أن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة يجب أن تكون واقعة على هذا الوجه، وعند الوقوف على هذه اللطائف يعلم العاقل أن هذا الكتاب الكريم بحر لا ساحل له.

المسألة الثالثة: قوله: إن الله مع الذين اتقوا معيته بالرحمة والفضل والرتبة، وقوله: الذين اتقوا إشارة إلى التعظيم لأمر الله تعالى، وقوله: والذين هم محسنون إشارة إلى الشفقة على خلق الله، وذلك يدل على أن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨/٣٨٠

كمال السعادة للإنسان في هذين الأمرين أعني التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله، وعبر عنه بعض المشايخ فقال: كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق، وقال الحكماء: كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، وعن هرم بن حيان أنه قيل له عند القرب من الوفاة أوص، فقال:

إنما الوصية من المال ولا مال لي، ولكني أوصيكم بخواتيم سورة النحل.

المسألة الرابعة: قال بعضهم: إن قوله تعالى: وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين منسوخ بآية السيف، وهذا في غاية البعد، لأن المقصود من هذه الآية تعليم **حسن الأدب** في كيفية الدعوة إلى الله تعالى، وترك التعدي وطلب الزيادة، ولا تعلق لهذه الأشياء بآية السيف، وأكثر المفسرين مشغوفون بتكثير القول بالنسخ، ولا أرى فيه فائدة والله أعلم بالصواب.

قال المصنف رحمه الله: تم تفسير هذه السورة ليلة الثلاثاء بعد العشاء الآخرة بزمان معتدل، وقال رحمه الله: الحق عزيز والطريق بعيد والمركب ضعيف والقرب بعد والوصل هجر والحقائق مصونة والمعاني في غيب الغيب محصونة والأسرار فيما وراء العز مخزونة، وبيد الخلق القيل والقال والكمال ليس إلا لله ذي الإكرام والجلال، والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.." (١)

"أحدهما أنهم يستهزئون به، وفسر ذلك الاستهزاء بقوله: أهذا الذي بعث الله رسولا وذلك جهل عظيم لأن الاستهزاء إما أن يقع بصورته أو بصفته. أما الأول فباطل لأنه عليه الصلاة والسلام كان أحسن منهم صورة وخلقة، وبتقدير أنه لم يكن كذلك، لكنه عليه السلام ما كان يدعي التمييز عنهم بالصورة بل بالحجة. وأما الثاني فباطل لأنه عليه السلام ادعى التميز عنهم في ظهور المعجز عليه دونهم، وأنهم ما قدروا على القدح في حجته ودلالته، ففي الحقيقة هم الذين يستحقون أن يهزأ بهم، ثم إنهم لوقاحتهم قلبوا القضية واستهزؤا بالرسول عليه السلام، وذلك يدل على أنه ليس للمبطل في كل الأوقات إلا السفاهة والوقاحة. وثانيهما أنهم كانوا يقولون فيه: إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وذلك يدل على أمور: الأول: أنهم سموا ذلك إضلالا، وذلك يدل على أنهم كانوا مبالغين في تعظيم آلهتهم وفي استعظام صنيعه صلى الله عليه وسلم في صرفهم عنه، وذلك يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن هذا هو الحق، فمن هذا الوجه يبطل قول أصحاب المعارف في أنه لا يكفر إلا من يعرف الدلائل لأنهم جهلوه، ثم نسبهم الله

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٠/٢٩٠

تعالى إلى الكفر والضلال، وقولهم: لولا أن صبرنا عليها يدل أيضا على ذلك الثاني: يدل هذا القول منهم على جد الرسول عليه السلام واجتهاده في صرفهم عن عبادة الأوثان، ولولا ذلك لما قالوا: إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وهكذا كان عليه السلام فإنه في أول الأمر بالغ في إيراد الدلائل والجواب عن الشبهات وتحمل ما كانوا يفعلونه من أنواع السفاهة وسوء الأدب الثالث: أن هذا يدل على اعتراف القوم بأنهم لم يعترضوا البتة على دلائل الرسول صلى الله عليه وسلم وما عارضوها إلا بمحض الجحود والتقليد لأن قولهم: لولا أن صبرنا عليها إشارة إلى الجحود والتقليد، ولو ذكروا اعتراضا على دلائل الرسول عليه السلام لكان ذكر ذلك أولى من ذكر مجرد الجحود والإصرار الذي هو دأب الجهال، وذلك يدل على أن القوم كانوا مقهورين تحت حجته عليه السلام، وأنه ما كان في أيديهم إلا مجرد الوقاحة الرابع: الآية تدل على أن القوم صاروا في ظهور حجته عليه السلام عليهم كالمجانين لأنهم استهزؤا به أولا، ثم وصفوه بأنه كاد يضلنا عن آلهتنا لولا أن قابلناه بالجحود والإصرار، فهذا الكلام الأخير يدل على أن القوم سلموا له قوة الحجة وكمال العقل والكلام الأول وهو السخرية والاستهزاء لا يليق إلا بالجاهل العاجز، فالقوم لما جمعوا بين هذين الكلامين دل ذلك على أنهم كانوا كالمتحيرين في أمره، فتارة بالوقاحة يستهزئون منه، وتارة يصفونه بما لا يليق إلا بالعالم الكامل، ثم إنه سبحانه لما حكى عنهم هذا/ الكلام زيف طريقتهم في ذلك من ثلاثة أوجه أولها: قوله: وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا لأنهم لما وصفوه بالإضلال في قولهم: إن كاد ليضلنا بين تعالى أنه سيظهر لهم من المضل ومن الضال عند مشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه فهو وعيد شديد لهم على التعامي والإعراض عن الاستدلال والنظر وثانيها: قوله تعالى:

أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا والمعنى أنه سبحانه بين أن بلوغ هؤلاء في جهالتهم وإعراضهم عن الدلائل إنما كان لاستيلاء التقليد عليهم وأنهم اتخذوا أهواءهم آلهة، فكل ما دعاهم الهوى إليه انقادوا له، سواء منع الدليل منه أو لم يمنع، ثم هاهنا أبحاث:

الأول: قوله: أرأيت كلمة تصلح للإعلام والسؤال، وهاهنا هي تعجيب من جهل من هذا وصفه ونعته.

الثاني: قوله: اتخذ إلهه هواه معناه اتخذ إلهه ما يهواه أو إلها يهواه، وقيل هو مقلوب ومعناه اتخذ." (١)

"هي بعد مفارقة الدنيا عن النفس، فيزيل الله عنه القبائح البهيمية ويلبسه المحاسن الملكية.

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٢/٢٤

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ٤]

إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (٤)

بيانا لحال من كان في مقابلة من تقدم فإن الأول غض صوته والآخر رفعه، وفيه إشارة إلى أنه ترك لأدب الحضور بين يديه وعرض الحاجة عليه، وأما قول القائل للملك يا فلان **من سوء الأدب**، فإن قلت كل أحد يقول يا الله مع أن الله أكبر، نقول النداء على قسمين أحدهما: لتنبيه المنادى وثانيهما: لإظهار حاجة المنادي مثال الأول: قول القائل لرفيقه أو غلامه: يا فلان ومثال الثاني: قول القائل في الندبة: يا أمير المؤميناه أو يا زيداه، ولقائل أن يقول: إن كان زيد بالمشرق لا تنبيه فإنه محال، فكيف يناديه وهو ميت؟ فنقول قولنا يا الله لإظهار حاجة الأنفس لا لتنبيه المنادى، وإنما كان في النداء الأمران جميعا لأن المنادي لا ينادي إلا لحاجة في نفسه يعرضها ولا ينادي في الأكثر إلا معرضا أو غافلا، فحصل في النداء الأمران ونداؤهم كان للتنبيه وهو سوء أدب وأما قول أحدنا للكبير يا سيدي ويا مولاي فهو جار مجرى الوصف والإخبار الثاني: النداء من وراء الحجرات فإن من ينادي غيره ولا حائل بينهما لا يكلفه المشي والمجيء بل يجيبه من مكانه ويكلمه ولا يطلب المنادي إلا لالتفات المنادى إليه ومن ينادي غيره من وراء الحائل فكأنه يريد منه حضوره كمن ينادي صاحب البستان من خارج البستان الثالث: قوله الحجرات إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم في خلوته التي لا يحسن في الأدب إتيان المحتاج إليه في حاجته في ذلك الوقت، بل الأحسن التأخير وإن كان في ورطة الحاجة، وقوله تعالى: أكثرهم لا يعقلون فيه بيان المعايب بقدر ما في سوء أدبهم من القبائح، وذلك لأن الكلام من خواص الإنسان، وهو أعلى مرتبة من غيره، وليس لمن دونه كلام، لكن النداء في المعنى كالتنبيه، وقد يحصل بصوت، يضرب شيء على شي/ وفي الحيوانات العجم ما يظهر لكل أحد كالنداء، فإن الشاة تصيح وتطلب ولدها وكذلك غيرها من الحيوانات، والسخلة كذلك فكأن النداء حصل في المعنى لغير الآدمي، فقال الله تعالى في حقهم أكثرهم لا يعقلون يعني النداء الصادر منهم لما لم يكن مقرونا **بحسن الأدب** كانوا فيه خارجين عن درجة من يعقل وكان نداؤهم كصياح صدر من بعض الحيوان، وقوله تعالى: أكثرهم فيه وجهان أحدهما:

أن العرب تذكر الأكثر وتريد الكل، وإنما تأتي بالأكثر احترازا عن الكذب واحتياطا في الكلام، لأن الكذب مما يحبط به عمل الإنسان في بعض الأشياء فيقول الأكثر وفي اعتقاده الكل، ثم إن الله تعالى مع إحاطة علمه بالأمور أتى بما يناسب كلامهم، وفيه إشارة إلى لطيفة وهي أن الله تعالى يقول: أنا مع إحاطة علمي بكل شيء جريت على عادتكم استحسانا لتلك العادة وهي الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها، واجعلوا

اختياري ذلك في كلامي دليلا قاطعا على رضائي بذلك وثانيهما: أن يكون المراد أنهم في أكثر أحوالهم لا يعقلون، وتحقيق هذا هو أن الإنسان إذا اعتبر مع وصف ثم اعتبر مع وصف آخر يكون المجموع الأول غير المجموع الثاني، مثاله الإنسان يكون جاهلا وفقيرا فيصير عالما وغنيا فيقال في العرف زيد ليس هو الذي رأيته من قبل بل الآن على أحسن حال، فيجعله كأنه ليس ذلك إشارة إلى ما ذكرنا. إذا علم هذا فهم، في بعض الأحوال إذا اعتبرتهم مع تلك الحالة، مغايرون لأنفسهم إذا اعتبرتهم مع غيرها فقال تعالى: أكثرهم إشارة إلى ما ذكرناه، وفيه وجه ثالث وهو أن يقال لعل منهم من رجع عن تلك الأهواء، ومنهم من استمر على تلك العادة الرديئة فقال أكثرهم إخراجا لمن ندم منهم عنهم.." (١)

"[سورة الحجرات (٤٩) : آية ٥]

ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم (٥)

ثم قال تعالى: ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم إشارة إلى **حسن الأدب** الذي على خلاف ما أتوا به **من سوء الأدب** فإنهم لو صبروا لما احتاجوا إلى النداء، وإذا كنت تخرج إليهم فلا يصح إتيانهم في وقت اختلائك بنفسك أو بأهلك أو بربك، فإن للنفس حقا وللأهل حقا، وقوله تعالى: لكان خيرا لهم يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون المراد أن ذلك هو الحسن والخير كقوله تعالى: خير مستقرا [الفرقان: ٢٤] ، وثانيهما: أن يكون المراد هو أن بالنداء وعدم الصبر يستفيدون تنجيز الشغل ودفع الحاجة في الحال وهو مطلوب، ولكن المحافظة على النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه خير من ذلك، لأنها تدفع الحاجة الأصلية التي في الآخرة وحاجات الدنيا فضلية، والمرفوع الذي يقتضيه كلمة كان إما الصبر وتقديره لو أنهم صبروا لكان الصبر خيرا، أو الخروج من غير نداء وتقديره لو صبروا حتى تخرج إليهم لكان خروجك من غير نداء خيرا لهم، وذلك مناسب للحكاية، لأنهم طلبوا خروجه عليه الصلاة والسلام ليأخذوا ذراريهم، فخرج/ وأعتق نصفهم وأخذوا نصفهم، ولو صبروا لكان يعتق كلهم والأول أصح.

ثم قال تعالى: والله غفور رحيم تحقيقا لأمرين أحدهما: لسوء صنيعهم في التعجل، فإن الإنسان إذا أتى بقبيح ولا يعاقبه الملك أو السيد يقال ما أحلم سيده لا لبيان حلمه، بل لبيان عظيم جناية العبد وثانيهما: لحسن الصبر يعني بسبب إتيانهم بما هو خير، يغفر الله لهم سيئاتهم ويجعل هذه الحسنة كفارة لكثير من السيئات، كما يقال للآبق إذا رجع إلى باب سيده أحسنت في رجوعك وسيدك رحيم، أي لا يعاقبك على ما تقدم من ذنبك بسبب ما أتيت به من الحسنة ويمكن أن يقال بأن ذلك حث للنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩٦/٢٨

على الصفح، وقوله تعالى:
أكثرهم لا يعقلون كالعذر لهم. وقد ذكرنا أن الله تعالى ذكر في بعض المواضع الغفران قبل الرحمة، كما في هذه السورة وذكر الرحمة قبل المغفرة في سورة سبأ في قوله وهو الرحيم الغفور [سبأ: ٢] فحيث قال: غفور رحيم أي يغفر سيئاته ثم ينظر إليه فيراه عاريا محتاجا فيرحمه ويلبسه لباس الكرامة وقد يراه مغمورا في السيئات فيغفر سيئاته، ثم يرحمه بعد المغفرة، فتارة تقع الإشارة إلى الرحمة التي بعد المغفرة فيقدم المغفرة، وتارة تقع الرحمة قبل المغفرة فيؤخرها، ولما كانت الرحمة واسعة توجد قبل المغفرة وبعدها ذكرها قبلها وبعدها.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ٦]

يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦)
هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله تعالى أو مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو مع غيرهم من أبناء الجنس، وهم على صنفين، لأنهم إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة أو خارجا عنها وهو الفاسق والداخل في طائفتهم السالك لطريقتهم إما أن يكون حاضرا عندهم أو غائبا عنهم فهذه خمسة أقسام أحدها: يتعلق بجانب الله وثانيها: بجانب الرسول وثالثها: بجانب الفساق ورابعها: بالمؤمن الحاضر وخامسها: بالمؤمن الغائب فذكرهم الله تعالى في هذه السورة خمس مرات يا أيها الذين آمنوا وأرشدهم في كل مرة إلى مكرمة مع قسم من الأقسام الخمسة فقال أولا: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي." (١)

"النبي صلى الله عليه وسلم، وهو صالح عليه السلام لأنه معجزة فما التحقيق في تفسيره؟ نقول: فيه وجهان أحدهما: أن المعجزة فتنة لأن بها يتميز حال من يثاب ممن يعذب، لأن الله تعالى بالمعجزة لا يعذب الكفار إلا إذا كان ينبئهم بصدقه من حيث نبوته فالمعجزة ابتلاء لأنها تصديق وبعد التصديق يتميز المصدق عن المكذب وثانيهما: وهو أدق أن إخراج الناقة من الصخرة كان معجزة وإرسالها إليهم ودورانها فيما بينهم وقسمة الماء كان فتنة ولهذا قال: إنا مرسلوا الناقة فتنة ولم يقل: إنا مخرجو الناقة فتنة، والتحقيق في الفتنة والابتلاء والامتحان قد تقدم مرارا وإليه إشارة خفية وهي أن الله تعالى يهدي من يشاء وللهداية طرق، منها ما يكون على وجه يكون للإنسان مدخل فيه بالكسب، مثاله يخلق شيئا دالا ويقع تفكر

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩٧/٢٨

الإنسان فيه ونظره إليه على وجه يترجح عنده الحق فيتبعه وتارة يلجئه إليه ابتداء ويصونه عن الخطأ من صغره فإظهار المعجز على يد الرسول أمر يهدي به من يشاء اهتداء مع الكسب وهداية الأنبياء من غير كسب منهم بل يخلق فيهم علوما غير كسبية فقوله: إنا مرسلوا الناقة فتنة إشارة إليهم، ولهذا قال لهم: ومعناه على وجه يصلح لأن يكون فتنة وعلى هذا كل من كانت معجزته أظهر يكون ثواب قومه أقل، وقوله تعالى: فارتقبهم أي فارتقبهم بالعذاب، ولم يقل: فارتقب العذاب إشارة إلى **حسن الأدب** والاجتناب عن طلب الشر وقوله تعالى: / واصطبر يؤيد ذلك بمعنى إن كانوا يؤذونك فلا تستعجل لهم العذاب، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى قرب الوقت إلى أمرهما والأمر بحيث يعجز عن الصبر. ثم قال تعالى:

[سورة القمر (٥٤) : آية ٢٨]

ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر (٢٨)

أي مقسوم وصف بالمصدر مرادا به المشتق منه كقوله ماء ملح وقوله زور وفيه ضرب من المبالغة يقال للكريم: كرم كأنه هو عين الكرم ويقال: فلان لطف محض، ويحتمل أن تكون القسمة وقعت بينهما لأن الناقة كانت عظيمة وكانت حيوانات القوم تنفر منها ولا ترد الماء وهي على الماء، فصعب عليهم ذلك فجعل الماء بينهما يوما للناقة ويوما للقوم، ويحتمل أن تكون لقلة الماء فشربه يوما للناقة ويوما للحيوانات، ويحتمل أن يكون الماء كان بينهم قسمة يوم لقوم ويوم لقوم ولما خلق الله الناقة كانت ترد الماء يوم فكان الذين لهم الماء في غير يوم ورودها يقولون: الماء كله لنا في هذا اليوم ويومكم كان أمس والناقة ما أخرت شيئا فلا نمكنكم من الورود أيضا في هذا اليوم فيكون النقصان واردا على الكل وكانت الناقة تشرب الماء بأسره وهذا أيضا ظاهر ومنقول والمشهور هنا الوجه الأوسط، ونقول: إن قوما كانوا يكتفون بلبنها يوم ورودها الماء والكل ممكن ولم يرد في شيء خبر متواتر والثالث: قطع وهو من القسمة لأنها مثبتة بكتاب الله تعالى أما كيفية القسمة والسبب فلا وقوله تعالى: كل شرب محتضر مما يؤيد الوجه الثالث أي كل شرب محتضر للقوم بأسرهم لأنه لو كان ذلك لبيان كون الشرب محتضرا للقوم أو الناقة فهو معلوم لأن الماء ما كان يترك من غير حضور وإن كان لبيان أنه تحضره الناقة يوما والقوم يوما فلا دلالة في اللفظ عليه، وأما إذا كانت العادة قبل الناقة على أن يرد الماء قوم في يوم وآخرون في يوم آخر، ثم لما خلقت الناقة كانت

تنقص شرب البعض وتترك شرب الباقين من غير نقصان، فقال: كل شرب محتضر كم أيها القوم فردوا كل يوم الماء وكل شرب ناقص تقاسموه وكل شرب كامل تقاسموه.." [١]

"بالمتحرك ويقفوا على الساكن. ويشهد له تصريفه على أسماء وأسامي وسمى وسميت ومجيء سمي كهدى لغة فيه قال:

والله أسماك سمى مباركا ... آثرك الله به إيثاركا

والقلب بعيد غير مطرد، واشتقاقه من السمو لأنه رفعة للمسمى وشعار له. ومن السمة عند الكوفيين، وأصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل إعلاله. ورد بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم، ومن لغاته سم وسم قال:

بسم الذي في كل سورة سمه والاسم إن أريد به اللفظ فغير المسمى، لأنه يتألف من أصوات متقطعة غير قارة، ويختلف باختلاف الأمم والأعصار، ويتعدد تارة ويتحد أخرى. والمسمى لا يكون كذلك، وإن أريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى: تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك المراد به اللفظ لأنه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن النقائص، يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب. أو الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما وإن أريد به الصفة، كما هو رأي الشيخ أبي الحسن الأشعري، انقسم انقسام الصفة عنده: إلى ما هو نفس المسمى، وإلى ما هو غيره، وإلى ما ليس هو ولا غيره. وإنما قال بسم الله ولم يقل بالله، لأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه. أو للفرق بين اليمين والتيمن. ولم تكتب الألف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها. والله أصله إله، فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام ولذلك قيل:

يا الله، بالقطع إلا أنه مختص بالمعبود بالحق. والإله في الأصل لكل معبود، ثم غلب على المعبود بالحق. واشتقاقه من أله ألهة وألوهة وألوهية بمعنى عبد، ومنه تأله واستأله، وقيل من أله إذا تحير لأن العقول تتحير في معرفته. أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه، لأن القلوب تطمئن بذكره، والأرواح تسكن إلى معرفته. أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه، وآلهة غيره أجاره إذ العائذ يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه. أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه، إذ العباد يولعون بالتضرع إليه في الشدائد. أو من وله إذا تحير وتخبط عقله، وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه، فقيل إله كإعاء وإشاح،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣١٠/٢٩

ويرده الجمع على آلهة دون أولهة. وقيل أصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها، إذا احتجب وارتفع لأنه سبحانه وتعالى محجوب عن إدراك الأبصار، ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر:
كحلفة من أبي رباح ... يشهدها لاهه الكبار
وقيل علم لذاته المخصوصة لأنه يوصف ولا يوصف به، ولأنه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه، ولأنه لو كان وصفا لم يكن قول: لا إله إلا الله، توحيدا مثل: لا إله إلا الرحمن، فإنه لا يمنع الشركة، والأظهر أنه وصف في أصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار له كالعلم مثل: الثريا والصعق أجرى مجراه في إجراء الأوصاف عليه، وامتناع الوصف به، وعدم تطرق احتمال الشركة إليه، لأن ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر، فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ، ولأنه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما أفاد ظاهر قوله سبحانه وتعالى: وهو الله في السماوات معنى صحيحا، ولأن معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب، وهو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة، وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الألف الأخيرة، وإدخال اللام عليه، وتفخيم لامه إذا انفتح ما قبله أو انضم سنة، وقيل مطلقا، وحذف ألفه لحن تفسد به." (١)

"[سورة البقرة (٢) : آية ٢٦٠]

وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم (٢٦٠)

وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى إنما سأل ذلك ليصير علمه عيانا، وقيل لما قال نمروذ أنا أحيي وأميت قال له: إن إحياء الله تعالى برد الروح إلى بدنها، فقال نمروذ: هل عاينته فلم يقدر أن يقول نعم. وانتقل إلى تقرير آخر، ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب إن سئل عنه مرة أخرى. قال أولم تؤمن بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة، قال له ذلك وقد علم أنه أغرق الناس في الإيمان ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه. قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أي بلى آمنت ولكن سألت ذلك لأزيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان إلى الوحي أو الاستدلال. قال فخذ أربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة، ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس، والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٦/١

الأمل المتصف بهما الغراب، والترفع والمسارعة إلى الهوى الموسوم بهما الحمام. وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به أو جمع كصحب. فصرهن إليك فأملهن واضممهن إليك لتتأملها وتعرف شياتها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء. وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال:

وما صيد الأعناق فيهم جبلة ... ولكن أطراف الرماح تصورها

وقال:

وفرع يصير الجيد وحف كأنه ... على الليث قنوان الكروم الدوالح

وقرئ «فصرهن» بضم الصاد وكسرها وهما لغتان، مشددة الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا. ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا أي ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك. قيل كانت أربعة. وقيل سبعة. وقرأ أبو بكر «جزءوا» و «جزؤ» بضم الزاي حيث وقع. ثم ادعهن قل لهن تعالين بإذن الله تعالى. يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا.

روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها، ويخلط سائر أجزائها ويوزعها على الجبال، ثم يناديهن. ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير إلى آخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن

. وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية، فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها، فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بدعاية العقل أو الشرع. وكفى لك شاهدا على فضل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويمن الضراعة في الدعاء **وحسن الأدب** في السؤال، إنه تعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر الوجوه، وأراه عزيرا بعد أن أماته مائة عام. واعلم أن الله عزيز لا يعجز عما يريده. حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره.

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٦١]

مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم (٢٦١)

مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على

حذف المضاف. أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب، كما يسند إلى الأرض والماء، والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى: أنه يخرج منها ساق." (١)

"في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم، أو للحاضرين المريض عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم، أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضر بهم بصرف المال عنهم، أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم، أو للموصين بأن ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه، جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع، وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه، وبعث على الترحم وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاده وتهديد للمخالف بحال أولاده. فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى، إذ لا ينفع الأول دون الثاني، ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة **وحسن الأدب**، أو للمريض ما يصده عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة، ويذكره التوبة وكلمة الشهادة، أو لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا، أو أن يقولوا في الوصية ما لا يؤدي إلى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة.

[سورة النساء (٤) : آية ١٠]

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (١٠)

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ظالمين، أو على وجه الظلم. إنما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم. نارا ما يجر إلى النار، ويؤول إليها.

وعن أبي بردة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا» . فقيل: من هم؟ فقال: «ألم تر أن الله يقول: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا

. وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا وأي نار. وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا. وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها، وصليته شويته وأصليته وصليته ألقيته فيها، والسعير فعيل بمعنى

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١/١٥٧

مفعول من سعرت النار إذا ألهبتها.

[سورة النساء (٤) : آية ١١]

يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما (١١)

يوصيكم الله يأمركم ويعهد إليكم. في أولادكم في شأن ميراثهم وهو إجمال تفصيله. للذكر مثل حظ الأنثيين أي يعد كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه، وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لأن القصد إلى بيان فضله، والتنبيه على أن التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة، والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به. فإن كن نساء أي إن كان الأولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر، فأنث الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولودات. فوق اثنتين خبر ثان، أو صفة للنساء أي نساء زائدات على اثنتين. فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم، ويدل عليه المعنى. وإن كانت واحدة فلها النصف أي وإن كانت المولودة واحدة. وقرأ نافع بالرفع على كان التامة، واختلف في الثنتين فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة، لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما. وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو الثلثان، اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان. ثم لما أوهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله: فإن كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع أخيها فبالحري أن تستحقه مع أخت مثلها. وأن البنتين أمس." (١)

"غرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين

ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم، فإنهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة، وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذير للسامعين من مثل حالهم.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٣١ الى ١٣٢]

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢/٦٢

ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون (١٣١) ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون (١٣٢)

ذلك إشارة إلى إرسال الرسل، وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك. أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون تعليل للحكم وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة أي: الأمر ذلك لانتفاء كون ربك أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوه، أو ملتبسين يظلم أو ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول أو بدل من ذلك.

ولكل من المكلفين. درجات مراتب مما عملوا من أعمالهم أو من جزائها، أو من أجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق به من ثواب أو عقاب. وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٣٣ الى ١٣٤]

وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين (١٣٣) إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين (١٣٤)

وربك الغني عن العباد والعبادة. ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي، وفيه تنبيه على أن ما سبق ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله: إن يشأ يذهبكم أي ما به إليكم حاجة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة. ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق. كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين أي قرنا بعد قرن لكنه أبقاكم ترحما عليكم.

إن ما توعدون من البعث وأحواله. لآت لكائن لا محالة. وما أنتم بمعجزين طالبكم به.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٣٥]

قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون (١٣٥)

قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن، أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة. وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد، والمعنى: اثبتوا على كفركم وعداوتكم. إني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام، والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه

مجمعا عليه فيحمله بالأمر على ما يفضي به، إليه، وتسجيل بأن المهدد لا يتأتى منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن ينقضي عنه. فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إن جعل من استفهامية بمعنى أينا تكون له عاقبة الدار الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار، فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وإن جعلت خبرية فالنصب ب تعلمون أي فسوف تعرفون الذي تكون له عاقبة الدار، وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال **وحسن الأدب**، وتنبيه على وثوق المنذر بأنه محق. وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي. إنه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٣٦]

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون (١٣٦)." (١)

"من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والأمن منه بالهجرة إلى مدين. وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء، أو أنواعا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة، فخلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف، والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد وأجر نفسه إلى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره. فلبثت سنين في أهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الأجلين، ومدين على ثمان مراحل من مصر. ثم جئت على قدر قدرته لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر، أو على مقدار من السن يوحى فيه إلى الأنبياء. يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

واصطنعتك لنفسي (٤١) اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري (٤٢)

واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه.

اذهب أنت وأخوك بآياتي بمعجزاتي. ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا، وقرئ تنيا بكسر التاء.

في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما. وقيل في تبليغ ذكري والدعاء إلي.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٨٣/٢

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٤٣ إلي ٤٤]

اذهبا إلى فرعون إنه طغى (٤٣) فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (٤٤)

اذهبا إلى فرعون إنه طغى أمر به أولا موسى عليه الصلاة والسلام وحده وهاهنا إياه وأخاه فلا تكرير.

قيل أوحى إلى هارون أن يتلقى موسى، وقيل سمع بمقبله فاستقبله.

فقولا له قولا لينا مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما، أو احتراما لما له من حق التربية عليك. وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى: أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة. وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول إلا بالموت. لعله يتذكر أو يخشى متعلق ب ا‌ذهبا أو «قولا» أي: باشرا الأمر على رجائكما. وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما، فإن الراجي مجتهد والآيس متكلف، والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بأنه لا يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم، ولذلك قدم الأول أي إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٤٥ الى ٤٦]

قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى (٤٥) قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى (٤٦)

قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أن يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة، من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل. وقرئ «يفرط» من أفرطته إذا حملته على العجلة، أي نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان إنسي أو جني على المعاجلة بالعقاب، و «يفرط» من الإفراط في الأذية. أو أن يطغى أو أن يزداد طغيانا فيتخطى إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته وإطلاقه من **حسن الأدب**.

قال لا تخافا إنني معكما بالحفظ والنصر. أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل، فأحدث في كل ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما، ويجوز أن لا يقدر شيء على معنى إنني حافظكما سامعا ومبصرا، والحافظ إذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ.." (١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٨/٤

"ما هو جزاء الغاضبين إحمادا لحالهم كما أخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين، والمبتدأ إسم الإشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم، والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم أقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له، وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وأن حال المرتكب لهما على خلاف ذلك.

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ٤ الى ٥]

إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (٤) ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم (٥)

إن الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها أو قدامها، ومن ابتدائية فإن المناداة نشأت من جهة الوراء، وفائدتها الدلالة على أن المنادي داخل الحجرة إذ لا بد وأن يختلف المبتدأ والمنتهى بالجهة، وقرئ «الحجرات» بفتح الجيم، وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الأرض المحجورة بحائط، ولذلك يقال لحظيرة الإبل حجرة. وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة، والمراد حجرات نساء النبي عليه الصلاة والسلام وفيها كناية خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها، أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له، فأسند فعل الأبعاض إلى الكل. وقيل إن الذي ناداه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج إلينا، وإنما أسند إلى جميعهم لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به، أو لأنه وجد فيما بينهم.

أكثرهم لا يعقلون إذ العقل يقتضي **حسن الأدب** ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب.

ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم أي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم، فإن أن وإن دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت، ولذلك وجب إضمار الفعل وحتى تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغيا بخروجه، فإن حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول: أكلت السمكة حتى رأسها، ولا تقول حتى نصفها، بخلاف إلى فإنها عامة، وفي إليهم إشعار بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم. لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب، والإسعاف بالمسؤول إذ روي أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر فأطلق النصف وفادى النصف. والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الأدب التاركين تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ٦]

يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦)

يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا فتعرفوا وتصفحوا،

روي أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة مصدقا إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم إحنة، فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت.

وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع، وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم، وتعليق الأمر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث إن المعلق على شيء بكلمة إن عدم عند عدمه، وأن خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق، إذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير. وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا أي فتوقفوا إلى أن يتبين لكم الحال. أن تصيبوا كراهة إصابتكم. قوما بجهالة جاهلين بحالهم. فتصبحوا فتصيروا. على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين أنه لم يقع، وتركيب هذه الأحرف الثلاثة دائر مع الدوام.." (١)

"بالوالدين إحسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا ﴿إما يبلغن عندك الكبر﴾ إما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت إن لم يصح دهولها لا تقول إن تكرمن زيدا يكرمك ولكن إما تكرمنه ﴿أحدهمآ﴾ فاعل يبلغن وهو في قراءة حمزة وعلي يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين ﴿أو كلاهما﴾ عطف على أحدهما فاعلا وبدلا ﴿فلا تقل لهمآ أف﴾ مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لإرادة التنكير أي أتضجر تضجرا وتركه لقصد التعريف أي أتضجر التضخير المعلوم ﴿ولا تنهرهما﴾ ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر أخوان ﴿وقل لهما﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿قولا كريما﴾ جميلا لينا كما يقتضيه **حسن الأدب** أو هو أن يقول يا أبتاه يا أماه ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا وفائدة عندك إنهما إذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما ألف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ثم ضيق

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٣٤/٥

الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها." (١)

"أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان فقيل له إنك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلته أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه ومايحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وقال علي رضى الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروي أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وإنما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة **حسن الأدب** بترك المجاهرة." (٢)

"السهيلي: فالموضع الأول نزل في رفاعة بن زيد بن التابوت، وفي الثاني نزل في كعب بن الأشرف يشترون الضلالة عبارة عن إيثارهم الكفر على الإيمان، فالشراء مجاز كقوله:

اشتروا الضلالة بالهدى وفي تكرار قوله: كفى بالله مبالغة

من الذين هادوا من راجعة إلى الذين أوتوا نصيبا، أو إلى أعدائكم، فهي بيان، وقال الفارسي: هي ابتداء كلام تقديره. من الذين هادوا قوم وقيل: هي متعلقة بنصيرا على قول الفارسي يحرفون الكلم يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى، وقيل: الكلم هنا التوراة، وقيل: كلام النبي صلى الله عليه وسلم غير مسمع معناه: لا سمعت راعنا ذكر في [البقرة: ١٠٤] سمعنا وأطعنا عوض من قولهم:

سمعنا وعصينا، واسمع عوض من قولهم: اسمع غير مسمع، وانظرنا عوض من قولهم:

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/ ٢٥٢

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/ ١٥٠

راعنا، وهو النظر أو الانتظار، فهذه الأشياء الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمهم على قولها، لما فيها **من سوء الأدب** مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأخر عوضا عن تلك: لكان خيرا لهم، فإن هذه ليس فيها سوء أدب مصدقا ذكر في البقرة أن نطمس وجوها قال ابن عباس: طمسها أن تزال العيون منها، وترد في القفا، فيكون ذلك ردا على الدبر، وقيل: طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالأدبار في خلوها عن الحواس أو نلعنهم أي نمسخهم كما مسخ أصحاب السبت، وقد ذكر في البقرة، أو يكون من اللعن المعروف، والضمير يعود على الوجوه، والمراد أصحابها، أو على الذين أوتوا الكتاب على الالتفات

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد. وهي المبينة لما تعارض فيها من الآيات، وهي الحجة لأهل السنة، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، وحجتهم هذه الآية، فإنها نص في هذا المعنى، ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بد سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر. ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون على الكبائر ولا بد، ويرد على الطائفتين قوله: «ويغفر ما دون ذلك» ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان، ويرد عليهم قولهم: لمن يشاء، فإنه تخصيص لبعض العصاة، وقد تأولت المعتزلة الآية على مذهبهم، فقالوا: لمن يشاء، وهو التائب لا خلاف أنه لا يعذب، وهذا التأويل بعيد، لأن قوله: إن." (١)

"الآيات، وعلى هذا يكون العالمين خاصا بأهل زمانهم، لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم، وقيل: المراد كثرة الأنبياء، فعلى هذا يكون عاما، لأن الأنبياء في بني إسرائيل أكثر منهم في سائر الأمم

الأرض المقدسة أرض بيت المقدس، وقيل:

الطور، وقيل: دمشق التي كتب الله لكم أي قضى أن تكون لكم ولا ترتدوا على أدباركم يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة، والرجوع إلى الطريق الذي جاءوا منه فإنه روي أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها، وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر قوما جبارين هم العمالقة قال رجلان هما يوشع وكالب يخافون أي يخافون الله، وقيل:

يخافون الجبارين، ولكن الله أنعم عليهما بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما ادخلوا عليهم الباب أي باب

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٩٥/١

المدينة فاذهب أنت وربك إفراط في العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله، وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون «١» لا أملك إلا نفسي وأخي قاله موسى عليه السلام ليتبرأ إلى الله من قول بني إسرائيل، ويبذل جهده في طاعة الله ويعتذر إلى الله. وإعراب أخي عطف على نفسي لأن أخاه هارون كان يطيعه، وقيل: عطف على الضمير في لا أملك: أي لا أملك أنا إلا نفسي ولا يملك أخي إلا نفسه، وقيل: مبتدأ، وخبره محذوف أي أخي لا يملك إلا نفسه فافرق بيننا أي فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة، وقيل: افصل بيننا وبينهم بحكم

قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة الضمير في قال لله تعالى، وحرم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض أي في أرض التيه وهو ما بين مصر والشام حتى مات كل من قال. إنا لن ندخلها. ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب ومات هارون في التيه، ومات موسى بعده في التيه أيضا. وقيل: إن موسى وهارون لم يكونا في التيه، لقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين، وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة، وقاتل الجبارين، وفتح المدينة، والعامل في

---

(١) . هذا من كلام المقداد بن عمرو للنبي صلى الله عليه وسلم قبيل موقعة بدر. انظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦١٥.." [١]

"تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب، وإعانة له على ما أمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدة ملكه، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكأنه يقول: يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم، وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء. والمقصد: ذكر الإنعام عليهم لتقوية قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأيضا فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأمر سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بذكرهم، ليعلمه أنه يفرج عنه ما يلقى من إذاية قومه، ويعقبها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢٢٧/١

ظاهرة وقال ابن عطية: المعنى: اذكر داود ذا الأيدي في الدين فتأس به وتأيد كما تأيد، وأجاب الزمخشري عن السؤال فإنه قال: كأن الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: اصبر على ما يقولون، وعظم أمر المعصية في أعين الكفار بذكر قصة داود، وذلك أنه نبي كريم عند الله ثم زل زلة فوبخه الله عليها فاستغفر وأناب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم وهذا الجواب لا يخفى ما فيه **من سوء الأدب** مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار، وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا

والإشراق يعني: وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس: أي تضيء ويصفر شعاعها وهو وقت الضحى، وأما شروقها فطلوعها محشورة أي مجموعة كل له أواب أي كل مسبح لأجل تسبيح داود، ويحتمل أن يكون أواب هنا بمعنى رجاع أي ليرجع إلى أمره.

وآتيناه الحكمة قيل: يعني النبوة، وقيل: العلم والفهم وقيل: الزبور وفصل الخطاب قال ابن عباس: هو فصل القضاء بين الناس بالحق، وقال علي بن أبي طالب: هو إيجاب اليمين على المدعى عليه، والبينة على المدعى، وقيل: أراد قول: أما بعد فإنه أول من قالها، وقال الزمخشري: معنى فصل الخطاب: البين من الكلام الذي يفهمه من يخاطب به، وهذا المعنى اختاره ابن عطية، وجعله من قوله تعالى: «إنه لقول فصل» [الطارق: ١٣] وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها للمخاطب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة، التي ينبغي أن يلقى البال لها، والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة، كقولك: عدل وزور. واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروي أنهما جبريل وميكائيل بعثهما الله، ليضرب بهما المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها، فأفتى بفتيا هي واقعة عليه في نازلته، ولما شعر وفهم المراد أناب." (١)

"إلى أمه فرضع في الحين قال الزمخشري: إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه: أحدها أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن ائتمن في ذلك والثاني أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن. والثالث أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن. والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره: النساء النفاثات، والجماعة النفاثات، أو النفوس النفاثات والأول أصح لأنه روي أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي، وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعقدن له إحدى عشر عقدة، فأنزل الله المعوذتين إحدى عشر آية بعدد العقد وشفى الله رسوله صلى الله عليه وآله

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٢٠٤

وسلم، فإن قيل: لم عرف النفاثات بالألف واللام ونكر ما قبله وهو غاسق وما بعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه؟ فالجواب أنه عرف النفاثات ليفيد العموم لأنه كل نفاثة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما في بعض دون البعض من شر حاسد إذا حسد الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب «١» وقال بعض العلماء: الحسد أول معصية عصي الله بها في السماء والأرض أما في السماء فحسد إبليس لآدم وأما في الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد، ثم إن الحسد على درجات الأولى أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه.

الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة. والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات: أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام **الثانية سوء الأدب** مع الله تعالى، فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله الثالثة تألم قلبه من كثرة همه وغمه، فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين، فإن المحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة، ولله در القائل:

وإني لأرحم حسادي لفرط ما ... ضمت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

وقال آخر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكي كأنه مظلوم، ولقد صدق القائل:

---

(١) . رواه ابن ماجة عن أنس في كتاب الزهد باب ٢٢ ورقمه ٤٢١٠ ج ٢ وفيه راو ضعيف.." [(١)]

"إسرائيل وبعث بهم إلى مدينة يقال لها الغوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا وواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث إلى السحرة فجاؤوا ومعهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحر أهل الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء فإنه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٥٢٧

مملكته فلم يترك ساحرا إلا أتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني إسرائيل وقال الكلبي: كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الأحبار: كانوا اثني عشر ألفا، وقال محمد بن إسحاق: كانوا خمسة عشر ألفا، وقال عكرمة: كانوا سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر: كانوا ثمانين ألفا وقال السدي: كانوا بضعا وثمانين ألفا، ويقال: رئيس القوم شمعون، وقيل: يوحنا.

[سورة الأعراف (٧): الآيات ١١٣ الى ١١٧]

وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين (١١٣) قال نعم وإنكم لمن المقربين (١١٤) قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين (١١٥) قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤ بسحر عظيم (١١٦) وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون (١١٧)

قوله عز وجل: وجاء السحرة فرعون يعني لما اجتمعوا وجاءوا إلى فرعون قالوا إن لنا لأجرا يعني جعلا وعطاء تكرمنا به إن كنا نحن الغالبين يعني لموسى قال الإمام فخر الدين الرازي: ولقائل أن يقول كان حق الكلام أن يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل سأل ما قالوا إذا جاءوا فأجيب بقوله قالوا أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين يعني لموسى قال نعم يعني: قال لهم فرعون لكم الأجر والعطاء وإنكم لمن المقربين يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر والمعنى أن فرعون قال للسحرة إني لا أقتصر معكم على الأجر بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة إني أجعلكم من المقربين عندي، قال الكلبي: تكونوا أول من يدخل علي وآخر من يخرج من عندي قالوا يعني السحرة يا موسى إما أن تلقي يعني عصاك وإما أن نكون نحن الملقين يعني عصينا وحبالنا في هذه الآية دقيقة لطيفة وهي أن السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام **حسن الأدب** حيث قدموه على أنفسهم في الإلقاء لا جرم أن الله عز وجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أن من عليهم بالإيمان والهداية ولما راعوا الأدب أولا وأظهروا ما يدل على رغبتهم في ذلك قال يعني قال لهم موسى ألقوا يعني أنتم فقدمهم على نفسه في الإلقاء.

فإن قلت كيف جاز لموسى أن يأمر بالإلقاء وقد علم أنه سحر وفعل السحر غير جائز؟

قلت: ذكر العلماء رحمهم الله تعالى في أجوبة أحدها أن معناه إن كنتم محقين في فعلكم فألقوا وإلا فلا تلقوا.

الجواب الثاني: إنما أمرهم بالإلقاء لتظهر معجزته لأنهم إذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى في عصاه.

الجواب الثالث: أن موسى علم أنهم لا بد أن يلقوا تلك الحبال والعصي وإنما وقع التخيير في التقديم والتأخير فأذن لهم في التقديم لتظهر معجزته أيضا بغلبهم لأنه لو ألقى أولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم بالإلقاء أولا فلما ألقوا يعني حبالهم وعصيهم سحروا أعين الناس يعني صرفوا أعين الناس عن إدراك حقيقة ما فعلوا من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين معجزة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي فعل الله وذلك لأن السحر قلب الأعين وصرفها عن إدراك." (١)

"القاسم القشيري: فيه دليل على أن الاسم هو المسمى إذ لو كان غيره لكانت الأسماء لغيره وقد قال «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها» وقال الإمام فخر الدين الرازي: دلت الآية على أن الاسم غير المسمى لا تدل على أن أسماء الله كثيرة لأن لفظ الأسماء الجمع وهو يفيد الثلاثة فما فوقها فثبت أن أسماء الله كثيرة ولا شك أن الله واحد فلزم القطع بأن الاسم غير المسمى وأيضا قوله سبحانه وتعالى: ولله الأسماء يقتضي إضافة الأسماء إلى الله وإضافة الشيء إلى نفسه محال. وقال غيره: الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشيء المسمى به فهو غيره. وقال أهل اللغة: إنما جعل الاسم تنويها على المعنى لأن المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لأن التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر. قال العلماء: وكما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيه أسمائه أيضا وقوله سبحانه وتعالى: فادعوه بها يعني ادعوا الله بأسمائه التي سمى بها نفسه أو سماه بها رسوله ففيه دليل على أن أسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده أنه يجوز أن يقال يا جواد ولا يجوز أن يقال يا سخي ويجوز أن يقال يا عالم ولا يجوز أن يقال يا عاقل ويجوز أن يقال يا حكيم ولا يجوز أن يقال يا طبيب وللدعاء شرائط منها أن يعرف الداعي معاني الأسماء التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله ويعزم المسألة مع رجاء الإجابة ويعترف الله سبحانه وتعالى بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فإذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تأثير عظيم وذروا الذين يلحدون في أسمائه معنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة. وقال ابن السكيت: الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال ألحد في الدين إلحادا إذا عدل عنه ومال إلى غيره. قال المحققون: الإلحاد يقع في أسماء الله تعالى على وجوه:

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٣٥/٢

أحدها: إطلاق أسماء الله عز وجل على غيره وذلك أن المشركين سموا أصنامهم بالآلهة واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد.

الوجه الثاني: وهو قول أهل المعاني أن الإلحاد في أسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعو الله بأسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم.

الوجه الثالث: مراعاة **حسن الأدب** في الدعاء فلا يجوز أن يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على انفراد بل يقال يا ضار يا نافع يا خالق الخلق.

الوجه الرابع: أن لا يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه فإنه ربما سماه باسم لا يليق إطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسمى به لما فيه من الغرابة.

وقوله سبحانه وتعالى: سيجزون ما كانوا يعملون يعني في الآخرة ففيه وعيد وتهديد لمن ألحد في أسماء الله عز وجل.

[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٨١ الى ١٨٣]

ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٨١) والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (١٨٢) وأملي لهم إن كيدي متين (١٨٣)

قوله عز وجل: وممن خلقنا أمة يعني جماعة وعصابة يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن عباس: يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان. قال قتادة: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه." (١)

"فقوله تعالى «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به» سمي الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام، والمعنى إن صنع بكم سوء من قتل أو مثلة ونحوها، فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله «وجزاء سيئة سيئة مثلها» أمر الله برعاية العدل والإنصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق. يعني: إن رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل، ولا تزيدوا عليه فإن استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته، وفي الآية دليل على أن الأولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الإشارة والرمز

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٢٧٦

والتعريض، بأن الترك أولى فإن كان لا بد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الإشارة إلى طريق التصريح فقال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين يعني ولئن عفوتم، وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو، والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين والعافين.

فصل

اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا، على قولين: أحدهما أنها نزلت قبل براءة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك، فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال، فلما أعز الله الإسلام وكثر أهله أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد، ونسخ هذا بقوله: اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية، القول الثاني: أنها أحكمت، وأنها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال منها الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري. قال بعضهم:
الأصح أنها محكمة لأن الآية واردة في تعليم **حسن الأدب** في كيفية استيفاء الحقوق وفي القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة، وهذه الأشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم. قوله عز وجل واصبر وما صبرك إلا بالله الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر، وأعلمه أن صبره بتوفيقه ومعونته ولا تحزن عليهم يعني على الكافرين، وإعراضهم عنك وقيل: معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فإنهم أفضلوا إلى رحمة الله ورضوانه ولا تك في ضيق مما يمكرون يعني: ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم، فإن الله كافيك وناصرك عليهم. قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسرها، فقيل لغتان. وقال أبو عمر: والضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة، وقال أبو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وإما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح، وقال القتيبي: الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كأنه قال سبحانه وتعالى: ولا تك في أمر ضيق من مكرهم. قال الإمام فخر الدين الرازي: هذا الكلام من المقلوب، لأن الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف، ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلا فيك إلا أن الفائدة في قوله: ولا تك في ضيق، هي أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل جانب، كالقميص المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى إن الله مع الذين اتقوا أي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي والذين هم محسنون يعني بالعفو عن الجاني،

وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني إن أردت أيها الإنسان أن أكون معك بالعون والفضل والرحمة، فكن من المتقين المحسنين، وفي هذا إشارة إلى التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله. قال بعض المشايخ: كمال الطريق صدق مع الحق، وخلق مع الخلق وكمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل أن يعمل به، وقيل لهرم ابن حيان عند الموت: أوص. فقال: إنما الوصية في المال ولا مال لي، ولكني أوصيك بخواتيم سورة النحل. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.." (١)

"يقتضيه **حسن الأدب** معهما، وقيل: هو يا أماه يا أبتاه وقيل: لا يكنيهما وقيل: هو أن يقول لهم كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ. الرابع: قوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل أي ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحباه من الرحمة أي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إليك، كما كنت في حال الصغر مفتقرا إليهما. الخامس: قوله سبحانه وتعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا أي وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية، وأراد به إذا كانا مسلمين فأما إذا كانا كافرين فإن الدعاء منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقيل:

يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله إلى الإسلام فإذا هداهما فقد رحمهما. وقيل في معنى هذه الآية: إن الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالأمر بتوحيده وعبادته، ثم شفعه بالإحسان إليهما ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تسوؤهما وأن يذل، ويخضع لهما ثم ختمها بالأمر بالدعاء لهما والترحم عليهما.

فصل

في ذكر الأحاديث التي وردت في بر الوالدين، (ق) عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك فأدناك» (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رغم أنفه، رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله؟ قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة» (م) عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لن يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه» (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال: أحي والداك

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٠٨/٣

قال: نعم قال ففيهما فجاهد» وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين» أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال: وهو أصح عن أبي الدرداء قال «فإن شئت فضيع ذلك الباب أو احفظه» أخرجه الترمذي. وقال حديث صحيح (م) «عن عبد الله بن مسعود قال:

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت، ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله تعالى». قوله سبحانه وتعالى ربكم أعلم بما في نفوسكم أي من بر الوالدين، واعتقاد ما يجب لهما من التوقير، عدم عقوقهما إن تكونوا صالحين أي أبرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين، أو غيرهما أو قيل فرط منكم في حال الغضب، وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر مما يؤدي إلى أذاهما ثم أنبتم إلى الله، واستغفرتم مما فرط منكم فإنه كان للأوابين للتوابين غفورا قال سعيد بن جبير في هذه الآية: هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فإنه لا يؤاخذ بهما. وقال سعيد بن المسيب: الأواب الذي يذنب ثم يتوب وعنه أنه الرجاع إلى الخير. وقال ابن عباس: الأواب الرجاع إلى الله فيما يحزنه، وينوبه وعنه أنهم المسبحون. وقيل: هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روي عن زيد بن أرقم. قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال «صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال» أخرجه مسلم قوله: إذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة إحراقه أخفافها.

والفصال جمع فصيل وهي أولاد الإبل الصغار وقيل: الأواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال: إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين. قوله سبحانه وتعالى:." (١)

"إجلالا له وتعظيما أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه لهم مغفرة وأجر عظيم قوله عز وجل: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات. قال ابن عباس: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا أنه توجه نحوهم، هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٢٧/٣

في أهله، فلما رأتهم الذراري أجهشوا إلى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا قبل أن يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا. حتى أيقظوه من نومه فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم؟ قالوا: نعم. قال سبرة: أنا لا أحكم إلا وعمي شاهد وهو الأعور بن بشامة، فرضوا به، فقال الأعور: أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد رضيت. ففادى نصفهم، وأعتق نصفهم فأنزل الله عز وجل: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وصفهم بالجهل وقلة العقل. وقيل في معنى الآية: أكثرهم إشارة إلى من يرجع منهم عن ذلك الأمر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الأكثر.

[سورة الحجرات (٤٩): آية ٥]

ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم (٥)

ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم فيه بيان **لحسن الأدب** وهو خلاف ما جاءوا به **من سوء الأدب** وطلب العجلة في الخروج لكان خيرا لهم أي الصبر لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء. وقيل: لكان **حسن الأدب** في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا لهم: وقيل: نزلت الآية في ناس من أعراب تميم وكأن فيهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب. ويروى ذلك عن جابر قال: جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا: يا محمد اخرج علينا فإن مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول:

إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت، ولكن هاتوا. فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس، وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم: قم فأجبه. فقام فأجابه وقام شاعرهم فذكر أبياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: أجبه. فأجابه فقام الأقرع بن حابس فقال: إن محمد المؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن شعرا وقولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يضرك ما كان قبل هذا. ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الأهتم لحداثة سنه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فأزرى به بعضهم وارتفعت الأصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم: يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآيات إلى قوله والله غفور رحيم أي لمن تاب منهم. وقال زيد بن أرقم: جاء ناس من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبيا فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكا نعش في جنابه فجاؤوا فجعلوا ينادونه: يا محمد يا محمد فأنزل الله هذه الآيات.." (١)

"مفتاح اسمه ناصر ونصير وقيل اسم للسورة والقلم هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض ويقال أول ما خلق الله القلم فنظر إليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه وما يسطرون أي وما يكتب الحفظة من أعمال بني آدم وقيل إن حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل أن يكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم لا للجمع.

[سورة القلم (٦٨): الآيات ٢ الى ٤]

ما أنت بنعمة ربك بمجنون (٢) وإن لك لأجرا غير ممنون (٣) وإنك لعلى خلق عظيم (٤)

ما أنت يا محمد بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم أقسم الله بنون والقلم وما يسطرون وما أنت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون والمعنى إنك لا تكون مجنونا قد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل إن نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والأخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين في قولهم إنك لمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد:

عبس كواسب ما يمن طعامها أي ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية، وقيل في معنى الآية إنه غير مكدر

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٧٧/٤

عليك بسبب المنة والقول هو الأول ومعناه إن لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك أجرا عظيما دائما لا ينقطع، وقيل إن لك على إظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق إلى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم أجرا عظيم، فلا تمنعك نسبتهم إياك إلى الجنون عن الاشتغال بهذا الأمر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى: وإنك لعلى خلق عظيم وهذا كالتفسير لقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون لأن الأخلاق الحميدة والأفعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز إضافة الجنون إليه ولما كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وأفعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بأنها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب إلى الناس بالقول والفعل والبذل **وحسن الأدب** والمعاشرة بالمعروف مع الأقارب والأجانب والتساهل في جميع الأمور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الأذى من الأعلى والأدنى مع طلاقة الوجه وإدامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وإنك لعلى خلق عظيم، وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه وهو دين الإسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر من أوامر الله وينتهي عنه من مناهي الله تعالى والمعنى وإنك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والله سبحانه وتعالى أعلم.

(فصل: في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم) من ذلك ما روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال» (م) عن." [1]

"ذلك، وكذلك أتى بالفعل ماضيا وأتى بالاسم في صلة أن ليشمل سائر الأزمان، وبناه للمفعول، لأن من طلب منه الهداية ونسب الإنعام إليه لا يناسب نسبة الغضب إليه، لأنه مقام تلطف وترفق وتذلل لطلب الإحسان، فلا يناسب مواجهته بوصف الانتقام، وليكون المغضوب توطئة لختم السورة بالضالين لعطف موصول على موصول مثله لتوافق آخر الآي. والمراد بالإنعام، الإنعام الديني، والمغضوب عليهم والضالين

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٣٢٣

عام في كل من غضب عليه وضل.

وقيل المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى، قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والسدي، وابن زيد. وروي هذا عن عدي بن حاتم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

، وإذا صح هذا وجب المصير إليه، وقيل اليهود والمشركون، وقيل غير ذلك. وقد روي في كتب التفسير في الغضب والضلال قيود من المتصوفة لا يدل اللفظ عليها، كقول بعضهم غير المغضوب عليهم، بترك **حسن الأدب** في أوقات القيام بخدمته، ولا الضالين، برؤية ذلك، وقيل غير هذا. والغضب من الله تعالى إرادة الانتقام من العاصي لأنه عالم بالعبد قبل خلقه وقبل صدور المعصية منه، فيكون من صفات الذات أو إحلال العقوبة به، فيكون من صفات الأفعال، وقدم الغضب على الضلال، وإن كان الغضب من نتيجة الضلال ضل عن الحق فغضب عليه لمجاورة الإنعام، ومناسبة ذكره قرينة، لأن الإنعام يقابل بالانتقام، ولا يقابل الضلال الإنعام فالإنعام إيصال الخير إلى المنعم عليه، والانتقام إيصال الشر إلى المغضوب عليه، فبينهما تطابق معنوي، وفيه أيضا تناسب التسجيع، لأن قوله ولا الضالين، تمام السورة، فناسب أواخر الآي، ولو تأخر الغضب، ومتعلقه لما ناسب أواخر الآي. وكان العطف بالواو الجامعة التي لا دلالة فيها على التقديم والتأخير لحصول هذا المعنى من مغايرة جمع الوصفين، الغضب عليه، والضلال لمن أنعم الله عليه، وإن فسر اليهود والنصارى. فالتقديم إما للزمان أو لشدة العداوة، لأن اليهود أقدم وأشد عداوة من النصارى. وقد أنجز في غضون تفسير هذه السورة الكريمة من علم البيان فوائد كثيرة لا يهتدي إلى استخراجها إلا من كان توغل في فهم لسان العرب، ورزق الحظ الوافر من علم الأدب، وكان عالما بافتنان الكلام، قادرا على إنشاء النثار البديع والنظام. وأما من لا اطلاع له على كلام العرب، وجسا طبعه حتى عن الفقرة الواحدة من الأدب، فسمعه عن هذا الفن مسدود، وذهنه بمعزل عن هذا المقصود. قالوا: وفي هذه السورة الكريمة من أنواع الفصاحة والبلاغة أنواع:." (١)

"إلى أنه مرفوع على فعل أمر محذوف يمكن رفعه الظاهر، فيكون من عطف الجمل التقدير: فاذهب وليذهب ربك. وذهب بعض الناس إلى أن الواو واو الحال، وربك مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف. أو تكون الجملة دعاء والتقدير فيهما: وربك يعينك، وهذا التأويل فاسد بقوله فقاتلا.

إنا هاهنا قاعدون هذا دليل على أنهم خارت طباعهم فلم يقدروا على النهوض معه للقتال، ولا على الرجوع من حيث جاءوا، بل أقاموا حيث كانت المحاورة بين موسى وبينهم. وها من قوله هاهنا للتنبيه، وهنا ظرف

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٣/١

مكان للقريب، والعامل فيه قاعدون. ويجوز في مثل هذا التركيب أن يكون الخبر الظرف وما بعده حال فينتصب، وأن يكون الخبر الاسم والظرف معمول له. وهو أفصح.

قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي لما عصوا أمر الله وتمردوا على موسى وسمع منهم ما سمع من كلمة الكفر وسوء الأدب مع الله ولم يبق معه من يثق به إلا هارون قال ذلك، وهذا من الكلام المنطوي صاحبه على الالتجاء إلى الله والشكوى إليه، ورقة القلب التي تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب: نما أشكوا بثي وحزني إلى الله

«١»

وعن علي أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلى قتال المنافقين فما أجابه إلا رجلان، فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال: أين تتبعان مما أريد؟

والظاهر أن وأخي معطوف على نفسي، ويحتمل أن يكون وأخي مرفوعا بالابتداء، والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: وأخي لا يملك إلا نفسه، فيكون قد عطف جملة غير مؤكدة على جملة مؤكدة، أو منصوبا عطفا على اسم إن أي: وإن أخي لا يملك إلا نفسه، والخبر محذوف، ويكون قد عطف الاسم والخبر على الخبر نحو: إن زيدا قائم وعمرا شاخص، أي: وإن عمرا شاخص. وأجاز ابن عطية والزمخشري أن يكون وأخي مرفوعا عطفا على الضمير المستكن في أملك، وأجاز ذلك للفصل بينهما بالمفعول المحصور. ويلزم من ذلك أن موسى وهارون عليهما السلام لا يملكان إلا نفس موسى فقط، وليس المعنى على ذلك، بل الظاهر أن موسى يملك أمر نفسه وأمر أخيه فقط. وجوز أيضا أن يكون مجرورا معطوفا على ياء المتكلم في نفسي، وهو ضعيف على رأي البصريين. وكأنه في هذا الحصر لم يثق بالرجلين اللذين قالا: ادخلوا عليهم الباب، ولم يطمئن إلى ثباتهما لما عاين من أحوال

---

(١) سورة يوسف: ١٢/ ٨٦.." (١)

"وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا نقول لهما عند الضجر هذه الكلمة فضلا عما يزيد عليها. قال القرطبي: قال علماؤنا: وإنما صار قول أف للوالدين أردأ شيء لأن رفضهما رفض كفر النعمة، وجحد التربية، ورد وصية الله. وأف كلمة منقولة لكل شيء مرفوض ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: أف لكم ولما تعبدون من دون الله «١» أي رفض لكم ولهذه الأصنام معكم انتهى. وقرأ الحسن والأعرج وأبو

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٢١/٤

جعفر وشيبة وعيسى ونافع وحفص أف بالكسر والتشديد مع التنوين. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر كذلك بغير تنوين. وقرأ ابن كثير وابن عامر بفتحها مشددة من غير تنوين. وحكى هارون قراءة بالرفع والتنوين. وقرأ أبو السمال أف بضم الفاء من غير تنوين. وقرأ زيد بن علي أفا بالنصب والتشديد والتنوين. وقرأ ابن عباس أف خفيفة فهذه سبع قراءات من اللغات التي حكيت في أف.

وقال مجاهد: إن معناه إذا رأيت منهما في حال الشيخ الغائط والبول اللذين رأيا منك في حال الصغر فلا تقذرهما وتقول أف انتهى. والآية أعم من ذلك. ولما نهاه تعالى أن يقول لهما ما مدلوله أتضجر منكما ارتقى إلى النهي عما هو من حيث الوضع أشد من أف وهو نهرهما، وإن كان النهي عن نهرهما يدل عليه النهي عن قول أف لأنه إذا نهى عن الأدنى كان ذلك نهيا عن الأعلى بجهة الأولى، والمعنى ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك وقل لهما بدل قول أف ونهرهما قولا كريما أي جامعا للمحاسن من البر وجودة اللفظ. قال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد اللفظ. وقيل: قولا كريما أي جميلا كما يقتضيه **حسن الأدب**. وقال عمر: أن تقول يا أبتاه يا أماه انتهى.

كما خاطب إبراهيم لأبيه يا أبت مع كفره، ولا تدعوهما بأسمائهما لأنه من الجفاء وسوء الأدب ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة نحلني أبو بكر كذا. ولما نهاه تعالى عن القول المؤذي وكان لا يستلزم ذلك الأمر بالقول الطيب أمره تعالى بأن يقول لهما القول الطيب السار الحسن، وأن يكون قوله دالا على التعظيم لهما والتبجيل.

وقال عطاء: تتكلم معهما بشرط أن لا ترفع إليهما بصرك ولا تشد إليهما نظرك لأن ذلك ينافي القول الكريم. وقال الزجاج قولا سهلا سلسا لا شراسة فيه، ثم أمره تعالى بالمبالغة في التواضع معهما بقوله: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة. وقال القفال

---

(١) سورة الأنبياء: ٢١/ ٦٧.." (١)

"الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فإن اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٧/٧

موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران عليه السلام، ولم يذكر الله في كتابه موسى غيره، ومن ذهب إلى أنه غيره وهو موسى بن ميشا بن يوسف، أو موسى بن إفرائيم بن يوسف فقول لا يصح، بل الثابت

في الحديث الصحيح وفي التواريخ أنه موسى بن عمران نبي إسرائيل، والمرسل هو وأخوه هارون إلى فرعون، وفتاه هو يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم الصلاة والسلام

، والفتى الشاب ولما كان الخدم أكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة **حسن الأدب**، وندبت الشريعة إلى ذلك.

ففي الحديث: «لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي» .

وقال: لفتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه. وقيل: كان يأخذ منه العلم.

ويقال: إن يوشع كان ابن أخت موسى عليه السلام وسبب هذه القصة أن موسى عليه السلام جلس يوما في مجلس لبني إسرائيل وخطب فأبلغ، فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إليه أن يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين أسير

أي لا أزال. قال ابن عطية: وإنما قال هذه المقالة وهو سائر. ومن هذا قول الفرزدق:

فما برحوا حتى تهادت نساؤهم ... ببطحاء ذي قار عباب اللطائم

انتهى. وهذا الذي ذكره فيه حذف خبر لا أبرح وهي من أخوات كان، ونص أصحابنا على أن حذف خبر كان وأخواتها لا يجوز وإن دل الدليل على حذفه إلا ما جاء في الشعر من قوله:

لهفي عليك للهفة من خائف ... يبغي جوارك حين ليس مجير

أي حين ليس في الدنيا. وقال الزمخشري: فإن قلت: لا أبرح إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة على السفر، وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت: هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه، أما الحال فلأنها كانت حال سفر، وأما الكلام فلأن قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له، فلا بد أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن." (١)

"في بعض «١» أو من الأج وهو سرعة العدو، قال تعالى وهم من كل حدب ينسلون «٢» وقال الشاعر:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٩٨/٧

يؤج كما أج الظليم المنفر أو من الأجة وهو شدة الحر، أو من أج الماء يئج أجوجا إذا كان ملحا مرا انتهى.

وقرأ عاصم والأعمش ويعقوب في رواية بالهمز وفي يأجوج ومأجوج وكذا في الأنبياء وفي لغة بني أسد ذكره الفراء. قيل: ولا وجه له إلا اللغة الغريبة المحكية عن العجاج أنه كان يهمز العألم والخأتم. وقرأ باقي السبعة بألف غير مهموزة وهي لغة كل العرب غير بني أسد. وقرأ العجاج ورؤبة ابنه: آجوج بهمزة بدل الياء. وإفسادهم الظاهر تحقق الإفساد منهم لا توقعه لأنها شكت من ضررنا لها. وقال سعيد بن عبد العزيز: إفسادهم أكل بني آدم. وقيل: هو الظلم والقتل ووجوه الإفساد المعلوم من البشر. وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه، ولا يابسا إلا احتملوه، وروي أنه لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح.

فهل نجعل لك خرجا استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه على ما طلبوا على جهة **حسن الأدب** إذ سألوه ذلك كقول موسى للخضر هل أتبعك على أن تعلمن «٣» .

وقرأ الحسن والأعمش وطلحة وخلف وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جبير الأنطاكي ومن السبعة حمزة والكسائي خراجا بألف هنا، وفي حرفي قد أفلح وسكن ابن عامر الراء فيها. وقرأ باقي السبعة خرجا فيهما بسكون الراء فخراج بالألف والخرج والخراج بمعنى واحد كالنول والنوال، والمعنى جعلا نخرجه من أموالنا، وكل ما يستخرج من ضريبة وجزية وغلة فهو خراج وخرج. وقيل: الخرج المصدر أطلق على الخراج، والخراج الاسم لما يخرج. وقال ابن الأعرابي: الخرج على الرؤوس يقال: أد خرج رأسك، والخراج على الأرض. وقال ثعلب: الخرج أخص والخراج أعم. وقيل: الخرج المال يخرج مرة والخراج المجبى المتكرر عرضوا عليه أن يجمعوا له أموالا يقيم بها أمر السد. وقال ابن عباس خراجا أجرا.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر سدا بضم السين وابن محيصن وحميد والزهري والأعمش وطلحة ويعقوب في رواية وابن عيسى الأصبهاني وابن جرير وباقي السبعة بفتحها

---

(١) سورة الكهف: ١٨/ ٩٩.

(٢) سورة الأنبياء: ٢١/ ٩٦.

(٣) سورة الكهف: ٨٨/ ٦٦.." [١]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٧/٢٢٦

"نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها. وقرأ يحيى وأبو نوفل وابن محيصن في روايته أن يفرط مبنيا للمفعول أي يسبق في العقوبة ويسرع بها، ويجوز أن يكون من الإفراط ومجاوزة الحد في العقوبة خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعذاب من شيطان، أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية، أو من حبه الرياسة، أو من قومه القبط المتمردين الذين قال الله فيهم قال الملأ من قوم فرعون «١» وقال الملأ من قومه «٢» .

وقرأت فرقة والزعفراني عن ابن محيصن يفرط بضم الياء وكسر الراء من الإفراط في الأذية أو أن يطغى في التخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي تجرئة عليك وقسوة قلبه، وفي المجيء به هكذا على سبيل الإطلاق والرمز باب من **حسن الأدب** والتجافي عن التفوه بالعظيمة.

والمعية هنا بالنصرة والعون أسمع أقوالكما وأرى أفعالكما. وقال ابن عباس أسمع جوابه لكما وأرى ما يفعل بكما وهما كناية عن العلم فأتياه كرر الأمر بالإتيان فقولا إنا رسولا ربك وخاطباه بقولهما ربك تحقيرا له وإعلاما أنه مربوب مملوك إذ كان هو يدعي الربوبية. وأمرا بدعوته إلى أن يبعث معهما بني إسرائيل ويخرجهم من ذل خدمة القبط وكانوا يعذبونهم بتكليف الأعمال الشاقة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء. وقد ذكر في غير هذه الآية دعاؤه إلى الإيمان فجملة ما دعا إليه فرعون الإيمان وإرسال بني إسرائيل.

ثم ذكرا ما يدل على صدقهما في إرسالهما إليه فقالا قد جئناك بآية من ربك وتكرر أيضا قولهما من ربك على سبيل التوكيد بأنه مربوب مقهور، والآية التي أحالا عليها هي العصا واليد، ولما كانا مشتركين في الرسالة صح نسبة المجيء بالآية إليهما وإن كانت صادرة من أحدهما. وقال الزمخشري: قد جئناك بآية من ربك جارية من الجملة الأولى وهي إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير، لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها التي هي المجيء بالآية، وإنما وحد بآية ولم يثن ومعه آيتان لأن المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال: قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم «٣» فأت بآية إن كنت من الصادقين «٤»

---

(١) سورة الأعراف: ٧/ ١٠٩ و ١٢٧.

(٢) سورة المؤمنون: ٢٣/ ٣٣.

(٣) سورة الأعراف: ٧/ ١٠٥. [.....]

(٤) سورة الشعراء: ٢٦/ ١٥٤.." [١]

"التاسع: أنا نصف الأسماء بكونها عربية وفارسية، فنقول: الله: اسم عربي، وخوذاي: اسم أعجمي، وأما ذات الله تعالى، فمنزهة عن كونه كذلك.

العاشر: قال تبارك وتعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] أمرنا بأنا ندعو الله بأسمائه، والاسم آلة الدعاء، والمدعو هو الله تعالى، والمغايرة بين ذات المدعو، وبين اللفظ الذي يحصل به الدعاء معلوم بالضرورة.

واحتج من قال: الاسم هو المسمى بالنص، والحكم:

أما النص، فقوله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك﴾ والمتبارك المتعالى هو الله – تبارك وتعالى – لا الصوت ولا الحرف.

وأما الحكم: فهو أن الرجل إذا قال: " زينب طالق "، وكان زينب اسما لامرأته، وقع عليها الطلاق، ولو كان الاسم غير المسمى، لكان قد أوقع الطلاق على غير تلك المرأة، فكان يجب ألا يقع الطلاق عليها.

الجواب عن الأول: أن يقال: لم لا يجوز أن يقال: كما أن يجب علينا أن نعتقد كونه منزها عن النقائص والآفات، فكذلك يجب علينا تنزيه الألفاظ الموضوعة لتعريف ذات الله – تعالى – وصفاته عن العبث، والرفث، وسوء الأدب؟

وعن الثاني: أن قولنا " زينب طالق " معناه: أن الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ " طالق "، فلهذا السبب وقع الطلاق عليها. و " الله " في " بسم الله " مضاف إليه.

وهل العامل في المضاف إليه المضاف أو حرف الجر المقدر، أو معنى الإضافة؟." [٢]

"قال: «كنا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ جاءه عمرو بن مرة فقال له: يا رسول الله إن الله كتب علي الشقوة، فلا أراني أرزق من دفي بكفي، فائذن لي في الغناء من غير فاحشة. فقال عليه الصلاة والسلام:» لا آذن لك ولا كراهة ولا نعمة كذبت أي عدو الله لقد رزقك الله [رزقا] طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه على ما أحل الله لك من حلاله، أما لو قلت بعد هذه المقدمة شيئا ضربتك ضربا وجيعا «.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٣٨/٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣٦/١

وأما المعنى فإن الله – تعالى – منع المكلف من الانتفاع بهن وأمر غيره بمنعه من الانتفاع به، ومن منع من أخذ الشيء والانتفاع به لا يقال: إنه رزقه إياه، ألا ترى أنه لا يقال: إن السلطان قد رزق جنده مالا قد منعهم من أخذه، وإنما يقال: إنه رزقهم ما مكنهم من أخذه، ولا يمنعهم منه، ولا أمر بمنعهم منه.

وأجاب أصحابنا عن التمسك بالآيات بأنه كان الكل من الله، فإنه لا يضاف إليه ذلك؛ لما فيه **من سوء الأدب**، كما يقال: يا خالق المحدثات والعرش والكرسي، ولا يقال: يا خالق الكلاب والخنازير، وقال: ﴿يشرب بها عباد الله﴾ [الإنسان: ٦] فخص اسم العباد بالمتقين، وإن كان الكفار أيضا من العباد، وكلك هاهنا خص اسم الرزق بالحلال على سبيل التشريف، وإن كان الحرام رزقا أيضا.

وأجابوا عن التمسك بالخبر بأنه حجة لنا؛ لأن قوله عليه الصلاة والسلام :» فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه «صريح في أن الرزق قد يكون حراما.

وأجابوا عن المعنى بأن هذه المسألة محض اللغة، وهو أن الحرام هل يسمى رزقا أم لا؟ ولا مجال للدلائل العقلية في الألفاظ، والله أعلم.

و» نفقط الشيء: نفد، وكل ما جاء مما فاؤه نون، وعينه فاء، فدال على معنى ونحو ذلك إذا تأملت، قاله الزمخشري، وذلك نحو: نفد نفق نفر «نفذ» «نفش» «نفح» «نفخ» «نفض» «نفل» .." (١)

"معك، فكن من المتقين ومن المحسنين، وهذه المعية بالرحمة والفضل والتربية.

وقوله – تعالى –: ﴿الذين اتقوا﴾ إشارة غلى التعظيم لأمر الله، وقوله – جل ذكره – ﴿والذين هم محسنون﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله، وذلك يدل على أن كمال سعادة الإنسان في التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله – تعالى –.

قيل لهرم بن حيان عند قرب وفاته: أوص، فقال: إنما الوصية في المال ولا مال لي، ولكن أوصيك بخواتيم سورة النحل، قال بعضهم: إن قوله – جل ذكره –: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ منسوخ بآية السيف، وهذا في غاية البعد؛ لأن المقصود من هذه الآية تعليم **حسن الأدب** في كيفية الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى –، وترك التعدي وطلب الزيادة، ولا تعلق بهذه الأشياء بآية السيف والله أعلم بمراده.

روى أبو أمامة، عن أبي بن كعب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٩٣/١

قرأ سورة النحل، لم يحاسبه الله – تعالى – بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا، وأعطي من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية» .." (١)

"نفسه بهذين الأمرين في قوله: ﴿الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى: ٢ – ٣] .

وقال: «خلقني» بلفظ الماضي، لأن خلق الذات لا يتجدد في الدنيا، بل لما وقع بقي إلى الأمد المعلوم.

وقال: «فهو يهدين» بلفظ المستقبل، لأن الهداية مما تتكرر كل حين وأوان، سواء كانت تلك الهداية من المنافع الدنياوية بتمييز الناف عن الضار، أو من المنافق الدينية بتمييز الحق عن الباطل والخير عن الشر.

قوله: ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ . يجوز أن يكون مبتدأ وخبره محذوف وكذلك ما بعده، ويجوز أن تكون أوصافا ل «الذي خلقني» ودخول الواو جائز، وقد تقدم تحقيقه في أول البقرة كقوله:

٣٩١١ – إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

وأثبت ابن إسحاق – وتروى عن عاصم أيضا – ياء المتكلم في: «يسقين، ويشفين، ويحيين» .

فصل

المعنى: يرزقني ويغدوني بالطعام والشراب، ونبه بذكر الطعام والشراب على ما عداهما.

قوله: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ أضاف المرض إلى نفسه، وإن كان المرض والشفاء كله من الله استعمالا **لحسن الأدب** كما قال الخضر: ﴿فأردت أن أعيبها﴾ [." (٢)

"مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأولئك الكفار، وكان بسماعه يعرف شدة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأنهم، فكان إقدامه على قطع كلام النبي صلى الله عليه وسلم لغرض نفسه قبل تمام غرض النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة.

وأيضا: فإن الأهم يقدم على المهم، وكان قد أسلم، وتعلم ما يحتاج إليه من أمر دينه، أما أولئك الكفار، فلم يكونوا أسلموا بعد، وكان إسلامهم سببا لإسلام جمع عظيم، فكان كلام ابن مكتوم كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل، وذلك محرم.

وأيضا: فإن الله – تعالى – ذم الذين يناجونه من وراء الحجرات بمجود ندائهم، فهذا النداء الذي هو كالصارف للكفار عن [قبول] الإيمان أولى أن يكون ذنبا، فثبت أن الذي فعله ابن أم مكتوم كان ذنبا ومعصية.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩٢/١٢

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٣/١٥

وأيضا: فمع هذا الاعتناء بابن أم مكتوم، فكيف لقب بالأعمى؟ .

وأيضا: فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤدب أصحابه بما يراه مصلحة، والتعبيس من ذلك القبيل، ومع الإذن فيه، كيف يعاتب عليه؟ .

والجواب عن الأول: أن ما فعله ابن أم مكتوم كان **من سوء الأدب** لو كان عاملا بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره، وأنه يرجو إسلامهم، ولكن الله عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة، أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغنى، وكان النظر إلى المؤمن أولى، وإن كان فقيرا أصلح وأولى من الإقبال على الأغنياء طمعا في إيمانهم، وإن كان ذلك أيضا طمعا في المصلحة، وعلى هذا يخرج قوله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ [الأنفال: ٦٧] الآية.

وقيل: إنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تأليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن أم مكتوم من الإيمان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه مخافة أن يكبه الله على وجهه» .

وقال ابن زيد: إنما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم، وأعرض عنه؛ لأنه أشار إلى الذي كان يقوده أن يكفه، فدفعه ابن أم مكتوم، وأبى إلا أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه فكان في هذا نوع جفاء منه، ومع هذا أنزل الله تعالى في حقه: ﴿عبس وتولى﴾ ، بلفظ الإخبار عن الغائب تعظيما له، ولم يقل: عبست وتوليت. ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيسا له، فقال: «وما يدريك» أي: يعلمك «لعله» ابن أم مكتوم «يزكى» بما استدعى منك تعليمه إياه من القرآن والدين، وإنما ذكره بلفظ العمى ليس للتحقير، بل كأنه قيل: إنه بسبب عماه يستحق مزيد الرفق والرأفة، فكيف يليق بك يا محمد، أن." (١)

"الصفة الثالثة: قوله: ﴿والعافين عن الناس﴾ .

قال القفال: يحتمل أن يكون هذا راجعا إلى ما ذم من فعل المشركين في أكل الربا، فنهي المؤمنين عن ذلك، وندبوا إلى العفو عن المعسرين، فإنه تعال قال - عقب قصة الربا والتداين -: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾ [البقرة: ٢٨٠] وقال

﴿وأن تصدقوا خير لكم﴾ [البقرة: ٢٨٠] .

ويحتمل أن يكون هذا بسبب غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين مثلوا بعمه حمزة، وقال: لأمثلن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥٤/٢٠

بهم فندب إلى كظم هذا الغيظ.

وقال الكلبي: العافين عن **المملوكين سوء الأدب**.

وقال زيد بن أسلم ومقاتل: عمن ظلمهم وأساء إليهم، قال صلى الله عليه وسلم : «لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه، ويعفو عمن ظلمه ويعط من حرمه» .

وروي عن عيسى ابن مريم أنه قال: «ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك، ذاك مكافأة، إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك» .

ثم قال: ﴿والله يحب المحسنين﴾ هذه اللام يحتمل أن تكون للجنس، فيدخل كل محسن، وأن تكون للعهد، فتكون إشارة إلى هؤلاء.

وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن الله – تعالى – يعفو عن العصاة، لأنه قد مدح الفاعلين لهذه الخصال، وأحبهم، وهو أكرم الأكرمين، والعفو والغفور الحليم، والآمر بالإحسان، فكيف يمدح بهذه الأفعال، ويندب إليها، ولا يفعلها؟ إن ذلك لممتنع في العقول.." (١)

"ليس بي ضلالة مبالغة في **حسن الأدب**، والإعراض عن الجفاء منهم، وتناول رفيق، وسعة صدر حسب ما تقتضيه خلق النبوة.

وقوله: ولكني رسول تعرض لمن يريد النظر، والبحث، والتأمل في المعجزة.

وقوله عليه السلام: وأعلم من الله ما لا تعلمون لفظ مضمنه الوعيد، لا سيما وهم لم يسمعوا قط بأمة عذبت.

وقوله: أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين.

الاستفهام هنا على جهة التقرير والتوبيخ، وقوله: على رجل منكم قيل: «على» بمعنى «مع» .

وقيل: هو على حذف مضاف، تقديره: على لسان رجل، ويحتمل أن يكون معناه منزل على رجل منكم إذ كل ما يأتي من الله سبحانه فله حكم النزول، ولعلكم ترج بحسب حال نوح ومعتقده.

وقوله سبحانه: فأنجيناه والذين معه في الفلك ... الآية.

وفي التفسير: إن الذين كانوا مع نوح في السفينة أربعون رجلا.

وقيل: ثمانون رجلا وثمانون امرأة وقيل: عشرة وقيل: ثمانية. قاله قتادة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٥٤٢

وقيل: سبعة. والله أعلم.

وفي كثير من كتب الحديث الترمذي وغيره أن جميع الخلق الآن من ذرية نوح عليه السلام وقوله: عمين جمع عم، ويريد عمي البصائر، وأتى في حديث الشفاعة وغيره أن نوحا أول الرسل «١» .

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٦٥ الى ٧٠]

وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون (٦٥) قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين (٦٦) قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين (٦٧) أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين (٦٨) أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون (٦٩)

قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٧٠)

---

(١) تقدم تخريجه. [.....]." [1]

"الله المؤمنين فيما بينهم **بحسن الأدب**، وخفض الجناح، وإلانة القول، واطراح نزعات الشيطان، ومعنى النزغ: حركات الشيطان بسرعة ليوجب فسادا، وعداوة الشيطان البينة:

هي من قصة آدم عليه السلام، فما بعد، وقالت فرقة: إنما أمر الله في هذه الآية المؤمنين بإلانة القول للمشركين بمكة أيام المهادنة، ثم نسخت بآية السيف.

وقوله سبحانه: ربكم أعلم بكم: يقوي هذا التأويل إذ هو مخاطبة لكفار مكة بدليل قوله: وما أرسلناك عليهم وكيلا فكأن الله عز وجل أمر المؤمنين ألا يخاشنوا الكفار في الدين، ثم قال للكفار إنه أعلم بهم ورجاهم وخوفهم، ومعنى يرحمكم بالتوبة عليكم من الكفر قاله ابن جريج وغيره «١» .

وقوله سبحانه: وآتينا داود زبورا قرأ الجمهور «٢» : «زبورا» بفتح الزاي، وهو فعول بمعنى مفعول، وهو قليل لم يجىء إلا في قدوع وركوب وحلوب، وقرأ حمزة «٣» :

بضم الزاي قال قتادة: زبور داود مواعظ ودعاء، وليس فيه حلال ولا حرام «٤» .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٣/٣

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٥٦ الى ٥٨]

قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا (٥٦) أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا (٥٧) وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا (٥٨)

وقوله سبحانه: قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا هذه الآية ليست في عبدة الأصنام، وإنما هي في عبدة من يعقل، كعيسى وأمه وعزير وغيرهم. قاله ابن عباس «٥» ، فلا يملكون كشف الضر ولا تحويله، ثم أخبر تعالى،

---

(١) أخرجه الطبري (٣/ ٩٣) برقم: (٢٢٣٧١) ، وذكره البغوي (٣/ ١١٩) ، وابن عطية (٣/ ٤٦٤) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٤٠) ، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٦٥) .

(٣) وقرأ ب١٠ يحيى والأعمش. ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٦٥) ، و «السبعة» (٣٨٢) ، و «الحجة» (٥/ ١٠٨) ، و «إعراب القراءات» (١/ ٣٧٦) ، و «العنوان» (١٢٠) ، و «إتحاف» (٢/ ٢٠٠) .

(٤) ذكره ابن عطية (٣/ ٤٦٥) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٤١) ، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم. [.....]

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٩٦) برقم (٢٢٣٨٥) ، وذكره البغوي (٣/ ١٢٠) ، وابن عطية (٣/ ٤٦٥) ، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٧) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٤٣) ، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.." [١]

"والله أعلم بصحته.

ويأجوج ومأجوج: قبيلان من بني آدم، لكنهم ينقسمون أنواعا كثيرة، اختلف الناس في عددها، واختلف في إفسادهم الذي وصفوهم به، فقيل: أكل بني آدم، وقالت فرقة: إفسادهم: هو الظلم والغشم وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر، وهذا أظهر الأقوال، وقولهم: فهل نجعل لك خرجا: استفهام على جهة **حسن الأدب**، «والخرج» :

المجبى، وهو الخراج، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: «١» «خراجا» ، وروي في أمر يأجوج ومأجوج أن

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٨٠/٣

أرزاقهم هي من التنين يمطرون به، ونحو هذا مما لم يصح، وروي أيضا أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف والأنثى كذلك، وروي أنهم يتسافدون في الطرق كالبهائم، وأخبارهم تضيق بها الصحف، فاختصرت ذلك لعدم صحته.

ت: والذي يصح من ذلك كثرة عددهم على الجملة، على ما هو معلوم من حديث: «أخرج بعث النار» وغيره من الأحاديث.

وقوله: ما مكني/ فيه ربي خير المعنى: قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خراجكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، وهذا من تأييد الله تعالى له، فإنه تهدى في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه، فإن القوم لو جمعوا له الخراج الذي هو المال، لم يعنه منهم أحد، ولوكلوه إلى البنيان، ومعونتهم بالقوة أجمل به.

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٩٦ الى ٩٩]

آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا (٩٦) فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (٩٧) قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا (٩٨) وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا (٩٩)

وقوله: آتوني زبر الحديد ... الآية: قرأ حمزة «٢» وغيره: «ائتوني» بمعنى «جيئوني» ، وقرأ نافع وغيره: «آتوني» بمعنى «أعطوني» ، وهذا كله إنما هو استدعاء

---

(١) الثابت أن الأخوين حسب من السبعة قرآ هذا الحرف هكذا، وإنما تابع المصنف ابن عطية في ذكره عاصما.

ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٤٢) ، و «السبعة» (٤٠٠) ، و «الحجة» (٥/ ١٧٤) ، و «إعراب القراءات» (١/ ٤١٩) ، و «معاني القراءات» (٢/ ١٢٤) ، و «شرح الطيبة» (٥/ ٢٢) ، و «العنوان» (١٢٤) ، و «حجة القراءات» (٤٣٣) ، و «شرح شعلة» (٤٨٠) ، و «إتحاف» (٢/ ٢٢٥- ٢٢٦) .
[.....]

(٢) والمقصود أن حمزة قرأ: «ائتوني» الثانية من الآية هكذا، وإلا فإن الأولى قرأها أبو بكر، عن عاصم «ائتوني» ، دون حمزة، فلم يقرأها هكذا.." [١]

"الأمور وهو من: خبأت الشيء، واللفظة تعم كل ما خفي من الأمور وبه فسر ابن عباس «١» . وقرأ الجمهور: «يخفون ويعلنون» بياء الغائب وهذه القراءة تعطى أن الآية من كلام الهدهد. وقرأ الكسائي وحفص عن «٢» عاصم «تخفون وتعلنون» بتاء الخطاب وهذه القراءة تعطى أن الآية من خطاب الله تعالى لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله: فألقه إليهم ثم تول عنهم، قال وهب بن منبه: أمره بالتولي حسن أدب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك، بمعنى: وكن قريبا حتى ترى مراجعاتهم، وليكل الأمر، إلى حكم ما في الكتاب دون أن تكون للرسول ملازمة ولا إلحاح «٣» . وروى وهب بن منبه في قصص هذه الآية: أن الهدهد وصل فوجد دون هذه الملكة حجب جدرات، فعمد إلى كوة كانت بلقيس صنعتها، لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها إياها فدخل منها ورمى بالكتاب إليها «٤» فقرأته وجمعت أهل ملكها فخاطبتهم بما يأتي بعد. قالت يا أيها الملأ تعني: الأشراف: إني ألقي إلي كتاب كريم وصفت الكتاب بالكريم إما لأنه من عند عظيم، أو لأنه بدىء باسم كريم. ثم أخذت تصف لهم ما في الكتاب، ثم أخذت في **حسن الأدب** مع رجالها ومشاورتهم في أمرها فراجعها قومها بما يقر عينها من إعلامهم إياها بالقوة، والبأس. ثم سلموا الأمر إلى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع. وفي قراءة «٥» عبد الله: «ما كنت قاضية أمرا» بالضاد من القضاء، ثم أخبرت بلقيس بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها، وفي كلامها خوف على قومها وحيطة لهم، قال الداوودي: وعن ابن عباس: رضي الله عنه إذا دخلوا قرية أفسدوها قال: إذا أخذوها عنوة، أخربوها «٦» ، انتهى.

وقوله: وكذلك يفعلون قالت فرقة: هو من قول بلقيس، وقال ابن عباس: هو

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٧) ، وابن كثير (٣/ ٣٦١) ، والسيوطي (٥/ ١٩٩) ، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «السبعة» (٤٨١) ، و «الحجة» (٥/ ٣٨٥) ، و «إعراب القراءات» (٢/ ١٤٩) ، و «معاني القراءات» (٢/ ٢٣٩) ، و «شرح الطيبة» (٥/ ١١١) ، و «العنوان» (١٤٤) ، و «حجة القراءات»

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥٤٢/٣

(٥٢٨) ، و «شرح شعلة» (٥٢٧) ، و «إتحاف» (٢/ ٣٢٦) .

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٥١٢) رقم (٢٦٩٤٦) ، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٧) .

(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٧) .

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٥٨) ، و «البحر المحيط» (٧/ ٧٠) ، و «الكشاف» (٣/ ٣٦٤) .

(٦) أخرجه الطبري (٩/ ٥١٥) رقم (٢٦٩٥٩) ، وذكره ابن كثير (٣/ ٣٦٢) ، والسيوطي (٥/ ٢٠٢) ، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.." [١]

"قال ع «١» : وهذه الألفاظ الدالة على قسم تجاوب باللام، وإن لم يتقدم قسم ظاهر، فاللام في لنبيتنه: جواب القسم. وروي في قصص هذه الآية أن هؤلاء التسعة لما كان في صدر الثلاثة الأيام بعد عقر الناقة وقد أخبرهم صالح بمجيء العذاب، اتفق هؤلاء التسعة فتحالفوا على أن يأتوا دار صالح ليلا فيقتلوه وأهله المختصين به، قالوا: فإن كان كاذبا في وعيده أوقعنا به ما يستحق، وإن كان صادقا كنا قد عجلناه قبلنا وشفينا به نفوسنا، فجاؤوا واختفوا لذلك في غار قريب من داره، فروي أنه انحدرت عليهم صخرة ٥٣ ب شدختهم جميعا/، وروي أنها طبقت عليهم الغار فهلكوا فيه حين هلك قومهم، وكل فريق لا يعلم بما جرى على الآخر، وقد كانوا بنوا على جحود الأمر من قرابة صالح، ويعني بالأهل كل من آمن به قاله الحسن «٢» .

وقوله سبحانه: ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون قال ابن العربي الحاتمي: المكر إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال **مع سوء الأدب**، انتهى من شرحه لألفاظ الصوفية.

والتدمير: الهلاك وخاوية معناه: قفرا، وهذه البيوت المشار إليها هي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك: «لا تدخلوا بيوت المعذبين إلا أن تكونوا باكين» «٣» . الحديث في «صحيح مسلم» وغيره.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٥٤ الى ٥٨]

ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون (٥٤) أإنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون (٥٥) فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (٥٦) فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين (٥٧) وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين (٥٨)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/ ٢٤٩

وقوله تعالى: ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أإنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون تقدم قصص هؤلاء القوم، وتبصرون معناه: بقلوبكم.

قال أبو حيان «٤» : وشهوة مفعول م ن أجله، انتهى. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من عمل عمل قوم لوط» «٥» . رواه أبو داود والترمذي والنسائي

---

(١) ينظر «المحرر» (٤/ ٢٦٤) .

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٦٤) .

(٣) تقدم تخريجه في سورة الحجر. [.....]

(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٨٣) .

(٥) أخرجه ابن حبان (٥٣- موارد) من حديث ابن عباس مرفوعا: بلفظ: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن-." [1]

"(نصيبا مفروضا) مصدر مؤكد، أو بتقدير: أعني، نزلت لما كانوا يجعلون المال للرجال الكبار دون النساء والأطفال.

(وإذا حضر القسمة): قسمة الميراث (أولو القربى): ممن لا يرث (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه): مما ترك، وهو أمر ندب للبلغ، أو أمر وجوب على الصغير والكبير منسوخ أو غير منسوخ، أو المراد أن الميت يوصي لهم، أو واجب مما طابت به النفس (وقولوا لهم قولا معروفا): هو أن يدعو لهم ويلطف في العبارة معهم، وإن كانت الورثة صغارا اعتذروا إليهم.

(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) أمر لمن حضر الميت بأن يخشوا على أولاد المريض خشيتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضر بهم بصرف المال عنهم ويسددوه للصواب، أو للأولياء بأن يخشوا الله ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم بعد وفاتهم، وأن يقولوا لليتامى بالشفقة وحسن الأدب و (لو) بما في حيزه صلة للذين.

(إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما): ظالمين أو على وجه الظلم (إنما يأكلون في بطونهم نارا: ملء بطونهم ما يجر إلى النار، وقد نقل أن في القيامة يخرج لهب." [2]

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٢٥٤

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١/٣٣٣

"كره للاستعطاف (إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك): وإن كنت من صلبك أصغر منك سنا (فاتبعني أهدك صراطا سويا): مستقيما (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصي): ومطاوع العاصي عاص (يا أبت إني أخاف أن يمسك) يصيبك (عذاب من الرحمن): على شركك وعصيانك (فتكون للشيطان وليا): قريبا مصاحبا لمن هو أعدا عدوك وأبغض الخلق إلى الله وذكر الخوف ونكر العذاب **لحسن الأدب** حيث لم يصرح بأن العذاب لاحق به (قال): أبوه (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم)، قابل استعطافه بالغلظة حيث سماه باسمه ولم يقل يا ولدي وأخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بهمزة الإنكار، ثم أوعده بأقبح وعيد فقال: (لئن لم تنته): عن مقالتك أو عن الرغبة عنها (لأرجمنك): بلساني أي أشتمك جزاء سبك آلهتي، وقيل بالحجارة حتى تموت (واهجرني)، عطف على مقدر أي: فاحذرني واهجرني (مليا) زمانا طويلا." (١)

"﴿أو لا يعلمون﴾ فإنه إلى آخره تجهيل لهم من من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون إيراد خطاب المؤمنين في أثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على أن في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفي تعميمه للنبي أيضا صلى الله عليه وسلم كما في أفتطمعون **من سوء الأدب** مالا يخفى والهمزة للإنكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق إليه الذهن والضمير للموبخين أي أيلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون

﴿أن الله يعلم ما يسرون﴾ أي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين أو ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الأولى ﴿وما يعلنون﴾ أي يظهرونه للمؤمنين لأصحابهم حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى ما أرادوا إخفاءه بواسطة الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فأي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين أن المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به أم لا لا بالتحديث به حتى يندفع بالإخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط أولهم وللموبخين أو لآبائهم المحرفين أي أيفعلون ما يفعلون ولا يعلمون أن الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته إسرارهم الكفر وإظهارهم الإيمان وإخفاء ما فتح الله عليهم وإظهار غيره وكتم أمر الله وإظهار ما أظهروه افتراء وإنما قدم الإسرار على الإعلان للإيذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٨٢/٢

علمه بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفي." (١)

"البقرة (١٢٧)

قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

﴿من آمن منهم بالله واليوم الأخر﴾ بدل من أهله بدل البعض خصهم بالدعاء إظهارا لشرف الإيمان وإبانة لخطره واهتماما بشأن أهله ومراعاة **لحسن الأدب** وفيه ترغيب لقومه في الإيمان وزجر عن الكفر كما أن في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من أهل الكتاب

﴿قال﴾ استئناف مبني على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى

﴿ومن كفر﴾ عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى

﴿فأمتعه﴾ معطوف على ذلك الفعل أو في محل رفع بالابتداء قوله تعالى فأمتعه خبره أي فأنا أمتعه وإنما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وإن لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كأنه قيل قل وارزق من كفر فإنه أيضا مجاب كأنه عليه السلام قاس الرزق على الإمامة فنبهه تعالى على أنه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الإمامة الحاصلة بالخواص وقرئ فأمتعه من أمتع وقرئ فنمتعه

﴿قليلا﴾ تمتيعا قليلا أوزمانا قليلا

﴿ثم أضطره إلى عذاب النار﴾ أي ألزه إليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعه به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فأمتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الأمر فيهما على أنهما من دعاء إبراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وإنما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للإيذان بأن الكفر سبب لاضطرارهم إلى عذاب النار وأما رزق من آمن فإنما هو على طريقة التفضيل والإحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة وأطره بإدغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فإن حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس

﴿وبئس المصير﴾ المخصوص بالذم محذوف أي بئس المصير النار أو عذابها." (٢)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١١٨/١

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب ا لكريم أبو السعود ١٥٩/١

"٢٦١ - ٢٦٢ البقرة أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رءوسها ثم أمر بأن يجعل أجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى
﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا﴾ أي جزئهن وفرق أجزاءهن على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت أربعة أجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا أوسبعا من كل طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الوقف ثم إجراء الوصل مجرى الوقف
﴿ثم ادعهن يأتينك﴾ في حيز الجزم على أنه جواب الأمر ولكنه بني لاتصاله بنون جمع مؤنث
﴿سعيا﴾ أي ساعيات مسرعات أو ذوات سعي طيرانا أو مشيا وإنما اقتصر على حكاية أوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله عليه السلام ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روي أنه عليه السلام نادى فقال تعالين بإذن لله فجعل كل جزء منهن يطير إلى صاحبه حتى صارت جثثا ثم أقبلن إلى رءوسهن فانضمت كل جثة إلى رأسها فعادت كل واحدة منهن إلى ما كانت عليه من الهيئة للإيذان بأن ترتب تلك الأمور على الأوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له إلى الذكر أصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل ويمن الضرعة في الدعاء **وحسن الأدب** في السؤال حيث أراه الله تعالى ما سأله في الحال على أيسر ما يكون من الوجوه وأرى عزيرا ما أراه بعد ما أماته مائة عام
﴿واعلم أن الله عزيز﴾ غالب على أمره لا يعجزه شئ عما يريده
﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة في أفاعيله فليس بناء أفعاله على الأسباب العادية لعجزه عن إيجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح." (١)

"١٠ - ١١ النساء الترحم وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال أولاده وقرئ ضعفاء وضعافي وضعافى
﴿فليتقوا الله﴾ في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
﴿وليقولوا قولا سديدا﴾ أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى إذ لانفع للأول بدون الثاني ثم أمرهم بان بقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة **وحسن الأدب** أو للمريض ما يصده عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة أو لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا أو يقولوا في الوصية مالا يؤدي إلى تجاوز الثلث وقوله تعالى." (٢)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٥٧/١

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٤٨/٢

"﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به﴾ استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد أدرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على أبلغ وجه وآكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الأقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا أوليا أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به وإنما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية **حسن الأدب** ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى ﴿أن اعبدوا الله ربى وربكم﴾ تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعول مثل عو أو أعني ﴿وكنت عليهم شهيدا﴾ رقيبا أراعي أحوالهم وأحملهم على العمل بموجب أمرك وأمنعهم عن المخالفة أو مشاهدا لأحوالهم من كفر وإيمان ﴿ما دمت فيهم﴾ ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إليه زمان ودمت صلتها أي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم ﴿فلما توفيتني﴾ بالرفع إلى السماء كما في قوله تعالى إني متوفيك ورافعك إلى فإن التوفي أخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ لا غيرك فأنت ضمير الفصل أو تأكيد وقرىء الرقيب بالرفع على أنه خبر أنت والجملة خبر لكان وعليهم." (١)

"﴿قل لو أن عندى﴾ أي في قدرتي ومكنتي ﴿ما تستعجلون به﴾ من العذاب الذي ورد به الوعيد بأن يكون أمره مفوضا إلي من جهته تعالى ﴿لقضى الامر بينى وبينكم﴾ أي بأن ينزل ذلك عليكم إثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الإيذان بتعين الفاعل الذي هو الله تعالى وتهويل الأمر ومراعاة **حسن الأدب** ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي ولتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ اعتراض مقرر لما أفادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون أمر العذاب مفوضا إليه صلى الله عليه وسلم المستتبع لانتفاء قضاء الأمر وتعليل له والمعنى." (٢)

"﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الإلزامي كما سيأت بعد نفيه عنه بسبب الواقع ونفس الأمر والاستفهام لإنكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله الآية لإنكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله إلخ في توجيه الإنكار إلى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٠١/٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٤٢/٣

نفسه بأن يقال أأخاف لما أن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فإذا انتفى جميع أحواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله تعالى ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله﴾ حال من ضمير أخاف بتقدير مبتدأ والواو كافة في الربط من غير حاجة إلى الضميرالعائد إلى ذي الحال وهو مقرر لإنكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فإنهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأن لا يخاف عليه السلام في محل الأمن أولى وأحرى أي وكيف أخاف أنا ما ليس في حيز الخوف أصلا وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم المخوفات وأهولها وهو إشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وإنما عبر عنه بقوله تعالى ﴿ما لم ينزل به﴾ أي بإشراكه ﴿عليكم سلطانا﴾ على طريقة التهكم مع الإيذان بأن الأمور الدينية لا يعول فيها إلا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثاني بإشراكهم من المبالغة مراعاة **حسن الأدب** ما لا يخفى هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على أخاف داخل معه في حكم الإنكار والتعجيب فمما لا سبيل إليه أصلا لإفضائه إلى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت أن الإنكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى إلى نفي الخوف عنه عليه الصلاة والسلام ونفي نفيه عنهم وأنه بين الفساد وحمل الإنكار في الأول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا مساغ له على أن قوله تعالى ﴿فأى الفريقين أحق بالامن﴾ ناطق ببطلانه حتما فإنه كلام مرتب على إنكار خوفه عليه الصلاة." (١)

"﴿قال﴾ استئناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال

﴿هى راودتنى عن نفسى﴾ أي طالبتني للمواتاة لا أني أردت بها سوءا كما قالت وإنما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما أسند إليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الأمرين الأمرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة مراعاة **لحسن الأدب** مع الإيماء إلى الإعراض عنها ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره وقد جوز أن يكون بعض أهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وإنما ألقى الله سبحانه الشهادة إلى من هو من أهلها ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وأنفى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد أنطقه الله تعالى ببراءته وهو الأظهر فإنه روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣/١٥٥

ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من أهلها لبيان الواقع إذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم

﴿إن كان قميصه قد من قبل﴾ أي إن علم أنه قد من قبل من قبل ونظيره إن أحسنت إلى فقد أحسنت إليك فيما قبل فإن معناه إن تعتد بإحسانك إلي فأعتد بإحساني السابق إليك

﴿فصدقت﴾ بتقدير قد لأنها تقرب الماضي إلى الحال أي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهي وإن لم تصرح بأنه عليه السلام أراد بها سوءا إلا أن كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه أسند إليها الصدق والكذب بذلك الإعتبار فإنهم كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الإعتبار يعترضان للإنشاءات

﴿وهو من الكاذبين﴾ وهذه الشرطية حيث لا ملازمة." (١)

"جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم

﴿ماذا تفقدون﴾ أي تعدمون تقول فقدت الشيء إذا عدمته بأن ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا أضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرىء تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم بإظهار أنه لم يسرق منهم شيء فضلا أن يكونوا هم السارقين له وإنما الممكن أن يضيع منهم شيء فيسألونهم أنه ماذا وفيه إرشاد لهم إلى مراعاة **حسن الأدب** والاحتراز عن المجازفة ونسبة البرآء إلى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث." (٢)

"إبراهيم ٣٨ ٣٩ بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عليه السلام من مراعاة **حسن الأدب** والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة مالا يخفى فإنه عليه السلام بذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم إلى المسئول وبذكر كون إسكانهم عند البيت المحرم أشار إلى أن جوار الكريم يستوجب إفاضة النعيم وبعرض كون ذلك الإسكان مع كمال

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٦٨/٤

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٩٥/٤

إعوازمرافق المعاش لمحض إقامة الصلاة وأداء حقوق البيت مهد جميع مبادي إجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول." (١)

"٢٣ - ٢٤ ﴿وقضى ربك﴾ أي أمر أمرا مبرما وقرئ وأوصى ربك ووصى ربك ﴿أن لا تعبدوا﴾ أي بأن لا تعبدوا ﴿إلا إياه﴾ على أن أن مصدرية ولا نافية أو أي لا تعبدوا على أنها مفسرة ولا ناهية لأن العبادة غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة ﴿وبالوالدين﴾ أي وبأن تحسنوا بهما أو وأحسنوا بهما ﴿إحسانا﴾ لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ إما مركبة من إن الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع أن حقه التأخر عنه للتشويق إلى وروده فإنه مدار تضاعف الرعاية والإحسان وأحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فأحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل إلى جعل كلاهما تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فإن المقصود نهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع أو بالتثنية لم يحصل هذا المرام ﴿فلا تقل لهما﴾ أي لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع ﴿أف﴾ وهو صوت ينبئ عن تضجر أو اسم فعل هو أتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون أي لا تتضجر بها تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهي يفهم الهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه إظهار اللاعتناء بشأنه فقيل ﴿ولا تنهرهما﴾ أي لا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ قيل النهي والنهر والنهم أخوات ﴿وقل لهما﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿قولا كريما﴾ ذات كرم أو هو وصف له بوصف صاحبه أي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه **حسن الأدب** ويستدعيه النزول على المروءة مثل أن يقول يا أباه ويا أماه كدأب إبراهيم عليه السلام إذ قال لأبيه يا أبت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وديدن الدعار وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وقيل أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر إليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥/٥٣

ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه." (١)

"﴿وكذلك بعثناهم﴾ أي كما أنمناهم وحفظنا أجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ أي ليسأل بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث إنه من أحكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر آثاره ﴿قال﴾ استئناف لبيان تساؤلهم ﴿قائل منهم﴾ هو رئيسهم واسمه مكسليمنا ﴿كم لبثتم﴾ في منامكم لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة ﴿قالوا﴾ أي بعضهم ﴿لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ قبل إنما قالوه لما أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا أو بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا إلى الكذب ﴿قالوا﴾ أي بعض آخر منهم بما سنح لهم من الأدلة أو بإلهام من الله سبحانه ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ أي أنتم لا تعلمون مدة لبثكم وإنما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الأولين بأجمل ما يكون من مراعاة **حسن الأدب** وبه يتحقق التحزب إلى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فإن الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقضي بأن الكلام جار على منهاج المحاورة." (٢)

"(إذ نادى ربه نداء خفيا) ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على أنه مضاف إلى فاعله اتساعا لا على الوجه الأول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت ولقد راعى عليه الصلاة والسلام **حسن الأدب** في إخفاء دعائه فإنه مع كونه بالنسبة إليه عز وجل كالجهر أدخل في الإخلاص وأبعد من الرياء وأقرب إلى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مباد لا يليق به تعاطيها في أوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل أكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران." (٣)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٦٦/٥

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢١٣/٥

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٥٣/٥

"٤٨ – ٥١ ﴿وأعتزلكم﴾ أي أتباعد عنك وعن قومك ﴿وما تدعون من دون الله﴾ بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي ﴿وأدعو ربى﴾ أعبده وحده وقد جوز أن يراد به دعاؤه المذكور في تفسير سورة الشعراء ولا يبعد أن يراد به استدعاء الولد أيضا بقوله ﴿رب هب لى من الصالحين﴾ حسبما يساعده السباق والسياق ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا﴾ أي خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع ومراعاة **حسن الأدب** والتنبيه على حقيقة الحق من أن الإجابة والإثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وأن العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى." (١)

"﴿إنى أنا ربك﴾ أو عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح أي بأني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة روي أنه لما نودي يا موسى قال عليه الصلاة والسلام من المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله تعالى بأني أسمعه من جميع الجهات بجميع الأعضاء قلت وذلك لأن سماع ما ليس من شأنه ذلك من الأعضاء ليس إلا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه الصلاة والسلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهه ﴿فاخلع نعليك﴾ أمر عليه الصلاة والسلام بذلك لأن الحفوة أدخل في التواضع **وحسن الأدب** ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما أن نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الأهل والمال والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها فإن ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من موجبات الأمر ودواعيه وقوله تعالى ﴿إنك بالواد المقدس﴾ تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان لسبب ورود الأمر بذلك من شرف البقعة وقدسها روي أنه عليه الصلاة والسلام خلعهما وألقاهما وراء الوادي ﴿طوى﴾ بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي أو المقدس أي نودي نداءين أو قدس مرة." (٢)

"﴿قالا ربنا﴾ أسند القول إليهما مع أن القائل حقيقة هو موسى عليه الصلاة والسلام بطريق التغليب إيذانا بأصالته في كل قول وفعل وتبعية هارون عليه السلام له في كل ما يأتي ويذر ويجوز أن يكون هارون

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥/٢٦٩

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/٧

قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكى ذلك مع قول موسى عليه السلام عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فإن هذا الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع أن كلا من المخاطبين لم يخاطب إلا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب ﴿إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرطه إذا حمله على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل من الاستكبار أو الخوف على الملك أو غيرهما على المعاجلة بالعقاب ﴿أو أن يطغى﴾ أي يزداد طغيانا إلى أن يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته وإطلاقه من **حسن الأدب** وإظهار كلمة أن مع سداد المعنى بدونه لإظهار كمال الاعتناء بالأمر والإشعار بتحقق الخوف من كل منهما." (١)

"﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ عطف على يطعمني ويسقين نظم معهما في سلك الصلة لموصول واحد لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالبا ونسبة المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى مع أنهما منه تعالى لمراعاة **حسن الأدب** كما قال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيبها وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما وأما الإماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالإحياء بدءا وإعادة وقد نيطت أمور الآخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى." (٢)

"﴿فلما جاءت﴾ شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام أي فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه ﴿قيل﴾ أي من جهة سليمان عليه السلام بالذات أو بالواسطة ﴿أهكذا عرشك﴾ لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير من إبراز العرش في معرض الإشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه الصلاة والسلام بسخافة العقل ﴿قالت كأنه هو﴾ فأنبأت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة **لحسن الأدب** في محاورته عليه الصلاة والسلام ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ من تتمة كلامها كأنها ظنت أنه عيه الصلاة والسلام أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/١٨

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/٢٤٩

من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى." (١)

"٥ ٧ بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل الأبعاض إلى الكل وقد جوز أن يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها جمعت إجلال له عليه الصلاة والسلام وقيل إن الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج إلينا وإنما أسند النداء إلى الكل لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به لأنه وجد فيما بينهم ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ إذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة **من سوء الأدب**." (٢)

"﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم﴾ أي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم فإن أن وإن دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت الفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني أنك قائم وحتى تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغيا بخروجه عليه الصلاة والسلام فإنها مختصة بما هو غاية للشيئ في نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها أو ثلثها بخلاف إلى فإنها عامة وفي إليهم إشعار بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم ﴿لكان﴾ أي الصبر المذكور ﴿خيرا لهم﴾ من الاستعجال لما فيه من رعاية **حسن الأدب** وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والإسعاف بالمسؤل إذ روي أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر فأطلق النصف وفادى النصف ﴿والله غفور رحيم﴾ بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء إن تابوا وأصلحوا." (٣)

"وقال في لطائف المنن: (من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الأتباع، ويكشف له عن قلبه القناع، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له، دعي لا نسب له، فإن يكن له نور فالغالب غلبة الحال عليه، والغالب عليه وقوفه مع ما يرد من الله إليه، لم ترضه سياسة التأديب والتهذيب، ولم يقده زمام التربية والتدريب) ، فهذا الطريق الذي ذكرنا هو الذي يستشعره القارئ للفاتحة عند قوله: اهدنا الصراط المستقيم مع الترقي الذي ذكره الشيخ أبو العباس المرسي رضى الله عنه المتقدم، وإذا قرأ صراط الذين أنعمت عليهم استشعر،

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/٢٨٨

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨/١١٨

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨/١١٨

أي: أنعمت عليهم بالوصول والتمكين في معرفتك.

وقال الورتجبي: اهدنا مرادك منا لأن الصراط المستقيم ما أراد الحق من الخلق، من الصدق والإخلاص في عبوديته وخدمته. ثم، قال: وقيل: اهدنا هدى العيان بعد البيان، لنستقيم لك حسب إرادتك. وقيل: اهدنا هدى من يكون منك مبدؤه ليكون إليك منتهاه. ثم قال: وقال بعض ه م: اهدنا، أي: ثبتنا على الطريق الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام، وهو الطريق المستقيم والمنهاج القويم صراط الذين أنعمت عليهم أي: منازل الذين أنعمت عليهم بالمعرفة والمحبة **وحسن الأدب** في الخدمة. ثم قال: غير المغضوب عليهم يعني: المطرودين عن باب العبودية، ولا الضالين يعني المفلسين عن نفائس المعرفة هـ.

قلت: والأحسن أن يقال: غير المغضوب عليهم هم الذين أوقفهم عن السير اتباع الحظوظ والشهوات، فأوقعهم في مهاوي العصيان والمخالفات، ولا الضالين هم الذين حبسهم الجهل والتقليد، فلم تنفذ بصائرهم إلى خالص التوحيد، فنكصوا عن توحيد العيان إلى توحيد الدليل والبرهان، وهو ضلال عند أهل الشهود والعيان، ولو بلغ في الصلاح غاية الإمكان.

وقال في الإحياء: إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فافهم أن الأمور كلها بالله، وأن المراد هاهنا المسمى، وإذا كانت الأمور كلها بالله فلا جرم أن الحمد كله لله. ثم قال: وإذا قلت: الرحمن الرحيم فأحضر في قلبك أنواع لطفه لتتفتح لك رحمته فينبعث به رجاؤك، ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف من قولك: يوم الدين. ثم قال: ثم جدد الإخلاص بقولك: إياك نعبد. وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك: وإياك نستعين، ثم اطلب اسم حاجتك، وقل: اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك، وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا، واستشهد بالذين أفاض عليهم نعم الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين واليهود والنصارى والصابئين. هـ. ملخصا.." (١)

"أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. وأكلت حواء أولا، ثم قالت له: قد أكلت ولم يضرني، ثم أكل آدم عليه السلام من جنس الشجرة، لا من عينها، متأولا، فطار التاج واللباس، وأخرجهما مما كانا فيه من رغد العيش والهناء، وأهبطهما إلى الأرض، للتعب والعناء، ليكون خليفة على ما سبق به القضاء.

فقال لهم الحق تعالى: اهبطوا آدم وحواء وإبليس والحية، بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض استقرار

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٦٧

وتمتع إلى حين وفاتكم، فتقدمون علي فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فتلقى أي أخذ آدم من ربه كلمات وهي: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، فتاب الحق تعالى عليه واجتباه لحضرته، فإنه تواب كثير التوبة على عباده، رحيم بهم، أرحم من أبيهم وأمهم، اللهم ارحمنا رحمة تعصمنا بها عن رؤية السوي، إنك على كل شيء قدير.

الإشارة: يقول الحق جل جلاله للروح، إذا كمل تهذيبها، وتمت تربيتها: اسكن أنت وبشريتك التي تزوجتها- قال تعالى: وإذا النفوس زوجت- جنة المعارف، وكلا من ثمار أذواقها وأنهار علومها، وتبوءا من قصور ترقياتها، أكلا واسعا ما دمتما متحليين بالأدب، ولا تقربا شجرة المعصية وسوء الأدب (فتكونا من الظالمين) ، فلما سكنت جنة الخلود، وشرهت إلى الخلود، أهبطها الله إلى أرض العبودية، وردها إلى البقاء لتستحق الخلافة، وتقوم بحقوق الربوبية، بسبب ما ارتكبه من المعصية، وهي الشره إلى دوام الحرية، «أكرم بها معصية أورثت الخلافة!» ، فكل ما ينزل بالروح إلى قهرية العبودية، فهو سبب إلى الترقي لشهود نور الربوبية، وربما قضى عليك بالذنب فكان سبب الوصول، فلما أراد الحق تعالى أن ينزلها إلى أرض العبودية بالسلوك بعد الجذب، قال لها ولمن يحاربها من الشيطان والهوى والدنيا وسائر الحظوظ: اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم- أيها العارفون بعد جهاد أعدائكم- في أرض العبودية، استقرار وتمتع بتجليات أنوار الربوبية، إلى حين الملاقاة الحقيقية. فتلقت الروح من ربها كلمات الإنابة، وهب عليها، نسيم الهداية، بما سبق لها من عين العناية، فتاب عليها، وقربها إلى حضرة الشهود، ومعاينة طلعة الملك الودود، إنه تواب رحيم جواد كريم.

ثم كرر الحق تعالى أمرهم بالهبوط، فقال:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٣٨ الى ٣٩]

قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٨) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩)." (١)

"قلت: (حطة) : خبر مبتدأ مضمر، أي: أمرنا حطة، أي: تواضع وانحطاط، وقال هنا: (فكلوا) ، وفي الأعراف بالواو لأن الأكل مرتب على الدخول، بخلاف السكنى، فإنها تفارق الأكل، فكأنه مأمور به.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٩٧/١

يقول الحق جل جلاله: واذكروا يا بني إسرائيل حين قلنا لأسلافكم بعد أن خرجوا من التيه: ادخلوا هذه القرية أعني بيت المقدس، أو أريحا، بعد أن تجاهدوا أهلها، فكلوا من نعم ما فيها أكلا واسعا لأنها مخصبة، وادخلوا باب القرية راكعين، تواضعا وشكرا، وقولوا في دخولكم: شأننا حطة، أي: شأننا الانحطاط والتواضع لله، فإن فعلتم ذلك نغفر لكم خطاياكم، وسنزيد من امتثل أمرنا، **وأحسن الأدب** معنا، خيرا كثيرا، في الدنيا والآخرة، فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي أمروا به، وقالوا مكان حطة: حنطة، حبة في شعرة، فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا عذابا من السماء قيل: هو الطاعون، فمات منهم سبعون ألفا في يوم واحد، بسبب فسقهم وتعديهم الحدود.

الإشارة: يقول الحق سبحانه للأرواح، لما كمل تطهيرها من البقايا، وتكاملت فيها المزايا: ادخلوا هذه الحضرة المقدسة، وتنعموا فيها حيث شئتم بالمشاهدة، والمكالمة، والمواجهة، والمساورة، والمفاتحة، والمناجاة، وادخلوا بابها أذلاء صاغرين، فلا دخول للحضرة المقدسة إلا من باب الذل والافتقار، وأنشدوا:

وما رمت الدخول عليه حتى ... حللت محلة العبد الذليل

وأغمضت الجفون على قذاها ... وصنت النفس عن قال وقيل «١»

وقيل لأبي يزيد: يا أبا يزيد، خزائننا معمورة بالخدمة، ائتني من كوة الذل والافتقار. وفي رواية قيل له: يا أبا يزيد: تقرب إلينا بما ليس عندنا، فقال: يا رب وما الذي ليس عندك؟ فقال: الذل والافتقار. هـ. وقال شيخ المشايخ القطب الجيلاني رضى الله عنه (أتيت الأبواب كلها، فوجدت عليها الزحام، فأتيت من باب الذل والافتقار، فوجدته خاليا، فدخلت منه، وقلت: هلموا) . أو كما قال. وقال الشاعر:

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل «٢» ... إذا رضي المحبوب صح لك الوصل

وقولوا عند دخولكم الحضرة: شأننا حطة أي: شأننا السفليات دون العلويات، فالسلوك من باب السفليات واجب، وإلا فلا وصول، فكل من سلك من باب السفليات طهر من البقايا، وتكاملت فيه المزايا، فيصلح لدخول الحضرة،

---

(١) الأبيات للسرى السقطي، كما فى زاد المسير لابن الجوزي.

(٢) راجع التعليق على هذا الشطر ص ١٠٢.." [1]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١١١/١

"ولما كان المسلمون يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم: راعنا يا رسول الله وأرعنا سمعك، يعنون من المراعاة والأنتظار، وهي عند اليهود سب من الرعونة، ففرحت اليهود، وقالوا: كنا نسب محمدا سرا، فأعلنوا له بالشتم، فكانوا يقولون: يا محمد راعنا ويضحكون، نهى الله تعالى المسلمين عن هذه اللفظة، فقال:

[سورة البقرة (٢) : آية ١٠٤]
يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم (١٠٤)
قلت: يقال راعى الشيء يراعيه مراعاة: انتظره أو التفت إليه. ويقال: رعى إلى الشيء، وراعاه وأرعاه: إذا أصغى إليه واستمعه.
يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا للرسول صلى الله عليه وسلم: راعنا أي: انتظرنا أو أمهل علينا لأن في ذلك ذريعة لسب اليهود، أو قلة أدب، وقولوا: انظرنا أي: انتظرنا وللكافرين المؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم عذاب أليم أي: موجع.
الإشارة: حسن الخطاب من تمام الآداب، وتمام الآداب هو السبب الموصل إلى عين الصواب، فمن لا أدب له لا تربية له، ومن لا تربية له لا سير له، ومن لا سير له لا وصول له، فمن لا يتربى على أيدي الرجال لا يربى الرجال، وقد قالوا: من أساء الأدب مع الأحباب طرد إلى الباب، ومن أساء الأدب في الباب طرد إلى سياسة الدواب. وقالوا أيضا: اجعل عملك ملحا، وأدبك دقيقا. وقال آخر: إن الإنسان ليبلغ بالخلق وحسن الأدب إلى عظيم الدرجات وهو قليل العمل، ومن حرم الأدب حرم الخير كله، ومن أعطي الأدب فقد مكن من مفاتيح القلوب.
قال أبو عثمان رضي الله عنه: الأدب عند الأكابر وفي مجالس السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا والخير في الدنيا والعقبى. وقال أبو حفص الحداد رضي الله عنه: التصوف كله آداب، لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن لازم الأدب بلغ مبلغ الرجال، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، مردود من حيث يرجو الوصول. وقال ذو النون المصري رضي الله عنه: (إذا خرج المريد عن استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء) .
وقيل: من لم يتأدب لوقت لوقته فوقته مقت. وقيل: من حبسه النسب أطلقه الادب، ومن قل أدبه كثر شغبه. وقيل:
الأدب سند الفقراء، وزينة الأغنياء. هـ. وبالله التوفيق.

ومن مساوئ اليهود أيضا الحسد والغل، وإليه أشار الحق تعالى بقوله:

[سورة البقرة (٢) : آية ١٠٥]

ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (١٠٥)." (١)

"والسلام-: «لا يقتل مسلم بكافر ولا حر بعبد» ، والعبد يقتل بالعبد، إن أراد سيد المقتول قتله، فإن استحياه خير سيده بين إسلامه وفدائه بقيمة العبد. وكذلك إن قتل الحر خير أولياؤه بين قتله أو استرقاقه، فإن استحيوه خير سيده بين إسلامه وفدائه بدية الحر العمد، والأنثى تقتل بالأنثى والذكر، والذكر يقتل بالأنثى.

وتخصيص الآية بالمساوي، قال مالك: (أحسن ما سمعت في هذه الآية: أنه يراد بها الجنس- أي: جنس الحر- والذكر والأنثى فيه سواء. وأعيد ذكر الأنثى تأكيدا وتهمما بإذهاب أمر الجاهلية) . هـ. يعني أن (أل) في الحر:

للجنس، تشمل الذكر والأنثى. وأعاد ذكر الأنثى اهتماما برد ما كان يفعله الجاهلية من عدم القود فيها.

ثم قال الحق جل جلاله: فمن عفي له من دم أخيه شيء ولو قل، فقد سقط القتل، فالواجب اتباع للقاتل بالدية بالمعروف من غير تعنيف ولا تعنيت، وأداء من القاتل بإحسان من غير مطل ولا بخس.

ذلك- الذي شرعت لكم من أمر العفو والدية- تخفيف من ربكم ورحمة بكم، وقد كتب على اليهود القصاص وحده، وعلى النصارى العفو مطلقا. وخيركم أيها الأمة المحمدية بين أخذ الدية والقصاص. فمن اعتدى بعد أخذ الدية وقتل فله عذاب أليم في الدنيا والآخرة، في الدنيا: بأن يقتل لا محالة لقوله- عليه الصلاة والسلام-: «لا أعافي أحدا قتل بعد أخذ الدية» .

ولكم يا معشر المسلمين في تشريع القصاص حياة عظيمة في الدنيا، لانزجار القاتل إذا علم أنه يقتص منه، وقد كانوا يقتلون الجماعة في الواحد، فسلموا من القتل بشروع القصاص، أو في الآخرة، فإن القاتل إذا اقتص منه في الدنيا لم يؤخذ به في الآخرة، فاعتبروا يا أولي الألباب أي: العقول الكاملة، ما في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس، لعلكم تتقون الله في المحافظة على القصاص، والحكم به والإذعان له، أو تكفون عن القتل خوفا من الله.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٤٧/١

الإشارة: كما جعل الله القصاص في الجناية الحسية، جعل القصاص في الجناية المعنوية، وهي الجناية على النفس بسوء الأدب مع الله، فكل من صدر منه هفوة أو زلة، اقتص الحق تعالى منه في دار الدنيا، إن كانت له من الله عناية، الكبيرة بالكبيرة والصغيرة بالصغيرة. وتأمل قضية الرجل الذي كان يطوف بالكعبة، فنظر إلى امرأة، فلطمته كف من الهوى، وذهبت عينه، فقال: آه، فقيل له: لطمة بنظرة، وإن زدت زدنا. هـ. وقضية أبي تراب النخشبي: قال رضي الله عنه: ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات إلا مرة واحدة، تمنيت خبزا وبيضا وأنا في سفر، فعدلت إلى قرية، فقام واحد، وتعلق بي، وقال: هذا رأيته مع اللصوص، فضربوني سبعين درة، ثم عرفني رجل منهم، وحملني إلى منزله، وقدم لي خبزا وبيضا. فقلت في نفسي: كل بعد سبعين درة.." (١)

"العارفين أهل الإكسير، فسوء الأدب فيه أمره كبير، ومنع القاصدين من وصوله جرمه كبير، وصد القلوب عن نفحات تلك الحضرة أكبر من كل كبير، ولا يزال قطاع هذه الطريق يردون من أراد سلوكها على التحقيق، لكن من سبق له التأييد لا يرده عن الحق جبار ولا عنيد، ومن سبق له الحرمان، وحكم عليه القضاء بالخذلان، رجع ولو بعد العيان، وأنشدوا:

والله ما نشكر خليع ... وإن ثمل. وإن صحا

وإن ثبت، سير سريع ... وإن شرب حتى امتحا

حتى يقطع في القطيع ... ويدور دور الرحا «١»

إن الذين آمنوا وصدقوا بطريق الله، وهاجروا أهواءهم في مرضاة الله، وجاهدوا نفوسهم في محبة الله، أولئك يرجون رحمة الله، فلا يخيبهم الكريم لأنه غفور رحيم.

ولما كان الخمر حلالا في أول الإسلام، وكانوا يشربونه، ويتجرون فيه، فيتصدقون بثمنه وبثمن القمار، بين الحق تعالى ذلك، بعد الأمر بالإنفاق لئلا يقع التساهل في المعاملة بعلة الصدقة. فقال:

[سورة البقرة (٢) : آية ٢١٩]

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (٢١٩)

قلت: الخمر في اللغة: ما يستر الشيء ويغطيه، ومنه: خمار المرأة، وسمي الخمر خمرا لستره العقل. وفي

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٢٠٨

الاصطلاح: ما غيب العقل دون الحواس مع النشوة والطرب. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مسكر خمر وكل خمر، حرام» .

والميسر: قال ابن عباس والحسن: كل قمار ميسر، من شطرنج ونرد ونحوه، حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب، إذا كان بالفلوس، وسمي ميسرا ليسر صاحبه بالمال الذي يأخذه، وأما إذا كان بغير عوض، إنما هو لعب فقط، فلا بأس.

قاله ابن عرفة.

يقول الحق جل جلاله: يسئلونك عن حكم الخمر والميسر قل لهم: فيهما إثم كبير أي: عظيم لما فى الميسر من أكل أموال الناس بالباطل، وما ينشأ عنه من العداوة والشحناء، وما في الخمر من إذهاب العقل والسباب والافتراء والإذاية، والتعدي الذي يكون من شاربه. وقرأ حمزة والكسائي: كثير بالمثلثة، أي: آثام كثيرة لقوله عليه الصلاة والسلام: «لعن الله الخمر، وبائعها، ومبتاعها، والمشتراة له، وعاصرها، والمعصورة له،

---

(١) زجل للششترى.." [١]

"ووضع المظهر موضع الضمير، ليدل على أن التولي عن الحجج والإعراض عن التوحيد إفساد للدين، بل يؤدي إلى فساد العالم. والله تعالى أعلم.

الإشارة: ينبغي للمريد، الذي تحقق بخصوصية شيخه، أن يلاعن من يخاصمه فيه، ويبعد عنه كل البعد، ولا يهين له لئلا يركبه، ويدفع عن شيخه ما استطاع، فإن هذا من التعظيم الذي هو سبب في سعادة المريد، ولا يصغي إلى المفسدين الطاعنين في أنصار الدين. قلت: وقد جاءني بعض من ينتسب إلى العلم من أهل فاس، فقال لي: قد اتفقت علماء فاس على بدعة شيخكم، فقلت له: لو اتفق أهل السموات السبع والأرضين السبع، على أنه من أهل البدعة، لقلت أنا: إنه من أهل السنة، لأني تحققت بخصوصيته، كالشمس في أفق السماء، ليس دونها سحاب. فالله يرزقنا **حسن الأدب** معهم والتعظيم إلى يوم الدين. آمين. فمن أعرض عن أولياء الله من المنكرين (فإن الله عليم بالمفسدين) .

ثم دعاهم إلى التوحيد الذي اتفقت عليه سائر الأديان، فقال:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٢٤٥

[سورة آل عمران (٣) : آية ٦٤]
قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (٦٤)
قلت: (سواء) : مصدر، نعت للكلمة، والمصادر لا تثني ولا تجمع ولا تؤنث، فإذا فتحت السين مددت، وإذا ضمت أو كسرت قصرت، كقوله: مكانا سوى أي: مستو. وسواء كل شيء: وسطه، قال تعالى: فرآه في سواء الجحيم، أي: وسطه.
يقول الحق جل جلاله: قل يا محمد: يا أهل الكتاب اليهود والنصارى، تعالوا: هلموا إلى كلمة سواء أي: عدل مستوية، بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب والأمم، هي ألا نعبد إلا الله أي: نوحده بالعبادة، ونقر له بالوحدانية، ولا نشرك به شيئا أي: لا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله أي: لا نقول عزير ابن الله، ولا المسيح ابن الله، ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل، لأنهم بشر مثلنا.
ولما نزل قوله تعالى: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ... قال عدي بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال: «أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون، فتأخذون بقولهم؟ قال: بلى، قال: هو ذاك»." (١)
"يقول الحق جل جلاله للأوصياء: ولا تؤتوا السفهاء التي تحت حضانتكم أموالكم أي: أموالهم التي في أيديكم، وإنما أضاف أموال اليتامى لهم حثا على حفظها وتنميتها كأنها مال من أموالهم، أي: ولا تمكنوا السفهاء من أموالهم التي جعلها الله في أيديكم قياما لمعاشهم، تقومون بها عليهم، ولكن احفظوها، واتجروا فيها، واجعلوا رزقهم وكسوتهم فيها باعتبار العادة، فإن طلبوها منكم فعدوهم وعدا جميلا، وقولوا لهم قولا معروفا أي: كلاما لينا بأن يقول له: حتى تكبر وترشد لتصلح للتصرف فيها. وشبه ذلك. وإنما قال: (وارزقوهم فيها) دون «منها» لأن «فيها» يقتضي بقاءها بالتنمية والتجارة حتى تكون محلا للرزق والكسوة دون «منها» ، وقيل:
الخطاب للأزواج، نهاهم أن يعمدوا إلى ما خولهم الله من المال فيعطوه إلى نسائهم وأولادهم، ثم ينظرون إلى أيديهم. وإنما سماهن سفهاء استخفافا بعقلهن، كما عبر عنهن ب- «ما» التي لغير العاقل «١» .
وروى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنما خلقت النار للسفهاء- قالها ثلاثا- ألا وإن السفهاء النساء إلا امرأة أطاعت قيمها «٢» » . وقالت أمرأة: يا رسول الله: سميتنا السفهاء! فقال: «الله

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٦٤/١

تعالى سماكن في كتابه» «٣» ، يشير إلى هذه الآية. وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: (ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها «٤» ، ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه، ورجل أعطى سفيها ماله، وقد قال الله تعالى: ولا تؤتوا السفهاء أموالكم.) قلت: إنما منعوا من إجابة الدعاء لتفريطهم في مراسم الشريعة. والله تعالى أعلم.

الإشارة: لا ينبغي للشيخ أن يطلع المريد على أسرار التوحيد، وهي أسرار المعاني التي جعلها الله تعالى قائمة بالأشياء، حتى يكمل عقله، ويتحقق أدبه، ويظهر صدقه، فإذا استعجلها قبل وقتها فليعده وعدا قريبا، وليقل له قولا معروفا، فكم من مريد استعجل الفتح قبل إبانه فعوقب بحرمانه، وكم من مريد اطلع على أسرار الحقيقة قبل كمال خدمته فطرد أو قتل، ووقتها هو حين تبرز معه فتأخذه الحيرة، اللهم إلا أن يراه الشيخ أهلا لحملها لرجحان عقله وكمال صدقه، فيمكنه منها قبل أن تبرز معه، ثم يربيه فيها، وهذا الذي شهدناه من أشياخنا لشدة كرمهم- رضى الله عنهم وأرضاهم- ورزقنا **حسن الأدب** معهم، فأطلق الحق تعالى الأموال بطريق الإشارة على أسرار المعاني، وأمر الشيوخ أن يرزقوهم منها شيئا فشيئا بالتدريب والتدريج، وأن يكسوهم بالشرائع، ويحتمل أن تبقى الأموال

---

(١) راجع التعليق على تفسير الآية الثالثة من سورة النساء.

(٢) ذكره بنحوه ابن كثير فى تفسيره، وعزاه لابن أبى حاتم.

(٣) ذكره الآلوسى فى تفسيره من رواية مجاهد وابن عمر عن أنس. وقال الطبرسي: (لى فى صحته شك) [.....] .

(٤) يحمل سوء الخلق هنا على ما يطعن فى العفة والحياء. وإلا فظاهر هذا الكلام مخالف لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر»." [1]

"الإشارة: يقول الحق جل جلاله لخواص أحبابه: إذا دارت الكؤوس بخمرة الملك القدوس، وتعاطيتم قسمتها بين أرواحكم حتى امتلأت جميع أشباحكم، ورويت منها عروقكم، وحضر معكم من ليس من أبناء جنسكم، ممن لا يحل شرب خمرتكم، فإن كان من أهل المحبة والوداد، أو من له بكم قرابة واستناد، فلا تحرموه من شراب خمرتكم، ولا من نفحات نسمتكم، فإنكم قوم لا يشقى جليسكم، فارزقوه من ثمار علومكم، واسقوه من شراب خمرتكم، وذكروه بالله، وقولوا له ما يدله على الله، ويوصله إلى حضرة الله،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٤٦٥

وهذا هو القول المعروف، الذي هو بالنصح موصوف.

روي أن أبا هريرة رضي الله عنه نادى في سوق المدينة: يا معشر التجار، اذهبوا إلى المسجد، فأن تركة محمد تقسم فيه، لتأخذوا حقكم منها مع الناس قبل أن تنفد، فذهب التجار إلى المسجد النبوي، فوجدوه معمورا بالناس، بعضهم يصلي، وبعضهم يتلو، وبعضهم يذكر، وبعضهم يعلم العلم، فقالوا: يا أبا هريرة، ليس هنا ما ذكرت من قسم التركة! فقال لهم: (هذه تركة محمد صلى الله عليه وسلم، لا ما أنتم عليه من جمع الأموال) أو كما قال رضي الله عنه.

ثم حث الأوصياء على الرفق بأولاد الناس، الذي هم فى حجرهم، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ٩]

وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (٩)

قلت: «لو» - هنا- شرطية، تخلص للاستقبال، وجوابها: (خافوا) ، وحذف مفعول ليخش للعموم، فيصدق بخشية العذاب وخشية العتاب وخشية البعد عن الأحباب، على حسب حال المخاطبين بهذه الخشية.

يقول الحق جل جلاله للأوصياء الذين في ولايتهم أولاد الناس: وليخش الذين يتولون يتامى الناس، فليحفظوا ما لهم، وليحسنوا تنميته لهم ولا يضيعوه، وليخافوا عليهم الضيعة، كما يخافون على أولادهم، فإنهم لو ماتوا وتركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم، فكما يخافون على أولادهم بعدهم كذلك يخافون على أولاد الناس، فليتقوا الله في شأنهم، وليحفظوا عليهم أموالهم، وليرفقوا بهم ويلاطفوهم في الكلام، كما يحبون أن يلاطف بأولادهم، وليقولوا لهم قولا سديدا أي: عدلا صوابا بالشفقة **وحسن الأدب**.

وقيل: الخطاب لمن حضر المريض عند الإيصاء فيقولون له: قدم لنفسك، أعتق، تصدق، أعط كذا، حتى يستغرق ماله، فنهاهم الحق- تعالى- عن ذلك، وقال لهم: كما تخافون الضيعة على أولادكم بعدكم خافوا على أولاد الناس، فليتقوا الله في أمر المريض بإعطاء ماله كله، وليقولوا له قولا سديدا: عدلا، وهو الثلث، وقيل:

للمؤمنين كلهم عند موتهم، بأن ينظروا للورثة، فلا يسرفوا في الوصية بمجاوزة الثلث. والله تعالى أعلم.." (١)

"ثم إن الحسود لا تزول عداواته، ولا تنفع مداواته، وهو ظالم يشتكي كأنه مظلوم. ولقد صدق القائل:

كل العداوة قد ترجى إزالتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٦٩/١

وقال حكيم الشعراء:

وأظلم خلق الله من بات حاسدا ... لمن بات في نعمائه يتقلب

وقال آخر:

أني لأرحم حاسدي لفرط ما ... ضمت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله في فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

قال بعض الحكماء: (الحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات: إحداها: اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام. الثانية:

سوء الأدب مع الله- تعالى- فإن حقيقة الحسد: كراهية إنعام الله على غيره، واعتراض على الله في فعله. الثالثة:

تألم قلبه وكثرة همه وغمه) . عافانا الله من ذلك كله، فالحاسد لا ينفك عن نار الحجاب وغم الحساب، والمتطهر منه يدخل جنة الرضى والتسليم في جوار الحبيب، وهو محل الراحة والأمن في الدارين، وهو الظل الظليل. والله تعالى أعلم.

ولما كان حفظ نظام الدين لا يقوم إلا بالجهاد، ولا ينتظم الجهاد إلا بنصب الإمام، تكلم الحق- جل جلاله- على ما يتعلق بالأمراء، ثم بعد ذلك يتكلم على الجهاد، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ٥٨]

إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا (٥٨)

قلت: «ما» في (نعما) تمييز أو فاعل، والمخصوص محذوف، أي نعم شيئا شيء يعظكم به، أو نعم الذي يعظكم به ذلك الأمر، وهو رد الأمانات والعدل في الحكومات.

قال زيد بن أسلم وشهر بن حوشب: نزلت الآية في شأن الأمراء. هـ قلت: وأن نزلت في شأن عثمان بن طلحة- سادن الكعبة فهي عامة. والمخاطب بذلك أولا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد الأمراء، أمره الحق- تعالى- أن يرد المفاتح إلى عثمان، وذلك أن عثمان أغلق باب الكعبة يوم فتح مكة، وأبى أن يدفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخل." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥١٧/١

"وفي مصحف ابن مسعود: (قالوا مآ أصابك من حسنة فمن الله) الآية، فتكون حينئذ من مقالة المنافقين، والآيتان كما ترى لا حجة فيها للمعتزلة. والله تعالى أعلم.

الإشارة: ثلاث خصال لا ينجو منها إلا القليل كما في الحديث: الطيرة، والحسد، والظن. فقال- عليه الصلاة السلام: «إذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقق» . فيتأكد على المريد أن يتطهر من هذه الخصال، ويصفي مشربه من التوحيد، فلا يرى في الوجود إلا مولاه، ولا ينسب التأثير إلى شيء سواه، إذا رأى نعمة به أو بغيره، قال: من الله، وإذا رأى مصيبة كذلك تأدب مع الله، فيعتقد في قلبه أنها من قدر الله، يقول:

قل كل من عند الله، وينسب النقص إلى نفسه وهواه، فالنفس والشيطان مناديل الحضرة، تمسح فيهما أوساخ الأقدار، وربك يخلق ما يشاء ويختار. والله تعالى أعلم.

ثم شهد جل جلاله لرسوله بالرسالة، تحريضا على تعظيمه وحثا على طاعته، وترهيبا **من سوء الأدب** معه، كما صدر من المنافقين، فقال:

وأرسلناك للناس ...

قلت: إن تعلق الجار بالفعل كان (رسولا) حال مؤكدة، وإن تعلق بالاسم كان حالا مؤسسة تفيد العموم أي أرسلناك رسولا للناس جميعا، و (حفيظا) حال من الكاف.

يقول الحق جل جلاله: وأرسلناك يا محمد للناس رسولا تعلمهم التوحيد وتدلهم على الأدب، فالتوحيد محله البواطن، فلا يرى الفعل إلا من الله، والأدب محله الظواهر فينسب بلسانه النقص إلى نفسه وهواه. وإذا شهد الحق- جل جلاله- لرسوله بالرسالة أغنى عن غيره، وكفى بالله شهيدا. وشهادة الحق له بالمعجزات الواضحات، والبراهين القطعيات، والدلائل السمعيات، فإذا ثبتت رسالته وجب على الناس طاعته، ولذلك قال: من يطع الرسول فقد أطاع الله لأنه مبلغ عن الله لا ينطق عن الهوى. روي أنه صلى الله عليه وسلم قال:

«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أحبني فقد أحب الله» فقال بعض المنافقين: ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا، كما اتخذت النصارى عيسى. فنزل: من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى وأعرض فما أرسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم أعمالهم، وتحاسبهم عليها، إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب.." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٥٣٣

"أي: صلبت ولم تلن، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فصرفهم عن التضرع، أي: لا مانع لهم من التضرع إلا قساوة قلوبهم، وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم.

فلما نسوا ما ذكروا به أي: تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من البأساء والضراء، ولم ينزجروا، فتحنا عليهم أبواب كل شيء من أنواع الرزق وضروب النعم، مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء، وامتحانا لهم بالشدة والرخاء، إلزاما للحجة وازاحة للعلة، أو مكرا بهم، لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «مكر بالقوم ورب الكعبة» «١» . حتى إذا فرحوا أي: أعجبوا بما أوتوا من النعم، ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه، أخذناهم بغتة أي: فجأة، فإذا هم مبلسون متحيرون آيسون من كل خير، فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي: قطع آخرهم، ولم يبق منهم آحد، وهي عبارة عن الاستئصال بالكلية، والحمد لله رب العالمين على إهلاكهم، فإن إهلاك الكفار والعصاة نعم جليلة، يحق أن يحمد عليها من حيث إنه خلاص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم. وبالله التوفيق.

الإشارة: المقصود من إظهار النقم الظاهرة ما يؤول الأمر إليه من النعم الباطنة، فإن الأشياء كامنة في أضدادها، النعمة في النقمة، والرخاء في الشدة، والعز في الذل، والجمال في الجلال، إن وقع الرجوع إلى الله والانكسار والتذلل. «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» . فانكسار القلوب إلى علام الغيوب عبادة كبيرة، توجب نعما غزيرة، فإذا قست القلوب ولم يقع لها عند الشدة انكسار ولا رجوع، كان النازل بلاء ونقمة وطردا وبعدا. فإن ما ينزل بالإنسان من التعرفات منها: ما يكون أدبا وكفارة، ومنها: زيادة وترقية، ومنها: ما يكون عقوبة وطردا، فإن صحبها التيقظ والتوبة، كان أدبا مما تقدم **من سوء الأدب**، وإن صحبه الرضى والتسليم، ولم يقع ما يوجب الأدب، كان ترقية وزيادة، وإن غضب وسخط كان طردا وبعدا. أعاذنا الله من موارد النقم.

ثم احتج عليهم بوجه آخر، فقال:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٤٦ الى ٤٧]

قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون (٤٦) قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون (٤٧)

---

(١) لم أقف عليه مرفوعا. وذكره السيوطي فى الدر موقوفا على الحسن، وعزاه لابن أبى حاتم. لكن روى

أحمد فى المسند ٤/ ١٤٥ والطبراني فى الكبير ١٧/ ٣٣١ وابن جرير فى التفسير، من حديث عقبة بن عامر مرفوعا: (إن رأيت الله يعطى العبد فى الدنيا وهو مقيم على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فلما نسوا ما ذكروا به ...) الآية والتي بعدها) .." [١]

"قلت: من تكون: إما مفعول (تعلمون) ، أو مبتدأ، وهي إما موصولة أو استفهامية، والمكانة: التمكن أو الجهة، يقال: مكان ومكانة كمقام ومقامة.

يقول الحق جل جلاله: قل يا محمد: يا قوم اعملوا على مكانتكم أي: تمكنكم من هواكم وشهواتكم التي أنتم عليها، أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من الكفر والهوى، والمعنى: اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة، إني عامل على ما أنا عليه من المصابرة والثبات على الدين الحق. والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد، كأن الذي يهدده يريد تعذيبه لا محالة، فيحمله بالأمر على ما يفضي به إليه، وتسجيل بأن المهدد لا يأتي منه إلا الشر، كالمأمور به الذي لا يقدر أن ينقضي عنه. قاله البيضاوي.

ثم صرح بالتهديد فقال: فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار أي: أينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار، أي: وهي الدار الآخرة، أو: فسوف تعرفون الذي تكون له عاقبة سكنى الدار الآخرة والنعيم المقيم، أو: من تكون له عاقبة هذه الدار بالنصر والظهور على الأديان- أنا أو أنتم، وفيه إنصاف في المقال حال الإنذار، **وحسن الأدب**، وتنبيه على وثوق المنذر لأنه محق. قال تعالى إنه، أي: الأمر والشأن، لا يفلح الظالمون، والظلم أعم من الكفر، ولذلك وضع موضعه لعمومه.

الإشارة: إذا انكب الناس على الدنيا، وأخذتهم الغفلة، وغلب عليهم الهوى، ثم وقع الوعظ والتذكير من أهل الإنذار، فقابلوهم بالإبعاد والإنكار، يقول لهم المذكر والواعظ: يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ... الآية.

ثم ذكر جهالة الجاهلية وحمقهم، فقال:

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٣٦]

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون (١٣٦)

يقول الحق جل جلاله: وجعلوا أي: مشركو العرب، لله مما ذرأ أي: خلق، من الحرث والأنعام نصيبا، وهم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/١١٨

حي من خولان، يقال لهم: الأديم، كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم وأنعامهم نصيبا، فقالوا هذا لله بزعمهم أي: بدعواهم من غير دليل، وأكثر ما يستعمل الزعم في الكذب، وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم.." (١)

"وقاسمهما أي: حلف لهما إني لكما لمن الناصحين فيما قلت لكما. وذكر قسم إبليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين اثنين مبالغة لأنه اجتهد فيه، أو لأنه أقسم لهما، وأقسما له أن يقبلا نصيحته.

فدلاهما، أي: أنزلهما إلى الأكل من الشجرة، بغرور أي: بما غرهما به من القسم، لأنهما ظنا أن أحدا لا يحلف بالله كاذبا، فلما ذاقا الشجرة أي: وجدا طعمها، آخذين في الأكل منها، بدت لهما سوآتهما، وتهافت عنهما ثيابهما، فظهرت لهما عوراتهما أدبا لهما. وقيل: كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر، فلما أكلا انكشف عنهما، وظهرت عورتهما، وطفقا أي: جعلا يخصفان عليهما من ورق الجنة أي: أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة ليستترا به، قيل: كان ورق التين. فآدم أول من لبس المرقعه، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين هذا عتاب على المخالفة، وتوبيخ على الاغترار بالعدو. وفيه دليل على أن مطلق النهي للتحريم.

ثم صرحا بالتوبة فقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا حين صدرناها للمعصية، وتعرضنا للإخراج من الجنة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهذه هي الكلمات التي تلقاها من ربه فتاب عليه بها.

قال البيضاوي: فيه دليل على أن الصغائر يعاقب عليها إن لم تغفر، وقالت المعتزلة: لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر، ولذلك قالوا: إنما قالا ذلك على عادة المقربين في تعظيم الصغير من السيئات، واستحقار العظيم من الحسنات. هـ.

قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما، أو: لهما ولإبليس، وكرر الأمر له تبعا ليعلم أنهم قرناء له أبدا. حال كونكم بعضكم لبعض عدو أي: متعادين، ولكم في الأرض مستقر أي: استقرار، ومتاع أي: تمتع، إلى حين انقضاء آجالكم، قال فيها أي: في الأرض تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء، بالنعيم، أو بالعذاب الأليم، على حسب سعيكم في هذه الدار الفانية.

الإشارة: قال بعض العارفين: كل ما نهى الله تعالى عنه فهو شجرة آدم، فمن دخل جنة المعارف، ثم غلبه القدر فأكل من تلك الشجرة- وهي **شجرة سوء الأدب-** أخرج منها، فإن كان ممن سبقت له العناية ألهم التوبة، فتاب عليه وهداه، وأهبطه إلى أرض العبودية ليكون خليفة الله في أرضه، فأنعم بها معصية أورثت

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٧٤/٢

الخلافة والزلفى. وفي الحكم: «ربما قضى عليك بالذنب فكان سبب الوصول» . وقال أيضا: «معصية أورثت ذلا وافتقارا، خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا» . وقال بعضهم: كل سوء أدب يثمر لك أدبا فهو أدب. والله تعالى أعلم.." (١)

"قل إنما حرم ربي الفواحش وهي ما تزايد قبحها من المعاصي، وقيل: ما يتعلق بالفروج، ما ظهر منها وما بطن أي: جهرها وسرها، أو ما يتعلق بالجوارح الظاهرة والعوالم الباطنية وهي القلوب، والإثم كقطع الرحم، أو عام في كل ذنب، والبغي وهو الظلم كقطع الطريق والغصب، وغير ذلك من ظلم العباد، أو التكبر على عباد الله وقوله: بغير الحق: تأكيد له في المعنى. وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أي: حجة على استحقاق العبادة، وهو تهكم بالمشركين، وتنبيه على تحريم ما لم يدل عليه برهان.

وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون من الإلحاد في صفاته، والافتراء عليه كقولهم: الله أمرنا «١» ، ولو شاء الله ما أشركنا «٢» .

ولكل أمة أجل أي: مدة ووقت لنزول العذاب بها إن لم يؤمنوا، وهو تهديد لأهل مكة، فإذا جاء أجلهم أي: انقرضت مدتهم، أو دنى وقت هلاكهم، لا يستأخرون ساعة عنه ولا يستقدمون أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون عنه أقصر وقت، أو لا يطيقون التقدم والتأخر لشدة الهول، وجعل بعضهم:

(ولا يستقدمون) استئنافا لأن الأجل إذا جاء لا يتصور التقدم، وحينئذ يوقف على: ساعة، ثم يقول: ولا هم يستقدمون عنه قبل وصوله.

الإشارة: قال شيخنا البوزيدى رضى الله عنه: زينة الله التي أظهر لعباده هي لباس المعرفة، وهو نور التجلي، والطيبات من الرزق هي حلاوة الشهود. هـ. وهي لمن كمل إيمانه وصدقه في الحياة الدنيا، وتصفو له إلى يوم القيامة، فهي حلال على أهل التجريد يتمتعون بها في الدارين، وإنما حرم عليهم ما يشغلهم عن ربهم من جهة الظاهر، وما يقطعهم عن شهوده من جهة الباطن، وسوء الأدب مع الله، والتعرض لعباد الله، والشرك بالله بأن يشهدوا معه سواه، وأن يقولوا على الله ما يوهم نقصا أو خللا في أنوار جماله وسناه. والله تعالى أعلم.

ثم إن العباد والزهاد وأهل البداية من المريدين السائرين- ينبغي لهم أن يزهدوا في زينة الدنيا وطيباتها لئلا تركن إليها نفوسهم، فيثبط سيرهم، وأما الواصلون فهم مع الله، لا مع شيء سواه، يأخذون من الله بالله، ويدفعون بالله، وقد اتسعت دائرة علمهم، فليسوا مع لباس ولا أكل ولا شرب ولا جوع ولا شبع، هم مع ما

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢٠٦

يبرز في الوقت من المقدورات. والله تعالى أعلم.

---

(١) من الآية ٢٨ من سورة الأعراف.

(٢) من الآية ١٤٨ من سورة الأنعام.." [1]

"وقوله تعالى: واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه حيلولة الحق تعالى بين المرء وقلبه هو تغطيته وحجبه عن شهود أسرار ذاته وأنوار صفاته، بالوقوف مع الحس، وشهود الفرق بلا جمع، ويعبر عنه أهل الفن بفقد القلب، فإذا قال أحدهم: فقدت قلبي، فمعناه: أنه رجع لشهود حسه ووجود نفسه، ووجدان القلب هو احتضاره بشهود معاني أسرار الذات وأنوار الصفات، فيغيب عن نفسه وحسه، وعن سائر الأكوان الحسية، وفقدان القلب يكون **بسبب سوء الأدب**، وقد يكون بلا سبب اختبارا من الحق تعالى، هل يفزع إليه في فقده أو يبقى مع حاله.

وقد تكلم الغزالي على القلب فقال، في أول شرح عجائب القلب من الإحياء: إن المطيع بالحقيقة لله هو القلب، وهو العالم بالله، والعامل له، وهو الساعي إلى الله، والمتقرب إليه، المكاشف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح أتباع، والقلب هو المقبول عند الله، إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا في غير الله، وهو المطالب والمخاطب، وهو المعاتب والمعاقب، وهو الذي يسعد بالقرب من الله، فيفلح إذا زكاه، ويخيب ويشقى إذا دنسه ودساه. ثم قال: وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وإذا جهله فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه، جهل ربه، ومن جهل قلبه فهو لغيره أجهل، وأكثر الناس جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته، ومعرفة صفاته، وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن، إلى أعلى عليين، ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين، ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه، ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه، فهو ممن قال الله تعالى فيهم:

نسوا الله فأنساهم أنفسهم «١» الآية. هـ.

وقد أنشد من وجد قلبه، وعرف ربه، وغنى بما وجد، فقال:

أنا القرآن والسبع المثاني ... وروح الروح لا روح الأواني

فؤادي عند معلوم مقيم ... تناجيه وعندكم لساني

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢١٢

فلا تنظر بطرفك نحو جسمي ... وعد عن التنعم بالأواني

فأسراري تراءت مبهمات ... مسترة بأنوار المعاني

فمن فهم الإشارة فليصنها ... وإلا سوف يقتل بالسنان

كحلاج المحبة إذ تبدت ... له شمس الحقيقة بالتداني

---

(١) الآية ١٩ من سورة الحشر.." (١)

"وما كان استغفار إبراهيم لأبيه. والموعدة التي وعدها إياه قوله: لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء «١» . أي: لأطلبن المغفرة لك بالتوفيق للإيمان، فإنه يجب ما قبله.

والمعنى: لا حجة لكم في استغفار إبراهيم لأبيه، فإن ذلك لم يكن إلا لوعد تقدم بقوله: لأستغفرن لك.. الخ. فلما تبين له أنه عدو لله بأن مات على الكفر، أو أوحى إليه بأنه لن يؤمن، تبرأ منه بأن قطع استغفاره له، إن إبراهيم لأواه أي: لكثير التأوه، وهو كناية عن فرط ترحمه، أو كثير الدعاء، أو مؤمن، أو فقيه، أو كثير الذكر لله، أو كثير التأوه من خوف الله، حليم صبور على الأذى، والجملة: لبيان ما حمله على الاستغفار.

الإشارة: الشفاعة لا تكون فيمن تحقق غضب الله عليه، فإن ذلك **من سوء الأدب**، كالدعاء بالمحال، وأما من لم يتحقق غضبه عليه فالشفاعة فيه مرغب فيها. قال عليه الصلاة والسلام: «اشفعوا تؤجروا» «٢» ، والاستغفار شفاعة. وقد ورد في الخبر: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات خمسا وعشرين مرة كتب من الأبدال» .

والشفقة مطلوبة، ما لم يظهر مراد الله من خلقه، فإن برز من عنصر القدرة شيء من القهريات، فالتسليم لمراده تعالى أحسن، فالله ارحم بعباده منك أيها الشفيق، وسيأتي عند قوله تعالى: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك «٣» ، وبالله التوفيق.

ثم عذر نبيه فى استغفاره لعمه قبل النهى، أو من استغفر من المسلمين لأسلافهم المشركين، فقال:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ١١٥ الى ١١٦]

وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم (١١٥) إن الله له

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٣١٩

ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (١١٦)

يقول الحق جل جلاله: وما كان الله ليضل قوما أي: يسميهم ضلالا، ويؤاخذهم مؤاخذتهم، بعد إذ هداهم للإسلام، حتى يبين لهم ما يتقون أي: حتى يبين لهم خطر م١ يجب اتقاؤه، فإن خالفوا بعد

---

(١) من الآية ٤ من سورة الممتحنة.

(٢) أخرجه البخاري فى (الأدب، باب: تعاون المؤمنين) ومسلم فى (البر والصلة، باب: استحباب الشفاعة) من حديث أبى موسى الأشعري، وبقية الحديث: (ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء) .

(٣) الآية ٧٦ من سورة هود.." [1]

"البيان، أضلهم وآخذهم إن لم يتوبوا. قال البيضاوي: وكأنه بيان عذر الرسول في قوله لعمه: «لأستغفرن لك» ، ولمن استغفر لأسلافه المشركين قبل المنع. وقيل: إنه في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر، ولم يعلموا بالنسخ والمنع. وفي الجملة: دليل على أن الغافل غير مكلف. هـ. وقال ابن جزي: نزلت في قوم من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن، فخافوا على أنفسهم من ذلك، فنزلت الآية تأنيسا لهم، أي: ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبين لكم المنع من ذلك. هـ. إن الله بكل شيء عليم فيعلم أمرهم قبل النهي وبعده.

إن الله له ملك السماوات والأرض، يتصرف فيهما وفي ساكنهما كيف يشاء، يحيي من يريد إبرازه لعالم الشهادة، ويميت من يريد رده لعالم الغيب، أو يحيي قلوبا بالإيمان والمعرفة، ويميت قلوبا بالكفر والغفلة. وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير.

قال البيضاوي: لما منعهم من الاستغفار للمشركين، ولو كانوا أولي قربى، وتضمن ذلك وجوب التبري منهم رأسا، بين لهم أن الله تعالى مالك كل موجود، ومتولي أمره والغالب عليه، ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة إلا منه، ليتوجهوا إليه ويتبرؤوا مما عداه، حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه. هـ.

الإشارة: وما كان الله ليضل قوما عن السير إلى حضرته، أو الترقي في العلوم والمعارف بعد الوصول، حتى يبين لهم ما يتقون **من سوء الأدب** على لسان الشارع أو المشايخ، فإذا تبين لهم ذلك ثم ارتكبوه وأصروا عليه، أضلهم، وأتلفهم عن الوصول إلى حضرة قدسه، فإن كل طاعة وحسن أدب يقرب من الحضرة، وكل معصية وسوء أدب يبعد عن الحضرة، وقد قالوا: من أساء الأدب على البساط، طرد إلى الباب، ومن أساء

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٣٥/٢

الأدب في الباب، طرد إلى سياسة الدواب. وبالله التوفيق.
ثم ذكر توبته على الثلاثة المرجون، فقال:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ١١٧ الى ١١٨]
لقد تاب الله عى النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤف رحيم (١١٧) وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم (١١٨)." (١)

"السائرين بعكس ما يستحقونه في جانب المخالفة فقد تهوى بهم أنفسهم إلى مقام الخفض فيرتفعون، وإلى مقام البعد فيقتربون، وهذا في قوم سبقت لهم العناية، فلم تضرهم الجناية، وحفت بهم الرعاية، فلم تستهوهم الغواية، إذا صدرت منهم المخالفة ندموا وانكسروا. والغالب فيمن كان تحت جناح الأولياء الكبار أن يسلك به هذا المسلك العظيم وما ذلك على الله بعزيز.
وإذا كان الحق تعالى يعجل الخير ويمهل الشر، كان الواجب على العبد شكره على الدوام، لا الإعراض عنه ونسيانه، كما نبه عليه تعالى بقوله:

[سورة يونس (١٠) : آية ١٢]
وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون (١٢)
قلت: (لجنبه) : متعلق بحال محذوفة، أي: مضطجعا لجنبه، و (كأن) مخففة يقول الحق جل جلاله: وإذا مس الإنسان الضر في بدنه أو ماله أو أحبابه، دعانا لإزالته مخلصا فيه، وتضرع إلينا حال كونه مضطجعا لجنبه أو قاعدا أو قائما، وفائدة الترديد تقسيم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار، فلما كشفنا عنه ضره مر أي: مضى على طريقه واستمر على كفره، ولم يشكر الله على دفعه، أو مر عن موقف الدعاء، ولم يرجع إليه. كأن لم يدعنا أي: كأنه لم يدعنا إلى كشف ضر مسه قط نسي ما كان يدعوا إليه من قبل «١» كذلك زين للمسرفين أي: مثل هذا التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٣٦/٢

الشهوات، والإعراض عن شكر المنعم عند المسرات وذهاب العاهات.

وفي الآية تهديد لمن تشبه بهذه الحالة، بل الواجب على العبد دوام التجائه إلى ربه، والشكر له عند ظهور إجابته وإسدال عافيته.

الإشارة: من **حسن الأدب** السكون تحت مجاري الأقدار، والتسليم لأحكام الواحد القهار، «فليس الشأن أن ترزق الطلب، إنما الشأن أن تزرق **حسن الأدب»** ، **وحسن الأدب**: هو الفهم عن الله فإذا شرح صدرك للدعاء، فادع ولا تكثر، فإن المدعو قريب، ليس بغافل فينبه، ولا ببعيد فتنادي عليه، فإذا دعوته وأجابك فاشكره، وإن أخر عنك

---

(١) الآية ٨ من سورة الزمر.." (١)

"قلت: (وإن وعدك) : عطف على (إن ابني) . و (أنت أحكم) : حال من الكاف. و (إني أعظك) : مفعول من أجله، أي: كراهية أن تكون من الجاهلين.

يقول الحق جل جلاله: ونادى نوح ربه بعد تعميم الغرق، أي: أراد النداء بدليل عطف قوله: فقال رب إن ابني من أهلي، فإنه هو النداء، أو تكون فصيحة جوابا عن مقدر، كأن قائلا قال: ماذا قال في ندائه؟

فقال: إن ابني من أهلي وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي، وإن وعدك الحق لا يتطرقه الخلف، فما باله غرق؟ وأنت أحكم الحاكمين لأنك أعلمهم وأعدلهم، فلم أعرف وجه حكمك عليه بالغرق. أو لأنك أكثر حكمة من ذوي الحكم، فلم أفهم حكمة غرقه.

قال تعالى: يا نوح إنه ليس من أهلك لأنه خالفك في الدين، ولا ولاية بين الكافر والمؤمن، إنه عمل غير صالح أي: ذو عمل فاسد. جعل ذاته نفس العمل مبالغة. وقرأ الكسائي ويعقوب: (عمل) بلفظ الماضي. أي: عمل عملا فاسدا، استحق به البعد عنك. أو: إنه- أي سؤالك- عمل غير صالح. ويقوي هذا قراءة ابن مسعود: «إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم» . وقراءة الجماعة: فلا تسئلن ما ليس لك به علم أصواب هو أم لا، حتى تقف على كنهه. وإنما سمي نداءه سؤالا لتضمنه معنى السؤال، بذكر الوعد واستنجازه واستفسار المانع.

ثم وعظه بقوله: إني أعظك أن تكون من الجاهلين أي: إني أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين، الذين يسألون ما لا يوافق القدر. وقد استثنيته بقولي: إلا من سبق عليه القول. وليس فيه وصفه بالجهل، بل وعظه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٤٥٥

لئلا يقع فيه، والحامل له على السؤال، مع أنه استثنى له غلبة الشفقة على الولد، مع كونه لم يتحقق أنه ممن سبق عليه القول.

قال نوح: يا رب إني أعوذ بك أن أسئلك في المستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته. وإلا تغفر لي ما فرط مني من السؤال، وترحمني بالتوبة تفضلا وإحسانا، وبالتوفيق والعصمة في المستقبل، أكن من الخاسرين بسوء أدبي معك.

الإشارة: قال الورتجبي: أدب نبيه نوحا عليه السلام بأن لا يسأل إلا ما وافق القدر. وكل دعاء لم يوافق مراده تعالى في سابق علمه لم يؤثر في مراد الداعي. وقوله: (إنه عمل غير صالح) أي: ليس عمله على موافقة السنة، ثم وعظه، وقال: (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) ، الجاهل: من جهل قدر الله، أي: أنزهك **عن سوء الأدب** في السؤال، على غير قاعدة مرادك. هـ. وقال في الحكم: «ليس الشأن وجوب الطلب، إنما الشأن أن ترزق **حسن الأدب»** .." (١)

"المثقل بالمطر الحاملة له، ويسبح الرعد بحمده أي: متلبسا بحمده، يقول: سبحان الله وبحمده. أو: يدل الرعد بنفسه على وحدانيته تعالى وكمال قدرته، ملتبسا بالدلالة على كمال فضله، ونزول رحمته. وعن ابن عباس رضى الله عنه: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال: «ملك موكل بالسحاب، له مخاريق من نار يسوق السحاب» «١» .

وتسبح أيضا الملائكة من خيفته أي: من خوفه وإجلاله، ويرسل الصواعق نار تنزل من السماء وقت ضرب الرعد، فيصيب بها من يشاء فيهلكه، وهم يجادلون في الله أي: الكفار، حيث يكذبون رسوله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة، والتفرد بالألوهية، وبعث الناس وحشرهم للمجازاة، وهو شديد المحال أي: شديد المكر بأعدائه، الذين أرادوا أن يمكروا بنبيه- عليه الصلاة والسلام-.

روي أن عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله، فأخذ عامر بالمجادلة م ع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغله، ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف، فتنبه له الرسول- عليه الصلاة والسلام- وقال:

«اللهم اكفنيهما بما شئت» ، فأرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، ورمي عامر بغدة، فمات في بيت امرأة سلولية، فكان يقول: غدة كغدة البعير، وموت في بيت امرأة س لولية! فنزلت الآية من أولها «٢» ، وهو قوله: له معقبات ...

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٣٣/٢

إلخ، على قول.

الإشارة: من جريان حكمته تعالى في خلقه أنه لا يسلب النعم عنهم إلا بسوء أدب منهم، كل على قدر مقامه، فالنعم الظاهرة يسلبها بترك الطاعة الظاهرة، أو بالمخالفة الظاهرة، والنعم الباطنة يسلبها بترك المراقبة الباطنة أو المشاهدة الباطنة. فلكل مقام حقوق وآداب فمن أخل بحقوق مقام نقص له منه، إلا أن يتوب. وقد يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه، فيظن أنه لم يسلب. ولو لم يكن إلا ترك المزيد. وقد يبعد، وهو لا يشعر، ولو لم يكن إلا وتركه وما يريد. كما في الحكم.: «إن الله لا يغير ما في القلوب من أنوار الشهود والعيان، حتى يغيروا ما بأنفسهم من **حسن الأدب** بسوء الأدب» . وهذا ما لم يتحقق له مقام المحبوبية والتمكن مع الله في المعرفة. وإلا فالرعاية والعناية محفوفة بقلبه، فقد يبلغ الولي إلى مقام يقال له: افعل ما شئت فقد غفرت لك، كما وقع لأهل بدر، وراجع ما تقدم عند قوله: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون «٣» وقد يغير الله قلب عبده اختبارا له، فيسلبه حلاوة المعاملة أو المعرفة، فإن هو اضطرب وتضرع رد له حاله، وإن لم يضطرب ولم يفزع إلى الله لم يرد له شيئا. وإليه الإشارة بقوله: وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ... الآية.

---

(١) أخرجه فى سياق طويل، أحمد فى المسند (٢/ ٢٧٤) والترمذي في (تفسير سورة الرعد) ، وقال: حسن غريب.

(٢) أخرجه ابن جرير فى التفسير (١٣/ ١٢٦) عن ابن عباس رضى الله عنه فى سياق أطول من هذا. وهو ضعيف لوجود السدى والكلبي فى السند.

(٣) الآية ٨٢ من سورة الأنعام. [.....]." [(١)]

"الإشارة: ضرب الله مثلا قلبا كان آمنا مطمئنا بالله، تأتيه أرزاق العلوم والمواهب من كل مكان، فكفر نعمة الشيخ، وخرج من يده قبل كماله، فأذاقه الله لباس الفقر بعد الغنى بالله، والخوف من الخلق، وفوات الرزق، بعد اليقين بسبب ما صنع **من سوء الأدب** وإنكار الواسطة، ولو خرج إلى من هو أعلى منه لأن من بان فضله عليك وجبت خدمته عليك، ومن رزق من باب لزمه. وهذا أمر مجرب عند أهل الذوق بالعيان، وليس الخبر كالعيان، هذا إن كان أهلا للتربية، مأذونا له فيها، جامعا بين الحقيقة والشريعة، وإلا انتقل عنه إلى من هو أهل لها. وبالله التوفيق.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٤/٣

ثم أمر بالشكر، الذي هو قيد النعم، فقال:

[سورة النحل (١٦) : الآيات ١١٤ الى ١١٨]

فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون (١١٤) إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم (١١٥) ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون (١١٦) متاع قليل ولهم عذاب أليم (١١٧) وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (١١٨)

قلت: الكذب: مفعول بتقولوا، وهذا حلال وهذا حرام: بدل منه، أي: لا تقولوا الكذب، وهو قولكم: هذا حلال وهذا حرام، ولما في قوله: لما تصف موصولة، ويجوز أن ينتصب الكذب ب تصف، ويكون «ما» مصدرية. ويكون قوله: هذا حلال وهذا حرام معمولا لتقولوا، أي: لا تقولوا: هذا كذا وهذا كذا لأجل وصف ألسنتكم الكذب.

يقول الحق جل جلاله: فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا، أمرهم بأكل ما أحل لهم، وشكر ما أنعم عليهم، بعد ما زجرهم عن الكفر، وهددهم عليه، بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة. قاله البيضاوي. واشكروا نعمت الله لتدوم لكم إن كنتم إياه تعبدون فلا تنسبوا نعمه إلى غيره، كشفاعة الأصنام وغيرها. إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم، تقدم تفسيرها في البقرة." (١)

"بقوله: فإن حزب الله هم الغالبون «١» ، ليظهره على الدين كله «٢» ، وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ... «٣» الآية، وبقوله: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ... «٤» الآية. وذلك حين يظهر الحق، ويزهق الباطل، كما قال: وقل جاء الحق أي: الإسلام أو الوحي، وزهق الباطل ذهب، وهلك الكفر والشرك، وتسويلات الشيطان إن الباطل كائنا ما كان زهوقا أي: شأنه أن يكون مضمحلا غير ثابت. وعن ابن مسعود رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما، فجعل يطعن بمخصرة «٥» كانت بيده في عين كل واحد، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فينكب لوجهه، حتى ألقى جميعها، وبقي صنم خزاعة

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٧٠/٣

فوق الكعبة، وكان من صفر، «٦» فقال:
يا علي، ارم به فصعد إليه، ورمى به، فكسره «٧» . هـ.
الإشارة: إذا تمكن العارفون من شهود حضرة القدس ومحل الأنس، وصارت معشش قلوبهم كان نزولهم إلى سماء الحقوق وأرض الحظوظ بالإذن والتمكين، والرسوخ في اليقين. فلم ينزلوا إلى سماء الحقوق بسوء الأدب والغفلة، ولا إلى أرض الحظوظ بالشهوة والمتعة، بل دخلوا في ذلك بالله ولله، ومن الله وإلى الله، كما في الحكم. ثم قال: وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ليكون نظري إلى حولك وقوتك إذا أدخلتني، وانقيادي إليك إذا أخرجتني. واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني ولا ينصر علي، ينصرني على شهود نفسي، حتى أغيب عنها وعن متعتها وهواها، ويفنيني عن دائرة حسي، حتى تتسع علي دائرة المعاني عندي، وأفضي إلى فضاء الشهود والعيان، فحينئذ يزهق الباطل، وهو ما سوى الله، ويجيء الحق، وهو وجود الحق وحده، فأقول حينئذ: وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، وإنما أثبته الوهم والجهل، وإلا فلا ثبوت له ابتداء وانتهاء.
وثبوت الوهم والجهل فى القلب: مرض من الأمراض، وشفاؤه فى التمسك بما جاء به القرآن العظيم، كما قال تعالى:

[سورة الإسراء (١٧) : آية ٨٢]
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا (٨٢)

---

(١) من الآية ٥٦ من سورة المائدة. [.....]

(٢) من الآية ٣٣ من سورة التوبة.

(٣) من الآية ٥٥ من سورة النور.

(٤) الآيتان: ١٧١- ١٧٢ من سورة الصافات.

(٥) المخصرة: ما يختصره الإنسان بيده، فيمسكه من عصا ونحوها ... انظر: مختار الصحاح، (خصر) .

(٦) أي: من نحاس.

(٧) أخرجه البخاري فى (التفسير، سورة الإسراء) ، ومسلم فى (الجهاد، باب فتح مكة) .." [1]

"المعاني والعلوم، فأبى أكثر الناس إلا كفورا إلا جحودا وامتناعا من قبوله. وفيه من المبالغة ما ليس في نفي مطلق الإيمان لأن فيه دلالة على أنهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور والجحود، وأنهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الإباء. وبالله التوفيق.

الإشارة: كما وقع التخويف بإذهاب خصوصية النبوة والرسالة، يقع التخويف بإذهاب خصوصية الولاية والمعرفة العيانية، فإن القلوب بيد الله، يقلبها كيف يشاء. والخصوصية أمانة مودعة في القلوب، فإذا شاء رفعها رفعها، ولذلك كان العارف لا يزول اضطراره. وما زالت الأكابر يخافون من السلب بعد العطاء، ويشدون أيديهم على الأدب **لأن سوء الأدب** هو سبب رفع الخصوصية، والعياذ بالله.

قال القشيري: سنة الحق مع خيار خواصه أن يديم هم شهود افتقارهم إليه ليكونوا في جميع الأحوال منقادين بجريان حكمه، ثم قال: والمراد والمقصود: إدامة تفرد سر حبيبه به، دون غيره. هـ.. وأما سلب الأولياء بعضهم لبعض فلا يكون في خصوصية المعرفة بعد التمكين إذ لا مانع لما أعطى الكريم، وإنما يكون في خصوصية التصريف وسر الأسماء، إذا كان أحدهما متمكنا فيه، وقابل من لم يتمكن، قد ينجذب إلى القوى بإذن الله، وقد يزال منه إذا طغى به. والله تعالى أعلم.

ثم أظهر الحق تعالى جحودهم وعتوهم، فقال:

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٩٠ الى ٩٦]

وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا (٩٠) أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا (٩١) أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا (٩٢) أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا (٩٣) وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا (٩٤)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٢٢٥

قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (٩٥) قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيرا (٩٦)." (١)

"وصواب، ولهذا المعنى ختم الشيخ القطب ابن مشيش تصليته المشهورة بما دعوا به، حين أووا إلى كهف الإيواء تشبها بهم في مطلق الانقطاع والفرار من مواطن الحس. ولذلك لما تشبهوا بهم حفظهم الله- أي: الصوفية- ممن رام أذاهم، وغيبهم عن حس أنفسهم، وأشهدهم عجائب لطفه وقدرته، ومن تمام التشبه بهم: أنك قل أن تجد فرقة تسافر منهم إلا ويتبعهم كلب يكون معهم، حتى شهدت ذلك في جل أسفارنا مع الفقراء تحقيقا لكمال التشبيه. والله تعالى أعلم.

ثم ذكر بعثهم من نومهم، فقال:

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ١٩ الى ٢٠]

وكذلك بعثناهم ليتسائلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا (١٩) إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا (٢٠)

يقول الحق جل جلاله: وكذلك أي: وكما أنمناهم وحفظنا أجسادهم من البلاء والتحلل، وكان ذلك آية دالة على كمال قدرتنا، بعثناهم من النوم ليتسائلوا بينهم أي: ليسأل بعضهم بعضا، فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة، أو: ليتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله، ويستبصروا أمر البعث، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم.

قال قائل منهم هو رئيسهم، واسمه: «مكسليمنيا» : كم لبثتم في منامكم؟ لعله قال ذلك لما رأى من مخالفة حالهم، لما هو المعتاد في الجملة، قالوا أي: بعضهم: لبثنا يوما أو بعض يوم، قيل: إنما قالوا ذلك لأنهم دخلوا الكهف غدوة، وكان انتباههم آخر النهار، فقالوا: لبثنا يوما، فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا: أو بعض يوم، وكان ذلك إخبارا عن ظن غالب، فلم يعزوا إلى الكذب.

قالوا أي: بعض آخر منهم، بما سنح له من الأدلة، ولما رأى من طول أظافرهم وشعورهم: ربكم أعلم بما لبثتم أي: أنتم لا تعلمون مدة لبثكم، وإنما يعلمها الله- سبحانه-، وهذا رد منهم على الأولين بأجمل ما يكون من **حسن الأدب**، فابعثوا أحدكم بورقكم «١» هذه إلى المدينة، أعرضوا عن البحث عن المدة،

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٢٣٢

وأقبلوا على

---

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر: بورقكم- ساكنة الراء- والباقون بكسرها. راجع الإتحاف ٢/ ٢١٢.." (١)

"ملكناك، «عين» علمناك، «سين» ساررناك، «قاف» قربناك. فنازعوني في ذلك ولم يقبلوه، فقلت: نسير إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليفصل بيننا، فسرنا إليه، فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لنا: الذي قال محمد بن سلطان هو الحق] . وكأنه يشير إلى أنها صفات أفعال.

قال تعالى:

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٢ الى ٦]

ذكر رحمت ربك عبده زكريا (٢) إذ نادى ربه نداء خفيا (٣) قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا (٤) وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا (٥) يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا (٦)

قلت: (ذكر) : خبر عن مضمر، أي: هذا ذكر، والإشارة للمتلو في هذه السورة لأنه باعتبار كونه على جناح الذكر في حكم الحاضر الشاهد. وقيل: مبتدأ حذف خبره، أي: فيما يتلى عليك ذكر رحمت ربك. وقيل: خبر عن (كهيعص) ، إذا قلنا هي اسم للسورة، أي: المسمى بهذه الحروف ذكر رحمة ربك، و (عبده) : مفعول لرحمة ربك، على أنها مفعول لما أضيف إليها، أو لذكر، على أنه مصدر أضيف إلى فاعله على الاتساع. ومعنى ذكر الرحمة: بلوغها إليه، و (زكريا) : بدل منه، أو عطف بيان، و (إذ نادى) : ظرف لرحمة، وقيل: لذكر، على أنه مضاف إلى فاعله، وقيل: بدل اشتمال من زكريا، كما في قوله: واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت ...

«١» ، و (مني) : حال من العظم، أي: كائنا مني، و (شيئا) : تمييز.

يقول الحق جل جلاله: هذا الذي نتلوه عليك في هذه السورة هو ذكر رحمت ربك عبده زكريا.

قال الثعلبي: [فيه تقديم وتأخير] . أي: ذكر ربك عبده زكريا برحمته، إذ نادى ربه وهو في محرابه في طلب الولد نداء خفيا: سرا من قومه، أو في جوف الليل، أو مخلصا فيه لم يطلع عليه إلا الله. ولقد راعى عليه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٥٧/٣

السلام **حسن الأدب** في إخفاء دعائه، فإنه أدخل في الإخلاص وأبعد من الرياء، وأقرب إلى الـخلاص من كلام الناس، حيث طلب الولد في غير إبانه ومن غائلة مواليه الذين كان يخافهم.

قال في دعائه: رب إني وهن العظم مني أي: ضعف بدني وذهبت قوتي. وإسناد الوهن إلى العظم لأنه عماد البدن ودعامة الجسد، فإذا أصابه الضعف والرخاوة أصاب كله، وإفراده للقصد إلى الجنس المنبئ عن شمول الوهن إلى كل فرد من أفراده. ووهن بدنه عليه السلام: لكبر سنه، قيل: كان ابن سبعين، أو خمسا وسبعين، وقيل:

مائة، وقيل: أكثر.

---

(١) الآية ١٦ من السورة نفسها.." (١)

"قال له إبراهيم عليه السلام: سلام عليك مني، لا أصيبك بمكروه، وهو توديع ومتاركة على طريق مقابلة السيئة بالحسنة، أي: لا أشافهك بما يؤذيك، ولكن سأستغفر لك ربي أي: أستدعيه أن يغفر لك. وقد وفى عليه السلام بقوله في سورة الشعراء: واغفر لأبي إنه كان من الضالين «١» . أو: بأن يوفقك للتوبة ويهديك للإيمان. والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه، وإنما المحظور استدعاء المغفرة مع بيان شقائه بالوحي، وأما الاستغفار له بعد موته فالعقل لا يحليه. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب: «لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنك» . ثم نهاه عنه كما تقدم في التوبة. فالنهي من طريق السمع، ولا اشتباه أن هذا الوعد من إبراهيم، وكذا قوله: لأستغفرن لك «٢» وقوله: واغفر لأبي إنه كان من الضالين «٣» إنما كان قبل انقطاع رجائه من إيمانه، بدليل قوله: فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه «٤» .

وقوله تعالى: إنه كان بي حفيا أي: بليغا في البر والألطاف، رحيما بي في أموري، قد عودني الإجابة. أو عالما بي يستجيب لي إن دعوته، وفي القاموس: حفي كرضي، حفاوة. ثم قال: واحتفا: بالغ في إكرامه وأظهر السرور والفرح به، وأكثر السؤال عن أحواله، فهو حاف وحفي. هـ.

وأعتزلكم أي: أتباعد عنك وعن قومك، وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني، حيث لم تؤثر فيكم نصائحى، وأدعوا ربي: أعبده وحده، أو أدعوه بطلب المغفرة لك- أي قبل النهي- أو: أدعوه بطلب الولد، كقوله: رب هب لي من الصالحين «٥» ، عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا أي: عسى ألا أشقى بعبادته،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣١٨/٣

أو: لا أخيب في طلبه، كما شقيتم أنتم في عبادة آلهتكم وخبتم. ففيه تعريض بهم، وفي تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع **وحسن الأدب**، والتنبيه على أن الإجابة من طريق الفضل والكرم، لا من طريق الوجوب، وأن العبرة بالخاتمة و السعادة، وفي ذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى.

الإشارة: انظر كيف رفض آزر من رغب عن آلهته، وإن كان أقرب الناس إليه، فكيف بك أيها المؤمن ألا ترفض من يرغب عن إلهك ويعبد معه غيره، أو يجحد نبيه ورسوله، بل الواجب عليك أن ترفض كل ما يشغلك عنه، غيرة منك على محبوبك، وإذا نظرت بعين الحقيقة لم تجد الغيرة إلا على الحق، إذ ليس في الوجود إلا الحق، وكل ما سواه باطل على التحقيق.

---

(١) الآية ٨٦ من سورة الشعراء.

(٢) فى الآية ٤ من سورة الممتحنة.

(٣) من الآية ٨٦ من سورة الشعراء.

(٤) الآية ١١٤ من سورة التوبة.

(٥) الآية ١٠٠ من سورة الصافات.." [١]

"الخروج إلى أمه وأخيه، فخرج بأهله، وأخذ على غير الطريق، مخافة من ملوك الشام، فلما وافى وادي طوى، وهو بالجانب الغربي من الطور، ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة، وكانت ليلة الجمعة، وقد ضل عن الطريق، وتفرقت ماشيته، ولا ماء عنده، فقدح النار فلم تور المقدحة.

فبينما هو في ذلك إذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور، فقال لأهله امكثوا أي: أقيموا مكانكم. أمرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه، كما هو المعتاد من النساء. والخطاب للمرأة والخادم والولد، وقيل: لها وحدها، والجمع للتعظيم، إني آنست أي: أبصرت نارا، وقيل: الإيناس خاص بإبصار ما يؤنس به. لعلي آتيكم منها بقبس أي: بشعلة مقتبسة من معظم النار، وهو المراد بالجذوة في سورة القصص «١» ، وبالشهاب القبس، «٢» أو أجد على النار هدى هاديا يدلني إلى الطريق، فهو مصدر بمعنى الفاعل، و (أو) في الموضعين: لمنع الخلو، لا لمنع الجمع إذ يمكن أن يقتبس من النار ويجد هاديا. ومعنى الاستعلاء في قوله: على النار لأن أهلها يستعلون عليها عند الاصطلاء، ولما كان الإيتاء بها غير محقق، صدر الجملة بكلمة الترجي.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٣٨/٣

فلما أتاها أي: النار التي آنسها. قال ابن عباس رضي الله عنه: رأى شجرة خضراء، حفت بها، من أسفلها إلى أعلاها، نار بيضاء، تتقد كأضوء ما يكون، فوقت متعجبا من شدة ضوئها، روي أن الشجرة كانت عوسجة، وقيل:

سمرة «٣» .. بينما هو ينظر، نودي فقيل: يا موسى إني أنا ربك، أو بأني أنا ربك، وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة، وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة. يروى أنه لما نودي يا موسى، قال عليه السلام: من المتكلم؟ فقال الله عز وجل: (أنا ربك) ، فوسوس إليه الخاطر: لعلك تسمع كلام شيطان، قال: فلما قال: (إنني أنا) ، عرفت أنه كلام الله عز وجل. قيل: إنه سمعه من جميع الجهات بجميع الأعضاء.

ثم قال له: فاخلع نعليك لأنه أليق **بحسن الأدب**، ومنه أخذ الصوفية- رضى الله عنهم- خلع نعالهم بين يدي المشايخ والأكابر، وقيل: ليباشر الوادي المقدس بقدميه، ومنه يؤخذ تعظيم المساجد، بخلعها ولو طاهرة، وقيل: إن نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ. وقيل: النعلين: الكونين، أي: فرغ قلبك من الكونين إن أردت دخول حضرتنا. وقوله تعالى: إنك بالواد المقدس: تعليل لوجوب الخلع، وبيان لسبب ورود الأمر بذلك.

روي أنه عليه السلام خلعهما وألقاهما وراء الوادي، و «طوى» : بدل من الوادي، وهو اسم له. وقرأ منونا لتأوله بالمكان، وغير المنون لتأوله بالبقعة.

---

(١) فى قوله: لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون، من الآية ٢٩ من سورة القصص.
(٢) فى قوله: سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون، من الآية ٧ من سورة النمل.
(٣) انظر تفسير الطبري (١٦/ ١٤٣) ، والبغوي (٤/ ٢٦٥) .." (١)

"ثم وصف المتقين أو مدحهم بقوله: الذين يخشون ربهم، حال كونهم بالغيب أي: يخافون عذابه تعالى، وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم، ففيه تعريض بالكفرة، حيث لا يتأثرون بالإنذار ما لم يشاهدوا ما أنذروه. أو يخافون الله في الخلاء كما يخافونه بين الناس، أو يخافونه بمجرد الإيمان به غير مشاهدين له، وهم من الساعة مشفقون أي: خائفون معتنون بالتأهب لها. وتخصيص إشفاقهم منها بالذكر، بعد وصفهم بالخشية على الإطلاق للإيذان بكونها أعظم المخلوقات، وللتنصيص على الاتصاف بضد ما اتصف به الكفرة الغافلون عنها، وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الإشفاق ودوامه لهم.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٣٧٧

وهذا أي: القرآن الكريم، أشير إليه بهذا إيذانا بغاية وضوح أمره، ذكر يتذكر به من تذكر، وصفه ببعض أوصاف التوراة لموافقته له في الإنزال، ولما مر في صدر السورة من قوله: ما يأتيهم من ذكر ... «١» الخ، مبارك كثير الخير، غزير النفع، يتبرك به على الدوام. قال القشيري: وصفه بالبركة هو إخبار عن ثباته، من قولهم: برك البعير، وبرك الطائر على الماء، أي: داوم. وهذا الكتاب دائم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو دال على كلامه القديم، فلا انتهاء له، كما لا ابتداء له ولا انتهاء لكلامه. هـ.

أنزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو صفة ثانية للكتاب أفأنتم له منكرون استفهام توبيخي، أي: جاحدون أنه منزل من عند الله، والمعنى: أبعد أن علمتم أن شأنه كشأن التوراة، في الإنزال والإيحاء، أنتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فإن ذلك، بعد ملاحظة التوراة، مما لا مساغ له أصلا. وبالله التوفيق.

الإشارة: كل ما وصف به التوراة وصف به كتابنا العزيز، قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده «٢» وقال: وأنزلنا إليكم نورا مبينا «٣» ، وقال هنا: وهذا ذكر مبارك، فزاده البركة لعموم خيره ودوام نفعه، وخصوصا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب: قال القشيري: والخشية بالغيب: إطراق السريرة في أول الحضور، باستشعار الوجل من **جريان سوء الأدب**، والحذر من أن يبدو من الغيب بغتات التقدير، مما يوجب حجبة العبد. هـ.

ثم ذكر بقية المشاهير من الرسل، وبدأ بإبراهيم لموافقة شريعتنا له، ولكونه أصل الجل منهم، فقال:

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٥١ الى ٥٦]

ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين (٥١) إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون (٥٢) قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين (٥٣) قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين (٥٤) قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين (٥٥)

قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين (٥٦)

---

(١) الآية: ٢.

(٢) من الآية الأولى من سورة الفرقان.

(٣) من الآية ١٧٤ من سورة النساء.." [١]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٦٩/٣

"بمن مد يده لشهوة من حرام. ومنها: قضية إبراهيم الخواص رضى الله عنه قال: كنت جائعا في الطريق، فوافيت الري- اسم بلدة- فخطر ببالي أن لي بها معارف، فإذا دخلتها أضافوني وأطعموني، فلما دخلت البلد رأيت فيها منكرا احتجت أن آمر فيه بالمعروف، فأخذوني وضربوني، فقلت في نفسي: من أين أصابني هذا، على جوعي؟ فنوديت في سري: إنك سكنت إلى معارفك بقلبك، ولم تسكن إلى خالقك. وأمثال هذا كثير بأهل الخصوصية، يؤدبون على أقل شيء **من سوء الأدب** لشدة قربهم، ثم يردون إلى مقامهم. ومن هذا النوع قصة سيدنا يونس عليه السلام حيث خرج من غير إذن خاص، فأدبه، ثم رده إلى النبوة والرسالة، وقد كنت سمعت من بعض الأشياخ أن أيوب عليه السلام إنما أصيب في ماله، لأنه كان بجوار ماله كافر، فكان يداريه لأجل ماله، فأصيب فيه وفي بدنه تأديبا وتكميلا له. والله تعالى أعلم.
ثم ذكر زكريا عليه السلام فقال:

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٨٩ الى ٩٠]
وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين (٨٩) فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين (٩٠)
يقول الحق جل جلاله: واذكر خبر زكريا إذ نادى ربه في طلب الولد، وقال: رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني، ثم رد أمره إليه مستسلما، فقال: وأنت خير الوارثين، فحسبي أنت، وإن لم ترزقني وارثا فلا أبالي فإنك خير وارث، فاستجبنا له دعاءه، ووهبنا له يحيى ولدا وأصلحنا له زوجه أي: أصلحناها للولادة بعد عقمها، أو أصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها. وكانت قبل سيئة الخلق، إنهم أي: ما تقدم من الأنبياء، كانوا يسارعون في الخيرات أي: إنما استحقوا الإجابة إلى مطالبهم، وأسعفناهم فيما أملوا لمبادرتهم أبواب الخير، ومسارعتهم إلى تحصيلها، مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير كله، وهو السر في إتيان: «في» ، دون «إلى» ، المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات، متوجهين إليها، كما في قوله تعالى: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم «١» .
وكانوا يدعوننا رغبا ورهبا طمعا وخوفا، وهما مصدران في موضع الحال، أو المفعول له، أي: راغبين في الثواب أو الإجابة، وراهبين من العقاب أو الخيبة، أو للرغبة والرهبة، وكانوا لنا خاشعين:

(١) من الآية ١٣٣ من سورة آل عمران.." [1]

"الإشارة: من آداب الفقراء مع شيخهم ألا يتحركوا لأمر إلا بإذنه، أما أهل البدايات فيستأذنون في الجليل والحقير، كقضية الفقير الذي وجد بعض الباقلاء- أي: الفول- في الطريق، فأتى بها إلى الشيخ، فقال: يا سيدي ما نفعل به؟ فقال: اتركه، حتى تفطر عليه، فقال بعض الحاضرين: يستأذنك في الباقلاء؟ فقال: لو خالفني في أمر لم يفلح أبدا. وأما أهل النهايات الذين عرفوا الطريق، واستشرفوا على عين التحقيق، وحصلوا على مقام الفهم عن الله، فلا يستأذنون إلا في الأمر المهم كالتزوج، والحج، ونحوهما. وصبره حتى يأمره الشيخ بذلك أولى، فالمريد، بقدر ما يترك تدبيره مع الشيخ، ويتحقق بالتفويض معه قبل الوصول، كذلك يتركه ويتحقق تفويضه مع الله بعد الوصول.

فالأدب مع الشيخ هو الأدب مع الله، لكن لما كان من شأن العبد الجهل بالله وسوء الأدب معه أمره بالتحكيم لغيره من جنسه، فإذا حكم جنسه على نفسه قبل المعرفة حكم الله على نفسه بعد المعرفة. والتحكيم في غاية الصعوبة على النفس، لا يرضاها إلا من سبقت له الهداية، وجذبته جواذب العناية، أعني الدخول تحت الشيخ وتحكيمه على نفسه، حتى لا يتحرك إلا بإذنه، فهذا سبب الوصول إلى مقام الشهود والعيان، فإذا فعل المريد شيئا من غير استئذان فليتب وليطلب من الشيخ الاستغفار له. وينبغي للشيخ أن يقبل العذر ويسامح ويستغفر له، لقوله تعالى: واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم، فالخليفة لرسول الله قائم مقامه، ونائب عنه في رتبة التربية. والله تعالى أعلم.

ثم نهاهم عن التساهل فى ترك الاستئذان، فقال:

[سورة النور (٢٤) : الآيات ٦٣ الى ٦٤]

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٦٣) ألا إن لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم (٦٤)

يقول الحق جل جلاله: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا أي: إذا احتاج الرسول صلى

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٩٤/٣

الله عليه وسلم إلى اجتماعكم لأمر جامع، فدعاكم، فلا تتفرقوا عنه إلا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم." (١)

"حبيب لي. وأجاز الزجاج أن يكون متصلا، على أن الضمير لكل معبود، وكان من آبائهم من عبد الله تعالى، وهم أيضا كانوا يعبدون الله مع أصنامهم.

ثم وصف الرب تعالى بقوله: الذي خلقني بالتكوين في القرار المكين، فهو يهدين وحده إلى كل ما يهمني ويصلحني من أمور الدين والدنيا، هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح، متجددة على الاستمرار، كما ينبئ عنه صيغة المضارع. وعبر بالاستقبال، مع سبق الهداية في الأزل لأن المراد ما ينشأ عنها، وهو الاهتداء لما هو الأهم والأفضل والأتم الأكمل، أو: والذي خلقني لأسباب خدمته فهو يهدين إلى آداب خلته. ولما كان الخلق لا يمكن أن يدعيه أحد لم يؤكد فيه بهو، بخلاف الهداية والإطعام والسقي، فإنه يكون على سبيل المجاز من المخلوقين، ولذلك أكده بهو ليخصه به تعالى.

والذي هو يطعمني لا غيره، أضاف الإطعام إلى مولي الإنعام لأن الركون إلى الأسباب عادة الأنعام.

وهو أي‌ا الذي يسقين أي: يرويني بمائه. وتكرير الموصول في المواضع الثلاثة للإيذان بأن كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى، مستقل في استيجاب الحكم. وإذا مرضت فهو يشفين: عطف على يطعمني ويسقين، ونظم معهما في سلك الصلة بموصول واحد لأن الصحة والمرض من متبوعات الأكل والشرب في العادة، غالبا.

وقال في الحاشية: ثم ذكر بعد نعمة الخلق والهداية ما تدوم به الحياة وتستمر، وهو الغذاء والشراب، ولما كان ذلك مبنيا على غلبة إحدى الكيفيات على الآخر، بزيادة الغذاء أو نقصانه، فيحدث بعد ذلك مرض، ذكر نعمته بإزالة ما حدث من السقم. هـ. ونسبة المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى، مع أنهما منه تعالى لمراعاة حسن الأدب، كما قال الخضر عليه السلام: فأردت أن أعيبها «١» ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما «٢» .

والذي يميتني ثم يحيين، ولم يقل: وإذا مت لأن الإماتة والإحياء من خصائصه تعالى. وأيضا: الموت والإحياء من كمال الكمال لأنه الخروج من سجن الدنيا إلى السرور والهناء، أو: الخروج من دار البلاء والفناء إلى دار الهناء والبقاء. والذي أطمع أن يغفر لي أي: في مغفرته لي خطيئتي يوم الدين، ذكره عليه السلام هضما لنفسه، وتعليما للأمة أن يجتنبوا المعاصي، ويكونوا على حذر منها، وطلب مغفرته لما يفرط

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧٢/٤

منهم. وقال أبو عثمان: أخرج سؤاله على حد الأدب، لم يحكم على ربه بالمغفرة، ولكنه طمع طمع العبيد في مواليهم، وإن لم يكونوا يستحقون عليهم شيئا إذ العبد لا يستحق على مولاه شيئا، وما يأتيه من فضل مولاه. هـ.

---

(١) من الآية ٧٩ من سورة الكهف.

(٢) من الآية ٨٢ من سورة الكهف.." (١)

"وقال الواسطي: ما كان منا من الشكر فهو لنا، وما كان منه من النعمة فهو إلينا، وله المنة والفضل علينا. هـ.

قال سليمان عليه السلام لأصحابه: نكروا لها عرشها أي: غيروا هيئته بوجه من الوجوه، ننظر أتهتدي لمعرفته، أو: للجواب الصواب إذا سئلت عنه، أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفة عرشها.

أو إلى الجواب الصواب.

فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام، وقد كان العرش بين يديه، قيل من جهة سليمان، أو بواسطة: أهكذا عرشك؟ ولم يقل: أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا، فيفوت ما هو المقصود من اختبار عقلها، وقد قيل لسليمان- لما أراد تزوجها-: إن في عقلها شيئا، فاختبرها بذلك. قالت- لما رأته-: كأنه هو فأجابت أحسن جواب، فلم تقل: هو هو، ولا: ليس به، وذلك من رجاحة عقلها، حيث لم تقل: هو هو، مع علمها بحقيقة الحال، ولما شبهوا عليها بقولهم: أهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها: كأنه هو مع أنها علمت بعرشها حقيقة، تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات، ومراعاة **لحسن الأدب** في محاورته عليه السلام.

ولو قالوا: أهذا عرشك؟ لقالت: هو.

ثم قالت: وأوتينا العلم بقدرة الله تعالى، وبصحة نبوتك من قبلها من قبل هذا الأمر، أي: من قبل هذه المعجزة التي شاهدنا الآن، من أمر الهدهد، وبما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك، وكنا مسلمين منقادين لك من ذلك الوقت، وكأنها ظنت أنه أراد عليه السلام اختبار عقلها، وإظهار المعجزة، لتؤمن به، فأظهرت أنها آمنت به قيل وصولها إليه. أو قال سليمان: وأوتينا العلم بالله تعالى وبكمال قدرته من قبل هذه الآية، وكنا مسلمين موحدين، أو: وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبلها مجيئها، وكنا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٤١/٤

مسلمين موحدين.

وصدها ما كانت تعبد من دون الله، هو من كلام سليمان، أي: وصدها عن العلم بما علمناه- أو: عن التقدم إلى الإسلام- عبادة الشمس وإقامتها بين ظهراني الكفرة، أو: من كلام تعالى، بيانا لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته من الإسلام الآن، أي: صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس، إنها كانت من قوم كافرين أي: كانت من قوم راسخين في الكفر، ولذلك لم تكن قادرة على إظهار إسلامها، وهى بين ظهرانيهم، حتى دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام، أو: وصدها الله تعالى، أو: سليمان، عما كانت تعبد من دون الله، فحذف الجار وأوصل الفعل.

ل لها ادخلي الصرح

أي: القصر، أو: صحن الدار، لما رأته حسبته لجة

: ماء عظيما، كشفت عن ساقيها

. روي أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها، فبني له على طريقها قصر من زجاج." (١)

"قالت إحداهما يا أبت استأجره، أي: اتخذه أجيرا لرعي الغنم. روي أن كبراهما كانت تسمى: «صفراء» ، والصغرى: «صفيراء» ، وقيل: «صابورة» و «ليا» . وصفراء هي التي ذهبت به، وطلبت إلى أبيها أن يستأجره، وهي التي تزوجها. قاله وهب بن منبه وغيره، فانظره مع ما في الحديث، قال صلى الله عليه وسلم: «تزوج صغراهما، وقضى أوفاهما» «١» . ويمكن الجمع بأن يكون زوجه إحداهما ثم نقله إلى الأخرى.

ثم قالت التي طلبت استئجاره: إن خير من استأجرت القوي الأمين، فقال: ما أعلمك بقوته وأمانته؟ فذكرت نزع الدلو، أو رفع الحجر عن البئر، وأمرها بالمشي خلفه. وفي رواية عند الثعلبي: أما قوته: فإنه عمد إلى صخرة لا يرفعها إلا أربعون رجلا، فرفعها عن فم البئر. ثم ذكرت أمر الطريق. وقولها: إن خير من استأجرت.. إلخ: كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة، في القائم بأمرك، فقد فرغ بالك وتم مرادك. وقيل: القوي في دينه، الأمين في جوارحه. وقد استغنت بهذا الكلام، الجاري مجرى المثل، عن أن تقول: استأجره لقوته وأمانته.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أفرس الناس ثلاثة: بنت شعيب، وصاحب يوسف في قوله: عسى أن ينفعنا «٢» ، وأبو بكر في استخلافه عمر.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٩٨/٤

قال شعيب لموسى- عليهما السلام-: إني أريد أن أنكحك: أزوجك إحدى ابنتي هاتين، وقوله: هاتين يدل على أن له غيرهما. وهذه مواعدة منه، لا عقد، وإلا لقال: أنكحتك. على أن تأجرني أي: تكون أجيرا لي، من أجرته: إذا كنت له أجيرا ثماني حجج سنين، والحجة: السنة. والتزوج على رعي الغنم جائز في شرعنا، على خلاف في مذهبنا. فإن أتممت عشرا أي: عشر حجج فمن عندك أي:

فذلك تفضل منك، ليس بواجب عليك، أو: فإتمامه من عندك، ولا أحتمه عليك. وما أريد أن أشق عليك بإلزام أتم الأجلين. من المشقة، ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة، والوفاء بالعهد، أو مطلقا. وعلق بالمشيئة، مراعاة **لحسن الأدب** مع الربوبية.

قال موسى عليه السلام: ذلك العهد وعقد الأجرة بيني وبينك أي: ذلك الذي قلته، وشارطتني عليه، قائم بيننا جميعا، لا يخرج واحد منا عنه. ثم قال: أيما الأجلين قضيت أي: أي الأجلين قضيت من

---

(١) أي: تزوج صغرى البنتين، وقضى أوفى الأجلين، وهو عشر سنوات. وأما الحديث فقد أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد (٢/ ١٢٨) .

عن أبى ذر. والجزء الثاني من الحديث أخرجه البخاري بلفظ: «قضى أكثرهما وأطيبهما» وانظر تخريجه فى الصفحة بعد التالية. [.....]

(٢) كما فى الآية ٢١ من سورة يوسف.." [1]

"قال القشيري: إذا تابوا- وقد أغلقت الأبواب، وندموا- وقد تقطعت بهم الأسباب، فليس إلا الحسرات مع الندم، ولات حين ندامة! كذلك من استهان بتفاصيل فترته، ولم يستفق من غفلته فتجاوز حده، ويعفى عنه كره.

فإذا استمكن في القسوة، وتجاوز **في سوء الأدب** حد القلة، وزاد على مقدار الكثرة، فيحصل لهم من الحق رد، ويستقبلهم حجاب البعد. فعند ذلك لا يسمع لهم دعاء، ولا يرحم لهم بكاء، كما قيل، وأنشد:

فخل سبيل العين بعدك للبكا ... فليس لأيام الصفاء رجوع. هـ

وقوم شمروا عن سابق الجد والتشمير، ولم يقنعوا من مولاهم بقليل ولا كثير، قد انتهزوا فرصة الأعمار، ولم يشغلهم عن الله ربع ولاديار، عمروا أوقاتهم بالذكر والتذكار، وفكرة الاعتبار والاستبصار، حتى وردوا دار القرار، أولئك المصطفون الأخيار، يدفع الله تعالى بهم عن أهل الدنيا الأنكاد والأغيار، ويكشف عن قلوبهم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٤٥/٤

الحجب والأستار. وقوم حققوا مقام ال إيمان، واشتغلوا بتربيته، بصحبة أهل الإيقان، حتى أفضوا إلى مقام العيان، فلا تعلم نفس مآ أخفي لهم من قرة أعين. جعلنا الله من خواصهم بمنه وكرمه، وبمحمد نبيه وحبه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه.." (١)

"وقال في لطائف المنن: شاهد العلم، الذي هو مطلب الله تعالى: الخشية، وشاهد الخشية: موافقة الأمر، فأما علم تكون معه الرغبة في الدنيا، والتملق لأربابها، وصرف الهمة لاكتسابها، والجمع، والادخار، والمباهاة، والاستكثار، وطول الأمل، ونسيان الآخرة، فما أبعد من هذا نعته من أن يكون من ورثة الأنبياء! وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه. ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كالشمعة، تضيء على غيرها، وهي تحرق نفسها. جعل الله العلم- الذي علمه من هذا وصفه- حجة عليه، وسببا في تكثير العقوبة لديه. هـ.

وتقديم اسم الله تعالى، وتأخير العلماء، يؤذن أن معناه: إن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم. ولو عكس، بأن قال: إنما يخشى العلماء الله، لكان المعنى: أنهم لا يخشون إلا الله.

وقرأ أبو حنيفة وعمر بن عبد العزيز: بنصب «العلماء» ورفع «الله« . والخشية في هذه القراءة بمعنى التعظيم.

والمعنى: إنما يعظم الله من عباده العلماء. وعنه صلى الله عليه وسلم: «يقول الله للعلماء يوم القيامة- إذا قعد على كرسيه، يفصل قضاء عباده: إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم، على ما كان فيكم، ولا أبالي» «١» ، قال المنذري: انظر إلى قوله: «علمي وحلمي» يتضح لك بإضافته إليه أنه لم يرد به علم أكثر أهل الزمان المجرد عن العمل به والإخلاص. وفي رواية: «لم أجعل حكمتي فيكم إلا لخير أريده بكم، ادخلوا الجنة بما فيكم» . وقال- عليه الصلاة والسلام-: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء، فيرجع مداد العلماء على دماء الشهداء» «٢» .

إن الله عزيز غفور، هو تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة لعزته وغلبته، وإثابة أهل الطاعة، والعفو عنهم لعظيم غفرانه، والمعاقب والمثيب حقه أن يخشى.

الإشارة: العلماء على قسمين علماء بأحكام الله، وعلماء بالله، العلماء بالأحكام يخشون غضبه وعقابه، والعلماء بالله يخشون إبعاده واحتجابه، العلماء بالأحكام يتقون مواطن الآثام، والعلماء بالله **يتقون سوء الأدب** في حضرة الملك العلام. فخشية العلماء بالله أرق وأشد. العلماء بالله أخذوا علمهم من الله،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٥١١

والعلماء بالأحكام أخذوا علمهم عن الأموات. قال الشيخ أبو يزيد رضي الله عنه: في علماء أهل الرواية: مساكين أخذوا علمهم ميت عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. هـ.

---

(١) أخرجه للطبرانى فى الكبير (١٣٨١) من حديث ثعلبة بن الحكم الصحابي. قال الهيثمي فى مجمع الزوائد (١/ ١٢٦) : ورجاله موثقون.

(٢) عزاه السيوطي فى الجامع الصغير (ح/ ١٠٠٢٦) للمرهبى، عن عمران بن حصين، وابن عبد البر، فى العلم، عن أبى الدرداء، وابن الجوزي فى العلل، عن النعمان بن بشير، وضعفه.." [1]

"والثاني جواب عن إنكار، فيحتاج إلى زيادة تأكيد. وربنا يعلم جار مجرى القسم في التأكيد، وكذلك قولهم: شهد الله، وعلم الله. وما علينا إلا البلاغ المبين أي: التبليغ الظاهر، المكشوف بالآيات الظاهرة الشاهدة بصحته.

قالوا إنا تطيرنا بكم تشاء منا بكم. وذلك أنهم كرهوا دينهم، ونفرت منه نفوسهم. وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه، وقبلته طباعهم، ويتشاءموا بما نفروا عنه، وكرهوه، فإن أصابهم بلاء، أو نعمة، قالوا: بشؤم هذا، وبركة ذلك. وقيل: حبس عنهم المطر، فقالوا ذلك. وقيل: ظهر فيهم الجذام، وقيل: اختلفت كلماتهم. ثم قالوا لهم: لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم لنقتلنكم بالحجارة، أو: لنطردنكم، أو: لنشتمنكم، وليمسنكم منا عذاب أليم وليصيبنكم منا عذاب الحريق، وهو أشد العذاب.

قالوا أي: الرسل طائركم سبب شؤمكم معكم وهو الكفر، أإن ذكرتم أي: وعظتم، ودعيتم إلى الإسلام تطيرتم، وقلتم ما قلتم، بل أنتم قوم مسرفون مجاوزون الحد في العصيان، فمن ثم أتاكم الشؤم، لا من قبل الرسل. أو: بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم وغيكم، حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله- عليهم الصلاة والسلام.

الإشارة: إذا أرسل الله إلى قلب ولي واردا أولا، ثم شك فيه، ودفعه، ثم أرسل ثانيا ودفعه، ثم عززه بثالث، وجب تصديقه والعمل بما يقول، وإلا وقع في العنت وسوء الأدب لأن القلب إذا صفى من الأكدار لا يتجلى فيه إلا الحق، وإلا وجب اتهامه، حتى يتبين وجهه. وباقي الآية فيه تسلية لمن قوبل بالتكذيب من الأولياء والصالحين. وبالله التوفيق.

ثم تمم القصة، فقال:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٣٨/٤

[سورة يس (٣٦) : الآيات ٢٠ الى ٢٧]
وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين (٢٠) اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون (٢١) وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون (٢٢) أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر ل ا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون (٢٣) إني إذا لفي ضلال مبين (٢٤)
إني آمنت بربكم فاسمعون (٢٥) قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون (٢٦) بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين (٢٧)." [١]

"حد الفرية على الأنبياء- يعني الحد مرتين- وروي: أن رجلا حدث بها عند عمر بن عبد العزيز، وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث، وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله، فما ينبغي أن يلتمس خلافها، ولا أن يقال غير ذلك، وإن كانت على ما ذكرت، وقد سترها الله على نبيه، فما ينبغي إظهارها عليه، فقال عمر: لسماعي لهذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس «١» .
والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس إلا أنه طلب من زوج المرأة أن ينزل عنها فحسب، فتزوجها، وإنما جاءت على طريق التمثيل والتعريض، دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ، من قبل أن المتأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه، وأشد تمكنا من قلبه، وأعظم أثرا فيه، مع مراعاة **حسن الأدب**، بترك المجاهرة بالعتاب. قاله النسفي.
ثم ذكر التعريض بقوله: إن هذا أخي في الدين، أو: في الصداقة، أو: الشركة. والتعبير به لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه، له تسع وتسعون نعجة النعجة: الأنثى من الضأن، وقد يكنى بها عن المرأة، والكناية والتعريض أبلغ من التصريح «٢» . ولي نعجة واحدة لا أملك غيرها، فقال أكفلنيها أي: ملكنيها، واجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي، وعزني غلبني في الخطاب في الخصومة، أي: كان أقدر مني على الاحتجاج والمجادلة، أو: غلبني في الخطبة، حيث خطبت وخطب، فأخذها، وهذا منهما تعريض وتمثيل، كأنهما قالا: نحن كخصمين هذه حالهما، فمثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة، وخليطه له تسع وتسعون، فأراد صاحبه تتمة المائة، فطمع في نعجة خليطه، وحاجه في أخذها، محاجة حريص على بلوغ مراده. وإنما كان ذلك على وجه التحاكم إليه، ليحكم بما حكم به من قوله: قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، حتى يكون محجوجا بحكمه. وهو جواب عن قسم محذوف،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٦٣/٤

قصد به عليه السلام المبالغة في إنكار فعل صاحبه به، وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها، مع أن له قطيعا منها. ولعله عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه، أو: بناه على تقدير صدق المدعي، أي:

إن كنت صدقت فقد ظلمك، والسؤال: مصدر مضاف إلى المفعول، وتعديته إلى مفعول آخر لتضمينه معنى الضم.

---

(١) ذكره النسفى فى تفسيره (٣/ ١٥٠) . [.....]

(٢) الظاهر: إبقاء لفظ النعجة على الحقيقة، من كونها أنثى الضأن، ولا يكنى بها عن المرأة، ولا ضرورة تدعو إلى ذلك. انظر البحر المحيط (٧/ ٣٧٦) .." [(١)]

"الضر: الصبر، وآداب النفع: الشكر، وأيضا: راكب السفن ملزوم، إما للمشقة أو السلامة، فالصبر والشكر لا زمان له.

ولم يعطف إحدى الصفتين على الأخرى لأنهما لموصوف واحد.

أو يوبقهن أي: يهلكهن، عطف على قوله: يسكن أي: إن يشأ يسكن الريح فيركدن، أو يعصفها فيغرقن [بعصفها] «١» بما كسبوا من الذنوب. وإيقاع الإيباق عليهن مع أنه حال [أهلهن] «٢» للمبالغة والتهويل، ويعف عن كثير منها، فلا يجازي عليها، وإنما أدخل العفو في حكم الإيباق، حيث جزم جزمه لأن المعنى: أو إن يشأ يهلك ناسا وينج ناسا، على طريق العفو عنهم. وقرئ: «ويعفو» «٣» على الاستئناف. ويعلم الذين يجادلون في آياتنا أي: في إبطالها وردها ما لهم من محيص من مهرب من العذاب. والجملة معلقة بالنفي، ومن نصب «يعلم» عطفه على علة محذوفة، أي: لينتقم منهم وليعلم، كما في قوله: ولنجعله آية للناس «٤» . وقيل غير ذلك. ومن رفعه «٥» فعلى الاستئناف. وقرئ بالجزم، عطفا على: «يعف» ، فيكون المعنى:

أو إن يشأ يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء آخرين وتحذير قوم.

الإشارة: ومن آياته الأفكار الجارية في بحر التوحيد، كالأعلام، أي: أصحابها كالجبال الرواسي، لا يهزهم شيء من الواردات ولا غيرها، إن يشأ يسكن رياح الواردات عن أسرارهم، فيبقين رواكد على ظهر بحر الأحدية، مستغرقين في شهود الذات العلية، أو يوبقهن بما كسبوا **من سوء الأدب**، فيغرقن في الزندقة أو

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٧/٥

الحلول والاتحاد، ويعف عن كثير، ويعلم الذين يطعنون في آياتنا الدالة علينا ما لهم من مهرب.
ثم زهد فى الدنيا لأنها العائقة للأفكار، عن الجري فى بحار الأسرار، فقال:

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٣٦ الى ٤٣]
فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٣٦) والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون (٣٧) والذين استجابوا لربہم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (٣٨) والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩) وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين (٤٠)
ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (٤١) إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٤٢) ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (٤٣)

---

(١) فى الأصول [بعضها] والمناسب ما أثبته، وهو الذي فى تفسير النسفى وأبى السعود.
(٢) فى الأصول [أهلها] .
(٣) قرأ بها الأعمش، انظر البحر المحيط ٧/ ٤٩٧.
(٤) من الآية ٢١ من سورة مريم.
(٥) وهى قراءة نافع وابن عامر، وأبى جعفر. وقرأ الجمهور (ويعلم) بالنصب. انظر الإتحاف (٢/ ٤٥٠)
.." (١)

"صوته صلى الله عليه وسلم، بل يكون كلامه عاليا لكلامكم، وجهره باهرا لجهركم، حتى تكون مزيته عليكم لائحة، وسابقته لديكم واضحة.
ولا تجهروا له بالقول إذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض أي: جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم، بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته، واختاروا في مخاطبته القول اللين القريب من الهمس، كما هو الدأب في مخاطبة المهاب المعظم، وحافظوا على مراعاة هيبة النبوة وجلالة مقدارها. وقيل: معنى: لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض: لا تقولوا: يا محمد، يا أحمد، بل: يا رسول الله. يا نبي الله، ولما نزلت هذه الآية ما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر إلا كأخي السرار «١» .

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٢٢/٥

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنها نزلت فى ثبات بن قيس بن شماس، وكان في أذنيه وقر، وكان جهوري الصوت، وكان إذا تكلم رفع صوته، وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى من صوته. هـ. والصحيح ما تقدم. وفي الآية أنهم [لم] «٢» ينهوا عن الجهر مطلقا، وإنما نهوا عن جهر مخصوص، أي: الجهر المنعوت بمماثلة ما اعتادوه فيما بينهم، وهو الخلو عن مراعاة هيبة النبوة، وجلالة مقدارها.

وقوله: أن تحبط أعمالكم مفعول من أجله، أي: لا تجهروا خشية أن تحبط أعمالكم، وأنتم لا تشعرون **فإن سوء الأدب** ربما يؤدي بصاحبه إلى العطب وهو لا يشعر. ولما نزلت الآية جلس ثابت بن قيس في بيته ولم يخرج، فتفقده صلى الله عليه وسلم، فدعاه فسأله، فقال: يا رسول الله لقد أنزلت عليك هذه الآية، وإني رجل جهير الصوت، فأخاف أن يكون عملي قد حبط، فقال له صلى الله عليه وسلم: «لست هناك، تعيش بخير، وتموت بخير، وإنك من أهل الجنة» «٣» .

وأما ما يروى عن الحسن: أنها نزلت في المنافقين، الذي كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته صلى الله عليه وسلم فقد قيل:

محمله: أن نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدليل النص.

إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أي: يخفضون أصواتهم في مجلسه، تعظيما له، وانتهاء عما نهوا عنه، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي: أخلصها وصفاها، من قولهم: امتحن الذهب وفتنه: إذا أذابه، وفي القاموس: محنه، كمنعه: اختبره، كامتحنه، ثم قال: وامتحن القول: نظر فيه ودبره، والله قلوبهم: شرحها ووسعها، وفي الأساس: ومن المجاز: محن الأديم: مدده حتى وسعه، وبه فسر قوله تعالى:

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٢) «وصححه على شرط مسلم، وأقره الذهبي» ، والبيهقي فى الشعب (رقم ١٥٢٠ و ١٥٢١) عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) فى الأصول: [لن] .

(٣) أخرجه بمعناه البخاري فى (المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام ح ٣٦١٣) ومسلم فى (الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، رقم ١٨٧ ح ١١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.." [١]

"فقال صلى الله عليه وسلم لحسان: قم فأجبه، فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد شرعوا سنة للناس تتبع

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤١٥/٥

يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الفخر يصطنع «١»

ثم قال الأقرع شعرا افتخر به، فقال عليه السلام- لحسان، قم فأجبه، فقال حسان:

بني دارم، لا تفخروا، إن فخركم ... يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم، علينا تفخرون وأنتم ... لنا خول من بين ظئر وخادم «٢»

فقال صلى الله عليه وسلم: «لقد كنت غنيا عن هذا يا أخا بني دارم أن يذكر منك ما قد ظننت أن الناس قد نسوه» ، ثم قال الأقرع: تكلم خطيبنا، فكان خطيبهم أحسن قيلا، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر. هـ «٣» .

هذا ومناداتهم من وراء الحجرات إما لأنهم أتوها حجرة حجرة، فنادوه صلى الله عليه وسلم من ورائها، أو: بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له صلى الله عليه وسلم، أو: نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها، ولكنها جمعت إجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل:

الذي ناداه عيينة بن حصن والأقرع، وإنما أسند إلى جميعهم لأنهم راضون بذلك وأمروا به. أكثرهم لا يعقلون، إذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه العظيمة **من سوء الأدب**.

ولو أنهم صبروا أي: ولو تحقق صبرهم وانتظارهم، فمحل (أنهم صبروا) رفع على الفاعلية لأن «أن» تسبك بالمصدر، لكنها تفيد التحقق والثبوت، للفرق بين قولك: بلغني قيامك، وبلغني أنك قائم، و «حتى» تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغيا بخروجه عليه السلام، فإنها مختصة بالغايات. والصبر: حبس النفس على أن تنازع إلى هواها، وقيل: «الصبر مر، لا يتجرعه إلا حر» . أي: لو تأنوا حتى تخرج إليهم بلا مناداة لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال، لما فيه من رعاية **حسن الأدب**، وتعظيم الرسول، الموجبتين للثناء والثواب، والإسعاف بالمسئول إذ روي أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى حي بني العنبر، وأمر عليهم عيينة

---

(١) انظر ديوان حسان بشرح البرقوقي ص ٣٠١. وفيه:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

(٢) انظر ديوان حسان ص ٤٣٧.

(٣) أخرجه الواحدي فى أسباب النزول ص (٤٠٤- ٤٠٦) عن جابر بن عبد الله. وعزاه الحافظ ابن حجر

فى الكافي الشاف (ص ١٥٥- ١٥٦ رقم ١٥) للثعلبى. وأخرج الجزء الأول من القصة، الترمذي فى (التفسير، باب ومن سورة الحجرات، ح ٣٢٦٧) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.." [١]

"سورة ق

مكية. وهى خمس وأربعون آية. ووجه مناسبتها: أن السورة قبلها واردة فى الترغيب فى الأدب، والترهيب **من سوء الأدب**، ولا يتحقق ذلك إلا لمن صحت عنده رسالة الرسول ونبوته، فأقسم فى هذه السورة على تحقيق رسالته وإنذاره بقوله:

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١ الى ١١]

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد (١) بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (٢) أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد (٣) قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ (٤)

بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج (٥) أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج (٦) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (٨) ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد (٩)

والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١)

يقول الحق جل جلاله: ق أيها القريب المقرب من حضرتنا وحق القرآن المجيد إنك لرسول مجيد، أو: ق أي: وحق القوي القريب، والقادر القاهر. وقال مجاهد: هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء، وعليه طغى الماء، وخضرة السماء منه، والسماء مقببة عليه، وما أصاب الناس من زمرد فمما تساقط من ذلك الجبل. وروي أن ذا القرنين وصل إليه، فخاطبه «١» ، وقال: يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله، قال: إن

---

(١) قال ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٢٢٢) : «وقد روى عن بعض السلف أنهم قالوا: «ق» جبل محيط بجميع الأرض، يقال له: جبل قاف، وكأن هذا- والله أعلم- من خرافات بنى إسرائيل التي أخذها عنهم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤١٨/٥

بعض الناس، لما رأوا من جواز الرواية عنهم، مما لا يصدق ولا يكذب، وعندى: أن هذا وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم» .." (١)

"القلوب، أشد تأثيرا من غيرهم، فإن الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان حده الآذان، وفي الحكم: " تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيث ما صار التنوير وصل التعبير ". فأهل النور تسري أنوارهم في الجالسين قبل أن يتكلموا، وربما انتفع الناس بصمتهم، كما ينتفعون بكلامهم، وأما أهل الظلمة ـ وهو من في قلبه حب الدنيا ـ فكلامهم قليل الجدوى، تسبق ظلمة قلوبهم إلى قلوب السامعين، فلا ينتفع إلا القليل.

يقول الحق جل جلاله: واذكر يا محمد لهؤلاء المعرضين عن الجهاد قول موسى لبنى إسرائيل، حين ندبهم إلى قتل الجبابرة، بقوله: ﴿ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ [المائدة: ٢١] الآية، فلم يمتثلوا أمره، وعصوه أشد عصيان، حيث قالوا: ﴿ياموسى إن فيها قوما جبارين ... ﴾ [المائدة: ٢٢] الآية، إلى أن قالوا: ﴿فاذهب أنت وربك ... ﴾ [المائدة: ٢٤] الآية. وآذوه عليه السلام كل الإذاية فقال: ﴿يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾ ، فالجملة: حال، والحال أنكم تعلمون علما قطعيا، مستمرا، بمشاهدة ما ترون من المعجزات الباهرة، إني رسول الله إليكم، لأرشدكم إلى خير الدنيا والأخرة، ومن قضية علمكم أن تبالغوا في تعظيمي، وتسارعوا إلى طاعتي، ﴿فلما زاغوا﴾ أي: أصروا على الزيغ عن الحق الذي جاءهم به، واستمروا عليه ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ ؛ صرفها عن قبول الحق، والميل إلى الصواب، لصرف اختيارهم نحو الغي والإضلال، ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي: لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق، المصرين على الغواية، هداية موصلة إلى الطاعة **وحسن الأدب**، والمراد بهم المذكورون خاصة، والإظهار في موضع الإضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية، أو جنس الفاسقين، وهم داخلون في حكمهم دخولا أوليا، وأيا ما كان فوصفهم بالفسق نظر إلى ما في قوله تعالى: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ [المائدة: ٢٥] ، هذا الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم،." (٢)

"له، ولقد أنجز الله ـ عز وعلا ـ وعده، حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام. وعن مجاهد: إذا نزل عيسى لم يكن إلا دين الإسلام. هـ. ﴿ولو كره المشركون﴾ ذلك، قال الطيبي: قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ... ﴾ الخ، حذر تعالى مما لقي قوم موسى من إزاغة القلوب،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن ع جيبة ٤٤٣/٥

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٥/٧

والحرمان من التوفيق، بسبب الأذى، وما ارتكب قوم عيسى بعد مجيئه بالبينات من تكذيبه وقولهم فيه: " هذا سحر مبين "، ألا ترى كيف جمع الكل في قوله: ﴿ومن أظلم ... ﴾ الآية، قال: وقضية الدعوة إلى الإسلام توقير من يدعو إليه، وإجابة دعوته. ثم قال: وأما قوله: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ هو تذييل لقوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى ... ﴾ الآية؛ لأن الظلم هو: وضع الشيء في غير محله، وأي ظلم أعظم من جعل إجابة الداعي إلى الله مفتريا؟ ! والكفر: التغطية ومحاولة إطفاء النور إخفاء وتغطية، ودين الحق هو التوحيد، والشرك يقابله، ولذلك قال: ﴿ولو كره المشركون﴾ . هـ.

الإشارة: سوء الأدب مع الأكابر، وإذايتهم، سبب كل طرد وبعد، وسبب كل ذل وهوان، **وحسن الأدب** معهم وتعظيمهم، سبب كل تقريب واصطفاء، وسبب كل عز ونصر، ولذلك قال الصوفية: " اجعل عملك ملحا، وأدبك دقيقا ". ألآ ترى بنى إسرائيل حين أساؤوا الأدب مع نبي الله موسى بقولهم: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلآ ... ﴾ [المائدة: ٢٤] الخ كيف أذلهم الله وأخزاهم إلى يوم القيامة، وانظر أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم حيث تأدبوا غاية الأدب، وقالوا يوم بدر: " لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: اذهب أنت وربك، ولكن اذهب أنت وربك ونحن معك، والله لو خضت بنا ضحضاح البحر لخضناه معك "كيف أعزهم الله ونصرهم على سائر الأديان، ببركة حسن أدبهم. رضي الله عنهم وأرضاهم.

يقول الحق جل جلاله: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ ، وكأنهم قالوا: وما هذه التجارة، أو: ماذا نصنع؟ فقال: ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ ، وهو خبر بمعنى الأمر، أي:." (١)

"إنكارا واستهزاء، وهو " تفتعلون " من الدعاء، وقيل: من الدعوى، أي: تدعون ألا بعث ولا حشر. وروي عن مجاهد: أن الموعود يوم بدر، وهو بعيد.

﴿قل أرأيتم﴾ أي: أخبروني ﴿إن أهلكني الله﴾ أي: أماتني. والتعبير عنه بالهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك، ﴿ومن معي﴾ من المؤمنين ﴿أو رحمنا﴾ باخير آجالنا، فنحن في جوار رحمته متربصون إحدى الحسنيين ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أي: لا ينجيكم منه أحد، متنا أو بقينا. ووضع " الكافرين " موضع ضميرهم؛ للتسجيل عليهم بالكفر، وتعليل نفي الإنجاء به، أي: لا بد من لحوق العذاب لكفركم، متنا أو بقينا، فلا فائدة في دعائكم علينا.

﴾

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٧/٧

قل هو﴾ أي: الذي أدعوكم إليه ﴿الرحمن﴾ مولى النعم كلها، ﴿آمنا به﴾ وحده؛ لعلمنا ألا راحم سواه، ﴿وعليه توكلنا﴾ وحده؛ لعلمنا أن ما عداه كائنا ما كان بمعزل عن النفع والضر. ﴿فستعلمون﴾ عن قريب ﴿من هو في ضلال مبين﴾ منا ومنكم، ﴿قل أرأيتم﴾ ؛ أخبروني ﴿إن أصبح ماؤكم غورا﴾ ؛ غائرا في الأرض بالكلية، أو: لا تناله الدلاء ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ ؛ جار أو ظاهر سهل المأخذ، يصل إليه من وصله؟ . وفي القاموس: ماء معيون ومعين: ظاهر. هـ. وقال مكي: ويجوز أن يكون معين " فعيل " من معن الماء: كثر، ويجوز أن يكون مفعولا من العين، وأصله: معيون، ثم أعل، أي: فمن يأتيكم بماء يرى بالعين. هـ. مختصرا.

وقرئت الآية عند ملحد، فقال: يأتي بالمعول والفؤوس، فذهبت عيناه تلك الليلة وعمي، وقيل: إنه محمد بن زكريا المتطبب، أعاذنا الله **من سوء الأدب** مع كتابه. قال ابن عرفة: ذكر ابن عطية في فضل السورة أربعة أحاديث، وقد تقرر أن أحاديث الفضائل لم تصح إلا أحاديث قليلة، ليس هذا منها. هـ. وفي الموطأ: إنها تجادل عن صاحبها.

الإشارة: ويقولون ـ أي: أهل الإنكار على المريدين ـ: متى هذا الوعد بالفتح إن كنتم صادقين في الوعد بالفتح على أهل التوجه؟ قل أيها العارف الداعي إلى الله: إنما العلم عند الله، وإنما أنا نذير مبين، أنذر البقاء في غم الحجاب وسوء الحساب، فلما رأوه ـ أي رأوا أثر الفتح على المتوجهين، بظهور سيما العارفين على وجوههم، ونبع الحكم من قلوبهم على ألسنتهم ـ زلفة، أي: قريبا، سيئت وجوه الذين كفروا بطريق الخصوص، وأنكروها ـ أي ساءهم ذلك حسدا أو ندما، وقيل هذا الذي كنتم به تدعون، أي: تدعون أنه لا يكون، وأنه قد انقضى زمانه، وأهل الإنكار لا محالة يتمنون هلاك أهل النسبة، فيقال لهم: أرأيتم إن أهلكنا الله بالموت، أو رحمنا بالحياة، فمن يجيركم أنتم من." (١)

"فأتيناه غدا عند السحر، فإذا هو قائم على قدميه، شاخص إلى السماء بعينيه، فناديناه: يا خطل، فأومأ إلينا: أن أمسكوا، فأنقض نجم عظيم من السماء، وصرخ الكاهن رافعا صوته: أصابه إصابة، خامره عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه، ثم قال: يا معشر قحطان، أخبركم بالحق والبيان، أقسم بالكعبة والأركان، لمنع السمع عتاة الجان، لمولود عظيم الشأن، يبعث بالتنزيل والقرآن، وبالهدى وفاصل الفرقان، يمنع من عبادة الأوثان. فقلنا: ما ترى لقومك؟ فقال: أرى لقومي ما أرى لنفسي، أن يتبعوا خير نبي الإنس، برهانه مثل شعاع الشمس، يبعث من مكة دار الحمس، يحكم بالتنزيل غير اللبس، فقلنا: وممن هو؟ فقال: والحياة

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٠٢/٧

والعيش، إنه لمن قريش، ما في حلمه طيش، ولا في خلقه هيش، يكون في جيش، وأي جيش!! فقلنا: بين لنا من أي قريش هو؟ فقال: والبيت ذي الدعائم، والديار والحمائم، إنه لمن نجل هاشم، من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم، هذا البيان، أخبرني به رئيس الجان، ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر. هـ.

﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض﴾ بحراسة السماء، ﴿أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ ؛ خيرا ورحمة، ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية، كقوله تعالى: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٨٠] وقوله: ﴿مآ أصابك من حسنة فمن الله ومآ أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] بعد أن ذكر ما في نفس الأمر بقوله: ﴿قل كل من عند الله﴾ [النساء: ٧٨] .

الإشارة: إذا كان الله تعالى قد حفظ السماء من استراق السمع، فقلوب أوليائه أولى بأن يحفظها من خواطر السوء، فإذا تولى عبدا حفظ قلبه من طوارق الشك، وخواطر التدبير، وسوء الأدب مع الربوبية، فيملؤه باليقين والطمأنينة، ويهب عليه برد الرضا ونسيم التسليم، فيخرج عن مراد نفسه إلى مراد مولاه، في كل وجهة وعلى كل حال. جعلنا الله من أهل هذا القبيل، بمنه وكرمه.

يقول الحق جل جلاله، في مقالة الجن: ﴿وأنا منا الصالحون﴾ أي: الموصوفون بصلاح الحال، في شأن أنفسهم مع ربهم، وفي معاملتهم مع غيرهم، ﴿ومنا دون ذلك﴾." [(١)]

"بينهم، (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) بين العداوة تفسير يحيى بن سلام (١) / (١٤٢) - ذكر ابن عطية ((٥) / (٤٩٥) - (٤٩٦)) في الآية قولين: الأول: أنها أمر من الله تعالى المؤمنين فيما بينهم **بحسن الأدب** - الثاني: أنها فيما بين المؤمنين والمشركين يأمرهم فيها بإلانة القول للمشركين بمكة أيام المهادنة - ثم قوى القول الثاني مستندا للسياق، فقال: «وقوله تعالى: (ربكم أعلم بكم) الآية، هذه الآية تقوي أن التي قبلها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة، وذلك أن هذه المخاطبة في قوله: (ربكم أعلم بكم) هي لكفار مكة، بدليل قوله: (وما أرسلناك عليهم وكيلا)، فكأن الله أمر المؤمنين أن لا يخاشنوا الكفار في الدين، ثم قال للكفار إنه أعلم بهم، ورجاهم وخوفهم» - وذكر قول من قال: إن معنى قوله: (يرحمكم) بالتوبة عليكم من الكفر، وبين أن هذا أيضا يقوي أن هذه المخاطبة فيما بين المؤمنين والكفار - .

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٥٦/٧

(إن الشيطان ينزغ بينهم)

(٤٣٢٩٧) - عن قتادة بن دعامة، قال: نزغ الشيطان: تحريشه عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٤٣٢٩٨) - قال مقاتل بن سليمان: (إن الشيطان ينزغ بينهم)، يعني: يغري بينهم تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٥٣٥) - .

(٤٣٢٩٩) - قال يحيى بن سلام: - (إن الشيطان ينزغ بينهم) يفسد بينهم تفسير يحيى بن سلام (١) / (١٤٢) - .

(إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا (٥٣))

(٤٣٣٠٠) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا)، قال: عادوه، فإنه يحق على كل مسلم عداوته، وعداوته أن تعاديه بطاعة الله أخرجه ابن أبي حاتم (٧) / (٢١٠٣) - .

(٤٣٣٠١) - قال يحيى بن سلام: (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) بين العداوة تفسير يحيى بن سلام (١) / (١٤٢) - .

آثار متعلقة بالآية

". [(١)]

"(١٤٦٣١) - وعن مكحول الشامي، نحو ذلك علقه ابن أبي حاتم (٣) / (٧٦٣) - .

(١٤٦٣٢) - عن الربيع بن أنس - من طريق أبي جعفر - في قول الله - جل ثناؤه - : (والعافين عن الناس)، قال: المملوكين أخرجه ابن المنذر (١) / (٣٨٤) - .

(١٤٦٣٣) - عن محمد بن السائب الكلبي، في قوله: (والعافين عن الناس)، قال: عن **المملوكين سوء الأدب** تفسير الثعلبي (٣) / (١٦٧)، وتفسير البغوي (٢) / (١٠٥) - .

(١٤٦٣٤) - عن زيد بن أسلم=

(١٤٦٣٥) - ومقاتل بن حيان، في قوله: (والعافين عن الناس): عمن ظلمهم، وأساء إليهم تفسير الثعلبي (٣) / (١٦٧)، وتفسير البغوي (٢) / (١٠٥) - .

(١٤٦٣٦) - قال مقاتل بن سليمان: فيكظم الغيظ، ويغفر، فذلك قوله: (والعافين عن الناس) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٠١) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٩٥/٢٣

(والله يحب المحسنين (١٣٤))
." (١)

"والنية النهوض، يقال في اللغة. ناء ينوء، أي نهض ينهض، فالقلب يرتحل إلى الله عز وجل، حتى يصل إلى سورة المنتهى إن كان له طريق، فإن حبس في الطريق فللتهمة احتبس، ولسوء الأدب منع وانسد الطريق، فعلى أي حال كان، فقد نهض من مكانه إن وجد الطريق أو لم يجد. ويقول للجارحة التي تعمل ذلك العمل تحركي بذلك العمل في حركاتك، وانفذي العمل على أثري، فإني واقف بالباب، أبتغي من ربي عز وجل مرضاته، بما ينفذ إليه على أثري، فهذه النية.
ثم الناس في نياتهم على درجات، على تفاوت عقولهم؛ ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فيما يروى عنه، قال: (يعملون الناس الخير ويعطون أجورهم على قدر عقولهم). وروي عن الله عز وجل قال: يا موسى، إنما أجزي الناس على قدر عقولهم). قال له قائل: صف لنا شيئا منه، كيف تفاوت على قدر العقول؟ قال: مثل رجل دخل المسجد فوجد الصف الأول قد قام، فوقف في الصف الثاني، فقد سقط من درجة الصف الأول،." (٢)

"السير في السفر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخصبت الأرض فانزلوا عن ظهركم فأعطوه حقه من الكلأ وإذا أجدبت الأرض فامضوا عليها بنقيها وعليكم بالدلحة فإن الأرض تطوى بالليل المشقة على الظهر في الليل دونها في غير الليل فالمعنى القصد إلى السير عليها في الليل يؤيده ما روي وإذا سافرتم في الجدب فأسرعوا السير فإذا أردتم التعريس فنكبوا عن الطريق التعريس إنما يكون بالليل في الإكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد وجب الكفر على أحدهما معنى الكافر هنا أن الذي هو عليه الكفر فإذا كان الذي هو عليه إيمانا كان جعله كافرا جعل الإيمان كفرا فكان بذلك كافر الآن من كفر بالإيمان فقد كفر بالله عز وجل ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله الآية في النجوى عن أبي سعيد الخدري كنا ننتاب النبي صلى الله عليه وسلم تكون له الحاجة أو يرسلنا لبعض الأمر فكثر المحتسبون من أصحاب النوب فخرج علينا رسول الله صلى الله عيه وسلم ونحن نتذاكر الدجال فقال ما هذا النجوى ألم أنهكم عن النجوى قال فقلنا يا رسول الله كنا في ذكر المسيح فرقا منه فقال غير ذلك أخوف عليكم شرك خفى أن يعمل الرجل لمكان الرجل فيه أن النجوى المنهي عنها هو في الإثم والعدوان ومعصية الرسول لا

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٩٨/٧

(٢) رياضة النفس، الترمذي، الحكيم ص/٦٧

كل نجوى والمروي عن ابن عمر مرفوعا إذا كان ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون واحد وفي رواية قلت يا رسول الله فإن كنا أربعة قال لا يضر ولا يضير يحتمل أن يكون النهي فيه لسوء الأدب فإذا كانوا أربعة ارتفعت العلة لقدرة." (١)

"- الحديث رقم: ٣٤٦

قوله : (المقرئ) وليعلم أن المقري غير المقري منسوبا إلى بلدة القري وهو مضبوطة الحافظ وضبطه في معجم البلدان وراو آخر مقري ، وقال الحافظ عبد الغني المقدسي : إن رسم خط اللفظ عند المحدثين بالألف أي المقراي ، فلا يختلط في الألفاظ ، ويجب تمييز كل واحد من الآخر لمن يشتغل في الأحاديث فإن بعض المحدثين سحبوا حديث : (٢)إلخ على من يخطأ في عبارة الحديث ، كما قال العيني في عمدة القاري وكذلك يصدق الحديث على من يذكر الأحاديث في المواعظ رطبها ويابسها ولا يبالي ، وذكر الشيخ شمس الدين السخاوي : إن سيبويه أخذ في علم الحديث عند حماد بن سلمة فلما بلغ على حديث : (٣)إلخ قرأ رعف مجهولا ، وكان الصحيح معلوما ، قال حماد بن سلمة : قم من عندنا ، وأخرجه من درسه فذهب سيبويه عند الخليل لتحصيل النحو والعلوم الأدبية ثم لم يرجع إلى تحصيل الحديث ، ومات سيبويه وهو ابن أربعة وثلاثين سنة .

قوله : (فوق ظهر بيت الله) إلخ وذكر الأحناف وجه العلة بأن الصلاة فوق ظهر بيت الله **يوجب سوء الأدب** ، وهذا التعليل يقتصر على بيت الله فقط ، وتجوز الصلاة على غيره من المساجد وحديث الباب تكلم فيه الترمذي ، وتكره الصلاة عندنا أيضا في المواضع المذكورة ، ويمكن أن يقال بصحة الحديث لإخراجه ابن السكن في صحيحه ، وهو التزم صحة ما أخرجه في صحيحه .

ج١ص٣٤٠

قوله : (عبد الله بن عمر العمري) ضعفه الترمذي تبعا للبخاري ، والبعض حسنوا روايته وهم كثير ، وعندي أنه من رواة الحسان ، وفي الميزان أنه إذا روى عن نافع فهو ثقة ، وكذلك قال ابن معين الذي أشد الرجال في حق الرجال ، وتقوية عبد الله العمري يفيدنا في بحث حديث ذي اليدين .." (٤)

---

(١) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، ١٠٣/٢

(٢) من كذب علي متعمدا

(٣) من قاء أو رعف

(٤) العرف الشذي للكشميري، ٣٩٩/١

"ولا استحقاق (٩) أي من تعليمه ذلك ومن تأديبه بنحو توبيخ أو تهديد أو ضرب على فعل الحسن وتجنب القبيح فإن **حسن الأدب** يرفع العبد المملوك إلى رتبة الملوك (١٠) أبو عبد الرحمن كنية عبد الله بن الامام أحمد يقول إن هذا الحديث حدثه به أيضا غير أبيه وهو خلف بن هشام الخ (١١) هكذا في الأصل فذكر مثله وهي اختصار من الاصل لامنى (تخريجه) أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث غريب لا نعرف إلا من حديث عامر بن أبي عامر الخزاز وأيوب بن موسى هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص وهذا عندي حديث مرسل اهـ (قال الحافظ) في تهذيب التهذيب في ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص بعد نقل كلام

@@@٤٥

العدل بين الأولاد في العطية وكراهة تخصيص بعضهم

.)" [١]

"... هو قلب النخلة، ويسمى شحم النخل، أي جواز أكله.

... ٥٤٤٤- لما بركته بركة المسلم: لأنها لا تسقط منها أبلحة، كما لا تسقط للمسلم دعوة، أو لعموم نفعها في جميع أطوارها، كما أن المسلم نفعه عام. فظننت: بقرينة حضور الجمار.

٤٣- باب العجوة:

... أي فضلها على غيرها، وهي نوع جيد من التمر يقال لها أم التمر، ونقل الثقة عن خط الشيخ سيدي محمد بناصر الدرعي(١) أن العجوة هي النوع المسمى في درعة بأمكت -بفتح الهمزة والميم والكاف المشددة وسكون التاء -، وقيل هي النوع المسمى عندنا بالفكوس.

... ٥٤٤٥- من تصبح: أكل صباحا قبل أن يأكل شيئا. سبع تمرات عجوة: زاد في رواية عند مسلم وغيره: (من تمر المدينة)(٢)، لم يضره...إلخ: وليس هذا من صنعها، إنما هو سر موضوع فيها اختص بعلمه الشارع صلوات الله وسلامه عليه، انظركتاب الطب.

٤٤- باب القران في التمر:

... القران ضم تمرة إلى أخرى عند الأكل، أي بيان حكمه.

... ٥٤٤٦- سنة: جدب. نهى عن الإقران: الأقفهسي: (النهي للكراهة إن عللنا بسوء الأدب، وإن عللنا بالاستبداد -وكان القوم شركاء إما بالشراء أو مطعمين- كان النهي نهي تحريم) هـ، نقله الشاذلي، ثم قال:

---

(١) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ٩٩/١

(ولا مفهوم للتمر، بل كذلك سائرالأطعمة والفواكه) هـ.

---

(١) – محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن محمد بناصر الدرعي الناصري.

فقيه مغربي، رحل إلى الحجاز.

له: المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا، والرحلة الحجازية الكبرى.

توفي سنة ١٢٣٩هـ.

ترجمته في: فهرس الفهارس ٢١٩/٢، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى ٦٨-٦٩.

(٢) – أخرجه مسلم في صحيحه ١٤٣/٢ في الأشربة الباب ٢٥ ، وأبو داود في الطب رقم ٣٨٧٦.." (١)

"١٦٠ – (٧٥٤) حئثنا ابو بكر بن أبي شيبة ، حاينا عبد الأعلى بن عبدالأعلى ، عن معمر ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد ؛ أن" النبى (صلى الله عليه وسلم) تال : (أوتر٣وا قبل أن تصبحو ال .

(ويصلى ركعتين قبل الغداة (١) كأن ال الذان فى أذنيه) يعنى من تخفيفهما ، وأرى مراده بالأذان هنا الاقامة ة لأن عن هنا كان سوال السائل .

ومعنى قوله : ا لضخم) : إضارة إلى البلادة وسوء الأدب ، لمداخلته له فى الكلام وتركه تمامه ، وقطعه عليه ، كما قال بعضهم فى أحد تأويلات قوله : (إنك عريض القفا) (٢) لأن البلادة والغباوة مع السمن والضخامة .

ومعنى : (أستقرى لك الحديث) كذا رويناه بالهمزة ومعناه على هنا اتلوه وآت به على نسقه ، رقد يكون غير مهمور ، ويكون معناه : أقصد لك إلى ماطلب! ، من قولهم : قرون إليه قروا إذا قصدت نحوه ومنه : هو يقترى الأرض ويقرو!ا قروا إذا قطعها إلى أخرى ، وهو أشبه بهذا الموضع ، ومنه القرو الطلب .

وقوله : (به به) ة إما أن يكون معنى : مه مه ، رجرأ ، وقد جاء ذلك والباء تبدل

من الميم كثيرا ، وقال ابن السكيت : هى لتعظيم الامر بمعنى : بخ بخ .

(١) فى الأصل : للقرامة ، والمثت من س والمطيرعة .

(٢) جزء حديث أخرجه البخارى فى دلتفسير ، بسورة دلبعرة عن عدى ، وذلك لما لخذ – رضى الله عنه

---

(١) الفجر الساطع/الزرهوني –شرح البخاري، ١٨٧/٧

- وعقالأ لبيض وضالأ لحود ٦ / ٣١ .

كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب صلاة الليل مثنى مثنى ...
إلخ ١٠٥ ١٦١ - (...) ود دثنى إسحق بن منصور ، أخبرنى عي!د الله عن شم!مان ، عن يحيى ، قال : أخبرنى أبو نضرة العوقى ؛ أن أبا سعيد أخبرهم ؛ انهم سألوا الئيى عن عن الوتر ؟ فقال : (أؤتروا قئل الصبح) .
قال القاضى : أو يكون هنا من قولهم : رجل بهبى ، وهو الجسيم الجرىء ، لاسيما
مع قوله : (إنك لضخم) أو تكون حكاية لاعتراضه عليه وكلامه له من بهبهة الفحل فى ہديره .

١٠٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب من خاف أن لايقوم من آخر الليل ...
إلخ
(٢١) باب من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله
١٦٢ - (٧٥٥) حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدءننا حفض وأبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر ؛ قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (من خاف أن لايقوم من آخر الليل فليوتر أوله ، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل ، فإن صلاة آخر الليل مشهودة ، وذلك أفضل) .
وقال أبو معاوية : محضورة .
١٦٣ - (...) وحدثنى سلمة بن شبيب ، حدثنا الحسن بن أعين ، حا شا معقل -
وهو ابن عبيد الله - عن أبى الزبير ، عن جابر ؛ قال : لسمعت النبى (صلى الله عليه وسلم) يقول : (ايكم خاف أن لايقوم من آخر الليل فليوتر ، ثم ليرقد ، ومن وثق بقيام من الليل فليوتر من آخره ، فإن قراعق آخر الليل محضورة ، وفلك أفضل) .
(١) سبقت الإشارة إليه فى باب صلاة الليل وعدد ركعات النيى (صلى الله عليه وسلم) فى الليل .

كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب أفضل الصلاة طول القنوت
١٠٧
(٢٢) باب أفضل الصلاة طول القنوت
١٦٤ - (٧٥٦) حدفنا عبد بن حميد ، أخبرنا أبو عاصم ، أخبرنا ابن جريج ، أخبرنى أبو الزبير عن جابر

؛ قال ة قال رسول !الله (صلى الله عليه وسلم) : (أفضل الصلاة طول القنوت) .

١٦٥ - (...) وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وابو كريب ، قالا : حدثنا أبو معاوبة ، حدثنا الاكمش عن ألى سفيإن ، عن جابر ؛ قال : سئل رسول ا دئه (صلى الله عليه وسلم) أى الضلاة أفضل ؟ قال : (طول القنوت) .

قال أبو بكر : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش .

وقوله : ([أفضل الصلاة] (١) طول القنوت) ، قال الإمام : القنوت سبعة معان : الصلاة والقيام والخشوع والعبادة والسكوت والدعاء والطاعة .

قال ابن أبى زمنين وغيره : [أصله الطاعة] (٢) .." (١)

"قال القاضى : وقع هذا الحرف من روايتنا عن الخشنى محن الطبوى : (سجب) بالن مهملة وليس بشى ، والأشجاب - أيضا - فيما قيل : الأعواد التى محليها قرب الما .

وقوله : (توضأ وضوءا بين الوضو ين) : قد فسره بقوله : ا لم يكثو وقد أبلغ)

كما قال فى الرواية الأخرى : (وضوءا خفيفا) ، وفى الأخرى : (فلم يكثر من الماء ولم يقصر فى الوضوء) (٦) وفى الأخرى : (وضو ا حسنا لن الوضوءين) وفى الأخوى (فأحسن الوضوء) (٧) وفى الحديث الآخر : (فتوضأ!ون وصوء) (١٨ مضمون هذا كله [أنه] (٩) أبلغه وأحسنه أى أجاد عمله ؛ إذ الإحسان يقع على هذين الوجهيئ ، ثم لم يكثو من الماء فيه ولا من التكرار فيطوله ، لكن جا فى الأم مق رواية مسعيد بن مسووق عن سلمة بن كهيل : (أنه توضأ وضوءا بين الوضوءين ، ثم أتى قراثمه فنام ، ثم ذكر أنه قام فتوضا وضوءا هو الوضوء) (أ) ظاهره ائه بالغ فيه ، ولم وألف ذكو الوصوءين قى غير هذه الرواية ولا ذكو فيهما فى الثانى أنه صلى به ، لكق ظاهره أنه صلى به ، دونما ذكر يومه أولا ، فيحتمل أنه بعد أن صلى كما جا فى الحديث الآ!حو مق رواية أ أم] (١١) سلمة ؛ أنه كان يصلى ثم ينام قدر ماصلى ، ثم يصلى قدر ما نام ، فعلى هذا يحتمل أنه

(١ : ا فى الأصل : التى .

(٣) من ع .

(٣ ، بعدها فى الأصل : ئبو عبيدة ، وهو وهم .

(٤) فى للاصل : للسيو .

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض، ٦٢/٣

(٥ أ من ع .
(٦) ولفظه فى المطبوعة : فتوضأ ولم يكثر .
(٧) ولفظه فى المطبوعة : فأحسن وضوءه .
(٨) الذى بقى من احاثيث المطبوعة فى هذا هو حديث ابن لبى ضيبة ، ولفظه فيه : (فتوضأ وضو ا بين للوضوعين ...

ثم توضأ وضوعا هو للوضوء " .
(٩) ساقطة من س .
(١٠) وهو ما جاءت به الرواية المذكورة تنفا .
(١١) فى الأصل : أبو ، وهو خطأ .

والحديث أخرجه أحمد فى المند عن يعلى بن مملك قال : سألت أم سلمة عن صلاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالديل وقراءته ، فقالت : م الم ولصلاته ولقراض! ؟كان وى قدر ما ينام ، وينام قدر ما يصلى ٦٠ / ٢٩٤ .

١٢٠

كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب الدعا فى صلاة الليل وقيامه

أعاد الوضو ، وكما قال فى الرواية الأخرى فعل ذلك ثلاث مرات كل ذلك يستاك ويتوضأ ، أو يكون أراد الوضو الأول قبل نومه على ماجا فى الرواية الأخرى من حديث سفيان عن سلمة من قوله : (فقام فأتى حاجته - أى من الحدث - ثم غسل وجهه ويديه ، ثم نامأ ، فهذا القيام للحدث لا للصلاة ، وغسله وجهه ويديه تنظفا ولنفى الكسل ، فلعل الراوى اختلط عليه ما جاء فى الحديث الآخر (وضوءا بين الوضو ين) ، فوضعه هذا الموضع (١) أو عبر به عنه .

وقوله : (فقمت فتمطيت كراهية أن يرى أنى كنت أنتبه لهأ فيه ما كان عليه - رضى الله عنه - وامثاله من الحرص على الخير وتعلم العلم ، والاقتدا به - عليه السلام - والاقتباس منه ، وحفظ أفعاله وأقواله من صغره ، **وحسن الأدب** معه ، والحياء منه لكونه بقربه ، وهو مع أهله ، وقد روى فى هذا أن العباس أرسله لذلك .

وتقدم إليه ألا ينام حتى يحفظ فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى صلاته ، واختلف فى ضبط هذه اللفظة ، فقال هنا : دانى كنت انتبه له) وفى كتاب البخارى : (أبقيه) كذا عند الأصيلى وابن السكن

والقابسى (٢) ، ومعناه : أرقيه ، فقال : بقيت الشىء أبقيه ببصرى إذا نظرت إليه .
قال الشاعر :
ومازلت ابقى الطعن حتى كأنها أواقى سدى تغتالهن الحوالك
ويقال : بقوت أيضا ، وقد جات هذه اللفظة بمثله فى كتاب مسلم فى الحديث الاخر كما سنبينه بعد هذا ، وروى البرقانى هذه الكلمة : (أرتقيه) نحو رواية القابسى عن البخارى (٣) ، وهو معنى أبقيه ، وهذه الألفاظ أبين من قوله : (أنتبه) ، ويثمبه أن انتبه تصحيف وتغيير ، والله اعلم (٤) .
وقوله : (فتوضأت فقمت عن يساره ، فأدارنى عن يمينه) : فسر هذه الإدارة فى حديث محمد بن حاتم بقوله : (فأخذبيدى من ورا ظهره يعدلنى كذلك إلى الشق الأيمن) () وهى سنة مقام المنفرد مع إمامه وإن كان صغيراً ، وحكم مناولة ما يحتاج عند المصلى أو يضطر هو إليه ، وفيه جواز العمل القليل فى الصلاة واحتج به أصحابنا فى جواز صحة
(١) يقصد القاضى لن (وضوماً بين الوضوعن) هو من رواية سلمة بن كهيل عن ثبى رضدين عن ابن عباس ، لا من رواية سلمة بن كهيل عن كريب .
(٢) وكذا لأحمد فى المسند من حديث سلمة بن كهيل)يضا ٣ / ٢٨٣ .
قال فى اللسان : يقول : ضبهت الأظعان فى تباعدها عن عينى ودخولها فى السراب بالغزل الذى تديه الحائكة فيتناقض أؤلا فأؤلا .
قال وبقيته : لى نظرت بليه وترقبته ، وبقية الله : انتظار ثوابه .
(٣) البخارى فى صحيحه ، كالدعوات ، بللدعاء إذا انتبه من الليل ٨ / ٨٦ .
(٤) قلت : ولايشقيم مع قوله : ا له) بعد ينتبه .
(٥) ولفظه فى ل!طبوعة : فأخذ بيدى من صرىء ظهره يعدلنى كذلك من وراه ظهره بلى الق الأيمن .

." (١)

"(...) وحدثناه أبو بكر بن أبى شيبة ، حدتشا ابن المبارك وبزيد بن هرون .
ح وحدثنى على بن حجر .
أخبرنا ابن المبارك والفضل بن موسى ، كلهم عن حسيني ، بهنا

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، ٦٩/٣

وقوله : ([فقام] (١) وسطها) : كذا ضبطناه عن ابى بحر وغيره بسكون السيئ ، وكذا ضبطه الجيانى فيما ثنا به عنه القاضى التميمى ، وقال : كذا رده على القاضى ابو بكر ابن صاحب الأحباس (٢) ، واما ابن دينار (٣) فقد قال : وسط الدار ووسطها معا .

اختلفت الاثار واختلف العلماء بسببها فى مقام الإمام من الميت - قال الطبرى : وأجمعوا انه لا يلاصقه أولا وليكن (٤) بينه وبينه فرجة - فذهب قوئم إلى الأخذ بهذا الحديث فى القيام وسط الجنازة ذكرا كانت أو أنثى ، قال أبو هريرة : فى المرأة ، لاءنه (٥) يسترها عن الناس .

وقيل : كان هذا قبل اتخاذ الأنعشة والقباب ، وهو قول النخعى وئبى حنيفة ، وقال آخرون : هذا حكم المرأة ، فأما الرجل فعند رأسه ؛ لئلا ينظر إلى فرجه ، وأما المراة فمستورة فى النعش ، وهو قول أبى يوسف وابن حنبل .

وقد خرج ابو داود حديثا بمعناه (٦) ، وروى ابن غانم عن مالك نحوه .

[فى المرأة وسكت عن الرجل ، وكان ابن مسعود يعكس فى المرأة ، الرجل] (٧) فى كل ذلك ، وقال به أشهب وابن

(٢)

(٣)

(٦) (٧)

صاقطة من س .

هو أبو بكر عيسى بن محمد بن عيسى ، فقيه أهل المرية ، ومقدمهم فى العلم والرواية والفتيا والأدب ، قال فيه القاضى فى ترتيب المدارك : أخذ عنه جماعة من شيوخنا .

توفى - كما فى الصلة - صنة ٧٠ كل .

ترتيب المدارك ٨ / ١٥٣ ، الصلة ٢ / ٤١٤ .

هو الإمام الفقيه المأمون الزاهد العابد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن دينار النيسابورى لطنفى ، روى عن عمر بن شاهن ، وابو عبد الله الحاكم ، وكان يعظمه ويجله ، وقال فيه : ما رأيت فى مثايخ أصحاب الرأى!مبد نه .

توفى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

تاريخ بغداد ٥ / ٥٢ 4 ، صير ٥ ١ / ٣٨٢ .

فى س : ولكن .

(٥) فى س : أنه .

ابو داود ، كافيلح ئز ، بئين يقوم الإمام من الميت إذا صلى عليه ٢ / ١٨٦ .

من س .

ا لإسناد .

ولم يذكروا : ائم كدب .

مه - (...) وحدثنا محمد بن المثنى وعقبة بن مكربم العمى ، قالا : حدشا ابن أبى عدئ ، عن حسين ، عن عبد الله بن بريلة ؛ قال : قال سمرة بن جندب : لقد كنت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غلافا ، فكنت أحفظ عنه ، فما يمنعنى من القول إلأ أنى هاهنا رجالا هم أسن مئى ، وقد صليت وراء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على امر أة ماتت فى نفاسها ، فقام عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى الضلاة وسطها .

وفى رواية ابن المتتى"قال : حدثنى عبد الله بن بريدة قال : فقام عليها للضلاة وسطها .

شعبان من أصحابنا (١) ، وقال اصحاب الرأى : يقوم فيها حذاء الصدر .

وقيل فى قيام النبى (صلى الله عليه وسلم) وسطها : من اجل جنينيها ، ليكونا أمامه معا .

وقول سمرة : (ما يمنعنى من القول إلا أن هاهنا رجالا هم أسن منى) : من **حسن الأدب** وترك التقديم بيئ يدى الأسن والأعلم ، وهذا مثل قول ابن عيينة وقد قال له سفيان الثورى : لم لا تحدث ؟ فقال : أما ما أنت حى فلا .

(١) وقال ابن القاسم : يقوم من للرجل عند صدره ومن المراة عند منكبيها .

(٢٨) باب ركوب المصلى على الجنازة إذا انصرف

٨٩ - (٩٦٥) حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبى شيبة - واللفظ ليحى - قال

أبو بكر : حدثنا .

وقال يحيى : أخبرنا وكيع – عن مالك بن مغول ، عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة ، قال : اتى النبى (صلى الله عليه وسلم) بفرصبى معرورى ، فركبه حين انصرف من جنازة ابن الدحلل ، ونحن نمشى حوله .

(...) وحذثنا محمد بن المتئى ومحمد بن بشار – واللفظ لابن المثئى – قالا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة ؛ قال :

وقوله : (أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بفرس معرورى) (١) وفى حديث آخر : (بفرصبى عرى) ،

قال الإمام : قال أهل اللغة : يقال : فرس عري وقيل : أعراء ، وقد اعرورا فرسه ، إفا ركبه عريا ، ولا يقال : رجل عرى ، ولكن[يقال : رجل] (٢) عريان .

قال القاضى : قالوا : ولم يأت افعوعل معدى ، إلا قولهم : أعروريت الفرس ، واحلوليت الشى ، ووقع عند العذرى : (وفرس معرور) ولا وجه له .." [(١)]

"وقوله : (فإذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يمشى وحده ، فظننت أنه يكره ان يمشى معه أحد ، فجعلت أمشى / فى ظل القمر) : فيه حسن الأدب مع الكبراء ، وفيه أن الإنسان إذا كان منفردا لا يجب ان يتصور عليه ويلازم أو يجلس معه إلا بإذنه ، ما لم يكن فى موضع المجامع والمساجد والأسواق وشبهها .

وقوله : ادإن زنا دن سرق) : تقدم الكلام عليه أول الكتاب .

وفيه ما كان عليه أبو ذر

من القوة والشدة فى الامر بالمعروف .

وقوله : (فلم أتقار أن قمت) : أى لم يمكنى القرار والثبات .

وقوله : (فنفحج به) : اى أعطى ، واصله الرمى بالشيء .

وقوله : ا لعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عرض له) : أى لقيه احذ من عداه ، يقال : من عرض لى كذا وعرض معا إذا بدا ، وأنكر بعضهم الكسر إلا فى عرضت القول وحدها ، [وقال] (١) أبو زيد الوجهن[فى القول أيضا ، وحكى الفراء الوجهن] (٢) فى الجميع (٣) ، وفى حديث أبى ذر من الفقه

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، ٢٣١/٣

جواز أخذ الدين للضرورة والحاجة إليه ، وقد نص الله على إباحة ذلك ، وجواز قول الرجل للآخر فدتك نفسى ، وفداك أبى وأمى ، وجعلنى الله فداك .

خلافا لمن كره ذلك ، وقال : لا يفذى بمسلم ، وجواز الجواب بلبيك وسعديك .

وقوله : (مالك لا تعتريهم ، وتصيب منهم) : أى تأتيهم تطلب منهم مما فى أيديهم ، يقال : عروته واعتريته واعتروته[واعتررته] (٤) أى أتيته تطلب إليه حاجة .

وقوله : ا لا أسألهم عن دنيا) : كذا فى الأم ، ووجهه : لا أسالهم دنيا ، وكذا

(١) فى س : وحكى .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من س .

(٣) فى س : الجسع .

(٤) ساقطة من س ، والمثبت من هامث! الأصل .

١٦٥ / ب

٥٠٨

كتاب الزكاة / باب فى الكنازين للاموال والتغليظ عليهم

٣٥ - (...) وحدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا أبو الأشهب ، حدعشا خليا العصرى ،

عن الأحنف بن قيس ، قال : كنت فى نفر من قريش ، فمر أبو ذز وهو يقول : بشئر اهانزين بكى فى ظهورهم .

يخرج من جنوبهم ، وبكى من قبل أقفائهم يخرج من جبا!هم .

قال : ثم تنحى فقعد .

قال : قلت : من هنا ؟ قالوا : هنما أبو فز .

قال : فقمت إتئه فقلت : ما شيء!سمعتك تقول قبئل ؟ قال : ماقلت إلا شميئا قد سمعته من نبئهم (صلى الله عليه وسلم) .

قال : قلت : ما تقول فى هنا العطاء ؟ قال : خذه فإن فيه اليوم معونة ، فإذاكان ثمنا لدينك فدعه .

ذكره البخارى (١) ، اى لا أطلب إليهم شيئا من متاعها .

وقوله : (ولا أسألهم عن دين) : يريد : أنه لم يستفتهم (٢) فيه .

(١) للبخارى عن أبى ذر ، كالزكاة ، بما أثى زكاته فليس بكنز ٢ / ١٣٤ .
(٢) فى الأصل : يفتيهم ، والمثبت من س .

(١١) باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف

٣٦ - (٩٩٣) حدئنى زهير بن حرلب ومحمد بن عبد الله بن نمير ، قالا : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبى الزن‌اد ، عن الأعرج عن أبى هريرة .

يبلغ به النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : (قال الله تبارك وتعالى : يا ابن ا!م ، انفق انفق عليك) .

وقال : (يمين الله ملاى - وقال ابن نمير : ملان - سخاء ، لا يغيضها شىء" الليل والنهار لا .

٣٧ - (...) وحدئمنا محمد بن رافع ، حدثنا عبد الررأق بن همام ، حدثنا معمر بن راشد ، عن همام بن منبه ، أخى وهب بن منبه .

قال : هذا ما حدثنا ابو هريرة عن رسول

وقوله : (يمين الله ملاى) ، وفى الرواية الأخرى : (ملان سحاء[لا يغيضها شىء] (١) الليل والنهار) : كذا ضبطناه على القاضى أبى على[وغيره] (٢) بالمد على الوصف ، وعند أبى بحر (سحا) على المصدر ، وانتصب الليل والنهار على الظرف .

والسح : الصب الدائم .

ولا يقال فى المذكر فيه : افعل ، ومثله ديمة هطلاء ، لا يقال فى مذكره : اهطل ، ووقع عند الطبرى فى حديث عبد الرزاق ([و] (٣) لا يغيضها سح الليل والنهار) بالإضافة .

ورفعه على الفاعل ، وعند الآخرين فيه أيضا كما تقدم .

واليمين مونثة ، ووصفها بملاى هو الصواب ، وغيره خطأ .

ورواه بعضهم : (مل) مثل دعا ، قيل : يصح هذا على نقل الهمزة .

وقوله : ا لا يغيضها شىء) : أى لا ينقضها ، قال الله تعالى : ﴿ وما تغيفى الأرحام

وما تز!اد﴾ (٤) : أى ما تنقص ، يقال : غاض الماء وغيض ، وغاضه الله لازم ومتعد .

قال الإمام : هذا مما يتأول ؛ لأن اليمين[التى هى حاجة] (٥) إنما كانت بنسبتها (٦)." [١]

"من أجل أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذكرها .

وقوله : (فنكصت على عقبى) : أى رجعت وانصرفت .

وقوله : (فجا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فدخل عليها بغير إذن) : لأنها زوجته ، وان الله أعلمه أنه زوجه إياها .

وفى خروج النبى (صلى الله عليه وسلم) ودورانه على نسائه حتى يقوم الجالسان عنه **حسن الأدب** مع

كتاب النكاح / باب زواج زينب بنت جحش ...

إلخ

٥٩٩

زاد ابن رافع فى حدثه : لا تدخلوا ئيوت النبى إلأ أن يؤذن لكم إلئ طعا أغير ناظرين إناه﴾ إلى قوله : والئة لا يستحعما من الحق﴾ (١) .

٩٠ - (...) حد طنا أبو الرئيع الرهرانى وأبو كامل فضئل بن ح!مئين وقتيبة بن سعيد ، قالوا : حدثنا حماد - وهو ابن زيد - عن ثابت عن أنس - وفى رواية أبى كامل : سمعت أنسا - قال : مارأيت رسول الله كلبا أ ولم على امرأة - وقال أبو كامل : على شىء - من نسائه ، ما أولم على زينب ، فإنه فبح شاة .

٩١ - ، ...) حلطنا محمد بن عمرو بن عباد بن جبلة بن أبي رؤاد ومحمد بن بشار ، قالا : حدثنا محمد - وهو ابن جعفر - حدثنا شعبة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ما أولم رسول الله كلم! على امرأة من نسائه ثثر أو أفضل مما أولم على زبنب .

فقال ثابتم لبنانى : بما أولم ؟ قال : أطعمهم خبزا ولحما حتى نركوه .

٩٢ - (...) حدثنا يحيي بن حبيب الحارثى ، وعاصم بن الئضر التيمى ، ومحمد بن عبد الأعلى ، كلهم عن معتمر - واللفظ لابن حبيب - حدثنا معتمر بن سليمان قال : سمعت أبى .

حدثنا أبو مجلز ، عن أنس بن مالك قال : : لماانزؤجالنبى

(صلى الله عليه وسلم) زينب بنت جحش ، دعا القوم فطعموا .

ثم جلسوا يتحدثون .

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض، ٣/٢٧٠

قال : فا"خذ كأنه يت!الئ! للقيام فلم يقوموا .

فلما رأى فلك قام ، فلما قام قام من قام من القوم .

زاد عاصثم وابن عبد الأعلى فى حديثهما قال : فقعد ثلاثة" ، وإن الئبى (صلى الله عليه وسلم) جاء ليدخل فإفا القوم جلوش ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا .

قال : فجئت فا"خبرت النى (صلى الله عليه وسلم) أنهم تد انطلقوا .

قال : فجاء حتى دخل ، فن!بت أدخل فا"لقى الحجاب بينى وبينه .

قال : الصاحب واحتمال أذاه ، وماكان عليه – عليه السلام – من حسن الخلق والعشرة ، وأنه – عليه السلام – لما كره جلوسهما لم يأمرهما بالقيام ، وتلطف اولا بالتهيؤ للقيام ليقوما ، فلما لم يقوما تلطف بخروجه ورجوعه ليفهما فيقوما كما كان .

وفيه كراهة التطويل والجلوس عند العروس ، ومن يعلم ال له شغلأ وتفرغا لأمر من
أمور نفسه أو أمور المسلمن .

(١) ١ لأحزلب : ٥٣ .

٦ كتاب النكاح / باب زولمجى زينب بنت جحش ...

إلخ وأنزل الله عر وجل : يا أئها ا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبلأ إلأ أن يؤذن لكم إلن طعام غير ناظرين إناه إلى قوله : ﴿ إيئ ذلكم كان عند الله عظيما (١) .

٣و - (...) وحئثنى عمزو الئاقد ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، حدثنا أبى
عن صالح ، قال ابن شهاب : إن أنس بن ماللث قال : أنا أعلم الناس بالحجاب .

لقد كان أم! بن كعب يسألنى عنه .

قال أنس! : أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عروسا بزينب بنت جحش .

قال : وكان تزؤجها بالمدينة ، فدعا الئاس للطعام بعد ارتفاع النهار ، فجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجلس معه رجال بعد ماقام القوم ، حتى قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فمشى فمشيت معه حئى بلغ باب حجرة عائشقع ثم ظن أنهم قد خرجوا ، فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم ، فرجع فرجعت الثانية ، حتى بلغ حجرة عائشة ، فرجع فرجعت ، فإذا هم قد قاموا ، فضرب بينى وبينه بالستر ، وانزل الله آية لالحجاب .

٩٤ - (...) حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جعفر - يعنى ابن سليمان - عن الجعد
." (١)

"١١ - (...) وحئثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حا شا حسين بن على عن زائدة ، عن سماك ، عن عبد الرخمن بن القاس! ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ أنها اشترت بريرة من اناس من الأنصار ، واشترطوا الولاء
.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (الولاء لمن ولى النعمة) ، وخيرها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وكان زوجها غئدآ وأهدت لعائشة لحما .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : الو صنعتم لنا من هنما اللحم ؟) .

قالت عائشة : تمدق به عبى بريرة .

فقال : (هو لها صدقةي ، ولنا هدية!) .

١٢ - (...) حدثنا محمد بن المثنى ، حا شا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، قال : سمعت عبد الرخمن بن القاس! قال : سمعت القاسم يحدث عن عائشة ؛ أتها أرادت أن تشترى بريرة للعتق ، فاشترطوا ولا ع! ا .

فذكرت فلك لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

فقال : (اشتريها

ويرجع إلى ما تقدم من قوله : ﴿ ف!ض انكم في النين﴾ (١) والايتين الأخرتن .

وفحه جواز إعطاء الصدقات لموالى قريش دان كانت هذه الصدقة تطوعا ، فقد يحتج به
من يرى صدقة التطوع جائزة لمواليهم أو لجميعهم ، وإن قلنا لهذا زكاة واجبة ، فيحتج به (١) الأحزاب :
هـ .

كتاب العتق / باب إنما الولاء لمن أعتق ١١٣ وأعتقيها ، فإن الولاء لمن أعتق) .

واهدى لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لحم ، ففالوا للنبى (صلى الله عليه وسلم) : هنا تصدق به على بريرة .

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للق ا ضي عياض، ٣٠٩/٤

فقال : (هو لها صدقة ، وهو لنا هدئة) .

وخيرت ، فقال عبد الرخمن : وكان زوجها حرا .

قال شعبة : ثم س الته عن زوجها فقال : لا أدرى .

(...) وحدثناه أحمد بن عثمان الئوفلى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة ، بهذا ا لإسن ال نحوه .

١٣ - (...) وحدثنا محمد بن المثئى وابن بشار ، جميعا عن هشام .

قال ابن المتتى : حد!شا مغير ٦ بن سلمة المخزومى وأبو هشام ، حدثنا وهي! ث ، حدثنا عبيد الله ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كان زوج بريرة عبلأ .

١٤ - (...) وحدثنى أبو الطاهر ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى مالك بن أنس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبى (صلى الله عليه وسلم) ؛ أنها قالت : كان فى بريرة ثلاث سنني : خيرت على زوجها حين عتقت ، واهدى لها لحم فدخل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والبرمة على النار ، فدعا بطعام ، ف التى بخبز وادبم من ادم البيت ، فقال : (ألم أر برمة على الئار فيها لحم ؟) فقالوا : بلى ، يا رسول النه ، فلك لحم تصدق به على بريرة ، فكرهنا أن نطعمك منه .

فقال : (هو عليها صدقة وهو منها لنا هدية!) .

وقال النبى (صلى الله عليه وسلم) فيها : (إنما الو لاء لمن أعتق) .

من لا يرى تحريم ذلك على الموالى منهم ، أو يرى اختصاص تحريم الصدقة لبنى هاشم وبنى عبد المطلب لقول عائشة : اهدته لنا بريرة ، وانت لا تأكل الصدقة ، ولم يقل لها النبى : وأنت لا تأكليها ، وإنما يحتمل انها هدية للجميع .

وفيه جواز الاكل مما أهدى للفقير والتصدق به عليه .

وقوله : (ألم أر برمة على النار فيها لحم ؟) فيه سؤال الرجل عما يراه فى بيته ، وليس هذا من الذم وغير مكارم الأخلاق الذى جاء فى حديث أم زرع .

وقوله : ولا يسال عما عهد لأن هذا إنما هو بحث عما عدهه فى بيته .

والسؤال أين ذهب وما صنع به ؟ وأما شيء يجده فيقول وما هو هنا فليس منه ، مع أى سؤاله - عليه السلام - لهم هنا ليبيئ لهم ما

١١٤

كتاب العتق / باب إنما الولاء لمن أعتق

١٥ - (١٥٠٥) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا خالد بن مخلد ، عن سليمان

جهلوه ؛ لأنه - عليه السلام - علم أنهم كانوا لا يبخلون عليه بما يعتقدون جوازه له ، وأنهم إنما قدموا له أدم البيت ، وتركوا اللحم الذى هو سيد الأدم لأمر اعتقدوه فيه ، فيسألهم ليعرف ما اعتقدوه ، ويبين لهم ما جهلوه كما كان .

وفيه من **حسن الأدب** والعشرة ، قوله - عليه السلام - : (ما بال رجال) ، ولم يواجههم بالخطاب ، ولا حرج بأسمائهم .

وفيه جواز الصدقة على العبد ؛ لاستسعائها عائثة ، ولم ينكر ذلك النبى (صلى الله عليه وسلم) وذلك ". (١)

"و (كثرة السوال) فيه تأويلات ، أنه من مسألة الناس ما بأيديهم ، وقيل : يحتمل النهى عن كثرة السوال والتنطع فى المسائل فيما لم ينزل ، وقد كان السلف يكرهون ذلك ويرونه من التكلف .

وقال مالك فى هذا الحديث : لا أدرى أهو ما أنهاكم عنه من كثرة المسائل ؟ فقد كره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسائل وعابها ، أو هو مسألة الناس أموالهم ؟ وقد يكون المراد به سؤال النبى (صلى الله عليه وسلم) عما لم يأذن فى السؤال عظ لقولى تحالى : ﴿ لا تسألوا عن ا شياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ الاية (١) ، وفى الصحيح : (إن أعظم الناس جرما من سأل عن[شيء] (٢) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) لم يحرم فحرم من أجل مسألته) (٣) .

[وقد] (٤) يكون كثرة السؤال عن أخباو / الناس وأحداث الزمان ، وما لا يعنى من الأمور والاضتغال بمثل هذا ، فتكون [بمعنى] (٥) النهى عن قيل وقال .

وقد يكون[كثيرة] (٦) سؤال (٧ (الرجل الناس عن اخباوهم وأحوالهم وتفاصيل أمورهم ، فيدخل بذلك الحرج ة إما بكشف ما لا يريدون كشفه من ذلك بضرورة سؤاله ، وبالكذب والتعريض لستر ذلك عنه إذا كان مما لا يفشى ، وبالجفاء وسوء الأدب أو بالكذب إن ترك الجواب له عنه .

وأما (إضاعة المال) يكون قى تعطيله ، وترك القيام عليه ، أو مصلحته ، مصلحة دنياه ، ومصلحة دنيله صلاح دينه بتفرغ باله له ، وتركه التعرض لما فى أيدى الناس .

وقد تكون إضاعته إنفاقه فى غير وجوهه والإسراف فى ذلك .

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض، ٦٣/٥

(١) ١ لما ئد ة : ١٠١ .

(٢) مئبته من س .

(٣) لليخارى ، كالاعتصام ، بما يكره من كثرة السؤلل ٩ / ١١ ، مسلم ، كالفضائل ، بتوقيره (صلى الله عليه وسلم) وترك إكار سؤاله (٢٣٥٨ / ١٣٢) .

(لا) كاكا .

(٥) فى س : من معنى .

٦١) مثبتة من س .

(٧) فى س : السؤال .

٥٢ / ب

٥٧٠ كتاب الأقضية / باب النهى عن كثرة المسائل ...

إلخ منصور ، عن الشعبى ، عن ور ا د مولى المغيرة بن شعبة ، عن المغيرة بن شعبة ، عن رسول الثه (صلى الله عليه وسلم) قال : (إن الله عز وبئ حرئم عليكم عقوق الأفهات ، و وأد البنات ، ومنعا وهات .

وكره لكم ثلالأ : قيل وقالى وكئرة السئؤال ، ياضاعة المال) .

(...) وحدثنى القاسم بن زكرئأء ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن منصور ، بهذا الإسناد ، مثله .

غير أنه قال : وحرم عليكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ولم يقل : إن الله حرم عليكم .

١٣ - حدثنا أبو بكر بن أ .

ى شيبة ، حدثنا إسماعيل بن علية عن خالد الحنماء ، حدثنى ابن أشوع عن الشعبى ، حدثنى كاتب المغيرة بن شعبة .

قال : كتث معاوية إلى المغيرة : اكتب إلى بشىء سمعته من رسول الته كل! .

فكتب إليه : انى سمعت رسول ادته (صلى الله عليه وسلم) يقول : (إن الله كره لكم ثلاثا قيل وقال ، !اضاعة المال ، و كثرة ا لسئؤال) .

١٤ - (...) حدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ، عن محمد بن سوقة ، أخبرنا محمد بن عبيد الله الثقفى ، عن وراد ، قال : كتب المغيرة إلى معاوية : سلام عليك .

أما بعد ، فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (إن الله حرم

وأما قوله فى الحديث الآخر : (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنع وهات) فلا خلاف أن العقوق من الكبائر ، وكذلك الوأد للبنات .

والوأد : دفنهن أحياء ، كما كانت تفعله الجاهلية .

وحق الأمهات ؛ لأنهن أعظم حقا وكثر حقوقا على الولد ، وقد قال (صلى الله عليه وسلم) : (أمك ، ثم أمك ، ثم أباك! (١) .

وأيضا فإن النساء عند العرب لم تكن لهم تلك الحرمة بخلاف الرجال ، فحض (صلى الله عليه وسلم) على بر الأمهات ، وخص النهى عن عقوقهن تأكيدا لحقوقهن .

وقد جاء فى الحديث الآخر مكان (الأمهات) : (الوالد) والمراد به الجنسن من الذكر والأنثى - والله أعلم - وكذلك خص النهى عن الوأد للبنات ؛ لأن ذلك كانت عادة العرب ، إنما كانوا يخصون به الإناث للغيرة عليهن .

ومنهم من كان يفعله فى الشدائد وخشية الإملاق ، كما قال الله تعالى (٢) .

وكانوا يتجملون بالذكران ويجملون مونثهم بكل حال لرغبتهم فى شدة العضد وكثرة العدد .

(١) سيأتى فى كتاب للبر والصلة إن شاء الله تعالى .

(٢) يعنى آية (٣١) من سورة الإسراء .

كتاب الأقضية / باب النهى عن كثرة المسائل ...

إلخ ٥٧١ ثلاثا ، ونهى عن ثلاث : حرم عقوق الوالد ، ووأد البنات ، ولا وهات .

ونهى عن ثلاث : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، داضاعةا لمال) .

وقوله : (ومنع وهات) ، وفى الرواية الانحرى : (ولا وهات) وهما بمعنى ، فحرم

." (١)

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض، ٢٩٤/٥

"(...) وحئثناه ابو كريب ، حدثنا ابن نمير ، حدثنا هشام! ، عن عبد الرخمن بن سعد ؛ أن عبد الرخمن بن كعب بن مالك وعبد الله بن كعب حدثاه - أو أحد!ما - عن ابيه كعب بن مالك ، عن النبى (صلى الله عليه وسلم) .

بمثله .

وقوله : (كان يثل بثلاثة أصابع) : هو من ادب اجل وسننه ومن المروعة ؛ لأن الاكل بأكثر منها إنما هو من الجشع وسوء الأدب فيه وتكثير اللقم ، وذلك من غير ادابه ومستحسناته ، ولانه غير[مضطر] (١) أثر من ثلاث لجمع لقمته وإمساكها من جهاتها ، إلا أن يضطر إلى غير ذلك لخفة الطعام ، وعدم تلفيفه بالثلاث فيدعمه بالرابعة .

وفيه جواز مسح اليد بعد الطعام بالمنديل وهذا - والله أعلم - فيما لم يحتج فيه لغسل

مما ليس فيه غمر ولزوجة مما لابد منه إلا الغسل ، فقد جاء فى الحديث فى الترغيب فى غسله أوالحذر من تركه ، فذكر أبو داود فى مصنفه ، والترمذى وغيره من رواية أبى هريرة : (من نام وفى يده غمر ولم يغسله فأصابه شىء ، فلا يلومن إلا نفسه) (٢) ، وسئل مالك عن هذا الحديث فلم يعرفه ، وقال الترمذى فيه : حديث حسن غريب .

وقد ذكر اصحاب المصنفات من حديث سلمان عنه - عليه السلام - قال : (بركة الطعام الوضوء قبله وبعده) (٣) ، قال أبو عيسى : ولا نعلمه إلا من حديث قيس بن

(١) ساقطة من الأصل ، والمثبت من ح .

(٢) أبو داود ، كالاشربة ، بغسل اليد من الطعام ٢ / ٣٣٠ ، الترمذى ، كالأشربة ، بما جاء فى كرل!ية البيتوتة فى يده ريح غمر ٢٨٩ / ٤ (١٨٦٠) ، والبيهقى فى السق ، كالصداق ، بغسل اليد قبل الطعام وبعده ٧ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٣) ئبو داود ، كالأطعمة ، بفى غسل اليد قبل الطعام ٢ / ٣١١ ، والترمذى ، كالأطعمة ، بما جا فى الوضوء قبل الطعام وبعده ٤ / ٢٨١ للا لمه ا) .

إلخ ٥٠٣ ١٣٣ - (٢٠٣٣) وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبى الزبير ، عن جابر ؛ أن النبى (صلى الله عليه وسلم) أمر بلعق الأصابع والصحفة ، وقال : (إنكم لا تدرون فى ايه البركة) .

١٣٤ - (...) حدثنا محمد بن كئد الله بن نمير ، حدثنا أم! ، حدثنا سفيان ، عن أم! الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ء (إف! وقعت لقمة أحدكم فليماخن!ا ، فليمط ما كان بها من أش وليماكلط ، ولا يدعها للثمئيطان ، ولا يمسح يده بالمنديل ، حتى يلعق أصابعه ، فإنه لا يدرى فى أئ طعامه البركة .

) .

(...) وحدثناه إسحق بن إبراهيم ، أخبرنا أبوداود الحفرى .

ح وحدثنيه محمد بن رافع ، حدثنا عبد الرزاق ، كلاهما عن سفيان ، بهذا الإسن ال مثله .

وفى حديثهما : (ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقط أو يلعقط) وما بعده .

الربيع وهو ضعيف (١) .

وقد ذكروا حديث ابن عباس ان النبي (صلى الله عليه وسلم) : قرب إليه طعام فقيل له ألا ن أتيك بوضوء ؟ فقال : (إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة! (٢) .

وكان سفيان ومالك والليث يكرهون الوضوء قبل الطعام ، وقال مالك : هو من فعل الأعاجم ، وحكى الدراوردى كراهة مالك له أيضا بعد الطعام ، وكان الليث يراه بعد الطعام ، ولعل مالكا إنما كرهه فيما لا معنى له لمن يده طاهرة ، ومن طعم لا دسم فيه ولا دهونة ، وقد امر - عليه السلام - بالمضمضة من اللبئ وقال : فإن له دسما) (٣) .

وقوله : (إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها ، فليمط ما كان بها من أذى ، وليأكلها

ولا يدعها للشيطان) : أى يزيله وينحيه عنها ، ومعنى ذلك : الا يتركها كبرا عن اكل ما سقط واستهانة بالنعمة ؛ فإن الذى يحمله على ذلك الشيطان ترفيعا لنفسه ، وكبرا عن كلها بعد سقوطها ، وقد يحتمل ان يكون بركتها للشيطان أن يكون له فيها غذاء ، والأول اظهر .

(١) الترمذى ، كالأطعمة ، بما جاء فى دلوضوء قبل دلطعام وبعده ٤ / ٢٨١ رلأ ول\ ) ، ئبو داود ، السابق .

(٢) ئبو دلود ، كالأطعمة ، بفي غسل اليدين عند الطعام ٢ / ٣١٠ .

(٣) البخارى ، كالوضوء ، بهل يمضمض من اللن ٦٣ / ١ ، صلم ، كالحيض ، بنسخ الوضو مما مست النار (٩٥) .

." (١)

"[وقوله : (وتركوا سورا) : هى البقية من الطعام او الشراب] (٢) .

وقوله فى اخر الروايات : (رايت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتقلب ظهرأ لبطن ، وأظنه جائعأ) ، وفى الأخرى عن أنس : (وقد عصب بطنه على حجر ، فسألت ، فقيل : من الجوع ، فذهبت إلى أبى طلحة فاخبرته) وذكر الحديث : فليس فى هذا كله بمخالف ، دانما هى

(١) النور : ٣١ .

(٢) سقط من ح .

كتاب الأشربة / باب جوازاستتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه ...

إلخ ٥٢١ (...) وحدثنى حجاج بن الشاعر ، حد ٨لنا يونس بن محمد ، حد ٨لنا حرب بن ميمولط ، عن النضر بن أندي ، عن أنس بن مالك ، عن النبى (صلى الله عليه وسلم) فى طعام أبى طلحة ، نحو حديثهم .

زيادات من بعض الرواة ، وحفظ بعضهم ما لم يحفظ اخرون ؛ إذ يحتمل أن أنئا نئه أبا طلحة متثبتا فرأى ذلك منه وسمع صوته ، فأتى أم سليم عند ذلك فأخبرها بصفة ما صنعت .

ومعنى قوله : (عصب بطنه على حجر) : قيل : هو استعارة وكناية على شدة الحال

به ، وقيل : بل هو على وجهه ، وهى عادتهم فى بلاد الحجاز ؛ لأن ما يصل من برد الحجر إلى باطن الحشا يبرد حرارة الجوع ويسكن سورته ، أو لأن عادتهم كانت عند ضمور بطونهم شد الحجارة عليها ليعتمد ، وقيل : إنما فعل هذا - عليه السلام - موافقة لأصحابه ، أو ليعلمهم أنه ليس عنده طعام استأثر به دونهم ، وإن كان هو فى هذا الباب بخلافهم لقوله : (إنى لست كهيئتكم ، إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى! (١) .

وفى الباب فى سند هذا الحديث : حدثنا حسن بن الحلوانى ، حدثنا وهب بن جرير

ابن يزيد ، [حدثنا أبى ، سمعت جرير بن يزيد] (٢) ، بزيادة ياء على مثال يعيش ، وهو وهم ، د انما هو : جرير بن زيد ، وهو جرير بن حازم ، ذكره البخارى وابن أبى حاتم الرازى .

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض، ٢٥٨/٦

(١) سبق فى مسلم ، كالصيام ، بالنهى عن الوصال فى الصوم رقم (٦١) .
(٢) سقط من ح .

٥٢٢

كتاب الأشربة / باب جواز أكل المرق ...

إلخ

(٢١) باب جواز كل المرق ، واستحباب كل اليقطين ، ولشار أهل المائدة بعضهم بعضا يان كانوا ضيفانا إذا لم يكره ذلك صاحب الطعام

١٤٤ - (٢٠٤١) حئثنا قتيبة بن سعيد ، عن مالك بن أنس - فيما قرئ عليه - عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ؛ أنه سمع أنس بن مالك يقول : إن خياطا دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لطعام صنعه .

قال أسى بن مالك : فن!بت مع رسمول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى فلك الطعام ، فقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خبزا من شعير ، ومرقا فيه دباء وقديد .

قال أنس! فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتتبع الدباء من حوالى الضحفة .

قال : فلم أزل احجب الدباء منذ يومئذ .

١٤٥ - (...) ! دثنا محمد بن العلاء - أبو كريب - حد شا أبو أسامة ، عن سليمان

ابن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجل ، فانطلقت معه ، فجيء بمرقة فيها دباء ، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يكل من فلك الا"ئاء ويعجبه .

قال : فلما رأيت فلك جعلت ألقيه إليه ولا أطعمه .

قال : فقال أن!مى نجما زلت بعد يعجبنى الدبا .

١٥٣ / ب

وقول أنس : (فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتغ الدباء حوالى الصحفة! ، قال القاضى : الدباء ، بالمد وضم الدال : القرع المأكول فى هذا الحديث ، وقد جاء مقصورا أيضا ، فمن مده قال فى واحده : دباءة ، ومن قصر قال فى الواحدة : دباة .

انبأنا به بعض شيوخنا عن ابى مروان بن سراج : لم يذكر فيها أبو على غير المد .

وقوله : (وجعلت ألقيه إليه ولا اطعمه /) : فيه جواز مناولة من على المائدة ما بين ايديهم بعضهم بعضا مما بين أيديهم ؛ لأن جميعه لهم ، دانما يكره من ذلك أن يتناول من على مائدة لمن على مائدة أخرى ، وقاله ابن المبارك ، وكذلك أن يتناول إنسان ما أمام غيره لاخر ؛ لأنه **يجمع سوء الأدب** ، وعلة اجل مما بين يدى غيره ، وانس هنا لم يكن معه غير النبى – عليه السلام – وكان الطعام بين أيديهما معا لا غير ، فإنما ناول أنس ما بين يدى نفسه ، وغير ذلك كان بين يدى النبى – عليه السلام .

قال الإمام : وتتغ النبى (صلى الله عليه وسلم) الدباء يحتمل أن يكون من باب الطعام المختلف ، أو لأنه

كان ياكل مع من يعلم سروره بذلك ولا يسسقله .

قال القاضى : أو لأن الطعام إنما كان عمل النبى – عليه السلام – فكان جميعه له ؛." [1]

"أحد قوليه وقاله الشافعى وائو حنيفة : أنه لا يخرج منهن إلا من خرجت عليها القرعة ، وأنه من العدل فى أ القسمة] (٦) بينهن .

وقال مالك أيضا : له أن يسافر بمن شاء منهن بغير قرعة ، وأن القسمة هنا سقطت بحكم الضرورة ؛ إذ قد تكون إحداهن أخذ محملا واقل مؤنة للسفر ؛ لخفة جسمها ، وانفرادها عن ولدها ، ونشاطها وتكون أخرى خلاف ذلك ، أو يكون إحداهما أولى بالترك بالقيام على ماله وحشمه والنظر فى ذلك ؛ لعقلها وحسن نظرها وغيرها بخلاف ذلك .

ولم يختلفوا أنها كيف كان الأمر فيها لاتحاسب بمدة السفر ، بل يستأنف القسمة ليلة قدومه بين جميعهن .

وقد مر بنا هذا فى النكاح كفاية .

وفى حديث عائشة هذا فقه كثير وغريب تفسير ، فمن فقهه سوى ما تقدم :

جواز ركوب النساء فى الهوادج ، وجواز أ حرمة] (٧) الرجل لهن فى ذلك وفى الأسفار ، وخروجهن لضروراتهن من حاجة الإنسان بغير إذن أزواجهن ، إذ لو استأذنت

(١) انظر .

غريبط الحديمق ٢ / ٢٣٤ .

(٢) دى ح : الكوفيين ، وانظر لهذه الا"قوال : المبسوط للصرخسى ١٥ / ٧ ، ٨ –

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، ٢٦٨/٦

(٣) انظر : المرجع السابق ، وبداع الصنا ٢ ٣ / ٢٣٣ .

(٤) البتل : القطع : لغة ، ولعل المراد بمعنى المبتول : أى العتق المبتول لكونه ضارا بالورثة وأصحاب الديون .

(٥) سبق فى الوصايا حديث رقم (٥٦) .

(٦) فى ح : القسم .

(٧) فى ح : خدمة .

٩٠ / أ

٩٠ / ب

٢٨٨ كتاب التوبة / باب فى حديث الإفك ...

إلخ

الله (صلى الله عليه وسلم) ، وفلك بعدما أنزل الحجاب ، فأنا أحمل فى هودجى ، وأنزل فيه ، مسيرنا

.

النبى (صلى الله عليه وسلم) فى ذلك لعلم مغيبها ، ومنع خروجهن إلى بيوت ابائهن وقرابتهن إلا بإذن ؛ لاستئذان عائشة فى ذلك النبى (صلى الله عليه وسلم) .

وفيه **حسن الأدب** والمعاملة والعشرة مع النساء الأجانب ، لاسيما فى الخلوة بهن عند الضرورة ، كما فعل صفوان من تركه مكالمة ءائشة وسؤالها ، وأنه لم يزد على الاسترجاع وتقديم مركبها وإعراضه بعد ذلك حتى ركب ، ثم[تقدمه] (١) يقود بها .

وفيه إغاثة الملهوف ، [وعون] (٢) الضعيف ، ! اكرام من له قدر ، كما فعل صفوان

فى ذلك كله .

وفيه ستر ما يقال فى المرء عنه إذا لم يكن لذكره فائدة ، كما عامل الجميع به عائشة حتى أعلمته بها أم مسطح .

وفيه تشكى السلطان وغيره للناس لمن يؤذيه / فى نفسه وأهله والاستعذار منه .

وقوله : (استعذر) ، (ومن يعذرنى) ، (فأنا أعذرك منه) : قيل : من يعذرنى إن كافأته على ما فعل ولا يلومنى ، وقيل : معناه : من[يقصدنى] (٣) ، وهو اليق بهذا المكان ، قاله ابو على فى البارع ، قال : والعذير الناصر .

وقال الداودى : قوله : (انا أعذرك منه) : اى انتصف لك واقوم بما يجب لك .

وفيه مشاورة الرجل بطانته فيما فيه مصلحته من فراق اهله او غير ذلك ، كما فعل النبى (صلى الله عليه وسلم) مع على واسامة .

وفيه الكشف عن الأمور المسموعة والبحث عنها لمن يهمه ذلك ويعنيه .

وأما من غيره فتحسس وفضول ممنوع ، كما سأل – عليه السلام – زينب وبريرة .

قالوا : وفيه جواز تعديل النساء والشهود ، وتعديل بعضهم بعضا .

وقد ترجم البخارى (٤) على هذا ، وهذا ليس بيق ؛ إذ لم يكن شهادة .

والمسألة التى اختلف فيها العلماء إنما هى فى تعديلهن للشهادة ، فمنع من ذلك مالك (٥) والشافعى ومحمد بن الحسن ، واجازه ابو حنيفة فى المرأتين والرجل ، كشهادتهما فى المال .

واحتج الطحاوى (٦)

(١) فى ح : تقدم .

(٢) فى ح : غوث .

(٣) فى ح : ينصرنى .

(٤) انظر : كالشهادات ، بتعديل النساء بعضهن بعضا ٣ / ٢٢٧ .

(٥) انظر : المدونة الكبرى ٥ / ١٦١ .

(٦) هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الازدى ، ولد سنة ٢٣٩ هـ ، وتلقى العلم على خاله إسماعيل بن يحيى المزنى الشافعى ، فانتقل من مذهبه إلى ترجيح مذهب الإمام أبى حنيفة رحمهما الله ، إلا أنه لم يكن مقلدا بل كان فقيها ئقة ثبتا ، فألف " العقيدة الطحاوية! و"كتاب شرح مشكل الآثار) وغيرهما ، وتوفى ١ ٣٢ هـ ، انظر : الأنماب ٤ / ٥٣ ، وفيات الأعيان ١ / ٧١ ، ٧٢ ، تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٠٨ – ١ ٨١ ، البداية وللنهاية ١١ / ١٧٤ .

كتاب التوبة / باب فى حديث الإفك ...

الخ ٢٨٩

حتى إذا فرغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من غزوه ، وقفل ، ودنونا من المدينة ، اذن ليلة بالرحيل .

لذلك بقول زينب فى عائشة ، وقول عائشة فى زينب : (يعصمها الله بالورع) .

قال ومن كانت بهذه الصفة جازت شهادتها .
وهذا ركيك من الكلام جدا ، ولأنه دامامه أبا حنيفة لا يجيزون شهادة النساء إلا فى مواضع مخصوصة ، فكيف يطلقو!ن جواز تزكيتهن ، وفى هذا من التناقض ما فيه .
وفيه فضلية من شهد بدرا ، دانكار ذمهم والدعاء عليهم ، وكذلك يجب فى جميع المسلمين لإنكار عائشة ذلك على أم مسطح .
وفيه معاداة الولى وليه فى الله ، كما فعلت أم مسطح من دعائهن[بها] (١) على ابنها ، وحلف أبى بكر ألا ينفق عليه .
". (١)

" ترجمة أبي شريح وحسن أدبه في مخاطبة الأمير

الكلام عليه من وجوه

الأول : أبو شريح الخزاعي و يقال فيه : العدوي و يقال : الكعبي اسمه خويلد بن عمرو و قيل : هانئ بن عمرو أسلم قبل فتح مكة و توفي بالمدينة سنة ثمان و ستين

الثاني : قوله ائذن لي أيها الأمير في أن أحدثك فيه **حسن الأدب** في المخاطبة للأكابر – لا سيما الملوك – لا سيما فيما يخالف مقصودهم لأن ذلك يكون أدعى للقبول لا سيما في حق من يعرف منه ارتكاب غرضه فإن الغلطة عليه قد تكون سببا لإثارة نفسه و معاندة من يخاطبه

و قوله أحدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه و سلم فسمعته أذناي و وعاه قلبي تحقيق لما يريد أن يخبر به و قوله سمعته أذناي نفي لوهم أن يكون رواه عن غيره و قوله ووعاه قلبي تحقيق لفهمه و التثبت في تعقل معناه ." (٢)

" إلا قضيت بكتاب الله علام تنطلق ؟

قوله [إلا قضيت بيننا بكتاب الله] تنطلق هذه اللفظة على القرآن خاصة وقد ينطلق كتاب الله على حكم الله مطلقا والأولى : حمل هذه اللفظة على هذا لأنه ذكر فيه التغريب وليس ذلك منصوصا في كتاب الله إلا أن يؤخذ ذلك بواسطة أمر الله تعالى بطاعة الرسول وأتباعه

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، ١٤٣/٨

(٢) إحكام الأحكام، ص/٥٩

وفي قوله [وائذن لي] **حسن الأدب** في المخاطبة للأكابر ." (١)

" الحديث ١٧٥ : قسم غنائم حنين و إعطاء المؤلفة قلوبهم و تطييب قلوب الأنصار

الحديث السادس : عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال [لما أفاء الله على رسوله يوم حنين قسم في الناس و في المؤلفة قلوبهم و لم يعط الأنصار شيئا فكأنهم وجدوا في أنفسهم إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال : يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ و كنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ و عالة فأغناكم الله بي ؟ كلما قال شيئا قالوا : الله و رسوله أمن قال : ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ؟ قالوا : الله و رسوله أمن قال : لو شئتم لقلتم جئتنا كذا و كذا ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة و البعير و تذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار و لو سلك الناس واديا أو شعبا لسلكت وادي الأنصار و شعبها الأنصار شعار و الناس دثار إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض]

في الحديث دليل على إعطاء المؤلفة قلوبهم إلا أن هذا ليس من الزكاة فلا يدخل في بابها إلا بطريق أن يقاس إعطاؤهم من الزكاة على إعطائهم من الفيء و الخمس و قوله [فكأنهم وجدوا في أنفسهم] تعبير حسن كسي **حسن الأدب** في الدلالة على ما كان غي أنفسهم و في الحديث دليل على إقامة الحجة عند الحاجة إليها على الخصم و هذا الضلال المشار إليه ضلال الإشراك و الكفر و الهداية بالإيمان و لا شك أن نعمة الإيمان أعلى النعم بحيث لا يوازيها شيء من أمور الدنيا ثم اتبع ذلك بنعمة الألفة و هي أعظم من نعمة الأموال إذ تبذل الأموال في تحصيلها و قد كانت الأنصار في غاية التباعد و التنافر و جرت بينهم حروب قيل المبعث منها يوم بعاث ثم اتبع ذلك بنعمة الغنى و المال و في جواب الصحابة رضي الله عنهم بما أجابوه استعمال الأدب و الاعتراف بالحق الذي كنى عنه بقول الراوي كذا و كذا و قد تبين مصرحا به في رواية أخرى فتأدب الراوي بالكناية و في جملة ذلك جبر للأنصار و تواضع و حسن مخاطبة و معاشرة

و في قوله عليه السلام [ألا ترضون] الخ إثارة لأنفسهم و تنبيه على ما وقعت الغفلة عنه من عظم ما أصابهم بالنسبة إلى ما أصاب غيرهم من عرض الدنيا و في قوله عليه السلام [لولا الهجرة] و ما بعده : إشارة عظيمة بفضيلة الأنصار و قوله [الأنصار شعار و الناس دثار] الشعار الثوب الذي يلي الجسد و الدثار الثوب الذي فوقه و استعمال اللفظين مجاز عن قربهم و اختصاصهم و تمييزهم على غيرهم في ذلك و قوله عليه السلام [إنكم ستلقون بعدي أثرة] علم من أعلام النبوة إذ هو إخبار عن أمر مستقبل وقع على

---

(١) إحكام الأحكام، ص/٢٣٧

وفق ما أخبر به صلى الله عليه و سلم و المراد بالأثرة استئثار الناس عليهم بالدنيا و الله أعلم بالصواب ." (١)

"ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا)﴾ (النساء : ١٧٢) فالتقدير لا يستحق من اتصف بذلك ان يستكبر عليه الذي تتخذونه أيها النصارى الها لاعتقادكم فيه الكمال ولا الملائكة الذين اتخذها غيركم الهة لاعتقادهم فيهم الكمال قلت وقد ذكر ذلك البغوي ملخصا ولفظه لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام عيسى بل ردا على الذين يدعون ان الملائكة آلهة فرد عليهم كما رد على النصارى الذين يدعون التثليث ومنها قوله تعالى ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك﴾ فنفى ان يكون ملكا فدل على انهم أفضل وتعقب بأنه انما نفى ذلك لكونهم طلبوا منه الخزائن وعلم الغيب وان يكون بصفة الملك من ترك الأكل والشرك والجماع وهو من نمط انكارهم ان يرسل الله بشرا مثلهم فنفى عنه أنه ملك ولا يستلزم ذلك التفضيل ومنها انه سبحانه لما وصف جبريل ومحمدا قال في جبريل﴿ انه لقول رسول كريم ﴾وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ بون الوصفين دون بعيد وتعقب بأن ذلك انما سيق للرد على من زعم ان الذي يأتيه شيطان فكان وصف جبريل بذلك تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم فقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم في غير هذا المضع بمثل ما وصف به جبريل هنا وأعظم منه وقد أفرط الزمخشري **في سوء الأدب** هنا وقال كلاما يستلزم تنقيص المقام المحمدي وبالغ الأئمة في الرد عليه في ذلك وهو من زلاته الشنيعة قوله وان تقرب الي شبرا في رواية المستملي والسرخسي بشبر بزيادة موحدة في أوله وسيأتي شرحه في اواخر كتاب التوحيد في باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه.

+١ حدثني محمد بن عبد الرحيم: حدثنا أبو زيد سعيد بن الربيع الهروي: حدثنا شعبة، عن قتادة: عن أنس رضي الله عنه،." (٢)

"بتوحيد الإلهية ، وتوحيد الإلهية يتضمن أحد نوعي الدعاء فإن الإله هو المستحق لأن يدعى دعاء عباده ودعاء مسألة وهو الله لا إله إلا هو، وقوله (إني كنت من الظالمين) اعتراف بالذنب، وهو يتضمن طلب المغفرة. فإن الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب وتارة يسأل بصيغة الخبر. إما بوصف حاله وإما بوصف حال المسؤول وإما بوصف الحالين كقول نوح عليه السلام (رب إني أعوذ بك أن أسألك ما

---

(١) إحكام الأحكام، ص/٣٨٤

(٢) الجواهر الهريرية، ١/٤٣٠

ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) فهذا ليس صيغة طلب وإنما هو إخبار عن الله أنه إن لم يغفر له ويرحمه خسر، ولكن هذا الخبر يتضمن سؤال المغفرة، وكذلك قول آدم عليه السلام (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) هو من هذا الباب ومن ذلك قول موسى عليه السلام (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) فإن هذا وصف لحاله بأنه فقير إلى ما أنزل الله إليه من الخير، وهو متضمن لسؤال الله إنزال الخير إليه ، وقد روى الترمذي وغيره عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال "من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين" رواه الترمذي وقال حديث حسن ورواه مالك بن الحويرث وقال من "شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين" وأظن البيهقي رواه مرفوعا بهذا اللفظ، ، وقد سئل سفيان بن عيينة عن قوله "أفضل الدعاء يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد

وهو على كل شيء قدير" فذكر هذا الحديث وأنشد قول أمية بن أبي الصلت يمدح ابن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوما *كفاه من تعرضه الثناء

قال : فهذا مخلوق يخاطب مخلوقا فكيف بالخالق تعالى ، ومن هذا الباب الدعاء المأثور عن موسى عليه السلام اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان، فهذا خبر يتضمن السؤال. ومن هذا الباب قول أيوب عليه السلام (أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) فوصف نفسه ووصف ربه بوصف يتضمن سؤال رحمته بكشف ضره ، وهي صيغة خبر تضمنت السؤال ، وهذا من باب **حسن الأدب** في." (١)

"قال مقيده الشبيهي تجاوز الله عنه: يتعين على قارئ هذا المحل عدم تلفظه بهذه الجملة الشنيعة، ويقتصر على قوله: " فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا"، لأنها وإن كانت حكاية عن الغير، ففيها من البشاعة وسوء الأدب مع النبي – صلى الله عليه وسلم – مالا يخفى، فلا تسمح نفس مومن بذكرها، هذا ما ظهر لي، ولم أر من نص عليه بخصوصه، وإن كان ربما يؤخذ مما ذكره القاضي عياض في الشفا في الوجه السادس من ذكر وجوه ما فيه تنقيص للنبي – صلى الله عليه وسلم –، فانظره.

... ٤٧٧١– اشتروا أنفسكم من الله: أي خلصوها من عذابه، كأنه قال: أسلموا تسلموا من العذاب، فيكون ذلك كالشراء، كأن الطاعة جعلت ثمن النجاة(١).

---

(١) الخلاصة في شرح الخمسين الشامية، ص/١٠١

... لا أغني عنكم من الله شيئا: قال ابن حجر: (قال – صلى الله عليه وسلم – هذا القول قبل أن يعلمه الله بأنه ليشفع فيمن أراد، وتقبل شفاعته حتى يدخل قوما الجنة بغير حساب، ويرفع درجات آخرين، ويخرج من النار من دخلها بذنوبه، أو كان المقام مقام تخويف وتحذير) هـ(٢).

... وقال المناوي: (قوله: " لا أغني عنكم من الله شيئا" أي بمجرد نفسي من غير ما يكرمني الله به من نحو شفاعة ومغفرة، فخاطبكم بذلك/ رعاية لمقام التخويف) هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمل

مكية.

... ثلاث، أو أربع، أو خمس وتسعون آية(٣).

... " الخبء": من قوله تعالى: " ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض" – النمل ٢٥–: ما خبأت، والمراد بالآية القطر من السماء والنبات من الأرض.

" لا قبل لهم": من قوله تعالى:" ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها"– النمل٣٧–.

---

(١) – باللفظ من الفتح ٦٤٥/٨.

(٢) – الفتح ٦٤٤/٨.

(٣) – هي خمس وتسعون في المدني والمكي، وأربع في البصري والشامي، وثلاث في الكوفي، انظر البيان ص: ١٩٩، والكشف ١٥٤/٢.." [١]

"... هو قلب النخلة، ويسمى شحم النخل، أي جواز أكله.

... ٥٤٤٤– لما بركته بركة المسلم: لأنها لا تسقط منها أبلحة، كما لا تسقط للمسلم دعوة، أو لعموم نفعها في جميع أطوارها، كما أن المسلم نفعه عام. فظننت: بقرينة حضور الجمار.

٤٣– باب العجوة:

... أي فضلها على غيرها، وهي نوع جيد من التمر يقال لها أم التمر، ونقل الثقة عن خط الشيخ سيدي محمد بناصر الدرعي(١) أن العجوة هي النوع المسمى في درعة بأمكت –بفتح الهمزة والميم والكاف المشددة وسكون التاء –، وقيل هي النوع المسمى عندنا بالفكوس.

---

(١) إتحاف القاري بدرر البخاري، ٣١/٧

... ٥٤٤٥- من تصبح: أكل صباحا قبل أن يأكل شيئا. سبع تمرات عجوة: زاد في رواية عند مسلم وغيره: (من تمر المدينة)(٢)، لم يضره...إلخ: وليس هذا من صنعها، إنما هو سر موضوع فيها اختص بعلمه الشارع صلوات الله وسلامه عليه، انظركتاب الطب.

٤٤- باب القران في التمر:

... القران ضم تمرة إلى أخرى عند الأكل، أي بيان حكمه.

... ٥٤٤٦- سنة: جدب. نهى عن الإقران: الأقفهسي: (النهي للكراهة إن عللنا بسوء الأدب، وإن عللنا بالاستبداد -وكان القوم شركاء إما بالشراء أو مطعمين- كان النهي نهي تحريم) هـ، نقله الشاذلي، ثم قال: (ولا مفهوم للتمر، بل كذلك سائرالأطعمة والفواكه) هـ.

---

(١) - محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن محمد بناصر الدرعي الناصري.

فقيه مغربي، رحل إلى الحجاز.

له: المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا، والرحلة الحجازية الكبرى.

توفي سنة ١٢٣٩هـ.

ترجمته في: فهرس الفهارس ٢١٩/٢، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى ٦٨-٦٩.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه ١٤٣/٢ في الأشربة الباب ٢٥ ، وأبو داود في الطب رقم ٣٨٧٦.."
(١)

"

ويستحب أن يطلب الإنسان من صاحبه الصالح أن يزوره، وأن يكثر من زيارته فقد ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لجبريل – عليه السلام –: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت ؟وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا؟[مريم: ٦٤]»(١).

ومن آداب المزور أن يكرم الزائر، ومن مستحباته: أن يكرم الزائر، وأن يلقي السجادة أو نحوها تحته، وأن يقوم بخدمته، ولا ينبغي للزائر أن يرد كرامة المزور عليه، وأن يقول أحدهما للآخر: كيف أصبحت وكيف حالك؟ فيقول له: صاحبه أصبحت مؤمنا أو في خير وعافية والحمد لله رب العالمين، ثم إذا استقر به

---

(١) إتحاف القاري بدرر البخاري، ١٨٧/٨

المكان قدم له ما حضر من طعام أو شراب لله در القائل:

قدم لزائرك الطعام وحيه ... حتى يراه كأنه في حيه

والبيت إن لم يلق مأكول به ... لا فرق بين الميت فيه وحيه

ومنها: أنه يتهيأ رلقاء الإخوان ويتجمل لهم فيلبس من أنظف ثيابه، ويتطيب ويتوضأ وضوء للصلاة، ويتزين لهم ما استطاع ثم يخرج إليهم.

قال صاحب الأنوار في آخر كتاب الغسل، ويستحب لمن يصحب الناس التنظيف بالسواك، وأخذ الشعر، واستعمال الطيب، وقطع الروائح الكريهة، **وحسن الأدب** معهم، لتزويد المودة والوقار، وأن يتمسك بصحبته الصديق الصدوق.

فقد كان السلف إذا ظفروا بما يصلح للصداقة يتمسكون به ولم يضيعوه، علما بأن الصديق الصدوق أعز من الكبريت الأحمر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٧٦٠/٤، رقم ٤٤٥٤) عن ابن عباس.

وأخرجه أيضا: الترمذي في سننه (٣١٦/٥، رقم ٣١٥٨)، والنسائي في السنن الكبرى (٣٩٤/٦، رقم ١١٣١٩)، وأحمد في مسنده (٣٥٧/١، رقم ٣٣٦٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٣/١٢، رقم ١٢٣٨٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١١٦/٥).." [١]

"ومنها: أنه يستحب للعالم أن يحرض الناس ويحثهم على العلم وفهمه.

ومنها: أنه يستحب للإنسان الحياء خصوصا بحضرة الأكابر، ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة، ولهذا تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت.

ومنها: أن فيه دلالة على أنه ينبغي الأدب مع الأكابر والإخوان والأصحاب، والأدب هو ما يتولد من صفاء القلب وحضوره، ويقال: هو الخلق على بساط الصدق ومطالعة الحقائق بقطع العلائق، وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن الله تعالى أدبني فأحسن تأديبي، وأثنى علي **بحسن الأدب** حتى قال: ؟ما زاغ البصر وما طغى؟[الرحمن: ١٧]» (١).

وكان من دعائه - صلى الله عليه وسلم -: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي» (٢) قيل معناه: أن كمال النعيم في حسن الخلق، وكمال الأدب في حسن الخلق.

---

(١) شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، ١٧/٢٠

وقال – صلى الله عليه وسلم –: «إذا أراد الله بعد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه» (٣).
ومنها: أنه يستحب للصغير أن يوقر الكبير، ويستحب للولد أن يقدم أباه في القول على نفسه، وأن لا يتقدم عليه بما فهمه وإن ظن أنه الصواب توقيرا له وإجلالا، فقد ورد في مسند ابن ماجة القزويني(٤) عن أنس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «جالس العلماء تعرف في السماء، ووقر كبير المسلمين تجاورني في الجنة، واعطف على الطفل الصغير تكن في شفاعتي يوم القيامة».

(١) أورده بنحوه ابن الجوزي في العلل (١/١٧٨، رقم ٢٨٤) عن علي.
(٢) أخرجه أحمد (٦/٦٨، رقم ٢٤٤٣٧)، قال الهيثمي (١٠/١٧٣): رجاله رجال الصحيح.
(٣) أخرجه هناد في الزهد (١/٢٩٠، رقم ٥٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢/٢٦٤) عن أم سلمة.
(٤) هاكذا بالأصل: مسند ابن ماجة القزويني، ويحتمل أن له مسندا غير السنن وقف عليه المصنف، والحديث ليس في سننه والله أعلم.." [١]

"فلما كان السحر غالبا على أهل زمان موسى كانت معجزته شبيهة بالسحر، وإن كانت مخالفة للسحر في الحقيقة.
ولما كان الطب غالبا على أهل زمان عيسى كانت معجزته من جنس الطب.
ولما كانت الفصاحة غالبة على أهل زمان محمد – صلى الله عليه وسلم – لا جرم كانت معجزته من جنس الفصاحة.
ثم أرسل فرعون وجمع السحرة من مدائن الصعيد، وكانت سبع مدائن فاجتمعوا عنده بالأسكندرية.
فائدة: اختلف العلماء في عدد السحرة:
فقيل: كانوا ثمانين ألفا.
وقيل: سبعين ألفا.
وقيل: بضعة وثلاثين ألفا، وكانوا صفوفا.
فقد ذكر بعضهم في تفسير قوله تعالى: ؟ثم ائتوا صفا؟[طه: ٦٤] أنهم كانوا صفوفا كل صف ألف.
فعلى القول الأول: كانوا ثمانين صفا.
وعلى الثاني: سبعين صفا.

(١) شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، ٥/٣١

وعلى الثالث: بضعة وثلاثين.

وكان متقدمهم شمعون أبو حنة فلما اجتمعوا قالوا لفرعون: أتجعل لنا جعلا إن غلبنا موسى؟ فقال لهم: نعم لكم علي جعل وتصيرون عندي من المقربين في مجلسي، وأول من يدخل علي وآخر من يخرج، هذا معنى قوله تعالى: ؟وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين؟[الشعراء: ٤١، ٤٢].

فلما أرادوا إلقاء سحرهم وإظهاره راعوا **حسن الأدب** مع سيدنا موسى، حيث لم يتقدموا عليه بل قالوا له كما قال الله تعالى حكاية عنهم: ؟إما أن تلقي؟[الأعراف: ١١٥] أي: عصاك ؟وإما أن نكون نحن الملقين؟[الأعراف: ١١٥] أي: ما معنا من الحبال والعصي، وكان مع كل واحد منهم حبل وعصا.

قال أهل التصوف: لما راعوا هذا الأدب رزقهم الله الإيمان.

وقال لهم موسى عليه – عليه السلام –: ألقوا ما أنتم ملقون.

وهنا سؤال: وهو كيف أمرهم موسى بإلقاء حبالهم وعصيهم، وفي الإلقاء معارضة للمعجزة بالسحر، وذلك كفر والأمر بالكفر كفر.." (١)

"٩٨٦ – قوله : (خسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى)

استدل به على أنه صلى الله عليه وسلم كان يحافظ على الوضوء فلهذا لم يحتج إلى الوضوء في تلك الحال ، وفيه نظر لأن في السياق حذفا سيأتي في رواية ابن شهاب " خسفت الشمس فخرج إلى المسجد فصف الناس وراءه " وفي رواية عمرة " فخسفت فرجع ضحى فمر بين الحجر ثم قام يصلي " وإذا ثبتت هذه الأفعال جاز أن يكون حذف أيضا فتوضأ ثم قام يصلي فلا يكون نصا في أنه كان على وضوء .

قوله : (فأطال القيام)

في رواية ابن شهاب " فاقترأ قراءة طويلة " وفي أواخر الصلاة من وجه آخر عنه " فقرأ بسورة طويلة " وفي حديث ابن عباس بعد أربعة أبواب " فقرأ نحوا من سورة البقرة في الركعة الأولى " ونحوه لأبي داود من طريق سليمان بن يسار عن عروة وزاد فيه أنه " قرأ في القيام الأول من الركعة الثانية نحوا من آل عمران " .

قوله : (ثم قام فأطال القيام)

في رواية ابن شهاب " ثم قال سمع الله لمن حمده " وزاد من وجه آخر عنه في أواخر الكسوف " ربنا ولك الحمد " واستدل به على استحباب الذكر المشروع في الاعتدال في أول القيام الثاني من الركعة الأولى

---

(١) شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، ١١/٤٤

، واستشكله بعض متأخري الشافعية من جهة كونه قيام قراءة لا قيام اعتدال بدليل اتفاق العلماء ممن قال بزيادة الركوع في كل ركعة على قراءة الفاتحة فيه وإن كان محمد بن مسلمة المالكي خالف فيه ، والجواب أن صلاة الكسوف جاءت على صفة مخصوصة فلا مدخل للقياس فيها ، بل كل ما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم فعله فيها كان مشروعا لأنها أصل برأسه ، وبهذا المعنى رد الجمهور على من قاسها على صلاة النافلة حتى منع من زيادة الركوع فيها . وقد أشار الطحاوي إلى أن قول أصحابه جرى على القياس في صلاة النوافل ، لكن اعترض بأن القياس مع وجود النص يضمحل ، وبأن صلاة الكسوف أشبه بصلاة العيد ونحوها مما يجمع فيه من مطلق النوافل ، فامتازت صلاة الجنازة بترك الركوع والسجود ، وصلاة العيدين بزيادة التكبيرات ، وصلاة الخوف بزيادة الأفعال الكثيرة واستدبار القبلة ، فكذلك اختصت صلاة الكسوف بزيادة الركوع ، فالأخذ به جامع بين العمل بالنص والقياس بخلاف من لم يعمل به .

قوله : (فأطال الركوع)

لم أر في شيء من الطرق بيان ما قال فيه ، إلا أن العلماء اتفقوا على أنه لا قراءة فيه ، وإنما فيه الذكر من تسبيح وتكبير ونحوهما ، ولم يقع في هذه الرواية ذكر تطويل الاعتدال الذي يقع فيه السجود بعده ، ولا تطويل الجلوس بين السجدتين ، وسيأتي البحث فيه في " باب طول السجود " قوله : (ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعله في الأولى) وقع ذلك مفسرا في رواية عمرة الآتية .

قوله : (ثم انصرف)

أي من الصلاة

(وقد تجلت الشمس)

في رواية ابن شهاب " انجلت الشمس قبل أن ينصرف " وللنسائي " ثم تشهد وسلم " .

قوله :) فخطب الناس)

فيه مشروعية الخطبة للكسوف ، والعجب أن مالكا روى حديث هشام هذا وفيه التصريح بالخطبة ولم يقل به أصحابه ، وسيأتي البحث فيه بعد باب . واستدل به على أن الانجلاء لا يسقط الخطبة ، بخلاف ما لو انجلت قبل أن يشرع في الصلاة فإنه يسقط الصلاة والخطبة ، فلو انجلت في أثناء الصلاة أتمها على الهيئة المذكورة عند من قال بها ، وسيأتي ذكر دليله ، وعن أصبغ : يتمها على هيئة النوافل المعتادة .

قوله : (فحمد الله وأثنى عليه)

زاد النسائي في حديث سمرة " وشهد أنه عبد الله ورسوله " .

قوله : (فاذكروا الله)

في رواية الكشميهني " فادعوا الله " .

قوله : (والله ما من أحد)

فيه القسم لتأكيد الخبر وإن كان السامع غير شاك فيه .

قوله : (ما من أحد أغير) بالنصب على أنه الخبر وعلى أن " من " زائدة ، ويجوز فيه الرفع على لغة تميم ، أو " أغير " مخفوض صفة لأحد ، والخبر محذوف تقديره موجود .

قوله : (أغير)

أفعل تفضيل من الغيرة بفتح الغين المعجمة وهي في اللغة تغير يحصل من الحمية والأنفة ، وأصلها في الزوجين والأهلين وكل ذلك محال على الله تعالى صلى الله عليه وسلم لأنه منزه عن كل تغير ونقص فيتعين حمله على المجاز ، فقيل : لما كانت ثمرة الغيرة صون الحريم ومنعهم وزجر من يقصد إليهم ، أطلق عليه ذلك لكونه منع من فعل ذلك وزجر فاعله وتوعده ، فهو من باب تسمية الشيء بما يترتب عليه . وقال ابن فورك : المعنى ما أحد أكثر زجرا عن الفواحش من الله . وقال : غيرة الله ما يغير من حال العاصي بانتقامه منه في الدنيا والآخرة أو في إحداهما ، ومنه قوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال ابن دقيق العيد : أهل التنزيه في مثل هذا على قولين ، إما ساكت ، وإما مؤول على أن المراد بالغيرة شدة المنع والحماية ، فهو من مجاز الملازمة . وقال الطيبي وغيره : وجه اتصال هذا المعنى بما قبله من قوله " فاذكروا الله إلخ " من جهة أنهم لما أمروا باستدفاع البلاء بالذكر والدعاء والصلاة والصدقة ناسب ردعهم عن المعاصي التي هي من أسباب جلب البلاء ، وخص منها الزنا لأنه أعظمها في ذلك . وقيل : لما كانت هذه المعصية من أقبح المعاصي وأشدها تأثيرا في إثارة النفوس وغلبة الغضب ناسب ذلك تخويفهم في هذا المقام من مؤاخذة رب الغيرة وخالقها سبحانه وتعالى . وقوله " يا أمة محمد " فيه معنى الإشفاق كما يخاطب الوالد ولده إذا أشفق عليه بقوله " يا بني "كذا قيل ، وكان قضية ذلك أن يقول يا أمتي لكن لعدوله عن المضمر إلى المظهر حكمة ، وكأنها بسبب كون المقام مقام تحذير وتخويف لما في الإضافة إلى الضمير من الإشعار بالتكريم ، ومثله " يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا " الحديث . وصدر صلى الله عليه وسلم كلامه باليمين لإرادة التأكيد للخبر وإن كان لا يرتاب في صدقه ، ولعل تخصيص العبد والأمة بالذكر رعاية **لحسن الأدب** مع الله تعالى لتنزهه عن الزوجة والأهل ممن يتعلق بهم الغيرة غالبا . ويؤخذ من قوله " يا أمة محمد " أن الواعظ ينبغي له حال وعظه أن لا يأتي بكلام

فيه تفخيم لنفسه ، بل يبالغ في التواضع لأنه أقرب إلى انتفاع من يسمعه .
قوله : (لو تعلمون ما أعلم)
أي من عظيم قدرة الله وانتقامه من أهل الإجرام ، وقيل معناه لو دام علمكم كما دام علمي ، لأن علمه متواصل بخلاف غيره ، وقيل : معناه لو علمتم من سعة رحمة الله وحلمه وغير ذلك ما أعلم لبكيتم على ما فاتكم من ذلك .
قوله : (لضحكتم قليلا)
قيل معنى القلة هنا العدم ، والتقدير لتركتم الضحك ولم يقع منكم إلا نادرا لغلبة الخوف واستيلاء الحزن . وحكى ابن بطال عن المهلب أن سبب ذلك ما كان عليه الأنصار من محبة اللهو والغناء . وأطال في تقرير ذلك بما لا طائل فيه ولا دليل عليه . ومن أين له أن المخاطب بذلك الأنصار دون غيرهم ؟ والقصة كانت في أواخر زمنه صلى الله عليه وسلم حيث امتلأت المدينة بأهل مكة ووفود العرب وقد بالغ الزين بن المنير في الرد عليه والتشنيع بما يستغنى عن حكايته . وفي الحديث ترجيح التخويف في الخطبة على التوسع في الترخيص لما في ذكر الرخص من ملاءمة النفوس لما جبلت عليه من الشهوة ، والطبيب الحاذق يقابل العلة بما يضادها لا بما يزيدها . واستدل به على أن لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزائد على العادة في القيام وغيره ، ومن زيادة ركوع في كل ركعة . وقد وافق عائشة على رواية ذلك عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو متفق عليهما ، ومثله عن أسماء بنت أبي بكر كما تقدم في صفة الصلاة ، وعن جابر عند مسلم ، وعن علي عند أحمد ، وعن أبي هريرة عند النسائي ، وعن ابن عمر عند البزار ، وعن أم سفيان عند الطبراني وفي رواياتهم زيادة رواها الحفاظ الثقات فالأخذ بها أولى من إلغائها وبذلك قال جمهور أهل العلم من أهل الفتيا ، وقد وردت الزيادة في ذلك من طرق أخرى فعند مسلم من وجه آخر عن عائشة ، وآخر عن جابر أن في كل ركعة ثلاث ركوعات ، وعنده من وجه آخر عن ابن عباس أن في كل ركعة أربع ركوعات ، ولأبي داود من حديث أبي بن كعب ، والبزار من حديث علي أن في كل ركعة خمس ركوعات ، ولا يخلو إسناد منها عن علة وقد أوضح ذلك البيهقي وابن عبد البر ، ونقل صاحب الهدى عن الشافعي وأحمد والبخاري أنهم كانوا يعدون الزيادة على الركوعين في كل ركعة غلطا من بعض الرواة ، فإن أكثر طرق الحديث يمكن رد بعضها إلى بعض ، ويجمعها أن ذلك يوم مات إبراهيم عليه السلام وإذا اتحدت تعين الأخذ بالراجح ، وجمع بعضهم بين هذه الأحاديث بتعدد الواقعة ، وأن الكسوف وقع مرارا ، فيكون كل من هذه الأوجه جائزا ، وإلى ذلك نحا إسحاق لكن لم تثبت عنده الزيادة على أربع ركوعات . وقال ابن

خزيمة وابن المنذر والخطابي وغيرهم من الشافعية : يجوز العمل بجميع ما ثبت من ذلك وهو من الاختلاف المباح ، وقواه النووي في شرح مسلم ، وأبدى بعضهم أن حكمة الزيادة في الركوع والنقص كان بحسب سرعة الانجلاء وبطئه ، فحين وقع الانجلاء في أول ركوع اقتصر على مثل النافلة ، وحين أبطأ زاد ركوعا ، وحين زاد في الإبطاء زاد ثالثا وهكذا إلى غاية ما ورد في ذلك . وتعقبه النووي وغيره بأن إبطاء الانجلاء وعدمه لا يعلم في أول الحال ولا في الركعة الأولى ، وقد اتفقت الروايات على أن عدد الركوع في الركعتين سواء ، وهذا يدل على أنه مقصود في نفسه منوي من أول الحال . وأجيب باحتمال أن يكون الاعتماد على الركعة الأولى ، وأما الثانية فهي تبع لها فمهما اتفق وقوعه في الأولى بسبب بطء الانجلاء يقع مثله في الثانية ليساوي بينهما ، ومن ثم قال أصبغ كما تقدم : إذا وقع الانجلاء في أثنائه يصلي الثانية كالعادة . وعلى هذا فيدخل المصلي فيها على نية مطلق الصلاة ، ويزيد في الركوع بحسب الكسوف ، ولا مانع من ذلك . وأجاب بعض الحنفية عن زيادة الركوع بحمله على رفع الرأس لرؤية الشمس هل انجلت أم لا ؟ فإذا لم يرها انجلت رجع إلى ركوعه ففعل ذلك مرة أو مرارا فظن بعض من رآه يفعل ذلك ركوعا زائدا . وتعقب بالأحاديث الصحيحة الصريحة في أنه أطال القيام بين الركوعين ولو كان الرفع لرؤية الشمس فقط لم يحتج إلى تطويل ، ولا سيما الأخبار الصريحة بأنه ذكر ذلك الاعتدال ثم شرع في القراءة فكل ذلك يرد هذا الحمل ، ولو كان كما زعم هذا القائل لكان فيه إخراج لفعل الرسول عن العبادة المشروعة أو لزم منه إثبات هيئة في الصلاة لا عهد بها وهو ما فر منه . وفي حديث عائشة من الفوائد غير ما تقدم المبادرة بالصلاة وسائر ما ذكر عند الكسوف ، والزجر عن كثرة الضحك ، والحث على كثرة البكاء ، والتحقق بما سيصير إليه المرء من الموت والفناء والاعتبار بآيات الله . وفيه الرد على من زعم أن للكواكب تأثيرا في الأرض لانتفاء ذلك عن الشمس والقمر فكيف بما دونهما . وفيه تقديم الإمام في الموقف ، وتعديل الصفوف ، والتكبير بعد الوقوف في موضع الصلاة ، وبيان ما يخشى اعتقاده على غير الصواب ، واهتمام الصحابة بنقل أفعال النبي صلى الله عليه وسلم ليقتدى به فيها . ومن حكمة وقوع الكسوف تبيين أنموذج ما سيقع في القيامة ، وصورة عقاب من لم يذنب ، والتنبيه على سلوك طريق الخوف مع الرجاء لوقوع الكسوف بالكوكب ثم كشف ذلك عنه ليكون المؤمن من ربه على خوف ورجاء . وفي الكسوف إشارة إلى تقبيح رأي من يعبد الشمس أو القمر ، وحمل بعضهم الأمر في قوله تعالى (لا تسجدوا للشمس ولا

للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن) على صلاة الكسوف لأنه الوقت الذي يناسب الإعراض عن عبادتهما لما يظهر فيهما من التغيير والنقص المنزه عنه المعبود جل وعلا سبحانه وتعالى .." (١)

"١٢٠٤ – قوله : (حدثنا عبدان ومحمد)

هو ابن مقاتل ، وعبد الله هو ابن المبارك .

قوله : (عن أبي عثمان)

هو النهدي كما صرح به في التوحيد من طريق حماد عن عاصم ، وفي رواية شعبة في أواخر الطب عن عاصم سمعت أبا عثمان .

قوله : (أرسلت بنت النبي صلى الله عليه وسلم)

هي زينب كما وقع في رواية أبي معاوية عن عاصم المذكور في مصنف ابن أبي شيبة .

قوله (إن ابنا لي)

قيل هو علي بن أبي العاص بن الربيع ، وهو من زينب كذا كتب الدمياطي بخطه في الحاشية ، وفيه نظر لأنه لم يقع مسمى في شيء من طرق هذا الحديث . وأيضا فقد ذكر الزبير بن بكار وغيره من أهل العلم بالأخبار أن عليا المذكور عاش حتى ناهز الحلم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أردفه على راحلته يوم فتح مكة ، ومثل هذا لا يقال في حقه صبي عرفا ، وإن جاز من حيث اللغة . ووجدت في الأنساب للبلاذري أن عبد الله بن عثمان بن عفان من رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم لما مات وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في حجره وقال " إنما يرحم الله من عباده الرحماء " وفي مسند البزار من حديث أبي هريرة قال ثقل ابن لفاطمة فبعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو حديث الباب وفيه مراجعة سعد بن عبادة في البكاء ، فعلى هذا فالابن المذكور محسن بن علي بن أبي طالب ، وقد اتفق أهل العلم بالأخبار أنه مات صغيرا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا أولى أن يفسر به الابن إن ثبت أن القصة كانت لصبي ولم يثبت أن المرسلة زينب ، لكن الصواب في حديث الباب أن المرسلة زينب وأن الولد صبية كما ثبت في مسند أحمد عن أبي معاوية بالسند المذكور ولفظه " أتي النبي صلى الله عليه وسلم بأمامة بنت زينب " زاد سعدان بن نصر في الثاني من حديثه عن أبي معاوية بهذا الإسناد " وهي لأبي العاص بن الربيع ونفسها تقعقع كأنها في شن " فذكر حديث الباب ، وفيه مراجعة سعد بن عبادة . وهكذا أخرجه أبو سعيد بن الأعرابي في معجمه عن سعدان ، ووقع في رواية بعضهم أميمة بالتصغير ، وهي

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤٩١/٣

أمامة المذكورة ، فقد اتفق أهل العلم بالنسب أن زينب لم تلد لأبي العاص إلا عليا وأمامة فقط ، وقد استشكل ذلك من حيث إن أهل العلم بالأخبار اتفقوا على أن أمامة بنت أبي العاص من زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم عاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة ، ثم عاشت عند علي حتى قتل عنها . ويجاب بأن المراد بقوله في حديث الباب " أن ابنا لي قبض " أي قارب أن يقبض ، ويدل على ذلك أن في رواية حماد " أرسلت تدعوه إلى ابنها في الموت " وفي رواية شعبة " أن ابنتي قد حضرت " وهو عند أبي داود من طريقه أن ابني أو ابنتي ، وقد قدمنا أن الصواب قول من قال ابنتي لا ابني ، ومؤيده ما رواه الطبراني في ترجمة عبد الرحمن بن عوف في المعجم الكبير من طريق الوليد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده قال " استعز بأمامة بنت أبي العاص فبعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه تقول له " فذكر نحو حديث أسامة وفيه مراجعة سعد في البكاء وغير ذلك ، وقوله في هذه الرواية " استعز " بضم المثناة وكسر المهملة وتشديد الزاي أي اشتد بها المرض وأشرفت على الموت ، والذي يظهر أن الله تعالى أكرم نبيه صلى الله عليه وسلم لما سلم لأمر ربه وصبر ابنته ولم يملك مع ذلك عينيه من الرحمة والشفقة بأن عافى الله ابنة ابنته في ذلك الوقت فخلصت من تلك الشدة وعاشت تلك المدة ، وهذا ينبغي أن يذكر في دلائل النبوة والله المستعان .

قوله : (يقرئ السلام)

بضم أوله .

قوله : (إن لله ما أخذ وله ما أعطى)

قدم ذكر الأخذ على الإعطاء - وإن كان متأخرا في الواقع - لما يقتضيه المقام ، والمعنى أن الذي أراد الله أن يأخذه هو الذي كان أعطاه ، فإن أخذه أخذ ما هو له ، فلا ينبغي الجزع لأن مستودع الأمانة لا ينبغي له أن يجزع إذا استعيدت منه ، ويحتمل أن يكون المراد بالإعطاء إعطاء الحياة لمن بقي بعد الميت ، أو ثوابهم على المصيبة ، أو ما هو أعم من ذلك . و " ما " في الموضعين مصدرية ، ويحتمل أن تكون موصولة والعائد محذوف ، فعل الأول التقدير لله الأخذ والإعطاء ، وعلى الثاني لله الذي أخذه من الأولاد وله ما أعطى منهم ، أو ما هو أعم من ذلك كما تقدم .

قوله : (وكل)

أي من الأخذ والإعطاء - أو من الأنفس - أو ما هو أعم من ذلك ، وهي جملة ابتدائية معطوفة على الجملة المؤكدة ، ويجوز في كل النصب عطفا على اسم إن فينسحب التأكيد أيضا عليه ، ومعنى العندية

العلم فهو من مجاز الملازمة ، والأجل يطلق على الحد الأخير وعلى مجموع العمر ،

وقوله (مسمى)

أي معلوم مقدر أو نحو ذلك .

قوله : (ولتحتسب)

أي تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها ، ليحسب لها ذلك من عملها الصالح

قوله (فأرسلت إليه تقسم)

وقع في حديث عبد الرحمن بن عوف أنها راجعته مرتين وأنه إنما قام في ثالث مرة ، وكأنها ألحت عليه في ذلك دفعا لما يظنه بعض أهل الجهل أنها ناقصة المكانة عنده ، أو ألهمها الله تعالى أن حضور نبيه عندها يدفع عنها ما هي فيه من الألم ببركة دعائه وحضوره ، فحقق الله ظنها . والظاهر أنه امتنع أولا مبالغة في إظهار التسليم لربه ، أو ليبين الجواز في أن من دعي لمثل ذلك لم تجب عليه الإجابة بخلاف الوليمة مثلا .

قوله : (فقام ومعه)

في رواية حماد " فقام وقام معه رجال " وقد سمي منهم غير من ذكر في هذه الرواية عبادة بن الصامت وهو في رواية عبد الواحد في أوائل التوحيد ، وفي رواية شعبة أن أسامة راوي الحديث كان معهم ، وفي رواية عبد الرحمن بن عوف أنه كان معهم ، ووقع في رواية شعبة في الأيمان والنذور وأبي أو أبي كذا فيه بالشك هل قالها بفتح الهمزة وكسر الموحدة وتخفيف الياء أو بضم الهمزة وفتح الموحدة والتشديد ، فعلى الأول يكون معهم زيد بن حارثة أيضا لكن الثاني أرجح لأنه ثبت في رواية هذا الباب بلفظ " وأبي بن كعب " والظاهر أن الشك فيه من شعبة لأن ذلك لم يقع في رواية غيره والله أعلم .

قوله : (فرفع)

كذا هنا بالراء ، وفي رواية حماد " فدفع " بالدال وبين في رواية شعبة أنه وضع في حجره صلى الله عليه وسلم . وفي هذا السياق حذف والتقدير فمشوا إلى أن وصلوا إلى بيتها فاستأذنوا فأذن لهم فدخلوا فرفع ، ووقع بعض هذا المحذوف في رواية عبد الواحد ولفظه " فلما دخلنا ناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي " .

قوله : (ونفسه تقعقع قال . حسبت أنه قال كأنها شن)

كذا في هذه الرواية ، وجزم بذلك في رواية حماد ولفظه " ونفسه تقعقع كأنها في شن " والقعقعة حكاية

صوت الشيء اليابس إذا حرك ، والشن بفتح المعجمة وتشديد النون القربة الخلقة اليابسة ، وعلى الرواية الثانية شبه البدن بالجلد اليابس الخلق وحركة الروح فيه بما يطرح في الجلد من حصاة ونحوها . وأما الرواية الأولى فكأنه شبه النفس بنفس الجلد وهو أبلغ في الإشارة إلى شدة الضعف وذلك أظهر في التشبيه .

قوله : (ففاضت عيناه)

أي النبي صلى الله عليه وسلم وصرح به في رواية شعبة .

قوله : (فقال سعد)

أي ابن عبادة المذكور ، وصرح به في رواية عبد الواحد ، ووقع في رواية ابن ماجه من طريق عبد الواحد " فقال عبادة بن الصامت " والصواب ما في الصحيح .

قوله (ما هذا)

في رواية عبد الواحد " فقال سعد بن عبادة أتبكي " زاد أبو نعيم في المستخرج " وتنهى عن البكاء " .

قوله : (فقال هذه)

أي الدمعة أثر رحمة ، أي أن الذي يفيض من الدمع من حزن القلب بغير تعمد من صاحبه ولا استدعاء لا مؤاخذة عليه ، وإنما المنهي عنه الجزع وعدم الصبر .

قوله : (وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)

في رواية شعبة في أواخر الطب " ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء " ومن في قوله من عباده بيانية ، وهي حال من المفعول قدمه فيكون أوقع ، والرحماء جمع رحيم وهو من صيغ المبالغة ومقتضاه أن رحمة الله تختص بمن اتصف بالرحمة وتحقق بها بخلاف من فيه أدنى رحمة ، لكن ثبت في حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود وغيره " الراحمون يرحمهم الرحمن " والراحمون جمع راحم فيدخل كل من فيه أدنى رحمة ، وقد ذكر الحربي مناسبة الإتيان بلفظ الرحماء في حديث الباب بما حاصله أن لفظ الجلالة دال على العظمة ، وقد عرف بالاستقراء أنه حيث ورد يكون الكلام مسوقا للتعظيم ، فلما ذكر هنا ناسب ذكر من كثرت رحمته وعظمته ليكون الكلام جاريا على نسق التعظيم ، بخلاف الحديث الآخر فإن لفظ الرحمن دال على العفو فناسب أن يذكر معه كل ذي رحمة وإن قلت ، والله أعلم . وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم جواز استحضار ذوي الفضل للمحتضر لرجاء بركتهم ودعائهم وجواز القسم عليهم لذلك ، وجواز المشي إلى التعزية والعيادة بغير إذن بخلاف الوليمة ، وجواز إطلاق اللفظ الموهم لما لم يقع بأنه يقع مبالغة في ذلك لينبعث خاطر المسئول في المجيء للإجابة إلى ذلك ، وفيه استحباب إبرار القسم

وأمر صاحب المصيبة بالصبر قبل وقوع الموت ليقع وهو مستشعر بالرضا مقاوما للحزن بالصبر ، وإخبار من يستدعي بالأمر الذي يستدعى من أجله ، وتقديم السلام على الكلام ، وعيادة المريض ولو كان مفضولا أو صبيا صغيرا . وفيه أن أهل الفضل لا ينبغي أن يقطعوا الناس عن فضلهم ولو ردوا أول مرة ، واستفهام التابع من إمامه عما يشكل عليه مما يتعارض ظاهره ، **وحسن الأدب** في السؤال لتقديمه قوله " يا رسول الله " على الاستفهام . وفيه الترغيب في الشفقة على خلق الله والرحمة لهم والترهيب من قساوة القلب وجمود العين ، وجواز البكاء من غير نوح ونحوه .." (١)

"١٦٥٦ – قوله : (شريح بن مسلمة)

بمعجمة أوله ومهملة آخره ، وإبراهيم بن يوسف أي ابن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي ، ورجال هذا الحديث كلهم كوفيون إلا عطاء ومجاهدا ، وقد سبق الكلام عليه وتقدم الكلام على الخلاف فيما كان صلى الله عليه وسلم به محرما في حجته والجمع بين ما اختلف فيه من ذلك فأغنى عن إعادته ، والمشهور عن عائشة أنه كان مفردا وحديثه هذا يشعر بأنه كان قارنا ، وكذا ابن عمر أنكر على أنس كونه كان قارنا مع أن حديثه هذا يدل على أنه كان قارنا لأنه لم ينقل أنه اعتمر بعد حجته فلم يبق إلا أنه اعتمر مع حجته ، ولم يكن متمتعا لأنه اعتذر عن ذلك بكونه ساق الهدي ، واحتاج ابن بطال إلى تأويل ما وقع عن عائشة وابن عمر هنا فقال : إنما تجوز نسبة العمرة الرابعة إليه باعتبار أنه أمر الناس بها وعملت بحضرته لا أنه صلى الله عليه وسلم اعتمرها بنفسه ، ومن تأمل ما تقدم من الجمع استغنى عن هذا التأويل المتعسف . وقال ابن التين : في عدهم عمرة الحديبية التي صد عنها ما يدل على أنها عمرة تامة ، وفيه إشارة إلى صحة قول الجمهور إنه لا يجب القضاء على من صد عن البيت خلافا للحنفية ، ولو كانت عمرة للقضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة ، وإنما سميت عمرة القضية والقضاء لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا فيها لا أنها وقعت قضاء عن العمرة التي صد عنها إذ لو كان كذلك لكانتا عمرة واحدة . وفيه دلالة على جواز الاعتمار في أشهر الحج بخلاف ما كان عليه المشركون . وفي هذا الحديث أن الصحابي الجليل المكثر الشديد الملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم قد يخفى عليه بعض أحواله ، وقد يدخله الوهم والنسيان لكونه غير معصوم . وفيه رد بعض العلماء على بعض **وحسن الأدب** في الرد وحسن التلطف في استكشاف الصواب إذا ظن السامع خطأ المحدث . وقال النووي : سكوت ابن عمر على إنكار عائشة يدل على أنه كان اشتبه عليه أو نسي أو شك ، وقال القرطبي : عدم إنكاره على عائشة يدل على أنه كان

(١) فتح الباري لابن حجر، ٣٢٨/٤

على وهم وأنه رجع لقولها ، وقد تعسف من قال : إن ابن عمر أراد بقوله " اعتمر في رجب " عمرة قبل هجرته لأنه وإن كان محتملا لكن قول عائشة ما اعتمر في رجب يلزم منه عدم مطابقة ردها عليه لكلامه ولا سيما وقد بينت الأربع وأنها لو كانت قبل الهجرة فما الذي كان يمنعه أن يفصح بمراده فيرجع الإشكال ؟ وأيضا فإن قول هذا القائل لأن قريشا كانوا يعتمرون في رجب يحتاج إلى نقل ، وعلى تقديره فمن أين له أنه صلى الله عليه وسلم وافقهم ؟ وهب أنه وافقهم فكيف اقتصر على مرة ؟." (١)

"١٧٨٧ - قوله : (حدثنا هشام)

هو الدستوائي .

قوله : (عن أنس)

سبق في المواقيت من طريق سعيد عن قتادة قال " قلت لأنس " .

قوله : (قلت كم)

هو مقول أنس ، والمقول له زيد بن ثابت ، وقد تقدم بيان ذلك في المواقيت وأن قتادة أيضا سأل أنسا عن ذلك ، ورواه أحمد أيضا عن يزيد بن هارون عن همام وفيه أن أنسا قال " قلت لزيد "

قوله : (قال قدر خمسين آية)

أي متوسطة لا طويلة ولا قصيرة لا سريعة ولا بطيئة ، وقدر بالرفع على أنه خبر المبتدأ ، ويجوز النصب على أنه خبر كان المقدرة في جواب زيد لا في سؤال أنس لئلا تصير كان واسمها من قائل والخبر من آخر . قال المهلب وغيره : فيه تقدير الأوقات بأعمال البدن ، وكانت العرب تقدر الأوقات بالأعمال كقوله : قدر حلب شاة ، وقدر نحر جزور فعدل زيد بن ثابت عن ذلك إلى التقدير بالقراءة إشارة إلى أن ذلك الوقت كان وقت العبادة بالتلاوة ، ولو كانوا يقدرون بغير العمل لقال مثلا قدر درجة أو ثلث خمس ساعة . وقال ابن أبي جمرة : فيه إشارة إلى أن أوقاتهم كانت مستغرقة بالعبادة . وفيه تأخير السحور لكونه أبلغ في المقصود . قال ابن أبي جمرة : كان صلى الله عليه وسلم ينظر ما هو الأرفق بأمته فيفعله لأنه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشق على بعضهم ، ولو تسحر في جوف الليل لشق أيضا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي إلى ترك الصبح أو يحتاج إلى المجاهدة بالسهر . وقال : فيه أيضا تقوية على الصيام لعموم الاحتياج إلى الطعام ولو ترك لشق على بعضهم ولا سيما من كان صفراويا فقد يغشى عليه فيفضي إلى الإفطار في رمضان . قال : وفي الحديث تأنيس الفاضل أصحابه بالمؤاكلة ، وجواز المشي بالليل

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤٧٩/٥

للحاجة ، لأن زيد بن ثابت ما كان يبيت مع النبي صلى الله عليه وسلم . وفيه الاجتماع على السحور ، وفيه **حسن الأدب** في العبارة لقوله " تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم " ولم يقل نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما يشعر لفظ المعية بالتبعية . وقال القرطبي : فيه دلالة على أن الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر ، فهو معارض لقول حذيفة " هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع " انتهى ، والجواب أن لا معارضة بل تحمل على اختلاف الحال ، فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة ، فتكون قصة حذيفة سابقة ، وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بإسناد هذا الحديث في المواقيت وكونه من مسند زيد بن ثابت أو من مسند أنس .." (١)

"١٧٩١ - قوله : (كنت أنا وأبي حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة)

كذا أورده البخاري من رواية مالك مختصرا ، وعقبه بطريق الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن فأوهم أن سياقهما واحد ، لكنه ساق لفظ مالك بعد بابين وليس فيه ذكر مروان ولا قصة أبي هريرة ، نعم قد أخرجه مالك في " الموطأ " عن سمي مطولا ، ولمالك فيه شيخ آخر أخرجه في الموطأ عن عبد ربه بن سعيد عن أبي بكر بن عبد الرحمن مختصرا ، وأخرجه مسلم من هذا الوجه أيضا ، وأخرجه مسلم أيضا من رواية ابن جريج عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبيه أتم منه ، وله طرق أخرى كثيرة أطنب النسائي في تخريجها وفي بيان اختلاف نقلتها ، وسأذكر محصل فوائدها إن شاء الله تعالى .

قوله في رواية شعيب

(أن أباه عبد الرحمن أخبر مروان)

أي ابن الحكم ، وإخبار عبد الرحمن بما ذكر لمروان كان بعد أن أرسله مروان إلى عائشة وأم سلمة ، بين ذلك في " الموطأ " وهو عند مسلم أيضا من طريقه ولفظه "كنت أنا وأبي عند مروان بن الحكم ، فقال مروان : أقسمت عليك يا عبد الرحمن لتذهبن إلى أم المؤمنين عائشة وأم سلمة فلتسألنهما عن ذلك . قال أبو بكر : فذهب عبد الرحمن وذهبت معه حتى دخلنا على عائشة " فساق القصة . وبين النسائي في رواية له أن عبد الرحمن بن الحارث إنما سمعه من ذكوان مولى عائشة عنها ومن نافع مولى أم سلمة عنها ، فأخرج من طريق عبد ربه بن سعيد عن أبي عياض عن عبد الرحمن بن الحارث قال " أرسلني مروان إلى عائشة ، فأتيتها فلقيت غلامها ذكوان فأرسلته إليها ، فسألها عن ذلك فقالت " فذكر الحديث مرفوعا قال " فأتيت مروان فحدثته بذلك فأرسلني إلى أم سلمة ، فأتيتها فلقيت غلامها نافعا فأرسلته إليها فسألها عن

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٦٩/٦

ذلك " فذكر مثله . وفي إسناده نظر ، لأن أبا عياض مجهول ، فإن كان محفوظا فيجمع بأن كلا من الغلامين كان واسطة بين عبد الرحمن وبين كل منهما في السؤال كما في هذه الرواية ، وسمع عبد الرحمن وابنه أبو بكر كلاهما من وراء الحجاب كما في رواية المصنف وغيره ، وسأذكره من رواية أبي حازم عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبيه عند النسائي ففيه " أن عبد الرحمن جاء إلى عائشة فسلم على الباب فقالت عائشة : يا عبد الرحمن " الحديث .

قوله : (كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم)

في رواية مالك المشار إليها " كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام " وفي رواية يونس عن ابن شهاب عن عروة وأبي بكر بن عبد الرحمن عن عائشة " كان يدركه الفجر في رمضان جنبا من غير حلم " وستأتي بعد بابين ، وللنسائي من طريق عبد الملك ابن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبيه عنهما " كان يصبح جنبا من غير احتلام ثم يصوم ذلك اليوم " وله من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال " قال مروان لعبد الرحمن بن الحارث : اذهب إلى أم سلمة فسلها ، فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا مني فيصوم ويأمرني بالصيام " . قال القرطبي : في هذا فائدتان ، إحداهما أنه كان يجامع في رمضان ويؤخر الغسل إلى بعد طلوع الفجر بيانا للجواز . الثاني أن ذلك كان من جماع لا من احتلام لأنه كان لا يحتلم إذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه . وقال غيره : في قولها " من غير احتلام " إشارة إلى جواز الاحتلام عليه ، وإلا لما كان للاستثناء معنى ، ورد بأن الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه ، وأجيب بأن الاحتلام يطلق على الإنزال وقد وقع الإنزال بغير رؤية شيء في المنام ، وأرادت بالتقييد بالجماع المبالغة في الرد على من زعم أن فاعل ذلك عمدا يفطر ، وإذا كان فاعل ذلك عمدا لا يفطر فالذي ينسى . الاغتسال أو ينام عنه أولى بذلك . قال ابن دقيق العيد : لما كان الاحتلام يأتي للمرء على غير اختياره فقد يتمسك به من يرخص لغير المتعمد الجماع ، فبين في هذا الحديث أن ذلك كان من جماع لإزالة هذا الاحتمال .

قوله : (وقال مروان لعبد الرحمن بن الحارث أقسم بالله)

في رواية النسائي من طريق عكرمة ابن خالد عن أبي بكر بن عبد الرحمن " فقال مروان لعبد الرحمن : الق أبا هريرة فحدثه بهذا ، فقال : إنه لجاري ، وإنه لأكره أن أستقبله بما يكره . فقال : أعزم عليك لتلقينه " ومن طريق عمر بن أبي بكر ابن عبد الرحمن عن أبيه " فقال عبد الرحمن لمروان : غفر الله لك ، إنه لي صديق ، ولا أحب أن أرد عليه قوله " وبين ابن جريج في روايته عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن

عن أبيه سبب ذلك ففيه " عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال : سمعت أبا هريرة يقول في قصصه : ومن أدركه الفجر جنبا فلا يصم .

قال فذكرته لعبد الرحمن ، فانطلق وانطلقت معه حتى دخلنا على مروان " فذكر القصة ، أخرجه عبد الرزاق عنه ومن طريقه مسلم والنسائي وغيرهما ، وفي رواية مالك عن سمي عن أبي بكر " أن أبا هريرة قال : من أصبح جنبا أفطر ذلك اليوم " وللنسائي من طريق المقبري "كان أبو هريرة يفتي الناس أنه أصبح جنبا فلا يصوم ذلك اليوم " وله من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان أنه سمع أبا هريرة يقول " من احتلم من الليل أو واقع أهله ثم أدركه الفجر ولم يغتسل فلا يصم " ، ومن طريق أبي قلابة عن عبد الرحمن بن الحارث " أن أبا هريرة كان يقول : من أصبح جنبا فليفطر " فاتفقت هذه الروايات على أنه كان يفتي بذلك ، وسيأتي بيان من روى ذلك عنه مرفوعا في آخر الكلام على هذا الحديث .

قوله : (لتفزعن)

كذا للأكثر بالفاء والزاي من الفزع وهو الخوف أي لتخيفنه بهذه القصة التي تخالف فتواه ، وللكشميهني " لتقرعن " بفتح فقاف وراء مفتوحة ، أي تقرع بهذه القصة سمعه ، يقال قرعت بكذا سمع فلان إذا أعلمته به إعلاما صريحا .

قوله : (ومروان يومئذ على المدينة)

أي أمير من جهة معاوية .

قوله : (فكره ذلك عبد الرحمن)

قد بينا سبب كراهته ، قيل ويحتمل أن يكون كره أيضا أن يخالف مروان لكونه كان أميرا واجب الطاعة في المعروف ، وبين أبو حازم عن عبد الملك بن أبي بكر عن أبيه سبب تشديد مروان في ذلك ، فعند النسائي من هذا الوجه قال "كنت عند مروان مع عبد الرحمن ، فذكروا قول أبي هريرة فقال : اذهب فاسأل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فذهبنا إلى عائشة فقالت : يا عبد الرحمن ، أما لكم في رسول الله أسوة حسنة " فذكرت الحديث " ثم أتينا أم سلمة كذلك ، ثم أتينا مروان فاشتد عليه اختلافهم تخوفا أن يكون أبو هريرة يحدث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال مروان لعبد الرحمن : عزمت عليك لما أتيته فحدثته " .

قوله : (ثم قدر لنا أن نجتمع بذي الحليفة)

أي المكان المعروف وهو ميقات أهل المدينة ، وقوله

(وكان لأبي هريرة هناك أرض)

فيه رفع توهم من يظن أنهما اجتمعا في سفر ، وظاهره أنهما اجتمعا من غير قصد ، لكن في رواية مالك المذكورة " فقال مروان لعبد الرحمن : أقسمت عليك لتركبن دابتي فإنها بالباب فلتذهبن إلى أبي هريرة فإنه بأرضه بالعقيق ، فلتخبرنه . قال فركب عبد الرحمن وركبت معه " فهذا ظاهر في أنه قصد أبا هريرة لذلك ، فيحمل قوله " ثم قدر لنا أن نجتمع معه " على المعنى الأعم من التقدير لا على معنى الاتفاق ، ولا تخالف بين قوله " بذي الحليفة " وبين قوله " بأرضه بالعقيق " لاحتمال أن يكونا قصداه إلى العقيق فلم يجداه ثم وجداه بذي الحليفة وكان له أيضا بها أرض . ووقع في رواية معمر عن الزهري عن أبي بكر " فقال مروان عزمت عليكما لما ذهبتما إلى أبي هريرة ، قال فلقينا أبا هريرة عند باب المسجد " والظاهر أن المراد بالمسجد هنا مسجد أبي هريرة بالعقيق لا المسجد النبوي جمعا بين الروايتين ، أو يجمع بأنهما التقيا بالعقيق فذكر له عبد الرحمن القصة مجملة أو لم يذكرها بل شرع فيها ثم لم يتهيأ له ذكر تفصيلها وسماع جواب أبي هريرة إلا بعد أن رجعا إلى المدينة وأراد دخول المسجد النبوي .

قوله : (إني ذاكر لك)

في رواية الكشميهني " إني أذكر " بصيغة المضارعة .

قوله : (لم أذكره لك)

في رواية الكشميهني " لم أذكر ذلك " وفيه **حسن الأدب** مع الأكابر وتقديم الاعتذار قبل تبليغ ما يظن المبلغ أن المبلغ يكرهه .

قوله : (فذكر قول عائشة وأم سلمة فقال كذلك حدثني الفضل)

ظاهره أن الذي حدثه به الفضل مثل الذي ذكره له عبد الرحمن عن عائشة وأم سلمة ، وليس كذلك لما قدمناه من مخالفة قول أبي هريرة لقول عائشة وأم سلمة ، والسبب في هذا الإبهام أن رواية شعيب في حديث الباب لم يذكر في أولها كلام أبي هريرة كما قدمناه فلذلك أشكل أمر الإشارة بقوله كذلك . ووقع كلام أبي هريرة في رواية معمر وفي رواية ابن جريج كما قدمناه فلذلك قال في آخره " سمعت ذلك - أي القول الذي كنت أقوله - من الفضل " وفي رواية مالك عن سمي " فقال أبو هريرة لا علم لي بذلك " وفي رواية معمر عن ابن شهاب " فتلون وجه أبي هريرة ثم قال : هكذا حدثني الفضل " .

قوله : (وهن أعلم)

أي بما روى والعهدة عليه في ذلك لا علي . ووقع في رواية النسفي عن البخاري " وهن أعلم " أي أزواج

النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذا في رواية معمر ، وفي رواية ابن جريج " فقال أبو هريرة أهما قالتاه ؟ قال : هما أعلم " وهذا يرجح رواية النسفي ، وللنسائي من طريق عمر بن أبي بكر ابن عبد الرحمن عن أبيه " هي – أي عائشة – أعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم منا " وزاد ابن جريج في روايته " فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك " وكذلك وقع في رواية محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عند النسائي أنه رجع ، وروى ابن أبي شيبة من طريق قتادة عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رجع عن فتياه : من أصبح جنبا فلا صوم له ، وللنسائي من طريق عكرمة بن خالد ويعلى بن عقبة وعراك بن مالك كلهم عن أبي بكر بن عبد الرحمن أن أبا هريرة أحال بذلك على الفضل بن عباس ، لكن عنده من طريق عمر بن أبي بكر عن أبيه " أن أبا هريرة قال في هذه القصة إنما كان أسامة بن زيد حدثني " فيحمل على أنه كان عنده عن كل منهما . ويؤيده رواية أخرى عند النسائي من طريق أخرى عن عبد الملك بن أبي بكر عن أبيه قال فيها " إنما حدثني فلان وفلان " وفي رواية مالك المذكورة " أخبرنيه مخبر " والظاهر أن هذا من تصرف الرواة ، منهم من أبهم الرجلين ومنهم من اقتصر على أحدهما تارة مبهما وتارة مفسرا ، ومنهم من لم يذكر عن أبي هريرة أحدا ، وهو عند النسائي أيضا من طريق أبي قلابة عن عبد الرحمن بن الحارث ففي آخره " فقال أبو هريرة : هكذا كنت أحسب " .

قوله : (وقال همام وابن عبد الله بن عمر عن أبي هريرة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالفطر والأول أسند)

أما رواية همام فوصلها أحمد وابن حبان من طريق معمر عنه بلفظ " قال صلى الله عليه وسلم : إذا نودي للصلاة صلاة الصبح وأحدكم جنب فلا يصم حينئذ " وأما رواية ابن عبد الله بن عمر فوصلها عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب عن ابن عبد الله بن عمر عن أبي هريرة به " وقد اختلف على الزهري في اسمه فقال عنه شعيب عنه " أخبرني عبد الله بن عمر قال لي أبو هريرة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالفطر إذا أصبح الرجل جنبا " أخرجه النسائي والطبراني في " مسند الشاميين " ، وقال عقيل عنه " عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر به " فاختلف على الزهري هل هو عبد الله مكبرا أو عبيد الله مصغرا ، وأما قول المصنف : والأول أسند فاستشكله ابن التين قال : لأن إسناد الخبر رفعه فكأنه قال : إن الطريق الأولى أوضح رفعا ، قال : لكن الشيخ أبو الحسن قال : معناه أن الأول أظهر اتصالا . قلت : والذي يظهر لي أن مراد البخاري أن الرواية الأولى أقوى إسنادا ، وهي من حيث الرجحان كذلك لأن حديث عائشة وأم سلمة في ذلك جاءا عنهما من طرق كثيرة جدا بمعنى واحد حتى قال ابن عبد البر أنه صح

وتواتر ، وأما أبو هريرة فأكثر الروايات عنه أنه كان يفتي به ، وجاء عنه من طريق هذين أنه كان يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وكذلك وقع في رواية معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن " سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فذكره ، أخرجه عبد الرزاق ، وللنسائي من طريق عكرمة بن خالد عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال : بلغ مروان أن أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ، وله من طريق المقبري قال بعثت عائشة إلى أبي هريرة لأتحدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأحمد من طريق عبد الله بن عمرو القاري " سمعت أبا هريرة يقول : ورب هذا البيت ما أنا قلت من أدرك الصبح وهو جنب فلا يصم ، محمد ورب الكعبة قاله " لكن بين أبو هريرة كما مضى أنه لم يسمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم وإنما سمعه بواسطة الفضل وأسامة ، وكأنه كان لشدة وثوقه بخبرهما يحلف على ذلك . وأما ما أخرجه ابن عبد البر من رواية عطاء بن ميناء عن أبي هريرة أنه قال "كنت حدثتكم من أصبح جنبا فقد أفطر ، وأن ذلك من كيس أبي هريرة " فلا يصح ذلك عن أبي هريرة لأنه من رواية عمر بن قيس وهو متروك . نعم قد رجع أبو هريرة عن الفتوى بذلك إما لرجحان رواية أمي المؤمنين في جواز ذلك صريحا على رواية غيرهما مع ما في رواية غيرهما من الاحتمال ، إذ يمكن أن يحمل الأمر بذلك على الاستحباب في غير الفرض ، وكذا النهي عن صوم ذلك اليوم ، وإما لاعتقاده أن يكون خبر أمي المؤمنين ناسخا لخبر غيرهما . وقد بقي على مقالة أبي هريرة هذه بعض التابعين كما نقله الترمذي ، ثم ارتفع ذلك الخلاف واستقر الإجماع على خلافه كما جزم به النووي . وأما ابن دقيق العيد فقال : صار ذلك إجماعا أو كالإجماع لكن من الآخذين بحديث أبي هريرة من فرق بين من تعمد الجنابة وبين من احتلم كما أخرجه عبد الرزاق عن ابن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه وكذا حكاه ابن المنذر عن طاوس أيضا . قال ابن بطال : وهو أحد قولي أبي هريرة . قلت : ولم يصح عنه ، فقد أخرج ذلك ابن المنذر من طريق أبي المهزم وهو ضعيف عن أبي هريرة ، ومنهم من قال : يتم صومه ذلك اليوم ويقضيه حكاه ابن المنذر عن الحسن البصري وسالم بن عبد الله بن عمر . قلت : وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج أنه سأل عطاء عن ذلك فقال اختلف أبو هريرة وعائشة فأرى أن يتم صومه ويقضي ا هـ ، وكأنه لم يثبت عنده رجوع أبي هريرة عن ذلك ، وليس ما ذكره صريحا في إيجاب القضاء . ونقل بعض المتأخرين عن الحسن بن صالح بن حي إيجاب القضاء أيضا ، والذي نقله الطحاوي عنه استحبابه ، ونقل ابن عبد البر عنه وعن النخعي إيجاب القضاء في الفرض والإجزاء في التطوع ، ووقع لابن بطال وابن التين والنووي والفاكهي وغير واحد في نقل هذه المذاهب مغايرات في نسبتها لقائلها والمعتمد ما حررته . ونقل الماوردي

أن هذا الاختلاف كله إنما هو في حق الجنب ، وأما المحتلم فأجمعوا على أنه يجزئه ، وهذا النقل معترض بما رواه النسائي بإسناد صحيح عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أنه احتلم ليلا في رمضان فاستيقظ قبل أن يطلع الفجر ثم نام قبل أن يغتسل فلم يستيقظ حتى أصبح قال فاستفتيت أبا هريرة فقال أفطر ، وله من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان أنه سمع أبا هريرة يقول : من احتلم من الليل أو واقع أهله ثم أدركه الفجر ولم يغتسل فلا يصم ، وهذا صريح في عدم التفرقة . وحمل القائلون بفساد صيام الجنب حديث عائشة على أنه من الخصائص النبوية ، أشار إلى ذلك الطحاوي بقوله : وقال آخرون يكون حكم النبي صلى الله عليه وسلم على ما ذكرت عائشة وحكم الناس على ما حكى أبو هريرة . وأجاب الجمهور بأن الخصائص لا تثبت إلا بدليل ، وبأنه قد ورد صريحا ما يدل على عدمها ، وترجم بذلك ابن حبان في صحيحة حيث قال " ذكر البيان بأن هذا الفعل لم يكن المصطفى مخصوصا به " ثم أورد ما أخرجه هو ومسلم والنسائي وابن خزيمة وغيرهم من طريق أبي يونس مولى عائشة عن عائشة " أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه وهي تسمع من وراء الباب ، فقال : يا رسول الله تدركني الصلاة – أي صلاة الصبح – وأنا جنب ، أفأصوم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم . فقال : لست مثلنا يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . فقال : والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى " وذكر ابن خزيمة أن بعض العلماء توهم أن أبا هريرة غلط في هذا الحديث ثم رد عليه بأنه لم يغلط بل أحال على رواية صادق ، إلا أن الخبر منسوخ ، لأن الله تعالى عند ابتداء فرض الصيام كان منع في ليل الصوم من الأكل والشرب والجماع بعد النوم قال فيحتمل أن يكون خبر الفضل كان حينئذ ثم أباح الله ذلك كله إلى طلوع الفجر فكان للمجامع أن يستمر إلى طلوعه فيلزم أن يقع اغتساله بعد طلوع الفجر ، فدل على أن حديث عائشة ناسخ لحديث الفضل ولم يبلغ الفضل ولا أبا هريرة الناسخ فاستمر أبو هريرة على الفتيا به ، ثم رجع عنه بعد ذلك لما بلغه . قلت : ويقويه أن في حديث عائشة هذا الأخير ما يشعر بأن ذلك كان بعد الحديبية لقوله فيها " قد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر " وأشار إلى آية الفتح وهي إنما نزلت عام الحديبية سنة ست ، وابتداء فرض الصيام كان في السنة الثانية ، وإلى دعوى النسخ فيه ذهب ابن المنذر والخطابي وغير واحد ، وقرره ابن دقيق العيد بأن قوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) يقتضي إباحة الوطء في ليلة الصوم ، ومن جملتها الوقت المقارن لطلوع الفجر فيلزم إباحة الجماع فيه ومن ضرورته أن يصبح فاعل ذلك جنبا ولا يفسد صومه فإن إباحة التسبب للشيء إباحة لذلك الشيء .

قلت : وهذا أولى من سلوك الترجيح بين الخبرين كما تقدم من قول البخاري والأول أسند " وكذا قال بعضهم : إن حديث عائشة أرجح لموافقة أم سلمة لها على ذلك ، ورواية اثنين تقدم على رواية واحد ، ولا سيما وهما زوجتان وهما أعلم بذلك من الرجال ، ولأن روايتهما توافق المنقول وهو ما تقدم من مدلول الآية ، والمعقول وهو أن الغسل شيء وجب بالإنزال ، وليس في فعله شيء يحرم على صائم ، فقد يحتلم بالنهار فيجب عليه الغسل ولا يحرم عليه بل يتم صومه إجماعا ، فكذلك إذا احتلم ليلا بل هو من باب الأولى ، وإنما يمنع الصائم من تعمد الجماع نهارا . وهو شبيه بمن يمنع من التطيب وهو محرم لكن لو تطيب وهو حلال ثم أحرم فبقي عليه لونه أو ريحه لم يحرم عليه . وجمع بعضهم بين الحدثين . أن الأمر في حديث أبي هريرة أمر إرشاد إلى الأفضل ، فإن الأفضل أن يغتسل قبل الفجر فلو خالف جاز ، ويحمل حديث عائشة على بيان الجواز ونقل النووي هذا عن أصحاب الشافعي ، وفيه نظر ، فإن الذي نقله البيهقي وغيره عن نص الشافعي سلوك الترجيح وعن ابن المنذر وغيره سلوك النسخ ، ويعكر على حمله على الإرشاد التصريح في كثير من طرق حديث أبي هريرة بالأمر بالفطر وبالنهي الصيام فكيف يصح الحمل المذكور إذا وقع ذلك في رمضان ؟ وقيل هو محمول على من أدركه مجامعا فاستدام بعد طلوعه عالما بذلك ، ويعكر عليه ما رواه النسائي من طريق أبي حازم عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبيه " أن أبا هريرة كان يقول : من احتلم وعلم باحتلامه ولم يغتسل حتى أصبح فلا يصوم " وحكى ابن التين عن بعضهم أنه سقط " لا " من حديث الفضل ، وكان في الأصل " من أصبح جنبا في رمضان فلا يفطر " فلما سقط " لا " صار " فليفطر " وهذا بعيد بل باطل ، لأنه يستلزم عدم الوثوق بكثير من الأحاديث وأنها يطرقها مثل هذا الاحتمال ، وكأن قائله ما وقف على شيء من طرق هذا الحديث إلا على اللفظ المذكور . وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم دخول العلماء على الأمراء ومذاكرتهم إياهم بالعلم . وفيه فضيلة لمروان ابن الحكم لما يدل عليه الحديث من اهتمامه بالعلم ومسائل الدين . وفيه الاستثبات في النقل والرجوع في المعاني إلى الأعلم ، فإن الشيء إذا نوزع فيه رد إلى من عنده علمه ، وترجيح مروي النساء فيما لهن عليه الاطلاع دون الرجال على مروي الرجال كعكسه ، وأن المباشر للأمر أعلم به من المخبر عنه ، والائتساء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله ما لم يقم دليل الخصوصية ، وأن للمفضول إذا سمع من الأفضل خلاف ما عنده من العلم أن يبحث عنه حتى يقف على وجهه ، وأن الحجة عند الاختلاف في المصير إلى الكتاب والسنة . وفيه الحجة بخبر الواحد وأن المرأة فيه كالرجل . وفيه فضيلة لأبي هريرة لاعترافه بالحق ورجوعه إليه . وفيه استعمال السلف من الصحابة والتابعين الإرسال عن العدول من غير نكير بينهم

لأن أبا هريرة اعترف بأنه لم يسمع هذا الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه كان يمكنه أن يرويه عنه بلا واسطة وإنما بينها لما وقع من الاختلاف . وفيه الأدب مع العلماء ، والمبادرة لامتثال أمر ذي الأمر إذا كان طاعة ، ولو كان فيه مشقة على المأمور .

(تكميل) :

في معنى الجنب الحائض والنفساء إذا انقطع دمها ليلا ثم طلع الفجر قبل اغتسالها ، قال النووي في شرح مسلم : مذهب العلماء كافة صحة صومها إلا ما حكي عن بعض السلف مما لا يعلم صح عنه أو لا ، وكأنه أشار بذلك إلى ما حكاه في شرح المهذب عن الأوزاعي ، لكن حكاه ابن عبد البر عن الحسن بن صالح أيضا ، وحكى ابن دقيق العيد أن في المسألة في مذهب مالك قولين ، وحكاه القرطبي عن محمد بن مسلمة من أصحابهم ووصف قوله بالشذوذ ، وحكى ابن عبد البر عن عبد الملك بن الماجشون أنها إذا أخرت غسلها حتى طلع الفجر فيومها يوم فطر لأنها في بعضه غير طاهرة ، قال : وليس كالذي يصبح جنبا لأن الاحتلام لا ينقض الصوم والحيض ينقضه .." (١)

"١٨٠٠ - قوله : (أخبرني حميد بن عبد الرحمن)

أي ابن عوف ، هكذا توارد عليه أصحاب الزهري وقد جمعت منهم في جزء مفرد لطرق هذا الحديث أكثر من أربعين نفسا ، منهم : ابن عيينة والليث ومعمر ومنصور عند الشيخين ، والأوزاعي وشعيب وإبراهيم بن سعد عند البخاري ومالك ، وابن جريج عند مسلم ، ويحيى بن سعيد وعراك بن مالك عند النسائي ، وعبد الجبار بن عمر عند أبي عوانة ، والجوزقي وعبد الرحمن بن مسافر عند الطحاوي ، وعقيل عند ابن خزيمة ، وابن أبي حفصة عند أحمد ، ويونس وحجاج بن أرطاة وصالح بن أبي الأخضر عند الدارقطني ، ومحمد بن إسحاق عند البزار ، وسأذكر ما عند كل منهم من زيادة فائدة إن شاء الله تعالى . وخالفهم هشام بن سعد فرواه عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أخرجه أبو داود وغيره . قال البزار وابن خزيمة وأبو عوانة : أخطأ فيه هشام بن سعد . قلت : وقد تابعه عبد الوهاب بن عطاء عن محمد بن أبي حفصة ، فرواه عن الزهري أخرجه الدارقطني في " العلل " والمحفوظ عن ابن أبي حفصة كالجماعة . كذلك أخرجه أحمد وغيره من طريق روح بن عبادة عنه ، ويحتمل أن يكون الحديث عند الزهري عنهما ، فقد جمعهما عنه صالح بن أبي الأخضر ، أخرجه الدارقطني في " العلل " من طريقه ، وسيأتي في الباب الذي بعده حكاية خلاف آخر فيه على منصور وكذلك في الكفارات حكاية خلاف فيه على سفيان بن عيينة إن شاء الله

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٧٥/٦

تعالى .

قوله : (أن أبا هريرة قال)

في رواية ابن جريج عند مسلم وعقيل عند ابن خزيمة وابن أبي أويس عند الدارقطني التصريح بالتحديث بين حميد وأبي هريرة .

قوله : (بينما نحن جلوس)

أصلها " بين " وقد ترد بغير " ما " فتشبع الفتحة ، ومن خاصة " بينما " أنها تتلقى بإذ وبإذا حيث تجيء للمفاجأة ، بخلاف بينا فلا تتلقى بواحدة منهما ، وقد وردا في هذا الحديث كذلك .

قوله : (عند النبي صلى الله عليه وسلم)

فيه **حسن الأدب** في التعبير لما تشعر العندية بالتعظيم ، بخلاف ما لو قال مع ، لكن في رواية الكشميهني " مع النبي صلى الله عليه وسلم " .

قوله : (إذ جاءه رجل)

لم أقف على تسميته ، إلا أن عبد الغني في المبهمات - وتبعه ابن بشكوال - جزما بأنه سليمان أو سلمة بن صخر البياضي ، واستند إلى ما أخرجه ابن أبي شيبة وغيره من طريق سليمان ابن يسار " عن سلمة بن صخر أنه ظاهر من امرأته في رمضان وأنه وطئها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : حرر رقبة ، قلت ما أملك رقبة غيرها وضرب صفحة رقبته . قال فصم شهرين متتابعين . قال وهل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام ؟ قال فأطعم ستين مسكينا . قال والذي بعثك بالحق ما لنا طعام . قال فانطلق إلى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها إليك " والظاهر أنهما واقعتان فإن في قصة المجامع في حديث الباب أنه كان صائما كما سيأتي ، وفي قصة سلمة بن صخر أن ذلك كان ليلا فافترقا ، ولا يلزم من اجتماعهما - في كونهما من بني بياضة وفي صفة الكفارة وكونها مرتبة وفي كون كل منهما كان لا يقدر على شيء من خصالها - اتحاد القصتين ، وسنذكر أيضا ما يؤيد المغايرة بينهما . وأخرج ابن عبد البر في ترجمة عطاء الخراساني من " التمهيد " من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن الرجل الذي وقع على امرأته في رمضان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم هو سليمان بن صخر . قال ابن عبد البر : أظن هذا وهما ، لأن المحفوظ أنه ظاهر من امرأته ووقع عليها في الليل لا أن ذلك كان منه بالنهار ا هـ . ويحتمل أن يكون قوله في الرواية المذكورة " وقع على امرأته في رمضان " أي ليلا بعد أن ظاهر فلا يكون وهما ولا يلزم الاتحاد ، ووقع في مباحث العام من " شرح ابن الحاجب " ما يوهم أن هذا الرجل هو أبو بردة بن يسار

وهو وهم يظهر من تأمل بقية كلامه .
قوله : (فقال يا رسول الله)
زاد عبد الجبار بن عمر عن الزهري " جاء رجل وهو ينتف شعره ويدق صدره ويقول هلك الأبعد " ولمحمد بن أبي حفصة " يلطم وجهه " ولحجاج بن أرطاة " يدعو ويله " وفي مرسل ابن المسيب عند الدارقطني " ويحثي على رأسه التراب " واستدل بهذا على جواز هذا الفعل والقول من وقعت له معصية ، ويفرق بذلك بين مصيبة الدين والدنيا فيجوز في مصيبة الدين لما يشعر به الحال من شدة الندم وصحة الإقلاع ، ويحتمل أن تكون هذه الواقعة قبل النهي عن لطم الخدود وحلق الشعر عند المصيبة .
قوله : (فقال هلكت) في رواية منصور في الباب الذي يليه " فقال إن الأخر هلك " والأخر بهمزة مفتوحة وخاء معجمة مكسورة بغير مد هو الأبعد ، وقيل الغائب ، وقيل الأرذل .
قوله : (هلكت)
في حديث عائشة كما تقدم " احترقت " وفي رواية ابن أبي حفصة " ما أراني إلا قد هلكت " واستدل به على أنه كان عامدا لأن الهلاك والاحتراق مجاز عن العصيان المؤدي إلى ذلك ، فكأنه جعل المتوقع كالواقع ، وبالغ فعبر عنه بلفظ الماضي ، وإذا تقرر ذلك فليس فيه حجة على وجوب الكفارة على الناسي وهو مشهور قول مالك والجمهور ، وعن أحمد وبعض المالكية يجب على الناسي ، وتمسكوا بترك استفساره عن جماعه هل كان عن عمد أو نسيان ، وترك الاستفصال في الفعل ينزل منزلة العموم في القول كما اشتهر ، والجواب أنه قد تبين حاله بقوله هلكت واحترقت فدل على أنه كان عامدا عارفا بالتحريم ، وأيضا فدخول النسيان في الجماع في نهار رمضان في غاية البعد ، واستدل بهذا على أن من ارتكب معصية لا حد فيها وجاء مستفتيا أنه لا يعزر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعاقبه مع اعترافه بالمعصية ، وقد ترجم لذلك البخاري في الحدود وأشار إلى هذه القصة ، وتوجهه أن مجيئه مستفتيا يقتضي الندم والتوبة ، والتعزير إنما جعل للاستصلاح ولا استصلاح من الصلاح ، وأيضا فلو عوقب المستفتي لكان سببا لترك الاستفتاء وهي مفسدة فاقتضى ذلك أن لا يعاقب ، هكذا قرره الشيخ تقي الدين ، لكن وقع في " شرح السنة للبغوى " أن من جامع متعمدا في رمضان فسد صومه وعليه القضاء والكفارة ويعزر على سوء صنيعه ، وهو محمول على من لم يقع منه ما وقع من صاحب هذه القصة من الندم والتوبة ، وبناه بعض المالكية على الخلاف في تعزير شاهد الزور .
قوله : (قال ما لك)

؟ بفتح اللام استفهام عن حاله ، وفي رواية عقيل " ويحك ما شأنك ؟ " ولابن أبي حفصة " وما الذي أهلكك ؟ " ولعمرو " ما ذاك ؟ " وفي رواية الأوزاعي " ويحك ما صنعت ؟ " أخرجه المصنف في الأدب وترجم " باب ما جاء في قول الرجل ويلك ويحك " ثم قال عقبه " تابعه يونس عن الزهري " يعني في قوله " ويحك " وقال عبد الرحمن بن خالد عن الزهري " ويلك " . قلت : وسأذكر من وصلهما هناك إن شاء الله تعالى . وقد تابع ابن خالد في قوله " ويلك " صالح بن أبي الأخضر ، وتابع الأوزاعي في قوله " ويحك " عقيل وابن إسحاق وحجاج بن أرطاة فهو أرجح وهو اللائق بالمقام ، فإن ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب والمقام يقتضي الأول .

قوله : (وقعت على امرأتي)

وفي رواية ابن إسحاق " أصبت أهلي " وفي حديث عائشة " وطئت امرأتي " ووقع في رواية مالك وابن جريج وغيرهما كما سيأتي بيانه بعد قليل في الكلام على الترتيب والتخيير في أول الحديث " أن رجلا أفطر في رمضان ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم " الحديث واستدل به على إيجاب الكفارة على من أفسد صيامه مطلقا بأي شيء كان وهو قول المالكية ، وقد تقدم نقل الخلاف فيه ، والجمهور حملوا قوله " أفطر " هنا على المقيد في الرواية الأخرى وهو قوله " وقعت على أهلي " وكأنه قال أفطر بجماع ، وهو أولى من دعوى القرطبي وغيره تعدد القصة . واحتج من أوجب الكفارة مطلقا بقياس الآكل على المجامع بجامع ما بينهما من انتهاك حرمة الصوم ، وبأن من أكره على الأكل فسد صومه كما يفسد صوم من أكره على الجماع بجامع ما بينهما ، وسيأتي بيان الترجيح بين الروايتين في الكلام على الترتيب . وقد وقع في حديث عائشة نظير ما وقع في حديث أبي هريرة فمعظم الروايات فيها " وطئت " ونحو ذلك ، وفي رواية ساق مسلم إسنادها وساق أبو عوانة في مستخرجه متنها أنه قال " أفطرت في رمضان " والقصة واحدة ومخرجها متحد فيحمل على أنه أراد أفطرت في رمضان بجماع ، وقد وقع في مرسل ابن المسيب عند سعيد ابن منصور " أصبت امرأتي ظهرا في رمضان " وتعيين رمضان معمول بمفهومه ، وللفرق في وجوب كفارة المجامع في الصوم بين رمضان وغيره من الواجبات كالنذر ، وفي كلام أبي عوانة في صحيحه إشارة إلى وجوب ذلك على من وقع منه في رمضان نهارا سواء كان الصوم واجبا عليه أو غير واجب .

قوله : (وأنا صائم)

جملة حالية من قوله " وقعت " فيؤخذ منه أنه لا يشترط في إطلاق اسم المشتق بقاء المعنى المشتق منه حقيقة لاستحالة كونه صائما مجامعا في حالة واحدة ، فعلى هذا قوله " وطئت " أي شرعت في الوطء أو

أراد جامعت بعد إذ أنا صائم ، ووقع في رواية عبد الجبار بن عمر " وقعت على أهلي اليوم وذلك في رمضان " .

قوله : (هل تجد رقبة تعتقها)

في رواية منصور " أتجد ما تحرر رقبة " وفي رواية ابن أبي حفصة " أتستطيع أن تعتق رقبة " وفي رواية إبراهيم بن سعد والأوزاعي فقال " أعتق رقبة " زاد في رواية مجاهد عن أبي هريرة فقال " بئسما صنعت أعتق رقبة " .

قوله : (قال لا)

في رواية ابن مسافر " فقال لا والله يا رسول الله " وفي رواية ابن إسحاق " ليس عندي " وفي حديث ابن عمر " فقال والذي بعثك بالحق ما ملكت رقبة قط " واستدل بإطلاق الرقبة على جواز إخراج الرقبة الكافرة كقول الحنفية ، وهو ينبني على أن السبب إذا اختلف واتحد الحكم هل يقيد المطلق أو لا ؟ وهل تقييده بالقيام أو لا ؟ والأقرب أنه بالقياس ، ويؤيده التقييد في مواضع أخرى .

قوله : (قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا)

وفي رواية إبراهيم عن سعد " قال فصم شهرين متتابعين " وفي حديث سعد " قال لا أقدر " وفي رواية ابن إسحاق " وهل لقيت ما لقيت إلا من الصيام ؟ " قال ابن دقيق العيد : لا إشكال في الانتقال عن الصوم إلى الإطعام ، لكن رواية ابن إسحاق هذه اقتضت أن عدم استطاعته لشدة شبقه وعدم صبره عن الوقاع فنشأ للشافعية نظر : هل يكون ذلك عذرا - أي شدة الشبق - حتى يعد صاحبه غير مستطيع للصوم أو لا ؟ والصحيح عندهم اعتبار ذلك ، ويلتحق به من يجد رقبة لا غنى به عنها فإنه يسوغ له الانتقال إلى الصوم مع وجودها لكونه في حكم غير الواجد ، وأما ما رواه الدارقطني من طريق شريك عن إبراهيم بن عامر عن سعيد بن المسيب في هذه القصة مرسلا أنه قال في جواب قوله هل تستطيع أن تصوم " إني لأدع الطعام ساعة فما أطيق ذلك " ففي إسناده مقال ، وعلى تقدير صحته فلعله اعتل بالأمرين .

قوله : (فهل تجد إطعام ستين مسكينا ؟ قال لا)

زاد ابن مسافر " يا رسول الله " . ووقع في رواية سفيان " فهل تستطيع إطعام ؟ " وفي رواية إبراهيم بن سعد وعراك بن مالك " فتطعم ستين مسكينا ؟ قال لا أجد " وفي رواية ابن أبي حفصة " أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينا ؟ قال لا " وذكر الحاجة . وفي حديث ابن عمر " قال والذي بعثك بالحق ما أشبع أهلي " قال ابن دقيق العيد : أضاف الإطعام الذي هو مصدر أطعم إلى ستين فلا يكون ذلك موجودا في حق

من أطعم ستة مساكين عشرة أيام مثلا ، ومن أجاز ذلك فكأنه استنبط من النص معنى يعود عليه بالإبطال ، والمشهور عن الحنفية الإجزاء حتى لو أطعم الجميع مسكينا واحدا في ستين يوما كفى ، والمراد بالإطعام الإعطاء لا اشتراط حقيقة الإطعام من وضع المطعوم في الفم بل يكفي الوضع بين يديه بلا خلاف ، وفي إطلاق الإطعام ما يدل على الاكتفاء بوجود الإطعام من غير اشتراط مناولة ، بخلاف زكاة الفرض فإن فيها النص على الإيتاء وصدقة الفطر فإن فيها النص على الأداء ، وفي ذكر الإطعام ما يدل على وجود طاعمين فيخرج الطفل الذي لم يطعم كقول الحنفية ، ونظر الشافعي إلى النوع فقال : يسلم لوليه ، وذكر الستين ليفهم أنه لا يجب ما زاد عليها ، ومن لم يقل بالمفهوم تمسك بالإجماع على ذلك . وذكر في حكمة هذه الخصال من المناسبة أن من انتهك حرمة الصوم بالجماع فقد أهلك نفسه بالمعصية فناسب أن يعتق رقبة فيفدي نفسه ، وقد صح أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار . وأما الصيام فمناسبته ظاهرة لأنه كالمقاصة بجنس الجناية ، وأما كونه شهرين فلأنه لما أمر بمصابرة النفس في حفظ كل يوم من شهر رمضان على الولاء فلما أفسد منه يوما كان كمن أفسد الشهر كله من حيث إنه عبادة واحدة بالنوع فكلف بشهرين مضاعفة على سبيل المقابلة لنقيض قصده . وأما الإطعام فمناسبته ظاهرة لأنه مقابلة كل يوم بإطعام مسكين . ثم أن هذه الخصال جامعة لاشتمالها على حق الله وهو الصوم ، وحق الأحرار بالإطعام ، وحق الأرقاء بالإعتاق ، وحق الجاني بثواب الامتثال . وفيه دليل على إيجاب الكفارة بالجماع خلافا لمن شذ فقال لا تجب مستندا إلى أنه لو كان واجبا لما سقط بالإعسار ، وتعقب بمنع الإسقاط كما سيأتي البحث فيه . وقد تقدم في آخر " باب الصائم يصبح جنبا " نقل الخلاف في إيجاب الكفارة بالقبلة والنظر والمباشرة والإنعاظ ، واختلفوا أيضا هل يلحق الوطء في الدبر بالوطء في القبل ، وهل يشترط في إيجاب الكفارة كل وطء في أي فرج كان ؟ وفيه دليل على جريان الخصال الثلاث المذكورة في الكفارة . ووقع في " المدونة " ولا يعرف مالك غير الإطعام ولا يأخذ بعتق ولا صيام . قال ابن دقيق العيد : وهي معضلة لا يهتدي إلى توجيهها مع مصادمة الحديث الثابت ، غير أن بعض المحققين من أصحابه حمل هذا اللفظ وتأوله على الاستحباب في تقديم الطعام على غيره من الخصال ، ووجهوا ترجيح الطعام على غيره بأن الله ذكره في القرآن رخصة للقادر ثم نسخ هذا الحكم ، ولا يلزم منه نسخ الفضيلة فيترجح الإطعام أيضا لاختيار الله له في حق المفطر بالعذر ، وكذا أخبر بأنه في حق من أخر قضاء رمضان حتى دخل رمضان آخر ، ولمناسبة إيجاب الإطعام لجبر فوات الصيام الذي هو إمساك عن الطعام ، ولشمول نفعه للمساكين ، وكل هذه الوجوه لا تقاوم ما ورد في الحديث من تقديم العتق على الصيام ثم الإطعام

سواء قلنا الكفارة على الترتيب أو التخيير فإن هذه البداءة إن لم تقتض وجوب الترتيب فلا أقل من أن تقتضي استحبابه . واحتجوا أيضا بأن حديث عائشة لم يقع فيه سوى الإطعام ، وقد تقدم الجواب عن ذلك قبل ، وأنه ورد فيه من وجه آخر ذكر العتق أيضا . ومن المالكية من وافق على هذا الاستحباب ، ومنهم من قال إن الكفارة تختلف باختلاف الأوقات : ففي وقت الشدة يكون بالإطعام وفي غيرها يكون بالعتق أو الصوم ونقلوه عن محققي المتأخرين ، ومنهم من قال : الإفطار بالجماع يكفر بالخصال الثلاث ، وبغيره لا يكفر إلا بالإطعام وهو قول أبي مصعب ، وقال ابن جرير الطبري : هو مخير بين العتق والصوم ولا يطعم إلا عند العجز عنهما ، وفي الحديث أنه لا مدخل لغير هذه الخصال الثلاث في الكفارة . وجاء عن بعض المتقدمين إهداء البدنة عند تعذر الرقبة ، وربما أيده بعضهم بإلحاق إفساد الصيام بإفساد الحج ، وورد ذكر البدنة في مرسل سعيد بن المسيب عند مالك في " الموطأ " عن عطاء الخراساني عنه ، وهو مع إرساله قد رده سعيد بن المسيب وكذب من نقله عنه كما روى سعيد بن منصور عن ابن علية عن خالد الحذاء عن القاسم ابن عاصم " قلت لسعيد بن المسيب ما حديث حدثناه عطاء الخراساني عنك في الذي وقع على امرأته في رمضان أنه يعتق رقبة أو يهدي بدنة ؟ فقال : كذب " فذكر الحديث ، وهكذا رواه الليث عن عمرو ابن الحارث عن أيوب عن القاسم بن عاصم ، وتابعه همام عن قتادة عن سعيد ، وذكر ابن عبد البر أن عطاء لم ينفرد بذلك فقد ورد من طريق مجاهد عن أبي هريرة موصولا ، ثم ساقه بإسناده لكنه من رواية ليث بن أبي سليم عن مجاهد ، وليث ضعيف وقد اضطرب في روايته سندا ومتنا فلا حجة فيه . وفي الحديث أيضا أن الكفارة بالخصال الثلاث على الترتيب المذكور . قال ابن العربي : لأن النبي صلى الله عليه وسلم نقله من أمر بعد عدمه لأمر آخر وليس هذا شأن التخيير ، ونازع عياض في ظهور دلالة الترتيب في السؤال عن ذلك فقال : إن مثل هذا السؤال قد يستعمل فيما هو على التخيير ، وقرره ابن المنير في الحاشية بأن شخصا لو حنث فاستفتى فقال له المفتي : أعتق رقبة فقال لا أجد ، فقال صم ثلاثة أيام إلخ ، لم يكن مخالفا لحقيقه التخيير ، بل يحمل على أن إرشاده إلى العتق لكونه أقرب لتنجيز الكفارة . وقال البيضاوي : ترتيب الثاني بالفاء على فقد الأول ثم الثالث بالفاء على فقد الثاني يدل على عدم التخيير مع كونها في معرض البيان وجواب السؤال فينزل منزلة الشرط للحكم ، وسلك الجمهور في ذلك مسلك الترجيح بأن الذين رووا الترتيب عن الزهري أكثر ممن روى التخيير ، وتعقبه ابن التين بأن الذين رووا الترتيب ابن عيينة ومعمر والأوزاعي ، والذين رووا التخيير مالك وابن جريج وفليح بن سليمان وعمرو بن عثمان المخزومي ، وهو كما قال في الثاني دون الأول ، فالذين رووا الترتيب في البخاري الذي نحن في

شرحه أيضا إبراهيم بن سعد والليث بن سعد وشعيب بن أبي حمزة ومنصور ، ورواية هذين في هذا الباب الذي نشرحه وفي الذي يليه ، فكيف غفل ابن التين عن ذلك وهو ينظر فيه ؟ بل روى الترتيب عن الزهري كذلك تمام ثلاثين نفسا أو أزيد ، ورجح الترتيب أيضا بأن راويه حكى لفظ القصة على وجهها فمعه زيادة علم من صورة الواقعة ، وراوي التخيير حكى لفظ راوي الحديث فدل على أنه من تصرف بعض الرواة إما لقصد الاختصار أو لغير ذلك . ويترجح الترتيب أيضا بأنه أحوط لأن الأخذ به مجزئ سواء قلنا بالتخيير أو لا بخلاف العكس وجمع بعضهم بين الروايتين كالمهلب والقرطبي بالحمل على التعدد وهو بعيد لأن القصة واحدة والمخرج متحد والأصل عدم التعدد ، وبعضهم حمل الترتيب على الأولوية والتخيير على الجواز ، وعكسه بعضهم فقال " أو " في الرواية الأخرى ليست للتخيير وإنما هي للتفسير والتقدير ، أمر رجلا أن يعتق رقبة أو يصوم إن عجز عن العتق أو يطعم إن عجز عنهما . وذكر الطحاوي أن سبب إتيان بعض الرواة بالتخيير أن الزهري راوي الحديث قال في آخر حديثه " فصارت الكفارة إلى عتق رقبة أو صيام شهرين أو الإطعام " . قال فرواه بعضهم مختصرا مقتصرا على ما ذكر الزهري أنه آل إليه الأمر ، قال وقد قص عبد الرحمن بن خالد ابن مسافر عن الزهري القصة على وجهها ثم ساقه من طريقه مثل حديث الباب إلى قوله " أطعمه أهلك " قال فصارت الكفارة إلى عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا . قلت : وكذلك رواه الدارقطني في " العلل " من طريق صالح بن أبي الأخضر عن الزهري وقال في آخره " فصارت سنة عتق رقبة أو صيام شهرين أو إطعام ستين مسكينا " .

قوله : (فمكث عند النبي صلى الله عليه وسلم)

كذا هنا بالميم والكاف المفتوحة ، ويجوز ضمها والثاء المثلثة ، وفي رواية أبي نعيم في " المستخرج " من وجهين عن أبي اليمان " فسكت " بالمهملة والكاف المفتوحة والمثناة ، وكذا ابن مسافر وابن أبي الأخضر ، وفي رواية ابن عيينة " فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اجلس فجلس " .

قوله : (فبينا نحن على ذلك)

في رواية ابن عيينة " فبينما هو جالس كذلك " قال بعضهم يحتمل أن يكون سبب أمره له بالجلوس انتظار ما يوحى إليه في حقه ، ويحتمل أنه كان عرف أنه سيؤتى بشيء يعينه به ، ويحتمل أن يكون أسقط عنه الكفارة بالعجز . وهذا الثالث ليس بقوي لأنها لو سقطت ما عادت عليه حيث أمره بها بعد إعطائه إياه المكتل .

قوله : (أتي النبي صلى الله عليه وسلم)

كذا للأكثر بضم أوله على البناء للمجهول وهو جواب " بينا " في هذه الرواية . وأما رواية ابن عيينة المشار إليها فقال فيها " إذ أتي " لأنه قال فيها " فبينما هو جالس " وقد تقدم تقرير ذلك ، والآتي المذكور لم يسم لكن وقع في رواية معمر كما سيأتي في الكفارات " فجاء رجل من الأنصار " وعند الدارقطني من طريق داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب مرسلا " فأتى رجل من ثقيف " فإن لم يحمل على أنه كان حليفا للأنصار أو إطلاق الأنصار بالمعنى الأعم وإلا فرواية الصحيح أصح ، ووقع في رواية ابن إسحاق " فجاء رجل بصدقته يحملها " وفي مرسل الحسن عند سعيد بن منصور " بتمر من تمر الصدقة " .

قوله : (بعرق)

بفتح المهملة والراء بعدها قاف . قال ابن التين كذا لأكثر الرواة ، وفي رواية أبي الحسن يعني القابسي بإسكان الراء . قال عياض والصواب الفتح ، وقال ابن التين أنكر بعضهم الإسكان لأن الذي بالإسكان هو العظم الذي عليه اللحم . قلت : إن كان الإنكار من جهة الاشتراك مع العظم فلينكر الفتح لأنه يشترك مع الماء الذي يتحلب من الجسد ، نعم الراجح من حيث الرواية الفتح ومن حيث اللغة أيضا ، إلا أن الإسكان ليس بمنكر بل أثبته بعض أهل اللغة كالقزاز .

قوله : (والعرق المكتل)

بكسر الميم وسكون الكاف وفتح المثناة بعدها لام ، زاد ابن عيينة عند الإسماعيلي وابن خزيمة : المكتل الضخم . قال الأخفش : سمي المكتل عرقا لأنه يضفر عرقة عرقة جمع فالعرق جمع عرقة كعلق وعلقة ، والعرقة الضفيرة من الخوص . وقوله والعرق المكتل تفسير من أحد رواته ، وظاهر هذه الرواية أنه الصحابي ، لكن في رواية ابن عيينة ما يشعر بأنه الزهري ، وفي رواية منصور في الباب الذي يلي هذا " فأتي بعرق فيه تمر وهو الزبيل " وفي رواية ابن أبي حفصة " فأتي بزبيل وهو المكتل " والزبيل بفتح الزاي وتخفيف الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ثم لام بوزن رغيف هو المكتل ، قال ابن دريد يسمى زبيلا لحمل الزبل فيه ، وفيه لغة أخرى زنبيل بكسر الزاي أوله وزيادة نون ساكنة وقد تدغم النون فتشدد الباء مع بقاء وزنه ، وجمعه على اللغات الثلاث زنابيل ، ووقع في بعض طرق عائشة عند مسلم " فجاءه عرقان " والمشهور في غيرها عرق ورجحه البيهقي ، وجمع غيره بينهما بتعدد الواقعة ، وهو جمع لا نرضاه لاتحاد مخرج الحديث والأصل عدم التعدد ، والذي يظهر أن التمر كان قدر عرق لكنه كان في عرقين في حال التحميل على الدابة ليكون أسهل في الحمل ، فيحتمل أن الآتي به لما وصل أفرغ أحدهما في الآخر ، فمن قال عرقان أراد ابتداء الحال ومن قال عرق أراد ما آل إليه ، والله أعلم .

قوله : (أين السائل ؟)

زاد ابن مسافر " آنفا " أطلق عليه ذلك لأن كلامه متضمن للسؤال فإن مراده هلكت فما ينجيني وما يخلصني مثلا ، وفي حديث عائشة " أين المحترق آنفا " ؟ وقد تقدم توجيهه ، ولم يعين في هذه الرواية مقدار ما في المكتل من التمر بل ولا في شيء من طرق الصحيحين في حديث أبي هريرة ، ووقع في رواية ابن أبي حفصة " فيه خمسة عشر صاعا " وفي رواية مؤمل عن سفيان " فيه خمسة عشر أو نحو ذلك " وفي رواية مهران بن أبي عمر عن الثوري عن ابن خزيمة " فيه خمسة عشر أو عشرون " وكذا هو عند مالك وعبد الرزاق في مرسل سعيد بن المسيب ، وفي مرسله عند الدارقطني الجزم بعشرين صاعا ، ووقع في حديث عائشة عند ابن خزيمة " فأتي بعرق فيه عشرون صاعا " قال البيهقي قوله عشرون صاعا بلاغ بلغ محمد بن جعفر يعني بعض رواته ، وقد بين ذلك محمد بن إسحاق عنه فذكر الحديث وقال في آخره : قال محمد بن جعفر فحدثت بعد أنه كان عشرين صاعا من تمر . قلت : ووقع في مرسل عطاء بن أبي رباح وغيره عند مسدد " فأمر له ببعضه " وهذا يجمع الروايات ، فمن قال إنه كان عشرين أراد أصل ما كان فيه ، ومن قال خمسة عشر أراد قدر ما تقع به الكفارة ، ويبين ذلك حديث علي عند الدارقطني " تطعم ستين مسكينا لكل مسكين مد " وفيه " فأتي بخمسة عشر صاعا فقال أطعمه ستين مسكينا " وكذا في رواية حجاج عن الزهري عند الدارقطني في حديث أبي هريرة ، وفيه رد على الكوفيين في قولهم إن واجبه من القمح ثلاثون صاعا ومن غيره ستون صاعا ، ولقول عطاء : إن أفطر بالأكل أطعم عشرين صاعا ، وعلى أشهب في قوله لو غداهم أو عشاهم كفي تصدق الإطعام ، ولقول الحسن يطعم أربعين مسكينا عشرين صاعا أو بالجماع أطعم خمسة عشر ، وفيه رد على الجوهري حيث قال في الصحاح المكتل يشبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعا لأنه لا حصر في ذلك ، وروي عن مالك أنه قال يسع خمسة عشر أو عشرين ولعله قال ذلك في هذه القصة الخاصة فيوافق رواية مهران وإلا فالظاهر أنه لا حصر في ذلك والله أعلم . وأما ما وقع في رواية عطاء ومجاهد عن أبي هريرة عند الطبراني في الأوسط أنه " أتي بمكتل فيه عشرون صاعا فقال تصدق بهذا " وقال قبل ذلك تصدق بعشرين صاعا أو بتسع عشرة أو بإحدى وعشرين فلا حجة فيه لما فيه من الشك ، ولأنه من رواية ليث بن أبي سليم وهو ضعيف وقد اضطرب فيه ، وفي الإسناد إليه مع ذلك من لا يحتج به . ووقع في بعض طرق حديث عائشة عند مسلم " فجاءه عرقان فيهما طعام " ووجهه إن كان محفوظا ما تقدم قريبا والله أعلم .

قوله : (خذ هذا فتصدق به)

كذا للأكثر ومنهم من ذكره بمعناه ، وزاد ابن إسحاق " فتصدق به عن نفسك " ويؤيده رواية منصور في الباب الذي يليه بلفظ " أطعم هذا عنك " ونحوه في مرسل سعيد ابن المسيب من رواية داود بن أبي هند عنه عند الدارقطني ، وعنده من طريق ليث عن مجاهد عن أبي هريرة " نحن نتصدق به عنك " واستدل بإفراده بذلك على أن الكفارة عليه وحده دون الموطوءة ، وكذا قوله في المراجعة " هل تستطيع " و " هل تجد " وغير ذلك ، وهو الأصح من قولي الشافعية وبه قال الأوزاعي ، وقال الجمهور وأبو ثور وابن المنذر تجب الكفارة على المرأة أيضا على اختلاف وتفاصيل لهم في الحرة والأمة والمطاوعة والمكرهة وهل هي عليها أو على الرجل عنها ، واستدل الشافعية بسكوته عليه الصلاة والسلام عن إعلام المرأة بوجوب الكفارة مع الحاجة ، وأجيب بمنع وجود الحاجة إذ ذاك لأنها لم تعترف ولم تسأل واعتراف الزوج عليها لا يوجب عليها حكما ما لم تعترف ، وبأنها قضية حال فالسكوت عنها لا يدل على الحكم لاحتمال أن تكون المرأة لم تكن صائمة لعذر من الأعذار . ثم إن بيان الحكم للرجل بيان في حقها لاشتراكهما في تحريم الفطر وانتهاك حرمة الصوم كما لم يأمره بالغسل . والتنصيص على الحكم في حق بعض المكلفين كاف عن ذكره في حق الباقين ، ويحتمل أن يكون سبب السكوت عن حكم المرأة ما عرفه من كلام زوجها بأنها لا قدرة لها على شيء ، وقال القرطبي اختلفوا في الكفارة هل هي على الرجل وحده على نفسه فقط أو عليه وعليها أو عليه كفارتان عنه وعنها أو عليه عن نفسه وعليها عنها ، وليس في الحديث ما يدل على شيء من ذلك لأنه ساكت عن المرأة فيؤخذ حكمها من دليل آخر مع احتمال أن يكون سبب السكوت أنها كانت غير صائمة ، واستدل بعضهم بقوله في بعض طرق هذا الحديث " هلكت وأهلكت " وهي زيادة فيها مقال ، فقال ابن الجوزي : في قوله وأهلكت تنبيه على أنه أكرهها ولولا ذلك لم يكن مهلكا لها ، قلت : ولا يلزم من ذلك تعدد الكفارة بل لا يلزم من قوله وأهلكت إيجاب الكفارة عليها ، بل يحتمل أن يريد بقوله هلكت أثمت وأهلكت أي كنت سببا في تأثيم من طاوعتني فواقعها إذ لا ريب في حصول الإثم على المطاوعة ولا يلزم من ذلك إثبات الكفارة ولا نفيها ، أو المعنى هلكت أي حيث وقعت في شيء لا أقدر على كفارته ، وأهلكت أي نفسي بفعلي الذي جر علي الإثم ، وهذا كله بعد ثبوت الزيادة المذكورة ، وقد ذكر البيهقي أن للحاكم في بطلانها ثلاثة أجزاء ، ومحصل القول فها أنها وردت من طريق الأوزاعي ومن طريق ابن عيينة ، أما الأوزاعي فتفرد بها محمد بن المسيب عن عبد السلام بن عبد الحميد عن عمر بن عبد الواحد والوليد بن مسلم وعن محمد بن عقبة عن علقمة عن أبيه ثلاثتهم عن الأوزاعي قال البيهقي رواه جميع أصحاب الأوزاعي بدونها وكذلك جميع الرواة عن الوليد وعقبة وعمر ، ومحمد ابن المسيب كان حافظا مكثرا إلا

أنه كان في آخر أمره ءمي فلعل هذه اللفظة أدخلت عليه ، وقد رواه أبو علي النيسابوري عنه بدونها ، ويدل على بطلانها ما رواه العباس بن الوليد عن أبيه قال : سئل الأوزاعي عن رجل جامع امرأته في رمضان قال : عليهما كفارة واحدة إلا الصيام ، قيل له فإن استكرهها ؟ قال عليه الصيام وحده . وأما ابن عيينة فتفرد بها أبو ثور عن معلى بن منصور عنه ، قال الخطابي : المعلى ليس بذاك الحافظ . وتعقبه ابن الجوزي بأنه لا يعرف أحدا طعن في المعلى ، وغفل عن قول الإمام أحمد إنه كان يخطئ كل يوم في حديثين أو ثلاثة ، فلعله حدث من حفظه بهذا فوهم ، وقد قال الحاكم : وقفت على "كتاب الصيام للمعلى " بخط موثوق به وليست هذه اللفظة فيه ، وزعم ابن الجوزي أن الدارقهطني أخرجه من طريق عقيل أيضا ، وهو غلط منه فإن الدارقهطني لم يخرج طريق عقيل في " السنن " وقد ساقه في " العلل " بالإسناد الذي ذكره عنه ابن الجوزي بدونها .

(تنبيه (:

الـقائل بوجوب كفارة واحدة على الزوج عنه وعن موطوءته يقول يعتبر حالهما فإن كانا من أهل العتق أجزأت رقبة ، وإن كانا من أهل الإطعام أطعم ما سبق ، وإن كانا من أهل الصيام صاما جميعا ، فإن اختلف حالهما ففيه تفريع محله كتب الفروع .

قوله : (فقال الرجل على أفقر مني)

أي أتصدق به على شخص أفقر مني ؟ وهذا يشعر بأنه فهم الإذن له في التصدق على من يتصف بالفقر ، وقد بين ابن عمر في حديثه ذلك فزاد فيه " إلى من أدفعه ؟ قال إلى أفقر من تعلم " أخرجه البزار والطبراني في " الأوسط " وفي رواية إبراهيم بن سعد " أعلى أفقر من أهلي " ؟ ولابن مسافر " أعلى أهل بيت أفقر مني " ؟ وللأوزاعي " أعلى غير أهلي " ؟ ولمنصور " أعلى أحوج منا " ولابن إسحاق " وهل الصدقة إلا لي وعلي " ؟

قوله : (فوالله ما بين لابتيها))

تثنية لابة وقد تقدم شرحها في أواخر كتاب الحج والضمير للمدينة ، وقوله " يريد الحرتين " من كلام بعض رواته ، زاد في رواية ابن عيينة ومعمر " والذي بعثك بالحق " ووقع في حديث ابن عمر المذكور " ما بين حرتيها " وفي رواية الأوزاعي الآتية في الأدب " والذي نفسي بيده ما بين طنبي المدينة " تثنية طنب – وهو بضم الطاء المهملة بعدها نون – والطنب أحد أطناب الخيمة فاستعاره للطرف .

قوله : (أهل بيت أفقر من أهل بيتي)

زاد يونس " مني ومن أهل بيتي " وفي رواية إبراهيم بن سعد " أفقر منا " وأفقر بالنصب على أنها خبر ما النافية ، ويجوز الرفع على لغة تميم ، وفي رواية عقيل " ما أحد أحق به من أهلي ، ما أحد أحوج إليه مني " وفي أحق وأحوج ما في أفقر . وفي مرسل سعيد من رواية داود عنه " والله ما لعيالي من طعام " وفي حديث عائشة عند ابن خزيمة " ما لنا عشاء ليلة " .

قوله : (فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه)

في رواية ابن إسحاق " حتى بدت نواجذه " ولأبي قرة في " السنن " عن ابن جريج " حتى بدت ثناياه " ولعلها تصحيف من أنيابه فإن الثنايا تبين بالتبسم غالبا وظاهر السياق إرادة الزيادة على التبسم ، ويحمل ما ورد في صفته صلى الله عليه وسلم أن ضحكه كان تبسما على غالب أحواله ، وقيل كان لا يضحك إلا في أمر يتعلق بالآخرة فإن كان في أمر الدنيا لم يزد على التبسم ، قيل وهذه القضية تعكر عليه وليس كذلك فقد قيل إن سبب ضحكه صلى الله عليه وسلم كان من تباين حال الرجل حيث جاء خائفا على نفسه راغبا في فدائها مهما أمكنه ، فلما وجد الرخصة طمع في أن يأكل ما أعطيه من الكفارة ، وقيل ضحك من حال الرجل في مقاطع كلامه وحسن تأتيه وتلطفه في الخطاب وحسن توسله في توصله إلى مقصوده .

قوله : (ثم قال أطعمه أهلك)

تابعه معمر وابن أبي حفصة ، وفي رواية لابن عيينة في الكفارات " أطعمه عيالك " ولإبراهيم بن سعد " فأنتم إذا " وقدم على ذلك ذكر الضحك ، ولأبي قرة عن ابن جريج " ثم قال كله " ونحوه ليحيى بن سعيد وعراك ، وجمع بينهما ابن إسحاق ولفظه " خذها وكلها وأنفقها على عيالك " ونحوه في رواية عبد الجبار وحجاج وهشام بن سعد كلهم عن الزهري ، ولابن خزيمة في حديث عائشة " عد به عليك وعلى أهلك " وقال ابن دقيق العيد : تباينت في هذه القصة المذاهب فقيل إنه دل على سقوط الكفارة بالإعسار المقارن لوجوبها لأن الكفارة لا تصرف إلى النفس ولا إلى العيال ، ولم يبين النبي صلى الله عليه وسلم استقرارها في ذمته إلى حين يساره ، وهو أحد قولي الشافعية وجزم به عيسى ابن دينار من المالكية ، وقال الأوزاعي : يستغفر الله ولا يعود . ويتأيد ذلك بصدقة الفطر حيث تسقط بالإعسار المقارن لسبب وجوبها وهو هلال الفطر ، لكن الفرق بينهما أن صدقة الفطر لها أمد تنتهي إليه ، وكفارة الجماع لا أمد لها فتستقر في الذمة ، وليس في الخبر ما يدل على إسقاطها بل فيه ما يدل على استمرارها على العاجز ، وقال الجمهور : لا تسقط الكفارة بالإعسار ، والذي أذن له في التصرف فيه ليس على سبيل الكفارة . ثم اختلفوا فقال الزهري : هو خاص بهذا الرجل ، وإلى هذا نحا إمام الحرمين ، ورد بأن الأصل عدم الخصوصية . وقال

بعضهم : هو منسوخ ، ولم يبين قائله ناسخه ، وقيل : المراد بالأهل الذين أمر بصرفها إليهم من لا تلزمه نفقته من أقاربه ، وهو قول بعض الشافعية ، وضعف بالرواية الأخرى التي فيها عيالك ، وبالرواية المصرحة بالإذن له في الأكل من ذلك ، وقيل لما كان عاجزا عن نفقة أهله جاز له أن يصرف الكفارة لهم ، وهذا هو ظاهر الحديث ، وهو الذي حمل أصحاب الأقوال الماضية على ما قالوه بأن المرء لا يأكل من كفارة نفسه . قال الشيخ تقي الدين : وأقوى من ذلك أن يجعل الإعطاء لا على جهة الكفارة بل على جهة التصدق عليه وعلى أهله بتلك الصدقة لما ظهر من حاجتهم ، وأما الكفارة فلم تسقط بذلك ، ولكن ليس استقرارها في ذمته مأخوذا من هذا الحديث . وأما ما اعتلوا به من تأخير البيان فلا دلالة فيه ، لأن العلم بالوجوب قد تقدم ، ولم يرد في الحديث ما يدل على الإسقاط لأنه لما أخبره بعجزه ثم أمره بإخراج العرق دل على أن لا سقوط عن العاجز ، ولعله أخر البيان إلى وقت الحاجة وهو القدرة ا هـ . وقد ورد ما يدل على إسقاط الكفارة أو على إجزائها عنه بإنفاقه إياها على عياله وهو قوله في حديث علي " وكله أنت وعيالك فقد كفر الله عنك " ولكنه حديث ضعيف لا يحتج بما انفرد به ، والحق أنه لما قال له صلى الله عليه وسلم خذ هذا فتصدق به لم يقبضه بل اعتذر بأنه أحوج إليه من غيره فأذن له حينئذ في أكله ، فلو كان قبضه لملكه ملكا مشروطا بصفة وهو إخراجه عنه في كفارته فينبني على الخلاف المشهور في التمليك المقيد بشرط ، لكنه لما لم يقبضه لم يملكه ، فلما أذن له صلى الله عليه وسلم في إطعامه لأهله وأكله منه كان تمليكا مطلقا بالنسبة إليه وإلى أهله وأخذهم إياه بصفة الفقر المشروحة ، وقد تقدم أنه كان من مال الصدقة ، وتصرف النبي صلى الله عليه وسلم فيه تصرف الإمام في إخراج مال الصدقة ، واحتمل إنه كان تمليكا بالشرط الأول ومن ثم نشأ الإشكال ، والأول أظهر فلا يكون فيه إسقاط ولا أكل المرء من كفارة نفسه ولا إنفاقه على من تلزمه نفقتهم من كفارة نفسه . وأما ترجمة البخاري الباب الذي يليه " باب المجامع في رمضان هل يطعم أهله من الكفارة إذا كانوا محاويج " فليس فيه تصريح بما تضمنه حكم الترجمة . وإنما أشار إلى الاحتمالين المذكورين بإتيانه بصيغة الاستفهام والله أعلم . واستدل به على جواز إعطاء الصدقة جميعها في صنف واحد ، وفيه نظر لأنه لم يتعين أن ذلك القدر هو جميع ما يجب على ذلك الرجل الذي أحضر التمر ، وعلى سقوط قضاء اليوم الذي أفسده المجامع اكتفاء بالكفارة ، إذ لم يقع التصريح في الصحيحين بقضائه وهو محكي في مذهب الشافعي ، وعن الأوزاعي يقضي إن كفر بغير الصوم وهو وجه للشافعية أيضا ، قال ابن العربي : إسقاط القضاء لا يشبه منصب الشافعي إذ لا كلام في القضاء لكونه أفسد العبادة وأما الكفارة فإنما هي لما اقترف من الإثم ، قال : وأما كلام الأوزاعي فليس

بشيء . قلت : وقد ورد الأمر بالقضاء في هذا الحديث في رواية أبي أويس وعبد الجبار وهشام بن سعد كلهم عن الزهري ، وأخرجه البيهقي من طريق إبراهيم بن سعد عن الليث عن الزهري ، وحديث إبراهيم بن سعد في الصحيح عن الزهري نفسه بغير هذه الزيادة ، وحديث الليث عن الزهري في الصحيحين بدونها ، ووقعت الزيادة أيضا في مرسل سعيد بن المسيب ونافع بن جبير والحسن ومحمد بن كعب ، وبمجموع هذه الطرق تعرف أن لهذه الزيادة أصلا ، ويؤخذ من قوله " صم يوما " عدم اشتراط الفورية للتنكير في قوله " يوما " . وفي الحديث من الفوائد - غير ما تقدم - السؤال عن حكم ما يفعله المرء مخالفا للشرع ، والتحدث بذلك لمصلحة معرفة الحكم ، واستعمال الكناية فيما يستقبح ظهوره بصريح لفظه لقوله واقعت أو أصبت ، على أنه قد ورد في بعض طرقه - كما تقدم - وطئت ، والذي يظهر أنه من تصرف الرواة . وفيه الرفق بالمتعلم والتلطف في التعليم والتألف على الدين ، والندم على المعصية ، واستشعار الخوف . وفيه الجلوس في المسجد لغير الصلاة من المصالح الدينية كنشر العلم ، وفيه جواز الضحك عند وجود سببه ، وإخبار الرجل بما يقع منه مع أهله للحاجة . وفيه الحلف لتأكيد الكلام ، وقبول قول المكلف مما لا يطلع عليه إلا من قبله لقوله في جواب قوله أفقر منا أطعمه أهلك ويحتمل أن يكون هناك قرينة لصدقه . وفيه التعاون على العبادة والسعي في إخلاص المسلم وإعطاء الواحد فوق حاجته الراهنة ، وإعطاء الكفارة أهل بيت واحد ، وأن المضطر إلى ما بيده لا يجب عليه أن يعطيه أو بعضه لمضطر آخر .." (١)

"٢٣٠٩ - ذكر فيه حديث ابن عمر في ذلك من وجهين ، وقد تقدم في المظالم ، ويأتي الكلام عليه في الأطعمة إن شاء الله تعالى .

قال ابن بطال : النهي عن القران من **حسن الأدب** في الأكل عند الجمهور لا على التحريم كما قال أهل الظاهر ، لأن الذي يوضع للأكل سبيله سبيل المكارمة لا التشاح لاختلاف الناس في الأكل لكن إذا استأثر بعضهم بأكثر من بعض لم يحل له ذلك .." (٢)

"٢٣٥٢ - قوله : (حدثنا إسماعيل بن عبد الله)

هو ابن أبي أويس .

قوله : (أن رجالا من الأنصار)

لم أعرف أسماءهم الآن .

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٨٨/٦

(٢) فتح الباري لابن حجر، ٤٣١/٧

قوله : (لابن أختنا)

بالمثناة

(عباس)

هو ابن عبد المطلب ، والمراد أنهم أخوال أبيه عبد المطلب ، فإن أم العباس هي نتيلة بالنون والمثناة مصغرة بنت جنان بالجيم والنون ، وليست من الأنصار ، وإنما أرادوا بذلك أن أم عبد المطلب منهم ، لأنها سلمى بنت عمرو بن أحيحة بمهملتين مصغر وهي من بني النجار ، ومثله ما وقع في حديث الهجرة أنه صلى الله عليه وسلم نزل على أخواله بني النجار ، وأخواله حقيقة إنما هم بنو زهرة وبنو النجار أخوال جده عبد المطلب . قال ابن الجوزي : صحف بعض المحدثين لجهله بالنسب فقال : " ابن أخينا " بكسر الخاء بعدها تحتانية ، وليس هو ابن أخيهم ، إذ لا نسب بين قريش والأنصار ، قال : وإنما قالوا ابن أختنا لتكون المنة عليهم في إطلاقه بخلافه ما لو قالوا عمك لكانت المنة عليه صلى الله عليه وسلم ، وهذا من قوة الذكاء **وحسن الأدب** في الخطاب ، وإنما امتنع صلى الله عليه وسلم من إجابتهم لئلا يكون في الدين نوع محاباة . وسيأتي مزيد في هذه القصة في الكلام على غزوة بدر إن شاء الله تعالى . وأراد المصنف بإيراده هنا الإشارة إلى أن حكم القرابة من ذوي الأرحام في هذا لا يختلف من حكم القرابة من العصبات . والله أعلم .." (١)

"٣٣٩٨ - قوله : (عن شريك بن أبي نمر)

هو ابن عبد الله ، وأبو نمر جده .

قوله : (خرج ووجه ها هنا)

كذا للأكثر بفتح الواو وتشديد الجيم أي توجه أو وجه نفسه ، وفي رواية الكشميهني بسكون الجيم بلفظ الاسم مضافا إلى الظرف أي جهة كذا .

قوله : (حتى دخل بئر أريس)

بفتح الألف وكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة ثم مهملة : بستان بالمدينة معروف يجوز فيه الصرف وعدمه ، وهو بالقرب من قباء . وفي بئرها سقط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من إصبع عثمان رضي الله عنه .

قوله : (وتوسط قفها)

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٨/٢

بضم القاف وتشديد الفاء هو الداكة التي تجعل حول البئر ، وأصله ما غلظ من الأرض وارتفع ، والجمع قفاف . ووقع في رواية عثمان بن غياث عن أبي عثمان عند مسلم " بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط من حوائط المدينة وهو متكئ ينكت بعود معه بين الماء والطين " .

قوله : (فقلت لأكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم)

ظاهره أنه اختار ذلك وفعله من تلقاء نفسه ، وقد صرح بذلك في رواية محمد بن جعفر عن شريك في الأدب فزاد فيه " ولم يأمرني " قال ابن التين : فيه أن المرء يكون بوابا للإمام وإن لم يأمره ، كذا قال . وقد وقع في رواية أبي عثمان الآتية في مناقب عثمان عن أبي موسى " أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطا وأمره بحفظ باب الحائط " ووقع في رواية عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب في هذا الحديث " فقال : يا أبا موسى املك علي الباب ، فانطلق فقضى حاجته وتوضأ ، ثم جاء فقعد على قف البئر " أخرجه أبو عوانة في صحيحه والروياني في مسنده ، وفي رواية الترمذي من طريق أبي عثمان عن أبي موسى " فقال لي : يا أبا موسى املك علي الباب فلا يدخلن علي أحد " فيجمع بينهما بأنه لما حدث نفسه بذلك صادف أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يحفظ عليه الباب ، وأما قوله : " ولم يأمرني " فيريد أنه لم يأمره أن يستمر بوابا ، وإنما أمره بذلك قدر ما يقضي حاجته ويتوضأ ثم استمر هو من قبل نفسه ، وسيأتي له توجيه آخر في خبر الواحد ، فبطل أن يستدل به لما قاله ابن التين ، والعجب أنه نقل ذلك بعد عن الداودي وهذا من مختلف الحديث ، وكأنه خفي عليه وجه الجمع الذي قررته . ثم إن قول أبي موسى هذا لا يعارض قول أنس أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له بواب كما سبق في كتاب الجنائز لأن مراد أنس أنه لم يكن له بواب مرتب لذلك على الدوام .

قوله : (فدفع الباب)

في رواية أبي بكر " فجاء رجل يستأذن " .

قوله : (يبشرك بالجنة)

زاد أبو عثمان في روايته " فحمد الله " وكذا قال في عمر .

قوله : (وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني)

كان لأبي موسى أخوان أبو رهم وأبو بردة ، وقيل إن له أخا آخر اسمه محمد ، وأشهرهم أبو بردة واسمه عامر ، وقد خرج عنه أحمد في مسنده حديثا .

قوله : (فإذا إنسان يحرك الباب)

فيه حسن الأدب في الاستئذان ، قال ابن التين . ويحتمل أن يكون هذا قبل نزول قوله : (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) . قلت : وما أبعد ما قال ، فقد وقع في رواية عبد الرحمن بن حرملة " فجاء رجل فاستأذن " وسيأتي في آخر مناقب عمر من طريق أبي عثمان النهدي عن أبي موسى بلفظ " فجاء رجل فاستفتح " فعرف أن قوله : " يحرك الباب " إنما حركه مستأذنا لا دافعا له ليدخل بغير إذن .

قوله : (فقال : عثمان ، فقلت : على رسلك ، فجئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : ائذن له)

في رواية أبي عثمان " ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنية ثم قال ائذن له " .

قوله : (وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة على بلوى تصيبك)

في رواية أبي عثمان " فحمد الله ثم قال : الله المستعان " وفي رواية عند أحمد " فجعل يقول : اللهم صبرا ، حتى جلس " وفي رواية عبد الرحمن بن حرملة " فدخل وهو يحمد الله ويقول : اللهم صبرا " ووقع في حديث زيد بن أرقم عند البيهقي في " الدلائل " قال : " بعثني النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انطلق حتى تأتي أبا بكر فقل له : إن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام ويقول لك : أبشر بالجنة . ثم انطلق إلى عمر كذلك ، ثم انطلق إلى عثمان كذلك وزاد : بعد بلاء شديد . قال فانطلق فذكر أنه وجدهم على الصفة التي قال له وقال : أين نبي الله ؟ قلت في مكان كذا وكذا ، فانطلق إليه . وقال في عثمان فأخذ بيدي حتى أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن زيدا قال لي كذا ، والذي بعثك بالحق ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعتك ، فأي بلاء يصيبني ؟ قال هو ذاك " قال البيهقي إسناده ضعيف ، فإن كان محفوظا احتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن أرقم قبل أن يجيء أبو موسى ، فلما جاءوا كان أبو موسى قد قعد على الب ا ب فراسلهم على لسانه بنحو ما أرسل به إليهم زيد بن أرقم والله أعلم . قلت : ووقع نحو قصة أبي موسى لبلال وذلك فيما أخرجه أبو داود من طريق إسماعيل بن جعفر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن نافع بن عبد الحارث الخزاعي قال : " دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط المدينة فقال لبلال : أمسك علي الباب ، فجاء أبو بكر يستأذن " فذكر نحوه . وأخرجه الطبراني في " الأوسط " من حديث أبي سعيد نحوه . وهذا إن صح حمل على التعدد . ثم ظهر لي أن فيه وهما من بعض رواته ، فقد أخرجه أحمد عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو وفي حديثه أن نافع بن عبد الحارث هو الذي كان يستأذن ، وهو وهم أيضا ، فقد رواه أحمد من طريق موسى بن عقبة عن أبي سلمة عن نافع فذكره وفيه " فجاء أبو بكر فاستأذن فقال لأبي

موسى فيما أعلم ائذن له " وأخرجه النسائي من طريق أبي الزناد عن أبي سلمة عن نافع بن عبد الحارث عن أبي موسى وهو الصواب ، فرجع الحديث إلى أبي موسى واتحدت القصة والله أعلم . وأشار صلى الله عليه وسلم بالبلوى المذكورة إلى ما أصاب عثمان في آخر خلافته من الشهادة يوم الدار ، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أصرح من هذا فروى أحمد من طريق كليب بن وائل عن ابن عمر قال : " ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة ، فمر رجل فقال : يقتل فيها هذا يومئذ ظلما ، قال فنظرت فإذا هو عثمان " إسناده صحيح .

قوله : (فجلس وجاهه)

بضم الواو وبكسرها أي مقابله .

قوله : (قال شريك)

هو موصول بالإسناد الماضي .

قوله : (قال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم) فيه وقوع التأويل في اليقظة وهو الذي يسمى الفراسة والمراد اجتماع الصاحبين مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدفن وانفراد عثمان عنهم في البقيع ، وليس المراد خصوص صورة الجلوس الواقعة . وقد وقع في رواية عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب " قال سعيد : فأولت ذلك انتباذ قبره من قبورهم " وسيأتي في الفتن بلفظ " اجتمعت هاهنا وانفرد عثمان " ولو ثبت الخبر الذي أخرجه أبو نعيم عن عائشة في صفة القبور الثلاثة أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره لكان فيه تمام التشبيه ، ولكن سنده ضعيف ، وعارضه ما هو أصح منه . وأخرج أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد قال : " قلت لعائشة : يا أماه اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، فكشفت لي " الحديث وفيه " فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أبو بكر رأسه بين كتفيه ، وعمر رأسه عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم " .." (١)

"٣٩٧٥ - قوله : (قال إسرائيل وزهير : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته)

أي إن إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق وزهير بن معاوية الجعفي رويا هذا الحديث عن أبي إسحاق عن البراء فقالا في آخره : " نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته " فأما رواية إسرائيل فوصلها المصنف في " باب من قال خذها وأنا ابن فلان " من كتاب الجهاد ولفظه " كان أبو سفيان بن الحارث آخذا بعنان بغلته ، فلما غشيه المشركون نزل " وقد تقدم شرح ذلك . وأما رواية زهير فوصلها أيضا في " باب من صف

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤٦٩/١٠

أصحابه عند الهزيمة " وقد ذكرت لفظه قريبا . ولمسلم من حديث سلمة بن الأكوع " لما غشوا النبي صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من تراب ، ثم استقبل به وجوههم فقال : شاهت الوجوه ، فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا منهزمين " . ولأحمد وأبي داود والترمذي من حديث أبي عبد الرحمن الفهري في قصة حنين قال : " فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيا عباد الله ، أنا عبد الله ورسوله . ثم اقتحم عن فرسه فأخذ كفا من تراب ، قال : فأخبرني الذي كان أدنى إليه مني أنه ضرب به وجوههم وقال : شاهت الوجوه ، فهزمهم " قال يعلى بن عطاء راويه عن أبي همام عن أبي عبد الرحمن الفهري " قال : فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا : لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه ترابا " ولأحمد والحاكم من حديث ابن مسعود " ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته قدما ، فحادت به بغلته فمال عن السرج فقلت ارتفع رفعك الله ، فقال : ناولني كفا من تراب ، فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابا . وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب ، فولى المشركون الأدبار " وللبزار من حديث ابن عباس " أن عليا ناول النبي صلى الله عليه وسلم التراب ، فرمى به في وجوه المشركين يوم حنين " . ويجمع بين هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم أولا قال لصاحبه : ناولني فناوله فرماهم ، ثم نزل عن البغلة فأخذ بيده فرماهم أيضا . فيحتمل أن الحصى في إحدى المرتين وفي الأخرى التراب ، والله أعلم . وفي الحديث من الفوائد **حسن الأدب** في الخطاب ، والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب . وذم الإعجاب .

وفيه جواز الانتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية ، والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب . ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها . وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله ، ولا يقال كان النبي صلى الله عليه وسلم متيقنا للنصر لوعد الله تعالى له بذلك وهو حق ، لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه آخذا بلجام بغلته وليس هو في اليقين مثل النبي صلى الله عليه وسلم . وقد استشهد في تلك الحالة أيمن ابن أم أيمن كما تقدمت الإشارة إليه في شعر العباس . وفيه ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات ، لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي ، وإذا كان رأس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار وأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لأتباعه على الثبات . وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو .." (١)

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٢٧/١٢

"٤٣٥٧ - قوله : (يزيد أحدهما على صاحبه)

يستفاد بيان زيادة أحدهما على الآخر من الإسناد الذي قبله ، فإن الأول من رواية سفيان عن عمرو بن دينار فقط وهو أحد شيخي ابن جريج فيه .

قوله : (وغيرهما قد سمعته يحدثه)

أي يحدث الحديث المذكور ، وعداه بغير الباء . ووقع في رواية الكشميهني يحدث بحذف المفعول ، وقد عين ابن جريج بعض من أبهمه كعثمان بن أبي سليمان ، وروى شيئا من هذه القصة عن سعيد بن جبير من مشايخ ابن جريج عبد الله بن عثمان بن خثيم وعبد الله بن هرمز وعبد الله بن عبيد بن عمير ، وممن روى هذا الحديث عن سعيد بن جبير أبو إسحاق السبيعي وروايته عند مسلم وأبي داود وغيرهما ، والحكم بن عتيبة وروايته في السيرة الكبرى لابن إسحاق ، وسأذكر بيان ما في رواياتهم من فائدة .

قوله : (إذ قال : سلوني)

فيه جواز قول العالم ذلك ، ومحله إذا أمن العجب أو دعت الضرورة إليه كخشية نسيان العلم .

قوله : (أي أبا عباس)

هي كنية عبد الله بن عباس .

وقوله : (جعلني الله فداءك)

فيه حجة لمن أجاز ذلك خلافا لمن منعه ، وسيأتي البحث فيه في كتاب الأدب .

قوله : (إن بالكوفة رجلا قاصا)

في رواية الكشميهني " بالكوفة رجل قاص " بحذف إن من أوله ، والقاص بتشديد المهملة الذي يقص على الناس الأخبار من المواعظ وغيرها .

قوله : (يقال له نوف)

بفتح النون وسكون الواو بعدها فاء ، وفي رواية سفيان " أن نوفا البكالي " وهو بكسر الموحدة مخففا وبعد الألف لام ، ووقع عند بعض رواة مسلم بفتح أوله والتشديد والأول هو الصواب ، واسم أبيه فضالة بفتح الفاء وتخفيف المعجمة ، وهو منسوب إلى بني بكال بن دعمي بن سعد بن عوف بطن من حمير ، ويقال إنه ابن امرأة كعب الأحبار وقيل ابن أخيه وهو تابعي صدوق . وفي التابعين جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة ابن نوف البكيلي بفتح الموحدة وكسر الكاف مخففا بعدها تحتانية بعدها لام منسوب إلى بكيل بطن من همدان ، ويكنى أبا الوداك بتشديد الدال ، وهو مشهور بكنيته ، ومن زعم أن ولد نوف البكالي

فقد وهم .
قوله : (يزعم أنه ليس بموسى بني إسرائيل)
في رواية سفيان يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل . ووقع في رواية ابن إسحاق عن سعيد بن جبير عند النسائي قال : "كنت عند ابن عباس وعنده قوم من أهل الكتاب فقال بعضهم : يا أبا عباس إن نوفا يزعم عن كعب الأحبار أن موسى الذي طلب العلم إنما هو موسى بن ميشا أي ابن أفرائيم بن يوسف عليه السلام ، فقال ابن عباس : أسمعت ذلك منه يا سعيد ؟ قلت : نعم . قال : كذب نوف " وليس بين الروايتين تعارض لأنه يحمل على أن سعيدا أبهم نفسه في هذه الرواية ويكون قوله : فقال بعضهم أي بعض الحاضرين ، لا أهل الكتاب ، ووقع عند مسلم من هذا الوجه " قيل لابن عباس " بدل قوله : " فقال بعضهم " وعند أحمد في رو ا ية أبي إسحاق " وكان ابن عباس متكئا فاستوى جالسا وقال : أكذاك يا سعيد ؟ قلت : نعم أنا سمعته " وقال ابن إسحاق في " المبتدأ " : كان موسى بن ميشا قبل موسى بن عمران نبيا في بني إسرائيل ، ويزعم أهل الكتاب أنه الذي صحب الخضر .
قوله : (أما عمرو)
ابن دينار
(قال لي : كذب عدو الله)
أراد ابن جريج أن هذه الكلمة وقعت في رواية عمرو بن دينار دون رواية يعلى بن مسلم ، وهو كما قال ، فإن سفيان رواها أيضا عن عمرو بن دينار كما مضى ، وسقط ذلك من رواية يعلى بن مسلم . وقوله : كذب وقوله : عدو الله محمولان على إرادة المبالغة في الزجر والتنفير عن تصديق تلك المقالة ، وقد كانت هذه المسألة دارت أولا بين ابن عباس والحر بن قيس الفزاري وسألا عن ذلك أبي بن كعب ، لكن لم يفصح في تلك الرواية ببيان ما تنازعا فيه ، وقد تقدم بيان ذلك في كتاب العلم .
قوله : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)
في رواية سفيان أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قوله : (قال : ذكر)
هو بتشديد الكاف أي وعظهم ، وفي رواية ابن إسحاق عند النسائي " فذكرهم بأيام الله . وأيام الله نعماؤه " ولمسلم من هذا الوجه " يذكرهم بأيام الله وآلاء الله نعماؤه وبلاؤه " وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في تفسير سورة إبراهيم ، وفي رواية سفيان " قام خطيبا في بني إسرائيل " .

قوله : (حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب)

يظهر لي أن هذا القدر من زيادة يعلى بن مسلم على عمرو بن دينار ، لأن ذلك لم يقع في رواية سفيان عن عمرو وهو أثبت الناس فيه ، وفيه أن الواعظ إذا أثر وعظه في السامعين فخشعوا وبكوا ينبغي أن يخفف لئلا يملوا .

قوله : (فأدركه رجل)

لم أقف على اسمه ، وهو يقتضي أن السؤال عن ذلك وقع بعد أن فرغ من الخطبة وتوجه ، ورواية سفيان توهم أن ذلك وقع في الخطبة ، لكن يمكن حملها على هذه الرواية ، فإن لفظة" قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل " فتحمل على أن فيه حذفا تقديره : قام خطيبا فخطب ففرغ فتوجه فسئل ، والذي يظهر أن السؤال وقع وموسى بعد لم يفارق المجلس ، ويؤيده أن في منازعة ابن عباس والحر بن قيس " بينما موسى في ملأ بني إسرائيل جاءه رجل فقال : هل تعلم أحدا أعلم منك " الحديث .

قوله : (هل في الأرض أحد أعلم منك ؟ قال : لا)

في رواية سفيان " فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا " وبين الروايتين فرق ، لأن رواية سفيان تقتضي الجزم بالأعلمية له ورواية الباب تنفي الأعلمية عن غيره عليه فيبقى احتمال المساواة ، ويؤيد رواية الباب أن في قصة الحر بن قيس " فقال : هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال : لا " وفي رواية أبي إسحاق عند مسلم " فقال : ما أعلم في الأرض رجلا خيرا وأعلم مني ، فأوحى الله إليه : إني أعلم بالخير عند من هو ، وإن في الأرض رجلا هو أعلم منك " وقد تقدم في كتاب العلم البحث ع‍م‍ا يتعلق بقوله : " فعتب الله عليه " وهذا اللفظ في العلم ، ووقع هنا " فعتب " بحذف الفاعل ، وقوله في رواية الباب : " قيل بلى " وقع في رواية سفيان " فأوحى الله إليه : إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك " وفي قصة الحر بن قيس " فأوحى الله إلى موسى " بلى عبدنا خضر " وفي رواية أبي إسحاق عند مسلم " أن في الأرض رجلا هو أعلم منك " وعند عبد بن حميد من طريق هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس " أن موسى قال : أي رب ، أي عبادك أعلم ؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلى علمه ، قال : من هو وأين هو ؟ قال : الخضر ، تلقاه عند الصخرة " وذكر له حليته . وفي هذه القصة " وكان موسى حدث نفسه بشيء من فضل علمه أو ذكره على منبره " وتقدم في كتاب العلم شرح هذه اللفظة وبيان ما فيها من إشكال والجواب عنه مستوفى . ووقع في رواية أبي إسحاق عند النسائي " أن من عبادي من آتيته من العلم ما لم أوتك " وهو يبين المراد أيضا . وعند عبد بن حميد من طريق أبي العالية ما يدل على أن الجواب وقع في نفس موسى قبل أن يسأل ولفظه

" لما أوتي موسى التوراة وكلمه الله وجد في نفسه أن قال من أعلم مني " ونحوه عند النسائي من وجه آخر عن ابن عباس وأن ذلك وقع في حال الخطبة ولفظه " قام موسى خطيبا في بني إسرائيل فأبلغ في الخطبة ، فعرض في نفسه أن أحدا لم يؤت من العلم ما أوتي " .

قوله : (قال : أي رب فأين)

في رواية سفيان " قال : يا رب فكيف لي به " وفي رواية النسائي المذكورة " قال : فادللني على هذا الرجل حتى أتعلم منه " .

قوله : (اجعل لي علما)

بفتح العين واللام أي علامة ، وفي قصة الحر بن قيس : فجعل الله له الحوت آية " وفي رواية سفيان " فكيف لي به " وفي قصة الحر بن قيس " فسأل موسى السبيل إلى لقيه " .

قوله : (أعلم ذلك به)

أي المكان الذي أطلب فيه .

قوله : (فقال لي عمرو)

هو ابن دينار ، والقائل هو ابن جريج .

قوله : (قال : حيث يفارقك الحوت)

يعني فهو ثم ، وقع ذلك مفسرا في رواية سفيان عن عمرو قال : " تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل ، فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم " ونحوه في قصة الحر بن قيس ولفظه " وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه " .

قوله : (وقال لي يعلى)

هو ابن مسلم ، والقائل أيضا هو ابن جريج .

قوله : (قال : خذ حوتا)

في رواية الكشميهني " نونا " وفي رواية أبي إسحاق عند مسلم " فقيل له تزود حوتا مالحا ، فإنه حيث تفقد الحوت " ويستفاد من هذه الرواية أن الحوت كان ميتا لأنه لا يملح وهو حي ، ومنه تعلم الحكمة في تخصيص الحوت دون غيره من الحيوانات لأن غيره لا يؤكل ميتا ، ولا يرد الجراد لأنه قد يفقد وجوده لا سيما بمصر .

قوله : (حيث ينفخ فيه الروح)

هو بيان لقوله في الروايات الأخرى : " حيث تفقده " .
قوله : (فأخذ حوتا فجعله في مكتل)
في رواية الربيع بن أنس عند ابن أبي حاتم أنهما اصطاداه ، يعني موسى وفتاه .
قوله : (فقال لفتاه)
في رواية سفيان " ثم انطلق وانطلق معه بفتاه " .
قوله : (ما كلفت كثيرا)
للأكثر بالمثلثة وللكشميهني بالموحدة .
قوله . (فلذلك قوله : (وإذ قال موسى لفتاه) يوشع بن نون ، ليست عن سعيد)
القائل ليست عن سعيد هو ابن جريج ، ومراده أن تسمية الفتى ليست عنده في رواية سعيد بن جبير ، ويحتمل أن يكون الذي نفاه صورة السياق لا التسمية فإنها وقعت في رواية سفيان عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير ولفظه " ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون " وقد تقدم بيان نسب يوشع في أحاديث الأنبياء ، وأنه الذي قام في بني إسرائيل بعد موت موسى ، ونقل ابن العربي أنه كان ابن أخت موسى ، وعلى القول الذي نقله نوف بن فضالة من أن موسى صاحب هذه القصة ليس هو ابن عمران فلا يكون فتاه يوشع بن نون ، وقد روى الطبري من طريق عكرمة قال : قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى بذكر من حين لقي الخضر ، فقال ابن عباس : إن الفتى شرب من الماء الذي شرب منه الحوت فخلد ، فأخذه العالم فطابق به بين لوحين ثم أرسله في البحر فإنها لتموج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه . قال أبو نصر بن القشيري : إن ثبت هذا فليس هو يوشع . قلت : لم يثبت ، فإن إسناده ضعيف . وزعم ابن العربي أن ظاهر القرآن يقتضي أن الفتى ليس هو يوشع ، وكأنه أخذ من لفظ الفتى أو أنه خاص بالرقيق ، وليس بجيد لأن الفتى مأخوذ من الفتي وهو الشباب ، وأطلق ذلك على من يخدم المرء سواء كان شابا أو شيخا ، لأن الأغلب أن الخدم تكون شبانا .
قوله : (فبينما هو في ظل صخرة)
في رواية سفيان " حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما " .
قوله : (في مكان ثريان)
بمثلثة مفتوحة وراء ساكنة ثم تحتانية أي مبلول .
قوله : (إذ تضرب الحوت)

بضاد معجمة وتشديد وهو تفعل من الضرب في الأرض وهو السير ، وفي رواية سفيان " واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر " وفي رواية أبي إسحاق عند مسلم " فاضطرب الحوت في الماء " ولا مغايرة بينهما ، لأنه اضطرب أولا في المكتل فلما سقط في الماء اضطرب أيضا ، فاضطرابه الأول فيما في مبدأ ما حيي ، والثاني في سيره في البحر حيث اتخذ فيه مسلكا . وفي رواية قتيبة عن سفيان في الباب الذي يليه من الزيادة قال سفيان : وفي غير حديث عمرو " وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيي ، فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر " وحكى ابن الجوزي أن في روايته في البخاري " الحيا " بغير هاء قال : وهو ما يحيى به الناس ، وهذه الزيادة التي ذكر سفيان أنها في حديث غير عمرو قد أخرجها ابن مردويه من رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان مدرجة في حديث عمرو ولفظه " حتى انتهينا إلى الصخرة فقال موسى عندها – أي نام – قال : وكان عند الصخرة عين ماء يقال لها : عين الحياة لا يصيب من ذلك الماء ميت إلا عاش ، فقطرت من ذلك الماء على الحوت قطرة فعاش ، وخرج من المكتل فسقط في البحر " وأظن أن ابن عيينة أخذ ذلك عن قتادة ، فقد أخرج ابن أبي حاتم من طريقه قال : " فأتى على عين في البحر يقال لها عين الحياة ، فلما أصاب تلك العين رد الله روح الحوت إليه " وقد أنكر الداودي فيما حكاه ابن التين هذه الزيادة فقال : لا أرى هذا يثبت ، فإن كان محفوظا فهو من خلق الله وقدرته . قال : لكن في دخول الحوت العين دلالة على أنه كان حيي قبل دخوله ، فلو كان كما في هذا الخبر لم يحتج إلى العين . قال : والله قادر على أن يحييه بغير العين انتهى . قال : ولا يخفى ضعف كلامه دعوى واستدلالا ، وكأنه ظن أن الماء الذي دخل فيه الحوت هو ماء العين ، وليس كذلك بل الأخبار صريحة في أن العين عند الصخرة وهي غير البحر وكأن الذي أصاب الحوت من الماء كان شيئا من رشاش ، ولعل هذه العين إن ثبت النقل فيها مستند من زعم أن الخضر شرب من عين الحياة فخلد ، وذلك مذكور عن وهب بن منبه وغيره ممن كان ينقل من الإسرائيليات . وقد صنف أبو جعفر بن المنادي في ذلك كتابا وقرر أنه لا يوثق بالنقل فيما يوجد من الإسرائيليات .

قوله : (وموسى نائم ، فقال فتاه : لا أوقظه ، حتى إذا استيقظ فنسي أن يخبره)

في الكلام حذف تقديره حتى إذا استيقظ سار فنسي . وأما قوله تعالى : (نسيا حوتهما) فقيل نسب النسيان إليهما تغليبا ، والناسي هو الفتى ، نسي أن يخبر موسى كما في هذا الحديث . وقيل : بل المراد أن الفتى نسي أن يخبر موسى بقصة الحوت ، ونسي موسى أن يستخبره عن شأن الحوت بعد أن استيقظ

لأنه حينئذ لم يكن معه وكان بصدد أن يسأله أين هو فنسي ذلك . وقيل : بل المراد بقوله : (نسيا) أخرا ، مأخوذ من النسي بكسر النون وهو التأخير ، والمعنى أنهما أخرا افتقاده لعدم الاحتياج إليه ، فلما احتاجا إليه ذكراه . وهو بعيد ، بل صريح الآية يدل على صحة صريح الخبر ، وأن الفتى اطلع على ما جرى للحوت ونسي أن يخبر موسى بذلك . ووقع عند مسلم في رواية أبي إسحاق " أن موسى تقدم فتاه لما استيقظ فسار ، فقال فتاه : ألا ألحق نبي الله فأخبر ، قال : فنسي أن يخبره " وذكر ابن عطية أنه رأى سمكة أحد جانبيها شوك وعظم وجلد رقيق على أحشائها ونصفها الثاني صحيح ، ويذكر أهل ذلك المكان أنها من نسل حوت موسى ، إشارة إلى أنه لما حيي بعد أن أكل منه استمرت فيه تلك الصفة ثم في نسله ، والله أعلم .

قوله : (فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كان أثره في حجر)

كذا فيه بفتح الحاء المهملة والجيم ، وفي رواية جحر بضم الجيم وسكون المهملة وهو واضح .

قوله : (قال لي عمرو)

القائل هو ابن جريج (كأن أثره في حجر وحلق بين إبهاميه والتي) في رواية الكشميهني " واللتين تليانهما " يعني السبابتين . وفي رواية سفيان عن عمرو " فصار عليه مثل الطاق " وهو يفسر ما أشار إليه من الصفة . وفي رواية أبي إسحاق عند مسلم " فاضطرب الحوت في الماء فجعل لا يلتئم عليه ، صار مثل الكوة " .

قوله : (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا)

كذا وقع هنا مختصرا ، وفي رواية سفيان " فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا " قال الداودي : هذه الرواية وهم . وكأنه فهم أن الفتى لم يخبر موسى إلا بعد يوم وليلة ، وليس ذلك المراد بل المراد أن ابتداءها من يوم خرجا لطلبه ، ويوضح ذلك ما في رواية أبي إسحاق عند مسلم " فلما تجاوزا قال لفتاه : (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قال : ولم يصبه نصب حتى تجاوزا " وفي رواية سفيان المذكورة " ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به " .

قوله : (قال : قد قطع الله عنك النصب ، ليست هذه عن سعيد)

هو قول ابن جريج ، ومراده أن هذه اللفظة ليست في الإسناد الذي ساقه .

قوله : (أخره)

كذا عند أبي ذر بهمزة ومعجمة وراء وهاء ، ثم في نسخة منه بمد الهمزة وكسر الخاء وفتح الراء بعدها هاء ضمير أي إلى آخر الكلام وأحال ذلك على سياق الآية ، وفي أخرى بفتحات وتاء تأنيث منونة منصوبة ، وفي رواية غير أبي ذر " أخبره " بفتح الهمزة وسكون الخاء ثم موحدة من الإخبار ، أي أخبر الفتى موسى بالقصة . ووقع في رواية سفيان " فقال له فتاه : (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) فساق الآية إلى (عجبا) قال : فكان للحوت سربا ولموسى عجبا " ولابن أبي حاتم من طريق قتادة قال : عجب موسى أن تسرب حوت مملح في مكتل .

قوله : (فرجعا فوجدا خضرا)

في رواية سفيان " فقال موسى : (ذلك ما كنا نبغ) أي نطلب " وفي رواية للنسائي " هذه حاجتنا " وذكر موسى ما كان الله عهد إليه يعني في أمر الحوت .

قوله : (فارتدا على آثارهما قصصا قال : رجعا يقصان آثارهما) أي آثار سيرهما (حتى انتهيا إلى الصخرة) زاد النسائي في رواية له " التي فعل فيها الحوت ما فعل " وهذا يدل على أن الفتى لم يخبر موسى حتى سارا زمانا ، إذ لو أخبره أول ما استيقظ ما احتاجا إلى اقتصاص آثارهما .

قوله : (فوجدا خضرا)

تقدم ذكر نسبه وشرح حاله في أحاديث الأنبياء ، وفي رواية سفيان " حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل " ، وزعم الداودي أن هذه الرواية وهم وأنهما إنما وجداه في جزيرة البحر . قلت : ولا مغايرة بين الروايتين ، فإن المراد أنهما لما انتهيا إلى الصخرة تتبعاه إلى أن وجداه في الجزيرة . ووقع في رواية أبي إسحاق عند مسلم " فأراه مكان الحوت فقال : هاهنا وصف لي ، فذهب يلتمس فإذا هو بالخضر " . وروى ابن أبي حاتم من طريق الربيع بن أنس قال : انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة ، فدخلها موسى على أثر الحوت فإذا هو بالخضر . وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : فرجع موسى حتى أتى الصخرة فوجد الحوت ، فجعل موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء ويتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى يصير : صخرة ، فجعل موسى يعجب من ذلك حتى انتهى إلى جزيرة في البحر فلقي الخضر . ولابن أبي حاتم من طريق السدي قال : بلغنا عن ابن عباس أن موسى دعا ربه ومعه ماء في سقاء يصب منه في البحر فيصير حجرا فيأخذ فيه ، حتى انتهى إلى صخرة فصعدها وهو يتشوف هل يرى الرجل ، ثم رآه .

قوله : (قال لي عثمان بن أبي سليمان : على طنفسة خضراء)

القائل هو ابن جريج ، وعثمان هو ابن أبي سليمان بن جبير بن مطعم وهو ممن أخذ هذا الحديث عن سعيد بن جبير ، وروى عبد بن حميد من طريق ابن المبارك عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان قال : رأى موسى الخضر على طنفسة خضراء على وجه الماء انتهى . والطنفسة فرش صغير وهي بكسر الطاء والفاء بينهما نون ساكنة وبضم الطاء والفاء وبكسر الطاء وبفتح الفاء لغات .

قوله : (قال سعيد بن جبير : مسجى بثوبه)

هو موصول بالإسناد المذكور ، وفي رواية سفيان " فإذا رجل مسجى بثوب " وفي رواية مسلم " مسجى ثوبا مستلقيا على القفا " ولعبد بن حميد من طريق أبي العالية " فوجده نائما في جزيرة من جزائر البحر ملتفا بكساء " ولابن أبي حاتم من وجه آخر عن السدي " فرأى الخضر وعليه جبة من صوف وكساء من صوف ومعه عصا قد ألقى عليها طعامه ، قال : وإنما سمي الخضر لأنه كان إذا أقام في مكان نبت العشب حوله " انتهى . وقد تقدم في أحاديث الأنبياء حديث أبي هريرة رفعه " إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء " والمراد بالفروة وجه الأرض .

قوله : (فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه)

في رواية أبي إسحاق عند مسلم " فقال : السلام عليكم ، فكشف الثوب عن وجهه وقال : وعليكم السلام " .

قوله : (وقال : هل بأرضي من سلام)

في رواية الكشميهني " بأرض " بالتنوين ، وفي رواية سفيان " قال : وأني بأرضك السلام " وهي بمعنى أين أو كيف ، وهو استفهام استبعاد يدل على أن أهل تلك الأرض لم يكونوا إذ ذاك مسلمين ، ويجمع بين الروايتين بأنه استفهمه بعد أن رد عليه السلام .

قوله : (من أنت ؟ قال أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم)

وسقط من رواية سفيان قوله : " من أنت " وفي رواية أبي إسحاق " قال : من أنت ؟ قال : موسى . قال : من موسى ؟ قال : موسى بني إسرائيل " ويجمع بينهما بأن الخضر أعاد ذلك تأكيدا . وأما ما أخرجه عبد بن حميد من طريق الربيع بن أنس في هذه القصة . فقال موسى : السلام عليك يا خضر ، فقال : وعليك السلام يا موسى ، قال : وما يدريك أني موسى ؟ قال : أدراني بك الذي أدراك بي وهذا إن ثبت فهو من الحجج على أن الخضر نبي ، لكن يبعد ثبوته قوله في الرواية التي في الصحيح " من أنت ؟ قال : أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل " الحديث .

قوله : (قال : فما شأنك)

في رواية أبي إسحاق " قال : ما جاء بك " ؟ قوله : (جئت لتعلمني مما علمت رشدا) قرأ أبو عمرو بفتحتين والباقون كلهم بضم أوله وسكون ثانيه ، والجمهور على أنهما بمعنى كالبخل والبخل ، وقيل بفتحتين : الدين ، وبضم ثم سكون : صلاح النظر . وهو منصوب على أنه مفعول ثان لتعلمني ، وأبعد من قال إنه لقوله : " علمت " .

قوله : (أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحي يأتيك)

سقطت هذه الزيادة من رواية سفيان ، فالذي يظهر أنها من رواية يعلى بن مسلم .

قوله : (يا موسى إن لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه)

أي جميعه (وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه) أي جميعه ، وتقدير ذلك متعين لأن الخضر كان يعرف من الحكم الظاهر ما لا غنى بالمكلف عنه ، وموسى كان يعرف من الحكم الباطن ما يأتيه بطريق الوحي . ووقع في رواية سفيان " يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت " وهو بمعنى الذي قبله ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في كتاب العلم .

قوله في رواية سفيان

(قال : إنك لن تستطيع معي صبرا)

كذا أطلق بالصيغة الدالة على استمرار النفي لما أطلعه الله عليه من أن موسى لا يصبر على ترك الإنكار إذا رأى ما يخالف الشرع ، لأن ذلك شأن عصمته ولذلك لم يسأله موسى عن شيء من أمور الديانة بل مشى معه ليشاهد منه ما اطلع به على منزلته في العلم الذي اختص به . وقوله : " وكيف تصبر " استفهام عن سؤال تقديره : لم قلت إني لا أصبر وأنا سأصبر ، قال : كيف تصبر ؟ وقوله : " ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك " قيل . استثنى في الصبر فصبر ولم يستثن في العصيان فعصاه ، وفيه نظر . وكأن المراد بالصبر أنه صبر عن اتباعه والمشي معه وغير ذلك ، لا الإنكار عليه فيما يخالف ظاهر الشرع . وقوله : " فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا " في رواية العوفي عن ابن عباس " حتى أبين لك شأنه " .

قوله : (فأخذ طائر بمنقاره)

تقدم شرحه في كتاب العلم ، وظاهر هذه الرواية أن الطائر نقر في البحر عقب قول الخضر لموسى ما يتعلق بعلمهما ، ورواية سفيان تقتضي أن ذلك وقع بعدما خرق السفينة ، ولفظه "كانت الأولى من موسى نسيانا

" قال : " وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر إلخ " فيجمع بأن قوله فأخذ طائر بمنقاره معقب بمحذوف وهو ركوبهما السفينة لتصريح سفيان بذكر السفينة ، وروى النسائي من وجه آخر عن ابن عباس أن الخضر قال لموسى : " أتدري ما يقول هذا الطائر ؟ قال : لا . قال : يقول : ما علمكما الذي تعلمان في علم الله إلا مثل ما أنقص بمنقاري من جميع هذا البحر " وفي رواية هارون بن عنترة عند عبد بن حميد في هذه القصة قال : " أرسل ربك الخطاف فجعل يأخذ بمنقاره من الماء " ولابن أبي حاتم من طريق السدي قال : الخطاف ولعبد بن حميد من طريق أبي العالية قال : رأى هذا الطائر الذي يقال له النمر ، ونقل بعض من تكلم على البخاري أنه الصرد .

قوله : (وجدا معابر)

هو تفسير لقوله : (ركبا في السفينة) لا أن قوله : (وجدا) جواب (إذا) لأن وجودهما المعابر كان قبل ركوبهما السفينة . ووقع في رواية سفيان " فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرا في سفينة فكلموهم أن يحملوهم " والمعابر بمهملة وموحدة جمع معبر وهي السفن الصغار ، ولابن أبي حاتم من طريق الربيع بن أنس قال : " مرت بهم سفينة ذاهب فناداهم خضر " .

قوله : (عرفوه فقالوا : عبد الله الصالح ، قال : قلنا لسعيد بن جبير : خضر ؟ قال . نعم)

القائل فيما أظن يعلى بن مسلم . وفي رواية سفيان عن عمرو بن دينار " فكلموهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوا " .

قوله : (بأجر)

أي أجرة ، وفي رواية سفيان " فحملوا بغير نول " بفتح النون وسكون الواو وهو الأجرة ، ولابن أبي حاتم من رواية الربيع بن أنس " فناداهم خضر وبين لهم أن يعطي عن كل واحد ضعف ما حملوا به غيرهم ، فقالوا لصاحبهم : إنا نرى رجالا في مكان مخوف نخشى أن يكونوا لصوصا ، فقال : لأحملنهم ، فإني أرى على وجوههم النور ، فحملهم بغير أجرة " وذكر النقاش في تفسيره أن أصحاب السفينة كانوا سبعة بكل واحد زمانة ليست في الآخر .

قوله : (فخرقها ووتد فيها)

بفتح الواو وتشديد المثناة أي جعل فيها وتدا ، وفي رواية سفيان " فلما ركبوا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم " والجمع بين الروايتين أنه قلع اللوح وجعل مكانه وتدا ، وعند عبد بن حميد من رواية ابن المبارك عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم " جاء بود حين خرقها " والود

بفتح الواو وتشديد الدال لغة في الوتد ، وفي رواية أبي العالية " فخرق السفينة فلم يره أحد إلا موسى ، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين ذلك " .

قوله : (لقد جئت شيئا إمرا . قال مجاهد : منكرا)

هو من رواية ابن جريج عن مجاهد ، وقيل لم يسمع منه ، وقد أخرجه عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ، وروى ابن أبي حاتم من طريق خالد بن قيس عن قتادة في قوله : (إمرا) قال : عجبا ومن طريق أبي صخر في قوله : (إمرا) قال : عظيما . وفي رواية الربيع بن أنس عند ابن أبي حاتم " أن موسى لما رأى ذلك امتلأ غضبا وشد ثيابه وقال : أردت إهلاكهم ، ستعلم أنك أول هالك . فقال له يوشع : ألا تذكر العهد ؟ فأقبل عليه الخضر فقال : ألم أقل لك ؟ فأدرك موسى الحلم فقال : لا تؤاخذني . وإن الخضر لما خلصوا قال لصاحب السفينة : إنما أردت الخير ، فحمدوا رأيه ، و أصلحها الله على يده " .

قوله : (كانت الأولى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا)

في رواية سفيان قال : " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأولى من موسى نسيانا " ولم يذكر الباقي ، وروى ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال : " الأولى نسيان والثانية عذر والثالثة فراق " وعند ابن أبي حاتم من طريق الربيع بن أنس قال : " قال الخضر لموسى : إن عجلت علي في ثلاث فذلك حين أفارقك " وروى الفراء من وجه آخر عن أبي بن كعب قال : " لم ينس موسى ، ولكنه من معاريض الكلام " وإسناده ضعيف ، والأول هو المعتمد ، ولو كان هذا ثابتا لاعتذر موسى عن الثانية وعن الثالثة بنحو ذلك .

قوله : (لقيا غلاما)

في رواية سفيان " فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما " .

قوله : (فقتله)

الفاء عاطفة على لقيا وجزاء الشرط قال : أقتلت ، والقتل من جملة الشرط إشارة إلى أن قتل الغلام يعقب لقاءه من غير مهلة ، وهو بخلاف قوله : (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) فإن الخرق وقع جواب الشرط لأنه تراخى عن الركوب .

قوله : (قال يعلى)

هو ابن مسلم وهو بالإسناد المذكور (قال سعيد) هو ابن جبير (وجد غلمانا يلعبون ، فأخذ غلاما كافرا

ظريفا) في رواية أخرى عن ابن جريج عند عبد بن حميد " غلاما وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين " وفي رواية سفيان " فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله " وفي روايته في الباب الذي يليه " فقطعه " ويجمع بينهما بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه ، وفي رواية أخرى عند الطبري " فأخذ صخرة فثلغ رأسه " وهي بمثلثة ثم معجمة ، والأول أصح . ويمكن أن يكون ضرب رأسه بالصخرة ثم ذبحه وقطع رأسه .

قوله : (قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس لم تعمل الحنث)

بكسر المهملة وسكون النون وآخره مثلثة ، ولأبي ذر بفتح المعجمة والموحدة ، وقوله : " لم تعمل " تفسير لقوله " زكية " والتقدير : أقتلت نفسا زكية لم تعمل الحنث بغير نفس .

قوله : (وابن عباس قرأها)

كذا لأبي ذر ولغيره " وكان ابن عباس يقرأها زكية " وهي قراءة الأكثر ، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو زاكية ، والأولى أبلغ لأن فعيلة من صيغ المبالغة .

قوله : (زاكية مسلمة كقولك غلاما زاكيا)

هو تفسير من الراوي ، ويشير إلى القراءتين ، أي أن قراءة ابن عباس بصيغة المبالغة والقراءة الأخرى باسم الفاعل بمعنى مسلمة ، وإنما أطلق ذلك على موسى على حسب ظاهر حال الغلام ، لكن اختلف في ضبط " مسلمة " فالأكثر بسكون السين وكسر اللام ، ولبعضهم بفتح السين وتشديد اللام المفتوحة ، وزاد سفيان في روايته هنا (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) قال : وهذه أشد من الأولى ، زاد مسلم من رواية أبي إسحاق عن سعيد بن جبير في هذه القصة " فقال النبي صلى الله عليه وسلم : رحمة الله علينا وعلى موسى ، لولا أنه عجل لرأى العجب ، ولكنه أخذته ذمامة من صاحبه فقال : إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني " ولابن مردويه من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير عن سعيد بن جبير " فاستحيا عند ذلك موسى وقال : إن سألتك عن شيء بعدها " وهذه الزيادة وقع مثلها في رواية عمرو بن دينار من رواية سفيان في آخر الحديث " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وددنا أن موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما " زاد الإسماعيلي من طريق عثمان بن أبي شيبة عن سفيان " أكثر مما قص "

قوله : (فانطلقا فوجدا جدارا)

في رواية سفيان " فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية " وفي رواية أبي إسحاق عند مسلم " أهل قرية لئاما . فطافا في المجالس فاستطعما أهلها " قيل هي الأبلة وقيل إنطاكية وقيل أذربيجان وقيل برقة وقيل ناصرة وقيل جزيرة الأندلس ، وهذا الاختلاف قريب من الاختلاف في المراد بمجمع البحرين ، وشدة المباينة في

ذلك تقتضي أن لا يوثق بشيء من ذلك .
قوله : (قال سعيد بيده هكذا ورفع يده فاستقام)
هو من رواية ابن جريج عن عمرو بن دينار عن سعيد ، ولهذا قال بعده " قال يعلى هو ابن مسلم حسبت أن سعيدا قال : فمسحه بيده فاستقام " وفي رواية سفيان " فوجدا جدارا يريد أن ينقض - قال مائل - فقال الخضر بيده فأقامه " وذكر الثعلبي أن عرض ذلك الجدار كان خمسين ذراعا في مائة ذراع بذراعهم .
قوله : (قال : لو شئت لاتخذت عليه أجرا ، قال سعيد : أجرا نأكله)
زاد سفيان في روايته " فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ، لو شئت لاتخذت عليه أجرا " وفي رواية أبي إسحاق " قال : هذا فراق بيني وبينك ، فأخذ موسى بطرف ثوبه فقال : حدثني " وذكر الثعلبي أن الخضر قال لموسى : أتلومني على خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ، ونسيت نفسك حين ألقيت في البحر ، وحين قتلت القبطي ، وحين سقيت أغنام ابنتي شعيب احتسابا .
قوله : (وكان وراءهم ملك ، وكان أمامهم ، قرأها ابن عباس أمامهم ملك)
وفي رواية سفيان " وكان ابن عباس يقرأ : وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا " وقد تقدم الكلام في " وراء " في تفسير إبراهيم .
قوله : (يزعمون عن غير سعيد أنه هدد بن بدد)
القائل ذلك هو ابن جريج ، ومراده أن تسمية الملك الذي كان يأخذ السفن لم تقع في رواية سعيد . قلت : وقد عزاه ابن خالويه في "كتاب ليس " لمجاهد ؛ قال : وزعم ابن دريد أن هدد اسم ملك من ملوك حمير زوجه سليمان بن داود بلقيس . قلت : إن ثبت هذا حمل على التعدد والاشتراك في الاسم لبعد ما بين مدة موسى وسليمان ، وهدد في الروايات بضم الهاء وحكى ابن الأثير فتحها والدال مفتوحة اتفاقا ، ووقع عند ابن مردويه بالميم بدل الهاء ، وأبوه بدد بفتح الموحدة ، وجاء في " تفسير مقاتل " أن اسمه منولة بن الجلندي بن سعيد الأزدي ، وقيل : هو الجلندي وكان بجزيرة الأندلس .
قوله : (الغلام المقتول اسمه يزعمون جيسور)
القائل ذلك هو ابن جريج ، وحيسور في رواية أبي ذر عن الكشميهني بفتح المهملة أوله ثم تحتانية ساكنة ثم مهملة مضمومة وكذا في رواية ابن السكن ، وفي روايته عن غيره بجيم أوله ، وعند القابسي بنون بدل التحتانية ، وعند عبدوس بنون بدل الراء ، وذكر السهيلي أنه رآه في نسخة بفتح المهملة والموحدة ونونين

الأولى مضمومة بينهما الواو الساكنة ، وعند الطبري من طريق شعيب الجبائي كالقابسي ، وفي " تفسير الضحاك بن مزاحم " اسمه حشرد ، ووقع في تفسير الكلبي اسم الغلام شمعون .

قوله : (ملك يأخذ كل سفينة غصبا)

في رواية النسائي " وكان أبي يقرأ يأخذ كل سفينة صالحة غصبا " وفي رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان " وكان ابن مسعود يقرأ كل سفينة صحيحة غصبا " .

قوله : (فأردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها)

في رواية النسائي " فأردت أن أعيبها حتى لا يأخذها " .

قوله : (فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها)

في رواية النسائي " فإذا جاوزوه رقعوها فانتفعوا بها وبقيت لهم " .

قوله : (ومنهم من يقول سدوها بقارورة ، ومنهم من يقول بالقار)

أما القار فهو بالقاف وهو الزفت ، وأما قارورة فضبطت في الروايات بالقاف ، لكن في رواية ابن مردويه ما يدل على أنها بالفاء لأنه وقع في روايته " ثارورة " بالمثلثة والمثلثة تقع في موضع الفاء في كثير من الأسماء ولا تقع بدل القاف ، قال الجوهري : يقال فار فورة مثل ثار ثورة ، فإن كان محفوظا فلعله فاعولة من ثوران القدر الذي يغلي فيها القار أو غيره ، وقد وجهت رواية القارورة بالقاف بأنها فاعولة من القار ، وأما التي من الزجاج فلا يمكن السد بها ، وجوز الكرماني احتمال أن يسحق الزجاج ويلت بشيء ويلصق به ولا يخفى بعده ، ووقع في رواية مسلم " وأصلحوها بخشبة " ولا إشكال فيها .

قوله : (كان أبواه مؤمنين وكان كافرا)

يعني الغلام المقتول ، في رواية سفيان " وأما الغلام فطبع يوم طبع كافرا ، وكان أبواه قد عطفا عليه " وفي " المبتدأ لوهب بن منبه " كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحما ، وقيل اسم أبيه كاردي واسم أمه سهوى .

قوله : (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا : أن يحملها حبه على أن يتابعاه على دينه)

هذا من تفسير ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير ، وأخرج ابن المنذر من طريق سالم الأفطس عن سعيد بن جبير مثله ، وقال أبو عبيدة في قوله : (يرهقهما) أي يغشاهما .

قوله : (خيرا منه زكاة وأقرب رحما لقوله : أقتلت نفسا زكية)

يعني أن قوله زكاة ذكر للمناسبة المذكورة . وروى ابن المنذر من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج في قوله : (خيرا منه زكاة) قال : إسلاما . ومن طريق عطية العوفي قال : دينا .

قوله : (وأقرب رحما هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر)

وروى ابن المنذر من طريق إدريس الأودي عن عطية نحوه . وعن الأصمعي قال : الرحم بكسر الحاء القرابة ، وبسكونها فرج الأنثى ، وبضم الراء ثم السكون الرحمة . وعن أبي عبيد القاسم بن سلام : الرحم والرحم – يعني بالضم والفتح مع السكون فيهما – بمعنى ، وهو مثل العمر والعمر ، وسيأتي قوله : " رحما " في الباب الذي بعده أيضا .

قوله : (وزعم غير سعيد أنهما أبدلا جارية)

هو قول ابن جريج ، وروى ابن مردويه من وجه آخر عن ابن جريج قال ، وقال يعلى بن مسلم أيضا عن سعيد بن جبير : إنها جارية . وفي رواية الإسماعيلي من هذا الوجه ، قال : ويقال أيضا عن سعيد بن جبير : إنها جارية . وللنسائي من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس " فأبدلهما ربهما خيرا منه زكاة قال : أبدلهما جارية فولدت نبيا من الأنبياء " وللطبري من طريق عمرو بن قيس نحوه ، ولابن المنذر من طريق بسطام بن حميل قال : أبدلهما مكان الغلام جارية ولدت نبيين ، ولعبد بن حميد من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة : ولدت جارية ، ولابن أبي حاتم من طريق السدي قال : ولدت جارية فولدت نبيا ، وهو الذي كان بعد موسى فقالوا له : ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ، واسم هذا النبي شمعون ، واسم أمه حنة . وعند ابن مردويه من حديث أبي بن كعب أنها ولدت غلاما ، لكن إسناده ضعيف . وأخرجه ابن المنذر بإسناد حسن عن عكرمة عن ابن عباس نحوه . وفي تفسير ابن الكلبي : ولدت جارية ولدت عدة أنبياء فهدى الله بهم أمما . وقيل عدة من جاء من ولدها من الأنبياء سبعون نبيا .

قوله : (وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد : إنها جارية)

هو قول ابن جريج أيضا . وروى الطبري من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني إسماعيل بن أمية عن يعقوب بن عاصم أنهما أبدلا جارية . قال : وأخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير : أنها جارية . قال ابن جريج : وبلغني أن أمه يوم قتل كانت حبلى بغلام . ويعقوب بن عاصم هو أخو داود وهما ابنا عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي وكل منهما ثقة من صغار التابعين . وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم : استحباب الحرص على الازدياد من العلم ، – والرحلة فيه ، ولقاء المشايخ وتجشم المشاق في ذلك ، والاستعانة في ذلك بالأتباع ، وإطلاق الفتى على التابع ، واستخدام الحر ، وطواعية الخادم لمخدومه وعذر الناسي ، وقبول الهبة من غير المسلم . واستدل به على أن الخضر نبي لعدة معان

قد نبهت عليها فيما تقدم كقوله : (وما فعلته عن أمري) وكاتباع موسى رسول الله له ليتعلم منه ، وكإطلاق أنه أعلم منه ، وكإقدامه على قتل النفس لما شرحه بعد وغير ذلك . وأما من استدل به على جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما ، والإغضاء على بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد ، وإفساد بعض المال لإصلاح معظمه كخصاء البهيمة للسمن وقطع أذنها لتتميز ، ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان على بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعه فصحيح ، لكن فيما لا يعارض منصوص الشرع ، فلا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفسا كثيرة قبل أن يتعاطى شيئا من ذلك . وإنما فعل الخضر ذلك لاطلاع الله تعالى عليه . وقال ابن بطال : قول الخضر : وأما الغلام فكان كافرا هو باعتبار ما يئول إليه أمره أن لو عاش حتى يبلغ ، واستحباب مثل هذا القتل لا يعلمه إلا الله ، ولله أن يحكم في خلقه بما يشاء قبل البلوغ وبعده انتهى . ويحتمل أن يكون جواز تكليف المميز قبل أن يبلغ كان في تلك الشريعة فيرتفع الإشكال . وفيه جواز الإخبار بالتعب ويلحق به الألم من مرض ونحوه ، ومحل ذلك إذا كان على غير سخط من المقدور ، وفيه أن المتوجه إلى ربه يعان فلا يسرع إليه النصب والجوع ، بخلاف المتوجه إلى غيره كما في قصة موسى في توجهه إلى ميقات ربه وذلك في طاعة ربه فلم ينقل عنه أنه تعب ولا طلب غداء ولا رافق أحدا ، وأما في توجهه إلى مدين فكان في حاجة نفسه فأصابه الجوع ، وفي توجهه إلى الخضر لحاجة نفسه أيضا فتعب وجاع . وفيه جواز طلب القوت وطلب الضيافة ، وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة وقيام الحجة بالثانية ، قال ابن عطية : يشبه أن يكون هذا أصل مالك في ضرب الآجال في الأحكام إلى ثلاثة أيام ، وفي التلوم ونحو ذلك . وفيه **حسن الأدب** مع الله وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه وإن كان الكل بتقديره وخلقه لقول الخضر عن السفينة (فأردت أن أعيبها) وعن الجدار (فأراد ربك) ومثل هذا قوله صلى الله عليه وسلم : " والخير بيدك ، والشر ليس إليك " .." (١)

" الرؤوس) بضم الراء والهمزة بعدها وهو اليوم الثاني من أيام التشريق سمي بذلك لأنهم كانوا يأكلون فيه رؤوس الأضاحي

قال إمام الفن جاد الله الزمخشري في أساس البلاغة أهل مكة يسمون يوم القر يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس الأضاحي انتهى

وهذا من ألفاظ المجاز ولذا لم يذكره أصحاب اللغة كصاحب المصباح والقاموس واللسان وغيرهم

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٢١٤/١٣

وأما يوم القر فقال في المصباح قيل اليوم الأول من أيام التشريق يوم القر لأن الناس يقرون في منى (أي يوم هذا) سأل عنه وهو عالم به لتكون الخطبة أوقع في قلوبهم وأثبت (الله ورسوله أعلم) هذا من **حسن الأدب** في الجواب للأكابر والاعتراف بالجهل ولعلهم قالوا ذلك لأنهم ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه كما وقع في حديث أبي بكرة (عم أبي حرة) بضم الحاء المهملة وتشديد الراء واسم أبي حرة حنيفة

وقيل حكيم (الرقاشي) بفتح الراء وتخفيف القاف وبعد الألف شين معجمة

٢ -

(باب من قال خطب يوم النحر)

[١٩٥٤] (العضباء) هي مقطوعة الأذن

قال الأصمعي كل قطع في الأذن جدع فإن جاوز الربع فهي عضباء

وقال أبو عبيد إن العضباء التي قطع نصف أذنها فما فوق

وقال الخليل هي مشقوقة الأذن

قال الحربي الحديث يدل على أن العضباء اسم لها وإن كانت عضباء الأذن فقد جعل اسمها هذا (يوم الأضاحي بمنى) وهذه هي الخطبة الثالثة بعد صلاة الظهر فعلها ليعلم الناس بها المبيت والرمي في أيام التشريق وغير ذلك مما بين أيديهم كذا في نيل الأوطار

قال المنذري وأخرجه النسائي ." [١]

" ١٤ -

([٣٧٦٣] باب في كراهية ذم الطعام)

(ما عاب رسول الله صلى الله عليه و سلم طعاما قط) أي طعاما مباحا أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهي عنه

وذهب بعضهم إلى أن العيب إن كان من جهة الخلقة كره وإن كان من جهة الصنعة لم يكره لأن صنعة الله لا تعاب وصنعة الآدميين تعاب

قال الحافظ والذي يظهر التعميم فإن فيه كسر قلب الصانع

---

(١) عون المعبود، ٣٠١/٥

قال النووي من آداب الطعام المتأكدة أن لا يعاب كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك (وإن كرهه تركه) قال بن بطال هذا من **حسن الأدب** لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب

قال المنذري وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي وبن ماجه

ه -

([٣٧٦٤] باب في الاجتماع على الطعام)

(إنا نأكل ولا نشبع) معناه بالفارسية بتحقيق مامي خوريم وسيرنمي شويم والشبع نقيض الجوع وبابه سمع يسمع (تفترقون) أي حال الأكل بأن كل واحد من أهل البيت يأكل وحده (واذكروا اسم الله عليه) أي في ابتداء أكلكم (يبارك لكم فيه) أي في الطعام فقد روى أبو يعلى في مسنده وبن حبان والبيهقي والضياء عن جابر مرفوعا أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي وروى الطبراني عن بن عمر موقوفا طعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام ." (١)

"ثم اعلم أن قوله فاعرض الله محمول على من ذهب معرضا لا لعذر قال القاضي عياض من أعرض عن نبيه عليه الصلاة والسلام وزهد منه فليس بمؤمن وإن كان هذا مؤمنا وذهب لحاجة دنياوية أو ضرورية فإعراض الله عنه ترك رحمته وعفوه فلا يثبت له حسنة ولا يمحو عنه سيئة قلت وإن كان ذاك منافقا كان النبي اطلع على أمره فلذلك قال فاعرض الله عنه

بيان استنباط الاحكام وهو على وجوه الأول فيه أن من جلس إلى حلقة علم أنه في كنف الله تعالى وفي ايوائه وهو ممن تضع له الملائكة اجنحتها وقال ابن بطال وكذلك يجب على العالم أن يؤوي المتعلم لقوله فآواه الله الثاني أن فيه أن من قصد العالم ومجالسته فاستحيى ممن قصده فإن الله يستحيي منه فلا يعذبه الثالث فيه أن من أعرض عن مجالسة العالم فإن الله يعرض عنه ومن أعرض الله عنه فقد تعرض لسخطه الرابع استحباب التحلق للعلم والذكر في المسجد الخامس فيه استحباب القرب من الكبير في الحلقة ليسمع كلامه السادس فيه استحباب الثناء على من فعل جميلا السابع فيه أن الإنسان إذا فعل قبيحا أو مذموما وباح به جاز أن ينسب إليه الثامن فيه أن من **حسن الأدب** أن يجلس المرء حيث انتهى مجلسه ولا يقيم أحدا وقد روي ذلك في الحديث أيضا التاسع فيه ابتداء العالم جلساءه بالعلم قبل أن يسأل عنه العاشر فيه أن من سبق إلى موضع في مجلس كان هو أحق به لتعلق حقه به في الجلوس الحادي عشر فيه

---

(١) عون المعبود، ١٠/١٧٠

سد خلل الحلقة كما ورد الترغيب في سد خلل الصفوف في الصلاة الثاني عشر فيه جواز التخطي لسد الخلل ما لم يؤذ أحدا فإن خشي استحب أن يجلس حيث ينتهي الثالث عشر فيه الثناء على من زاحم في طلب الخير." (١)

"النساء وقال الخطابي هم الذين خرجوا للأسفار وخلفوا النساء والأثقال وارتفاع خلوف على أنه خبر وفي رواية المستملي والحموي خلوفا بالنصب وقال الكرماني أي كان نفرنا خلوفا وقال بعضهم منصوب على الحال السادة مسد الخبر (قلت) ما الخبر هنا حتى تسد الحال مسده والأوجه ما قاله الكرماني أنه منصوب بكان المقدر قوله الصابىء بالهمزة وبغيرها فالأول من صبأ إذا خرج من دين إلى دين والثاني من صبا يصبو إذا مال وسنوسع الكلام فيه عند تفسير البخاري في آخر هذا الحديث قوله تعنين أي تريدين من عنى يعني إذا قصد قوله قالا هو الذي تعنين فيه **حسن الأدب** وحسن التخلص إذ لو قالا لا لفات المقصود ولو قالا نعم لم يحسن ذلك لأن فيه تقرير ذلك قوله فاستنزلوها من الاستنزال وهو طلب النزول وإنما ذكر فيه بلفظ الجمع لأنه كان مع عمران وعلي من تبعهما ممن يعينهما ويخدمهما قوله ودعا النبي فيه حذف تقديره فأتوا بها إلى النبي وأحضروها بين يديه ودعا النبي قوله ففرغ من التفريغ وفي رواية الكشميهني فأفرغ من الإفراغ وزاد الطبراني والبيهقي فمضمض في الماء وأعاده في أفواه المزادتين وبهذه الزيادة تظهر الحكمة في ربط الأفواه بعد فتحها وبهذا حصلت البركة لاختلاط ريقه المبارك للماء والأفواه جمع فم لأن أصله فوه فحذفوا الواو لأنها لا تحتمل التنوين عند الأفراد وعوضوا من الهاء ميما (فإن قلت) لكل مزادة فم واحد فكيف جمع (قلت) هذا من قبيل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما قوله وأوكأ أي شد وهو فعل ماض من الإيكاء وهو شد الوكاء وهو ما يشد به رأس القربة وأطلق العزالي أي فتحها وهو جمع العزلاء بفتح العين وبالمد وهو فم المزادة الأسفل قال الجوهري العزالي بكسر اللام وإن شئت فتحت مثل الصحارى والصحاري ويقال العزلاء منصب الماء من الراوية والقربة وفي الجامع عزلاء القربة مصب يجعل في أحد يديها ليستفرغ منه ما فيها وإنما سميت عزالي السحاب تشبيها بها وقال السفاقسي رويناه." (٢)

"ذكر معناه قوله نخامة بضم النون النخاعة وقد ذكره البخاري بهذا اللفظ في باب الالتفات يقال تنخم الرجل إذا تنخع وفي (المطالع) النخامة ما يخرج من الصدر وهو البلغم اللزج وفي (النهاية) النخامة

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٤٦٣/٢

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٩٠/٦

البزقة التي تخرج من الرأس ويقال النخامة ما يخرج من الصدر والبصاق ما يخرج من الفم والمخاط ما يسيل من الأنف قوله في القبلة أي في حائط من جهة قبلة المسجد قوله حتى رؤي في وجهه بضم الراء وكسر الهمزة وفتح الياء أي شوهد أثر المشقة في وجهه وقد ذكرنا أن في رواية النسائي فغضب حتى أحمر وجهه وللبخاري في الأدب من حديث ابن عمر فتغيظ على أهل المسجد قوله إذا قام في صلاته الفرق بين قام في الصلاة وقام إلى الصلاة أن الأول يكون بعد الشروع والثاني عند الشروع قوله فإنه الفاء فيه جواب إذا والجملة الشرطية قائمة مقام خبر المبتدأ قوله يناجي ربه من المناجاة قال النووي المناجاة إشارة إلى إخلاص القلب وحضوره وتفريغه لذكر الله تعالى قلت المناجاة والنجوى هو السر بين الإثنين يقال ناجيته إذا ساررته وكذلك نجوت نجوى ومناجاة الرب مجاز لأن القرينة صارفة عن إرادة الحقيقة إذ لا كلام محسوسا إلا من طرف العبد فيكون المراد لازم المناجاة وهو إرادة الخير ويجوز أن تكون من باب التشبيه أي كأنه ربه ينادي والتحقيق فيه أنه شبه العبد وتوجهه إلى الله تعالى في الصلاة وما فيها من القراءة والأذكار وكشف الأسرار واستنزال رحمته ورأفته مع الخضوع والخشوع بمن يناجي مولاه ومالكه فمن شرائط **حسن الأدب** أن يقف محاذيه ويطرق رأسه ولا يمد بصره إليه ويراعي جهة أمامه حتى لا يصدر من تلك الهيئات شيء وإن كان الله تعالى منزها عن الجهات لأن الآداب الظاهرة والباطنة مرتبط بعضها ببعض قوله أو أن ربه بينه وبين القبلة كذا هو بالشك في رواية الأكثرين وفي رواية المستملي والحموي بواو العطف ولا يصح حمل هذا الكلام على ظاهره لأن الله تعالى منزه عن الحلول في المكان فالمعنى على." (١)

"وقال صاحب (التوضيح) وقد اختلف العلماء في التخطي فمذهبنا أنه مكروه إلا أن يكون قدامه فرجة لا يصليها إلا بالتخطي فلا يكره حينئذ وبه قال الأوزاعي وآخرون وقال ابن المنذر بكراهته مطلقا عن سلمان الفارسي وأبي هريرة وكعب وبن سعيد بن المسيب وعطاء وأحمد بن حنبل وعن مالك كراهته إذا جلس على المنبر ولا بأس به قبله وقال قتادة يتخطاهم إلى مجلسه وقال الأوزاعي يتخطاهم إلى السعة وهذا يشبه قول الحسن قال لا بأس بالتخطي إذا كان في المسجد سعة وقال أبو بصرة يتخطاهم بإذنهم وقال ابن المنذر لا يجوز شيء من ذلك عندي لأن الأذى يحرم قليله وكثيره وقال صاحب (التوضيح) وهو المختار وعند أصحابنا الحنفية لا بأس بالتخطي والدنو من الإمام إذا لم يؤذ الناس وقيل لا بأس به إذا لم يأخذ الإمام في الخطبة ويكره إن أخذ وقال الحلواني الصحيح أن الدنو من الإمام أفضل لا التباعد منه ثم تقييد التخطي بالكراهة يوم الجمعة هو المذكور في الأحاديث وكذلك قيده الترمذي في حكايته عن أهل

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٦/٣٩٥

العلم وكذلك قيده الشافعية في كتب فقههم في أبواب الجمعة وكذا هو عبارة الشافعي في (الأم) وأكره تخطي رقاب الناس يوم الجمعة لما فيه من الأذى وسوء الأدب انتهى قلت هذا التعليل يشمل يوم الجمعة وغيره من سائر الصلوات في المساجد وغيرها وسائر المجامع من حلق العلم وسماع الحديث ومجالس الوعظ وعلى هذا يحمل التقييد بيوم الجمعة على أنه خرج مخرج الغالب لاختصاص الجمعة بمكان الخطبة وكثرة الناس بخلاف غيره ويؤيد ذلك ما رآه أبو منصور الديلمي في (مسند الفردوس) من حديث أبي أمامة قال قال رسول الله من تخطى حلقة قوم بغير إذنهم فهو عاص ولكنه ضعيف لأنه من رواية جعفر بن الزبير فإنه كذبه شعبة وتركه للناس." (١)

"أن المراد من الغيرة شدة المنع والحماية وقيل معناه ليس أحدا منع من المعاصي من الله ولا أشد كراهة لها منه قلت يجوز أن يكون هذا استعارة مصرحة تبعية قد شبه حال ما يفعل الله مع عبده الزاني من الانتقام وحلول العقاب بحالة ما يفعله العبد لعبده الزاني من الزجر والتعزير فإن قلت كيف إعراب أغير قلت بالنصب خبر ما النافية ويجوز الرفع على أن يكون خبرا للمبتدأ أعني قوله أحد وكلمة من زائدة لتأكيد العموم وقوله أن يزني يتعلق بأغير وحذف الجار وهي في أو على فإن قلت ما وجه تخصيص العبد والأمة بالذكر قلت رعاية **لحسن الأدب** مع الله تعالى لتنزهه عن الزوجة والأهل ممن تعلق بهم الغيرة غالبا فإن قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله من قوله فاذكروا الله إلى آخره قلت قال الطيبي المناسبة من جهة أنهم لما أمروا باستدفاع البلاء بالذكر والصلاة والصدقة ناسب ردعهم عن المعاصي التي هي من أسباب جلب البلاء وخص منها الزنا لأنه أعظمها في ذلك وقيل لما كانت هذه المعصية من أقبح المعاصي وأشدها تأثيرا في إثارة النفوس وغلبة الغضب ناسب ذلك تخويفهم في هذا المقام من مؤاخذة رب الغيرة وخالقها قوله يا أمة محمد قيل فيه معنى الإشفاق كما يخاطب الوالد ولده إذا أشفق عليه بقوله يا بني قلت ليس هذا مثل المثال الذي ذكره فلو كان قال يا أمتي بالنسبة إليه لكان من هذا الباب وإنما هذا يشبه أن يكون من باب التجريد كأنه أبعدهم عنه فخاطبهم بهذا الخطاب لأن المقام مقام التخويف والتحذير قوله والله لو تعلمون أي من عظم انتقام الله من أهل الجرائم وشدة عقابه وأهوال القيامة وأحوالها كما علمته لما ضحكتم أصلا إذ القليل بمعنى العديم على ما يقتضيه السياق فإن قلت لا يرتاب في صدق النبي فلم صدر

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٠٣/١٠

كلامه بقوله والله في الموضعين قلت لإرادة التأكيد لخبره وإن كان لا يشك فيه لأن المقام مقام الإنكار عما يليق فعله فيقتضي التأكيد وقيل معنى هذا الكلام لو علمتم من سعة رحمة." (١)

"ذكر ما يستفاد منه فيه جواز استحضار ذوي الفضل للمحتضر لرجاء بركتهم ودعائهم وفيه جواز القسم عليهم لذلك وفيه جواز المشي إلى التعزية والعيادة بغير إذنهم بخلاف الوليمة وفيه استحباب إبرار القسم وفيه أمر صاحب المصيبة بالصبر قبل وقوع الموت ليقع وهو مستشعر بالرضى مقاوما للحزن بالصبر وفيه تقديم السلام على الكلام وفيه عيادة المرضى ولو كان مفضولا أو صبيا صغيرا وفيه أن أهل الفضل لا ينبغي أن يقطع اليأس من فضلهم ولو ردوا أول مرة وفيه استفهام التابع من إمامه عما يشكل عليه مما يتعارض ظاهره وفيه **حسن الأدب** في السؤال وفيه الترغيب في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة لهم وفيه الترهيب من قساوة القلب وجمود العين وفيه جواز البكاء من غير نوح ونحوه وروى الترمذي في الشمائل من رواية سفيان الثوري والنسائي من رواية أبي الأحوص كلاهما عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما حضرت بنت رسول الله صغيرة فأخذها رسول الله وضمها إلى صدره ثم وضع يده عليها وهي تئن فبكى رسول الله فبكت أم أيمن فقال لها رسول الله أتبكين يا أم أيمن ورسول الله عندك فقال ما لي لا أبكي ورسول الله يبكي فقال رسول الله إني لست أبكي ولكنها رحمة ثم قال رسول الله المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى ولابن عباس حديث آخر رواه أبو داود الطيالسي رواه عنه قال بكت النساء على رقية فجعل عمر رضي الله تعالى عنه ينهاهن فقال رسول الله مه يا عمر ثم قال إياكم ونعيق الشيطان فإنه مهما يكون من العين ومن القلب فمن الرحمة وما يكون من اللسان واليد فمن الشيطان قال وجعلت فاطمة رضي الله تعالى عنها تبكي على شفير قبر رقية فجعل رسول الله يمسح الدموع عن وجهها باليد أو بالثياب ورواه البيهقي في (سننه) ثم قال وهذا وإن كان غير قوي فقوله في الحديث الثابت إن الله لا يعذب بدمع العين يدل على معناه ويشهد له بالصحة وروى." (٢)

"غني اشتراها بماله أو فقير تصدق عليه فأهدى لغني إو غارم وأخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ورواه أبو داود مرسلا فإن قلت ما **أحسن الأدب** سيما مع الأكابر وأبو حنيفة لم يخالف الكتاب ولا السنة وإنما عمل بالسنة فيما ذهب إليه وهو قوله لا تحل

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٦/١١

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٨٩/١٢

الصدقة لغني وقال المراد من قوله لغاز في سبيل الله هو الغازي الغني بقوة البدن والقدرة على الكسب لا الغني بالنصاب الشرعي بدليل حديث معاذ وردها إلى فقرائهم

ويذكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعتق من زكاة ماله ويعطي في الحج." (١)

"وقال الداودي إضاعة المال تؤدي إلى الفقر الذي يخشى منه الفتنة وكأن الشارع يتعوذ من الفقر وفتنته وقال المهلب في إضاعة المال يريد السرف في إنفاقه وإن كان فيما يحل ألا ترى أنه رد تدبير المعدم لأنه أسرف على ماله فيما يحل ويؤجر فيه لكنه أضاع نفسه وأجره في نفسه آكد من أجره في غيره قوله وكثرة السؤال أما السؤال إما أن يكون من سؤال الناس أموالهم والاستكثار منه أو سؤال المرء عما نهي عنه من المتشابه الذي تعبدنا بظاهره أو السؤال من رسول الله عن أمور لم يكن لهم بها حاجة وقال الخطابي المسائل في كتاب الله تعالى على ضربين أحدهما محمود كقوله يسألونك ماذا ينفقون (البقرة ٢١٥ و٢١٩) ونحوه من الإشياء المحتاج إليها في الدين ولهذا قال تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (النحل ٤٣ الأنبياء ٧) والآخر مذموم كقوله يسألونك عن الروح (الإسراء ٨٥) ونحوه مما لا ضرورة فيه لهم إلى علمه ولهذا قال تعالى ولا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم (المائدة ١٠١) وقال النووي يحتمل إن يراد بكثرة السؤال سؤال الإنسان عن حاله وتفاصيل أمره لأنه يتضمن حصول الحرج في حق المسؤول عنه فإنه لا يريد إخباره بأحواله فإن أخبره شق عليه وإن أهمل جوابه **ارتكب سوء الأدب** ويقال في كثرة السؤال وجهان ذكرا عن مالك الأول سؤال سيدنا رسول الله فإنه قال ذروني ما تركتكم والثاني سؤال الناس وهو الذي فهمه البخاري وبوب عليه وقال ابن التين فيه وجوه أحدها التعرض لما في أيدي الناس من الحطام بالحرص والشره وهو تأويل البخاري ثانيها أن يكون في سؤال المرء عما نهى عنه من متشابه الأمور على مذهب أهل الزيغ والشك وابتغاء الفتنة ثالثها ما كانوا يسألون الشارع عن الشيء من الأمور من غير حاجة بهم إليه فتنزل البلوى بهم كالسائل عمن يجد مع امرأته رجلا أشد الناس جرما في الإسلام من سأل عن أمر لم يكن حراما فحرم من أجل مسألته." (٢)

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٣/٤٨٢

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٤/٢٤

"وفيه إشارة إلى أن أوقاتهم كانت مستغرقة بالعبادة وفيه تأخير السحور لكونه أبلغ في المقصود والنبي كان ينظر إلى ما هو أرفق بأمته وفيه الاجتماع على السحور وقال بعضهم وفيه جواز المشي بالليل للحاجة لأن زيد بن ثابت ما كان يبيت مع النبي قلت لا نسلم نفي بيتوته مع النبي في تلك الليلة التي تسحر فيها مع النبي ولا يلزم من ذلك أن يبيت معه كل ليلة وقال أيضا هذا القائل وفيه **حسن الأدب** في العبارة لقوله تسحرنا مع رسول الله ولم يقل نحن ورسول الله لما يشعر لفظ المعية بالتبعية قلت كلمة مع موضوعة للمصاحبة وإشعارها بالتبعية ليس من موضوع الكلمة ومعنى قوله تسحرنا مع رسول الله أي في صحبته وقوله تسحرنا بدل على أنه لم يكن وحده مع النبي في تلك الليلة فإن قلت الحديث يدل على أن الفراغ من السحور كان قبل الفجر بمقدار قراءة خمسين آية وقد مر في حديث حذيفة أن تسحرهم كان بعدالصبح غير أن الشمس لم تطلع قلت أجاب بعضهم بأن لا معارضة بل يحمل على اختلاف الحال فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة انتهى قلت هذا الجواب لا يشفي العليل لا يروي الغليل بل الجواب القاطع ما ذكره الحافظ أبو جعفر الطحاوي بقوله بعد أن روى حديث حذيفة وقد جاء عن رسول الله خلاف ما روي عن حذيفة فذكر الأحاديث التي اتفق عليها الشيخان وغيرهما منها قوله لا يمنعن أحدكم أذان بلال الحديث وقال أيضا وقد يحتمل أن يكون حديث حذيفة والله أعلم قيل نزول قوله تعالى (البقرة٧٨١) الآية وقال أبو بكر الرازي ما ملخصه لا يثبت ذلك من حذيفة ومع ذلك من أخبار الآحاد فلا يجوز الاعتراض على القرآن قال الله تعالى (البقرة٧٨١) فأوجب الصيام بظهور الخيط الأبيض الذي هو بياض الفجر فكيف يجوز التسحر الذي هو الأكل بعد هذا مع تحريم الله إياه بالقرآن." (١)

"ذكر ما يستفاد منه فيه بيان الحكم الذي بوب الباب لأجله وفيه دخول الفقهاء على السلطان ومذاكرتهم له بالعلم وفيه ما كان عليه مروان من الاشتغال بالعلم ومسائل الدين مع ما كان عليه من الدنيا ومروان عندهم أحد العلماء وكذلك ابنه عبد الملك وفيه ما يدل على أن الشيء إذا تنوزع فيه رد إلى من يظن أنه يوجد عنده علم منه وذلك أن أزواج النبي أعلم الناس بهذا المعنى بعده وفيه أن من كان عنده علم في شيء وسمع بخلافه كان عليه إنكاره من ثقة سمع ذلك أو غيره حتى يتبين له صحة خلاف ما عنده وفيه أن الحجة القاطعة عند الاختلاف فيما لا نص فيه من الكتاب وسنة رسول الله وفيه إثبات الحجة في العمل بخبر الواحد العدل وأن المرأة في ذلك كالرجل سواء وأن طريق الإخبار في هذا غير طريق الشهادات وفيه طلب الحجة وطلب الدليل والبحث على العلم حتى يصح فيه وجه ألا ترى أن مرواه لما أخبره عبد

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٦/٣٣٧

الرحمن بن الحارث عن عائشة وأم سلمة بما أخبره به من هذا الحديث بعث إلى أبي هريرة طالبا

للحجة وباحثا عن موقعها ليعرف من أين قال أبو هريرة ما قاله من ذلك وفيه اعتراف العالم بالحق وإنصافه إذا سمع الحجة وهكذا أهل العلم والدين أولو إنصاف واعتراف وفيه دليل على ترجيح رواية صاحب الخبر إذا عارضه حديث آخر وترجيح ما رواه النساء مما يختص بهن إذا خالفهن فيه الرجال وكذلك الأمر فيما يختص بالرجال على ما أحكمه الأصوليون في باب الترجيح للآثار وفيه **حسن الأدب** مع الأكابر وتقدير الاعتذار قبل تبليغ ما يظن المبلغ أن المبلغ يكرهه." (١)

"ذكر معناه قوله بينما قد مر غيرة أن أصل بينما بين فأشبعت فتحة النون وصار بينا ثم زيدت فيه الميم فصار بينما ويضاف إلى جملة إسمية وفعلية ويحتاج إلى جواب يتم به المعنى والأفصح في جوابها أن لا يكون فيه إذ وإذا ولكن يجيء بهذا كثيرا هنا كذلك وهو قوله إذ جاءه رجل وقال بعضهم ومن خاصة بينما أنها تتلقى بإذ وبإذا حيث تجيء للمفاجأة بخلاف بينا فلا تتلقى بواحدة منهما وقد ورد في هذا الحديث كذلك قلت هذا تصرف في العربية من عنده وليس ما قاله بصحيح وقد ذكروا أن كلا منهما يتلقى بواحدة منهما غير أن الأفصح كما ذكرنا أن لا يتلقيا بهما وقد ورد في الحديث بإذ في الأول وفي الثاني بدون إذ وإذا على الأصل الذي هو الأفصح فأي شيء دعوى الخصوصية في بينما بإذ وإذا ونفيها في بينا ولم يقل بهذا أحد قوله عند النبي وفي رواية الكشميهني مع النبي وقال بعضهم فيه **حسن الأدب** في التعبير كما تشعر العندية بالتعظيم بخلاف ما لو قال مع قلت لفظة عند موضوعها الحضرة ومن أين الإشعار فيه بالتعظيم قوله إذا جاء رجل قد مر الكلام فيه في حديث عائشة قوله هلكت وفي حديث عائشة احترقت كما مر وفي رواية ابن أبي حفصة ما أراني إلا قد هلكت وقد روي في بعض طرق هذا الحديث هلكت وأهلكت قال الخطابي وهذه اللفظة غير موجودة في شيء من رواية هذا الحديث قال وأصحاب سفيان لم يرووها عنه إنما ذكروا قوله هلكت حسب قال غير أن بعض أصحابنا حدثني أن المعلى بن منصور روى هذا الحديث عن سفيان فذكر هذا الحرف فيه وهو غير محفوظ والمعلى ليس بذلك في الحفظ والإتقان

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٦٥/١٦

انتهى وقال البيهقي إن هذه اللفظة لا يرضاها أصحاب الحديث وقال القاضي عياض إن هذه اللفظة ليست محفوظة عند الحفاظ الأثبات." (١)

"فإن وقد تكلم جماعة ممن يلوح منهم لوائح التعصب بما فيه ترك مراعاة **حسن الأدب** فقال القرطبي في (المفهم) تعسف بعض الحنفية في تأويل هذا الحديث بتأويلات لا تقوم على أساس وقال النووي وتأولوه بتأويلات ضعيفة مردودة وقال ابن بطال قال الحنفية البائع أسوة للغرماء ودفعوا حديث التفليس بالقياس وقالوا السلعة مال المشتري وثمنها في ذمته والجواب أنه لا مدخل للقياس إلا إذا عدمت السنة أما مع وجودها فهي حجة على من خالفها فإن قال الكوفيون نؤوله بأنه محمول على المودع والمقرض دون البائع قلنا هذا فاسد لأنه جعل لصاحب المتاع الرجوع إذا وجده بعينه والمودع أحق بعينه سواء كان على صفته أو قد تغير عنها فلم يجز حمل الخبر عليه ووجب حمله على البائع لأنه إنما يرجع بعينه إذا وجده بصفته لم يتغير فإذا تغير فإنه لا يرجع

وقال الكرماني وقال بعضهم هذا التأويل غير صحيح إذ لا خلاف أن صاحب الوديعة أحق بها سواء وجدها عند مفلس أو غيره وقد شرط الإفلاس في الحديث وقال صاحب (التوضيح) وحمل أبو حنيفة الحديث على الغصب والوديعة لأنه لم يذكر البيع فيه وأول الحديث بتأويلات ضعيفة مردودة وتعلق بشيء يروى عن علي وابن مسعود وليس بثابت عنهما وتركوا الحديث بالقياس بأن يده قد زالت كيد الراهن

وقال بعض الشافعية في الحديث المذكور حجة على أبي حنيفة حيث قال هو أسوة الغرماء وأجابوا عن الحديث بأجوبة

أحدها أنهم قالوا هذا الحديث مخالف للأصول الثابتة فإن المبتاع قد ملك السلعة وصارت في ضمانة فلا يجوز أن ينقض عليه ملكه قالوا والحديث إذا خالف القياس يشترط فيه فقه الراوي وأبو هريرة ليس كذلك والثاني أن المراد الغصوب والعواري والودائع والبيوع الفاسدة ونحوها والثالث أنه محمول على البيع قبل القبض." (٢)

"٤ -(باب القرآن في التمر بين الشركاء حتى يستأذن أصحابه)

هذه الترجمة هكذا موجودة في النسخ المتداولة بين الناس قيل لعل حتى بمعنى حين فتحرفت أو سقط من الترجمة شيء أما لفظ النهي من أولها أو لا يجوز قبل حتى قلت لا يحتاج إلى ظن التحريف فيه بلى فيه

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٤٢١/١٦

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٢٥/١٩

حذف وباب الحذف شائع ذائع تقديره هذا في بيان حكم القران الكائن في التمر الكائن بين الشركاء لا ينبغي لأحد منهم

أن يقرن حتى يستأذن أصحابه وذلك من باب **حسن الأدب** في الأكل لأن القوم الذين وضع بين أيديهم التمر كالمتساوين في أكله فإن استأثر أحدهم بأكثر من صاحبه لم يجز له ذلك ومن هذا الباب جعل العلماء النهي عن النهبة في طعام الأعراس وغيرها لما فيه **من سوء الأدب** والاستئثار بما لا يطيب عليه نفس صاحب الطعام وقال أهل الظاهر إن النهي عنه على الوجوب وفاعله عاص إذا كان عالما بالنهي ولا نقول إنه أكل حراما لأن أصله الإباحة ودليل الجمهور أنه إنما وضع بين أيدي الناس للأكل فإنما سبيله سبيل المكارمة لا على التشاح لاختلاف الناس في الأكل فبعضهم يكفيه اليسير وبعضهم لا يكفيه أضعافه ولو كانت سهمانهم سواء لما ساغ لمن لا يشبعه اليسير أن أكل أكثر من مثل نصيب من يشبعه اليسير ولما لم يتشاح الناس في هذا المقدار علم أن سبيل هذه المكارمة لا على معنى الوجوب

٩٨٤٢ - حدثنا (خلاد بن يحيى) قال حدثنا (سفيان) قال حدثنا (جبلة بن سحيم) قال سمعت (ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما يقول نهى النبي أن يقرن الرجل بين التمرتين جميعا حتى يستأذن أصحابه." (١)

"هذا قطعة من حديث مضى في كتاب البيوع في باب إذا اشترى شيئا فوهب من ساعته فأرجع فراجع إليه تقف عليه وقال ابن بطال مناسبة حديث ابن عمر للترجمة أنه لو سأل عمر رضي الله تعالى عنه أن يهب البعير لابنه عبد الله لبادر إلى ذلك ولكنه لو فعل لم يكن عدلا بين بني عمر فلذلك اشتراه النبي من عمر ثم وهبه لعبد الله وهذا يدل على ما بوب له البخاري من التسوية بين الأبناء في الهبة

واختلف الفقهاء في معنى التسوية هل هو على الوجوب أو على الندب فأما مالك والليث والثوري والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه فأجازوا أن يخص بعض بنيه دون بعض بالنحلة والعطية على كراهية من بعضهم والتسوية أحب إلى جميعهم وقال الشافعي ترك التفضيل في عطية الأبناء فيه **حسن الأدب** ويجوز له ذلك في الحكم وكره الثوري وابن المبارك وأحمد أن يفضل بعض ولده على بعض في العطايا وكان إسحاق يقول مثل هذا ثم رجع إلى مثل قول الشافعي وقال المهلب وفي الحديث دلالة على أنه لا تلزم المعدلة فيما يهبه غير الأب لولد غيره

٦٨٥٢ - حدثنا (عبد الله بن يوسف) قال أخبرنا (مالك) عن (ابن شهاب) عن (حميد بن عبد

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٩/٣٨٦

الرحمان ومحمد بن النعمان بن بشير أنهما حدثاه) عن (النعمان ابن بشير) أن أباه أتى به إلى رسول الله فقال إني نحلت ابني هذا غلاما فقال أكل ولدك نحلت مثله قال لا قال فارجعه

مطابقته للترجمة ظاهرة لأن الترجمة فيما إذا أعطى لبعض ولده لم يجز حتى يعدل ويعطي الآخرين مثله والحديث يتضمن هذا على ما لا يخفى

ذكر رجاله عبد الله بن يوسف التنيسي وهو من أفراده وقد تكرر ذكره ومالك بن أنس وابن شهاب هو محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري وحميد بضم الحاء المهملة ابن عبد الرحمن بن عوف وقد مر في الإيمان ومحمد بن النعمان بن بشير الأنصاري ذكره ابن حبان في الثقات التابعين وقال العجلي هو تابعي ثقة روى له الجماعة إلا أبا داود والنعمان بضم النون ابن بشير ضد." (١)

"عدم وجوب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات وهذا مجمع عليه إذا كان السفر طويلا وقال النووي وحكم السفر القصير حكم الطويل على المذهب الصحيح وخالف فيه بعض أصحابنا وفيه جواز سفر الرجل بزوجته وفيه جواز الغزو بهن وفيه جواز ركوب النساء في الهوادج وفيه جواز خدمة الرجال لهن في ذلك في الأسفار وفيه أن إرتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير وفيه جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن الزوج وهذا من الأمور المستثناة وفيه جواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر وفيه أن من يركب المرأة على البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرما إلا لحاجة لأنهم حملوا ولم يكلموا من يظنونها فيه وفيه فضيلة الاقتصاد في الأكل للنساء وغيرهن ولا يكثرن منه بحيث يهبلهن اللحم وفيه جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض لهم وفيه إغاثة الملهوف وعون المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوي الأقدار كما فعل صفوان بهذا كله وفيه **حسن الأدب** مع الأجنبيات لا سيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها وفيه أنه إذا أركب أجنبية ينبغي أن يمشي قدامها ولا يمشي بجنبها ولا وراءها وفيه استحباب الاسترجاع عند المصائب سواء كانت في الدين أو في الدنيا وسواء كانت في نفسه أو من يعز عليه وفيه تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء كان صالحا أو غيره وفيه جواز الحلف من غير استحلاف وفيه أنه يستحب أن يسر عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة كما كتموا عن عائشة رضي الله تعالى عنها هذا الأمر شهرا ولم تسمعه بعد ذلك إلا بعارض عرض وهو قول أم مسطح تعس مسطح وفيه استحباب ملاطفة الرجل زوجته ويحسن معاشرتها وفيه أنه إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئا أو نحو ذلك يقلل من اللطف

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٠٣/٢٠

ونحوه لتفطن أن ذلك لعارض فتسأل عن سببه فتزيله وفيه استحباب السؤال عن المريض وفيه أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن يكون معها رفيقة لها." (١)

"الحسن هو البصري وهذا على أصله أن إقرار المريض نافذ مطلقا فهذا على إطلاقه يتناول أن يكون من جميع ماله ويخالفه غيره فلا يعتق إلا من الثلث

وقال الشعبي إذا قالت المرأة عند موتها إن زوجي قضاني وقبضت منه جاز

الشعبي هو عامر قوله قضاني يعني أداني حقي جاز إقرارها قال ابن التين لأنها لا تتهم بالميل إلى زوجها في تلك الحالة ولا سيما إذا كان لها ولد من غيره

وقال بعض الناس لا يجوز إقراره لسوء الظن به للورثة ثم استحسن فقال يجوز إقراره بالوديعة والبضاعة والمضاربة

قال صاحب (التوضيح) المراد ببعض الناس أبو حنيفة وقال الكرماني قوله وقال بعض الناس أي كالحنفية قلت هذا كله تشنيع على أبي حنيفة أو على الحنفية مطلقا مع أن **فيه سوء الأدب** على ما لا يخفى قوله لا يجوز إقراره أي إقرار المريض لبعض الورثة قوله لسوء الظن به أي بهذا الإقرار أي مظنة أن يريد الإساءة بالبعض الآخر منهم وهذا لا يطلق عليه سوء الظن ولم يعلل الحنفية عدم جواز إقرار المريض لبعض الورثة بهذه العبارة بل قالوا لا يجوز ذلك لأنه ضرر لبقية الورثة مع ورود قوله لا وصية لوارث ولا إقرار له بدين ومذهب مالك كمذهب أبي حنيفة إذا اتهم وهو اختيار الروياني من الشافعية وعن شريح والحسن بن صالح لا يجوز إقرار المريض لوارث إلا لزوجته بصداقها وعن القاسم وسالم والثوري لا يجوز إقرار المريض لوارثه مطلقا وزعم ابن المنذر أن الشافعي رجع إلى قول هؤلاء وبه قال أحمد والعجب من البخاري أنه خصص الحنفية بالتشنيع عليهم وهم ما هم منفردون فيما ذهبوا إليه ولكن ليس هذا إلا بسبب أمر سبق فيما بينهم والله أعلم قوله ثم استحسن أي بعض الناس هذا أي رأى بالاستحسان فقال إلى آخره والفرق بين الإقرار بالدين وبين الإقرار بالوديعة والبضاعة والمضاربة ظاهر لأن مبنى الإقرار بالدين على اللزوم ومبنى الإقرار بهذه الأشياء المذكورة على الأمانة وبين اللزوم والأمانة فرق عظيم." (٢)

"فيه **حسن الأدب** في الاستئذان وقال ابن التين يحتمل أن يكون هذا قبل أن ينزل قوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا (النور ٧٢) واعترض عليه باستبعاد ما قاله وذلك لأنه وقع في

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣١٦/٢٠

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧١/٢١

رواية عبد الرحمن بن حرملة فجاء رجل فاستأذن فعرف من هذا إن معنى قوله يحرك الباب يعني مستأذنا لا دافعا قوله يبشرك بالجنة زاد أبو عثمان في روايته فحمد الله تعالى قوله فقال عثمان إلى قوله فقال إئذن له وفي رواية أبي عثمان ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال إئذن له قوله على بلوى تصيبك وهي البلية التي صار بها شهيد الدار وفي رواية أبي عثمان فحمد الله ثم قال الله المستعان وفي رواية عند أحمد فجعل يقول أللهم صبرا حتى جلس قوله فجلس وجاهه بضم الواو وكسرها أي مقابله قوله قتل شريك هو شريك بن أبي نمر الراوي وهو موصول بالإسناد الماضي قوله فأولتها قبورهم أي أولت هؤلاء الثلاثة الجالسين على الهيئة المذكورة بقبورهم والتأويل بالقبور من جهة كون الشيخين مصاحبين له عند الحفرة المباركة لا من جهة أن أحدهما في اليمين والآخر في اليسار وأما عثمان فهو في البقيع مقابلا لهم وهذا من الفراسة الصادقة

٥٧٦٣ - حدثني (محمد بن بشار) حدثنا (يحيى) عن (سعيد) عن (قتادة) أن (أنس بن مالك) رضي الله تعالى عنه حدثهم أن النبي صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان

مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله وصديق على ما لا يخفى ويحيى هو ابن سعيد القطان وسعيد هو ابن أبي عروبة

والحديث أخرجه البخاري أيضا في فضل عمر رضي الله تعالى عنه عن مسدد وأخرجه أبو داود في السنة عن مسدد أيضا وأخرجه الترمذي في المناقب عن بندار به وأخرجه النسائي فيه عن أبي قدامة عن يحيى به وعن عمرو بن علي عن يحيى ويزيد ابن زريع به." (١)

"قال أبو عبد الله قال الحميدي هذا الحديث منسوخ لأن النبي آخر ما صلى صلى قاعدا والناس خلفه قيام

أبوعبد الله هو البخاري نفسه والحميدي قد مر غير مرة وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله بن الزبير بن عبد الله بن حميد والحميدي نسبة إلى بطن من قريش يقال له حميد بن زهير ووجه النسخ وباقي المسألة من الخلاف قد ذكرناه في باب إنما جعل الإمام ليؤتم به وبالذي قاله الحميدي قال أبو حنيفة والشافعي والمنسوخ منه قعودهم معه فقط وأخذ أحمد وإسحاق بظاهره وأن الإمام إذا صلى جالسا تابعوه فيه وحمل ابن القاسم حديث الباب على أنه كان نافلة وهو غلط

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٤/٢٧٩

١٣ -(باب وضع اليد على المريض)

أي هذا باب في بيان وضع عائد المريض يده عليه للتأنيس له ولمعرفة مرضه ويدعو له على حسب ما يبدو منه وربما يرقيه بيده ويمسح على ألمه فينتفع به العليل خصوصا إذا كان العائد صالحا يتبرك بيده ودعائه كما كان يفعله وذلك من **حسن الأدب** واللطف بالعليل وقد يكون واضع يده عارفا بالعلاج فيصف له بما يناسبه

٥٦٥٩ - حدثنا المكي بن إبرااهيم أخبرنا الجعيد عن عائشة بنت سعد أن أباها قال تشكيت بمكة شكواى شديدة فجاءني النبي يعودني فقلت يا نبي الله إني أترك مالا وإني لم أترك إلا ابنة واحدة فأوصي بثلثي مالي وأترك الثلث فقال لا فقلت فأوصي بالنصف وأترك النصف قال لا قلت فأوصي بالثلث واترك لها الثلثين قال الثلث والثلث كثير ثم وضع يده على جبهته ثم مسح يده على وجهي وبطني ثم قال أللهم اشف سعدا وأتمم له هجرته فمازلت أجد برده على كبدي فيما يخال إلي حتى الساعة

مطابقته للترجمة ظاهرة في قوله ثم وضع يده على جبهته ثم مسح يده على وجهي وبطني." [١]

"٨٩٤٦ - حدثنا (أبو اليمان) أخبرنا (شعيب) عن (الزهري) قال أخبرني

(سالم بن عبد الله) أن (عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله يقول إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة

مطابقته للترجمة يمكن أن توجه من حيث إن النبي أخبر في هذا الحديث بأن الناس كثيرون والمرضي فيهم قليل بمنزلة الراحلة في الإبل المائة وغير المرضي هم الذين ضيعوا الفرائض التي عليهم وقد ذكرنا أن ابن عباس فسر الأمانة بالفرائض فمن هذه الحيثية تحصل المطابقة بين الترجمة والحديث

وأبو اليمان الحكم بن نافع

والحديث بهذا الإسناد من أفراده وفي رواية مسلم من طريق معمر عن الزهري تجدون الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة

واختلفوا في معنى هذا الحديث فقيل إنما يراد به القرون المذمومة في آخر الزمان ولذلك ذكره البخاري هنا ولم يرد به زمن أصحابه وتابعيهم لأنه قد شهد لهم بالفضل فقال خير القرون الحديث ونقل الكرماني هذا في (شرحه) بقوله وقال بعضهم المراد به القرون المذمومة إلى آخر ما ذكرناه وقال بعضهم نقل الكرماني هذا عن مغلطاي ظنا منه أنه كلامه لكونه لم يعزه

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٦٣/٣١

قلت لم يقل الكرماني إلا قال بعضهم ولم يذكر لفظ مغلطاي أصلا فلا يحتاج إلى ذكره بما فيه **من سوء الأدب** ونسبة الظن إليه وبعض الظن إثم وقيل يحتمل أن يريد كل الناس فلا يكون مؤمن إلا في مائة أو أكثر وقيل إن الناس في أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع على وضيع كالإبل المائة التي لا تكون فيها راحلة وقيل إن أكثر الناس أهل نقص وأهل الفضل عددهم قليل بمنزلة الراحلة في الإبل الحمولة قال الله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون (الأعراف ١٨٧ وغيرها) وقوله ولكن أكثرهم يجهلون (الأنعام١١١) وقال القرطبي الذي يناسب التمثيل أن الرجل الجوادالذي يتحمل أثقال الناس والحمالات عنهم ويكشف كربهم عزيز الوجود كالراحلة في الإبل الكثيرة." (١)

"قوله من في الزهري أي من فمه وفي رواية الحميدي حدثنا الزهري وفي رواية الإسماعيلي سمعت الزهري قوله كنا عند النبي وفي رواية شعيب بينما نحن عند النبي وفي رواية ابن أبي ذئب وهو جالس في المسجد قوله فقام رجل في رواية الشروط أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي وفي رواية شعيب في الأحكام إذا قام رجل من الأعراب قوله أنشدك الله بفتح الهمزة وسكون النون وضم الشين المعجمة من قولهم نشده إذا سأله رافعا نشيدته وهي صوته وضمن معنى أنشدك أذكرك قال سيبويه معنى وأنشدك إلا فعلت ما أطلب منك إلا فعلك وقيل يحتمل أن يكون إلا جواب القسم لما فيها من معنى الحصر وتقديره أسألك بالله لا تفعل شيئا إلا القضاء بكتاب الله فإن قلت ما فائدة هذا والنبي لا يحكم إلا بكتاب الله قلت هذا من خفاء وجه الحكم عليه حين سأل أهل العلم الذين أجابوا بمائة جلدة وتغريب عام وهذا من قبيل قول الملكين لداود عليه السلام ص٢٢ ومن هذا قالوا يجوز قول الخصم للإمام العادل اقض بيننا بالحق على أن النبي لم ينكر عليه قوله ذلك قوله إلا قضيت بكسر الهمزة وتشديد اللام وهي كلمة استثناء والمعنى ما أطلب منك إلا القضاء بحكم الله قوله بكتاب الله قال شيخنا زين الدين هل المراد بقوله بكتاب الله أي بقضائه وحكمه أو المراد به القرآن يحتمل كلا الأمرين قوله فقام خصمه وكان أفقه منه الواو في وكان للحال وفي رواية مالك وقال الآخر وهو أفقههما إما مطلقا وإما في هذه القضية الخاصة قوله وائذن لي أي في التكلم وهذا من جملة كلام الرجل لا الخصم وهذا من جملة أفقهيته حيث استأذن **بحسن الأدب** وترك رفع الصوت وقد ورد حديث مرفوع وإن كان ضعيفا أن حسن السؤال نصف العلم قوله إن ابني ويروى إن ابني هذا فإن قلت إقرار الأب عليه لا يقبل قلت قال الكرماني هذا أيضا جواب لاستفتائه أي إن كان ابنك

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٨١/٣٣

زنى وهو بكر فعليه كذا قلت الأحسن ما قاله النووي على ما يجيء عن قريب قوله كان عسيفا بفتح المهملة الأولى." (١)

"البخاري وفي أجاز إلى بعض الناس فإن كان مراده من قوله فأجاز أي أبو حنيفة **ففيه سوء الأدب** فحاشا أبو حنيفة من ذلك فدينه المتين وورعه المحكم يمنعه عن ذلك قوله وقال قال النبي أي قال البخاري قال النبي وأراد بهذا الحديث المعلق الذي مضى موصولا بأتم منه في أوائل كتاب البيوع الاستدلال على حرمة الخداع بين المسلمين في معاقداتهم قوله لا داء أي لا مرض ولا خبثة بكسر الخاء المعجمة أي لا يكون وحكى الضم أيضا وقال الهروي الخبثة أن يكون البيع غير طيب كأن يكون من قوم لم يحل سبيهم لعهد تقدم لهم وقال ابن التين وهذا في عهد الرقيق قيل إنما خصه بذلك لأن الخبر إنما ورد فيه قوله ولا غائلة وهو أن يأتي أمرا سوءا كالتدليس ونحوه وقال الكرماني الغائلة الهلاك أي لا يكون فيه هلاك مال المشتري والأصل عنده من يرى هذا الاحتيال في هذه الصورة وغيرها هو أن إبطال الحقوق الثابتة بالتراضي جائز

٦٩٨١ - حدثنا (مسدد) حدثنا يحياى عن سفيان قال حدثني إبراهيم بن ميسرة عن عمرو بن الشريد أن أبا رافع ساوم سعد بن مالك بيتا بأربعمائة مثقال وقال لولا أني سمعت النبي يقول الجار أحق بصقبه ما أعطيتك

قد مر الكلام فيه عن قريب عند قوله حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان الخ وهو بعين ذلك الحديث غير أنه أخرجه هنا عن مسدد عن (يحيى) القطان عن (سفيان) الثوري وهناك عن أبي نعيم عن سفيان عن إبراهيم الخ ومضى الكلام فيه." (٢)

"وقال ابن الأثير الأصل لو ساكنة الواو وهي حرف من حروف المعاني يمتنع بها الشيء لامتناع غيره غالبا فلما أرادوا إعرابها أتو فيها بالتعريف ليكون علامة لذلك ومن ثمة شدد الواو وقد سمع بالتشديد منونا قال الشاعر وذكر البيت المذكور وقال ابن التين في بعض النسخ وتبعه الكرماني في باب ما يجوز من لو بغير ألف ولام ولا تشديد على الأصل وقال بعضهم لعله من إصلاح بعض الرواة لكونه لم يعرف وجهه قلت هذا هو الصواب لأن معناه باب ما يجوز من ذكر لو في كلامه لا يحتاج إلى تكلفات بعيدة وأما الشاعر فإنه شدد لو للضرورة ونسبة بعض الرواة إلى عدم معرفة وجه ذلك **من سوء الأدب**

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٤٣/٣٤

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣/٣٥

وقوله تعالى قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد
هذا حكاية عن قول لوط عليه السلام وتمامه وآوى إلى ركن شديد واحتج به البخاري على جواز استعمال لو في الكلام وقال عياض الذي يفهم من ترجمة البخاري ومما ذكره في الباب من الأحاديث أنه يجوز استعمال لو ولولا فيما يكون للاستقبال مما فعله لوجود غيره ثم قال النهي على ظاهره وعمومه لكنه نهي تنزيه وقال النووي الظاهر أن النهي عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه وأما من قاله تأسفا على ما فاته من طاعة الله أو ما هو متعذر عليه ونحو هذا فلا بأس به وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجودة في الأحاديث ثم إن جواب لو في قوله قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد محذوف تقدير لقاتلتكم والمعنى لو كان لي قوة أي منعة وشيعة تنصرني وقصته مشهورة في التفسير
٧٢٣٨ - حدثنا (علي بن عبد الله) حدثنا (سفيان) حدثنا (أبو الزناد) عن (القاسم بن محمد) قال ذكر ابن عباس المتلاعنين فقال عبد الله بن شداد أهي التي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لو كنت راجما امرأة من غير بينة قال لا تلك امرأة أعلنت
مطابقته للترجمة ظاهرة في قوله لو كنت راجما." (١)

" الكتاب والسنة وقال بن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء **بحسن الأدب** وقال الاستاذ أبو على الدقاق رحمه الله تعالى حقيقة الصبر أن لا يعترض على المقدور فأما اظهار البلاء لا على وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في أيوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد مع أنه قال اني مسنى الضر والله أعلم وأما قوله صلى الله عليه و سلم والقرآن حجة لك أو عليك فمعناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به والا فهو حجة عليك وأما قوله صلى الله عليه و سلم كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها فمعناه كل انسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها أى يهلكها والله أعلم
(باب وجوب الطهارة للصلاة)

في اسناده (أبو كامل الجحدري) بفتح الجيم واسكان الحاء المهملة وفتح الدال واسمه الفضيل بن حسين منسوب إلى جد له اسمه جحدر وتقدم بيانه مرات وفيه (أبو عوانة) واسمه الوضاح بن عبد الله قوله صلى الله عليه و سلم (لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول) هذا الحديث نص في وجوب الطهارة للصلاة وقد أجمعت الامة على أن الطهارة شرط في صحة الصلاة قال القاضي عياض

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٤٢/٣٥

واختلفوا متى فرضت الطهارة للصلاة فذهب بن الجهم إلى أن الوضوء في أول الاسلام كان سنة ثم نزل فرضه في آية التيمم قال الجمهور بل كان قبل ذلك فرضا قال واختلفوا في أن الوضوء فرض على كل قائم إلى الصلاة أم على المحدث خاصة ." (١)

" والعقاب لبعضهم وأما الاعتصام بحبل الله فهو التمسك بعهده وهو اتباع كتابه العزيز وحدوده والتأدب بأدبه والحبل يطلق على العهد وعلى الأمان وعلى الوصلة وعلى السبب وأصله من استعمال العرب الحبل في مثل هذه الأمور لاستمساكهم بالحبل عند شدائد أمورهم ويوصلون بها المتفرق فاستعير إسم الحبل لهذه الأمور وأما قوله صلى الله عليه و سلم ولا تفرقوا فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض وهذه احدى قواعد الإسلام واعلم أن الثلاثة المرضية احداها أن يعبدوه الثانية أن لا يشركوا به شيئا الثالثة أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا وأما قيل وقال فهو الخوض في أخبار الناس وحكايات مالا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم واختلفوا في حقيقة هذين اللفظين على قولين أحدهما أنهما فعلان فقيل مبنى لما لم يسم فاعله وقال فعل ماض والثاني أنهما اسمان مجروران منونان لأن القيل والقال والقول والقالة كله بمعنى ومنه قوله ومن أصدق من الله قيلا ومنه قولهم كثر القيل والقال وأما كثرة السؤال فقيل المراد به القطع في المسائل والاكثار من السؤال عما لم يقع ولا تدعو إليه حاجة وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن ذلك وكان السلف يكرهون ذلك ويرونه من التكلف المنهي عنه وفي الصحيح كره رسول الله صلى الله عليه و سلم المسائل وعابها وقيل المراد به سؤال الناس أموالهم وما في أيديهم وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن ذلك وقيل يحتمل أن المراد كثرة السؤال عن أخبار الناس وأحداث الزمان ومالا يعني الإنسان وهذا ضعيف لأنه قد عرف هذا من النهي عن قيل وقال وقيل يحتمل أن المراد كثرة سؤال الإنسان عن حاله وتفاصيل أمره فيدخل ذلك في سؤاله عما لا يعنيه ويتضمن ذلك حصول الحرج في حق المسؤل فإنه قد لا يؤثر اخباره بأحواله فإن أخبره شق عليه وإن كذبه في الأخبار أو تكلف التعريض لحقته المشقة وإن أهمل جوابه **ارتكب سوء الأدب** وأما اضاعة المال فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف وسبب النهي أنه افساد والله لا يحب المفسدين ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس وأما عقوق الأمهات فحرام وهو من الكبائر باجماع العلماء وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على عده من الكبائر وكذلك عقوق الآباء من الكبائر وإنما ." (٢)

---

(١) شرح النووي على مسلم، ٣/١٠٢

(٢) شرح النووي على مسلم، ١٢/١١

" الذى كان يستوشيه) أى يستخرجه بالبحث والمسئلة ثم يفشيه ويشيعه ويحركه ولا ندعه بحمد والله أعلم واعلم أن فى حديث الافك فوائد كثيرة إحداها جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة عن كل واحد قطعة مبهمة منه وهذا وأن كان فعل الزهري وحده فقد أجمع المسلمون علي قبوله منه والاحتجاج به الثانية صحة القرعة بين النساء وفى العتق وغيره مما ذكرناه فى أول الحديث مع خلاف العلماء الثالثة وجوب الاقراع بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن الرابعة أنه لا يجب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات وهذا مجمع عليه اذا كان السفر طويلا وحكم القصير حكم الطويل على المذهب الصحيح وخالف فيه بعض أصحابنا الخامسة جواز سفر الرجل بزوجته السادسة جواز غزوهن السابعة جواز ركوب النساء في الهوادج الثامنة جواز خدمة الرجال لهن فى تلك الأسفار التاسعة أن ارتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير العاشرة جواز خروج المرأة لحاجة الانسان بغير إذن الزوج وهذا من الأمور المستثناة الحادية عشر جواز لبس النساء القلائد فى السفر كالحضر الثانية عشر أن من يركب المرأة على البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرما إلا لحاجة لأنهم حملوا الهودج ولم يكلموا من يظنونها فيه الثالثة عشر فضيلة الاقتصار فى الأكل للنساء وغيرهن وأن لايكثر منه بحيث يهبله اللحم لأن هذا كان حالهن فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم وما كان فى زمانه صلى الله عليه و سلم فهو الكامل الفاضل المختار الرابعة عشر جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض له عن الجيش اذا لم يكن ضرورة إلى الاجتماع الخامسة عشر إعانة الملهوف وعون المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوى الأقدار كما فعل صفوان رضى الله عنه فى هذا كله السادسة عشر **حسن الأدب** مع الأجنبيات لاسيما فى الخلوة بهن عند الضرورة فى برية أو غيرها كما فعل صفوان من إبراكه الجمل من غير كلام ولاسؤال و ا نه ينبغى أن يمشى قدامها لا بجنبها ولا وراءها السابعة عشر استحباب الإيثار بالركوب ونحوه كما فعل صفوان الثامنة عشر استحباب الإسترجاع عند المصائب سواء كانت فى الدين أو الدنيا وسواء كانت فى نفسه أو من يعز عليه التاسعة عشر تغطية المرأة وجهها عن نظر ." (١)

" فهو الجافي الشديد الخصومة بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ وأما الجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة فهو الجموع المنوع وقيل كثير اللحم المختال فى مشيته وقيل القصير البطين وقيل الفاخر بالخاء وأما الزنيم فهو الدعى فى النسب الملصق بالقوم وليس منهم شبه بزنمة الشاة وأما المتكبر والمستكبر فهو صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس [٢٨٥٥] قوله صلى الله عليه و سلم فى

(١) شرح النووي على مسلم، ١١٦/١٧

الذى عقر الناقة (عزيز عارم) العارم بالعين المهملة والراء قال أهل اللغة هو الشرير المفسد الخبيث وقيل القوى الشرس وقد عرم بضم الراء وفتحها وكسرها عرامة بفتح العين وعراما بضمها فهو عارم وعرم وفى هذا الحديث النهى عن ضرب النساء لغير ضرورة التأديب وفيه النهى عن الضحك من الضرطة يسمعها من غيره بل ينبغى أن يتغافل عنها ويستمر على حديثه واشتغاله بما كان فيه من غير التفات ولا غيره ويظهر أنه لم يسمع وفيه **حسن الأدب** والمعاشرة [٢٨٥٦] قوله صلى الله عليه و سلم (رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أبا بنى كعب هؤلاء يجر قصبه فى النار) وفى الرواية الأخرى رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار وكان أول من سيب السوائب ." (١)

"بلال يؤذن بليل وبه (عن عبد الله عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن بلال ينادي بليل) أي أثناء ليل من رمضان ، وغيره (فكلوا واشربوا) ، وكذا حكم الجماع (حتى ينادي ابن أم مكتوم) لقوله تعالى : (كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) والمراد به الفجر المعترض لا المستطيل ،

كما أشار إليه.

رواه أحمد بقوله : (فإنه يؤذن وقد حل الصلاة) ، وإذا حلت الصلاة حرم الأكل والشرب والجماع على من أراد الصوم.

الحديث بعينه رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي ، عن ابن عمر بلفظ : " إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم " وفي رواية لهم عن ابن مسعود بلفظ : " لا يمنعن أحدكم أذان بلال عن سحوره ، فإنه يؤذن بليل ليرجع قائمكم وليتنبه نائمكم ".

وبه (عن عبد الله عن ابن عمر أن رجلا نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكأنه ناداه **بحسن الأدب** ومراعاة أمر الرب (والنبي صلى الله عليه وسلم في منزله) جملة حالية (فقال :." (٢)

"والحاصل: أن الحديث ورد على وفق طبع الرجال والنساء، وإن كان ما في طبع الرجل موافقا للواقع، وما في طبعهن مخالفا له، إلا أن الغرض لما كان قطع الوسواس لم يناظر معهن، وتركهن على فطرتهن، ولا تبديل لخلق الله، نعم الوساوس التي تكون لا عن منشأ صحيح لم يعتبرها الشرع أصلا، ولذا أباح الاغتراف معا، لأن الذين يكرهون استعمال السؤر لا يرون به بأسا، ألا ترى أن من يكره أن يأكل فضل طعامك، لا

---

(١) شرح النووي على مسلم، ١٨٨/١٧

(٢) شرح مسند أبي حنيفة، ص/٢٣٠

يكره أن يكأل معك، لأنه لا يراه سؤرا فالدخل فيه للسؤر دن الوساوس. والمعنى أن لا يسئر الرجل الماء للمرأة، ولا تسئر هي له، فكما أنك تكره أن تسئر طعامك وشرابك لجبيك، كذلك أراد الشرع أن لا يسئر الزوجان أحدهما للآخر غسله.

فهذا الحديث من باب **حسن الأدب**، وسد الأوهام، وأول ما انتقل إليه ذهني من كلام الطحاوي، فإنه بوب أولا بسؤر الهرة، ثم بسؤو الكلب، ثم بسؤر بني آدم، وأخرج تحته حديث النهي عن اغتسال ،الرجل بفضل المرأة وبالعكس، فكأنه أشار إلى أن المعنى في هذه الأحاديث هو السؤرية الإسآر، دون الوساوس الشهوانية، فلله دره ما أدق نظره.q

ويدلك على قلنا ما أخرجه النسائي عن أم سلمة: «أنها سئلت: أتغتسل المرأه مع الرجل؟ قالت: نعم، إذا كانت كيسة». فأشارت إلى أن الأمر يدور على الكياسة وعدمها، ولما كان الرجل كيسا لم ينه عن استعمال فضل وضوئه، بخلاف النساء، فإنهن لسن كذلك في عامة الأحوال، وإذا كانت كيسة تعرف طريق آداب الماء وصيانته،، فلها أن تغتسل معه.." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٥٣ """""""

وإنما أتى الرجل من جهله بالأسباب التى خرج عليها معنى الخطاب ، والنبى (صلى الله عليه وسلم) قد جمع فى هذا الخبر معانى : أحدها : تحريم الوضوء بالماء النجس . والآخر : تأديبهم بأن يتنزهوا عن البول فى الماء الذى لا يجرى فيحتاجون إلى الوضوء منه ، وهم على يقين من استقرار البول فيه ، لأن من سنته (صلى الله عليه وسلم) النظافة **وحسن الأدب** ، فدعا الناس إلى ذلك . والآخر : أنه زجرهم عن ذلك ، إذ لو أطاق لهم البول فى الماء الدائم لأوشك أن يفسد الماء القيل ويتغير فيضيق وجود ماء طاهر على كثير من الناس . فيقال له : خبرنا عن البائل فى البحر أو الحوض الكبير أو الغدير الواسع الذى لا يتحرك بتحرك طرفه ، هل يجوز أن يتوضأ منه ؟ فإن قال : لا ، قال : ما تعرف أن الحق فى خلافه ؟ وإن أجاز ذلك قيل له : فقد تركت ظاهر الحديث ، وفى ضرورتك إلى تركك ظاهره ما يوجب ءليك أن تقول ، إن معنى الحديث ما ذكرنا ، قاله بعض أصحاب أبى حنيفة . وأما إدخال البخارى فى أول الحديث : تمت نحن الآخرون السابقون يوم القيامة - فيمكن ، والله أعلم ، سمع أبو هريرة ذلك من النبى فى نسق واحد فحدث بهما جميعا كما سمعهما . وقد ذكر مثل ذلك فى كتاب الجهاد ، وفى كتاب العبارة ، وفى كتاب الأيمان والنذور ، وفى كتاب قصص الأنبياء ، وفى كتاب الاعتصام ، ذكر فى أوائل الأحاديث كلها : تمت نحن

(١) فيض الباري شرح البخاري، ١/ ٤٣٠

الآخرون السابقون يوم القيامة - ، ويمكن أن يكون همام سمع ذلك ، لأنع سمع من أبى هريرة أحاديث ليست بكثيرة ، وفى أوائلها :." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٩٣ """""""""

قال المهلب : فى حديث موسى ، وأيوب دليل على إباحة التعرى فى الخلوة للغسل وغيره ، بحيث يأمن أعين الناس ، لأن أيوب وموسى من الذين أمرنا أن نهتدى بهداهم ، ألا ترى أن الله عاتب أيوب على جمع الجراد ، ولم يعاتبه على غسله عريانا ، ولو كلف الله عباده الاستتار فى الخلوة كان فى ذلك حرج على العباد ، إذ كان المغتسل من الجنابة لا يجد بدا من التعرى والله تعالى لا يغيب عنه شيء من خلقه ، عراة كانوا أو مكتسين ، وسيأتى شيء من هذا المعنى فى كتاب الصلاة ، فى باب كراهية التعرى فى الصلاة وغيرها ، إن شاء الله ، إلا أن الاستتار فى الخلوة من **حسن الأدب** . وقد روى ابن وهب ، عن ابن مهدى ، عن خالد بن حميد ، عن بعض أهل الشام ، أن ابن عباس لم يكن يغتسل فى بحر ولا نهر إلا وعليه إزار ، فإذا سئل عن ذلك ، قال : إن له عامرا . وروى برد ، عن مكحول ، عن عطية ، عن النبى) صلى الله عليه وسلم) ، قال : تمت من اغتسل بليل فى فضاء فليتحاذر على عورته ، ومن لم يفعل ذلك فأصابه لمم فلا يلومن إلا نفسه - . وفى مرسلات الزهرى ، عن النبى ، (صلى الله عليه وسلم) ، قال : تمت لا تغتسلوا فى الصحراء إلا أن لا تجدوا متوارى ، فإن لم تجدوا متوارى فليخط أحدكم كالدائرة ، ثم يسمى الله ويغتسل فيها - . وفى حديث موسى دليل على إباحة النظر إلى العورة عند الضرورة الداعية إلى ذلك من مداواة ، أو براءة مما رمى به من العيوب كالبرص وغيره من الأدواء التى يتحاكم الناس فيها مما لابد فيها من." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٤٠٠ """""""""

يتوضأ حين كان يطوف على كل امرأة من نسائه ، ولا فى حديث أبى هريرة أن المؤمن لا ينجس إذا كان قد توضأ بعد الجنابة . وممن قال لا وضوء عليه إذا أراد أن يطعم : مالك ، والكوفيون ، والأوزاعى ، والشافعى ، وأحمد ، وإسحاق ، وهو الذى يدل عليه حديث أبى هريرة . وفى حديث أبى هريرة : جواز أخذ الإمام والعالم بيد تلميذه ومن هو دونه ومشيه معه معتمدا عليه ومرتفقا به . وفيه : أن من **حسن الأدب** لمن مشى معه معلمه أو رئيسه أن لا ينصرف عنه ولا يفارقه حتى يعلمه بذلك ، ألا ترى قوله (

---

(١) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ١/٣٥٣

(٢) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ١/٣٩٣

صلى الله عليه وسلم) لأبى هريرة حين انصرف إليه : تمت أين كنت يا أبا هريرة ؟ - فدل ذلك على أنه استحب له أن لا يفارقه حتى ينصرف معه .

- باب كينونة الجنب فى البيت

/ ٣٥ - فيه : عائشة قالت : كان النبى (صلى الله عليه وسلم) يرقد وهو جنب ويتوضأ . / ٣٦ - وفيه : عمر أنه سأل النبى (صلى الله عليه وسلم) ، أيرقد أحدنا وهو جنب ؟ قال : تمت نعم ، إذا توضأ أحدكم فليرقد - وهو جنب . / ٣٧ - وقال له مرة : تمت توضأ واغسل ذكرك ، ثم نم - . / ٣٨ - وفيه : عائشة كان النبى إذا أراد أن ينام وهو جنب ، غسل فرجه ، وتوضأ للصلاة . واختلف العلماء فى نوم الجنب ، فقالت طائفة : بظاهر خبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أنه توضأ وضوءه للصلاة ، وكذلك ينام ، روى هذا عن على ،." (١)

""""""""" صفحة رقم ٦٨ """""""

إذا عدم المصلى اليقين ؛ لأن الذى أخبرهم وهم فى الصلاة بصلاة النبى إلى الكعبة كان حاضرا واقتدى بقوله . وفيه : قبول خبر الواحد والعمل به ؛ لأن الصحابة قد استعملوه وقضوا به وتركوا قبلتهم بخبر الواحد ، ولم ينكر ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

٣١ - باب حك البزاق باليد من المسجد

/ ٥١ - فيه : أنس : (أن نبي الله رأى نخامة في القبلة ، فشق ذلك عليه ، حتى رئي في وجهه ، فقام ، فحكه بيده ، فقال : إن أحدكم إذا قام في الصلاة ، فإنه يناجي ربه ، وإن ربه بينه وبين القبلة ، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ، ولكن عن يساره ، أو تحت قدمه ، ثم أخذ طرف ردائه ، فبزق فيه ، ثم رد بعضه على بعض ، فقال : أو يفعل هكذا) . قال المهلب : فيه إكرام القبلة وتنزيهها ؛ لأن المصلى يناجى ربه فواجب عليه أن يكرم القبلة مما يكرم منه المخلوقين إذا ناجاهم واستقبلهم بوجهه ؛ بل قبلة الله تعالى أولى بالإكرام . وقال طاوس ، رحمه الله : أكرموا قبلة الله لا تبزقوا فيها . وأبان (صلى الله عليه وسلم) فى هذا الحديث أن معنى نهيه عن البزاق فى القبلة إنما هو من أجل مناجاته لربه عند استقباله القبلة فى صلاته ، ومن أعظم الجفاء وسوء الأدب أن تتوجه إلى رب الأرباب وملك الملوك وتتنخم فى توجهك ؛ وقد أعلمنا الله تعالى ، بإقباله على من توجه إليه ومراعاته لحركاته .." (٢)

---

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ١/٤٠٠

(٢) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٢/٦٨

"""""""" صفحة رقم ١٢١ """""""

وفيه : فضل حلق الذكر ، لقوله : (أوى إلى الله ، فآواه الله) . قال غيره : وفيه سد الفرج فى حلق الذكر ، وقد جاء فى سدها فى صفوف الصلاة وفى الصف فى سبيل الله ، ترغيب وآثار ، ومعلوم أن حلق الذكر من سبيل الله . وفيه : أن التزاحم بين يدى العالم من أفضل أعمال البر ، ألا ترى قول لقمان لابنه : (يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك ، فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة ، كما يحيى الأرض بوابل السماء) . وفيه : من **حسن الأدب** أن يجلس المرء حيث انتهى به مجلسه ، ولا يقيم أحدا ، وقد روى ذلك عن الرسول . وفيه : ابتداء العالم جلساءه بالعلم قبل أن يسأل عنه . وفيه : مدح الحياء والثناء على صاحبه . وفيه : ذم من زهد فى العلم واستجازة القول فيه ؛ لأنه لا يدبر أحد عن حلقة رسول الله وفيه خير . وقوله : (فأوى إلى الله) ، غير ممدود (فآواه الله) ، بالمد يقال : أويت إلى الشيء بقصر الهمزة ، دخلت فيه ، قال الله تعالى : (إذ أوى الفتية إلى الكهف) [الكهف : ١٠] ، وآويت غيرك إذا ضممته إلى نفسك ، بالمد ، قال الله تعالى : (ألم يجدك يتيما فآوى) [الضحى : ٦] .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٠٥ """""""

وأشهب ، وأحمد ، وإسحاق . وقالت طائفة : هو بمنزلة الكلام يقطع الصلاة ، روى عن سعيد بن جبير ، وهو قول مالك فى المدونة ، وفيه قول ثالث : أن النفخ إن كان يسمع فهو بمنزلة الكلام ، ويقطع الصلاة ، هذا قول أبى حنيفة ، والثورى ، ومحمد . والقول الأول أولى ، لما ذكره البخارى عن عبد الله بن عمرو : (أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) نفخ فى سجوده) ، وذكر ابن أبى شيبة لأبى صالح أن قريبا لأم سلمة صلى فنفخ ، فقالت أم سلمة : لا تفعل ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لغلام لنا أسود : (يا رباح ، ترب وجهك) . وقال ابن بريدة : كان يقال : من الجفاء أن ينفخ الرجل فى صلاته ، فدل هذا أن من كرهه إنما جعله من الجفاء وسوء الأدب ، لا أنه بمنزلة الكلام عنده ، ألا ترى أن أم سلمة لم تأمر قريبها حين نفخ فى صلاته بإعادتها ، ولو كان بمنزلة الكلام عندها م، تركت بيان ذلك ، ولا فعله رسوله الله (صلى الله عليه وسلم) . ويدل على صحة هذا اتفاقهم على جواز التنخم والبزاق فى الصلاة ، وليس فى النفخ من النطق بالفاء والهمزة أكثر مما فى البزاق من النطق بالتاء والفاء اللتين من رمى البصاق ، ولما اتفقوا على جواز البزاق فى الصلاة جاز النفخ فيها ، إذ ليس بينهما فرق فى أن كل واحد منهما بحروف ، ولذلك ذكر البخارى حديث البزاق فى هذا الباب ليستدل به على جواز النفخ ، لأنه لم يسند

---

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ١٢١/٢

حديث عبد الله بن عمرو ، أن النبى ، (صلى الله عليه وسلم) ، نفخ فى سجوده ، واعتمد على الاستدلال من حديث النخامة والبزاق ، وهو استدلال حسن ، وأما البزاق اليسير فإنه يحتمل فى الصلاة إذا كان على اليسار ، أو تحت القدم ، كما جاء فى الحديث ، غير أنه ينبغى إرساله بغير نطق بحرف." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥١٢ """""""

ورماه ببصره ، ومنه قيل للمكان المرتفع : شرف ، وللشريف من الرجال شريف لا رتفاعه عمن هو دونه بمكارم الأخلاق . قال المهلب : وفى حديث عمر من الفقه أن للإمام أن يعطى الرجل العطاء وغيره أحوج إليه منه ، إذا رأى لذلك وجها لسابقة أو لخير ، أو لغناء عن المسلمين ، وفيه أن ما جاء من المال الطيب الحلال من غير مسألة ، فإن أخذه خير من تركه إذا كان ممن يجمل الأخذ منه ، وفيه أن رد عطاء الإمام ليس من الأدب ، لأنه داخل تحت عموم قوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه) [الحشر : ٧] فإذا لم يأخذه فكأنه لم يأتمر لله ، فكأنه **من سوء الأدب** .

٤٩ - باب من سأل الناس تكثرا

/ ٦٤ - فيه : ابن عمر ، قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم) . وقال : (إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن) . قال المهلب : فيه ذم السؤال وتقبيحه ، وفهم البخارى ، رحمه الله ، أن الذى يأتى يوم القيامة لا لحم فى وجهه من كثرة السؤال أنه السائل تكثرا بغير ضرورة إلى السؤال ، ومن سأل تكثرا فهو غنى لا تحل له الصدقة ، فعوقب فى الآخرة . قال عبد الواحد : عوقب فى وجهه بأن جاء لا لحم فيه ، فجازاه الله من جنس ذنبه حين بذل وجهه وعنده كفاية . قال المهلب : والمزعة : القطعة من اللحم ، فإذا جاء لا لحم فى." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٩ """"""""

وترجم له باب إذا عدل عشرة من الغنم بجزور فى القسمة ، وقال فيه : فعدل عشرة من الغنم بجزور . أجاز قسم الغنم والبقر والإبل بغير تقويم : مالك ، والكوفيون ، وأبو ثور ، إذا كان ذلك على التراضى . وقال الشافعى : لا يجوز قسم شيء من الحيوان بغير تقويم ، وحجة من أجاز ذلك أن النبى ، عليه السلام ، قسم الغنائم ، وكان أكثر غنائم خيبر الإبل والغنم ، ولم يذكر فى شيء من ذلك تقويم . قالوا : وتعديل الغنم

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٢٠٥/٣

(٢) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٥١٢/٣

بالغنم ، والبقر بالبقر ، والإبل بالإبل جائز على التراضى فى القسمة ، ولا ربا يدخلها ؛ لأنه يجوز فيها التفاضل يدا بيد . ومن حجة الشافعى أن قسمة النبى (صلى الله عليه وسلم) الغنم مع الإبل إنما كانت على طريق القيمة ، ألا ترى أنه عدل عشرة من الغنم ببعير ، وهذا هو معنى التقويم .

٤ – باب القران فى التمر بين الشركاء حتى يستأذن أصحابه

/ ٧ – فيه : ابن عمر ، نهى النبى (صلى الله عليه وسلم) أن يقرن الرجل بين التمرتين جميعا حتى يستأذن أصحابه . قال : النهى عن القران فى التمر عند العلماء من باب حسن الأدب فى الأكل ؛ لأن القوم الذين وضع بين أيديهم التمر كالمتساوين فى أكله ، فإذا استأثر أحدهم بأكثر من صاحبه لم يحمد له." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٠ """"""""

ذلك ، ومن هذا الباب جعل أهل العلم النهى عن النهبة فى طعام النثر فى الأعراس وغيرها ، لما فيه من سوء الأدب والاستئثار بما لا تطيب عليه نفس صاحب الطعام . وقال أهل الظاهر : إن النهى عن القران على الوجوب لا على حسن الأدب ، وفاعل ذلك عاص لله إذا كان عالما بالنهى . ولا نقول أنه أكل حراما ؛ لأن أصله الإباحة جملة ، والدليل على أنه على حسن الأدب لا على الوجوب أن ما وضع بين أيدى الناس للأكل ، فإنما سبيله سبيل المكارمة لا سبيل التشاح ، لاختلاف الناس فى الأكل ، فبعضهم يكفيه اليسير ، وبعضهم لا يكفيه أضعافه ، فلو كانت سهماتهم ، سواء لما ساغ لمن لا يشبعه اليسير أن يأكل من مثل نصيب من يشبعه اليسير ، ولما لم يتشاح الناس فى هذا المقدار علم أن سبيل هذا المكارمة ، وليس على الوجوب ، والله أعلم .

٥ – باب تقويم الأشياء بين الشركاء بقيمة عدل

/ ٨ – فيه : ابن عمر ، قال : قال النبى ، عليه السلام : (من أعتق شقصا له فى عبد ، أو شركا له ، أو قال : نصيبا ، وكان له مال يبلغ ثمنه بقيمة العدل ، فهو عتيق ، وإلا فقد عتق منه ما عتق) .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١١٢ """"""""

إن كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر) ، ثم رفع يده ، حتى رأينا عفرة إبطيه ، ثم قال : (اللهم هل بلغت) ثلاثا . قال المهلب : رد الهدية فى حديث الصعب غاية الأدب ؛ لأنها لا تحل للمهدى إليه ، من أجل أنه محرم ، ومن حسن الأدب أن يكافأ المهدى ، وربما عسرت المكافأة ، فردها

---

(١) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ٩/٧

(٢) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ١٠/٧

إلى من يجوز له الانتفاع بها أولى من تكلف المكافأة ، مع أنه لو قبله لم يكن له سبيل إلى غير تسريحه ؛ لأنه لا يجوز له ذبحه وهو محرم . وفيه من الفقه : أنه لا يجوز قبول هدية من كان ماله حراما ومن عرف بالغصب والظلم ، وقد تقدم هذا المعنى فى باب قبول هدية الصيد . وفى حديث ابن اللتية : أن هدايا العمال يجب أن تجعل فى بيت المال ، وأنه ليس لهم منها شيء إلا أن يستأذنوا الإمام فى ذلك ، كما جاء فى قصة معاذ أن النبى ، عليه السلام ، طيب له الهدية ، فأنفذها له أبو بكر الصديق بعد النبى (صلى الله عليه وسلم) لما كان دخل عليه فى ماله من الفلس . وفيه : كراهية قبول هدية طالب العناية ، ويدخل فى معنى ذلك كراهية هدية المديان والمقارض ، وكل من لهديته سبب غير سبب الجيرة أو الصداقة أو صلة الرحم . وقوله : (عفرة إبطيه) ، قال صاحب العين : العفرة غبرة فى حمرة ، كلون الظبى الأعفر .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٦٨ """""""

فإن قيل : إن الكوفيين يرون قتل المسلم بالكافر فيجب أن يكون على قولهم بينه وبين المسلم قصاص فى اللطمة . قيل : إن الكوفيين لا يرون القصاص بين المسلمين فى اللطمة ولا الأدب ، إلا أن يجرحه ففيه الأرش ، والكافر والمسلم أحرى ألا يرون بينهما قصاصا ، فالمسألة إجماع . قال المهلب : وفيه جواز رفع المسلم إلى السلطان بشكوى الكافر به . وفيه : خلق النبى (صلى الله عليه وسلم) وما جبله الله عليه من التواضع وحسن الأدب فى قوله : (لا تخيرونى من بين الأنبياء) فذلك كقول أبى بكر الصديق : وليتكم ولست بخيركم . وقد تقدم ، فينبغى لأهل الفضل والاقتداء بالنبى (صلى الله عليه وسلم) وأبى بكر فى ذلك ، فإن التواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين . وقد روى أبو هريرة عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (من أحب أن ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم ، فلينظر إلى أبى ذر) ذكره ابن أبى شيبة . وفيه : أن العرش جسم وأنه ليس العلم كما قال سعيد بن جبير لقوله : (آخذ بقائمة من قوائم العرش) والقائمة لا تكون إلا جسما ، ومما يؤيد هذا قوله تعالى : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) [الحاقة : ١٧] ومحال أن يكون المحمول غير جسم ؛ لأنه لو كان روحانيا لم يكن فى حمل الملائكة الثمانية له عجب ، ولا فى حمل واحد ، فلما عجب الله تعالى بحمل الثمانية له ؛ علمنا أنه جسم ؛ لأن العجب فى حمل الثمانية للعرش لعظمته وإحاطته .." (٢)

---

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ١١٢/٧

(٢) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٥٦٨/٨

"""""""" صفحة رقم ٦١ """""""

قال المؤلف : فيه من الفقه أنه يجوز المسار مع الواحد بحضرة الجماعة ، وليس من باب نهيه عليه السلام عن مناجاة الأثنين دون الواحد ، لأن المعنى الذى يخاف من ترك الواحد لا يخاف من ترك الجماعة ، وذلك أن الواحد إذا تساورا دونه وقع بنفسه أنهما يتكلمان فيه بما يسوءه ولا يتفق ذلك فى الجماعة ، وهذا من **حسن الأدب** وكرم المعاشرة . وفيه : أنه لا ينبغى إفشاء السر إذا كانت فيه مضرة على المسر ، لأن فاطمة لو أخبرت نساء النبى ذلك الوقت بما أخبرها به النبى من قرب أجله لحزن لذلك حزنا شديدا ، وكذلك لو أخبرتهن أنها سيدة نساء المؤمنين ، لعظم ذلك عليهن ، واشتد حزنهن ، فلما أمنت ذلك ذلك فاطمة بعد موته أخبرت بذلك .

٤٠ - باب : الاستلقاء

/ ٥١ - فيه : عبدالله بن زيد ، قال : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى المسجد مستلقيا ، واضعا إحدى رجليه على الأخرى . قال المهلب : إنما فعل ذلك فى المسجد ليرى الناس أن هذا وشبهه خفيف فعله فى المسجد ، وقد تقدم فى كتاب الصلاة فى باب الاستلقاء فى المسجد .

٤١ - باب : لا يتناجى اثنان دون الثالث

وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان (الآيتين." [١]

"""""""" صفحة رقم ٦٥ """""""

قال المؤلف : وهذا القول يستنبط من هذا الحديث ، لأن المعنى فى ترك الجماعة للواحد كترك الأثنين له ، وهو ماجاء فى الحديث : (حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه) وهذا كله من **حسن الأدب** وكرم الأخلاق ، لئلا يتباغض المؤمنون ويتدابروا .

٤٤ - باب : طول النجوى) وإذ هم نجوى) [الإسراء : ٤٧] مصدر من ناجيت فوصفهم بها والمعنى يتناجون .

(١) / ٥٦ - فيه : أنس ، أقيمت الصلاة ، ورجل يناجى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فما زال يناجيه حتى نام أصحابه ، ثم قام فصلى . قال المؤلف : ليس فيه أكثر من جواز طول المناجاة بحضرة الجماعة فى الأمر يهم السلطان ويحتاج إلى تعرفه ، وإن كان فى ذلك بعض الضرر على بعض من بالحضرة ، وقد جاء ذلك فى بعض طرق الحديث وقد تقدم فى كتاب الصلاة فى باب الإمام وتعرض له الحاجة

---

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٦١/٩

بعد الإقامة ، ومن أجاز الكلام حيئذ ومن كرهه .

٤٥ – باب : لا تترك النار فى البيت عند النوم

/ ٥٧ – فيه : ابن عمر ، قال النبى ، عليه السلام : (لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون) . / ٥٨ – وفيه : أبو موسى ، احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل ، فحدث." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٥٢ """"""""

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال : عجلوا بكنى أولادكم لا تسرع إليهم ألقاب السوء . وهذا كله من **حسن الأدب** ومما يثبت الود ، وفى هذا الحديث جواز المزاح مع الصبى الصغير . وفيه : جواز لعب الصبيان الصغار بالطير ، واتخاذها لهم وتسليتهم بها . وفيه : استعمال النضح فيما يشك فى طهارته ولم تتيقن نجاسته .

٠ – باب : التكنى بأبى تراب وإن كانت له كنية أخرى

/ ٢٠١ – فيه : سهل ، إن كانت أحب أسماء على إليه لأبو تراب ، وإن كان ليفرح أن ندعوه بها ، وما سماه أبو تراب إلا النبى (صلى الله عليه وسلم) ، غاضب يوما فاطمة ، فخرج فاضطجع إلى الجدار إلى المسجد ، فجاءه النبى عليه السلام يتبعه ، فقال : هو ذا مضطجع فى الجدار ، فجاءه النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وامتلأ ظهره ترابا ، فجعل النبى عليه السلام يمسح التراب عن ظهره ، ويقول : (اجلس يا أبا تراب) . قال المؤلف : الكنية موضوعة لإكرام المدعو بها وإتيان مسرته ؛ لأنه لا يتكنى المرء إلا بأحب الكنى إليه ، وهو مباح له أن يتكنى بكنيتين إن اختار ذلك ولاسيما إن كناه بإحداهما رجل صالح أو عالم ، فله أن يتبرك بكنيته لأن عليا كان أحب الكنى اليه : أبا تراب . وفى هذا الحديث أن أهل الفضل قد يقع بينهم وبين أزواجه ماجبل الله عليه البشر من الغضب والحرج حتى يدعوهم ذلك إلى الخروج عن بيوتهم ، وليس ذلك بعائب لهم .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٣٦٧ """"""""

على كل مسلم أن يشمته) فوجب على كل سامع ، وذهبت طائفة إلى أنه واجب على الكفاية ، كرد السلام ، هذا قول مالك وجماعة ، وقال آخرون : هو إرشاد وندب وليس بواجب ، وتأولوا قوله عليه السلام : (فحق على كل مسلم أن يشمته) أن ذلك فى **حسن الأدب** وكرم الأخلاق كما قال عليه السلام : (من

---

(١) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ٦٥/٩

(٢) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ٣٥٢/٩

حق الإبل أن تحلب على الماء) أى أن ذلك حق فر كرم المواساة لا أن ذلك فرض ؛ لاتفاق أئمة الفتوى أنه لا حق فى المال سوى الزكاة .

٣ - باب : إذا عطس كيف يشمت

/ ٢٢٠ - فيه : أبو هريرة ، قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (إذا عطس أحدكم ، فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ، ويصلح بالكم) . اختلف السلف فيما يقول العاطس ، فاختارت طائفة أن يقول : الحمد لله ، على ماجاء فى الحديث ، وروى ذلك عن ابن مسعود وأنس ، واختارت طائفة الحمد لله رب العالمين ، وروى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود أيضا وهو قول النخعى ، واختارت طائفة أن يقول : الحمد لله على كل حال ، روى ذلك عن أبى هريرة وابن عمر ، وقال ابن عمر : هكذا علمنا رسول الله . قال الطبرى : والصواب فى ذلك أن العاطس مخير فى أى هذه المحامد شاء ، وقد حدثنا محمد بن عمارة ، حدثنا عمرو بن حماد بن أبى طلحة ، عن عمرو بن قيس ، عن عطاء بن أبى رباح ،." (١)

""""""" صفحة رقم ٣٨١ """"""

قال المؤلف : من السنة المعروفة أن صاحب المنزل يتقدم للصلاة على من حضره من الناس إلا أن يقدم غيره ، وصلاة النبى بمن عاده فى مرضه هو الواجب من وجهين : أحدهما : ماذكرناه من أن صاحب المنزل أولى من غيره بالإمامة ، والوجه الثانى : أن النبى لا يجوز أن يتقدمه أحد فى كل مكان ، ولا يجوز اليوم لمن كان مريضا أن يؤم أحد فى بيته جالسا ؛ لأن إمامه الجالس منسوخة عند أكثر العلماء ، وقد تقدم اختلافهم فى ذلك فى كتاب الصلاة .

- باب : وضع اليد على المريض

/ ١٨ - فيه : عائشة بنت سعد ، أن أباها قال : تشكيت بمكة شكوا شديدا ، فجاءني النبي عليه السلام يعودنى ، فقلت : يا نبي الله ، إنى أترك مالا . . . . الحديث ثم وضع يده على جبهته ، ثم مسح وجهى وبطنى ، ثم قال : (اللهم اشف سعدا ، وأتمم له هجرته) . / ١٩ - وفيه : عبد الله ، دخلت على النبى عليه السلام وهو يوعك وعكا شديدا ، فمسسته بيدى ، فقلت : يا رسول الله ، إنك لتوعك . . . الحديث . قال المؤلف : فى وضع اليد على المريض تأنيس له وتعرف لشدة مرضه ليدعو له العائد على حسب مايبدو له منه ، وربما رقاه بيده ومسح على ألمه فانتفع العليل به إذا كان العائد صالحا تبرك بيده ودعائه

---

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٣٦٧/٩

كما فعل النبى ، وذلك من **حسن الأدب** واللطف بالعليل وينبغى امتثال أفعال النبى عليه السلام كلها والاقتداء به فيها .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٤٧٨ """"""""

- باب : قطع اللحم بالسكين

/ ٢٩ - فيه : عمرو بن أمية ، أنه رأى النبى عليه السلام يحتز من كتف شاة فى يده ، فدعى إلى الصلاة ، فألقاها والسكين التى يحتز بها ، ثم قام فصلى ، ولم يتوضأ . هذا الحديث يرد حديث أبى معشر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله : (لا تقطعوا اللحم بالسكين ؛ فإنه من صنيع الأعاجم ، وانهشوه فإنه أهنأ وأمرأ) قال أبو داود : وهو حديث ليس بالقوى .

- باب : ما عاب النبى عليه السلام طعاما

/ ٣٠ - فيه : أبو هريرة ، ما عاب النبى عليه السلام طعاما قط ، إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه . هذا من **حسن الأدب** على الله تعالى لأنه إذا عاب المرء ما كرهه من الطعام فقد رد على الله رزقه ، وقد يكره بعض الناس من الطعام مالايكرهه غيره ، ونعم الله تعالى لا تعاب وإنما يجب الشكر عليها ، والحمد لله لأجلها ؛ لأنه لا يجب لن ا عليه شيء منها ، بل هو متفضل فى إعطائه عادل فى منعه .

- باب : النفخ فى الشعير

/ ٣١ - فيه : أبو حازم ، أنه سأل سهلا : هل رأيتم فى زمان النبى عليه السلام النقي ؟ قال : لا ، فقلت : فهل كنتم تنخلون الشعير ؟ قال : لا ، ولكن كنا ننفخه .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٤٩٦ """"""""

٣٢ - باب من أضاف رجلا إلى طعامه وأقبل هو على عمله

/ ٥٥ - فيه : أنس ، كنت غلاما أمشى مع النبى عليه السلام فدخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على غلام له خياط ، فأتاه بقصعة فيها طعام ، وعليه دباء ، فجعل النبى عليه السلام يتتبع الدباء ، قال : فلما رأيت ذلك جعلت أجمعه بين يديه ، قال : فأقبل الغلام على عمله ، قال أنس : ما أزال أحب الدباء بعد ما رأيت النبى عليه السلام صنع ما صنع . فى هذا الحديث حجة أن للمضيف أن يقدم الطعام إلى ضيفه ولا يأكل منه ، ولايكون ذلك **من سوء الأدب** بضيفه ولا إخلالا بإكرامه ، لأن ذلك صنع بحضرة

---

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٣٨١/٩

(٢) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٤٧٨/٩

النبى عليه السلام فلم ينه عنه ، ولو كان من دنيء الأخلاق لنهى عنه لأنه بعث معلما ، ولا أعلم فى الأكل مع الضيف وجها غير أنه أبسط لنفسه وأذهب لاحتشامه ، فمن قدر على ذلك فهو أبلغ فى بر الضيف ، ومن ترك ذلك فواسع إن شاء الله . وقد تقدم فى كتاب ذكر حديث أبى بكر الصديق لامرأته أن تطعم أضيافه .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥١٠ """""""

وأذى النبي حرام على جميع أمته وكذلك أذى المؤمنين بعضهم لبعض حرام . وفيه من الفقه أن من أطال الجلوس فى بيت غيره حتى أضر بصاحب المنزل أنه مباح له أن يقوم عنه أو يخبره أن له حاجة إلى قيامه لكى يقوم وليس ذلك **من سوء الأدب** ، وقد تقدم هذا فى كتاب الإستئذان فى باب من قام من مجلسه ولم يستأذن وتهيأ للقيام ليقوم الناس .." (٢)

"(العشرون) : قولها ﴿ والله ما يكلمني كلمة ﴾ إنما عبرت بالمضارع إشارة إلى استمرار ترك الكلام وتجدد هذا الاستمرار ، فإنه قد يفهم من التعبير بالماضي اختصاص النفي بحالة بخلاف المضارع وقولها ﴿ ولا سمعت منه كلمة : ﴾ ليس تكرار ، فإنه قد لا يكلمها ولكن يكلم نفسه أو يجهر بقراءة أو ذكر بحيث يسمعها فلم يقع منه ذلك بل استعمل الصمت في تلك الحالة أدبا وصيانة ولهول تلك الحالة التي هو فيها وفيه إغاثة الملهوف وعون المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوي الأقدار **وحسن الأدب** مع الأجنبيات لا سيما في الخلوة بهن عن الضرورة في برية أو غيرها كما فعل صفوان من إبراكه الجمل بغير كلام ولا سؤال وأنه ينبغي أن يمشي قدامها لا بجانبها ولا وراءها واستحباب الإيثار بالركوب .

(الحادية والعشرون) : قولها ﴿ وبعد ما نزلوا موغرين في نحو الظهيرة : ﴾ الموغر بالغين المعجمة والراء المهملة النازل في وقت الوغرة بفتح الواو .

وإسكان الغين وهي شدة الحر ، وهذه الرواية هي الصحيحة ورواه مسلم من حديث يعقوب بن إبراهيم ﴿ موعزين ﴾ بالعين المهملة والزاي قال أبو العباس القرطبي ويمكن أن يقال فيه هو من وعزت إليه أي تقدمت يقال وعزت إليه بالتخفيف وعزا ووعزت إليه بالتشديد توعيزا قال والرواية الأولى أصح وأولى قال وقد صحفه بعضهم فقال موعرين بالعين المهملة والراء ولا يلتفت إليه انتهى .

---

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٤٩٦/٩

(٢) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٥١٠/٩

و ﴿ الظهيرة : ﴾ وقت القائلة وشدة الحر ﴿ و نحرها : ﴾ صدرها أي أولها .
.." (١)

"فيه بدا وقال العلم العراقي الصواب ما ذكره الزمخشري من منع الاتصاف بأقضى القضاة ؛ لأنه في معنى أحكم الحاكمين ، وقول ابن المنير : إن عليا رضي الله عنه قيل في حقه : أقضى القضاة ليس بمجيد فإن التفضيل في حق علي وقع على قوم مخاطبين بالكاف والميم في قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ أقضاكم علي ﴾ والشهادة له بذلك ممن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .
وأما إطلاق التفضيل على كل من يحكم بالألف واللام وقد قال تعالى ﴿ إن ربك يقضي بينهم بحكمه ﴾ وقال ﴿ وقضينا إليه ﴾ وقال ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ إلى غير ذلك مما لا يحصى فيجب اجتنابه والأدب مع الله تعالى فيما وصف به نفسه من الصفات أن لا يدعى أحد إلى فضيلة والتقدم فيها لما فيها من الجرأة وسوء الأدب ، ولا عبرة بقول من ولي القضاء مرة ونعت بذلك ولد في سمعه فتحيل لنفسه في إجازة إطلاق ذلك فإن الحق أحق أن يتبع ، والله أعلم .." (٢)

" – حديث سراء بنت نبهان سكت عنه أبو داود والمنذري وقال في مجمع الزوائد رجاله ثقات وحديث الرجلين من بني بكر سكت عنه أيضا أبو داود والمنذري والحافظ في التلخيص ورجاله رجال الصحيح . وحديث أبي نضرة قال في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح . قوله " سراء " بفتح السين المهملة وتشديد الراء والمد والقيل القصر بنت نبهان الغنوية صحابية لها حديث واحدقاله صاحب التقريب : قوله " يوم الرؤوس " بضم الراء والهمزة بعدها وهو اليوم الثاني من أيام التشريق سمى بذلك لأنهم كانوا يأكلون فيه رؤوس الأضاحي : قوله " أي يوم هذا " سأل عنه وهو عالم به لتكون الخطبة أوقع في قلوبهم وأثبت قوله " أي يوم هذا " سأل عنه وهو عالم به لتكون الخطبة أوقع في قلوبهم وأثبت قوله " الله ورسوله أعلم " هذا من **حسن الأدب** في الجواب للأكابر والاعتراف بالجهل ولعلهم قالوا ذلك لانهم ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه كما وقع في حديث أبي بكرة المتقدم : قوله " عم أبي حرة " بضم الحاء المهملة وتشديد الراء واسم أبي حرة حنيفة وقيل حكيم . والرقاشي بفتح الراء وتخفيف القاف وبعد الألف شين معجمة قوله " أوسط أيام التشريق " هو اليوم الثاني من أيام التشريق : قوله " ألا ان ربكم واحد " الخ هذه مقدمة لنفي فضل البعض على البعض بالحسب والنسب كما كان في زمن الجاهلية لأنه إذا كان الرب

---

(١) طرح التثريب، ٢٦٠/٨

(٢) طرح التثريب، ٤٨٣/٨

واحدا وأبو الكل واحدا لم يق لدعوى الفضل بغير التقوى موجب وفي هذا الحديث حصر الفضل في التقوى ونفيه عن غيرها وانه لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ولا لأسود على أحمر إلا بها ولكنه قد ثبت في الصحيح ان الناس معادن كمعادن الذهب خيارهمه في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ففيه إثبات الخيار في الجاهلية ولا تقوى هناك وجعلهم الخيار في الإسلام بشرط الفقه في الدين وليس مجرد الفقه في الدين سببا لكونهم خيارا في الإسلام وإلا لما كان ىاعتبار كونهم خيارا في الجاهلية معنى ولكان كل فقيه في الدين من الخيار وان لم يكن من الخيار في الجاهلية وليس أيضا سبب كونهم خيارا في الإسلام مجرد التقوى وإلا لما كان لذكر كونهم خيارا في الجاهلية معنى ولكان كل متق من الخيار من غير نظر إلى كونه من خيار الجاهلية فلا شك ان هذا الحديث يدل على ان لشرافة الانساب وكرم النجار مدخلا في كون أهلها خيارا وخيار القوم افاضلهم وان لم يكن لذلك مدخل باعتبار أمر الدين والجزاء الأخروي فينبغي أن يحمل حديث الباب على الفضل الأخروي (وأحاديث الباب) تدل على مشروعية الخطبة في أوسط أيام التشريق وقد قدمنا في كتاب العيدين ان من الخطب المستحبة في الحج وبينا هنالك كم يستحب من الخطب في الحج ." (١)

" - حديث نبيشة الخير رواه الترمذي من طريق نصر بن علي الجهضمي قال أخبرنا أبو اليمان المعلى بن راشد قال حدثتني جدتي أم عاصم وكانت أم ولد لسنان ابن سلمة قالت دخل علينا نبيشة الخير ونحن نأكل في قصعة فحدثنا " أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من أكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة " قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث المعلى بن راشد وقد روى يزيدج بن هرون وغير واحد من الأئمة عن المعلى بن راشد هدا الحديث اه وحديث أبي هريرة سكت عنه أبو داود ورجال إسناده رجال الصحيح وأخرجه الترمذي معلقا وأخرجه الضياء من حديث سعيد المقبري عن ابن هريرة وقال غريب

وأخرجه أيضا من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وقال حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعمش إلا من هذا الوجه

قوله : " فبعث إلي أن أتأذن لي في السادس " فيه أن المدعو إذا تبعه رجل من غير استدعاء ينبغي له أن لا يأذن له ولا ينهاه وإذا بلغ باب دار صاحب الطعام أعلمه به ليأذن له أو يمنعه وإن صاحب الطعام يستحب له أن يأذن له إن لم يترتب على حضوره مفسدة بأن يؤذي الحاضرين أو يشيع عنهم ما يكرهونه

---

(١) نيل الأوطار، ١٤٢/٥

أو يكون جلوسه معهم مزريا بهم لشهرته بالفسوق ونحو ذلك فإن خيف من حضوره شيء من هذا لم يأذن له ويجب أن يتلطف في رده ولو بإعطائه شيئا من الطعام إن كان يليق به ليكون ردا جميلا كذا قال النووي

قوله : " فلا يمسح يده " يحتمل أن يكون أطلق اليد على الأصابع الثلاث لما تقدم من حديث أنس بلفظ " لعق أصابعه الثلاث " وفي مسلم من حديث كعب بن مالك بلفظ " يأكل بثلاث أصابع فإذا فرغ لعقها " ويحتمل أن يطلق على جميع أصابع اليد لأن الغالب إتصال شيء من آثار الطعام بجميعها ويحتمل أن يكون المراد باليد الكف كلها

قال الحافظ وهو الأولي فيشمل الحكم من أكل بكفه كلها أو بأصابعه فقط أو ببعضها وقال ابن العربي في شرح الترمذي يدل على الأكل بالكف كلها أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعرق العظم وينهش اللحم ولا يمكن ذلك عادة إلا بالكف كلها قيل وفيه نظر لأنه يمكن بالثلاث سلمنا لكن هو ممسك بكفه كلها لا آكل بها سلمنا لكن محل الضرورة لا يدل على عموم الأحوال ويؤخذ من حديث كعب بن مالك أن السنة الأكل بثلاث أصابع وإن كان الأكل بأكثر منها جائزا

وقد أخرج سعيد بن منصور عن سفيان عن عبيد الله بن يزيد أنه رأى ابن عباس إذا أكل لعق أصابعه الثلاث

قال عياض والأكل بأكثر منها من الشره وسوء الأدب وتكبير اللقم ولأنه غير مضطر إلى ذلك لجمعه اللقمة وإمساكها من جهاتها الثلاث فإن اضطر إلى ذلك لخفة الطعلم وعدم تلفيفه بالثلاث فيدعمه بالرابعة أو الخامسة

قوله : " حتى يلعقها أو يلعقها " الأول بفتح حرف المضارعة والثاني بضمها أي يلعقها زوجته أو جاريته أو خادمه أو ولده وكذا من كان في معناهم كتلميذ يعتقد البركة بلعقها وكذا لو ألعقها شاة ونحوها

وقال البيهقي أن قوله أو يلعقها شك من الراوي ثم قال فإن كانا جميعا محفوظين فإنما أراد أن يلعقها صغيرا أو من يعلم أنه لا يتقذر بها ويحتمل أن يكون أراد أن يلعق إصبعه فمه فيكون بمعنى يلعقها فتكون للشك

قال ابن دقيق العيد جاءت علة هذا مبينة في بعض الروايات أنه لا يدري في أي طعامه البركة وقدد يعلل أن مسحها قبل ذلك فيه زيادة تلويث لما يمسح به مع الاستغناء عنه بالريق لكن إذا صح الحديث بالتعليل لم يعدل عنه وقد عرفت أنه في صحيح مسلم كما في الباب

قوله : " وقال فيه بالمنديل " هو أيضا في صحيح مسلم بلفظ " فلا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه " وفي حديث جابر أنهم لم يكن لهم مناديل ومفهومه يدل على أنها لو كانت لهم مناديل لمسحوا بها

قوله : " استغفرت له القصعة " فيه أن ذلك من القرب التي ينبغي المحافظة عليها لأن استغفار القصعة دليل على كون الفعل مما يثاب عليه الفاعل

قوله : " إلا أكفنا وسواعدنا " فيه الأخبار بما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من التقلل من الدنيا والزهد فيها والانتفاع بالأكف والسواعد كما ينتفع غيرهم بالمناديل وقد تقدم الكلام على الوضوء مما مست النار

قوله : " غمر " بفتح الغين المعجمة والميم معا هو ريح دسم اللحم وزهومته كالوضر من السمن ذكر معنى ذلك في النهاية

قوله : " ولم يغسله " إطلاقا يقتضي حصول السنة بمجرد الغسل بالماء قال ابن رسلان والأولى غسل اليد منه بالأشنان والصابون وما في معناهما

قوله : " وأصابه شيء " في رواية للطبراني من بات وفي يده ريح غمر فأصابه برص قوله " فلا يلومن إلا نفسه " أي لأنه الذي فرط بترك الغسل فأتي الشيطان فلحس يده فوقع بها البرص وأخرج الترمذي عن أنس قال " قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم من بات وفي يده غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه " وقد جاء في الحديث تخصيص غسل اليد بأكل اللحم فأخرج أبو يعلى بإسناد ضعيف من حديث ابن عمر " أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من أكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من ريح وضره " ." (١)

"وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ، ومسلم بثمانية وستين. ومناقبها وفضائلها كثيرة جدا ، بسط ترجمتها الحافظ في الإصابة (ج٤ : ص٣٥٩ ، ٣٦١) وابن عبدالبر في الاستيعاب. (طوبى لهذا) طوبى فعلى من طاب يطيب طيبا ، قلبت الياء واوا للضمة قبلها ، واختلفوا في معناه فقيل : هو اسم الجنة ، وقيل : اسم شجرة فيها ، وقيل : معناه أطيب معيشة له ، وقيل : فرح له وقرة عين ، وقيل : معناه أصيب خيرا ؛ لأن إصابة الخير مستلزمة لطيب العيش ، فأطلق اللازم وأراد الملزوم. (عصفور من عصافير الجنة) يعني هو مثلها من حيث أنه لا ذنب عليه ، وينزل في الجنة حيث يشاء. قال ابن الملك : شبهته بالعصفور كما هو

---

(١) نيل الأوطار، ٣٧/٩

صغير لكونه خاليا من الذنوب من عدم كونه مكلفا ، (ولم يدركه) أي أوانه بالبلوغ لموته قبل التكليف فضلا عن عمله . (أو غير ذلك) بفتح الواو وضم الراء وكسر الكاف ، هو الصحيح المشهور من الروايات ، والتقدير : أتعتقدين ما قلت ؟ والحق غير ذلك ، وهو عدم الجزم بكونه من أهل الجنة ، فالواو للحال ، قاله القاري. وقيل : الهمزة للاستفهام الإنكاري والواو عاطفة ، و"غير" مرفوع بعامل مضمر تقديره : أقلت هذا ؟ ووقع غير ذلك ، وقيل : يجوز أن يكون أو بسكون الواو التي لأحد الأمرين أي الواقع هذا أو غير ذلك ، ويجوز نصب غير أي أو يكون غير ذلك ، وقيل : يجوز أن يكون أو بمعنى بل ، أي بل غير ذلك أحسن وأولى وهو التوقف. قال التوربشتي : وكأنه – عليه السلام – لم يرتض قولها ؛ لما فيه من الحكم بالغيب والقطع بإيمان أبوي الصبي أو أحدهما ، إذ هو تبع لهما. وفيه إرشاد الأمة إلى التوقف عند الأمور المبهمة ، والسكوت عما لا علم لهم به ، **وحسن الأدب** بين يدي علام الغيوب. قلت : الصواب أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة ، وقد أجمع من يعتد به من علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو في." (١)

"الساكنة أي : المكان الذي آوى إليه. (فاغتسلت) أي : في الرحل. (أين كنت) كان هذه ناقصة وخبرها الظرف ، أو تامة ، فلا تحتاج إلى الخبر. وفيه أن من **حسن الأدب** لمن مشى معه شيخه وإمامه أن لا ينصرف عنه ولا يفارقه حتى يعلمه بذلك ، لأن قوله لأبي هريرة : أين كنت ؟ يدل على أنه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ استحب أن لايفارقه حتى ينصرف معه. (ياباهريرة) بحذف الهمزة في الأب تخفيفا. (فقلت له) أي : الذى فعلته من الرواح إلى الرحل والاغتسال فيه وسببه. (فقال : سبحان الله) تعجبا من اعتقاد أبي هريرة التنجس بالجنابة وعدم علمه المسألة ، أي : كيف يخفى مثل هذا الظاهر عليك. (إن المؤمن لا ينجس) بفتح الجيم وضمها من سمع وكرم أي : لا يتنجس نجاسة تمنع مصاحبته ، وملامسته ، وإصابة العرق منه بمجرد الحدث ، سواء كان أصغر أو أكبر ما لم يتعلق بجسده شيء من النجاسة الحقيقية ، يدل عليه المقام ، إذا المقام مقام الحدث ، فلا يرد أنه يتنجس بالنجاسة. والمقصود أن الحدث ليس بنجاسة تمنع عن المماسة ، والمماشاة. والمصافحة إنما هو أمر تعبدى. وقد يقال : إن المراد أن نفسه لا يصير نجسا أصلا لا بالحدث ولا بالخبث ، لأنه إن صحبه شيء من النجاسة فنجاسته بسبب صحبته بذلك ، لا أن ذاته صار نجسا ، فإذا زال ما كان معه من النجاسة فالمؤمن على حالة من الطهارة ، فصدق : أن المؤمن لا ينجس أصلا. والحاصل أن مقتضى ما فعله أبو هريرة أن المؤمن يصير نجسا

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٤٢١/١

بحيث يحترز عن صحبته حالة الجنابة' فرده ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بأن المؤمن لا يصير كذلك أصلا. وذلك لا ينافي أن المؤمن قد يحترز عنه بالنظر إلى ما يصحبه من الأنجاس لأنه أمر معلوم من خارج. فالحديث دليل على أن المؤمن طاهر سواء كان جنبا أو محدثا ، حيا أو ميتا ، وكذا ما تحلب منه من عرقه ودمعه ولعابه وسؤره. وذكر البخاري في صحيحه عن ابن عباس تعليقا : المسلم لا ينجس حيا ولا." (١)

"٧٥٢- قوله : (نخامة) بالميم مع ضم النون ، قيل : هي ما يخرج من الصدر ، وقيل : النخاعة- بالعين – من الصدر ، و-بالميم – من الرأس. وقيل : النخاعة هي البزاقة التي تخرج من أقصى الحلق (في القبلة) أي : في الحائط الذي في جهة القبلة (فشق) أي : صعب (ذلك) أي : ما ذكر من رؤية النخامة (حتى رئى) بضم الرأى وكسر الهمزة وفتح الياء ، أي : شوهد أثر المشقة. قال الطيبي : الضمير الذي أقيم مقام الفاعل راجع إلى معنى قوله : فشق ذلك عليه. وهو الكراهة ، وفي رواية النسائي : فغضب حتى أحمر وجهه (فكه) أي : أثر النخامة (بيده) المباركة تعليما لأمته ، وتواضحا لربه جل جلاله ومحبة لبيته (إذا قام في الصلاة) أي : دخل فيها سواء كان في المسجد أو غيره (فإنما يناجي ربه) من جهة مساررته بالقرآن والأذكار فكأنه يناجيه تعالى ، والرب تعالى يناجيه من جهة لازم ذلك ، وهو إرادة الخير ، فهو من باب المجاز ، لأن القرينة صارفة عن إرادة الحقيقة ، إذ لا كلام محسوسا إلا من جهة العبد. قال الحافظ : المراد بالمناجاة من قبل العبد حقيقة النجوى. ومن قبل الرب لازم ذلك ، فيكون مجازا عن إقباله على العبد بالرحمة والرضوان (وإن) بكسر الهمزة (ربه بينه وبين القبلة) قال الخطابي : معناه أن توجهه إلى القبلة مفض بالقصد منه إلى ربه ، فصار في التقدير كأن مقصوده بينه وبين القبلة ، وقيل : هو على حذف مضاف أي : عظمة ربه ، أو ثواب ربه ، أو إطلاع ربه على ما بينه وبين القبلة أي : فيجب على المصلى إكرام قبلته بما يكرم به من يناجيه من المخلوقين عند استقبالهم بوجهه ، ومن أعظم الجفاء وسوء الأدب أن تتنخم في توجهك إلى رب الأرباب ، وقد أعلما الله تعالى بإقباله على من توجه إليه (فلا يبزقن أحدكم قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة إلى جهة (قبلته) التي عظمها الله ، فلا تقابل بالبزاق المقتضي للاستخفاف والاحتقار ، ." (٢)

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٢٩٧/٢

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٩٣٢/٢

"٨٨٦- قوله : (اجعلوها) أي مضمونها ومحصولها. (في ركوعكم) يعني قولوا : سبحان ربي العظيم. (اجعلوها في سجودكم) أي قولوا : سبحان ربي الأعلى ، كما يدل عليه حديث ابن مسعود ، وحديث حذيفة بعد هذا ، ففيهما بيان كيفية هذا الجعل. والحكمة في تخصيص الركوع بالعظيم ، والسجود بالأعلى ، أن السجود لما كان فيه غاية التواضع لما فيه من وضع الجبهة التي هي أشرف الأعضاء على مواطئ الأقدام ، كان أفضل وأبلغ في التواضع من الركوع ، فحسن تخصيصه بما فيه صيغة أفعل التفضيل وهو الأعلى ، بخلاف التعظيم ، جعلا للأبلغ مع الأبلغ ، والمطلق مع المطلق ، وأيضا قد صح : "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" ، فربما يتوهم قرب المسافة فندب "سجان ربي الأعلى" دفعا لذلك التوهم ، وأيضا في السجود غاية انحطاط من العبد فيناسبه أن يصف فيه ربه بالعلو. والحديث يصلح متمسكا للقائلين بوجوب تسبيح الركوع والسجود ، وقد تقدم جواب الجمهور عنه. قال الطيبي : الاسم ههنا صلة بدليل أنه - عليه السلام - كان يقول في سجوده : سبحان ربي الأعلى ، فحذف الاسم ، وهذا على قول من زعم أن الاسم غير المسمى ، وقيل : الاسم يجوز أن يكون غير صلة ، والمعنى تنزيه اسمه عن أن يبتذل ، وأن لا يذكر على وجه التعظيم ، قال الرازي : كما يجب تنزيه ذاته عن النقائص ، يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب. وقال السندي في حاشية ابن ماجه : قوله : "اجعلوها في ركوعكم" ، أي اجعلوا التسبيح المستفاد منها ، وجاء بيان ذلك التسبيح "سبحان ربي العظيم" ، وهذا يفيد أن لفظ الاسم في قوله : "فسبح باسم ربك العظيم " [٥٦ : ٧٤] مقحم ، وكذا قوله "اجعلوها في سجودكم". وقد يقال : بيان الآية بهذا التسبيح مبني على أن مفعول "سبح" محذوف أي سبحه ، وقوله "باسم ربك" حال ، أي حال كونه متلبسا باسمه ، و"العظيم" هو بيان الاسم ، وهذا أقرب." (١)

"وجاوزهم. (يوم الجمعة) ظاهر التقييد بيوم الجمعة أن الكراهة مختصة به. ويحتمل أن يكون التقييد خرج مخرج الغالب لاختصاص الجمعة بكثرة الناس بخلاف سائر الصلوات فلا يختص ذلك بالجمعة ، بل يكون حكم سائر الصلوات حكمها. ويؤيد ذلك التعليل بالأذية ، كما في بعض الروايات. وظاهر هذا التعليل أن ذلك يجري في مجالس العلم وغيرها. ويؤيده أيضا ما أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة مرفوعا : من تخطى حلق قوم بغير إذنهم فهو عاص ، لكن في إسناده جعفر بن الزبير ، وقد كذبه شعبة وتركه الناس ، وقال العيني : تقييد التخطي بيوم الجمعة هو المذكور في الأحاديث ، وكذلك قيده الترمذي في حكايته عن أهل العلم ، وكذلك قيده الشافعية في كتب فقههم في أبواب الجمعة ، وكذلك

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٣٩٨/٣

هو عبارة الشافعي في الأم ، إذ قال : وأكره تخطى رقاب الناس يوم الجمعة لما فيه من الأذى وسوء الأدب–انتهى. لكن هذا التعليل يشمل الجمعة وغيرها سائر الصلوات في المساجد وغيرها ، وسائر المجامع من حلق العلم وسماع الحديث ومجالس الوعظ ، فيحمل التقييد بالجمعة على أنه خرج مخرج الغالب لاختصاص الجمعة بمكان الخطبة وكثرة الناس بخلاف غيره. ويؤيد ذلك ما رواه أبومنصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس فذكره. (اتخذ) على بناء المفعول أي يجعل يوم القيامة (جسرا) بفتح الجيم وسكون المهملة أي معبرا يمر عليه من يساق. (إلى جهنم) مجازاة له بمثل عمله. ويجوز بناءه للفاعل أي اتخذ لنفسه بصنيعه ذلك طريقا يؤديه إلى جهنم لما فيه من إيذاء الناس واحتقارهم. فكأنه جسرا اتخذه إلى جهنم ، أو المعنى اتخذ نفسه جسرا الأهل جهنم ، إلى جهنم بذلك العمل ، والثالث أبعد الوجوه. وقال الطيبي : والشيخ التوربشتي ضعف المبني للمفعول رواية ودراية–انتهى. والحديث يدل على كراهة التخطي يوم الجمعة. واختلف في حكمه أنه." (١)

"وحذف الجار من أن قياس مستمر. قال الحافظ : أغير أفعل تفضيل من الغيرة بفتح الغين المعجمة ، وهي في اللغة تغير يحصل من الحمية والأنفة ، وأصلها في الزوجين والأهلين وكل ذلك محال على الله تعالى ؛ لأنه منزه عن كل تغير ونقص فيتعين حمله على المجاز ، فقيل : لما كانت ثمرة الغيرة صون الحريم ومنعم وزجر من يقصد إليهم أطلق عليه ذلك لكونه منع من فعل ذلك وزجر فاعله وتوعده فهو من باب تسمية الشيء بما يترتب عليه. وقال ابن فورك : المعنى ما أحد أكثر زجرا عن الفواحش من الله تعالى. وقال غيره : غيرة الله ما يغير من حال العاصي بانتقامه منه في الدنيا والآخرة أو في أحدهما ، ومنه قوله تعالى : "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " [الرعد : ١١] ، وقال ابن دقيق العيد : أهل التنزيه في مثل هذا على قولين إما ساكت وإما مؤول ، على أن المراد بالغيرة شدة المنع والحماية ، فهو من مجاز الملازمة ، وقال الطيبي : وجه اتصال هذا المعنى بما قبله من قوله : ((فادعوا الله وكبروا...)) الخ ، من جهة أنهم لما أمروا باستدفاع البلاء بالدعاء والذكر والتكبير والصلاة والتصدق ناسب ردعهم عن المعاصي التي هي من أسباب جلب البلاء وخص منها الزنا ؛ لأنه أعظمها في ذلك. وقيل : لما كانت هذه المعصية من أقبح المعاصي وأشدها تأثيرا في إثارة النفوس وغلبة الغضب ناسب ذلك تخويفهم في هذا المقام من مؤاخذة رب الغيرة وخالقها سبحانه وتعالى. ولعل تخصيص العبد والأمة بالذكر رعاية **لحسن الأدب** مع الله تعالى لتنزيهه عن الزوجة والأهل ممن يتعلق بهم الغيرة غالبا – انتهى كلام الحافظ ، وقيل :

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٤/٩٤٩

الغيرة من صفات الكمال ، فتثبت لله تعالى كما هو مدلول اللغة ، ولا دليل على صرفه عن ظاهر معناه ، وما ذكروه من حقيقته فهو بالنسبة إلينا ، والله جل وعلا منزه عن مماثلة المخلوقات ، فكما إن ذاته ليست." (١)

"أي من جهتها صفة ثانية (صلى الله عليك) أي أنزل الرحمة عليك ، والخطاب للروح. قال الطيبي : في عليك التفات من الغيبة في قوله : جاءت إلى الخطاب ، وفائدته مزيد اختصاص لها بالصلاة عليها (وعلى جسد كنت تعمرينه) بضم الميم. قال الطيبي : استعارة شبه تدبيرها الجسد بالعمل الصالح بعمارة من يتولى مدينة ويعمرها بالعدل والإحسان (فينطلق به) على بناء المفعول (إلى ربه) وفي حديث براءة الآتي إلى السماء السابعة (ثم يقول) أي الرب سبحانه (انطلقوا به) أي الآن أي ليكون مستقرا في الجنة أو عندها (إلى آخر الأجل) قال القاري : المراد بالأجل هنا مدة البرزخ ، يعني اذهبوا به إلى المكان الذي أعد له إلى وقت القيامة. قال الطيبي : يعلم من هذا أن لكل أحد أجلين أولا وآخرا ويشهد له قوله تعالى : "ثم قضى أجلا وأجل مسمى "[الأنعام : ٢] عنده أي أجل الموت وأجل القيامة. وقال القاضي : المراد هنا انطلقوا بروح المؤمن إلى سدرة المنتهى ، وفي روح الكافر انطلقوا بروح الكافر إلى سجين فهي منتهى الأجل. ويحتمل أن المراد إلى انقضاء الدنيا (وذكر من نتنها) بسكون التاء (وذكر لعنا) أي مع النتن فإن البعد من لوازم النتن (روح خبيثة جاءت) أي قاربت السماء (فيقال انطلقوا به) قال الطيبي : ذكر ههنا يقال وفي الأول يقول رعاية **لحسن الأدب** حيث نسب الرحمة إلى الله سبحانه ولم ينسب إليه الغضب كما في قوله تعالى : "أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم "[الفاتحة : ٧] (فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة) أي طرف ريطة وهي بفتح الراء وإسكان الياء التحتية كل ملاءة على طاقة واحدة ليست لفقتين ، وقيل : كل ثوب رقيق (كانت عليه) أي على بطنه عليه الصلاة والسلام (على أنفه) متعلق برد. قال الطيبي : رد رسول الله صلى الله عليه وسلم الريطة على الأنف لما كوشف بروح الكافر وشم من نتن ريح روحه كما." (٢)

"أي حال من (يصوم الدهر كله) أي هل هو محمود أو مذموم ، أنظر **حسن الأدب** حيث بدأه بالتعظيم ثم سأله على وجه التعميم ، ولذا قيل حسن السؤال نصف العلم (لا صام ولا أفطر) قال الخطابي في المعالم (ج٢ : ص١٢٩) معناه لم يصم ولم يفطر. وقد يوضع "لا" بمعنى "لم" كقوله تعالى "فلا صدق

---

(١) مشكاة ال مصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٣٠٣/٥

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٦٤٧/٥

ولا صلى "[القيامة : ٣١] أي لم يصدق. ولم يصل وقد يحتمل أن يكون معناه الدعاء عليه كراهة فصنيعه وزجرا له عن ذلك (لكونه مظنة لتفويت الحقوق الواجبة) وقال الجزري في النهاية : قوله "لا صام ولا أفطر" أي لم يصم ولم يفطر وهو إحباط لأجره على صومه حيث خالف السنة. وقيل : هو دعاء عليه كراهية لصنيعه. وقال التوربشتي : فسر هذا من وجهين أحدهما ، على معنى الدعاء عليه زجرا له على صنيعه والآخر على سبيل الإخبار ، والمعنى لم يكابد سورة الجوع وحر الظمأ لاعتياده الصوم حتى خف عليه ، ولم يفتقر إلى الصبر على الجهد الذي يتعلق به الثواب ، فصار كأنه لم يصم–انتهى. وحيث أنه لم ينل راحة المفطرين ولذتهم فكأنه لم يفطر (أو قال لم يصم ولم يفطر) وفي رواية "أو" ما صام وما أفطر ، قال الحافظ بعد ذكر رواية الباب : هو شك من أحد رواته ، ومقتضاه أنهما بمعنى واحد.والمعنى بالنفي أنه لم يحصل أجر الصوم لمخالفته ولم يفطر لأنه أمسك. وقال الشوكاني في السيل الجرار : حديث لا صام من صام الأبد في الصحيحين في حديث عبدالله بن عمرو ، وكذلك حديث لا صام ولا أفطر أو لم يصم ولم يفطر في حديث أبي قتادة معناهما أنه لما خالف الهدى النبوى الذي رغب فيه صلى الله عليه وسلم كان بمنزلة من لم يصم صوما مشروعا يؤجر عليه ولا أفطر فطرا ينتفع به. ويؤيد أن هذا المعنى هو المراد أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال لعبد الله بن عمرو ، وقد كان أراد أن يصوم الدهر فقال له صم من كل شهر ثلاثة أيام فقال ، إني أقوى من ذلك فلم يزل يرفعني." (١)

"(والخير في يديك) كذا في زيادة عمر عند مسلم ، وأحمد ، وفي زيادة ابنه عبد الله : ((بيديك)) أي الخير كله بيد الله ومن فضله أي بقدرته وكرمه . قال الباجي : الألف واللام لاستغراق الجنس ، فكأن الملبي يلبي ربه ويعتقد أن جميع الخير بيديه – انتهى . وهو من باب الاكتفاء وإلا فالأمر كله لله والخير والشر كله بقدره وقضائه ، أو هو من إصلاح المخاطبة أي من باب **حسن الأدب** في الإضافة والنسب كما في قوله تعالى : " وإذا مرضت فهو يشفين " (٢٦ : ٨٠) ومن ها هنا ورد : ((والشر ليس إليك)) أي لا ينسب إليك أبدا ، (والرغباء إليك) فيه ثلاثة أوجه : فتح الراء والمد وهو أشهرها ، وضم الراء مع القصر وهو مشهور أيضا ، وفتح الراء مع القصر مثل سكرى وهو غريب ، حكاه أبو علي الجبائي ، ونظير الوجهين الأولين العلياء والعليا ، والنعماء والنعمى ، ومعنى اللفظة الطلب والمسألة أي إنه تعالى هو المطلوب المسئول منه فبيده جميع الأمور ، قال شمر : معنى رغب النفس سعة الأمل وطلب الكثير (والعمل) أي إن العمل كله لله تعالى لأنه المستحق للعبادة وحده وفيه حذف يحتمل أن تقريره كالذي

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ١١١/٧

قبله أي والعمل إليك أي إليك القصد به والانتهاء به إليك لتجازى عليه فيكون عطفا على الرغباء ، ويحتمل أن تقريره والعمل لك ، وقال الطيبي : أي وكذلك العمل منته إليك إذ أنك المقصود منه . قال القاري : والأظهر أن التقدير ((والعمل لك)) أي لوجهك ورضاك ، أو العمل بك أي بأمرك وتوفيقك ، أن المعنى أمر العمل رادع إليك في الرد والقبول ، هذا وتقدم الكلام مبسوطا في وقت التلبية وابتداء الإحرام وفي حكم الزيادة على التلبية المرفوعة المشهورة . (متفق عليه) فيه نظر ، فإن الزيادة المذكورة انفرد مسلم عن البخاري بروايتها . (ولفظه لمسلم) قد تقدم أن المصنف." (١)

"قوله يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا يدخلونها ويتنعمون بها خلقهم لها كره لإناطة أمر زائد به وهو قوله وهم في أصلاب آبائهم والجملة حال اهتماما قيل ويحتمل أن يراد به خلق الذر في ظهر آدم واستخرجها ذرية من صلب كل واحد إلى انقراض العالم وقيل عين في الأزل من سيكون من أهل الجنة ومن سيكون من أهل النار فعبر عن الأزل بأصلاب الآباء تقريبا لأفهام العامة وخلق للنار أهلا فيه إيماء إلى أنه لا اعتراض فإنهم أهل لها أهلية لا يعلمها إلا خالقها خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وإنما يظهر منهم من الأعمال ما قدر لهم في الأزل قال القاضي في حديث عائشة رضي الله عنها إشارة إلى أن الثواب والعقاب لأجل الأعمال وإلا لكان ذراري المسلمين والكافرين لا من أهل الجنة ولا من أهل النار بل الموجب هو اللطف الرباني والخذلان الإلهي المقدر لهم وهم في الأصلاب فالواجب التوقف وعدم الجزم وقال النووي أجمع م ن يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة وتوقف في ذلك بعض لهذا الحديث وأجابوا عنه بأنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع ويحتمل أنه عليه الصلاة والسلام قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة ا هـ والأصح ما تقدم من أنه لم يرتض هذا القول منها لما فيه من الحكم بالغيب والجزم بإيمان أصل الولد لأنها أشارت إلى طفل معين فالحكم على شخص معين بأنه من أهل الجنة لا يجوز من غير ورود النص لأنه من علم الغيب وقد يقال التبعية في الدنيا من الإيمان والكفر وحكمها من أمور الآخرة ففيه إرشاد للأمة إلى التوقف في الأمور المبهمة والسكوت عما لا علم لهم به **وحسن الأدب** بين يدي علام الغيوب قال ابن حجر ولعل هذا كان قبل ما نزل عليه في ولدان المؤمنين والكفار إذ هم في الجنة إجماعا في الأول

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٨/١٠١٠

وعلى الأصح في الثاني رواه مسلم وعن علي رضي الله عنه هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يكنى أبا." (١)

"نسبة إلى ثمالة بطن من الأزد قال قال رسول الله ما أحدث أي أبدع وجدد قوم بدعة أي مزاحمة لسنة إلا رفع مثلها أي مقدارها في الكمية أو الكيفية من السنة وقال ابن حجر
سمي الضد مثلا لأنه أقرب خطورا بالبال عند ذكره وأسرع ثبوتا عند ارتفاعه فكان بينهما تناسب ما فتمسك جواب شرط محذوف أي إذا عرفت ذلك فتمسك بسنة أي صغيرة أو قليلة كإحياء آداب الخلاء مثلا على ما ورد في السنة وأما قول الطيبي أي سنة قذرة فلغزة قلم وزلة قدم مما ينفر عنه الطبع ويمجه السمع قال ابن حجر ولولا اشتهار علم الرجل وتحقيقه وحسن حاله وطريقه لقضي عليه بهذه الكلمة بأمر عظيم كيف وأصحابنا مصرحون بأن من استقذر شيئا منسوبا إليه عليه الصلاة والسلام كفر والسنة منسوبة إليه فوصفها بالقذارة يوقع في تلك الورطة لا إمكان تأويله بأنه لم يصفها بالقذارة من حيث كونها سنة بل من حيث تعلق فعلها بمستقذر وهذا بفرض قبوله إنما يمنع الكفر فحسب لا الشناعة والقبح وسوء الأدب خير من إحداث بدعة أي أفضل من حسنة عظيمة كبناء رباط ومدرسة قال الطيبي ويمكن أن يجعل من قبيل العسل أحلى من الخل وعلى حد أي الفريقين خير مريم فالتقدير حينئذ التمسك بسنة فيه خير عظيم وببدعة لا خير فيه أصلا وأما قول ابن حجر وهذا هو الصواب وما مثله الطيبي أولا غير مسلم أما أولا فلأن البدعة الحسنة ملحقة بالسنن المنصوصة لكن لما لم تؤلف في الصدر الأول سميت بدعة وأما ثانيا فنحو المدرسة نفعها عام دائم وثوابها متضاعف باق ببقائها فكيف يفضل عليها ما نفعه قاصر وثوابه منقطع بانقضاء فعله هذا مما لا يعقل اهـ والأظهر أن مراده عليه الصلاة والسلام المبالغة في متابعته وأن سنته من حيث أنها سنة أفضل من بدعة ولو كانت مستحسنة مع قطع النظر عن كونها متعدية أو قاصرة أو دائمة أو منقطعة ألا ترى أن ترك سنة أي سنة تكاسلا يوجب اللوم والعتاب وتركها استخفافا يثبت العصيان والعقاب وإنكارها يجعل صاحبه مبتدعا بلا." (٢)

"والقلوب اهـ يعني ليس السعي الكامل أو ليس السعي منحصرا على الأقدام بل المدار على تحصيل الإخلاص في وصول المرام والنهي إنما هو عن الإسراع المفضي إلى تشتت البال وعدم استقامة الحال ولذا قال وأتوها تمشون أي بالسكينة والطمأنينة التي مدار الطاعة عليهما إذ المقصود من العبادة الحضور مع

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/٣٦٠

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/٧٥

المعبود قال ابن حجر وهو أبلغ في النهي من لا تسعوا لتصويره **حالة سوء الأدب** وإنه مناف لما هو أولى به من الوقار والسكينة ومن ثم عقبه بما ينبه على **حسن الأدب** فقال وأتوها حال كونكم تمشون لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا الفرقان والأظهر أنه عليه السلام لم يقل إذا أقيمت الصلاة فلا تسعوا لظهور اعطاء ظاهر المعارضة لقوله تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الجمعة ولإيهام ترك الإتيان مطلقا فبين أن السعي له معنيان أحدهما الإتيان على طريقة الهرولة وهو مكروه وثانيهما الإتيان على سبيل المشي والسكينة وهو مستحب وحاصله أن السعي بمعنى الجد والجهد في الأمر ومنه قوله تعالى أي وأن ليس للإنسان إلا ما سعى أي وقوله تعالى أي فاسعوا أي في آية الجمعة بمعنى امضوا كما قرىء به أو بمعنى اقصدوا كما قاله الحسن قال ميرك نقلا عن الأزهار إن قلت قوله فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون ما هذا إلا كما تقول لا تأكل لحم الفرس ولكن كل لحم الحيوان وهو كلام ضعيف قلت لا نسلم ضعفه لأن المراد لحم حيوان غيره وإن سلم فالقيد موجود في الحديث وهو قوله وعليكم السكينة مع أن السعي قد يكون مشيا كقوله تعالى أي فاسعوا إلى ذكر الله أي وقد يكون عدوا كقوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى يس صلى الله عليه وسلم وقد يكون عملا كقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى النجم ثم من خاف فوت التكبيرة الأولى فقيل أنه يسرع فإن عمر رضي الله عنه سمع الإقامة بالبقيع فاسرع إلى المسجد وقيل إنه يهرول ومنهم من اختار أن يمشي على وقار للحديث لأن من قصد الصلاة." (١)

"صلة والمعنى تنزيه اسمه عن أن يبتذل وأن لا يذكر على وجه التعظيم قال الإمام الرازي كما يجب تنزيه ذاته عن

النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب رواه أبو داود قال ميرك وسكت عليه المنذري وقال النووي إسناده حسن ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح قال الذهبي في إسناده إياس بن عامر وليس بالمعروف لكن قال في التقريب إنه صدوق وابن ماجه والدارمي وعن عون بن عبد الله أي ابن عتبة بن مسعود يعني عبد الله قال قال رسول الله إذا ركع أحدكم فقال في ركوعه سبحان ربي العظيم بفتح ياء ربي ويسكن ثلاث مرات فقد تم ركوعه أي كمل وإلا فأصل الكمال يحصل بواحدة قاله ابن حجر وذلك أدناه أي أدنى تمام ركوعه قال ابن الملك أي أدنى الكمال في العدد وأكمله سبع مرات قال فالأوسط خمس مرات وفي شرح المنية وركنية الركوع والسجود بأدنى ما ينطلق عليه اسمهما وذكر في شرح الإسبيجابي

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/١٤٧

أنه إن لم يقل ثلاث تسبيحات أو لم يمكث مقدار ذلك لا يجوز ركوعه وسجوده وهذا قول شاذ كقول أبي مطيع البلخي بفرضية التسبيحات الثلاث في الركوع والسجود حتى لو نقص واحدة لا يجوز ركوعه ولا سجوده وإذا سجد فقال في سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات فقد تم سجوده وذلك أدناه رواه الترمذي من طريق عون بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قاله ميرك وأبو داود وابن ماجه وقال الترمذي ليس إسناده أي إسناد هذا الحديث بمتصل لأن عونا لم يلق ابن مسعود قال ابن حجر ولا يضر ذلك في الإستدلال به ههنا لأن المنقطع يعمل به في الفضائل إجماعا وعن حذيفة أنه صلى مع النبي وكان يقول أي النبي أحيانا أو في النفل." (١)

"أمواتهم حتى اتخذوها أصناما وإلى هذا أشار بقوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد فيكون المقصود من النهي كراهة أن يتجاوزوا في قبره غاية التجاوز ولهذا ورد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقيل العيد اسم من الاعتياد يقال عادة واعتاده وتعوده أي صار عادة له والعيد ما اعتادك من هم أو غيره أي لا تجعلوا قبري محل اعتياد فإنه يؤدي **إلى سوء الأدب** وارتفاع الحشمة ولئلا يظن أن دعاء الغائب لا يصل إلي ولذا عقبه بقوله وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني أي لا تتكلفوا المعاودة إلى قبري فقد استغنيتم عنها بالصلاة علي حيث كنتم قال القاضي وذلك أن النفوس الزكية القدسية إذا تجردت عن العلائق البدنية عرجت واتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق لها حجاب فترى الكل كالمشاهد بنفسها أو بإخبار الملك لها وفيه سر يطلع عليه من تيسر له اه فيكون نهيه عليه السلام لدفع المشقة عن أمته رحمة عليهم رواه النسائي قال ميرك ورواه أبو داود أيضا كا يفهم من كلام النووي في الأذكار قال ابن حجر ورواه أحمد في مسنده وأبو داود وصححه النووي في الأذكار وفي هذا الباب أحاديث كثيرة وعنه أي عن أبي هريرة قال قال رسول الله رغم مثلث الغين على ما في القاموس لكن الرواية بالكسر وفي نسخة بالفتح ومعناه لصق بالرغام وهو التراب أي ذل وهان أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وهو إما خبر ودعاء أي لحقه ذل مجازاة بترك تعظيمي وقيل خاب وخسر من قدر بأن يتفوه بأربع كلمات فيوجب لنفسه عشر صلوات من الله ويرفع بها عشر درجات ويحط عنه عشر خطيآت فلم يفعل ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ أي انتهى أو انقضى قال ابن حجر كان وجه الإتيان بثم هنا أن بين ابتداء رمضان وبين انقضائه مهلة طويلة بخلاف سماع ذكره عليه السلام والصلاة عليه فإنها تطلب عقب السماع من غير مهلة وكذا بر

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/٤١٨

الوالدين فإنه يتأكد عقب احتياجهما المكنى عنه بالكبر وقال الطيبي ثم هذه استبعادية كما في قولك لصاحبك بئس ما." (١)

"أراد أن يردعهم عن المعاصي كلها فخص منها الزنا وفخم شأنه وندب أمته بقوله يا أمة محمد ونسب الغيرة إلى الله ولعل تخصيص العبد والأمة رعاية **الحسن الأدب** لأن الغيرة أصلها أن تستعمل في الأهل والزوج والله تعالى منزه عن ذلك ويجوز أن تكون نسبة الغيرة إلى الله تعالى من باب الاستعارة المصرحة لتبعية شبه حال ما يفعل الله مع عبده الزاني من الانتقام وحلول العقاب بحال ما يفعل السيد بعبده الزاني من الزجر والتعزير ثم كرر الندبة ليعلق به ما ينبه به على سبب الندبة والفزع إلى الله تعالى من علم بالله تعالى وبغضبه فقال يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم من غضب الله تعالى وغفرانه أو من أهوال يوم الآخرة وعجائب شأنه لضحكتم قليلا أي زمانا قليلا أو مفعول مطلق وقيل القلة هنا بمعنى العدم ولبكيتم كثيرا متفق عليه ورواه أبو داود والنسائي." (٢)

"النبي ويقول أهل السماء أراد به الجنس أي كل سماء روح طيبة مبتدأ أو خبر لمحذوف هو هي وقوله جاءت يعني الآن من قبل الأرض بكسر القاف وفتح الموحدة أي من جهتها صفة ثانية صلى الله أي أنزل الرحمة عليك قال الطيبي في عليك التفات من الغيبة في قوله جاءت إلى الخطاب وفائدته مزيد اختصاص لها بالصلاة عليها

قلت ولمزيد التلذذ بخطابهم إياها قال ابن حجر وكراهة الصلاة إستقلالا على غير الأنبياء والملائكة محلها إن صدرت من غيرهم لا منهم لقول العلماء في صلاته على آل أبي أوفى إنه من تبرع صاحب الحق به اه والأظهر أنه من خصوصياتهم لقوله تعالى وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم التوبة ولقوله عز وجل هو الذي يصلي عليكم الأحزاب وعلى جسد كنت تعمرينه بضم الميم يعني على ظاهرك وباطنك وتقديم الباطن لأنه أهم والنظر إليه أتم قال الطيبي إستعارة شبه تدبيرها البدن بالعمل الصالح بعمارة من يتولى مدينة ويعمرها بالعدل والإحسان فينطلق على بناء المفعول وفي رواية فينطلقون به إلى ربه أي إلى موضع حكمه أو عرش ربه ومقام قربه وفي الحديث الآتي إلى السماء السابعة ثم يقول أي الرب سبحانه انطلقوا به أي الآن أي ليكون مستقرا في الجنة أو عندها إلى آخر الأجل ثم إلينا مرجعه بحكم الأزل والمراد بالأجل هنا مدة البرزخ قال الطيبي يعلم من هذا أن لكل أحد أجلين أولا وآخرا ويشهد له قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٣/٤

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٩٦/٥

الأنعام عند أي أجل الموت وأجل القيامة قال أي النبي وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر أي النبي أو الصحابي من نتنها بسكون التاء أي عفنها وذكر لعنا أي مع النتن فإن البعد من لوازم النتن ويقول أهل السماء من الملائكة وغيرهم روح خبيثة جاءت أي قاربت السماء من قبل الأرض فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل قال الطيبي ذكر ههنا يقال وفي الأول يقول رعاية **لحسن الأدب** حيث نسب الرحمة إلى الله سبحانه ولم ينسب إليه الغضب كما في قوله تعالى أنعمت عليهم غير المغضوب." (١)

"الإنتاج هذا أي الأعمى فكان لهذا أي للأبرص واد من الإبل ولهذا أي للأقرع واد من البقر ولهذا أي للأعمى واد من الغنم قال أي النبي ثم إنه أي الملك أتى الأبرص في صورته أي التي جاء الأبرص عليها أول مرة وهيئته قال الطيبي ولا يبعد أن يكون الضمير راجعا إلى الأبرص لعله يتذكر حاله ويرحم عليه بماله والأول أظهر

في الحجة عليه حيث جاءه في صورته التي تسبب في جماله وحصول كثرة ماله فقال أي له رجل مسكين أي أنا قد انقطعت بي الحبال أي الأسباب في سفري قال الطيبي الباء للتعدية قال السيد جمال الدين فيه تأمل لأن المعنى لا يساعد التعدية والأصوب أن يقال الباء بمعنى من كما في قوله تعالى يشرب بها عباد الله الإنسان اه والأظهر أن الباء للسببية والملابسة كما في قوله تعالى وتقطعت بهم الأسباب البقرة والحبال بكسر المهملة بعدها موحدة جمع الحبل وهو العهد والزمان والوسيلة وكل ما ترجو فيه خيرا أو فرجا أو تستدفع به ضررا والحبل ههنا السبب فكأنه قال انقطعت بي الأسباب وفي شرح الشيخ ابن حجر العسقلاني أي الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق ولبعض رواه مسلم الحبال بالمهملة والتحتانية جمع حيلة أي لم تبق لي حيلة ذكره السيد جمال الدين وقال ابن الملك وفي بعض نسخ البخاري الجبال بالجيم وهو جمع جبل أي طال سفري وقعدت عن بلوغ حاجتي فلا بلاغ أي كفاية لي اليوم إلا بالله أي إيجادا وإمدادا ثم بك أي سببا وإسعادا وفيه من **حسن الأدب** ما لا يخفى حيث لم يقل وبك وثم التراخي الرتبة والتنزل في المرتبة قال الطيبي أمثال ذلك من الملائكة ليست أخبارا بل من المعاريض الكلام كقول إبراهيم إني سقيم اه وكقولهم إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ص صلى الله عليه وسلم الآية أسألك أي مقسما عليك أو متوسلا إليك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال أي الإبل بعيرا مفعول أسألك أي أطلب منك بعيرا أتبلغ به في سفري أي إلى مقصودي أو وطني فقال الحقوق كثيرة أي حقوق." (٢)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٤٥/٥

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٨٢/٦

"الطيبة أي مطلقا أو مع الناس صدقة وكل خطوة بفتح الخاء المرة الواحدة وبالضم ما بين القدمين يخطوها إلى الصلاة أو ما في
معناها من الطواف والعبادة وتشييع الجنازة وطلب العلم ونحوها صدقة ويميط الأذى أي يزيله عن الطريق كالشوكة والعظم والقذر وقيل المراد أذى النفس عن نفسه أو عن الناس صدقة وأي صدقة متفق عليه وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله خلق كل إنسان من بني آدم بيان لإفادة التعميم على ستين وثلثمائة مفصل بالإضافة وهو بكسر الصاد ويفتح ملتقى العظمين في البدن فمن كبر الله أي عظمه أو قال الله أكبر وحمد الله أي أثنى عليه أو شكره وهلل الله أي وحده أو قال لا إله إلا الله وسبح الله أي نزهه عما لا يليق به من الصفات السلبية أو قال سبحان الله واستغفر الله أي بالتوبة أو اللسان وعزل أي بعد ونحى حجرا عن طريق الناس أو شوكة أو عظما أو للتنويع ولعل في ترك ذكر نحو الروث **حسن الأدب** أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر أي باليد أو باللسان أو بالإنكار بالجنان عدد تلك الستين أي بعددها نصب بنزع الخافض متعلق بالأذكار وما بعدها أو بفعل مقدر يعني من فعل الخيرات المذكورة ونحوها عدد تلك الستين والثلاثمائة قال الطيبي رحمه الله أضيف الثلاث وهي معرفة إلى مائة وهي نكرة واعتذر بأن اللام زائدة فلا اعتداد بها ولو ذهب إلى أن التعريف بعد الإضافة كما في الخمسة عشر بعد التركيب لكان وجهان حسنا اه يعني فمن فعل الخير بعدد تلك المفاصل جزاؤه فإنه يمشي بالمعجمة قاله القاضي وفي نسخة بالمهملة قال في الأزهار وكذا في شرح مسلم يمسى من الإمساء أو من المشي وكلاهما صحيح يومئذ أي وقت إذ فعل ذلك وقد زحزح نفسه أي أبعدها وتحلفا عن النار وفي نسخة على صيغة المفعول ورفع النفس والجملة حال رواه مسلم وعن أبي ذر قال قال رسول الله إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة." (١)

"وكان حق السائل أن يقول كيف أصوم أو كم أصوم فيخص السؤال بنفسه ليجاب بمقتضى حاله كما أجاب غيره بمقتضى أحوالهم اه وأيضا كان صومه لم يكن على منوال واحد بل كان يختلف باختلاف الأحوال فتارة يكثر الصوم وتارة يقله ومثل هذا الحال لا يمكن أن يدخل تحت المقال فيتعذر جواب السؤال ولذا وقع لجماعة من الصحابة إنهم سألوا عن عبادته لله تعالى فتقالوها فبلغه فاشتد غضبه عليهم وقال أنا أتقاكم لله وأخوفكم منه يعني ولا يلزم منه كثرة العبادة بل حسنها ومراعاة شرائطها وحقائقها ودقائقها وتقسيمها في أوقاتها اللائقة بها فلما رأى عمر غضبه أي على السائل وخاف من دعائه عليه خاصة ومن

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٦/١٩٨

السراعية على غيره عامة لقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة الأنفال قال إعتذارا منه واسترضاء منه لقوله تعالى حكاية أليس منكم رجل رشيد هود أي حتى يأتي بكلام سديد رضينا بالله أي بقضائه ربا وبالإسلام أي بأحكامه دينا وبمحمد أي بمتابعته نبيا والمنصوبات تمييزات ويمكن أن تكون حالات مؤكدات نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله وذكر غضب الله تزيين للكلام وتعيين بأن غضبه تعالى يوافق غضبه عليه الصلاة والسلام فجعل عمر يردد أي يكرر هذا الكلام وهو رضينا إلخ حتى سكن غضبه عليه الصلاة والسلام فقال عمر يا رسول الله كيف من أي حال من يصوم الدهر كله أي هل هو محمود أو مذموم أنظر **حسن الأدب** حيث بدأه بالتعظيم ثم سأل السؤال على وجه التعميم ولذا قيل حسن السؤال نصف العلم قال لاصام ولا أفطر أي لا صام صوما فيه كمال الفضيلة ولا أفطر فطرا يمنع جوعه وعطشه أو قال لم يصم ولم يفطر في شرح السنة معناه الدعاء عليه زجرا له ويجوز أن يكون إخبارا قال المظهر يعني هذا الشخص كأنه لم يفطر لأنه لم يأكل شيئا ولم يصم لأنه لم يكن بأمر الشارع اه وهذا كخبر الصحيحين لا صام من صام الأبد لا صام من صام الأبد وأما خبر من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين فرواه." (١)

"نفسك في طاعاته وعبادته الظاهره والباطنه وبذات روحك في العلم والعمل حتى تبلغ الغاية في الكمالات الأنسية والحالات القدسية والمراتب العلمية من العلمية والعملية ففي الحديث أن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها ومن ثم قال علي كرم الله وجهه علو الهمة من الإيمان واختلف المشائخ في أفضلية الهمة والخدمة وعندي أن الخدمة إنما تنشأ من الهمة فلا خلاف في الحقيقة قال القشيري من علوه تعالى أنه لا يصير بتكبير العباد له كبيرا ولا جليلا بإجلالهم وتعظيمهم له كثيرا بل من وفقه لإجلاله فبتوفيقه أجله ومن أيده بتكبيره وتعظيمه فقد رفع محله ومن حق من عرف عظمته أن لا يذل لخلقه بل يتواضع لهم لأجله فإن من تذلل لله في نفسه رفع الله قدره على أبناء جنسه وقيل المؤمن ليس له الكبر وله العزة وله التواضع لا المذلة الكبير وضده الصغير يستعملان بالعتبار مقادير الأجسام وباعتبار الرتب وهو المراد هنا أما باعتبار أنه أكمل الموجودات وأشرفها من حيث إنه قديم أزلي غني على الإطلاق وما سواه حادث مفتقر إليه في الإيجاد والإمداد بالاتفاق وأما باعتبار أنه كبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول وعلى الوجهين فهو من أسماء التنزيه قيل في معنى الله أكبر أي أكبر من أن يقال له أكبر أو أكبر من أن يدرك غيره كنه كبريائه وحظك منه أن تشهد كبرياءه دائما حتى تنسى كبرياء غيره وتجتهد في تكميل نفسك

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٦٧/٦

علما وعملا بحيث يتعدى كمالك إلى غيرك فيقتدي بآثارك ويقتبس من أنوارك وتقربك بهذا الاسم تعلقا أن تبالغ في التواضع وتخلقا أن تحترز **من سوء الأدب** بلزوم الخدمة وحفظ الحرمة ففي الصحيح الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته أي أهلكته وكسرت عنقه واختصت العظمة بالإزار والكبرياء بالرداء لأن في الكبير من الفخامة فوق العظيم وإن كان كل منهما مختصا له تعالى لا شريك له فيه بوجه ما ومن ثم قصم المنازع في واحد منهما الحفيظ أي البالغ في الحفظ يحفظ." (١)

"وابن ماجة وعن ابن عمر قال كان رسول الله يركع أي يصلي

بذي الحليفة ركعتين أي سنة الإحرام لأحد التسكين يقرأ فيهما الكافرون والإخلاص وينوي ويلبي عقيبهما ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل أي رفع صوته بهؤلاء الكلمات يعني التلبية المشهورة وأبعد ابن حجر رحمه الله في قوه يعني التلبية السابقة في الفصل الأول فإن الإشارة فيها للعهد الذهني ويقول أي النبي زيادة عليها وذهب ابن حجر رحمه الله في إرجاع ضميره إلى ابن عمر عن نفسه أو أبيه وقد صرح الشيخان بالأمرين ففي رواية لهما عن نافع ولفظهما عنه أن تلبية رسول الله لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال وكان عبد الله بن عمر يزيد فيها لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل وفي رواية لهما يعد ذكرهما من حديث الباب أتي بهؤلاء الكلمات وكان ابن عمر يقول كان عمر يهل بإهلال رسول الله من هؤلاء الكلمات ويقول لبيك قال ابن حجر رحمه الله وبهذا يعلم أنه سقط من أصل المصنف نحو سطران كانت نسخته موافقة لهذه النسخة التي شرحت عليها قلت النسخ كلها توافقها ولعل المصنف اختصر الحديث اختصارا مخلا حيث يتبادر منه أن هذه الزيادة مرفوعة لبيك اللهم لبيك لبيك كرر للتأكيد أو ليعطف عليه وسعديك أي ساعدت على طاعتك مساعدة وإسعادا بعد إسعاد وهما منصوبان على المصدر كما ذكره الطيبي رحمه الله فسعديك مثنى مضاف قصد به التكرير للتكثير كما في لبيك أي أسعد إجابتك سعادة بعد سعادة بإطاعتك عبادة بعد عبادة قال في النهاية ولم يسمع مفردا عن لبيك والإسعاد المساعدة في النياحة خاصة والخير في يديك أي منحصر في قبضتك من صفتي القدرة والإرادة أو من نعتي الجمال والجلال فيكون إشارة إلى أنه تعالى محمود في كل الفعال أو هو من باب الاكتفاء وإلا فالأمر كله لله والخير والشركاء بقدره وقضائه أو من باب **حسن الأدب** في الإضافة والنسب كما قيل في قوله تعالى." (٢)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧٩/٨

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤٨٢/٨

"نجمع في النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض ووجه صحته إن كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه اه كلامه فالاعتراض يحول إلى ما قيل ويتوجه عليه أيضا من جهة تحريره وتوجيهه وتقريره ويبين أن نقل الطيبي محمول على تقصيره ثم لا يخفى ما فيه من الدسيسة الاعتزالية في قوله وحق اللفظ **مع سوء الأدب** بالنسبة إلى الآية القرآنية والله ولي دينه وناصر نبيه رواه أحمد والترمذي وأبو داود وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ما كان الفحش أي القبيح." (١)

"أني أكون خضرا تأكلني الدواب مخافة العذاب وعن عمر الفاروق أنه سمع إنسانا يقرأ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا الإنسان فقال ليتها تمت بل ورد عنه في رواية أنه قال ليت رب محمد لم يخلق محمدا وعن الفضيل أنه قال إني لا أغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة إنما أغبط من لا يخلق وعن أم العلاء الأنصارية هي من المبايعات روى عنها خارجة بن زيد بن ثابت وهي أمه وكان رسول الله يعودها في مرضها قالت قال رسول الله والله لا أدري وفي نسخة والله لا أدري مكررا وأنا رسول الله جملة خالية ما يفعل بي ولا بكم مفعول لا أدري ودخول لا لمزيد التأكيد ليفيد اشتمال النفي على كل واحد من القبيلتين على حدة قال الطيبي رحمه الله فيه وجوه أحدها أن هذا القول منه حين قالت امرأة عثمان بن مظعون لما توفي هنيئا لك الجنة زجرا لها **على سوء الأدب** بالحكم على الغيب ونظيره قوله لعائشة رضي الله عنها وعن أبيها حين يسمعها تقول طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة قلت لا يخفى أن هذا سبب ورود الحديث وزمان صدوره ولا مدخل له في إزالة إشكال معناه وثانيها أن يكون هذا منسوخا بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الفتح كما ذكره ابن عباس في قوله تعالى وما أدري ما يفعل بي ولا بك الأحقاف قلت وفيه أن النسخ على تقدير صحة تأخير الناسخ إنما يكون في الأحكام لا في الأخبار كما هو مقرر في الاعتبار وثالثها أن يكون نفيا للدراية المفصلة دون المجملة قلت هذا هو الصحيح ورابعها أن يكون مخصوصا بالأمور الدنيوية من غير نظر إلى سبب ورود الحديث قلت وهذا مندرج فيما قبله والحكم بطريق الأعم هو الوجه الأتم والمراد من الأمور الدنيوية بالنسبة إليه هي الجوع والعطش والشبع والري والمرض والصحة والفقر والغنى

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٢٨/١٤

وكذا حال الأمة وقيل المعنى وأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي وأترمون بالحجارة أم يخسف." (١)

"فقالت يا رسول الله إن لي إليك حاجة أي خفية عن الناس فقال يا أم فلان انظري أي تفكري أو أبصري أي السكك بكسر ففتح جمع السكة وهي الزقاق شئت أي أردت إحضاري فيه حتى أقضي لك حاجتك أي كي أحصل لك مقصودك ومرادك فخلا أي مضى معها في بعض الطرق أي وقف معها وسمع كلامها ورد جوابها حتى فرغت من حاجتها وفيه تنبيه على أن الخلوة مع المرأة في زقاق ليس من باب الخلوة معها في بيت على احتمال أن بعض الأصحاب كانوا واقفين بعيدا عنهما مراعاة **لحسن الأدب** رواه مسلم وعنه أي عن أنس قال لم يكن رسول الله فاحشا أي آتيا بالفحش من الفعل ولا لعانا ولا سبابا المقصود منهما نفي اللعن والسب وكل ما يكون من قبيل الفحش القولي لا نفي المبالغة فيهما وكأنه نظر إلى أن المعتاد هو المبالغة فيهما فنفاهما على صيغ المبالغة والمقصود نفيهما مطلقا كما يدل عليه آخر كلامه قال الطيبي فإن قلت بناء فعال للتكثير أو للمبارغة ونفيه لا يستلزم نفي اللعن والسب مطلقا قلت المفهوم ههنا غير معتبر لأنه وارد في مدحه فإن أريد التكثير فيعتبر الكثرة فيمن يستحقه من الكفار والمنافقين أي ليس بلاعن واحد منهم وإن أريد المبالغة كان المعنى أن اللعن بلغ في العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان اللاعن بمثله لعانا بليغ اللعن نحو قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد آل عمران قلت الأظهر في معنى الآية والحديث أن يقال فعال للنسبة كتمار ولبان أي ليس الله بذي ظلم مطلقا ولا رسوله بصاحب لعن ولا سب لمن لم يكن مستحقا من الكفار أو الفجار لكونه نبي الرحمة ولذا استأنف الراوي بقوله كان يقول عند المعتبة بفتح التاء وقيل بكسرها أيضا بمعنى الملامة والعتاب على ما في القاموس واختاره ابن الملك وبمعنى الغضب كما في النهاية واختاره شارح والمعنى غاية ما يقوله عند المعاتبة أو المخاصمة هذه الكلمة معرضا عنه غير مخاطب له ما له ترب جبينه وهي أيضا ذات وجهين إذ يحتمل أن يكون دعاء على المقول له بمعنى." (٢)

"بذوي الرحم وصلته كأنه قال بأحب خلقك إليك من ذوي القرابة القريبة ومن هو أولى بإحساني وبري إليه اه وفيه أن لا شك أن العم أولى من ابنه وكذا البنت وأولادها في أمر البر والإحسان على أن قول الطيبي هذا إنما يتم إذا لم يكن أحد هناك ممن يؤاكله ولا شك في وجوده لا سيما وأنس حاضر وهو

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢٦٦/١٥

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤٨٢/١٦

خادمه ولم يكن من عادته أنه لا يأكل معه فالوجه الأول هو المعول ونظيره ما ورد أحاديث بلفظ أفضل الأعمال في أمور لا يمكن جمعها إلا أن يقال في بعضها أن التقدير من أفضلها وعن علي رضي الله عنه قال كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي طلبت شيئا أعطاني أي المسؤول أو جوابه وإذا سكت ابتدأني أي بالتكلم أو الاعطاء ففيه إشعار بأن **حسن الأدب** هو السكوت وتفويض الأمر الموجب للتعظيم المتفرع عليه الإقبال المنتج للإعطاء أولا ويؤيده حديث من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ومما يدل على كرمه وزهده ما ذكره أصحاب المناقب عن علي قال لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع وإن صدقتي اليوم أربعون ألفا وفي رواية وأن." (١)

"جهالة لعوقبتم رواه عطاء عن ابن عباس والثالث لولا ما سبق لأهل بدر أنه لا يعذبهم لعذبتم قاله الحسن والرابع لولا ما سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا ثم علم ما عليه فتاب قاله الزجاج فتخرج على هذه الأقوال في معنى الكتاب قولان أحدهما أنه كتاب مكتوب والثاني أنه القضاء فلما نزل قوله (فكلوا مما غنمتم) الأنفال ٦٩ أخذوا الفداء والجواب الثالث أن يكون أضاف العذاب إليهم لعز قدره ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كما يضاف الخير إلى الله عز وجل والشر إلى إبليس لا لكون القدر لم يشتمل الأمرين بل **لحسن الأدب** بالإضافة ومنه قوله تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) النساء ٧٩ وقوله (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) الأنفال ٦٧ أصل الأسر الشد وقرأ أبو جعفر أسارى قال الفراء أهل الحجاز يقولون أسارى وأهل نجد أكثر كلامهم أسرى وهو أجود الوجهين في العربية لأنه بمنزلة جريح وجرحى قال أبو عمرو الأسارى الذين شدوا والأسرى في أيدي العدو إلا أنهم لم يشدوا وقال الزجاج فعلى جمع لكل ما أصيب به الناس في أبدانهم وعقولهم

يقال هالك وهلكى ومريض ومرضى وسكران وسكرى ومن قرأ أسارى فهو جمع الجمع لأن جمع أسير أسرى وجمع أسرى أسارى وقوله (حتى يثخن في الأرض) أي يتمكن فيها فيبالغ في قتل أعدائه وكان هذا أول حرب وفي المسلمين ضعف وقلة فلم يكن لاستبقاء الأعداء وجه

". (٢)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧/٤٣٩

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/٩٨

"حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى بن أبي يونس قال حدثنا أبو بحر أن أبا المجلد حدثه وحلف عليه أنه لا تهلك هذه الأمة حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق منهم رجلان من أهل بيت النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يعيش أحدهم أربعين سنة والأخر ثلاثين سنة وأما الأسلمي فهو ماعز والعصبة والعصابة الجماعة والبيت الأبيض قصر كسرى وكان مبنيا بالجص وكانت فيه أموال عظيمة فروينا في الفتوح أن سعد بن أبي وقاص خاض بأصحابه دفتيه وهي تطفح - إلى ولد كسرى فما بلغ الماء إلى حزام الفرس وما ذهب للمسلمين شيء إلا أن قدحا وقع وأخذه رجل برمحه من الماء فعرفه صاحبه فأخذه ووجدوا قبابا مملوءة سلالا فيها آنية الذهب والفضة ووجدوا كافورا فظنوه ملحا فعجنوا به فوجدوا مرارته في الخبز فكان في بيوت أموال كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف ثلاث مرات

٤٢٨ ٥٢١ - وفي الحديث الأول من أفراد مسلم لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا يرجع إليهم لما كان المأخوذ على المتعبد في الصلاة أن يخشع والخشوع التذلل والتواضع ناسب هذا **الوعيد سوء الأدب**

". (١)

"اللغوي قال الديوان بالكسر والجمع دواوين قال الأصمعي أصله فارسي والديو هو الشيطان فأراد أنهم كتاب يشبهون الشياطين في نفاذهم ١٥ وقوله وأنا إليها أصعر أي أميل والصعر الميل ١٥ وطفقت ابتدأت في الفعل ١٥ وقوله حتى استمر بالناس الجد أي تتابع بهم الاجتهاد في السير والمبالغة فيه ١٥ وتفارط الغزو أي تقدم وتباعد وربما قرأه من لا معرفة له بالحديث فقال وتفارط العدو بالدال ١٥ وقوله يحزنني في يحزن لغتان فتح الياء وضمها يقال حزنني وأحزنني وأمر محزن وحازن ١٥ والأسوة القدوة والمغموص عليه المعيب المشار إليه بذلك ١٥ وقوله والنظر في عطفه العطف الجانب والمعنى مشغول بلذاته وعجبه في نفسه عن الجهاد ١٥ وأما رد معاذ على من اغتاب كعبا ففيه تنبيه على الرد على كل من يغتاب المسلمين ١٥ وقوله رأى رجلا مبيضا أي عليه ثياب بيض ١٥ والسراب هو الذي تراه نصف النهار كأنه ماء واللمز العيب

١٥ وفي اسم أبي خيثمة ثلاثة أقوال أحدها عبد الرحمن بن بيحان ويقال بيجان ويقال سيجان والثاني الحجاب والثالث الحباب ١٥ قوله قافلا أي راجعا ١٥ والبث أشد الحزن سمي بذلك لأن صاحبه لا يصبر حتى يبثه وأظل قادما قرب تقول أظلني الشيء إذا دنا منك وقد سمعت من يصحف هذا ويقول أطل

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/٢٩٤

بالطاء المهملة وقوله زاح عني الباطل أي ذهب عني ما كنت أزوره في نفسي من العذر الباطل فأجمعت صدقه أي أحكمت هذا وعزمت عليه قال المؤرج أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه وأنشد

يا ليت شعري والمنى لا تنفع

(

هل أغدون يوما وأمري مجمع

) ١٥ وأما بداية النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بالمسجد إذا قدم من سفره فمن أحسن الأدب فإن الأدب في تحايا الملوك تقديم الأهم على غيره فبدأ بخدمة الله عز وجل وشكره على السلامة ١٥ والمخلفون المتخلفون عن الغزوة

". (١)

"٦٢١ ٧٣٨ وفي الحديث السادس خطبنا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء – إن شاء الله – غدا

فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد أي لا يلتفت من سرعة السير لأجل بعد الماء ١٥ وابهار الليل انتصف وقد بينا هذا في مسند عمر ١٥ وقوله فدعمته أي أمسكته فكنت له كالدعامة ١٥ وقوله من غير أن أوقظه ينبه على التلطف وحسن الأدب وتهور الليل أي ذهب أكثره ١٥ وينجفل ينقلب ويسقط ١٥ وأما سيره بعد طلوع الشمس فقد ذكرنا في مسند عمران بن حصين أنه قال إن بهذا الوادي شيطانا وذلك لا يعلمه إلا نبي ولا يجوز لغيره تأخير الصلاة إذا انتبه ١٥ والميضأة ما يتوضأ منه والمطهرة ما يتطهر منه من الأواني ١٥ وقوله وضوءا دون وضوء كأنه يشير إلى الوضوء المجزي دون الكامل ١٥ والنبأ الخبر ١٥ وقد جاء في بعض الألفاظ من غير هذه الرواية قال له ازدهر بهذا الإناء بمعنى احتفظ به ولا تضيعه وأنشدوا

كما ازدهرت قينة بالشراع

لأسوارها عل منها اصطباحا

١٥ أي كما احتفظت بالأوتار المغنية والشراع الأوتار والواحدة شرعة وجمعها شرع وشرع ثم الشراع جمع الجمع والأسوار يقال بضم الألف وكسرها وهو الواحد من أساورة فارس وهم الفرسان وقد قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال الأسوار من أساورة الفرس أعجمي معرب وهو الرامي وقيل الفارس والأسوار لغة فيه يجمع على الأساور والأساورة قال الشاعر

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/٣٩٠

ووتر الأساور القياسا

صغدية تنتزع الأنفاسا

". (١)

"قال فخضب بعده أهل مكة وكان الحسن والحسين جميعا يخضبان بالوسمة وكان عثمان ابن عفان يخضب بالسواد فيما رواه ابن أبي مليكة وكذلك عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وعقبة بن عامر والمغيرة ابن شعبة وجرير بن عبد الله وعمرو بن العاص وهؤلاء كلهم صحابة ومن التابعين ومن بعدهم عمرو بن عثمان بن عفان وموسى

ابن طلحة وعلي بن عبد الله بن عباس السجاد أبو الخلفاء أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف وعبد الرحمن بن الأسود وإسماعيل بن معد يكرب والزهري وأيوب السختياني ومحارب بن دثار ويزيد الرشك والحجاج بن أرطأة وابن أبي ليلى وابن جريج ومحمد بن إسحاق وغيلان بن جامع القاضي ونافع بن جبير وهشام بن عبد الملك بن مروان وأبو جعفر المنصور وعبد الله بن المعتز وعمر بن علي بن المقدمي وأبو عبيد القاسم بن سلام وإبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه في آخرين كلهم كانوا يخضون بالسواد وقد ذكرت أخبار هؤلاء بالأسانيد في كتاب الشيب والخضاب))

١٦٥٣ ٢٠١٧ – وفي الحديث الثالث أن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فقالوا ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه فقال لا تدعون منه درهما)) الإشارة إلى العباس بن عبد المطلب فإنه خرج يوم بدر مع المشركين مكرها فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو فقالت الأنصار هذا وأرادوا بذلك أمرين أحدهما إكرام رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ والثاني لقرابة العباس منهم فإن هاشما كان قد تزوج امرأة من بني النجار فولدت له عبد المطلب فلذلك قالوا ابن أختنا وإنما قالوا ابن أختنا لتكون المنة عليهم في إطلاقه ولو قالوا عمك لكان منة عليه وهذا من قوة الذكاء **وحسن الأدب** في الخطاب وقد صحفه بعض قرأة الحديث لجهله بالنسب فقال ابن أخينا

". (٢)

"١٧٨٧ ٢٢٢١ – وفي الحديث الرابع والخمسين إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار)) قد سبق هذا الحديث في مسند أبي قتادة وبينا أن المراد بالتثبت **حسن الأدب** وذكرنا

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/٤٠٩

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/٨٥٣

هناك الخلاف فيما يدركه المأموم هل هو آخر صلاته أو أولها فأما قوله إذا ثوب بالصلاة)) فقال أبو سليمان المراد به ها هنا الإقامة وأصل التثويب رفع الصوت بالإعلام وأصل هذا أن يلوح الرجل بثوبه عند الفزع يعلم بذلك أصحابه فسمي رفع الصوت ها هنا تثويبا قال وقيل التثويب مأخوذ من ثاب الرجل بمعنى عاد إلى الشيء بعد ذهابه فقيل للمؤذن إذا قال الصلاة خير من النوم ثم عاد إليه مرة أخرى فقالها قد ثوب أي ردد القول مرة أخرى وكذلك قوله قد قامت الصلاة مرتين

١٧٨٨ ٢٢٢٢ – وفي الحديث الخامس والخمسين قام رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حين أنزل الله (وأنذر عشيرتك الأقربين) الشعراء ٢١٤ فقال يا

معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا)) العشيرة الرهط الأدنون وقد سبق هذا الحديث في مسند ابن عباس وهو ينهى عن اغترار القريب بقرابته من أهل الصلاح فإنه إنما فضل الصالح بصلاحه وإنما قال سلاني من مالي)) لأنه يملك ماله ولو ملك نجاة شخص لأنجى أمه وأباه وعمه وقوله سأبلها ببلالها)) قال أبو عبيد يقال بللت رحمي أبلها بلا وبلالا إذا وصلتها ونديتها بالصلة وإنما شبهت قطيعة الرحم بالحرارة تطفأ بالبرد كما قالوا سقيته شربة بردت بها عطشه قال الأعشى

أما لطالب نعمة تممتها

ووصال رحم قد بردت بلالها

قلت هكذا ضبطناه عن أشياخنا في كتاب أبي عبيد ببلالها)) بكسر الباء وقال الخطابي الباء مفتوحة من بله يبله كالملال من مله يمله

١٧٨٩ ٢٢٢٣ – وفي الحديث السادس والخمسين تفضل صلاة الجميع صلاة الرجل وحده بخمس وعشرين جزءا)) قد سبق في مسند ابن عمر بسبع وعشرين ولعل هذا التفاوت

." (١)

"قال ابن فارس وعلى هذا يجوز أن يكون الزوج قد استعير له اسم المرأة كما اشتركا في اللباس والزوج والعهر الزنا ومعنى قوله للعاهر الحجر)) أي لا حظ له في نسب الولد كما تقول له التراب أي لا شيء له

٢٠١٢ ٢٤٨٠ – وفي الحديث الثالث عشر بعد الثلاثمائة قضى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إذا تشاجروا في الطريق بسبعة أذرع تشاجروا واشتجروا بمعنى تنازعوا واختلفوا قال أبو سليمان ووجه هذا الحديث

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/٨٩٧

أن يكون هذا في الطريق الشارعة التي هي معبر الناس وقد يكون ذلك في الطريق الواسع من شوارع المسلمين يقعد في حافتيه قوم من الباعة يرتفقون بها فإن كان الشارع المتروك فيه للمارة سبعة أذرع لم يمنعوا من القعود فيه والإرتفاق به وإن كان ذلك

أقل منعوا لئلا تضيق الطريق على أهلها

٢٠١٣ ٢٤٨١ - وفي الحديث الرابع عشر بعد الثلاثمائة يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد)) قافية الرأس مؤخره وقفا كل شيء وقافيته آخره ومنه سمي آخر بيت الشعر قافية قال أبو عبيد فكأن معنى الحديث على قفا أحدكم ثلاث عقد للشيطان وقوله عليك ليل طويل)) أي يقول له ذلك ومتى ما انتبه الإنسان وقد أخذ حظا من نومه يكفيه فلا ينبغي له أن يتعلل عن القيام فإنه ربما أخذه النوم إلى الفجر وقد كان سفيان الثوري يقول إذا انتبهت لم أقل نفسي وكان آخر من العباد يقول إذا انتبهت ثم عدت أنام فلا أنام الله عيني

٢٠١٤ ٢٤٨٢ - وفي الحديث الخامس عشر بعد الثلاثمائة إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه)) هذا من **أحسن الأدب** وبه يطيب العيش فإن النفس تحب ألا يفوقها أحد في شيء فإذا نظرت إلى من قد فاقها انكسرت وربما

تسخطت ما هي فيه فإذا نظرت إلى من دونها عرفت قدر النعمة فشكرت وأجدر بمعنى أحق والازدراء الاحتقار وما أحسن ما قال بعض العرب

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن

". (١)

"٢١٣٢ ٢٦٥٩ - وفي الحديث الرابع والسبعين فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك)) فل ترخيم فلان وقوله ألم أسودك)) أي أجعلك سيدا والسيد الذي يفوق قومه فينقادون له وترأس تصير رئيسا وترتع قال الحميدي كأن الأصل ترتع بالتاء وأما أصحاب العربية وأهل اللغة فقالوا تربع بالباء تأخذ المرباع والمرباع ما كان يأخذه الرئيس من الغنيمة قال وترتع أيضا ممكن أي تتنعم وتنبسط فيما شئت قوله فإني أنساك)) أي أتركك من الرحمة وقوله للمؤمن ها هنا إذا)) أي أنه يرفعه ويكرمه

وقد سبق ما بعد هذا

٢١٣٣ ٢٦٦٣ - وفي الحديث الثامن والسبعين فتساورت لها أي ثرت وانزعجت وتطلعت وقوله فوقف

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/١٠٠٠

ولم يلتفت فصرخ برسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على ماذا أقاتل الناس هذا من **حسن الأدب** لئلا يرجع عن حاجة قد توجه إليها وما قضاها

٢١٣٤ ٢٦٦٧ - وفي الحديث الثاني والثمانين إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض)) أي مكنوها من المرعى وارفقوا بها في السير وإذا سافرتم في السنة)) يعني الجدب والشدة وعدم المرعى فبادروا بها نقيها)) والنقي السمن وقد عبروا بالنقي عن مخ العظام وشحم العين استدلالا على القوة والسمن والمعنى بادروا بها الخروج من تلك الشدة ما دام بها نقي وفيها قوة والتعريس نزول آخر الليل وقوله فاجتنبوا الطرق)) أي لا تنزلوا على الجواد

٢١٣٥ ٢٦٦٨ - وفي الحديث الثالث والثمانين لا تصحب

الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس)) أما الكلب فلنجاسته وأما الجرس فلأن صوته يشغل القلب فيذهله عن الفكر في الخبر وربما أطرب ولذلك سماها مزامير الشيطان))

". (١)

"٢٢٢٩ ٢٨٢٣ - وفي الحديث الثاني أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد الجهد المشقة والمراد ما لقوا من الجوع وقوله كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يجيء من الليل فيسلم فلا يوقظ نائما هذا من **أحسن الأدب** لأنه يسمع المنتبه ولا يزعج النائم وقد رأينا خلقا من جهلة المتزهدين يرفعون أصواتهم في الليل بالقراءة والتذكير إلى أن ينزعج النائم والنوم هو كالقوت للبدن فقطعه عن الإنسان يؤذيه والحفل جمع حافل وهي الشاة التي امتلأ ضرعها لبنا والمحفلة التي حفلت أي جمع اللبن في ضرعها ولم يحلب وقد سبق هذا في مسند ابن مسعود

والرغوة ما علا فوق الحلب وفيه ثلاث لغات ضم الراء وفتحها وكسرها وقوله إحدى سوآتك أي ما أضحكك إلا بعض ما يسوء ظهوره

(٩١) كشف المشكل من مسند بلال بن رباح

وهو اسم أبيه وهو مشتهر بالنسبة إلى أمه حمامة أسلم قديما فعذبه قومه وجعلوا يقولون له ربك اللات والعزى وهو يقول أحد أحد فأتى عليه أبو بكر فاشتراه بسبع أواق وقيل بخمس فأعتقه فشهد جميع المشاهد مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وهو أول من أذن وكان خازن الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على بيت ماله وجملة ما روى عن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أربعة وأربعون حديثا أخرج له منها في

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/١٠٢٨

الصحيحين أربعة

٢٢٣٠ ٢٨٢٥ - فمن المشكل في الحديث الأول وعند المكان الذي صلى فيه مرمرة حمراء المرمرة واحد المرمر وهو نوع من الرخام صلب والمجاف المغلق ومليا أي زمانا طويلا

٢٢٣١ ٢٨٢٨ - وفي أفراد مسلم

أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ مسح على الخفين والخمار أما المسح على الخفين فقد تقدم الكلام عليه في مسند علي عليه السلام وأما الخمار فما يغطى به الرأس والمسح على العمامة عندنا جائز وسيأتي ذكره في مسند عمرو بن أمية فهو أمس به

(٩٢)كشف المشكل من مسند أبي رافع

." (١)

" ٢٩ - (ائت حرثك) أي محل الحرث من حليلتك وهو قبلها إذ هو لك بمنزلة أرض تزرع قال الزمخشري : شبهن بالمحارث لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل وقوله ﴿ فأتوا حرثكم ﴾ معناه ائتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون حرثها ؟ قال : ومن المجاز كيف حرثك ؟ أي امرأتك قال :

إذا أكل الجراد حروث قوم . . . فحرثي همه أكل الجراد (أنى شئت) أي كيف ومتى وحيث شئت ومن أي جهة شئت لا يخطر عليك جهة دون جهة عمم جميع الكيفيات الموصلة إليه إيماء إلى تحريم مجاورة ما سوى محل البذر لما فيه من العبث بعدم المنفعة فوسع الأمر إزاحة للعلة في إتيان المحل المنهي عنه . وهذا من الكنايات اللطيفة والتعريضات البديعة قال الطيبي : وذلك أنه يبيح لهم أن يأتوهن من أي جهة شاؤا كالأراضي المملوكة وبذلك عرف سر تعبيره بأنى المفيدة لتعميم الأحوال والأمكنة والأزمنة . وما ذكر من أن الدبر حرام هو ما استقر عليه الحال وعليه الإجماع الآن في الجملة . وذهب شرذمة من السلف إلى حله تمسكا بأن هذا الحديث وما أشبهه من أحاديث باب ورد على سبب وهو كما في معجم الطبراني عن ابن عمر أن رجلا أصاب امرأته في دبرها فأنكر ذلك الناس فأنزل الله ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ الآية . قال الهيثمي : فيه يعقوب بن حميد وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله ثقات ثم هذا عام مخصوص بغير حال نحو حيض وصوم وإحرام (وأطعمها) بفتح الهمزة أي الزوجة المعلومة من مرجع الضمير المعبر عنه بالحرث (إذا طعمت) بتاء الخطاب وكذا قوله (واكسها) بوصل الهمزة وسكون الكاف وضم المهملة وكسرها (إذا اكتسيت) قال القاضي وبتاء التأنيث فيهما غلط . والكسوة بالكسر

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/١٠٥٦

اللباس والضم لغة يقال كسوته إذا ألبسته ثوبا . قال الحراني الكسوة رياش الآدمي الذي يستر ما ينبغي ستره من ذكر وأنثى وعبر " بإذا طعمت " إشارة إلى أنه يبدأ بنفسه للخبر الآتي : " ابدأ بنفسك ثم بمن تعول " وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وهو إجماع والواجب في النفقة عند الشافعي مدان على الموسر ومد ونصف على المتوسط ومد على المعسر حبا سليما من غالب قوت بلدها مع الأدم من غالب أدم البلد وفي الكسوة قميص وسروال وإزار وخمار ونعل ويزاد في الشتاء جبة أو أكثر بحسب الحاجة ومحل بسطه كتب الفقه وفيه ندب مؤاكلة الزوجة خلافا لما يفعله الأعاجم ترفعا وتكبرا وإنه إن أكل بحضرتها بعد دفع الواجب لها ينبغي أن يطعمها مما يأكل جبرا وإيناسا (ولا تقبح) بفوقية مضمومة وقاف مفتوحة وموحدة مشددة (الوجه) أي لا تقل إنه قبيح . ذكره الزمخشري : وقال القاضي : عبر بالوجه عن الذات فالنهي عن الأقوال والأفعال القبيحة في الوجه وغيره من ذاتها وصفاتها فشمل نحو لعن وشتم وهجر وسوء عشرة وغير ذلك (ولا تضرب) ضربا مبرحا مطلقا ولا غير مبرح لغير نشوز . وقال الحراني : وفيه إشارة بما يجري في أثناء ذلك من الأحكام التي لا تصل إليها أحكام حكام الأنام مما لا يقع الفصل فيه إلا يوم القيام من حيث إن ما يجري بين الزوجين سر لا يفشى وفي إشعاره إبقاء للمروءة في الوصية بالزوجة بحيث لا يحتكم الزوجان عند حاكم في الدنيا وفيه تهديد على ما يقع في البواطن من المضارة والمضاجرة بين الزوجين في أمور لا تأخذها الأحكام ولا يصل [ص ٦٧] إلى علمها الحكام وفيه أنه يحرم ضرب الزوجة إلا النشوز فإذا تحققه فله ضربها ضربا غير مبرح ولا مدم فإن لم تنزجر به حرم المبرح وغيره وترك الضرب مطلقا أولى . وقضية صنيع المؤلف أن مخرجه أبا داود رواه هكذا من غير زيادة ولا نقص ولا كذلك بل لفظه : " قال - أي معاوية بن حيدة - نساؤنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال : هي حرثك فأت حرثك أنى شئت غير أن لا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في المبيت وأطعمها إذا طعمت واكسها إذا اكتسيت كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض إلا بما حل عليها " أي جاز وفيه **حسن الأدب** في السؤال والتعظيم بالكناية عما يستحيا من ذكره صريحا والسعي فيما يديم العشرة ويطيب النفس

(د عن) أبي عبد الملك (بهز) بفتح الموحدة وسكون الهاء وزاي معجمة (ابن حكيم) بفتح المهملة وكسر الكاف ابن معاوية (عن أبيه عن جده) معاوية بن حيدة الصحابي القشيري من أهل البصرة : " قال قلنا يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها وما نذر ؟ فذكره وبهمز أورده الذهبي في الضعفاء وقال

صدوق فيه لين وفي اللسان ضعيف وحكيم قال في التقريب صدوق وسئل ابن معين عن بهز عن أبيه عن جده فقال : إسناد صحيح إذا كان من دون بهز ثقة ولذلك رمز المصنف لحسنه ." [1]

" ١٥٣ - (اتقوا محاش النساء) بفتح الميم وحاء مهملة وشين معجمة مشددة ويقال بمهملة وهما روايتان كما نبه عليه الشهاب الحجازي وغيره يعني إتيانهن في أدبارهن جمع محشة أو محشاة اسم لأسفل مواضع الطعام من الأمعاء كنى به عن الدبر كما كنى بالحشوش عن الغائط وفي المجيء به هكذا على منهج الرمز باب من **حسن الأدب** وتحاش عن التفوه بالعظيمة والنهي للتحريم فيحرم إتيان الحليلة في دبرها كما سبق ولاحد لكنه ينهى فإن عاد عزر في الثالثة وما رواه الحاكم عن مالك في قوله الآن فعلته بأم ولدي وفعله نافع وابن عمر وفيه نزل ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ فتعقبوه بأنه كذب عليه لكن رده الحافظ ابن حجر في اللسان فقال أصله في سبب النزول مروي عن ابن عمرو عن نافع وعن مالك من طرق عدة صحيحة بعضها في البخاري (سموية) في فوائده

(عد) وكذا أبو نعيم والديلمي (عن جابر) بن عبد الله وفيه علي بن أبي علي الهاشمي اللهبي المدني قال في الميزان عن أبي حاتم والنسائي متروك وعن أحمد له مناكير ثم أورد منها هذا الخبر وفيه أيضا ابن أبي فديك ." [2]

" ٢٦٧ - (احفظوني في أصحابي) أي راعوا حرمتي وارقبوني فيهم واقدروهم حق قدرهم وكفوا ألسنتكم عن غمطهم أو الوقيعة فيهم بلوم أو تعنيف لبذلهم نفوسهم وإطراحها بين يدي الله تعالى في الحروب وقتالهم القريب والبعيد في ذات الله وبذلهم أموالهم وخروجهم من ديارهم وصبرهم على البلاء والجهد الذي لا يطيقه غيرهم وليس ذلك إلا عن أمر عظيم ملك البواطن وصرفها على حكم محبة الله ومحبة رسوله فاستوجبوا بذلك الرعاية وكمال العناية والإضافة للتشريف (وأصهاري) جمع صهر وهو ما كان من خلطة تشبه القرابة يحدثها التزويج . قال الزمخشري : فلان صهر فلان لمن يتزوج بنته وقد يقال لأهل بيت الزوجين معا أصهار انتهى وقال ابن السكيت : من كان من قبل الزوج أحماء ومن قبل المرأة أختان ويجمع الصنفين الأصهار والمتعارف من أصهاره آباء زوجاته كالعمرين وأزواج بناته كعلي وعثمان وأقارب زوجاته (فمن حفظني فيهم) أي راعاني فيهم بإكرامهم **وحسن الأدب** معهم (حفظه الله) دعاء أو خبر (في الدنيا والآخرة) أي منعه من كل ضر وضير فيهما . قال الراغب : يعبر بالدار الآخرة عن

---

(١) فيض القدير، ١/٦٦

(٢) فيض القدير، ١/١٤٤

النشأة الثانية كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى وربما ترك ذكر الدار كما هنا وقد توصف الدار بالآخرة تارة وتضاف إليها تارة نحو ﴿ وللدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ تقديره دار الحياة الآخرة (ومن لم يحفظني فيهم) بما ذكر (تخلى الله) أي أعرض (عنه) وتركه في غيه يتردد وهذا أيضا يحتمل الدعاء والخبر وأيما كان فيا لها من شقاوة كيف (ومن تخلى الله عنه أوشك) أي أسرع وفي نسخ يوشك وهو تحريف من النساخ فإن الأول هو كما في مسودة المؤلف بخطه (أن يأخذه) أخذ عزيز مقتدر وهذا وعيد شديد لمن لم يحفظه فيهم وتحذير بليغ من تعجيل العقوبة له وأن ذلك من أفظع الكبائر وأشنع الجرائم قال الحافظ الزرندي لم يكن من العلماء المجتهدين والأئمة المهتدين إلا وله في ولاية أهل البيت الحظ الوافر والفخر الزاهر كما أخبر الله بقوله ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾

(طب وأبو نعيم في) كتاب (المعرفة) أي معرفة الصحابة (وابن عساكر) في تاريخه وكذا الديلمي (عن عياض) بكسر أوله ومثناة تحت مخففة فمعجمة (الأنصاري) له صحبة قال الهيتمي وفيه ضعفاء وقد وثقوا وقال شيخه العراقي سنده ضعيف ." (١)

" ٣١٠ - (أدبني ربي) أي علمني رياضة النفس ومحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة والأدب ما يحصل للنفس من الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة وفي شرح النوابغ هو ما يؤدي بالناس إلى المحامد أي يدعوهم (فأحسن تأديبي) بإفضاله علي بالعلوم الكسبية والوهبية بما لم يقع نظيره لأحد من البشر . قال بعضهم : أدبه بآداب العبودية وهذبه بمكارم أخلاق الربوبية ولما أراد إرساله ليكون ظاهر عبوديته مرآة للعالم كقوله صلوا كما رأيتموني أصلي وباطن حاله مرآة للصادقين في متابعته وللصديقين في السير إليه ﴿ فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وقال القرطبي : حفظه الله من صغره وتولى تأديبه بنفسه ولم يكله في شيء من ذلك لغيره ولم يزل الله يفعل به حتى كره إليه أحوال الجاهلية وحماه منها فلم يجر عليه شيء منها كل ذلك لطف به وعطف عليه وجمع للمحاسن لديه انتهى . وفي هذا من تعظيم شأن الأدب ما لا يخفى ومن ثم قالوا : الأدب صورة العقل فصور عقلك كيف شئت وقالوا : الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب لأن من ساء أدبه ضاع نسبه ومن ضل عقله ضل أصله وقالوا : زك قلبك بالأدب كما تزكي النار بالحطب وحسن الأدب يستر قبيح النسب . وقال في العوارف : بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصلح العمل وبالعمل تنال الحكمة ولما ورد أبو حفص النيسابوري العراق جاءه الجنيد فرأى أصحابه وقوفا على رأسه يأتمرون بأمره فقال : أدبت أصحابك آداب الملوك . قال : لا [ص ٢٢٥] ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان

---

(١) فيض القدير، ١٩٧/١

حسن الأدب في الباطن . وقال العارف ابن سلام : مددت رجلي تجاه الكعبة فجاءتني امرأة من العارفات فقالت : إنك من أهل العلم لا تجالسه إلا بالأدب وإلا محى اسمك من ديوان القرب . وقال السقطي : مددت رجلي ليلة في المحراب فنوديت ما هكذا تجالس الملوك فقلت : وعزتك لا مددتها أبدا فلم يمدها ليلا ولا نهارا . قال في العوارف : وكل الآداب متلقي ات عن المصطفى صلى الله عليه و سلم فإنه مجمعها ظاهرا وباطنا وذكر البرهان البقاعي أنه سأله بعض العجم أن يقرأ عليه فأذن فجلس متربعا فامتنع من إقرائه وقال : أنت أحوج إلى الأدب منك إلى العلم الذي جئت تطلبه وحكى عن الشمس الجوهري أنه لما شرع في الاشتغال بالعلم طاف على أكابر علماء بلده فلم يعجبه منهم أحد لحدة فهمه حتى إذا جاء شيخ الإسلام يحيى المناوي فجلس بين يديه وفي ظنه أنه يلحقه بمن تقدم فشرع في القراءة فتأمل الشيخ فوجد أصبعا من أصابع رجله مكشوفا فانتهره وقال له بحال أنت قليل الأدب لا يجئ منك في الطلب غط أصبعك واستعمل الأدب فحم لوقته وزال عنه ما كان يجده من الاستخفاف بالناس ولزم دروسه حتى صار رأسا عظيما في العلم . وقال بعضهم : قد أدب الله تعالى روح نبيه صلى الله عليه و سلم ورباها في محل القرب قبل اتصالها ببدنه الظاهر باللطف والهبة فتكامل له الإنس باللطف والأدب بالرهيبة واتصلت بعد ذلك بالبدن ليخرج باتصالها كمالات أخرى من القوة إلى الفعل وينال كل من الروح والبدن بواسطة الأخرى من الكمال ما يليق بالحال ويصير قدوة لأهل الكمال والأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا وقيل : الأخذ بمكارم الأخلاق وقيل الوقوف مع المستحسنات وقيل تعظيم من فوقه مع الرفق بمن دونه وقيل : غير ذلك . قال الحراني : والربوبية إقامة المربوب لما خلق وأريد له فرب كل شيء مقيمه بحسب ما أبداه وجوده فرب المؤمن ربه وباه للإيمان ورب الكافر ربه ورباه للكفران ورب محمد صلى الله عليه و سلم ربه ورباه للحمد ورب العالمين رب كل عالم لما خلق له ﴿ أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ فالربوبية بيان في كل رتبة بحسب ما أظهرته آية مربوبه من عرف نفسه فقد عرف ربه

(ابن السمعاني) الإمام أبو سعد (في) كتاب (أدب الإملاء) أي إملاء الحديث من جهة صفوان بن مفلس الحنطي عن محمد بن عبد الله عن سفيان الثوري عن الأعمش (عن ابن مسعود) قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله أدبني فأحسن أدبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ هذا سياق رواية السمعاني بحروفه فتصرف فيه المؤلف كما ترى . قال الزركشي : حديث أدبني ربي فأحسن تأديبي معناه صحيح لكنه لم يأت من طريق صحيح وذكره ابن الجوزي في الواهيات عن علي في ذيل حديث وضعفه وأسنده سبطه في مرآة الزمان وأخرجه بطرق كلها

تدور على السدي عن ابن عمارة الجواني عن علي وفيه فقال يا رسول الله إنك تكلم الوفود بكلام أو لسان لا نفهم أكثره فقال إن الله أدبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد فقال له عمر يا رسول الله كلنا من العرب فما بالك أفصحنا فقال : أتاني جبرئيل بلغة إسماعيل وغيرها من اللغات فعلمني إياها وصححه أبو الفضل بن ناصر قال المؤلف وأخرج العسكري عن علي قال قدم بنو فهد بن زبد على المصطفى صلى الله عليه و سلم فقالوا : أتيناك من غور تهامة وذكر خطيبهم وما أجابهم المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال : فقلت يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وإنك تكلم العرب بلسان لا نفهم أكثره فقال : أدبني ربي إلى آخره وأخرج ابن عساكر أن أبا بكر قال : يا رسول الله طفت في العرب وسمعت كلام فصائحهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك قال : أدبني ربي ونشأت في بني سعد قال : وإسناده ضعيف وقال السخاوي : ضعيف وإن اقتصر شيخنا يعني ابن حجر على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه . وقال ابن تيمية : لا يعرف له سند ثابت ." (١)

" [ص ٢٩٤] ٤٧١ - (إذا أقيمت الصلاة) أي إذا نادى المؤذن بالإقامة فأقيم المسبب مقام السبب ذكره الطيبي . ونبه بالإقامة على ما سواها لأنه إذا نهى عن إتيانها سعيا حال الإقامة مع خوف فوت بعضها فقبل الإقامة أولى (فلا تأتوها وأنتم تسعون) تهرولون وإن خفتم فوت التكبير أو التبكير فإنكم في حكم المصلين المخاطبين بالخشوع والخضوع فالقصد من الصلاة حاصل لكم وإن لم تدركوا منها شيئا والنهي للكراهة وأما قوله تعالى ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ فليس المراد به الاسراع بل الذهاب أو هو بمعنى العمل والقصد كما تقول سعيت في أمري . قال الطيبي : وقوله وأنتم تسعون حال من ضمير الفاعل وهو أبلغ في النهي من لا تسعوا وذلك لأنه مناف لما هو أولى به من الوقار والأدب ثم عقبه بما ينبه على حسن الأدب بقوله (وائتوها) في رواية ولكن ائتوها (وأنتم تمشون) بهينة لقوله تعالى ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾ ثم ذيل المفهومين بقوله (وعليكم السكينة) أي الزموا السكينة في جميع أموركم سيما في الوفود على رب العزة فالزموا الوقار في الهيئة بغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات والعبث . والسكينة فعيلة من السكون وذكر الصغاني في الذيل أنها بكسر السين وهي على المشهور في الرواية كما في شرح الترمذي للعراقي بالرفع جملة حالية أو السكينة مبتدأ وعليكم خبره وفي رواية بالنصب إغراء واكتفى بالسكينة ولم يذكر الوقار للزومه لها أو هي هو فجمعه بينهما في رواية البخاري تأكيد نعم فرق بعض الأعاظم بينهما بأن السكينة التأني في الحركات والوقار التأني في الهيئة وخفض الصوت وفي

---

(١) فيض القدير، ٢٢٤/١

رواية للبخاري بالسكينة واعترض بتعديه بنفسه في عليكم أنفسكم ومنعه الرضي بأن أسماء الأفعال وإن كان حكمها في التعدي واللزوم حكم الأفعال التي بمعناها لكن كثيرا ما تزاد الباء في مدخولها نحو عليك به لضعفها عن العمل (فما) أي فإذا فعلتم ما أمرتم به من السكينة فما (أدركتم) مع الإمام من الصلاة (فصلوا) معه (وما فاتكم) منها (فأتموا) وقد حصلت لكم فضيلة الجماعة بالجزء المدرك وإن قل فقوله فأتموا أي فأكملوه وحدكم وفي رواية بدل فأتموا فاقضوا واستدل به الحنفية على أن ما أدركه المسبوق آخر صلاته فيجهر في الركعتين الأخيرتين ويقرأ السورة مع الفاتحة وبالأول الشافعية على أنه أولها فلا يجهر لكن يقضي السورة لأن الإتمام يستلزم سبق أول وأجابوا بأن القضاء يرد بمعنى الأداء فيحمل عليه جمعا بينهما ولهذا قال في تنقيح التحقيق : الصواب لا فرق بين اللفظين لأن القضاء هو الإتمام في عرف الشرع ﴿ فإذا قضيتم مناسككم ﴾ ﴿ فإذا قضيتم الصلاة ﴾ وفيه أنه يندب لقاصد الجماعة المشي إليها بسكينة ووقار وإن خاف فوت التحريم وأن لا يعبث في طريقه إليها ولا يتعاطى ما لا يليق بها لخبر مسلم : إن أحدكم في صلاة ما دام يعمد إلى الصلاة

(حم ق ٤ عن أبي هريرة) وزاد مسلم فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة قال ابن حجر له طرق كثيرة وألفاظ متقاربة ." (١)

" ١٦٧٣ - (إن الله تعالى إذا أحب عبدا) أي رضي عنه وأراد به خيرا وهداه ووفقه (دعا جبريل) أي أذن له في القرب من حضرته (فقال) له (إني أحب فلانا فأحببه) أنت يا جبريل وهو بهمزة قطع مفتوحة فحاء مهملة ساكنة على الفك (فيحبه جبريل) فالضمير في نادى إلى الله تعالى يعني إذا أراد الله تعالى إظهار محبة عبد يعلمها أولا (ثم ينادي) أي جبريل (في السماء) أي في أهلها (فيقول إن الله) وفي رواية بدون يقول وعليها هو بكسر الهمزة على إضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين على أن في النداء معنى القول (يحب فلانا فأحبوه) بتشديد الموحدة أنتم (فيحبه أهل السماء) أي الملائكة (ثم يوضع له القبول في) أهل (الأرض) أي يحدث له في القلوب مودة ويزرع له فيها مهابة فتحبه القلوب وترضى عنه النفوس من غير تودد منه ولا تعرض للأسباب التي تكتسب لها مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لأوليائه بكرامة خاصة كما يقذف في قلوب أعدائه الرعب والهيبة إعظاما لهم وإجلالا لمكانهم ذكره الزمخشري . قال بعضهم : وفائدة ذلك أن يستغفر له أهل السماء والأرض وينشأ عندهم هيبة وإعزازهم له ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ قال العارف ابن

---

(١) فيض القدير، ١/٢٩٤

عربي رضي الله تعالى عنه : وإذا وقع النداء بمحبته قبلته جميع البواطن وإن أنكرته الظواهر من بعض الناس فلأغراض قامت بهم وهم في هذا كسجودهم لله كل من في العالم ساجد وكثير من الناس ما قال كلهم وهكذا حال هذا العبد تحبه بقاع الأرض كلها وجميع ما فيها وكثير من الناس على أصلهم في السجود لله تعالى وفي تاريخ الخطيب في ترجمة خير النساج عنه إذا أحبك ذلك وعافاك وإذا أحببته أتعبك وأبلاك . قال ابن الأثير : والقبول بفتح القاف المحبة والرضى بالشيء وميل النفس إليه . قال الغزالي رضي الله تعالى عنه : لا تستبعد رضى الله عن العبد مما يغضب به على غيره ألا ترى إلى قول موسى عليه [ص ٢٠٥] الصلاة والسلام ﴿ إن هي إلا فتنتك ﴾ ﴿ ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون ﴾ وهذا من غير موسى عليه السلام **من سوء الأدب** لكن من أقيم مقام الأنس يتلاطف ويحتمل ولم يحتمل من يونس عليه الصلاة و السلام ما دون ذلك لكونه أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بما عوقب به وذلك الاختلاف إما لاختلاف المقامات أو لما سبق في الأزل من التفاضل . وانظر كيف احتمل إخوة يوسف عليه السلام ما فعلوه بيوسف عليه السلام ولم يحتمل للعزيز كلمة واحدة سأل عنها في القدر وكان بلعم بن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين فعفى عنه أوحى الله إلى سليمان عليه الصلاة و السلام يا رأس العابدين ويا محجة الزاهدين إلى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عنه لئن أخذته لأتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فخرج آصف حتى علا كثيبا ثم رفع رأسه وقال إلهي وسيدي أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تتب علي وكيف أعتصم إن لم تعصمني فأوحى الله إليه صدقت يا آصف قد تبت عليك وأنا التواب الرحيم . قال الغزالي رضي الله عنه : هذا كلام مدل به عليه وهارب منه إليه فهذه سنة الله في عباده بالتقديم والتأخير على ما سبقت به المشيئة الأزلية (وإذا أبغض عبدا) أي أراد به شرا أو أبعده عن الهداية (دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل) يحتمل أن يريد عدم استغفاره له وعدم دعائه له ويحتمل إرادة المعنى الحقيقي وهو عدم الميل القلبي والنفرة منه (ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض) أي فيبغضه أهل الأرض جميعا فلا تميل إليه قلوبهم بل تميل عنه وينظرون إليه بعين النقص والإزراء وتسقط مهابته من النفوس وإعزازه من الصدور من غير صدور إيذاء منه لهم ولا جناية عليهم . وقيل : إن بغضه يلقى في الماء فلا يشربه أحد إلا أبغضه (١)

[(١)] قال في الحكم : إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق العمل فيك ونسبه إليك لا نهاية لمذامك إذا أرجعك إليك ولا تفرغ مدابحك إن أظهر جوده عليك لو أنك لا تصل غليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه

(م) في الأدب (عن أبي هريرة) زاد الطبراني ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم ﴿ سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ ورواه البخاري بدون ذكر البغضاء

---

(١) قال العلماء محبة الله لعبده إرادته الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته وبغضه إرادته عقابه وشقاوته ونحوه وجب جبريل والملائكة يحتمل وجهين أحدهما استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم له والثاني أنه على ظاهره المعروف من الخلق وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلى لقائه وسبب ذلك كونه مطيعا لله محبوبا له ومعنى يوضع له القبول في الأرض أي الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه ." [(٢)]

" [ص ٤١٦] ٢١٨٠ - (إن أحدكم إذا قام يصلي) فرضا أو نفلا (إنما) وفي رواية بدله فإنه (يناجي ربه) أي يخاطبه ويساره ومناجاته لربه من جهة إتيانه بالذكر والقراءة ومناجاة ربه له من جهة لازم ذلك وهو إرادة الخير مجازا (فلينظر كيف يناجيه) أي فليتأمل في جواب ما يناجيه من القول على سبيل التعظيم والتبجيل ومواطأة القلب اللسان والإقبال على الله تعالى بشراشره والإخلاص في عبادته وتفريغ القلب للذكر والتلاوة والتدبر فلا يليق لعاقل أن يتلقى شكر هذه النعمة الخطيرة السنية التي هي مناجاة هاتيك الحضرة العلية بشغل القلب بشيء من الدنيا الدنية قال الطيبي : وقوله إنما يناجي ربه تعليل للنهي شبه العبد وتوجهه إلى الله تعالى في الصلاة وما فيها من القراءة والأذكار وكشف الأسرار واستنزال الرحمة مع الخشوع والخضوع بمن يناجي مولاه ومالكه فمن شرائط **حسن الأدب** أن يقف محاذيه ويطرق رأسه ولا يمد بصره إليه ويراعي جهة إمامه حتى لا يصدر منه في تلك الجهات شيء وإن كان الله تعالى منزها عن الجهات لأن الآداب الظاهرة والباطنة مرتبط بعضها ببعض وفيه حث على إخلاص القلب وحضوره وتفريغه لما في صلاته من ذكر وغيره وإن الصلاة أفضل الأعمال لأن المناجاة لا تحصل إلا فيها

---

(١) تنبيه

(٢) فيض القدير، ٢/٢٠٤

(ك عن أبي هريرة) ورواه أحمد والنسائي والبيهقي بلفظ إن المصلي يناجي ربه فلينظر ما يناجيه به ". (١)

" ٢٢٦٣ - (إن حسن الظن بالله) أي بأن يظن أن الله يغفر له ويعفو عنه (من حسن عبادة الله) تعالى أي حسن ظنه به من جملة حسن عبادته فيظن أنه يعطف على ضعفه وفقره ويكشف ضره ويغفر ذنبه بجميل صفحه فيعلق آماله به لا بغيره ويحتمل أن معنى من حسن العبادة أنه كلما **أحسن الأدب** في عبادة ربه حسن ظنه بأنه يقبلها وكل ما شاهد توفيقه لفعلها حسن ظنه في عفوه عن زللها ومن لا يحسن أدبه في خدمة ربه يتوهم أنه يحسن الظن وهو مغرور ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ فيراه يأتي بصورة عبادة بغير أدب ويؤمل القبول ويسيء الظن بسيده في ضمان رزقه فيحرص عليه ويأخذه من غير حله ويسيء الظن به في الشدائد فيفزع إلى غيره ويسيء الظن به في الخلق فلا ينفق في طاعته ويحقق ظن عدوه وشيطانه فيستجيب له في بخله فهو مطلوب محبوب لكن مع ملاحظة مقام الخوف فيكون باعث الرجاء والخوف في قرن أي إن لم يغلب القنوط وإلا فالرجاء أولى ولا أمن من المكر وإلا فالخوف أولى ثم هذا كله في الصحيح أما المريض لا سيما المحتضر فالأولى في حقه الرجاء

(حم ت ك) في التوبة (عن أبي هريرة) قال الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي عليه ." (٢)

" ٢٤٨٩ - (إن من حق الولد على والده) ومثله الجد أو الأب عند فقده فإن فقد فالأم وإن علت (أن يعلمه الكتابة) أي الخط لأنه عون له على الدنيا والدين وكذا يعلمه القراءة والآداب وكل ما يضطر إلى معرفته من الأمور الضرورية (وأن يحسن اسمه) بأن يسميه بأحب الأسماء إلى الله تعالى أو بنحو ذلك ولا يسميه باسم شيء من أسماء الشياطين ونحوها مما نهى عنه (وأن يزوجه) أو يسريه (إذا بلغ) الحلم فإنه بالتزويج أو التسري يحفظ عليه شطر دينه كما سيجيء في خبر وفيه إشارة إلى أن على الآباء تعليم أبنائهم **حسن الأدب** الذي شرع الشرع والعقل فضله واتفقت الكلمة على شكر أهله وأجرة تعليمه الكتابة ونحوها من ماله ثم على أبيه وإن علا ثم أمه وإن علت (ابن النجار) في التاريخ (عن أبي هريرة) بإسناد ضعيف لكن له شاهد ." (٣)

---

(١) فيض القدير، ٤١٦/٢

(٢) فيض القدير، ٤٤٦/٢

(٣) فيض القدير، ٥٣٨/٢

" ٣٣٨١ - (تواضعوا لمن تعلمون منه) العلم أو غيره قال الماوردي : اعلم أن للمتعلم في زمن تعلمه ملقا وتذللا إن استعملهما غنم وإن تركهما حرم لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب لإدامة صبره وبإظهار مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الإكثار قال الحكماء : من لم يحتمل ذل العلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا وقالوا : إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب قعدت وأنت كبير حيث لا تحب قال :

إن المعلم والطبيب كلاهما . . . لا ينصحان إذا هما لم يكرما

فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه . . . واصبر لجهلك إن جفوت معلما

ولا يمنعه من ذلك علو منزلته وإن كان العالم خاملا فإن العلماء بعلمهم استحقوا التعظيم لا بالشهرة والمال وربما وجد الطالب قوة في نفسه لجودة ذكائه وحدة خاطره فترفع على معلمه ورماه بالإعنات والاعتراض فيكون كمن جاء فيه المثل السائر

أعلمه الرماية كل يوم . . . فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي . . . فلما قال قافية هجاني

وهذا من مصائب العلماء وانعكاس حظوظهم أن يصيروا عند من علموه مستجهلين ولدى من قدموه مرذولين وقد رجح كثير حق الشيخ على حق الوالد (١) . (تنبيه ﴾ قال العارف ابن عربي : حرمة الحق في حرمة الشيخ وعقوقه في [ص ٢٧٤] عقوقه والمشايخ حجاب الحق الحافظون أحوال القلوب فمن صحب شيخا ممن يقتدى به ولم يحترمه فعقوبته فقدان وجود الحق في قلبه والغفلة عن الله وسوء الأدب عليه بأن يدخل عليه في كلامه ويزاحمه في رتبته فإن وجود الحق إنما هو للأدباء ولا حرمان أعظم على المريد من عدم احترام الشيخ ومن قعد معهم في مجالسهم وخالفهم فيما يتحققون به من أحوالهم نزع الله نور الإيمان من قلبه فالجلوس معهم خطر وجليسهم على خطر (تنبيه آخر) قال الغزالي : إن قيل هل يحصل العلم الذي تعلمه فرض ينظر الإنسان من غير معلم فاعلم أن الأستاذ فاتح وسهل والتحصيل معه أسهل وأروح والله تعالى بفضله يمن على من يشاء من عباده فيكون هو معلمهم (وتواضعوا لمن تعلمون) (٢) بخفض الجناح والملاطفة (ولا تكونوا جبابرة العلماء) تمامه كما في مسند الفردوس فيغلب جهلكم علمكم انتهى قال تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ وإذا شرع التواضع لمطلق الناس فكيف بمن له حق الصحبة وحرمة التودد وصدق المحبة وشرف الطلب وهم أولاده وينبغي أن يخاطب كلا منهم سيما الفاضل بكنية ونحوها من أحب الأسماء إليه وما فيه تعظيمه وتوقيره وتبجيله

(١) لما أراد الخليفة الرشيد أن يقرأ على مالك الموطأ قعد بجانبه وأمر وزيره أن يقرأ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين هذا العلم لا يؤخذ إلا بالتواضع وقد جاء في الخبر تواضعوا لمن تعلمون منه فقام الخليفة وجلس بين يديه مع أن الخليفة في الفضل بحيث يعلم موضعه ولأجل ما عنده من فضيلة العلم انقاد إلى الأدب والتواضع ولم يزده ذلك إلا رفعة وهيبة بل ارتفع قدره بذلك حتى أثنى به عليه على مر الزمان . (غريبة) روي أن شيخ الشيخ خليل المالكي صاحب المختصر المشهور احتاج إلى إزاحة كنيف فراح يطلب السراباتي فجاء شيخ خليل في غيبته فتجرد ونزل الكنيف يعمل فيه فجاء الشيخ فوجده يعمل فرفع يده وابتهل في صلاح باطنه وشيوع علمه جزاء لما صنعه فأنجب حالا فسارت به الركبان إلى الآن وفي نشر الروض لليافعي رحمه الله تعالى أن أبا الغيث بن جميل أمره شيخه ابن مفلح رضي الله عنه بخدمة نسائه وعادتهم لا يخدمهن إلا من انتهى في السلوك لأن رضاهن لا يحمله إلا من له سعة باطن فكان إذا فرغ من خدمتهن يجد فقيرا يعطيه رغيفا وحلوى فسأله ابن مفلح رضي الله تعالى عنه يوما : ما هذا فأخبره فقال : إنه الخضر عليه السلام فإن كان شيخك رح إليه وإن كنت شيخك فلا تأخذ منه فجاءه فأعطاه فرده فقال له الخضر عليه السلام : تفلح يا أبا الغيث بامتثال أمر شيخك وقال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما : ما جلست مجلسا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم وما جلست قط مجلسا أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح

(خط في الجامع عن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه قال الذهبي : رفعه لا يصح وروى من قول عمر هو الصحيح انتهى

---

(١) قيل للإسكندر إنك لتعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك قال : لأن أبي سبب لحياتي الفانية وهو سبب حياتي الباقية وقيل لأبي منصور المغربي : كيف صحبت أبا عثمان قال : خدعته لا صحبته وقال بعضهم : من لم يعلم حرمة من تأدب به حرم بركته ومن قال لشيخه لا : لا يفلح أبدا

(٢) ومن التواضع المتعين على العالم أن لا يدعى وقد قيل لسان الدعوى إذا نطق أخرسه الإمتحان وقال شاعر :

ومن البلوى التي . . . ليس لها في العلم كنه

---

(١) تنبيه

أن من يحسن شيئا . . . يدعي أكثر منه ." (١)

" ٤٤٤٦ - (رحمة الله علينا وعلى موسى) هذا من **حسن الأدب** نحو ﴿ عفا الله عنك ﴾ تمهيدا لدفع ما يوحش من نسبة العجلة وعدم التأني إليه (لو صبر) بمعنى تصبر عن المبادرة بالسؤال للخضر عن إتلاف المال وقتل نفس لم تبلغ وترك الاستخبار عن ذلك حتى يكون هو الذي يخبره كما شرط ذلك عليه بقوله ﴿ فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ (لرأى من صاحبه) الخضر (العجب) تمامه عند النسائي ولكنه قال ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ﴾ انتهى . فبتركه الوفاء بالشرط حرم بركة صحبته واستفادة العلم من جهته (١) قالوا : وقد أدب الله العلماء بنفسه حيث لم يرد العلم إلى الله بنفسه لما سئل هل في الأرض أعلم منك قال المرسي : كنت في البحر وانفتح المركب واشتد الريح فانفتحت السماء ونزل ملكان أحدهما يقول موسى أعلم من الخضر والآخر يقول الخضر أعلم فنزل ملك آخر فقال : والله ما علم الخضر في علم موسى إلا كعلم الهدهد في علم سليمان قال ابن حجر : هذا الحديث مما استدل به من زعم أنه لم يكن الخضر حالة هذه المقالة موجودا إذ لو كان لأمكنه أن يصحبه بعض أكابر الصحابة فيرى منه نحوا مما رأى موسى وأجاب من ادعى بقاءه بأن التمني إنما كان يقع بينه وبين موسى وغير موسى لا يقوم مقامه قال ابن عطاء الله : وبقاء الخضر إلى الآن أجمع عليه هذه الطائفة وتواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه والأخذ عنه واشتهر إلى أن بلغ حد التواتر الذي لا يمكن جحده وفيه من آداب الدعاء أنه يبدأ بنفسه وفضل العلم والأدب مع العالم وحرمة المشايخ وترك اعتراض الكبير على كبير ولو دونه في الرتبة ولا يبدره بالإنكار بل يصبر حتى يكشف له القناع وأن على المتعلم تقليد معلمه حتى فيما خالف رأيه فإن خطأ مرشده أنفع من صوابه في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب أحيانا بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل معه صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له بالطب وقال بعضهم : هذا أصل عظيم في وجوب التسليم في كل ما جاء به الشرع وإن لم تظهر حكمته للعقول

(د ن ك) في كتاب الأنبياء (عن أبي) بن كعب (زاد الباوردي " العجاب ") قال الحاكم : على شرطهما وأقره الذهبي وهذا الحديث رواه الشيخان في قصة حديث الخضر وموسى بلفظ يرحم الله موسى لوددت أن لو كان صبر حتى يقص علينا من أخبارها

---

(١) فيض القدير، ٢٧٣/٣

ولا دلالة فيه على تفضيل الخضر عليه فقد يكون في المفضول ما لا يوجد في الفاضل ." [١]

" ٤٧٢٣ - (سوء المجالسة (١) شح وفحش وسوء خلق) بالضم فينبغي الحذر من ذلك وإكرام الجلساء **وحسن الأدب** معهم ومعاملتهم بالتواضع والإنصاف

(ابن المبارك) في الزهد وكذا العسكري في الأمثال (عن سليمان بن موسى مرسلا) هو الأموي مولاهم الدمشقي الأشدق أحد الأئمة قال النسائي : غير قوي وقال البخاري : له مناكير مات سنة تسعة عشر ومئة وهذا الحديث معدود من الأمثال والحكم

---

(١) الجلوس غير القعود لأن الأول الانتقال من سفل إلى علو والثاني الانتقال من علو إلى سفل فيقال للقائم والساجد اجلس ولمن هو قائم اقعد وقد يستعملان بمعنى التمكن والحصول فيكونان بمعنى واحد ومنه يقال جلس متربعا وقعد متربعا وجلس بين شعبها أي حصل وتمكن ." [٢]

" ٦٥٦٧ - (كان إذا استفتح) الذي وقفت عليه في أصول مخرجي هذا الحديث افتتح (الصلاة) أي ابتدأ فيها (قال) أي بعد تكبيرة الإحرام (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك) قال ابن الأثير : الاسم هنا صلة قال الفخر الرازي : وكما يجب تنزيه ذاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب (وتعالى جدك) أي على جلالك وعظمتك والجد الحظ والسعادة والغنى (ولا إله غيرك) لفظ رواية الترمذي كان إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك الله وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه اه . قال الطيبي : والواو في وبحمدك للحال أو هو عطف جملة فعلية على مثلها إذ التقدير أنزهك تنزيها وأسبحك تسبيحا مقيدا بشكرك وعلى التقديرين اللهم جملة معترضة والجار والمجرور أعني بحمدك متصل بفعل مقدر والباء سببية أو حال من فاعل أو صفة لمصدر محذوف أي نسبح بالثناء عليك أو متلبسين بشكرك أو تسبيحا مقيدا بشكرك وفيه رد على مالك في ذهابه إلى عدم سن الافتتاح لكن قال الحافظ ابن حجر : يعارض حديث الاستفتاح حديث أنس أن المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين أخرجاه وخبر مسلم عن جابر كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ثم إن الحديث المشروح قد تمسك به الحنابلة على أن

---

(١) فيض القدير، ٣٠/٤

(٢) فيض القدير، ١١٤/٤

السنة في الافتتاح إنما هي ما ذكر مخالفين [ص ١٠٠] للشافعي في ذهابه إلى ندبه بقوله وجهت وجهي إلخ

(د ت هـ ك) وصححه (عن عائشة) ثم قال مخرجه أبو داود : لم يروه عن عبد السلام غير طلق بن غنام وليس هذا الحديث بالقوي وقال النووي في الأذكار : رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه بأسانيد ضعيفة قال الذهبي : خرجه الترمذي من طريق حارثة بن أبي الرجال وهو واه (ن هـ ك عن أبي سعيد) الخدري قال الذهبي : فيه علي بن علي الرفاعي وفيه لين (طب عن ابن مسعود وعن واثلة) بن الأسقع قال الصدر المناوي : روي مرفوعا عن عائشة وأبي سعيد والكل ضعيف ورواه مسلم موقوفا قال : ووهم المحب الطبري حيث عزاه للسبعة أي الستة وأحمد فإنه ليس في الصحيح بل ولا صحيح بل ضعيف وقال مغلطاي في شرح ابن ماجه : فيه علة خفية وهي الانقطاع بين أبي الجوزاء أوس بن عبد الله وعائشة فإنه لم يسمع منها وقال الحافظ ابن حجر : رجاله ثقات لكن فيه انقطاع وأعله أبو داود وغيره وقال الهيثمي في رواية الطبراني : فيه عمرو بن حسين وهو ضعيف وقال الطيبي : حديث حسن قال : وقد رماه في المصابيح بالضعف وليس الأمر كما توهمه ." (١)

" ٧٠٠٣ - (كان يحب هذه السورة) سورة (سبح اسم ربك الأعلى) أي نزه اسمه عن أن يبتذل أو يذكر إلا على جهة التعظيم قال الفخر الرازي : وكما يحب تنزيه ذاته عن النقائص يحب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب

(حم) وكذا البزار وكلاهما (عن علي) أمير المؤمنين رمز لحسنه قال الحافظ العراقي : سنده ضعيف هكذا جزم به واقتصر عليه وبينه تلميذه الهيثمي قال : فيه ثور بن أبي فاختة وهو متروك انتهى وبه يعرف أن رمز المصنف لحسنه زلل فاحش ." (٢)

" ٩٨٢٥ - (لا تطعموا المساكين مما لا تأكلون) فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا و ﴿ أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ فينبغي إطعام نحو الفقير من كل متصدق عليه من أجود ما عنده وأحبه إليه وإذا لم يكن من الجيد فذلك **من سوء الأدب** فإنه إذا أمسك الجيد لنفسه وأهله فقد آثر على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه لأوغر به صدره مع أنه مخلوق أخرج ابن سعد أن الربيع بن خيثم كان يحب السكر فإذا جاء السائل ناوله فيقال له : ما يصنع بالسكر الخبز

---

(١) فيض القدير، ٩٩/٥

(٢) فيض القدير، ٢٠٩/٥

خير له فيقول : سمعت الله يقول ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ وكان ابن عمر يتصدق في السنة بألف قنطار من السكر فقيل له في ذلك فقال : والله أنا أحب السكر وقد سمعت الله يقول ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾

(حم عن عائشة) قالت : أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم بضب فلم يأكله فقيل يا رسول الله ألا تطعمه المساكين ؟ فذكره قال الهيثمي : رجاله موثقون ." (١)

" من شرح المركز لزوائد الجامع الصغير : الحديث رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ولفظه : " قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال " قال النووي : (الاعتصام بحبل الله) هو التمسك بعهده وهو اتباع كتابه العزيز وحدوده والتأدب بأدبه . (والحبل) يطلق على العهد وعلى الأمان وعلى الوصلة وعلى السبب وأصله من استعمال العرب الحبل في مثل هذه الأمور لاستمساكهم بالحبل عند شدائد أمورهم ويوصلون بها المتفرق فاستعير اسم الحبل لهذه الأمور . وأما قوله صلى الله عليه و سلم : (ولا تفرقوا) فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض وهذه إحدى قواعد الإسلام . واعلم أن الثلاثة المرضية إحداها : أن يعبدوه . والثانية : ألا يشركوا به شيئا . الثالثة : أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا وأما (قيل وقال) فهو الخوض في أخبار الناس وحكايات ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم . واختلفوا في حقيقة هذين اللفظين على قولين : أحدهما : أنهما فعلان فقيل : مبنى لما لم يسم فاعله وقال : فعل ماض . والثاني : أنهما اسمان مجروران منونان ؛ لأن القيل والقول والقالة كله بمعنى ومنه قوله تعالى ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ ومنه قولهم : كثر القيل والقال . وأما (كثرة السؤال) : فقيل : المراد به القطع في المسائل والإكثار من السؤال عما لم يقع ولا تدعو إليه حاجة وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن ذلك وكان السلف يكرهون ذلك ويرونه من التكلف المنهي عنه . وفي الصحيح : "كره رسول الله صلى الله عليه و سلم المسائل وعابها " وقيل : المراد به سؤال الناس أموالهم وما في أيديهم وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن ذلك وقيل : يحتمل أن المراد كثرة السؤال عن أخبار الناس وأحداث الزمان وما لا يعني الإنسان وهذا ضعيف لأنه قد عرف هذا من النهي عن قيل وقال وقيل : يحتمل أن المراد كثرة سؤال الإنسان عن حاله وتفاصيل أمره فيدخل ذلك في سؤاله عما لا يعنيه ويتضمن ذلك حصول الحرج في حق المسئول فإنه قد لا يؤثر إخباره

(١) فيض القدير، ٦/٤١١

بأحواله فإن أخبره شق عليه وإن كذبه في الإخبار أو تكلف التعريض لحقته المشقة وإن أهمل جوابه **ارتكب سوء الأدب** . وأما (إضاعة المال) : فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف وسبب النهي أنه إفساد والله لا يحب المفسدين ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس ." (١)

" من شرح المركز لزوائد الجامع الصغير : الحديث رواه البخاري (٤١٤١) و مسلم (٢٧٧٠) : من طريق الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضا : ذكروا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه و سلم معه قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وذلك بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه و سلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه قالت : وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي و والله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين

(١) فيض القدير، ٣/٧

قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه و سلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه و سلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها : بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا قالت أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال قلت وماذا قال قالت فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه و سلم فسلم ثم قال : كيف تيكم قلت أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه و سلم فجئت أبوي فقلت لأمي : يا أمتاه ما يتحدث الناس ؟ فقالت : يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قالت قلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ودعا رسول الله صلى الله عليه و سلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه و سلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه و سلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله قالت : فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو على المنبر : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيد

الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن اجتهلته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه و سلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه و سلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي قالت : فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم فسلم ثم جلس قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه و سلم حين جلس ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه . قالت : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي : أجب عني رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما قال فقال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن : إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فإن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقونني وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت : وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز و جل في بأمر يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه و سلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت : فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه و سلم مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز و جل على نبيه صلى الله عليه و سلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشات من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت : فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي : قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي قالت : فأنزل الله عز و

جل : (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) عشر آيات فأنزل الله عز و جل هؤلاء الآيات براءتي قالت : فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله عز و جل (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى إلى قوله أل ا تحبون أن يغفر الله لكم) قال حبان بن موسى قال عبد الله بن المبارك هذه أرجى آية في كتاب الله . فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم سأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه و سلم عن أمري ما علمت أو ما رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه و سلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك قال الزهري : فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط وزاد في حديث صالح قال عروة : كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول فإنه قال : فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء وزاد أيضا قال عروة : قالت عائشة : والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد ذلك شهيدا في سبيل الله و في رواية : عن عائشة قالت لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه و سلم خطيبا فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي وايم الله ما علمت على أهلي من سوء قط وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط ولا دخل بيتي قط إلا وأنا حاضر ولا غبت في سفر إلا غاب معي وساق الحديث بقصته وفيه : ولقد دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم بيتي فسأل جاريتي فقالت والله ما علمت عليها عيبا إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها أو قالت خميرها . شك هشام . فانتهرها بعض أصحابه فقال اصدقي رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أسقطوا لها به فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر وقد بلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له فقال سبحان الله والله ما كشفت عن كنف أنثى قط قالت عائشة وقتل شهيدا في سبيل الله وفيه أيضا من الزيادة : وكان الذين تكلموا به مسطح وحمنة وحسان وأما المنافق عبد الله بن أبي فهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره وحمنة (هذا لفظ مسلم) قال النووي في شرح مسلم : قولها : (كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه) هذا دليل لمالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء في العمل بالقرعة في القسم بين الزوجات وفي العتق والوصايا والقسمة ونحو ذلك وقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في الصحيح

مشهورة قال أبو عبيد : عمل بها ثلاثة من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين : يونس وزكريا ومحمد صلى الله عليه و سلم قال ابن المنذر : استعمالها كالإجماع قال : ولا معنى لقول من ردها والمشهور عن أبي حنيفة إبطالها وحكي عنه إجازتها قال ابن المنذر وغيره : القياس تركها لكن عملنا بها للآثار . وفيه : القرعة بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن ولا يجوز أخذ بعضهن بغير قرعة هذا مذهبنا وبه قال أبو حنيفة وآخرون وهو رواية عن مالك وعنه رواية أن له السفر بمن شاء منهن بلا قرعة ؛ لأنها قد تكون أنفع له في طريقه والأخرى أنفع له في بيته وماله . قولها : (آذن ليلة بالرحيل) روي بالمد وتخفيف الذال وبالقصر وتشديدها : أي : أعلم . قولها : (وعقدي من جزع ظفار قد انقطع) أما (العقد) فمعروف نحو القلادة (والجزع) بفتح الجيم وإسكان الزاي وهو خرز يماني وأما (ظفار) فبفتح الظاء المعجمة وكسر الراء وهي مبنية على الكسر تقول : هذه ظفار ودخلت ظفار وإلى ظفار بكسر الراء بلا تنوين في الأحوال كلها وهي قرية في اليمن . قولها : (وأقبل الرهط الذي كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري) هكذا وقع في أكثر النسخ (لي) باللام وفي بعض النسخ (بي) بالباء واللام أجود ويرحلون بفتح الياء وإسكان الراء وفتح الحاء المخففة أي : يجعلون الرحل على البعير وهو معنى قولها (فرحلوه) بتخفيف الحاء و (الرهط) هم جماعة دون عشرة و (الهودج) بفتح الهاء مركب من مراكب النساء . قولها : (وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام) فقولها (يهبلن) ضبطوه على أوجه أشهرها ضم الياء وفتح الهاء والباء المشددة أي : يثقلن باللحم والشحم والثاني : يهبلن بفتح الياء والباء وإسكان الهاء بينهما والثالث : بفتح الياء وضم الباء الموحدة ويجوز بضم أوله وإسكان الهاء وكسر الموحدة قال أهل اللغة : يقال : هبله اللحم وأهبله إذا أثقله وكثر لحمه وشحمه وفي رواية البخاري (لم يثقلن) وهو بمعناه وهو أيضا المراد بقولها : (ولم يغشهن اللحم) و (يأكلن العلقة) : بضم العين أي : القليل ويقال لها أيضا : البلغة . قولها : (فتيممت منزلي) أي : قصدته . . قولها : (وكان صفوان بن المعطل) هو بفتح الطاء بلا خلاف كذا ضبطه أبو هلال العسكري والقاضي في المشارق وآخرون . قولها : (عرس من وراء الجيش فأدلج) التعريس : النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة وقال أبو زيد : هو النزول أي وقت كان والمشهور الأول . قولها : (ادلج) بتشديد الدال وهو سير آخر الليل . قولها : (فرأى سواد إنسان) أي : شخصه . قولها : (فاستيقظت باسترجاعه) أي : انتبهت من نومي بقوله : إنا لله وإنا إليه راجعون . قولها : (خمرت وجهي) أي : غطيته . قولها : (نزلوا موغرين في نحر الظهيرة) (الموغر) بالغين المعجمة النازل في وقت الوغرة بفتح الواو وإسكان الغين وهي

: شدة الحر كما فسرها في الكتاب في آخر الحديث وذكر هناك أن منهم من رواه (موعرين) بالعين المهملة هو ضعيف و (نحر الظهيرة) : وقت القائلة وشدة الحر . قولها : (وكان الذي تولى كبره) أي : معظمه وهو بكسر الكاف على القراءة المشهورة وقرئ في الشواذ بضمها وهي لغة . قولها : (وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول) هكذا صوابه (ابن سلول) برفع (ابن) وكتابته بالألف صفة لعبد الله وقد سبق بيانه مرات وتقدم إيضاحه في كتاب الإيمان في حديث المقداد مع نظائره . قولها : (والناس يفيضون في قول أهل الإفك) أي : يخوضون فيه و (الإفك) بكسر الهمزة وإسكان الفاء هذا هو المشهور وحكى القاضي فتحهما جميعا قال : هما لغتان كنجس ونجس وهو الكذب . قولها : (هو يريبني أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه و سلم اللطف الذي كنت أرى منه) (يريبني) : بفتح أوله وضمه يقال : رابه وأرابه إذا أوهمه وشككه و (اللطف) بضم اللام وإسكان الطاء ويقال : بفتحها معا لغتان وهو : البر والرفق . قولها : (ثم يقول كيف تيكم ؟) هي : إشارة إلى المؤنثة كذلكم في المذكر . قولها : (خرجت بعد ما نقهت) هو بفتح القاف وكسرها لغتان حكاهما الجوهري في الصحاح وغيره والفتح أشهر واقتصر عليه جماعة يقال : نقه ينقه نقوها فهو ناقه ككلح يكلح كلوحا فهو كالح ونقه ينقه نقها فهو ناقه كفرح يفرح فرحا والجمع نقه بضم النون وتشديد القاف والناقه هو الذي أفاق من المرض ويبرأ منه وهو قريب عهد به لم يتراجع إليه كمال صحته . قولها : (وخرجت مع أم مسطح قبل المناصع) أما (مسطح) فبكسر الميم وأما (المناصع) فبفتحها وهي مواضع خارج المدينة كانوا يبرزون فيها . قولها : (قبل أن نتخذ الكنف) هي جمع كنيف قال أهل اللغة : الكنيف الساتر مطلقا . قولها : (وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه) ضبطوا (الأول) بوجهين أحدهما : ضم الهمزة وتخفيف الواو والثاني : الأول بفتح الهمزة وتشديد الواو وكلاهما صحيح والتنزه : طلب النزاهة بالخروج إلى الصحراء . قولها : (وهي بنت أبي رهم وابنها مسطح بن أثاثة) أما (رهم) فبضم الراء وإسكان الهاء و (أثاثة) بهمزة مضمومة وثاء مثلثة مكررة و (مسطح) لقب واسمه (عامر) وقيل : (عوف) كنيته أبو عباد وقيل : أبو عبد الله توفي سنة سبع وثلاثين وقيل : أربع وثلاثين واسم أم مسطح (سلمى) . قولها : (فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح) أما (عثرت) فبفتح الثاء وأما (تعس) فبفتح العين وكسرها لغتان مشهورتان واقتصر الجوهري على الفتح والقاضي على الكسر ورجح بعضهم الكسر وبعضهم الفتح ومعناه : عثر وقيل : هلك وقيل : لزمه الشر وقيل : بعد وقيل : سقط بوجهه خاصة . وأما (المرط) فبكسر الميم وهو : كساء من صوف وقد يكون من غيره . قولها : (أي هنتاه) هي بإسكان النون وفتحها الإسكان أشهر قال صاحب

نهاية الغريب : وتضم الهاء الأخيرة وتسكن ويقال في التثنية : هنتان وفي الجمع هنات وهنوات وفي المذكر هن وهنان وهنون ولك أن تلحقها الهاء ؛ لبيان الحركة فتقول يا هنه وأن تشبع حركة النون فتصير ألفا فتقول : يا هناه ولك ضم الهاء فتقول : يا هناه أقبل قالوا : وهذه اللفظة تختص بالنداء ومعناه : يا هذه وقيل : يا امرأة وقيل : يا بلهاء كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم ومن المذكور حديث الصبي ابن معبد قلت : يا هناه إني حريص على الجهاد . والله أعلم . قولها : (قلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها) (الوضيئة) : مهموزة ممدودة هي الجميلة الحسنة والوضاءة : الحسن ووقع في رواية ابن ماهان (حظية) من الحظوة وهي : الوجاهة وارتفاع المنزلة والضراير . جمع ضرة وزوجات الرجل ضراير ؛ لأن كل واحدة تتضرر بالأخرى بالغيرة والقسم وغيره والاسم منه الضر بكسر الضاد وحكي ضمها وقولها : إلا كثرن عليها هو بالثاء المثلثة المشددة أي : أكثرن القول في عيبها ونقصها . قولها : (لا يرقأ لي دمع) هو بالهمزة أي : لا ينقطع . قولها : (ولا أكتحل بنوم) أي : لا أنام . قولها : (استلبث الوحي) أي : أبطأ ولبث ولم ينزل . قولها : (وأما علي بن أبي طالب فقال : لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير) هذا الذي قاله علي – رضي الله عنه – هو الصواب في حقه ؛ لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي صلى الله عليه و سلم في اعتقاده ولم يكن ذلك في نفس الأمر لأنه رأى انزعاج النبي صلى الله عليه و سلم بهذا الأمر وتقلقه فأراد راحة خاطره وكان ذلك أهم من غيره . قولها : (والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثه السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله) فقولها (أغمصه) بفتح الهمزة وكسر الميم وبالصاد المهملة أي : أعيبها والداجن : الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعى ومعنى هذا الكلام : أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلا ولا فيها شيء من غيره إلا نومها عن العجين . قولها : (فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول) أما (أبي) فمنون وابن سلول بالألف وسبق بيانه وأما استعذر : فمعناه : أنه قال من يعذرني فيمن آذاني في أهلي كما بينه في هذا هذا الحديث ومعنى (من يعذرني) من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلومني وقيل : معناه من ينصرني والعذير الناصر . قولها : (فقام سعد بن معاذ فقال : أنا أعذرك منه) قال القاضي : هذا مشكل لم يتكلم فيه أحد وهو قولها : (فقام سعد بن معاذ فقال أن أعذرك منه) وكانت هذه القصة في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة ست فيما ذكره ابن إسحاق ومعلوم أن سعد بن معاذ مات في إثر غزاة الخندق من الرمية التي أصابته وذلك سنة أربع بإجماع أصحاب السير إلا شيئا قاله الواقدي وحده قال القاضي : قال بعض شيوخنا :

ذكر سعد بن معاذ في هذا وهم والأشبه أنه غيره ولهذا لم يذكره ابن إسحاق في السير وإنما قال : إن المتكلم أولا وآخرا أسيد بن حضير قال القاضي : وقد ذكر موسى بن عقبة أن غزوة المريسيع كانت سنة أربع وهي سنة الخندق وقد ذكر البخاري اختلاف ابن إسحاق وابن عقبة قال القاضي : فيحتمل أن غزاة المريسيع وحديث الإفك كانا في سنة أربع قبل قصة الخندق قال القاضي : وقد ذكر الطبري عن الواقدي أن المريسيع كانت سنة خمس قال : وكانت الخندق وقريظة بعدها وذكر القاضي إسماعيل الخلاف في ذلك وقال : الأولى أن يكون المريسيع قبل الخندق قال القاضي : وهذا لذكر سعد في قصة الإفك وكانت في المريسيع فعلى هذا يستقيم فيه ذكر سعد بن معاذ وهو الذي في الصحيحين وقول غير ابن إسحاق في غير وقت المريسيع أصح هذا كلام القاضي وهو صحيح . قولها : (ولكن اجتهلته الحمية) هكذا هو هنا لمعظم رواة صحيح مسلم (اجتهلته) بالجيم والهاء أي : استخفته وأغضبته وحملته على الجهل وفي رواية ابن ماهان هنا (احتملته) بالحاء والميم وكذا رواه مسلم بعد هذا من رواية يونس وصالح وكذا رواه البخاري ومعناه : أغضبته فالروايتان صحيحتان . قولها : (فثار الحيان الأوس والخزرج) أي : تناهضوا للنزاع والعصبية كما قالت : حتى هموا أن يقتتلوا . قوله صلى الله عليه و سلم : (وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله) معناه : إن كنت فعلت ذنبا وليس ذلك لك بعادة وهذا أصل اللمم . قولها : (قلص دمعي) هو بفتح القاف واللام أي : ارتفع لاستعظام ما يعييني من الكلام . قولها لأبويها : (أجيبا عني) فيه تفويض الكلام إلى الكبار ؛ لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه وأبواها يعرفان حالها وأما قول أبويها : (لا ندري ما نقول) فمعناه : أن الأمر الذي سألها عنه لا يقفان منه على زائد على ما عند رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل نزول الوحي من حسن الظن بها والسرائر إلى الله تعالى . قولها : (ما رام رسول الله صلى الله عليه و سلم مجلسه) أي : ما فارقه . قولها : (فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء) هي بضم الموحدة وفتح الراء وبالحاء المهملة والمد وهي : الشدة . قولها : (حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق) معنى (ليتحدر) لينصب و (الجمان) بضم الجيم وتخفيف الميم وهو : الدر شبهت قطرات عرقه صلى الله عليه و سلم بحباب اللؤلؤ في الصفاء والحسن . قولها : (فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه و سلم) أي : كشف وأزيل . قولها : (فقالت لي أمي قومي فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي) معناه : قالت لها أمها : قومي فاحمديه وقبلي رأسه واشكريه لنعمة الله تعالى التي بشرك فقالت عائشة ما قالت إدلالا عليه وعتبا لكونهم شكوا في حالها مع علمهم بحسن طرائقها وجميل أحوالها وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه قوم ظالمون ولا حجة له ولا شبهة فيه قالت

: وإنما أحمد ربي سبحانه وتعالى الذي أنزل براءتي وأنعم علي وبما لم أكن أتوقعه كما قالت : ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى . قوله عز و جل : ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم ﴾ أي : لا يحلفوا والألية : اليمين قولها : (أحمي سمعي وبصري) أي : أصون سمعي وبصري من أن أقول : سمعت ولم أسمع وأبصرت ولم أبصر . قولها : (وهي التي كانت تساميني) أي : تفاخرني وتضاهيني بجمالها ومكانها عند النبي صلى الله عليه و سلم وهي مفاعلة من السمو وهو الارتفاع . قولها : (وطفقت أختها حمنة تحارب لها) أي : جعلت تتعصب لها فتحكي ما يقوله أهل الإفك وطفق الرجل بكسر الفاء على المشهور وحكي فتحها وسبق بيانه . قوله : (ما كشفت عن كنف أنثى قط) (الكنف) : هنا بفتح الكاف والنون أي : ثوبها الذي يسترها وهو كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن . قوله : (وفي حديث يعقوب موعرين) يعني بالعين المهملة وسبق بيانه وقوله في تفسير عبد الرزاق : (الوغرة شد الحر) هي بإسكان الغين وسبق بيانه . قوله صلى الله عليه و سلم : (أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي) هو بباء موحدة مفتوحة مخفف ومشددة رووه هنا بالوجهين التخفيف أشهر ومعناه : اتهموها والابن بفتح الهمزة يقال : ابنه ويأبنه بضم الباء وكسرها : إذا اتهمه ورماه بخلة سوء فهو مأبون قالوا : وهو مشتق من الابن بضم الهمزة وفتح الباء وهي : العقد في القسي تفسدها وتعاب بها . قوله : " حتى أسقطوا لهابه فقالت : سبحان الله " ومعناه : صرحوا لها بالأمر ولهذا قالت : سبحان الله ؛ استعظاما لذلك وقيل : أتوا بسقط من القول في سؤالها وانتهارها يقال أسقط وسقط في كلامه إذا أتى فيه بساقط وقيل : إذا أخطأ فيه قولها (والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب) وهي القطعة الخالصة . قولها : (وأما المنافق عبد الله بن أبي فهو الذي كان يستوشيه) أي : يستخرجه بالبحث والمسألة ثم يفشيه ويشيعه ويحركه ولا ندعه يحمد . والله أعلم . واعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة : إحداها : جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة عن كل واحد قطعة مبهمة منه وهذا وإن كان فعل الزهري وحده فقد أجمع المسلمون على قبوله منه والاحتجاج به . الثانية : صحة القرعة بين النساء وفي العتق وغيره مما ذكرناه في أول الحديث مع خلاف العلماء . الثالثة : وجوب الإقراع بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن . الرابعة : أنه لا يجب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات وهذا مجمع عليه إذا كان السفر طويلا وحكم القصير حكم الطويل على المذهب الصحيح وخالف فيه بعض أصحابنا . الخامسة : جواز سفر الرجل بزوجته . السادسة : جواز غزوهن . السابعة : جواز ركوب النساء في الهوادج . الثامنة : جواز خدمة الرجال لهن في تلك الأسفار . التاسعة : أن ارتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير . العاشرة : جواز خروج المرأة لحاجة

الإنسان بغير إذن الزوج وهذا من الأمور المستثناة . الحادية عشر : جواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر . الثانية عشر : أن من يركب المرأة البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرما إلا لحاجة ؛ لأنهم حملوا الهودج ولم يكلموا من يظنونها فيه . الثالثة عشر : فضيلة الاقتصار في الأكل للنساء وغيرهن وألا يكثر منه بحيث يهبله اللحم لأن هذا كان حالهن في زمن النبي صلى الله عليه و سلم وما كان في زمانه صلى الله عليه و سلم فهو الكامل الفاضل المختار . الرابعة عشر : جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض له عن الجيش إذا لم يكن ضرورة إلى الاجتماع . الخامسة عشر : إعانة الملهوف وعن المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوي الأقدار كما فعل صفوان – رضي الله عنه – في هذا كله . السادسة عشر : **حسن الأدب** مع الأجنبيات لا سيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها كما فعل صفوان من إبراكه الجمل من غير كلام ولا سؤال وإنه ينبغي أن يمشي قدامها لا بجنبها ولا وراءها . السابعة عشر : استحباب الإيثار بالركوب ونحوه كما فعل صفوان . الثامنة عشر : استحباب الاسترجاع عند المصائب سواء كانت في الدين أو الدنيا وسواء كانت في نفسه أو من يعز عليه . التاسعة عشر : تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء كان صالحا أو غيره . العشرون : جواز الحلف من غير استحلاف . الحادية والعشرون : أنه يستحب أن يستر عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة كما كتموا عن عائشة – رضي الله عنها – هذا الأمر شهرا ولم تسمع بعد ذلك إلا بعارض عرض وهو قول أم مسطح : تعس مسطح . الثانية والعشرون : استحباب ملاطفة الرجل زوجته وحسن المعاشرة . الثالثة والعشرون : أنه إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئا أو نحو ذلك يقلل من اللطف ونحوه لتفطن هي أن ذلك لعارض فتسأل عن سببه فتزيله . الرابعة والعشرون : استحباب السؤال عن المريض . الخامسة والعشرون : أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن تكون معها رفيقة تستأنس بها ولا يتعرض لها أحد . السادسة والعشرون : كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا أذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه . السابعة والعشرون : فضيلة أهل بدر والذب عنهم كما فعلت عائشة في ذبها عن مسطح . الثامنة والعشرون : أن الزوجة لا تذهب إلى بيت أبويها إلا بأذن زوجها . التاسعة والعشرون : جواز التعجب بلفظ التسبيح وقد تكرر في هذا الحديث وغيره . الثلاثون : استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقاءه فيما ينوبه من الأمور . الحادية والثلاثون : جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة عمن له به تعلق أما غيره فهو منهي عنه وهو تجسس وفضول . الثانية والثلاثون : خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم . الثالثة والثلاثون : اشتكاء ولي الأمر إلى المسلمين من تعرض له بأذى في نفسه أو أهله أو غيره واعتذاره فيما يريد

أن يؤذيه به . الرابعة والثلاثون : فضائل ظاهرة لصفوان بن المعطل – رضي الله عنه – بشهادة النبي صلى الله عليه و سلم له بما شهد وبفعله الجميل في إركاب عائشة – رضي الله عنها – وحسن أدبه في جملة القضية . الخامسة والثلاثون : فضيلة لسعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما . السادسة والثلاثون : المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات وتسكين الغضب . السابعة والثلاثون : قبول التوبة والحث عليها . الثامنة والثلاثون : تفويض الكلام إلى الكبار دون الصغار لأنهم أعرف . التاسعة والثلاثون : جواز الاستشهاد بآيات القرآن العزيز ولا خلاف أنه جائز . الأربعون : استحباب المبادرة بتبشير من تجددت له نءمة ظاهرة أو اندفعت عنه بلية ظاهرة . الحادية والأربعون : براءة عائشة – رضي الله عنها – من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز فلو تشكك فيها إنسان – والعياذ بالله – صار كافرا مرتدا بإجماع المسلمين قال ابن عباس وغيره : لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا إكرام من الله تعالى لهم . الثانية والأربعون : تجدد شكر الله تعالى عند تجدد النعم . الثالثة والأربعون : فضائل لأبي بكر – رضي الله عنه – في قوله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم . . . ﴾ الآية . الرابعة والأربعون : استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين . الخامسة والأربعون : العفو والصفح عن المسيء . السادسة والأربعون : استحباب الصدقة والإنفاق في سبيل الخيرات . السابعة والأربعون : أنه يستحب لمن حلف على يمين ورأى خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه . الثامنة والأربعون : فضيلة زينب أم المؤمنين رضي الله عنها . التاسعة والأربعون : التثبيت في الشهادة . الخمسون : إكرام المحبوب بمراعاة أصحابه ومن خدمه أو أطاعه كما فعلت عائشة رضي الله عنها بمراعاة حسان وإكرامه إكراما للنبي صلى الله عليه و سلم . الحادية والخمسون : أن الخطبة تبتدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله . الثانية والخمسون : أنه يستحب في الخطب أن يقول بعد الحمد والثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم والشهادتين : أما بعد وقد كثرت فيه الأحاديث الصحيحة . الثالثة والخمسون : غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم واهتمامهم بدفع ذلك . الرابعة والخمسون : جواز سبب المتعصب لمبطل كما سب أسيد بن حضير سعد بن عبادة لتعصبه للمنافق وقال : إنك منافق تجادل عن المنافقين وأراد أنك تفعل فعل المنافقين ولم يرد النفاق الحقيقي ." (١)

"(عن إبراهيم) النخعي (عن علقمة) بن قيس النخعي (عن عبد الله) بن مسعود رضي الله عنه (قال): (صلى النبي -صلى الله عليه وسلم- الظهر خمسا) أي خمس ركعات، (فقالوا: أزيد في الصلاة، قال) عليه

(١) فيض القدير، ١٥/٧

الصلاة والسلام (وما ذاك) أي ما سبب هذا السؤال؟ (قالوا صليت خمسا) قال (فثنى) عليه الصلاة والسلام أي عطف (رجليه) بالتثنية ولابن عساكر رجله بالإفراد (وسجد سجدتين) للسهو.
ولما فرغ المؤلف من بيان أحكام القبلة شرع في بيان أحكام المساجد فقال:

٣٣ - باب حك البزاق باليد من المسجد
(باب حك البزاق) بالزاي لغة كالصاد والسين (باليد من المسجد) سواء كان بآلة أم لا.

٤٠٥ - حدثنا قتيبة قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رئي في وجهه، فقام فحكه بيده فقال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه - أو إن ربه بينه وبين القبلة. فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه». ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه، ثم رد بعضه على بعض فقال: «أو يفعل هكذا».
وبه قال: (حدثنا قتيبة) بن سعيد الثقفي (قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد) الطويل (عن أنس) وللأصيلي عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى نخامة) بالميم مع ضم النون وهي ما يخرج من الصدر أو من الرأس (في)
الحائط الذي في جهة (القبلة فشق ذلك عليه) -صلى الله عليه وسلم- (حتى رئي) بضم الراء وكسر الهمزة وفتح الياء، وللأصيلي وأبي ذر عن الكشميهني حتى رىء بكسر الراء وسكون الياء آخره همزة أي شوهد (في وجهه) أثر المشقة وفي رواية النسائي فغضب حتى احمر وجهه، (فقام) عليه الصلاة والسلام (فحكه) أي أثر النخامة (بيده فقال) عليه الصلاة والسلام ولابن عساكر وقال: (إن أحدكم إذا قام في صلاته) بعد شروعه فيها (فإنه يناجي ربه) من جهة مساررته بالقرآن والإذكار، فكأنه يناجيه تعالى والرب تعالى يناجيه من جهة لازم ذلك وهو إرادة الخير فهو من باب المجاز لأن القرينة صارفة عن إرادة الحقيقة إذ لا كلام محسوسا إلا من جهة العبد، (أو إن) بفتح الهمزة وكسرها كما في اليونينية، ولأبي
ذر عن الحموي والمستملي وإن (ربه) بواو العطف أي اطلاع ربه على ما (بينه وبين القبلة) إذ ظاهره محال لتنزيه الرب تعالى عن المكان، فيجب على المصلي إكرام قبلته بما يكرم به من يناجيه من المخلوقين عند استقبالهم بوجهه، ومن أعظم الجفاء وسوء الأدب أن تتنخم في توجهك إلى رب الأرباب، وقد أعلمنا الله تعالى بإقباله على من توجه إليه قاله ابن بطال. (فلا يبزقن) بنون التوكيد الثقيلة وللأصيلي فلا يبزق (أحدكم

قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة أي جهة (قبلته) التي عظمها الله تعالى فلا تقابل بالبزاق المقتضي للاستخفاف والاحتقار، والأصح أن النهي للتحريم (ولكن) يبزق (عن يساره) أي لا عن يمينه فإن عن يمينه كانت الحسنات كما رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح (أو
تحت قديمه) بالتثنية، ولأبوي ذر والوقت وابن عساكر قدمه أي اليسرى كما في حديث أبي هريرة في الباب الآتي. قال النووي: هذا في غير المسجد أما فيه فلا يبزق إلا في ثوبه (ثم أخذ) عليه الصلاة والسلام (طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض فقال أو يفعل هكذا) عطف على المقدر بعد حرف الاستدراك أي ولكن ليبزق عن يساره أو يفعل هكذا، وفيه البيان بالفعل لأنه أوقع في النفس، وليست لفظة أو هنا للشك بل للتنويع أي هو مخير بين هذا وهذا، لكن سيأتي أن المصنف حمل هذا الأخير على ما إذا بدره البزاق وحينئذ فأو للتنويع.
وأخرج هذا الحديث المؤلف في كفارة البزاق في المسجد وفي باب إذا بدره البزاق وفي غيرهما، وكذا مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي.
٤٠٦ - حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأى بصاقا في جدار القبلة فحكه، ثم أقبل على الناس فقال: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه، فإن الله قبل وجهه إذا صلى». [الحديث ٤٠٦ - أطرافه في: ٧٥٣، ١٢١٣، ٦١١١].
وبه قال: (حدثنا عبد الله بن يوسف) التنيسي (قال: أخبرنا مالك) الإمام (عن نافع) مولى ابن عمر (عن عبد الله بن عمر) بن الخطاب رضي الله عنهما:
(أن رسول الله وصلى الله عليه وسلم- رأى بصاقا) وهو ما يسيل من الفم (في جدار القبلة) ولأبي ذر عن المستملي في جدار المسجد (فحكه) أي البصاق (ثم أقبل على الناس فقال: إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل) بكيسر القاف وفتح الموحدة أي قدام (وجهه) ويبصق بالجزم على النهي (فإن الله) أي القصد منه تعالى أو ثوابه عز وجل أو عظمته (قبل وجهه) أي المصلي (إذا صلى)، وهذا التعليل يرشد إلى أن البصاق في القبلة حرام سواء كان في المسجد أم لا.." (١)

"من جهة المحل. ولأبوي ذر والوقت. والأصيلي: قزعة، بالجر على التبعية له من جهة اللفظ. وهي: القطعة الرقيقة من السحاب. كما مر. (وما بيننا وبين سلع) الجبل المعروف (من بيت ولا دار) يحجب عن الرؤية.

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٤١٩/١

(قال: فطلعت من ورائه) أي الجبل (سحابة مثل الترس) في الاستدارة والكثافة، (فلما توسطت) السحابة (السماء، انتشرت) وسقط عند الأربعة لفظ: السماء (ثم أمطرف، فلا والله ما رأينا الشمس ستا) بكسر السين، أي: ستة أيام، ولأبوي ذر، والوقت، وابن عساكر: سبتا، بفتح السين وسكون الموحدة أي: من سبت إلى سبت، بدليل الرواية الأخرى: من جمعة إلى جمعة، أو: السبت قطعة من الزمان.

وقد استدل الأبي لتصحيح رواية: ستا بالكسر، برواية: من جمعة إلى جمعة قال: لأنه إذا أزيلت الجمعتان اللتان دعا فيهما صح ذلك. اهـ.

وقد مر: أنه لا تنافي بين الروايتين، وحينئذ فرواية: ستا بكسر السين لا تصحيف فيها، كما زعم بعضهم، وكيف يقال ذلك مع رواية الثقات الأثبات لها والتوجيه الصحيح، فتأمل.

وفي رواية أبي ذر عن الكشميهني: سبعا، بالعين بعد الموحدة أي: سبعة أيام.

(ثم دخل رجل) آخر أو: وهو الأول (من ذلك الباب في الجمعة) زاد في رواية أبي ذر والأصيلي: يعني الثانية (ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- قائم) حال كونه (يخطب، فاستقبله) حال كونه (قائما فقال: يا رسول الله! هلكت الأموال) بسبب غير السبب الأول، وهو: كثرة الماء المانع للماشية من الرعي،

أو: لعدم ما يكنها (وانقطعت السبل) لتعذر سلوكها من كثرة، المطر، (فادع الله يمسكها عنا) بالجزم على الطلب، ولأبي ذر، والأصيلي: أن يمسكها. وفي رواية قتادة: فادع ربك يحبسها عنا. فضحك، وفي رواية ثابت: فتبسم، وزاد في رواية حميد: لسرعة ملال ابن آدم.

(قال: فرفع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يديه)، ثم (قال: اللهم حوالينا ولا علينا) فيه حذف، أي: أمطر في الأماكن التي حوالينا، ولا تمطر علينا.

وفي إدخال الواو في قوله: ولا علينا معنى دقيق، وذلك أنه: لو أسقطها لكان مستسقيا للآكام والظراب، ونحوها، مما لا يستسقى له لقلة الحاجة إلى الماء هنالك. وحيث أدخل الواو: آذن بأن طلب المطر على هذه الجهات ليس مقصودا لعينه، ولكن ليكون وقاية من أذى المطر على نفس المدينة، فليست الواو ومتمحضة للعطف ولكنها كواو التعليل وهو كقولهم: تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها. فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن لكونه مانعا من الرضاعة بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك. اهـ.

قال ابن الدماميني، بعد أن نقل ذلك عن ابن المنير: فليست الواو مخلصة للعطف، ولكنها كواو التعليل وفائه. فالمراد أنه إن سبق في قضائك أن لا بد من المطر، فاجعله حول المدينة.

ويدل على أن الواو ليست لمحض العطف اقترانها بحرف النفي، ولم يتقدم مثله. ولو قلت: اضرب زيدا ولا

عمرا ما استقام على العطف.

قلت: لم يستقم لي إجراء هذا الكلام على القواعد، وليس لنا في كلام العرب واو وضعت للتعليل، وليست لا هنا للنفي، وإنما هي الدعائية مثل: ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالمراد: أنزل المطر حوالينا حيث لا نستضر به، ولا تنزله علينا حيث نستضر به. فلم يطلب منع الغيث بالكلية، وهو من **حسن الأدب** في الدعاء، لأن الغيث رحمة الله ونعمته المطلوبة، فكيف يطلب منه رفع نعمته؟ وكشف رحمته؟ وإنما يسأل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، وكذا فعل عليه الصلاة والسلام. فإنما سأل جلب النفع، ودفع الضرر، فهو استسقاء بالنسبة إلى محلين. والواو: لمحض العطف، ولا: جازمة لا نافية ولا إشكال البتة. ولو حذفت الواو، وجعلت لا نافية، وهي مع ذلك للعطف لاستقام الكلام. لكن أوثر الأول، والله أعلم، لاشتماله على جملتين طلبيتين، والمقام يناسبه.

(اللهم) أنزله (على الآكام) بكسر الهمزة وبفتحها مع المد، وهي: ما دون الجبل وأعلى من الرابية (و) على (الظراب) بكسر المعجمة: الروابي الصغار: وقيل فيهما غير ذلك، كما مر (وبطون الأودية ومنابت الشجر قال فأقلعت) بفتح الهمزة من الإقلاع أي: كفت وأمسكت السحابة الماطرة عن المدينة.

وفي رواية سعيد، عن شريك: فما هو إلا أن تكلم -صلى الله عليه وسلم- بذلك، تمزق السحاب حتى." (١)

"السين على الموحدة، وفي الرابع: بخمسين تقريبا في كلها ثبوت التطويل من الشارع بلا تقدير.

لكن قال الفاكهاني: إن في بعض الروايات تقدير القيام الأول بنحو سورة: البقرة، والثاني بنحو سورة: آل عمران، والثالث بنحو: سورة النساء، والرابع بنحو: سورة المائدة.

واستشكل تقدير الثالث: بالنساء، مع كون المختار أن يكون القيام الثالث أقصر من القيام الثاني، والنساء أطول من آل عمران. ولكن الحديث الذي ذكره غير معروف، إنما هو من قول الفقهاء.

نعم، قالوا: يطول القيام الأول نحوا من سورة البقرة، لحديث ابن عباس الآتي في باب صلاة الكسوف جماعة، وإن الثاني دونه، وإن القيام الأول من الركعة الثانية نحو القيام الأول. وكذا الباقي.

نعم، في الدارقطني، من حديث عائشة أنه قرأ في الأول: بالعنكبوت والروم، وفي الثاني: بيس.

(ثم انصرف) عليه الصلاة والسلام من الصلاة (وقد انجلت الشمس) بنون بعد ألف الوصل، أي: صفت

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢/٢٤٣

وعاد نورها، ولأبي ذر: تجلت، بالمثناة الفوقية وتشديد اللام (فخطب الناس) خطبتين كالجمعة (فحمد الله وأثنى عليه) زاد النسائي، من حديث سمرة: وشهد أنه عبد الله ورسوله، (ثم قال):

(إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله. لا ينخسفان) بنون ساكنة بعد المثناة التحتية وبالخاء مع كسر السين، ولأبوي ذر، والوقت، وابن عساكر: لا يخسفان، بإسقاط النون (لموت أحد) من الناس (ولا لحياته) وإنما يخوف الله بكسوفهما عباده (فإذا رأيتم ذلك) الكسوف في أحدهما (فادعوا الله) وللحموي، والمستملي: فاذكروا الله بدل رواية الكشميهني: فادعو الله (وكبروا وصلوا) كما مر (وتصدقوا) وهذا موضع الترجمة.

(ثم قال) عليه الصلاة والسلام:

(يا أمة محمد، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته) برفع أغير، صفة لأحد، باعتبار المحل، والخبر محذوف منصوب أي موجودا على أن: ما، حجازية، أو يكون: أحد مبتدأ، أو: أغير، خبره. على أن: ما، تميمية.

ويجوز نصب: أغير، على أنها خبر: ما، الحجازية. ومن زائدة للتأكيد، وأن يكون مجرورا بالفتحة على الصفة للمجرور باعتبار اللفظ، والخبر المحذوف مرفوع على أن: ما، تميمية.

وقوله: "أن يزني" متعلق "بأغير" وحذف من قبل: أن، قياس مستمر.

واستشكل نسبة الغيرة إلى الله لكونها ليست من الصفات اللائقة به تعالى، إذ، هي: هيجان الغضب بسبب هتك من يذب عنه، والله تعالى منزه عن كل تغيير.

وأجيب: تأويله بلازم الغيرة، وهو المنع. وزيادة الغيرة معناها زيادة المنع، والزيادة هنا حقيقة، لأن صفات الأفعال حادثة عندنا، تقبل التفاوت، أو يؤول بإرادة الانتقام، ليكون من صفات الذات. أو التفضيل هنا مجازي، لأن القديم لا يتفاوت إلا أن يراد باعتبار المتعلق.

وتأوله ابن فورك على الزجر والتحريم، وابن دقيق العيد: على شدة المنع والحماية، فهو من مجاز الملازمة، ومجاز الملازمة يحتمل كلا من التأويلين، لأن ذلك، إما من إطلاق اللازم على الملزوم،

أو الملزوم على اللازم. على كل حال فاستعمل هذا اللفظ جاريا على ما ألف من كلام العرب.

قال الطيبي: ووجه اتصال هذا المعنى بما تقدم من قوله فاذكروا الله ... الخ، هو أنه -صلى الله عليه وسلم-، لما خوف أمته من الكسوفين، وحرضهم على الفزع والالتجاء إلى الله تعالى بالتكبير والدعاء، والصلاة والصدقة، أراد أن يردعهم عن المعاصي التي هي من أسباب حدوث البلاء، وخص منها الزنا لأنه

أعظمها. والنفس إليه أميل، وخص العبد والأمة بالذكر، رعاية **لحسن الأدب.**

ثم كرر الندبة فقال:

(يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم) من عظمة الله وعظيم انتقامه من أهل الجرائم، وشدة عقابه، وأهوال القيامة وما بعدها (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)، لتفكركم فيما علمتموه:

والقلة هنا بمعنى العدم، كما في قوله: قليل التشكي. أي عديمه وقوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾ [التوبة: ٨٢] أي غير منقطع.

واستدل بهذا الحديث على أن لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزائد على العادة في القيام وغيره، ومن زيادة ركوع في كل ركعة.

وقد وافق عائشة على رواية ذلك، عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، ومثله عن أسماء بنت أبي بكر، كما مر." (١)

"العز بن جماعة ورواية من روى أنه طاف راكبا لمرض ضعيفة. قال الشافعي: ولا أعلمه في تلك الحجة اشتكى والذي يظهر أن هذا الطواف الذي ركب فيه عليه الصلاة والسلام هو طواف الإفاضة كما ذكره الشافعي في الأم لأنه عليه الصلاة والسلام طاف في حجة الوداع ثلاثة أسابيع طوافه أول القدوم، وقد صح أنه عليه الصلاة والسلام رمل فيه ومشى أربعا وطواف الإفاضة وطواف الوداع، والمناسب أن يكون المركوب فيه منهما طواف الإفاضة ليراه الناس ويسألوه عن المناسك لا طواف الوداع، فإنه عليه الصلاة والسلام طافه في السحر بعد أن أخذ الناس المناسك.

فإن قلت: في صحيح مسلم من حديث جابر أنه عليه الصلاة والسلام طاف في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة لأن يراه الناس ويسألوه وسعيه في حجة الوداع كان مرة واحدة وكان عقب طوافه الأول. أجيب: بأن الواو لا تقتضي الترتيب فيكون طاف أول قدومه ماشيا ثم سعى راكبا ثم طاف يوم النحر راكبا. اهـ.

١٦٣٣ - حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب ابنة أم سلمة عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت "شكوت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أني أشتكي، فقال: طوفي من وراء الناس وأنت راكبة. فطفت ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يصلي إلى جنب البيت وهو يقرأ بالطور وكتاب مسطور".

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢٦٣/٢

وبه قال: (حدثنا عبد الله بن مسلمة) بفتح الميم واللام القعنبي قال: (حدثنا مالك) الإمام (عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل) الأسدي المدني يتيم عروة (عن عروة) بن الزبير (عن زينب ابنة) ولأبي ذر بنت (أم سلمة) زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- (عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: شكوت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أني أشتكي) أي مريضة (فقال): عليه الصلاة والسلام:

(طوفي من وراء الناس وأنت راكبة) (فطفت ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يصلي) الصبح (إلى جنب البيت) الحرام (وهو يقرأ ﴿بالطور وكتاب مسطور﴾) وهذا ظاهر فيما ترجم له المؤلف.

٧٥ - باب سقاية الحاج

(باب) ما جاء في (سقاية الحاج) مصدر سقي والمراد ما كانت قريش تسقيه الحاج من الزبيب المنبوذ في الماء وكان يليها العباس بن عبد المطلب بعد أبيه في الجاهلية، فأقرها النبي -صلى الله عليه وسلم- له في الإسلام فهي حق لآل العباس أبدا.

١٦٣٤ - حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا أبو ضمرة حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال "استأذن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته، فأذن له". [الحديث ١٦٣٤ - أطرافه في: ١٧٤٣، ١٧٤٤، ١٧٤٥].

وبالسند قال: (حدثنا عبد الله بن أبي الأسود) واسمه حميد الصيرفي ابن أخت عبد الرحمن بن مهدي قال: (حدثنا أبو ضمرة) بفتح الضاد المعجمة وسكون الميم أنس بن عياض الليثي المدني قال: (حدثنا عبيد الله) بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب (عن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال):

(استأذن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يبيت بمكة ليالي منى) ليلة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر "من أجل سقايته"، أي بسببها "فأذن له" فيه دليل على وجوب المبيت بمنى في الليالي الثلاث لغير معذور كاهل السقاية إلا أن ينفر في ثاني أيامها فيسقط مبيت الثالثة، والمراد معظم الليل كما لو حلف لا يبيت بمكان لا يحنث إلا بمبيته معظم الليل فيجب بتركه دم، وفي ترك مبيت الليلة الواحدة مد والليلتين مدان من الطعام. أما أهل السقاية ولو كانوا غير عباسيين والرعاء فلهم ترك المبيت من غير دم لأنه -صلى الله عليه وسلم- رخص للعباس كما مر ولرعاء الإبل كما رواه

الترمذي وقال: حسن صحيح. وقال الحنفية: المبيت بمنى ستة لأنه لو كان واجبا لما رخص في تركه لأهل السقاية. وأجابوا عن قول الشافعية لولا أنه واجب لما احتاج إلى إذن بأن مخالفة السنة عندهم كان مجانبا جدا خصوصا إذا انضم إليها الإنفراد عن جميع الناس مع الرسول عليه الصلاة

والسلام فاستأذن لإسقاط الإساءة الكائنة بسبب عدم موافقته عليه الصلاة والسلام لا فيه من إظهار المخالفة المستلزمة لسوء الأدب، إذ أنه عليه الصلاة والسلام كان يبيت بمنى ليالي أيام التشريق.

١٦٣٥ – حدثنا إسحاق حدثنا خالد عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس –رضي الله عنهما– "أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– جاء إلى السقاية فاستسقى. فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بشراب من عندها. فقال: اسقني. قال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه. قال: اسقني. فشرب منه. ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال؛ اعملوا فإنكم على عمل صالح. ثم قال: لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه. يعني عاتقه. وأشار إلى عاتقه".

وبه قال: (حدثنا إسحاق) هو ابن شاهين الواسطي لا ابن بشر قال: (حدثنا خالد) الطحان (عن خالد الحذاء عن عكرمة) مولى ابن عباس (عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– جاء إلى السقاية) التي يسقى بها الماء في الموسم وغيره (فاستسقى) طلب الشراب (فقال العباس) لولده: (يا فضل اذهب." [١]

"–رضي الله عنهما– (يمر بنا فيقول: لا تقرنوا) بضم الراء في اليونينية وبكسرها في غيرها من باب نصر ينصر وضرب يضرب أي لا تجمعوا في الأكل بين تمرتين (فإن النبي –صلى الله عليه وسلم– نهى عن الإقران) بكسر الهمزة من الثلاثي المزيد فيه وللحموي والمستملي عن القران بغير همز من الثلاثي وهو الصواب والنهي للتنزيه لما فيه من الحرص على الأكل والشره مع ما فيه من الدناءة. وقال ابن بطال: النهي عن القران من **حسن الأدب** في الأكل عند الجمهور لا على التحريم خلافا للظاهرية لأن الذي يوضع للأكل سبيله سبيل المكارمة لا التشاح لاختلاف الناس في الأكل لكن إذا استأثر بعضهم بأكثر من بعض لم يحمد له ذلك. (إلا أن يستأذن الرجل منكم أخاه) في القران فلا كراهة.

٥ – باب تقويم الأشياء بين الشركاء بقيمة عدل

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٧٩/٣

(باب تقويم الأشياء) نحو الأمتعة والعروض (بين الشركاء) حال كون التقويم (بقيمة عدل) واختلف في قسمتها بغير تقويم فأجازه الأكثر إذا كان على سبيل التراضي ومنعه الشافعي.

٢٤٩١ - حدثنا عمران بن ميسرة حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من أعتق شقصا له من عبد -أو شركا، أو قال نصيبا- وكان له ما يبلغ ثمنه بقيمة العدل فهو عتيق، وإلا فقد عتق منه ما عتق».

قال: لا أدري قوله: "عتق منه ما عتق" قول من نافع، أو في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. [الحديث ٢٤٩١ - أطرافه في: ٢٥٠٣، ٢٥٢١، ٢٥٢٢، ٢٥٢٣، ٢٥٢٤، ٢٥٢٥].

وبه قال: (حدثنا عمران بن ميسرة) بفتح الميم وسكون المثناة التحتية أبو الحسن البصري الأدمي قال: (حدثنا عبد الوارث) بن سعيد العنبري التنوري بفتح المثناة الفوقية وتشديد النون البصري (قال: حدثنا أيوب) بن أبي تميمة السختياني (عن نافع) مولى ابن عمر (عن ابن عمر -رضي الله عنهما-) أنه (قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-):

(من أعتق شقصا) بكسر الشين المعجمة نصيبا (له) قليلا كان أو كثيرا (من عبد) أي ذكر أو أنثى قال تعالى: ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبدا﴾ [مريم: ٩٣] فإنه يتناول

الذكر والأنثى قطعا (أو) قال (شركا) بكسر الشين أيضا (أو قال نصيبا) من عبد مشترك بينه وبين آخر (وكان له) أي الذي أعتق (ما يبلغ ثمنه) أي ثمن بقية العبد أما حصته فهو موسر بها لملكه لها فتعتق على كل حال. قال أصحابنا وغيرهم: ويصرف في ثمن بقية العبد جميع ما يباع في الدين فيباع مسكنه وخادمه وكل ما فضل عن قوت يومه وقوت من تلزمه نفقته ودست ثوب يلبسه وسكنى يومه، والمراد بالثمن هنا القيمة لأن الثمن ما اشتريت به العين واللازم هنا القيمة لا الثمن ويأتي إن شاء الله تعالى في رواية أيوب في كتاب العتق بلفظ: ما يبلغ قيمته (بقيمة العدل) بفتح العين من غير زيادة ولا نقص (فهو عتيق) أي معتق كله بعضه بالإعتاق وبعضه بالسراية ويقاس الوسر ببعض الباقي على الموسر بكله في السراية إليه وقيل لا يسري إليه اقتصارا على الوارد في الحديث (وإلا) وإن لم يكن له مال يبلغ ثمنه (فقد عتق) وللحموي والمستملي: فأعتق (منه) أي من العبد (ما عتق) أي المقدار الذي عتقه فقط وعين في الموضعين مفتوحة، ولأبي ذر: عتق بضمها وكسر الفوقية، وجوزه الداودي، وتعقبه السفاقسي بأنه لم يقله غيره وإنما يقال عتق بالفتح وأعتق بضم الهمزة ولا يعرف عتق بضم العين لأن الفعل لازم غير متعد.

(قال) أي أيوب كما في باب: إذا أعتق عبدا بين اثنين من كتاب العتق (لا أدري قوله) بالرفع (عتق منه ما

عتق قول من نافع) فيكون منقطعا مقطوعا (أو في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-) فيكون موصولا مرفوعا، وفي هذا بحث يأتي إن شاء الله تعالى مع بقية مباحث في كتاب العتق.

ومطابقته للترجمة ظاهرة، وأخرجه أيضا في العتق ومسلم في النذور والعتق وأبو داود في العتق والترمذي في الأحكام والنسائي في البيوع.

٢٤٩٢ - حدثنا بشر بن محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من أعتق شقيصا من مملوكه فعليه خلاصه في ماله، فإن لم يكن له مال قوم المملوك قيمة عدل، ثم استسعي غير مشقوق عليه». [الحديث ٢٤٩٢ - أطرافه في: ٢٥٠٤، ٢٥٢٦، ٢٥٢٧].

وبه قال: (حدثنا بشر بن محمد) بكسر الموحدة وسكون المعجمة السختياني أبو محمد المروزي صدوق لكنه رمي بالإرجاء قال: (أخبرنا عبد الله) بن المبارك قال: (أخبرنا سعيد بن أبي عروبة) بفتح العين المهملة وضم الراء بالموحدة اسمه مهران اليشكري (عن قتادة) بن دعامة (عن النضر بن أنس) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ابن مالك الأنصاري (عن بشير بن نهيك) بفتح النون وكسر الهاء وبعد التحتية الساكنة كاف وبشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة السلولي أو السدوسي (عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-) أنه (قال):

(من أعتق." [١]

"والسلام (لا تناجشوا) الأصل تتناجشوا حذفت إحدى التاءين تخفيفا من النجش بالنون والجيم والمعجمة وهو أن يزيد في الثمن بلا رغبة بل ليغر غيره (ولا يزيدن) بنون التأكيد الثقيلة وفي البيع من حديث علي بن المديني عن ابن عيينة ولا يبيع الرجل (على بيع أخيه ولا يخطبن) بنون التوكيد الثقيلة (على خطبته) بكسر الخاء المعجمة (ولا تسأل المرأة) بكسر اللام لالتقاء الساكنين على النهي (طلاق أختها) قال النووي: نهى المرأة الأجنبية أن تسأل رجلا طلاق زوجته وأن يتزوجها هي فيصير لها من نفقته ومعروفه ومعاشرته ما كان للمطلقة وعبر عن ذلك بقوله (لتستكفئ) بسين مهملة ساكنة بين المثناتين الفوقيتين أي لتقلب (إناءها) قال: والمراد بأختها نسبا أو رضاعا أو دينا ويلتحق بذلك الكافرة في الحكم وإن لم تكن أختا في الدين إما لأن المراد الغالب أو أنها أختها في الجنس الآدمي، وقال ابن عبد البر: المراد الضرة.

وهذا الحديث سبق في البيوع ويأتي إن شاء الله تعالى في النكاح.

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢٨٧/٤

٩ - باب الشروط التي لا تحل في الحدود

(باب الشروط التي لا تحل في الحدود).

٢٧٢٤ ، ٢٧٢٥ - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أنهما قالا: "إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله. فقال الخصم الآخر -وهو أفقه منه-: نعم فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: قل. قال: إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: الوليدة والغنم رد، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام. اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها. قال: فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرجمت".

وبه قال: (حدثنا قتيبة بن سعيد) أبو رجاء البغلاني قال: (حدثنا ليث) بلام واحدة ابن سعد الإمام (عن ابن شهاب) الزهري (عن عبيد الله) مصغرا (ابن عبد الله بن عتبة) بضم العين وسكون المثناة الفوقية (ابن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني -رضي الله عنهما- أنهما قالا: إن رجلا من الأعراب) لم يسم كغيره من المبهمات في هذا الحديث (أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله أنشدك الله) بفتح الهمزة وضم المعجمة والمهملة أي سألتك الله أي بالله ومعنى السؤال هنا القسم كأنه قال أقسمت عليك بالله أو ذكرتك الله بتشديد الكاف وحينئذ فلا حاجة لتقدير حرف جر فيه (إلا قضيت) أي ما أطلب منك إلا قضاءك (لي بكتاب الله) أي بحكم الله أو المراد به ما كان من القرآن متلوا فنسخت تلاوته وبقي حكمه وهو الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله (فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه) أي بحسن مخاطبته وأدبه أو أفقه منه في هذه القصة لوصفها على وجهها (نعم فاقض بيننا بكتاب الله) الفاء جواب شرط محذوف (وائذن لي) هو بهمزتين الأولى همزة وصل تحذف في الدرج والثانية فاء الفعل ساكنة فإذا ابتدأت بها ظهرت همزة الوصل وقلبت همزة الفعل ياء من جنس حركة الهمزة قبلها على قاعدة اجتماع الهمزتين وحذف المفعول المعدى بحرف الخفض للعلم به من السياق، والتقدير وائذن لي في أن أقول وهذا الاستئذان من **حسن الأدب** في مخاطبة الكبير (فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-):

(قل) (قال إن ابني كان عسيفا) القائل أن ابني إلخ هو الخصم الثاني كما هو ظاهر السياق، وجزم الكرماني بأنه الأول وعبارته ولفظ ائذن لي عطف على اقض إذا المستأذن هو الرجل الأعرابي لا خصمه انتهى.

والظاهر أنه استدل لذلك بما تقدم في كتاب الصلح عن آدم عن ابن أبي ذئب فقال الأعرابي: إن ابني بعد قوله في الحديث جاء أعرابي وفيه فقال خصمه، لكن قال الحافظ ابن حجر: إن هذه الزيادة شاذة يعني قوله فقال الأعرابي والمحفوظ في سائر الطرق كما هنا انتهى.

وينظر في قول الكرماني إذ المستأذن هو الرجل الأعرابي لا خصمه حيث جعله علة لقوله ائذن لي عطف على اقض لأن ظاهره التدافع على ما لا يخفى وكذا قول العيني في باب الاعتراف بالزنا من كتاب الحدود وقوله وائذن لي أي في الكلام لأتكلم، وهذا من جملة كلام الرجل لا الخصم وهذا من جملة فقهه حيث استأذن **بحسن الأدب** وترك رفع الصوت انتهى فليتأمل.

والعسيف بالسين المهملة والفاء أي كان أجيرا (على هذا فزنى) أي ابنه (بامرأته) بامرأة الرجل (وإني أخبرت) بضم الهمزة وكسر الموحدة (أن على ابني الرجم) لكونه كان بكرا واعترف (فافتديت) ابني (منه بمائة شاة) من الغنم (ووليدة) جارية (فسألت أهل العلم) الصحابة الذين كانوا يفتون في العصر النبوي." [1]

"الجمحي (لا أحفظ اسمه) في الباب التالي أنه القعقاع بن معبد بن زرارة (فقال أبو بكر لعمر) - رضي الله عنهما- (ما أردت إلا خلافي) بتشديد اللام بعد همزة مكسورة أي ليس مقصودك إلا مخالفة قولي، ولأبي ذر عن الكشميهني في الفرع كأصله ونسبها الحافظ ابن حجر لحكاية السفاقسي ما أردت إلى خلافي بلفظ حرف الجر وما على هذه الرواية استفهامية أي أي شيء قصدت منتهيا إلى مخالفتي (قال) ولأبي ذر فقال أي عمر (ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله) تعالى: (﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ الآية قال) ولأبي ذر فقال (ابن الزبير) عبد الله (فما كان عمر) -رضي الله عنه- (يسمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد هذه الآية حتى يستفهمه) وفي رواية وكيع في الاعتصام فكان عمر بعد ذلك إذا حدث النبي -صلى الله عليه وسلم- بحديث يحدثه كأخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه (ولم يذكر ذلك) عبد الله بن الزبير (عن أبيه) يريد جده لأمه أسماء (يعني أبا بكر) الصديق وإطلاق الأب على الجد مشهور.

وسياق هذا الحديث صورته صورة الإرسال لكن في آخره أنه حمله عن عبد الله بن الزبير ويأتي في الباب اللاحق التصريح بذلك.

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٤٣٨/٤

٤٨٤٦ - حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا أزهر بن سعد، أخبرنا ابن عون قال: أنبأني موسى بن أنس عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه، فقال له: ما
شأنك؟ فقال: شر. كان يرفع صوته فوق صوت النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد حبط عمله وهو من أهل النار فأتى الرجل النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبره أنه قال: كذا وكذا، فقال موسى، فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: «اذهب إليه، فقال له إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة».
وبه قال: (حدثنا علي بن عبد الله) المديني قال: (حدثنا أزهر بن سعد) بسكون العين البصري الباهلي قال: (أخبرنا ابن عون) عبد الله بن عون بن أرطبان (قال: أنبأني) بالإفراد (موسى بن أنس) قاضي البصرة (عن) أبيه (أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- افتقد ثابت بن قيس) خطيب الأنصار وكان قد قعد في بيته حزينا لما نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] الآية. وكان من أرفع الصحابة صوتا (فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك) لأجلك (علمه) خبره والرجل هو سعد بن معاذ كما في مسلم لكن قال ابن كثير الصحيح أن حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ موجودا لأنه كان قد مات بعد بني قريظة بأيام قلائل سنة خمس وهذه الآية نزلت في وفد بني تميم والوفود إنما تواتروا في سنة تسع من الهجرة قال في الفتح ويمكن الجمع بأن الذي نزل في قصة ثابت مجرد رفع الصوت والذي نزل في قصة الأقرع أول السورة وفي تفسير ابن المنذر أنه سعد بن عبادة وعند ابن جرير أنه عاصم بن عدي العجلاني (فأتاه) أي فأتى الرجل ثابت بن قيس (فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه) بكسر الكاف (فقال له: ما شأنك)؟ أي ما حالك (فقال) ثابت حالي (شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي -صلى الله عليه وسلم-) كان الأصل أن يقول كنت أرفع صوتي لكنه التفت من الحاضر إلى الغائب (فقد حبط عمله وهو من أهل النار) لأنه كان يجهر بالقول بين يدي الرسول وكان القياس عملي وأنا (فأتى الرجل النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبره أنه قال: كذا وكذا) للذي قاله ثابت (فقال موسى) بن أنس بالإسناد السابق إلى ثابت (فرجع) الرجل المذكور (إليه) أي إلى ثابت (المرة الآخرة) بمد الهمزة (ببشارة عظيمة) من الرسول (فقال) عليه الصلاة والسلام للرجل:
(اذهب إليه) أي إلى ثابت (فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة) زاد في رواية أحمد قال فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت قد تحنط ولبس كفنه وقاتلهم حتى قتل وهذا لا ينافي ما روي في العشرة المبشرين بالجنة لأن

مفهوم العدد لا اعتبار له فلا ينفي الزائد.

وهذا الحديث ذكره أواخر علامات النبوة وتفرد به من هذا الوجه.

٢ - باب ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾

هذا (باب) بالتنوين قوله تعالى: (﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾) من خارجها ما أو قدامها والمراد حجرات نسائه عليه الصلاة والسلام ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فأسند فعل الإبعاض إلى

الكل (﴿أكثرهم لا يعقلون﴾) [الحجرات: ٤] إذ العقل يقتضي **حسن الأدب**.

٤٨٤٧ - حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا الحجاج عن ابن جريج، قال: أخبرني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلى أو إلا خلافي فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ [الحجرات: ١] حتى انقضت الآية.

وبه قال: (حدثنا." (١)

"نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب هذا الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد فصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: بسم الله رب هذا الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذره قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٣٥١/٧

فإنك على الحق.

(﴿فتنوا﴾) [البروج: ١٠] أي (عذبوا) قاله مجاهد فيما وصله الفريابي.

(وقال ابن عباس الودود) هو (الحبيب) المتودد إلى أوليائه بالكرامة (المجيد) أي (الكريم) وقول ابن عباس هذا ساقط في الفرع كأصله ثابت في رواية النسفي وحده.

[٨٦] سورة الطارق

هو النجم، وما أتاك ليلا فهو طارق. ﴿النجم الثاقب﴾: المضيء. وقال مجاهد ﴿ذات الرجع﴾ سحاب يرجع بالمطر ﴿ذات الصدع﴾ الأرض تتصدع بالنبات. وقال ابن عباس: ﴿لقول فصل﴾: لحق. ﴿لما عليها حافظ﴾: إلا عليها حافظ.

([٨٦] سورة الطارق)

ثبت لفظ سورة لأبي ذر وهي مكية وآيها سبع عشرة.

(هو) أي الطارق (النجم وما أتاك ليلا فهو طارق) ولا يسمى ذلك بالنهار فسمي به النجم لظهوره ليلا (﴿النجم الثاقب﴾) هو (المضيء) وهذا كله ثابت للنسفي وحده ساقط في الفرع كأصله.

(وقال مجاهد): فيما وصله الفريابي (﴿ذات الرجع﴾) [الطارق: ١١] هي (سحاب يرجع المطر) ولأبي ذر ترجع بالفوقية بدل التحتية وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب).

(﴿ذات﴾) ولأبي ذر وذات (﴿الصدع﴾) [الطارق: ١٢]. هي (الأرض تتصدع بالنبات) والعيون.

(وقال ابن عباس: ﴿لقول فصل﴾) [الطارق: ١٣] أي (لحق) وجد يفصل بين الحق والباطل.

(﴿لما عليها حافظ﴾) [الطارق: ٤] أي (إلا عليها حافظ) وهذا التفسير على تشديد ميم لما وهي قراءة عاصم وابن عامر وحمزة وإن نافية وثبت قوله وقال ابن عباس إلى آخره للنسفي وحده وسقط من الفرع كأصله.

[٨٧] سورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾

وقال مجاهد ﴿قدر فهدى﴾: قدر للإنسان الشقاء والسعادة. ﴿وهدى الأنعام﴾: لمراتعها.

([٨٧] سورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾)

ثبت سورة الأعلى لأبي ذر وهي مكية وآيها تسع عشرة.

ومعنى (﴿سبح اسم ربك﴾) أي نزه ربك (الأعلى) عما يصفه الملحدون فالاسم صلة وبه يحتج من جعل

الاسم والمسمى واحدا لأن أحدا لا يقول سبحان اسم الله بل سبحان الله وقال قوم: أي نزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم فجعلوا الاسم بمعنى التسمية فكما أنه يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها **عن سوء الأدب**.

وقد سبق في أول هذا المجموع مزيد لذلك والله الموفق.

(وقال مجاهد) في قوله (﴿قدر فهدى﴾) [الأعلى: ٣] أي (قدر للإنسان الشقاء والسعادة) (﴿وهدى الأنعام﴾ لمراتعها) وصله الطبري وثبت للنسفي وحده.

٤٩٤١ - حدثنا عبدان قال: أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء -رضي الله عنه- قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي -صلى الله عليه وسلم-، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد جاء فما جاء، حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] في سور مثلها.

وبه قال: (حدثنا عبدان) لقب عبد الله بن عثمان (قال أخبرني) بالإفراد (أبي) عثمان بن جبلة (عن شعبة) بن الحجاج (عن أبي إسحاق) عمرو بن عبد الله السبيعي (عن البراء) بن عازب -رضي الله عنه- أنه (قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-) المدينة من المهاجرين (مصعب بن عمير) بضم العين مصغرا وضم ميم مصعب (وابن أم مكتوم) عمرو بن قيس العامر (فجعلا يقرئاننا القرآن) أي ما نزل منه (ثم جاء) المدينة أيضا (عمار) يعني ابن ياسر (وبلال) المؤذن (وسعد) يعني ابن أبي وقاص (ثم جاء) أيضا (عمر بن." [1]

"بن عيينة عن ابن شهاب واسم هذا الأعرابي

ضمضم بن قتادة كما عند عبد الغني بن سعيد في المبهمات له (أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود) لم أعرف اسم المرأة ولا الغلام، وزاد في كتاب الاعتصام من طريق ابن وهب عن يونس وإني أنكرته أي استنكرته بقلبي ولم يرد أنه أنكره بلسانه وإلا لكان صريحا لا تعريضا لأنه قال غلام أسود أي وأنا أبيض أي فكيف يكون مني (فقال) النبي -صلى الله عليه وسلم- له:

(هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال) عليه الصلاة والسلام: (ما ألوانها؟ قال): ألوانها (حمر) بضم الحاء

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٦١٤/٧

المهملة وسكون الميم (قال) -صلى الله عليه وسلم- (هل فيها من أورق) غير منصرف للوصف ووزن الفعل كأحمر قال في القاموس: ما في لونه بياض إلى سواد وهو من أطيب الإبل لحما لا سيرا وعملا، وقال غيره: الذي فيه سواد ليس بحالك بأن يميل إلى الغبرة ومنه قيل للحمامة ورقاء ومن في قوله من أورق زائدة (قال: نعم، قال) عليه الصلاة والسلام له (فأنى ذلك) بفتح النون المشددة أي من أين أتاه اللون الذي ليس في أبويه (قال) الرجل (لعله نزعة عرق) بكسر العين المهملة وسكون الراء بعدها قاف ونزعه بالنون والزاي والعين المهملة أي قلبه وأخرجه من ألوان فحله ولقاحه، وفي المثل العرق نزاع والعرق الأصل مأخوذ من عرق الشجرة ومنه قولهم فلان عريق في الأصالة يعني أن لونه إنما جاء لأن في أصوله البعيدة ما كان فيه هذا اللون، ولأبوي ذر والوقت والأصيلي وابن عساكر: لعل بغير هاء عرق بالرفع، وقد جزم بعضهم بأن الصواب النصب أي لعل عرقا نزعه، وقال الصغاني: يحتمل أن يكون بالهاء فسقطت، ووجهه ابن مالك باحتمال أنه حذف منه ضمير الشأن، وقال في المصابيح: اسم لعل ضمير نصب محذوف ومثله عندهم قليل بل صرح بعضهم بضعفه. (قال) -صلى الله عليه وسلم- (فلعل ابنك هذا نزعه) أي العرق.

وفائدة الحديث المنع عن نفي الولد بمجرد الأمارات الضعيفة، بل لا بد من تحقق كأن رآها تزني أو ظهور دليل قوي كأن لم يكن وطئها أو أتت بولد قبل ستة أشهر من مبدأ وطئها أو لأكثر من أربع سنين، بل يلزمه نفي الولد لأن ترك نفيه يتضمن استلحاقه واستلحاق من ليس منه حرام كما يحرم نفي من هو منه.

وفي حديث أبي داود وصححه الحاكم على شرط مسلم: أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولم يدخلها جنته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فنص في الأول على المرأة وفي الثاني على الرجل، ومعلوم أن كلا منهما في معنى الآخر ولا يكفي مجرد الشيوع لأنه قد يذكره غير ثقة فيستفيض فإن لم يكن ولد فالأولى أن يستر عليها ويطلقها إن كرهها.

وفي الحديث أن التعريض بالقذف ليس قذفا، وبه قال الجمهور، واستدل به إمامنا الشافعي لذلك وعن المالكية يجب به الحد إذا كان مفهوما.

وهذ الحديث أخرجه أيضا في المحاربين.

٢٧ - باب إحلاف الملاعن

(باب إحلاف الملاعن) بكسر العين.

٥٣٠٦ - حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله -رضي الله عنه- أن رجلا من

الأنصار قذف امرأته فأحلفهما النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم فرق بينهما.

وبه قال: (حدثنا موسى بن إسماعيل) أبو سلمة المنقري التبوذكي قال: (حدثنا جويرية) بضم الجيم مصغرا ابن أسماء (عن نافع عن عبد الله) بن عمر (رضي الله عنه) وعن أبيه (أن رجلا من الأنصار) هو عويمر العجلاني (قذف امرأته) بالزنا (فأحلفهما النبي -صلى الله عليه وسلم-) الإحلاف المخصوص وهو اللعان وهو دليل على أن اللعان يمين وهو قول الشافعي ومالك. وقال أبو حنيفة: اللعان شهادة. فعلى الأول كل من صح لعانه فلا لعان بقذف صبي ومجنون مكره ولا عقوبة عليهم، نعم يعزز المميز من الصبي والمجنون ويسقط عنه ببلوغه وإفاقته لأنه كان للزجر **عن سوء الأدب** وقد حدث له زاجر أقوى من ذلك وهو التكليف ويلاعن الذمي والرقيق، وعلى الثاني لا يصح إلا من حرين مسلمين واحتج بعض الحنفية بأنها لو كانت يمينا لما تكررت. وأجيب: بأنها خرجت عن القياس تغليطا لحرمة الفروج كما خرجت القسامة لحرمة الأنفس." (١)

"إشباعي ودفع الجوع عني (من كان أحق به منك يا عمر) وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والجملة في موضع نصب مفعول تولى الله (والله لقد استقرأتك الآية ولأنا) مبتدأ مؤكد باللام وخبره قوله (أقرأ لها منك. قال عمر: والله لأن أكون أدخلتك) داري وأضفتك (أحب الي من أن يكون لي مثل حمر النعم) عبر بذلك لأن الإبل كانت أشرف أموالهم.

٢ - باب التسمية على الطعام، والأكل باليمين

(باب) استحباب (التسمية على الطعام) عند ابتداء الأكل ولو من جنب وحائض (و) استحباب (الأكل باليمين) وهذه الجملة مشطوب عليها بالحمرة في الفرع كأصله.

٥٣٧٦ - حدثنا علي بن عبد الله أخبرنا سفيان قال الوليد بن كثير: أخبرني أنه سمع وهب بن كيسان أنه سمع عمر بن أبي سلمة يقول: كنت غلاما في حجر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد.

وبه قال: (حدثنا علي بن عبد الله) المديني قال: (أخبرنا سفيان) بن عيينة (قال الوليد بن كثير) بالمثلثة المخزومي القرشي المدني (أخبرني) بالإفراد وهو من تأخير الصيغة عن الراوي وعند أبي نعيم في مستخرجه

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٧٣/٨

والحميدي في مسنده عن سفيان قال: حدثنا الوليد بن كثير (أنه سمع وهب بن كيسان) بفتح الكاف (أنه سمع عمر بن أبي سلمة) بضم العين ابن عبد الأسد واسم أبي سلمة عبد الله (يقول: كنت غلاما) دون البلوغ (في حجر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) بفتح الحاء وسكون الجيم في تربيته وتحت نظره. وقال في القاموس: الحجر مثلثة المنع وحضن الإنسان ونشأ في حجره وحجره أي في حفظه وستره، وقد كان عمر هذا ابن أم سلمة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- (وكانت يدي تطيش) بالطاء المهملة والشين المعجمة أي تتحرك وتمتد (في) نواحي (الصحفة) ولا تقتصر على موضع واحد وكان الظاهر كما قال في شرح المشكاة أن يقال: وكنت أطيش بيدي في الصحفة فأسند الطيش إلى اليد مبالغة وأنه لم يكن يراعي أدب أكل (فقال لي: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-):

(يا غلام سم الله) ندبا طردا للشيطان ومنعا له من الأكل وهو سنة كفاية إذا أتى به البعض سقط عن الباقين كرد السلام وتشميت العاطس لأن المقصود من منع الشيطان من الأكل يحصل بواحد. نعم مع ذلك يستحب لكل واحد بناء ما عليه الجمهور من أن سنة الكفاية كفرضها مطلوبة من الكل لا من البعض فقط ويقاس بالأكل الشرب وأقله كما قال النووي: بسم الله وأفضله بسم الله الرحمن الرحيم، لكن قال في الفتح: أنه لم ير لما ادعاه من الأفضلية دليلا خاصا انتهى.

فإن تركه ولو عمدا في أوله قال في أثنائه: بسم الله أوله وآخره كما في الوضوء ولو سمى مع كل لقمة فهو أحسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله فتسمية الله تعالى في أوله وآخره ترياق وبركة لطعامه، وقال في الإحياء: أنه يستحب أن يقول مع الأولى بسم الله، ومع الثانية بسم الله الرحمن: ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم، وتعقبه في الفتح بأنه لم ير لاستحباب ذلك دليلا انتهى.

(وكل) ندبا (بيمينك) لأن الشيطان يأكل بالشمال ولشرف اليمين ولأنه أقوى في الغالب

وأمكن وهي مشتقة من اليمين فهي وما نسب إليها وما اشتق منها محمود لغة وشرعا ودينا ويقاس عليه الشرب، ونص الشافعي في الرسالة والأم على الوجوب لورود الوعيد في الأكل بالشمال ففي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى رجلا يأكل بشماله فقال: "كل بيمينك" قال لا أستطيع فقال "لا استطعت" فما رفعها إلى فيه بعد (وكل مما يليك) لأن أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مودة لتقذر النفس لا سيما في الإمراق ولما فيه من إظهار الحرص والنهم وسوء الأدب وأشباهها فإن كان تمرا فقد نقلوا إباحة اختلاف الأيدي في الطبق، والذي ينبغي التعميم حملا على عموم حتى يثبت دليل مخصص قال عمر بن أبي سلمة: (فما زالت تلك طعمتي) بكسر الطاء أي صفة أكلى

(بعد) بالبناء على الضم أي استمر ذلك صنيعي في الأكل.

٣ - باب الأكل مما يليه وقال أنس قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اذكروا اسم الله، وليأكل كل رجل مما يليه»

(باب) استحباب (الأكل مما يليه. وقال أنس) -رضي الله عنه- وسقط التبويب لغير أبي ذر (قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه). وهذا التعليق طرف من حديث الجعد عن أنس في قصة الوليمة على زينب بنت جحش السابق في باب الهدية للعروس في." (١)

"أبو معشر من التصريح بالنهي عن قطع اللحم بالسكين، وأكثر ما في حديث صفوان بن أمية أن النهش أولى.

وهذا الحديث قد سبق في الوضوء.

٢١ - باب ما عاب النبي -صلى الله عليه وسلم- طعاما

هذا (باب) بالتنوين (ما عاب النبي -صلى الله عليه وسلم- طعاما) من الأطعمة المباحة.

٥٤٠٩ - حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: ما عاب النبي -صلى الله عليه وسلم- طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه.

وبه قال: (حدثنا محمد بن كثير) بالمثلثة أبو عبد الله العبدي قال: (أخبرنا سفيان) الثوري وقال العيني ابن عيينة (عن الأعمش) سليمان (عن أبي حازم) سليمان الأشجعي (عن أبي هريرة) -رضي الله عنه- (أنه قال: ما عاب النبي -صلى الله عليه وسلم- طعاما قط) سواء كان من صنعة الآدمي أو لا، فلا يقول مالح غير ناضج ونحو ذلك (إن اشتهاه أكله وإن كرهه) كالضب (تركه) واعتذر بكونه لم يكن بأرض قومه، وهذا كما قال ابن بطال: من **حسن الأدب** لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون فيه من جهة الشرع لا عيب فيه.

٢٢ - باب النفخ في الشعير

(باب النفخ في الشعير).

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٨/٢١١

٥٤١٠ - حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان قال: حدثني أبو حازم أنه سأل سهلا: هل رأيتم في زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- النقي؟ قال: لا. فقلت: كنتم تنخلون الشعير؟ قال: لا، ولكن كنا ننفخه. [الحديث ٥٤١٠ - أطرافه في: ٥٤١٣].

وبه قال: (حدثنا سعيد بن أبي مريم) هو سعيد بن الحكم بن محمد بن أبي مريم الجمحي مولاهم البصري قال: (حدثنا أبو غسان) بفتح الغين المعجمة والسين المهملة المشددة محمد بن مطرف الليثي (قال: حدثني) بالإفراد (أبو حازم) سلمة بن دينار وهو غير الذي قبله في الباب السابق وهو أصغر منه وكل منهما تابعي (أنه سأل سهلا) بفتح السين المهملة وسكون الهاء ابن سعد الساعدي (هل رأيتم في زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- النقي) بفتح النون وكسر القاف وتشديد التحتية الخبز الحواري وهو ما نقي دقيقه من الشعير وغيره فصار أبيض (قال) سهل (لا) ما رأينا في زمانه -صلى الله عليه وسلم- النقي. قال أبو حازم سلمة (فقلت) له (كنتم) ولأبي ذر عن الكشميهني فهل كنتم (تنخلون الشعير)؟ بعد طحنه استفهام حذفت أداته (قال) سهل (لا ولكن كنا ننفخه) بعد طحنه لتطير منه قشوره.

وهذا الحديث من أفراده ويأتي في الباب اللاحق من غير هذا الوجه بأتم منه هنا إن شاء الله تعالى.

٢٣ - باب ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه يأكلون

(باب ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه يأكلون).

٥٤١١ - حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عباس الجريري عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة قال: قسم النبي -صلى الله عليه وسلم- يوما بين أصحابه تمرا فأعطى كل إنسان سبع تمرات فأعطاني سبع تمرات إحداهن حشفة فلم يكن فيهن تمرة أعجب إلي منها شدت في مضاغي. [الحديث ٥٤١١ - أطرافه في: ٥٤٤١].

وبه قال: (حدثنا أبو النعمان) محمد بن عارم أبو الفضل السدوسي البصري قال: (حدثنا حماد بن زيد) بن درهم (عن عباس) بالموحدة آخره سين مهملة ابن فروخ بالفاء والراء المشددة المضمومة آخره جيم (الجريري) بضم الجيم وفتح الراء الأولى مصغرا (عن أبي عثمان) عبد الرحمن بن مل (النهدي عن أبي هريرة) -رضي الله عنه- أنه (قال: قسم النبي -صلى الله عليه وسلم- يوما بين أصحابه تمرا فأعطى كل إنسان) منهم (سبع تمرات فأعطاني سبع تمرات إحداهن حشفة) بحاء مهملة ثم معجمة ثم فاء مفتوحات من أردأ التمر (فلم يكن فيهن تمرة أعجب إلي منها) من الحشفة (شدت) بالشين المعجمة والدال المشددة المهملة المفتوحتين (في مضاعي) بفتح الميم الطعام يمضغ ولأبي ذر بكسرها بعدها ضاد معجمة وبعد

الألف غين معجمة يحتمل أن يكون المراد ما يمضع بہ وهو الأسنان وأن يكون المراد به المضع نفسه.
وهذا الحديث أخرجه الترمذي في الزهد والنسائي في الوليمة وابن ماجة في الزهد.

٥٤١٢ - حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن إسماعيل عن قيس عن سعد قال: رأيتني سابع سبعة مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ما لنا طعام إلا ورق الحبلة، أو الحبلة حتى يضع أحدنا ما تضع الشاة، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام، خسرت إذا وضل سعيي.

وبه قال: (حدثنا) ولأبي ذر: حدثني بالإفراد (عبد الله بن محمد) المسندي قال: (حدثنا وهب بن جرير) قال: (حدثنا شعبة) بن الحجاج (عن إسماعيل) بن أبي خالد (عن قيس) هو ابن أبي حازم (عن سعد) هو ابن أبي وقاص أنه (قال: رأيتني) أي رأيت نفسي (سابع سبعة) سبق إسلامهم (مع النبي -صلى الله عليه وسلم-) وهم كما عند ابن أبي خيثمة: أبو بكر، وعثمان، وعلي، وزيد بن حارثة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص (ما لنا طعام) نأكله (إلا ورق الحبلة) بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة (أو الحبلة) بفتح الحاء والموحدة ثمر العضاه وثمر السمر وهو يشبه اللوبيا أو المراد عروق الشجر وقال في المطالع: الحبلة الكرم قاله ثعلب، وفي الحديث: لا تسموا العنب الكرم ولكن قولوا الحبلة (حتى يضع أحدنا ما تضع الشاة) يريد أن أحدهم كان
إذا قضى حاجته ألقى شيئا كالبعر الذي تلقيه الشاة (ثم أصبحت بنو أسد تعزرني) بزاي مشددة بعدها راء أي تؤدبني (على الإسلام) وتعلمني أحكامه." (١)

"إلا أنت أعوذ بك من شر ما صنعت إذا قال) ذلك (حين يمسي فمات دخل الجنة أو) قال (كان من أهل الجنة) من غير أن يدخل النار (وإذا قال) ذلك (حين يصبح فمات من يومه مثله).
وسبق الحديث قريبا في باب أفضل الاستغفار.

٦٣٢٤ - حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعى بن حراش، عن حذيفة قال: كان النبى -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد أن ينام قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا»، وإذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

وبه قال: (حدثنا أبو نعيم) الفضل بن دكين قال: (حدثنا سفيان) بن عيينة (عن عبد الملك بن عمير) بضم العين وفتح الميم (عن ربعي بن حراش) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر العين المهملة وحراش بكسر الحاء المهملة وفتح الراء المخففة وبعد الألف شين معجمة (عن حذيفة) بن اليمان -رضي الله عنه- أنه

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢٢٦/٨

(قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد أن ينام قال):
(باسمك اللهم أموت وأحيا) بفتح الهمزة. قال القرطبي: فيه أن الاسم عين المسمى فهو كقوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] أي سبح ربك اهـ. والمعنى نزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم فالاسم يكون بمعنى التسمية، وقال الإمام: كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب، وقال آخرون: المعنى نزه ربك فالاسم صلة لأن أحدا لا يقول سبحان اسم الله بل سبحان الله وقد سمى الله تعالى نفسه بالأسماء الحسنى ومعانيها ثابتة له فكل ما ظهر في الوجود فهو صادر عن تلك المقتضيات فكأنه قال: باسمك المحيي أحيا وباسمك المميت أموت. وقال بعضهم: المحيي من أحيا قلوب العارفين بأنوار معرفته وأرواحهم بلطائف مشاهدته والمميت من أمات القلوب بالغفلة والنفوس باستيلاء الزلة والعقول بالشهوة. (و) كان -صلى الله عليه وسلم- (إذا استيقظ من منامه قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا) أطلق الموت على النوم لما بينهما من الشبه بجامع ما بينهما من عدم الإدراك والانتفاع بما شرع من القربات فحمد الله تعالى شكرا على رد ذلك لينال ذلك وهذا صدر منه -صلى الله عليه وسلم- على جهة العبودية والتعليم (وإليه النشور) الإحياء للبعث أو المرجع في نيل الثواب مما نكتسبه في حياتنا هذه.
والحديث مر في باب ما يقول إذا نام.
٦٣٢٥ - حدثنا عبدان، عن أبى حمزة، عن منصور، عن ربعى بن حراش، عن خرشة بن الحر، عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: كان النبى -صلى الله عليه وسلم- إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «اللهم باسمك أموت وأحيا»، فإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».
وبه قال: (حدثنا عبدان) هو عبد الله بن عثمان المروزي (عن أبي حمزة) بالحاء المهملة والزاي محمد بن ميمون السكري (عن منصور) هو ابن المعتمر (عن ربعي بن حراش) أبي مريم العبسي الكوفي ثقة عابد مخضرم (عن خرشة بن الحر) بفتح الخاء المعجمة والراء والشين المعجمة والحر بالحاء المهملة المضمومة والراء المشددة الفزاري بالفاء والزاي بعدها راء مكسورة (عن أبي ذر) جندب الغفاري (-رضي الله عنه-) أنه (قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أخذ مضجعه) بفتح الجيم (من الليل قال):
(اللهم باسمك أموت و) باسمك (أحيا فإذا استيقظ) فإذا بالفاء هنا وفي السابق بالواو بدلها (قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) ولم يحصل في حديث حذيفة الماضي وحديث أبي ذر هذا اختلاف في المتن إلا في الفاء والواو كما ذكرته وقد ظهر أن لربعي فيه طريقين، وقد وافق أبا حمزة على

الإسناد شيبان النحوي فيما أخرجه الإسماعيلي وأبو نعيم في مستخرجيه من طريقه وفي الباب أحاديث أخر.

١٧ - باب الدعاء فى الصلاة

(باب الدعاء في الصلاة).

٦٣٢٦ - حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا الليث، قال: حدثنى يزيد، عن أبى الخير، عن عبد الله بن عمرو، عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه قال للنبى -صلى الله عليه وسلم-: علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال: «قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم». وقال عمرو: عن يزيد، عن أبى الخير إنه سمع عبد الله بن عمرو: قال أبو بكر - رضى الله عنه - للنبى -صلى الله عليه وسلم-.

وبه قال: (حدثنا عبد الله بن يوسف) التنيسي قال: (أخبرنا) ولأبي ذر: حدثنا (الليث) بن سعد الإمام قال: (حدثني) بالإفراد (يزيد) بن أبي حبيب (عن أبي الخير) مرثد بن عبد الله اليزني المصري (عن عبد الله بن عمرو) بفتح العين ابن العاصي -رضي الله عنهما- (عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: علمني) قال ابن فرحون: أي حفظني (دعاء) مفعول ثان لعلم (أدعو به في صلاتي) جملة في محل نصب صفة لدعاء والعائد قوله به والضمير يعود على دعاء وفي صلاتي متعلق بأدعو لا يعلمني لفساد المعنى (قال) -صلى الله عليه وسلم-:

(قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا) بملابسة ما يوجب عقوبتها أو ينقص حظها وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه والنفس المراد بها هنا الذات المشتملة على الروح وإن كان بين العلماء خلاف في." (١)

"مبالغة (ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله) عز وجل (من العذاب لم يأمن من النار).

ومطابقة الحديث للترجمة من جهة أنه اشتمل على الوعد والوعيد المقتضيين للرجاء والخوف.

٢٠ - باب الصبر عن محارم الله

﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر: ١٠].

وقال عمر وجدنا خير عيشنا بالصبر.

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٨٩/٩

(باب الصبر على محارم الله) عز وجل والصبر على المواظبة على فعل الواجبات، والصبر حبس النفس على المكروه وعقد اللسان عن الشكوى والمكابدة في تحمله وانتظار الفرج. وقال ذو النون: الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة، وقال ابن عطاء الله: الصبر الوقوف مع البلاء **بحسن الأدب** (﴿إنما﴾) ولأبي ذر وقول الله عز وجل إنما (﴿يوفى الصابرون﴾) على تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير (﴿أجرهم بغير حساب﴾) [الزمر: ١٠] قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: لا يهتدي إليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الأجر أي موفرا وذكر في القرآن في خمسة وتسعين موضعا. (وقال عمر) بن الخطاب: (وجدنا خير عيشنا بالصبر) ولأبي ذر عن الكشميهني الصبر بإسقاط الخافض والنصب.

وهذا وصله أحمد في كتاب الزهد بسند صحيح عن مجاهد عن عمر.

٦٤٧٠ - حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهرى أخبرنى عطاء بن يزيد أن أبا سعيد أخبره أن أناسا من الأنصار سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم يسأله أحد منهم، إلا أعطاه حتى نفد ما عنده فقال لهم حين نفد كل شيء أنفق بيديه «ما يكن عندى من خير، لا أدخره عنكم وإنه من يستعف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، ومن يستغن يغنه الله، ولن تعطوا عطاء خيرا وأوسع من الصبر».

وبه قال: (حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع قال: (أخبرنا شعيب) هو ابن أبي حمزة (عن الزهري) محمد بن مسلم بن شهاب أنه قال: (أخبرني) بالإفراد (عطاء بن يزيد الليثي) سقط الليثي

لغير أبي ذر (أن أبا سعيد) سعد بن مالك زاد أبو ذر الخدري (أخبره أن أناسا) بهمزة مضمومة ولأبي ذر: ناسا بإسقاطها (من الأنصار) قال في الفتح: لم أقف على أسمائهم وقد سبق في الزكاة من طريق مالك عن ابن شهاب الإشارة إلى أن منهم أبا سعيد (سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم يسأله) وللحموي والمستملي فلم يسأل (أحد منهم إلا أعطاه حتى نفد ما عنده) بفتح النون وكسر الفاء بعدها دال مهملة فرغ (فقال) -صلى الله عليه وسلم-: (لهم حين نفد كل شيء أنفق) بفتحات (بيديه) بالتثنية ولأبي ذر بيده بالإفراد.

(ما يكن عندي من خير) أي مال (لا أدخره عنكم) بتشديد الدال على الإدغام أي أجعله ذخيرة لغيركم معرضا عنكم ولأبي ذر ما يكون بالواو فما موصولة وعلى الأولى شرطية (وإنه من يستعف) بتشديد الفاء يكف عن الحرام والسؤال (يعفه الله) بتشديد الفاء يرزقه الله العفة بأن يعطيه ما يستغني به عن السؤال ويخلق في قلبه الغنى، ولأبي ذر عن الكشميهني مما في الفرع يستعف بسكون العين بعدها فاء خفيفة من

الاستعفاء وفي الفتح وتبعه العيني عن الكشميهني يستعفف بزيادة فاء أخرى وكذا هو في اليونينية (ومن يتصبر) يتكلف الصبر (يصبره الله) بالجزم فيهما يرزقه الله الصبر (ومن يستغن) أي يظهر الغنى أو يستغن بالله عمن سواه (يغنه الله) أي يرزقه الغنى عن الناس (ولن تعطوا) بضم الفوقية وسكون العين وفتح الطاء المهملتين (عطاء خيرا وأوسع من الصبر) لأنه جامع لمكارم الأخلاق على ما لا يخفى.

والحديث سبق في الزكاة وأخرجه مسلم والنسائي.

٦٤٧١ - حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا مسعر، حدثنا زياد بن علاقة قال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: كان النبى -صلى الله عليه وسلم- يصلى حتى ترم أو تنتفخ قدماه فيقال له: فيقول: «أفلا أكون عبدا شكورا»؟.

وبه قال: (حدثنا خلاد بن يحيى) بن صفوان السلمي الكوفي سكن مكة قال: (حدثنا مسعر) بكسر الميم وسكون المهملة ابن كدام الكوفي قال: (حدثنا زياد بن علاقة) بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالقاف (قال: سمعت المغيرة بن شعبة) -رضي الله عنه- (يقول: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يصلي حتى ترم) بكسر الراء وتخفيف الميم من ورم يرم مثل ورث يرث وهو على خلاف القياس وقياسه تورم بفتح الراء وإثبات الواو مثل وجل يوجل (أو تنتفخ قدماه) بالشك من الراوي وهما بمعنى (فيقال له) قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفي حديث عائشة أنها قالت لم تصنع هذا وقد غفر الله لك فظهر أن القائل عائشة (فيقول):

(أفلا) أي أأترك قيامي وتهجدي لما غفر لي فلا (أكون عبدا شكورا) من أبنية المبالغة.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إنه -صلى الله عليه وسلم- صبر على الطاعة حتى تورمت قدماه والصبر يكون على ثلاثة أقسام صبر عن المعصية." (١)

"الشيخ العلامة

عبد المحسن العباد

حفظه الله تعالى

قام بهذا التفريغ

أبو تقي الدين ناصر الدين

الجزائري

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٩/٢٧٠

كتاب الطهارة

(١) باب تأويل قوله عز وجل

﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى ألمرافق)

١- أخبرنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في وضوئه حتى يغسلها ثلاثا فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده (١)

---

(١) - يوم السبت الموافق ١٠/صفر/١٤١٣ هـ ، والدرس بعد صلاة المغرب:

الشيخ حفظه الله: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأجمعين.

أما بعد:

فهذا هو أول كتاب النسائي أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب رحمة الله عليه.

كتاب الطهارة ، وفي بعض النسخ ليس فيه ذكر كتاب الطهارة.

وإنما البدء ب الترجمة وهي: (باب تأويل قوله عز وجل: (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى ألمرافق) الآية.

فعلى ذكر الكتاب ، هذه تعتبر ترجمة عامة في أول الكتاب المقصود منها أنه عند الوضوء لا يغمس الإنسان يده في الماء مباشرة ، وإنما يغسلها خارج الإناء ، ثم بعد ذلك يدخل يده في الإناء.

وعلى أن كتاب الترجمة غير موجود ، ذكرت هذه الترجمة العامة التي هي بمثابة كتاب الطهارة ، وأورد تحتها حديث واحد ، هو يتعلق بما يستحب ، وما ينبغي أن يكون بين يدي الوضوء ، إما استحباب مطلق ، كما إذا كان الإنسان قام من .... وأراد أن يتوضأ ولم يقم من نوم.

أو أنه واجب أو مستحب إذا كان قائما من النوم ، كما جاء في هذا الحديث.

لأن الحديث مقيد بالقيام من النوم.

فتكون هذه الترجمة ترجمة عامة ، المقصود منها هي بمثابة الوضوء أو كتاب الوضوء أو كتاب الطهارة.

وأورد تحت الترجمة حديث واحد يتعلق بما يكون قبل البداية بالوضوء ، بما يكون قبل البداية بالوضوء ، وهو غسل اليدين خارج الإناء قبل أن يغمس يده في الإناء الذي فيه ماء الوضوء.

والإسناد يقول فيه النسائي (أخبرنا قتيبة بن سعيد) وقتيبة بن سعيد هذا أحد شيوخه الذين أكثر عنهم ، وهو أيضا شيخ لأصحاب الكتب الستة ، أصحاب الكتب الآخرين.

فقد رووا عنه جميعا ، وكانت وفاته سنة ٢٤٠هـ يعني أنه وفاته قبل وفاة الإمام أحمد سنة واحدة.

لأن الإمام أحمد سنة ٢٤١هـ، وهو سنة ٢٤٠هـ.

فهو من الشيوخ الذين روى عنه أصحاب الكتب الستة.

فهو شيخ للبخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجه شيخ لهم جميعا.

ومن المعلوم أن رواية النسائي عنه ، يعتبر من كبار شيوخ النسائي ، لأن النسائي ولد سنة ٢١٥هـ ، وشيخه هذا توفي سنة ٢٤٠هـ ، وعاش بعده النسائي سنة ٦٣هـ ، لأنه توفي سنة ٣٠٣هـ ، يعني أنه عاش النسائي بعد وفاة شيخه قتيبة ثلاثا وستين سنة.

ومن هذا يكون العلو في الأسانيد ، يعني كون الشخص يطول عمره ، ويروي في أول حياته عن شخص ، يعني أدركه في آخر حياته ، وعمر بعده طويلا ، فمن هنا يأتي العلو في الأسانيد.

يأتي العلو في الأسانيد من هذه الناحية ، من ناحية أن التلميذ يروي عن الشيخ في آخر حياته ، ويعمر ويطول عمر ذلك التلميذ فيعيش كثيرا ، كالذي حصل للنسائي فإنه عاش سنة ٦٣هـ بعد وفاة شيخه قتيبة بن سعيد.

وقتيبة هذا قيل: إنه لقب ، وأن اسمه غير ذلك.

قيل: يحيى ، وقيل: غير ذلك.

ولكنه مشهور بهذا اللقب ، أو بهذا الاسم على القول بأنه اسم.

هو من أسماء الأفراد ، لأنه لم يكثر ، أو لم يسمى بهذا الاسم أناس ، بل أنه لا يوجد في رجال الكتب الستة من يقال له قتيبة سواه.

هو الوحيد الذي سمي بهذا الاسم في رجال أصحاب الكتب الستة ، فهو من الأسماء القليلة يعني في التسمية يعني في الرجال.

ولهذا كما قلت : ليس هناك أحد يشابهه في هذا من رجال أصحاب الكتب الستة.

وهو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريق بن عبد الله الثقفي البغلاني ، يعني اسمه واسم أبيه واسم جده على صيغة واحدة كلها على وزن فعيل.

قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريق ، فاسم أبيه وجده وجد أبيه هي على وزن واحد.

قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريق بن عبد الله الثقفي يعني هذه نسبة إلى قبيلة ، البغلاني نسبة إلى قرية ، لأنها من قرى بلغ من بلاد خراسان.

فبغلان هذه التي ينسب إليها قتيبة هي تابعة لمدينة بلغ المشهورة في بلاد الخراسان.

وهو من الثقات الأثبات ، ولهذا قال عنه الحافظ في ((التقريب)) ((ثقة ثبت)) ، وقد أكثر عنه النسائي ، وروى عنه غيره من أصحاب الكتب الستة كما ذكرت ذلك.

وشيخه سفيان بن عيينه هذا كان أولا كوفيا ثم صار مكيا.

ولهذا يقال في نسبته الكوفي ثم المكي ، يعني معناه أن أول الأمر كان بالكوفة ثم تحول منها إلى مكة ، فيقال له الكوفي ثم المكي.

وكلمة (ثم) يؤتى بها بين البلدان عند النسبة ، إذا كان في أول الأمر في بلد ثم تحول إلى بلد آخر ، فيؤتى بالنسبتين مفصول بينهما بـ (ثم) ومنه يعرف النسبة المتقدمة والمتأخرة.

لأن كلمة (ثم) تفيد التركيب مع التراخي لأن معناه أن الثاني عقب الأول ، وأنه ليس ممكن أن يكون (الواو) لا تقبل التركيب لأنه قد يذكر المتقدم قبل المتأخر أو المتأخر قبل المتقدم.

لكن إذا جاءت (ثم) معناه أن المتأخر الذي بعد (ثم) متأخر عن الذي قبلها.

فإذا قيل: الكوفي ثم المكي يعني معناه أنه كان أولا من أهل الكوفة ، ثم كان بعد ذلك من أهل مكة ، ونسبته الأخيرة إلى مكة.

ولهذا الإمام البخاري رحمة الله عليه لما روى في ٠صحيحه) روى عن أهل مكة أول حديث فيه عن عبد الله بن الزبير الحميدي المكي عن سفيان بن عيينة المكي.

فروى أولا عنه في مكة ، أو أول الرجال الذين روى عنهم في كتابه من أهل مكة.

فسفيان بن عيينة هذا في آخر أمره من أهل مكة.

و الطريقة التي كانوا يعولون عليها في النسبة ، إذا تحول الإنسان من بلد إلى بلد:

قال النووي في كتابه ((تهذيب الأسماء واللغات): ((إن للإنسان إذا مكث في بلد أربع سنوات صح أن ينسب إليها)).

إذا مكث في بلد أربع سنوات صحت نسبته إليها.

وأن هذا مما يعتبرونه عند ملاحظة النسبة ، إذا كانت أربع سنوات فأكثر.

وسفيان بن عيينة رحمة الله عليه كان عاش بالكوفة ثم تحول إلى مكة وصار من أهل مكة.

ولهذا يقال عنه الكوفي ثم المكي ، وهو من الحفاظ وصفه الحافظ ابن حجر في كتاب (التقريب) فقال: ((ثقة حافظ إمام حجة)).

فيه وصف آخر: ((ثقة حافظ فقيه إمام حجة)) خمس صفات.

وصفه بأنه ثقة ، وأنه حافظ ، وأنه فقيه ، وأنه إمام ، وأنه حجة.

هذه هي الصفات التي وصفه بها الحافظ ابن حجر ، ويوافقه وهو هنا جاء غير منسوب ، أي حدثنا سفيان ، ولكن هو يروي عن الزهري ، وهو معروف بالرواية عن الزهري.

ولهذا إذا أطلق غير منسوب يراد به سفيان بن عيينة لكثرة روايته عنه.

وسفيان الثوري روى عن الزهري ، وهو أقدم منه ، لأنه مات قبله بفترة.

ولكن الذي عرف بالرواية عنه أكثر من الرواية عنه هو سفيان بن عيينة.

ولهذا من الطرق عند المحدثين أنه إذا ذكر شخص منسوب وكان محتملا لعدة أشخاص كيف يعين؟

يعين بشيخه إذا كان مكثرا عنه.

يحمل على من كان مكثرا عن الشيخ.

فمثلا: سفيان بن عيينة يعني جاء هنا (سفيان) غير منسوب ما فيه لا بن عيينة ولا الثوري وكل منهم من تلاميذ الزهري.

لكن أيهما يعرف بأنه هو الذي في الإسناد؟

ذلك بمعرفة من كان أكثر الرواية ، وأكثرهم ملازمة.

ولما كان سفيان بن عيينة أكثر ملازمة للزهري ، وأكثر رواية عنه فإنه يحمل على أنه ابن عيينة وليس الثوري. وإن كان الثوري من تلاميذ الزهري.

لكن كما هو معلوم إذا كان الشخص المهمل يدور بين شخصين ، وكل منهما ثقة حتى ولو لم يعرف أيهما فإنه لا.....(غير مفهومة) لأن كيف ما دار دار على ثقة ، وإنما المحذور لو كان الواحد ثقة وواحد ضعيف ، وكان الأمر ملتبسا عند ذلك قد يكون هو الضعيف فلا يعول عليه.

ولكن إذا كان كل منهما ثقة ، فسواء أكان هذا أو هذا الإسناد يعتبر صحيحا ، وكونه مهملا من النسبة لا يؤثر ذلك.

لكم من الطرق المعروفة عند المحدثين هذه الطريقة والتي أشرت إليها ، وهي كون الراوي وهي كون أحد الراويين معروف بالأخذ عن ذل الشيخ أكثر.

فإذا جاء مهملا حمل عليه ، وصار هو المراد هو المعني عند الإهمال إهمال النسبة.
ثم إن يعني أسانيد سفيان بن عيينة عن الزهري عالية جدا.
لأن سفيان بن عيينة توفي سنة١٩٨هـ ـة ، والزهري توفي سنة ١٢٥هـ ـة أو سنة١٢٤هـ ـة ، يعني بين وفاتيهما مدة طويلة وهكذا يكون العلو.
الزهري توفي ١٢٤ و ١٢٥ ، وسفيان بن عيينة أكثر الرواية عن الزهري ، وعاش بعده مدة طويلة حيث كانت وفاته سنة١٩٨هـ ـة.
فمن هنا يحصل العلو في الأسانيد ، لأن سفيان مكثر الرواية عن الزهري وهو من صغار التابعين.
الزهري يعتبر من صغار التابعين ، من طبقة الأعمش ، وطبقة يحيى بن سعيد الأنصاري هؤلاء يعتبرون من صغار التابعين.
ومع ذلك هذا الذي توفي سنة١٩٨هـ ـة أكثر من الرواية عن هذا الذي توفي سنة١٢٥هـ ـة.
وابن عيينة موصوف بالتدليس قليلا ، ولهذا قال الحافظ: ((ربما دلس)).
لكن المعروف من طريقته أنه لا يدلس إلا عن ثقة الذي هو سفيان بن عيينة.
أما الزهري فهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب.
يعني يلتقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم في جده كلاب ، لأن الرسول نسبه قفي بن كلاب.
محمد بن عبد الله بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قفي بن كلاب.
فهو الزهري ينسب إلى جده زهرة ، الذي هو ابن كلاب ، والذي هو أخ قفي.
فهو مشهور بهذه النسبة ، يعني نسبة لجده الأعلى ، الذي يعني جده يحصل يعني عنده التقاء بجد الرسول صلى الله عليه وسلم كلاب الذي هو أخ قفي ابنه زهرة.
وكان ينسب إلى جده ليقال له الزهري.
وقد اشتهر بهذه النسبة ، كما أنه اشتهر بنسبته لأحد أجداده وهو شهاب ن فيقال ابن شهاب ، ويقال الزهري ، هذا هو الذي اشتهر به.
إما ابن شهاب ، وإما الزهري.
إما ابن شهاب نسبة إلى جده ، الذي هو جد أبيه لأنه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، فهو منسوب إلى أحد أجداده.

والزهري هذا هو الذي قيل أول من بدأ ، أول من جمع السنة بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وهو الذي قال فيه السيوطي في ((ألفيته)):

أول جامع الحديث والأثر***شهاب آمرا له عمر

وعمر رحمة الله عليه .... في عمر واحد والزهري عاش بعده سن٢٣ة أو سن٢٤ة ، لأنه توفي كما ذكرت ١٢٤ أو ١٢٥.

وأما الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فكانت وفاته سن١٠١ة من الهجرة.

وهو الذي يقال أنه أول من بدأ ، ومن المعلوم أنه أول من بدأها بطريقة رسمية ، يعني بتكليف من الوالي بتكليف من ولي الأمر.

أما كون الحديث يدون يعني فالصحابة كان منهم من يدون كعبيد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ، وأبو هريرة يقول: ما أعلم أحدا أكثر مني حديثا إلا ما كان من عبد الله بن عمر فإنه يكتب ولا أكتب.

فإنهم كانوا يدونون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن أول من قام بجمعها بتكليف من الخليفة وهو الوالي بعدما خيف اندثارها وذهابها بذهاب أهلها ، بذهاب حملتها ونقلتها ، أمر عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه بجمع السنة وتدوينها وكتابتها حتى لا تموت بموت أهلها ، وحتى لا تذهب بموت أهلها.

وهذا الرجل الذي هو الزهري يعني من الحفاظ الأثبات المتقنين ومن المعروفين بالجد والاجتهاد في تحصيل الحديث.

ولهذا ذكروا في ترجمته أنه كان يعكف على كتبه ويشتغل بها كثيرا ، وكانت زوجته تقول: والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر.

لكثرة انشغاله بها واعتنائه بالحديث وتبيين الحديث.

وعكوفه على ذلك كانت زوجته تقول هذا كما ذكروا ذلك في ترجمته ، وهو إمام مشهور من صغار التابعين.

هو يعتبر من طبقة صغار التابعين.

ويروي الزهري (عن أبي سلمة)

وأبو سلمة: هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وهو من التابعين.

وقيل: إن اسمه كنيته ، يعني اسمه أبو سلمة ككنيته.

وقيل: إنه كنيته ، وله اسم آخر غير هذا.

لكنه مشهور بهذا سواء كان اسما أو كنية ، سواء قيل إنه اسم ، أو قيل: إنه كنية.

فهو إنما اشتهر بهذا اللفظ الذي هو أبو سلمة سواء قيل له اسم ، أو قيل له كنية.

وهو أحد الفقهاء السبعة على أحد الأقوال ، لأن الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة.

كان في المدينة في زمن التابعين ، وكلهم في عصر واحد ، وانتشر عنهم العلم ، واستفاد عنهم طلبة العلم ، ووفاتهم في حدود المائة إما قبلها وإما بعيدها ، إما قبيلها وإما بعيدها.

اشتهر في المدينة سبعة فقهاء محدثون يرجع إليهم في الفقه والحديث.

وستة منهم لا خلاف في عدهم من الفقهاء السبعة ، وثلاثة اختلف في عدهم.

وأبو سلمة هو من الفقهاء على أحد الأقوال ، ليس متفقا على عده من الفقهاء السبعة.

وإنما الذين اتفق على عدهم من الفقهاء السبعة ، هم كما ذكرهم ابن القيم في أول (إعلام الموقعين) في بيتين من الشعر:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر***روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل هم عبيد الله عروة قاسم***سعيد أبو بكر سليمان خارجة.

فعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

عروة بن الزبير بن العوام

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

سعيد بن المسيب

سليمان بن يسار

خارجة بن زيد بن ثابت

هؤلاء الستة ن والسابع مختلف فيه.

ابن القيم ذكر أبو بكر سابع الفقهاء السبعة على أحد الأقوال.

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وهو الذي قال عنه: عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة.

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هاشم هذا هو السابع.

والقول الثاني يقول: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الذي معناه في الإسناد ، فهو أحد الفقهاء السبعة على قول ليس متفق عليه.

والقول الثالث: سالم بن عبد الله بن عمر............ ومن المعلوم أن أبا هريرة أسلم عام خيبر في السنة السابعة ، ولكنه لازم النبي صلى الله عليه وسلم وطالت حياته ، والتقى بالصحابة ، وكان في المدينة مقيما ، والناس يأتون المدينة ، فكان يأخذ عن الصحبة ، ويأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد لازمه ومن المعلوم أن مراسيل الصحابي من المرفوع.................

وهم يعتبرون من أكثر الصحابة حديثا

والمكثرون في الرواية الأثر**أبو هريرة يليه ابن عمر

وأنس والبحر كالخدري** وجابر وزوجة النبي عائشة

البحر يعني ابن عباس ، البحر أو الحبر لأنه يقال له البحر ، ويقال له الحبر ، وجابر وزوجة النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها ، ورضي الله تعالى عن الصحابة أجمعين.

فهؤلاء هم الذين عرفوا بكثرة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظ من الحديث أكثر مما حفظ عن غيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عن الجميع.

فهؤلاء رجال هذا الإسناد: قتيبة بن سعيد ، سفيان بن عيينة ، الزهري ، أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وعن الصحابة أجمعين.

وفي أول الإسناد يقول النسائي (أخبرنا) ، وقد عرفنا أن هذه الطريقة هي التي يستعملها أبو عبد الرحمن النسائي في كتابه ، وهي (أخبرنا) ، وذكرت في الدرس الفائت أن العلماء منهم من لا يفرق بين (حدثنا) و(أخبرنا) ويستعمل الصيغتين في السماع وفي العرض الذي هو القراءة على الشيخ ، وهذا هو صنيع النسائي.

ومنهم من يفرق بينهما فيستعمل (حدثنا) فيما سمع من الشيخ ، و(أخبرنا) فيما قرء على الشيخ والتلميذ يسمع ، فيعتبر فيما سمع من الشيخ بـ(حدثنا) ، ويعتبر بما قرء على الشيخ ويسمع بـ(أخبرنا).

ثم إن هذه الترجمة للنسائي يشبه البخاري في كثرة التراجم ، وكثرة إيراد الحديث على تراجم مختلفة متعددة ليستدل به على الترجمة.

ففيه شبه من البخاري في كثرة التراجم.

ولكن النسائي قليلا ما يستعمل كلمة (باب) ، وإنما يأتي بذكر الترجمة بدون (باب) ، وأحيانا يأتي بـ (الباب) ، لكن أكثر استعماله ذكر الترجمة بدون (باب) ، فيقول: (تأويل قول الله عز وجل) وغير ذلك يعني بدون كلمة باب ، وأحيانا يأتي بكلمة باب ، ولا بدون ذكر باب.

ولكن كثرة هذه التراجم وإيراد الحديث بطرق متعددة ليستدل به على موضوعات مختلفة يعبر عنها بتلك

التراجم.

فيه شبه من الإمام البخاري ، وطريقته تشبه طريقة البخاري رحمة الله تعالى على الجميع.

والحديث يقول فيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: " إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في وضوئه حتى يغسلها ثلاثا فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده"

هذا هو الحديث الذي أورده تحت هذه الترجمة.

وقد ذكرت في أول الدرس أن النسائي يعني في بعض النسخ ليس في ذكر (كتاب) ، وإنما فيه هذه الترجمة التي هي تشبه الكتاب لأنه قال: ((تأويل قوله عز وجل: "إذا قمتم إلى الصلاة" ، فهي ترجمة عامة ، يدخل تحتها الطهارة ، يدخل تحتها الوضوء وما يتبع الوضوء من سنن ، فهي على بعض النسخ التي ليس فيه ذكر الكتاب هي بمثابة الكتاب.

والحديث الذي أورده تحتها هو مما يدخل ، أو مما يحصل عند الوضوء ، وكذلك غير الوضوء.

لأن المقصود إذا قام الإنسان من نومه لا يغمس يده في الإناء ، لا إذا كانت يتوضأ ، ولا إذا كان يريد أن لا يتوضأ ، يعني لا يغمس يده في الإناء إذا قام من النوم حتى يغسلها ثلاثا إذا استيقظ (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في وضوئه) في بعض الروايات (في الإناء) يعني الإناء الذي يتوضأ له.

الإناء المشتمل على ماء الوضوء.

ومن المعلوم أن (الوضوء) بفتح الواو لها معنى غير معنى (الوضوء) بضم الواو.

وهناك صيغ أخرى تشبه هذه الصيغة.

فإن ما كان لفتح الواو يراد به الماء الذي يراد أن يتوضأ منه.

ماء الوضوء يقال له: (وضوء).

وفعل الوضوء يقال له (وضوء).

كون الإنسان يأخذ ويتوضأ ويغسل ، هذه العملية يقل لها (وضوء) بضم الواو.

وأما نفس الماء الذي خصص للوضوء يقال له: (وضوء)

دعا بوضوء يعني دعا بماء يتوضأ به.

(ثم توضأ) في حديث عثمان وقال: (من توضأ نحو وضوئي هذا) (وضوئي) يعني المقصود به العمل والفعل.

فإذا (وضوء) بفتح الواو يراد بها الماء الذي يتوضأ به.

و(الوضوء) بالضم يراد به الفعل ، فعل الوضوء.

ولهذا أشياء تماثل ، يعني لهذا اللفظ أشياء تماثله مثل السحور ، والسحور.

السحور والسحور ، فإن السحور اسم الطعام الذي يؤكل في السحر لمن يريد أن يصوم.

والسحور هو الأكل حصول الأكل ، كون الإنسان يأكل يتسحر هذا السحور.

والطعام الذي يؤكل يقال له السحور.

وكذلك الطهور والطهور ، يعني مثل الوضوء والوضوء ، بفتح الطاء ما يتطهر به ، وبضمها فعل التطهر.

(الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان) ، الطهور يعني هو الوضوء.

وكذلك أيضا السعوط والسعوط لما يسعط في الأنف.

الأشياء التي تسعط تقص و..... الذي هو الفعل يقال السعوط.

وكذلك الوجور والوجور ، الوجور هو الذي يوضع في الفم يقال له وجور ، والفعل يقال له وجور.

فهذه كلمات متشابهة متماثلة ، يعني تأتي على صيغتين بالفتح والضم.

فما كان منها بالفتح فهو اسم للشيء الذي يستعمل.

وما كان بالضم فهو اسم للاستعمال.

(إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في وضوئه حتى يغسلها ثلاثا)

يعني أنه يغسلها خارج الإناء ، يفرغ من الإناء على يديه فيغسلهما ثلاثا ، ثم بعد ذلك يغمس يديه في الإناء بعد أن يغسلهما ثلاثا.

بعد أن يغسلهما ثلاثا عند ذلك ، عندما يأخذ لغسل وجهه وغسل يديه وغسل رجليه يغمس يده.

لأن المطلوب أن يفعل ذلك قبل أن يبدأ ، وقد علل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده).

وهذا التعليل يعني احتمال النجاسة ، يعني احتمال أن يكون حصل لها نجاسة.

والنجاسة غير متحققة ، لكن هذا من الاحتياط.

ولهذا اختلف العلماء في هذا الحكم ، هل هو للوجوب أو للاستحباب؟

يعني كونها تغسل خارج الإناء وجوبا أو استحبابا؟

من العلماء من قال: مستحب ، وأن هذا من باب الآداب والاحتياط.

ومنهم من قال: للوجوب ، وأن من فعل ذلك يؤثم ، هذا معنى كونه واجب.

أما كونه إذا كان مستحبا ، فإن لم يفعل ذلك فإنه لا يؤثم ، ولكنه يكون خالف الأولى ، ولم **يحسن الأدب**

الذي ينبغي أن يستعمله الإنسان ، وهو الذي أرسل إليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، والأحوط والأظهر أن الإنسان لا يقدم على غمس يديه في الإناء عندما يقوم من النوم إلا وقد غسلهما خارج الإناء ، وأنه يأثم لو لم يعني يفعل ذلك.

لأن فيه مخالفة ، لكن لا يقال أن الماء يتنجس ، لأنه ما علم أن النجاسة ، ما علم تحقق النجاسة في اليد ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدري أين باتت يده).

وقيل في تعليل توجيه هذا أن أهل الحجاز و بلادهم حارة كانوا يستجمرون بالحجارة ، ومن المعلوم أن الحجارة قد يتجاوز النجاسة موضع الخروج ، وقد لا تتعد موضع الخروج ، لأن النجاسة إذا ما تعدت موضع الخروج كفى الاستنجاء.

أما إن خرج وتجاوزه إلى مكان آخر من الجسد غير موضع الخروج ، فهذا يحتاج إلى غسل ، يحتاج إلى استنجاء بالماء.

فكانوا يستجمرون بالحجارة ، ومن المعلوم أن قد يتجاوز الخارج موضع العادة ، فإذا استجمر الإنسان ونام وأصابه عرق ، فإنه قد يلمس موضع الذي قد أصابته النجاسة ، فتعلق النجاسة بيده بسبب العرق الذي حصل.

قيل: أن هذا هو التوجيه وأن هذا فيه احتمال النجاسة ، يعني إذا نام.

أما إذا كان الإنسان مستيقظا ، فإنه يتصرف في يده ويعرف أين تذهب.

وإذا كان في يده عرق ، ولمس يعني مكان الخروج أو الأشياء التي حول أماكن الخروج وقد تجاوزها تجاوزه النجاسة وصلت إلى مكان إذا لمسه ويده مبللة بالعرق يعني علق به شيء من النجاسة الإنسان يدري.

ولكن الإنسان إذا كان نائما لا يدري ، بخلاف المستيقظ فإنه يدري ، فيحتاج أنه يغسل ، لأنه يعرف بأنه مس الشيء الذي هو مظنة النجاسة.

أما إذا كان نائما فإنه لا يدري.

قد تكون يده ذهبت إلى ذلك المكان الذي به النجاسة ، أو قد تكون به النجاسة ، وقد لا تذهب.

ولكن ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده).

ومن العلماء من يقول: إن هذا الحكم مقيد بنوم الليل ، ولهذا جاء التعبير بالبيات (فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده)

ومنهم من يقول:إنه لا يتقيد بنوم الليل بل يبقى على إطلاقه ، وكلمة (بات) قد تستعمل لغير المبيت بالليل.

بات فلان يعمل كذا وكذا ، قد يستعمل في النهار.

وقال (بات) إذا كان مكثرا منه أو مشتغلا به.

فمنهم من قال هو خاص بنوم الليل.

ومنهم من يقول إنه عام في النوم ، لأن التعليل لا يخص نوم الليل.

بل الإنسان إذا نام بالليل والنهار لا يدري أين باتت يده ، لا يدري أين ذهبت يده ، فلا يكون خاصا ذلك بنوم الليل ، بل يشمل نوم الليل ونوم النهار.

(إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في وضوئه حتى يغسلها ثلاثا فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده)

وكما قلت: أن الإنسان يأثم ، والطهارة تصح ، والماء لا يقال أنه تنجس لأن النجاسة ما تحققت ، ولكن القول الأولى والذي هو الاحتياط ، هو كون الإنسان لا يقدم على غمسها في الإناء إذا كان قائما من النوم إلا بعد أن يغسلها ثلاثا كما جاءت بذلك السنة عن رسول الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

أحد الحاضرين: من الناس من يتكلمون في مرويات أبي هريرة لتأخره في الإسلام....

الشيخ حفظه الله تعالى: ما يتكلم فيها ، ما يتكلم في مرويات أبي هريرة لتأخرها ، لكونه تأخر إسلامه ، إلا أهل البدع ، أو أهل الهوى ، هؤلاء هم الذين ، إلا فإن الصحابة رضي الله عنهم ، والأمة قبلت مرويات ، بل أكثر السنة من مرويات ، أكثر الأحاديث من مرويات أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه.

لكن أهل البدع وأهل الأهواء هم المتعصبون.

والمعروف عن الذين يقدحون هم أهل البدع مثل الرافضة الذين يكرهون أبا هريرة ، ويكرهون غيره من الصحابة.

ولهذا يعني يأتون بمثل هذا الكلام السيئ كون أبو هريرة متأخر إسلامه ، وغيره من كبار الصحابة مثل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي أقل منه حديثا مع أنهم من أول من أسلم.

علموا ولكنهم تجاهلوا وقصدهم السوء والإفساد والتشويش.

من المعلوم أن أبا هريرة رضي الله عنه وأرضاه فيه عوامل عديدة جعلت حديثه يكثر ، وجعلت الناس يأخذون عنه كثيرا.

أولا: كونه لازم الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية تحمله كونه لازم الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما من ناحية كثرة الرواية عنه ، فكونه في المدينة ، وكونه عاش مدة طويلة ، لأنه بحدود الستين ، قريب

من الستين على وفاته ، يعني عاش بعد الرسول صلى الله عليه وسلم في حدود الخمسين سنة.
أما أبو بكر وعمر وعثمان وبعض الصحابة الذين أقل حديث منه ، كانت وفتهم متقدمة ، ثم فيهم من كان مشغولا في الولاية ، ومشغولا بالخلافة.
وأما هذا ما عنده ﷺلا الأخذ والإعطاء ، عنده الأخذ ، التلقي ، التحمل والتحميل ، الأخذ والإعطاء.
ثم كونه عاش مدة طويلة ، وكان بالمدينة ، والمدينة الناس يأتون إليها ، يريدون ويصدرون ، وإذا جاءوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ، وأبو هريرة موجود في المدينة.
هذا من أسباب كثرة الرواية عنه ، وكثرة حديثه ، يعني كثرة الحديث ملازمة الرسول ، والتقاء مع الصحابة ، وكونه عاش فترة طويلة ، وكثرة الأخذ عنه كونه في المدينة وكونه عش مدة طويلة.
فهذا من أسباب كثرة حديثه تحملا وأداء رضي الله تعالى عنه وأرضاه.
تم بتوفيق من الله تعالى تفريغ الشريط الأول من كتاب الطهارة
وسيتبعه إن شاء الله تعالى تفريغ الشريط الثاني
*****

بداية الشريط الثاني:
....ما ضر إلا نفسه كونه يتكلم في أبي هريرة كلامه فيه لا يضر أبا هريرة ، وإنما يضر المتكلم وكما يقولون:
"كم من كلمة قالت لصاحبها دعني"
"كم من كلمة قالت لصاحبها دعني".
الإنسان يتكلم بالكلمة ، وكان ينبغي ألا يتكلم بها ، وكأن الكلمة تناديه وتقل له دعني قبل أن ينطق بها ، لأن النطق بها ليس بحسن.
والرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول في الحديث الصحيح: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)
والحافظ ابن حجر لما ذكر بعض كلام الحنفية المتعصبين الذين تكلموا في حديث المصراة من أجل أنه حديث أبي هريرة قال: "وقائل هذا الكلام ما ضر إلا نفسه".
ثم نقل عن أبي الموفر الصنعاني في رد على أبي زيد الدبوخي نقل نقلا يعني قال: " إن القدح في أحد من

الصحابة علامة على خذلان فاعله".

أبو تقي الدين ناصر الدين الجزائري." [(١)]

"قال النبي عليه الصلاة والسلام: ما نحل) بفتح النون والحاء المهملة (والد ولده أفضل من أدب حسن) رواه الترمذي والحاكم عن عمرو بن سعيد بن العاص: أي ما أعطاه عطية أفضل من تأديبه بنحو توبيخ وتهديد وضرب على فعل الحسن، وتجنب القبيح، فإن **حسن الأدب** يرفع العبد المملوك إلى رتبة الملوك وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وإذا بالحسن والحسين رضي الله عنهما ركبا على كتف جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدثنا، فلما فرغ من حديثه قال لهما: انزلا يا أولادي فأقبل علي كرم الله وجهه، فلما رأياه خافاه ونزلا عن ظهر جدهما فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: ما لالكما؟ قالا: خفنا من أبينا، فأقبل علي رضي الله عنه عليهما وضربهما. وقال: الأدب خير لكما فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا علي لا تنهر الحسن والحسين فإنهما ريحانتاي وراحة قلبي وسريرة كبدي» فقال علي كرم الله وجهه سمعا وطاعة فنزل جبريل وقال: يا محمد الحق يقول اترك عليا يؤدبهما أشبعوا أولادكم، وأحسنوا أسماءهم، وطيبوا أبدانهم، ترزقوا شفاعتهم، فلما سمع بذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا معشر المسلمين من رزقه الله تعالى بولد فعليه بتأديبه وتعليمه، فإن من علم ولده وأدبه رزقه الله شفاعته، ومن ترك ولده جاهلا كان كل ذنب عمله عليه» كذا في رياض الصالحين

(وقال عليه الصلاة والسلام: لأن يؤدب الرجل) وفي لفظ أحدكم (ولده) أي يعلمه الآداب الشرعية والمندوبة (خير له من أن يتصدق) أي كل يوم (بصاع) رواه الترمذي عن جابر بن سمرة وهو حديث حسن قال المناوي: لأنه إذا أدبه صارت أفعاله من صدقاته الجارية وصدقة الصاع ينقطع ثوابها

)." [(٢)]

"كوى : فيه ﴿ أنه كوى سعد بن معاذ لينقطع دم جرحه ﴾ الكي بالنار من العلاج المعروف في كثير من الأمراض. وقد جاء في أحاديث كثيرة النهي عن الكي، فقيل: إنما نهى عنه من أجل أنهم كانوا يعظمون أمره، ويرون أنه يحسم الداء، وإذا لم يكو العضو عطب وبطل، فنهاهم إذا كان على هذا الوجه، وأباحه إذا جعل سببا للشفاء لا علة له، فإن الله هو الذي يبرئه ويشفيه، لا الكي والدواء. وهذا أمر تكثر فيه شكوك

---

(١) شرح جزء من كتاب الطهارة من سنن النسائي، ١/١

(٢) تنقيح القول الحثيث في شرح لباب الحديث، ص/١٣٩

الناس، يقولون: لو شرب الدواء لم يمت، ولو أقام ببلده لم يقتل. وقيل: يحتمل أن يكون نهيه عن الكي إذا استعمل على سبيل الاحتراز من حدوث المرض وقبل الحاجة إليه، وذلك مكروه، وإنما أبيح للتداوي والعلاج عند الحاجة. ويجوز أن يكون النهي عنه من قبيل التوكل، كقوله: ﴿ هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون ﴾ والتوكل درجة أخرى غير الجواز. والله أعلم. وفي حديث ابن عمر ﴿ إني لأغتسل قبل امرأتي ثم أتكوي بها ﴾ أي أستدفىء بحر جسمها، وأصله من الكي. ٣باب الكاف مع الهاء

كيت : فيه ﴿ بئس ما لأحدكم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت ﴾ هي كناية عن الأمر، نحو كذا وكذا. قال أهل العربية: إن أصلها ﴿ كية ﴾ بالتشديد، والتاء فيها بدل من إحدى الياءين، والهاء التي في الأصل محذوفة. وقد تضم التاء وتكسر

كيح : في قصة يونس عليه السلام ﴿ فوجده في كيح يصلي ﴾ الكيح بالكسر، والكاح: سفح الجبل وسنده

كيد : فيه ﴿ أنه دخل على سعد وهو يكيد بنفسه ﴾ أي يجود بها، يريد النزع والكيد: السوق. ومنه حديث عمر ﴿ تخرج المرأة إلى أبيها يكيد بنفسه ﴾ أي عند نزع روحه وموته. وفي حديث ابن عمر ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه سلم غزا غزوة كذا فرجع ولم يلق كيدا ﴾ أي حربا. وفي حديث صلح نجران ﴿ إن عليهم عارية السلاح إن كان باليمين كيد ذات غدر ﴾ أي حرب، ولذلك أنثها. وفي حديث عمرو بن (الذي في الهروي: ﴿ وفي حديث عمر رضي الله عنه: وما قولك في عقول... ﴾) العاص ﴿ ما قولك في عقول كادها خالقها؟ ﴾ وفي رواية ﴿ تلك عقول كادها بارئها ﴾ أي أرادها بسوء، يقال: كدت الرجل أكيده. والكيد: الاحتيال والاجتهاد، وبه سميت الحرب كيدا. (هـ س) وفي حديث ابن عباس ﴿ نظر إلى جوار وقد كدن في الطريق، فأمر أن ينحين ﴾ أي حضن. يقال: كادت المرأة تكيد كيدا، إذا حاضت، والكيد أيضا: القيء. ومنه حديث الحسن ﴿ إذا بلغ الصائم الكيد أفطر ﴾

كير : فيه ﴿ مثلأ الجليس السوء مثل الكير ﴾ الكير بالكسر: كير الحداد، وهو المبني من الطين. وقيل: الزق الذي ينفخ به النار، والمبني: الكور. ومنه الحديث ﴿ المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها ﴾ وقد تكرر في الحديث. وفي حديث المنافق ﴿ يكير في هذه مرة، وفي هذه مرة ﴾ أي يجري. يقال: كار الفرس يكير، إذا جرى رافعا ذنبه. ويروى ﴿ يكبن ﴾، وقد تقدم

كيس : فيه ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ﴾ أي العاقل. وقد كاس يكيس كيسا.

والكيس: العقل. ومنه الحديث ﴿ أي المؤمنين أكيس ﴾ أي أعقل. وفيه ﴿ فإذا قدمتم فالكيس الكيس ﴾ قيل: أراد الجماع (عبارة الهروي: ﴿ قال ابن الأعرابي: الكيس: الجماع، والكيس: العقل. جعل طلب الولد عقلا ﴾) فجعل طلب الولد عقلا. وفي حديث جابر في رواية ﴿ أتراني إنما كستك لآخذ جملك ﴾ أي غلبتك بالكيس. يقال: كايسني فكسته: أي كنت أكيس منه. وفي حديث اغتسال المرأة مع الرجل ﴿ إذا كانت كيسة ﴾ أراد به **حسن الأدب** في استعمال الماء مع الرجل. ومنه حديث علي ﴿ وكان كيس الفعل ﴾ أي حسنه. والكيس في الأمور يجري مجرى الرفق فيها. ومنه حديث الآخر: أما تراني كيسا مكيسا المكيس: المعروف بالكيس. وفيه ﴿ هذا من كيس أبي هريرة ﴾ أي مما عنده من العلم المقتنى في قلبه، كما يقتنى المال في الكيس. ورواه بعضهم بفتح الكاف: أي من فقهه وفطنته، لا من روايته

كيع : فيه ﴿ ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب ﴾ الكاعة: جمع كائع، وهو الجبان، كبائع وباعة. وقد كاع يكيع. ويروى بالتشديد. وقد تقدم. أراد أنهم كانوا يجبنون عن أذى النبي في حياته، فلما مات اجترأوا عليه." (١)

"ورع : فيه ﴿ ملاك الدين الورع ﴾ الورع في الأصل: الكف عن المحارم والتحرج منه. يقال: ورع الرجل يرع، بالكسر فيهما، ورعا ورعة، فهو ورع، وتورع من كذا، ثم استعير للكف عن المباح والحلال وينقسم إلى... (بياض بالأصل وا. وجاء بهامش الأصل: ﴿ هكذا بياض في جميع النسخ ﴾ والحديث وإن كان في كتاب أبي موسى، كما رمز إليه المصنف، إلا أني لم أجد هذا الشرح في كتاب أبي موسى المسمى ﴿ المغيث في غريب القرآن والحديث ﴾ المحفوظ بجامعة الدول العربية برقم (٥٠٠ حديث ﴾ ومنه حديث عمر ﴿ ورع اللص ولا تراعه ﴾ أي إذا رأيته في منزلك فاكففه وادفعه بما استطعت. ولا تراعه: أي لا تنتظر فيه شيئا ولا تنظر ما يكون منه وكل شيء كففته فقد ورعته. ومنه حديثه الآخر ﴿ أنه قال للسائب: ورع عني في الدرهم والدرهمين ﴾ أي كف عني الخصوم، بأن تقضي بينهم وتنوب عني في ذلك. وحديثه الآخر ﴿ وإذا أشفى ورع ﴾ أي إذا أشرف على معصية كف. وفي حديث الحسن ﴿ ازدحموا عليه، فرأى منهم رعة سيئة، فقال: اللهم إليك ﴾ يريد بالرعة ها هنا الاحتشام والكف **عن سوء الأدب**، أي لم يحسنوا ذلك. يقال: ورع يرع رعة، مثل وثق يثق ثقة. ومنه حديث الدعاء ﴿ وأعذني من سوء الرعة ﴾ أي سوء الكف عما لا ينبغي. ومنه حديث ابن عوف ﴿ وبنهيه يرعون ﴾ أي يكفون. وحديث قيس بن عاصم ﴿ فلا يورع رجل عن جمل يختطمه ﴾ أي يكف ويمنع. وفيه ﴿كان أبو بكر وعمر يوارعانه ﴾ يعني عليا:

---

(١) جامع غريب الحديث، ٢/٣٠١

أي يستشيرانه. والموارعة: المناطقة والمكالمة

ورق : في حديث الملاعنة ﴿ إن جاءت به أورق جعدا ﴾ الأورق: الأسمر. والورقة: السمرة. يقال: جمل أورق، وناقة ورقاء. ومنه حديث ابن الأكوع ﴿ خرجت أنا ورجل من قومي وهو على ناقة ورقاء ﴾. وحديث قس ﴿ على جمل أورق ﴾. وفيه ﴿ أنه قال لعمار: أنت طيب الورق ﴾ أراد بالورق نسله، تشبيها بورق الشجر، لخروجها منها. وورق القوم: أحداثهم (هذا قول ابن السكيت، كما في الهروي) . وفي حديث عرفجة ﴿ لما قطع أنفه [يوم الكلاب] (ساقط من ا، واللسان. وفي اللسان: ﴿ فأنتن عليه ﴾.) اتخذ أنفا من ورق فأنتن، فاتخذ أنفا من ذهب ﴾ الورق بكسر الراء: الفضة. وقد تسكن. وحكى القتيبي عن الأصمعي أنه إنما اتخذ أنفا من ورق، بفتح الراء، وأراد الرق ،الرق (بالفتح، ويكسر، كما في القاموس) الذي يكتب فيه، لأن الفضة لا تنتن.قال: وكنت أحسب أن قول الأصمعي أن الفضة لا تنتن صحيحا، حتى أخبرني بعض أهل الخبرة أن الذهب لا يبليه الثرى، ولا يصدئه الندى، ولا تنقصه الأرض، ولا تأكله النار. فأما الفضة فإنها تبلى، وتصدأ، ويعلوها السواد، وتنتن. وفيه ﴿ ضرس (في الهروي: ﴿ سن ﴾.) الكافر في النار مثل ورقان ﴾ هو بوزن قطران: جبل أسود بين العرج والرويثة، على يمين المار من المدينة إلى مكة. ومنه الحديث ﴿ رجلان من مزينة ينزلان جبلا من جبال العرب يقال له ورقان، فيحشر الناس ولا يعلمان ﴾." (١)

"أ) استتار بجميع البدن،وهذا كمال.

ب)ستر العورة،وهذا واجب.

الحكمة من الاستتار:

أ / أن الإنسان إذا كان قريبا ربما ظهرت عورته.

ب/ حتى لو تمكن من ستر جميع بدنه،ربما يؤذي غيره بالرائحة.

ج / أن الناس يستكرهون ذلك ويعدونه **من سوء الأدب**.

٩٧-عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :"اتقوا اللعانين:الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم".رواه مسلم.

اتقوا:أصل التقوى:(وقوى)وهو أخذ وقاية من عذاب الله بفعل الأوامر واجتناب النواهي،وقالوا:التقوى هي:أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله،وأن تترك المعصية على نور من الله تخاف عقاب الله.

---

(١) جامع غريب الحديث، ٤٧٤/٢

*إن أضيفت التقوى إلى غير الله:فهو اتخاذ وقاية فقط.

طريق:سمي طريق لأن الناس تطرقه.

الفوائد:

١-تحريم التخلي في طريق الناس أو في ظلهم،وهل هذا الفعل كبيرة من الكبائر أم صغيرة من الصغائر؟الجواب:هو كبيرة من الكبائر؛لأنه قال:"اللعانين".

#ظاهر الحديث:سواء كان الطريق واسع أم ضيق؛لأنه ربما يؤذيهم بالرائحة،وربما يلوث الناس إذا وطئوا عليه،وأيضا الظل يحرم هذا الفعل في الظل لما سبق.

#بعض العلماء-رحمهم الله-قال:إذا كان الناس يجلسون للغيبة،فيجوز أن يتخلى في هذا المكان،لكن هذا ليس بصحيح بل ينصحهم،ولا تقابل المفسدة بالمفسدة.

#لو بال في جانب الطريق،كطريق المسافرين،فلا بأس.

من الفوائد:٢-دليل على أن المتسبب كالمباشر،والمتسبب حكمه حكم المباشر،وإذا اجتمع متسبب ومباشر يضمن المباشر؛لأنه هو الذي باشر الإتلاف،إلا في مسألتين:

أ) إذا كانت المباشرة مبنية على السبب.

ب) إذا كان المباشر لا يمكن تضمينه،فهنا الضمان يكون على المتسبب.

مثال الأول:لو أن رجلين شهدا على شخص بالسرقة،فقطع الحاكم يده،أمر الحاكم الجلاد أن يقطع يده فقطعها،ثم قال الشاهدان:نحن عمدنا أن نقطع يده.." [١]

" فالأفضل لصاحب المنزل أن يقدمه وأن استويا فمن **حسن الأدب** أن يعرض عليه انتهى

فائدة أخرى قال العراقي في شرح الترمذي يشترط أن يكون المزور أهلا للإمامة فإن لم يكن أهلا كالمرأة في صورة كون الزائر رجلا والأمي في صورة كون الزائر قارئا ونحوهما فلا حق له في الإمامة انتهى

- ٥٠

(باب ما جاء في كراهية أن يخص الامام نفسه بالدعاء [٣٥٧])

قوله (أخبرنا إسماعيل بن عياش) بن سليم العنسي أبو عتبة الحمصي صدوق في روايته عن أهل بلده مخلط في غيرهم كذا في التقريب

---

(١) تحفة الأيام في فوائد بلوغ المرام، ص/١٤

وقال في الخلاصة وثقه أحمد وبن معين ودحيم والبخاري وبن عدي في أهل الشام وضعفه في الحجازيين انتهى

قلت روى إسماعيل بن عياش هذا الحديث عن حبيب بن أبي صالح وهو من أهل بلده فإنه حمصي (حدثني حبيب بن صالح) قال في التقريب حبيب بن صالح أو بن أبي موسى الطائي أبو موسى الحمصي ثقة من السابعة (عن يزيد بن شريح الحضرمي الحمصي مقبول من الثالثة) كذا في التقريب وقال في الخلاصة ووثقه بن حبان (عن أبي حي المؤذن) اسمه شداد بن حي صدوق من الثالثة كذا في التقريب

قال السيوطي في قوت المغتذي ليس للثلاثة يعني لحبيب بن صالح ويزيد بن شريح وأبي حي عند المؤلف إلا هذا الحديث انتهى (عن ثوبان) الهاشمي مولى النبي صلى الله عليه و سلم صحبه ولازمه ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة ٥٤ أربع وخمسين

قوله لا يحل أي لا يجوز لامرىء وكذا لمرأة أن ينظر في جوف بيت امرئ أي ." [١]

" قوله (ما نحل) أي ما أعطى والد ولدا (من نحل) بضم النون ويفتح أي عطية أو إعطاء ففي النهاية النحل العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق يقال نحله ينحله نحلا بالضم والنحلة بالكسر العطية (أفضل من أدب حسن) أي من تعليمه ذلك ومن تأديبه بنحو توبيخ وتهديد وضرب على فعل الحسن وتجنب القبيح فإن **حسن الأدب** يرفع العبد المملوك إلى رتبة الملوك

قوله (هذا حديث غريب) وأخرجه البيهقي في شعب الايمان (وهذا عندي حسن مرسل) قال الحافظ في تهذيب التهذيب في ترجمة موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص بعد نقل كلام الترمذي هذا الضمير في جده يعود على موسى فالحديث عن رواية سعيد وقد ولد في حياة النبي صلى الله عليه و سلم والظاهر أن له رؤية

وأما عمرو وهو الأشدق فلا صحبة له بل ولم يولد إلا في زمان عثمان والحديث على كل حال مرسل

وقال في ترجمة سعيد بن العاص قال بن سعد قبض النبي صلى الله عليه و سلم ولسعيد تسع سنين روى عن النبي صلى الله عليه و سلم مرسلا وقال فيها أيضا يحتمل أن يكون ضمير الجد على أيوب وهذا ظاهر ويحتمل أن يعود على موسى فيكون الحديث من مسند سعيد بن العاص فيستفاد منه أن الترمذي أخرج لسعيد أيضا وهو مع ذلك مرسل إذ لم يثبت سماع سعيد انتهى

---

(١) تحفة الأحوذي، ٢/٢٨٥

٤ -

(باب ما جاء في قبول الهدية والمكافأة)

قال في القاموس كافأه مكافأة جازاه وقال في الصراح مكافأة باداش دادن قوله [١٩٥٣] (حدثنا يحيى بن أكثم بفتح الهمزة وبالمثلثة) بن محمد بن قطن التميمي المروزي أبو محمد القاضي فقيه صدوق إلا أنه رمي بسرقة الحديث ولم يقع ذلك له وإنما كان يرى الرواية بالإجازة والوجادة روى عنه الترمذي والبخاري في غير صحيحه وعلي بن خشرم وهو من أقرانه وغيرهم وكان قد غلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعا فكانت الوزراء لا ." [١]

" مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج وغير ذلك (وإلا) أي وإن لم يشتهه (تركه) يعني مثل ما وقع له في الضب

قال بن بطال هذا من **حسن الأدب** لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه الشيخان

قوله (وأبو حازم هو الأشجعي الخ) قال الحافظ في تهذيب التهذيب سلمان أبو حازم الأشجعي الكوفي روى عن مولاته غزة الأشجعية وأبي هريرة وغيرهما وعنه الأعمش وغيره

وقال في التقريب ثقة من الثالثة

٥ -

(باب ما جاء في تعظيم المؤمن)

وقوله [٢٠٣٢] (عن أوفى بن دلهم) البصري العدوي صدوق من السابعة

قوله (صعد) بكسر العين أي طلع (فنادى بصوت رفيع) أي عال (قال) بيان لقوله فنادى (يا معشر من أسلم بلسانه) يشترك فيه المؤمن والمنافق (ولم يفض) من الافضاء أي لم يصل الايمان أي أصله وكماله (إلى قلبه) فيشمل الفاسق وهو الأظهر كما سيأتي من قوله تتبع عورة أخيه المسلم ولا أخوة بين المسلم والمنافق

فما اختاره الطيبي من حصر حكم الحديث على المنافق خلاف الظاهر الموافق والحكم بالأعم هو الوجه الأتم

---

(١) تحفة الأحوذي، ٧٢/٦

قاله القارىء وفيه ما فيه فتأمل (لا تؤذوا المسلمين) أي الكاملين في الاسلام وهم الذين أسلموا بلسانهم وامنو بقلوبهم (ولا تعيروهم) من التعيير وهو التوبيخ والتعييب على ذنب سبق لهم من قديم العهد سواء علم توبتهم منه أم لا

وأما التعيير في حال المباشرة أو بعيده قبل ظهور التوبة فواجب لمن قدر عليه

وربما يجب الحد أو التعزير فهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولا تتبعوا) من باب الافتعال أي لا ." [١]

"ثانيا : فيه دليل على أن الإنسان لا يخلو من ذنب أو تقصير في واجب دائما ويدل عليه قوله – صلى الله عليه وسلم – : " استقيموا ولن تحصوا ، وأعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ". عزاه في الجامع الكبير إلى أحمد والحاكم والبيهقي من حديث ثوبان والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو وسلمة ابن الأكوع ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٩٦٣ ، وحديث : "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون " عزاه في تخريج الجامع الصغير إلى أحمد والترمذي والحاكم وقال حسن وهو برقم ٤٣٩١ .

ثالثا : يؤخذ منه أن الأليق بالعبد التخلي عن الاعتماد على الأسباب لا لأنها ليس لها تأثير بل ما أمر الله بها إلا لربط مسبباتها بها كربط دخول الجنة بالإيمان والعمل الصالح وربط عصمة الدم والمال بالشهادتين وما من شيء إلا ربط مسببه بسبب كربط المغفرة بالتوبة ولكن لا يكون مدليا بها على الله وينص الحديث أن توفيق الله للعبد للعمل الصالح تفضل من الله وقبول العمل على ما فيه من آفات النقص والخلل تفضل منه وثوابه على العمل الصالح تفضل منه مع أن العمل الصالح مغمور في جانب النعم الكثيرة والمتعددة الثابتة منها والمتجددة وعلى هذا فليس للعبد شيء يوجب إدلاله بالعمل مع ما ذكر . والله أعلم .

رابعا : يؤخذ منه رد على المعتزلة في قولهم أن الأعمال الصالحة موجبة للثواب وجوبا عقليا إذ لو كان كما قالوا لقال فاغفر لي باستغفاري ولا يخفى أن هذا إلزام للباري تعالى من قبل عباده وفي ذلك **من سوء الأدب** مع الله ما فيه .

والحق أن الله لا يلزم بشيء من قبل خلقه ولا يجب عليه شيء لخلقه ولكنه وعد ووعده الحق أن يثيب المطيعين ويرحم المؤمنين لا إلزاما ووجوبا ولكن رحمة منه وفضلا والله لا يخلف الميعاد .

---

(١) تحفة الأحوذي، ١٥٢/٦

* * *

]." (1)

"قال فالتمس فلم يحد شيئا فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هل معك شيء من القرآن : يعني تحفظه قال نعم فقال رسول – صلى الله عليه وسلم – زوجتكها بما معك من القرآن .

المعنى الإجمالي

يخبر سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالت إنها وهبت نفسها له ثم أنها قامت طويلا والنبي – صلى الله عليه وسلم – جالس فقام رجل من القوم فقال زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة فطلب منه أن يصدقها شيئا ولكن الرجل كان فقيرا مدقعا فلم يجد حتى ولو خاتما من حديد فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – هل معك شيء من القرآن قال نعم فقال زوجتكها بما معك من القرآن

فقه الحديث

أولا : يؤخذ من هذا الحديث جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الفاضل

ثانيا : كون المرأة تعرض نفسها على الرجل الفاضل ليس معنى ذلك أنه يتزوجها بالهبة لأن الزواج بالهبة من خصوصيات النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلى هذا فيلزم لها مهر المثل

ثالثا: يؤخذ منه حسن خلق النبي – صلى الله عليه وسلم – حيث وقفت المرأة طويلا فلم يرد أن يكدر خاطرها بقوله لا أريدك حتى يسر الله ذلك الرجل الذي طلب إنكاحها إياه

رابعا: يؤخذ من قول الرجل لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة جواز مثل هذه العبارة في طلب النكاح

خامسا: **حسن الأدب** مع النبي – صلى الله عليه وسلم – من ذلك الصحابي حيث قال إن لم يكن لك بها حاجة

سادسا : يؤخذ من قوله هل عندك من شيء تصدقها أن الصداق مطلوب في النكاح ولا يصح النكاح بدونه

سابعا: يؤخذ من قوله ما عندي إلا إزاري هذا ما كان عليه أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – من الفقر

---

(١) تأسيس الأحكام، ٢/٢٠٧

ثامنا: إنكار النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله إزارك كأن هذا الاستفهام استفهام إنكار أي كيف تصدقها إزارك وأنت لا إزار لك." (١)

"قال عمر وعثمان وروي مرفوعا شهود صلاة العشاء خير من قيام نصف ليلة وشهود صلاة الصبح خير من قيام ليلة وقال عمر والحسن لأن أشهد صلاة العشاء والفجر أحب إلي من أن أحيي ما بينهما

وقال ابن عمر كنا إذا فقدنا الرجل في صلاة العشاء وصلاة الفجر أسأنا به الظن انتهى

وهذا الحديث رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى كلاهما عن مالك به

(مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب) المدني (عن أبيه) وهو تابعي كابنه

(وإسحاق بن عبد الله) بن أبي طلحة أحد شيوخ مالك روى عنه هنا بواسطة (أنهما أخبراه) أي العلاء (أنهما سمعا أبا هريرة يقول قال رسول الله إذا ثوب بالصلاة) بضم المثلثة وشد الواو وموحدة قال ابن عبد البر أي أقيم وأصل ثاب رجع يقال ثاب إلى المريض جسمه فكأن المؤذن رجع إلى ضرب من الأذان للصلاة وقد جاء هذا الحديث عن أبي هريرة بلفظ إذا أقيمت الصلاة وهو يبين أن التثويب هنا الإقامة انتهى

وهي رواية الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة وفي رواية لهما أيضا إذا سمعتم الإقامة وهي أخص من قوله في حديث أبي قتادة عندهما أيضا إذا أتيتم الصلاة لكن الظاهر كما قال الحافظ إنه في مفهوم الموافقة لأن المسرع إذا أقيمت الصلاة يترجى إدراك فضيلة التكبيرة الأولى ونحوها ومع ذلك نهى عن الإسراع فغيره ممن جاء قبل الإقامة لا يحتاج إلى الإسراع لأنه يتحقق إدراك الصلاة كلها فينهى من باب أولى ولحظ فيه بعضهم معنى آخر فقال حكمة التقييد بالإقامة أن المسرع إذا أقيمت الصلاة يصل إليها وقد تعب فيقرأ وهو بتلك الحالة فلا يحصل له تمام الخشوع في الترتيل وغيره بخلاف من جاء قبل ذلك فلا تقام الصلاة حتى يستريح لكن قضية هذا أنه لا يكره الإسراع لمن جاء قبل الإقامة وهو مخالف لصريح قوله إذا أتيم الصلاة لأنه يتناول ما قبل الإقامة وإنما قيده بالإقامة لأنها الحاملة غالبا على الإسراع انتهى

(فلا تأتوها وأنتم تسعون) تمشون بسرعة وتطلق على العمل نحو ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ﴾ سورة الإسراء الآية ١٩ ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ سورة الليل الآية ٤ وعليه حمل قوله

---

(١) تأسيس الأحكام، ٤/٨٦١

تعالى ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ سورة الجمعة الآية ٩ كقوله ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ سورة النجم الآية ٣٩ أو المراد الذهاب فليس معناه الإسراع

قال الطيبي (وأنتم تسعون) حال من ضمير الفاعل وهو أبلغ في النهي من لا تسعوا وذلك لأنه مناف لما هو أولى به من الوقار والأدب وعقبه بما يدل على **حسن الأدب** بقوله (وأتوها وعليكم السكينة) ضبطه القرطبي بالنصب على الإغراء والنووي بالرفع على أنها جملة في

(١) ".

"تعتقد أن الكسوف يوجب حدوث تغير بالأرض من موت أو ضرر فاعلم أنه اعتقاد باطل وأنهما خلقان مسخران لا سلطان لهما في غيرهما ولا قدرة على الدفع عن أنفسهما

(فإذا رأيتم ذلك) الكسوف في أحدهما لاستحالة كسوفهما معا في وقت واحد عادة وإن كان ذلك جائزا في قدرة الله (فادعوا الله وكبروا وتصدقوا) وقع الأمر بالصدقة في رواية هشام هذه دون غيرها

قال الحافظ (ثم قال يا أمة محمد) فيه معنى الإشفاق كما يخاطب الواحد ولده إذا أشفق عليه بقوله يا بني وكان قضية ذلك أن يقول يا أمتي لكن لعدوله عن المضمر إلى المظهر حكمة ولعلها أن المقام مقام تحذير وتخويف لما في الإضافة إلى المضمر من الإشعار بالتكريم ومثله يا فاطمة بنت محمد إلى أن قال لا أغني عنكم من الله شيئا

(الله) أتى باليمين لإرادة تأكيد الخبر وإن كان لا يرتاب فيه (ما من أحد أغير) بالنصب خبر ومن زائدة ويجوز الرفع على لغة تميم أو هو بالخفض بالفتحة صفة لأحد والخبر محذوف أي موجود أغير (من الله) أفعل تفضيل من الغيرة بفتح المعجمة وهي لغة تحصل من الحمية والأنفة وأصله في الزوجين والأهلين وذلك محال على الله تعالى لأنه منزه عن كل تغير ونقص فتعين حمله على المجاز فقيل لما كانت ثمرة الغيرة صون الحريم ومنعهم وزجر من يقصد إليهم أطلق عليه ذلك لأنه منع من فعل ذلك وزجر فاعله وتوعده فهو من تسمية الشيء بما يترتب عليه

وقال ابن فورك المعنى ما أحد أكثر زجرا عن الفواحش من الله

وقال غيره غيرة الله ما يغير حال العاصي بانتقامه منه في الدنيا والآخرة أو في أحدهما ومنه قوله تعالى ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ سورة الرعد الآية ١١ وقال ابن دقيق العيد أهل

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ١/٤٠٢

التنزيه في مثل هذا على قولين إما ساكت وإما مؤول بأن المراد بالغيرة شدة المنع والحماية فهو من مجاز الملازمة

وقال الطيبي وغيره وجه اتصال هذا بقوله فاذكروا الله الخ من جهة أنهم لما أمروا باستدفاع البلاء بالذكر والصلاة والصدقة ناسب ردعهم عن المعاصي التي هي من أسباب جلب البلاء وخص منه الزنى لأنه أعظمها في ذلك

وقيل لما كانت هذه المعصية من أقبح المعاصي وأشدها تأثيرا في إثارة النفوس وغلبة الغضب ناسب ذلك تخويفهم في هذا المقام من مؤاخذة رب العزة (أن يزني عبده أو تزني أمته) متعلق بأغير وحذف من قبل أن قياس مستمر وتخصيصهما بالذكر رعاية **لحسن الأدب** مع الله لتنزهه عن الزوجة والأهل ممن يتعلق بهم الغيرة غالبا ثم كرر النداء فقال (يا أمة محمد) ويؤخذ منه أن الواعظ ينبغي له حال وعظه أن لا يأتي بكلام فيه تفخيم نفسه بل يبالغ في التواضع لأنه أقرب إلى انتفاع السامع (والله لو تعلمون ما أعلم) من عظيم قدرة الله وانتقامه من أهل الجرائم وشدة عقابه وأهوال القيامة وما بعدها وقيل معناه لو دام علمكم كما دام علمي لأن علمه متواصل بخلاف علم غيره (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) لتفكركم فيما عملتموه وقيل معناه لو

". (١)

"التغيير انتهى

وهو يؤول إلى أن الأمر بمعنى الإباحة كما تقدم

(ثم قام رسول الله في الناس) خطيبا (فحمد الله وأثنى عليه) بما هو أهله (ثم قال أما بعد) أي بعد الحمد والثناء وفيه القيام في الخطبة وابتداؤها بالحمد والثناء وأما بعد (فما) بالفاء في جواب أما وفي رواية التنيسي بلا فاء على القليل (بال) أي حال (رجال) وفيه **حسن الأدب** والعشرة فلم يواجههم بالخطاب ولم يصرح بأسمائهم ولأنه يؤخذ منه تقرير شرع عام للمذكورين وغيرهم وللصورة المذكورة وغيرها وهذا بخلاف قصة علي في خطبته بنت أبي جهل فكانت خاصة بفاطمة فلذا عينها (يشترطون شروطا ليست في كتاب الله) أي ليست في حكمه وقضائه من كتابه أو سنة رسوله لأن الله لما أمر باتباعه جاز أن يقال لما حكم به حكم الله وقضاؤه وقد أخبر أن الولاء لمن أعتق ولا يعلم ذلك في نص الكتاب ولا

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٥٢٩/١

دلالته قاله ابن عبد البر زاد ابن بطال أو إجماع الأمة وقال ابن خزيمة أي ليس في حكم الله جوازه أو وجوبه لأن كل شرط لم ينطق به القرآن باطل لأنه قد يشترط الكفيل فلا يبطل الشرط ويشترط في الثمن شرط من أوصافه أو نجومه أو نحو ذلك فلا يبطل

وقال القرطبي أي ليس مشروعا في كتاب الله تأصيلا ولا تفصيلا ومعنى هذا أن من الأحكام ما يوجد تفصيله في كتاب الله كالوضوء ومنها ما يوجد

تأصيله دون تفصيله كالصلاة ومنها ما أصل أصله لدلالة الكتاب على أصلية السنة والإجماع وكذلك القياس الصحيح فكل ما يقتبس من هذه الأصول تفصيلا فهو مأخوذ من كتاب الله تأصيلا (ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل) جواب ما الموصولة المقتضية لمعنى الشرط (وإن كان مائة شرط) قال القرطبي وغيره خرج مخرج التكثير لأن العموم في قوله ما كان الخ دال على بطلان جميع الشروط ولو زادت على مائة شرط يعني أن الشروط الغير مشروعة باطلة وإن كثرت ويستفاد منه أن الشروط المشروعة صحيحة وقال المازري الشروط ثلاثة شرط يقتضيه العقد كالتسليم والتصرف فلا خلاف في جوازه ولزومه وإن لم يشترط

وشرط لا يقتضيه بل هو مصلح له كرهن وحميل فهو جائز ولا يلزم إلا بشرط

وشرط مناقض للعقد فهذا اضطرب فيه العلماء والمشهور في المذهب بطلان العقد والشرط معا لحديث من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو رد ولما في العقد من الجهالة لأن الشرط وضع له من الثمن فله حصة من المعاوضة فيجب بطلان ما قابله وهو مجهول وجهالته تؤدي إلى جهالة ما سواه فيجب فسخ الجميع وقيل يبطل الشرط خاصة (قضاء الله) أي حكمه (أحق) بالاتباع من الشروط المخالفة

(وشرط الله) أي قوله ﴿ فإخوانكم في الدين ومواليكم ﴾ سورة الأحزاب الآية ٥ وقوله ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ سورة الحشر

". (١)

"القليلة المائة ونحوها (من الغنم أحب إلى صاحبها من دار مروان) بن الحكم أمير المدينة يومئذ وهذا أيضا لا يقال إلا بتوقيف لأنه إخبار عن غيب يأتي

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ١١٦/٤

(مالك عن أبي نعيم وهب بن كيسان) التابعي (أنه قال) مرسلا عند الأكثر ورواه خالد ابن مخلد ويحيى بن صالح الوحاظي فقالا عن مالك عن وهب عن عمر بن أبي سلمة موصولا أخرجهما الدارقطني والأول النسائي وكذا رواه محمد بن عمرو بن حلحلة عن وهب عن عمر عند البخاري قال الحافظ والمشهور عن مالك إرساله كعادته

وقد أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف والنسائي عن قتيبة كلاهما عن مالك عن وهب مرسلا كما في الموطأ ومقتضاه أن مالكا لم يصرح بوصله ولعله وصله مرة فحفظ ذلك عنه خالد ويحيى وهما ثقتان وبه يتبين صحة سماع وهب من عمر وقد صرح في رواية الشيخين وغيرهما عن الوليد بن كثير أنه سمع وهب بن كيسان أنه سمع عمر بن أبي سلمة يقول (أتي) بضم الهمزة مبني للمفعول (رسول الله بطعام ومعه ربيبه) ابن زوجته أم سلمة (عمر) بضم العين (ابن أبي سلمة) الصحابي ابن الصحابي وفي رواية محمد بن عمرو بن حلحلة أكلت يوما مع رسول الله طعاما فجعلت آكل من نواحي الصحفة وفي رواية الوليد بن كثير كنت غلاما في حجر رسول الله وكانت يدي تطيش في الصحفة (فقال له رسول الله) يا غلام (سم الله) طردا للشيطان ومنعا له من الأكل فتسن التسمية

قال النووي أقلها بسم الله وأفضله بسم الله الرحمن الرحيم

قال الحافظ لم أر لما ادعاه من الأفضلية دليلا خاصا

وأما قول الغزالي يستحب أن يقول مع اللقمة الأولى بسم الله والثانية بسم الله الرحمن والثالثة البسملة بتمامها فإن سمى مع كل لقمة فهو أحسن حتى لا يشغله الأكل عن ذكر الله ويزيد بعد التسمية اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وأنت خير الرازقين وقنا عذاب النار فقال الحافظ أيضا لم أر لاستحباب ذلك دليلا ولا أصل لذلك كله وقال غيره ظاهر الأحاديث خلافه ومن أصرحها حديث أحمد كان إذا قرب إليه طعام قال بسم الله (وكل مما يليك) استحبابا لا وجوبا عند الجمهور فيكره الأكل مما لا يلي لأن الأكل من موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مودة لنفور النفس لا سيما في الأمراق ولما فيه من إظهار الحرص والنهم وسوء الأدب وأشباهها فإن كان غير لون أو تمر جاز فقد روى ابن ماجه وغيره عن عائشة كان إذا أتي بطعام أكل مما يليه وإذا أتي بالتمر جالت يده فيه وروى الترمذي وابن ماجه عن عكراش بن ذؤيب قال أخذ بيدي إلى بيت أم سلمة فقال هل من طعام فأتينا بجفنة كثيرة الثريد والودك فأكلنا منها فخبطت بيدي في نواحيها وأكل من بين يديه فقبض بيده اليسرى على يدي اليمنى ثم

." (١)

"

قال المحققون من نسب شيئا من الأفعال إلى الدهر حقيقة كفر ومن جرى على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك لتشبهه بأهل الكفر في الإطلاق

وقال ابن أبي جمرة لا يخفى أن من سب الصنعة فقد سب صانعها فمن سب الليل والنهار أقدم على مر عظيم بغير معنى ومن سب ما يجري فيها من الحوادث وذلك هو أغلب ما يقع من الناس وهو الذي يعطيه سياق الحديث حيث نفى عنهما التأثير فكأنه قال لا ذنب لهما في ذلك

وأما الحوادث فمنها ما يجري بواسطة العاقل المكلف فهذا يضاف شرعا ولغة إلى الذي أجرى على يديه ويضاف إلى الله لكونه بتقديره فأفعال العباد من اكتسابهم ولذا يترتب عليها الأحكام وهي في الابتداء خلق الله ومنها ما يجري بلا واسطة فهو منسوب إلى قدرة القادر وليس لليل والنهار فعل ولا تأثير لا لغة ولا شرعا ولا عقلا وهو المعنى في هذا الحديث ويستحق به ما يجري من الحيوان غير العاقل ثم النهي عن سب الدهر تنبيه بالأعلى على الأدنى فلا يسب شيئا مطلقا إلا ما أذن الشرع فيه لأن العلة واحدة واستنبط منه أيضا منع الحيلة في البيع مثل العينة لأنه نهى عن سب الدهر لما يؤول إليه من حيث المعنى وجعله سبا لخالقه انتهى

وتابع مالكا في هذا الحديث المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد به عند مسلم وهو في الصحيحين من طريق الزهري عن أبي سلمة وابن المسيب كلاهما عن أبي هريرة بنحوه

(مالك عن يحيى بن سعيد عن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم نبينا وعليه لقي خنزيرا بالطريق فقال له انفذ) بضم الفاء وذال معجمة امض واذهب (بسلام) سلامة مني فلا أوذيك (فقيل له تقول هذا لخنزير فقال عيسى إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء) لو قلت له غير هذا وهذا من **حسن الأدب** ولا يدع فهو صادر ممن تولى الله تأديبه

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٤/٤٠٠

٧١ ما يؤمر به من التحفظ في الكلام (مالك عن محمد بن عمرو) بفتح العين (بن علقمة) بن وقاص الليثي المدني صدوق من رجال الجميع مقبول روى له في السنن قال ابن عبد البر تابع مالكا على ذلك الليث بن سعد وابن لهيعة لم يقولوا عن جده رواه ابن عيينة وآخرون عن محمد بن عمرو عن أبيه عن جده عن بلال قال وهو الصواب وإليه مال الدارقطني وكذا رواه أبو سفيان عبد الرحمن بن عبد ربه السكري عن مالك فقال عن جده (عن بلال بن الحارث) المزني أبي عبد الرحمن المدني صحابي أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم العقيق

." (١)

"آخر حتى كنا) أي صرنا (أربعة فقال لي وللرجل الذي دعاه استأخرا شيئا) قليلا بحيث لا يسمعان التناجي (فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يتناجى) بألف لفظا مقصورة ثابتة في الكتابة تحتية ساقطة في الدرج لالتقاء الساكنين بلفظ الخبر ومعناه النهي (اثنان دون واحد) لأنه يوقع الرعب في قلبه وفيه مخالفة لما توجبه الصحبة من الألفة والأنس وعدم التنافر ولذا قيل إذا سررت في مجلس فإنك في أهله متهم وتخصيص النهي بصدر الإسلام حين كان المنافقون يتناجون دون المؤمنين رد بأن النهي لا يثبت بالاحتمال وبأنه لو كان كذلك لم يكن للتقييد بالعدد معنى وخصه عياض بالسفر لأنه مظنة الخوف ورده القرطبي بأنه تحكم وتخصيص لا دليل عليه وقد قال ابن العربي الخبر عام اللفظ والمعنى والعلة الحزن وهو موجود في الحضر والسفر فوجب أن يعمهما والنهي للتحريم عند الجمهور لكن محله عند المالكية إذا خشيا أن صاحبهما يظن أن تناجيهما في غدره وإلا كره حضرا وسفرا في القسمين وفي معنى التناجي ما لو تحدثا بلسان لا يفهم

(مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كان) أي وجد (ثلاثة) بالرفع فاعل كان التامة وفي رواية إذا كانوا ثلاثة روى بنصبه خبر كان واسمها المتصاحبون وبرفعه على لغة أكلوني البراغيث وتمام كان (فلا يتناجى اثنان دون واحد) أي لا يتسارا ويتركاه زاد في رواية لمسلم إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه أي لأنه قد يتوهم أن نجواهما هي لسوء رأيهما فيه واحتقاره عن أن يدخلاه في نحواهم أو إنما يتفقان على غائلة تحصل له منهما

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٥١٥/٤

قال الحافظ وأرشد هذا التعليل إلى أن المناجى إذا كان ممن إذا خص أحدا بمناجاته أحزن الباقين امتناع ذلك إلا إذا كان في أمر مهم لا يقدح في الدين

وقد نقل ابن بطال عن أشهب قال لا يتناجى ثلاثة دون واحد ولا عشرة لأنه قد نهى أن يترك واحد قال وهذا مستنبط من الحديث لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين للواحد قال وهذا من **حسن الأدب** لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا وقال المازري ومن تبعه فلا فرق في المعنى بين الواحد والجماعة لوجود المعنى في حق الواحد

وقال النووي أما إذا كانوا أربعة فتناجى اثنين دون اثنين فلا بأس بالإجماع انتهى واختلف إذا انفرد جماعة بالتناجي دون جماعة قال ابن التين وحديث عائشة في قصة فاطمة دال على الجواز وحديث ابن مسعود فأتيته وهو في ملإ فساررته فيه دلالة على أن المنع يرتفع إذا بقي جماعة لا يتأذون بالسرار ويستثنى من أصل الحكم كما مر ما إذا أذن من

". (١)

"وأما قوله صلى الله عليه وسلم: " الصدقة برهان " فقال صاحب التجريد: معناه أنه يفزع إليها كما يفزع للبراهين، كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت له صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول: تصدقت به، وقال غيره: معناه أن الصدقة حجة على إيمان فاعلها لأن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها فمن تصدق استدل بصدقته على قوة إيمانه والله أعلم.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: " والصبر ضياء " فمعناه الصبر المحبوب في الشرع وهو الصبر على طاعة الله تعالى والصبر عن معصيته والصبر أيضا على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا والمراد أن الصبر محمود لا يزال صاحبه مستضيئا به ومهتديا مستمرا على الصواب. قال إبراهيم الخواص: الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة. وقيل الصبر هو الوقوف مع البلاء **بحسن الأدب**. وقال أبو علي الدقاق رحمه الله الصبر أن لا يعترض على المقدور فأما إظهار البلاء على وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في حق أيوب عليه السلام: (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) مع إنه قال: " إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين " والله أعلم.

وأما قوله: " والقرآن حجة لك أو عليك " فمعناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو عليك.

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٥٢٣/٤

وقوله: "كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها " معناه أن كل إنسان يسعى لنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته له فيعتقها من العذاب كما قال تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) ومن يبيعها للشيطان والهوى بإتباعها فيوبقها أي يهلكها اللهم وفقنا للعمل بطاعتك وجنبنا أن نوبق أنفسنا بمخالفتك.

تحريم الظلم

٢٤ – " عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: " يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلتع بينكم محرما، فلا تظالموا. يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " رواه مسلم " .

....

قوله: " إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما " قال بعض العلماء معناه لا ينبغي لي ولا يجوز علي كما قال تعالى: (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) فالظلم محال في حق الله تعالى. قال بعضهم في هذا الحديث: لا يسوغ لأحد أن يسأل الله تعالى أن يحكم له على خصمه إلا بالحق لقوله سبحانه: " إني حرمت الظلم على نفسي " فهو سبحانه لا يظلم عباده فكيف يظن ظان أنه يظلم عباده لغيره.

وكذلك قال: " فلا تظالموا " المعنى المظلوم يقتص له من الظالم وحذفت إحدى التائين تخفيفا أصله فلا تتظالموا.

وقوله: "كلكم ضال إلا من هديته وكلكم جائع إلا من أطعمته وكلكم عار إلا من كسوته " تنبيه على فقرنا وعجزنا عن جلب منافعنا ودفع مضارنا إلا أن يعيننا الله سبحانه على ذلك وهو يرجع إلى معنى لا حول

ولا قوة إلا بالله، وليعلم العبد أنه إذا رأى آثار هذه النعمة عليه أن ذلك من عند الله ويتعين عليه شكر الله تعالى وكل ما ازداد من ذلك يزيد في الحمد والشكر لله تعالى.." [(١)]

"

قال القرطبي: وهذا من الراهب دليل على قلة علمه وعدم فطنته حيث لم يصب وجه الفتيا ولا سلك طريق التحرز في نفسه مما صار له القتل عادة معتادة، فقد صار هذا مثل الأسد الذي لا يبالي بمن يفترسه، فكان حقه ألا يشافهه بمنع التوبة مداراة لدفع القتل عن نفسه كما يدارى الأسد الضاري لكنه أعان على نفسه، فإنه لما آيسه من التوبة قتله بحكم سبعيته ويأسه من رحمة الله وتوبته عليه (ثم) لما لم يزل لطف الله تعالى مصاحبا لذلك القاتل بقي في نفسه الرغبة في السؤال عن حاله فما زال يحثه على هذا الأمر حتى (سأل) ثانيا (عن أعلم أهل الأرض) أي: في ذلك الزمن (فدل على رجل) أتى به توطئة لقوله: (عالم فقال) عطف على مقدر أي فأتاه فقال وحذف لذكره في نظيره (إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟) أي: مقبولة (فقال) ناطقا بالحق والصواب، مجيبا عن السؤال، منكرا على من ينفيها عنه (نعم، ومن) استفهام إنكار أي شيء) يحول) بالحاء المهملة، أي يكون حائلا وفاصلا (بينه) أي التائب من الذنب (وبين التوبة) وعبر بمن تغليبا أي لا مانع بينك وبينها من شخص ولا غيره، وأتى بضمير الغائب مراعاة **لحسن الأدب** في الخطاب، وهو ألا يضاف ما فيه لوم ولو على سبيل الرمز للمخاطب. وقبول توبة القاتل عمدا مذهب أهل العلم وإجماعهم، ولم يخالف أحد منهم إلا ابن عباس، وما نقل عن بعض السلف من خلاف ذلك فمراد قائله الزجر والتورية لا اعتقاد بطلان توبته، وهذا الحديث ظاهر فيما قاله أهل العلم، وهو إن كان شرعا لمن قبلنا، وفي الاحتجاج به خلاف فليس هذا من موضع الخلاف، إنما موضعه إذا لم يرد شرعنا بموافقته وتقريره، فإن ورد كان شرعا لنا بلا خلاف، وهذا ورد شرعنا به، قال تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون﴾ـ إلى قوله ﴿إلا من تاب﴾ (٦٨ ـ ٧٠) الآية.." [(٢)]

"

٦٠١ ـ (فالأول) منها (عن عمربن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ذات يوم) بينما كبينا ظرفا زمان، فيهما معنى المفاجأة ومعنى الشرط، ولذا استدعيا جوابا، وأصلهما بين التي هي ظرف بمعنى وسط دخلت عليها ما الكافة عن الجر وأشبعت أخرى فتحة النون

---

(١) شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص/٢٢

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، 1/١١٥

فصارت ألفا، والعامل فيها هنا معنى المفاجأة في قوله: (إذا طلع علينا رجل) والمعنى: وقت حضورنا في أشرف مجلس فاجأنا عند طلوع ذلك الرجل.

قال ابن جني: عامل بينا محذوف، وطلع عامل في إذ بناء على عدم إضافتها إليه.

وقال الشلوبين: عامل بينا محذوف وإذ بدل منه، والجملة في محل جر بإضافة إذ إليها. وقيل: إذ مبتدأ خبره ذات يوم: أي طلوع ذلك الرجل وقع بين تلك الأحوال، وذات يوم ظرف. ويجوز أن يكون «ذات» صلة: أي نحن عنده يوما. والإتيان بها للتوكيد ورفع توهم أنه تجوز باليوم عن مطلق الزمان. وقوله إذا طلع هو مستعار من طلعت الشمس لا يذكر إلا فيما له شأن كما حققه في «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿أطلع الغيب﴾ (مريم:٧٨) (شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى) بضم التحتية بالبناء للمجهول وبفتح النون للمتكلم ومعه غيره مبني للفاعل (عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد) معناه التعجب المتضمن لدعوى كونه ملكا، إذ لو كان غريبا لكان عليه أثر السفر وشعثه ولو كان مدنيا لعرفوه واستدل به على ندب حسن الهيئة.I

قال بعض المحققين: طلوعه كذلك يقوي معنى قولهم: **حسن الأدب** في الظاهر عنوان **حسن الأدب** في الباطن، ولذا استحب التزين في الجمعة والعيد، وشديد صفة لرجل، وأل في المضاف إليه أغنت عن الضمير العائد منه إليه، والأصل شديد بياض ثيابه شديد سواد شعره، اختار قوله: «ولا يعرفه منا أحد» على قوله: لا نعرفه لأنه آكد في تنكيره (حتى جلس إلى النبي) قيل: يتعلق بمحذوف تقديره استأذن وأتى حتى جلس.." (١)

"وجاء في رواية أبي داود والترمذي وغيرهما «فلبثت ثلاثا» وظاهره، أنه ثلاث ليال، وفي رواية أبي عوانة «فلبثنا ليالي فلقيني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ثلاث» ولابن حبان «بعد ثالثة» ولابن منده «بعد ثلاثة أيام» وقد ينافيه خبر البخاري «فأدبر الرجل، فقال النبي : ردوه، فأخذوا يردونه فلم يجدوا شيئا، فقال: هذا جبريل». وأجيب بأنه يحتمل أن عمر لم يحضر قوله هذا بل كان قد قام، فأخبر به بعد ثلاث. (ثم قال: يا عمر أتدري من السائل) فيه ندب تنبيه العالم تلامذته والكبير من دونهم على فوائد العلم وغرائب الوقائع طلبا لنفعهم وتيقظهم (قلت: الله ورسوله أعلم) فيه ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من **حسن الأدب** معه يرد العلم إلى الله وإليه، وأنه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول ذلك كما تقدمت الإشارة إليه (قال: فإنه جبريل اسم أعجمي سرياني فيه لغات عديدة بينتها ونظمتها وأوردتها في أوائل «شرح

---

(١) دل يل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢٦٢/١

الأذكار». قيل: معناه عبدالله، وقيل: عبد الرحمن، والفاء في قوله: «فإنه» جواب شرط مقدر: أي أما إنكم حيث لم تسألوا عن الرجل وفوضتم الأمر إلى الله ورسوله فإنه جبريل، على تأويل الإخبار: أي: تفويضكم هو سبب الإخبار لكم بأنه جبريل؛ وقرينة الشرط قوله: «ا ورسوله أعلم» وظاهر رواية البخاري أنه لم يعرفه إلا في آخر الأمر، وورد «ما جاءني في صورة لم أعرفه إلا في هذه المرة» وفي رواية ابن حبان «والذي نفسي بيده ما شبه علي منذ أتاني قبل مرته هذه وما عرفته حتى ولى» ورواه كذلك ابن خزيمة، وأما رواية النسائي «وإنه لجبريل نزل في صورة دحية الكلبي» فوهم من الراوي وشذوذ مخالف للمحفوظ في باقي الروايات، فإن دحية معروف عندهم، وقال عمر «ما يعرفه منا أحد». وفيه دليل على أن الله مكن الملك أن يتمثل فيما شاء من الصور البشرية، وقد كان يتمثل جبريل للنبي في صورة دحية، ولم يره على صورته الأصلية غير مرتين كما صح الحديث بذلك (أتاكم يعلمكم) بسبب." (١)

"بين بين، فهذه خمس أخرى مع السبع عشرة، وإن كانت مكسورة فإحدى عشرة مثلثة الفاء مخففة مع التنوين وعدمه، فهذه ست، وفتح الفاء وكسرها بالتشديد فيهما مع التنوين وعدمه فهذه أربع لغات، والحادية عشرة، أوفي بالإمالة، وإن كانت مفتوحة فالفاء مشددة مع الفتح والكسر والتنوين وعدمه، والخامسة أف بالسكون، والسادسة أفي بالإمالة، والسابعة أفاه بهاء السكت، فهذه السبعة مكملة للأربعين. نقله الأزهري في «شرح التوضيح»، قال الحافظ في «فتح الباري»: وإن استعمل القياس فيها بلغت السبعين لغة)

﴿ولا تنهرهما﴾) أي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك، يقال: نهره وانتهره بمعنى، ووجه الجمع بينه وبين ما قبله مع أنه يدل على هذا أن ذاك للمنع من إظهار الضجر القليل والكثير، وهذا للمنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد (﴿وقل لهما قولا كريما﴾) أي حسنا جميلا لينا كما يقتضيه **حسن الأدب** معهما، وقيل هو قول يا أباه، يا أماه ولا يسميهما باسمهما ولا بكناهما، وقيل هو أن يقول لهما كقول العبد الذليل للسيد الفظ الغليظ (﴿واخفض لهما جناح الذل﴾) أي ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع من شيء أحباه (﴿من الرحمة﴾) أي الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما إليك الآن كما كنت مفتقرا إليهما قبل (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي وادع الله أن يرحمهما رحمته الباقية، وأراد إذا

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/٢٧٦

كانا مسلمين أما الكافران فالدعاء منسوخ في حقهما، قال تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ (التوبة:١١٣) الآية. وقيل يدعو لهما بالهداية للإسلام فإذا هديا إليه رحما.." [١]
"

١٦٤٩ . (وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو) بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي (البدري) نسبة إلى بدر لنزوله وسكناه إياها وإلا فلم يشهد وقعتها مع النبي ، تقدمت ترجمته (رضي الله عنه) في باب المجاهدة (قال: جاء رجل) قيل هو حزم بن أبي بن كعب، ووقع كذلك في سنن أبي داود وتاريخ البخاري الكبير. وقال الحافظ في «فتح الباري»: إنه وهم ولم أقف على تسميته، وقيل هو حرام بن ملحان، وعليه اقتصر الخطيب، ومشى عليه ابن الأثير، وقيل حازم، وقيل سلمان بن الحارث، قاله البخاري أيضا في تاريخه، ووقع في أصل قرىء على القرطبي من «شرحه» عن رواية البزار أنه سلم بن علي، وعلى لام سلم علامة الاسكان، وقيل مليكة، وقال القاري: هو كعب بن أبي حزة بفتح المهملة وتشديد الزاي ابن أبي العين وهو وهم كذا في غاية الأحكام، و «جاء» يكون متعديا كقوله تعالى: ﴿فإن جاءوك﴾ (المائدة:٤٢) وتارة متعديا بحرف ومنه ما نحن فيه إذ عداه بإلى في قوله (وإلى رسول الله فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح) وعند البخاري صلاة الغداة وعنده أيضا زيادة القسم والله إني لأتأخر، ومراده أنه ترك حضور الجماعة لتطويل الإمام (من أجل فلان) قال الحافظ هو أبي بن كعب كما أخرجه أبو يعلى بإسناده حسن من حديث جابر وليس معاذ ابن جبل خلافا لابن الملقن وغيره، قال الحافظ: وهو وهم. وفلان كناية عن ذي العلم العاقل المذكر، والظاهر أن الراوي هو الذي كنى عنه والرجل الذي شكاه للنبي سماه وذلك من **حسن الأدب** في التعبير (مما يطيل بنا) بدل مما قبله بإعادة العامل: أي من إطالته الصلاة بنا (فما رأيت) أي علمت (النبي غضب في موعظة قط) بفتح القاف وضم الطاء المهملة في أفصح اللغات (أشد) بالنصب نعت مصدر محذوف: أي غضبا أشد، وسببه إما مخالفة الموعوظ لما أعلمه: أي إن ثبت ذلك، أو التقصير في تعليم ما ينبغي تعلمه، ويحتمل أنه لإرادة الاهتمام بما يلقيه لأصحابه، قال في «فتح الباري»:." [٢]

"يقال، ويحتمل أنها مستعارة للفاء: أي (فرجعت فجلست وقد تركت أخي) كان أبورهم وأبو بردة، قبل وآخر اسمه محمد وأشهرهم أبو بردة واسمه عامر (يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان) كناية عن المبهم من أعلام العقلاء وقد تستعمل في غيرهم مجازا ولذا قال (يعني أخاه خيرا يأت به) ليغنم التمتع

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٤٤٩/٢

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١١٨/٥

بالحضور بين يدي المصطفى في الخلوة، ولعله أن يبشر بالجنة كما بشر من قبله (فإذا إنسان يحرك الباب) على سبيل الاستئذان، وفيه **حسن الأدب** في الاستئذان. وأما قول ابن التين لعله كان قبل الاستئذان، فقال الحافظ في «الفتح»: إنه بعيد، لأنه جاء في رواية البخاري عن أبي موسى بلفظ «فجاء رجل فاستأذن» فعرف أنه حركة مستأذن، لا دافعا ليدخل بغير إذن (فقلت: من هذا؟ فقال عمر بن
". (١)

"٢٧٤١ ـ (وعن سلمة) بفتح أوله (ابن الأكوع رضي الله عنه أن رجلا أكل عند رسول الله بشماله فقال) إرشادا له للأفضل (كل بيمينك) الأمر فيه للندب (قال) أي الرجل مخبرا بخلاف الواقع (لا أستطيع، قال) داعيا عليه لما ظهر له من عناده وكبره عن الانقياد للحق (لا استطعت) وقوله (ما منعه إلا الكبر) جملة مستأنفة من الراوي مبينة للمقتضى لدعائه مع كمال رحمته ومزيد رأفته وتجاوزه عن أكثر من ذلك خصوصا والأمر على سبيل الندب، وقوله (فما رفعها) أي فما رفع المدعو عليه يمينه (إلى فيه) أشار به إلى حصول الإجابة حالا (رواه مسلم) في الأشربة من «صحيحه».

١٠٥ ـ باب النهي عن القران

بكسر القاف مصدر قارن (بين تمرتين ونحوهما) مما يعتاد أكله واحدة واحدة (إذا أكل جماعة إلا بإذن رفقته) بتثليث الراء. قال العلماء: إن كان يعلم رضا الشركاء بقرانه بينهما جاز مع الكراهة لما فيه من الاستئثار على الجلساء وإلا حرم. قال في «فتح الباري»: قال ابن بطال: النهي عن القران من **حسن الأدب** في الأكل عند الجمهور لا على التحريم كما قال أهل الظاهر، لأن الذي يوضع للأكل على سبيل المسالمة لا التشاح لاختلاف الناس في الأكل، لكن إذا استأثر بعضهم بأكثر من بعض لم يحمد له ذلك اهـ.." (٢)

" ٢٣٤ – أنازع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الإناء أي أنا أجره إلى نفسي وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يجره إلى نفسه وهذا من حسن العشرة مع الأهل قوله سئلت على بناء المفعول إذا كانت كيسة في المجمع أرادت **حسن الأدب** في استعمال الماء مع الرجل قلت فسرها الأعرج بقوله لا تذكر فرجا ولا تباله والفرج معرفة في حيز النكرة يعم فرجها وفرج الزوج ولا تباله بفتح التاء أصله تتباله بتاءين

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢١١/٥

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢٦/٦

حذفت إحداهما من تباله الرجل إذا أرى من نفسه ذلك وليس به أي ولا تأتي بأفعال المراة البلهاء والأبلة خلاف الكيس والمرأة بلهاء كحمراء من مركن بكسر الميم نفيض على أيدينا أي ." (١)

"٣٦٦١ – قوله (أكرموا أولادكم)

فإن إكرامهم يزيدهم حبا للأباء وأما لو الإكرام قد يفضي **إلى سوء الأدب** أشار بقوله وأحسنوا أدبهم إلى أنه لا ينبغي أن يكون الإكرام إلى هذا الحد وفي الزوائد في إسناده الحارث بن النعمان وإن ذكره ابن حبان في الثقات فقد لينه أبو حاتم والله أعلم .." (٢)

"في الأصدقاء

ابذل لصديقك دمك ومالك:

ابذل لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك١ ومحضرك٢، وللعامة بشرك وتحننك، ولعدوك عدلك وإنصافك، واضنن بدينك وعرضك على كل أحد.

لا تنتحل رأي غيرك:

إن سمعت من صاحبك كلاما، أو رأيت منه رأيا يعجبك، فلا تنتحله تزينا به عند الناس، واكتف من التزين بأن تجتني الصواب إذا سمعته، وتنسبه إلى صاحبه.

واعلم أن انتحالك ذلك مسخطة لصاحبه، وأن فيه مع ذلك عارا، وسخفا.

فإن بلغ بك ذلك أن تشير برأي الرجل، وتتكلم بكلامه، وهو يسمع، جمعت مع الظلم قلة الحياء، وهذا **من سوء الأدب** الفاشي في الناس.

---

١ الرفد: العطاء.

٢ محضرك: مشهدك.." (٣)

"حدثنا الربيع، أخبرنا الشافعي، قال: أخبرنا مسلم بن خالد، عن ابن جريج، عن الحسن بن مسلم، عن طاوس، أن النبي قال: «ﷺلا يحل لواهب أن يرجع فيما وهب، إلا الوالد من ولده» . قال الشافعي: وحديث النعمان ثابت، وبه نأخذ، وفيه الدلالة على أمور، منها **حسن الأدب** في أن لا يفضل رجل أحدا

---

(١) حاشية السندي على النسائي، ١٢٩/١

(٢) حاشية السندي على ابن ماجه، ٧٧/٧

(٣) الأدب الصغير والأدب الكبير ابن المقفع ص/٩٨

من ولده على بعض في نحل، فيعرض في قلب المفضل عليه شيء من بره؛ لأن كثيرا من قلوب الآدميين جبل على الاقتصار عن بعض البر إذا أوثر عليه، والدلالة على أن نحل الوالد بعض ولده دون بعض جائز من قبل أنه لو كان لا يجوز كان يقال إعطاؤك إياه وتركه سواء؛ لأنه غير جائز، فهو على أصل ملكك الأول أشبه من أن يقال: «ارجعه» ، وقوله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل لواهب أن يرجع فيما وهب، إلا الوالد من ولده» قال الشافعي: وحديث النعمان ثابت، وبه نأخذ، وفيه الدلالة على أمور، منها **حسن الأدب** في أن لا يفضل رجل أحدا من ولده على بعض في نحل، فيعرض في قلب المفضل عليه شيء من بره؛ لأن كثيرا من قلوب الآدميين جبل على الاقتصار عن بعض البر إذا أوثر عليه، والدلالة على أن نحل الوالد بعض ولده دون بعض جائز من قبل أنه لو كان لا يجوز كان يقال إعطاؤك إياه وتركه سواء؛ لأنه غير جائز، فهو على أصل ملكك الأول أشبه من أن يقال: «ارجعه» ، وقوله صلى الله عليه وسلم: «فارجعه» ، دليل على أن الوالد رد ما أعطى الولد، وأنه لا يحرج بارتجاعه منه، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أشهد غيري» ، فهذا يدل على أنه اختيار. قال الشافعي: فإذا كان هكذا، فسواء ادان الولد وتزوج رغبة فيما أعطاه أبوه، أو لم يدن أو لم يتزوج، فله أن يرجع في هبته له متى شاء، وقد حمد الله جل ثناؤه على إعطاء المال والطعام في وجوه الخير وأمر بهما فقال: ﴿وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين﴾ [البقرة: ١٧٧] ، وقال: ﴿مسكينا ويتيما﴾ [الإنسان: ٨] ، وقال: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم﴾ [التوبة: ١٢١] ، وقال ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾ [البقرة: ٢٧١] ، وقال: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران: ٩٢] ، فإذا جاز هذا للأجنبيين وذوي القربى، فلا أقرب من الولد، وذلك أن الرجل إذا أعطى ماله ذا قرابته غير ولده أو أجنبيا فقد منعه ولده، وقطع ملكه عن نفسه، فإذا كان محمودا على هذا، كان محمودا أن يعطيه ولده دون بعض، ومنع بعضهم ما أخرج من ماله أقل من منعهم كلهم، ويستحب له أن يسوي بينهم لئلا يقصر واحد منهم في بره؛ فإن القرابة تنفس بعضها بعضا ما لم تنفس البعادة. قال الربيع: يريد البعداء، وقد فضل أبو بكر عائشة بنخل، وفضل عمر عاصم بن عمر بشيء أعطاه إياه، وفضل عبد الرحمن بن عوف ولد أم كلثوم. قال الشافعي: ولو اتصل حديث طاوس أنه لا يحل لواهب أن يرجع فيما وهب إلا الوالد فيما وهب لولده، لزعمت أن من وهب هبة لمن يستثيبه مثله أو لا يستثيبه وقبضت الهبة، لم يكن للواهب أن يرجع في هبته، وإن لم يثبه الموهوب له والله أعلم." (١)

(١) اختلاف الحديث الشافعي ٨/٦٣٠

"حدثنا الربيع، قال: أخبرنا الشافعي، قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: جاءتني بريرة فقالت: إني كاتبت أهلي على تسع أواق، في كل عام أوقية، فأعينيني، فقالت عائشة: إن أحب أهلك أن أعدها لهم عددتها، ويكون ولاؤك لي، فعلت، فذهبت بريرة إلى أهلها، فقالت لهم ذلك، فأبوا عليها، فجاءت من عند أهلها، ورسول الله جالس، فقالت: إني عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم، فسمع ذلك رسول الله، فسألها النبي فأخبرته عائشة، فقال لها رسول الله: «خذيها واشترطي لهم الولاء؛ فإنما ﷺالولاء لمن أعتق» ، ففعلت عائشة، ثم قام رسول الله في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق» . أخبرنا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة. قال الشافعي: وحديث يحيى عن عمرة عن عائشة أثبت من حديث هشام، وأحسبه غلط في قوله: «واشترطي لهم الولاء» ، وأحسب حديث عمرة أن عائشة كانت شرطت لهم بغير أمر النبي، وهي ترى ذلك يجوز، فأعلمها رسول الله أنها إن أعتقتها فالولاء لها، وقال: لا يمنعك منها ما تقدم فيها من شرطك، ولا أرى أمرها أن تشترط لهم ما لا يجوز. قال الشافعي: وبهذا نأخذ، وقد ذهب فيه قوم مذاهب سأذكر ما حضرني حفظه منها إن شاء الله. قال الشافعي: فقال لي بعض أهل العلم بالحديث والرأي: يجوز بيع المكاتب؟ قلت: نعم، في حالين، قال: وما هما؟ قلت: أن يحل نجم من نجوم الكتابة فيعجز عن أدائه؛ لأنه إنما عقدت له الكتابة على الأداء، فإذا لم يؤد ففي نفس الكتابة أن للمولى بيعه؛ لأنه إذا عقدها على شيء فلم يأت كان العبد بحاله قبل أن يكاتبه إن شاء سيده، قال: قد علمت بهذا، فما الحال الثانية؟ قلت: أن يرضى المكاتب بالبيع والعجز من نفسه، وإن لم يحل له نجم، قال: بلى، فأين هذا؟ قلت: أفليس في المكاتب شرطان، إلى السيد بيعه في أحدهما، وهو إذا لم يوفه؟ قال: بلى، قلت: والشرط الثاني للعبد ما أدى؛ لأنه لم يخرج بالكتابة من ملك سيده، قال: أما الخروج من ملك سيده فلم يك بالكتابة. قال الشافعي: قلت: وإذا لم يخرج من ملك سيده بالكتابة، هل الكتابة إلا شرط للعبد على سيده، وللسيد على عبده؟ قال: لا، قلت: أرأيت من كان له شرط فتركه، أليس ينفسخ شرطه؟ قال: أما من الأحرار فبلى، قلت: فلم لا يكون هذا في العبد؟ قال: العبد لو كان له مال فعفاه لم يجز له، قلت: فإن عفاه بإذن سيده؟ قال: يجوز، قلت: أفليس قد اجتمع العبد والسيد على الرضا بترك شرطه في الكتابة؟ قال: بلى، قلت: ولو اجتمعا على أن يعتق المكاتب عبده أو يهب ماله جاز؟ قال: بلى، قلت: فلم لا يجوز إذا اجتمعا على إبطال الكتابة أن يبطلاها؟ قال: وقلت له: ذهاب بريرة إلى أهلها

مساومة بنفسها لعائشة، ورجوعها إلى عائشة بجواب أهلها بأن اشترطوا ولاءها، ورجوعها بقبول عائشة ذلك، يدل على رضاها بأن تباع، ورضا الذي يكاتبها بذلك؛ لأنها لا تشترى إلا ممن كاتبها، قال: أجل، فقلت: فقد كان في هذا ما يكفيك مما سألت عنه، قال: فإن قلت: فلعلها عجزت؟ قلت: أفترى من استعان في كتابته معجزا؟ قال: لا، قلت: فحديثها يدل على أنها لم تعجز، وإن كانت قد عجزت فلم يعجزها سيدها، قال: فلعل لأهلها بيعها؟ قلت: بغير رضاها؟ قال: لعل ذلك، قلت: أفتراها راضية إذا كانت مساومة بنفسها، ورسولا لأهلها وإليهم؟ قال: نعم، قلت: فينبغي أن يذهب توهمك أنهم باعوها بغير رضا، وتعلم أن من لقينا من -[٦٣٢]- المفتين إذا لم يختلفوا في أن لا يباع المكاتب قبل أن يعجز أو يرضى بالبيع، لا يجهلون سنة رسول الله وأنه لو كان محتملا معنيين كان أولاهما ما ذهب إليه ءوام الفقهاء مع أنه بين في الحديث كما وصفت أن لم تبع إلا برضاها، قال: أجل. قال الشافعي: فقال لي بعض الناس: فما معنى إبطال النبي شرط عائشة لأهل بريرة؟ قلت: إن بينا والله أعلم في الحديث نفسه أن رسول الله قد أعلمهم أن الله قد قضى أن الولاء لمن أعتق، وقال ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾ [الأحزاب: ٥] ، وإنه نسبهم إلى مواليهم كما نسبهم إلى آبائهم، وكما لم يجز أن يحولوا عن آبائهم، فكذلك لا يجوز أن يحولوا عن مواليهم، ومواليهم الذين ولوا منتهم، وقال الله: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك﴾ [الأحزاب: ٣٧] ، وقال رسول الله: «الولاء لمن أعتق» ، ونهى رسول الله عن بيع الولاء وعن هبته، وروي عنه أنه قال: «الولاء لحمة كلحمة النسب، لا يباع، ولا يوهب» . فلما بلغهم هذا كان من اشترط خلاف ما قضى الله ورسوله ع ا صيا، وكانت في المعاصي حدود وآداب، وكان من آداب العاصين أن تعطل عليهم شروطهم لينكلوا عن مثلها، وينكل بها غيرهم، وكان هذا من **أحسن الأدب**." (١)

"وتوكل عليه في كل أمر

واعتزل الهوى ولا تقنع من نفسك بالتربص وأخمل ذكرك وأدم لله شكرك وأكثر من الاستغفار واعتبر بالإفكار

وعليك بالتأني عند موارد العجلة **وحسن الأدب** في المخالطة

ولا تغضب لنفسك على الناس واغضب لله على نفسك ولا تكافئن أحدا بإساءة واحذر المدحة." (٢)

(١) اختلاف الحديث الشافعي ٦٣١/٨

(٢) رسالة المسترشدين الحارث المحاسبي ص/١٣١

"قال أبو حاتم رضي الله عنه الأحمق يتوهم أنه أعقل من ركب فيه الروح وأن الحمق قسم على العالم غيره والأحمق مبغض في الناس مجهول في الدنيا غير مرضى العمل ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين كما أن العاقل محب إلى الناس مسود في الدنيا مرضى العمل عند الله في الآخرة وعند الصالحين في الدنيا

أنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندي حدثنا عبد الله بن سليمان قال كان الحسن يقول أنا للعاقل المدبر أرجى مني للأحمق المقبل

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري ... وما الغي إلا أن تصاحب غاويا ... وما الرشد إلا أن تصاحب من رشد

ولن يصحب الإنسان إلا نظيره ... وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد ...

وأنشدني علي بن محمد البسامي ... لنا جليس تارك للأب ... جليسه من نوكه في تعب

يغضب جهلا عند حال الرضا ... عمدا ويرضى عند حال الغضب

فنحن منه كلما جاءنا ... في عجب قد جاز حد العجب

كأنه من سوء تأديبه ... أسلم في **كتاب سوء الأدب** ...

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربعي حدثنا عبد الله بن موسى البصري حدثنا العتبي قال سمعت أعرابيا يقول العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أسر منه بلين العيش مع السفهاء قال أبو حاتم رضي الله عنه وإن من شيم العاقل الحلم والصمت والوقار والسكينة والوفاء والبذل والحكمة والعلم والورع والعدل والقوة." (١)

"وإن تكن الأخرى فإن وراءنا ... مفاوز لو سارت بها العيس كلت ...

قال أبو حاتم رضي الله عنه لا يجب على العاقل أن يناقش على تصحيح الإعتاب بالإكثار مخافة أن يعود المعاتب إلى ما عوتب عليه لأن من عاتب على كل ذنب أخاه فحقيق أن يمله ويقلاه وإن **من سوء الأدب** كثرة العتاب كما أن من أعظم الجفاء ترك العتاب والإكثار في المعاتبة يقطع الود ويورث الصد

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/١٢٣

ولقد أنشدني عبد الله بن أحمد النقيب البغدادي لابن المعتز ... معاتبة الإلفين تحسن مرة ... فإن أكثروا إدمانها أفسد الحبا

إذا شئت أن تقلى فزر متتابعا ... وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا ...

وأنشدني محمد بن أبي علي الصيداوي ... إذا كنت في كل الأمور معابتا ... خليلك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحد أو صل أخاك فإنه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه ...

أخبرنا محمد بن المهاجر حدثنا مح مد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا تكثر العتاب فإن العتاب يورث الضغينة والبغضة وكثرته **من سوء الأدب**

قال أبو حاتم رضي الله عنه قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب مراعاة الإخوان فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب

ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر

أنبأنا علي بن الحسن بن عبد الجبار بنصيبين حدثنا علي بن حرب الطائي حدثنا وكيع عن الثوري عن ابن جريج عن العباس بن عبد الرحمن بن مينا عن." (١)

"..ذاك من فاخر في الناس به ... فاق من فاخر منهم وغلب ...

وأنشدني محمد بن نصر بن نوفل أنشدني عبد العزيز بن أحمد بن بكار إمام مسجد مكة ... ما حلة نسجت بالدر والذهب ... إلا وأحسن منها المرء بالأدب ...

حدثنا محمد بن أبي علي الخلادي حدثنا أحمد بن محمد المسروقي حدثنا محمد بن الحسين البرجلاني حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبد الله بن سلمة بن مرداس عن أبيه قال قال لي رجل من حكماء الفرس أقرب القرابة المودة الدائمة وأفضل ما ورث الآباء الأبناء **حسن الأدب**

قال أبو حاتم رضي الله عنه أفضل ما ورث أب ابنا ثناء حسن وأدب نافع والخرس عندي خير من البيان

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/١٨٢

بالكذب كما أن الحصور خير من العاهر

فيجب على العاقل أن يذكى قلبه بالأدب كما يذكى النار بالحطب لأن من لم يذك قلبه ران حتى يسود ومن تعلم الأدب فلا يتخذه للمماراة عدة ولا للمباراة ملجأ ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسه وليستعين به على ما يقر به إلى بارئه

ولقد أنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش ... أدب المرء كلحم ودم ... ما حواه رجل إلا صلح

لو وزنتم رجلا ذا أدب ... بألوف من ذوي الجهل رجح ...

أنبأنا أحمد بن بشر الكرجي حدثنا محمود بن الخطاب حدثنا رستة عبد الرحمن بن عمر قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول ما ندمت على شيء ندامتى أني لم أنظر في العربية

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي يقول سمعت ابن أخي الأصمعي يقول سمعت عمي يقول تعلموا النحو فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة." (١)

"واحدة كانت مشددة فخففوها قال الله ﴿يا عيسى إني ولدتك﴾ فقرأوا يا عيسى إني ولدتك مخفف فكفروا

حدثنا الحسن بن إسحاق الأصبهاني حدثنا أبو أمية حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا أبو زيد النحوي قال جاء رجل إلى الحسن فقال ما تقول في رجل ترك أبيه وأخيه فقال الحسن ترك أباه وأخاه قال الرجل فما لأباه ولأخاه فقال الحسن فما لأبيه ولأخيه فقال الرجل كلما تابعتك خالفت

قال أبو حاتم رضي الله عنه لا زينة أحسن من زينة الحسب كما أن من أجمل الجمال إستعمال الأدب ولا حسن لمن لا أدب له ومن كان من أهل الأدب ممن لا حسب له يبلغ به أدبه مراتب أهل الأحساب لأن **حسن الأدب** خلف من الحسب وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ولا البلاغة إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام ومن أحمد الفصاحة الاقتدار عند البداهة والغزارة عند الإطالة وأحسن البلاغة وضوح الدلالة وحسن الإشارة

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول سمعت أبا داود السنجي يقول سمعت الأصمعي يقول ليست البلاغة بخفة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكن بإصابة المعنى والقصد إلى الحاجة وإن أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروي المجدع ولا البدوي المعرب

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/٢٢١

وأنشدني الكريزي ... ولم أر فضلا تم إلا بشيمة ... ولم أر عقلا صح إلا على أدب
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم ... عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب ...

حدثنا عمر بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي قال قال المدائني ذكر عند علي بن عبد الله بن عباس بلاغة رجل فقال إني لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا على مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله." (١)

"لتحقيق قوله: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل: ٤٣ ولتصديق قوله الرحمن فاسأل به خبيرا والله تعالى هو المسير الأول والمبين الآخر إلا أن السير والسؤال على العبد والهدى والبيان على الهادي المبين، كما قال: (قل سيروا في الأرض فانظروا) النمل: ٦٩ وقال تعالى: (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب) يونس: ٩٤ الآية، ثم قال: (إن علينا بيانه) القيامة: ١٩ إن علينا للهدى وعلى الله قصد السبيل كذلك سننه التي قد خلت من

قبل ولا تبديل لها ولا تحويل، ألم تسمع قول الله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها) البقرة: ٣١ فهذا هو المجتبي للتعليم الآخذ نصيبه من الله عز وجل بتفهيم المصطفى لمكان التخصيص، ثم قال: (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) البقرة: ٣٣، فلما أنبأهم بأسمائهم ترك آدم ورد إليه وذكر نفسه بالعلم منه بعد أن دل بالواسطة عليه، فقال: ألم أقل لكم إني أعلم ولم يقل إن آدم يعلم فأخذ آدم نصيبه من رازقه بقلبه لمكان رتبته وأخذت الملائكة أنصبتها من الله عز وجل من نصيب آدم بواسطته والله هو الرزاق ذو القوة المتين كما هو الخلاق، هل من خالق غير الله يرزقكم؟ والعبيد يأخذون أنصبتهم بأقسامهم من حيث هي طرق وسبب لهم، وهذا حينئذ أول المحاسبة عن مشاهدة حسيب، والتحقيق بالمحاسبة هو أول المراقبة عن رؤية رقيب، والمقام من المراقبة هو حال من أحوال الموقنين، وعلم اليقين هو آخر علم الإيمان وآخر نصيب العبد من علم اليقين أعني نهايته أول عين اليقين وهو شهادة المعرفة والمعرفة على هذا الوصف أول المشاهدة؛ وهذا هو مقام المقربين أعني بمشاهدة وصف قريب يحيط ببعد النفس فيستولي عليها فيغيب بعدها في قربه وينتبه عقله تحت ظنه وتنطوي حكمته في قدرته كمحو نور القمر في ضياء الشمس والله غالب على أمره وعلم معاني الأسماء والصفات وتعريف الأخلاق وباطن أحكام الذات يكون في مقامات القرب بمرآة نور الوجه فيرفع نور حكم المكان ويشهد كأن رفع كون المرآة ويشهد الوجه بنورها وتغيب المرآة عن كونها فيكون

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/٢٢٢

العبد قائما بقصر قيوميته فيصير العبد شبه ميتة مشاهدا بحيطة قربه لا بكونه كما يشهد الوجه بنور المرآة لا بجسمها ولا يكون هذا إلا بعد معاينة وصف وبعد حسن المراقبة في جميع المعاملة **وحسن الأدب** في محاضرة الرب بتنفييذ خواطر الخبر وسرعة نفي خواطر السر حتى لا يبقى شئ منها وهذا حال المشاهدة والقرب، وذلك يخرج العبد إلى صفاء القلب بعلم اليقين، وصفاء القلب يرفعه مقامات في مشاهدة العين حتى لا يخطر بقلبه إلا خاطر حق فإن عصاه عصى الحق وفي ترك هذا والغض عنه كدر القلب وفي كدره ظلمته وذلك مقامات في القسوة وهي أول البعد وبلغني أن ما من فعلة وإن صغرت إلا وينشر لها ثلاثة دواوين: الديوان الأول لم." (١)

"أنتم فإنه قد عرض لي عارض منعني من الأكل، فقلنا: لا نأكل إن لم تأكل معنا، فقال: أنتم أعلم أما أنا فغير آكل ثم انصرف، قال: فكرهنا أن نأكل دونه، فقلنا: لو دعونا الشواء فسألناه عن أصل هذا الجمل فلعل له سببا مكروها فدعوناه فلم نزل به نسأل عنه حتى أقر أنه كان ميتة وأن نفسه شرهت إلى بيعه حرصا على ثمنه فشواه فوافق أنكم اشتريتموه، قال: فمزقناه للكلاب، قال: ثم إني لقيت الرجل بعد وقت فسألته لأي معنى تركت أكله وبأي عارض؟ فقال: أخبرك ما شرهت نفسي إلى طعام منذ عشرين سنة بالرياضة التي رضتها به فلما قدمتم إلي هذا شرهت نفسي إليه شرها ماعهدته قبل ذلك فعلمت أن في ذلك الطعام علة فتركت أكله لأجل شره النفس إليه فانظر رحمك الله كيف اتفقا في شره النفس عن قصد واحد ثم اختلفا في التوفيق والخذلان فعصم العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وتركه المراقبة أعني البائع للجمل ثم عصم الآخرون للتوفيق **بحسن الأدب** وهو قمع شره النفس عن الأكل بعد صاحبهم ثم تدارك البائع بعد وقوعه لصدق المشتري وحسن نيته. قز لغيره وربما قتلوه إذا فرغ من نسيجه لأن القز يلتف عليه فيروم الخروج منه فيشمس وربما غمزوه بالأيدي حتى يموت لئلا يقطع القز وليخرج القز صحيحا، فهذه صورة المكتسب الجاهل الذي أهلكه أهله وماله فتنعم ورثته بما شقي به فإن أطاعوا به كان أجره لهم وحسابه عليه وإن عصوا به كان شريكهم في المعصية لأنه أكسبهم إياها به فلا يدري أي الحسرتين عليه أعظم أذهابه عمره لغيره أو نظره إلى ماله في ميزان غيره، ومما سمعت في علم شره النفس ما حدثني بعض إخواني عن بعض هذه الطائفة قال: قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا جملا مشويا ودعوناه عليه في جماعة من أصحابنا فلما مد يده ليأكل وأخذ لقمة وجعلها في فيه لفظها ثم اعتزل وقال: كلوا أنتم فإنه قد عرض لي عارض منعني من الأكل، فقلنا: لا نأكل إن لم تأكل معنا، فقال: أنتم

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٤٤/١

أعلم أما أنا فغير آكل ثم انصرف، قال: فكرهنا أن نأكل دونه، فقلنا: لو دعونا الشواء فسألناه عن أصل هذا الجمل فلعل له سببا مكروها فدعوناه فلم نزل به نسأل عنه حتى أقر أنه كان ميتة وأن نفسه شرهت إلى بيعه حرصا على ثمنه فشواه فوافق أأنكم اشتريتموه، قال: فمزقناه للكلاب، قال: ثم إني لقيت الرجل بعد وقت فسألته لأي معنى تركت أكله وبأي عارض؟ فقال: أخبرك ما شرهت نفسي إلى طعام منذ عشرين سنة بالرياضة التي رضتها به فلما قدمتم إلي هذا شرهت نفسي إليه شرها ماعهدته قبل ذلك فعلمت أن في ذلك الطعام علة فتركت أكله لأجل شره النفس إليه فانظر رحمك الله كيف اتفقا في شره النفس عن قصد واحد ثم اختلفا في التوفيق والخذلان فعصم العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وتركه المراقبة أعني البائع للجمل ثم عصم الآخرون للتوفيق **بحسن الأدب** وهو قمع شره النفس عن الأكل بعد صاحبهم ثم تدارك البائع بعد وقوعه لصدق المشتري وحسن نيته.

وجبلات النفس الأربعة هي أصول ماتفرع من هواها وهي مقتضى ما فطرها عليه مولاها: أولها الضعف وهو مقتضى فطرة التراب، ثم البخل وهو مقتضي جبلة الطين، ثم الشهوة وموجبها الحمائم، الجهل وهو ما اقتضاه موجب الصلصال وهذه الصفات على معاني تلك الجبلات للابتلاء بالأمشاج ففيه بدء الأمت والإعوجاج، ذلك تقدير العزيز العليم، ثم إن النفس مبتلاة بأوصاف أربعة متفاوتة: أولها معاني صفات الربوبية نحو الكبر والجبرية وحب المدح والعز والغنى ومبتلاة بأخلاق الشياطين مثل الخداع والحيلة والحسد والظنة ومبتلاة بطبائع إليها ثم وهو حب الأكل والشرب والنكاح وهي مع ذلك كله مطالبة بأوصاف العبودية مثل الخوف والتواضع والذل بمعنى ما قلناه، قيل: إنها خلقت متحركة وأمرت بالسكوت وإني لها بذلك إن لم يتداركها المالك وكيف تسكن بالأمر إن لم يسكنها محركها بالخير فلا يكون العبد عبدا مخلصا حتى يكون للمعاني الثلاث مخلصا فإذا تحقق بأوصاف العبودية كان خالصا من المعاني التي هي بلاؤه من صفات الربوبية، فإخلاص العبودية للوحدانية عند العلماء الموحدين أشد من الإخلاص في المعاملة عند العاملين، وبذلك رفعوا إلى مقامات القرب وذلك أنه لا يكون عندهم عبدا حتى يكون مما سوى الله عز وجل حرا فيكف يكون عبد رب وهو عبد عبد لأن ما قاده إليه فهو إلهه وماترتب عليه فهو ربه وهذا شرك في الإلهية عند المتألهين ومرج بالربوبية عند الربانيين فهو متعوس منكوس بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول: تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الزوجة، تعس عبد الحلة، فهؤلاء عبيد العدد الذين قال مولاهم: إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم." (١)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١/١٥٤

"وما يتعلق بها من أعمال القلوب هو من الفقه في الدين ونعت أوصاف المؤمنين إذ مقتضاه الإنذار والتحذير لقوله تعالى: (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم) التوبة: ١٢٢ الآية، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: تعلموا اليقين فإني متعلم معكم ولقول الصحابة رضي الله عنهم تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا فهذا مزيدا الهداية بالإيقان وهو زيادة المؤمنين في الإيمان كما قال تعالى: (فزادهم إيمانا) آل عمران: ١٧٣ وقال عز وجل: (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) مريم: ٧٦ ولا يشعر أن **حسن الأدب** في المعاملة بمعرفة ويقين هو من صفات الموقنين وذلك هو حال العبد في مقامه بينه وبين ربه عز وجل ونصيبه من ربه تعالى، وحظه من مزيد آخرته.

وذلك معقود بشهادة التوحيدالخالصة المقترنة بالإيمان من خفايا الشرك وشعب النفاق وهو مقترن بالفرائض وفرض فرضها الإخلاص بالمعاملة وإن علم ما سوى هذا مما قد أشرب قلبه وحبب إليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم إنما هو حوائج الناس ونوازلهم فهو حجاب عن هذا واشتغال عنه، فآثر هذا الغافل لقلة معرفته بحقيقة العلم النافع ما زين له طلبه وحبب إليه قصده، آثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله وعمل في أنصبتهم منه في عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم ولم يعمل في نصيبه الأوفر من ربه الأعلى لأجل آخرته التي هي خبر وأبقى إذ مرجعه إليها ومثواه المؤبد فيها، فآثر التقرب منهم على القربة من ربه عزه وجل وترك للشغل بهم حظه من الله تعالى إلا جزل وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما قدم لغده من تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله وكان سبب ما بلي به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجب السياسة والرغبة في عاجل الدنيا وعزها بقلة الهمة وضعف النية في عاجل الآخرة وذخره فأفنى أيامه لأيامهم وأذهب عمره في شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالما وليكون في قلوب البطالين عندهم فاضلا فورد القيامة مفلسا وعندما يراه من أنصبة المقربين مبلسا إذ فاز بالقرب العاملون وربح الرضا العالمون ولكن أنى له وكيف بنصيب غيره؟ وقد جعل الله تعالى لكل عمل عاملا ولكل علم عالما أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كل ميسر لما خلق له هذا فصل الخطاب بينهما فإن الأمة لم تختلف، إن علم التوحيد فريضة سيما إذا وقعت الشبهات وأدخلت فيه المشكلات وإنما اختلفوا في مسألتين أي شيء هو التوحيد وفي كيفية طلبه والتوصل إليه، فمنهم من قال بالبحث والطلب ومنهم من يقول بالاستدلال والنظر، ومنهم من قال بالسمع والأثر، وقال

بعضهم: بالتوقيف والتسليم وقال بعض الناس: يدرك دركه بالعجز والتقصير عن بلوغ دركه، والرجل الخامس." (١)

"للمؤذي وخيرا في قوله تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) العنكبوت: ١٠ له، يعني فتنة الناس به كعذاب الله تعالى يعني إياه أي ليس ذلك عذابا مني إنما هو رحمة باطنة فهو كقوله تعالى: (وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن) (كلا) سورة الفجر: ١٦ - ١٧ أي لم أهنك بالفقر كما لم أكرم الآخر بالإكرام والتنعيم وعلى معنى هذا خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي أمره به فقال تعالى: (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود) ص: ١٧ فسلاه به وفضله عليه.

وقد روينا في خبر: يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له: أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول: نعم يا رب فيقول الله تعالى: كما أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطي أضعاف جزاء الشاكرين، وكتب ابن أبي نجيح يعزي بعض الخلفاء فقال في كتابه: إن أحق من عرف حق الله فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقى، واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك، واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون فيه أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون به، وفي الأخبار: ما من عبد إلا يعطى أجره بحساب وحد إلا الصابرين فإنهم يجازفون مجازفة بغير ميزان ولا حد، وجاء في الخبر أن أبواب الجنة مصراعان يأتي عليها زحام كثير إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد لا يدخل منه إلا الصابرون أهل البلاء في الدنيا، واحد بعد واحد.

وقد قال الله تعالى في جزاء المخلصين: (أولئك لهم رزق معلوم) الصافات: ٤١، وقال تعالى في جزاء الصابرين (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الزمر: ١٠، قيل في التفسير: يغرف لهم غرفا، المعنى في ذلك أن الصبر أشق شيء على النفس وأكرهه وأمره على الطبع وأصعبه فيه الألم والكظم عند الذل والحلم ومنه التواضع والكتم وفيه الأدب وحسن الخلق وبه يكون كف الأذى عن الخلق واحتمال الأذى من الخلق، وهذه من عزائم الأمور التي يضيق منها أكثر الصدور وفيه إكراه النفوس وحملها على الشدة والبؤس، وقد جاء أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس، ولأجل ذلك اشترط الله تعالى على المتقين والصادقين الصبر في الشدائد والمكاره وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم وأكمل به وصفهم وأعمال برهم فقال تعالى:

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٥٣/١

(والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) البقرة: ١٧٧، فمعنى الصبر حبس النفس عن السعي في هواها وحبسها أيضا عن مجاهدتها لمرضاة مولاها بمثل ما يوجب المجاهدة على قدر ما يبتلي به العبد لأن المجاهدة على قدر البلاء والحبس عن نحو الشرود وحبسها على دوام الطاعة وصبرها عن شره الطبع الذي **يظهر سوء الأدب** بين يدي الرب سبحانه وتعالى وصبرها على **حسن الأدب** في المعاملة، ثم يتفرع الصبر إلى معان شتى: من الصبر عن تفاوت الأهواء والصبر على الثبات." (١)

"له أو تسليما أو تفويضا إليه وهو السكون تحت جريان الأقدار وشهودها من الأنعام، ومن حسن تدبير الأقسام في شهود المسألة والحكمة فيها والقصد بالابتلاء بها وهو داخل في قوله تعالى: (ولربك فاصبر) المدثر: ٧، وفي قوله تعالى: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) الطور: ٤٨ وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وغيره من الأئمة: أصبحت وما لي سرور إلا في مواضع القدر، وروي أيضا إلا انتظار القضاء، ويقال: من علامة اليقين تسليم القضاء بحسن الصبر والرضا، وهو مقام العارفين، وقال سهل في تأويل قول علي رضي الله عنه: إن الله تعالى يحب كل عبد نومة قال: هو الساكن تحت جريان الأحكام يعني من غير كراهة، ولا اعتراض، فأما اشتراط الصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى في قول النبي صلى الله عليه وسلم: إنما الصبر عند الصدمة الأولى فلأنه يقال: إن كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر إلا المصيبة، فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر، فاشترط لعظم الثواب لها عند أول كبرها قبل صغرها وهي في صدمة القلب أول ما يبغته الشيء، فينظر إلى نظر الله تعالى فيستحي فيحسن الصبر كما قال: فإنك بأعيننا وهذا مقام المتوكلين على الله تعالى، والصبر أيضا عن إظهار الكرامات وعن الإخبار بكشف القدرة والآيات داخل في **حسن الأدب** من المعاملات، وهو من معنى الحياء من الله تعالى، وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد، ومن فضائل الصبر حبس النفس عن حب المدح والحمد والرياسة.

وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا مقطوعا: الصبر في ثلاث، الصبر في تزكية النفس، والصبر عن شكوى المصيبة، والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى على خيره وشره، ومن الصبر حبس النفس عن الخمول والتواضع والذلة إيثارا للآخرة على الدنيا وهربا إلى الله تعالى وتحققا بوصف العبودية وترك المنازعة والتشبه بمعاني أوصاف الربوبية تسليما للإلهية واستسلاما للأحدية فلا يخرجك قلة الصبرعن ذلك إلى الطلب بشيء منه فتزل قدم بعد ثبوتها نعوذ بالله من ذلك، ومن الصبر صبر على العيال في الكسب لهم

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٢٨/١

والإنفاق عليهم والاحتمال للأذى منهم، فإن في العيال طرقات إلى الله تعالى أدناها الإهتمام بهم، وأعلاها الرضا عن الله تعالى والتوكل عليه فيهم، وأوسطها الإنفاق وحبس الإنفاق وحبس النفس عليهم، واعلم أن أكثر معاصي العباد في شيئين: قلة الصبر عما يحبون، أو قلة الصبر على ما يكرهون، وقد قرن الله تعالى الكراهة بالخير والمحبة بالشر في قوله تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) البقرة: ٢١٦ وحد الصبر وهو أوله فريضة بمثل أول الإخلاص، والصبر أيضا حيلة من لا حيلة له لأن الأمر إذا كان بيد غيرك لم يكن إلا الصبر عليه ولأن الشيء إذا كان لا يأتيك إلا قليلا قليلا وأنت محتاج إليه لم يكن إلا الصبر عليه وإلا انقطع ذلك القليل،." (١)

"وكانت في خلده ووجده، وإن لم ينطق بها أو يظهرها: فأكثر الناس إيمانا وأحسنهم يقينا أقلهم غما وأيسرهم أسى على ما فات من الدنيا، وأحسنهم رضا وأنفذهم شهادة من رأى أن ذلك نعمة أوجبت عليهم شكرا، وأقل الناس إيمانا وأضعفهم يقينا أشدهم أسى وأكثرهم غما على ما فات، وأطولهم شكوى وأقلهم شكرا، فالمصائب محنة تكشف الزهد في الدنيا والرغبة، ألم تسمع إلى الحديث الذي جاء فيه هذا الدعاء: وأسألك من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، فشدة الغم على فوت الدنيا دليل على حبها وعلامة ضعف اليقين بمحبوبه وسهوله الغم على فوتها دليل على الزهد فيها وقوة اليقين بربه، فإن وجد المتوكل رحله بحاله لم يضره بتبقيته شيء وكان له أحر ما قد نوى من المعاملات، ولا أعلم هذا القول واعتقاده عند خروج العبد من منزله أو تركه لرحله أو خروجه في سفر ينفعه شيئا ولا يضره، ولا يقدم ضياع شيء حكم الله ببقائه له ولا يؤخر ترك العقد لهذا تبقية ما حكم الله بذهابه، ومع ذلك فيكون له حال من التوكل ومقامات في المعاملات إلا شيئا واحدا من باب نقصان الدنيا من طريق الورع، فإنه ينقصه وهو أنه إن أخذ ما توكل على الله فيه، وفوض إليه أمره به، ثم رد عليه، لم يستحب له في الورع أن يتملكه، ولا أن يرجع فيه في **حسن الأدب**، لأنه قد كان جعله صدقة في سبيل الله، فإن رجع فيه لم ينقص ذلك توكله، لأنه قد صح تفويضه إلى الوكيل في الخالين معا، فيكون رده عليه لأنه قد كان وهبه له بمنزلته ابتداء عطاء منه.

وقد روينا أن ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى أعيا، ثم قال: في سبيل الله، فدخل المسجد وصلى ركعتين فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن ناقتك في مكان كذا، فلبس نعله وقام ثم نزعها، ثم قال: أستغفر الله، وجلس فقيل له: ألا تذهب فتأخذها فقال: إني قد كنت قلت: في سبيل الله، وحدثت عن بعضهم قال: رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته فقلت: مافعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأدخلني الجنة، وعرضت

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٣٣/١

على منازلي فيها فرأيتها، قال وهو في ذلك كئيب حزين فقلت: قد دخلت الجنة وغفر لك وأنت حزين، فتنفس الصعداء ثم قال: نعم إني لأأزال حزينا إلى يوم القيامة، قلت: ولم ذلك؟ قال: إني لما رأيت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت، ففرحت بها، فلما هممت بدخولها، نادى مناد من فوقها: اصرفوه عنها فليست هذه له، إنما هذه لمن أمضى السبيل فقلت: وما أمضى السبيل؟ قيل لي: قد كنت تقول للشيء إذا ذهب منك: في سبيل الله، ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضيناها لك، وقد حدثونا أن الربيع بن خيتم سرق فرسه وكان ثمنه عشرين ألفا، وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه الناس يعزونه فقال: أما إني قد كنت رأيته وهو." (١)

"لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه، وويل ثم ويل لمن قال: لم وكيف؟ وفي الأخبار السالفة أن نبيا من الأنبياء شكا إلى الله الجوع والفقر عشر سنين، كل ذلك لا ينظر في مسألته فأوحى الله إليه: لم تشكو؟ هكذا كان بدوك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض، وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا، أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك، فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد، وعزتي وجلالي لن تخالج في صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة، وروينا أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على جسمه وينزلون، يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ثم ينزل على أضلاعه، كذلك قال وهو مطرق إلى الأرض ولا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت، ألا ترى مايصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال: يا بني، إني ر أيت ما لم تروا، وعلمت ما لم تعلموا، إني تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان، ومن دار النعيم إلى دار الشقاء، فأخاف أن أتحرك حركة أخرى فيصيبني ما لا أعلم، روينا في بعض الأخبار أنه قال: إن الله ضمن لي إن حفظت لساني أن يردني إلى الدار التي أخرجني منها، وقال أبو محمد سهل: حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضا، وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله، وروى عطية عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الغم والحزن في الشك والسخط، ومن الرضا أن لا تذم شيئا مباحا ولا تعيبه إذا كان بقضاء مولاه، شاهدا للصانع في جميع الصنعة ناظرا إلى إتقان الصنع والحكمة وإن لم يخرج ذلك عن معتاد المعقول والعادة، وبعض العارفين يجعل هذه الأشياء في باب الحياء من الله عز وجل، ومنهم من يقول: هي من حسن الخلق مع اللـه تعالى، ومنهم من جعله من باب

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢/٥٥

الأدب بين يدي الله، فإذا كان هذا كذلك كان ذم الأشياء التي أبيحت وعيبها من سوء الخلق مع الله، وكانت **من سوء الأدب** بين يدي الله، وأعظم من ذلك أنها تدخل في باب قلة الحياء من الله، ويصلح أن يكون هذا أحد معاني الخبر الذي جاء: قلة الحياء كفر، يعني كفر النعمة بأن يذم ويعيب بعض ما أنعم الله به عليه من الإرفاق والإلطاف، إذ كان فيها تقصير عن تمام ملها أو كانت مخالفة لهواه منها، فيكون ذلك كفرا للنعمة وقلة حياء العبد من المنعم، إذ قد أمره بالشكر على ذلك، فبدل الشكر كفرا لأن أحدا لو اصطنع لك طعاما فعبته وذممته كره ذلك منك، فكذلك تعالى يكره ذلك منك، وهذا داخل في معرفة معاني الصفات، وفي معنى ما قيل أعرفكم بربه أعرفكم بنفسه، لأنك إذا عرفت صفات نفسك في معاملة الخلق عرفت منها صفات خالقك." (١)

"عليه لا يرى أنكم ترضون عمله، وأقل مالك في هذا الزهد وهو باب كبير من أبواب الدين، إذا كانت المداهنة والممالأة من أكبر أبواب الدنيا، لأن بذلك يستوي عيش أهل الدنيا وتتم سلامتها لهم، فهذا هوالطرف الآخر من معنى قوله: الحب في الله والبغض في الله، وهو وجه غامض، ومعناه إذا كشف جلي ظاهر موجود عند علماء الآخرة، وقد جعل الله من أراد أن يحبه الفاسقون ويأمن فيهم، وجعل من يسارع بالأدهان وإظهار المتابعة للظالمين خشية دور الدوائر عليه علمين من أعلام النفاق، فقال سبحانه: (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها) النساء: ٩١، وقال تعالى في المعنى الثاني: (فترى الذين في قلوبهم مرض) المائدة: ٥٢، يعني المافقين: (يسارعون فيهم) المائدة: ٥٢، يعني يواطئون الكافرين سرا: (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) المائدة: ٥٢، أي نخاف أن تكون الدولة للكافرين على المؤمنين، قال تعالى: (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) المائدة: ٥٢، فينبغي لمن آمن في المؤمنين وأهل السنة وأحبوه أن يخاف في المنافقين وأهل البدع أن يبغضوه، وينبغي لمن سارع في مواطأة المؤمنين أن ينئ ويبطئ في مداهنة الظالمين ومتابعتهم، حتى يخلص له إيمانه من النفاق وتستقيم طريقه من الضلال، وقد نفى الله الإيمان عمن أحب من حاده، وأثبت الإيمان والتأييد باليقين لمن أبغض فيه أعداءه، فقال تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) المجادلة: ٢٢ الآية، فأما من قال من الجاهلين بأن الرضا قد يكون بالمعاصي منه أو من سواه، كما يكون في الطاعات، فقد جعل المعاصي والمخالفات من القربات وسوى بينهما، وفي هذا هدم شرائع الأنبياء وإبطال تفصيل الله ما أحل لنا مما حرم علينا، وما أمرنا به مما نهانا، وقد روي في خبر: من شر

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام ال توحيد أبو طالب المكي ٦٨/٢

الناس منزلة عند الله من يقتدي بسيئة المؤمن ويترك حسنته، وقال بعض العلماء: من حمل شاذ العلماء فقد حمل شرا كثيرا، ومن **حسن الأدب** في المعالمة إذا عملت صالحا فقل: يا سيدي، أنت استعملتني وبحولك وقوتك وحسن توفيقك أطعتك، لأن جوارحي جنودك، وإذا عملت شيئا ظلمت نفسي، وبهواي وشهوتي اجترحت جوارحي وهي صفاتي، ثم يعتقد في ذلك أنه بقدره ومشيئته كان ما قضاه، فتكون بالمعنيين قد وافقت مرضاة مولاك وتكون في الحالين عاملا بما يرضيه بالقول والعقود، وينتفي عنك العجب في أعمال برك ويصح منك المقت لنفسك واعترافك بظلمك، وقد ثقلت هذه المشاهدة على الجاهل، فإذا عمل حسنا شهد نفسه ونظر إلى حوله وقوته، فهلك بالكبر وبطل عمله بالعجب، وإذا عمل سيئا لم يعترف بالذنب ولم يقر على نفسه بالظلم، ولم تصح له توبة ولم يرض له عملا، نعوذ بالله من مشاهدة الضلال." (١)

"وقال نظيره في مثله: وأترك ما أهوى لمن قد هويته، وأرضى بما يرضى وإن سخطت نفسي، ثم الطمأنينة إلى الحبيب وعكوف الهم على القريب ودوام النظر، وسياحة الفكر لأن من عرفه أحبه، ومن أحبه نظر إليه، ومن نظر إليه عكف عليه، أما فهمت هذا من قوله تعالى: (وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا) طه: ٩٧ ومن فرائض المحبة وفضائلها؛ موافقة الحبيب فيما أحب حب الله، كما قال عمر رضي الله عنه لصهيب رحم الله صهيبا: لو لم يخف الله لم يعصه؛ أي أن محبته له تمنعه من مخالفته عن غير خيفة، فهو يطيعه حبا له، وكان صهيب يقول إنه يستخرج من حبي لربي شيئا لا يستخرجه غيره؛ يعني من معاني الصفات المخوفة والأفعال المرجوة، وقال بعض علمائنا: الإيثار يشهد للحب، فعلامة حبه إيثاره على نفسك، وقال: ليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا لله، ولكن كل من اجتنب ما نهاه صار حبيبا وهذا كما قال: إن المحبة تستبين بترك المخالفة، ولا تبين بكثرة الأعمال، كما قيل: أعمال البر يعملها البر والفاجر والمعاصي لا يتركها إلا صديق، وقيل: أفضل منازل الطاعات الصبر على الطاعات، وإن الصبر على الطاعة يضاعف إلى سبعين، والصبر عن المعصية يضاعف إلى سبعمائة كأنه أقيم مقام المجاهد في سبيل الله، لأنه يقع اختبارا من الله وضرورة من كلية النفس، فإذا ترك هواه فقد ترك نفسه، فأقل ما له في ذلك الزهد في الدنيا والجهاد في سبيل الله، ومن أجل ذلك ضوعفت حسناته إلى سبعمائة، ومن أجله ثبتت له المحبة بترك المخالفة، قال الله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) الرحمن: ٤٦ تفضله على غيره بحبه، وأعجب ما سمعت في هذا أن موسى سأل الخضر: بأي شيء بلغت هذه المنزلة؟ فقال: بترك المعاصي

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٧٩/٢

كلها، وقد كان أبو محمد يقول في قوله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) التوبة: ١١١، قال: عيش نفوسهم الفاني وهو عاجل حظوظهم من الشهوات، ومن المحبة وجود الروح بالشكوى إليه والاستراحة إلى علمه به وحده، وإخلاص المعاملة لوجهه **وحسن الأدب** فيها، وهو الإخفاء لها وكتم ما يحكم به من الضيق والشدائد، وإظهار ما ينعم به من الإلطاف والفوائد وكثرة التفكر في نعمائه وخفي ألطافه، وغرائب صنعه وعجائب قدرته وحسن الثناء عليه في كل حال، ونشر الآلاء منه والأفضال والصبر على بلائه، لأنه قد صار من أهله وأوليائه، وقد يعسف بأوليائه ويعنف بأحبابه لتمكنه منهم ومكانتهم عنده، ولعلمه أنهم لا يريدون له بدلا ولا يبغون عنه حولا، إذ ليست لهم راحة لسواه ولا بغية في سواه ولا لهم همة إلا إياه، كما قال بعض المحبين: ويلي منك وويلي عليك، أفزع منك وأشتاق إليك، إن طلبتك أتعبتني وإن هربت منك طلبتني، فليس لي معك راحة ولا لي في غيرك استراحة، ثم المسارعة إلى ما ندب إليه من أنواع البر بوجود الحلاوة وبشرح الصدر كما جاء في الأثر، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، ثم الرضا بقضائه لأنه." (١)

"هذا خلق لخلق وعبد لعبد، فكيف بخلق لخالق وعبد لمعبود، فكان ذلك سببه فقد دخلت الأموال في الأنفس تحت الشراء، وقد باعوه نفوسهم فما دونها لمحبتهم إياه، وقد اشتراها منهم لنفاستها عنده، فعلامة محبته لها اشتراؤها منهم، وعلامة شرائها طيها عنهم؛ فإذا طواها فلم يكن عليهم منها بقية هوى في سواه، فقد اشتراها، واعلم أن آفات النفوس هي أدواؤها، وطهرة النفوس من الأدواء هو داؤها، كما قال تعالى: (قد أفلح من زكاها) الشمس: ٩، فإذا صفاها من الآفات فقد صافاها، وإذا امتحنها بالتمحيص من الشهوات للتقوى فقد اشتراها، ولكل داء من النفس دواء على قدر صغره وعظمه، فضع الدواء على الداء من حيث دخل عليك، بإدخال ضده عليه وبقطع أصله عنه، فعلامة النفوس المشتراة وهي المحبوبة المجتباة، التوبة إلى الحبيب بالخدمة له وكثرة الحمد له بالسياحة إليه ودوام الصلاة، **بحسن الأدب** بين يديه والأمر بما يحب والنهي عما يكره والحفظ بحدوده التي حدها وترتيب العلم على مدارج العقل، بإخفاء علم التوحيد وأسرار قيومية القدرة من المحافظة، لأن العقل حد، وذلك من كتمان علم المحبة، فهو عند المحبين كحفظ حدوده على الجوارح التي شرعها بألسنة الرسل، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، والله يحب المتقين، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أراد أن يحبه الله فليزهد في الدنيا، فلا يطمعن طامع في محبة الله قبل

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢/٩٠

الزهد في الدنيا، فهذه جمل أوصاف المحبين، ومن المحبة أن لا يطلب خدمة سواه وأن يجتمع في محبته همه وهواه، ولا يهوي إلا ما فيه رضا المولى، ولا يقضي عليه مولاه إلا بما يهواه.

وروي عن بعض العلماء إذا رأيته يوحشك من خلقه، فاعمل أنه يريد أن يؤنسك به وفي أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه: إن أود الأوداء إلي من عبدني لغير نوال، لكن ليعطي الربوبية حقها، وفيما نقل وهب من الزبور، ومن أظلم ممن عبدني لجنة أونار لو لم أخلق جنة ولا نارا لم أكن أهلا أن أطاع، أو كما قال، وفي أخبار عيسى: إذا رأيت التقي مشغوفا في طلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه، وعن عيسى عليه السلام: المحب لله يحب النصب، وروي عنه أنه مر على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال: ماأنتم؟ فقالوا: نحن عباد قال: لأي شيء تعبدتم؟ قالوا: خوفنا الله من النار فخفنا منها فقال: وحق على الله أن يؤمنكم ما خفتم، ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال: لأي شيء تعبدتم؟ قالوا: شوقنا الله إلى الجنان وما أعد فيها لأوليائه فنحن نرجو ذلك، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم، ثم جاوزهم." (١)

"هذا مذهب السلف ولا طريقة العارفين، كتب عامر بن عبد الله إلى بعض إخوانه: آنسك الله بنفسه، وقيل لإبراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل: من أين أقبلت؟ قال: من الأنس بالله وأنشدونا لبعض العارفين:

الأنس بالله لا يحويه بطال ... وليس يدركه بالحول محتال

والآنسون رجال كلهم نجب ... وكلهم صفوة لله عمال

وقد روينا في التفسير عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله عز وجل: (الذين آمنوا تطمئن قلوبهم بذكر الله) الرعد: ٢٨، قال: هشت إليه وأنست به، وفي مقام الأنس يكون التملق والمناجاة، ومعه تكون المحادثة والمجالسة، ومعنى من البسط، ولا يحب الله تعالى هذا النوع من الإدلال إلا ممن أقامه مقام الأنس، ولا يحسن ذلك إلا منهم لنحو قول موسى عليه السلام في مقام الأنس: يا رب لي ماليس لك، قال: وماهو؟ قال: لي مثلك وليس لك مثل نفسك، قال: صدقت، معنى قوله: مثلك أي لي أنت كقوله تعالي: (ليس كمثله) الشورى: ١١، معناه ليس كهو شيء لأنه لا مثل له، فيكون لمثله مثل إذ لا يكون لمثله مثل، والعرب تعبر بالمثل عن نفس الشيء وفوق هذا من البسط ما أخبر الله تعالى عنه أنه قال مواجها للجليل العظيم: إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون، وأعظم من هذا قوله: اذهب إلى فرعون، فقال مجيبا له، فأرسل إلى هارون ولهم علي ذنب، ومثله قوله: إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري فحسن هذا منه، لأنه

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٩٢/٢

أقامه مقام البسط بين يديه والأنس به، ولأن مكانه لديه مكان محبوب، فأدل به عليه فحمله ذلك، وهذا من غير موسى في غير هذا المقام **من سوء الأدب** بين يدي المرسل، ولم يحتمل ليؤنس عليه السلام خاطرا من هذا القول لما أقيم مقام القبض والخوف، حتى عوقب بالسجن في بطن الحوت في البحر، في ظلمات ثلاث، ونودي عليه إلى يوم الحشر، لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم، وقيل: عراء القيامة، ونهي الله تعالى حبيبه صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به في القول والفعل فقال تعالى: (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادي وهو مكظوم) القلم: ٤٨، وقد قال تعالى: (منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) البقرة: ٢٥٣، واحتمل لإخوة يوسف ما عزموا عليه واعتقدوه وما فعلوه وما أسروه من قولهم: اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم إلى نحو ذلك من الكلام والفعال، ولقد عددت من أول قولهم ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا إلى رأس العشر من أخباره عنهم في قوله، وكانوا فيه من الزاهدين نيفا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض، قد يجتمع في الكلمة الواحدة الأربعة والخمسة من الخطايا، ودون ذلك وفوقه بدقائق الاستخراج ومعرفة خفايا الذنوب، فغفر لهم ذلك إن كانوا في مقام محبوبين، ولم يحتمل لعزير." (١)

"جنسهم أشد من غيرة جميع محبيه عليه؛ وهذا كلام على عالم صاح في مقام صحو مكين، فأما السكرن بحاله والولهان بوجده فمغلوب، والمغلوب معذور، قال رجل لأبي محفوظ، وقد رأى من بعض المحبين شيئا استجهله فيه فأخبر معروفا بذلك فتبسم ثم قال: ياأخي له محبون صغار وكبار ومجانين وعقلاء، فهذا الذي رأيته من مجانينهم ومن المحبة كتمان بلاء الحبيب بعد الرضا به لأن ذلك من السر عنده **وحسن الأدب** لديه، وعوتب سهل في العلة التي كانت به علة مهولة كان يداوي الناس منها ولا يداوي نفسه فقيل له في ذلك فقال: ضرب الحبيب لا يوجع، وكان حينئذ يقول: من علامة المحب في المكاره والأسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء، إذ هو لطف من مولاه وفيه الغربة إلى محبوبه وقلة التأذي بكل بلاء يصيبه لغلبة الحب على قلبه، وقد كان بعض المحبين يقول: أصفى ما أكون ذكرا إذا ما كنت محموما، وذكر بعض من ينتمي إلى المحبة مقامه في المحبة عند بعض المحبين فقال له المحب: أرأيت هذا الذي تذكر محبته أهممت بسواه قط؟ قال: نعم، قال: فهل رأيته في ليلة مرتين وثلاثا؟ قال: لا، قال: لولا أني أستحي لأخبرتك أن محبتك معلولة تهتم بسوى حبيبك ولا تراه في ليلتك، ثم قال: لكني لا أدعي محبته وعلى ذلك ما اهتممت بسواه مذ عرفته، وربما رأيته في ليلة سبع مرار، وذكر بعض

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٠٥/٢

المحبين ممن كان بدلا عن إبراهيم بن أدهم ممن تكلم في علم طريقه ووصفه حاله وذكر القصة بطولها قال: رأيت الله عز وجل مائة وعشرين مرة وسألته عن سبعين مسألة أظهرت منها أربعة فأنكرها الناس فأخفيت الباقي، وفيما ذكر من وصف المحب كفاية وغيبة عن وصف المحبوب وليس يمكننا وصف المحبوب إذ كان حاله يجل عن الوصف، وكيف يوصف من يسمع ويبصر من يحبه ويبطش ويعقل عن محبوبه فيكون هو سمعه وبصره وقلبه ويده ومؤيده، كما جاء في الخبر: إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وقلبه الذي يعقل به، وإن سألني أعطيته وإن سكت ادخرت له، لو قسم نوره على أهل الأرض لوسعهم؛ فهذا كله في مقام محبوب، ويقال: إن هذه الآيات والقدر من سرائر الغيوب وخفايا الملكوت التي تسميها العامة المعجزات والآيات وتسميها العلماء الكرامات والإجابات؛ وهي آيات الله في أرضه مودعة وقدرته في عباده جارية، وعنايات له في ملكه مستقرة، ليس للعباد منها إلا كشفها ونظرهم إليها إذا أقيموا مقام الأنس من مقام محبوب، ويقال: إنها توجد في المقام السابع عشر من مقامات المعرفة، إذا أقيم العبد هذا المقام في المعرفة يؤدي بها ظهرت له وفوقها ثلاثة وثمانون مقاما من مقامات العارفين، أفضل من ذلك، ويقال: إنها لا." (١)

"وحياء، ولا يجعل ما لله تعالى دون ما يستجيد لنفسه، أو ما يكره أن يقتنيه لعاقبته أو يأخذه من غيره، أو مالا يستحسن أن يهديه لنبيل من العبيد، فتكون قد آثرت نفسك أو عبدا مثلك على مولاك فإن هذا **من سوء الأدب** ولا يقوم سوء أدب واحد في معاملة بجميع المعاملات.

وقد روي في معنى قوله تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) البقرة: ٢٤٥، قال: طيبا، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وفي حديث أبان عن أنس:

طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية، وفي الخبر: سبق درهم مائة ألف درهم، وقد تهدد الله تعالى قوما جعلوا له ما يكرهون ووصفت ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم فأكذبهم في قوله تعالى: (ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار) النحل: ٦٢، أي حقا لهم النار، وفي الآية وقف غريب لا يعلمه إلا الحذاق من أهل العربية تقف على لا فيكون نفيا لوصفهم أن لهم الحسنى، ثم يستأنف بجرم أن لهم النار، أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار، أي بجرمهم واكتسابهم، وإذا دعا لك مسكين عند الصدقة فأردد عليه مثل دعائه حتى يكون ذلك جزاء لقوله: وتخلص لك صدقتك وإلا كان دعاؤه مكافأة على معروفك، فقد كان العلماء يتحفظون من ذلك وهو أقرب إلى

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢/١١٠

التواضع، ولا نرى أنك مستحق لذلك منه لما وصلته به، لأنك عامل في واجب عليك لمعبودك أو توفي للمعطي رزقه وما قسم له من تعبدك بذلك، وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا للرسول: احفظ ما يدعو به ثم يردان عليه مثل قوله، ويقولان: حتى تخلص لنا صدقتنا، وفعل ذلك عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله تعالى عنهما، ولا ينبغي أن تقتضي من الفقير الدعاء لك، أو تطالبه بذلك، أو تحب منه الثناء والمدح على ذلك، فإنه ينقص من الصدقة، وإذا كثر منك وقوي أحبطها، وإن كان عليه أن يدعو لك ويثني به عليك فإنما يعمل فيما تعبده مولاه به، وأمره به فلا يرى ذلك من حقك عليه، وإذا وصلت إلى الفقير معروفا فبحسن أدب ولين جانب ولطف كلام وتذلل وتواضع.

وقد كان بعض الأدباء إذا أراد أن يدفع إلى فقير شيئا بسط كفه بالعطاء لتكون يد الفقير هي العليا، وبعضهم كان يضعها بين يديه على الأرض، ويسأله قبولها منه ليكون هو السائل، ولا يناوله بيده إعظاما له؛ وهذا يدل على معرفة العبد بربه وحسن أدبه في عبادته، ومن أحب الثناء والذكر على معروفه كان ذلك حظه منه وبطل أجره، وربما كان عليه فضل من الوزر لمحبته الذكر والثناء فيما لله تعالى أن يفعله، وفي رزق الله لعبده الذي أجراه على يده، فإن تخلص سواء بسواء فما أحسن حاله واستحب للفقير أن يخص ذا." (١)

"المعروف إليه بدعوات شكرا لما أولاه وتأدبا وتخلقا بفعل مولاه، لأنه قد جعله سببا للخير وواسطة للبر إذ الله سبحانه وتعالى يشهد نفسه بالعطاء، ثم قد أثنى على عبده وشكر له في الإعطاء، فليقل طهر الله قلبك في قلوب الأبرار، وزكى عملك في عمل الأخيار، وصلى على روحك في أرواح الشهداء؛ فذلك هو شكر الناس، والدعاء لهم، وحسن الثناء عليهم، ومن شكرهم أيضا أن لا يذمهم في المنع، ولا يعيبهم عند القبض.

فذلك تأويل الخبر: من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى فإن فيه إثبات حكم الأواسط، واستعمال **حسن الأدب** في إظهار النعم والتخلق بأخلاق المنعم، لأنه أنعم عليهم ثم شكر لهم كرما منه، وكذلك في الخبر: العبد الموقن يشهد يد مولاه في العطاء، فحمد ثم شكر للمتقين، إذ جعلهم مولاه سبب حمده، وطرقا لرزقه.

في الخبر: من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه، فأما شكر الله تعالى على العطاء فهو اعتقاد المعرفة أنه من الله تعالى، لا شريك له فيها، والعمل بطاعته بها، ومن فضل الصدقة أن يقصد بها الفقراء الصالحين الصادقين من أهل التصوف والدين، ممن يؤثر التستر

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢/ ١٨٠

والإخفاء، ولا يكثر البث والشكوى، وممن فيه وصف من أوصاف الكتاب للفقراء، الذين أحصروا في سبيل الله، أي حبسوا في طريق الآخرة لعيلة، أو ضيق معيشة، أو إصلاح قلب، أو قصور يد، لا يستطيعون ضربا في الأرض، لأنهم مقصوصو الجناح، إذ المال للغني بمنزلة الجناح للطائر بماله حيث شاء من البلاد وينبسط في شهواته كيف شاء من المراد، والفقير محصور عن ذلك لا يستطيعه لقبض يده وقد رزقه، ومن هذا قوله تعالى: (قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا) الأعراف: ٢٦، قيل: المال، وقيل: المعاش، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فسمى الله تعالى من لا يعرفهم بالفقر ولا يشهد وصفهم بالتقلل، لظهور تعففهم عن المسألة، جاهلا بوصف المؤمنين، ثم وكد وصفهم وأظهر للخلق تعريفهم بيانا منه، وكشفا لحالهم، إذ ستروها بالعفة، فقال: تعرفهم بسيماهم فالسيما هي العلامة اللازمة والخليقة الثابتة دون التحلي واللبسة الظاهرة، لا يسألون الناس إلحافا، أي بهذه العلامة أيضا تعرفهم إن أشكلوا عليك، فإنهم لا يسألون عفة وقناعة إلحافا، لا يلتحفون بالأغنياء ولا يلاحفون أهل الدنيا تملقا وضراعة؛ أي هم منفردون بأحوالهم، أغنياء بيقينهم، أعزة بصبرهم، والإلحاف مشتق من اللحاف الذي يلتحف به فيلزم الجسم، فقال: ليسوا ممن يفعل ذلك، لا يلتحفون الأغنياء كاللحاف ولا يلتحفون المسألة إلزاما كالصنعة، كما يلتحف بالثوب، فاحرص أن يكون معروفك فيمن فيه هذه الأوصاف أو بعضها، فيزكو عملك ويشكر فعلك، والأفضل في المعروف أن يؤثر الرجل إخوانه من الفقراء على غيرهم من الأجانب.." (١)

"الثمانية في ذبيحته التي وردت بها الآثار، وكذلك في الأضحية فقد نهي أن يضحي بالجدعاء والعضباء والجرباء، ونهى عن الشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء، التي لا تنقي، يعني المهزولة؛ وهذا جميع ما جاء في عيوب الأضاحي بأخبار متفرقة، فالجدع في الأنف والأذن، والقطع فيهما، والعضب الكسر في القرن، وفي نقصان القوائم، والجرباء من الجرب، والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق، والخرقاء المشقوقة من أسفل، والمقابلة المخروقة الأذن من قدام، والمدابرة المخروقة من خلف، والتي لا تنقي المهزولة التي لا نقي لها؛ والنقي هو المخ وقد روينا في تفسير قوله تعالى ذلك: (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) الحج: ٣٢، قيل: تسمين الهدي وتحسينه، وأفضل الهدي بدنة، ثم بقرة، ثم كبش أقرن أبيض، ثم الثني من المعز، وإن ساق هديه من الميقات فهو أفضل من حيث لا يجهده ولا يكده، وقد كانوا يغالون بثلاث ويكرهون المكاس، فيهن الهدي والأضحية والرقبة، فإن أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عندأهله، وفي حديث ابن عمر أن عمر أهدى نجيبة فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل النبي صلى الله عليه

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٨١/٢

وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا، فنهاه عن ذلك وقال: بل أهدها فهذه سنة في تخير الهدى، **وحسن الأدب** في المعاملة، وترك الاستبدال بها طلبا للكثرة، لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون، إن في ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين، فكان الخالص الحسن كافيا من الكثير المتقارب، وفي حديث ابن المنكدر عن جابر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بر الحج؟ قال: العج والثج، فالعج هو رفع الصوت بالتلبية، والثج هو نحر البدن.

وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: ما عمل آدمي يوم النحر عملا أحب إلى الله عز وجل من إهراق دم، وأنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها فإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع بالأرض، طيبوا بها نفسا، وفي الخبر: لكم بكل." (١)

"بالسابقة، وقال بعض السلف: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها، وكان أبو الدرداء يحلف بالله عز وجل: ما أحد أمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه، ويقال: من الذنوب ذنوب تؤخر عقوبتها إلى سوء الخاتمة؛ وهذا من أخوف ما خافه العاملون من قوله تعالى: (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) المؤمنون: ٦٣، وقيل: من الذنوب ذنوب لا عقوبة لها إلا سلب التوحيد في آخر نفس نعوذ بالله تعالى من ذلك، وقيل: هذا يكون عقوبة الدعوى للولاية والكرامات للافتراء على الله تعالى، وكان سهل رحمه الله تعالى يقول: من علامة الأولياء أنهم يستثنون في كل شيء، وقال من قال: أفعل كذا، ولم يقل إن شاء الله تعالى، سئل عن هذا القول يوم القيامة فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وقد نهى الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يقول شيئا حتى يستثني، وأمره بالاستثناء إذا نسي فقال تعالى: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) الكهف: ٢٣ - ٢٤، ثم قال: (واذكر ربك إذا نسيت) الكهف: ٢٤، أي الاستثناء، أي فاستثن إذا ذكرت فتأدب صلى الله عليه وسلم بذلك **أحسن الأدب** فكان يستثني في الشيء يقع لا محالة،.

فروي أنه دخل المقابر فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وقال سبحانه معلما لعباده الاستثناء ورادهم إليه بمشيئته؛ وهو أصدق القائلين وأعلم العالمين: (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الفتح: ٢٧، والاستثناء أصل يرد إليه من عرفه ولم ينكر الاستثناء، والأصل هو أن يزيد وينقص فأما زيادته فقد ثبت بنص الكتاب من قوله تعالى: (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) مريم: ٧٦، ومن قوله تعالى: (فزادهم إيمانا) آل عمران: ١٧٣، إلى نظائرها وما يزيد فهو ينقص لأن معناه موجود في الكتاب

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٩٦/٢

بدليل الخطاب من قوله تعالى: (ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) الإسراء: ٨٢، وقوله: (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) المائدة: ٦٤، ومن قوله تعالى: (وفي آذانهم وقرا) الأنعام: ٢٥، وفي قوله تعالى: (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) التوبة: ١٢٥، فما يزيد الظالمين إلا خسارا ينقصهم رجحانا وربحا، وما يزيدهم إلا كفرا ينقصهم إيمانا، وما يكون عليهم عمى ينقصهم بصيرة، وما يكون لهم رجسا يكون لهم من الطهارة نقصا، من قبل أن مزيد الشر نقصان الخير، كما أن مزيد الخير نقصان الشر،، فإذا ثبت أن الإيمان يزيد بالصالحات وينقص بالسيئات وجب الاستثناء فيه، لأن الصالحات درجات يعلو فيها المؤمنون بحسن الولايات والمجاهدات، قال الله تعالى في المجمل من الخطاب: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) آل عمران: ١٣٩، وقال: (والله ولي المؤمنين) آل عمران: ٦٨، وقال في المفسر: (ولكل درجات مما عملوا) الأحقاف: ١٩، وقال في مثله: (وهو وليهم بما كانوا يعملون) الأنعام: ١٢٧، وقال: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله)." (١)

"وقال مسعر بن كدام: رحم الله من أهدى إلى عيوبي في ستر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع.

قال الأحنف: لأن أدعى من بعد أحب إلي من أن أقصى عن قرب.

وعن الأحنف أيضا أنه قال: ما جلست مجلسا قط، أخاف أن أقام منه لغيري وقال البعيث بن حريث:؟

وإن مكاني في الندى ومجلسي له الموضع الأقصى إذا لم أقرب

ولست وإن قربت يوما ببائع ... خلاقي ولا ديني ابتغاء التحبب

ويعتده قوم كثير تجارة ... ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

جلس رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، فقال: جلست إلينا على حين قيام، أفتأذن؟! كان يقال: إياك وكل جليس لا تصيب منه خيرا.

وعن معاذ بن جبل، أنه قال: إياك وكل جليس لا يفيدك علما.

كان يقال: من سره أن يعظم حلمه، وينفعه علمه، فليقل من مجالسته من كان بين ظهرانيه. وقال الحسن البصري: انتقوا الإخوان، والأصحاب، والمجالس.

وروى هشام بن عروة،عن محمد بن المنكدر، قال:كان يقال: خياركم ألينكم مناكب في الصلاة، وركنا في المجالس، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون.

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٢٨/٢

تباعد كعب الأحبار يوما في مجلس عمر بن الخطاب، فأنكر ذلك عليه، فقال: يا أميرالمؤمنين! إن في حكمة لقمان ووصيته لابنه: إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل، فلعله يأتيه من هو آثر عنده منك فينحيك فيكون نقصا عليك.

وكان يقال: الجليس الصالح خيرمن الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء.

وعن جعفر بن سليمان الضبعي، قال: رأيت مع مالك بن دينار كلبا، فقلت له: ما هذا؟ قال هذا خير من الجليس السوء.

قال زياد: إنه ليعجبني من الرجال من إذا أتى مجلسا أن يعرف أين يكون مجلسه، وإني لآتي المجلس، فأدع مالي مخافة أن أدفع عما ليس لي.

وكان الأحنف إذا أتاه رجل أوسع له، فإن لم يكن له سعة أراه كأنه يوسع له.

طرح أبو قلابة لجليس له وسادة، فردها فقال له: أما سمعت الحديث: " لا تردن على أخيك كرامته ".

قال ابن شبرمة لابنه: يا بني! إياك وطول المجالسة، فإن الأسد إنما يجترىء عليها من أدام النظر إليها.

وهذا عندي مأخوذ من قول أردشير لابنه: يابني لا تمكن الناس من نفسك فإن أجرأ الناس على السباع، أكثرهم لها معاينة. ومن هذا – والله أعلم – أخذ ابن المعتز قوله:

رأيت حياة المرء ترخص قدره ... فإن مات أغلته المنايا الطوائح

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله ... كذا تخلق المرء العيون اللوامح

ومن سوء الأدب في المجالسة: أن تقطع على جليسك حديثه، أو تبدره إلى تمام ما ابتدأ به خبرا كان أو شعرا، تتم له البيت الذي بدأ به، وتريه أنك أحفظ منه. فهذا غاية في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه.

قيل لداود الطائي: لم تركت مجالسة الناس؟ قال: ما بقي إلا كبير يتحفظ عليك، أوصغير لا يوقرك.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: لا تجالس عدوك، فإنه يحفظ عليك سقطاتك ويماريك في صوابك.

قالت الخنساء:

إن الجليس يقول القول تحسبه ... خيرا وهيهات فانظر ما به التمسا

كان يقال: رأس التواضع، الرضا بالدون من المجلس. وهذا يروى عن ابن مسعود أنه قال: إن من التواضع أن ترضى بالدون من المجلس، وأن تبدأ بالسلام من لقيت.

قال إبراهيم النخعي إن الرجل ليجلس مع القوم فيتكلم بالكلام، يريد الله به، فتصيبه الرحمة فتعم من حوله،

وإن الرجل يجلس مع القوم فيتكلم بالكلام يسخط الله به، فتصيبه السخطة فتعم من حوله.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما في مجلسه، فرفع رأسه إلى السماء ثم طأطأه ثم رفعه فسئل عن ذلك فقال: " هؤلاء قوم كانوا يذكرون الله فنزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة كالقبة، فلما دنت منهم تكلم رجل منهم بباطل فرفعت عنهم ثم تلا: " ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ".." (١)

"وعنه عليه السلام أنه قال: " أفضل الكسب كسب الصانع إذا صحح ".

وقال عليه السلام: " التجار هم الفجار إلا من بر وصدق ".

وقال عليه السلام: " التاجر الأمين الصدوق مع الشهداء يوم القيامة ".

وقال صلى الله عليه وسلم: " يا معشر التجار؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟!؟؟ ؟؟؟؟ إن بيعكم هذا يشوبه الحلف، فشوبوه بالصدقة ". وقال صلى الله عليه وسلم: " الجالب مرزوق والمحتكر ملعون ".

أو قال "..مذموم ".

وقال صلى الله عليه وسلم: " تسعة أعشار الرزق في التجارة، والعشر في السابياء ".

وقال عليه السلام: " اللهم بارك لأمتي في بكورها ".

وروي عنه عليه السلام أنه قال: " من أشراط الساعة، أن يرفع العلم، ويقبض المال، ويظهر القلم، وتكثر التجار ".

وقال صلى الله عليه وسلم: " من استقالة أخوه المسلم في بيع باعه منه، فأقاله أقاله الله من عثرته يوم القيامة ".

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:فرقوا بين المنايا، واجعلوا الرأس رأسين.

وقال عمر: بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك.

وقال ابن شهاب: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي وهو يبيع مسومة فقال: " عليك بأول سومة، أو بأول سوم، فإن الربح مع السماح ".

قيل للزبير رحمه الله: بم بلغت هذا المال؟ قال: إني لم أرد ربحا، ولم أشتر عيبا.

كان يقال: الأسواق موائد الله في الأرض، فمن أتاها أصاب منها.

قال خالد بن صفوان: في التجار لؤم الطبائع، وعي اللسان، وموت القلب، وسوء الأدب، وقصر الهمة،

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٤

والاشتمال على كل بلية.

اشترى أعرابي جملا فندم عليه في شرائه، فجعل يصعد النظر فيه، ويصوبه ليجد ما يتوصل به إلى رده فقال البائع: من طلب عيبا وجده.

يقال: الغبن في شيئين، في الرداءة أو الغلاء، فإذا استجدت فقد سلمت من أحدهما.

قال الراجز:

ما أرخص الغالي إذا كان حسن

وقال محمود الوراق:

وإذا غلا شيء علي تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

قال معاويةِ - رحمه الله - لقوم: ما تجارتكم؟ قالوا: بيع الرقيق قال: بئس التجارة ضمان نفس، ومئونة ضرس.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا اشتريت بعيرا فاشتره ضخما، فإن لم توافق كرما، وافقت لحما.

ودخل مالك بن دينار السوق فجلس إلى قوم يحدثهم، فقال: كيف سوقكم؟ قالوا: كاسدة. قال: غششتم. قال: وكيف متاعكم؟ قالوا: رديء قال: كذبتم. قال: وكيف كثرته؟ قالوا: قليل. قال: حلفتم.

كان عبد الله بن مسعود يقول: عجبا للتاجر كيف يسلم إن باع مدح، وإن اشترى ذم.

قال سعيد بن المسيب: إذا أبغض الله عبدا جعل رزقه في الصياح. يعني - والله أعلم - من لا صناعة له إلا النداء لغير صلاة محترسا بالليل وبراحا بالنهار. ونحو هذا عن الفضيل بن عياض، وزاد كالملاحين ودونهم، ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل.

قال ابن عباس: من اشترى ما لا يحتاج إليه يوشك أن يبيع ما يحتاج إليه.

قال المغيرة بن حبناء:

وما كل حين يصدق المرء ظنه ... ولا كل أصحاب التجارة يربح

ولابن شهاب الزهري:

ألا كل من يهدي له البيع يرزق ... وقد يصلح المال اليسير الموفق

ولمنصور الفقيه:

بنيتي لا تجزعي واصبري ... عساك بصبرك أن تظفري

فلو نال يوما أبوك الغنى ... كساك الدبيقي والتستري

ولكن أبوك ابتلي بالعلوم ... فما إن يبيع ولا يشتري

باب الرزق

قال الله عز وجل: " نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا " الآية.

وقال: " والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ".

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة تقول: اللهم متعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعوت الله لآجال معلومة وأرزاق مقسومة ".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أبى الله أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون ".

وقال عليه السلام: " استنزلوا الرزق بالصدقة ".

وقال عليه السلام: " ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا ينال ما عنده بما يكره، اتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم ".." (١)

"وروى هارون بن موسى الأعور عن سالم العلوى، قال: قال لي الحسن: خل بين الناس وبين هلالهم حتى يراه معك غيرك.

وكان شعبة يقول: سالم العلوي يرى الهلال قبل الناس بليلتين.

قال الخليل بن أحمد: الناس في سجن ما لم يمازحوا.

مزح الشعبي يوما، فقيل له: يا أبا عمرو أفتمزح؟ قال: إن لم يكن هذا متنا من الغم، داخل، وهواء خارج.

كان محمد بن سيرين يداعب ويضحك حتى يسيل لعابه، فإذا أردته على شئ من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك.

أتت ابن سيرين امرأة الفرزدق شاكية، فلما خرجت تمثل:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا ... ولو رضيت زب استه لاستقرت

قيل لابن سيرين: إن قوما يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء، فعجب من جهلهم، وكان في المسجد، فتمثل:

نبئت أن فتاة كنت أخطبها ... عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحا لصلاته.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٢٤

وقال شعبة: أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مرة بيت شعر غزل، ثم افتتح الصلاة، وكان إمامهم.

وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة، ومن التوصل إلى الأعراض، واستجلاب الضغائن، وإفساد الإخاء.

كان يقال: لكل شئ بدء، وبدء العداوة المزاح.

كان يقال: لو كان المزاح فحلا، ما ألقح إلا الشر.

قال سعيد بن العاص: لا تمازح الشريف فيحقد، ولا الدنيء فيجترئ عليك.

قال ميمون بن مهران: إذا كان المزاح أمام الكلام فآخره الشتم واللطام.

قال جعفر بن محمد: إياكم والمزاح، فإنه يذهب بماء الوجه.

كان خالد صفوان يكره المزاح، ويقول: يسعط أحدهم أخاه بأحر من الخردل ويضحكه بأصلب من الجندل، ويفرغ عليه أشد من إلى المرجل، ويقول: مازحته.

قال إبراهيم ال نخعي: لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر.

قال أبو هفان:

مازح صديقك ما أحب مزاحا ... وتوق منه في المزاح جماحا

فلربما مزح الصديق بمزحة ... كانت لباب عداوة مفتاحا

وقال ابن وكيع:

لا تمزحن فإن مزحت فلا يكن ... مزحا تضاف به **إلى سوء الأدب**

واحذر ممازحة تعود عداوة ... إن المزاح على مقدمة الغضب

ولأبي جعفر محمد بن جرير الطبري:

لي صاحب ليس يخلو ... لسانه عن جراح

يجيد تمزيق عرضي ... على سبيل المزاح

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم: " إياكم وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه ".

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كثر ضحكه استخف به وذهب بهاؤه.

وقال غيره من الحكماء: إياك والمشي في غير أرب، والضحك من غير سبب.

قال قتيبة بن مسلم لبنيه: لا تمازحوا فيستخف بكم، ولا تدخلوا الأسواق فترق أخلافكم، ولا تبخلوا فيزدريكم أكفاؤكم.

قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن علي بن المعتصم:

الكبر ذل والتواضع رفعة ... والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص ذل والقناعة عزة ... واليأس من صنع الإله قنوط

وقال آخر:

فإياك إياك المزاح فإنه ... يجرى عليك الطفل والدنس النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورثه من بعد عزته ذلا

وقال آخر:

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه ... وأحسن الصدق عند الله والناس

وقال آخر:

للجد ما خلق الإنسان فالتمسن ... بالجد حظك لا بالهزل واللعب

لا يلبث الهزل أن يجنى لصاحبه ... ذما، ويذهب عنه بهجة الأدب

لا خير في الهزل فاتركه لقائله ... واهرب بعرضك منهم أوشك الهرب

وقال محمود الوراق:

تلقى الفتى يلقى أخاه وخدنه ... في لحن منطقه بما لا يغفر

ويقول كنت ممازحا وملاعبا ... هيهات نارك في الحشا تتسعر

ألهيتنا وطفقت تضحك لاهيا ... عما به وفؤاده يتفطر

أو ما علمت ومثل جهلك غالب ... أن المزاح هو السباب الأكبر

فهؤلاء كرهوا المزاح وذموه، ولم يستثنوا منه قليلا من كثير، وأما منصور الفقيه فنهى عن الإكثار منه، فقال:." (١)

"فلم أر ديباجا ولم أر سندسا ... بأحسن في بيت الكريم من الخبز

وقال آخر:

فكم من أكلة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر

وكم من طالب يسعى لشيء ... وفيه هلاكه لو كان يدري

قال المأمون: سبعة أشياء لا تمل، أكل خبز البر، وشرب ماء العنب، وأكل لحم الضان، والثوب اللين،

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/١٢٥

والرائحة الطيبة، والفراش الوطئ، والنظر إلى كل شيء حسن. فقال له الحسن ابن سهل: أين محادثة الإخوان يا أمير المؤمنين؟ قال: هن ثمان وهي أولهن.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يرويه عن علي، أنه قال: لا يقام عن الطعام حتى يرفع.

قال ابن عباس: من السنة إذا دعوت أحدا إلى منزلك أن تخرج معه حتى يخرج.

روى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، أنه قال: رب البيت آخر من يغسل يديه.

وقال أبو الزناد: من إكرام الضيف **وحسن الأدب** في مؤاكلته، أن تغسل يديك قبله أولا، وبعده آخرا.

لعبد الله بن المبارك، وتمثل بها المأمون:

احضر طعامك وابذله لمن أكلا ... واحلف على من أبى، واشكر لمن فعلا

ولا تكن سابري العرض محتشما ... من القليل، فلست الدهر محتفلا

وقال آخر في ذم الشراب:

لا تفتكن على الكؤوس بشربها ... فهي التي بك عن قليل تفتك

يكفيك منها أن عقلك تارة ... يبكي عليك، وأن جهلك يضحك

وقال آخر:

وإني لأستحيي أكيلي أن يرى ... مكان يدي من جانب الزاد أقرعا

أبيت هضم الكشح مضطمر الحشا ... من الجوع أحشى الذم أن أتضلعا

وإنك إن أعطيت بطنك سؤله ... وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال كعب بن سعد الغنوي:

وزاد رفعت الكف عنه تجملا ... لأوثر في زادي على أكيلي

وما أنا للقول الذي ليس نافعي ... ويغضب منه صاحبي بقؤول

باب النوم وتصرف المعاني فيه

روى أن المسيح عليه السلام قال: خلقان أكرههما، النوم من غير سهر، والضحك من غير عجب، والثالثة وهي العظمى: إعجاب الرجل بعلمه.

قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: إياك وكثرة النوم، فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم.

قال لقمان لابنه: يا بني! إياك وكثرة النوم والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق.

كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله: بلغني أنك لا تقيل، وإن الشياطين لا تقيل.
قال علي: من الجهل النوم في أول النهار من غير سهر، والضحك من غير عجب، والقائلة تزيد في العقل.
قال عبد الله بن مسعود: النوم – عند الموعظة من الشيطان –.
قال عبد الله بن عمرو بن العاص: النوم على ثلاثة أوجه، نوم خرق، ونوم خلق، ونوم حمق. فأما النوم الخرق، فنومة الضحى، يقضى الناس حوائجهم وهو نائم، وأما نوم الخلق، فنوم القائلة نصف النهار، وأما نوم الحمق، فالنوم حين تحضر الصلوات.
قال غيره: نوم أول النهار خرق، ونوم القائلة خلق، ونوم العشى حمق، والنوم بين العشاءين يحرم الرزق.
قيل لأعرابي: ما يدعوك إلى نومه الضحى؟ قال: مبردة في الصيف، مسخنة في الشتاء.
قال بعض العلماء: النعاس يذهب العقل، والنوم يزيد فيه.
قال عبد الله بن شبرمة: نوم نصف النهار يعدل شربة دواء، يعني في الصيف.
قال عباس بن الأحنف:
قالوا: تنام، فقلت: الشوق يمنعني ... من أن أنام وعيني حشوها السهد
أبكي الذين أذاقوني مودتهم ... حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
هم قد دعوني فلما قمت مقتضيا ... للجب نحوهم من قربهم، بعدوا
لأخرجن من الدنيا وحبهم ... بين الجوانح لم يشعر به أحد
كان يقال: لإبليس لعوق وكحل وسعوط، فلعوقه الكذب، وكحله النعاس عند سماع الخير، وسعوطه الكبر.
قال علي بن الجهم، يهجو قوما:
أكثر ما يعرفه القوم ... الأكل والراحة والنوم." (١)

"المصنف وهو في موطأ بن أبي ذئب رواه أحمد بن صالح عن بن أبي فديك عن بن أبي ذئب
وروى بن القاسم عن مالك قال أكره التخطي إذا قعد الإمام على المنبر ولا بأس به قبل ذلك إذا كان بين يديه فرج
وقال بن وهب عنه مثل ذلك وزاد تخط قبل خروج الإمام في رفق
وذكر الثوري التخطي مطلقا
وقال الأوزاعي التخطي الذي جاء فيه القول إنما هو والإمام يخطب حينئذ كره أن يفرق بين اثنين

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/١٩١

وقال الأوزاعي في الذي يجلس على طريق الناس في المسجد يوم الجمعة تخطوهم فإنهم لا حرمة لهم

وقال الشافعي أكره تخطي الرقاب يوم الجمعة قبل دخول الإمام وبعده لما فيه **من سوء الأدب**

وذكر محمد بن الحسن عن مالك أنه قال لا بأس بالتخطي بعد خروج الإمام

قال محمد أراه قبل خروج الإمام ولا أراه بعده ولم يحك عن أصحابه خلافا في ذلك

وأجمعوا أن التخطي لا يفسد شيئا من الصلاة

وقال الأوزاعي هدي المسلمين إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة أن يستقبلوه بوجوههم

وأما قوله السنة عندنا أن يستقبل الناس الإمام يوم الجمعة إذا أراد أن يخطب من كان منهم يلي القبلة أو غيرها فهو كما قال سنة مسنونة عند العلماء لا أعلمهم يختلفون في ذلك وإن كنت لا أعلم فيها حديثا مسندا

إلا أن وكيعا ذكر عن يونس عن الشعبي قال من السنة أن يستقبل الإمام يوم الجمعة

ووكيع عن أبان بن عبد الله البجلي عن عدي بن ثابت قال كان النبي عليه السلام إذا خطب استقبله أصحابه بوجوههم

وذكرها أيضا بن أبي شيبة عن وكيع

وروي استقبال الإمام إذا خطب يوم الجمعة عن جماعة من العلماء بالحجاز والعراق." (١)

"ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له وستجد قوما فحصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف وإني موصيك بعشر لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة ولا تحرقن نحلا ولا تفرقنه ولا تغلل ولا تجبن

قال أبو عمر روى هذا الحديث سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد كما رواه مالك فلما انتهى إلى قوله ((فدعهم وما حبسوا أنفسهم له)) قال سفيان يعني الرهبان قال ((وستجد قوما قد فحصوا عن أوساط رؤوسهم وجعلوا حولها أمثال العصائب فاضرب ما فحصوا من أوساط رؤوسهم بالسيف)) قال سفيان يعني القسيسين ثم ذكر تمام الخبر كما ذكره مالك سواء

قال أبو عمر افتتح أبو بكر الصديق في آخر أيامه قطعة من الشام وكان له عليها أمراء منهم أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة والأخبار بذلك عند أهل السير مشهورة –

---

(١) الاستذكار ابن عبد البر ٥٠/٢

وكان يزيد على ربع من الأرباع المشهورة

وفي ركوب يزيد ومشي أبي بكر رخصة في أن الجليل من الرجال راجلا مع من هو دونه راكبا للتواضع واحتساب الخطى في سبيل الله كما ذكر

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار أو حرمه الله على النار))

رواه مالك بن عبد الله الخثعمي عن النبي صلى الله عليه وسلم

وكان من سنتهم تشييع الغزاة ابتغاء الثواب وفيه ما كانوا عليه من **حسن الأدب** وجميل الهدي أداء ما يلزمهم من توقير أئمة العدل وإجلالهم وبرهم

وأما قوله ((إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فإنه أراد الرهبان المنفردين عن الناس في الصوامع لا يخالطون الناس ولا يطلعون على عورة ولا فيهم شوكة ولا نكاية برأي ولا عمل

ذكر أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن." [1]

"فيه الحق الذي يعلمه لينفذ القضاء فيه بما أمره الله عز وجل به من رد شهادته للفسق أو قبولها للعدالة

وفي قوله صعلوك لا مال له دليل على أن المال من واجبات النكاح وخصال الناكح وأن الفقر من عيوبه وأنه لو بين أو عرف ذلك منه ورضي به لجاز كسائر العيوب

وأما قوله لا يضع عصاه عن عاتقه ففيه دليل على أن المفرط في الوصف لا يلحقه الكذب والمبالغ في النعت بالصدق لا يدركه الذم

ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في أبي جهم لا يضع عصاه عن عاتقه وهو قد ينام ويصلي ويأكل ويشرب ويشتغل بما يحتاج إليه من شغله في دنياه

وإنما أراد المبالغة في أدب النساء باللسان واليد وربما **يحسن الأدب** بمثله كما يصنع الوالي في رعيته

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل أوصاه ((لا ترفع عصاك عن أهلك وأخفهم في الله عز وجل))

وروي عنه – عليه السلام – أنه قال علق سوطك حيث يراه أهلك

والعرب تكني بالعصاة عن أشياء كثيرة منها الطاعة والألفة ومنها الإخافة والشدة

---

(١) ا لاستذكار ابن عبد البر ٥/٢٨

وقد أشبعنا هذا المعنى في ((التمهيد)) وأتينا بما قيل في معنى العصا أو وجوهها بالشواهد في الشعر وغيره هناك والحمد لله تعالى

(٢٤ - باب ما جاء في عدة الأمة من طلاق زوجها)

١١٨٨ - قال مالك الأمر عندنا في طلاق العبد الأمة إذ طلقها وهي أمة ثم عتقت بعد فعدتها عدة الأمة لا يغير عدتها عتقها كانت له عليها رجعة أو لم تكن له عليها رجعة لا تنتقل عدتها

قال مالك ومثل ذلك الحد يقع على العبد ثم يعتق بعد أن يقع عليه الحد فإنما حده حد عبد

قال أبو عمر هكذا قال إذا طلق العبد الأمة ثم عتقت." (١)

"قالت عائشة فقلت يا أبت! والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى قال أبو بكر ذو بطن بنت خارجة أراها جارية

قال أبو عمر في حديث عائشة هذا أن من شرط صحة الهبة قبض الموهوب لها قبل موت الواهب قبل المرض الذي يكون منه موته وسنذكر ما للفقهاء في معنى قبض الهبة وحيازتها بعد في هذا الباب عند قول عمر ما بال رجال ينحلون أبناءهم نحلا ثم يمسكونها الحديث

وفي هذا حديث عائشة هذا جواز الهبة المجهول عينها إذا علم مبلغها وجواز هبة المشاع أيضا

وفيه أن الغنى أحب إلى الفضلاء من الفقر

وأما إعطاء الرجل بعض ولده دون بعض وتفضيل بعضهم على بعض فقد ذكرنا ذلك

قال الشافعي ترك التفضيل في عطية الأبناء فيه **حسن الأدب** ويجوز له ذلك في الحكم

قال وله أن يرجع فيما وهب لابنه لقول النبي صلى الله عليه وسلم (فارجعه)

قال أبو عمر روي عن جابر بن زيد أبي الشعثاء أنه كان يقول في التفضيل بين الأبناء في النحل يجوزه في الحكم ويقضي به

وقال طاوس لا يجوز وإن كان رغيفا محترقا

وبه قال بعض أهل الظاهر

واستدل الشافعي بأن هذا الحديث على الندب بنحو ما ستدل به مالك من عطية أبي بكر عائشة دون سائر ولده

وبما ذكرناه من رواية داود وغيره عن الشعبي عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم (أيسرك

---

(١) الاستذكار ابن عبد البر ١٧١/٦

أن يكونوا لك في البر كلهم سواء قال نعم قال (فأشهد على هذا غيري)

قال وهذا يدل على صحة الهبة لأنه لم يأمره بردها وأمره بتأكيدها بإشهاد غيره عليها ولم يشهد هو عليها لتقصيره عن أولى الأشياء به وترك الأفضل له

وقال الثوري لا بأس أن يخص الرجل بعض ولده بما شاء

وقد روي عن الثوري أنه كره أن القضاء أن يفضل الرجل بعض ولده على بعض في العطية." (١)

"قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم يوم خيبر كل ذي ناب من السباع والمجثمة والحمار الأهلي قال أبو عمر وأما ما جاء من النهي على جهة الأدب وحسن المعاملة والإرشاد إلى المرء نهيه صلى الله عليه وسلم عن أن يمشي المرء في نعل واحدة وأن يقرن بين تمرتين في الأكل وأن يأكل من أس الصحفة وأن يشرب من في السقاء وغير ذلك مثله كثير قد علم بمخرجه المراد منه وقد قال جماعة من أهل العلم إن كل نهي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الأشياء ففعله الإنسان منتهكا لحرمته وهو عالم بالنهي غي مضطر إليه أنه عاص آثم واستدلوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه وإذا أمرتكم بشيء فخذوا عنه ما استطعتم فأطلق النهي ولم يقيده بصفة وكذلك الأمر لم يقيده إلا بعدم ،لاستطاعة فقالوا إن من شرب من في السقاء أو مشى في نعل واحدة أو قرن بين تمرتين في الأكل أو أكل من رأس الصحفة ونحو هذا وهو عالم بالنهي كان عاصيا وقال آخرون إنما نهى عن الأكل من رأس الصحفة لأن البركة تنزل منها ونهى عن القران بين تمرتين لما فيه **من سوء الأدب** أن يأكل المرء مع جليسه وأكيله تمرتين في واحد ويأخذ جليسه تمرة فمن فعل فلا حرج وكذلك النهى." (٢)

"قال أبو عمر وهذا (*) تأويل ضعيف لأنه لم يبلغنا أن النبي عليه السلام كان يسمي على طعامه إلا في أوله ويحمد الله في آخره ولو كان كما قال من ذكرنا قوله لسمى عند كل لقمة وحمد عند كل لقمة وهذا لم يرو عنه ولا نعلم أحدا فعله عند كل لقمة من طعامه وإن فعله أحد لم أستحسنه له ولم أذمه عليه وقد روي حديث بمثل هذا المعنى رواه وكيع عن يزيد بن سنان أبي فروة الجزري عن ابن لعطاء بن أبي رباح عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشربوا واحدة كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا إذا شربتم واحمدوا إذا رفعتم وقال آخرون إنما نهي عن التنفس في الإناء لأدب المجالسة

---

(١) الاستذكار ابن عبد البر ٢٢٧/٧

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ١٤١/١

لأن المتنفس في الإناء قل ما يخلو أن يكون مع نفسه ريق ولعاب **ومن سوء الأدب** أن يشرب ثم يناول جليسه لعابه ألا ترى أنه لو عمد إلى الإناء فشرب منه ثم تفل فيه وناوله جليسه أن ذلك مما تقذره النفوس وتكرهه وليس من أفعال ذوي العقول فكذلك من تنفس في الإناء لأنه ربما كان مع تنفسه أكثر من التفل من لعابه والله أعلم وروى عقيل عن ابن شهاب قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ في الطعام والشراب قال ولم أر أحدا كان أشد في ذلك من عمر بن عبد العزيز وبالله التوفيق فرغ الألف وليس في شيوخ مالك أحد ممن له عنه شيء من حديث النبي عليه السلام في موطأه أول اسمه باء أو تاء." (١)

"الصمد قال حدثنا شعبة عن سعد بن إبرهيم عن عروة بن الزبير عن النعمان بن بشير أن أباه نحله نحلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهده فقال أكل بنيك أعطيت مثل هذا قال لا فأبى أن يشهد له وفي هذا الحديث من الفقه جواز العطية من الآباء للأبناء (وهذا في صحة الآباء) لأن فعل المريض في ماله وصية والوصية للوارث باطلة وهذا أمر مجتمع عليه يستغنى عن القول فيه وقد بينا هذا المعنى في باب ابن شهاب عن عامر بن سعد وفيه التسوية بين الأبناء في العطاء لقوله أكل ولدك أعطيت مثل هذا واختلف الفقهاء في هذا المعنى هل هو على الإيجاب أو على الندب فأما ملك والليث والثوري والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه فأجازوا أن يخص بعض ولده دون بعض بالنحلة والعطية على كراهية من بعضهم على ما يأتي من أقاويلهم في هذا الباب والتسوية أحب إلى جميعهم وكان ملك يقول إنما معنى هذا الحديث الذي جاء فيه فيمن نحل بعض ولده ماله كله قال وقد نحل أبو بكر رضي الله عنه عائشة دون سائر ولده حكى ذلك عنه ابن القاسم (وأشهب) وقال الشافعي ترك التفضيل في عطية الأبناء فيه **حسن الأدب** ويجوز له." (٢)

"ذلك من باب الغيبة لأنه لم يقصد بذلك إلى لمزه ولا إلى شفاء غيظ ولا أذى ويكون حديث الغيبة مرتبا على هذا المعنى وفي هذا أيضا دليل على استشارة ذوي الرأي وأنه جائز أن يستشير الرجل من يرضى دينه في امرأتين يسميهما له أيتهما يتزوج وكذلك للمرأة في رجلين أيهما (تتزوج) وفيه أن للمستشار أن يشير بغير من استشير فيه لأنه أشار عليه السلام إلى (أسامة) ولم تذكر له إلا أبا جهم ومعاوية وفي قوله صلى الله عليه وسلم أما معاوية فصلعوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه دليل على جواز

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ٣٩٨/١

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ٢٢٥/٧

الإغياء في الصفة وأن المغيي لا يلحقه كذب إذا لم يقصد قصد الكذب وإنما قصد الإبلاغ في الوصف ألا ترى أن معاوية قد ملك ثوبه وغير ذلك وهو مال وفي غير حديث مالك لا يملك شيئا وكذلك قوله لا يضع عصاه عن عاتقه ومعلوم أنه كان يصلي وينام ويأكل ويشرب ويشتغل بأشياء كثيرة غير ضرب النساء ولكنه لما كان يكثر ضرب النساء نسبه إلى ذلك على ما قالت الحكماء من أكثر من شيء عرف به ونسب إليه ولم يرد بذكر العصا ههنا العصا التي يضرب بها وإنما أراد الآداب باللسان واليد وبما **يحسن الأدب** بمثله يصنع في أهله كما يصنع الوالي في رعيته وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل أوصاه ولا ترفع عصاك عن أهلك وأخفهم في الله روى هذا من حيدث المصريين عن عبادة بن الصامت فيما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم يقول فيه لاتضع عصاك عن أهلك وأنصفهم من نفسك وقال صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه أهلك وفي هذا كله ما يوضح لك أن للرجل ضرب نسائه فيما يصلحهم وتصلح به حاله وحالهم معه كما له أن يضرب امرأته عند امتناعها عليه ونشوزها ضربا غير مبرح." (١)

"عينيه وقال: خلاف السنة يا بنى في الظاهر علامة رياء في الباطن.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد الملامتي يقول: سمعت أبا الحسين الوراق يقول: سمعت أبا عثمان يقول الصحبة مع الله **بحسن الأدب** ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم، والصحبة مع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة، والصحبة مع الأهل بحسن الخلق ، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر ما لم يكن إثما والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم.

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني رحمه الله يقول: سمعت أبا عمرو بن نجيد يقول: سمعت أبا عثمان يقول: من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة، قال الله تعالى ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ [النور: ٥٤] .." (٢)

"ومنهم أبو بكر محمد بن موسى الواسطي خراساني الأصل من فرغانة صحب الجنيد والنوري عالم كبير الشأن أقام بمرو ومات بها بعد العشرين وثلاث مائة.

قال الواسطي: الخوف والرجاء زمامان يمنعان **من سوء الأدب** وقال: مطالعة الأعواض على الطاعات من

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ١٦٠/١٩

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٨٢/١

نسيان الفضل، وقال الواسطي: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف يريد به صحبة الأحداث.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز المروزي يقول: سمعت الواسطي رحمه الله يقول: جعلوا سوء أدبهم إخلاصا، وشره نفوسهم انبساطا، ودناءة الهمم جلادة، فعموا عن الطريق وسلكوا فيه المضيق فلا حياة تنمو في شواهدهم ولا عبادة تزكو في محاضرتهم، إن نطقوا فبالغضب، وإن خاطبوا فبالكبر، توثب أنفسهم ينبئ عن ضمائرهم، وشرحهم في المأكول يظهر ما في سويداء أسرارهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: سمع بعض المراوزة إنسانا صيدلانيا يقول: اجتاز الواسطي يقوم جمعة بباب حانوتي قاصدا إلى الجامع فانقطع شسع نعله، فقلت: أيها الشيخ أتأذن لي أن أصلح نعلك؟ فقال: أصلح." (١)

"ومنهم خير النساج صحب أبا حمزة البغدادي ولقى السري وكان من أقران أبي الحسن النوري إلا أنه عمر عمرا طويلا وعاش كما قيل مائة وعشرين سنة وتاب في مجلسه الشبلي والخواص وكان أستاذ الجماعة، وقيل: كان اسمه محمد بن إسماعيل من سامرة وإنما سمى خيرا النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة: وقال أنت عبدى واسمك خير وكان أسود فلم يخالفه واستعمله الرجل في نسج الخز فكان يقول: له يا خير فيقول لبيك، ثم قال له الرجل بعد سنتين: غلطت لا أنت عبدى ولا اسمك خير فمضى وتركه، وقال: لا أغير اسما سماني به رجل مسلم.

وقال: الخوف سوط الله يقوم به أنفسا قد **تعودت سوء الأدب.**

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسن القزويني يقول: سمعت أبا الحسين المالكي يقول: سألت من حضرموت خير النساج عن أمره فقال: لما حضرت صلاة المغرب غشى عليه ثم فتح عينيه وأومأ في ناحية البيت وقال: قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور وما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتني." (٢)

"ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري صحب يوسف بن الحسين وابن عطاء والجريري وكان عالما فاضلا ورد نيسابور وأقام بها مدة وكان يعظ الناس، ويتكلم على لسان المعرفة، ثم ذهب إلى سمرقند

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ١٠٨/١

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ١١٣/١

ومات بها بعد الأربعين وثلاث مائة.

قال أبو العباس الدينوري: أدنى الذكر أن تنسى ما دونه، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر، وقال أبو العباس: لسان الظاهر لا يغير حكم الباطن، وقال أبو العباس الدينوري: نقضوا أركان التصوف وعدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامي أحدثوها، سموا الطمع زيادة، وسوء الأدب إخلاصا، والخروج عن الحق شطحا، والتلذذ بالمذموم طيبة، واتباع الهوى ابتلاء، والرجوع على الدنيا وصلا، وسوء الخلق صولة، والبخل جلادة، والسؤال عملا، وبذاءة اللسان ملامة، وما هذا كان طريق القوم." (١)

"باب مخالفة النفس وذكر عيوبها قال الله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴿٤٠﴾ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد، قال: أخبرنا تمتام، قال: حدثنا محمد بن معاوية النيسابوري قال: حدثنا علي بن أبي علي بن عتبة بن أبي لهب عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة.

ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة وقد سئل المشايخ عن الإسلام؟ فقالوا: ذبح النفس بسيوف المخالفة. واعلم أن من نجمت طوارق نفسه أفلت شوارق أنسه، وقال ذو النون المصري: مفاتح العبادة الفكرة وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى ومخالفتها ترك شهواتهما، وقال ابن عطاء: النفس مجبولة **على سوء الأدب** والعبد مأمور بملازمة الأدب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول النفس الأمارة بالسوء هي الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء المتبعة للهوى المتهمة بأصناف الأسواء وقال أبو حفص من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم." (٢)

"وقال أبو القاسم الحكيم قوله تعالى: ﴿واصبر﴾ [النحل: ١٢٧] أمر بالعبادة وقوله تعالى: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل: ١٢٧] عبودية فمن ترقى من درجة لك إلى درجة بك فقد انتقل من درجة العبادة

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ١/١٤٣

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ١/٢٨٣

إلى درجة العبودية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بك أحيا وبك أموت.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا جعفر الرازي يقول: سمعت عياشا يقول: سمعت أحمد يقول: سألت أبا سليمان عن الصبر فقال: والله ما نصبر على ما نحب فكيف على ما نكره وقال ذو النون: الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة وقال ابن عطاء: الصبر الوقوف مع البلاء **بحسن الأدب** وقيل: هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى وقال أبو عثمان: الصبار الذي عود نفسه الهجوم على المكاره وقيل: الصبر المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية وقال أبو عثمان أحسن الجزاء على عبادة الجزاء على الصبر ولا جزاء فوقه قال الله عز وجل: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل: ٩٦] وقال عمرو بن عثمان: الصبر هو الثبات مع الله تعالى وتلقى بلائه بالرحب والدعة وقال الخواص: الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال يحيي بن معاذ صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبرون وأنشدوا:

الصبر يجمل في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه لا يجمل

وقال رويم: الصبر ترك الشكوى،." (١)

"قال الأستاذ: وإنما أشار إلى نفسه لأنه لا يمكن الإنسان أن يعرف من غيره أنه قبض على يده وكان الأستاذ أبو علي رحمه الله تعالى لا يستند إلى شيء وكان يوما في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأني رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال: لا أريد الاستناد فتأملت بعده حاله فكان لا يستند إلى شيء.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت أحمد بن محمد البصري يقول: سمعت الجلاجلي البصرى يقول التوحيد موجب يوجب الإيمان فمن لا إيمان له فلا توحيد له والإيمان موجب بوجب الشريعة فمن لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد والشريعة موجب يوجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان ولا توحيد وقال ابن عطاء: الأدب الوقوف مع المستحسنات فقيل: وما معناه؟ قال: أن تعامل الله تعالى بالأدب سرا وعلنا فإذا كنت كذلك كنت أديبا وإن كنت أعجميا ثم أنشد:

إذا نطقت جاءت بكل ملاحة ... وإن سكتت جاءت بكل مليح

أخبرنا محمد بن الحسين قال: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت عبد الله الجريري يقول منذ عشرين

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٣٢٣/١

سنة ما مددت رجلي وقت جلوسي في الخلوة فإن **حسن الأدب** مع الله تعالى أولى.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل روى عن ابن سيرين أنه سئل أي الآداب أقرب إلى الله تعالى فقال: معرفة ربوبيته وعمل بطاعته والحمد لله على السراء والصبر على الضراء.

وقال يحيي بن معاذ إذا ترك للعارف أدبه مع معروفه فقد هلك مع الهالكين.

سمعت الأستاذ أبا علي يقول: ترك الأدب موجب يوجب الطرد فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب." (١)

"وقيل: للحسن البصري قد أكثر الناس في علم الآداب فما أنفعها عاجلا وأوصلها جلا فقال: التفقه في الدين والزهد في الدنيا والمعرفة مما لله عز وجل عليك وقال يحيي بن معاذ: من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل محبة الله تعالى وقال سهل: القوم استعانوا بالله تعالى على أمر الله تعالى وصبروا لله تعالى على آداب الله تعالى وروى عن ابن مبارك أنه قال: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: حدثنا أحمد بن أبي الحوارى قال: قال الوليد بن عتبة قال ابن المبارك: طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون وقيل: ثلاث خصال ليس معهن غربة مجانبة أهل الريب **وحسن الأدب** وكف الأذى وأنشدنا الشيخ أبو عبد الله رضي الله عنه في هذا المعنى:

يزين الغريب إذا ما اغترب ... ثلاث فمنهن **حسن الأدب**

وثانيه حسن أخلاقه ... وثالثه اجتناب الريب

ولما دخل أبو حفص بغداد قال له الجنيد لقد أدبت أصحابك أدب السلاطين فقال: أبو حفص **حسن الأدب** في الظاهر عنوان **حسن الأدب** في الباطن.

وعن عبد الله بن المبارك أنه قال: الأدب للمعارف التوبة للمستأنف.

سمعت منصور بن خلف المغربي يقول: قيل لبعضهم يا سيئ الأدب فقال: لست بسيء الأدب فقيل له: من أدبك فقال: أدبني الصوفية سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا النصر الطوسي السراج يقول

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٢/٤٤٦

الناس في الأدب على ثلاث طبقات أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في الفصاحة ، والبلاغة ، وحفظ العلوم ، وأسماء الملوك ، وأشعار العرب ،." (١)

"وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس ، وتأديب الجوارح ، وحفظ الحدود ، وترك الشهوات ، وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر **وحسن الأدب** في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب.

وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال: من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله تعالى بالإخلاص وقيل: كمال الأدب لا يصفو إلا للأنبياء عليهم السلام والصديقين وقال عبد الله بن المبارك قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول: هو معرفة النفس وقال الشبلي: الانبساط بالقول مع الحق سبحانه ترك الأدب وقال ذو النون المصري: أدب العارف فوق كل أدب، لأن معرفة مؤدب قلبه وقال بعضهم: يقول الحق سبحانه: من ألزمته القيام مع أسمائي وصفاتي ألزمته الأدب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي ألزمته العطب فاختر أيهما شئت الأدب أو العطب.

وقيل: مد ابن عطاء رجله يوما بين أصحابه وقال: ترك الأدب بين أهل الأدب أدب ويشهد لهذه الحكاية الخبر الذي روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده أبو بكر وعمر فدخل عثمان فغطى فخذه وقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة نبه صلى الله عليه وسلم أن حشمة عثمان رضي الله عنه وإن عظمت عنده فالحالة التي بينه وبين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كانت أصفى، وفي قريب من معناه أنشدوا:

في انقباض وحشمة فإذا ... صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت لنفسي على سجيتها ... وقلت ما قلت غير محتشم

وقال الجنيد إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب وقال أبو عثمان: إذا صحت المحبة تأكدت على المحب ملازمة الأدب وقال النوري: من لم يتأدب للوقت فوقته مقت." (٢)

"بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٢/٤٤٧

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٢/٤٤٨

ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها (١) وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم لا يتقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة

الوظيفة السادسة أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال قال تعالى ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل

والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل

وقيل لا يتم المعروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والأذى فإنه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل

اما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحيي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فالمال لله عز وجل وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يقتضي أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه

وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخل بإمساك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل فيحفكم تبخلوا

الوظيفة السابعة أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع

وفي حديث أبان عن أنس بن مالك طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية (٢) وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو **من سوء الأدب** إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره هذا إن كان

نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظرهـ إلى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى أو اكل فأفني والذي يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه أي لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكم

وفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم (٣)

---

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها تقدم في الصلاة

(٢) حديث أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية أخرجه ابن عدي والبزار

(٣) حديث سبق درهم مائة ألف أخرجه النسائي وابن حبان وصححه من حديث أبي هريرة." [١]

"منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه

ويستحب عقيب الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكفى منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا واجعله عونا لنا عن طاعتك ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك وأما غسل اليدين بالأشنان فكيفيته أن يجعل الأشنان في كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم ينعم غسل الفم بإصبعه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهرا وبطنا ويستغني بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم وإع ادة غسله

الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل وهي سبعة

الأول أن لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له

الثاني أن لا يسكتوا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١/٢١٨

الصالحين في الأطعمة وغيرها

الثالث أن يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا

بل ينبغي أن يقصد الإيثار ولا يأكل تمرتين في دفعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم

فإن قلل رفيقه نشطه ورغبه في الأكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وإفراط

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث

حديث كان إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث أخرجه أحمد من حديث جابر في حديث طويل ومن حديث أبي حدرد أيضا وإسنادهما حسن (١) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثا أخرجه البخاري من حديث أنس كان يعيد الكلمة ثلاثا //

فليس من الأدب الزيادة عليه

فأما الحلف عليه بالأكل فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعام أهون من أن يحلف عليه

الرابع أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له كل

قال بعض الأدباء أحسن الآكلين أكلا من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقده في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول

ولا ينبغي أن يدع شيئا مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته شيئا في الوحدة ولكن يعود نفسه **حسن الأدب** في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع

نعم لو قلل من أكله إيثارا لإخوانه ونظرا لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما

وكان يعد النوى ويعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الإنبساط وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما

أحب إخواني إلي أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأثقلهم على من يحوجني إلى تعهده في الأكل

وكل هذا إشارة إلى الجري على المعتاد وترك التصنع

وقال جعفر رحمه الله أيضا تتبين جودة محبة الرجل لأخيه بجودة أكله في منزله
الخامس أن غسل اليد في الطست لا بأس به وله أن يتنخم فيه

---

(١) وكان صلى الله عليه وسلم يكرر الكلام ثلاثا." (١)

"ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملاته

فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصال أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو همول العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأشعار فلا بد أن يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القدح الذي يورى زناد قلبه فتشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله

وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ

ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم أمثلة كي لا يظن الجاهل أن المستمع لأبيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها

ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الأبيات ففي حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك

فقد حكى أن بعضهم سمع قائلا يقول

قال الرسول غدا تزور ... فقلت تعقل ما تقول

فاستفزه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول قال الرسول غدا نزور حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور

فلما أفاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة (١)

وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قال كنت أنا وابن الفوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة فإذا بقصر

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٧/٢

حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول

كل يوم تتلون ... غير هذا بك أحسن

فإذا شاب حسن تحت المنظرة وبيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك إلا أعدت علي هذا البيت

فأعادت فكان الشاب يقول هذا والله تلوني مع الحق في حالي فشهق شهقة ومات

قال فقلنا قد استقبلنا فرض

فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية أنت حرة لوجه الله تعالى قال ثمإن أهل البصرة خرجوا وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى بثيابه واتزر بإزار وارتدى بآخر ومر على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يبكون

فلم يسمع له بعد خبر

والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن الثبوت على **حسن الأدب** في المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له

كل يوم تتلون ... غير هذا بك أحسن

ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه

فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته

وإلا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به

ففي سماع المريد المبتدئ خطر إلا إذا

---

(١) حديث إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه عبد الحميد ابن حبيب بن أبي العشرين مختلف فيه وقال الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال وقد روى سويد بن عمرو عن الاوزاعي شيئا من هذا." (١)

"فإن قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لأن هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر ألم الصبر فإن كان متألما بفراق المال فينجبر ذلك بلذته في القدرة على الإنفاق فاعلم أن الذي

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢٨٨/٢

تراه أن من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وإنما يقتطعه عن نفسه قهرا

وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فإيلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتأديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب أكمل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج إلى الإيلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إليهما في النهاية بل النهاية أن يصير ما كان مؤلما في حقه لذيذا عنده كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له أولا ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين في البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان أطلق الجنيد القول بأن الذي يؤلم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق فإذن إذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فإنه صحيح بالمعنى السابق إلى الأفهام فإذا أردت التحقيق ففصل فإن للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا وهو الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا إذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ويدخل في جملتها أمور دونها فإن حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراف بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بأن الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر إذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله (١) وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراض **وحسن الأدب** بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر

وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الأخبار والآثار

وقد روي عن بعضهم أنه قال رأيت في بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسألته عن حاله فقال إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق أنها زوجت مني فليلة زفافها قلت تعالى حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا إلى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك

الحالة كل ليلة أليس كذلك يا فلانة قالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة أو لو لم يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل فإذن لا وقوف على حقائق المفضلات إلا بتفضيل كما سبق والله أعلم

---

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدم في الزكاة." [١]

"وقرأ الخواص قوله تعالى ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ إلى آخر فقال ما ينبغي للعبد بعدد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى

وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك

وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد

وقال إبراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني

وقال هرم بن حيان لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام قال هرم كيف المعيشة قال أويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة

وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت إلى كل خير سبيلا ونسأل الله تعالى **حسن الأدب**

الشطر الأول

في التوحيد

بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل

اعلم أن التوكل من باب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا تنتظم إلا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل

فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل وهو المسمى إيمانا في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وإذا قوي سمي يقينا ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا إله إلا الله وحده لا شريك له والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٤١

قولك ﴿له الملك﴾ والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك ﴿وله الحمد﴾ فمن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الإيمان الذي هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ولا يتم علم المعاملة إلا بها فإذن لا نتعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة وإلا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول

للتوحيد أربع مراتب وينقسم إلى لب وإلى لب اللب وإلى قشر وإلى قشر القشر

ولنمثل ذلك تقريبا إلى الأفهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فإن له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالرتبة الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه ﴿لا إله إلا الله﴾ وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين

والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام

والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار

والرابعة أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق فالأول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان

والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف." (١)

"وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الإعراض عن عبد والإقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى وقال فى الآخرة أما من استغنى فأنت له تصدى وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال عز وجل وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وأمره بالإعراض عن غيرهم فقال وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٢٤٥

حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمبن وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي

فكذلك الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعليل والاعتذار لما قيل له اذهب إلى فرعون ﴿فقال﴾ ولهم على ذنب وقوله إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وقوله إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى وهذا من غير موسى عليه السلام **من سوء الأدب** لأن الذي أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودي عليه إلى يوم القيامة لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء هو القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به

وقيل له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم

وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الأزل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبين على بعض وقد قال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولإدلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس

وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فإنه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه

وانظر كيف احتمل لأخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عددت من أول قوله تعالى إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا إلى رأس العشرين من إخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير في مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك

وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفا عنه

فقد روي أن الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام يا رأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين إلى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن أخذته عصفة من عصفاتي عليه لأتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله

تعالى إليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال إلهي وسيدي أنت أنت وأنا وأنا فكيف أتوب إن لم تتب علي وكيف أستعصم إن لم تعصمني لأعودن فأوحى الله تعالى إليه صدقت يا آصف أنت أنت وأنا وأنا أستقبل التوبة وقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه إليه وناظر به إليه." (١)

"الأول: إن ذلك في السفر لأنه موضع التقاة (١) ومكان الحذر.

الثاني: أنه مخافة أن يحزن صاحبه، وكذلك جاء في الحديث كراهية أن يحزنه (٢)، فإن كان من قول النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقد انحسم التأويل، وإن كان من قول الراوي فهو أولى من تأويل غيره.

الثالث: إن ذلك **من سوء الأدب**.

الرابع: ويرتبط بالثالث، أنه خلاف ما يقتضيه عقد المجالسة فإنهما إنما يتجالسان بالصحبة والألفة والأنسة، فإذا انخذل عنه إلى السر فقد نقض هذا الميثاق، وفعل عبد الله بن عمر مع عبد الله بن دينار يدل أن الحضر في ذلك كالسفر (٣)، لكن المعنى في السفر أولى منه في الحضر، وقد تتزايد العلة الشرعية ويبقى الحكم على حاله وهذا المنع اختلف الناس هل يزول بالإذن أم لا؟ والصحيح أنه يزول، لأن الحق له فإذا أسقطه

---

(١) قال الحافظ وظاهر الإطلاق إنه لا فرق في ذلك بين الحضر والسفر وهلى قول الجمهور.
وحكى الخطابي عن أبي عبيد بن حربوية إنه قال: هو مختص بالسفر في الموضع الذي لا يؤمن فيه الرجل على نفسه فأما في الحضر والعمارة فلا بأس وحكى عياض نحوه ولفظه قيل إن المراد بهذا الحديث السفر والمواضع التي لا يؤمن فيها الرجل رفيقه أو لا يعرفه أو لا يثق به ويخشي منه، قال: وقد روي في ذلك أثر وأشار إلى ما أخرجه أحمد من طريق أبي سالم الجيشاني عن عبد الله بن عمرو أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال: (ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة أن يتناجى اثنان دون صاحبهما) الحديث.
وفي سنده ابن لهيعة وعلى تقدير ثبوته فتقييده بأرض الفلاة يتعلق بإحدى علتي النهي، قال الخطابي: إنما قال يحزنه لأنه إما أن يتوهم أن نجواهما إنما هي لسوء رأيهما فيه أو أنهما يتفقان على غائلة تحصل له منهما، قال الحافظ: قال عياض: قيل كان هذا في أول الإسلام فلما فشا الإسلام وأمن الناس سقط هذا الحكم وتعقبه القرطبي بأن هذا تحكم وتخصيص لا دليل عليه وقال ابن العربي (أي الشارح) الخبر عام

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٤٢/٤

اللفظ والمعنى والعلة الحزن وهي موجودة في السفر والحضر فوجب أن يعمهما النهي جميعا. فتح الباري ١١/ ٨٤ - ٨٥ وانظر القرطبي ٤/ ٥٧ وشرح النووي على مسلم ١٤/ ١٦٧.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه) البخاري في الاستئذان باب إذاكانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة ٨/ ٨٠ ومسلم في كتاب السلام باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بيغير رضاه (٢١٨٤).

(٣) الموطأ ٢/ ٩٨٨ مالك عن عبد الله بن دينار قال: كنت أنا وعبد الله بن عمر عند دار خالد بن عقبة التي بالسوق فجاء رجل يريد أن يناجيه وليس مع عبد الله بن عمر غيري وغير الرجل الذي يريد أن يناجيه فدعا عبد الله بن عمر رجلا أخر حتى كنا أربعة فقال للرجل الذي دعاه: استأخر شيئا فإني سمعت رسول- صلى الله عليه وسلم - يقول: (لا يتناجي اثنان دون واحد).

وأخرجه أبو داود (٤٨٥٢)، والبخاري في الأب المفرد (١١٧٢)، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٨٩.." [١]

"وقال علماؤنا (١): "إنما ذكر له النبي - صلى الله عليه وسلم - خمس صلوات لأنها عمدة الدين ولم يذكر الإيمان ولا إظهار الشهادتين؛ لأن السائل قد كان آمن بذلك كله".

قال الإمام أبو بكر بن العربي: وفي قوله: "خمس صلوات" إنما اقتصر له على الفريضة دون النوافل؛ لأن الفريضة رأس المال والنافلة ربح، ولا يصون رأس المال عن العارض إلا الربح.

وقال بعض الأشياخ (٢): إنما قال له ذلك لأنه كان أول الإسلام، فأراد أن يطمئن فؤاده عليها، وبعد ذلك يفعل ما سواها بما يظهر من ترغيب الإسلام.

ذكر الفوائد المنثورة في هذا الحديث:

وهي ثماني عشرة فائدة:

الفائدة الأولى:

فيه مشط الشعر وتسريحه، ويأتي بيانه في كتاب الجامع إن شاء الله.

الفائدة الثانية:

فيه احتمال رفع الصوت من الأعرابي الجافي، علمه **حسن الأدب** حين (٣) لم يسمع قوله تعالى: ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ (٤).

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/١١٦٩

الفائدة الثالثة:

فيه: قرب طلحة من النبي عليه السلام ودنو مجلسه منه، ولم لا وهو أمينه على أهله وقد وقاه بنفسه.

الفائدة الرابعة:

سمعت بعض أشياخي يقول: النهي عن الجهر بالقول إنما هو في غير (٥) السؤال عن الدين، وفيما لا يلزم البحث عنه (٦) من الشرائع.

---

(١) المقصود هو الإمام الباجي في المنتقي: ١/ ٣١٣.

(٢) منهم ابن بطال في شرح البخاري: ١/ ١٠٤.

(٣) جـ: (الذي!.

(٤) الحجرات: ٢. وانظر أحكام القرآن: ٤/ ١٧١٤.

(٥) جـ:"عين".

(٦) ب: "عليه".." [١]

"واختلف في ذلك الأيمة، هل هو نص في التحريم؟ فقال به جماعة (١). وقالت جماعة: إنه محمول على الكراهية، وإنه نهي أدب وإرشاد (٢).

فأما من قال: إنه تحريم عام ومن فعله وعلم به فإنه (٣) عاص آثم، فاستدل بقوله: "إذا نهيتكم عن شيء فانتهوا، وإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم" فأطلق النهي ولم يقيده بصفة، وكذلك الأمر لم يقيده إلا بعدم الاستطاعة، فقالوا: إن من شرب من في السقاء (٤)، أو مشى في نعل واحدة، أو قرن بين تمرتين في الأكل، أو أكل من رأس الصحفة (٥)، ونحو هذا وهو عالم بالنهي كان عاصيا.

وقال اخرون: هذه الأشياء معللة، فهذا علمت العلة أو زالت زال حكمها.

أما قوله: "نهى عن الأكل من رأس الصحفة" فالعلة فيه أن البركة تزول منها.

وأما "النهي عن القران في التمر" لما فيه **من سوء الأدب** (٦)، وكذلك النهي عن الشرب من فم السقاء خوف الهوام؛ لأن أفواه الأسقية تصعد فيها الهوام، وربما كان في السقاء ما يؤذيه، فهذا جعل عليه شيئا سلم منه.

وأما (٧) من نص على الكراهية (٨)؛ فإن عبيدة (٩) غير معلوم الحفظ، وقد روى

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ٣/ ٢٤٨

(١) منهم ابن عبد البر كما في التمهيد: ١/ ١٤٠.
(٢) قاله أبو بكر الأبهري، كما نص عليه ابن عبد البر في الاستذكار: ١٥/ ٣١٥.
(٣) من هنا إلى آخر الفقرة الرابعة مقبس من التمهيد: ١/ ١٤١ - ١٤٢.
(٤) الماء: وعاء من جلد يكون للماء واللبن.
(٥) الصحفة: إناء: من آنية الطعام.
(٦) تتمة الكلام كما في التمهيد: " ... الأدب، أن يأكل المرء مع جليسه وأكيله تمرتين في واحد، ويأخذ جليسه تمرة، فمن فعل ذلك فلا حرج".
(٧) من هنا إلى قوله: "يدل على تصحيحه له والتزامه" مقتبس من المنتقى: ٣/ ١٣١.
(٨) في المنتقي: "وقوله - صلى الله عليه وسلم -: "أكل كل ذي ناب من السباع حرام" وهذا نص في التحريم، وقد أجاب عنه أبو بكر بن الجهم وغيره بأن ... ".
(٩) عبيدة بن سمان الحضرمي، وثقه النسائي، وذكره ابن حبان في الثقات: ٥/ ١٤٠، وانظر تهذيب الكمال: ٥/ ٨٦ (٤٣٤٤).." [1]

"عمر أخبره؛ أنه زار عبد الله بن عياش فرأى عنده نبيذا وهو بطريق مكة، فقال له أسلم: إن هذا الشراب يحبه عمر، فحمل عبد الله بن عياش قدحا عظيما، فجاء به عمر فوضعه في يده، فقربه عمر إلى فيه ثم رفع رأسه، وقال: إن هذا الشراب طيب فشرب منه، ثم ناوله رجلا عن يمينه، فلما أدبر عبد الله ناداه عمر فقال: أأنت القائل لمكة خير من المدينة؟ فقال عبد الله: هي حرم الله وأمنه وفيها بيته، فقال عمر: لا أقول - في بيت الله ولا في حرمه شيئا - ثم قال له عمر ذلك مرة أخرى ثم انصرف.

الإسناد (١):

قال الإمام: روي هذا الخبر في موطأ ابن بكير ويحيى، عن مالك، عن يحيى بن سعيد، عن ابن القاسم. ورواه القعنبي، عن مالك، عن ابن القاسم، ولم يذكر فيه يحيى بن سعيد.

الفوائد المطلقة:

وهي أربع فوائد:

الفائدة الأولى (٢):

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ٥/٢٨٨

أما النبيذ الذي قال فيه عمر: "إن هذا الشراب طيب"، فقد مضى في كتاب الأشربة (٣) ما يفسر الطيب من غير الطيب، فكل شراب حلو لا يسكر الكثير منه فهو الطيب، وما يسكر منه فهو خبيث لاطيب.

الثانية (٤):

وأما مناولته اليمين، فهو من **حسن الأدب** (٥)، وسيأتي في موضعه.

---

(١) كلامه في الإسناد مقتبس من الاستذكار: ٢٦/ ٦٤.

(٢) هذه الفائدة مقتبسة من الاستذكار: ٢٦/ ٦٤.

(٣) صفحة: ٣٤٦ من الجزء: ٥

(٤) هذه الفائدة مقتشة من الاستذكار: ٢٦/ ٦٤.

(٥) الذي في الاستذكار: "وأما مناولة عمر من عن يمينه فضلة شرابه، فهي السنة".." [١]

"فقال قوم: إنما ذلك لأن الشرب في نفس واحد غير محمود عند أهل الطب، وربما آذى الكبد، فكره ذلك كما كره الاغتسال بالماء المشمس (١) لأنهم قالوا يورث البرص، وما أظن هذا صحيحا من قولهم إنه يورث البرص.

وقال آخرون: إنما نهي عن التنفس في الإناء ليزيل الشارب القدح عن فيه؛ لأنه إذا أزاله عن فيه صار مستأنفا للشرب، ومن سنة الشراب أن يبتديه المرء بذكر الله تعالى، فمتى أزال القدح عن فيه حمد الله، ثم استأنف الشرب فسمى الله، فحصلت له بالذكر حسنات، فإنما جاء هذا رغبة في الإكثار من ذكر الله على الطعام والشراب.

قال أبو عمر (٢): وهذا تأويل ضعيف؛ لأنه لم يبلغنا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يسمي عند كل لقمة إلا في أوله وفي آخره. وروى ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "لا تشربوا واحدة كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا شربتم، واحمدوا إذا رفعتم" (٣).

وقال آخرون إنما نهى عن التنفس في الإناء لأدب المجالسة؛ لأن المتنفس في الإناء قل ما يخلو من أن يكون مع نفسه ريق ولعاب، **ومن سوء الأدب** أن يشرب ثم يناول جليسه لعابه، فتكره النفس ذلك، ولأن اللعاب رقيق سريع الخلطة بالماء.

الثامنة:

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ١٩٤/٧

قوله (٤): "ويكره النفخ في الطعام كما يكره النفخ في الشراب" (٥) ومعنى ذلك عندي أنه يتوقع أن يسرع إليه من ريق النافخ من غير اختيار ما يتقذر به ذلك الطعام كما يتقذر الشراب، والله أعلم.

---

(١) أي المسخن بالشمس.

(٢) في التمهيد: ١/ ٣٩٨.

(٣) أخرجه الترمذي (١٨٨٥)، وقال: "هذا حديث غريب"، والطبراني في الكبير (١١٣٧٨).

(٤) أي قول ابن شهاب فيما بلغه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما نص على ذلك ابن عبد البر في التمهيد: ١/ ٣٩٨ - صلى الله عليه وسلم -، والاستذكار: ٢٦/ ٢٧٤.

(٥) لفظ الحديث كما في المصدرين السابقين: "بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن النفخ في الطعام والشراب".." [١]

"رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة، ويصلى ركعتين قبل الغداة، كأن الأذان بأذنيه.

قال خلف: أرأيت الركعتين قبل الغداة. ولم يذكر: صلاة.

١٥٨ - (...) وحدثنا ابن المثنى وابن بشار، قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أنس بن سيرين؛ قال: سألت ابن عمر، بمثله. وزاد: ويوتر بركعة من آخر الليل. وفيه: فقال: به به، إنك لضخم.

١٥٩ - (...) حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، قال: سمعت عقبة بن حريث قال: سمعت ابن عمر يحدث؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا رأيت أن الصبح يدركك فأوتر بواحدة، فقيل لابن عمر: ما مثنى مثنى؟ قال: أن تسلم فى كل ركعتين.

١٦٠ - (٧٥٤) حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى، عن معمر، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد؛ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " أوتروا قبل أن تصبحوا ".

" ويصلى ركعتين قبل الغداة (١) كأن الأذان فى أذنيه " يعنى من تخفيفهما، وأرى مراده بالأذان هنا الإقامة؛ لأن عن هذا كان سؤال السائل.

ومعنى قوله: " لضخم ": إشارة إلى البلادة وسوء الأدب، لمداخلته له فى الكلام وتركه تمامه، وقطعه عليه،

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ٣٥٥/٧

كما قال بعضهم فى أحد تأويلات قوله: " إنك عريض القفا " (٢) لأن البلادة والغباوة مع السمن والضخامة.
ومعنى: " أستقرئ لك الحديث "كذا رويناه بالهمزة ومعناه على هذا أتلوه وآت به على نسقه، وقد يكون غير مهموز، ويكون معناه: أقصد لك إلى ما طلبت، من قولهم: قروت إليه قروا إذا قصدت نحوه ومنه: هو يقترى الأرض ويقروها قروا إذا قطعها إلى أخرى، وهو أشبه بهذا الموضع، ومنه القرو الطلب.
وقوله: " به به ": إما أن يكون معنى: مه مه، زجرا، وقد جاء ذلك والباء تبدل من الميم كثيرا، وقال ابن السكيت: هى لتعظيم الأمر بمعنى: بخ بخ.

(١) فى الأصل: القراءة، والمثبت من س والمطبوعة.
(٢) جزء حديث أخرجه البخارى فى التفسير، ب سورة البقرة عن عدى، وذلك لما أخذ - رضى الله عنه - وعقالا أبيض وعقالا أسود ٦/ ٣١.." [1]
". . . . .

أعاد الوضوء، وكما قال فى الرواية الأخرى فعل ذلك ثلاث مرات كل ذلك يستاك ويتوضأ، أو يكون أراد الوضوء الأول قبل نومه على ما جاء فى الرواية الأخرى من حديث سفيان عن سلمة من قوله: " فقام فأتى حاجته - أى من الحدث - ثم غسل وجهه ويديه، ثم نام "، فهذا القيام للحدث لا للصلاة، وغسله وجهه ويديه تنظفا ولنفى الكسل، فلعل الراوى اختلط عليه ما جاء فى الحديث الآخر " وضوءا بين الوضوءين "، فوضعه هذا الموضع (١) أو عبر به عنه.
وقوله: " فقمت فتمطيت كراهية أن يرى أنى كنت أنتبه له " فيه ما كان عليه - رضى الله عنه - وأمثاله من الحرص على الخير وتعلم العلم، والاقتداء به - عليه السلام - والاقتباس منه، وحفظ أفعاله وأقواله من صغره، وحسن الأدب معه، والحياء منه لكونه بقربه، وهو مع أهله، وقد روى فى هذا أن العباس أرسله لذلك.
وتقدم إليه ألا ينام حتى يحفظ فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاته، واختلف فى ضبط هذه اللفظة، فقال هنا: " إنى كنت أنتبه لها وفى كتاب البخارى:" أبقيه "كذا عند الأصيلى وابن السكن والقابسى (٢)، ومعناه: أرقيه، فقال: بقيت الشيء أبقيه ببصرى إذا نظرت إليه.
قال الشاعر:

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ١٠٤/٣

ومازلت أبقى الظعن حتى كأنها ... أواقى سدى تغتالهن الحوائك

ويقال: بقوت أيضا، وقد جاءت هذه اللفظة بمثله فى كتاب مسلم فى الحديث الآخر كما سنبينه بعد هذا، وروى البرقانى هذه الكلمة: " أرتقيه " نحو رواية القابسى عن البخارى (٣)، وهو معنى أبقيه، وهذه الألفاظ أبين من قوله: " أنتبه "، ويشبه أن أنتبه تصحيف وتغيير، والله أعلم (٤).

وقوله: " فتوضأت فقمت عن يساره، فأدارنى عن يمينه ": فسر هذه الإدارة فى حديث محمد بن حاتم بقوله: " فأخذ بيدى من وراء ظهره يعدلنى كذلك إلى الشق الأيمن (٥) وهى سنة مقام المنفرد مع إمامه وإن كان صغيرا، وحكم مناولة ما يحتاج عند المصلى أو يضطر هو إليه، وفيه جواز العمل القليل فى الصلاة واحتج به أصحابنا فى جواز صحة

---

(١) يقصد القاضى أن " وضوءا بين الوضوءين " هو من رواية سلمة بن كهيل عن أبى رشدين عن ابن عباس، لا من رواية سلمة بن كهيل عن كريب.

(٢) وكذا لأحمد فى المسند من حديث سلمة بن كهيل أيضا ٣/ ٢٨٣.

قال فى اللسان: يقول: شبهت الأظعان فى تباعدها عن عينى ودخولها فى السراب بالغزل الذى تسديه الحائكة فيتناقض أولا فأولا. قال وبقيته: أى نظرت إليه وترقبته، وبقية الله: انتظار ثوابه.

(٣) البخارى فى صحيحه، ك الدعوات، ب الدعاء إذا انتبه من الليل ٨/ ٨٦.

(٤) قلت: ولا يستقيم مع قوله: (له) بعد أنتبه.

(٥) ولفظه فى المطبوعة: فأخذ بيدى من وراء ظهره يعدلنى كذلك من وراه ظهره إلى الشق الأيمن.." [1]

"(٨) باب فى الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى

١٤ - (٦٢٦) حدثنا محمد بن بشار العبدى، حدثنا محمد - يعنى ابن جعفر - حدثنا شعبة، عن ثابت، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الصبر عند الصدمة الأولى ".

١٥ - (...) وحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا شعبة، عن ثابت البنانى، عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكى على صبى لها. فقال لها: " اتقى الله واصبرى ". فقالت: وما تبالى بمصيبتى. فلما ذهب، قيل لها: إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخذها مثل الموت. فأتت بابه، فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك. فقال: " إنما الصبر

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٣/١٢٠

عند أول صدمة "، أو قال: " عند أول الصدمة ".

وقوله فى حديث المرأة: " إنما الصبر عند الصدمة الأولى ": يعنى الصبر الذى يشق ويعظم تحمله ومجاهدة النفس عليه، ويقل صابرة ويؤجر عليه الأجر الجزيل عند وقوع المصيبة وهجومها، وأما بعد الصدمة الأولى وبرد المصيبة وابتداء التسلى فكل أحد يصبر حينئذ، ويقل جزعه، ولذلك قيل: يجب للعاقل أن يلتزم حين مصابه ما لابد للأحمق منه بعد ثلاث. ومن هذا المعنى النهى عن أن يحد على الميت أكثر من ثلاث إلا [على] (١) الزوج. وأصل الصدم الضرب فى الشيء الصلب، ثم استعير [ذلك] (٢) للأمر المكروه يأتى فجأة وغرة. وقولها: " لم أعرفك " فيه الاعتذار **من سوء الأدب** مع الفضلاء، وإن لم [يكن] (٣) يقصد به، لقولها: " إليك عنى "، على رواية البخارى (٤)، وعند مسلم: " وما (٥) تبالى بمصيبتى ".

وقوله: " فلم تجد على بابه بوابين ": فيه ما كان - عليه السلام - من التواضع.

قال بعضهم: حديث المرأة يدل أن بكاءها كان بنوح لقوله: " اتقى الله واصبرى "، وفى كتاب أبى داود: " قالت أنا أصبر " (٦) امتثال لأمره لها بالصبر أول الحديث وتوبة لردها

---

(١) و (٢) من س.

(٣) ساقطة من س.

(٤) ك الجنائز، ب زيارة القبور.

(٥) فى س: ولا.

(٦) قلت: بل هى لأبى يعلى من رواية أبى هريرة - رضى الله عنه - وفيه: " فوثبت سرعة وهى تقول: أنا أصبر، أنا أصبر يا رسول الله " ١٠/ ٤٥٣ (٦٠٦٧) قلت: وفيه أبو عبيدة الناجى - بكر بن الأسود - وهو ضعيف. انظر: المجمع ٣/ ٥، والمطالب ١/ ١٩٤، ١٩٥.." [1]

"الإسناد. ولم يذكروا: أم كعب.

٨٨ - (...) وحدثنا محمد بن المثنى وعقبة بن مكرم العمى، قالا: حدثنا ابن أبى عدى، عن حسين، عن عبد الله بن بريدة؛ قال: قال سمرة بن جندب: لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعنى من القول إلا أن هاهنا رجالا هم أسن منى، وقد صليت وراء رسول الله

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٣/٣٦٨

صلى الله عليه وسلم على امرأة ماتت فى نفاسها، فقام عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وسطها. وفى رواية ابن المثنى قال: حدثنى عبد الله بن بريدة قال: فقام عليها للصلاة وسطها.

شعبان من أصحابنا (١)، وقال أصحاب الرأى: يقوم فيها حذاء الصدر. وقيل فى قيام النبى صلى الله عليه وسلم وسطها: من أجل جنينيها، ليكونا أمامه معا.

وقول سمرة: " ما يمنعنى من القول إلا أن هاهنا رجالا هم أسن منى ": من **حسن الأدب** وترك التقديم بين يدى الأسن وال أعلم، وهذا مثل قول ابن عيينة وقد قال له سفيان الثورى: لم لا تحدث؟ فقال: أما ما أنت حى فلا.

---

(١) وقال ابن القاسم: يقوم من الرجل عند صدره ومن المرأة عند منكبيها.." [١]

"الدنيا، لا يعقلون شيئا. قال: قلت: مالك ولإخوتك من قريش، لا تعتريهم وتصيب منهم. قال: لا، وربك، لا أسألهم عن دنيا، ولا أستفتيهم عن دين، حتى ألحق بالله ورسوله.

خلافه؛ والصحيح عنه أن إنكاره على هؤلاء اكتنازهم، ما أخذه السلاطين لأنفسهم من بيت المال، ولم ينفقوه فى وجوهه.

وقوله: " فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى وحده، فظننت أنه يكره أن يمشى معه أحد، فجعلت أمشى فى ظل القمر ": فيه **حسن الأدب** مع الكبراء، وفيه أن الإنسان إذا كان منفردا لا يجب أن يتصور عليه ويلازم أو يجلس معه إلا بإذنه، ما لم يكن فى موضع المجامع والمساجد والأسواق وشبهها.

وقوله: " وإن زنا وإن سرق ": تقدم الكلام عليه أول الكتاب. وفيه ما كان عليه أبو ذر من القوة والشدة فى الأمر بالمعروف.

وقوله: " فلم أتقار أن قمت ": أى لم يمكنى القرار والثبات.

وقوله: " فنفح به ": أى أعطى، وأصله الرمى بالشىء.

وقوله: " لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض له ": أى لقيه أحد من عداه، يقال: من عرض لى كذا وعرض معا إذا بدا، وأنكر بعضهم الكسر إلا فى عرضت القول وحدها، [وقال] (١) أبو زيد الوجهين [فى

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٣/٤٣١

القول أيضا، وحكى الفراء الوجهين] (٢) فى الجميع (٣)، وفى حديث أبى ذر من الفقه جواز أخذ الدين للضرورة والحاجة إليه، وقد نص الله على إباحة ذلك، وجواز قول الرجل للآخر فدتك نفسى، وفداك أبى وأمى، وجعلنى الله فداك. خلافا لمن كره ذلك، وقال: لا يفدى بمسلم، وجواز الجواب بلبيك وسعديك.
وقوله: " مالك لا تعتريهم، وتصيب منهم ": أى تأتيهم تطلب منهم مما فى أيديهم، يقال: عروته واعتريته واعتروته [واعتررته] (٤) أى أتيته تطلب إليه حاجة.
وقوله: " لا أسألهم عن دنيا ": كذا فى الأم، ووجهه: لا أسألهم دنيا، وكذا

---

(١) فى س: وحكى.
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من س.
(3) فى س: الجمع.
(٤) ساقطة من س، والمثبت من هامش الأصل.." [1]

"(١٥) باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس

٨٩ - (١٤٢٨) حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون، حدثنا بهز. ح وحدثنى محمد ابن رافع، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، قالا جميعا: حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس. وهذا حديث بهز قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد: " فاذكرها على ". قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهى تخمر عجينها. قال: فلما رأيتها عظمت فى صدرى، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها، فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى. فقلت: يا زينب، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربى. فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن. قال: فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج ال‌ناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته، فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن، ويقلن يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرنى. قال. فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه فألقى الستر بينى وبينه، ونزل الحجاب. قال: ووعظ القوم بما وعظوا به.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٥٠٧/٣

وقوله فى الحديث فى قصة زينب: " وأمر النبى – عليه السلام – لزيد أن يذكرها عليه أن يخطبها ": ومعنى " اذكرها على ": أى اخطبها لنفسها على، أى لى أو عنى. ف " على " تأتى بمعنى الحرفين. فيه جواز مثل هذا لمن طلقها إذا علم طيب قلبه بذلك، وأنه لا يكرهه مثل حال زيد مع النبى صلى الله عليه وسلم.

وقوله: " ما أستطيع أن أنظر إليها؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها ": بفتح الهمزة، أى من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها.

وقوله: " فنكصت على عقبى ": أى رجعت وانصرفت.

وقوله: " فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن ": لأنها زوجته، وأن الله أعلمه أنه زوجه إياها.

وفى خروج النبى صلى الله عليه وسلم ودورانه على نسائه حتى يقوم الجالسان عنه **حسن الأدب** مع." [1]

"١٥ – (١٥٠٥) وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا خالد بن مخلد، عن سليمان

جهلوه؛ لأنه – عليه السلام – علم أنهم كانوا لا يخلون عليه بما يعتقدون جوازه له، وأنهم إنما قدموا له أدم البيت، وتركوا اللحم الذى هو سيد الأدم لأمر اعتقدوه فيه، فيسألهم ليعرف ما اعتقدوه، ويبين لهم ما جهلوه كما كان.

وفيه من **حسن الأدب** والعشرة، قوله – عليه السلام –: " ما بال رجال "، ولم يواجههم بالخطاب، ولا حرج بأسمائهم.

وفيه جواز الصدقة على العبد؛ لاستسعائها عائشة، ولم ينكر ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وذلك فى التطوع، وكذلك معونة المكاتب من التطوع. واختلف فى معونته من الفرض. وفيه جواز بيع المرأة وشرائها بغير إذن زوجها. وجواز عتقها لعبدها وأمتها، ما لم ترد على تلف مالها وبرده زوجا.

وفيه دليل على أن بيع الأمة المزوجة ليس بطلاق وكذلك عتقها، خلافا لابن المسيب الذى يرى بيعها طلاقا. وفيه جواز اكتساب المكاتب بالسؤال كما فعلت بريرة. وفيه أن البيان بالفعل أقوى منه بالقول؛ ولهذا أمر – عليه السلام – عائشة باشتراط الولاء لهم؛ ليبين لهم ذلك القول والتوبيخ على رأى بعضهم، كما قال – عليه السلام –: " إنى لأنسى – أو أنسى – لأسن " (١)، لاسيما على رأى من رأى أنه نسى عمدا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٥٩٨/٤

ليبين صورة السهو، وهذا الوجه أظهر التأويلات فى الحديث وهو لفظه، وقد جاء من رواية أيمن عن عائشة: "اشتريها ودعيهم يشترطون ما شاؤوا "، فاشترتها وأعتقتها، وشرط أهلها الولاء.
قال محمد بن داود الأصبهانى: أما قول النبى لها: " اشترطى لهم الولاء " إنما معناه: أن ذلك بعد علمهم، والنبى عنى غيرها بذلك، ولا نافع لهم، ولم يأمرها – عليه السلام – باشتراطه، ثم يبطل الشرط ويصحح البيع وهم غير عالمين ببطلانه، وإنما كان هذا منه تهديدا لمن رغب عن حكمه وخالف أمره. وإليه مال الأصيلى وأبى أنه على ظاهره، وأنه أمرها بذلك ليقع البيع ويصح، ويبطل الشرط ويصح، ويكون ما قابل الشرط من الثمن، وحط له عقوبة فى المال لما خالفوا أمره، كما منع القاتل من الميراث عقوبة له. وقال الطحاوى: رواية الشافعى عن مالك فى هذا الحديث: " اشترطى لهم الولاء " بغير تاء، أى أظهرى لهم حكمه. وعلمهم سنته – كما تقدم – وليس من

---

(١) مالك فى الموطأ، ك السهو، ب العمل فى السهو ١/ ١٠٠ (٢).
قال ابن عبد البر: لا أعلم هذا الحديث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم مسندا ولا مقطوعا من غير هذا الوجه، وهو أحد الأحاديث الأربعة فى الموطأ التى لا توجد فى غيره مسندة ولا مرسلة، ومعناه صحيح فى الأصول.." (١)
". . . . .

عبادة الله. والثانية: ألا يشرك معه غيره، بدليل أن قوله: " ولا تفرقوا " لم يأت فى بعض الروايات.
ومعنى " قيل وقال ": الخوض فى أخبار الناس وحكايات ما لا يعنى من أحوالهم؛ قيل كذا، وقال فلان كذا، فقيل كذا وعلى هذا نقول: " قيل" منصوبة فعل لما لم يسم فاعله، و " قال " فعل ماض أيضا، ويصح أن يكون اسمين مخفوضين. والقيل والقال والقول بمعنى، وكذلك القيل والقالة.
و"كثرة السؤال " فيه تأويلات، أنه من مسألة الناس ما بأيديهم، وقيل: يحتمل النهى عن كثرة السؤال والتنطع فى المسائل فيما لم ينزل، وقد كان السلف يكرهون ذلك ويرونه من التكلف. وقال مالك فى هذا الحديث: لا أدرى أهو ما أنهاكم عنه من كثرة المسائل؟ فقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها، أو هو مسألة الناس أموالهم؟ وقد يكون المراد به سؤال النبى صلى الله عليه وسلم عما لم يأذن فى السؤال عنه

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٥/١١٤

لقوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ الآية (١)، وفى الصحيح: " إن أعظم الناس جرما من سأل عن [شىء] (٢) عن النبى صلى الله عليه وسلم لم يحرم فحرم من أجل مسألته " (٣). [وقد] (٤) يكون كثرة السؤال عن أخبار الناس وأحداث الزمان، وما لا يعنى من الأمور والاشتغال بمثل هذا، فتكون [بمعنى] (٥) النهى عن قيل وقال. وقد يكون [كثيرة] (٦) سؤال (٧) الرجل الناس عن أخبارهم وأحوالهم وتفاصيل أمورهم، فيدخل بذلك الحرج؛ إما بكشف ما لا يريدون كشفه من ذلك بضرورة سؤاله، وبالكذب والتعريض لستر ذلك عنه إذا كان مما لا يفشى، وبالجفاء وسوء الأدب أو بالكذب إن ترك الجواب له عنه.

وأما " إضاعة المال " يكون فى تعطيله، وترك القيام عليه، أو مصلحته، مصلحة دنياه، ومصلحة دنياه صلاح دينه بتفرغ باله له، وتركه التعرض لما فى أيدى الناس. وقد تكون إضاعته إنفاقه فى غير وجوهه والإسراف فى ذلك.

---

(١) المائدة: ١٠١.

(٢) مثبتة من س.

(٣) البخارى، ك الاعتصام، ب ما يكره من كثرة السؤال ٩/ ١١، مسلم، ك الفضائل، ب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله (٢٣٥٨/ ١٣٢).

(٤) من س.

(٥) فى س: من معنى.

(٦) مثبتة من س.

(٧) فى س: السؤال.." [١]

"الصحفة. فقال لى: " يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك ".

١٠٩ - (...) وحدثنا الحسن بن على الحلوانى وأبو بكر بن إسحاق، قالا: حدثنا ابن أبى مريم، أخبرنا محمد بن عمرو بن حلحلة، عن وهب بن كيسان، عن عمر بن أبى سلمة؛ أنه قال: أكلت يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت آخذ من لحم حول الصحفة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كل مما يليك ".

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٥/٥٦٩

١١٠ - (٢٠٢٣) وحدثنا عمرو الناقد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهرى، عن عبيد الله، عن أبى سعيد، قال: نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اختناث الأسقية.

١١١ - (...) وحدثنى حرملة بن يحيى، أخبرنا ابن وهب، أخبرنى يونس، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن أبى سعيد الخدرى؛ أنه قال: نهى

وقوله: " فكانت يدى تطيش فى الصحفة ": أى تحف فى جوانبها، وتفسيره قوله فى الرواية الأخرى: " فجعلت آكل من لحم حول الصحفة "، وفى البخارى: " من نواحى الصحفة " (١) كذا رواية جميعهم، وللهوزنى: " تبطش " وليس بشىء، والأول المعروف.

وقول النبى له: " يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك " فيه ثلاثة سنن فى أدب الطعام مشهورة، مضى الكلام على اثنتين منها، والثالث قوله: "كل مما يليك ". وهى أيضا سنة متفق عليها؛ لأن كل أكل جاء ما يليه من الطعام فإدخال غيره يده عليه وتركه ما أمامه قبيح، ومشاركته له فيما فيه حوزة بغير إذنه، مع ما فى ذلك من تقزز النفوس بما خاضت فيه الأيدى، واختلف فيه أصابع الغير، وليس كل أحد يستحسن ذلك منهم لاسيما فى الطعام الرطب والأمراق وأشباهها؛ ولما فيه من الجشع والحرص على الطعام، وإيثار النفس على المؤاكل، وكل هذا مذموم؛ ولأنه إذا كان نوعا واحدا فلا فائدة فى ذلك **إلا سوء الأدب** وشرههم بذلك، بخلاف إذا اختلف أجناس الطعام، فقد أباح العلماء اختلاف الأيدى فى الطبق والصحفة وشبهها لطلب كل نفس ما تشتهيه من ذلك، بخلاف إذا كان جنسا واحدا.

وقوله: " نهى - عليه السلام - عن اختناث الأسقية "، قال الإمام: أصل هذه الكلمة من التكسر والتثنى واللين، ومنه سمى الرجل المشبه بالنساء فى طبعه وكلامه مخنثا؛

---

(١) أخرجه البخارى، ك الأطعمة، ب الأكل مما يليه. الفتح ٩/ ٥٢٣ رقم (٥٣٧٧).." [1]

"الرحمن بن سعد، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع، ويلعق يده قبل أن يمسحها.

١٣٢ - (...) وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبى، حدثنا هشام، عن عبد الرحمن بن سعد؛ أن عبد الرحمن بن كعب بن مالك - أو عبد الله بن كعب - أخبره عن أبيه كعب، أنه حدثهم؛ أن رسول

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٤٨٨/٦

الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها.

(...) وحدثناه أبو كريب، حدثنا ابن نمير، حدثنا هشام، عن عبد الرحمن بن سعد؛ أن عبد الرحمن بن كعب بن مالك وعبد الله بن كعب حدثاه - أو أحدهما - عن أبيه كعب بن مالك، عن النبى صلى الله عليه وسلم. بمثله.

وقوله: " كان يأكل بثلاثة أصابع ": هو من أدب الأكل وسننه ومن المروءة؛ لأن الأكل بأكثر منها إنما هو من الجشع وسوء الأدب فيه وتكثير اللقم، وذلك من غير آدابه ومستحسناته، ولأنه غير [مضطر] (١) لأكثر من ثلاث لجمع لقمته وإمساكها من جهاتها، إلا أن يضطر إلى غير ذلك لخفة الطعام، وعدم تلفيفه بالثلاث فيدعمه بالرابعة.

وفيه جواز مسح اليد بعد الطعام بالمنديل وهذا - والله أعلم - فيما لم يحتج فيه لغسل مما ليس فيه غمر ولزوجة مما لابد منه إلا الغسل، فقد جاء فى الحديث فى الترغيب فى غسله أو الحذر من تركه، فذكر أبو داود فى مصنفه، والترمذى وغيره من رواية أبى هريرة: " من نام وفى يده غمر ولم يغسله فأصابه شىء، فلا يلومن إلا نفسه " (٢)، وسئل مالك عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال الترمذى فيه: حديث حسن غريب. وقد ذكر أصحاب المصنفات من حديث سلمان عنه - عليه السلام - قال: " بركة الطعام الوضوء قبله وبعده " (٣)، قال أبو عيسى: ولا نعلمه إلا من حديث قيس بن

---

(١) ساقطة من الأصل، والمثبت من ح.

(٢) أبو داود، ك الأشربة، ب غسل اليد من الطعام ٢/ ٣٣٠، الترمذى، ك الأشربة، ب ما جاء فى كراهية البيتوتة فى يده ريح غمر ٤/ ٢٨٩ (١٨٦٠)، والبيهقى فى السنن، ك الصداق، ب غسل اليد قبل الطعام وبعده ٧/ ٢٧٥، ٢٧٦.

(٣) أبو داود، ك الأطعمة، ب فى غسل اليد قبل الطعام ٢/ ٣١١، والترمذى، ك الأطعمة، ب ما جاء فى الوضوء قبل الطعام وبعده ٤/ ٢٨١ (١٨٤٦).." [1]

"(٢١) باب جواز أكل المرق، واستحباب أكل اليقطين، وإيثار أهل المائدة بعضهم بعضا وإن كانوا ضيفانا إذا لم يكره ذلك صاحب الطعام

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٦/٥٠٢

١٤٤ – (٢٠٤١) حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس – فيما قرئ عليه – عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة؛ أنه سمع أنس بن مالك يقول: إن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه. قال أنس بن مالك: فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا من شعير، ومرقا فيه دباء وقديد. قال أنس: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالى الصحفة. قال: فلم أزل أحب الدباء منذ يومئذ.

١٤٥ – (...) حدثنا محمد بن العلاء – أبو كريب – حدثنا أبو أسامة، عن سليمان ابن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل، فانطلقت معه، فجيء بمرقة فيها دباء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل من ذلك الدباء ويعجبه. قال: فلما رأيت ذلك جعلت ألقيه إليه ولا أطعمه. قال: فقال أنس: فما زلت بعد يعجبنى الدباء.

وقول أنس: " فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدباء حوالى الصحفة "، قال القاضى: الدباء، بالمد وضم الدال: القرع المأكول فى هذا الحديث، وقد جاء مقصورا أيضا، فمن مده قال فى واحده: دباءة، ومن قصر قال فى الواحدة: دباة. أنبأنا به بعض شيوخنا عن أبى مروان بن سراج: لم يذكر فيها أبو على غير المد.

وقوله: " وجعلت ألقيه إليه ولا أطعمه ": فيه جواز مناولة من على المائدة ما بين أيديهم بعضهم بعضا مما بين أيديهم؛ لأن جميعه لهم، وإنما يكره من ذلك أن يتناول من على مائدة لمن على مائدة أخرى، وقاله ابن المبارك، وكذلك أن يتناول إنسان ما أمام غيره لآخر؛ لأنه **يجمع سوء الأدب**، وعلة الأكل مما بين يدى غيره، وأنس هنا لم يكن معه غير النبى – عليه السلام – وكان الطعام بين أيديهما معا لا غير، فإنما ناول أنس ما بين يدى نفسه، وغير ذلك كان بين يدى النبى – عليه السلام.

قال الإمام: وتتبع النبى صلى الله عليه وسلم الدباء يحتمل أن يكون من باب الطعام المختلف، أو لأنه كان يأكل مع من يعلم سروره بذلك ولا يستثقله.

قال القاضى: أو لأن الطعام إنما كان عمل النبى – عليه السلام – فكان جميعه له؛." (١)

"الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل فى هودجى، وأنزل فيه، مسيرنا.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٥٢٢/٦

النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك لعلم مغيبها، ومنع خروجهن إلى بيوت آبائهن وقرابتهن إلا بإذن؛ لاستئذان عائشة فى ذلك النبى صلى الله عليه وسلم.

وفيه **حسن الأدب** والمعاملة والعشرة مع النساء الأجانب، لا سيما فى الخلوة بهن عند الضرورة، كما فعل صفوان من تركه مكالمة عائشة وسؤالها، وأنه لم يزد على الاسترجاع وتقديم مركبها وإعراضه بعد ذلك حتى ركب، ثم [تقدمه] (١) يقود بها.

وفيه إغاثة الملهوف، [وعون] (٢) الضعيف، وإكرام من له قدر، كما فعل صفوان فى ذلك كله.

وفيه ستر ما يقال فى المرء عنه إذا لم يكن لذكره فائدة، كما عامل الجميع به عائشة حتى أعلمته بها أم مسطح. وفيه تشكى السلطان وغيره للناس لمن يؤذيه فى نفسه وأهله والاستعذار منه.

وقوله: " استعذر "، " ومن يعذرنى "، " فأنا أعذرك منه ": قيل: من يعذرنى إن كأفاته على ما فعل ولا يلومنى، وقيل: معناه: من [يقصدنى] (٣)، وهو أليق بهذا المكان، قاله أبو على فى البارع، قال: والعذير الناصر. وقال الداودى: قوله: " أنا أعذرك منه ": أى أنتصف لك وأقوم بما يجب لك.

وفيه مشاورة الرجل بطانته فيما فيه مصلحته من فراق أهله أو غير ذلك، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم مع على وأسامة. وفيه الكشف عن الأمور المسموعة والبحث عنها لمن يهمه ذلك ويعنيه. وأما من غيره فتحسس وفضول ممنوع، كما سأل - عليه السلام - زينب وبريرة.

قالوا: وفيه جواز تعديل النساء والشهود، وتعديل بعضهم بعضا. وقد ترجم البخارى (٤) على هذا، وهذا ليس بين؛ إذ لم يكن شهادة. والمسألة التى اختلف فيها العلماء إنما هى فى تعديلهن للشهادة، فمنع من ذلك مالك (٥) والشافعي ومحمد بن الحسن، وأجازه أبو حنيفة فى المرأتين والرجل، كشهادتهما فى المال. واحتج الطحاوى (٦)

---

(١) فى ح: تقدم.

(٢) فى ح: غوث.

(٣) فى ح: ينصرنى.

(٤) انظر: ك الشهادات، ب تعديل النساء بعضهن بعضا ٣/ ٢٢٧.

(٥) انظر: المدونة الكبرى ٥/ ١٦١.

(٦) هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدى، ولد سنة ٢٣٩ هـ، وتلقى

العلم على خاله إسماعيل بن يحيى المزنى الشافعى، فانتقل من مذهبه إلى ترجيح مذهب الإمام أبى حنيفة رحمهما الله، إلا أنه لم يكن مقلدا بل كان فقيها ثقة ثبتا، فألف " العقيدة الطحاوية " و "كتاب شرح مشكل الآثار " وغيرهما، وتوفى ٣٢١ هـ، انظر: الأنساب ٤/ ٥٣، وفيات الأعيان ١/ ٧١، ٧٢، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٠٨ - ٨١١، البداية والنهاية ١١/ ١٧٤.." [(١)]

"وزعم أن البحث والطلب **من سوء الأدب**، قد حمى حمى جهله بالنجه (١) وتقطيب الوجه، فلا جرم بحسب هذا الخلل - وتظاهر هذه العلل في كثير من مشايخ (٢) الرواية، المحرومين فضل المعرفة والدراية، المريحين أنفسهم من كد البحث والعناية - كثر في كتب الحديث التغيير والفساد، تارة في المتن وتارة في الإسناد، وشاع التحريف، وبشع التصحيف، وتعدى ذلك منثور الروايات إلى مجموعها، وعم أصول المصنفات مع فروعها، فلولا أن الله سبحانه قيض لإقامة أودها (٣)، ومعاناة رمدها صبابات (٤) من أهل الإتقان في كل زمان؛ لاستمر على الكافة تحريفها، واستقر في موضوعات السنن تبديل الجهلة وتصحيفها (٥)، لكن قول (الرسول- عليه السلام -) (٦) حق، ووعد الله تعالى إياه صدق، كما حدثنا (٧) الشيخ (٨) الفقيه أبو القاسم أحمد بن محمد بن بقي (٩)، والشيخ أبو الحسن

---

(١) النجه: استقبالك الرجل بما يكره وردك إياه عن حاجته، وقيل: هو أقبح الرد. "اللسان" ٧/ ٤٣٥٩.

(٢) في (س، أ، ظ): (أشياخ).

(٣) الأود: العوج.

(٤) الصبابة: هي البقية اليسيرة.

(٥) قبلها في (س): (تجزيفها). وعليها علامة تشير إلى الحذف، وفي (أ): (تحريفها). وحذفها أولى.

(٦) في (ظ، أ): (رسول الله صلى الله عليه وسلم).

(٧) في (أ): (أخبرنا).

(٨) ساقطة من (ظ).

(٩) الفقيه، المحدث، الأندلسي القرطبي من أولاد الحافظ الكبير بقي بن مخلد، من أجل بيوت العلم، كان بصيرا بالأحكام، دريا بالفتوى، رأسا في معرفة الشروط وعللها، كتب إليه أبو العباس العذري المحدث

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٢٨٨/٨

بإجازة ما رواه عن شيوخه، روى عنه ابن بشكوال، وأبو بكر بن خير، وآخرون، توفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة. انظر "الصلة" ١/ ٧٩، "تاريخ الإسلام" ٣٦/ ٢٦٧ - ٢٦٨، "مرآة الجنان" ٣/ ٢٥٩.." (١)

"الباب الأول في ذكر المعقول في بر الوالدين وصلة الرحم

غير خاف على عاقل لزوم حق المنعم، ولا منعم بعد الحق سبحانه على العبد كالوالدين، فقد حملت الأم بحمله أثقالا كثيرة، ولقيت وقت وضعه مزعجات مثيرة، وبالغت في تربيته وسهرت في مداراته، وأعرضت عن جميع شهواتها لمرادته، وقدمته على نفسها في كل حال.

وقد ضم الوالد إلى تسببه في إيجاده ومحبته بعد وجوده وشفقته في تربيته الكسب له والإنفاق عليه، والعاقل يعرف حق المحسن ويجتهد في مكافأته.

وجهل الإنسان بحقوق المنعم من أخس صفاته، فإذا أضاف إلى جحد الحق المقابلة بسوء الأدب، دل على خبث الطبع ولؤم الوضع وسوء المنقلب، وليعلم البار بالوالدين أنه مهما بالغ في برهما لم يف بشكرهما.

١ - أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ، قال: أنبأ علي بن الحسين بن أيوب، قال: أنبأ أبو علي بن شاذان، قال: أنبأ أبو سهل بن زياد، قثنا إبراهيم بن." (٢)

"الباب السادس عشر في ذكر ماهية العقوق ، العقوق: مخالفة الوالدين فيما يأمران به من المباح، وسوء الأدب في القول والفعل

١٤٢ - أخبرنا محمد بن ناصر، وعمر بن ظفر، قالا: أنبأ محمد بن الحسن الباقلاوي، قال: أنبأ أبو العلاء الواسطي، قال: أنبأ أبو نصر النيازكي، قثنا أبو الخير البزاز L، قثنا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: قثنا مسدد، قثنا إسماعيل بن إبراهيم، قثنا زياد بن مخراق، قال: حدثني طيسلة بن علي، عن ابن عمر، قال: «بكاء الوالدين من العقوق»

- ١٤٣ أخبرنا هبة الله بن أحمد الجريري، قال: أنبأ محمد بن علي الخياط، قال: أنبأ أحمد بن محمد بن يوسف العلاف، قثنا أحمد بن محمد بن أبي سعيد، قثنا عباس بن محمد، قثنا زيد بن الحباب، عن سفيان، عن معاوية بن إسحاق، عن عروة بن الزبير، قال: «ما بر والديه من أحد النظر إليهما»." (٣)

---

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار ابن قرقول ١/١٥٠

(٢) البر وال صلة لابن الجوزي ابن الجوزي ص/٣٩

(٣) البر والصلة لابن الجوزي ابن الجوزي ص/١١٦

"كاذبة فإن النبي صلى الله عليه وسلم يرضى بعذاب الفجار كيف وقد لعن في الخمر عشرة فدعوى أنه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة وإقدام على جهل بحكم الشرع ودعواه بأنه من أهل الشفاعة في الكل وأنه يزيد على محمد صلى الله عليه وسلم كفر لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه من أهل لجنة كان من أهل النار فكيف وهو يشيد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقام النبوة بل يزيد على المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى قال ابن عقيل والذي يمكنني في حق أهل البدع لساني وقلبي ولو اتسعت قدرتي في السيف لرويت الثرى من دماء خلق.

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أخبرنا جعفر بن أحمد ثنا أبو طاهر محمد بن علي العلاف سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبد الله العلقي صاحب أبا العباس بن عطاء سمعت أبا العباس بن عطاء يقول قرأت القرآن فلما رأيت الله عز وجل ذكر عبدا فأثنى عليه حتى أبتلاه فسألت الله تعالى أن يبتليني فما مضت الأيام والليالي حتى خرج من داري نيف وعشرون ميتا ما رجع منهم أحد قال وذهب ماله وذهب عقله وذهب ولده وأهله فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها وكان أول شيء قاله بعد صحوه من غلبته:

حقا أقول لقد كلفتني شططا ... حملي هواك وصبري إن ذا عجب

قلت قلة علم هذا الرجل أثمر أن سأل البلاء وفي سؤال البلاء معنى التقاوى وذاك منأقبح القبيح والشطط الجور ولا يجوز أن ينسب إلى الله تعالى وأحسن ما حمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت في زمان التغيير أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أحمد بن علي بن خلف نا محمد بن الحسين السلمي سمعت أبا الحسن علي بن إبراهيم الحصري يقول دعوني وبلائي ألستم أولاد آدم الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأمره بأمره فخالفه إذا كان أول الدن دردى كيف يكون آخره قال وقال الحصري كنت زمانا إذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان وأقول الشيطان حتى يحضر كلام الحق.

قال المصنف رحمه الله قلت: أما القول الأول بأنه يتسلط على الأنبياء جرأة قبيحة وسوء أدب وأما الثاني فمخالف لما أمر الله عز وجل به فإنه قال: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر نا عباد ابن إبراهيم النسفي ثنا محمد بن الحسين السلمي قال وجدت في كتاب أبي بخطة سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الدينوري يقول قد نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامي أحدثوها سموا الطبع زيادة وسوء الأدب." (١)

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/٣٠٨

"يصبر من عادته القرب ولا يقوى على حجبكم من قيمة الحب فإن لم ترك العين فقد يبصرك القلب لما أخلوا له القلوب مما سواه أضاءت قلوبهم وإن كانت لا تراه كأنها تراه ولأجل ما هم فيه من مقام القرب واقفون ومن عظمة ربهم خائفون طالبوا بها الناس به مسامحون عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول اله صلى الله عليه وسلم يا بلال إلق الله فقيرا ولا تلقه غنيا قال يا رسول الله كيف لي بذلك قال هو ذاك وإلا فالنار أصحاب العناية مطالبون بما لا يطالب به المهملون والمقربون يناقشون على ما تسامح به المتعبدون لأنه سبحانه اصطنعهم لنفسه وجعلهم جلساءه في حضرة قدسه فكيف يسامحون في الإخلاء بحسن الآداب **وبحسن الأدب** استحقوا ساميات الرب لما استشفعت الخليفة بسادات المرسلين يوم القيامة تأخر آدم بسبب الشجرة التي نهى عنها وهي خطيئة قد غفرت له وقد تاب مهنا وتأخر نوح بالدعوة على قومه وما أراد بها إلا هلاك أعداء الله وتطهير الأرض والبلاد وأراحة العباد وتأخر الخليل بالديات الثلاث وكلها كانت في ذات الله وطلب مرضاته وتأخر الكليم بالنفس التي قتلها وإنما كان المقتول كافرا باغيا أراد كليم الله كفه ولم يعتمد قتله وكان في ذلك الوقت من اهل النبوة والرسالة وتأخر المسيح خجلا مما فقلت النصارى فيه وذلك ذنب ما جناه ولا إرتضاه علموا ان مقام الشفاعة مقام لا يسامح تقدموا إليه فناقش كل منهم نفسه بأدق ما يلزم ويجب عليه كلما بلغوا من القرب والأنس مقاما ازدادوا لله إجلالا وإعظاما." (١)

"ذكر المصطفين من أهل بغداد

أبو هاشم الزاهد

...

ذكر المصطفين من أهل بغداد

نزل بغداد خلق كثير من العلماء والزهاد والأولياء والعباد وإنما ننتخب منهم من يدخل في شرط كتابنا هذا ونذكرهم على طبقاتهم والله الموفق.

٢٥٤- أبو هاشم الزاهد

قال أبو نعيم الحافظ أبو هاشم من قدماء زهاد بغداد ومن أقران أبي عبد الله البراثي وبلغني أن سفيان الثوري جلس إليه وقال ما زلت آرائي وأنا لا أشعر حتى جالست أبا هاشم فأخذت منه ترك الرثاء.

محمد ين حسين قال حدثني بعض أصحابنا قال قال أبو هاشم الزاهد ان الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة

---

(١) التذكرة في الوعظ ابن الجوزي ص/١٨١

ليكون انس المريدين به دونها وليقبل المطيعون له بالاعراض عنها وأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون والى الآخرة مشتاقون.

وعن حكيم بن جعفر قال نظر أبو هاشم إلى شريك القاضي يخرج من دار يحيى بن خالد فبكى وقال أعوذ بالله من علم لا ينفع.

وعن محمد بن الحسين قال قال أبو هاشم ،لزاهد أخذ المرء نفسه **بحسن الأدب** تأديب أهله.

٢٥٤- هو: أبو هاشم الزاهد المعروف أنظر حلية الأولياء ٢٣٩/١٠. وتاريخ بغداد ٣٩٧/١٤.." [(١)]

"أن تتزوج بي. قلت: ألك والد؟ قالت: نعم، فلان الخياط في موضع كذا وكذا فراسلت أباها أن يزوجها مني ففرح بذلك وأحضرت الشهود فتزوجتها. فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء شوهاء الخلق. فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي. وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك وأزيدها برا وإكراما إلى أن صارت بحيث لا تدعني أخرج من عندها. فتركت حضور المجالس إيثارا لرضاها وحفظا لقلبها. ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة وكأني في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها شيئا من ذلك، إلى أن ماتت فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي.

أبو عمرو بن حمدان قال: سمعت أبا عثمان الحيري يقول: من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة لقوله تعالى: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ النور: ٥٤.

قال ابن حمدان: وقرأت بخط أبي: سمعت أبا عثمان يقول: الخوف من الله يوصلك إليه، والعجب يقطعك عنه، واحتقار الناس في نفسك مرض لا يداوى.

وقال أبو عثمان: حق لمن أعزه الله بالمعرفة أن لا يذل نفسه بالمعصية.

أبو الحسين الوراق قال: سمعت أبا عثمان يقول، وقد سئل عن الصحبة، فقال: الصحبة مع الله عز وجل **بحسن الأدب** ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته، ولزوم ظاهر الحكم، والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة، والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخلق، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر والانبساط ما لم يكن إثما، والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم ورؤية نعمة الله عليك إذ عافاك مما ابتلاهم به.

محمد بن أحمد بن يوسف قال: سمعت أبا عثمان يقول: الذكر الكثير أن تذكر في ذكرك أنك لا تصل

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٤٦٣/١

إلى ذكره إلا به وبفضله.

عبد الكريم بن هوران قال: سمعت أبا عثمان السلمي يقول: سمعت عبد الله بن محمد الشيرازي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: منذ اربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته.

أبو عمرو بن مطر قال: حضرت مجلس أبي عثمان الخيري فخرج ثم قعد على موضعه." (١)

"تجري لها دوي وخرير حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به سكن خريرها وحدتها ولم يحس بها ماء البحر، ولا ظهرت فيه زيادة، ولا إن خرجت منه استبان فيه.

قاسم الحداد قال: خرج أبو يزيد البسطامي في بعض سياحته فوقف على دجلة فالتقى به الشيطان فحول وجهه ثم قال: وعزتك إنك تعلم أني ما عبدتك قط لهذا، فلا تحجبني به عنك.

عبد الصمت بن محمد عن أبي يزيد أنه صعد ليلة سور بسطام فلم يزل يدور على السور إلى وقت طلوع الفجر، يريد أن يقول لا إله إلا الله فيغلبه ما يريد عليه من هيبة الاسم فلا يستطيع أن يطلق بها لسانه، فلما كان وقت طلوع الفجر نزل فبال الدم.

الحسن بن علويه قال: قال أبو يزيد: قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف بي هاتف من يجالس الملوك فينبغي أن يجالسهم **بحسن الأدب.**

الحسن بن علي قال: قال أبو يزيد: أبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه.

عبيد قال: قال أبو يزيد طلقت الدنيا ثلاثا بتات، لا رجعة لي فيها، وصرت إلى ربي وحدي فناديته بالاستغاثة: إلهي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك. فلما عرف صدق العداء من قلبي، اليأس من نفسي، كان أول ما ورد علي من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم.

أبو الحسن المروزي قال: سمعت امرأة أبي يزيد تقول: سمعت أبا يزيد يقول: دعوت نفسي إلى الله فأبت علي واستعصت، فتركتها ومضيت إلى الله عز وجل.

أبو موسى الديبلي قال: سمعت أبا يزيد يقول: الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه، وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبني فقيل له: لم؟ قال: لعله أن يقول لي فيما بين ذلك: يا عبدي، فأقول: لبيك. فقوله لي: عبدي أعجب إلي من الدنيا وما فيها. ثم بعد ذلك يفعل بي ما شاء.

علي بن المثنى قال: سمعت عمي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد يقول: رأيت رب العزة تبارك

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٣٠٢/٢

وتعالى في المنام، فقلت: يا بار خدا، كيف الطريق إليك؟ قال: اترك نفسك ثم تعال.

أبو موسى الديبلي قال: سمعت رجلا يسأل أبا يزيد فقال: دلني على عمل أتقرب به إلى." (١)

"٣٤٧- فصل: عيش الصديقين وعيش البهائم

١٥٢٠- ينبغي أن يكون العمل كله لله، ومعه، ومن أجله، وقد كفاك كل مخلوف، وجلب لك كل خير، وإياك أن تميل عنه بموافقة هوى، وإرضاء مخلوق، فإنه يعكس عليك الحال، ويفوتك المقصود، وفي الحديث: "من أرضى الناس بسخط الله، عاد حامده من الناس ذاما"١.

١٥٢١- وأطيب العيش عيش من يعيش مع الخالق سبحانه، فإن قيل: كيف يعيش معه؟ قلت: بامتثال أمره، واجتناب نهيه، ومراعاة حدوده، والرضا بقضائه، **وحسن الأدب** في الخلوة، وكثرة ذكره، وسلامة القلب من الاعتراض في أقداره، فإن احتجت، سألته، فإن أعطى، وإلا، رضيت بالمنع، وعلمت أنه لم يمنع بخلا، وإنما نظرا لك، ولا تنقطع عن السؤال؛ لأنك تتعبد به، ومتى دمت على ذلك، رزقك محبته، وصدق التوكل عليه، فصارت المحبة تدلك على المقصود، وأثمرت لك محبته إياك، فحينئذ تعيش عيش الصديقين.

ولا خير في عيش إن لم يكن كذا فإن أكثر الناس مخبط في عيشه، يداري الأسباب، ويميل إليها بقلبه، ويتعب في تحصيل الرزق بحرص زائد على الحد، وبرغبة إلى الخلق، ويعترض عند انكسار الأغراض، والقدر يجري، ولا يبالي بسخط، ولا يحصل له إلا ما قدر، وقد فاته القرب من الحق، والمحبة له، والتأدب معه، فذلك العيش عيش البهائم.

---

١ رواه البزار "كشف الأستار: ٣٥٦٨"، والبيهقي في الزهد "٨٨٧" عن عائشة رضي الله عنها.." (٢)

"بن المأمون ، أنبأنا الدارقطني ، حدثنا عمرو بن محمد بن شعيب ، حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثني

الوليد بن عطاء ، حدثنا عبد الله بن عبد العزيز ، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مصل إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره ، فإن أتمها عرجا بها ، وإن لم يتمها ضربا بها وجهه.

يا غائب القلب في صلاته ، يا شتيت الهم في جهاته ، يا مشغولا بآفاته عن ذكر وفاته ، يا قليل الزاد مع

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٣٠٦/٢

(٢) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٤٦٤

قرب مماته ، يا من يرحل عن الدنيا في كل لحظة مرحلة ، وكتابه قد حوى حتى مقدار خردلة ، وما ينتفع بنذير والنذر متصلة ، وما يرعوي لنصيح وكم قد عذله ، ودروعه متخرقة والسهام مرسلة ، ونور الهدى قد يرى وما رآه ولا تأمله ، وهو يأمل البقاء وقد رأى مصير من أمله ، وأجله قد دنا ولكن أمه قد شغله ، وقد انعكف على العيب بعد الشيب بصبابة ووله ، ويحضر بدنه في الصلاة فأما القلب فقد أهمله ، كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة ، ونعم جسدك فلا بد للدود أن يأكله ، يا عجبا من فتور مؤمن بالجزاء والمسألة ، أيقين بالنجاة أم غرور وبله ، بادر ما بقي من العمر واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن لا قيمة له.

إخواني: حسن الأدب في الصلاة دليل على معرفة المخدوم ، والتفات البدن دليل على إعراض القلب ، وقد وصفت لك أحوال الخاشعين ، فهل أنت منهم أو من الغافلين.

سجع على قوله تعالى

﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ سبحان من قومهم وأصلحهم ، وعاملوه باليسير فأربحهم ، واعتذروا من التقصير فسامحهم ، وقد أثنى عليهم ومدحهم ، أفتعون ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ .." [1]

"وبمعنى الأجر لكم فيها خير

وبمعنى الأفضل وأنت خير الراحمين

وبمعنى العفة ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا

وبمعنى الصلاح إن علمتم فيهم خيرا

وبمعنى الطعام إني لما أنزلت إلى من خير فقير

وبمعنى الظفر لم ينالوا خيرا

وبمعنى الخيل أحببت حب الخير

وبمعنى القوة أهم خير

وبمعنى حسن الأدب لكان خيرا لهم

وبمعنى حب الدنيا إنه لحب الخير لشديد

باب الدين

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ١/٣٨٧

الدين يذكر ويراد به الجزاء مالك يوم الدين

ويراد به الإسلام بالهدى ودين الحق

ويراد به العذاب ذلك الدين القيم

ويراد به الطاعة ولا يدينون دين الحق

ويراد به التوحيد مخلصين له الدين

ويراد به الحكم ما كان ليأخذ آخاه في دين الملك

ويراد به الحد ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله

ويراد به الحساب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق

ويراد به العبادة قل أتعلمون الله بدينكم

ويراد به الملة: ذلك دين القيمة

باب الذكر

الذكر يذكر ويراد به ذكر اللسان فاذكروا الله كذكركم آباءكم

ويراد به الحفظ فاذكروا ما فيه

ويراد به الطاعة فاذكروني." (١)

"استعن على سيرك إلى الله بترك من شغلك عن الله عز وجل وليس بشاغل يشغلك عن الله عز وجل كنفسك التي هي بين جنبيك

قال وحدثني أبو القاسم المخرمي قال سمعت أبا على الروذباري يقول النفس مجبولة **على سوء الأدب** والعبد مأمور بملازمة الأدب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد مجتهد في ردها فمتى أعانها فهو شريكها في فسادها

قال ابن جهضم وحدثني خلف بن الحسن العباداني قال سمعت سمنونا يقول أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه

قال وحدثنا محمد بن أحمد الزبيري قال حدثنا أبو بكر الكناني قال قال لي علي بن سعيد رأيت في النوم

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٢٨

امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت قالت حوراء قلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدي قلت فما مهرك قالت حبس نفسك عن مألوفاتها

أخبرنا علي بن أبي عمر قال أنبأنا رزق الله وطراد قالا أنبأنا ابن بشران قال حدثنا ابن صفوان قال حدثنا أبو بكر بن عبيد قال حدثنا سلمة بن شبيب عن إبراهيم بن الأشعث سمع الفضل بن عياض يقول في قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم قالا لا تغفلوا عن أنفسكم فإن من غفل عن نفسه فقد قتلها

أخبرنا أبو بكر الصوفي قال أنبأنا ابن أبي صادق قال أنبأنا ابن باكويه قال سمعت أحمد بن علي البوازيجي قال سمعت أبا عمران الحديثي يقول ما مددت يدي مذ عقلت عن الله عز وجل ولنفسي فيه نصيب ولولا أن الله عز وجل أودعنا هذه النفوس بحفظها له لجعلنا على ذروة كل جبل منها قطعة." (١)

"عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:

"إذا جلس أحدكم على حاجته؛ فلا يستقبلن القلبة ولا يستدبرها".

وأما أبو داود: فأخرجه عن عبد الله بن محمد النفيلي، عن ابن المبارك، عن محمد بن عجلان، بالإسناد وذكر معنى حديث الشافعي بتقديم وتأخير.

وأما النسائي: فأخرجه عن يعقوب بن إبراهيم، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن عجلان، بالإسناد مثل أبي داود ونحوه، وقد رواه الشافعي في كتاب "القديم"، عن بعض أصحابهم، عن يحيى بن سعيد القطان، عن ابن عجلان، بإسناده مختصرا في الأمر بالاستنجاء بثلاثة أحجار، والنهي عن الروث والرمة.

وفي الباب عن عائشة، وخزيمة بن ثابت، وابن مسعود، وجابر، ورويفع بن ثابت.

اللام في قوله "إنما أنا لكم" لام الملك، أو لام أجل، أي لأجلكم.

"ومثل الشيء": شبهه ونطيره، يقال: هو مثله ومثله، وشبهه وشبهه، وهو اسم معرب مضاف أبدا، إلا أنه لا تفيد الإضافة فيه تعريف ا، تقول: مررت برجل مثلك، فكل من عداه تناوله لفظ "مثل" إذا كان يشبهه، ولذلك يوصف به النكرة؛ فتقول:

مررت برجل مثلك، فيجوز هذا اللفظ أن يكون أراد أنه مر به وبمثله، وأنه مر بمثله لا به.

وقوله "بمنزلة الوالد" و"مثل الوالد" يعني أن الأب كما أنه يعلم ولده **حسن الأدب** في ما يأتيه ويذره من

---

(١) ذم الهوى ابن الجوزي ص/٤٩

قول وفعل؛ فكذلك أنا لكم أعلمكم ما لكم وعليكم.

و"الغائط": في أصل الوضع الموضع المطمئن من الأرض.." [١]

"وتقول من الثاني: عتق -بالفتح- يعتق -بالكسر- عتقا فهو عتيق أي معتق.

وقوله في رواية البخاري: "اسمعوا مني ما أقول لكم" إلى قوله: "قال ابن عباس" يريد بهذا القول الثاني والتثبت فيما يقولونه له من السؤال؛ ما لاستفهام وما يقوله لهم من الجواب والفتيا، بحيث يجتمعون هو وإياهم في التحقيق بين السؤال والجواز، فإن الجواب إنما يكون بحسب السؤال، فربما سألوه عن شيء ولا يوضحون له غرضهم؛ أو يجيبهم بشيء ولا يفهمونه فلا يحفظونه، فيحكونه عنه بخلاف ما قاله من زيادة أو نقصان وينسبونه إليه، فيقولون: قال ابن عباس، قال ابن عباس وهو منه بريء.

وفي هذا: حث على **حسن الأدب**، ومخاطبة العلماء ومراجعتهم.

وأخبرنا الشافعي -رضي الله عنه- أخبرنا سفيان، حدثنا عبد الله بن أبي يزيد قال: أخبرني أبي قال: أرسل عمر إلى شيخ من بني زهرة، فجئت معه إلى عمر وهو في الحجر، فسأله عن ولاد من ولاد الجاهلية، فقال الشيخ: أما النطفة فمن فلان، وأما الولد فعلى فراش فلان. فقال عمر: صدقت. ولكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قضى بالولد للفراش، فلما ولى الشيخ دعاه عمر فقال: أخبرني عن بناء البيت فقال: إن قريشا كانت تقوت لبناء البيت فعجزوا، فتركوا بعضها في الحجر. فقال له عمر: صدقت.

الولاد: مصدر ولدت تقول: ولدت المرأة ولادا وولادة، وأولدت حان ولادها.

والنطفة: القليل من الماء، ولهذا سمى به ماء الرجل.

ومعنى هذا الكلام: أن الجاهلية كان لهم نكاح يسمونه نكاح الاستبضاع: كان الرجل يقول لامرأته -إذا طهرت من طمثها-: أرسلي إلى فلان فاستبضعي، ويعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي يستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك: رغبة." [٢]

"له ممن قبضه له قبض، وإذا وهب الإنسان أولاده فليسو بينهم، ذكرهم وأنثاهم، فإن خص بعضهم؛ انعقدت الهبة مع تركه الأحب.

وبه قال أبو حنيفة ومالك وأبو يوسف، وقال أحمد وإسحاق وطاوس: لا يجوز التفضيل بين الذكور، وأما الأنثى فتعطى نصف ما يعطى الذكر، وحكم الهبة إذا صحت زوال الملك ولزومه؛ إلا فيما يهب [الوالد

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي ابن الأثير، أبو السعادات ١٦٣/١

(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي ابن الأثير، أبو السعادات ٤٩٨/٣

ولده] (١) وإن سفل فإنه يجوز الرجوع فيه، وبه قال الأوزاعي وأحمد وإسحاق، وقال مالك: يجوز مع ابن الصلب إذا لم ينتفع به.

وقال أبو حنيفة والثوري: ليس له الرجوع في ذلك ولا إذا وهب أحدا من ذوي رحم محرم من النسب.

قال الشافعي: حديث النعمان بن بشير حديث ثابت وبه نأخذ.

وفيه دلالة على أمور منها: **حسن الأدب** في أن لا يفضل رجل أحدا من ولده على بعض في نحل؛ فيعرض في قلب المفضل عليه شيء يمنعه من بره؛ لأن كثيرا من قلوب الآدميين جبل على الإقصار عن بعض البر إذا أوثر عليه.

وفيه دلالة على أن نحل الوالد بعض ولده دون [بعض] (٢) جائز من قبل أنه لو كان لا يجوز كان أن يقال: إعطاؤك إياه وتركه سواء لأنه غير جائز، وهو على أصل ملكك الأول؛ أشبه من أن يقال: ارجعه.

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: "فارجعه" دليل على أن للوالد رد ما أعطى الولد؛ فإنه لا يحرج بارتجاعه فيه.

قال: وقد روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: "أشهد غيري" وهذا يدل على أنه اختيار.

---

(١) في "الأصل": الولد وولده.

(٢) ليست في "الأصل"، والمثبت من المعرفة (٥/ ١٥).." [1]

"في ابن ملجم بعدما ضربه: أطعموه واسقوه وأحسنوا أساره، فإن عشت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت، وإن شئت استقدت، وإن مت فقتلتموه فلا تمثلوا.

الإسار -بكسر الهمزة-: الأسر.

وولي الدم: متولي أمره أي: أنا الذي أتولى أمر دمي.

والاستقادة: أخذ القود وهو القصاص.

ومثلت بالقتيل -مخففا-: إذا جدعت أطرافه وشوهت خلقته، تقول: مثلت به أمثل، وأما مثلت -بالتشديد- فللتكثير.

وفي هذا الحديث من **حسن الأدب** وشرف الأخلاق؛ ما هو جدير أن يصدر عن مثل علي -كرم الله وجهه- فأولها: أنه قال: "أطعموه واسقوه" فقدم ما هو الأهم الذي به قوام الروح والحياة مثل: الطعام

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي ابن الأثير، أبو السعادات ٤/٢٢٣

والشراب الذي لا غناء عنه، ثم ثنى بقوله: "وأحسنوا أساره" أي: ارفقوا به والطفوا له، ولا تضيقوا شده وحبسه، ولا تسيئوا الصنيع به، لعلمه بما عندهم من الحنق عليه والغيظ منه، ثم إنه علل هذا القول بقوله: "فإن عشت فأنا ولي دمي" أي: إني أرجو الحياة وفي روح وربما برأت، وحينئذ يكون أمر دمي إلي لا إليكم، فاوقع في أسماعهم وأثبت في أنفسهم أنه ممن يرجو الحياة، حتى لا يكونوا يبطشون بابن ملجم يعجلون عليه ويخالفونه في وصيته به ورفقهم بشأنه، لما غلب على ظنهم أن عليا لا يبرأ من ضربته تلك. وهذا من ألطف أبواب الرحمة حتى إنه ربما بطشوا به وعجلوا عليه؛ بما كانوا عليه من الأنفس الأبية والنخوة العربية بطلب الأوتار ودرك الثأر، ولذلك قال لهم: "فإن عشت أعفو إن شئت، وإن شئت استقدت" فجعل الأمر مترددا بين العفو والقود ليكون جامعا للحالين.

ثم قال لهم تسكينا يريهم: "وإن مت فقتلتموه فلا تمثلوا به" أي: لا يحملكم الغيظ على المثلة به وتشويه خلقته، وهذا غاية في الرفق والإحسان؛ أن يوصيهم." (١)

"يعجل تخليص النفوس من الأذى ... ويدني من الدار التي هي أشرف

ابن عبد ربه:

يا غافلا ما يرى إلا محاسنه ... ولو درى ما رأى إلا مساويه

أنظر إلى باطن الدنيا فظاهرها ... كل البهائم يجري طرفها فيه

فصل

كراهية الغلو في المزاح، لذوي الألباب الصحاح

قال ابن وكيع التنيسي:

لا تمزحن فإن مزحت فلا تكن ... مزحا تضاف به **إلى سوء الأدب**

واحذر ممازحة تقود عداوة ... إن المزاح على مقدمة العطب

أبو الفتح البستي:

أفد طبعك المكدود بالهم راحة ... براح وعلله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

وقال آخر:

لا توردن على الصديق ... من الدعابة ما يغمه

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي ابن الأثير، أبو السعادات ٥/٢٤٥

واحذر بوادر طيشه ... يوما إذا ما غاب حلمه

فالعجل تنطحه، على ... إدمان مص الضرع، أمه

وقال أبو نواس:

خل جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام

مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

ربما استفتحت بالمز ... ح مغاليق الحمام

رب مزح ساق آجا ... ل قيام ونيام

إنما السالم من أل ... جم فاه بلجام

فالبس الناس على الصح (م) ة منهم والسقام

وعليك القصد إن (م) القصد أبقى للجمام

فصل في حكم متباينة المقاصد جمة الفوائد

قال زهير بن أبي سلمى:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره، ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن يك ذا مال فيبخل بماله ... على قومه، يستغن عنه ويذمم

ومن لم يصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

وقال آخر ويروى لعلي كرم الله وجهه:

يمثل ذو اللب في نفسه ... مصائبه قبل أن تنزلا

فإن نزلت بغتة لم ترعه ... لما كان في نفسه مثلا

وذو الجهل يأمن أيامه ... وينسى مصارع من قد خلا

فإن دهمته صروف الزمان ... ببعض نوائبها أعولا

وقال المعلوط السعدي:

متى ما يرى الناس الغني، وجاره ... فقير يقولوا: عاجز وجليد

وليس الغنى والفقر من حيل الفتى ... ولكن أحاظ قسمت وجدود

إذا المرء أعيته السيادة ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

وكائن رأينا من غني مذمم ... وصعلوك قوم مات وهو حميد

بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي نصيح أو فصاحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافي قوة للقوادم

وما خير كف أمسك الغل أختها ... وما خير سيف لم يؤيد بقائم

وخل الهوينا للضعيف ولا تكن ... نؤوما فإن الحزم ليس بنائم

وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة ... شبا الحرب خير من قبول المظالم

وأدن على القربى المقرب نفسه ... ولا تشهد الشورى امرءا غير كاتم

فإنك لا تستطرد الهم بالمنى ... ولا تبلغ العليا بغير المكارم

وما قارع الأقوام مثل مشيع ... أريب، ولا جلى العمى مثل عالم

وقال أيضا:

حذف المنى عنه المشمر في الهدى ... وأرى مناك طويلة الأذيال

حيل ابن آدم في الحياة كثيرة ... والموت يقطع حيلة المحتال

قست السؤال فكان أعظم قيمة ... من كل عارفة جرت بسؤال

فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا ... فابذله للمتكرم المفضال

وإذا خشيت تعذرا في بلدة ... فاشدد يديك بعاجل الترحال

واصبر على غير الزمان فإنما ... فرج الشدائد مثل حل عقال

وقال الآخر:

تحظى النفوس مع العيان ... وقد يصيب مع المظنه

كم من مضيق في الفضا ... ء ومخرج بين الأسنه

وقال آخر:

إذا المرء أولاك الهوان فأوله ... هوانا وإن كانت قريبا أواصره

وإن أنت لم تقدر على أن تهينه ... فدعه إلى اليوم الذي أنت قادره

وقارب إذا لم تكن لك قدرة ... وصمم إذا أيقنت أنك عاقره

ابن نباتة السعدي:

أسر إليك مقال النصيح ... ولست إلى النصح بالمفتقر." (١)

"الكيس؟ قال: تدبير المعيشة مع طلب الآخرة، قال: فما السؤدد؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل المؤونة، قال: فما السناء؟ قال: **حسن الأدب** ورعاية الحسب، قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز النفس وإسلام العرس، قال: فما الخرق؟ قال: مماراة الأمراء ومعاداة الوزراء، قال: فما الدناءة؟ قال: الجلوس على الخسف والرضا بالهون، قال: فما المجد؟ قال: عز السلف وقدوم الشرف، قال: فما الأروم؟ قال: الأصل الصميم والبيت القديم، قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس وشدة القنوط، فقال: أبوهما أحسنتما جميعا وقلتما الصواب.." (٢)

"زين له طاعة من الطاعات تستلزم كثيرا من المعاصي والمخالفات فيقول له انظر إلى عباد الله قد فسدت قلوبهم واعرضوا عن ربهم وأقبلوا على دنياهم وتركوا أمر مولاهم فاخرج إلى عباد الله وانصحهم في دين الله بدلالتهم عليه وإرشادهم إليه فلأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير مما طلعت عليه الشمس فتحثه نفسه على ذلك لعلمها بما يحصل لها من الرئاسة والتعظيم والإجلال والخدمة ونفوذ الكلمة واعتقاد الولاية فيخرج إلى الناس ليدعوهم إلى ذلك فيعظموه ويوقروه ويبذلوا له أنفسهم وأموالهم ويبجلونه غاية التبجيل ويعظمونه أقصى التعظيم وتستشعر النفس بلذة لم تستشعرها قط فترائي في بعض المواطن لئلا تزول تلك المنزلة

وإذا رد عليه شيء من كلامه غضب كيف يرد على مثله وربما قابل الراد بالشتم والسب مع كونه محقا في رده وربما اغتابه ونال منه ونسبه إلى الجهل وسوء الأدب وربما وقعت منه زلة أو ركوب أمر مباح لا يليق بأمثاله فيخشى من نقص منزلته عند أصحابه فيأتي من الرياء والتصنع والتسميع ما يمحو به ذلك من قلوب أصحابه فيصير معرضا عن الله تعالى بعد أن كان مقبلا عليه وظاعنا عنه بعد أن كان سائرا إليه ومتباعدا منه بعد أن كان متقربا إليه ولو لم يخرج إلى الناس ليسلم من هذا كله وإنما يخرج إلى الناس من رسخت قدمه في التقوى ووثق بالسلامة من هذه المفاسد في غالب الأمر وإنما يحصل." (٣)

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ابن شمس الخلافة ص/٣١

(٢) تذكرة الآباء وتسليه الأبناء = الدراري في ذكر الزراري ابن العديم ص/٧١

(٣) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل ابن عبد السلام ص/١٧٤

"البلاء، ودرك الشفاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء".

وقال مطرف: لأن أعافى فأشكر، أحب إلي من أن ابتلى فأصبر.

١٢ . فصل في بيان أيهما أفضل الصبر أم الشكر

واختلف الناس: هل الصبر أفضل من الشكر، أو بالعكس؟ وفى ذلك كلام طويل، ذكره المصنف رحمه الله، وتلخيص القول فيه: أن لكل واحد من الصبر والشكر درجات.

فأقل درجات الصبر، ترك الشكوى مع الكراهة، ووراءها المرضى، وهو مقام وراء الصبر، ووراء ذلك الشكر على البلاء وهو وراء الرضى.

ودرجات الشكر كثيرة، فإن حياء العبد مع تتابع نعم الله عليه شكر، ومعرفته بالصبر عن الشكر شكر، والمعرفة بعظيم حلم الله وستره شكر، والاعتراف بأن النعم ابتداء من الله بغير استحقاق شكر، والعلم بأن الشكر نعمة من نعم الله شكر، وحسن التواضع في النعم والتذلل فيها شكر، وشكر الوسائط شكر، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: " لا يشكر الله من لا يشكر الناس" وقلة الاعتراض **وحسن الأدب** بين يدي المنعم شكر، وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر، فما يندرج من الأعمال والأقوال تحت اسم الشكر والصبر لا ينحصر، وهى درجات مختلفة، فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر؟

لكن نقول: إذا أضيف إلى الشكر الذي هو صرف المال إلى الطاعة، فالشكر أفضل، لأنه تضمن الصبر أيضا، وفيه فرح بنعمة الله عز وجل، وفيه احتمال ألم في صرفه إلى الفقراء، وترك صرفه إلى التنعيم المباح، فهو أفضل من الصبر بهذا الاعتبار.

وأما إذا كان شكر المال ألا يستعين به على معصية، بل يصرفه إلى التنعيم المباح، فالصبر هنا أفضل من الشكر، والفقير الصابر أفضل من الممسك ماله الصارف له في المباحات، لأن الفقير قد جاهد نفسه وأحسن الصبر على بلاء الله تعالى، وجميع ما ورد من تفضيل أجزاء الصبر على الشكر، إنما أريد به هذه الرتبة على الخصوص، لأن." (١)

"أما قوله صلى الله عليه وسلم: "والصبر ضياء" فمعناه: الصبر المحبوب في الشرع وهو الصبر على طاعة الله تعالى والصبر على معصيته والصبر أيضا على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا والمراد أن الصبر

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٢٩٥

محمود لا يزال صاحبه مستضيئا به مهتديا مستمرا على الصواب. قال إبراهيم الخواص: الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة. وقيل: الصبر هو الوقوف مع البلاء **بحسن الأدب**. وقال أبو علي الدقاق رحمه الله: الصبر: أن لا يعترض على المقدور. فأما إظهار البلاء على وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في حق أيوب عليه السلام: ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾ ١ مع أنه قال: ﴿أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ ٢. والله أعلم.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "والقرآن حجة لك أو عليك" فمعناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به، وإلا فهو حجة عليك.

وقوله: "كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها" معناه: أن كل إنسان يسعى لنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته له فيعتقها من العذاب كما قال الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ ٣. ومن يبيعها للشيطان والهوى باتباعها فيوبقها أي يهلكها. اللهم وفقنا للعمل بطاعتك وجنبنا أن نوبق أنفسنا بمخالفتك.

______

١ سورة ص: الآية ٤٤.

٢ سورة الأنبياء: الآية ٨٣.

٣ سورة التوبة: الآية ١١١.." (١)

"١٧٥ - الحديث السادس: عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال «لما أفاء الله على رسوله يوم حنين: قسم في الناس، وفي المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا. فكأنهم وجدوا في أنفسهم، إذ لم يصبهم ما أصاب الناس. فخطبهم، فقال: يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن. قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله؟ قالوا: الله ورسوله أمن قال: لو شئتم لقلتم: جئتنا كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس واديا أو شعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها. الأنصار شعار، والناس دثار. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض.»

______ تحمل ما عليه.

______

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ابن دقيق العيد ص/٨٦

الثاني: أن يكون إخبارا عن أمر وقع ومضى. وهو تسلف صدقة عامين من العباس وقد روي في ذلك حديث منصوص " إنا تعجلنا منه صدقة عامين " يجمع النخلتين أصل واحد.

[حديث لما أفاء الله على رسوله يوم حنين]

في الحديث دليل على إعطاء المؤلفة قلوبهم، إلا أن هذا ليس من الزكاة فلا يدخل في بابها، إلا بطريق أن يقاس إعطاؤهم من الزكاة على إعطائهم من الفيء والخمس. وقوله " فكأنهم وجدوا في أنفسهم " تعبير حسن كسي **حسن الأدب** في الدلالة على ما كان في أنفسهم، وفي الحديث دليل على إقامة الحجة عند الحاجة." (١)

". . . . .

ــــــــــ الثاني: قول " ائذن لي أيها الأمير في أن أحدثك " فيه **حسن الأدب** في المخاطبة للأكابر - لا سيما الملوك - لا سيما فيما يخالف مقصودهم؛ لأن ذلك يكون أدعى للقبول، لا سيما في حق من يعرف منه ارتكاب غرضه، فإن الغلظة عليه قد تكون سببا لإثارة نفسه، ومعاندة من يخاطبه.

وقوله " أحدثك قولا قام به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فسمعته أذناي. ووعاه قلبي " تحقيق لما يريد أن يخبر به. وقوله " سمعته أذناي " نفي لوهم أن يكون رواه عن غيره وقوله " ووعاه قلبي " تحقيق لفهمه، والتثبت في تعقل معناه.

الثالث: قوله " فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر: أن يسفك بها دما " يؤخذ منه أمران:

أحدهما: تحريم القتال بمكة لأهل مكة. وهو الذي يدل عليه سياق الحديث ولفظه. وقد قال بذلك بعض الفقهاء. قال القفال في شرح التلخيص، في أول كتاب النكاح، في ذكر الخصائص: لا يجوز القتال بمكة. قال: حتى لو تحصن جماعة من الكفار فيها لم يجز لنا قتالهم فيها وحكى الماوردي أيضا: أن من خصائص الحرم: أن لا يحارب أهله إن بغوا على أهل العدل. فقد قال بعض الفقهاء: يحرم قتالهم، بل يضيق عليهم حتى يرجعوا إلى الطاعة، ويدخلوا في أحكام أهل العدل، قال وقال جمهور الفقهاء: يقاتلون على البغي إذا لم يمكن ردهم عن البغي إلا بالقتال؛ لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التي لا يجوز إضاعتها، فحفظها في الحرم أولى من إضاعتها.

وقيل: إن هذا الذي نقله عن جمهور الفقهاء: نص عليه الشافعي في كتاب اختلاف الحديث من كتب

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ابن دقيق العيد ٣٨٤/١

الأم ونص عليه أيضا في آخر كتابه المسمى بسير الواقدي. وقيل: إن الشافعي أجاب عن الأحاديث: بأن معناها تحريم نصب القتال عليهم وقتالهم بما يعم، كالمنجنيق وغيره، إذا لم يمكن إصلاح الحال بدون ذلك، بخلاف ما إذا انحصر الكفار في بلد آخر. فإنه يجوز قتالهم على كل وجه، وبكل شيء. والله أعلم.

وأقول: هذا التأويل على خلاف الظاهر القوي، الذي دل عليه عموم النكرة في سياق النفي، في قوله - صلى الله عليه وسلم - «فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما» وأيضا فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - بين خصوصيته لإحلالها له ساعة من نهار وقال " فإن أحد ترخص بقتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم " فأبان بهذا اللفظ: أن المأذون للرسول - صلى الله عليه وسلم - فيه لم يؤذن فيه لغيره. والذي أذن." (١)

" ٣٥١ - الحديث الثالث: عن عبيد الله بن عقبة بن مسعود عن

ـــــــوقد ينطلق "كتاب الله " على حكم الله مطلقا. والأولى: حمل هذه اللفظة على هذا؛ لأنه ذكر فيه التغريب، وليس ذلك منصوصا في كتاب الله، إلا أن يؤخذ ذلك بواسطة أمر الله - تعالى - بطاعة الرسول وأتباعه. وفي قوله " وأذن لي " حسن الأدب في المخاطبة للأكابر. وقوله "كان عسيفا " أي أجيرا. وقوله " فافتديت منه " أي من الرجم. وفيه دليل على شرعية التغريب مع الجلد، والحنفية يخالفون فيه، بناء على أن التغريب ليس مذكورا في القرآن، وأن الزيادة على النص نسخ، ونسخ القرآن بخبر الواحد غير جائز وغيرهم يخالفهم في تلك المقدمة وهي أن الزيادة على النص نسخ والمسألة مقررة في علم الأصول. وفي قوله " فسألت أهل العلم " دليل على الرجوع إلى العلماء عند اشتباه الأحكام والشك فيها، ودليل على الفتوى في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ودليل على استصحاب الحال، والحكم بالأصل في استمرار الأحكام الثابتة، وإن كان يمكن زوالها في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنسخ. وقوله " رد عليك " أي مردود أطلق المصدر على اسم المفعول وفيه دليل على أن ما أخذ بالمعارضة الفاسدة يجب رده ولا يملك، وبه يتبين ضعف عذر من اعتذر من أصحاب الشافعي عن بعض العقود الفاسدة عنده بأن المتعاوضين أذن كل واحد منهما للآخر في التصرف في ملكه، وجعل ذلك سببا لجواز التصرف، فإن ذلك الإذن ليس مطلقا، وإنما هو مبني على المعارضة الفاسدة وفي الحديث دليل على أن ما يستعمل من الألفاظ في محل الاستفتاء يسامح به في إقامة الحد أو التعزير فإن هذا الرجل قذف المرأة بالزنا، ولم

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ابن دقيق العيد ٦٠/٢

يتعرض النبي – صلى الله عليه وسلم – لأمر حده بالقذف وأعرض عن ذلك ابتداء، وفيه تصريح بحكم الرجم، وفيه استنابة الإمام في إقامة الحدود، ولعله يؤخذ منه: أن ال إقرار مرة واحدة يكفي في إقامة الحد فإنه رتب رجمها على مجرد اعترافها ولم يقيده بعدد، وقد يستدل به على عدم الجمع بين الجلد والرجم فإنه لم يعرفه أنيسا، ولا أمره به.." [1]

"تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)). قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه؛ قال فأخبرني عن الإيمان. قال ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ـــــ

ـــــ

وأما طلوع جبريل (عليه السلام) على تلك الهيئة والشأن فإشارة إلى معنى قوله: ((حسن الأدب في الباطن)) ولذلك أدب الله رسوله (عليه السلام) بقوله: (وثيابك فطهر والرجز فاهجر)؛ على هذا ينزل نزوله عليه السلام أحيانا في صورة دحية (رضي الله عنه)؛ لأنه كان من اجمل الناس، ومن ثمة كان الإمام مالك (رضي الله عنه) إذغ أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه، وسرح لحيته وتطيب، وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة، ثم حدث، فقيل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث (– صلى الله عليه وسلم –).

قوله: ((أخبرني عن الإسلام)) الإسلام الانقياد والطاعة عن الطوع والرغبة من غير اعتراض، يقال: سلم وأسلمو (استسلم) إذا خضع وأذعن، ولذلك أجاب عنه بالأركان الخمسة، و ((أن)) في قوله: (أن لا إله إلا الله)) هي المخففة عن المثقلة، يدل عليه عطف: ((وأن محمدا)).

قوله: ((وأن تقيم الصلاة)) إقامة الصلاة تعديل أركانها وإدامتها، والصلاة فعلة من: صلى بمعنى دعا أو حرك الصلوين؛ لأن المصلى يحركها في ركوعه وسجوده، كالزكاة من: زكى بمعنى نما او طهر، غفإن المال يزيد بأداء الزكاة ويطهر به، وكالصوم من، صام إذا امسك، والحج من: حج إذا قصد، و ((البيت)) اسم جنس غلب على الكعبة وصار علما له.

فإن قلت: كيف خص الأخير بقيد الإستطاعة دون سائرها؛ فإن الاستطاعة التي يتمكن بها المكلف من فعل الطاعة مشروطة في الكل؟ قلت: المعني بهذه الاستطاعة الزاد والراحلة. وكانت طائفة لا يعدونها منها، ويثقلون على الحاج، فنهوا عن ذلك. أو علم الله تعالى: (لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة)) ولتلك العناية

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ابن دقيق العيد ٢/٢٣٨

أنزل الله تعلى: (من استطاع)) ومع ذلك نرى كثيرا من الناس لا يرفعون بهذا النص الجلي رأسا، ويلقون أنفسهم بأيديهم إلى التهلكة.

قوله: ((أخبرني عن الإيمان)) إفعال من الأمن، وهو طمأنينة النفس عن إزالة خوف وشك، يقال: أمنه إذا صدقه، وحقيقته آمنة التكذيب والمخالفة. وإن قيل: قوله: ((أن تؤمن بالله)) في جواب الإيمان يوهم التكرار. فالجواب أن الإيمان الذي هو بمعنى التصديق تعدى بنفسه، كما تقول: آمنته وأمنته، والذي يعدى بالباء يتضمن معنى اعترف به أو وثق به، كانه قيل: الإيمان الاعتراف بالله، ووثوق به.

______." (١)

"وفي رواية لمسلم: ((فإن أحدكم إذا كان يعتمد إلي الصلاة فهو في صلاة)).

وهذا الباب خال عن الفصل الثاني

______

الفاعل، وهو أبلغ في النهي من لا تسعوا؛ لتصوير **حال سوء الأدب**، وأنه مناف لما هو أولي به من الوقار والسكينة، ومن ثم عقبه بما ينبه علي **حسن الأدب** من قوله: ((وأتوها تمشون)) كقوله تعالي: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون علي الأرض هونا﴾ ثم ذيل المفهومين بقوله: ((وعليكم السكينة)) أي الزموا السكينة في جميع أموركم، خصوصا في الوفود إلي جناب رب العزة، والفاء جزاء شرط محذوف، أي إذا بينت لكم ما هو أولي بكم فما أدركتم فصلوا.

فإن قلت: كيف الجمع بين النهي عن السعي في الحديث والأمر به في قوله تعالي: ﴿فاسعوا إلي ذكر الله﴾؟ قلت: السعي في الآية بمعنى القصد والنية، ويستعمل السعي في التصرف في كل عمل، قال الله تعالي: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾، ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ يدل عليه بقوله: ﴿وذروا البيع﴾ أي اشتغلوا بأمر معادكم وما والاه من ذكر الله، واتركوا أمر معاشكم من البيع والشراء، كقوله تعالي: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾. قال الحسن (رحمه الله): ليس السعي علي الأقدام، ولكنه علي النيات والقلوب.

((حس)): اختلفوا فيمن يخاف فوت التكبيرة الأولي فمنهم من قال: يسرع، حتى قيل: يهرول، روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع الإقامة وهو بالبقيع فأسرع إلي المسجد. ومنهم من كره الإسراع، واختار المشي بالوقار لهذا الحديث، وقال: فيه دليل علي أن ما يدركه المرء من صلاة إمامه هو أول صلاته؛ لأن

______

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢/٤٢٤

لفظ الإتمام يقع علي باقي شيء تقدم أوله، وهو مذهب علي، وأبي الدرداء رضي الله عنهما وجمع من التابعين، وبه قال الشافعي.

قوله: ((يعتمد إلي الصلاة فهو في صلاة)) ((مح)): يستحب للذاهب إلي الصلاة أن لا يعبث بيده، ولا يتكلم بقبح، ولا ينظر نظرا قبيحا، ويتجنب ما أمكنه مما يتجنبه المصلي، وإذا وصل إلي المسجد وقعد ينتظر الصلاة، كان الاعتناء بما ذكرناه آكد، وفي رواية: ((وعليه السكينة والوقار)) قيل هما بمعنى، وجمع بينهما تأكيدا، والظاهر أن بينهما فرقا، وأن السكينة التإني في الحركات، واجتناب العبث ونحو ذلك، والوقار في الهيئة وغض البصر، وخفض الصوت والإقبال علي طريقه بغير التفات، ونحو ذلك.." (١)

"٧١٠ - وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا قام أحدكم إلي الصلاة فلا يبصق أمامه؛ فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه؛ فإن عن يمينه ملكا. وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها)).

٧١١ - وفي رواية أبي سعيد: ((تحت قدمه اليسرى)) متفق عليه.

٧١٢ - وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي لم يقم منه: ((لعن الله اليهود والنصارى: اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) متفق عليه.

الحديث الحادي والعشرون عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: ((فلا يبصق أمامه)) ((مظ)): لعل المراد من النهي أن يبصق المصلي تلقاء وجهه صيانة للقبلة عما ليس فيه تعظيمها.

أقول: قوله: ((فإنما يناجي الله)) تعليل للنهي شبه العبد وتوجهه إلي الله تعالي في الصلاة وما فيها من القراءة والأذكار، وكشف الأسرار، واستنزال رأفته، ورحمته مع الخشوع والخضوع بمن يناجي مولاه ومالكه، ومن شرائط **حسن الأدب** أن يقف محازيه، ويطرق رأسه، ولا يمد بصره إليه، ويراعي جهة أمامه؛ حتى لا يصدر منه من تلك الهنات شيء، وإن كان الله تعالي منزها عن الجهات؛ لأن الآداب الظاهرة والباطنة مرتبطة بعضها مع بعض، وأما جواز البصاق عن اليسار وتحت قدميه مع كونه في المناجاة فلا يتصور فيه معنى المجازاة والمقابلة.

قوله: ((ولا عن يمينه)) ((تو)): يحتمل أن يراد بالملك الذي يحضره عند الصلاة من جهة التأييد والإلهام بقلبه، والتأمين علي دعائه، ويكون سبيله سبيل الزائر، ومن حق المزور أن يكرم زائره فوق ما يختصه من

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣/٩٢٤

الكرام الكاتبين، ويحتمل أن يخص صاحب اليمين بالكرامة تنبيها علي ما بين الملكين المزية كما بين اليمين والشمال، وتميزا بين ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولهذا نكره. كأنه أراد ملكا مكرما مفضلا، أو ملكا غير الذي تعلمون من الحفظة.

الحديث الثاني والعشرون عن عائشة: قوله: ((في مرضه)) لعله صلى الله عليه وسلم عرف بالمعجزة أنه مرتحل، فخاف من الناس أن يعظموا قبره كما فعل اليهود والنصارى، فعرض بلعن اليهود والنصارى وصنيعهم لئلا يعاملوا قبره معاملتهم. و ((اتخذوا)) جملة مستأنفة علي سبيل البيان لموجب اللعن، كأنه قيل: لم يلعنهم؟ فأجيب بقوله: اتخذوا .... ((قض)): لما كان اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم، ويجعلونها قبلة، ويتوجهون في الصلاة نحوها، فاتخذوها أوثانا، لعنهم، ومنع المسلمين عن مثل ذلك، ونهاهم عنه. أما من اتخذ مسجدا في جوار صالح، أو صلي في مقبرته، وقصد به الاستظهار بروحه، أو وصول أثر من آثار عبادته إليه، لا التعظيم له والتوجه نحوه- فلا حرج عليه، ألا ترى أن مرقد إسماعيل (عليه السلام) في المسجد الحرام عند الحطيم؟ ثم إن ذلك المسجد أفضل مكان يتحرى المصلي لصلاته. والنهي عن الصلاة في المقابر مختص بالمقابر المنبوشة؛ لما فيها من النجاسة.." (١)

"من الركعة، قال: ((سمع الله لمن حمده)). فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، فلما انصرف قال: ((من المتكلم آنفا؟)). قال: أنا. قال: ((رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها، أيهم يكتبها أول)). رواه البخاري.

الفصل الثاني

٨٧٨ - عن أبي مسعود الأنصاري، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود)). رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٨٧٩ - وعن عقبة بن عامر، قال: لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اجعلوها في ركوعكم)) فلما نزلت ((سبح اسم ربك الأعلي) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اجعلوها في سجودكم)). رواه أبو داود، وابن ماجه، والدارمي. [٨٧٩].

٨٨٠ - وعن عون بن عبد الله، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا ركع أحدكم، فقال في ركوعه: سبحان ربي العظيم، ثلاث مرات، فقد تم ركوعه، وذلك أدناه. وإذا سجد، فقال

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٩٣٧/٣

في سجوده: سبحان ربي الأعلي، ثلاث مرات، فقد تم سجوده، وذلك أدناه)) رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه. وقال الترمذي.

الآخر، ويصعد بها إلي حضرة الله تعالي لعظم قدرها، ومضى بقية شرحه وإعرابه في الحديث الثالث من باب ما يقرأ بعد التكبير.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي مسعود رضي الله عنه: قوله: ((حتى يقيم ظهره)) ((مظ)): يعني لا يجوز صلاته من لا يسوي ظهره في الركوع والسجود، والمراد منهما الطمإنينة، وهي واجبة عند الشافعي وأحمد في الركوع والسجود ونحوهما، وعند أبي حنيفة ليست بواجبة. وفيه بحث؛ لأن الطمإنينة أمر، والاعتدال أمر.

الحديث الثاني عن عقبة: قوله: ((سبح اسم ربك الأعلي)) ((نه)): الاسم ههنا صلة وزيادة، بدليل أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: ((سبحان ربي الأعلي)) فحذف الاسم، وهذا علي قول من زعم أن الاسم غير المسمى، وقيل: يجوز أن يكون الاسم غير صلة، والمعنى تنزه اسمه من أن يبذل، وأن يذكر علي وجه التعظيم. وقال الإمام فخر الدين الرازي: إنه كما يجب تنزيه ذاته عن النقائض، يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب.." (١)

"٩٢٥ - وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي، حتى أرد عليه السلام)). رواه أبو داود، والبيهقي في ((الدعوات الكبير)).

٩٢٦ - وعنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)). رواه النسائي. [٩٢٦]

الأرض يسيح سياحة، إذا ذهب فيها، وأصله من السيح، وهو الماء الجاري المنبسط علي الأرض، وفيه تعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلال لمنزلته، حيث سخر الملائكة الكرام لهذا الشأن المفخم.

الحديث الرابع عن أبي هريرة: قوله: ((رد الله علي روحي)) ينهون إليه صلوات أمته، كما ينهي أمور الرعية إلي الملوك، لعل معناه يكون روحه المقدسة في شأن ما في الحضرة الإلهية، فإذا بلغه سلام أحد من الأمة رد الله سبحانه وتعإلي روحه المطهرة من تلك الحالة إلي رد من سلم عليه، وكذلك شأنه وعادته في الدنيا

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٠١٨/٣

يفيض علي أمته من سحاب الوحي الإلهي ما أفاض الله عليه، ولا يشغله هذا الشأن- وهو شأن إفاضة الأنوار القدسية علي أمته- عن شأنه بالحضرة الإلهية، كما كان في عالم الشهادة لا يشغله شأن عن شأن، والمقام المحمود في العقبى عبارة عن هذا المعنى، فهو عليه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والبرزخ والعقبى في شأن أمته.

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: ((عيدا)) ((تو)): يحتمل أن يراد به واحد الأعياد، أي لا تجعلوا زيارة قبري عيدا، أو قبري مطهر عيد، والمعنى لا تجتمعوا للزيارة اجتماعكم للعيد، فإنه يوم لهو وسرور وزينة، وحال الزيارة مخالفة لتلك الحالة، وكان ذلك من دأب اليهود والنصارى، فأورثهم ذلك الغفلة، وقسوة القلب، ومن عادة عبدة الأصنام أنهم لم يزالوا يعظمون أمواتهم حتى اتخذوها أصناما، وإلي هذا أشار صلى الله عليه وسلم: ((اللهم! لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله علي قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)). ويحتمل أن يكون العيد اسما من الاعتياد، يقال: عادة، واعتاده، وتعوده، أي صار عادة له، يعني لا تجعلوا قبري محل اعتياد تعتادونه؛ لما يؤدي ذلك **إلي سوء الأدب**، وارتفاع الحشمة. ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)) أي لا تتكلفوا المعاودة إلي فقد استغنيتم عنه بالصلاة علي.

وأقول: بيان نظم الحديث أن يقال: لا تجعلوا بيوتكم قبورا، معناه لا تجعلوا بيوتكم كالقبور الخالية عن ذكر الله تعالي وعبادته، لأنها غير صالحة لها، وكذلك لا تجعلوا القبور كالبيوت محلا للاعتياد لحوائجكم، ومكانا للعبادة والصلاة، أو مرجعا للسرور والزينة كالعيد.." (١)

"فلم أر كاليوم منظرا قط أفظع. ورأيت أكثر أهلها النساء)). قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: ((بكفرهن)): قيل: يكفرن بالله؟ قال: ((يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلي إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط)). متفق عليه.

١٤٨٣ - وعن عائشة نحو حديث ابن عباس، وقالت: ثم سجد فأطال السجود، ثم انصرف وقد انجلت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا

قوله: ((لأكلتم منه)) الخطاب عام في كل جماعة يتأتى منهم السماع والأكل إلي يوم القيامة، بدليل قوله:

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٠٤٣/٣

((ما بقيت الدنيا)). ((قض)): ووجه ذلك إما بأن يخلق الله تعالي مكان كل حبة تقتطف حبة أخرى، كما هو المروي في خواص ثمر الجنة، أو بأن يتولد منه مثله في الزرع فيبقى نوعه ما بقيت الدنيا، فيؤكل منه. ((مظ)): وسبب تركه صلى الله عليه وسلم تناول العنقود أنه لو تناوله ورآه الناس لكان إيمانهم بالشهادة لا بالغيب، فيرتفع التكليف. قال تعالي" ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها﴾. قوله: ((ولم أر كاليوم منظرا)) أي لم أر منظرا مثل المنظر الذي رأيته اليوم أي منظرا هولا وفظيعا. والفظيع: الشديد الشنيع. قوله: ((وتكفرن الإحسان)) أي إحسان العشير. والجملة مع الواو مبينة للجملة الأولي علي طريقة أعجبني زيد وكرمه، والخطاب في ((لو أحسنت)) عام لكل من يتأتى منه الإحسان.

الحديث الرابع عن عائشة: قوله: ((أغير من الله)) ((نه)) الغيرة هي الحمية والأنفة، يقال: غرت علي أهلي، أغار غيرة، فأنا غائر. وغيور للمبالغة. ((نه)): ((أن يزني)) متعلق بـ ((أغير)) – وحذف الجار من ((أن)) قياس مستمر – ونسبة الغيرة إلي الله تعالي مجاز محمول علي غاية إظهار غضبه علي الزإني، وإنزال نكاله عليه. ووجه اتصال هذا المعنى بما قبله هو أنه صلى الله عليه وسلم لما خوف أمته من الكسوفين، وحرضهم علي الفزع والالتجاء إلي الله تعالي بالتكبير والدعاء، والصلاة، والتصدق، أراد أن يردعهم عن المعاصي كلها، فخص منها الزنا، وفخم شأنها في الفظاعة، وندب أمته بقوله: ((يا أمة محمد)) ونسب الغيرة إلي الله تعالي. ولعل تخصيص العبد والأمة بالذكر رعاية **لحسن الأدب**، لأن أصل الغيرة أن يستعمل في الأهل والزوج، فامتنع من نسبة ذلك إلي الله تعالي تنزيها لجنابه الأقدس عنه. ويجوز أن تكون نسبة هذه الغيرة إلي الله تعالي من باب الاستعارة المصرحة التبعية، شبه حالة ما يفعل الله تعالي مع عبده الزإني من الانتقام وحلول العقاب عليه بحالة ما يفعل السيد بعبده الزإني من الزجر والتعزير، ثم كرر الندبة ليتعلق به ما ينتسبه به علي سبب الندبة، والفزع إلي الله تعالي من علم بالله تعالي وبغضبه، فقال: ((يا أمة محمد – إلي قوله: لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا)). والقلة ها هنا بمعنى العدم، كما في قوله: ((قليل التشكي)) أي عديمه، وقوله تعالي: ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾ وأنشد صاحب الكشاف:." (١)

"١٦٠٩ – وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تحفة المؤمن الموت)) رواه البيهقي في ((شعب الإيمان)). [١٦٠٩]

١٦٠١ – وعن بريدة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن يموت بعرق الجبين)). رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه [١٦١٠]

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٣١٢/٤

وذلك أن من **أحسن الأدب** بين يدي مولاه وتحرى رضاه أحب قربه وكره بعده، ومن أساء يكره قربه ويحب بعده، والبعد من الله تعالي هو الركون إلي الدنيا وزخارفها، والقرب إلي الله تعالي هو طلب الآخرة بالاجتهاد في طاعته.

قوله: ((فمن فعل ذلك)) المشار إليه جميع ما سبق، فمن أهمل من ذلك شيئا لم يخرج من عهدة الاستحياء، وظهر من هذا أن جملة الإنسان وخلقته من رأسه إلي قدمه، ظاهره وباطنه معدن العيب، ومكان المخازي، وأن الله سبحانه وتعالي هو العالم بها والواقف علي ما ينشأ منها من المقابح؛ فحق الحياء أن يستحيي منه ويصونها عما يعاب فيها. وربما وقفت علي هذا المعنى في أول الكتاب عند قوله صلى الله عليه وسلم: ((الحياء شعبة من الإيمان)) فلا تنكر التكرار، فإنه مقبول إذا ورد فيما يهتم بشأنه؛ إيقاظا، وتنبيها علي تنبيه. والله أعلم.

الحديث الرابع عن عبد الله: قوله: ((تحفة المؤمن الموت)) اعلم أن الموت ذريعة إلي وصول السعادة الكبرى، ووسيلة إلي نيل الدرجة العليا، وهو أحد الأسباب الموصلة للإنسان إلي النعيم الأبدي، وهو انتقال من دار إلي دار، فهو وإن كان في الظاهر فناء واضمحلال، ولكن في الحقيقة ولادة ثانية، وهو باب من أبواب الجنة، منه يتوصل إليها، ولو لم يكن الموت لم تكن الجنة. ((تو)): التحفة طرفة الفاكهة، وقد تفتح الحاء والجمع: التحف، ثم يستعمل في غير الفاكهة ن الألطاف، قال الأزهري: أصلها وحفة، فأبدلت الواو تاء، يريد به ما له عند الله تعالي من الخير الذي لا يصل إليه إلا بالموت.

الحديث الخامس عن بريدة: قوله: ((بعرق الجبين)) ((تو)): فيه وجهان: أحدهما هو ما يكابده من شدة السياق التي يعرق دونها الجبين. وفي الحديث ابن مسعود رضي الله عنه ((موت المؤمن بعرق الجبين، يبقى عليه البقية من الذنوب فيجازف بها عند الموت)) أي يشدد عليه ليمحص عنه ذنوبه. قال الهروي: يجازف: أي يقايس، فيكون كفارة لذنوبه، والمجازفة المقايسة بالمخراف، وهو الميل الذي تسير به الجراحات. وثإنيهما أنه كناية عن كد المؤمن في طلب الحلال، وتضييقه علي النفس بالصوم والصلاة، حتى يلقى الله. والأول أظهر.." (١)

"١٦٢٨ - وعنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها)). قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك، قال: ((ويقول أهل السماء: روح طيبة

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٣٦٨/٤

جاءت من أرض طيبة، صلي الله عليك وعلي جسد كنت تعمرينه، فينطلق به إلي ربه، ثم يقول: انطلقوا به إلي آخر الأجل)). قال: ((وإن الكافر إذا خرجت روحه)) قال حماد: وذكر من نتنها وذكر لعا ((ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، فيقال: انطلقوا به إلي آخر الأجل)) قال أبو هريرة: فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة كانت عليه علي أنفه هكذا. رواه مسلم.

١٦٢٩ – وعنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا حضر المؤمن أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك إلي روح الله وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا حتى

الحديث الثالث: عن أبي هريرة: قوله: ((قال حماد)) هو حماد بن زيد، أحد رواة هذا الحديث. وقوله: ((فذكر من طيب ريحها)) ويحتمل أن يكون فاعل ((فذكر)) رسول الله أو الصحابي، يريد أنه صلى الله عليه وسلم وصف طيب ريحها، وذكر المسك، لكن لم يعلم أن ذلك كان علي طريقة التشبيه، أو الاستعارة، أو غير ذلك.

قوله: ((صلي الله عليك)) التفت فيها من الغيبة في قوله: ((جاءت)) إلي الخطاب. وفائدته مزيد اختصاص بالصلاة عليها. وقوله: ((تعمرينه)) استعارة شبه تدبيرها الجسد بالعمل الصالح عمارة من يتولي المدينة ويعمرها بالعدل والصلاح.

قوله: ((إلي آخر)) يعلم من هذا أن لكل أحد أجلين، أولا وآخرا، ويشهد له قوله تعالي: ﴿ثم قضي أجلا وأجل مسمى عنده﴾ أي أجل الموت، وأجل القيامة. قوله: ((فيقال: انطلقوا)) ذكر هنا ((فيقال)) وثمة ((ثم يقول)) مراعاة **لحسن الأدب** حيث نسب الرحمة إلي الله تعالي، والغضب لم ينسب إليه، كما في قوله تعالي: ﴿أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم﴾.

قوله: ((ريطة)) ((نه)): الريطة كل ملاءة ليست لفقين، وقيل: كل ثوب رقيق لين، والجمع ريط ورياط، رد صلوات الله عليه الريطة علي الأنف، لما كوشف له وشم من نتن ريح روح الكافر، كما أنه صلى الله عليه وسلم غطى رأسه حين مر بالحجر لما شاهد من عذاب أهلها.

الحديث الرابع عن أبي هريرة: قوله: ((فتخرج كأطيب ريح المسك)) الكاف صفة مصدر محذوف، أي تخرج خروجا مثل ريح مسك تفتق فارتها، وهو قد فاق علي سائر أرواح المسك.." (١)

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٣٧٨/٤

"٥٣٤٠ – وعن أم العلاء الأنصارية، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والله لا أدري، والله لا أدري، وأنا رسول الله، ما يفعل بي ولا بكم)). رواه البخاري.

٥٣٤١ – وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عرضت علي النار، فرأيت فيها امرأة من بين إسرائيل تعذب في هرة لها، ربطتها لم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا، ورأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب)). رواه مسلم.

قال الشيخ أبو حامد: هذا الحديث من الأسرار التي أودعها قلب الأمين الصادق محمد صلى الله عليه وسلم، [ولا يجوز] إفشاء السر؛ فإن صدور الأحرار قبور الأسرار بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا؛ فإن البكاء ثمرة شجرة حياة القلب الحي بذكر الله واستشعار عظمته وهيبته وجلاله، والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك. فبالحقيقة حث الخلق على طلب القلب الحي والتعوذ من القلب الغافل. انتهى كلامه. وقوله: ((لبكيتم)) جواب القسم الساد مسد جواب ((لو)).

الحديث الثاني عن أم العلاء: قوله: ((لا أدري، وأنا رسول الله)) فيه وجوه:

أحدها: أن هذا القول منه حين قالت امرأة لعثمان بن مظعون – لما توفي -: هنيئا لك الجنة؛ زجرا لها **على سوء الأدب** بالحكم على الغيب، ونظيره قوله لعائشة رضي الله عنها حين سمعها تقول: طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة: أو غير ذلك يا عائشة!.

وثانيها: أن يكون هذا منسوخا بقوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ كما ذكره ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾.

وثالثها: أن يكون نفيا للدراية المفصلة دون المجملة.

ورابعها: أن يكون مخصوصا بالأمور الدنيوية من غير النظر إلى سبب ورود الحديث.

((تو)): لا يجوز حمل هذا الحديث وما ورد في معناه على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مترددا في عاقبة أمره، غير متيقن بماله عند الله من الحسنى؛ لما ورد عنه من الأحاديث الصحاح التي ينقطع العذر دونها بخلاف ذلك، وأنى يحمل على ذلك؟ وهو المخبر عن الله تعالى أنه يبلغه المقام المحمود، وأنه أكرم الخلائق على الله تعالى، وأنه أول شافع وأول مشفع.

الحديث الثالث عن جابر رضي الله عنه قوله: ((من خشاش الأرض)) ((نه)): أي هوامها." [1]

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣٣٧٩/١١

"الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وإن حق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا» وإنما أخبر معاذ بذلك والله أعلم خوفا من إثم كتمان العلم في الصحيحين عنه «أنه كان رديف النبي – صلى الله عليه وسلم – على الرحل فناداه ثلاثا كل مرة يجيبه لبيك يا رسول الله وسعديك قال ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار. قال يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشرون؟ قال إذا يتكلوا وأخبر بها معاذ عند موته تأثما» .

قال ابن هبيرة لم يكن يكتمها إلا عن جاهل يحمله جهله **على سوء الأدب** بترك الخدمة في الطاعة، فأما الأكياس الذين سمعوا بمثل هذا ازدادوا في الطاعة ورأوا أن زيادة النعم تستدعي زيادة الطاعة فلا وجه لكتمانها عنهم. وفيه زهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتواضعه والإرداف، وقرب الرديف، وأراد بندائه ثلاثا استنصاته وحضور قلبه، وفيه جواز إخفاء بعض العلم للمصلحة في ترك العمل اتكالا على الرخصة. قال: وقوله " ما حق العباد على الله؟ " أي ما جزاؤهم؟ فعبر عن الجزاء بالحق. وذكر قول بنت شعيب:

﴿ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ [القصص: ٢٥] كذا قال والله أعلم. وتوبة الكافر من كفره، قبولها مقطوع به جزم به في شرح مسلم." (١)

"الأخلاق قبل ذكره الزهد وقال ابن هبيرة الحنبلي الوزير ليكن غاية أملك من عدوك الإنصاف فمتى طلبته منه كان سائر الخلق عونا لك، فأما أخوك وصديقك فعاملهما بالفضل والمسامحة لا بالعدل.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في الإمام أحمد في أثناء كلام له فبارك الله فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم وإنه لكما قال مطريه:

يرينك إما غاب عنك فإن دنا ... رأيت له وجها يسرك مقبلا

يعلم هذا الخلق ما شذ عنهم ... من الأدب المجهول كهفا ومعقلا

ويحسر في ذات الإله إذا رأى ... مضيما لأهل الحق لا يسأم البلى

وإخوانه الأدنون كل موفق ... بصير بأمر الله يسمو إلى العلى

وقال الخلال ثنا المروذي قال: قال لي أحمد ما كتبت حديثا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا وقد عملت به حتى مر بي في الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – «احتجم وأعطى أبا طيبة دينارا» ،

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ١٢٠/١

فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت.

وقال الحسين بن إسماعيل سمعت أبي يقول كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء على خمسة آلاف، أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلمون منه **حسن الأدب** وحسن السمت.

وقال محمد بن مسلم كنا نهاب أن نراد أحمد بن حنبل في الشيء أو نحاجه في شيء من الأشياء، يعني لجلالته ولهيبة الإسلام الذي رزقه.

وقال الميموني ما رأيت أحدا أنظف ثوبا ولا أشد تعاهدا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ولا أنقى ثوبا وأشد بيانا من أحمد بن حنبل.

وقالت فاطمة بنت أحمد بن حنبل وقع الحريق في بيت أخي صالح وكان قد تزوج إلى قوم مياسير فحملوا إليه جهازا شبيها بأربعة آلاف دينار فأكلته النار فجعل صالح يقول ما غمني ما ذهب مني إلا ثوب أبي كان يصلى فيه أتبرك به وأصلي فيه، قالت فطفئ الحريق ودخلوا فوجدوا الثوب على سرير قد أكلت النار ما حوله والثوب سالم قال ابن الجوزي: وهكذا بلغني عن." (١)

"من هذا **حسن الأدب** فيما يفعله الناس عند إمام العصر من النهوض لسماع توقيعاته.

وقد ذكر هذا الحافظ ابن الأخضر فيمن روى عن أحمد في ترجمته أبي زرعة الرازي قال: سمعت أحمد بن حنبل وذكر عنده إبراهيم بن طهمان وكان متكئا من علة فاستوى جالسا وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فنتكئ وقال الشافعي لا يطلب هذا العلم أحد بالملك وعزة النفس فيفلح لكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح وقال أبو توبة البغدادي رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام فقلت له يا أبا عبد الله هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث فقال هذا يفوت وذاك لا يفوت.

وروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنهم اليوم كثير قال: واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فيهم قال: فترك ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الحديث فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح علي من التراب فيخرج فيقول يا ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلى فآتيك؟ فأقول أنا أحق

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ١٢/٢

أن آتيك، فاسأله عن الحديث قال فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي فيقول هذا الفتى كان أعقل مني.

وفي الصحيحين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قرأ على أبي بن كعب: ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ [البينة: ١] .." [(١)]

"يدعب ويضحك حتى يسيل لعابه فإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك.

قال ابن عبد البر وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة. ومن التوصل إلى الأعراض واستجلاب الضغائن وإفساد الإخاء. كان يقال لكل شيء بدء وبدء العداوة المزاح وكان يقال لو كان المزاح فحلا ما ألقح إلا الشر قال سعيد بن العاص لا تمازح الشريف فيحقد، ولا الدني فيجترئ عليك.

وقال ميمون بن مهران إذا كان المزاح أمام الكلام، فآخره الشتم واللطام وقال جعفر بن محمد إياكم والمزاح فإنه يذهب بهاء الوجه، كان خالد بن صفوان يكره المزاح ويقول يسعط أحدهم أخاه بأحر من الخردل، ويفرغ عليه أشد من غلي المرجل، ويقول مازحته.

وقال إبراهيم النخعي لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر السخف بضم السين رقة العقل، وقد سخف الرجل بالضم سخافة فهو سخيف مثل حامقته.

قال أبو هفان:

مازح صديقك ما أحب مزاحا ... وتوق منه في المزاح مزاحا

فلربما مزح الصديق بمزحة ... كانت لباب عداوة مفتاحا

وقال آخر:

لا تمزحن فإذا مزحت فلا يكن ... مزحا تضاف به **إلى سوء الأدب**

واحذر ممازحة تعود عداوة ... إن المزاح على مقدمة الغضب

وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – «إياكم وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه»

قال عمر بن الخطاب من كثر ضحكه استخف به وذهب بهاؤه وقال بعض الحكماء إياك والمشي في غير أدب، والضحك من غير سبب.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٢٤

وقال بعض الشعراء:

الكبر ذل والتواضع رفعة ... والمزح والضحك الكثير سقوط." [١]

"[فصول خاصة بالقرآن والمصحف] [فصل في كراهة نقط المصحف وشكله وكتابة الأخماس والأعشار وأسماء السور]

الفصول الخاصة بالقرآن والمصحف

فصل (في كراهة نقط المصحف وشكله وكتابة الأخماس والأعشار وأسماء السور) وعدد الآيات فيه روايتان، وعنه يستحب نقطه وقال ابن حمدان ومثله شكله، ويكره التغير فيه وعنه لا بأس به، وتحرم مخالفة خط عثمان في واو وياء وألف أو غير ذلك نص عليه، ويجوز تقبيل المصحف، قدمه في الرعاية وغيرها.

وعنه يستحب لأن عكرمة بن أبي جهل كان يفعل ذلك رواه جماعة منهم الدارمي وأبو بكر عبد العزيز، وعنه التوقف فيه وفي جعله على عينيه قال القاضي في الجامع الكبير إنما توقف عن ذلك وإن كان فيه رفعة وإكرام لأن ما طريقه القرب إذا لم يكن للقياس فيه مدخل لا يستحب فعله وإن كان فيه تعظيم إلا بتوقيف ألا ترى أن عمر لما رأى الحجر قال لا تضر ولا تنفع ولولا أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبلك ما قبلتك.

وكذلك معاوية لما طاف فقبل الأركان كلها أنكر عليه ابن عباس، فقال: ليس في البيت شيء مهجور، فقال إنما هي السنة فأنكر عليه الزيادة على فعل النبي – صلى الله عليه وسلم –. وسبق بنحو ثلاثة كراريس أن أحمد استوى جالسا لما ذكر عنده إبراهيم بن طهمان، وقول ابن عقيل أخذت من هذا **أحسن الأدب**." [٢]

"وأفتى محمد بن أبي زيد فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال **أردت سوء الأدب** ولم أرد القرآن قال يؤدب القائل قال: وأما من لعن المصحف فإنه يقتل انتهى كلامه، وكذا محمد بن الحسن بن مقسم أبو بكر المقرئ النحوي أحد الأئمة استتيب من قراءته بما لا يصح نقله فكان يقرأ بذلك في المحراب ويعتمد على ما يسوغ في العربية وإن لم يعرف له قارئ. توفي بعد الخمسين وثلاث مائة.

ويحرم السفر به إلى أرض العدو للخبر المتفق عليه. وقيل إن كثر العسكر وأمن استيلاء العدو عليه فلا، لقوله في الخبر " مخافة أن تناله أيديهم ".

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٢٢٣

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٢٨٣

وقال في المستوعب يكره أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو إلا أن يكون العسكر كثيرا فيكون الغالب فيه السلامة والأول هو الذي ذكره في الشرح وقدمه في الرعاية.

وللإمام ونائبه أن يكتبا في كتبهما إلى الكفار آيتين أو أقل كالتسمية في الرسالة. وهل للذمي نسخه بين يديه بدون حمله ولمسه عىى روايتين ويمنع من قراءته نص عليه، وقيل لا يمنع منها بل يمنع من لمسه وتملكه. ويمنع المسلم من تمليكه له فإن ملكه بإرث أو غيره ألزم بإزالة ملكه عنه. ويجوز للمسلم والذمي أخذ الأجرة على نسخ المصحف نص عليه.." (١)

"[فصل في الاستماع للقرآن والإنصات والأدب له]

) ويستحب استماع القراءة وهو قول الشافعية، ويكره الحديث عندها بما لا فائدة فيه، وحكى ابن المنذر في الإشراف إجماع العلماء على أنه لا يجب الاستماع للقراءة في غير الصلاة والخطبة، وتكلم الشيخ تقي الدين بن تيمية على الخشوع وعلى ذم قسوة القلب، وقال: فإن قيل فخشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحق واجب قيل نعم، لكن الناس فيه على قسمين: مقتصد وسابق، فالسابقون يختصون بالمستحبات، والمقتصدون الأبرار هم عموم المؤمنين المستحقين للجنة، ومن لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء فهو ظالم لنفسه، انتهى كلامه.

وقال ابن عقيل في الفنون ما أخوفني أن أساكن معصية فتكون سببا في سقوط عملي وسقوط منزلة إن كانت عند الله تعالى بعدما سمعت قوله تعالى ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] وهذا يدل على أن في بعض التسبب وسوء الأدب على الشريعة ما يحبط الأعمال، ولا يشعر العامل إلا أنه عصيان ينتهي إلى رتبة الإحباط، هذا يترك الفطن خائفا وجلا من الإقدام على المآثم ثم خوفا أن يكون تحتها من العقوبة ما يشاكل هذه إلى أن قال: أليس بيننا كتاب الله عز وجل وهو كلامه الذي كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتزمل ويتدثر لنزوله، والجن تنصت لاستماعه وأمر بالتأدب بقوله: ﴿فاستمعوا له وأنصتوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .

فعم كل قارئ، وهذا موجود بيننا. فلما أمرنا بالإنصات إلى كلام مخلوق." (٢)

"كان أمر الناس بالإنصات إلى كلامه أولى. والقارئ يقرأ وأنتم معرضون، وربما أصغيتم إلى النغمة استثارة للهوى، فالله الله لا تنس الأدب فيما وجب عليك فيه **حسن الأدب**، ما أخوفني أن يكون المصحف

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٢٨٧

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٣١٧

في بيتك وأنت مرتكب لنواهي الحق سبحانه فيه فتدخل تحت قوله: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ [آل عمران: ١٨٧] .

فهجران الأوائل كلام الحق يوجب عليك ما أوجب عليهم من الإبعاد والمقت، فقد نبهك على التأدب له من أدبك للوالدين، والتأدب للأبوين يوجب التأدب لله عز وجل؛ لأنه المبتدئ بالنعم، فالله الله في إهمال ما وجب لله تعالى من الأدب عند تلاوة القرآن، والإنصات للفهم والنهضة للعمل بالحكم إيفاء للحقوق إذا وجبت، وصبرا على أثقال التكاليف إذا حضرت، وتلقيا بالتسليم للمصائب إذا نزلت، وحشمة للحق سبحانه في كل أخذ وترك حيث نبهك على سبب الحشمة فقال: ﴿والظاهر والباطن - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ [فصلت: 3 - ٥٣] .

وق ال ابن هبيرة: كره السؤال بالقرآن لثلاث معان:

(أحدها) أن الناس يكرهون بالطبع سماع سؤال السائل فإذا أعرضوا عن القارئ الذي يسأل بالقرآن أعرضوا عن القرآن فيحملهم القارئ على أن يأثموا.

(والثاني) أنه ربما قرأ وهم معرضون عنه، وقد أمروا بالإنصات للقرآن فيعرضهم للإثم أيضا.

(الثالث) أن يأتي بأعز الأشياء فيستشفع به في أخسها.." (١)

"ورمان وريحان وطرفاء ونحوها، وكذا ذكر غير واحد أنه يخلل ما بين المواضع بعد الأكل قال صاحب النظم، والق ذلك وهذا للخبر عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا «من أكل فما تخلل فليلفظ، ومن لاك بلسانه فليبلع من فعل فقد أحسن، ومن لا فلا حرج» . رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهم وفي إسناده حصين بن الحميري الحبراني عن أبي سعيد الخير ويقال أبو سعد وهما مجهولان فلهذا ضعفه غير واحد وصححه ابن حبان وغيره وضعفه أولى، وقياس قول الأصحاب العمل به في الاستحباب كما قالوا بما فيه من المستجمر، والمكتحل، ولا يأكل ما يشرب عليه الخمر، ولا مختلطا بحرام بلا ضرورة.

قال بعض أصحابنا ومن الآداب أن لا يأكل إلا مطمئنا وهذا خلاف أشهر التفسيرين فيما رواه من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - «أما أنا فلا آكل متكئا» أي لا آكل أكل راغب في الدنيا متمكن بل آكل مستوفزا بحسب الحاجة وقد فسر ذلك بالتربع لم ا فيه من التجبر.

وعنه - عليه السلام - أنه قال «إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد، وآكل كما يأكل العبد» وفسر الاتكاء بالميل على الجنب، والاستناد إلى شيء وهذا هو المتبادر إلى الفهم عرفا وهو يضر من جهة الطب

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣١٨/٢

لتغير الأعضاء، والمعدة عن الوضع الطبيعي ولا يصل الغذاء بسهولة.

وقال ابن هبيرة أكل الرجل متكئا يدل على استخفافه بنعمة الله فيما قدمه بين يديه من رزقه وفيما يراه الله من ذلك على تناوله، ويخالف عوائد الناس عند أكلهم الطعام من الجلوس إلى أن يتكئ فإن هذا يجمع **بين سوء الأدب**، والجهل واحتقار النعمة، ولأنه إذا كان متكئا لا يصل الغذاء إلى قعر المعدة الذي هو محل الهضم فلذلك لم يفعله النبي - صلى الله عليه وسلم - ونبه على كراهته.." (١)

"٤ - باب القران في التمر بين الشركاء حتى يستأذن أصحابه

٢٤٨٩ - حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا سفيان حدثنا جبلة بن سحيم قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقرن الرجل بين التمرتين جميعا، حتى يستأذن أصحابه. [انظر: ٢٤٥٥ - مسلم: ٢٠٤٥ - فتح: ٥/ ١٣١]

٢٤٩٠ - حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن جبلة قال: كنا بالمدينة فأصابتنا سنة، فكان ابن الزبير يرزقنا التمر، وكان ابن عمر يمر بنا فيقول: لا تقرنوا فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن الإقران، إلا أن يستأذن الرجل منكم أخاه. [انظر: ٢٤٥٥ - مسلم: ٢٠٤٥ - فتح: ٥/ ١٣١]

ذكر فيه حديث ابن عمر: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقرن الرجل بين التمرتين جميعا حتى يستأذن أصحابه.

وحديث جبلة: كنا بالمدينة فأصابتنا سنة، فكان ابن الزبير يرزقنا التمر، وكان ابن عمر يمر بنا فيقول: لا تقرنوا فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن الإقران، إلا أن يستأذن الرجل منكم أخاه.

وقد سلف واضحا، والنهي عن القرآن فيه عند العلماء من باب **حسن الأدب** في الأكل؛ لأن القوم الذين وضع بين أيديهم هم كالمتساوين في أكله، فإن استأثر أحدهم بأكثر من صاحبه لم يجز له ذلك، ومن هذا الباب جعل أهل العلم النهي عن النهبة في طعام النثر في الأعراس وغيرها لما فيه **من سوء الأدب** والاستئثار بما لا تطيب عليه نفس صاحب الطعام.." (٢)

"الإنسان على غير عوض، ويلزم آخذه العار، يعني بذلك الأمراء ومن في معناهم ممن يتقى شره.

والرغاء: صوت الإبل (١)، والخوار -بالخاء-: صوت البقر (٢)، وقال ابن التين: هو بالخاء والجيم، وهو في "المطالع" بلفظ الجرار الصوت، وروي حوار، والمعنى واحد، إلا أنه بالخاء يستعمل في الظباء والشاء

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ١٨٢/٣

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٦٩/١٦

والجيم للبقر والناس. و (تيعر): تصيح، واليعار: صوت الشاة، يعرت تيعر يعارا (٣).

و (عفرة إبطيه): بياضهما، قال صاحب "العين": العفرة: غبرة في حمرة كون الظبي الأعفر (٤).

وتكريره: "اللهم هل بلغت" ليسمع من لم يسمع؛ وليبلغ الشاهد الغائب، كره للتأكيد.

وفيه -أعني حديث الصعب-: رد الهدية وهو غاية الأدب فيه؛ لأنها لا تحل للمهدى إليه؛ من أجل أنه محرم.

ومن **حسن الأدب** أن يكافأ المهدي، وربما عسرت المكافأة فردها إلى من يجوز له الانتفاع بها أولى من تكلف المكافأة، مع أنه لو قبله لم يكن له سبيل إلى غير تسريحه؛ لأنه لا يجوز له ذبحه، وهو محرم.

ويؤخذ منه أنه لا يجوز قبول هدية من كان ماله حراما على المهدى إليه، وكذا من عرف بالغصب والظلم.

---

(١) انظر: "لسان العرب" ٣/ ١٦٨٤ (رغا).

(٢) انظر: "لسان العرب" ٣/ ١٢٨٥ (خور).

(٣) انظر: "مقاييس اللغة" (١١١٠) مادة (يعر).

(٤) "العين" ٢/ ١٢٣.." [1]

"٣٥ - باب من أضاف رجلا إلى طعام، وأقبل هو على عمله

٥٤٣٥ - حدثني عبد الله بن منير، سمع النضر، أخبرنا ابن عون قال: أخبرني ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس - رضي الله عنه - قال: كنت غلاما أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على غلام له خياط، فأتاه بقصعة فيها طعام وعليه دباء، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتتبع الدباء: -قال- فلما رأيت ذلك جعلت أجمعه بين يديه -قال:- فأقبل الغلام على عمله. قال أنس: لا أزال أحب الدباء بعد ما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صنع ما صنع. [انظر: ٢٠٩٢ - مسلم: ٢٠٤١ - فتح: ٩/ ٥٦٢].

ذكر فيه حديث أنس - رضي الله عنه - في الخياط أيضا.

وفيه: حجة أن للمضيف أن يقدم الطعام إلى ضيفه ولا يأكل منه، ولا يكون ذلك **من سوء الأدب** بضيفه، ولا إخلالا بإكرامه؛ لأن ذلك صنع بحضرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولو كان من دنيء الأخلاق لنهى عنه؛ لأنه بعينه معلما، ولا أعلم في الأكل مع الضيف وجها غير أنه أبسط لنفسه، وأذهب

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣٥٣/١٦

لاحتشامه.

فمن قدر على ذلك فهو أبلغ في بره، ومن تركه فواسع إن شاء الله. وسيأتي في الأدب في باب: قول الضيف لأصحابه: لا آكل حتى تأكل منه. وذكر حديث الصديق حين أمر ابنه أن يطعم أضيافه، الحديث ووجهه (١).

---

(١) سيأتي برقم (٦١٤١).." (١)

"٥٩ - باب قول الله -عز وجل-: ﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾ [الأحزاب: ٥٣]

٥٤٦٦ - حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثني أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، أن أنسا قال: أنا أعلم الناس بالحجاب، كان أبي بن كعب يسألني عنه، أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عروسا بزينب ابنة جحش -وكان تزوجها بالمدينة- فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار، فجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجلس معه رجال بعد ما قام القوم، حتى قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمشى ومشيت معه، حتى بلغ باب حجرة عائشة، ثم ظن أنهم خرجوا فرجعت معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع ورجعت معه الثانية، حتى بلغ باب حجرة عائشة، فرجع ورجعت معه، فإذا هم قد قاموا، فضرب بيني وبينه سترا، وأنزل الحجاب. [انظر: ٤٧٩١ - مسلم: ١٤٨٢ - فتح: ٩/ ٥٨٥].

ثم ساق حديث أنس في البناء بزينب والحجاب وقد سلف، وقد بين الله تعالى في آخر هذه الآية معنى هذا الحديث وذلك قوله تعالى: ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق﴾ [الأحزاب: ٥٣] وأذاه حرام على جميع أمته، وكذا أذى المؤمنين بعضهم بعضا.

وفيه من الفقه: أن من أطال الجلوس في بيت غيره حتى أضر بصاحب المنزل أنه مباح له أن يقوم عنه، ويخبره أنه له حاجة إلى قيام لكي يقوم، وليس ذلك **من سوء الأدب**، وسيأتي في الأدب إن شاء الله (١).

آخر الأطعمة.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٢٦/٢٠٩

(١) سيأتي في الاستئذان برقم (٦٢٣٨) و (٦٢٣٩) باب: آية الحجاب، وبرقم (٦٢٧١) باب: من قام من مجلسه أو بيته ولم يستأذن أصحابه، أو تهيأ للقيام ليقوم الناس.." [١]

"وحديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - في الوعك، وقد سلف قريبا (١).

والشكو والشكوى والشكاة والشكاية: المرض.

والجعيد بضم أوله، وجده أوس مدني، قال البخاري: قال مكي: سمعته من الجعيد سنة أربع وأربعين ومائة، ويقال فيه أيضا: الجعد. أخرج له مسلم حديثا واحدا وهو حديث السائب الآتي (٢).

أما حكم الباب فوضع اليد على المريض تأنيس له وتعرف لشدة مرضه ليدعو له العائد على حسب ما يبدو منه، وربما رقاه بيده ومسح على ألمه، فانتفع به العليل إذا كان عائده صالحا يتبرك بيده ودعائه كما فعل - عليه السلام -، وذلك من **حسن الأدب** واللطف بالعليل، وينبغي امتثال أفعاله كلها والاقتداء به فيها ما لم تكن خاصة به.

وزاد في حديث سعد هنا: (فأوصي بالثلث وأترك لها الثلثين). قال الداودي: إن يكن هذا محفوظا فلقد كان قبل أن تنزل الفرائض.

وقوله: ("الثلث والثلث كثير"). قال بعض العلماء: إن الوصية تكون بدون الثلث، وأكثرهم كما قال ابن التين على إجازته.

وقوله: (فما زلت أجد برده على كبدي فيما يخال إلي حتى الساعة) أي: يظن.

قال ابن التين: وصوابه يخيل من التخيل، قال تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم﴾ [طه: ٦٦].

---

(١) سلف برقم (٥٦٤٧) باب: شدة المرض.

(٢) سيأتي عند البخاري برقم (٥٦٧٠)، ورواه مسلم (٢٣٤٥) كتاب: الفضائل، باب: إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسده.." [٢]

"١١٢ - باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل

٦٢٠٣ - حدثنا مسدد، حدثنا عبد الوارث، عن أبي التياح، عن أنس قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير -قال: أحسبه فطيم- وكان إذا جاء قال: «يا

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٢٦/٢٥٨

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٢٧/٢٩٧

أبا عمير، ما فعل النغير؟». نغر كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس وينضح، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا. [انظر: ٦١٢٩ - مسلم: ٦٥٩، ٢١٥٠، ٢٣١٠ - فتح ١٠/ ٥٨٢]

ذكر فيه حديث أنس - رضي الله عنه - في: "يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ ".

ولا شك أن الكنية إنما هي على معنى الكرامة والتفاؤل أن يكون أبا ويكون له ابن، وإذا جاز أن يكنى الصغير في صغره، فالرجل قبل أن يولد له أولى بذلك. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: عجلوا بكنى أولادكم؛ لا تسرع إليهم ألقاب السوء. وهذا كله من **حسن الأدب** ومما يثبت الود.

وفيه: جواز المزاح مع الصبي الصغير.

وفيه: جواز لعب الصبيان الصغار بالطير واتخاذها لهم وتسليتهم بها.

وفيه: جواز استعمال النضح فيما يشك في طهارته ولم تتيقن نجاسته، وقيل: نضحه ليلين. وسلف ذكر النغير، وأن فيه: إباحة صيد حرم المدينة، وأنه قيل: إن ذلك كان قبل التحريم، (وقيل: نسخ تعذيب البهائم) (١)، وأن مشهور مذهب مالك: أن الصيد لا يمنع الحلال أن يدخل به الحرم ويذبحه هناك (٢).

---

(١) من (ص٢).

(٢) "الاستذكار" ١١/ ٢٩٣ - ٢٩٤.." [1]

"يخاف من ترك الواحد لا يخاف في ترك الجماعة، وذلك أن الواحد إذا تساروا دونه وقع بنفسه أنهما يتكلمان فيه بما يسوؤه، ولا يتفق ذلك في الجماعة، وهذا من **حسن الأدب** وكرم المعاشرة.

وفيه: أنه لا ينبغي إفشاء السر إذا كانت فيه مضرة على المسر؛ لأن فاطمة - رضي الله عنها - لو أخبرت بذلك في ذلك الوقت ما أخبرها به من قرب أجله؛ لحزن بذلك حزنا شديدا، وكذلك لو أخبرتهن بأنها سيدة نساء المؤمنين لعظم ذلك عليهن واشتد حزنهن، فلما أمنت بعد موته أخبرت بذلك. وفيه اجتماع أزواجه في بيت واحد في مرضه.

ومعنى: (لم تغادر منا واحدة): لم تترك أن يحضر. وفيه العزم بغير الله، قال في "المدونة": إذا قال: أعزم عليك بالله إلا ما أكلت، فلم يأكل، لا حنث على واحد منهما بمنزلة: أسألك بالله، فإن قال: أعزم بالله إن فعلت، أرى ذلك لا شك في كونه يمينا (١).

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٢٨/٦٢٤

قال ابن حبيب: ينبغي له ألا يحنثه في: أعزم عليك بالله إلا ما فعلت ما لم تكن معصية، وهو من باب قوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ [النساء: ١]. قال: يريد أن يسأل بالله وبالرحم، فإن لم يفعل فلا كفارة على واحد منهما (٢).

وقولها: (لما (أخبرتني) (٣)). يحتمل آخر شيء، يحتمل أن تكون اللام بمعنى إلا وما زائدة، هذا مذهب الكوفيين، ويحتمل أن تكون ما مشددة بمعنى (إلا)، ذكره سيبويه (٤)، وأنكره الجوهري (٥).

---

(١) "المدونة" ٣/ ٣٠.

(٢) انظر: "النوادر والزيادات" ٤/ ١٦.

(٣) من (ص٢).

(٤) "الكتاب" ٣/ ١٠٥ - ١٠٦.

(٥) "الصحاح" ٥/ ٢٠٣٣.." [1]

"وروى أشهب عن مالك أنه قال: لا يتناجى ثلاثة دون واحد؛ لأنه قد نهي أن يترك واحد، قال: ولا أرى ذلك، ولو كانوا عشرة (لم) (١) يتركوا واحدا.

وهذا القول يستنبط من هذا الحديث؛ لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين له. وهو ما جاء في الحديث: "حتى تختلطوا بالناس أجل أن يحزنه". وهذا كله من **حسن الأدب** وكرم الأخلاق؛ لئلا يتباغض المؤمنون ويتدابروا، كما سلف

---

(١) في الأصل: (أن).." [2]

"وفيه: أن من **حسن الأدب** أن يجلس المرء حيث انتهى به مجلسه ولا يقيم أحدا، وقد روي ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (١).

وفيه: ابتداء العالم جلساءه بالعلم، قبل أن يسئل عنه. وفيه: مدح الحياء والثناء على صاحبه.

وفيه: ذم من زهد في العلم؛ لأنه لا يحرم أحد عن حلقة رسول الله وفيه خير.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ١٤١/٢٩

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ١٥١/٢٩

= لابنه: ... فذكره، ورواه الطبراني ٨/ ١٩٩ - ٢٠٥ (٧٨١٠)، والرامهرمزي في
"أمثال الحديث" ص ٩٠ من حديث أبي أمامة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن لقمان قال لابنه: يا
بني عليك بمجالسة العلماء، واستماع كلام الحكماء، فإن الله -عز وجل- يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل المطر. قال الهيثمي في "المجمع" ١/ ١٢٥: وفيه عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد وكلاهما ضعيف لا يحتج به، وضعفه الألباني في "ضعيف الترغيب والترهيب" (٧٨).
(١) ستأتي هذه الرواية برقم (٦٢٦٩) كتاب: الاستئذان، باب: لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه.." [1]

"وجه الدلالة: أنه لو كان فيه قصاص لبينه، وهذه المسألة إجماعية؛ لأن الكوفيين لا يرون القصاص في اللطمة ولا الأدب، إلا أن يجرحه ففيه الأرش.

وفيه: جواز رفع المسلم إلى السلطان بشكوى الكافر به.

وفيه: خلقه - عليه السلام - وما جبله الله عليه من التواضع **وحسن الأدب** في قوله: "لا تخيروا بين الأنبياء" وفي الرواية الثانية "لا تخيروني من بين الأنبياء"، وذلك كقول الصديق: وليتكم ولست بخيركم (١).

وقد سلف الكلام على هذا الحديث وما قد يعارضه والجمع بينها في أبواب الإشخاص والملازمة، أحسنها أنه من باب التواضع.

وقيل: أن يعلم أنه خيرهم، فينبغي لأهل الفضل الاقتداء بالشارع والصديق وغيرهما، فإن التواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين، وروى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا: "من أحب أن ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبي ذر" (٢).

وفيه: أن العرش جسم، وأنه ليس العلم، كما قاله سعيد (٣) بن جبير، لقوله: "فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش" والقائمة لا تكون إلا جسما، ومما يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ [الحاقة: ١٧] ومحال أن يكون المحمول غير جسم، لأنه لو كان روحانيا لم يكن في حمل الملائكة الثمانية له عجب، ولا في حمل واحد، فلما عجب الله تعالى من حمل الثمانية له علمنا أنه جسم؛ لأن العجب في حمل الثمانية للعرش لعظمته وإحاطته.

---

(١) رواه معمر بن راشد في "جامعه" ١١/ ٣٣٦ (٢٠٧٠٢).

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣١٢/٣

(٢) "مصنف ابن أبي شيبة" ٦/ ٣٩٠ (٣٢٢٥٧).

(٣) ورد في هامش الأصل: الذي نقله البخاري عن ابن جبير أنه العلم في الكرسي.." [١]

"الخلوة لحصل لنا الحرج والضيق؛ إذ لا نجد بدا منه، والباري تعالى لا يغيب عنه شيء من خلقه عراة كانوا أو مكتسين، وسيأتي شيء من هذا المعنى في باب كراهية التعري في الصلاة (١) وغيرها إن شاء الله.

نعم، الاستتار من **حسن الأدب**.

خاتمة:

إن قوله تعالى: ﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾ الآية [الأحزاب: ٦٩] نزلت في ذلك. قال الطحاوي فيما روي عن أبي هريرة في هذه الآية ﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾ الآية: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يكاد أن يرى من جلده -يعني: استحياء منه- فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، وقالوا: ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أذرة هكذا قال لنا بعض رواة الحديث.

وأهل اللغة يقولون: أدرة، لأنها آدر بمعنى: آدم، وإن الله -عز وجل- أراد أن يبرئه مما قالوا، وأنه خلا يوما وحده فوضع ثوبه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ من غسله أقبل إلى ثوبه ليأخذه، وأن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى - عليه السلام - عصاه وطلب الحجر (٢). الحديث بطوله.

قال: ومما روي عن علي بن أبي طالب في الآية مما نعلم أنه ليس من رأيه؛ لأنه إخبار عن مراد الله، قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون، فقالت بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته، كان ألين لنا منك وأشد حياء. فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته وتكلمت بموته، حتى عرفت بنو إسرائيل أنه قد مات فدفنوه، فلم يعرف موضع قبره

---

(١) برقم (٣٦٤).

(٢) رواه الطحاوي في "مشكل الآثار" كما في "تحفة الأخيار" ٨/ ٤٨٠ - ٤٨١ (٦١٥٧).." [٢]

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٤٩٧/٣١

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٦٣٠/٤

"وفيه: أن من **حسن الأدب** لمن مشى مع معلمه أو رئيسه ألا ينصرف عنه ولا يفارقه حتى يعلمه بذلك، ألا ترى قوله – صلى الله عليه وسلم – لأبي هريرة حين انصرف إليه: "أين كنت يا أبا هريرة؟ " فدل ذلك على أنه – صلى الله عليه وسلم – استحب له ألا يفارقه حتى ينصرف معه، وأخذه – صلى الله عليه وسلم – بيد أبي هريرة دال على طهارة بدن الجنب.

فائدة:

الرحل المذكور في حديث أبي هريرة: المنزل والمأوى، مأخوذ من رحل البعير الذي يقعد عليه على الدابة.

فائدة أخرى:

قوله: ("يا أبا هر؟ ") هو ترخيم هريرة.

فائدة ثالثة:

عياش شيخ البخاري في حديث أبي هريرة –هو بالمثناة تحت وشين معجمة في آخره – هو ابن الوليد أبو الوليد البصري (١).

---

(١) أبو الوليد عياش بن الوليد الرقام القطان، البصري. قال أبو حاتم: هو من الثقات.

وقال أبو داود: صدوق.

وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات". مات سنة ست وعشرين ومائتين.

انظر: "التاريخ الكبير" ٧/ ٤٨ (٢١٦)، "الجرح والتعديل" ٧/ ٦ (٣٠)، "الثقات" ٨/ ٥٠٩، "تهذيب الكمال" ٢٢/ ٥٦٢ (٤٦٠٣).." [١]

"وفي المسألة قول ثالث: أنه إن كان يسمع كالكلام فيقطع الصلاة، وهو قول أبي حنيفة والثوري ومحمد، ورجح ابن بطال الأول فقال: إنه أولى لما ذكره البخاري (١).

وذكر ابن أبي شيبة عن أبي صالح أن قريبا لأم سلمة صلى فنفخ، فقالت أم سلمة: لا تفعل، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لغلام لنا أسود: "يا رباح، ترب وجهك" (٢) وقال ابن بريدة: كان يقال: من الجفاء أن ينفخ الرجل في صلاته (٣).

فدل هذا أن من كرهه إنما جعله من الجفاء وسوء الأدب، لا أنه بمنزلة الكلام عنده، ألا ترى أن أم سلمة لم تأمر قريبها حين نفخ في الصلاة بإعادتها؟ ولو كان بمنزلة الكلام عندها ما تركت بيان ذلك، ولا فعله

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٦٥١/٤

الشارع، ويدل على صحة هذا اتفاقهم على جواز التنخم والبصاق في الصلاة، وليس في النفخ من النطق بالفاء والهمزة أكثر مما في البصاق من النطق بالفاء والتاء اللتين يفهمان من رمي البصاق، ولما اتفقوا على جواز البصاق في الصلاة جاز النفخ فيها، إذ لا فرق في أن كل واحد منهما بحروف.

ولذلك ذكر البخاري حديث البصاق في هذا الباب؛ ليستدل به على جواز النفخ؛ لأنه لم يسند حديث عبد الله بن عمرو، واعتمد على الاستدلال من حديث النخامة والبصاق وهو استدلال حسن.

وأما البصاق اليسير فإنه يحتمل في الصلاة، إذا كان على اليسار أو تحت القدم كما في الحديث، غير أنه ينبغي إرساله بغير نطق بحرف مثل

---

(١) "شرح ابن بطال" ٣/ ٢٠٥.

(٢) "المصنف" ٢/ ٦٨ (٦٥٤٨) كتاب: الصلوات، باب: النفخ في الصلاة.

(٣) "المصنف" ٢/ ٦٧ - ٦٨ (٦٥٤٦).." [1]

"قال (ح): وفي الحديث استئذان التابع المتبوع إذا أراد أن يفارقه (٦١٢).

قال (ع): هذا بعيد لأنه لا من عبارة الحديث ولا من إشارته ولا فيه تابع ولا متبوع لأن أبا هريرة إنما لقي النبي -صلى الله عليه وسلم- في بعض طرق المدينة اتفاقا (٦١٣).

قلت: ومن ثم هنا يناسب أن يقال: ذلك مبلغهم من العلم، أما توجيه الدعوى فإنها مأخوذة من قوله -صلى الله عليه وسلم -: "أين كنت؟ " لأنه لما لقيه ماشيا كما في رواية الباب الذي يليه ثم انخنس فتفقده حينئذ، فلما رجع إليه قال له: "أين كنت؟ " فلو كان استأذنه في التوجه للاغتسال ينكر عليه، فيؤخذ منه استحباب الاستئذان وإنكار كون أبي هريرة تابعا، والشعبي متبوعا معاندة ولا سيما وقد وقع في رواية الباب الذي بعده فمشيت معه.

ومن العجب أن المعترض غفل عن اعتراضه هذا فقال في الكلام على الحديث في الباب الذي بعده وفيه أن من **حسن الأدب** لمن مشى مع رئيسه أن لا ينصرف عنه ولا يفارقه حتى يعلمه بذلك لقوله لأبي هريرة: "أين كنت؟ " فدل على أنه استحب أن لا يفارقه حتى يعلمه، هذا كلامه بحروفه فانظر وتعجب (٦١٤).

---

(٦١٢) فتح الباري (١/ ٣٩١) وانظر مبتكرات اللآلي والدرر (ص ٥٠).

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٩/٣٠٧

(٦١٣) عمدة القاري (٣/ ٢٤٠).

(٦١٤) انظر عمدة القاري (٣/ ٢٤١).." [١]

"قال (ح): عبرت عن نفسها بأنها قالت نحو ذلك، وعن صفية بلفظ مثل ذلك، والسر فيه أن عائشة المبتكرة لذلك فتصرفت في اللفظ مع تأدية المعنى، وصفية مأمورة فلم تتصرف خشية أن ينكر عليها عدم الوقوف مع اللفظ الذي أمرتها به، هذا هو الذي ظهر لي، ثم راجعت رواية أبي أسامة فوجدت فيها التعبير بمثل في الموضعين، فغلب على الظن أن التغيير من تصرف الرواة (١٠٧٢).

قال (ع): هذا الجواب لا يشفي العليل ولا يروي الغليل، وإذا علم الفرق بين النحو والمثل علمت النكتة فيه.

ثم ذكر المنقول في تعرف كل منهما ثم قال: لما كانت عائشة قاصدة بالقصد الكلي تبليغ هذه اللفظة وهي جرست نحله العرفط، قالت سودة نحو ذلك بخلاف صفية فإنها لم تقصد لذلك، ولكنها قالت للامتثال.

ثم ختم كلامة بأن قال: ولا ينبغي أن يظن في الرواة بالظن الفاسد، فأقل الأمر فيه أن يقال: هذا من التفنن، فإنه فيه تحصل الرونق للكلام (١٠٧٣).

قلت: المراد بالتغيير إبدال اللفظ باللفظ عند ظن اتحاد المعنى، وقوله الظن الفاسد من سوء الأدب الذي من دأبه أن يدندن بإنكاره، وليس هناك ظن فاسد، بل ظن غالب، لأنه من المعلوم أن التي قالت نحو ذلك وهي التي ينسب إليها أنها قالت مثل ذلك، لم تجمع بين اللفظتين، ويلزم من الاقتصار على أحدهما أن من عبر بغير عبارة رقيقة كان أحدهما مغيرا للفظ الذي به حدثهما ونسب مرة احتراق هذا المعترض بالحد لا يرد بالامتثال هذا الهذيان البارد والله المستعان.

(١٠٧٢) فتح الباري (٩/ ٣٨٠) وما بين المعكوفين من نسخة دار صدام للمخطوطات.

(١٠٧٣) عمدة القاري (٢٠/ ٢٤٥).." [٢]

"كتاب التمني

٧٩٨ - باب ما يجوز من اللو

قال (ح): وقع عند ابن التين وبعده الكرماني من لو بغير ألف ولام لا تشديد ولعله من إصلاح بعض الرواة،

---

(١) انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري ابن حجر العسقلاني ٢٧٨/١

(٢) انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري ابن حجر العسقلاني ٤٤٨/٢

لكونه لم يعرف توجيهه (١٦٠٢).

قال (ع): هذا هو الصواب، لأن معناه ما يجوز من قوله ولا يحتاج إلى ما تكلفوا من توجيهه ونسبه بعض الرواة إلى عدم معرفة وجهه **من سوء الأدب** (١٦٠٣).

(١٦٠٢) فتح الباري (١٣/ ٢٢٦).

(١٦٠٣) عمدة القاري (٢٥/ ٨).." [١]

"بخسة نفسه، وضعتها وعيوبها وآفاتها، فإذا أحاط علما بهذين الأصلين نظر إلى نفسه وإلى ما أجرى الحق تعالى عليه من الأفعال والأقوال، وما صرفه فيه من الأحوال، فسيرى حينئذ من لطف الله تعالى به ورحمته وعنايته وفضله ما لا مطمع لأحد في إدراكه وفهمه، فيوجب ذلك له محبة وحياء يحملانه على الشكر لله تعالى بشهود النعم منه **وحسن الأدب** معه، فإذا رأى نفسه على طاعة فرح بمنة الله تعالى عليه من غير استحقاق ولا وسيلة، وكم من شخص لم يعطها، وليستعمل حينئذ **حسن الأدب** في تحسينها ونفي الآفات عنها وإخلاصه فيها ربه عز وجل، فيكون حينئذ بهذه الرؤية والأدب أفضل ممن استغرق أوقاته في الطاعات وأنواع العبادات، مع فقدان ذلك، وكذلك إن رأى نفسه بحال نعمة، من صحة بدن ونيل رزق وإن قل، فليفرح بذلك ويشكر ربه عليه لعلمه أنه لا يستأهل ذلك ولا يليق به، ويستعمل حينئذ **حسن الأدب** في الاستعانة بها على طاعة ارله عز وجل، ولا يستعملها في معصية، وكم من شخص مبتلى بمرض أو فقر يتمنى ذلك ولا يجده، وكذلك إذا ابتلي بفقر أو أصيب بمرض من مصائب الدنيا فليفرح بذلك، لأنه سلك به مسلك الأولياء والصالحين، وليفرح بمنة ربه عز وجل في أن لم تكن أكثر من ذلك، كما ابتلي به طوائف من الناس، وليستعمل **حسن الأدب** في الصبر والرضى ونفي الجزع والشكوى، والدعاء إلى الله تعالى في سعة الرزق وكشف الضر وسؤال العافية في الدين والدنيا، وإن أمكنه السبب لاكتساب ما يغنيه والتطبب لبرئه، فيفعل ذلك فهو من **حسن الأدب**، وليشكر الله تعالى على تمكينه من ذلك وإذنه له فيه، وكذلك إن ابتلي بذنب أو غفلة أو سوء أدب فلا يغفل عن اللطف وخفي السنة بذلك، فقد يكون ذلك سببا لخوفه ونفي عجبه والتجائه ربه، كما ورد في الخبر في قوله (ص): ((لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من ذلك العجب)) (١) وكم نت شخص مرتكب للكبائر مستحل لها، فرح بـها.

---

(١) انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري ابن حجر العسقلاني ٧٢٦/٢

(١) رواه البزار عن أنس مرفوعا بلفظ: ((لو لم تكونوا مذنبين لخشيت عليكم ما هو أكبر منه: العجب))، وقال: لا نعلم من رواه عن ثابت إلا سلام، وهو مشهور، (مختصر =." [١]

"وليستعمل حينئذ **حسن الأدب** في المبادرة إلى التوبة وتذكر الخوف وكثرة الاستغفار والدعاء والبكاء، وكذلك إن كان على مذهب إمام من أهل الدين مجمع على إمامته وهو يجد في الحال من يأخذ عنه ممن تقف به من أهل الدين وقد أخذه عن شيوخه، وشيوخه عن شيوخهم إلى أن ينتهي إلى ذلك الإمام، فليفرح بذلك وليشكر الله عليه، وكم من شخص قد قلد مبتدعا أو ابتدع هو من تلقاء نفسه فهلك بذلك.

وليستعمل حينئذ **حسن الأدب** معه في توقيره واتباعه في كل ورد وصدر، إلا إن رأى في اتباع غيره من الأئمة المجمع على إمامتهم ما يقتضي احتياطا، إن قوي عليه، أو يقتضي رخصة إن احتاج إليه، ولم يكن في مذهب إمامه إنكار على من فعل ذلك، فليفعله ولا يسقطه ذلك عن درجة الأدب، وكذلك إن ظفر بشيخ من شيوخ الصوفية، سالك سبيل السنة، فليفرح بذلك، وليشكر الله عليه، وكم من شخص لعبت به أيدي الضالين والمبتدعين، فهلك بذلك.

وليستعمل حينئذ **حسن الأدب** في الانقياد له في أوامره وترك مخالفته، وأن لا يكتمه شيئا من أسراره وأن لا ينتقل عنه إلى غيره، وكذلك إن كان له صاحب أو أخ يسلم معه دينه، ويجد معه موافقته في دنياه، ويدخل في هذا الزوج والزوجة، فليفرح بذلك وليشكر الله عليه، (وكم من شخص مبتلى بصاحب يخسر معه دينه ودنياه، وليستعمل حينئذ **حسن الأدب** في القيام بحق صحبته، والوفاء بأخوته، وكذلك إن أقيم في سبب يجد منه كفايته وغناه عن الناس، فليفرح بذلك وليشكر الله عليه) (١) وكم من شخص مبتلى بالالتجاء إلى الناس أو عاجز عن التسبب غير راض ولا صابر، وليستعمل حينئذ **حسن الأدب** في نصح المسلمين بذلك، وترك الغش

= زوائد مسند البزار) حديث رقم ٢٣٠٣، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٧٢: إسناده جيد، وفي صحيح مسلم حديث رقم ٢٧٤٩ عن أبي هريرة (ض) مرفوعا: ((لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)).

(١) لا يوجد في خ.." [٢]

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/١٩٦

(٢) عدة المريد الصادق زروق ص/١٩٧

"والاجتناب لجميع مناهي الشرع التي يتعرض لها بسبب ذلك، وإن كان في عمل من أعمال البر كتعليم القرآن أو غيره فليحتسب مع ذلك ثوابه، وليترفق في تعليمه ما أمكنه، ولا يجفو على متعلم ولا يظلمه، وليراقب ربه في ذلك، وكذلك إن سمع بمثل هذه النصيحة أو رآها مكتوبة فليشكر ربه على ذلك وليفرح بها، وكم من شخص مصحوب بالغفلة والسهو، أو مستنصح لا يجد ناصحا، وليستعمل حينئذ **حسن الأدب** في أمثالها والوقوف على حدودها وبذلها لأهلها.

وملاك ذلك كله صدق الافقار إلى الله تعالى والضراعة إليه في أن يوفقه لذلك ويعينه عليه، فمن أعطي ذلك فليفرح به وليشكر الله تعالى عليه، وكم من شخص مبتلى برؤية نفسه واعتماده على عقله وحدسه، وليستعمل حينئذ **حسن الأدب** في اتهام نفسه في تصحيح الافتقار والضراعة اللذين ذكرناهما، فهذا الذي ذكرناه من أوله إلى آخره داخل في معنى ما ورد به الخبر الصحيح من قوله (ص): ((انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم)) (١) وبالله التوفيق، انتهى من (الرسائل الصغرى).

وقال في (الرسائل الكبرى): فانظر هذا الطريق ما أسهله وأحسنه وأقربه وأجله وأكمله، وكلاما هذا معناه، ثم قال بعد ذلك: إنما هذا لمن أهل له، وقال في موضع آخر منها: هو طريق الأحرار لا تقبله إلا نفوسهم ولا تسلك به إلا حقائقهم، وقال في موضع آخر: إنه الصراط المستقيم، استنباطا من قوله تعالى: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ (٢) ثم قال: ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ (٣) وقال: إنه أعلى الطرق وأسهلها، فانظر كلامه رحمة الله عليه، وبالله التوفيق.

وأما طريق الحرمة فهو بحفظ الأدب مع المشايخ والإخوان وحفظ

---

(١) خرجه مسلم ٤/ ٢٢٧٥، من حديث أبي هريرة (ض) بلفظ: ((انظروا إلى من هو أسفل منكم ... إلخ)) الحديث، وهو في البخاري بمعناه، انظر البخاري مع فتح الباري ١٤/ ١٠٥.

(٢) الأعراف ١٦.

(٣) الأعراف ١٧.." [1]

- ١٥"

(وإذا حاولت نهايتها ... فاحذر إذ ذاك من العرج)

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/١٩٨

وإذا حاولت أي طلبت نهايتها أي الأبواب أو الهدى فإنه يذكر ويؤنث ولأنه بمعنى الخزانة والمعنى إذ طلبت الانتقال إلى مقام أو حال فاحذر إذ ذاك من العرج أي فالتزم فيه **حسن الأدب** من الثبات عليه وموافقة مراد الله تعالى ولا تختر الانتقال عنه حتى ينقلك الله إلى ما هو أرفع منه فإن تشوقت إلى الانتقال بنفسك لتبلغ الغاية فقد بلغت غاية الجهل بربك وأسأت الأدب في حقه ولا تصل إلى مطلوبك فكن كما قال ابن عطاء الله كن عبد الله في كل شيء عطاء ومنعا وعزا وذلا وولاية وعزلا وغنا وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء وفناء وبقاء إلى غير ذلك من مختلفات الآثار وتنقلات الأغيار وكنى عن عدم الوصول بالعرج أو شبه به عدم دوام الاستقامة لأن كلا منهما لا يوصل معه إلى مقصد قريبا أو لا يوصل إليه البتة وتضمن كلامه مع ذكر التحذير من حظوظ النفس ومن التحذير." (١)

"ويستحب أن يطلب الإنسان من صاحبه الصالح أن يزوره، وأن يكثر من زيارته فقد ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لجبريل – عليه السلام –: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت ؟وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا؟ [مريم: ٦٤] » (١) .

ومن آداب المزور أن يكرم الزائر، ومن مستحباته: أن يكرم الزائر، وأن يلقي السجادة أو نحوها تحته، وأن يقوم بخدمته، ولا ينبغي للزائر أن يرد كرامة المزور عليه، وأن يقول أحدهما للآخر: كيف أصبحت وكيف حالك؟ فيقول له: صاحبه أصبحت مؤمنا أو في خير وعافية والحمد لله رب العالمين، ثم إذا استقر به المكان قدم له ما حضر من طعام أو شراب لله در القائل:

قدم لزائرك الطعام وحيه ... حتى يراه كأنه في حيه

والبيت إن لم يلق مأكول به ... لا فرق بين الميت فيه وحيه

ومنها: أنه يتهيأ للقاء الإخوان ويتجمل لهم فيلبس من أنظف ثيابه، ويتطيب ويتوضأ وضوء للصلاة، ويتزين لهم ما استطاع ثم يخرج إليهم.

قال صاحب الأنوار في آخر كتاب الغسل، ويستحب لمن يصحب الناس التنظيف بالسواك، وأخذ الشعر، واستعمال الطيب، وقطع الروائح الكريهة، **وحسن الأدب** معهم، لتزويد المودة والوقار، وأن يتمسك بصحبته الصديق الصدوق.

فقد كان السلف إذا ظفروا بما يصلح للصداقة يتمسكون به ولم يضيعوه، علما بأن الصديق الصدوق أعز

---

(١) المنفرجتان الأنصاري، زكريا ص/٧٧

من الكبريت الأحمر.

ومنها: أن يكون أولاد أخيه في الله أولاده فقد كان كثير من السلف الصالح يقوم بكلفة أولاد إخوانهم في الله، ويصرفون إليهم كسيهم كما يصرفونها إلى أولادهم.

كما حكي عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: أتيت بعض البلاد فنزلت في مسجد،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/١٧٦٠، رقم ٤٤٥٤) عن ابن عباس.

وأخرجه أيضا: الترمذي في سننه (٥/٣١٦، رقم ٣١٥٨) ، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٣٩٤، رقم ١١٣١٩) ، وأحمد في مسنده (١/٣٥٧، رقم ٣٣٦٥) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٣٣، رقم ١٢٣٨٥) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/١١٦) .." [1]

"ومنها: أنه يستحب للعالم أن يحرض الناس ويحثهم على العلم وفهمه.

ومنها: أنه يستحب للإنسان الحياء خصوصا بحضرة الأكابر، ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة، ولهذا تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت.

ومنها: أن فيه دلالة على أنه ينبغي الأدب مع الأكابر والإخوان والأصحاب، والأدب هو ما يتولد من صفاء القلب وحضوره، ويقال: هو الخلق على بساط الصدق ومطالعة الحقائق بقطع العلائق، وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن الله تعالى أدبني فأحسن تأديبي، وأثنى علي **بحسن الأدب** حتى قال: ؟ما زاغ البصر وما طغى؟ [الرحمن: ١٧] » (١) .

وكان من دعائه - صلى الله عليه وسلم -: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي» (٢) قيل معناه: أن كمال النعيم في حسن الخلق، وكمال الأدب في حسن الخلق.

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «إذا أراد الله بعد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه» (٣) .

ومنها: أنه يستحب للصغير أن يوقر الكبير، ويستحب للولد أن يقدم أباه في القول على نفسه، وأن لا يتقدم عليه بما فهمه وإن ظن أنه الصواب توقيرا له وإجلالا، فقد ورد في مسند ابن ماجة القزويني (٤) عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «جالس العلماء تعرف في السماء، ووقر كبير المسلمين تجاورني في الجنة، واعطف على الطفل الصغير تكن في شفاعتي يوم القيامة» .

وفي الحديث دليل على أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض المسائل، ويحصلها من هو دونه، لأن العلم

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية شمس الدين السفيري ١/٤٠٢

مواهب الله، والله يؤتي الحكمة من يشاء، كما خفي على أبي بكر وعمر وغيرهما سؤال للنبي – صلى الله عليه وسلم – وفهمه عبد الله على صغر سنه.

وفيه دليل على جواز تجمير النخل كتتويب التين، ولا يعد ذلك من باب إضاعة المال.

ومثل هذا السؤال الذي سأله النبي – صلى الله عليه وسلم – من أصحابه يسمى لغزا وتعمية، وقد صنف العلماء كتبا في ألغاز المسائل اقتدوا في ذلك بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وقد ذكر فقهاؤنا مسائل كثيرة

---

(١) أورده بنحوه ابن الجوزي في العلل (١/١٧٨، رقم ٢٨٤) عن علي.

(٢) أخرجه أحمد (٦/٦٨، رقم ٢٤٤٣٧) ، قال الهيثمي (١٠/١٧٣) : رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه هناد في الزهد (١/٢٩٠، رقم ٥٠٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/٢٦٤) عن أم سلمة.

(٤) هاكذا بالأصل: مسند ابن ماجة القزويني، ويحتمل أن له مسندا غير السنن وقف عليه المصنف، والحديث ليس في سننه والله أعلم.." (١)

"عنده بالأسكندرية.

فائدة: اختلف العلماء في عدد السحرة:

فقيل: كانوا ثمانين ألفا.

وقيل: سبعين ألفا.

وقيل: بضعة وثلاثين ألفا، وكانوا صفوفا.

فقد ذكر بعضهم في تفسير قوله تعالى: ؟ثم ائتوا صفا؟ [طه: ٦٤] أنهم كانوا صفوفا كل صف ألف.

فعلى القول الأول: كانوا ثمانين صفا.

وعلى الثاني: سبعين صفا.

وعلى الثالث: بضعة وثلاثين.

وكان متقدمهم شمعون أبو حنة فلما اجتمعوا قالوا لفرعون: أتجعل لنا جعلا إن غلبنا موسى؟ فقال لهم: نعم لكم علي جعل وتصيرون عندي من المقربين في مجلسي، وأول من يدخل علي وآخر من يخرج، هذا معنى قوله تعالى: ؟وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين؟

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية شمس الدين السفيري ٢/٩٦

[الشعراء: ٤١، ٤٢] .

فلما أرادوا إلقاء سحرهم وإظهاره راعوا **حسن الأدب** مع سيدنا موسى، حيث لم يتقدموا عليه بل قالوا له كما قال الله تعالى حكاية عنهم: ؟إما أن تلقي؟ [الأعراف: ١١٥] أي: عصاك ؟وإما أن نكون نحن الملقين؟ [الأعراف: ١١٥] أي: ما معنا من الحبال والعصي، وكان مع كل واحد منهم حبل وعصا.

قال أهل التصوف: لما راعوا هذا الأدب رزقهم الله الإيمان.

وقال لهم موسى عليه – عليه السلام –: ألقوا ما أنتم ملقون.

وهنا سؤال: وهو كيف أمرهم موسى بإلقاء حبالهم وعصيهم، وفي الإلقاء معارضة للمعجزة بالسحر، وذلك كفر والأمر بالكفر كفر.

وجوابه: أنه – عليه السلام – كان يريد إبطال ما أتوا به من السحر، وإبطاله ما كان ليمكن إلا بإقدامهم على إظهاره، فأذن لهم في الإتيان بذلك السحر ويمكنه الإقدام على إبطاله قاله الرازى.

فلما ألقوا أي: حبالهم وعصيهم وكانت حبالا غلاظا، وخشبا طوالا سحروا أعين." (١)

"معاشرة المؤمن

ومنها معاشرة الموثوق بدينه وأمانته ظاهرا وباطنا. قال الله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الأخر يوادون من حاد الله ورسوله) .

أوجه المعاشرة

وللمعاشرة أوجه: فللمشايخ والأكابر: بالحرمة والخدمة والقيام بأشغالهم.

وللأقران والأوساط: بالنصيحة وبذل الموجود والكون عند الأحكام، ما لم يكن إثما.

وللمريدين والأصاغر: بالإرشاد والتأدب والحمل على ما يوجبه العلم، وآداب السنة، وأحكام البواطن، والهداية إلى تقويمها **بحسن الأدب**." (٢)

"والأجناد والبوابين كما أراد وأمر بعض الأنام أن يصطنع له من أطيب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده، وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يا نفس قد جمعت أنعم الدنيا بأسرها فالآن أفرغي لذلك وكلي هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل، والحظ الجزيل، فلم

---

(١) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية شمس الدين السفيري ٢/٣٣٧

(٢) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة الغزي، أبو البركات ص/١٥

يفرغ مما حدث نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب خلقة ومخلاته في عنقه معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة الباب طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا إلى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا يا ضيف ما هذا الحرص وسوء الأدب اصب إلى أن نأكل ونعطيك مما يفضل، فقال لهم قولوا لصاحبكم أن يخرج إلي فلي إليه شغل مهم وأمر ملم فقالوا له تنح أيها الضيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج إليك، فقال: أنتم عرفوه ما ذكرت لكم فلما عرفوه قال هلا نهرتموه وجرتم عليه وزجرتموه ثم طرق حلقة الباب أعظم من طرقته الأولى فنهضوا من أماكنهم بالعصي والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال: ألزموا أماكنكم فأنا ملك الموت وطاشت حلومهم وارتعدت فرائضهم وبطلت عن الحركة جوارحهم فقال الملك قولوا له ليأخذ بدلا مني وعوضا عني فقال ما آخذ إلا روحك ولا أتيت إلا لأجلك لأفرق بينك وبين النعم التي جمعتها والأموال التي حويتها وخزنتها فتنفس الصعداء وقال لعن الله هذا المال الذي غرني وأبعدني ومنعني من عبادة ربي وكنت أظن أنه ينفعني فاليوم صار حسرتي وبلائي وخرجت صفر اليدين منه وبقي لأعدائي فأنطق الله تعالى المال حتى قال لأي سبب تلعنني العن نفسك فإن الله تعالى خلقني وإياك من تراب وجعلني في يدك لتتزود بي إلى آخرتك وتتصدق بي على الفقراء وتزكي بي على الضعفاء ولتعمر بي الربط والمساجد والجسور والقناطر لأكون عونا لك في اليوم الآخر جمعتني وخزنتني وفي هواك أنفقتني ولم تشكر حقي بل كفرتني فالآن تركتني لأعدائك وأنت بحسرتك وبلائك فأي ذنب لي فتسبني وتلعنني، ثم إن ملك الموت قبض روحه قبل أكل الطعام فسقط على سريره صريع الحمام:." (١)

"٢٩ - (ائت حرثك) أي محل الحرث من حليلتك وهو قبلها إذ هو لك بمنزلة أرض تزرع قال الزمخشري: شبهن بالمحارث لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل وقوله ﴿فأتوا حرثكم﴾ معناه ائتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون حرثها؟ قال: ومن المجاز كيف حرثك؟ أي امرأتك قال: إذا أكل الجراد حروث قوم. . . فحرثي همه أكل الجراد (أنى شئت) أي كيف ومتى وحيث شئت ومن أي جهة شئت لا يخطر عليك جهة دون جهة عمم جميع الكيفيات الموصلة إليه إيماء إلى تحريم مجاورة ما سوى محل البذر لما فيه من العبث بعدم المنفعة فوسع الأمر إزاحة للعلة في إتيان المحل المنهي عنه. وهذا من الكنايات اللطيفة والتعريضات البديعة قال الطيبي: وذلك أنه يبيح لهم أن يأتوهن من أي جهة شاؤا كالأراضي المملوكة وبذلك عرف سر تعبيره بأنى المفيدة لتعميم الأحوال والأمكنة والأزمنة. وما ذكر

(١) الاستعداد للموت وسؤال القبر زين الدين المعبري ص/٩

من أن الدبر حرام هو ما استقر عليه الحال وعليه الإجماع الآن في الجملة. وذهب شرذمة من السلف إلى حله تمسكا بأن هذا الحديث وما أشبهه من أحاديث باب ورد على سبب وهو كما في معجم الطبراني عن ابن عمر أن رجلا أصاب امرأته في دبرها فأنكر ذلك الناس فأنزل الله ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ الآية. قال الهيثمي: فيه يعقوب بن حميد وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله ثقات ثم هذا عام مخصوص بغير حال نحو حيض وصوم وإحرام (وأطعمها) بفتح الهمزة أي الزوجة المعلومة من مرجع الضمير المعبر عنه بالحرث (إذا طعمت) بتاء الخطاب وكذا قوله (واكسها) بوصل الهمزة وسكون الكاف وضم المهملة وكسرها (إذا اكتسيت) قال القاضي وبتاء التأنيث فيهما غلط. والكسوة بالكسر اللباس والضم لغة يقال كسوته إذا ألبسته ثوبا. قال الحراني الكسوة رياش الآدمي الذي يستر ما ينبغي ستره من ذكر وأنثى وعبر " بإذا طعمت " إشارة إلى أنه يبدأ بنفسه للخبر الآتي: " ابدأ بنفسك ثم بمن تعول " وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وهو إجماع والواجب في النفقة عند الشافعي مدان على الموسر ومد ونصف على المتوسط ومد على المعسر حبا سليما من غالب قوت بلدها مع الأدم من غالب أدم البلد وفي الكسوة قميص وسروال وإزار وخمار ونعل ويزاد في الشتاء جبة أو أكثر بحسب الحاجة ومحل بسطه كتب الفقه وفيه ندب مؤاكلة الزوجة خلافا لما يفعله الأعاجم ترفعا وتكبرا وإنه إن أكل بحضرتها بعد دفع الواجب لها ينبغي أن يطعمها مما يأكل جبرا وإيناسا (ولا تقبح) بفوقية مضمومة وقاف مفتوحة وموحدة مشددة (الوجه) أي لا تقل إنه قبيح. ذكره الزمخشري: وقال القاضي: عبر بالوجه عن الذات فالنهي عن الأقوال والأفعال القبيحة في الوجه وغيره من ذاتها وصفاتها فشمل نحو لعن وشتم وهجر وسوء عشرة وغير ذلك (ولا تضرب) ضربا مبرحا مطلقا ولا غير مبرح لغير نشوز. وقال الحراني: وفيه إشارة بما يجري في أثناء ذلك من الأحكام التي لا تصل إليها أحكام حكام الأنام مما لا يقع الفصل فيه إلا يوم القيام من حيث إن ما يجري بين الزوجين سر لا يفشى وفي إشعاره إبقاء للمروءة في الوصية بالزوجة بحيث لا يحتكم الزوجان عند حاكم في الدنيا وفيه تهديد على ما يقع في البواطن من المضارة والمضاجرة بين الزوجين في أمور لا تأخذها الأحكام ولا يصل -[٦٧]- إلى علمها الحكام وفيه أنه يحرم ضرب الزوجة إلا النشوز فإذا تحققه فله ضربها ضربا غير مبرح ولا مدم فإن لم تنزجر به حرم المبرح وغيره وترك الضرب مطلقا أولى. وقضية صنيع المؤلف أن مخرجه أبا داود رواه هكذا من غير زيادة ولا نقص ولا كذلك بل لفظه: " قال - أي معاوية بن حيدة - نساؤنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: هي حرثك فأت حرثك أنى شئت غير أن لا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في المبيت وأطعمها إذا طعمت واكسها إذا اكتسيت كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض إلا بما حل عليها

" أي جاز وفيه **حسن ارأدب** في السؤال والتعظيم بالكناية عما يستحيا من ذكره صريحا والسعي فيما يديم العشرة ويطيب النفس

(د عن) أبي عبد الملك (بهز) بفتح الموحدة وسكون الهاء وزاي معجمة (ابن حكيم) بفتح المهملة وكسر الكاف ابن معاوية (عن أبيه عن جده) معاوية بن حيدة الصحابي القشيري من أهل البصرة: " قال قلنا يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها وما نذر؟ فذكره وبهمز أورده الذهبي في الضعفاء وقال صدوق فيه لين وفي اللسان ضعيف وحكيم قال في التقريب صدوق وسئل ابن معين عن بهز عن أبيه عن جده فقال: إسناد صحيح إذا كان من دون بهز ثقة ولذلك رمز المصنف لحسنه." (١)

"١٥٣ - (اتقوا محاش النساء) بفتح الميم وحاء مهملة وشين معجمة مشددة ويقال بمهملة وهما روايتان كما نبه عليه الشهاب الحجازي وغيره يعني إتيانهن في أدبارهن جمع محشة أو محشاة اسم لأسفل مواضع الطعام من الأمعاء كنى به عن الدبر كما كنى بالحشوش عن الغائط وفي المجيء به هكذا على منهج الرمز باب من **حسن الأدب** وتحاش عن التفوه بالعظيمة والنهي للتحريم فيحرم إتيان الحليلة في دبرها كما سبق ولاحد لكنه ينهى فإن عاد عزر في الثالثة وما رواه الحاكم عن مالك في قوله الآن فعلته بأم ولدي وفعله نافع وابن عمر وفيه نزل ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ فتعقبوه بأنه كذب عليه لكن رده الحافظ ابن حجر في اللسان فقال أصله في سبب النزول مروي عن ابن عمرو عن نافع وعن مالك من طرق عدة صحيحة بعضها في البخاري (سموية) في فوائده

(عد) وكذا أبو نعيم والديلمي (عن جابر) بن عبد الله وفيه علي بن أبي علي الهاشمي اللهبي المدني قال في الميزان عن أبي حاتم والنسائي متروك وعن أحمد له مناكير ثم أورد منها هذا الخبر وفيه أيضا ابن أبي فديك." (٢)

"٢٦٧ - (احفظوني في أصحابي) أي راعوا حرمتي وارقبوني فيهم واقدروهم حق قدرهم وكفوا ألسنتكم عن غمطهم أو الوقيعة فيهم بلوم أو تعنيف لبذلهم نفوسهم وإطراحها بين يدي الله تعالى في الحروب وقتالهم القريب والبعيد في ذات الله وبذلهم أموالهم وخروجهم من ديارهم وصبرهم على البلاء والجهد الذي لا يطيقه غيرهم وليس ذلك إلا عن أمر عظيم ملك البواطن وصرفها على حكم محبة الله ومحبة رسوله فاستوجبوا بذلك الرعاية وكمال العناية والإضافة للتشريف (وأصهاري) جمع صهر وهو ما كان من خلطة تشبه القرابة

---

(١) فيض القدير المناوي ١/٦٦

(٢) فيض القدير المناوي ١/١٤٤

يحدثها التزويج. قال الزمخشري: فلان صهر فلان لمن يتزوج بنته وقد يقال لأهل بيت الزوجين معا أصهار انتهى وقال ابن السكيت: من كان من قبل الزوج أحماء ومن قبل المرأة أختان ويجمع الصنفين الأصهار والمتعارف من أصهاره آباء زوجاته كالعمرين وأزواج بناته كعلي وعثمان وأقارب زوجاته (فمن حفظني فيهم) أي راعاني فيهم بإكرامهم **وحسن الأدب** معهم (حفظه الله) دعاء أو خبر (في الدنيا والآخرة) أي منعه من كل ضر وضير فيهما. قال الراغب: يعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى وربما ترك ذكر الدار كما هنا وقد توصف الدار بالآخرة تارة وتضاف إليها تارة نحو ﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ تقديره دار الحياة الآخرة (ومن لم يحفظني فيهم) بما ذكر (تخلى الله) أي أعرض (عنه) وتركه في غيه يتردد وهذا أيضا يحتمل الدعاء والخبر وأيما كان فيا لها من شقاوة كيف (ومن تخلى الله عنه أوشك) أي أسرع وفي نسخ يوشك وهو تحريف من النساخ فإن الأول هو كما في مسودة المؤلف بخطه (أن يأخذه) أخذ عزيز مقتدر وهذا وعيد شديد لمن لم يحفظه فيهم وتحذير بليغ من تعجيل العقوبة له وأن ذلك من أفظع الكبائر وأشنع الجرائم قال الحافظ الزرندي لم يكن من العلماء المجتهدين والأئمة المهتدين إلا وله في ولاية أهل البيت الحظ الوافر والفخر الزاهر كما أخبر الله بقوله ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾

(طب وأبو نعيم في) كتاب (المعرفة) أي معرفة الصحابة (وابن عساكر) في تاريخه وكذا الديلمي (عن عياض) بكسر أوله ومثناة تحت مخففة فمعجمة (الأنصاري) له صحبة قال الهيتمي وفيه ضعفاء وقد وثقوا وقال شيخه العراقي سنده ضعيف." (١)

"٣١٠ - (أدبني ربي) أي علمني رياضة النفس ومحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة والأدب ما يحصل للنفس من الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة وفي شرح النوابغ هو ما يؤدي بالناس إلى المحامد أي يدعوهم (فأحسن تأديبي) بإفضاله علي بالعلوم الكسبية والوهبية بما لم يقع نظيره لأحد من البشر. قال بعضهم: أدبه بآداب العبودية وهذبه بمكارم أخلاق الربوبية ولما أراد إرساله ليكون ظاهر عبوديته مرآة للعالم كقوله صلوا كما رأيتموني أصلي وباطن حاله مرآة للصادقين في متابعته وللصديقين في السير إليه ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ وقال القرطبي: حفظه الله من صغره وتولى تأديبه بنفسه ولم يكله في شيء من ذلك لغيره ولم يزل الله يفعل به حتى كره إليه أحوال الجاهلية وحماه منها فلم يجر عليه شيء منها كل ذلك لطف به وعطف عليه وجمع للمحاسن لديه انتهى. وفي هذا من تعظيم شأن الأدب ما لا يخفى ومن ثم قالوا:

---

(١) فيض القدير المناوي ١/١٩٧

الأدب صورة العقل فصور عقلك كيف شئت وقالوا: الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب لأن من ساء أدبه ضاع نسبه ومن ضل عقله ضل أصله وقالوا: زك قلبك بالأدب كما تزكي النار بالحطب **وحسن الأدب** يستر قبيح النسب. وقال في العوارف: بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصلح العمل وبالعمل تنال الحكمة ولما ورد أبو حفص النيسابوري العراق جاءه الجنيد فرأى أصحابه وقوفا على رأسه يأتمرون بأمره فقال: أدبت أصحابك آداب الملوك. قال: لا -[٢٢٥]- ولكن **حسن الأدب** في الظاهر عنوان **حسن الأدب** في الباطن. وقال العارف ابن سلام: مددت رجلي تجاه الكعبة فجاءتني امرأة من العارفات فقالت: إنك من أهل العلم لا تجالسه إلا بالأدب وإلا محى اسمك من ديوان القرب. وقال السقطي: مددت رجلي ليلة في المحراب فنوديت ما هكذا تجالس الملوك فقلت: وعزتك لا مددتها أبدا فلم يمدها ليلا ولا نهارا. قال في العوارف: وكل الآداب متلقيات عن المصطفى صلى الله عليه وسلم فإنه مجمعها ظاهرا وباطنا وذكر البرهان البقاعي أنه سأله بعض العجم أن يقرأ عليه فأذن فجلس متربعا فامتنع من إقرائه وقال: أنت أحوج إلى الأدب منك إلى العلم الذي جئت تطلبه وحكى عن الشمس الجوهري أنه لما شرع في الاشتغال بالعلم طاف على أكابر علماء بلده فلم يعجبه منهم أحد لحدة فهمه حتى إذا جاء شيخ الإسلام يحيى المناوي فجلس بين يديه وفي ظنه أنه يلحقه بمن تقدم فشرع في القراءة فتأمل الشيخ فوجد أصبعا من أصابع رجله مكشوفا فانتهره وقال له بحال أنت قليل الأدب لا يجئ منك في الطلب غط أصبعك واستعمل الأدب فحم لوقته وزال عنه ما كان يجده من الاستخفاف بالناس ولزم دروسه حتى صار رأسا عظيما في العلم. وقال بعضهم: قد أدب الله تعالى روح نبيه صلى الله عليه وسلم ورباها في محل القرب قبل اتصالها ببدنه الظاهر باللطف والهبة فتكامل له الإنس باللطف والأدب بالهيبة واتصلت بعد ذلك بالبدن ليخرج باتصالها كمالات أخرى من القوة إلى الفعل وينال كل من الروح والبدن بواسطة الأخرى من الكمال ما يليق بالحال ويصير قدوة لأهل الكمال والأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا وقيل: الأخذ بمكارم الأخلاق وقيل الوقوف مع المستحسنات وقيل تعظيم من فوقه مع الرفق بمن دونه وقيل: غير ذلك. قال الحراني: والربوبية إقامة المربوب لما خلق وأريد له فرب كل شيء مقيمه بحسب ما أبداه وجوده فرب المؤمن ربه وباه للإيمان ورب الكافر ربه ورباه للكفران ورب محمد صلى الله عليه وسلم ربه ورباه للحمد ورب العالمين رب كل عالم لما خلق له ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ فالربوبية بيان في كل رتبة بحسب ما أظهرته آية مربوبه من عرف نفسه فقد عرف ربه

(ابن السمعاني) الإمام أبو سعد (في) كتاب (أدب الإملاء) أي إملاء الحديث من جهة صفوان بن مفلس

الحنطي عن محمد بن عبد الله عن سفيان الثوري عن الأعمش (عن ابن مسعود) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أدبني فأحسن أدبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ هذا سياق رواية السمعاني بحروفه فتصرف فيه المؤلف كما ترى. قال الزركشي: حديث أدبني ربي فأحسن تأديبي معناه صحيح لكنه لم يأت من طريق صحيح وذكره ابن الجوزي في الواهيات عن علي في ذيل حديث وضعفه وأسنده سبطه في مرآة الزمان وأخرجه بطرق كلها تدور على السدي عن ابن عمارة الجواني عن علي وفيه فقال يا رسول الله إنك تكلم الوفود بكلام أو لسان لا نفهم أكثره فقال إن الله أدبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد فقال له عمر يا رسول الله كلنا من العرب فما بالك أفصحنا فقال: أتاني جبريل بلغة إسماعيل وغيرها من اللغات فعلمني إياها وصححه أبو الفضل بن ناصر قال المؤلف وأخرج العسكري عن علي قال قدم بنو فهد بن زبد على المصطفى صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتيناك من غور تهامة وذكر خطيبهم وما أجابهم المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال: فقلت يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وإنك تكلم العرب بلسان لا نفهم أكثره فقال: أدبني ربي إلى آخره وأخرج ابن عساكر أن أبا بكر قال: يا رسول الله طفت في العرب وسمعت كلام فصائحهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك قال: أدبني ربي ونشأت في بني سعد قال: وإسناده ضعيف وقال السخاوي: ضعيف وإن اقتصر شيخنا يعني ابن حجر على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه. وقال ابن تيمية: لا يعرف له سند ثابت." (١)

"-[٢٩٤]- ٤٧١ - (إذا أقيمت الصلاة) أي إذا نادى المؤذن بالإقامة فأقيم المسبب مقام السبب ذكره الطيبي. ونبه بالإقامة على ما سواها لأنه إذا نهى عن إتيانها سعيا حال الإقامة مع خوف فوت بعضها فقبل الإقامة أولى (فلا تأتوها وأنتم تسعون) تهرولون وإن خفتم فوت التكبير أو التبكير فإنكم في حكم المصلين المخاطبين بالخشوع والخضوع فالقصد من الصلاة حاصل لكم وإن لم تدركوا منها شيئا والنهي للكراهة وأما قوله تعالى ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ فليس المراد به الاسراع بل الذهاب أو هو بمعنى العمل والقصد كما تقول سعيت في أمري. قال الطيبي: وقوله وأنتم تسعون حال من ضمير الفاعل وهو أبلغ في النهي من لا تسعوا وذلك لأنه مناف لما هو أولى به من الوقار والأدب ثم عقبه بما ينبه على **حسن الأدب** بقوله (وائتوها) في رواية ولكن ائتوها (وأنتم تمشون) بهينة لقوله تعالى ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ ثم ذيل المفهومين بقوله (وعليكم السكينة) أي الزموا السكينة في جميع أموركم سيما في

---

(١) فيض القدير المناوي ١/٢٢٤

الوفود على رب العزة فالزموا الوقار في الهيئة بغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات والعبث. والسكينة فعيلة من السكون وذكر الصغاني في الذيل أنها بكسر السين وهي على المشهور في الرواية كما في شرح الترمذي للعراقي بالرفع جملة حالية أو السكينة مبتدأ وعليكم خبره وفي رواية بالنصب إغراء واكتفى بالسكينة ولم يذكر الوقار للزومه لها أو هي هو فجمعه بينهما في رواية البخاري تأكيد نعم فرق بعض الأعاظم بينهما بأن السكينة التأني في الحركات والوقار التأني في الهيئة وخفض الصوت وفي رواية للبخاري بالسكينة واعترض بتعديه بنفسه في عليكم أنفسكم ومنعه الرضي بأن أسماء الأفعال وإن كان حكمها في التعدي واللزوم حكم الأفعال التي بمعناها لكن كثيرا ما تزاد الباء في مدخولها نحو عليك به لضعفها عن العمل (فما) أي فإذا فعلتم ما أمرتم به من السكينة فما (أدركتم) مع الإمام من الصلاة (فصلوا) معه (وما فاتكم) منها (فأتموا) وقد حصلت لكم فضيلة الجماعة بالجزء المدرك وإن قل فقوله فأتموا أي فأكملوه وحدكم وفي رواية بدل فأتموا فاقضوا واستدل به الحنفية على أن ما أدركه المسبوق آخر صلاته فيجهر في الركعتين الأخيرتين ويقرأ السورة مع الفاتحة وبالأول الشافعية على أنه أولها فلا يجهر لكن يقضي السورة لأن الإتمام يستلزم سبق أول وأجابوا بأن القضاء يرد بمعنى الأداء فيحمل عليه جمعا بينهما ولهذا قال في تنقيح التحقيق: الصواب لا فرق بين اللفظين لأن القضاء هو الإتمام في عرف الشرع ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ ﴿فإذا قضيتم الصلاة﴾ وفيه أنه يندب لقاصد الجماعة المشي إليها بسكينة ووقار وإن خاف فوت التحريم وأن لا يعبث في طريقه إليها ولا يتعاطى ما لا يليق بها لخبر مسلم: إن أحدكم في صلاة ما دام يعمد إلى الصلاة

(حم ق ٤ عن أبي هريرة) وزاد مسلم فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة قال ابن حجر له طرق كثيرة وألفاظ متقاربة." (١)

"١٦٧٣ - (إن الله تعالى إذا أحب عبدا) أي رضي عنه وأراد به خيرا وهداه ووفقه (دعا جبريل) أي أذن له في القرب من حضرته (فقال) له (إني أحب فلانا فأحببه) أنت يا جبريل وهو بهمزة قطع مفتوحة فحاء مهملة ساكنة على الفك (فيحبه جبريل) فالضمير في نادى إلى الله تعالى يعني إذا أراد الله تعالى إظهار محبة عبد يعلمها أولا (ثم ينادي) أي جبريل (في السماء) أي في أهلها (فيقول إن الله) وفي رواية بدون يقول وعليها هو بكسر الهمزة على إضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين على أن في النداء معنى القول (يحب فلانا فأحبوه) بتشديد الموحدة أنتم (فيحبه أهل السماء) أي الملائكة (ثم يوضع له القبول

(١) فيض القدير المناوي ٢٩٤/١

في) أهل (الأرض) أي يحدث له في القلوب مودة ويزرع له فيها مهابة فتحبه القلوب وترضى عنه النفوس من غير تودد منه ولا تعرض للأسباب التي تكتسب لها مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لأوليائه بكرامة خاصة كما يقذف في قلوب أعدائه الرعب والهيبة إعظاما لهم وإجلالا لمكانهم ذكره الزمخشري. قال بعضهم: وفائدة ذلك أن يستغفر له أهل السماء والأرض وينشأ عندهم هيبة وإعزازهم له ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ قال العارف ابن عربي رضي الله تعالى عنه: وإذا وقع النداء بمحبته قبلته جميع البواطن وإن أنكرته الظواهر من بعض الناس فلأغراض قامت بهم وهم في هذا كسجودهم لله كل من في العالم ساجد وكثير من الناس ما قال كلهم وهكذا حال هذا العبد تحبه بقاع الأرض كلها وجميع ما فيها وكثير من الناس على أصلهم في السجود لله تعالى وفي تاريخ الخطيب في ترجمة خير النساج عنه إذا أحبك ذلك وعافاك وإذا أحببته أتعبك وأبلاك. قال ابن الأثير: والقبول بفتح القاف المحبة والرضى بالشيء وميل النفس إليه. قال الغزالي رضي الله تعالى عنه: لا تستبعد رضى الله عن العبد مما يغضب به على غيره ألا ترى إلى قول موسى عليه -[٢٠٥]- الصلاة والسلام ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ ﴿ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ وهذا من غير موسى عليه السلام **من سوء الأدب** لكن من أقيم مقام الأنس يتلاطف ويحتمل ولم يحتمل من يونس عليه الصلاة والسلام ما دون ذلك لكونه أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بما عوقب به وذلك الاختلاف إما لاختلاف المقامات أو لما سبق في الأزل من التفاضل. وانظر كيف احتمل إخوة يوسف عليه السلام ما فعلوه بيوسف عليه السلام ولم يحتمل للعزيز كلمة واحدة سأل عنها في القدر وكان بلعم بن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين فعفى عنه أوحى الله إلى سليمان عليه الصلاة والسلام يا رأس العابدين ويا محجة الزاهدين إلى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عنه لئن أخذته لأتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فخرج آصف حتى علا كثيبا ثم رفع رأسه وقال إلهي وسيدي أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تتب علي وكيف أعتصم إن لم تعصمني فأوحى الله إليه صدقت يا آصف قد تبت عليك وأنا التواب الرحيم. قال الغزالي رضي الله عنه: هذا كلام مدل به عليه وهارب منه إليه فهذه سنة الله في عباده بالتقديم والتأخير على ما سبقت به المشيئة الأزلية (وإذا أبغض عبدا) أي أراد به شرا أو أبعده عن الهداية (دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل) يحتمل أن يريد عدم استغفاره له وعدم دعائه له ويحتمل إرادة المعنى الحقيقي وهو عدم الميل القلبي والنفرة منه (ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض) أي فيبغضه أهل الأرض جميعا فلا تميل إليه

قلوبهم بل تميل عنه وينظرون إليه بعين النقص والإزراء وتسقط مهابته من النفوس وإعزازه من الصدور من غير صدور إيذاء منه لهم ولا جناية عليهم. وقيل: إن بغضه يلقى في الماء فلا يشربه أحد إلا أبغضه (١)

[١] قال في الحكم: إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق العمل فيك ونسبه إليك لا نهاية لمذامك إذا أرجعك إليك ولا تفرغ مدابحك إن أظهر جوده عليك لو أنك لا تصل غليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه

(م) في الأدب (عن أبي هريرة) زاد الطبراني ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ ورواه البخاري بدون ذكر البغضاء

---

(١) قال العلماء محبة الله لعبده إرادته الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته وبغضه إرادته عقابه وشقاوته ونحوه وجب جبريل والملائكة يحتمل وجهين أحدهما استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم له والثاني أنه على ظاهره المعروف من الخلق وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلى لقائه وسبب ذلك كونه مطيعا لله محبوبا له ومعنى يوضع له القبول في الأرض أي الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه." [٢]

"-[٤١٦]- ٢١٨٠ - (إن أحدكم إذا قام يصلي) فرضا أو نفلا (إنما) وفي رواية بدله فإنه (يناجي ربه) أي يخاطبه ويساره ومناجاته لربه من جهة إتيانه بالذكر والقراءة ومناجاة ربه له من جهة لازم ذلك وهو إرادة الخير مجازا (فلينظر كيف يناجيه) أي فليتأمل في جواب ما يناجيه من القول على سبيل التعظيم والتبجيل ومواطأة القلب اللسان والإقبال على الله تعالى بشراشره والإخلاص في عبادته وتفريغ القلب للذكر والتلاوة والتدبر فلا يليق لعاقل أن يتلقى شكر هذه النعمة الخطيرة السنية التي هي مناجاة هاتيك الحضرة العلية بشغل القلب بشيء من الدنيا الدنية قال الطيبي: وقوله إنما يناجي ربه تعليل للنهي شبه العبد وتوجهه إلى الله تعالى في الصلاة وما فيها من القراءة والأذكار وكشف الأسرار واستنزال الرحمة مع الخشوع والخضوع بمن يناجي مولاه ومالكه فمن شرائط **حسن الأدب** أن يقف محاذيه ويطرق رأسه ولا يمد بصره إليه ويراعي جهة إمامه حتى لا يصدر منه في تلك الجهات شيء وإن كان الله تعالى منزها عن الجهات لأن الآداب الظاهرة والباطنة مرتبط بعضها ببعض وفيه حث على إخلاص القلب وحضوره وتفريغه لما في صلاته

---

(١) تنبيه

(٢) فيض القدير المناوي ٢/٢٠٤

من ذكر وغيره وإن الصلاة أفضل الأعمال لأن المناجاة لا تحصل إلا فيها

(ك عن أبي هريرة) ورواه أحمد والنسائي والبيهقي بلفظ إن المصلي يناجي ربه فلينظر ما يناجيه به." (١)

"٢٢٦٣ - (إن حسن الظن بالله) أي بأن يظن أن الله يغفر له ويعفو عنه (من حسن عبادة الله) تعالى أي حسن ظنه به من جملة حسن عبادته فيظن أنه يعطف على ضعفه وفقره ويكشف ضره ويغفر ذنبه بجميل صفحه فيعلق آماله به لا بغيره ويحتمل أن معنى من حسن العبادة أنه كلما **أحسن الأدب** في عبادة ربه حسن ظنه بأنه يقبلها وكل ما شاهد توفيقه لفعلها حسن ظنه في عفوه عن زللها ومن لا يحسن أدبه في خدمة ربه يتوهم أنه يحسن الظن وهو مغرور ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ فيراه يأتي بصورة عبادة بغير أدب ويؤمل القبول ويسيء الظن بسيده في ضمان رزقه فيحرص عليه ويأخذه من غير حله ويسيء الظن به في الشدائد فيفزع إلى غيره ويسيء الظن به في الخلق فلا ينفق في طاعته ويحقق ظن عدوه وشيطانه فيستجيب له في بخله فهو مطلوب محبوب لكن مع ملاحظة مقام الخوف فيكون باعث الرجاء والخوف في قرن أي إن لم يغلب القنوط وإلا فالرجاء أولى وإلا أمن من المكر وإلا فالخوف أولى ثم هذا كله في الصحيح أما المريض لا سيما المحتضر فالأولى في حقه الرجاء

(حم ت ك) في التوبة (عن أبي هريرة) قال الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي عليه." (٢)

"٢٤٨٩ - (إن من حق الولد على والده) ومثله الجد أو الأب عند فقده فإن فقد فالأم وإن علت (أن يعلمه الكتابة) أي الخط لأنه عون له على الدنيا والدين وكذا يعلمه القراءة والآداب وكل ما يضطر إلى معرفته من الأمور الضرورية (وأن يحسن اسمه) بأن يسميه بأحب الأسماء إلى الله تعالى أو بنحو ذلك ولا يسميه باسم شيء من أسماء الشياطين ونحوها مما نهى عنه (وأن يزوجه) أو يسريه (إذا بلغ) الحلم فإنه بالتزويج أو التسري يحفظ عليه شطر دينه كما سيجيء في خبر وفيه إشارة إلى أن على الآباء تعليم أبنائهم **حسن الأدب** الذي شرع الشرع والعقل فضله واتفقت الكلمة على شكر أهله وأجرة تعليمه الكتابة ونحوها من ماله ثم على أبيه وإن علا ثم أمه وإن علت (ابن النجار) في التاريخ (عن أبي هريرة) بإسناد ضعيف لكن له شاهد." (٣)

---

(١) فيض القدير المناوي ٤١٦/٢

(٢) فيض القدير المناوي ٤٤٦/٢

(٣) فيض القدير المناوي ٥٣٨/٢

"٣٣٨١ - (تواضعوا لمن تعلمون منه) العلم أو غيره قال الماوردي: اعلم أن للمتعلم في زمن تعلمه ملقا وتذللا إن استعملهما غنم وإن تركهما حرم لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب لإدامة صبره وبإظهار مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الإكثار قال الحكماء: من لم يحتمل ذل العلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا وقالوا: إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب قعدت وأنت كبير حيث لا تحب قال:

إن المعلم والطبيب كلاهما. . . لا ينصحان إذا هما لم يكرما

فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه. . . واصبر لجهلك إن جفوت معلما

ولا يمنعه من ذلك علو منزلته وإن كان العالم خاملا فإن العلماء بعلمهم استحقوا التعظيم لا بالشهرة والمال وربما وجد الطالب قوة في نفسه لجودة ذكائه وحدة خاطره فترفع على معلمه ورماه بالإعنات والاعتراض فيكون كمن جاء فيه المثل السائر

أعلمه الرماية كل يوم. . . فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي. . . فلما قال قافية هجاني

وهذا من مصائب العلماء وانعكاس حظوظهم أن يصيروا عند من علموه مستجهلين ولدى من قدموه مرذولين وقد رجح كثير حق الشيخ على حق الوالد (١) . (تنبيه﴾ قال العارف ابن عربي: حرمة الحق في حرمة الشيخ وعقوقه في -[٢٧٤]- عقوقه والمشايخ حجاب الحق الحافظون أحوال القلوب فمن صحب شيخا ممن يقتدى به ولم يحترمه فعقوبته فقدان وجود الحق في قلبه والغفلة عن الله وسوء الأدب عليه بأن يدخل عليه في كلامه ويزاحمه في رتبته فإن وجود الحق إنما هو للأدباء ولا حرمان أعظم على المريد من عدم احترام الشيخ ومن قعد معهم في مجالسهم وخالفهم فيما يتحققون به من أحوالهم نزع الله نور الإيمان من قلبه فالجلوس معهم خطر وجليسهم على خطر (تنبيه آخر) قال الغزالي: إن قيل هل يحصل العلم الذي تعلمه فرض ينظر الإنسان من غير معلم فاعلم أن الأستاذ فاتح وسهل والتحصيل معه أسهل وأروح والله تعالى بفضله يمن على من يشاء من عباده فيكون هو معلمهم (وتواضعوا لمن تعلمون) (٢) بخفض الجناح والملاطفة (ولا تكونوا جبابرة العلماء) تمامه كما في مسند الفردوس فيغلب جهلكم علمكم انتهى قال تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ وإذا شرع التواضع لمطلق الناس فكيف بمن له حق الصحبة وحرمة التودد وصدق المحبة وشرف الطلب وهم أولاده وينبغي أن يخاطب كلا منهم سيما الفاضل

بكنية ونحوها من أحب الأسماء إليه وما فيه تعظيمه وتوقيره وتبجيله [1] لما أراد الخليفة الرشيد أن يقرأ على مالك الموطأ قعد بجانبه وأمر وزيره أن يقرأ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين هذا العلم لا يؤخذ إلا بالتواضع وقد جاء في الخبر تواضعوا لمن تعلمون منه فقام الخليفة وجلس بين يديه مع أن الخليفة في الفضل بحيث يعلم موضعه ولأجل ما عنده من فضيلة العلم انقاد إلى الأدب والتواضع ولم يزده ذلك إلا رفعة وهيبة بل ارتفع قدره بذلك حتى أثنى به عليه على مر الزمان. (غريبة) روي أن شيخ الشيخ خليل المالكي صاحب المختصر المشهور احتاج إلى إزاحة كنيف فراح يطلب السراباتي فجاء شيخ خليل في غيبته فتجرد ونزل الكنيف يعمل فيه فجاء الشيخ فوجده يعمل فرفع يده وابتهل في صلاح باطنه وشيوع علمه جزاء لما صنعه فأنجب حالا فسارت به الركبان إلى الآن وفي نشر الروض لليافعي رحمه الله تعالى أن أبا الغيث بن جميل أمره شيخه ابن مفلح رضي الله عنه بخدمة نسائه وعادتهم لا يخدمهن إلا من انتهى في السلوك لأن رضاهن لا يحمله إلا من له سعة باطن فكان إذا فرغ من خدمتهن يجد فقيرا يعطيه رغيفا وحلوى فسأله ابن مفلح رضي الله تعالى عنه يوما: ما هذا فأخبره فقال: إنه الخضر عليه السلام فإن كان شيخك رح إليه وإن كنت شيخك فلا تأخذ منه فجاءه فأعطاه فرده فقال له الخضر عليه السلام: تفلح يا أبا الغيث بامتثال أمر شيخك وقال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما: ما جلست مجلسا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم وما جلست قط مجلسا أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح
(خط في الجامع عن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه قال الذهبي: رفعه لا يصح وروى من قول عمر هو الصحيح انتهى

---

(١) قيل للإسكندر إنك لتعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك قال: لأن أبي سبب لحياتي الفانية وهو سبب حياتي الباقية وقيل لأبي منصور المغربي: كيف صحبت أبا عثمان قال: خدعته لا صحبته وقال بعضهم: من لم يعلم حرمة من تأدب به حرم بركته ومن قال لشيخه لا: لا يفلح أبدا
(٢) ومن التواضع المتعين على العالم أن لا يدعى وقد قيل لسان الدعوى إذا نطق أخرسه الإمتحان وقال شاعر:

---

(١) تنبيه

ومن البلوى التي. . . ليس لها في العلم كنه

أن من يحسن شيئا. . . يدعي أكثر منه." (١)

"٤٤٤٦ - (رحمة الله علينا وعلى موسى) هذا من **حسن الأدب** نحو ﴿عفا الله عنك﴾ تمهيدا لدفع ما يوحش من نسبة العجلة وعدم التأني إليه (لو صبر) بمعنى تصبر عن المبادرة بالسؤال للخضر عن إتلاف المال وقتل نفس لم تبلغ وترك الاستخبار عن ذلك حتى يكون هو الذي يخبره كما شرط ذلك عليه بقوله ﴿فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ (لرأى من صاحبه) الخضر (العجب) تمامه عند النسائي ولكنه قال ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا﴾ انتهى. فبتركه الوفاء بالشرط حرم بركة صحبته واستفادة العلم من جهته (١) قالوا: وقد أدب الله العلماء بنفسه حيث لم يرد العلم إلى الله بنفسه لما سئل هل في الأرض أعلم منك قال المرسي: كنت في البحر وانفتح المركب واشتد الريح فانفتحت السماء ونزل ملكان أحدهما يقول موسى أعلم من الخضر والآخر يقول الخضر أعلم فنزل ملك آخر فقال: والله ما علم الخضر في علم موسى إلا كعلم الهدهد في علم سليمان قال ابن حجر: هذا الحديث مما استدل به من زعم أنه لم يكن الخضر حالة هذه المقالة موجودا إذ لو كان لأمكنه أن يصحبه بعض أكابر الصحابة فيرى منه نحوا مما رأى موسى وأجاب من ادعى بقاءه بأن التمني إنما كان يقع بينه وبين موسى وغير موسى لا يقوم مقامه قال ابن عطاء الله: وبقاء الخضر إلى الآن أجمع عليه هذه الطائفة وتواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه والأخذ عنه واشتهر إلى أن بلغ حد التواتر الذي لا يمكن جحده وفيه من آداب الدعاء أنه يبدأ بنفسه وفضل العلم والأدب مع العالم وحرمة المشايخ وترك اعتراض الكبير على كبير ولو دونه في الرتبة ولا يبدره بالإنكار بل يصبر حتى يكشف له القناع وأن على المتعلم تقليد معلمه حتى فيما خالف رأيه فإن خطأ مرشده أنفع من صوابه في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب أحيانا بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل معه صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له بالطب وقال بعضهم: هذا أصل عظيم في وجوب التسليم في كل ما جاء به الشرع وإن لم تظهر حكمته للعقول

(د ن ك) في كتاب الأنبياء (عن أبي) بن كعب (زاد الباوردي " العجاب ") قال الحاكم: على شرطهما وأقره الذهبي وهذا الحديث رواه الشيخان في قصة حديث الخضر وموسى بلفظ يرحم الله موسى لوددت أن لو كان صبر حتى يقص علينا من أخبارها

---

(١) فيض القدير المناوي ٣/٢٧٣

ولا دلالة فيه على تفضيل الخضر عليه فقد يكون في المفضول ما لا يوجد في الفاضل." [١]

"٤٧٢٣ - (سوء المجالسة (١) شح وفحش وسوء خلق) بالضم فينبغي الحذر من ذلك وإكرام الجلساء وحسن الأدب معهم ومعاملتهم بالتواضع والإنصاف

(ابن المبارك) في الزهد وكذا العسكري في الأمثال (عن سليمان بن موسى مرسلا) هو الأموي مولاهم الدمشقي الأشدق أحد الأئمة قال النسائي: غير قوي وقال البخاري: له مناكير مات سنة تسعة عشر ومئة وهذا الحديث معدود من الأمثال والحكم

---

(١) الجلوس غير القعود لأن الأول الانتقال من سفل إلى علو والثاني الانتقال من علو إلى سفل فيقال للقائم والساجد اجلس ولمن هو قائم اقعد وقد يستعملان بمعنى التمكن والحصول فيكونان بمعنى واحد ومنه يقال جلس متربعا وقعد متربعا وجلس بين شعبها أي حصل وتمكن." [٢]

"٦٥٦٧ - (كان إذا استفتح) الذي وقفت عليه في أصول مخرجي هذا الحديث افتتح (الصلاة) أي ابتدأ فيها (قال) أي بعد تكبيرة الإحرام (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك) قال ابن الأثير: الاسم هنا صلة قال الفخر الرازي: وكما يجب تنزيه ذاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب (وتعالى جدك) أي على جلالك وعظمتك والجد الحظ والسعادة والغنى (ولا إله غيرك) لفظ رواية الترمذي كان إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك الله وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه اه. قال الطيبي: والواو في وبحمدك للحال أو هو عطف جملة فعلية على مثلها إذ التقدير أنزهك تنزيها وأسبحك تسبيحا مقيدا بشكرك وعلى التقديرين اللهم جملة معترضة والجار والمجرور أعني بحمدك متصل بفعل مقدر والباء سببية أو حال من فاعل أو صفة لمصدر محذوف أي نسبح بالثناء عليك أو متلبسين بشكرك أو تسبيحا مقيدا بشكرك وفيه رد على مالك في ذهابه إلى عدم سن الافتتاح لكن قال الحافظ ابن حجر: يعارض حديث الاستفتاح حديث أنس أن المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين أخرجاه وخبر مسلم عن جابر كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة

---

(١) فيض القدير المناوي ٣٠/٤

(٢) فيض القدير المناوي ١١٤/٤

بالحمد لله رب العالمين ثم إن الحديث المشروح قد تمسك به الحنابلة على أن السنة في الافتتاح إنما هي ما ذكر مخالفين -[١٠٠]- للشافعي في ذهابه إلى ندبه بقوله وجهت وجهي إلخ
(د ت هـ ك) وصححه (عن عائشة) ثم قال مخرجه أبو داود: لم يروه عن عبد السلام غير طلق بن غنام وليس هذا الحديث بالقوي وقال النووي في الأذكار: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه بأسانيد ضعيفة قال الذهبي: خرجه الترمذي من طريق حارثة بن أبي الرجال وهو واه (ن هـ ك عن أبي سعيد) الخدري قال الذهبي: فيه علي بن علي الرفاعي وفيه لين (طب عن ابن مسعود وعن واثلة) بن الأسقع قال الصدر المناوي: روي مرفوعا عن عائشة وأبي سعيد والكل ضعيف ورواه مسلم موقوفا قال: ووهم المحب الطبري حيث عزاه للسبعة أي الستة وأحمد فإنه ليس في الصحيح بل ولا صحيح بل ضعيف وقال مغلطاي في شرح ابن ماجه: فيه علة خفية وهي الانقطاع بين أبي الجوزاء أوس بن عبد الله وعائشة فإنه لم يسمع منها وقال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات لكن فيه انقطاع وأعله أبو داود وغيره وقال الهيثمي في رواية الطبراني: فيه عمرو بن حسين وهو ضعيف وقال الطيبي: حديث حسن قال: وقد رماه في المصابيح بالضعف وليس الأمر كما توهمه." (١)

"٧٠٠٣ - (كان يحب هذه السورة) سورة (سبح اسم ربك الأعلى) أي نزه اسمه عن أن يبتذل أو يذكر إلا على جهة التعظيم قال الفخر الرازي: وكما يحب تنزيه ذاته عن النقائص يحب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب
(حم) وكذا البزار وكلاهما (عن علي) أمير المؤمنين رمز لحسنه قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف هكذا جزم به واقتصر عليه وبينه تلميذه الهيثمي قال: فيه ثور بن أبي فاختة وهو متروك انتهى وبه يعرف أن رمز المصنف لحسنه زلل فاحش." (٢)

"٩٨٢٥ - (لا تطعموا المساكين مما لا تأكلون) فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا و ﴿أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ فينبغي إطعام نحو الفقير من كل متصدق عليه من أجود ما عنده وأحبه إليه وإذا لم يكن من الجيد فذلك **من سوء الأدب** فإنه إذا أمسك الجيد لنفسه وأهله فقد آثر على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه لأوغر به صدره مع أنه مخلوق أخرج ابن سعد أن الربيع بن خيثم كان يحب السكر فإذا جاء السائل ناوله فيقال له: ما يصنع بالسكر الخبز خير

(١) فيض القدير المناوي ٩٩/٥

(٢) فيض القدير المناوي ٢٠٩/٥

له فيقول: سمعت الله يقول ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ وكان ابن عمر يتصدق في السنة بألف قنطار من السكر فقيل له في ذلك فقال: والله أنا أحب السكر وقد سمعت الله يقول ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾

(حم عن عائشة) قالت: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضب فلم يأكله فقيل يا رسول الله ألا تطعمه المساكين؟ فذكره قال الهيثمي: رجاله موثقون." (١)

"من شرح المركز لزوائد الجامع الصغير: الحديث رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ولفظه: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال " قال النووي: (الاعتصام بحبل الله) هو التمسك بعهده وهو اتباع كتابه العزيز وحدوده والتأدب بأدبه. (والحبل) يطلق على العهد وعلى الأمان وعلى الوصلة وعلى السبب وأصله من استعمال العرب الحبل في مثل هذه الأمور لاستمساكهم بالحبل عند شدائد أمورهم ويوصلون بها المتفرق فاستعير اسم الحبل لهذه الأمور. وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (ولا تفرقوا) فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض وهذه إحدى قواعد الإسلام. واعلم أن الثلاثة المرضية إحداها: أن يعبدوه. والثانية: ألا يشركوا به شيئا. الثالثة: أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا وأما (قيل وقال) فهو الخوض في أخبار الناس وحكايات ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم. واختلفوا في حقيقة هذين اللفظين على قولين: أحدهما: أنهما فعلان فقيل: مبنى لما لم يسم فاعله وقال: فعل ماض. والثاني: أنهما اسمان مجروران منونان؛ لأن القيل والقول والقالة كله بمعنى ومنه قوله تعالى ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ ومنه قولهم: كثر القيل والقال. وأما (كثرة السؤال) : فقيل: المراد به القطع في المسائل والإكثار من السؤال عما لم يقع ولا تدعو إليه حاجة وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن ذلك وكان السلف يكرهون ذلك ويرونه من التكلف المنهي عنه. وفي الصحيح: "كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها " وقيل: المراد به سؤال الناس أموالهم وما في أيديهم وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن ذلك وقيل: يحتمل أن المراد كثرة السؤال عن أخبار الناس وأحداث الزمان وما لا يعني الإنسان وهذا ضعيف لأنه قد عرف هذا من النهي عن قيل وقال وقيل: يحتمل أن المراد كثرة سؤال الإنسان عن حاله وتفاصيل أمره فيدخل ذلك في سؤاله عما لا يعنيه ويتضمن ذلك حصول الحرج في حق المسئول فإنه قد لا يؤثر إخباره بأحواله فإن أخبره شق عليه وإن كذبه في الإخبار أو تكلف التعريض

(١) فيض القدير المناوي ٤١١/٦

لحقته المشقة وإن أهمل جوابه **ارتكب سوء الأدب**. وأما (إضاعة المال) : فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف وسبب النهي أنه إفساد والله لا يحب المفسدين ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس." (١)

"من شرح المركز لزوائد الجامع الصغير: الحديث رواه البخاري (٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠) : من طريق الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضا: ذكروا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في

---

(١) فيض القدير المناوي ٣/٧

قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا قالت أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال قلت وماذا قال قالت فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال: كيف تيكم قلت أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ فقالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قالت قلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله قالت: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن اجتهلته الحمية فقال لسعد بن معاذ

كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن: إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فإن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقونني وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل في بأمر يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت: فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشات من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت: فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي: قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي قالت: فأنزل الله عز وجل: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) عشر آيات فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات

براءتي قالت: فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله عز وجل (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم) قال حبان بن موسى قال عبد الله بن المبارك هذه أرجى آية في كتاب الله. فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمري ما علمت أو ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك قال الزهري: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط وزاد في حديث صالح قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول فإنه قال: فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء وزاد أيضا قال عروة: قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد ذلك شهيدا في سبيل الله وفي رواية: عن عائشة قالت لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي وايم الله ما علمت على أهلي من سوء قط وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط ولا دخل بيتي قط إلا وأنا حاضر ولا غبت في سفر إلا غاب معي وساق الحديث بقصته وفيه: ولقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسأل جاريتي فقالت والله ما علمت عليها عيبا إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها أو قالت خميرها . شك هشام . فانتهرها بعض أصحابه فقال اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسقطوا لها به فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر وقد بلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له فقال سبحان الله والله ما كشفت عن كنف أنثى قط قالت عائشة وقتل شهيدا في سبيل الله وفيه أيضا من الزيادة: وكان الذين تكلموا به مسطح وحمنة وحسان وأما المنافق عبد الله بن أبي فهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره وحمنة (هذا لفظ مسلم) قال النووي في شرح مسلم: قولها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه) هذا دليل لمالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء في العمل بالقرعة في القسم بين الزوجات وفي العتق والوصايا والقسمة ونحو ذلك وقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة قال أبو عبيد: عمل بها ثلاثة من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: يونس وزكريا ومحمد صلى الله عليه وسلم

قال ابن المنذر: استعمالها كالإجماع قال: ولا معنى لقول من ردها والمشهور عن أبي حنيفة إبطالها وحكي عنه إجازتها قال ابن المنذر وغيره: القياس تركها لكن عملنا بها للآثار. وفيه: القرعة بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن ولا يجوز أخذ بعضهن بغير قرعة هذا مذهبنا وبه قال أبو حنيفة وآخرون وهو رواية عن مالك وعنه رواية أن له السفر بمن شاء منهن بلا قرعة؛ لأنها قد تكون أنفع له في طريقه والأخرى أنفع له في بيته وماله. قولها: (آذن ليلة بالرحيل) روي بالمد وتخفيف الذال وبالقصر وتشديدها: أي: أعلم. قولها: (وعقدي من جزع ظفار قد انقطع) أما (العقد) فمعروف نحو القلادة (والجزع) بفتح الجيم وإسكان الزاي وهو خرز يماني وأما (ظفار) فبفتح الظاء المعجمة وكسر الراء وهي مبنية على الكسر تقول: هذه ظفار ودخلت ظفار وإلى ظفار بكسر الراء بلا تنوين في الأحوال كلها وهي قرية في اليمن. قولها: (وأقبل الرهط الذي كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري) هكذا وقع في أكثر النسخ (لي) باللام وفي بعض النسخ (بي) بالباء واللام أجود ويرحلون بفتح الياء وإسكان الراء وفتح الحاء المخففة أي: يجعلون الرحل على البعير وهو معنى قولها (فرحلوه) بتخفيف الحاء و (الرهط) هم جماعة دون عشرة و (الهودج) بفتح الهاء مركب من مراكب النساء. قولها: (وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام) فقولها (يهبلن) ضبطوه على أوجه أشهرها ضم الياء وفتح الهاء والباء المشددة أي: يثقلن باللحم والشحم والثاني: يهبلن بفتح الياء والباء وإسكان الهاء بينهما والثالث: بفتح الياء وضم الباء الموحدة ويجوز بضم أوله وإسكان الهاء وكسر الموحدة قال أهل اللغة: يقال: هبله اللحم وأهبله إذا أثقله وكثر لحمه وشحمه وفي رواية البخاري (لم يثقلن) وهو بمعناه وهو أيضا المراد بقولها: (ولم يغشهن اللحم) و (يأكلن العلقة) : بضم العين أي: القليل ويقال لها أيضا: البلغة. قولها: (فتيممت منزلي) أي: قصدته. . قولها: (وكان صفوان بن المعطل) هو بفتح الطاء بلا خلاف كذا ضبطه أبو هلال العسكري والقاضي في المشارق وآخرون. قولها: (عرس من وراء الجيش فأدلج) التعريس: النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة وقال أبو زيد: هو النزول أي وقت كان والمشهور الأول. قولها: (ادلج) بتشديد الدال وهو سير آخر الليل. قولها: (فرأى سواد إنسان) أي: شخصه. قولها: (فاستيقظت باسترجاعه) أي: انتبهت من نومي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون. قولها: (خمرت وجهي) أي: غطيته. قولها: (نزلوا موغرين في نحر الظهيرة) (الموغر) بالغين المعجمة النازل في وقت الوغرة بفتح الواو وإسكان الغين وهي: شدة الحر كما فسرها في الكتاب في آخر الحديث وذكر هناك أن منهم من رواه (موعرين) بالعين المهملة هو ضعيف و (نحر الظهيرة) : وقت القائلة وشدة الحر. قولها: (وكان الذي تولى كبره) أي: معظمه وهو بكسر الكاف

على القراءة المشهورة وقرئ في الشواذ بضمها وهي لغة. قولها: (وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول) هكذا صوابه (ابن سلول) برفع (ابن) وكتابته بالألف صفة لعبد الله وقد سبق بيانه مرات وتقدم إيضاحه في كتاب الإيمان في حديث المقداد مع نظائره. قولها: (والناس يفيضون في قول أهل الإفك) أي: يخوضون فيه و (الإفك) بكسر الهمزة وإسكان الفاء هذا هو المشهور وحكى القاضي فتحهما جميعا قال: هما لغتان كنجس ونجس وهو الكذب. قولها: (هو يريبني أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه) (يريبني) : بفتح أوله وضمه يقال: رابه وأرابه إذا أوهمه وشككه و (اللطف) بضم اللام وإسكان الطاء ويقال: بفتحها معا لغتان وهو: البر والرفق. قولها: (ثم يقول كيف تيكم؟) هي: إشارة إلى المؤنثة كذلكم في المذكر. قولها: (خرجت بعد ما نقهت) هو بفتح القاف وكسرها لغتان حكاهما الجوهري في الصحاح وغيره والفتح أشهر واقتصر عليه جماعة يقال: نقه ينقه نقوها فهو ناقه ككلح يكلح كلوحا فهو كالح ونقه ينقه نقها فهو ناقه كفرح يفرح فرحا والجمع نقه بضم النون وتشديد القاف والناقه هو الذي أفاق من المرض ويبرأ منه وهو قريب عهد به لم يتراجع إليه كمال صحته. قولها: (وخرجت مع أم مسطح قبل المناصع) أما (مسطح) فبكسر الميم وأما (المناصع) فبفتحها وهي مواضع خارج المدينة كانوا يبرزون فيها. قولها: (قبل أن نتخذ الكنف) هي جمع كنيف قال أهل اللغة: الكنيف الساتر مطلقا. قولها: (وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه) ضبطوا (الأول) بوجهين أحدهما: ضم الهمزة وتخفيف الواو والثاني: الأول بفتح الهمزة وتشديد الواو وكلاهما صحيح والتنزه: طلب النزاهة بالخروج إلى الصحراء. قولها: (وهي بنت أبي رهم وابنها مسطح بن أثاثة) أما (رهم) فبضم الراء وإسكان الهاء و (أثاثة) بهمزة مضمومة وثاء مثلثة مكررة و (مسطح) لقب واسمه (عامر) وقيل: (عوف) كنيته أبو عباد وقيل: أبو عبد الله توفي سنة سبع وثلاثين وقيل: أربع وثلاثين واسم أم مسطح (سلمى) . قولها: (فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح) أما (عثرت) فبفتح الثاء وأما (تعس) فبفتح العين وكسرها لغتان مشهورتان واقتصر الجوهري على الفتح والقاضي على الكسر ورجح بعضهم الكسر وبعضهم الفتح ومعناه: عثر وقيل: هلك وقيل: لزمه الشر وقيل: بعد وقيل: سقط بوجهه خاصة. وأما (المرط) فبكسر الميم وهو: كساء من صوف وقد يكون من غيره. قولها: (أي هنتاه) هي بإسكان النون وفتحها الإسكان أشهر قال صاحب نهاية الغريب: وتضم الهاء الأخيرة وتسكن ويقال في التثنية: هنتان وفي الجمع هنات وهنوات وفي المذكر هن وهنان وهنون ولك أن تلحقها الهاء؛ لبيان الحركة فتقول يا هنه وأن تشبع حركة النون فتصير ألفا فتقول: يا هناه ولك ضم الهاء فتقول: يا هناه أقبل قالوا: وهذه اللفظة تختص بالنداء ومعناه: يا هذه وقيل: يا امرأة

وقيل: يا بلهاء كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم ومن المذكور حديث الصبي ابن معبد قلت: يا هناه إني حريص على الجهاد. والله أعلم. قولها: (قلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها) (الوضيئة) : مهموزة ممدودة هي الجميلة الحسنة والوضاءة: الحسن ووقع في رواية ابن ماهان (حظية) من الحظوة وهي: الوجاهة وارتفاع المنزلة والضراير. جمع ضرة وزوجات الرجل ضراير؛ لأن كل واحدة تتضرر بالأخرى بالغيرة والقسم وغيره والاسم منه الضر بكسر الضاد وحكي ضمها وقولها: إلا كثرن عليها هو بالثاء المثلثة المشددة أي: أكثرن القول في عيبها ونقصها. قولها: (لا يرقأ لي دمع) هو بالهمزة أي: لا ينقطع. قولها: (ولا أكتحل بنوم) أي: لا أنام. قولها: (استلبث الوحي) أي: أبطأ ولبث ولم ينزل. قولها: (وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير) هذا الذي قاله علي – رضي الله عنه – هو الصواب في حقه؛ لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي صلى الله عليه وسلم في اعتقاده ولم يكن ذلك في نفس الأمر لأنه رأى انزعاج النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر وتقلقه فأراد راحة خاطره وكان ذلك أهم من غيره. قولها: (والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثه السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله) فقولها (أغمصه) بفتح الهمزة وكسر الميم وبالصاد المهملة أي: أعيبها والداجن: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعى ومعنى هذا الكلام: أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلا ولا فيها شيء من غيره إلا نومها عن العجين. قولها: (فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول) أما (أبي) فمنون وابن سلول بالألف وسبق بيانه وأما استعذر: فمعناه: أنه قال من يعذرني فيمن آذاني في أهلي كما بينه في هذا هذا الحديث ومعنى (من يعذرني) من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلومني وقيل: معناه من ينصرني والعذير الناصر. قولها: (فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أعذرك منه) قال القاضي: هذا مشكل لم يتكلم فيه أحد وهو قولها: (فقام سعد بن معاذ فقال أن أعذرك منه) وكانت هذه القصة في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة ست فيما ذكره ابن إسحاق ومعلوم أن سعد بن معاذ مات في إثر غزاة الخندق من الرمية التي أصابته وذلك سنة أربع بإجماع أصحاب السير إلا شيئا قاله الواقدي وحده قال القاضي: قال بعض شيوخنا: ذكر سعد بن معاذ في هذا وهم والأشبه أنه غيره ولهذا لم يذكره ابن إسحاق في السير وإنما قال: إن المتكلم أولا وآخرا أسيد بن حضير قال القاضي: وقد ذكر موسى بن عقبة أن غزوة المريسيع كانت سنة أربع وهي سنة الخندق وقد ذكر البخاري اختلاف ابن إسحاق وابن عقبة قال القاضي: فيحتمل أن غزاة المريسيع وحديث الإفك كانا في سنة أربع قبل قصة الخندق قال القاضي: وقد ذكر الطبري عن الواقدي

أن المريسيع كانت سنة خمس قال: وكانت الخندق وقريظة بعدها وذكر القاضي إسماعيل الخلاف في ذلك وقال: الأولى أن يكون المريسيع قبل الخندق قال القاضي: وهذا لذكر سعد في قصة الإفك وكانت في المريسيع فعلى هذا يستقيم فيه ذكر سعد بن معاذ وهو الذي في الصحيحين وقول غير ابن إسحاق في غير وقت المريسيع أصح هذا كلام القاضي وهو صحيح. قولها: (ولكن اجتهلته الحمية) هكذا هو هنا لمعظم رواة صحيح مسلم (اجتهلته) بالجيم والهاء أي: استخفته وأغضبته وحملته على الجهل وفي رواية ابن ماهان هنا (احتملته) بالحاء والميم وكذا رواه مسلم بعد هذا من رواية يونس وصالح وكذا رواه البخاري ومعناه: أغضبته فالروايتان صحيحتان. قولها: (فثار الحيان الأوس والخزرج) أي: تناهضوا للنزاع والعصبية كما قالت: حتى هموا أن يقتتلوا. قوله صلى الله عليه وسلم: (وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله) معناه: إن كنت فعلت ذنبا وليس ذلك لك بعادة وهذا أصل اللمم. قولها: (قلص دمعي) هو بفتح القاف واللام أي: ارتفع لاستعظام ما يعييني من الكلام. قولها لأبويها: (أجيبا عني) فيه تفويض الكلام إلى الكبار؛ لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه وأبواها يعرفان حالها وأما قول أبويها: (لا ندري ما نقول) فمعناه: أن الأمر الذي سألها عنه لا يقفان منه على زائد على ما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي من حسن الظن بها والسرائر إلى الله تعالى. قولها: (ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه) أي: ما فارقه. قولها: (فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء) هي بضم الموحدة وفتح الراء وبالحاء المهملة والمد وهي: الشدة. قولها: (حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق) معنى (ليتحدر) لينصب و (الجمان) بضم الجيم وتخفيف الميم وهو: الدر شبهت قطرات عرقه صلى الله عليه وسلم بحباب اللؤلؤ في الصفاء والحسن. قولها: (فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي: كشف وأزيل. قولها: (فقالت لي أمي قومي فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي) معناه: قالت لها أمها: قومي فاحمديه وقبلي رأسه واشكريه لنعمة الله تعالى التي بشرك فقالت عائشة ما قالت إدلالا عليه وعتبا لكونهم شكوا في حالها مع علمهم بحسن طرائقها وجميل أحوالها وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه قوم ظالمون ولا حجة له ولا شبهة فيه قالت: وإنما أحمد ربي سبحانه وتعالى الذي أنزل براءتي وأنعم علي وبما لم أكن أتوقعه كما قالت: ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى. قوله عز وجل: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم﴾ أي: لا يحلفوا والألية: اليمين قولها: (أحمي سمعي وبصري) أي: أصون سمعي وبصري من أن أقول: سمعت ولم أسمع وأبصرت ولم أبصر. قولها: (وهي التي كانت تساميني) أي: تفاخرني وتضاهيني بجمالها ومكانها عند النبي صلى الله عليه وسلم وهي مفاعلة من السمو

وهو الارتفاع. قولها: (وطفقت أختها حمنة تحارب لها) أي: جعلت تتعصب لها فتحكي ما يقوله أهل الإفك وطفق الرجل بكسر الفاء على المشهور وحكي فتحها وسبق بيانه. قوله: (ما كشفت عن كنف أنثى قط) (الكنف) : هنا بفتح الكاف والنون أي: ثوبها الذي يسترها وهو كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن. قوله: (وفي حديث يعقوب موعرين) يعني بالعين المهملة وسبق بيانه وقوله في تفسير عبد الرزاق: (الوغرة شد الحر) هي بإسكان الغين وسبق بيانه. قوله صلى الله عليه وسلم: (أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي) هو بباء موحدة مفتوحة مخفف ومشددة رووه هنا بالوجهين التخفيف أشهر ومعناه: اتهموها والابن بفتح الهمزة يقال: ابنه ويأبنه بضم الباء وكسرها: إذا اتهمه ورماه بخلة سوء فهو مأبون قالوا: وهو مشتق من الابن بضم الهمزة وفتح الباء وهي: العقد في القسي تفسدها وتعاب بها. قوله: " حتى أسقطوا لهابه فقالت: سبحان الله " ومعناه: صرحوا لها بالأمر ولهذا قالت: سبحان الله؛ استعظاما لذلك وقيل: أتوا بسقط من القول في سؤالها وانتهارها يقال أسقط وسقط في كلامه إذا أتى فيه بساقط وقيل: إذا أخطأ فيه قولها (والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب) وهي القطعة الخالصة. قولها: (وأما المنافق عبد الله بن أبي فهو الذي كان يستوشيه) أي: يستخرجه بالبحث والمسألة ثم يفشيه ويشيعه ويحركه ولا ندعه يحمد. والله أعلم. واعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة: إحداها: جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة عن كل واحد قطعة مبهمة منه وهذا وإن كان فعل الزهري وحده فقد أجمع المسلمون على قبوله منه والاحتجاج به. الثانية: صحة القرعة بين النساء وفي العتق وغيره مما ذكرناه في أول الحديث مع خلاف العلماء. الثالثة: وجوب الإقراع بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن. الرابعة: أنه لا يجب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات وهذا مجمع عليه إذا كان السفر طويلا وحكم القصير حكم الطويل على المذهب الصحيح وخالف فيه بعض أصحابنا. الخامسة: جواز سفر الرجل بزوجته. السادسة: جواز غزوهن. السابعة: جواز ركوب النساء في الهوادج. الثامنة: جواز خدمة الرجال لهن في تلك الأسفار. التاسعة: أن ارتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير. العاشرة: جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن الزوج وهذا من الأمور المستثناة. الحادية عشر: جواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر. الثانية عشر: أن من يركب المرأة البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرما إلا لحاجة؛ لأنهم حملوا الهودج ولم يكلموا من يظنونها فيه. الثالثة عشر: فضيلة الاقتصار في الأكل للنساء وغيرهن وألا يكثر منه بحيث يهبله اللحم لأن هذا كان حالهن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما كان في زمانه صلى الله عليه وسلم فهو الكامل الفاضل المختار. الرابعة عشر: جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض له عن الجيش إذا لم يكن ضرورة إلى الاجتماع.

الخامسة عشر: إعانة الملهوف وعن المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوي الأقدار كما فعل صفوان – رضي الله عنه – في هذا كله. السادسة عشر: **حسن الأدب** مع الأجنبيات لا سيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها كما فعل صفوان من إبراكه الجمل من غير كلام ولا سؤال وإنه ينبغي أن يمشي قدامها لا بجنبها ولا وراءها. السابعة عشر: استحباب الإيثار بالركوب ونحوه كما فعل صفوان. الثامنة عشر: استحباب الاسترجاع عند المصائب سواء كانت في الدين أو الدنيا وسواء كانت في نفسه أو من يعز عليه. التاسعة عشر: تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء كان صالحا أو غيره. العشرون: جواز الحلف من غير استحلاف. الحادية والعشرون: أنه يستحب أن يستر عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة كما كتموا عن عائشة – رضي الله عنها – هذا الأمر شهرا ولم تسمع بعد ذلك إلا بعارض عرض وهو قول أم مسطح: تعس مسطح. الثانية والعشرون: استحباب ملاطفة الرجل زوجته وحسن المعاشرة. الثالثة والعشرون: أنه إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئا أو نحو ذلك يقلل من اللطف ونحوه لتفطن هي أن ذلك لعارض فتسأل عن سببه فتزيله. الرابعة والعشرون: استحباب السؤال عن المريض. الخامسة والعشرون: أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن تكون معها رفيقة تستأنس بها ولا يتعرض لها أحد. السادسة والعشرون: كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا أذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه. السابعة والعشرون: فضيلة أهل بدر والذب عنهم كما فعلت عائشة في ذبها عن مسطح. الثامنة والعشرون: أن الزوجة لا تذهب إلى بيت أبويها إلا بأذن زوجها. التاسعة والعشرون: جواز التعجب بلفظ التسبيح وقد تكرر في هذا الحديث وغيره. الثلاثون: استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقاءه فيما ينوبه من الأمور. الحادية والثلاثون: جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة عمن له به تعلق أما غيره فهو منهي عنه وهو تجسس وفضول. الثانية والثلاثون: خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم. الثالثة والثلاثون: اشتكاء ولي الأمر إلى المسلمين من تعرض له بأذى في نفسه أو أهله أو غيره واعتذاره فيما يريد أن يؤذيه به. الرابعة والثلاثون: فضائل ظاهرة لصفوان بن المعطل – رضي الله عنه – بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له بما شهد وبفعله الجميل في إركاب عائشة – رضي الله عنها – وحسن أدبه في جملة القضية. الخامسة والثلاثون: فضيلة لسعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما. السادسة والثلاثون: المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات وتسكين الغضب. السابعة والثلاثون: قبول التوبة والحث عليها. الثامنة والثلاثون: تفويض الكلام إلى الكبار دون الصغار لأنهم أعرف. التاسعة والثلاثون: جواز الاستشهاد بآيات القرآن العزيز ولا خلاف أنه جائز. الأربعون: استحباب المبادرة بتبشير من تجددت

له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه بلية ظاهرة. الحادية والأربعون: براءة عائشة – رضي الله عنها – من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز فلو تشكك فيها إنسان – والعياذ بالله – صار كافرا مرتدا بإجماع المسلمين قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا إكرام من الله تعالى لهم. الثانية والأربعون: تجدد شكر الله تعالى عند تجدد النعم. الثالثة والأربعون: فضائل لأبي بكر – رضي الله عنه – في قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم. . .﴾ الآية. الرابعة والأربعون: استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين. الخامسة والأربعون: العفو والصفح عن المسيء. السادسة والأربعون: استحباب الصدقة والإنفاق في سبيل الخيرات. السابعة والأربعون: أنه يستحب لمن حلف على يمين ورأى خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه. الثامنة والأربعون: فضيلة زينب أم المؤمنين رضي الله عنها. التاسعة والأربعون: التثبيت في الشهادة. الخمسون: إكرام المحبوب بمراعاة أصحابه ومن خدمه أو أطاعه كما فعلت عائشة رضي الله عنها بمراعاة حسان وإكرامه إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم. الحادية والخمسون: أن الخطبة تبتدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله. الثانية والخمسون: أنه يستحب في الخطب أن يقول بعد الحمد والثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والشهادتين: أما بعد وقد كثرت فيه الأحاديث الصحيحة. الثالثة والخمسون: غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم واهتمامهم بدفع ذلك. الرابعة والخمسون: جواز سبب المتعصب لمبطل كما سب أسيد بن حضير سعد بن عبادة لتعصبه للمنافق وقال: إنك منافق تجادل عن المنافقين وأراد أنك تفعل فعل المنافقين ولم يرد النفاق الحقيقي." (١)

"(فمن حفظني فيهم) أي راعاني بإكرامهم **وحسن الأدب** معهم (حفظه الله تعالى في الدنيا والآخرة) أي منعه من كل ضير يضره فيهما (ومن لم يحفظني فيهم) بما ذكر (تخلى الله) أي أعرض (عنه) وتركه في غيه يتردد وذا يحتمل الدعاء والخير (ومن تخلى الله عنه أوشك) أي أسرع (أن يأخذه) أي يوقع به العذاب ويهلكه إذ الأخذ الإيقاع بالشخص والعقوبة وذا وعيد شديد لمن تدبره (البغوي) نسبة إلى بغشور بلد مشهور في معجمه (طب وأبو نعيم) الحافظ (في) كتاب (المعرفة) معرفة الصحابة (وابن عساكر) وكذا الديلمي (عن عياض) بإهمال أوله وكسره وإعجام آخره مخففا (الأنصاري) وله صحبة

(احفوا الشوارب) أي اجعلوها حفاف الشفة أي حولها من الإحفاء وأصله الاستقصاء والمراد بالغوا في قص ما طال منها حتى تبين الشفة بيانا ظاهرا ندبا وقيل وجوبا (واعفوا اللحى) أي اتركوها بحالها لتكبر وتغزر

(١) فيض القدير المناوي ١٥/٧

لأن في ذلك جمالا للوجه ومخالفة لزي المجوس نعم لا بأس بأخذ ما زاد من أطرافها وخرج عن السمت لخبر سيجيء (م ت ق عن ابن عمر) بن الخطاب (عد عن أبي هريرة)

(احفوا الشوارب واعفوا اللحى ولا تشبهوا باليهود) بحذف إحدى التاءين للتخفيف وفي خبر ابن حبان بدل اليهود المجوس قال الزين العراقي والمشهور أنه من فعل المجوس (الطحاوي) في مسنده نسبة إلى طحا كسعى قرية من قرى مصر (عن أنس) بن مالك

(احفوا الشوارب) واعفوا اللحى وانتفوا الشعر الذي في الآناف) بالنون جمع أنف فهو نهى عن عدم نتف شعر الأنف أو بمثلثة جمع أثفية حجارة تنصب وتجعل عليها القدر وعليه هو أمر بأحكام الأثافي وتوقي الخلل الذي يكون منها كقلب البرمة (عد هب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده) قال الإمام أحمد هذا اللفظ الأخير غريب وفي ثبوته نظر

(أحق) أفعل تفضيل من حق وجب (ما صليتم) أي من أوجب شيء صليتموه صلاة الجنازة (على أطفالكم) فتجب الصلاة على المولود التام وكذا السقط إن استهل أو المراد أن الأصل أحق بالتقدم للصلاة على فرعه من غيره (الطحاوي هق عن البراء) بن عازب وفيه مجهول

(أحل) بالبناء لما لم يسم فاعله والفاعل الله (الذهب والحرير) أي الخالص أو الزائد وزنا (لإناث أمتي) لبسا وافتراشا وتحلية وغير ذلك (وحرم على ذكورها) المكلفين غير المعذورين أن يستعملوه لأن فيه خنوثة لا تليق بشهامة الرجال (حم ن) في الزينة (عن أبي موسى) الأشعري

(أحلت لنا ميتتان) تثنية ميتة وهي ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية (ودمان) تثنية دم بتخفيف ميمه وشدها (فأما الميتتان فالحوت) يعني حيوان البحر الذي يحل أكله وإن لم يسم سمكا وكان على غير صورته ولو طافيا (والجراد) هبة مات باصطياد بقطع رأس أم غيره أم حتف أنفه (وأما الدمان فالكبد والطحال) بكسر الطاء وذا لا يقتضي تخصيص الحل بالأربعة المذكورة لأنه مفهوم لقب (هـ ك هق عن ابن عمر) بن الخطاب

(احلفوا) ندبا إذا دعت إلى الحلف مصلحة (بالله) أي باسم من أسمائه أو صفة من صفاته (وبروا) بفتح الموحدة (واصدقوا) في حلفكم (فإن الله يحب أن يحلف به) إذا كان غرض الحالف طاعة كحث على خير ولا يعارضه ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم لأنه في الإكثار وبلا حاجة فإنه مذموم ومن ثم قيل علامة الكذاب وجوده بيمينه لغير مستحلف (حل) وكذا الديملي (عن ابن عمر) بن الخطاب

(احلقوه) أي شعر الرأس (كله) بأن لا تبقوا منه شيئا (أو اتركوه كله) بأن لا تزيلوا." (١)

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٤٧/١

"تكن من أعبدهم ممن لم يفعلها كذلك (واجتنب ما حرم الله عليك) أي لا تقربه فضلا عن أن تفعله (تكن من أورع الناس) أي من أعظمهم كفا عن المحرمات واجتنب الشبهات (وارض) أي اقنع (بما قسمه الله) قدره (لك) وجعله نصيبك من الدنيا (تكن من أغنى الناس) فإن من قنع بما قسم له كان كذلك والقناعة كنز لا ينفد ولا يفنى (عد عن ابن مسعود) ورواه عنه البيهقي وإسناده ضعيف

(أدبني ربي) أي علمني رياضة النفس ومحاسن الأخلاق (فأحسن تأديبي) بإفضاله علي بجميع العلوم الكسبية والوهبية بما لم يقع نظيره لأحد من البشر قال السهروردي والناس في الأدب على طبقات أهل الدنيا وأهل الدين وأهل الخصوص فأدب أهل الدنيا الفصاحة والبلاغة وتحصيل العلوم وأخبار الملوك وأشعار العرب وأدب أهل الدين مع العلم رياضة النفس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات وتجنب الشبهات وأدب أهل الخصوص حفظ القلوب ورعاية الأسرار واستواء السر والعلانية (ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود) وكذا العسكري في الأمثال

(أدبوا أولادكم) علموهم لينشؤا ويستمروا (على) فعل (ثلاث خصال) وهي (حب نبيكم) المحبة الإيمانية لا الطبيعية لأنها غير اختيارية ومحبته تبعث على امتثال ما جاء به (وحب أهل بيته) علي وفاطمة وابنيهما كما مر (وقراءة القرآن) أي حفظه ومدارسته (فإن حملة القرآن) أي حفظته عن ظهر قلب (في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله) وهو يوم القيامة (مع أنبيائه وأصفيائه) الذين اختارهم من خلقه وارتضاهم لجواره وقربه (تنبيه) إنما كان التأديب مأمورا به لأن النفس مجبولة **على سوء الأدب** والعبد مأمور بملازمة الأدب والنفس تجول بطبعها في ميدان المخالفة فيتعين ردها بتهذيبها (أبو نصر عبد الكريم الشيرازي في فوائده فروا بن النجار) في تاريخه (عن علي) أمير المؤمنين

(أدخل الله) بصيغة الماضي دعاء وقد يجعل خبرا ولتحقق حصوله نزل منزلة الواقع نحو أتى أمر الله (الجنة) دار الثواب (رجلا) يعني إنسانا وذكر الرجل غالبى على قياس ما مر (كان سهلا) أي لينا منقادا حالة كونه (مشتريا وبائعا وقاضيا) أي مؤدبا لغريمه ما عليه (ومقتضيا) طالبا ماله ليأخذه فلا يعسر عليه ولا يضايقه في استيفائه ولا يرهقه لبيع متاعه بالبخس (حم ن هـ هب عن عثمان) بن عفان

(ادرؤا) ادفعوا (الحدود) جمع حد وهو عقوبة مقدرة على ذنب (عن المسلمين) والملتزمين للأحكام فالتقييد غالبى (ما استطعتم) أي مدة استطاعتكم ذلك بأن وجدتم إلى الترك سبيلا شرعيا (فإن وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله) أي اتركوه ولا تحدوه وإن قويت الريبة وغلب ظن صدق ما رمى به كوجوده مع أجنبية بفراش (فإن الإمام) يعني الحاكم (لأن يخطئ) أي لخطؤه (في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة) أي

خطؤه في العفو أولى من خطئه في العقوبة والخطاب للأئمة ونوابهم وفيه أن الحد يسقط بالشبهة سواء كانت في الفاعل كمن وطئ امرأة ظنها حليلته أو في المحل بأن يكون للواطئ فيها ملك أو شبهة أو في الطريق بأن يكون حلالا عند قوم حراما عند آخرين ككل نكاح مختلف فيه (ش ت ك) في الحدود (هق) كلهم (عن عائشة) مرفوعا وموقوفا قال ك صحيح ورد لكن الشواهد كثيرة

(ادرؤا الحدود بالشبهات) جمع شبهة (وأقيلوا الكرام عثراتهم) أي زلاتهم بأن لا تعاقبوهم عليها." [١]

"التحية لا إنشاء السلام المقول فيه بكراهة إفراده (الشيرازي في) كتاب (الألقاب) والكنى (عن أبي سعيد) الخدري

(أقرأني جبريل القرآن على حرف) أي لغة أو وجه من الإعراب أو المعنى (فراجعته) أي فقلت له أن ذلك تضييق فأقرأني إياه على حرفين (فلم أزل أستزيده) أطلب منه أن يطلب لي من الله الزيادة على الحرف توسعة وتخفيفا ويسأل جبريل ربه فيزيده (فيزيدني) حرفا حرفا (حتى انتهى إلى سبعة أحرف) سبعة أوجه أو لغات تجوز القراءة بكل منها وفي ذلك نحو أربعين قولا (حم ق عن ابن عباس

أقرب العمل) من القرب وهو مطالعة الشيء حسا أو معنى (إلى الله عز وجل) أي إلى رحمته (الجهاد في سبيل الله) أي قتال الكفار لإعلاء كلمة القهار وقد يراد الأصغر أيضا (ولا يقاربه) في الأفضلية (شيء) لما فيه من الصبر على بذل الروح في رضا الرب (تخ عن فضالة) بفتح الفاء (ابن عبيد) الأنصاري

(أقرب ما) مبتدأ حذف خبره لسد الحال مسده (يكون العبد) أي الإنسان (من ربه وهو ساجد) أي أقرب ما يكون من رحمة ربه حاصل في حال كونه ساجدا (فأكثروا الدعاء) في السجود لأنها حالة غاية التذلل وكمال القرب فهي مظنة الإجابة (م د ن عن أبي هريرة

(أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر) قال هنا أقرب ما يكون الرب وفيما قبله أقرب ما يكون العبد لأن قرب رحمة الله من المحسنين سابق على إحسانهم فإذا سجدوا قربوا من ربهم بإحسانهم (فإن استطعت) خطاب عام (أن تكون ممن يذكر الله) أي ينخرط في زمرة الذاكرين الله ويكون لك مساهمة معهم (في تلك الساعة فكن) هذا أبلغ مما لو قيل إن استطعت أن تكون ذاكرا فكن لأن الأولى فيها صفة عموم شامل للأنبياء والأولياء فيكون داخلا فيهم (ت ن ك عن عمرو بن عبسة) بموحدة تحتية وصححه الترمذي والحاكم

(أقروا الطير على) وفي رواية في (مكناتها) بكسر الكاف وضمها أي بيضها كذا في القاموس كأصلية وقال

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٥٣/١

غيره جمع مكنة بفتح فكسر أي أقروها في أوكارها ولا تنفروها أو جمع مكنة بالضم بمعنى التمكن أي أقروها على كل مكنة ترونها عليها ودعوا التطير بها كأن أحدهم إذا سافر ينفر طيرا فإن طار يمنة مضى وإلا رجع (د ك عن أم كرز) بضم فسكون كعبية خزاعية صحابية صححه الحاكم وسكت عليه أبو داود
(أقسم الخوف والرجاء) أي حلفا بلسان الحال إذ هما من المعاني لا الأجسام ففيه تشبيه بليغ (أن لا يجتمعا في أحد في الدنيا) بتساو أو تفاضل (فيريح ريح النار) أي يشم ريح لهب نار جهنم لأنه على سنن الاستقامة ومن كان كذلك من الأبرار فلا تقرب منه النار (ولا يفترقا في أحد في الدنيا فيريح ريح الجنة) لأن انفراد الخوف يفضي للقنوط والرجاء لأمن المكر فلا بد للسعادة من اجتماعهما لكن ينبغي غلبة الخوف في الصحة والرجاء في المرض (تنبيه) قال العارف السهروردي الخوف والرجاء زمامان يمنعان العبد **عن سوء الأدب** وكل قلب خلا منهما فهو خراب والرجاء هنا الطمع في العفو والخوف مطالعة القلب بسطوات الله ونقماته (تنبيه ثان) قال الغزالي لا ينافي مدح الرجاء في هذا الحديث ما يأتي في حديث الكيس من دان نفسه من ذم التمني على الله إذ الرجاء والتمني مختلفان فإن من لم يتعهد الأرض ولم يبث البذر ثم ينتظر الزرع فهو متمن مغرور وليس براج إنما الراجي من تعهد الأرض وبث البذر وسقاه وحصل كل سبب متعلق." [1]

"في) كتاب (الكنى) والألقاب (عن ابن عمر) // بإسناد ضعيف //

(سوء المجالسة شح وفحش وسوء خلق) فينبغي الحذر من ذلك وإكرام الجلساء **وحسن الأدب** معهم (ابن المبارك) في الزهد (عن سليمان ابن موسى مرسلا) هو الأموي مولاهم الدمشقي الأشدق صاحب مناكير
(سوداء) كذا في نسخ ة الذي وقفت عليه بخط الحافظ ابن حجر وغيره سواء على وزن سرعاء وهي القبيحة الوجه (ولود) كثيرة الولادة (خير من حسناء لا تلد) لأن النكاح وضع أصالة لطلب النسل (وإني مكاثر بكم الأمم) يوم القيامة (حتى بالسقط محبنطئا) أي متغضبا ممتنعا امتناع طلب لا امتناع أباءه على باب الجنة) حين أذن له بالدخول (يقال) له (ادخل الجنة فيقول يا رب وأبواي فيقال له ادخل الجنة أنت وأبواك) والكلام في أبوين مؤمنين (طب عن معاوية بن حيدة) بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية قال ابن حبان منكر لا أصل له
(سورة الكهف تدعى في التوراة الحائلة) أي الحاجزة (تحول) أي تحجز (بين قارئها وبين النار) بمعنى أنها

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ١/١٩٥

تحاجج وتخاصم عنه كما في رواية (هب عن ابن عباس
سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت) أي حاجت ودافعت (عن صاحبها) أي قارئها الملازم لتلاوتها بتدبر واعتبار (حتى أدخلته الجنة) بعدما كان ممنوعا من دخولها (وهي تبارك) الذي بيده الملك والمراد أن الله تعالى يأمر ملكا أن يقوم بذلك (طس والضياء عن أنس) // بإسناد صحيح //
(سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر) أي الكافة له عن قارئها إذا مات ووضع في قبره فلا يعذب فيه (ابن مردوية عن ابن مسعود) // بإسناد حسن //
(سووا صفوفكم) أي اعتدلوا على سمت واحد في الصلاة (فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة) أي من تمامها ومكملاتها (حم ق د هـ عن أنس) ابن مالك
(سووا صفوفكم) عند الشروع في الصلاة (لا تختلف) أي لئلا تختلف (قلوبكم) أي أهويتها وأراداتها والقلب تابع للأعضاء فإذا اختلفت اختلف (الدارمي عن البراء) بن عازب
(سووا صفوفكم) أي اعتدلوا على سمت واحد حتى تصيروا كالقدح أو سطر الكتابة (أو ليخالفن الله) أي أو ليوقعن الله المخالفة (بين وجوهكم) بأن تفترقوا فيأخذ كل منكم وجها غير الذي أخذ صاحبه (هـ عن النعمان بن بشير
(سووا القبور على وجه الأرض إذا دفنتم) الموتى فيها والأمر للندب (طب عن فضالة بن عبيد) ورواه عنه أحمد وغيره
(سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته) فهو سنة الأنبياء وسيرة الحكماء (فر وأبو الحسن بن المفضل المقدسي في الأربعين المسلسلة) يصدق رسول الله في العزلة سلامة (عن أبي موسى) الأشعري وله شواهد
(سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحبا) أي رحبت بلادكم واتسعت وأتيتم أهلا فلا تستوحشوا (بوصية رسول الله) وقد درج السلف على قبول وصيته (وأفتوهم) بالفاء أي علموهم وفي رواية بقاف ونون يعنى ارضوهم من أقنى أي أرضى (هـ عن أبي سعيد) الخدري // بإسناد حسن //
(سيأتي عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاثة درهم حلال أو أخ يستأنس به أو سنة يعمل بها طس حل) وكذا الديلمي (عن حذيفة) بن اليمان // بإسناد حسن //
(سيأتي على أمتي زمان يكثر فيه القراء) أي الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب ولا يفهمونه (ويقل الفقهاء)

أي العارفون بالأحكام الشرعية (ويقبض العلم) أي يموت أهله (ويكثر الهرج) أي القتل والفتن (ثم يأتي من بعد ذلك زمان يقرأ القرآن." (١)

"حسن ممنوع

(ما خففت عن خادمك من عمله فهو اجر لك في موازينك يوم القيامة) ولهذا كان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي في كل سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه (ع حب هب عن عمرو بن الحريث) باسناد صحيح لكن قيل ان عمرا لم يلق المصطفى فالحديث مرسل

(ما خلف عبد على أهله) أي عياله وأولاده عند سفره لنحو حج أو غزو (أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا) أي حين يتأهب للخروج اليه فيسن له عند ارادته الخروج من بيته صلاة ركعتين (ش عن المطعم) بضم الميم وكسر العين (ابن المقدام) بالكسر (مرسلا) هو الكلاعي الصنعاني تابعي كبير

(ما خلق الله في الارض شيأ أقل من العقل وان العقل في الارض أقل) وفي رواية أعز (من الكبريت الاحمر) والعقل أشرف صفات الانسان اذ به قبل أمانة الله وبه يصل الى جواره (الروياني) في مسنده (وابن عساكر) في تاريخه (عن معاذ) بن جبل

(ما خلق الله من شئ الا وقد خلق له ما يغلبه وخلق رحمته تغلب غضبه (البزار ك عن أبي سعيد) الخدري قال كصحيح ورده الذهبي وقال بل منكر

(ما خلا يهودي قط بمسلم الا حدث نفسه بقتله) يحتمل ارادة يهود زمنه ويحتمل العموم وفيه اعلامهم بتمادي تسلطهم على أهل الخير (خط عن أبي هريرة) ثم قال غريب جدا

(ما خيب الله عبدا قام في جوف الليل فافتتح سورة البقرة وآل عمران) أي افتتح قراءتهما حتى يختمهما (ونعم كنز المرء البقرة وآل عمران) أي نعم الثواب المدخر له على قراءتهما فانه عظيم النفع له في الآخرة (طس حل عن ابن مسعود) واسناد الطبراني حسن

(ما خير) بضم المعجمة وشد المثناة التحتية مكسورة (عمار) بن ياسر (بين أمرين الا اختار أرشدهما) وفي رواية أشدهما والمراد أنه كان نقادا في الدين يميز بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فيعمل بالاحسن والافضل (ت ك عن ابن عباس) ورواه أحمد عن ابن مسعود واسناده جيد

(ماذا في الامرين) بفتح الميم وشد الراء (من الشفاء الصبر) هو الدواء المعروف (والثفاء) الخردل انما قال الامرين والمراد أحدهما لانه جعل الحرافة والحدة التي في الخردل بمنزلة المرارة أو هو من باب التغليب (د

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٦٢/٢

في مراسيله هق عن قيس بن رافع الاشجعي) قال الذهبي له حديث لكنه مرسل
(ما ذكر لي رجل من العرب الا رأيته دون ما ذكر لي الا ما كان من زيد فانه لم يبلغ) بضم المثناة التحتية بضبط المؤلف بخطه (كل ما فيه) أي لم يبلغ الواصف وصفه وبكل ما فيه من نحو البلاغة والفصاحة وكمال العقل **وحسن الأدب** وهو زيد بن مهلهل الطائش المعروف بزيد الخيل (ابن سعد) في طبقاته (عن أبي عمير الطائي
ما) بمعنى ليس (ذئبان) اسمها (جائعان ارسلا في غنم بأفسد) خبر ما والباء زائدة أي أشد افسادا (لها) أي للغنم واعتبر فيه الجنسية فأنث وقوله (من حرص المرء) هو المفضل عليه (على المال والشرف) أي الجاه والمنصب (لدينه) لامه للبيان كأنه قيل لأفسد من أي شئ قيل لدينه والمقصود أن الحرص على المال الشرف أكثر افسادا للدين من افساد الذئبين للغنم لان الاشر والبطر يفسدان صاحبهما اما المال فلانه يدعو الى المعاصي فانه يمكن منها ومن العصمة أن لا تجدو لانه يدعو الى التنعم بالمباحات فينبت على التنعم جسده ولا يمكنه الصبر عنه وذلك لا يمكن استدامته الا بالاستعانة بالناس والالتجاء الى الظلمة وذلك يؤدي الى النفاق والكذب." (١)

"الثالث: إن ينظره بعين الإجلال ويعتقد فيه درجة الكمال، ويوقره وبعظمه، فإن ذلك أقرب إلى نفعه به، قال بعضهم **حسن الأدب** ترجمان العقل ومراعاة الأدب، فيما بين المحققين مقدم على غيره، ألا ترى كيف مدح الله أهله وشرف محلهم، بقوله: (إن الذين يغضون أصواتهم عن رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم) . وينبغي إن لا يخاطب شيخه بتاء الخطاب وكافه، ولا يناديه من بعد، بل يقول: يا سيدنا ولا مولانا ونحو ذلك، وما تقولون في كذا، وما رأيكم في كذا، وشبه ذلك ولا يسميه في غيبته باسمه إلا مقرونا بما يشعر بتعظيمه، نحو قال الشيخ الأستاذ، أو قال شيخنا، أو قال مولانا ونحو ذلك.

الرابع: إن يعرف له حقه ولا ينسى له فضله، فعن أبي إمامة الباهلي مرفوعا: من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه. ومن ذلك، إن يعظم حضرته ويرد غيبته ويغضب لها، فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس، وينبغي أن يدعو له مدة حياته، ويرعى ذريته وأقاربه وأولاده بعد وفاته، ويتعاهد زيارة قبره، والاستغفار والصدقة عنه، ويسلك في الهدى والسمت مسلكه، ويتأدب بآدابه، ولا يدع الاقتداء به.

الخامس: إن يصبر على جفوة تصدر من شيخه، أو سوء خلق، ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته،

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٣٤٩

ويتأول أفعاله التي يظهر إن الصواب خلافها على أحسن تأويل، ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار، والتوبة مما وقع والاستغفار، وينسب الموجب إليه، ويجعل العتب فيه إليه، فإن ذلك أبقى لمودة شيخه واحفظ لقلبه، وأنفع للطالب في دنياه وآخرته.

وعن بعض السلف: من لم، يصبر على ذل التعليم، بقي عمره في عملية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ذللت طالبا فعززت مطلوبا. وقال أبو يوسف: خمسة يجب على الناس مداراتهم، وعد منهم العالم، ليقتبس من علمه ولبعضهم:

اصبر لدائك إن جفوت طبيبه ... وأصبر لجهلك إن جفوت معلما

السادس: إن يشكر الشيخ على توفيقه على ما فيه فضيلة، وعلى توبيخه على ما فيه نقيصة، أو على كسل يعتريه، أو قصور يعانيه، أو غير ذلك مما في إيقافه عليه وتوبيخه وإرشاده وإصلاحه، ويعد ذلك من الشيخ من نعم الله تعالى عليه، باعتناء الشيخ به ونظره إليه، فإن ذلك أميل لقلب الشيخ وأبعث على الاعتناء بمصالحه، وإذا أوقفه الشيخ على دقيقة من أدب، أو نقيصة صدرت منه، وكان يعرفه من قبل، فلا يظهر أنه كان له في ذلك عذر وكان إعلام الشيخ به أصلح فلا بأس به، وإلا تركه.

السابع: إن لا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام إلا بالاستئذان، سواء كان الشيخ وحده أو كان معه غيره. ولا يكرر الاستئذان، وإن شك في علم الشيخ به، فلا يزيد في الاستئذان فوق ثلاث مرات أو ثلاث طرقات بالباب أو الحلقة، وليكن طرق الباب خفيفا بآداب بأظفار الأصابع، ثم بالأصابع، ثم بالحلقة قليلا، قليلا، فإن كان الموضع بعيدا عن الباب أو الحلقة، فلا بأس برفع ذلك بقدر ما يسمع لا غير، وإذا أذن وكانوا جماعة يقدم أفضلهم وأسنهم بالدخول والسلام عليه، ثم يسلم عليه الأفضل فالأفضل. وينبغي إن يدخل على الشيخ كامل الهيئة، متطهر البدن والثياب، نظيفهما، بعدما يحتاج إليه من أخذ ظفر وشعر، وقطع رائحة كريهة، لا سيما إن كان يقصد مجلس العلم فإنه مجلس ذكر واجتماع في عبادة. ومتى دخل على الشيخ في غير المجلس العام، وعنده من يتحدث معه فيسكتوا من الحديث، أو دخل والشيخ وحده يصلي، أو يذكر، أو يكتب أو يطالع، فترك ذلك أو سكت ولم يبدأه بكلام أو بسط حديث، فيسلم ويخرج سريعا، إلا إن يحثه الشيخ على المكث، وإذا مكث فلا يطيل إلا إن يأمره بذلك. وينبغي إن يدخل على الشيخ أو يجلس عنده وقلبه فارغ من الشواغل له، وذهنه صاف لا في حال نعاس أو غضب أو جوع شديد أو عطش أو نحو ذلك، لينشرح صدره لما يقال، ويعي ما يسمع.." (١)

---

(١) آداب العلماء والمتعلمين الحسين بن المنصور اليمني ص/١٥

"السابع: إن يحسن خطابه مع الشيخ بقدر الإمكان، ولا يقول له لم ولا نسلم، ولا من يقل هذا، ولا أين موضعه؟ وشبه ذلك، فإن أراد استفادته تلطف في الوصول إلى ذلك في مجلس آخر على سبيل الاستفادة، وإذا ذكرت شيئا لا تقل هكذا قلت، أو خطر لي أو سمعت أو هكذا قال فلان. وهكذا لا تقول: قال فلان خلاف هذا، أو روى فلان خلافه، أو هذا غير صحيح أو نحو ذلك. وإذا أصر الشيخ على قول أو دليل، ولم يظهر له أو على خلاف صواب سهوا، فلا يغير وجهه أو عينيه أو يشير إلى غيره كالمنكر عليه، لما قاله بل يأخذه ببشر ظاهر، وإن لم يكن الشيخ مصيبا لغفلة، أو سهو، أو قصور نظر في تلك الحال، فليس بمعصوم وليتحفظ من مخاطبة الشيخ بما يعتاده بعض الناس في كلامه ولا يليق خطابه به، مثل إيش بك، وفهمت، وسمعت، وتدري، ويا إنسان ونحو ذلك. وكذلك لا يحكي له ما خوطب به غيره، مما لا يليق خطاب الشيخ به، وإن كان حاكيا مثل قال فلان لفلان، أنت قليل البر وما عندك خير وشبه ذلك، بل يقول: إذا أراد الحكاية ما جرت العادة بالكناية به، مثل، قال فلان لفلان: إلا بعد قليل البر وما عند البعيد خير وشبه ذلك. ويتحفظ من مفاجأة الشيخ بصورة رد عليه، فإنه يقع ممن لا **يحسن الأدب** من الناس كثيرا مثل، إن يقول له الشيخ: مرادك في سؤالك كذا، أو خطر لك كذا، فيقول: لا، وما هذا مرادي أو ما خطر لي هذا وشبه ذلك. بل طريقه أن يعيد كلامه ولا يقول الذي قلته، والذي قصدته ليضمنه الرد عليه، وكذلك ينبغي أن يقول في موضع، لم ولا نعلم، فإن قيل لنا كذا أو فإن منعنا ذلك، أو فإن سئلنا عن كذا أو فإن أورد كذا وشبه ذلك ليكون سائلا له بحسن أدب ولطف عبارة.

العاشر: إذا سمع الشيخ يذكر حكما في مسالة أو فائدة مستغربة أو يحكي حكاية، أو ينشد شعرا وهو يحفظ ذلك، أصغى إليه إصغاء مستفيد له في الحال كأنه لم يسمعه قط، قال عطا: إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه، فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئا، وعنه قال: إن الشاب ليتحدث فأسمع له كأن لم اسمعه، ولقد سمعته قبل إن يولد، فإن سأله الشيخ عند الشروع في ذلك عن حفظه له، فلا يجيب بنعم لما فيه من الاستغناء عن الشيخ فيه، ولا يقل لا لما فيه من الكذب، بل يقول أحب إن أستفيده من الشيخ، أو إن اسمعه منه، أو هو من جهتكم أصح، ولا يكرر السؤال لما يعلمه ولا يشغل ذهنه بفكر أو حديث، ثم يستعيد الشيخ ما قاله لأن ذلك إساءة ادب، بل يكون مصغيا لكلامه حاضر الذهن لما سمعه من أول مرة، فإن لم يسمع كلام الشيخ لبعده أو لم يفهمه مع الإصغاء والإقبال عليه، فله إن يسأل الشيخ الإعادة والتفهيم بعد بيان عذره.

الحادي عشر: إن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسألة أو جواب سؤال منه، أو من غيره ولا يساوقه فيه ولا

يظهر معرفته به أو إدراكه قبل الشيخ، وينبغي إن لا يقطع على الشيخ كلامه أي كلام كان، ولا يسابقه فيه ولا يساوقه، بل يصبر حتى يفرغ الشيخ من كلامه ثم يتكلم ولا يتحدث مع غيره والشيخ يتحدث معه، أو مع جماعة المجلس.

وفي حديث هند بن أبي هالة، في وصفه للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأن على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا.." (١)

"كابنه.

(وإسحاق بن عبد الله) بن أبي طلحة أحد شيوخ مالك روى عنه هنا بواسطة (أنهما أخبراه) أي العلاء (أنهما سمعا أبا هريرة يقول: «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إذا ثوب بالصلاة») بضم المثلثة وشد الواو وموحدة قال ابن عبد البر: أي أقيم وأصل ثاب رجع، يقال: ثاب إلى المريض جسمه فكأن المؤذن رجع إلى ضرب من الأذان للصلاة وقد جاء هذا الحديث عن أبي هريرة بلفظ: إذا أقيمت الصلاة وهو يبين أن التثويب هنا الإقامة، انتهى.

وهي رواية الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة، وفي رواية لهما أيضا: إذا سمعتم الإقامة وهي أخص من قوله في حديث أبي قتادة عندهما أيضا: إذا أتيتم الصلاة، لكن الظاهر كما قال الحافظ: إنه في مفهوم الموافقة لأن المسرع إذا أقيمت الصلاة يترجى إدراك التكبيرة الأولى ونحوها، ومع ذلك نهي عن الإسراع، فغيره ممن جاء قبل الإقامة لا يحتاج إلى الإسراع لأنه يتحقق إدراك الصلاة كلها فينهى من باب أولى، ولحظ فيه بعضهم معنى آخر فقال: حكمة التقييد بالإقامة أن المسرع إذا أقيمت الصلاة يصل إليها وقد تعب فيقرأ وهو بتلك الحالة فلا يحصل له تمام الخشوع في الترتيل وغيره، بخلاف من جاء قبل ذلك فلا تقام الصلاة حتى يستريح، لكن قضية هذا أنه لا يكره الإسراع لمن جاء قبل الإقامة وهو مخالف لصريح قوله إذا أتيتم الصلاة لأنه يتناول ما قبل الإقامة، وإنما قيده بالإقامة لأنها الحاملة غالبا على الإسراع، انتهى.

(«فلا تأتوها وأنتم تسعون») تمشون بسرعة وتطلق على العمل نحو: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن﴾ [الإسراء: ١٩] (سورة الإسراء: الآية ١٩) ﴿إن سعيكم لشتى﴾ [الليل: ٤] (سورة الليل: الآية ٤) وعليه حمل قوله تعالى: ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩] (سورة الجمعة: الآية ٩) كقوله ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم: ٣٩] (سورة النجم: الآية ٣٩) أو المراد الذهاب فليس معناه الإسراع.

قال الطيبي: (وأنتم تسعون) حال من ضمير الفاعل وهو أبلغ في النهي من لا تسعوا وذلك لأنه مناف لما

---

(١) آداب العلماء والمتعلمين الحسين بن المنصور اليمني ص/١٧

هو أولى به من الوقار والأدب، وعقبه بما يدل على **حسن الأدب** بقوله: («وأتوها وعليكم السكينة») ضبطه القرطبي بالنصب على الإغراء، والنووي بالرفع على أنها جملة في موضع الحال، زاد غيره: أو السكينة مبتدأ وعليكم خبره.

وذكر الحافظ العراقي في شرح الترمذي أن المشهور في الرواية الرفع.

ووقع في رواية الحافظ أبي ذر الهروي للبخاري بالسكينة بالباء واستشكل بأنه متعد بنفسه عليكم أنفسكم وفيه نظر لثبوت زيادتها في أحاديث صحيحة كحديث: " «عليكم برخصة الله» " وحديث: " «فعليه بالصوم فإنه له وجاء» " وحديث: " «عليك بالمرأة» " قاله لأبي طلحة في قصة صفية.

وحديث: " «عليكم بقيام الليل» "، وحديث " «عليك بخويصة نفسك» " وغير ذلك،." [١]

"كان عليه - صلى الله عليه وسلم - من الشفقة على أمته، وشدة الخوف من ربه، وإبطال ما كانت الجاهلية تعتقد أن الكسوف يوجب حدوث تغير بالأرض من موت أو ضرر، فاعلم أنه اعتقاد باطل، وأنهما خلقان مسخران لا سلطان لهما في غيرهما ولا قدرة على الدفع عن أنفسهما.

(فإذا رأيتم ذلك) الكسوف في أحدهما لاستحالة كسوفهما معا في وقت واحد عادة، وإن كان ذلك جائزا في قدرة الله (فادعوا الله وكبروا وتصدقوا) وقع الأمر بالصدقة في رواية هشام هذه دون غيرها.

قال الحافظ: (ثم قال: يا أمة محمد) فيه معنى الإشفاق كما يخاطب الواحد ولده إذا أشفق عليه بقوله: يا بني، وكان قضية ذلك أن يقول: يا أمتي لكن لعدوله عن المضمر إلى المظهر حكمة، ولعلها أن المقام مقام تحذير وتخويف لما في الإضافة إلى المضمر من الإشعار بالتكريم، ومثله: «يا فاطمة بنت محمد إلى أن قال: لا أغني عنكم من الله شيئا» .

(والله) أتى باليمين لـإرادة تأكيد الخبر وإن كان لا يرتاب فيه («ما من أحد أغير») بالنصب خبر و " من " زائدة، ويجوز الرفع على لغة تميم أو هو بالخفض بالفتحة صفة لـ " أحد "، والخبر محذوف؛ أي: موجود أغير (من الله) أفعل تفضيل من الغيرة - بفتح المعجمة - وهي لغة تحصل من الحمية والأنفة، وأصله في الزوجين والأهلين، وذلك محال على الله تعالى؛ لأنه منزه عن كل تغير ونقص، فتعين حمله على المجاز، فقيل: لما كانت ثمرة الغيرة صون الحريم ومنعهم وزجر من يقصد إليهم أطلق عليه ذلك؛ لأنه منع من فعل ذلك وزجر فاعله وتوعده، فهو من تسمية الشيء بما يترتب عليه.

وقال ابن فورك: المعنى ما أحد أكثر زجرا، عن الفواحش من الله.

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١/ ٢٦٨

وقال غيره: غيرة الله ما يغير حال العاصي بانتقامه منه في الدنيا والآخرة أو في أحدهما، ومنه قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد: ١١] (سورة الرعد: الآية ١١) وقال ابن دقيق العيد: أهل التنزيه في مثل هذا على قولين: إما ساكت، وإما مئول بأن المراد بالغيرة شدة المنع والحماية، فهو من مجاز الملازمة.

وقال الطيبي وغيره: وجه اتصال هذا بقوله: فاذكروا الله. . . . إلخ، من جهة أنهم لما أمروا باستدفاع البلاء بالذكر والصلاة والصدقة ناسب ردعهم عن المعاصي التي هي جلب البلاء، وخص منه الزنى؛ لأنه أعظمها في ذلك.

وقيل: لما كانت هذه المعصية من أقبح المعاصي وأشدها تأثيرا في إثارة النفوس وغلبة الغضب ناسب ذلك تخويفهم في هذا المقام من مؤاخذة رب العزة (أن يزني عبده أو تزني أمته) متعلق بأغير، وحذف من قبل أن قياسه مستمر وتخصيصهما بالذكر رعاية **لحسن الأدب** مع الله لتنزهه عن الزوجة والأهل ممن يتعلق بهم الغيرة غالبا، ثم كرر النداء فقال: (يا أمة محمد) ويؤخذ منه أن الواعظ ينبغي له حال وعظه أن لا يأتي بكلام فيه تفخيم نفسه، بل يبالغ في التواضع؛ لأنه أقرب إلى الانتفاع." (١)

"وأثنى عليه) بما هو أهله (ثم قال: أما بعد) أي بعد الحمد والثناء، وفيه القيام في الخطبة وابتداؤها بالحمد والثناء وأما بعد (فما) بالفاء في جواب أما، وفي رواية التنيسي بلا فاء على القليل (بال) أي حال (رجال) وفيه **حسن الأدب** والعشرة فلم يواجههم بالخطاب ولم يصرح بأسمائهم؛ ولأنه يؤخذ منه تقرير شرع عام للمذكورين وغيرهم وللصورة المذكورة وغيرها، وهذا بخلاف قصة علي في خطبته بنت أبي جهل فكانت خاصة بفاطمة فلذا عينها («يشترطون شروطا ليست في كتاب الله») أي ليست في حكمه وقضائه من كتابه أو سنة رسوله ؛ لأن الله لما أمر باتباعه جاز أن يقال: لما حكم به حكم الله وقضاؤه، وقد أخبر أن الولاء لمن أعتق ولا يعلم ذلك في نص الكتاب ولا دلالته، قاله ابن عبد البر. زاد ابن بطال: أو إجماع الأمة، وقال ابن خزيمة: أي ليس في حكم الله جوازه أو وجوبه ؛ لأن كل شرط لم ينطق به القرآن باطل؛ لأنه قد يشترط الكفيل فلا يبطل الشرط، ويشترط في الثمن شرط من أوصافه أو نجومه أو نحو ذلك فلا يبطل. وقال القرطبي: أي ليس مشروعا في كتاب الله تأصيلا ولا تفصيلا، ومعنى هذا أن من الأحكام ما يوجد تفصيله في كتاب الله كالوضوء، ومنها ما يوجد تأصيله دون تفصيله كالصلاة، ومنها ما أصل أصله لدلالة الكتاب على أصلية السنة والإجماع، وكذلك القياس الصحيح فكل ما يقتبس من هذه الأصول

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٦٣٢/١

تفصيلا فهو مأخوذ من كتاب الله تأصيلا. («ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل») جواب ما الموصولة المقتضية لمعنى الشرط («وإن كان مائة شرط») قال القرطبي وغيره: خرج مخرج التكثير؛ لأن العموم في قوله: ما كان. . . إلخ، دال على بطلان جميع الشروط ولو زادت على مائة شرط، يعني أن الشروط الغير مشروعة باطلة وإن كثرت، ويستفاد منه أن الشروط المشروعة صحيحة، وقال المازري: الشروط ثلاثة: شرط العقد كالتسليم والتصرف فلا خلاف في جوازه ولزومه وإن لم يشترط. وشرط لا يقتضه بل هو مصلح له كرهن وحميل فهو جائز ولا يلزم إلا بشرط. وشرط مناقض للعقد، فهذا اضطرب فيه العلماء، والمشهور في المذهب بطلان العقد والشرط معا لحديث: " «من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو رد» " ولما في العقد من الجهالة؛ لأن الشرط وضع له من الثمن فله حصة من المعاوضة، فيجب بطلان ما قابله وهو مجهول وجهالته تؤدي إلى جهالة ما سواه فيجب فسخ الجميع، وقيل: يبطل الشرط خاصة (قضاء الله) أي حكمه (أحق) بالاتباع من الشروط المخالفة.

(وشرط الله) أي قوله: ﴿فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾ [الأحزاب: ٥] (سورة الأحزاب: الآية: ٥)." (١)

"وحدثني عن مالك عن أبي نعيم وهب بن كيسان قال «أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام ومعه ربيبه عمر بن أبي سلمة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سم الله وكل مما يليك»

١٧٣٨ - ١٦٨٩ - (مالك عن أبي نعيم وهب بن كيسان) التابعي، (أنه قال) مرسلا عند الأكثر، ورواه خالد بن مخلد، ويحيى بن صالح الوحاظي، فقالا: عن مالك عن وهب عن عمر بن أبي سلمة موصولا، أخرجهما الدارقطني، والأول النسائي، وكذا رواه محمد بن عمرو بن حلحلة، عن وهب عن عمر عند البخاري قال الحافظ: والمشهور عن مالك إرساله كعادته.

وقد أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف، والنسائي، عن قتيبة كلاهما عن مالك عن وهب مرسلا كما في الموطأ، ومقتضاه أن مالكا لم يصرح بوصله، ولعله وصله مرة فحفظ ذلك عنه خالد، ويحيى وهما ثقتان، وبه يتبين صحة سماع وهب من عمر، وقد صرح في رواية الشيخين وغيرهما عن الوليد بن كثير، أنه سمع وهب بن كيسان، أنه سمع عمر بن أبي سلمة يقول: (أتي) - بضم الهمزة مبني للمفعول - (رسول الله بطعام ومعه ربيبه) ابن زوجته أم سلمة (عمر) - بضم العين - (بن أبي سلمة) الصحابي ابن الصحابي، وفي رواية محمد بن عمرو بن حلحلة: " «أكلت يوما مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طعاما

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٥٨/٤

فجعلت آكل من نواحي الصحفة» "، وفي رواية الوليد بن كثير: "كنت غلاما في حجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكانت يدي تطيش في الصحفة "، (فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –) : يا غلام (سم الله) طردا للشيطان، ومنعا له من الأكل فتسن التسمية.

قال النووي: أقلها بسم الله، وأفضله بسم الله الرحمن الرحيم.

قال الحافظ: لم أر لما ادعاه من الأفضلية دليلا خاصا.

وأما قول الغزالي: يستحب أن يقول مع اللقمة الأولى: بسم الله، والثانية: بسم الله الرحمن، والثالثة: البسملة بتمامها، فإن سمى مع كل لقمة، فهو أحسن حتى لا يشغله الأكل عن ذكر الله، ويزيد بعد التسمية: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، وأنت خير الرازقين، وقنا عذاب النار، فقال الحافظ أيضا: لم أر لاستحباب ذلك دليلا، ولا أصل لذلك كله، وقال غيره: ظاهر الأحاديث خلافه، ومن أصرحها حديث أحمد: " «كان – صلى الله عليه وسلم – إذا قرب إليه طعام قال: بسم الله» "، (وكل مما يليك) ، استحبابا لا وجوبا عند الجمهور، فيكره الأكل مما لا يلي ؛ لأن الأكل من موضع يد صاحبه سوء عشرة، وترك مودة لنفور النفس لا سيما في الأمراق، ولما فيه من إظهار الحرص والنهم وسوء الأدب وأشباهها، فإن كان غير لون أو تمرا جاز، فقد روى ابن ماجه وغيره عن عائشة: " «كان – صلى الله عليه وسلم – إذا أتي بطعام أكل مما يليه، وإذا أتي بالتمر جالت يده فيه» "، وروى الترمذي." (١)

"وحدثني مالك عن يحيى بن سعيد أن عيسى ابن مريم لقي خنزيرا بالطريق فقال له انفذ بسلام فقيل له تقول هذا لخنزير فقال عيسى ابن مريم إني أخاف أن أعود لساني المنطق بالسوء

١٨٤٧ – ١٨٠٠ – (مالك عن يحيى بن سعيد عن عيسى بن مريم – صلى الله وسلم على نبينا وعليه – : لقي خنزيرا بالطريق، فقال له: انفذ) – بضم الفاء، وذال معجمة -: امض واذهب (بسلام) سلامة مني، فلا أوذيك، (فقيل له: تقول هذا لخنزير؟ فقال عيسى: إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء) لو قلت له غير هذا، وهذا من **حسن الأدب**، ولا يدع فهو صادر ممن تولى الله تأديبه.." (٢)

"وحدثني مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون واحد»

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٩٧/٤

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٦٣٨/٤

١٨٥٧ - ١٨١٠ - (مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر) - رضي الله عنهما - (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إذا كان) ، أي وجد (ثلاثة) بالرفع فاعل "كان " التامة، وفي رواية: إذا كانوا ثلاثة، روي بنصبه خبر "كان " واسمها المتصاحبون، وبرفعه على لغة أكلوني البراغيث، وتمام "كان ". («فلا يتناجى اثنان دون واحد») ، أي لا يتسارا ويتركاه، زاد في رواية لمسلم: إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه، أي لأنه قد يتوهم أن نجواهما هي لسوء رأيهما فيه واحتقاره عن أن يدخلاه في نجواهم، أو إنما يتفقان على غائلة تحصل له منهما.

قال الحافظ: وأرشد هذا التعليل إلى أن المناجي إذا كان ممن إذا خص أحدا بمناجاته أحزن الباقين امتناع ذلك، إلا إذا كان في أمر مهم لا يقدح في الدين.

وقد نقل ابن بطال عن أشهب قال: لا يتناجى ثلاثة دون واحد، ولا عشرة ؛ لأنه قد نهى أن يترك واحد، قال: وهذا مستنبط من الحديث ؛ لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين للواحد، قال: وهذا من **حسن الأدب** لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا، وقال المازري ومن تبعه: فلا فرق في المعنى بين الواحد والجماعة لوجود المعنى في حق الواحد.

وقال النووي: أما إذا كانوا أربعة فتناجى اثنين دون اثنين، فلا بأس بالإجماع، انتهى. واختلف إذا انفرد جماعة دون جماعة قال ابن التين: وحديث عائشة في قصة فاطمة دال على الجواز، وحديث ابن مسعود: فأتيته، وهو في ملإ فساررته فيه دلالة." (١)

"الحيوان يحسن إليه، ولا يضيعه مالكه فيهلك، وحجته أن عامة الوصية النبوية الصلاة، وما ملكت أيمانكم.

والثاني: ترك إصلاحه، والنظر فيه وكسبه.

والثالث: إنفاقه في غير حقه من الباطل، والسرف، انتهى، باختصار.

(وكثرة السؤال) ، قال أبو عمر: معناه عند أكثر العلماء التكثير من المسائل النوازل، والأغلوطات، وتشقيق المولودات، وقيل سؤال المال، والإلحاح فيه على المخلوقين لعطفه على إضاعة المال، وقال مالك: لا أدري أهو ما أنهاكم عنه من كثرة المسائل، أم هو مسألة الناس أموالهم؟ إلا أن الظاهر في الحديث كراهة السؤال عن المسائل، إذا كان ذلك الإكثار لا على الحاجة عند نزول النازلة بين كثيرة وقليلة، وكان أصل

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٦٤٧/٤

هذا أنهم كانوا يسألون عن أشياء، ويلحون فيها فينزل تحريمها، قال - تعالى -: ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ [المائدة: ١٠١] (سورة المائدة: الآية ١٠١) الآية، والسؤال اليوم لا يخاف منه نزول تحريم ول ا تحليل، فمن سأل مستفهما راغبا في العلم ونفي الجهل عن نفسه باحثا عن معنى يجب الوقوف عليه، فلا بأس، فشفاء العي السؤال ما لم يبلغ الجدال المنهي عنه، ومن سأل متعنتا، لم يحل له قليل السؤال، ولا كثيره، انتهى، ملخصا.

وقيل: المراد كثرة سؤال الإنسان عن حاله، وتفاصيل أمره، فيدخل في سؤاله عما لا يعنيه، ويتضمن حصول الحرج في حق المسئول، فإنه قد لا يحب إخباره بأحواله، فإن أخبر شق عليه، وإن كذب في الإخبار، أو تكلف التعريض لحقته المشقة، وإن أهمل جوابه **ارتكب سوء الأدب**، والحديث رواه مسلم من طريق جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة موصولا به، وهو يقوي رواية الأكثر عن مالك موصولا، ولعله حدث بالوجهين: الوصل والإرسال.." (١)

"[٢٣٤] أنازع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الإناء أي أنا أجره إلى نفسي وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يجره إلى نفسه وهذا من حسن العشرة مع الأهل قوله سئلت على بناء المفعول إذا كانت كيسة في المجمع أرادت **حسن الأدب** في استعمال الماء مع الرجل قلت فسرها الأعرج بقوله لا تذكر فرجا ولا تباله والفرج معرفة في حيز النكرة يعم فرجها وفرج الزوج ولا تباله بفتح التاء أصله تتباله بتاءين حذفت إحداهما من تباله الرجل إذا أرى من نفسه ذلك وليس به أي ولا تأتي بأفعال المراة البلهاء والأبلة خلاف الكيس والمرأة بلهاء كحمراء من مركن بكسر الميم نفيض على أيدينا أي." (٢)

"قال يحيى بن معاذ: إلهنا أبداننا أسراء الدنيا، وقلوبنا أسراء الهوى ونحن بين ذلك مأخوذون بالأوامر والزواجر نتمنى الصفا ساعة من الدهر، أو نفر إلى بابك بالإخلاص لحظة من عمرنا، فنكتب بالدموع قصة الخشوع، ونمد يد العبودية إلى عز الربوبية، ولا نقدر على ذلك، فها نحن واقفون موقف الاعتذار والاقتراف والاقتراب (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فعليك يا أخي بالصدق مع الله تعالى فيما جمع مما ذكر وما سيذكر والصدق قوام العمل، والصدق مع الله حامل على ترك ما يكره الله تعالى، قال الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) والصادقون ثلاثة: صادق في أفعاله، وصادق في أقواله، وصادق في أحواله. فأما الصادق في أفعاله، فله ست علامات: إظهار التوبة،

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٦٥٣/٤

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي السندي، محمد بن عبد الهادي ١٢٩/١

ودوام البكاء، وكثرة الخضوع، والمواظبة على الجهد، وصحة المراقبة، والمبادرة إلى الأوامر مع تجنب النواهي. والصادق في أحواله: له ست علامات: الزهد في الدنيا، والبذل إذا أنفق، والإيثار مع الضرورة، وحسن الخلق، وصحة التوكل، وقول الحق وعلمه. وأما الصادق في أقواله: فله ست علامات: الوقوف بين يدي الخوف، والرجاء، ورياضة النفس بالتقوى، واليقين، والقيام بالشكر، والصبر، ومراقبة الحياء، والإخلاص، والعمل بالتسليم، والرضا **بحسن الأدب** على بساط الانبساط. قال أبو عبد الله: وقد سئل ما أحسن ما توجه العبد به إلى الله؟ قال: الصدق وأقبحه الكذب. وكان يحيى بن معاذ يقول في محاسبته لنفسه: يا من خلفه الأجل وقدامه الأمل لا ينجيك إلا صدق العمل. وقال أحمد بن حضرويه: من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق، وهذا الكلام قاله المحققون - رضي الله عنا وعنهم ونفعنا بعلومهم.

بيان وطء المرأة في دبرها وهو من الكبائر:

قال الله تعالى: (ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم) . وقال تعالى: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) والحرث: الماء يكون مكان الزرع. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الذي يأتي امرأة في دبرها: " هي اللوطية الصغرى ". وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر ". رواه الترمذي وقال: حديث غريب. وقال صلى الله عليه وسلم: " من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر وقال: وقد بريء مما أنزل الله على محمد " رواه أبو داود والترمذي.

فصل

في معنى قوله (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)

أي مقبلات ومستدبرات، ومستلقيات يعني بذلك في موضع الولد وهذه الأحاديث نص في إباحة الحال والهيئات كلها إذا كان الحرث في موضع الزرع، وهو الفرج أي كيف شئتم من خلف ومن قدام باركة أو مستلقية، إن شاء مجبية، وإن شاء غير مجبية، ذلك في صمام واحد، ويروى في سام واحد بالسين، قاله الترمذي. وروى النسائي عن أبي النضر أنه قال لنافع مولى ابن عمر: قد أكثر عليك القول إنك تقول عن ابن عمر إنه أفتى بأن يؤتى النساء في أدبارهن قال نافع: لقد كذبوا علي ولكن سأخبرك كيف كان الأمر، إن ابن عمر عرض على المصحف يوما وأنا عنده حتى بلغ (نساؤكم حرث لكم) قال نافع: هل تدري ما أمر هذه الآية؟ إنا كنا معشر قريش نجبي النساء، فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار أردنا منهن ما

كنا نريد من نسائنا فإذا هن قد كرهن ذلك وأعظمنه وكان نساء الأنصار إنما يؤتين على جنوبهن فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم) . وعن جابر رضي الله عنه أن اليهود كانت تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها ثم حملت كان ولدها أحول فنزلت (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) زاد في رواية عن الترمذي: " يعني صماما واحدا ". رواه البخاري ومسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: " من أتى النساء في أدبارهن والرجل فهو كافر " وعنه أيضا: " ملعون الذي يأتي المرأة في دبرها ". وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " استحيوا من الله فإن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن ".

بيان تحريم إتيان النساء في الحيض وإباحة الاستمتاع بهن فيما بين السرة والركبة." [1]

"أخوه المسلم) فيه أن المراد بالقوم المسلمين وأنه لا ترد كرامة الله ممن يكرم فليستكرم (فإن لم يوسع له فلينظر أوسعها) المجالس أو البقعة (مكانا فليجلس فيه) ولا يتخير ولا يطلب صدر المجلس فإن ذلك **من سوء الأدب** ومن الكبر، واعتقاد استحقاق الرفعة وهذا ما بلي به كثير من أهل العلم والرئاسة (الحارث) بن أبي أسامة تقدم (عن أبي شيبة الخدري (١)) هو أخو أبي سعيد، والمصنف رمز لحسنه، وقال الشارح: إسناده جيد.

٥٨٥ - " إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين، وإذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين؛ فإن الله جاعل له من ركعتيه في بيته خيرا (هق عد هب) عن أبي هريرة (ض) ".

(إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين) إلا المسجد الحرام فإن تحيته الطواف به، فإنه - صلى الله عليه وسلم - لما دخل إليه في كل أوقات قدومه حاجا ومعتمرا ما بدأ إلا بالطواف وتقدم قريبا (وإذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين) تقدم أنهما يمنعان مدخل السوء وهنا علله بقوله: (فإن الله جاعل له من ركعتيه في بيته خيرا) ولا مانع من اجتماع الأمرين (عق عد هب عن أبي هريرة (٢)) رمز المصنف لضعفه ولكن له شواهد مر بعضها.

---

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في بغية الحارث (١٩٩ - زوائد الهيثمي) وأورده الحافظ في الإصابة (٦/ ١٠٩) في ترجمة مسلم بن شيبة وعزاه للخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٢٧٣)، وله شاهد من رواية ابن عمر قال الذهبي: رواه الدارقطني في غرائب مالك عن محمد بن علي بن الحسن النقاش عنه

---

(١) سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان المشتولي ص/٤٨

وقال لم يروه غير هذا الشيخ -أحمد بن جعفر بن محمد- عن مجاهد بن موسى ولعله شبه عليه وهذا غير محفوظ بهذا الإسناد وقيل لي: إن الشيخ لم يكن به بأس انظر الميزان (٨/ ٢٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٧) والسلسلة الصحيحة ١٣٢١).

(٢) أخرجه العقيلي في الضعفاء (١/ ٧٢) وقال: في حديثه وهم وغلط، وابن عدي في الكامل (١/ ٢٥١) وقال: وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر، والبيهقي في الشعب (٣٠٧٩) وقال: أنكره البخاري وابن الجوزي في الموضوعات (١٤٩٥)، وأورده ابن حجر في اللسان (١/ ١٢٤) في ترجمة إبراهيم بن يزيد بن قديد وقال: له عن الأوزاعي مناكير. =." (١)

"(ضعوا السوط) الذي يراد به تأديب الخدم. (حيث يراه الخادم) فإنه يبعثه على **حسن الأدب** والمحاذرة من الإساءة، وفيه إباحة تأديب الخادم بنحو الضرب وندبية إظهار الملوك لآلة الحرب ونحوها. (البزار (١) عن ابن عباس) رمز المصنف لحسنه.

٥٢٠٥ - "ضعي في يد المسكين ولو ظلفا محرقا" (حم طب) عن أم بجيد".

(ضعي) يا أم بجيد. (في يد المسكين) أي السائل لأنها قالت: يا رسول الله يأتيني السائل فأنا أهد له بعض ما عندي فقال ذلك. (ولو ظلفا محرقا) قال القاضي: هذا وما أشبهه؟ إنما يقصد به المبالغة في رد السائل بأدنى ما تيسر ولم يقصد به صدور هذا الفعل من المسئول فإن الظلف المحرقة لا تنفع. (حم طب (٢) عن أم بجيد) بالموحدة [٣/ ٣١] مضمومة فجيم فمثناة من تحت فمهملة (٣).

٥٢٠٦ - "ضعي يدك عليه ثم قولي ثلاث مرات: "بسم الله، اللهم أذهب عني شر ما أجد بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك بسم الله". الخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن عساكر عن أسماء بنت أبي بكر".

(ضعي يدك) الخطاب لأسماء بنت أبي بكر، قال المصنف: كان بها خراج في عنقها فشكته إليه - صلى الله عليه وسلم - (عليه ثم قولي) لم يرد التراخي بل مجرد الترتيب. (ثلاث مرات) واليد موضوعة عليه. (بسم الله، اللهم أذهب عني شر ما أجد بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك) أي أذهب ذلك بسبب دعوته لعبادك إلى عبادتك وحدك، أو دعوته لي التي تدعوا بها، أو هذه الدعوة التي علمنيها

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣٨/٢

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٠١٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٩٠)، وحسنه في الصحيحة (١٤٤٧)، وانظر قول الهيثمي في المجمع (٨/ ١٠٦)، وكشف الخفا (٢/ ٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٨٢)، والطبراني (٢٤/ ٢٢١) (٥٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٤٠).

(٣) انظر: الإصابة (٧/ ٥٩٠)، والتقريب (٨٧٠٥).." [(١)]

"ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ [هود:٤٧]، فهذا ليس صيغة طلب وإنما هو إخبار عن الله أنه إن لم يغفر له ويرحمه خسر، ولكن هذا الخبر يتضمن سؤال المغفرة وكذلك قول آدم - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف: ٢٣] هو من هذا الباب ومن ذلك قول موسى - عليه السلام -: ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ [القصص: ٢٤] فإن هذا وصف لحاله بأنه فقير إلى ما أنزل الله إليه وقد روى الترمذي وغيره عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين" (١)، وقد سئل سفيان بن عيينة أفضل الدعاء يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فذكر هذا الحديث، وأنشد قول أمية بن أبي الصلت:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء

قال: فهذا مخلوق يخاطب مخلوقا فكيف بالخالق تعالى، ومن هذا الباب قول أيوب - عليه السلام -: ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: ٨٣] فوصف نفسه ووصف ربه بوصف يتضمن سؤال رحمته بكشف ضره وهي صيغة خبر تضمنت السؤال، وهذا هو من باب **حسن الأدب** في السؤال، والدعاء فقول القائل لمن يرغب إليه ويعظمه: أنا جائع، أنا مريض، حسن أدب في السؤال، وإن كان في قوله: أطعمني وداوني ونحو ذلك، مما هو بصيغة الطلب طلب جازم من المسئول، فذاك فيه إظهار حاله وإخباره على وجه الذل والافتقار المتضمن لسوء الحال لا بالمقال، وهذا فيه الرغبة التامة والسؤال المحض بصيغة الطلب، وهذه الصيغة صيغة الطلب والاستدعاء إذا كانت ممن يحتاج

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنع ا ني ١٠٧/٧

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦).." [1]

"الإغاثة. أبو عوانة (طب) (١) عن سمرة) رمز المصنف لصحته، وقال الشارح: قال ابن حجر: إسناده ضعيف.

٦٥٤٩ - "كان إذا استفتح الصلاة قال: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك". "د ت هـ ك) عن عائشة (ق هـ ك) عن أبي سعيد (طب) عن ابن مسعود وعن واثلة (صح) ".

(كان إذا استفتح الصلاة) قال الشارح: الذي وقف عليه في أصول مخرجيه "إذا ابتدأ". (قال) بعد تكبيرة الإحرام. (سبحانك اللهم وبحمدك) قال الطيبي: الواو للحال أي أسبح الله حال كوني متلبسا بحمده. (وتبارك اسمك) قال ابن الأثير (٢): الاسم هنا صلة أي زائد، وقال الفخر الرازي: كما يجب تنزيه ذاته عن النقائض يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوءِ الأدب. (وتعالى جدك) جلالك والجد الحظ. (ولا إله غيرك) رجح الافتتاح بهذا الذكر ابن القيم (٣) في الهدي النبوي وذكر وجوها مرجحة لافتتاح الصلاة بها مع إشارته إلى أن غيره سندا أثبت منه. (د ت هـ ك) عن عائشة) رمز المصنف لصحته على الحاكم؛ لأنه صححه، وقال أبو داود: لم يروي عن عبد السلام غير طلق بن غنام وليس هذا الحديث بالقوي، وقال النووي في الأذكار (٤) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة بأسانيد ضعيفة، وقال الذهبي: أخرجه الترمذي من طريق حارثة ابن أبي الرجال وهو واه. (ق هـ ك) عن أبي سعيد) قال الذهبي: فيه علي بن علي الرفاعي وفيه شيء، (طب) (٥) عن ابن مسعود وعن واثلة) قال الهيثمي: في رواية

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٢٣) (٦٩٢٨)، وانظر التلخيص الحبير (٢/ ١٠٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٣٦)، والضعيفة (٤١٦٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٠٠٧).

(٣) زاد المعاد (١/ ١٩٤).

(٤) الأذكار (ص ١١٢).

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٨٥/٨

(٥) أخرجه أبو دواد (٧٧٦)، والترمذي (٢٤٣)، وابن ماجة (٨٠٦)، والحاكم (١/ ٣٦٠) عن عائشة، =." [١]

"ينزعها عنه". ابن سعد عن أنس".

(كان إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه) الظاهر أن المراد الوقوف. (فلم ينصرف) تأدبا وحسن عشرة. (حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه) ولا يخفى ما في هذا من **حسن الأدب** وخير القلوب. (وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها) أي ناول النبي - صلى الله عليه وسلم - الرجل يده. (فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه) زاد ابن المبارك في رواية عن أنس "ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه". (وإذا لقي أحدا من أصحابه فتناول أذنه ناولها إياها) ليشاوره. (ثم لم ينزعها حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها عنه) وهذه من أكمل محاسن الأخلاق وأتمها وأحبها إلى الله تعالى منافية لأخلاق المترفين [٣/ ٣٢٥]. (ابن سعد (١) عن أنس) وفي أبي داود بعضه.

٦٧٧٢ - "كان إذا لقيه الرجل من أصحابه مسحه ودعا له" (ن) عن حذيفة (ح) ".

(كان إذا لقيِه الرجل من أصحابه مسحه) مسح يده بيده أي صافحه. (ودعا له) اختلف مالك وابن عيينة في معانقة القادم وتقبيل يده، فذهب مالك إلى كراهيته عملا بهذا، وقال ابن عيينة لا كراهة واحتج بأنه - صلى الله عليه وسلم - لما قدم جعفر من الحبشة خرج إليه - صلى الله عليه وسلم - وعانقه فقال مالك: ذلك خاص بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال ابن عيينة: ما نخصه بفهمنا في مناظرة دارت بينهما. (ن) (٢) عن حذيفة) رمز المصنف لحسنه، وفي أبي داود والبيهقي "كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأ بالمصافحة

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٧٨)، والترمذي (٢٤٩٠)، وابن عدي في الكامل (٥/ ٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٨٠).

(٢) أخرجه النسائي (١/ ١٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٨١).." [٢]

---

(١) التنوير شرح الجامع ال صغير الصنعاني ٣٣٠/٨

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٤٤٥/٨

"الرؤوس) بضم الراء والهمزة بعدها وهو اليوم الثاني من أيام التشريق سمي بذلك لأنهم كانوا يأكلون فيه رؤوس الأضاحي

قال إمام الفن جاد الله الزمخشري في أساس البلاغة أهل مكة يسمون يوم القر يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس الأضاحي انتهى

وهذا من ألفاظ المجاز ولذا لم يذكره أصحاب اللغة كصاحب المصباح والقاموس واللسان وغيرهم

وأما يوم القر فقال في المصباح قيل اليوم الأول من أيام التشريق يوم القر لأن الناس يقرون في منى (أي يوم هذا) سأل عنه وهو عالم به لتكون الخطبة أوقع في قلوبهم وأثبت (الله ورسوله أعلم) هذا من **حسن الأدب** في الجواب للأكابر والاعتراف بالجهل ولعلهم قالوا ذلك لأنهم ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه كما وقع في حديث أبي بكرة (عم أبي حرة) بضم الحاء المهملة وتشديد الراء واسم أبي حرة حنيفة

وقيل حكيم (الرقاشي) بفتح الراء وتخفيف القاف وبعد الألف شين معجمة

٢ - (باب من قال خطب يوم النحر)

[١٩٥٤] (العضباء) هي مقطوعة الأذن

قال الأصمعي كل قطع في الأذن جدع فإن جاوز الربع فهي عضباء

وقال أبو عبيد إن العضباء التي قطع نصف أذنها فما فوق

وقال الخليل هي مشقوقة الأذن

قال الحربي الحديث يدل على أن العضباء اسم لها وإن كانت عضباء الأذن فقد جعل اسمها هذا (يوم الأضاحي بمنى) وهذه هي الخطبة الثالثة بعد صلاة الظهر فعلها ليعلم الناس بها المبيت والرمي في أيام التشريق وغير ذلك مما بين أيديهم كذا في نيل الأوطار

قال المنذري وأخرجه النسائي." (١)

"١٤ - (باب في كراهية ذم الطعام)

[٣٧٦٣] (ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط) أي طعاما مباحا أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه

وذهب بعضهم إلى أن العيب إن كان من جهة الخلقة كره وإن كان من جهة الصنعة لم يكره لأن صنعة الله

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٣٠١/٥

لا تعاب وصنعة الآدميين تعاب

قال الحافظ والذي يظهر التعميم فإن فيه كسر قلب الصانع

قال النووي من آداب الطعام المتأكدة أن لا يعاب كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك (وإن كرهه تركه) قال بن بطال هذا من **حسن الأدب** لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب

قال المنذري وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي وبن ماجه

٥ - (باب في الاجتماع على الطعام)

[٣٧٦٤] (إنا نأكل ولا نشبع) معناه بالفارسية بتحقيق مامي خوريم وسيرنمي شويم والشبع نقيض الجوع وبابه سمع يسمع (تفترقون) أي حال الأكل بأن كل واحد من أهل البيت يأكل وحده (واذكروا اسم الله عليه) أي في ابتداء أكلكم (يبارك لكم فيه) أي في الطعام فقد روى أبو يعلى في مسنده وبن حبان والبيهقي والضياء عن جابر مرفوعا أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي وروى الطبراني عن بن عمر موقوفا طعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام." (١)

"[٣٤٦] قوله: (المقرئ) وليعلم أن المقري غير المقري منسوبا إلى بلدة القري وهو مضبوطة الحافظ وضبطه في معجم البلدان وراو آخر مقري، وقال الحافظ عبد الغني المقدسي: إن رسم خط اللفظ عند المحدثين بالألف أي المقراي، فلا يختلط في الألفاظ، ويجب تمييز كل واحد من الآخر لمن يشتغل في الأحاديث فإن بعض المحدثين سحبوا حديث: «من كذب علي متعمدا» إلخ على من يخطأ في عبارة الحديث، كما قال العيني في عمدة القاري وكذلك يصدق الحديث على من يذكر الأحاديث في المواعظ رطبها ويابسها ولا يبالي، وذكر الشيخ شمس الدين السخاوي: إن سيبويه أخذ في علم الحديث عند حماد بن سلمة فلما بلغ على حديث: «من قاء أو رعف» إلخ قرأ رعف مجهولا، وكان الصحيح معلوما، قال حماد بن سلمة: قم من عندنا، وأخرجه من درسه فذهب سيبويه عند الخليل لتحصيل النحو والعلوم الأدبية ثم لم يرجع إلى تحصيل الحديث، ومات سيبويه وهو ابن أربعة وثلاثين سنة.

قوله: (فوق ظهر بيت الله) إلخ وذكر الأحناف وجه العلة بأن الصلاة فوق ظهر بيت الله **يوجب سوء الأدب**، وهذا التعليل يقتصر على بيت الله فقط، وتجوز الصلاة على غيره من المساجد وحديث الباب

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ١٠/١٧٠

تكلم فيه الترمذي، وتكره الصلاة عندنا أيضا في المواضع المذكورة، ويمكن أن يقال بصحة الحديث لإخراجه ابن السكن في صحيحه، وهو التزم صحة ما أخرجه في صحيحه.." (١)

"فالأفضل لصاحب المنزل أن يقدمه وإن استويا فمن **حسن الأدب** أن يعرض عليه انتهى

فائدة أخرى قال العراقي في شرح الترمذي يشترط أن يكون المزور أهلا للإمامة فإن لم يكن أهلا كالمرأة في صورة كون الزائر رجلا والأمي في صورة كون الزائر قارئا ونحوهما فلا حق له في الإمامة انتهى

٥٠ - (باب ما جاء في كراهية أن يخص الإمام نفسه بالدعاء [٣٥٧])

قوله (أخبرنا إسماعيل بن عياش) بن سليم العنسي أبو عتبة الحمصي صدوق في روايته عن أهل بلده مخلط في غيرهم كذا في التقريب

وقال في الخلاصة وثقه أحمد وبن معين ودحيم والبخاري وبن عدي في أهل الشام وضعفه في الحجازيين انتهى

قلت روى إسماعيل بن عياش هذا الحديث عن حبيب بن أبي صالح وهو من أهل بلده فإنه حمصي (حدثني حبيب بن صالح) قال في التقريب حبيب بن صالح أو بن أبي موسى الطائي أبو موسى الحمصي ثقة من السابعة (عن يزيد بن شريح الحضرمي الحمصي مقبول من الثالثة) كذا في التقريب وقال في الخلاصة ووثقه بن حبان (عن أبي حي المؤذن) اسمه شداد بن حي صدوق من الثالثة كذا في التقريب قال السيوطي في قوت المغتذي ليس للثلاثة يعني لحبيب بن صالح ويزيد بن شريح وأبي حي عند المؤلف إلا هذا الحديث انتهى (عن ثوبان) الهاشمي مولى النبي صلى الله عليه وسلم صحبه ولازمه ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة ٥٤ أربع وخمسين

قوله لا يحل أي لا يجوز لامرىء وكذا لمرأة أن ينظر في جوف بيت امرئ أي." (٢)

"قوله (ما نحل) أي ما أعطى والد ولدا (من نحل) بضم النون ويفتح أي عطية أو إعطاء ففي النهاية النحل العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق يقال نحله ينحله نحلا بالضم والنحلة بالكسر العطية (أفضل من أدب حسن) أي من تعليمه ذلك ومن تأديبه بنحو توبيخ وتهديد وضرب على فعل الحسن وتجنب القبيح فإن **حسن الأدب** يرفع العبد المملوك إلى رتبة الملوك

---

(١) العرف الشذي شرح سنن الترمذي الكشميري ٣٤٠/١

(٢) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٢٨٥/٢

قوله (هذا حديث غريب) وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (وهذا عندي حسن مرسل) قال الحافظ في تهذيب التهذيب في ترجمة موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص بعد نقل كلام الترمذي هذا الضمير في جده يعود على موسى فالحديث عن رواية سعيد وقد ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر أن له رؤية

وأما عمرو وهو الأشدق فلا صحبة له بل ولم يولد إلا في زمان عثمان والحديث على كل حال مرسل وقال في ترجمة سعيد بن العاص قال بن سعد قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولسعيد تسع سنين روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وقال فيها أيضا يحتمل أن يكون ضمير الجد على أيوب وهذا ظاهر ويحتمل أن يعود على موسى فيكون الحديث من مسند سعيد بن العاص فيستفاد منه أن الترمذي أخرج لسعيد أيضا وهو مع ذلك مرسل إذ لم يثبت سماع سعيد انتهى

٤ - (باب ما جاء في قبول الهدية والمكافأة)

قال في القاموس كافأه مكافأة جازاه وقال في الصراح مكافأة باداش دادن قوله [١٩٥٣] (حدثنا يحيى بن أكثم بفتح الهمزة وبالمثلثة) بن محمد بن قطن التميمي المروزي أبو محمد القاضي فقيه صدوق إلا أنه رمي بسرقة الحديث ولم يقع ذلك له وإنما كان يرى الرواية بالإجازة والوجادة روى عنه الترمذي والبخاري في غير صحيحه وعلي بن خشرم وهو من أقرانه وغيرهم وكان قد غلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعا فكانت الوزراء لا." (١)

"مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج وغير ذلك (وإلا) أي وإن لم يشتهه (تركه) يعني مثل ما وقع له في الضب

قال بن بطال هذا من **حسن الأدب** لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه الشيخان

قوله (وأبو حازم هو الأشجعي إلخ) قال الحافظ في تهذيب التهذيب سلمان أبو حازم الأشجعي الكوفي روى عن مولاته غزة الأشجعية وأبي هريرة وغيرهما وعنه الأعمش وغيره

وقال في التقريب ثقة من الثالثة

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٧٢/٦

٥ - (باب ما جاء في تعظيم المؤمن)
وقوله [٢٠٣٢] (عن أوفى بن دلهم) البصري العدوي صدوق من السابعة
قوله (صعد) بكسر العين أي طلع (فنادى بصوت رفيع) أي عال (قال) بيان لقوله فنادى (يا معشر من أسلم بلسانه) يشترك فيه المؤمن والمنافق (ولم يفض) من الإفضاء أي لم يصل الإيمان أي أصله وكماله (إلى قلبه) فيشمل الفاسق وهو الأظهر كما سيأتي من قوله تتبع عورة أخيه المسلم ولا أخوة بين المسلم والمنافق
فما اختاره الطيبي من حصر حكم الحديث على المنافق خلاف الظاهر الموافق والحكم بالأعم هو الوجه الأتم
قاله القارىء وفيه ما فيه فتأمل (لا تؤذوا المسلمين) أي الكاملين في الإسلام وهم الذين أسلموا بلسانهم وامنو بقلوبهم (ولا تعيروهم) من التعيير وهو التوبيخ والتعييب على ذنب سبق لهم من قديم العهد سواء علم توبتهم منه أم لا
وأما التعيير في حال المباشرة أو بعيده قبل ظهور التوبة فواجب لمن قدر عليه
وربما يجب الحد أو التعزير فهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولا تتبعوا) من باب الافتعال أي لا." (١)

"في الصلاة، وجواز التخطي لسد الخلل ما لم يؤذ فإن خشي ذلك استحب الجلوس حيث ينتهي، والثناء على من زاحم في طلب الخير، واستحباب القرب من العالم الكبير فيسمع كلامه، وأن من جلس في مجلس علم فهو في كنف الله وإيوائه، قال ابن بطال: وكذلك يجب على العالم أن يؤوي المتعلم لقوله: «فآواه الله»، وأن من قصد العلم ومجالسه فاستحيى ممن قصده فإن الله يستحيي منه فلا يعذبه، وأن من **حسن الأدب** أن يجلس المرء حيث ينتهي ولا يقيم أحدا، وقد روي ذلك في الحديث أيضا، واستحباب الثناء على من فعل جميلا كالاستحياء، وأن من أعرض عن مجالسة العلم فإن الله يعرض عنه، وجواز الإخبار عن أهل المعاصي وأحوالهم للزجر عنها، وأن ذلك لا يعد من الغيبة، ثم إن الحافظ العسقلاني قال: (لم أقف في شيء من طرق هذا الحديث على تسمية واحد من الثلاثة المذكورين والله أعلم).
==========

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٦/١٥٢

[١] ((وأخرجه الترمذي في الاستئذان)): ليست في (خ).

==================." (١)

"٢٨٥ - (حدثنا عياش) بمثناة

[ج ٢ ص ٤٦٥]

تحتية مشددة وشين معجمة، هو ابن الوليد البصري الرقام، وهو ابن عم عبد الأعلى بن حماد، مات سنة ست وعشرين ومائتين (قال: حدثنا عبد الأعلى) بن عبد الأعلى السامي بالمهملة القرشي، وقد تقدم في باب المسلم من سلم المسلمون [خ¦ ١٠] (قال: حدثنا حميد) الطويل (عن بكر) المزني (عن أبي رافع) نفيع وقد مروا [خ¦ ٢٨٣].

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه أنه (قال: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جنب، فأخذ بيدي) وفي بعض الأصول: (٢)(فمشيت معه حتى قعد، فانسللت) أي: خرجت أو ذهبت خفية، يقال: انسل من بينهم إذا خرج أو ذهب في خفية، وفي رواية زيادة: (٣)أي: من عنده عليه السلام.

(فأتيت) وفي رواية: (٤)بالواو (الرحل) بالحاء المهملة وفتح الراء، وهو مسكن الرجل ومنزله الذي يأوي إليه وما يستصحبه من الأثاث (فاغتسلت ثم جئت وهو) صلى الله عليه وسلم (قاعد فقال: أين كنت) كان هذه تامة فلا تحتاج إلى الخبر أو ناقصة (فأين) خبر لها.

(يا با هريرة) وفي رواية الكشميهني: (٥)(فقلت له) مقول القول محذوف؛ أي: الذي فعلته من المجيء إلى الرميل والاغتسال (فقال) صلى الله عليه وسلم متعجبا (سبحان الله يا أبا هريرة) وفي رواية الأصيلي وابن عساكر وأبي الوقت: (٦)(إن المؤمن لا ينجس).

ففي الحديث جواز مصافحة الجنب ومخالطته، وقال ابن بطال: فيه أنه يجوز للجنب التصرف في أموره كلها قبل الوضوء، وفيه رد على من أوجب عليه الوضوء، وفيه جواز أخذ الإمام والعالم بيد تلميذه ومشيه

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٥٧٩

(٢) بيميني

(٣) منه

(٤) وأتيت

(٥) يا أبا هر

(٦) يا أبا هر

معه معتمدا عليه ومرتفقا به، وفيه أن من **حسن الأدب** لمن يمشي مع رئيسه أن لا ينصرف عنه، ولا يفارقه حتى يعلمه بذلك، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة: ((أين كنت)) فإنه يدل على أنه صلى الله عليه وسلم استحب أن لا يفارقه حتى ينصرف معه، وفيه أن أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد أبي هريرة رضي الله عنه يدل على طهارة الجنب، وأنه غير نجس.

==================". [1]

"وقال الخطابي: هم الذين خرجوا للأسفار وخلفوا النساء والأثقال، وارتفاع خلوف على أنه خبر، وفي رواية المستملي والحموي: [2]بالنصب، قال الكرماني: أي: كان نفرنا خلوفا.

وقال الزركشي، والدماميني، وابن حجر العسقلاني: إنه منصوب على الحال السادة مسد الخبر على مثال قوله تعالى: ((ونحن عصبة)) [يوسف: ٨] بالنصب على القراءة الشاذة. قال محمود العيني: والأوجه ما قاله الكرماني.

(قالا لها: انطلقي إذا) أي: إذا كان عهدك بالماء أمس هذه الساعة (قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: الذي يقال له الصابئ؟) يروى: بالهمزة وبغيرها، فالأول: من صبأ: إذا خرج من دين إلى دين، والثاني من صبا يصبو إذا مال، وسيوسع الكلام فيه.

(قالا: هو الذي تعنين) أي: تقصدين وتريدين، من عنى يعني إذا قصد وقولهما (هو الذي تعنين) فيه **حسن الأدب** وحسن التخلص، إذ لو قالا: لا؛ لفات المقصود، ولو قالا: نعم؛ لم يحسن ذلك؛ لأن فيه تقرير ذلك، فتخلص بهذا اللفظ، وأشار إلى ذاته الشريفة لا إلى تسميتها.

(فانطلقي) إليه بكسر اللام أمر (فجاءا) أي: علي وعمران رضي الله عنهما (بها إلى النبي) وفي رواية: [3](صلى الله عليه وسلم وحدثاه الحديث) الذي كان بينهما وبينها (قال: فاستنزلوها) أي: طلبوا منها النزول (عن بعيرها) وجمع باعتبار أنه كان مع عمران وعلي من تبعهما ممن يعينهما ويخدمهما.

(ودعا النبي صلى الله عليه وسلم) بعد أن أحضروها بين يديه (بإناء، ففرغ) من التفريغ، وفي رواية: [4]من الإفراغ (من أفواه) جمع: فم (المزادتين) وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤]،

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٦٦٥

(٢) خلوفا

(٣) إلى رسول الله

(٤) فأفرغ

وزاد الطبراني والبيهقي: ((فمضمض في الماء وأعاده في أفواه المزادتين)) وبهذه الزيادة تظهر الحكمة في ربط الأفواه بعد فتحها،

[ج ٢ ص ٦٣٥]

وبهذا حصلت البركة؛ لاختلاط ريقه المبارك للماء.

(أو السطيحتين) والشك من الراوي أيضا (وأوكأ) أي: ربط وشد من الإيكاء وهو شد الوكاء، وهو ما تشد به القربة (أفواههما، وأطلق) أي: حل وفتح (العزالي) جمع: عزلاء، بفتح العين وبالمد: فم المزادة الأسفل.." [١]

"من باب التشبيه؛ أي: كأنه يناجي ربه، والتحقيق فيه: أنه شبه العبد وتوجهه إلى الله تعالى في الصلاة، وما فيها من القراءة والأذكار، واستنزال رحمته ورأفته، مع الخضوع والخشوع، بمن يناجي مولاه ومالكه، فمن شرائط **حسن الأدب** أن يقف محاذيه، ويطرق رأسه، ولا يمد بصره إليه، ويراعي جهة أمامه، حتى لا يصدر من تلك الهنات شيء، وإن كان الله تعالى منزها عن الجهات، لأن الآداب الظاهرة والباطنة مرتبط بعضها ببعض.

(أو إن) كذا هو بالشك في رواية الأكثرين، وفي رواية المستملي والحموي: [٢]بالواو (ربه بينه وبين القبلة) ولا يصح حمل هذا الكلام على ظاهره؛ لأن الله تعالى منزه عن الحلول في المكان، فالمعنى على التشبيه؛ أي: كأنه تعالى بينه وبين القبلة، كقوله صلى الله عليه وسلم: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه))، فيجب على المصلي إكرام قبلته بما يكرم به من يناجيه من المخلوقين عند استقبالهم بوجهه، ومن أعظم الجفاء وسوء الأدب أن تتنخم في توجهك وتناجيك إلى شخص من المخلوقين، وأنت على قصد التعظيم، فكيف إلى الرب سبحانه وتعالى، وقد أعلمنا الله تعالى بإقباله على من توجه إليه؟.

وقال الخطابي: معناه أن توجهه إلى القبلة مفض بالقصد منه إلى ربه، فصار في التقدير كأنه مقصوده بينه وبين قبلته، فأمر أن تصان تلك الجهة عن البصاق ونحوه من أثقال البدن.

وقد تمسك به بعض المعتزلة القائلين بأن الله في كل مكان، وهو جهل واضح؛ لأن في الحديث أنه يبزق تحت قدمه، وفيه نقض ما أصلوه.

(فلا يبزقن) بالنون المؤكدة، وفي رواية: [٣](أحدكم قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة؛ أي: جهة (قبلته)

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٨٩٥

(٢) وأن

(٣) فلا يبزق

التي عظمها الله تعالى، فلا تقابل بالبزاق المقتضي للاستخفاف والاحتقار (ولكن) يبزق (عن يساره) أي: لا عن يمينه، كما سيجيء تحقيقه (أو تحت قدميه) بالتثنية، وفي رواية: [1]بالإفراد؛ أي: اليسرى، كما في حديث أبي هريرة في الباب الآتي." [2]

"وقال ابن المنذر: روي كراهته عن سلمان الفارسي وأبي هريرة وكعب وسعيد بن المسيب وعطاء وأحمد بن حنبل، وعن مالك: كراهته إذا جلس الإمام على المنبر ولا بأس به قبله، وقال قتادة: يتخطاهم إلى مجلسه.

وقال الأوزاعي: يتخطاهم إلى السعة، وهذا يشبه قول الحسن قال: لا بأس بالتخطي إذا كان في المسجد سعة، وقال أبو بصرة: يتخطاهم بإذنهم.

وقال ابن المنذر: لا يجوز شيء من ذلك عندي؛ لأن الأذى يحرم قليله وكثيره، قال صاحب «التوضيح»: وهو المختار، وعند أصحابنا الحنفية: لا بأس بالتخطي والدنو من الإمام إذا لم يؤذ الناس، وقيل: لا بأس به إذا لم يأخذ الإمام في الخطبة ويكره إن أخذ.

وقال الحلواني: الصحيح أن الدنو من الإمام أفضل لا التباعد عنه، ثم تقييد التخطي بالكراهة يوم الجمعة هو المذكور في الأحاديث.

وكذا قيده الترمذي في حكايته عن أهل العلم، وكذلك قيده الشافعية في كتب فقههم في أبواب الجمعة، وكذا هو عبارة الشافعي في «الأم»: وأكره تخطي رقاب الناس يوم الجمعة لما فيه من الأذى وسوء الأدب، انتهى.

لكن هذا التعليل يشمل يوم الجمعة وغيره في المساجد وسائر المجامع من حلق العلم، وسماع

[ج ٥ ص ٧١]

الحديث، ومجالس الوعظ، وعلى هذا يحمل التقييد يوم الجمعة على أنه خرج مخرج الغالب لاختصاص الجمعة بمكان الخطبة وكثرة الناس، بخلاف، غيره.

ويؤيد ذلك ما رواه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من تخطى حلقة قوم بغير إذنهم فهو عاص)) ولكنه ضعيف؛ لأنه من رواية جعفر بن الزبير فإنه كذبه شعبة وتركه الناس.

---

(١) قدمه

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢١٧٢

ثم اختلفوا في كراهة ذلك هل هو للتحريم أو لا؟ فالمتقدمون يطلقون الكراهة ويريدون كراهة التحريم، وحكى الشيخ أبو حامد في «تعليقه» عن نص الشافعي التصريح بتحريمه.

وحكى الرافعي في الشهادات عن صاحب «العدة» أنه عده من الصغائر، ونازعه الرافعي وقال: إنه من المكروهات، وصرح النووي في «شرح المهذب» بأنه مكروه كراهة تنزيه.." (١)

"(ولا) تنزله (علينا) قال الطيبي: وفي إدخال الواو هنا معنى لطيف، وذلك أنه لو أسقطها؛ لكان مستسقيا للآكام وما معها فقط، ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه، ولكن ليكون وقاية من أذى المطر، فليست الواو مخلصة للعطف، ولكنها للتعليل، وهو كقولهم: تجوع الحرة، ولا تأكل بثدييها، فإن الجوع ليس مقصودا لعينه، ولكن لكونه مانعا من الرضاع بأجرة إذا كانوا يكرهون ذلك. انتهى.

وقال الدماميني: الواو مخلصة للعطف، ولكنها كواو التعليل وفائه، فالمراد: أنه إن سبق في قضائك أن لا بد من المطر، فاجعله حول المدينة، ويدل على أن الواو ليست لمحض العطف اقترانها بحرف النفي، ولم يتقدم مثله. انتهى.

وقال القسطلاني: لم يستقم لي إجراء هذا الكلام على القواعد، وليس في كلام العرب واو وضعت للتعليل، وليس «لا» هنا للنفي، وإنما هي للدعاء مثل قوله: ((لا تؤاخذنا)) والمراد: أنزل المطر حوالينا حيث لا نستضر به، ولا تنزله علينا حيث نستضر به، فلم يطلب منع الغيث بالكلية.

وهو من حسن الأدب في الدعاء؛ لأن الغيث رحمة الله ونعمته المطلوبة، فكيف يطلب منه رفع نعمته، وكشف رحمته، وإنما يسأل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، وكذا فعل صلى الله عليه وسلم، فإنما سأل جلب النفع، ودفع الضرر، فهو استسقاء بالنسبة إلى محلين، فالواو لمحض العطف، و «لا» جازمة لا نافية، ولا إشكال. والحاصل: أن المراد صرفه عن الأبنية والطرق.

ولذا قال: (اللهم على الآكام) بكسر الهمزة وفتحها ممدودة جمع: أكمة ــ بفتحات ــ. قال ابن البرقي: هو التراب المجتمع. وقال الداودي: أكبر من الكدية. وقال القزاز: هي التي من حجر واحد.

وقال الخطابي: هي الهضبة الضخمة، وقيل: الجبل الصغير، وقيل: ما دون الجبل، وأعلى من الرابية، وقيل: ما ارتفع من الأرض.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٣٩٢٢

(والجبال) وزيد في رواية هنا: [1]بالمد والجيم (والظراب) بكسر الظاء المعجمة وفي آخره باء موحدة، جمع: ظرب ـــ بفتح الظاء وكسر الراء ـــ جبل منبسط على الأرض، وقيل: بسكون الراء. ويقال: ظراب وظرب، كما يقال: كتاب وكتب.

وفي «المنتهى» للبرمكي: الروابي الصغار دون الجبل. قال البرماوي والزركشي: وخصت؛ لأنها أوفق للزراعة من رؤوس الجبال.

(والأودية)

[ج ٥ ص ٢٨٧]." [2]

"ويمكن أن يؤول بإرادة الانتقام؛ لتكون من صفات الذات والتفضيل هنا مجازي؛ لأن القديم لا يتفاوت، إلا أن يراد التفاوت باعتبار التعلق.

وقال ابن فورك: المعنى: ما أحد أكثر زجرا عن الفواحش من الله تعالى. وقال ابن دقيق العيد: أهل التنزيه في مثل هذا على قولين: إما ساكت، وإما مؤول على أن المراد من الغيرة شدة المنع والحماية. وقيل: معناه: ليس أحد أمنع من المعاصي من الله، ولا أشد كراهة لها منه.

ويجوز أن يكون هذا استعارة مصرحة تبعية قد شبه حالة ما يفعل الله بعبده الزاني من الانتقام وحلول العقاب بحالة ما يفعله السيد بعبده الزاني من الجلد والتعزير، وعلى كل حال استعمل هذا اللفظ جاريا على ما ألف من كلام العرب.

قال الطيبي ما حاصله: إن وجه اتصال هذا الكلام، وتعلقه بما قبله هو أنه صلى الله عليه وسلم لما خوف أمته من الكسوف، وأمرهم باستدفاع البلاء بالذكر والصلاة والصدقة، وحرضهم على الفزع والالتجاء إلى الله تعالى بذلك أراد أن يردعهم عن المعاصي التي هي من أسباب حدوث البلاء. وخص منها الزنا؛ لأنه أعظمها، وميل النفس إليها أكثر من ميلها إلى غيره.

وقيل: لما كانت هذه المعصية من أقبح المعاصي وأشدها تأثيرا في إثارة النفوس وغلبة الغضب، ناسب ذلك تخويفهم في هذا المقام من مؤاخذة رب الغيرة وخالقها. ولعل تخصيص العبد

[ج ٥ ص ٣٤٢]

والأمة بالذكر رعاية **لحسن الأدب**؛ لأن أصل الغيرة على ما مر من الأهل والزوج، وجنابه الأقدس منزه

---

(١) والآجام

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٤٢٧١

عنهما، والله أعلم.
(يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم) من عظمة الله، وعظيم انتقامه من أهل الجرائم، وشدة عقابه، وأهوال القيامة وأحوالها كما علمته (لضحكتم قليلا) أي: لما ضحكتم أصلا، والعلة هنا بمعنى العدم كما في قوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلا﴾ [التوبة: ٨٢].
(ولبكيتم كثيرا) أي: بكاء غير منقطع، وتصدير كلامه بقوله: «والله» في الموضعين؛ لإرادة التأكيد لخبره، وإن كان لا يرتاب في صدقه صلى الله عليه وسلم. وقيل: معنى هذا الكلام: لو علمتم من سعة رحمة الله وحلمه ولطفه وكرمه ما أعلم لبكيتم على ما فاتكم في ذلك.." (١)

"ومقتضاه: أن رحمة الله تعالى تختص بمن اتصف بالرحمة وتحقق بها بخلاف من فيه أدنى رحمة، لكن ثبت في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عند أبي داود وغيره: ((الراحمون يرحمهم الرحمن)) والراحمون جمع: راحم، فيدخل فيه كل من فيه أدنى رحمة.
فإن قيل: ما الحكمة في إسناد فعل الرحمة في حديث الباب إلى الله، وإسناده في حديث أبي داود إلى الرحمن؟
فالجواب: أن لفظ الجلالة دال على العظمة، وقد عرف بالاستقراء أنه حيث ورد يكون الكلام مسوقا للتعظيم، فلما ذكرها ناسب ذكر من كثرت رحمته وعظمت؛ ليكون الكلام جاريا على نسق التعظيم بخلاف الحديث الآخر، فإن لفظ «الرحمن» دال على العفو، فناسب أن يذكر معه كل ذي رحمة وإن قلت، والله أعلم.
ورجال إسناد الحديث ما بين مروزي وبصري، وقد أخرج متنه في «الطب» [خ¦٥٦٥٥] و «النذور» [خ¦٦٦٥٥] و «التوحيد» [خ¦٧٤٤٨] وأخرجه مسلم في «الجنائز»، وكذا أبو داود والنسائي وابن ماجه.
وفي الحديث من الفوائد:
جواز استحضار ذوي الفضل للمحتضر لرجاء بركتهم ودعائهم. وجواز القسم عليهم لذلك.
وجواز المشي إلى التعزية والعيادة بغير إذن بخلاف الوليمة.
واستحباب
[ج ٦ ص ٢٧٩]

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٤٣٥٩

إبرار القسم وأمر صاحب المصيبة بالصبر قبل وقوع الموت ليقع وهو مستشعر بالرضا مقاوما للحزن بالصبر.

وتقديم السلام على الكلام وعيادة المريض لو كان مفضولا أو صبيا صغيرا.

وإن أهل الفضل لا ينبغي أن ييأس من فضلهم ولو ردوا أول مرة.

واستفهام التابع من إمامه عما أشكل عليه مما يتعارض ظاهره.

وحسن الأدب في السؤال لتقديمه قوله: «يا رسول الله»، على الاستفهام.

والترغيب في الشفقة على خلق الله والرحمة لهم والترهيب من قساوة القلب وجمود العين، وجواز البكاء من غير نوح ونحوه.." (١)

"وقال صاحب «التوضيح»: وأما قول أبي حنيفة: لا يعطى الغازي من الزكاة إلا أن يكون محتاجا، فهو خلاف ظاهر الكتاب والسنة، فأما الكتاب فقوله تعالى: ﴿في سبيل الله﴾ وأما السنة فروى عبد الرزاق، عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لعامل عليها، أو لغاز في سبيل الله، أو غني اشتراها بماله، أو فقير تصدق عليه فأهدى لغني أو غارم)). وأخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، ورواه أبو داود مرسلا.

وتعقبه العيني: بأنه ما **أحسن الأدب** سيما مع الأكابر، وأبو حنيفة رحمه الله لم يخالف الكتاب ولا السنة، وإنما عمل بالسنة فيما ذهب إليه، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تحل الصدقة لغني)) وقال: المراد من قوله: لغاز في سبيل الله هو الغازي الغني بقوة البدن، والقدرة على الكسب لا الغني بالنصاب الشرعي بدليل حديث معاذ رضي الله عنه: ((وردها إلى فقرائهم)).

﴿وابن السبيل﴾: هو المسافر المنقطع عن ماله، فهو فقير حيث هو، غني حيث ماله، فريضة من الله

[ج ٧ ص ٢١٧]

في معنى المصدر المؤكد؛ لأن قوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ معناه: فرض الله الصدقات لهم، وقرئ فريضة بالرفع؛ أي: تلك فريضة من الله؛ أي: مما أمر الله به ﴿والله عليم﴾ بأهلها ﴿حكيم﴾ [التوبة: ٦٠] في قسمها لهؤلاء، ثم إنه يحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها كما هو مذهب الشافعي. وعن عكرمة أنها تفرق في الأصناف كلها، وعن الزهري أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية، ويحتمل أن تصرف إلى بعضها كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه. وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٥٢٣٢

أنه قال: إذا أعطى الرجل الصدقة صنفا واحدا من الأصناف الثمانية جاز.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إذا وضعتها في صنف واحد فحسبك إنما قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ الآية [التوبة: ٦٠]؛ لأن لا تجعلها في غير هذه الأصناف. وعن عمر رضي الله عنه أنه أتي بصدقة فبعث بها إلى أهل بيت واحد، والله أعلم.." (١)

"وقال النووي: يحتمل أن يراد بكثرة السؤال سؤال الإنسان عن حاله وتفاصيل أمره؛ لأنه يتضمن الحرج في حق المسئول عنه، فإنه لا يريد إخباره بأحواله، فإن أخبر شق عليه، وإن أهمل جوابه **ارتكب سوء الأدب**. وذكر عن مالك في كثرة السؤال وجهان:

[ج ٧ ص ٢٤٩]

الأول: سؤال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال: ((ذروني ما تركتكم)).

والثاني: سؤال الناس، وهو الذي فهمه البخاري وبوب عليه. وقال ابن التين: فيه وجوه:

أحدها: التعرض لما في أيدي الناس من الحطام بالحرص والشره، وهو تأويل البخاري.

ثانيها: سؤال المرء عما نهي عنه من تشابه الأمور على مذهب أهل الزيغ والشك ابتغاء الفتنة.

وثالثها [١]: ما كانوا يسألون الشارع عن الشيء من الأمور من غير حاجة بهم إليه فتنزل البلوى بهم كالسائل عمن يجد مع امرأته رجلا، وأشد الناس جرما في الإسلام من سأل عن أمر لم يكن حراما، فحرم من أجل مسألته، وفي الحديث الدلالة على الحجر.

واختلف العلماء في وجوب الحجر على البالغ المضيع لماله: جمهور العلماء يوجبون الحجر عليه، وروي ذلك عن علي وابن عباس وابن الزبير وعائشة رضي الله عنهم، وهو قول مالك والأوزاعي وأبي يوسف ومحمد والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور.

وقال النخعي وابن سيرين وأبو حنيفة وزفر: لا حجر على البالغ؛ لحديث الذي يخدع في البيوع، ولم يمنعه صلى الله عليه وسلم من التصرف. وفيه فضل الكفاية على الفقر والغنى؛ لأن ضياع المال يؤدي إلى الفتنة بالفقر وكثرة السؤال، وربما يخشى من الغنى الفتنة، قال تعالى: ﴿إن الإنسان ليطغى*أن رآه استغنى﴾ الآية [العلق: ٦ - ٧]. والفقر والغنى محنتان وبليتان كان الشارع يتعوذ منهما، ومن عاش فيهما بالاقتصاد فقد فاز في الدنيا والآخرة، وفيه الكتاب بالسؤال عن العلم والجواب عنه.

وفيه: قبول خبر الواحد، وقبول الكتاب وهو حجة في الإجازة، وفيه: أخذ بعض الصحابة عن بعض. وفيه:

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٥٩٩٢

أن قلة السؤال لا تدخل تحت النهي خصوصا إذا كان مضطرا يخاف على نفسه التلف بتركها، بل السؤال في هذه الحالة واجب؛ لأنه لا يحل له إتلاف نفسه وهو يجد السبيل إلى إحيائها.

==========

[١] من قوله: ((سؤال المرء. .. إلى قوله: الفتنة وثالثها)): ليس في (خ).

==================." (١)

"(فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى) المغرب والعشاء ولم يبدأ بشيء قبل الصلاة، وفي رواية مسلم من حديث إبراهيم بن عقبة: ((ثم سار حتى بلغ جمعا، فصلى المغرب والعشاء)) (ثم ردف الفضل) هو: ابن عباس رضي الله عنه (رسول الله صلى الله عليه وسلم) والفضل رفع على الفاعلية (غداة جمع) أي: غداة الليلة التي كانت به أي: صبح يوم النحر.

(قال كريب: فأخبرني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن الفضل) بن عباس (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يلبي حتى بلغ الجمرة) أي: جمرة العقبة، ويروى: ((حتى بلغ رمي الجمرة))، ووقع في رواية إبراهيم بن عقبة عند مسلم: ((قال كريب: فقلت لأسامة: كيف فعلتم حين أصبحتم؟ قال: ردفه الفضل بن عباس وانطلقت

[ج ٨ ص ١٥٦]

أنا في سباق قريش على رجلي)) يعني: إلى منى.

وفي الحديث جواز الركوب حال الدفع من عرفات، وفيه جواز الإرداف على الدابة لكن إذا كانت مطيقة، وارتداف أهل الفضل يعد ذلك من إكرامهم وليس **من سوء الأدب**.

وفيه الاستعانة في الوضوء، وللفقهاء فيه تفصيل؛ لأن الاستعانة إما أن تكون في إحضار الماء مثلا أو في صبه على المتوضئ أو مباشرة غسل أعضائه، فالأول جائز بلا خلاف، والثالث مكروه إلا إذا كان لعذر، واختلف في الثاني والأصح أنه لا يكره ولكنه خلاف الأولى، وأما الذي وقع من النبي صلى الله عليه وسلم فكان إما لبيان الجواز وهو حينئذ أفضل في حقه أو كان للضرورة.

وفيه الجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة، وسيأتي الكلام فيه عن قريب إن شاء الله تعالى [خ¦ ١٦٧٢]؛ لأنه عقد له بابا على حدة، وفيه التلبية إلى أن يأتي موضع رمي الجمرة، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٦٠٣٧

فإنه عقد له بابا أيضا [خ ¦ ١٦٨٥].

ورجال إسناد الحديث كلهم مدنيون، وأخرج متنه مسلم أيضا.

==================." (١)

"وقد اتفقت عائشة وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم على نفي الزيارة في عدد عمره صلى الله عليه وسلم على أربع، وأثبتت عائشة رضي الله عنها كون الثلاثة في ذي القعدة خلا التي في حجته فترجح إثبات عائشة رضي الله عنها لذلك.

وإثبات ابن عباس رضي الله عنهما أيضا كذلك، وانفراد ابن عمر رضي الله عنهما بإثبات رجب فكان إثبات عائشة رضي الله عنها مع ابن عباس رضي الله عنهما أقوى من إثبات ابن عمر رضي الله عنهما وحده، وانضم لذلك كون عائشة رضي الله عنها أنكرت عليه ما أثبته من الاعتمار في رجب، وسكت هو فوجب المصير إلى قول عائشة رضي الله عنها.

وفي الحديث: أن الصحابي الجليل المكثر، الشديد الملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم قد يخفى عليه بعض أحواله، وقد يدخله الوهم والنسيان لكونه غير معصوم.

وفيه رد بعض العلماء على بعض، **وحسن الأدب** في الرد، وحسن التلطف في استكشاف الصواب إذا ظن السامع خطأ المحدث.

[ج ٨ ص ٣٨٩]." (٢)

"وقال فيه أيضا: تقوية على الصيام لعموم الاحتياج إلى الطعام، فلو ترك لشق على بعضهم، ولاسيما من كان صفراويا فقد يغشى عليه فيفضي إلى الإفطار في رمضان. قال: وفي الحديث تأنيس الفاضل أصحابه بالمواكلة. وفيه أيضا: الاجتماع على السحور.

وقال الحافظ العسقلاني: وفيه جواز المشي بالليل للحاجة؛ لأن زيد بن ثابت رضي الله عنه ما كان يبيت مع النبي صلى الله عليه وسلم.

وتعقبه العيني: بأنا لا نسلم نفي بيتوته مع النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة التي تسحر فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يلزم من ذلك أن يبيت معه كل ليلة.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٧٥٨٦

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٧١٠٠

وقال الحافظ العسقلاني أيضا: وفيه **حسن الأدب** في العبارة؛ لقوله: تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم يقل نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لما يشعر لفظ المعية بالتبعية.

وتعقبه العيني أيضا: بأن كلمة ((مع)) موضوعة للمصاحبة، وإشعارها بالتبعية ليس من موضوع الكلمة، ومعنى قوله: تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي: في صحبته.

وفي قوله: تسحرنا، دلالة على أنه لم يكن وحده مع النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة.

هذا؛ وأنت خبير بأن الحافظ العسقلاني لم يدع أن ذلك الإشعار مما وضع له اللفظ، بل مراده أن مدخول مع الظاهر أنه متبوع، والاستعمال شاهد له، فافهم.

[ج ٩ ص ٢٥٨]

قال القرطبي: الحديث يدل على أن الفراغ من السحور كان قبل الفجر بمقدار قراءة خمسين آية فهو معارض لحديث حذيفة رضي الله عنه: هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع.

وأجاب عنه الحافظ العسقلاني: بأنه لا معارضة، بل يحمل على اختلاف الحال، فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة.

وقال العيني: هذا الجواب لا يشفي العليل، ولا يروي الغليل، بل الجواب القاطع للشبهة ما ذكره الحافظ أبو جعفر الطحاوي بقوله بعد أن روى حديث حذيفة رضي الله عنه: وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما روي عن حذيفة رضي الله عنه، فذكر الأحاديث التي اتفق عليها الشيخان وغيرهما، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يمنعن أحدكم أذان بلال)) الحديث. وقال أيضا: وقد يحتمل أن يكون حديث حذيفة رضي الله عنه والله أعلم قبل نزول قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا﴾ [البقرة: ١٨٧] الآية. انتهى.." (١)

"وقال الحافظ العسقلاني: الظاهر أن المراد بالمسجد هنا مسجد أبي هريرة رضي الله عنه بالعقيق.

وتعقبه العيني: بأنه أبعد من منهج الصواب، فإنه قال أولا في التوفيق بين قوله: بذي الحليفة، وقوله: بالعقيق: يحتمل أن يكونا قصدا إلى العقيق فلم يجداه، ثم وجداه بذي الحليفة، ومقتضى هذا: أنهما وجداه عند باب مسجد ذي الحليفة على أنه لم ينقل عن أحد أن بالعقيق مسجدا لأبي هريرة رضي الله عنه.

هذا؛ ويجمع أيضا بأنهما التقيا بذي الحليفة، فذكر له عبد الرحمن القصة مجملة، أو لم يذكرها، بل شرع فيها، ثم لم يتهيأ له ذكر تفصيلها، وسماع جواب أبي هريرة رضي الله عنه إلا بعد أن رجعا إلى المدينة،

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٧٦٨٧

وأراد دخول المسجد النبوي، والله أعلم.

(فقال عبد الرحمن لأبي هريرة: إني ذاكر لك أمرا) وفي رواية الكشميهني: [(١)]بصيغة المضارع (ولولا مروان أقسم علي فيه لم أذكره لك) وفي رواية الكشميهني: [(٢)]، وفيه **حسن الأدب** مع الأكابر، وتقديم الاعتذار قبل تبليغ ما يظن المبلغ أن المبلغ يكرهه (فذكر) عبد الرحمن له (قول عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما) وفي رواية معمر عن ابن شهاب: ((فتلون وجه أبي هريرة رضي الله عنه)).

(فقال:

[ج ٩ ص ٢٧٩]

كذلك) أي: الذي رأيته من كون من أدركه الفجر جنبا لا يصوم (حدثني) بالإفراد (الفضل بن عباس) رضي الله عنهما. وقد أحال أبو هريرة رضي الله عنه مرة على الفضل، ومرة على أسامة بن زيد، كما في رواية النسائي عن عمر بن أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أبيه، عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((من أدركه الصبح وهو جنب فلا يصم)). ومرة قال: أخبرنيه مخبر. ومرة قال: حدثني فلان وفلان فيما رواه ابن حبان، عن عبد الملك بن أبي بكر، عن أبيه، عنه. وفي رواية للنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: لا ورب هذا البيت ما أنا قلت: من أدركه الصبح جنبا فلا يصم، محمد صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة قاله، ثم حدثنيه الفضل.." (٣)

"(أن أبا هريرة رضي الله عنه قال) وفي رواية ابن جريج عند مسلم، وعقيل عند ابن خزيمة، وأبي أويس عند الدارقطني التصريح بالتحديث بين حميد وأبي هريرة رضي الله عنه: (بينما نحن جلوس) قد مر غير مرة أن أصل بينما بين، فأشبعت فتحة النون، فصار بينا، ثم زيدت فيه الميم فصار بينما، ويضاف إلى جملة اسمية وفعلية، ويحتاج إلى جواب يتم به المعنى، والأفصح في جوابها: أن لا يكون فيه إذ وإذا، ولكن يجيء بهما كثيرا، وهنا كذلك وهو قوله: ((إذ جاءه رجل)).

(عند النبي صلى الله عليه وسلم)

[ج ٩ ص ٣٣٦]

---

(١) إني أذكر لك

(٢) لم أذكر ذلك لك

(٣) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٧٧١٤

وفي رواية الكشميهني:[١].

وقال الحافظ العسقلاني: وفي التعبير بـ ((عند)) **حسن الأدب**؛ لما يشعر العندية بالتعظيم، بخلاف قوله: مع.

(إذ جاءه رجل) قد مر في الباب السابق [خ¦١٩٣٥] أنه سلمة بن صخر، أو سلمان بن صخر، أو أعرابي. ووقع في مباحث العام من «شرح ابن الحاجب» ما يوهم أن هذا الرجل هو أبو بردة بن نيار. قال الحافظ العسقلاني: وهو وهم يظهر من تأمل بقية كلامه.

(فقال: يا رسول الله) زاد عبد الجبار بن عمر عن الزهري: ((جاء رجل وهو ينتف شعره ويدق صدره ويقول: هلك الأبعد)). ولمحمد بن أبي حفصة: ((يلطم وجهه)). ولحجاج بن أرطاة: ((يدعو ويله)). وفي مرسل ابن المسيب عند الدارقطني: ((ويحثي على رأسه التراب)).

واستدل بهذا على جواز هذا الفعل والقول ممن وقعت له معصية، ويفرق في ذلك بين مصيبة الدين والدنيا، فيجوز في مصيبة الدين؛ لما يشعر به من شدة الندم وصحة الإقلاع. ويحتمل أن تكون هذه الواقعة قبل النهي عن لطم الخدود، وحلق الشعر عند المصيبة.

(هلكت) وفي حديث عائشة رضي الله عنها: ((احترقت)) كما مر [خ¦١٩٣٥]، وفي رواية ابن أبي حفصة: ((ما أراني إلا قد هلكت)). وقد روي في بعض طرق هذا الحديث: ((هلكت وأهلكت)) أي: فعلت ما هو سبب هلاكي وهلاك غيري، وهو زوجته التي وطئها.

قال الخطابي: وهذه اللفظة غير موجودة في شيء من رواية هذا الحديث. قال: وأصحاب سفيان لم يرووها إنما ذكروا قوله: هلكت، حسب. قال: غير أن بعض أصحابنا حدثني أن المعلى بن منصور روى هذا الحديث عن سفيان، فذكر هذا الحرف فيه، وهو غير محفوظ، والمعلى ليس بذاك في الحفظ والإتقان. انتهى.." [٢]

"هذا وقال العيني: وقد تكلم به جماعة ممن يلوح منهم لوائح التعصب بما فيه ترك مراعاة **حسن الأدب**، فقال القرطبي في «المفهم»: تعسف بعض الحنفية في تأويل هذا الحديث بتأويلات لا تقوم على أساس. وقال النووي: تأولوه بتأويلات ضعيفة مردودة.

وقال ابن بطال: قال الحنفية: البائع أسوة الغرماء، ودفعوا حديث التفليس بالقياس، وقالوا: السلعة مال

---

(١) مع النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٧٧٨٨

المشتري وثمنها في ذمته، ومن باع شيئا فله إمساكه حتى يستوفي الثمن كأن المرتهن له الحبس، ثم إنه لو أبطل حق الحبس لم يكن له الرجوع، فكذلك إذا سلمه إلى المشتري، فقد تعلق حقه بالذمة المجردة.

والجواب: أنه لا مدخل للقياس إلا إذا عدمت السنة أما عند وجودها فهي حجة على من خالفها. فإن قال الكوفيون: نأوله بأنه محمول على المودع والمقرض دون البائع. قلنا: هذا فاسد؛ لأنه صلى الله عليه وسلم جعل لصاحب المتاع الرجوع إذا وجده بعينه، والمودع أحق [١] بعينه سواء كان على صفته، أو قد تغير عنها، فلم يجز حمل الخبر عليه، ووجب حمله على البائع؛ لأنه إنما يرجع بعينه إذا وجده على صفته لم تغير، فإذا تغير فإنه لا يرجع، وكذا لا خلاف في أن صاحب الوديعة أحق سواء وجدها عند مفلس أو غيره، وقد شرط الإفلاس في الحديث.

وقال صاحب «التوضيح»: وحمل أبو حنيفة الحديث على الغصب والوديعة، وأول الحديث بتأويلات بعيدة مردودة، وتعلق بشيء يروى عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما، وليس بثابت عنهما، وترك الحديث بالقياس بأن يده قد زالت كيد الراهن.

وقال بعض الشافعية: في الحديث المذكور حجة على أبي حنيفة حيث قال: هو أسوة للغرماء. وأجابوا عن الحديث بأجوبة:

أحدها: أنهم قالوا: هذا الحديث مخالف للأصول الثابتة، فإن المبتاع قد ملك السلعة وصارت في ضمانه، فلا يجوز أن ينقض عليه ملكه، قالوا: والحديث إذا خالف القياس

[ج ١١ ص ٢٣٧]

يشترط فيه فقه الراوي، وأبو هريرة رضي الله عنه ليس كذلك.

والثاني: أن المراد الغصوب والعواري والودائع والبيوع الفاسدة ونحوها.

والثالث: أنه محمول على المبيع قبل القبض، وهذه الأجوبة فاسدة.." [١]

"٤ - (باب القران في التمر بين الشركاء حتى يستأذن أصحابه) هذه الترجمة هكذا موجودة في النسخ المتداولة بين الناس، ولعل كلمة «حتى» كانت: حين، فتحرفت أو سقط من الترجمة شيء، إما لفظ النهي من أولها، أو لا يجوز قبل «حتى»، كذا قال الحافظ العسقلاني.

وقال العيني: لا تحريف ولا سقوط بل فيها حذف تقديره: باب حكم القران الكائن في التمر الكائن بين الشركاء لا ينبغي لأحد منهم أن يقرن حتى يستأذن أصحابه، وذلك من باب **حسن الأدب** في الأكل؛ لأن

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٩٣٩٥

القوم الذين وضع بين أيديهم التمر هم كالمتساوين في أكله، فإن استأثر أحدهم بأكثر من صاحبه لم يجز له ذلك، إلا أن يستأذن أصحابه فيأذنوا له.

وقال ابن بطال: النهي عن القران على سبيل التنزيه عند الجمهور، لا على سبيل التحريم، كما قال أهل الظاهر لأن الذي يوضع للأكل سبيله سبيل المكارمة لا التشاح لاختلاف الناس في الأكل، فبعضهم يكفيه اليسير، وبعضهم لا يكفيه أضعافه ولو كانت سهمانهم سواء لما ساغ لمن لا يشبعه اليسير أن يأكل أكثر من مثل نصيب من يشبعه اليسير، ولما لم يتشاح الناس في هذا المقدار علم أن سبيله المكارمة لا التشاح حتى يحمل على التحريم، فافهم.

==========

[ج ١١ ص ٤٥٣]." [1]

"وقال ابن الجوزي: صحف بعض المحدثين لجهله بالنسب فقال: ابن أخينا ــ يعني: بكسر الخاء بعدها مثناة تحتية ــ وليس هو ابن أخيهم إذ لا نسب بين قريش والأنصار.

وقال ابن الجوزي أيضا: وإنما قالوا: ابن أختنا؛ لتكون المنة عليهم في إطلاقه؛ بخلاف ما لو قالوا: عمك لكانت المنة عليه صلى الله عليه وسلم وهذا من قوة الذكاء، **وحسن الأدب** في الخطاب.

(عباس فداءه، فقال) صلى الله عليه وسلم: (لا تدعون) أي: لا تتركون (منه) أي: من فدائه (درهما) واختلف في علة امتناعه صلى الله عليه وسلم من ذلك، فقيل: إنه كان مشركا، ولذلك

[ج ١١ ص ٥٥٧]

عطف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسلم، وأعطاه ما جبر به صدعه من مال البحرين.

وقيل: منعهم من ذلك خشية أن يقع في قلوب بعض المسلمين شيء، كما منع الأنصار أن يبارزوا عقبة وشيبة والوليد، وأمر قرناءهم علي وحمزة وعبيدة أن يبارزوهم؛ لئلا تبارزهم الأنصار فيصابوا فيقع في نفس بعضهم شيء.

وقيل: كان العباس رضي الله عنه أسر يوم بدر مع قريش، ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراد الأنصار أن يتركوا له فداءه إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لقرابتهم من العباس لما عرفت فلم يأذن لهم في ذلك، وكان العباس ذا مال فاستوفيت منه الفدية وصرفت مصرفها من حقوق الغانمين.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إنه مشتمل على حكم من أحكام الفداء، وهو أنه لا فرق فيه بين القرابة

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٩٧٠٧

من ذوي الأرحام، وبين القرابة من العصباء.

والحديث أخرجه المؤلف في «الجهاد» [خ¦٣٠٤٨] و «المغازي» أيضا [خ¦٤٠١٧].

==================." (١)

"(واشترى النبي صلى الله عليه وسلم من عمر رضي الله عنه بعيرا ثم أعطاه ابن عمر وقال: اصنع به ما شئت) هو طرف من حديث تقدم موصولا في كتاب «البيوع»، في باب: إذا اشترى شيئا فوهب من ساعته [خ¦٢١١٥]، ويأتي أيضا موصولا بعد اثني عشر بابا [خ¦٢٦١٠].

وقال ابن بطال: مناسبة حديث ابن عمر رضي الله عنهما للترجمة أنه صلى الله عليه وسلم لو سأل عمر رضي الله عنه أن يهب البعير لابنه عبد الله لبادر إلى ذلك، ولكنه لو فعل لم يكن عدلا بين بني عمر رضي الله عنه، فلذلك اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم من عمر رضي الله عنه، ثم وهبه لعبد الله، انتهى.

وهذا يدل على ما بوب له البخاري من التسوية بين الأبناء في الهبة. واختلف الفقهاء في معنى التسوية: هل هو على الوجوب، أو على الندب:

فأما مالك، والليث، والثوري، والشافعي: وأبو حنيفة وأصحابه:

[ج ١٢ ص ٤٥]

فأجازوا أن يخص بعض بنيه دون بعض بالنحلة والعطية على كراهية من بعضهم، والتسوية أحب إلى جميعهم. وقال الشافعي: ترك التفضيل في عطية الأبناء فيه **حسن الأدب**، ويجوز له ذلك في الحكم، وكره الثوري، وابن المبارك، وأحمد أن يفضل بعض ولده على بعض في العطايا، وكان إسحاق يقول مثل هذا، ثم رجع إلى مثل قول الشافعي.

وقال المهلب: وفي الحديث دلالة على أنه لا يلزم المعدلة فيما يهبه غير الأب لولد غيره، والله أعلم.

==========

[١] كذا في إرشاد الساري، ورواية الحاكم هي عن عائشة، وأما رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فهي في سنن أبي داود، أشار لذلك الحافظ ابن جحر في الفتح.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٩٨٥٦

===================." (١)

"وقال النووي: وعن مالك: يسافر بمن شاء منهن بغير قرعة؛ لأن القسمة سقطت للضرورة. وقال ابن التين: قال مالك: الشارع كان يفعل ذلك تطوعا منه؛ لأنه لا يجب عليه أن يعدل بينهن، والله أعلم.

ومنها: عدم وجوب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات، وهذا مجمع عليه إذا كان السفر طويلا. وقال النووي: حكم السفر القصير حكم الطويل على المذهب الصحيح، وخالف فيه بعض أصحابنا.

ومنها: جواز سفر الرجل بزوجته. ومنها: جواز غزوهن. ومنها: جواز ركوب النساء في الهوادج. ومنها: جواز خدمة الرجال لهن في الأسفار. ومنها: أن ارتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير. ومنها: جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن الزوج، وهذا من الأمور المستثناة. ومنها: جواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر. ومنها: أن من يركب المرأة على البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرما إلا لحاجة؛ لأنهم حملوا ولم يكلموا من يظنونها فيه.

ومنها: فضيلة الاقتصاد في الأكل للنساء وغيرهن، وأن لا يكثرن منه بحيث يهبلهن اللحم. ومنها: جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض لهم. ومنها: إغاثة الملهوف، وإعانة المنقطع، وإنقاذ الضائع، وإكرام ذوي الأقدار، كما فعل صفوان ذلك كله. ومنها: **حسن الأدب** مع الأجنبيات لاسيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها. ومنها: أنه إذا أركب أجنبية ينبغي أن يمشي قدامها، ولا يمشي بجنبها ولا وراءها.

ومنها: استحباب الاسترجاع عند المصائب سواء كانت في الدين أو في الدنيا، وسواء كانت

[ج ١٢ ص ٢٥٧]

في نفسه، أو من يعز عليه. ومنها: تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء كان صالحا أو لا. ومنها: جواز الحلف من غير استحلاف. ومنها: أنه يستحب أن يسر عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة، كما كتموا عن عائشة رضي الله عنها هذا الأمر شهرا، ولم تسمعه بعد ذلك إلا بعارض عرض، وهو قول أم مسطح. ومنها: استحباب ملاطفة الرجل زوجته وحسن معاشرتها.." (٢)

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٠٠٢٣

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٠٢٩١

"(وقال الحسن) أي: البصري (إذا قال لمملوكه عند الموت: كنت أعتقتك، جاز) وهذا على أصله أن إقرار المريض نافذ مطلقا، فهذا على إطلاقه يتناول أن يكون من جميع ماله ويخالفه غيره فلا يعتق إلا من الثلث، قال الحافظ العسقلاني أيضا: لم أقف على من وصله.

(وقال الشعبي) هو: عامر بن شراحيل (إذا قالت المرأة عند موتها: إن زوجي قضاني) أي: أداني حقي (وقبضت منه، جاز) أي: إقرارها.

[ج ١٣ ص ٤٤]

قال ابن التين: وجهه أنها لا تتهم بالميل إلى زوجها في تلك الحال، ولا سيما إذا كان لها ولد من غيره.

(وقال بعض الناس) قال صاحب «التوضيح»: المراد ببعض الناس أبو حنيفة، وقال الكرماني: أي كالحنفية، قال العيني: وهذا كله تشنيع على أبي حنيفة أو على الحنفية مطلقا، **وفيه سوء الأدب** على ما لا يخفى.

(لا يجوز إقراره) أي: إقرار المريض لبعض الورثة (لسوء الظن به) أي: بهذا الإقرار أو بالمريض، وهو الظاهر، وفي رواية المستملي: [(١)]بالموحدة بدل اللام (للورثة) يعني أنه مظنة أن يريد الإساءة بالبعض الآخر منهم، كذا قاله العيني قال: وهذا لا يطلق عليه سوء الظن.

أقول: والذي يظهر لي أن المراد أنه لا يجوز إقرار المريض لبعض الورثة، لئلا يسيء الناس به لأجل الورثة بأنه أراد إبطال حق البعض الآخر منهم فيكون ضمير به للمريض لا للإقرار.

والحاصل أن سوء الظن معتبر من الناس بالمريض بأنه أبطل حق بعض الورثة لا أنه معتبر منه بأنه أراد الإساءة بالبعض الآخر منهم، حتى يقال: إن هذا لا يطلق عليه سوء الظن.

وقال العيني: ولم يعلل الحنفية عدم جواز إقرار المريض لبعض الورثة بهذه العبارة، بل قالوا: لا يجوز ذلك؛ لأنه ضرر لبقية الورثة، مع ورود قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا وصية لوارث ولا إقرار له بدين)). ومذهب مالك كمذهب أبي حنيفة إذا اتهم، وهو اختيار الروياني من الشافعية عن شريح، والحسن بن صالح: لا يجوز إقرار المريض لوارث إلا لزوجته بصداقها، وعن القاسم، وسالم، والثوري: لا يجوز إقرار المريض لوارثه مطلقا.." (٢)

"(فلما كان يوم أحد) أي: يوم قتال أحد، أو أطلق اليوم وأريد الوقعة، فهو إما إضمار وإما مجاز (وانكشف المسلمون) وفيه **حسن الأدب** إذ لم يصرح بلفظ الانهزام على المسلمين، وفي رواية عبد الوهاب

---

(١) بسوء الظن

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٠٦٧٣

الثقفي، عن حميد عند الإسماعيلي: ((وانهزم الناس)) (قال) أي: أنس بن النضر (اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء؛ يعني: أصحابه) والمعنى: أعتذر من فرار المسلمين (وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء؛ يعني: المشركين) أي: وأبرأ من قتال المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم تقدم) أي: أنس بن النضر نحو المشركين.

(فاستقبله سعد بن معاذ) بضم الميم، وكان سيد الأوس، وكان ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وزاد ثابت عن أنس: منهزما، كذا في «مسند الطيالسي» ووقع عند النسائي مكانها: مهيم. وقال الحافظ العسقلاني: وهو تصحيف فيما أظن.

(فقال: يا سعد بن معاذ الجنة) بالنصب؛ أي: أريد الجنة، وبالرفع؛ أي: مطلوبي الجنة (ورب النضر) كأنه يريد والده، ويحتمل أن يريد ابنه فإنه كان له ابن يسمى النضر، وكان إذ ذاك صغيرا، وفي رواية عبد الوهاب: ((فوالله))، وفي رواية عبد الله بن بكر، عن حميد عند الحارث بن أسامة، عنه: ((والذي نفسي بيده)).

(إني أجد ريحها) أي: ريح الجنة (من دون أحد) أي: عند أحد، وفي رواية ثابت: ((واها لريح الجنة أجدها دون أحد)) وقوله: واها، قالها إما تعجبا وإما تشوقا، فكأنه لما ارتاح لها واشتاق إليها صارت له قوة من استنشقها حقيقة.

قال ابن بطال وغيره: يحتمل أن يكون على الحقيقة، وأنه وجد ريح الجنة حقيقة، أو وجد ريحا طيبة ذكره طيبها بطيب ريح الجنة، ويجوز أن يكون أراد أنه استحضر الجنة التي أعدت للشهيد، فتصور أنها في ذلك الموضع الذي يقاتل فيه فيكون المعنى: إني لأعلم أن الجنة تكتسب في هذا الموضع فاشتاق لها.

(قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع) أي: أنس بن النضر، قال ابن بطال: يريد ما استطعت أن أصف ما صنع أنس من كثرة ما أبلى في المشركين.

وقد وقع عند يزيد بن هارون عن حميد: ((فقلت: أنا معك فلم أستطع أن أصنع ما صنع))..." [(١)]

"﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا﴾ روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها فيقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر أجزائها ويوزعها على الجبال، فمعنى قوله تعالى: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا﴾ ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك، قيل: كانت أربعة، وقيل: سبعة.

﴿ثم ادعهن﴾ قل لهن: تعالين بإذن الله ﴿يأتينك سعيا﴾ ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا، ففعل إبراهيم عليه السلام ما أمر به فدعاهن، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم،

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٠٨٨٤

والأجزاء من كل طير يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طير على حدته، وأتينه يمشين سعيا ليكون أبلغ في الرؤية التي سألها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وكان إبراهيم قد أخذ رؤوسهن بيده وجعل كل طير يجيء ليأخذ رأسه من يد إبراهيم، فإذا قدم إبراهيم غير رأسه يأباه، وإذا قدم رأسه يركب مع بقية جثته بحول الله تعالى وقوته، ولهذا قال الله تعالى: ﴿واعلم أن الله عزيز﴾ لا يعجز عما يريده ولا يغلبه شيء ولا يمتنع منه شيء ﴿حكيم﴾ [البقرة: ٢٦٠] ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره، قيل: وفيه إشارة أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية، فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فتطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل أو الشرع، وكفى لك شاهدا على فضل إبراهيم عليه السلام،

[ج ١٥ ص ١٦٢]

ويمن الضراعة في الدعاء، **وحسن الأدب** في السؤال أنه تعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر الوجوه، وأراه عزيرا بعد أن أماته الله مائة عام.

==================". (١)

"(فجاء أبو بكر فدفع الباب) في رواية أبي بكر: ((فجاء رجل يستأذن)) (فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك) بكسر الراء؛ أي: على هينتك، وهو من أسماء الأفعال، ومعناه: اتئد (ثم ذهبت، فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال: ائذن له، وبشره بالجنة، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة) وزاد أبو عثمان في روايته: ((فحمد الله))، وكذا قال في عمر رضي الله عنه.

(فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البئر، كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم، وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست) أي: عند الباب (وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني) كان لأبي موسى رضي الله عنه أخوان: أبو رهم وأبو بردة، ويقال: إن له أخا آخر اسمه محمد، وأشهرهم أبو بردة واسمه: عامر، وقد أخرج عنه أحمد في «مسنده» حديثا.

(فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا يريد أخاه يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب) فيه **حسن الأدب** في الاستئذان. وقال ابن التين: يحتمل أن يكون هذا قبل نزول قوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٢٤٧٧

تستأنسوا﴾ [النور: ٢٧]. وتعقبه الحافظ العسقلاني بأنه ما أبعد ما قال، فقد وقع في رواية عبد الرحمن بن حرملة: ((فجاء رجل فاستأذن)). وسيأتي في آخر «مناقب عمر رضي الله عنه» [خ¦٣٦٩٣] من طريق أبي عثمان النهدي عن أبي موسى بلفظ: فجاء رجل فاستفتح، فعرف أن قوله: ((يحرك الباب)) إنما حركه مستأذنا لا دافعا ليدخل بغير إذن.." (١)

"نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب، ثم استقبل به وجوههم، فقال: ((شاهت الوجوه)) فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة، فولوا منهزمين.

ولأحمد وأبي داود والدارمي [١] من حديث أبي عبد الرحمن الفهري في قصة حنين قال: فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أيا عباد الله! أنا عبد الله ورسوله))، ثم اقتحم عن فرسه، فأخذ كفا من تراب، قال: فأخبرني الذي كان أدنى إليه مني أنه ضرب به وجوههم، وقال: ((شاهت الوجوه)) فهزمهم الله عز وجل، قال يعلى بن عطاء رواية عن أبي همام عن أبي عبد الرحمن الفهري: فحدثني أبناؤهم عن آبائهم، أنهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه ترابا.

ولأحمد والحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته قدما فحادت به بغلته، فمال عن السرج، فقلت: ارتفع رفعك الله. فقال: ((ناولني كفا من تراب)) فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابا، وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بأيمانهم [٢] كأنها الشهب، فولى المشركون الأدبار.

وللبزار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن عليا رضي الله عنه ناول النبي صلى الله عليه وسلم التراب فرمى به في وجوه المشركين يوم حنين.

ويجمع بين هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم أولا قال لصاحبه: ((ناولني)) فناوله فرماهم، ثم نزل عن البغلة فأخذ بيده فرماهم أيضا، فيحتمل أن الحصى في إحدى المرتين، والتراب في الأخرى، والله تعالى أعلم.

وفي الحديث من الفوائد:

حسن الأدب في الخطاب، والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب، وذم الإعجاب. وفيه: جواز الانتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية، والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب، ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٣٣٦٧

وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله.

ولا يقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم متيقنا للنصر لوعد الله تعالى له بذلك وهو حق؛ لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه آخذا بلجام بغلته، وليس هو في اليقين مثل النبي صلى الله عليه وسلم، وقد استشهد في تلك الحالة أيمن بن أم أيمن،

[ج ١٨ ص ٣٢٢]." (١)

"ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان على بعض مال اليتيم خشية ذهاب جميعه فصحيح، لكن فيما لا يعارض منصوص الشرع فلا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفسا كثيرة قبل أن يتعاطى شيئا من ذلك، وإنما فعل الخضر ذلك لاطلاع الله تعالى عليه.

وقال ابن بطال: قول الخضر: وأما الغلام فكان كافرا هو باعتبار ما يؤول إليه أمره أن لو عاش حتى يبلغ، واستحباب مثل هذا القتل لا يعلمه إلا الله تعالى، وله أن يحكم في خلقه بما شاء قبل البلوغ وبعده، انتهى.

ويحتمل أن يكون جواز تكليف المميز قبل أن يبلغ كان في تلك الشريعة فيرتفع الإشكال، وفيه جواز الإخبار بالتعب ويلحق به الألم من مرض ونحوه، ومحل ذلك إذا كان عن غير سخط، وفيه أن المتوجه إلى ربه يعان فلا يسرع إليه النصب والجوع بخلاف المتوجه إلى غيره، كما في قصة موسى عليه السلام في توجهه إلى ميقات ربه، وذلك في طاعة فلم ينقل عنه أنه تعب ولا طلب غداء ولا رافق أحدا، وأما في توجهه إلى مدين وكان في حاجة نفسه فأصابه الجوع، وفي توجهه إلى الخضر لحاجة نفسه أيضا فتعب وجاع. وفيه جواز طلب القرى وطلب الضيافة. وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة، وقيام الحجة بالثانية.

وقال ابن عطية: يشبه أن يكون هذا أصل مالك في ضرب الآجال في الأحكام إلى ثلاثة أيام، وفيه التلوم ونحو ذلك. وفيه **حسن الأدب** مع الله تعالى، وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه، وإن كان الكل بتقديره وخلقه لقول الخضر عن السفينة ﴿فأردت أن أعيبها﴾ وعن الجدار ﴿فأراد ربك﴾ ومثل هذا قوله صلى الله عليه وسلم: ((والخير كله بيديك، والشر ليس إليك)).

==========

[١] ما بين معقوفين زيادة من الفتح.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٤٩٦٤

==================." (١)

"وجواز تستر المرأة بالشيء المنفصل عن البدن، وتوجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها بغير إذن خاص من زوجها، بل اعتمادا على الإذن العام المستند إلى العرف العام، وجواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها، وصيانة المال ولو قل، فإن عقد عائشة رضي الله عنها لم يكن من ذهب ولا جوهر، وفيه شؤم الحرص على المال، وتوقف رحيل العسكر على إذن الأمير، واستعمال بعض الجيش ساقة ويكون أمينا ليحمل الضعيفة، ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح، والاسترجاع عند المصيبة، وتغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي، وإطلاق الظن على العلم كذا قيل وفيه نظر، وقد تقدم [خ ¦ ٤٧٢١]، وإغاثة الملهوف، وعون المنقطع، وإنقاذ الضائع، وإكرام ذوي القدر وإيثارهم بالركوب، وتجشم المشقة لأجل ذلك، **وحسن الأدب** مع الأجانب خصوصا النساء لا سيما في الخلوة، والمشي أمام المرأة ليستقر خاطرها وتأمن مما تتوهم من نظره لما عساه ينكشف عنها في حركة المشي.

وفيه ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها، والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق، وفائدة ذلك أن تتفطن لتغير الحال فتعتذر أو تعترف، وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذي باطنه؛ لئلا يزيد ذلك في مرضه، وفيه السؤال عن المريض، والإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة، فإذا كان السبب محققا فتترك أصلا، وإن كان مظنونا فتخفف، وإن كان مشكوكا فيه أو محتملا فيحسن التقليل منه لا العمل بما قيل، بل لئلا يظن بصاحبه

[ج ٢٠ ص ٣٧٢]

عدم المبالاة بما قيل في حقه؛ لأن ذلك من خوارم المروءة، وفيه أن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها، وفيه ذب المسلم عن المسلم خصوصا من كان من أهل الفضل وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل، وبيان فضيلة أهل بدر، وإطلاق السبب على لفظ الدعاء بالسوء على الشخص، وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحته أو فساده بالتنقيب على من قيل فيه هل وقع منه قبل ذلك ما يشبهه أو يقرب منه.." (٢)

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٦٤٩٨

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٦٦٩٥

"٢ - (باب ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾) من خارجها خلفها أو قدامها، والمراد: حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم، ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها، أو بأنهم تفرقوا على الحجرات

[ج ٢١ ص ٨٢]

متطلبين له، فأسند فعل الإبعاض إلى الكل. وقال المفسرون: ﴿إن الذين ينادونك﴾ يعني: أعراب تميم نادوا: يا محمد اخرج إلينا، فإن مدحنا زين، وذمنا شين، قاله قتادة. وعن زيد بن أرقم: جاء ناس من العرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه: يا محمد يا محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك﴾ [الحجرات: ٤] الآية.

(﴿أكثرهم لا يعقلون﴾) إذ العقل يقتضي **حسن الأدب**.

==================." (١)

"كذلك يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها **عن سوء الأدب**.

(وقال مجاهد: ﴿قدر فهدى﴾: قدر للإنسان الشقاء والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها) ثبت هذا للنسفي وحده، والمعنى ظاهر، وقد وصله الطبري من طريق مجاهد.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما (﴿غثاء أحوى﴾ هشيما متغيرا) ثبت هذا أيضا في رواية النسفي وحده، ويقال: غثاء باليا أحوى؛ أي: اسود: إذا هاج وعتق.." (٢)

"والثالث: أن جميعهم لا يأكلون ولا يشربون، وهذا قول ساقط، وروى أبو عمر باسناده عن وهب بن منبه أنه سئل عن الجن ما هم وهل يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون، فقال: هم أجناس، فأما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتوالدون ويتناكحون، ومنهم السعالى والغول والقطرب وغير ذلك، والذين هم يقولون: هم يأكلون ويشربون اختلفوا على قولين: أحدهما: أن أكلهم وشربهم تشمم واسترواح لا مضغ ولا بلع، وهذا قول يرد عليه الدليل.

والآخر: أن أكلهم وشربهم مضغ وبلع، وهذا القول هو الذي تشهد له الأحاديث الصحيحة.

هذا، وزعم القرطبي أن الأكل باليمين محمول على الندب؛ لأنه من باب تشريف اليمين، ولأنها أقوى في

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٧١١٥

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٧٥٣٥

الأعمال في الغالب، وأسبق وأمكن لأنها مشتقة من اليمن والبركة، فهي وما نسب إليها وما اشتق منها محمود لغة وشرعا وعرفا، ويقاس عليه الشرب.

وفي حديث أبي داود: ((يجعل يمينه لطعامه وشرابه، وشماله لما سوى ذلك)) فإن احتيج إلى الاستعانة بالشمال فبحكم التبعية.

(وكل مما يليك) لأن أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مودة ومروءة لتقذر النفس ولا سيما في الأمراق، ولما فيه من إظهار الحرص والنهم وسوء الأدب وأشباهها، فإن كان تمرا فقد نقلوا إباحة اختلاف الأيدي في الطبق والذي ينبغي التعميم حملا على عمومه حتى يثبت دليل مخصص.

وذكر القرطبي أن الأكل مما يلي الآكل سنة متفق عليها وخلافها مكروه شديد الاستقباح إذا كان الطعام واحدا.

قال عمر بن أبي سلمة: (فما زالت تلك) إشارة إلى جميع ما ذكر من الابتداء بالتسمية والأكل باليمين والأكل ما يلي (طعمتي) بكسر الطاء، وهذه الصيغة للنوع،

[ج ٢٣ ص ٤٠٠]

وأراد أن أكله كان على هذا النوع المذكور الذي أشار إليه بقوله: ((تلك)). وقال الكرماني: ويروى بضم الطاء، والطعمة، بالضم: بمعنى الأكلة، ويقال: طعم طعمة: إذا أكل أكلة.

(بعد) بالبناء على الضم؛ أي: بعد ذلك فلما حذف المضاف إليه بني على الضم؛ أي: استمر ذلك صنيعي في الأكل.

ومطابقة الحديث للجزء الثاني للترجمة، وهو قوله: ((كل بيمينك فما زالت تلك طعمتي بعد)).

==================". (١)

"٥٤٠٩ - (حدثنا محمد بن كثير) بالمثلثة، أبو عبد الله العبدي، قال: (أخبرنا سفيان) هو: الثوري، وقيل: ابن عيينة (عن الأعمش) سليمان بن مهران (عن أبي حازم) بالمهملة والزاي، سلمان الأشجعي، وأبو حازم هذا تابعي، والمتقدم آنفا أيضا تابعي فلا يشتبه عليك (عن أبي هريرة) رضي الله عنه، أنه (قال: ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاما قط) سواء كان من صنعة الآدمي أم لا (إن اشتهاه أكله، وإن كرهه) كالضب (تركه) قال ابن بطال: هذا من **حسن الأدب**؛ لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره، وكل

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٩٠٩٩

مأذون فيه من جهة الشرع لا عيب فيه، وقد مر الحديث في باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم.
ومطابقته للترجمة ظاهرة.

==========

[ج ٢٣ ص ٤٥٠]." [١]

"١٣ - (باب وضع اليد) أي: وضع العائد يده (على المريض) تأنيسا له، ومعرفة لمرضه؛ ليدعو له بالعافية على حسب ما يبدو منه، وربما يرقيه بيده، ويمسح على ألمه، فينتفع به العليل خصوصا إذا كان العائد صالحا يتبرك بيده ودعائه، كما كان صلى الله عليه وسلم

[ج ٢٤ ص ٢٧٣]

يفعله، وذلك من **حسن الأدب** واللطف بالعليل، وقد يكون واضع يده عارفا بالعلاج، فيصف له ما يناسبه.." [٢]

"وقد تعجب بعض الشراح من تفسير سفيان بن عيينة اللفظة العربية باللفظة العجمية، وأنكر ذلك آخرون، وهو غفلة منهم عن مراده، وذلك أن لفظ: شاهان شاه، كان قد كثرت التسمية بذلك في ذاك الزمان فنبه سفيان على أن الاسم الذي ورد الخبر بذمه لا ينحصر في ملك الأملاك، بل كل ما أدى معناه بأي لسان كان، فهو مراد بالذم، واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد.

ويلتحق به أيضا ما في معناه مثل: خالق الخلق، وأحكم الحاكمين، وسلطان السلاطين، وأمير الأمراء، وقيل: يلتحق به أيضا من تسمى بشيء من أسماء الله تعالى الخاصة به كالرحمن والقدوس والجبار، وهل يلتحق به من تسمى: قاضي القضاة، أو حاكم الحكام؟ اختلف العلماء في ذلك، فقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿أحكم الحاكمين﴾ [هود: ٤٥] أي: أعدل الحكام وأعلمهم إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل، قال: ورب غريق في الجهل و الجور من مقلدي زماننا قد لقب أقضى القضاة، ومعناه: أحكم الحاكمين، فاعتبر واستعبر.

وتعقبه ابن المنير بحديث: ((أقضاكم علي)) قال: فيستفاد منه أن لا حرج على من أطلق على قاض يكون أعدل القضاة أو أعلمهم في زمانه أقضى القضاة، أو يريد إقليمه أو بلده، ثم تكلم في الفرق بين قاضي

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٩١٧٤

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٩٨٩٥

القضاة، وأقضى القضاة، وفي اصطلاحهم أن الأول فوق الثاني، وقد تعقب كلام ابن المنير علم الدين العراقي، فصوب ما ذكره الزمخشري من المنع، ورد ما احتج به من قضية علي رضي الله عنه بأن التفصيل في ذلك وقع

[ج ٢٦ ص ١٨٧]

في حق من خوطب به، ومن يلتحق بهم فليس مساويا لإطلاق التفصيل بالألف واللام، قال: ولا يخفى ما في إطلاق ذلك من الجراءة وسوء الأدب، ولا عبرة بقول من ولي القضاء، فنعت بذلك فاحتال في الجواز، فإن الحق أحق أن يتبع، انتهى كلامه.

ومن النوادر أن القاضي عز الدين ابن جماعة، قال: إنه رأى أباه في المنام، فسأله عن حاله، فقال: ما كان علي أضر من هذا الاسم، فأمر المرقعين أن لا يكتبوا له في الإسجالات قاضي القضاة بل قاضي المسلمين.." (١)

"قال الخطابي: وإنما قال ((يحزنه))؛ لأنه قد يتوهم أن نجواهما إنما هي لسوء رأيهما فيه، أو لدسيسة غائلة له. وقيل: أحزنه ذلك لمظنة احتقارهم إياه حيث لم يدخلوه في نجواهم. وقيل: إنما يكره ذلك في السفر؛ لأنه مظنة التهمة، وأما إذا كانوا بحضرة الناس، فإن هذا المعنى مأمون، وسيأتي تفصيله.

وقال الحافظ العسقلاني: ويؤخذ من التعليل استثناء صورة مما تقدم عن ابن عمر رضي الله عنهما من إطلاق الجواز إذا كانوا أربعة، وهي ما لو كان بين الواحد الباقي وبين الآتي مقاطعة بسبب يعذران به، أو أحدهما، فإنه يصير في معنى المنفرد.

وأرشد هذا التعليل: إلى أن المناجي إذا كان ممن إذا خص أحدا بمناجاته أحزن الباقين امتنع ذلك، إلا أن يكون في أمر مهم لا يقدح في الدين. وقد نقل ابن بطال عن أشهب عن مالك قال: لا يتناجى ثلاثة دون واحد ولا عشرة؛ لأنه نهي أن يترك واحد.

قال وهب: وهذا مستنبط من حديث الباب؛ لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين للواحد.

قال: وهذا من **حسن الأدب** لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا.

وقال الماوردي ومن تبعه: لا فرق في المعنى بين الاثنين والجماعة؛ لوجود المعنى في حق الواحد. وزاد القرطبي: بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأشد، فليكن المنع أولى. وإنما خصوا الثلاثة بالذكر؛ لأنه أول عدد يتصور فيه ذلك المعنى، فمهما وجد المعنى فيه ألحق به في الحكم.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢١٤٠٩

قال ابن بطال: وكلما كثر الجماعة مع الذي لا يناجي كان أشد لحصول الحزن، ووجود التهمة فيكون أولى، واختلف فيما إذا انفرد جماعة بالتناجي دون جماعة.
قال ابن التين: حديث ابن مسعود رضي الله عنه في قصة الذي قال: هذه قسمة ما أريد
[ج ٢٦ ص ٣٨٣]
بها وجه الله دال على الجواز. والمراد منه: قول ابن مسعود رضي الله عنه: ((فأتيته وهو في ملأ فساررته)) [خ¦ ٦٢٩١]، فإن في ذلك دلالة على أن المنع يرتفع إذا بقي جماعة لا يتأذون بالسرار.
ويستثنى من أصل الحكم ما إذا أذن من يبقى سواء كان واحدا أو أكثر للاثنين في التناجي دونه أو دونهم، فإن المنع يرتفع؛ لكونه حق من يبقى، وأما إذا انتجى اثنان ابتداء، وثمة ثالث كان بحيث لا يسمع كلامهما لو تكلما جهرا فأتى ليتسمع عليهما، فلا يجوز كما لو كان حاضرا معهما أصلا.." (١)
"أحدهما: أن يكون وضع المضارع موضع الماضي الواقع جوابا، كما وقع موضعه وهو شرط كما في قوله تعالى: ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ [الحجرات: ٧].
ثانيهما: أن يكون الأصل: ما كان يسرني، فحذف «كان» وهو جواب، وفيه ضمير وهو الاسم، ((ويسرني)) خبره، وحذف كان مع اسمها وبقاء خبرها كثير نظما ونثرا، ومنه: المرء مجزي بعمله إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، قال: وأشبه شيء بحذف «كان» قبل «يسرني» حذف جعل قبل ﴿يجادلنا﴾ في قوله تعالى: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا﴾ [هود: ٧٤] أي: جعل يجادلنا، والوجه الأول أولى، وفيه أيضا وقوع «لا» بين «أن وتمر» وهي زائدة، والمعنى: ما يسرني أن تمر.
وقال الطيبي: قوله: ((ما يسرني)) هو جواب «لو» لامتناعه، فيفيد إن لم يسره المذكور بعده؛ لأنه لو لم يسره كثرة ما ينفقه فكيف ما لا ينفقه، قال: وفي التقييد بالثلاثة مبالغة في سرعة الإنفاق فلا تكون «لا» زائدة، كما قال
[ج ٢٧ ص ١٢٤]
ابن مالك، بل النفي فيها على حاله.
قال الحافظ العسقلاني: ويؤيده قول ابن مالك الرواية الماضية قبل في حديث أبي ذر بلفظ: ((ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبا يمضي علي ثلاثة)) [خ¦ ٦٤٤٤].
ثم في حديث الباب من الفوائد: أدب أبي ذر مع النبي صلى الله عليه وسلم، وترقبه أحواله، وشفقته عليه

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢١٦٩٤

حتى لا يدخل عليه أدنى شيء مما يتأذى به. وفيه **حسن الأدب** مع الأكابر، وأن الصغير إذا رأى الكبير منفردا لا يتسور عليه، ولا يجلس معه، ولا يلازمه إلا بإذن منه، وهذا بخلاف ما إذا كان في مجمع كالمسجد والسوق فيكون جلوسه معه بحسب ما يليق به.

وفيه: جواز تكنية المرء نفسه لغرض صحيح كأن يكون أشهر من اسمه، ولا سيما إذا كان اسمه مشتركا بغيره وكنيته فردة، وفيه: جواز تفدية الصغير الكبير بنفسه وبغيرها، والجواب بمثل: لبيك وسعديك زيادة في الأدب، وفيه: الانفراد عند قضاء الحاجة، وفيه: أن امتثال أمر الكبير والوقوف عنده أولى من ارتكاب ما يخالفه بالرأي ولو كان فيما يقتضيه الرأي توهم دفع مفسدة حتى يتحقق ذلك، فيكون دفع المفسدة أولى، وفيه: استفهام التابع من متبوعه عما يحصل له فائدة دينية أو علمية أو غير ذلك.." (١)

"٢٠ - (باب: الصبر عن محارم الله) أي: محرماته، والمحارم [جمع] محرمة ــ بفتح الميمين وجاء بضم الراء أيضا ــ. قال الجوهري: الحرمة: ما لا يحل انتهاكه، وكذا المحرمة ــ بفتح الراء وضمها ــ، والصبر: حبس النفس عن المكروه، وعقل اللسان عن الشكوى والمكابدة

[ج ٢٧ ص ١٩٢]

في تحمله، وانتظار الفرج، وتارة يستعمل بكلمة «عن»، يقال: صبر عن الزنا، وتارة بكلمة «على» كما في الطاعات، يقال: صبر على الصلاة ونحوها.

وقال ذو النون: الصبر: التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع الغصص والبليات وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

وقال ابن عطاء: الصبر الوقوف مع البلاء **بحسن الأدب**.

وقال الحافظ العسقلاني: يدخل في الصبر عن محارم الله: المواظبة على الطاعات، وعلى الكف عن المحرمات، وذلك ينشأ عن علم العبد بقبحها، فالله حرمها صيانة لعبده عن الرذائل، فيحمل ذلك العاقل على تركها، ولو لم يرد على فعلها وعيد، ومنها الحياء منه، والخوف منه أن توقع وعيده فيتركها لسوء عاقبتها، فإن العبد منه بمرأى ومسمع ويبعثه ذلك على الكف عما نهى عنه، ومنها محبة الله فإن المحب يصبر نفسه على مراد من يحب، وأحسن ما وصف به الصبر أنه حبس النفس عن المكروه، وعقل اللسان عن الشكوى والمكابدة في تحمله، وانتظار الفرج كما مر آنفا، وقد أثنى الله تعالى على الصابرين في عدة آيات. وتقدم في أوائل «كتاب الإيمان» حديث: ((الصبر نصف الإيمان)) معلقا [خ ¦ ٨ قبل].

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٢١٩١

وقال الراغب: الصبر: الإمساك، يقال: صبرت الشيء: حبسته وأمسكت عنه، فالصبر عند مصيبة يسمى: صبرا، وإن كان في لقاء عدو يسمى: شجاعة، وإن كان عن كلام يسمى: كتمانا، وإن كان عن تعاطي ما نهي عنه سمي: عفة، وهو المقصود هنا.." (١)

"فقال الخطابي: إن أكثر الناس أهل نقص، وأما أهل الفضل فعددهم قليل جدا، فهم بمنزلة الراحلة في الإبل الحمولة، ومنه قوله تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى: ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾ [الأنعام: ١١١]. ونقل عن ابن قتيبة: أن الراحلة هي النجيبة المختارة من الإبل للركوب، فإذا كانت في إبل عرفت، ومعنى الحديث: الناس في النسب كالإبل المائة، التي لا راحلة فيها فهي منسوبة.

وقال الأزهري: الراحلة عند العرب الذكر النجيب والأنثى النجيبة، قال: وقول ابن قتيبة غلط. والمعنى: أن الزاهد في الدنيا الكامل فيها الراغب في الآخرة قليل، كقلة الراحلة في الإبل.

وقال النووي: هذا أجود، وأجود منه قول من قال: إن المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف قليل.

وقال القرطبي: الذي يناسب التمثيل: أن الرجل الجواد الذي يتحمل أثقال الناس، والحمالات عنهم ويكشف كربهم عزيز الوجود، كالر ا حلة في الإبل الكثيرة.

وقال ابن بطال: معنى الحديث: أن الناس كثير والمرضي منهم قليل، وغير المرضي من ضيع الفرائض. وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما الأمانة بالفرائض، وهذا هو الأنسب من الأقوال، وإلى هذا المعنى أومأ البخاري بإدخاله في «باب رفع الأمانة» إلى أن من كانت هذه صفته فالاختيار عدم معاشرته.

وأشار ابن بطال إلى أن المراد بالناس في الحديث من يأتي بعد القرون الثلاثة الصحابة والتابعين وتابعيهم حيث يصيرون يخونون ولا يؤتمنون.

قال الحافظ العسقلاني: ونقل الكرماني هذا عن مغلطاي ظنا منه أنه كلامه لكونه لم يعزه فقال: لا حاجة إلى هذا التخصيص لاحتمال أن يراد أن المؤمنين قليل بالنسبة إلى الكفار.

وتعقبه العيني: لم يقل الكرماني إلا: قال بعضهم، ولم يذكر لفظ مغلطاي أصلا، فلا يحتاج إلى ذكره بما فيه **من سوء الأدب**، ونسبة الظن إليه، وبعض الظن إثم.

ومطابقة الحديث للترجمة تظهر بالت أمل.

والحديث بهذا السند من أفراد البخاري، ورواه مسلم من طريق معمر عن الزهري كما تقدم.

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٢٢٧٦

==================." (١)

"قال النووي: كذا أوله العلماء من أصحابنا وغيرهم، ولا بد منه؛ لأن ظاهره أنه بعث لطلب إقامة حد الزنى، وهو غير مراد؛ لأن حد الزنى لا يحتاط له بالتجسس والكشف عنه، بل يستحب تلقين المقر به؛ ليرجع كما تقدم في قصة ماعز.

وكان لقوله: فإن اعترفت فارجمها مقابلا؛ أي: وإن أنكرت، فأعلمها أن لها طلب حد القذف، فحذف؛ لوجود الاحتمال، فلو أنكرت وطلبت لأجيبت.

وقد أخرج أبو داود والنسائي من طريق سعيد بن المسيب، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رجلا أقر بأنه زنى بامرأة، فجلده النبي صلى الله عليه وسلم مئة، ثم سأل المرأة فقالت: كذب فجلده حد الفرية ثمانين». وقد سكت عليه أبو داود، وصححه الحاكم، واستنكره النسائي.

وفيه: أن من أقر بالحد وجب على الإمام إقامته عليه، ولو لم يعرف من شاركه في ذلك، وأن من قذف غيره لا يقام عليه الحد إلا أن يطلبه المقذوف خلافا لابن أبي ليلى، فإنه قال: يجب، ولو لم يطلب المقذوف. وفي الاستدلال به نظر؛ لأن محل الخلاف إذا كان المقذوف حاضرا، وأما إذا كان غائبا كهذه، فالظاهر: أن التأخير لاستكشاف الحال فإن ثبتت في حق المقذوف، فلا حد على القاذف، كما في هذه القصة، فليتأمل.

وفي الحديث: أنه يستحب للقاضي أن يصبر على قول أحد الخصمين: احكم بيننا بالحق ونحوه إذا تعدى عليه خصمه.

ونظير ذلك: قوله تعالى حكاية عن قول الخصمين اللذين دخلا على داود عليه السلام: ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ [ص: ٢٢]. ويحتمل أن يكون ذلك على حد قوله: ﴿قل رب احكم بالحق﴾ [الأنبياء: ١١٢] في أن المراد التعريض بأن خصمه على الباطل، وأن بالحكم بالحق

[ج ٢٨ ص ٤٣٦]

سيظهر باطله.

وفيه: حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم وحلمه على من يخاطبه بما الأولى خلافه، وأن من تأسي به من الحكام في ذلك يحمد كمن لا ينزعج لقول الخصم مثلا: احكم بيننا بالحق.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٢٣٧٢

وفيه: أن **حسن الأدب** في مخاطبة الكبير يقتضي تقديم الاستئذان في الخصومة ولو كان المستأذن مسبوقا. وأن للإمام أن يأذن لمن شاء من الخصمين في الدعوى إذا جاءا معا وأيقن أن كلا منهما يدعي.." [١]

"الدار) بضم الفوقية وكسر الحاء المهملة على البناء للمفعول؛ أي: ظهرت الدار مستحقة لغير البائع (رجع المشتري على البائع بما دفع إليه، وهو تسعة آلاف درهم وتسعمائة وتسعة وتسعون درهما ودينار) لكونه القدر الذي تسلمه منه، ولا يرجع عليه بما وقع عليه العقد (لأن البيع) أي: المبيع (حين استحق بضم الفوقية على البناء للمفعول؛ أي: للغير (انتقض) بالضاد المعجمة (الصرف) أي: الذي وقع بين البائع والمشتري في الدار المذكورة (بالدينار) هي رواية الكشميهني، وفي رواية غيره:[٢].

(فإن وجد) بفتح الواو (بهذه الدار) المذكورة (عيبا، ولم تستحق) على البناء للمفعول؛ أي: والحال أنها لم تخرج مستحقة (فإنه يردها عليه بعشرين ألف درهم) وفي رواية أبي ذر:[٣]. قال الحافظ العسقلاني: يعني أن هذا تناقض بين، لأن الأمة مجتمعة وأبو حنيفة معهم على أن البائع لا يرد في الاستحقاق والرد بالعيب إلا ما قبض، فكذلك الشفيع لا يشفع إلا بما نقد المشتري، وما قبضه من البائع لا بما عقد وأشار إلى ذلك بقوله:

(فأجاز) أي: أبو حنيفة رحمه الله (هذا الخداع بين المسلمين) بكسر الخاء المعجمة؛ أي: الحيلة في إيقاع الشريك في الغبن الشديد إن أخذها بالشفعة أو إبطال حقه بسبب الزيادة في الثمن باعتبار العقد لو تركها.

وإنما أراد البخاري مسألة الاستحقاق التي مضت ليستدل بها على أنه كان قاصدا للحيلة في إبطال الشفعة، وعقب بذكر مسألة الرد بالعيب ليتبين أنه بحكمه، وكأن مقتضاه أنه لا يرد إلا ما قبضه لا زائدا عليه.

قال العيني: إن كان مراده من قوله: ((فأجاز)) أي: أبو حنيفة **ففيه سوء الأدب** فحاشا أبو حنيفة من ذلك، فدينه المتين وورعه المحكم يمنعه عن ذلك.

وقال الحافظ العسقلاني: والفرق عندهم أن البيع في الأول إن كان مبنيا على شراء الدار وهو منفسخ ويلزم عدم التقابض في المجلس فليس له أن يأخذ إلا ما أعطاه، وهو الدراهم والدينار بخلاف الرد بالعيب فإن البيع صحيح، وإنما ينفسخ باختيار المشتري وأما بيع الصرف، فكان وقع صحيحا فلا يلزم من فسخ هذا

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٣٤٠٩

(٢) في الدار

(٣) بعشرين ألفا

بطلان هذا.

وقال ابن بطال:

[ج ٢٩ ص ١٧٤]." [1]

"يفرط فيه، أو على بضاعة لا يتنزه عن الغش فيها، فإذا فقد الشخص حياءه، وفقد أمانته أصبح وحشا كاسرا ينطلق معربدا وراء شهواته، ويدوس في سبيلها أزكى العواطف؛ فهو يغتال أموال الفقراء غير شاعر نحوهم برقة، وينظر إلى آلام المنكوبين، والمستضعفين فلا يهتز فؤاده بشفقة إن أثرته الجامحة، وضعت على عينيه غشاوة مظلمة، فهو لا يعرف إلا ما يغويه ويعريه بالمزيد، ويوم يبلغ امرؤ هذا الحضيض، فقد أفلت من قيود الدين وانخلع من ربقة الإسلام.

وللحياء مواضع يستحب فيها فالحياء في الكلام يتطلب من المسلم أن يطهر فمه من الفحش، وأن ينزه لسانه عن العيب وأن يخجل من ذكر العورات فإن **من سوء الأدب** أن تفلت الألفاظ البذيئة من المرء غير عابئ بمواقعها وآثارها قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الحياء من الإيمان والإيمان من الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار.

ومن الحياء في الكلام: أن يقتصد المسلم في تحدثه بالمجالس؛ فإن بعض الناس لا يستحيون من امتلاك ناصية الحديث في المحافل الجامعة فيملئون الأفئدة بالضجر من طول ما يتحدثون، وقد كره الإسلام هذا الصنف قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((من تعلم صرف الكلام ليستبي به قلوب الرجال لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا)).

من آثار الإيمان: ترك أذى المسلمين، وهجرة الذنوب

ومن آثار الإيمان في الأمة أو في حياة الأمة أن المؤمن والمسلم سلم للمسلمين يسلم المسلمون من لسانه ويده، فلا يقع منه إلا ما يفيد من حوله، وما ينفع إخوانه، فيده عفيفة عن الإساءة لأحد، وكذلك لسانه عف طاهر فلا هو بالبذيء، ولا الشتام، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا المتفحش كما أنه يهجر، ويترك كل ما نهى الله عنه.." [2]

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٣٩٢٦

(٢) الحديث الموضوعي - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٩٣

"أدب حسن)). أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير"، والترمذي في "السنن" (١٩٥٢)، والبيهقي في "السنن الكبير" (ج٣/ص٨٤) وضعفوه، وكذا ضعفه الذهبي وهو الصواب. وصححه الحاكم في "المستدرك" (٤/ ٢٦٣)!، ورمز له السيوطي بالصحة في "الجامع الصغير" (٨١١٨)!.

– وعن عثمان الحاطبي قال: سمعت ابن عمر (رضي الله عنهما) يقول لرجل: ((أدب ابنك؛ فإنك مسئول عن ولدك ماذا أدبته وماذا علمته؟، وإنه مسئول عن برك وطواعيته لك)). أخرجه الإمام البيهقي في "السنن الكبير" (ج٣/ص٨٤).

– وعن ضمرة بن ربيعة قال: سمعت سفيان الثوري (رحمه الله) يقول: ((كان يقال: **حسن الأدب** يطفئ غضب الرب عز وجل)) ا. هـ. أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" [(ج٦/ص٣٣٩/رقم٩٠٩٧) ط/ مكتبة الإيمان بالمنصورة].

– وعن أبي زكريا العنبري قال: ((علم بلا أدب، كنار بلا حطب. وأدب بلا علم، كروح بلا جسم)) رواه الإمام السمعاني في أول كتابه "أدب الإملاء والاستملاء". وانظر "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للخطيب البغدادي (١/ ٨٠).

– قال ابن المقفع: ((أحق الناس بالعلم أحسنهم تأديبا)).

– وقال أيضا: ((أفضل ما يورث الآباء الأبناء: الثناء الحسن، والأدب النافع، والإخوان الصالحون)). "الأدب الصغير".

– عن حبيب الجلاب قال: قيل لابن المبارك (رحمه الله): ما خير ما أعطي الرجل؟ قال: ((غريزة عقل فيه)). قيل: فإن لم يكن؟ قال: ((أدب حسن))..." [(١)]

"والآن حين أعود إلى ذكر المتنبي فأخرج بعض الأبيات التي يستوي الريض والمرتاض في المعرفة بسقوطها، دون المواضع التي تخفى على كثير من الناس لغموضها.

فأما السرقة فما يعاب بها؛ لاتفاق شعراء الجاهلية والإسلام عليها، ولكن يعاب أنه كان يأخذ من الشعراء المحدثين كالبحتري وغيره جل المعاني ثم يقول: لا أعرفهم ولم أسمع بهم، ثم ينشد أشعارهم فيقول: هذا شعر عليه أثر التوليد.

ولا عجب فهذا الصولي كان كثير الرواية **حسن الأدب** إلا أنه ساقط الشعر؛ يقول في كتاب الخلفاء – وقد حشاه بشعره –: إنما أثبت شعري ليعلم الناس أن في زمانهم من إن لم يسبق البحتري انتصف منه.

---

(١) الأدب الصغير ت خلف، ابن المقفع ص/١٠

وليس في الإعجاب بالنفس نهاية، وكان بعض الناس يقول: أجاري البحتري وأباريه؛ وأناقضه وأساويه، فأملى الأستاذ الرئيس في ذلك قوله:." (١)

"(وقد أغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل)

ويروى (وكراتها) أي في مواضعها التي تبيت فيها، والوكنات في الجبال كالتماريد في السهل، الواحدة وكنة، وهي الوقنات أيضا وقد وكن الطائر يكن ووقن يقن ووكر يكر، ومن روى (في وكراتها) فهو جمع الجمع، يقال: وكر، ووكر جمع، ووكرات جمع الجمع، وأغتدي: أفتعل من الغدو، والواو في (والطير) واو الحال، يقول: قد اغتدى في هذه الحال بفرس منجرد، أي قصير الشعرة، قيد الأوابد، والأوابد: الوحوش، وكذلك أوابد الشعر، وتقدير قيد الأوابد ذي تقييد الأوابد، والمعنى أن هذا الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد، والهيكل: الضخم.

(مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل)

مكر: يصلح للكر، ومفر: يصلح للفر، ومقبل: حسن الإقبال، ومدبر: **حسن الأدبار**، وقوله (معا) أي عنده هذا وعنده هذا، كما يقال: فلان فارس راجل، أي قد جمع هاتين، و (حطه السيل) حدره، ومعنى البيت إنه يصف أن هذا الفرس في سرعته بمنزلة هذه الصخرة التي قد حطها السيل في سرعة انحدارها، وأن الفرس حسن الإقبال والأدبار، و (معا) منصوب على الحال، و (من عل) من فوق.

(كميت يزل اللبد عن حال متنه ... كما زلت الصفواء بالمتنزل)

ويروى (عن حاذ متنه) أي وسطه، شبه ملاسة ظهر الفرس – لاكتناز اللحم عليه وامتلائه – بالصفاة الملساء، والصفاة والصفواء: الصخرة الملساء التي لا ينبت فيها شيء، ويقال: صفوان، وجمعه صفوان، وجمع صفاة صفا، وقد." (٢)

"أشياعه، أكبر من العذاب، وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله: (يا أبت) توسلا إليه واستعطافا، فقال له في الجواب (قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم: لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا).

ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظ العناد، فناداه باسمه ولم يقابل قوله (يا أبت) بابني؟ وقدم الخبر على المبتدأ في قوله: (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) لأنه كان أهم عنده وفيه ضروب من

---

(١) الكشف عن مساوي شعر المتنبي، الصاحب بن عباد ص/٤٢

(٢) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/٣٩

التعجب والإنكار، لرغبة إبراهيم عن آلهته وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب أحد عنها.
ومن هذا الباب، قوله تعالى: (قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه: أتقتلون

رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم، وأن بك كاذبا فعليه كذبه، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم. أن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطف مغزاه؟ فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال: لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا، فكذبه يعود عليه ولا يتخطاه، أو يكون صادقا فيصيبكم بعض ما يعدكم إن تعرضتم له. وفي هذا الكلام من **حسن الأدب** والإنصاف ما أذكره لك، أيها المتأمل، فأقول: إنما قال (يصبكم بعض الذي يعدكم) وقد علم أنه نبي صادق وأن كل ما يعدكم به، لا بد من أن يصيبهم (كله) لا بعضه، لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى أن يسلك معهم طريق الإنصاف والملاطفة في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدخل في تصديقهم له، وقبولهم منه، فقال (وإن بك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم). وهو كلام المنصف في مقابلة غير المشتط فيه؛ وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد به، لكنه أردفه بقوله: (يصبكم بعض الذي يعدكم) ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام، فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه." (١)

"وقال في قوله: (الطويل)

أهذا جزاء الصدق إن كنت صادقا ... وهذا جزاء الكذب إن كنت كاذبا

هذا بيت فيه عتب شديد على سيف الدولة. يقول: أهذا الفعل الذي فعلت بي، من الإبعاد والإخافة، جزاء مدحي؟ فإن كنت صادقا، فما يجب أن تجازيني بقبيح، وإن (كنت) كاذبا، فإكرامي يجب أكثر مما يجب على الصدق، لأني تقولت لك من المكارم ما ليس فيك!

فيقال: هذا الذي ذكره في تفسير كاذبا لا يسوغ أن يقابل به بعض العوام، فكيف بعض الملوك، لما فيه من قبح الخطاب، وسوء الأدب!! وقد ذكرت ما فيه في شرح ابن جني.

وقال في قوله: (الوافر)

وما بك غير حبك أن تراها ... وعثيرها لأرجلها جنيب." (٢)

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، ضياء الدين ص/٢٣٧

(٢) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٤٤/٢

"ذكر فيه قول ابن جني. هذا البيت إذا طولب الشاعر **بحسن الأدب**، وجب أن لا يقابل الممدوح بمثله. وقد أنكر عبد الملك على جرير ما هو دونه، من قوله: الوافر

أتصحو أم فؤادك غير صاحي ... .

فقال: فؤادك لأجل مخاطبته بالكاف، وإن كان لم يرد إلا نفسه.

وأقول: إن هذا، إذا أنشده الشاعر الممدوح كان فيه، كما ذكر، سوء أدب. وأما إذا أرسله فليس فيه ذلك؛ لأنه إنما قبح لأجل المخاطبة، والإرسال لا مخاطبة فيه. ولعل أبا الطيب أرسل القصيدة إليه، ولم ينشدها إياه. وفي هذا البيت أيضا ما يسأل عنه، وهو ضربه المثل فيه، لما هو كأنه منقطع منه، فلا يكون المثل ورد في موضعه. والصحيح إنه متصل بما قبله، وذلك إنه قال: الطويل

سقى الله أيام الصبا. . . ..

لما بانت عنه، وصار في غيرها من أيام الكبر، فضرب مثلا بتغيره بالدهر وعدم تغير الدهر به، فجاء بأغرب مثل وأعجبه، لأن من العهود الأكثر، أن اللابس يبلي الملبوس ويخرقه، فكأنه يقول: الدهر ملبوس يخالف غيره من اللابس؛ لأن هذا يبلي اللابس، وغيره يبليه اللابس.." (١)

"إلا أن العلامة مغلطاي تناكر في هذا الكتاب وذلك بخروجه وتجاوزه حدود الأدب مع شيخه العلامة الحافظ المزي وإطلاق لسانه فيه حتى وصل به الحال أن رماه بالجهل وقلة العلم واغتراره بمن حوله من صغار الطلبة.

لقد أظهر المصنف تجاه شيخه المزي وتلميذه الذهبي حقدا دفينا كشف به عن سوءاته وما يضمره لهذين العالمين من ضغينة دفعته إلى **استعمال سوء الأدب** معهما والتعصب والتشغيب في الردود عليهما بما لا يليق بعالم مثله. وهذا أسوأ ما في الكتاب، ولعل بشأن صنيعه هذا أحمد الله ذكره، وأخر العناية بكتبه حتى عصرنا الحاضر فالله يعفو عنه ويسامحه.

وقد آثرنا أن يكون الكلام عن الكتاب، ومنهج المصنف وما يؤخذ عليه في فصل مستقل حتى تجتمع الفائدة وتكتمل، فانظره عقب ترجمة المصنف إن شاء الله.

وقبل أن أختم هذه الافتتاحية أحب أن أؤكد أننا لم ندخر وسعا في ضبط مادة الكتاب وهذا مبلغ علمنا وغاية جهدنا، فمن وقف فيه على تقصير أو خلل أو غير ذلك منه على تغيير أو زلل فليعذر إخوانه في ذلك متطولا، وليصلح منه ما يحتاج إلى إصلاح متفضلا، أو يبلغنا إياه شاكرين له، فالتقصير من الأوصاف

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٨٣/٣

البشرية، وليست الإحاطة بالعلم إلا لبارئ البرية، فهو الذي وسع كل شئ علما، وأحصى مخلوقاته عينا، واسما.." (١)

"وقديما قال الإمام مسلم في كتابه التمييز (١): (فليس من ناقل خبر وحامل أثر من السلف الماضين إلى زماننا وإن كان من أحفظ الناس وأشدهم توقيا وإتقانا لما يحفظ وينقل إلا الغلط والسهو ممكن في حفظه ونقله) أ. هـ.

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر لنا زللنا، وأن يبارك في علمنا هذا ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به أهل العلم وطلابه وأن يجزل مثوبة علمائنا، وأن يتجاوز عما أخطأوا فيه، وأن يرزقنا **حسن الأدب** معهم والحمد لله رب العالمين.

المحققان

---

(١) (ص: ١٧٠).." (٢)

"٩٠٧ - (ز): أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم.

ذكره النديم في مصنفي المعتزلة وقال: كان **حسن الأدب** جيد المعرفة بالكلام.

وذكره المرزباني في معجمه فقال: كان أديبا شاعرا فاضلا عالما رئيسا في علم الكلام والأدب وكان مولده سنة ٢٦٢ وكان أبوه قد جمع كتابا في أسماء الشعراء ومات قبل أن يكمله فأتمه ولده هذا وكان أحمد بن يحيى هذا يتلمذ لأبي جعفر الطبري وصنف كتابا في الفقه على طريقته ومن شعره يمدح:

عمرت أطول مدة ... تزداد تمكينا وتسلم.

في صفو عيش لا تزال ... به العدى تقذى وترغم.

بك إن تذوكرت الأيادي ... يبتدا فيها ويختم.

وكانت وفاته في سنة ٣٢٧.." (٣)

"وأبو الفضل بن دودان (١) الهاشمي، والحسن بن محمد بن عمر النرسي. سألت البرقاني عنه فقال: كان شيخا صالحا. قلت كان ثقة؟ فقال: ثقة ثقة.

---

(١) إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مغلطاي مقدمة/١٥

(٢) إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مغلطاي مقدمة/١٦

(٣) لسان الميزان ت أبي غدة، ابن حجر العسقلاني ٦٩٦/١

وقال العتيقي ثقة مأمون.

توفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (٢).

٩٩٦٦ - محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن مطرف.

ومحمد بن مطرف هذا هو أبو غسان المديني ابن داود بن مطرف بن عبد الله بن سارية مولى عمر بن الخطاب.

قال ابن يونس: يكنى أبا ميمون عسقلاني، قدم مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة، وخرج عن مصر سنة ست وأربعين.

حدث بمصر عن ثابت بن نعيم أبي معن، وأبي ذهل عبيد بن الغاز، وعبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري، وبكر بن سهل، وكان أخباريا **حسن الأدب**، وكان في سمعه ثقل قليل.

٩٩٦٧ - محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله البيضاوي، الفقيه الشافعي.

قال الخطيب: حدث شيئا يسيرا عن أبي بكر بن مالك، والحسن بن محمد

---

(١) في الأصل: زاذان. خطأ، وما أثبتناه من المصدر وهو الصواب، فأبو الفضل هذا هو أحمد بن الحسين بن الفضل المعروف بابن دودان، مترجم في «تاريخ بغداد»: (٥/ ١٧٥).

(٢) «تاريخ بغداد»: (٣/ ٥٠٥ - ٥٠٦).." [1]

"فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا ... بخير كتاب جاء من خير كاتب

ولبعضهم

مني السلام على من لست أنساه ... ولا يمل لساني قط من ذكراه

إن غاب عني فإن القلب مسكنه ... ومن يكون بقلبي كيف أنساه

ولبعضهم

يا خالق الخلق يا رب العباد ومن ... قد قال في محكم التنزيل أدعوني

إني دعوتك مضطرا فخذ بيدي ... يا جامع الأمر بين الكاف والنون

---

(١) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ابن قطلوبغا ٣٦٦/٨

نجيت أيوب من بلواه حين دعا ... بصبر أيوب يا ذا اللطف نجيني

واطلق سراحي وامنن بالخلاص كما ... نجيت من ظلمات البحر ذا النون

وما أحسن قول بعضهم

خير إخوانك المشارك في المر ... وأين الشريك في المر أينا

الذي إن حضرت زانك في القو ... م وإن غبت كان أذنا وعينا

ولله در القائل

ألا يا مستعير الكتب أقصر ... فإن إعارتي الكتب عار

فمحبوبي من الدنيا كتابي ... وهل أبصرت محبوبا يعار

ولآخر

وإذا صاحبت صاحب ماجدا ... ذا عفاف وحياء وكرم

قائلا للشيء لا إن قلت لا ... وإذا قلت نعم قال نعم

ولبعضهم

من قال لا في حاجة ... مطلوبة فما ظلم

وإنكا الظالم من ... يقول لا بعد نعم

وما أحسن قول القائل

إذا تخلفت عن صديق ... ولم يعاتبك في التخلف

فلا تعد مرة إليه ... فإنما وده تكلف

ولله در من قال

لا تمزحن وإن مزحت فلا يكن ... مزحا يضاف به **إلى سوء الأدب**

واحذر ممازحة تعود عداوة ... عن المزاح على مقدمة الغضب

ولآخر ولله دره." (١)

"والجهل في الشام، والعلم في العراق، والحساب في قبط مصر، والحمق في الطويل والكذب في القصير، والظلم والزنا في ذي الشامات، والحفظ في العميان، وسوء الخلق في العرجان، والعجلة في الصبيان، والمراء في العلماء، والحرص في المشايخ، والذل في الأيتام، والفصاحة في اليمن والحجاز،

---

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، أحمد ص/١٣١

والسلامة في العزلة والصحة في الحمية، وقال حكيم إذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه، لا فرح إلا بالحسنات ولا حزن إلا على السيئات، لا تتعبن جسدك إلا في كد على عيال أو عبادة لذي الجلال، قيل لبعض العرب ما المروءة؟ قال سمو الهمة وصيانة النفس عن المذمة، قيل فما الحلم؟ قال كظم الغيظ وضبط النفس عند الغضب وبذل العفو عند القدرة، قيل فمن أظلم الناس لنفسه قال من تواضع لمن يكرهه ومدح من لا يعرفه، قيل فمن أعظم الناس حلما؟ قال من قمع غضبه بالصبر وجاهد هواه بالعزم، وقيل لبعض الملوك ما بلغ بك هذه

المنزلة، فقال بعفوي عند قدرتي وليني عند شدتي وبذل الإنصاف ولو من نفسي وإبقائي في الحب والبغض محلا لموضع الاستبدال، وقال بعض الأدباء ليس لسلطان العلم زوال بخلاف سلطان المال، الإحسان يقطع اللسان، الشرف بالعقل والأدب لا بالمال والنسب، **أحسن الأدب** حسن الخلق، أفقر الفقر الحمق، إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه، ولله در القائل:

بني استقم فالعود تنمو عروقه ... قويما ويغشاه إذا ما التوى التوا

وعاص الهوى المردى فكم من محلق ... إلى الجو لما أن أطاع الهوى هوى

وقال بعض الفضلاء من لم تؤدبه الكرامة قومته الإهانة، وما أحسن قول القائل:

متى تضع الكرامة في لئيم ... فإنك قد أسأت إلى الكرامة

وقد ذهب الصنيع به ضياعا ... وكان جزاؤها طول الندامة

من استعد الغنى ليوم الفقر فقد استعد لنائلة الدهر، من لم يقنع لم يشبع، من لم يقنع بتجاربه أوقعه الدهر في نوائبه، من قال لا أدري وهو يتعلم أفضل ممن يدري وهو يتعظم، من لم يستفرغ في العلم المجهود لم يبلغ منه المقصود، من جهل النعم عرف النقم، من أدمن قرع الباب ولج، من أخذ في أموره بالاحتياط سلم من الاختلاط، من أكرم حرا تعبده ومن من بمعروفه أفسده، من تشجع وجهه جبن قلبه، من قل حياؤه كثر ذنبه، من أكثر الرقاد حرم المراد، من لم يحتمل بشاعة الدواء دام ألمه، من لم." (١)

"أما دري من جهله المركب ... بأنه سوى العمى لم يركب

فإنه لولاكم لم يضرب ... له بسهم ما أقل مضرب

ولم يزل حياته في تعب ... ولم يزن بين الورى من زغب

وعذره الجهل وعلم الحدب ... منكم له أدى لسوء الأدب

---

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، أحمد ص/١٨١

وما على عالي الذرا من نصب ... في هبة الصبا ورمية الصبي
وكيف أغنى عنكم ونسبي ... ونشبي منكم ومنكم حسبي
ومنكم دفعي ومنكم جلبي ... ومنكم درعي ومنكم يلبي
وأسلى وقضبي وموكبي ... وجحفلي وعضدي ومنكبي
ومعقلي وملجئي ومهربي ... وملبسي ومأكلي ومشربي
ومركبي وقربي وقربي ... وطاعتي وزلفي وقربي
ومنكم راحي ومنكم ضربي ... وراحتي منكم ومنكم طربي
وجبر كسري وجبر حربي ... وبرء دائي وبرء جربي
وأنتم وسيلتي وسببي ... لما إليه وجهتي وخببي
وأنتم دريئتي من لهب ... نار لظى يوم اشتداد الصيهب
أم كيف يغنى عنكم ذو أرب ... لربه من عجم وعرب." (١)

"والاحتمال، حتى لا يقول لهما - إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما -: أف، فضلا عما يزيد على أف. . . قال: ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما كما ترى، حيث افتتح الآية بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ونظمهما - التوحيد والإحسان إلى الوالدين - في سلك القضاء - الأمر - بهما معا، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر، مع موجبات الضجر ومقتضياته، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة. . . وقوله: ﴿ولا تنهرهما﴾: أي لا تنهمها عما يتعاطيانه مما لا يعجبك، ﴿وقل لهما قولا كريما﴾: أي جميلا، كما يقتضيه **حسن الأدب** والنزول على المروءة. وقوله سبحانه: ﴿، واخفض لهما جناح الذل﴾، قال الإمام الزمخشري: فيه وجهان: أحدهما أن يكون المعنى: واخفض لهما جناحك كما قال: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾، فأضافه إلى الذل أو الذل كما أضيف حاتم إلى الجود، على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول، والثاني: أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد - الشاعر المخضرم - للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما، وقوله سبحانه: ﴿من الرحمة﴾: أي من فرط رحمتك لهما

---

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي ص/٤٠٩

وعطفك عليهما لكبرهما

وافتقارهما إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس،." (١)

"عتاب، وما لزمه من حق صبر عليه وقام به، وهذا تفسير جميل، وهو أليق بكلام سيدنا رسول الله. وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: أوما تقرؤون القرآن: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾. . . وقالوا: صفاء الأخلاق من نقاء الأعراق. الأعراق جمع عرق وهو الأصل يقال رجل معرق في الحسب والكرم قالت قتيلة بنت النضر بن الحارث أو أخته:

أمحمد ولأنت ضنء نجيبة ... في قومها والفحل فحل معرق

أي عريق النسب أصيل، ويستعمل في اللؤم أيضا تقول: إن فلانا لمعرق في الكرم، ومعرق في اللؤم. والضنء: الولد والأصل والمعدن وقال البحتري:

سلام على تلك الخلائق إنها ... مسلمة من كل عار ومأثم

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ثلاثة من قريش أحسنها أخلاقا وأصبحها وجوها وأشدها حياء، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم بحق أو باطل لم يكذبوك: أبو بكر الصديق، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم. . .

وفي الأثر أيضا: أن حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار. وفي كتاب الهند: من تزود خمسا بلغته وآنسته: كف الأذى، وحسن الخلق، ومجانبة الريب، والنبل في العمل، **وحسن الأدب**.

نهيهم عن سوء الخلق

وقالوا: سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الصبر العسل الصبر هو هذا الدواء المر ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر وفي الحديث: من ساء خلقه عذب نفسه، وقال العتابي:." (٢)

"الذي يعمل العمل الحكيم فتقتدي به. وقال آخر، أخذ المرء نفسه **بحسن الأدب** تأديب لأهله.

ومن هذا يقول محمود الوراق:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ... ويعديهم داء الفساد إذا فسد

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ١٦/١

(٢) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ١٥٧/١

التلطف واللين في الوعظ

تصدى رجل للرشيد فقال: إني أريد أن أغلظ عليك في المقال، فهل أنت محتمل؟ قال: لا؛ لأن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من كان شرا مني، وأمره باللين، فقال تعالى: ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾

وقالوا: واجب من يعظ أن لا يعنف، ومن يوعظ أن لا يأنف.

الحث على الاتعاظ

قالوا: السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره. وقالوا: من لم يتعظ بغيره وعظ الله به غيره

وعظ من لا يتعظ

قالوا: لا ينجح الوعظ في القلوب القاسية، كما لا يزكو البذر في الأرض الجاسية. وقالوا: صقلك سيفا ليس له سنخ تعب، وبذرك أرضا سبخة نصب.." (١)

"وإذا ما طربتما لارتياحي ... فاجعلا خمرتي مدامة فيه

ليت شعري وكم أطيل الأماني ... أي يوم في خلوة ألتقيه

وإذا ما ظفرت يوما بشكوى ... قال لي: أين كل ما تدعيه

لا دموع ولا سقام فماذا ... شاهد عنك بالذي تخفيه

قلت: دعني أمت بدائي فإني ... لو براني الغرام لا أبديه

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب الخامس

من الكتب التي يشتمل عليها.

كتاب الكورة القرطبية وهو

كتاب الجرعة السيغة في حلى قرية وزغة من قرى قرطبة. ينسب إليها:

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٢/٩٦

أبو جعفر

أحمد بن يحيى الحميري الوزغي

خطيب جامع قرطبة، المصدر به في المائة السابعة لإقراء النحو وفنون الأدب، المشهور بالظرف واللطافة. كان يعشق غلاما اسمه عيسى فقرأ عليه غلام اسمه محمد، فمال إليه وقال:

تبدلت من عيسى بحب محمد ... هديت ولولا الله ما كنت أهتدي

وما عن ملال كان ذاك وإنما ... شريعة عيسى عطلت بمحمد

ابن أخيه

الحافظ أبو زكريا

كان له نوادر مضحكات مع كونه كان حافظا لأكثر السيرة وكثير من كتب اللغة، وتقرب إلى سلطان إفريقية ابن عبد الواحد بما حكى له عنه من الغفلة والبله إلى أن صار يحضه، وكان على رأسه طاقية وسخة فأعطاه عمامة كبيرة، فكان يعمم قدر ثلثها، ويجعل الثلثين في كمه، ويقال له: إذا كبرت عليك اقطعها، فيقول: إنعام السلطان لا أجسر على قطعه.

ورأيته يوما في عسكر السلطان وهو راكب بغلة، وقد انحدرت به، وجاء جمل من فوق، فقال مخاطبا للجمل: بفضلك ألا اصبر حتى أمضي عنك. وكان يخاطب السلطان من الألفاظ. العامية المحشوة بسوء الأدب بما يضحك، وقد مات بالفسطاط.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد وآله وصبحه، فهذا:

الكتاب الثاني من الكتب التي يشتمل عليها

كتاب المملكة القرطبية وهو

كتاب الدرة المصونة في حلى كورة بلكونة

الحالي منها قعدتها مدينة بلكونة، وهي آهلة مشهورة الاسم في عصرنا، معروفة بالفرسان. فيها ثلاث تراجم.

سعيد بن هشام بن دحون

أخبر الحجاري: أنه من ولد دحون المرواني المتقدم الذكر في تراجم بني أمية. وبنو دحون أعيان بلكونة إلى الآن، وقال: إنه لما دخل إلى بلكونة سأل فيها عمن يتسم بالأدب وقول الشعر، فدل على سيعد بن

هشام، فوجده في قرية من قراها في زي الفلاحين، فتأنس به، واستنشده من شعره فأنشده قوله:

استعار الروض ممن ... همت فيه ورد خده

ورآه ذا احتياج ... فحباه غصن قده

ثم أوفى نرجس الأل ... حاظ مع رمان نهده

فمن الإنصاف مهما ... سمى الروض بعبده

فلهذا يزدهى الرو ... ض علينا فوق حده

وقوله في أبي عبد الله بن حمدين قاضي قرطبة:

إلى أي وقت أرتجيك وإنما ... يرجى الفتى أيان يسعده السعد

وهذا أوان لحت فيه محكما ... يطيعك أهل العلم والمال والجند

فمن ري بوعد إن تأخر حاضر ... فقد ينعش النفس المؤملة الوعد

؟القائد أبو الحسن علي بن وداعة السلمي البلكوني ذكر الحجاري: أنه كان من أعيانها ووليها لبني عامر، وكان في المائة الخامسة، وكان فارسا شجاعا أديبا شاعرا وخاض في فتنة ابن عبد الجبار، فقتل فيها، و من شعره قوله:

قفوا ساعة حتى أوفي بالعهد ... وأبدي إليكم من جوى بعض ما عندي

أمر على الأطلال لم تجر أدمعي ... ولا مهجتي ذابت عليها من الوجد

وأين وفاء كنت أعني بأمره ... لقد غيرت مني الحوادث بالبعد

وما حلت، لكنني جليد على النوى ... أموت وما أخفيه ليس له مبدي

على أن لي في جانب الشوق رقة ... كما أرهفت بعد الصدا ظبة الهند

أيا دعد كم أبكي عليك تشوقا ... كأني قد أخرجت من جنة الخلد." (١)

" ١٥ - (وإذا حاولت نهايتها ** فاحذر إذ ذاك من العرج) وإذا حاولت أي طلبت نهايتها أي الأبواب أو الهدى فإنه يذكر ويؤنث ولأنه بمعنى الخزانة والمعنى إذ طلبت الانتقال إلى مقام أو حال فاحذر إذ ذاك من العرج أي فالتزم فيه **حسن الأدب** من الثبات عليه وموافقة مراد الله تعالى ولا تختر الانتقال عنه حتى ينقلك الله إلى ما هو أرفع منه فإن تشوقت إلى الانتقال بنفسك لتبلغ الغاية فقد بلغت غاية الجهل بربك وأسأت الأدب في حقه ولا تصل إلى مطلوبك فكن كما قال ابن عطاء الله كن عبد الله

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/٥٦

في كل شيء عطاء ومنعا وعزا وذلا وولاية وعزلا وغنا وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء وفناء وبقاء إلى غير ذلك من مختلفات الآثار وتنقلات الأغيار وكنى عن عدم الوصول بالعرج أو شبه به عدم دوام الاستقامة لأن كلا منهما لا يوصل معه إلى مقصد قريبا أو لا يوصل إليه البتة وتضمن كلامه مع ذكر التحذير من حظوظ النفس ومن التحذير

". (١)

"وللفؤاد وجيب تحت أبهره ... لدم الغلام وراء الغيب بالحجر

الأبهر عرق مستبطن الصلب، يقال أن القلب متصل به، يقول تسمع صوت فؤاده من تحت الأبهر كما تسمع لدما من وراء غيب ونبض الفؤاد لحدة نفسه وذلك محمود وكذلك الرعدة، قال ابن مقبل:

ويرعد إرعاد الهجين أضاعه ... غداة الشمال الشمرج المتنصح

الهجين البختي ويكون من الرجال في غير هذا الموضع أيضا، والشمرج الثوب الخلق، والمتنصح المخيط في كل ناحية.

وقال أبو داود يصف حدة نفسه ونزقه بعد الجري:

فقلت لهم جللوه الثياب ... وشدوا الحزام وأرخوا اللبب

وضموا جناحيه أن يستطار ... فقد كان يأخذ **حسن الأدب**

وقال ابن أحمر:

ثم اقتحمت مناجدا ولزمته ... لفؤاده زجل كعزف الهدهد

مناجدا مشارا ولفؤاده صوت ووجيب مثل صوت الهدهد وهو عزفه، وقال طرفة يصف قلب ناقة:

وأروع نباض أحذ ململم ... كمرادة صخر من صفيح مصمد

الأروع الحديد، ومرادة صخر حجر يرمى به صلب شبهه به في صلابته، قال ابن مقبل:

يزع الذراع منه مثل ما ... يزع الدالي من الدلو الوذم

يزع يكف الذراع منه ويرفق به كما يرفق الدالي بالدلو يخاف على أوذامها، وقال امرؤ القيس:

فظلت وظل الجون عندي بلبده ... كأني أعدى عن جناح مهيض

أخفضه بالنقر لما علوته ... ويرفع طرفا غير جاف غضيض

---

(١) المنفرجتان لابن النحوي والغزالي، ص/٧٧

أعدى يقول أكف عن عريه وأبقى منه كما يبقى جناح قد انكسر، والنقر أن ينقض له بفيه حتى يسكن، غير جاف أي لا يجفو عن الأشباح ولا هو غضيض عنها، وقال العرجي:

إذا قاده السواس لا يملكونه ... وكان الذي يألون قولا له هلا

أي كان الذي يستطيعون أن يقولوا له هلا، وقال الشاعر:

وإن تركبوا أعراضنا بشتيمة ... فإني لا آلو لأعراضكم شتما

أي لا أستطيع، وقال زهير:

فبتنا عراة عند رأس جوادنا ... يزاولنا عن نفسه ونزاوله

قال الأصمعي: العرب تقول بتنا عراة أي مشمرين وعلينا أزرنا، قال أبو عبيدة: عراة يعرونا عرواء أي رعدة من الزمع أي بنا زمع وحرص على القنص، وأنشد:

أسد تفر الأسد من عروائه

يزاولنا ونزاوله أي يجذبنا ونجذبه.

وقال آخر - أبو داود الإيادي:

فبتنا عراة لدى مهرنا ... ننزع من شفتيه الصفارا

" الصفار يبيس البهمي، وقال ابن مقبل:

خدى مثل خدى الفالجي ينوشى ... بخبط يديه عيل ما هو عائله

خدي من الخديان، ينوشى من النوش وهو التناول يقول يكاد يتناولني بيديه من خبطه بهما وذاك من نزقه ومرحه، عيل ما هو عائله وإنما هو كقولك عالني الشيء أي أثقلني ولم يرد بذلك مذهب الدعاء عليه وإنما هو كقولك للشيء يعجبك قاتله الله أخزاه الله أي شدد هذا الشيء عليه وأثقله.

التشبيه باهتزاز الرمح

قال أبو داود:

كهز الرديني بين الأكف ... جري في الأنابيب ثم اضطرب

يقول إذا هززت الرمح جرت تلك الهزة فيه حتى يضطرب كله وكذلك هذا الفرس ليس فيه عضو إلا وهو يعين ما يليه، ولم يرد الاضطراب ولا الرعدة.

وقال ابن مقبل:

يفرفر الفأس بالنا بين يخلعه ... في أفكل من شهود الجن محتضر

يفرفر يجري فأس اللجام حتى يخلعه في رعدة، ويقال إن الجن تحضر الفرس، عن أبي عمرو.

قال أبو النجم:

والجن حضار به تقبله

وأنشدنيه السجستاني عن أبي عبيدة: يفررالفأس أي يخرجه من فيه وقال - ابن مقبل:

أقول والحبل مشدود بمسحله ... مرحى له إن يفتنا مسحه يطر

الأصمعي عن أبي طرفة وأبي عمر وبن العلاء: يقال إذا رمى فأصاب مرحى فإذا ثنى فأصاب قال أيحى.

قال أمية بن أبي عائذ:

يصيب الفريص وصدقا يقو ... ل مرحى وإيحى إذا ما يوالي

يقول إن فاتنا مسحه طار من الحدة.

ما يشبه به بعد الإضمار

أبو داود:

غدونا به كسوار الهلو ... ك مضطمرا حالباه اضطمارا." (١)

"لتبلي كل ملبوس جديد ... وتمزج كل معسول بصاب

بياض الشيب أعلام المنايا ... نشرن نذيرة لك بالذهاب

هو الكفن الذي يبلى وشيكا ... ويأتي بعده كفن التراب

ثم قال: ألا قلال من هذا الباب أولى بنا، فلسنا من أهل هذا الفن، وسمة التقصير لائحة علينا، ودالة على نقصنا، وإن خفي ذلك بنظرنا، لأن الإنسان عاشق نفسه وليس بمؤاخذها على تقصيره. ثم قال لي: أنشدنا ما سمعنا منك لبعض الآلهيين فأنشدته:

لما تجاوز حسي ... وفات مسي ولمسي

ولم أزل أتقرا ... دليل أبناء جنسي

فلم يكن ذاك يجدي ... ولا يعود بالسي

رجعت نحوى بشرط ... يغيب عني حسي

فلاح تحت ضلوعي ... ما قد من قرن شمسي

---

(١) المعاني الكبير، ص/١٣

فقلت هذا طريقي ... من غير شك ولبس

وغصت حتى تجلى ... وأشرقت منه نفسي

فقال أبو سليمان: ما **أحسن الأدب** والحكمة إذا كان هذا من ثمرها؟ وسمعت أبا سليمان يقول للجرجاني الكاتب، وكان يحدث نفسه بالوزارة: أيها الرجل، إن الدنيا نار ذات دخان، فلو سلوت عن صلائها لدخانها، لكان أجدى وأسلم؟ فقال: أفلا أصبر على دخانها لا تنفع بضيائها، واستمتع بصلائها؟ فقال: ما أحسن هذه العارضة! لو كنت في الاستمتاع بضيائها على ثقة ومن الانتفاع بصلائها على يقين؟ وكنت إذا أدركت ذلك دام عليك وصفا لك! فأما والعادة جارية بخلاف قولك وبضد اقتراحك وتوهمك، فلا. فقال الجرجاني: الله الموفق وهو حسبي.

فقال أبو سليمان: حكم الكتاب وأصحاب الخطابة مخايل، تصدق قليلا وتكذب كثيرا، ليس لها رسوخ في القلب، ولا ثبات في العقد. فلما قتل الجرجاني قال أبو سليمان: مسكين ذلك الرجل، صبر على دخانها إلى أن اختنق، وتعرض لصلائها حتى احترق. ثم قال: اللهم لا تكلنا إلا إليك، ولا ترغبنا إلا فيما لديك، ولا تعرضنا إلا لطلب ما عندك، إنا لعجزة عن قدرة نطلبها بنا، وضعفة عن قوة ندعيها فينا، أرنا الحق حقا ثم هيئنا لإتباعه، وأرنا الباطل باطلا ثم وفقنا للإعراض عنه، يا من يملك العيان والخبر ويرينا بهما العجائب والعبر.." (١)

"فلما غمرنا هذا الشيخ بهذا الفن وطرحنا في هذا الوادي سكت سكتة أوجب علينا **حسن الأدب** التفرق عنه. فما مرت أيام حتى نظمنا ذلك المجلس وضمنا مثل ذلك الأنس، فقال له بعض أصحابنا، وأظنه أبا الخير اليهودي: إن أذنت لنا في تمام الذي من تلك الجهة العذبة؟ فأنا صدرنا عنها وبنا برح، ومن وهب الله له ما وهب لك خليق بالجود على المستحق، ومن عرفه الله ما عرفك حرى بالتلطف في المسألة، وأنت بحر الله في الخلق تقذف بالجواهر، وشجرة العقل في العالم تخرج ضروب الثمر في كل حين وإبان، فلا زلت مكنوفا بالمعرفة، مؤيدا بالنصرة، جوادا بالعطية، بداء بالرفد، محببا إلى القلوب حاليا بالعيون، ممدحا بالألسنة، وصحوبا بالتوفيق، مذكورا بالثناء الفائق متنافسا عليه بالطارف والتالد.

فقال: لولا أني أعلم أن عشق الحكمة حرككم بهذه الكلمات الغر وهذه الفقر التي توفي حسنا على الدر،

---

(١) المقابسات .. لأبي حيان التوحيدي، ص/١٧٦

لأثنيت عليكم، ورددت أنفاسكم إليكم، شفقة على مروءتكم من عادة المتملقين، وصيانة لأعراضكم عن دنس المماذقين، فجولوا الآن فيما أحببتم فما يبخل بالحق على أهل إلاشقي، ولا ينفس بالصواب على طالبه إلا دني ردي.

فقيل له: فما العقل؟ فقال: العقل خليفة العلة الأولى عندك، يناجيك عنه ويناغيك به، ويبلغ إليك منه ويدلك على قصده والسكون في حرمه، ويدعوك إلى مواصلته والتوحيد به، والإهتزاز إليه، والإعتزاز به. وهذا كله نصح لا غش فيه، ورفق لا عنف معه، وبيان لم يخلط به تلجج، ويقين لا يطيف به تخلج.

قيل له: فقد قيل إن العقل مأخوذ من العقال.." (١)

"أرجو أن لا يكون هذا القول صدر منه عن فساد نية ونحن نسأل الله تعالى الإعاذة من فتنة القول كما نسأل الإعاذة من فتنة العمل لأن هذا البيت قد خون فيه مأمونا جعله الله واسطة في أمانته ورضيه أمينا على رسالته وقد أخذ هذا المعنى من أبي فنن أبيات مجن فيها:

قامت تشجعني ضلا بتضليل ... وللشجاعة قلب غير مجهول

هاتي شجاعا بغير القتل منيته ... أريك ألف جبان غير مقتول

لما رأيت سيوف القوم مصلتة ... تجري تحير في عرضي وفي طولي

الله سلمني منهم وخلصني ... مصفر الوجه مخضوب السراويل

والله لو أن جبريلا يضمن لي ... نفسي لما وثقت نفسي بجبريل

فالبيت مثل البيت يدخلان في قسم التساوي، ويليه:

بعض البرية فوق بعض خاليا ... فإذا حضرت فكل فوق دون

هذا من قول أبي نواس:

ألا يا خير من رأت العيون ... نظيرك لا يحسن ولا يكون

خلقت بلا مشاكلة لشيء ... فأنت الخلق و الثقلان دون

وقال الحصني:

أنت دون الإله خوفا من الل ... ه ما دون ذاك حاشاك دون

وهذا معنى يدخل في قسم التساوي ويدل هذا القول أنه قد دار في خلده أن يقول هذا القول للحصني ولكنه خاف الله فمنعته التقية وقد هم لولا ذلك بقول المعصية.

---

(١) المقابسات .. لأبي حيان التوحيدي، ص/٢٥٠

وبعدهن أبيات أولها:

فدتك الخيل وهي مسومات ... وبيض الهند وهي مجردات

يقول فيها:

وصفتك في قواف سائرات ... وقد بقيت وإن كثرت صفات

أملح من هذا وأخصر قول ابن الرومي: لم يفن ما قيل بل الكلام وقال أشجع:

وما ترك المداح فيك مقالة ... ولا قال إلا دون ما فيك قاتل

أبو الطيب ذكر أنه بقي عنده صفات، وذكر ابن الرومي أن كلامه فني ولم يفن ما فيه، وكلام أشجع أشعر ما قيل في هذا المعنى لأنه أخبر أن المداح لم يتركوا فيه مقالا وأنهم اجتهدوا فكان اجتهادهم يقصد فهو أرجح وأولى من الأخذ عنه.

وقال المتنبي:

أفاعيل الورى من قبل دهم ... وفعلك في فعالهم شيات

هذا يشبه قول أبي تمام:

قوم إذا أسود الزمان توضحوا ... فيه فغودر وهو منهم أبلق

ويتلو أبيات أولها:

مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي ... ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

يشبه قول القائل:

مضى الليل إلا أن ليلي لا يمضي ... وأن جفوني لا تروى من الغمض

وقول أبي الطيب:)ورؤياك أحلى في العيون من الغمض(.

موجود في قول ابن الرومي:

ولطعم أكتحاله منه بالزائ ... ر أحلى في عينه من رقاده

وبيت ابن الرومي أكرم من بيته لأن رؤياه لوجه العافي الزائر قياده إذا كانت أحلى عنده من الرقاد كان ذلك أكرم من رؤياه باستحسان الشخص والرؤيا في الرقاد والرؤيا في النظر.

وقال المتنبي:

على أنني طوقت منك بنعمة ... شهيد بها بعضي لغيري على بعض

هذا يساوي قول ابن بسام:

وقد سبقت لامرئ نعمة ... تقر علي وإن لم أقر

ويليها بيتان أولهما:

نال الذي نلت منه ومني ... لله ما تصنع الخمور

قوله:)نال الذي نلت منه(يشبه قول ابن الرومي:

بينا ترى في الزق مسحوبة ... إذ حكمت أن يسحب الساحب

مسلوبة في الدن مغلوبة ... لها اقتدار سالب غالب

ومثله قول ابن المعتز:

نباكرها ولنا قدرة علي ... ها وتمسي لها القدره

فعند الصباح لها حمرة ... وعند المساء لها سكره

تضاحك في الكأس كف الف ... تى وفي نفسها للفتى عذره

وجميع ما قيل أشرح وأعذب من قوله والسابق أولى به.

ويليها أبيات أولها:

وجدت المدامة عذابة ... تهيج للقلب أشواقه

قال فيها:

تسيء من المرء تأديبه ... ولكن تحسن أخلاقه

لو استعمل مكان)تأديبه( )تمييزه(صح وصفه إياها **لأن سوء الأدب** أولى بسوء الخلق، وقد قال الشاعر:

رأيت أقل الناس عقلا إذا انتشى ... أقلهم عقلا إذا كان صاحيا

تزيد حمياها السفيه سفاهة ... وتترك أخلاق الكريم كما هيا." (١)

"ثم رجعت في زورة أخرى بعد هذه فمررت أيضا بسجلماسة فوجدت فتنة أبشع من هذه وأشنع وقعت لهؤلاء مع عوام المسلمين " ثم مع المسلمين "كافة، عامة وخاصة، وذلك أنهم نظروا في كلام من حرض من الأئمة على النظر في علم التوحيد، وحذر من الجهل فيه ومن التقليد، فجعلوا يسألون " الناس " عما يعتقدون، ويكلفونهم الجواب والإبانة عن الصواب، فربما عثروا على قاصر العبارة عما في قلبه، أو متلجلج اللسان لدهش ناله، أو جاهل بشيء مما يقدح في العقيدة أو يظنونه قادحا وإن لم يقدح، فيشنعون عليه الجهل والكفر، ثم أشاعوا أن الفساد قد ظهر في عقائد الناس، وجعلوا يقررون العقائد للعوام، فشاع

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه، ص/١٢٣

عند الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النمط الذي يقررون فهو كافر، وشاع عندهم أن من لم يعرف معنى لا إله إلا الله أي النفي والإثبات على التقرير الذي يقرره العلماء فهو كافر، فدخل من ذلك على عوام المسلمين أمر عظيم، وهول كبير، فلما دخلت البلد جاءني الناس أفواجا يشتكون من هذا " الأمر " وأن ليس كل أحد يبلغ إلى فهم تقارير العلماء فأقول لهم: إن الله تعالى إنما تعبدكم باعتقاد الحق في أنفسكم، أفلا تشهدون أن الله تعالى حق موجود؟ فيقولون: بلى، أفلا تعلمون أنه واحد في ملكه لا شريك له ولا إله معه وكل معبود سواه باطل فيقولون: بلى، هذا كله يقين عندنا لا نشك فيه ولا نرتاب، فأقول لهم هذا هو معنى كلمة الإخلاص المطلوب منكم اعتقاده، سواء عرفتموه من لفظها أو لا، فإن الكلمة عربية، والأعجمي لا حظ له في دلالتها، وإنما حسبه أن يترجم له مضمونها فيعتقده، وكذا العقائد كلها المطلوب منكم اعتقادها بالمعنى، ولا يشترط فهم ألفاظها التي يعبر " بها " عنها في كتب العلماء، ولا إدراك حدودها ورسومها التي تعرف بها. فإن فهم هذه العبارات والإحاطة بهذه الحقائق والتقريرات علم آخر لم يكلف به العوام، فإذا أجبتهم بذلك انطلقوا مسرورين حامدين شاكرين، ثم جاءني رئيس هذه الفتنة وسألني عن مسائل في هذا المنحى فأجبته، ثم تقدمت إليه بالنصيحة وقلت له: أكثر النحل وجل الطوائف الضالة إنما خرجت في هذا العلم، فإن أردت نفع الناس فقرر لهم العقائد بالقدر الذي يبلغون، وحدث الناس بما يفهمون، كما في الحديث الكريم ودع عنك هذه الامتحانات والتدقيقات والتشنيعات التي لم تجر بها سنة أهل الدين في عصر من الأعصار، فإذا هو قد أشرب ذلك وتمكن فيه التظاهر به، وإذا تمييزه قد نقص عما كنت أعرف منه قبل ذلك، نسأل الله العافية. فتمادى على ذلك وأصفقت عليه العوام حتى سمعوا مقالته فيهم، وجعل يتغالى في تقرير العقائد وبيان وجوه المخالفة ونحوها على التفصيل بما لا حاجة إليه حتى يقع في ذكر ما **هو سوء الأدب** في حقه تعالى، وما لا يستطيع كل من في قلبه رائحة من عظمة الله تعالى أن يفوه به، ويحضر مجلسه أوباش الأعراب من جراوة ونحوها، فإذا رجعوا إلى قومهم ذهبوا بتلك المقالات وجعلوا يلقون على أمثالهم من الرعاع الأسئلة من هذا المنحى فيقولون لهم: أين بات الله؟ وأين يصبح؟ وأين يظل؟ وأين هو؟ " وكيف هو " ؟ إلى ما هو أبشع من ذلك مما لا أذكره، وقد نبهت على طرف من هذا المعنى في كتابي المذكور، ثم أشاعوا أن عوام المسلمين لا تؤكل ذبائحهم ولا يناكحون مخافة أن يكونوا لم يعرفوا التوحيد، فحدثني الفقيه المشارك الصالح أبو عبد الله مبارك بن محمد العنبري الغرفي – رحمه الله – أن أعرابيا من هؤلاء الشيعة جاء مع قوم من بلد توات فكانوا إذا طبخوا زادهم وفيه الخليع يمتنع من الأكل معهم ويقول: إن الجزار الذي ذبح هذه البهيمة لا ندري أيعرف التوحيد أم لا؟ ولما دخل البلد جيء بطعام

عليه لحم وجماعة من الأشراف حضور فدعوه للأكل فأمتنع وقال: إن العبد الذي ذبح تلك الذبيحة لا ندري أيعرف التوحيد أو لا؟ فقالوا له: ما ذبحها عبد، وإنما ذبحها المولى فلان الشريف منهم فامتنع أيضا وبات طاويا، ثم لم يقفوا في هذا بل انتهكوا حرمة عوام المسلمين ابتلاهم الله بانتهاك حرمة خاصتهم أيضا، فتناولوا فقهاء وقتهم ووقعوا في أهل العلم والدين ومن هم على سنن المهتدين، وضللوهم إذا لم يضللوا العامة، فوقع لهم قريب مما وقع للكميلية من الروافض فإنهم كفروا الصحابة حيث لم يقدموا عليا – كرم الله وجهه – ثم كفروا عليا حيث لم ينازعهم في حقه، وكان أهل البلد اتبعوني وأنا في." (١)

"نعم الناس في أمر الطلب والدعاء لا في هذه ولا في غيرها صنفان: " صنف " يسلم ولا يطلب، " وصنف يطلب " وذلك " بسبب " اختلاف المشارب وتباين الشهادات، فمن أشهده الله تعالى كونه عبدا مملوكا مكفولا بعين مولاه وفي حياطته لم يبق له دعاء ولا طلب، بل التوكل والتسليم وانتظار القسمة السابقة، وله في هذا مشارب، فقد يلاحظ حياطة المولى وكفالته فيستغني، وقد يلاحظ انبرام القسمة وأن الدعاء لا يزيد فيها ولا ينقص فيمسك، وقد يلاحظ علم الله تعالى وقدرته وجوده فيستحيي، إذ لا ينبه إلا غافل، ولا يستنهض إلا عاجز ولا يستعطف إلا بخيل، إلى غير هذا من الواردات، وقد يلاحظ إساءته وتقصيره في الخدمة فيستحيي أن يطلب، ومن أشهده الله تعالى "كونه " عبدا فقيرا محتاجا إلى سيده لا يستغني عنه لحظة، وقد أذن له في رفع حوائجه إليه فليس إلا الدعاء والطلب، وله في ذلك أيضا مشارب، فتارة يسترسل مع وصفه من الافتقار واللجأ إلى مولاه، وتارة يرى تعاطي ذلك وإظهاره هو اللائق بالعبودية، وتارة يلاحظ امتثال أمر الله تعالى حيث طلب من عباده أن يدعوه، وذلك كله من غير التفات إلى حاجة تقضى ولا ثمرة غير ما حصل له من التعبد والمناجاة والتذلل بين يدي الملك الجليل، وناهيك بذلك ثمرة " مع " ما يرجى أن يستتبعه ذلك من رضوان الله تعالى، وهو نهاية السول وغاية المأمول، وهذا كله لمعرفته بأن القسمة قد سبقت لا تزداد ولا تنقص، ومحال أن يكون الدعاء اللاحق، سببا للعطاء السابق، فلم يبق إلا أن الدعاء عبادة وتأدب مع الرب تعالى، والرب يفعل ما يشاء " ويحكم ما يريد " ، وقد يلاحظ أن من جملة ما يقضى ترتب بروز العطاء على الدعاء، وأن الاشتغال بالدعاء سبب كسائر الأسباب فينتهض لإقامة الحكمة في تعاطي الأسباب وامتثال أمر الله تعالى في ذلك إذا أقيم " فيه " وهذا الوجه هو الذي يظهر من أحوال من يتحرى أوقات الاستجابة وأسبابها من الصالحين، والأوجه كلها حسنة لا يخرج المتلبس بشيء منها عن الخصوصية، نسأل الله تعالى أن يمنحنا **حسن الأدب** بمنه.

(١) المحاضرات في اللغة والأدب، ص/٤٦

ثم الداعي أيضا له حالتان، لأنه إما أن يشهد حال نفسه من الإساءة والتقصير والخساسة الذاتية والذلة والمهانة فلا يدعو إلا بما يناسب ذلك من العفو والمغفرة والنجاة من النار والإقالة واللطف ونحو ذلك، وفي هذه الحالة قال القائل: تجرأت البارحة فسألت الجنة، وقال الآخر: سبحان الله متى خرجنا من النار حتى نطلب الجنة، وإما أن يشهد وصف ربه من الكرم والجود والفضل، أو يشهد أنه عبد للمالك العظيم، ويلاحظ نحو قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا سألتم الله فاستعظموا المسألة، فإن الله لا يتعاظمه شيء " فيدعو بما يناسب ذلك من الجنة والدرجة العلية، والرضوان والمعرفة، والمحبة والقرب والولاية، ونحو ذلك، ولا شك أن الحلة الأولى هي أنسب بالعبد في هذه الدار وأسلم له، ولكنه بيد الله تعالى يتصرف ويتلون بحسب سابق المشيئة.

وأما الحلاوة فمن جهة ما ذكرنا من التدريج، فإنا نود أن لو وجد المسرف حلاوة للطاعة وتبعها حتى يترك فسقه ويتمرن على العبادة، فعسى أن ينقله الله إلى حالة أخرى أرفع، وقد تكلمنا فيما لسنا من أهله وتعدينا طورنا، فنستغفر الله تعالى.

لله الأمر من قبل ومن بعد

تدبر العقل في أسرار الكون

اعلم أن الله جل أسمه بلطيف حكمته وبديع صنعته خلق العقل وجعل غذاءه العلوم والمعارف، ويسر له الاستعداد من الموجودات قال تعالى:)إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب(وقال تعالى:)وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم(فما من شيء يبرز في الوجود من السماء والأرض وما بينهما إلا ويمكن أن يكون للعقل فيه غذاء بحصول علم أو علوم، ويختلف ذلك باختلاف العقول فطنة وجمودا أولا، وباختلاف مواهب الله تعالى وفتوحه ثانيا، ويجري ذلك في الجواهر والأعراض وما لها من الكميات والكيفيات والهيئات، فمن رزقه الله تعالى فطنة استفاد من الأمور ما يستغربه أهل الجمود.." (١)

"مجلس الكرام حصون الكلام.

منقبة المرء تحت لسانه.

مجالسة الأحداث مفسدة الدين.

مشرب العذب مزدحم.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب، ص/٩٣

مصاحبة الأشرار ركوب البحر.

حرف النون

نور المؤمن قيام الليل.

نسيان الموت صدأ القلب.

نور قلبك بالصلاة في ظلم الليل.

نصرة الإنسان في الصدق.

نفاق المرء ذلة.

نعمة الجاهل كروضة في مزبلة.

نور مشيبك لا تظلمه بالمعصية.

نار الحرقة أشد من نار جهنم.

نعيت إليك نفسك، حين شاب رأسك.

نم آمنا تكن سالما في أمهد الفرش.

نضرة الوجه في التصدق.

نيل المنى، في الغنى.

حرف الهاء

همة السعيد آخرته، وهمة الشقي دنياه.

هلاك المرء في العجب.

هموم المرء بقدر همته.

هلك الحريص وهو لا يعلم.

هيهات من نصيحة العدو.

هربك من نفسك أشد من هربك من الأسد.

همة المرء قيمته.

هات ما عندك تعرف به.

حرف الواو

وهم المرء بقدر همه.

وعد الكريم نقد.

ولاية الأحمق سريعة الزوال.

وضع الإحسان في غير محله ظلم.

وزر صدقة المنان أعظم من أجره.

وحدة المرء خير من جليس السوء.

والاك من لم يعادك.

واساك من تغافل عنك.

ويل للحسود من حسده.

ولي الطفل مرزوق.

حرف لام ألف

لا دين لمن لا مروءة له.

لا فقر للعاقل.

لا راحة للحاسد.

لا غم للقانع.

لا وفاء للمرأة.

لا كرامة للكاذب.

لا حرمة للفاسق.

لا ظفر مع البغي.

لا صواب لمن ترك المشورة.

لا كرم أعز من التقوى.

لا داء أعيا من الجهل.

لا مرض أعيا من قلة العقل.

لا راحة لملول.

لا عقل لمن لا أدب له.

لا علم لمن لا بصيرة له.

لا بصيرة لمن لا فكر له.

لا خير في علوم الكذابين.

لا أعز من القانع ولا أذل من الطامع.

لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال.

لا يرفع الشح.

لا صحة مع النهم.

لا شرف **مع سوء الأدب**.

لا ثناء مع الكبر.

لا زيادة مع الزراعة "كذا " .

لا راحة للملوك.

لا شرف أعلى من الإسلام.

لا معقل أحسن من الورع.

لا شفيع أنجح من التوبة.

لا لباس أجمل من السلامة.

لا أيمان لمن لا إيمان له.

لا غنى لمن لا فضل له.

لا حياء لحريص.

لا شفيع كالودود الناصح.

حرف الياء

يأتيك ما قدر لك.

يطلبك رزقك كما تطلبه.

يبلغ الإنسان بالصدق منازل الكبار.

يسود المرء قومه بالإحسان.

يسود المرء بمصاحبة السعيد.

يشقى الرجل بمصاحبة السفيه.

يزيد في العمر الصدقة.

يأمن الخائف إذا وصل إلى ما خافه.

يأمن القلب راحة النفس "كذا " .

يسعد الرجل بمصاحبة السعيد " .

لله الأمر من قبل ومن بعد

الرغيف والذهب

وروي عن نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه خرج هو وصاحب له في سياحة فأصابهما الجوع وقد مرا بقرية فقال لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعاما بهذه القرية، وقام هو يصلي، فانطلق الرجل وأتى بثلاثة أرغفة، فوجده مشغولا فأكل رغيفا، فلما انصرف عيسى عليه السلام قال له: أين الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلا رغيفان. فانطلقا حتى مرا بظباء فدعا – عليه السلام – ظبيا منها فذكاه وأكلا منه، ثم قال له: قم بإذن الله الذي يحيي الموتى، فقام يشتد فقال الرجل: سبحان الله! فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ قال ما كان إلا إثنان، فانطلقا فمرا بنهر عظيم فأخذ بيده فمر به على الماء حتى قطع، فقال الرجل سبحان الله؟ فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ قال: ما كان إلا إثنان، فانطلقا حتى أتيا قرية خربة وإذا بثلاث لبنات من ذهب. فقال الرجل: هذا مال، فقال عيسى عليه السلام: واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث. فقال الرجل: أنا صاحبه، فقال عيسى: هي لك كلها وفارقه، فأقام عليها ليس معه من يحملها له، فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا اللبنات، فقال اثنان منهم للواحد: انطلق إلى القرية فائتنا بطعام، اتفق الاثنان على قتله إذا رجع، وأتى هو بالطعام فوضع فيه سما ليموتا فيختص بالمال، فلما جاء قتلاه وأكلا الطعام فماتا، فمر بهم عيسى – عليه السلام – وهم حول المال كلهم صرعى فقال: هكذا تفعل الدنيا بأهلها، وتركهم.." (١)

"باب

نبذ من أقوال الحكماء

قال أبو العباس١ قال بعض الحكماء: من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا وكان يقال: من أدب ولده أرغم حاسده.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب، ص/١٣٢

وقال رجل لعبد الملك بن مروان إني أريد آن أسر إليك شيئا، فقال عبد الملك لأصحابه: إذا شئتم، فنهضوا، فأراد الرجل الكلام، فقال له غبد الملك قف، لا تمدحني، فآنا أعلم بنفسي منك، ولا تكذبني، فإنه لا رأي لمكذوب ؟ ولا تغتب عندي احدا.فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي في الانصراف؟ قال له: إذا شئت.

وقال بعض الحكماء: ثلاث لا غربة معهن: مجانبة الريب، **وحسن الأدب**، وكف الأذى.

وقال عمرو بن العاص لدهقان٢ نهر تيرى٣: بم ينبل الرجل عندكم ؟ فقال: بترك الكذب، فإنه لا يشرف إلا من يوثق بقوله، وبقيامه بأمر أهله، فإنه لا ينبل من يحتاج أهله إلى غيره، وبمجانبة الريب، فإنه لا يعز من لا يؤمن ألا يصادف على سوأة، وبالقيام بحاجات الناس، فإنه من رجي الفرج لديه كثت غاشيته.

وقال بزر جمهر: من كثر أدبه كثر شرفه، وإن كان قبل وضيعا، وبعد صيته وإن كان حاملا، وسادا وإن كلن غريبا، وكثرت الحاجة إليه وإن كان مقترا.

وكان يقال: عليكم بالأدب، فإنه صاحب في السفر، ومؤنس في الوحدة، وجمال في المحفل، وسبب إلى طلب الحاجة.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أفضل ما أعطيته العرب الأبيات. يقدمها الرجل أمام حاجته، فيستعطف بها الكريم، ويستنزل لها اللئيم.

ـ

١ ساقطة من ر.

٢ الدهقان: زعيم فلاحى العجم، ويطلق على رئيس الإقليم.

٣ نهر تيرى: موضع بناحية الأهواز.." (١)

"وقوله: "على جل حادث" فهو الجليل من الأمر، ويقال: فلان يدعى للجلى، قال طرفة:

وإن أدع للجلى أكن من حماتها١

وفيهم يقول الحطيئة٢:

لقد مريتكم لو أن درتكم ... يوما يجيء بها مسحي وإبساسي

لما بدا لي منكم غيب أنفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكم آسي

أزمعت يأسا مبينا من نوالكم ... ولا ترى طاردا للحر كالياس

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٦٥/١

ما كان ذنب بغيض لا أبالكم ... في بائس جاء يحدوا آخر الناس

جار لقوم أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيما بين أرماس

ملوا قراه وهرته كلابهم ... وجرحوه بأنياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

قوله: "لقد مريتكم" أصل، المري المسح، يقال مريت الناقة، إذا مسحت ضرعها لتدر، ويقال: مرى الفرس والناقة إذا قام أحدهما على ثلاث ومسح الأرض بيده الأخرى، قال الشاعر:

إذا حط عنها الرحل ألقت برأسها ... إلى شذب العيدان أو صنفت تمري٣

وهذا من أحسن أوصافها.

وقال بعض المحدثين يصف برذونا **بحسن الأدب٤**.

وإذا احتبى قربوسه بعنانه ... علك اللجام إلى انصراف الزائر٥

_

١ تمامة:

وإن تأتك الأعداء بالجهد فاجهد

٢ كلمة "الحطيئة" ساقطة من س.

٣ شذب العيدان: ما تفرق منها، الواحد شذبة.

٤ زيادات ر: "الشعر لمحمد بن يزيد" من ولد مسلمة بن عبد الملك، يصف فرسه، وقبله:

عودته فيما أزور حبابي ... إهماله وكذاك كل مخاطر

٥ القربوس: حنو السرج، العنان: سير اللجام الذي تمسك به.." (١)

"والآن حتى أعود إلى ذكر المتنبي فأخرج بعض الأبيات التي يستوي الريض والمرتاض في المعرفة بسقوطها دون المواضع التي تخفى على كثير من الناس لغموضها ، فأما السرقة فما يعاب بها ؛ لاتفاق شعر الجاهلية والإسلام / عليها ، ولكن يعاب أنه كان يأخذ من ٨ أ الشعراء (١) المحدثين كالبحتري وغيره جل المعاني ، ثم يقول : لا أعرفهم ، ولم أسمع بهم ، ثم ينشد أشعارهم ، فيقول : هذا شعر عليه أثر التوليد ، ولا عجب ، فهذا الصولي كان كثير الرواية ، **حسن الأدب** ، إلا أنه ساقط الشعر ، يقول في

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢/١٤٠

كتاب الخلفاء ، وقد حشاه بشعره : إنما أثبت شعري ليعلم الناس أن في زمانهم من إن لم يسبق البحتري انتصف منه ، وليس في الإعجاب بالنفس نهاية ، وكان بعض الناس يقول : إني أجاري البحتري وأناوئه وأناقضه وأساويه ، فأمل الأستاذ الرئيس في ذلك قوله :

البحتري يروم غاية شعره من لا يقيم لنفسه◌ مصراعا (٢)

أنى يروم مناله ولو ابتغى تقويم قافية له ما اسطاعا

جذب العلاء بضبعه فأحله بين المجرة والسماك رباعا

وغدوت ملتزم الحضيض فكلما فرع العلا باعا هبطت ذراعا

والله ولي التوفيق ، وأول حديث المتنبي أن لا دليل / أدل على تفاوت الطبع من جمع ٨ ب الإحسان والإساءة في بليت ، كقوله (٣) :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها

وهذا كلام مستقيم لو لم يعقبه بقوله :

وقوف لئيم (٤) ضاع في الترب خاتمه

---

(١) كتبت : الشعر ، وما أثبتناه هو الصحيح .

(٢) من الكامل ، وقد نسبها أبو حيان التوحيدي في مثالب الوزيرين ، ص ٤٠٧ (م) لأبي الفضل .

(٣) من الطويل ، ديوان المتنبي ٣/٢

(٤) في الديوان : شحيح." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٩٨ """""""

قال بعض العارفين : قد قطعت اليد وهي اعز جوارحك في الدنيا لربع دينالر ن فلا يامن ان يكون عقابه في الآخر على هذا النحو من الشدة

ما قيل في أدب النفس : قال بعض الحكماء : إن النفس مهمولة على شيم مهملة ، وأخلاق مرسلة لا يستغنى بمحمودها عن التأديب ، ولا يكتفي بالمرضى منها عن التهذيب لأن لمحمودها أضدادا مقابلة ، يسعدها هوى مطاع ، وشهوة غالبة ، وإن أغفل تأديبها تفويضا إلى العقل ، أو توكلا على أن ينقاد إلى الأحسن بالطبع ، أعدمه التفويض درك المجتهدين ، وأعقبه التوكل ندم الخائبين ، فصار من الأدب عاطلا

---

(١) الكشف عن مساوئ شعر المتني، ص/٤٢

، وفي سور الجهل داخلا .

قال بعض الحكماء الأدب أحد المنصبين . وقال : الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب لأن من ساء أدبه ضاع نسبه ، ومن قل عقله ضل أصله .

وقال : **حسن الأدب** يستر قبح النسب وهو وسيلة إلى كل فضيلة وذريعة إلى كل شريعة .

قال الأعرابي لابنه : يا بني الأدب دعامة أيد الله تعالى بها الألباب ، وحلية زين بها عواطل الأحساب ، والعاقل لا يستغني وإن صحت غريزته على الأدب المخرج زهرته ، كما لا تستغني الأرض وإن عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها .

في الحديث إذا آخى أحدكم رجلا فليسأله عن اسمه ، واسم أبيه ، وقبيلته ، ومنزله ، فإنه من واجب الحق ، وصافي الإخاء ، وإلا فهي مودة الحمقاء .

نريد عددا إذا ضوعف وزيد على الحاصل واحد ، وضرب الكل في ثلاثة وزيد على الحاصل اثنان ، ثم ضرب ما بلغ في أربعة ، وزيد على الحاصل ثلاث بلغ خمسة وتسعين فالبجبر فرضناه شيئا وعملناه ما قاله السائل ، فانتهى العمل إلى أربع وعشرين شيئا وثلاثة وعشرين عددا يعدل خمسة وتسعين ، أسقطنا المشترك بقي أربعة وعشرين شيئا ، معادلا لاثنين وسبعين ، وهي الأولى من المفردات ، قسمنا العدد على عدد الأشياء وهو المجهول ، وبالعمل بالعكس نقصنا من الخمسة والتسعين ثلاثة ، وقسمنا الباقي على أربعة ، ونقصنا من الخارج اثنين وقسمنا الباقي على ثلاثة ونقصنا من الخارج وهو البعة واحدا ونصفنا الباقي وبالخطائين الفرض الأول اثنان ، الخطاء الأول أربعة وعشرون ناقصة الفرض الثاني خمسة ، الخطاء الثاني ثمانية وأربعون زائد المحفوظ الأول ستة وتسعون المحفوظ الثاني مائة وعشرون ، والخطاآن مختلفان فقسمنا مجموع المحفوظين وهو مأتان وستة عشر على مجموع الخطائن ، وهو اثنان وسبعون خرج ثلاثة وهي المطلوب .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٣١ """""""""

وأنشد أبو علي ' ١ - ١٠٩ ، ١٠٩ ' لأبي دلف :

نظرت إلي بعين من لم يعدل . . . لما تمكن طرفها من مقتلي

ع أبو دلف هو القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر ، وهو ممن جمع إلى محله الشامخ في الشجاعة وعظيم الغناء في المشاهد **حسن الأدب** وجودة الشعر ومحض

---

(١) الكشكول ، ٢/٩٨

الجود . ومن مختار شعره في الشيب أيضا قوله :

في كل يوم أرى بيضاء قد طلعت . . . كأنما طلعت في ناظر البصر

لئن قصصتك بالمقراض عن بصري . . . لما قرضتك عن همي ولا فكري

ومن مختار ما ورد في قرض طلائع المشيب قول كشاجم :

نظرت إلى المرآة فروعتني . . . طلائع شيبتين ألمتا بي

فأما شيبة ففزعت منها . . . إلى المقراض من حب التصابي

وأما شيبة فعفوت عنها . . . لتشهد بالبراءة من خضابي

فيالك من مشيب قد تبدي . . . أقمت به الدليل على شبابي." (١)

"وصيرتم العتبي عتابا فكلما ... أبثكم شجوى تزيدونني شجوا

قضى الله أن أقصي وأصفيكم الهوى ... وغيري يستدني وإن كان لا يهوى

وما كان ظني قبل ذا أن حاسدي ... بمنهلكم يروي وأني لا أروي

وما جلت البلوى علي وإنما ... شماتة أعدائي أجل من البلوى

وأنشدني أيضا قال: أنشدني للفقيه الأجل أبي العباس أحمد بن سعيد ابن غازي السبتي يصف ناقة:

حرف كمثل الصاد إلا أنها ... بعد السرى جاءت كحرف النون

كالبدر قدره الإله منازلا ... في الأفق حتى عاد كالعرجون

والحرف: المسنة. وقال أبو زيد سعيد بن أوس اللغوي: هي النجيبة التي أنضتها الأسفار، وأنكر على من قال: هي المهزولة. وقال صاحب كتاب العين. هي الصلبة، شبهت بحرف الجبل، ثم قال: شبهت بحرف السيف في مضائها.

وأنشدني جماعة من شيوخي رحمهم الله، منهم: الشيخ الفقيه المقري المجود الخطيب المحدث أبو ﺟعفر أحمد بن البلنسي، المعروف بابن اليتيم، بجامع مدينة مالقة قال: أنشدني العالم الزاهد المقرئ الأديب المتصوف أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، المشهور بابن العريف:

سلوا عن الشوق من أهوى فإنهم ... أدنى إلى النفس من وهمي ومن نفسي

ما زلت مذ سكنوا قلبي أصون لهم ... لحظي وسمعي ونطقي إذ همو أنسي

وفي الحشا نزلوا والوهم يجرحهم ... فكيف قروا على أذكى من القبس

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي . ، ٣٣١/١

حلوا الفؤاد، فما أندى، ولو وطئوا ... صخرا لجاد بماء منه منبجس

لأنهضن إلى حشري بحبهم ... لا بارك الله فيمن خانهم فنسى

وأنشدني الشيخ الفقيه الأجل، إمام النحويين، قاضي قضاة المغرب، بقية أعلام مشيخة الأندلسيين، أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمي رضي الله عنه قال: أنشدني الفقيه الإمام المفسر النحوي الأصولي، القاضي بمدينة المرية أبو محمد عبد الحق بن الإمام أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي يمدح الملثمين ملوك المغرب المتقدمين:

إذا لثموا بالريط حلت وجوههم ... ازاهر تبدو من فتوق كمائم

وإن لثموا بالسابرية أظهروا ... عيون الأفاعي من جلود الأراقم

وأنشدني شيخنا أيضا قال: أنشدنا أستاذ المقرئين الفقيه الخطيب القاضي إشبيلية أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني قال: أنبأنا الإمام حافظ أهل زمانه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري لنفسه في كتابه إلينا:

لئن أصبحت مرتحلا بشخصي ... فروحي عندكم أبدا مقيم

ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعاينة الكليم

وأنشدني جماعة من شيوخي رحمهم الله منهم الأستاذ النحوي أبو القاسم السهيلي - والأستاذ كلمة ليست بعربية، ولا توجد هذه الكلمة في الشعر الجاهلي. وأصطلحت العامة إذا عظموا المحبوب أن يخاطبوه بالأستاذ، وإنما أخذوا ذلك من الماهر بصنعته، لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم، فكأنه أستاذ في **حسن الأدب**. حدثني بهذا جماعة بغداد، منهم جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله. قال: سمعته من شيخنا اللغوي أبي منصور موهوب ابن أحمد الجواليقي، في كتاب المعرب من تأليفه وكان السهيلي فردا في زمانه، لبراعته في العلوم وافتنانه. قال: أنشدني الإمام العالم الزاهد أبو عبد الله محمد بن معمر المذحجي قال: أنشدني الأديب الشاعر أبو القاسم خلف بن فرج الألبيري - المعروف بالسميسير - لنفسه:

بعوض جعلن دمي قهوة ... وعنينني بضروب الأغان

كأن عروقي أوتارها ... وجسمي الرباب وهن القيان

وأنشدني سيدي أبي رضي الله عنه للسميسر يصف الدهر وتقلبه بأهله، وذلك من فعل الله لا من فعله:

الناس مثل حباب ... والدهر لجة ماء

فعالم في طفو ... وعالم في انطفاء." (١)

" (كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محموده عن النسب)

(إن الفتى من يقول ها أناذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي)

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعا وبعد صيته وإن كان خاملا وساد وإن كان غريبا وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرا قال بعض الشعراء

(لكل شيء زينة في الورى ... وزينة المرء تمام الأدب)

(قد يشرف المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيع الأدب)

وقال بعض الأعاجم مفتخرا

(مالي عقلي وهمتي حسبي ... ما أنا مولى وما أنا عربي)

(إذا انتمى منتم إلى أحد ... فإنني منتم إلى أدبي)

وقيل الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الأدب اكتسب به المال والجاه خير الخلال الأدب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب به له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضي الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم إليه وحموضة وجوههم فقال ما لكم تنظرون إلي نظر الشحيح إلى الغريم المفلس هكذا الأدب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الأسرة وقال جالينوس إن ابن الوضيع إذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا في منزلته وابن الشريف إذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا في سقوطه وقيل **أحسن الأدب** أن لا يفتخر المرء بأدبه وسمع معاوية رجلا يقول ." (٢)

" النوع الرابع عشر

في الاستدراج

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب، ص/٢٥

(٢) المستطرف، ٥٧/١

وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال والكلام فيه وإن تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم وإذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيرا في خلابه لا قصيرا في خطابه فإذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده وإلا فليس بكاتب ولا شبيه له إلا صاحب الجدل فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية

وقد ذكرت في هذا النوع ما يتعلم منه سلوك هذه الطريق

فمن ذلك قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه أو يكون صادقا [وإن يكن صادقا] يصبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له وفي هذا الكلام من **حسن الأدب** والإنصاف ما أذكره لك فأقول إنما قال (يصبكم بعض الذي) وقد علم أنه نبي صادق وأن كل ما يعدهم به لا بد وأن يصيبهم لا ." (١)

"وكل شعره متناسب مختار، متناسق مشتار ممتار. ولقد خليت كثيرا من الحسن، هربا من الإكثار، وطلبا للاختصار.

وله رسائل ومكاتبات معدول بها عن الفن المعتاد، والأسلوب المعروف. وهي كثيرة. وسأورد منها نبذا يستدل بها على الباقيات.

فمن ذلك مكاتبة إلى بعضهم: تأجيل فرض الخدمة ضامن ضررين يكسفان أنوار الولاء، وإن كان يباري الجونة عند ظهيرة القاع: أحدهما عار **من سوء الأدب** سابغ، والثاني تأجج نار الشوق الغانية بطبعها عن الاحتطاب لها. وبينهما وثوق بالكرم لا يعبث في صحته وحصينته عابث، وسبب الإرجاء من قبيل المشافهة، فإنها ظهر حمول للجهالات، والله تعالى يحفظ حشاشة المعالي، بطول بقاء المجلس العالي.

وكتب إلى النقيب الطاهر: صال كريم الركابي بضبع سماها زوجة على ابنة كبيدة العلوية صيال الأشراف في

---

(١) المثل السائر، ٦٤/٢

أيام الإنصاف على ذمي ذي كبيرة من جرم. ولا قناعة من البأس المهيب بيسير العقاب حتى تملأ السياسة ضواحي الكرخ الفيح، ويعلم كمال الرأفة بأغراض الطائفة. وإن خلا الركاب الكريم، شد غلام من تميم، راضيا وفاخرا، مع سحب ذيل خيلائه على التيجان.

وله في الاقتضاء: أرى نطاسي الوصب المثبت ماطله بالدواء، والموت بدون هذا الإهمال شجاع، فهل من معزبة خبر؟ ظني أن السهاد، يخصم الرقاد، حتى يحوي لي مبتغاي.

وله: وعرقة عرق حداد المدى بأيدي سغاب الترك لأسؤق فتو الضائنة.

من أخرى: قضاء حوائج المرملين، لا يتساند إلى إكرام شفاعة ميزها التطول، بل إلى طبع يرى الإيجاف في الإحسان دبيبا.

أخرى: بلغني أن أنيسيانا يذود صغر شأنه عن تسميته، شتيم الرواء والسحناء، مشؤوم المرافقة والصحبة، يغتاب حتى ثدي أمه، أوسع شفعائي إليك لوما على صغره في ناديك، وذله أن يصدفك عن عوارفك وأياديك. ولقد استوعر الخلف ما استهل، وأوجف إلى حتف نفسه فعجل. فإن كان مستندا منك إلى جذم عناية، فأذن بهجر، فأني مجازيه ولو كان دونه خرط القتاد. وإن لم يكن ذلك، فبمن أقدم؟ وعلى من تقحم؟ حذار أن تعتمد غير كتبه بإرسال الثمن الأوفى والقيمة العليا. فالقوافي ما سمعت، والقائل والباذل من علمت، والسلام.

من أخرى: رزحت حال، وقل أنصار، فمات أمل، وضاقت حيل، ولم يبق في سقاء الصبر بلل. ولقد حاولت أن أسطر صحائف شوق تنطق بحقيقة ذكر الوجد، فحاذرت بدار قلمي بشكوى حال تعنون المجد بالضراعة، وتوهم الخليل انتجاعا.

أخرى: أرقدة عن رزقي، وأنا أرزح من نضو سفار عرقه تكرير العشر وطي المراحل؟ أفرط ضر، ونفد صبر، والرغد لا يعلم بالمسنت، والسلام.

أخرى: وأيم الله، لقد اخلولقت في الأندية الحاشدة من طول جدال كاتبكم، وهو موجف إلى الفتنة، يأبى إلا المنع. وإني لقائلها شنعاء ولو جرت حتفا. حذار، حذار من اشتياط أفوه إذا جنى الخامل عاتب الشهير. ولئن جن الليل دون بعث العساجد المستقرة، لتبعثن كتائب القول مشمعلة لا تخص مقالا، ولا تستثني حمى، ولغيرهم مثل السوء، والسلام.

شفاعة إلى جمال الدين الوزير بالموصل: قد تبوج بارق مكارمكم، واستطار حتى أضاء لعين الأكمة، وأسمع راعده الأصم العازب. وأنتم سننتم إليكم هذه الأطماع، ومهدتم للعفاة المسائل، وشجعتم أقلام الشفعاء،

فكل هجنة تحدث من متوسل به إليكم، فهم من جنايتها برءاء، والوارد بها كنتم أقلتم عثاره في أيام تشرفي بالخدمة، وأخرستم دونه بعض ضوضاء الخطوب، وأوردتموه من جودكم علا بعد نهل. وقد أرسل ولد مطالبا عندكم دين المكارم، ونعم الغريم أنتم، والسلام.

وله إلى الوزير ابن هبيرة في طلب قصيل: الكراع مع تعذر القصيل قد محصت جلوده، وتقارب خطوه، ودميت بالحكاك صفحاته، حتى عاد حديث الخباز عنده نافلة. وفيه: الجواد عطية الجواد، وهو نهد المراكل، مرتفع الكاهل، يفوق مرور العواصف ومروق المعابل. ومزاحمة المراكيب الكريمة مما أتيح لها من بلغة القصيل هجنة، والثمن الذي يتوصل به معدوم. على أنه مع وجود الثمن جد غال، والرأي في حل هذا الإشكال بروية صائبة من الكرم أعلى.

جواب مكاتبة بعض الأكابر:." (١)

"نلقبه ب محمود مجازا ... وما يلفى له فعل حميد

بعيد من ذوي الحسنى، فقير ... من المعروف، مناع، شديد

تعرض بي، لأهجوه، وبيني ... وبين هجائه أحد بعيد

وهجوي، لا أعرضه لقرد، ... مخافة أن تدنسه القرود

وأنشدني أيضا لنفسه:

لو كان لله باب جنته ... كما على بابكم من الرد،

تكبر الخلق عن عبادته ... وجاهروه بالكفر والجحد

واقترحوا النار والخلود بها ... على النعيم الباقي، من الدرد

وأنشدني أيضا لنفسه:

ما بهم، مع سوء أخلاقهم، ... إلى ارتتاج الباب من حاج

وجوههم أمنع من بابهم ... أين الصفا الصلد من الساج؟

للؤم شرع، وهم رسله، ... وعنهم جاء بمنهاج

وأنشدني لنفسه، في الإلغاز في حكة الجرب:

وما شيء، نعوذ منه؟ حتى ... إذا باشرته، استكثرت منه

ألذ به، سوى عيني وسمعي، ... فإنهما لملتفتان عنه

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٨٩/١

وأنشدني أيضا لنفسه، يلغز بالبرغوث:

ما نائم، إذا وثب ... يرقص من غير طرب؟

وإنما رقصته ... تظهر للغير الحرب

معاشر، لكنه ... يكثر من سوء الأدب

يؤخذ في تهمته ... من لم يكن له الطلب

وعينه إذا أصا ... ب قرنه ينوي الهرب

يقدم، والشمس لها ... صبابة من اللهب

يرحل، والكيال يه ... دي، والقفير ينقلب

في بغداد يكون أوان البراغيث من أول الربيع إلى حين وقوع قسمة الغلات.

وأنشدني أيضا لنفسه، يلغز بالكتاب:

وذي غربة، يلهيك عند قدومه ... ويلقي إليه سره ويذيعه

خفيف، إذا استعبرته، وهو راجح ... من الفضل، محبوب إليه صنيعه

ويجفوه من بعد البشاشة معرضا ... كأنك لم يبهجك يوما طلوعه

وأنشدني لنفسه:

يا صاحبي، إليكما عن شاني ... لا تكثرا عذلي، ولا تسلاني

ما لي على البين المشت سلمتما جلد، ومالي بالفراق يدان

فإليكما عن مفرد، ألف النوى ... ترب الهموم، مولد الأحزان

ضرب البعاد عليه عمد قبابه، ... فطواه عن سكن وعن إخوان

فإذا صبا، ولوى عنان رحيله ... بالقرب، مبتجها، إلى الأوطان

ففراقه المحتوم موت أول، ... وصدوف نيته حمام ثان

ما لي وللبين المصرف صرفه ... من بعد أحبابي وهجر مكاني؟

كيف السبيل عليه، وهو محملي ... ما لا أطيق، وفي يديه عناني؟

إلى هذا الموضع، أملاه علي في تلك السنة ب، واسط.

وأنشدني لنفسه ب واسط في صفر سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة:

كم ذا الوقوف بنا على الإبل؟ ... أورد قلوصي ماء ذي الأثل

واعدل إلى ذات اليمين بنا ... واحطط بربع بريكة رحلي
مغنى، عفت آيات ملعبه ... ومحت معالمه يد المحل
أودعت قلبي في ربائبه ... وعقلت في عرصاته عقلي
وبكيت حين رأيت ما صنعت ... أيدي النوى بالربع والشمل
أكبرته، فوطئت تربته ... بحشاي، لا بمناسم الإبل
وطفقت أنشد فيه، حين خلا ... منهم، بما يغري، ولا يسلي
لا لبيض لي، في الدهر بعدهم، ... يوم. وهل دار بلا أهل؟
هذا البيت، ل مهيار. وهو، ها هنا، تضمين.." (١)

"وقال رجل لأبي حنيفة: ما تقول في رجل قال: لا أرجو الجنة ولا أخاف النار، وآكل الميتة وأهد بما لم أرد، ولا أخاف الله، وأصلي بلا ركوع ولا سجود، وأبغض الحق وأحب الفتنة؟ قال أبو حنيفة، وكان هو يعرفه شديد البغض له: يا فلان، سألتني عن هذه المسألة ولك بها علم؟ قال: لا، ولكن لم أجد شيئا هو أشنع من هذا فسألتك عنه، قال: فقال أبو حنيفة لأصحابه: ما تقولون في هذا؟ قالوا: شر رجل هذه صفة كافر، قال: فتبسم أبو حنيفة وقال له: لقد شنعت القول فيه، ثم قال: هو والله من أولياء الله حقا، ثم قال للرجل: إن أنا أخبرتك أنه من أولياء الله حقا تكف عني شرك، ولا تمل على الكتبة ما يضرك؟ قال: نعم، قال أبو حنيفة: أما قولك: إنه لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، فإنه يرجو رب الجنة ويخاف رب النار، وقولك: لا يخاف الله، فإنه لا يخاف ظلمه ولا جوره وقال الله تعالى: " وما ربك بظلام للعبيد " . وقولك: يأكل الميتة، فهو يأكل السمك، وقولك: يصلي بلا ركوع ولا سجود، فقد جعل أكثر عمله الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد لزم موضع الجنائز فهو يصلي عليها ويعتبر ويقصر أمله ويصلي على كل مسلم ومسلمة، ويدعو للأحياء والأموات ومن هو آت من المؤمنين والمؤمنات، وقولك: يشهد بما لم ير، فهو شهادة الحق، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وقولك: يبغض الحق، فهو يحب البقاء حتى يطيع الله ويكره الموت وهو الحق، قال الله تعالى: " وجاءت سكرة الموت بالحق " ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ: " وجاءت سكرة الحق بالموت " ، وأما الفتنة فالقلوب مجبولة على حب المال والولد وذاك من الفتنة العظيمة على قلوب المؤمنين، قال الله تعالى: " إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم " ، لكم فاحذروهم.

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١/٢٢٥

قال سيف الدولة بن حمدان لابن عم له: ما أعاقك اليوم عن التصبح؟ قال: دخلت الحمام وقلمت أظفاري، فقال: لو قلت: أخذت من أطرافي كان أوجز.

كان الجاحظ يتعجب من فطنة طويس ووضعه الكلام موضعه من **حسن الأدب** في قوله لبعض القرشيين: أمك المباركة وأبوك الطيب، يعني إصابته في قسمة الصفتين وإن لم يصفها بالطيب.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف: أي الطعام أحب إليك؟ قال: الزبد والكمأة. فقال: ما هما بأحب الطعام إليه، لكنه يحب الخصب للمسلمين، فما أحسن ما كنى عن إيثاره الخير، وما أحسن فطنة عمر له! ويقولون: أطيب اللحم عوذه، أي ما عاذ باللحم فهي استعارة وكناية.

وقال لقمان لابنه: كل أطيب الطعام ونم على أوطأ الفراش، كنى عن إكثار الصيام وإطالة القيام فإذا أطال الصيام استطاب الطعام، وإذا أطال القيام استمهد الفراش.

ومن مليح التورية وعجيبها مع توخي الصدق في موطن الخوف قول أبي بكر الصدري رضي الله عنه وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رديفه عام الهجرة، فقيل له: من هذا يا أبا بكر؟ فقال: هذا رجل يهديني السبيل.

ومما يقارب هذه الكناية وليس هو بعينها أن أبا بكر رضي الله عنه مر به رجل ومعه ثوب فقال: أتبيعه؟ قال: لا رحمك الله، فقال أبو بكر: قد قومت ألسنتكم لو تستقيمون، ألا قلت: لا ورحمك الله؟ ومثله ما حكي أن المأمون قال ليحيى بن أكثم: هل تغديت؟ قال: لا وأيد الله أمير المؤمنين. فقال المأمون: ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها!وكان الصاحب يقول: هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ.

ومن الكناية قولهم: الرجال ثلاثة: سابق، ولاحق، وماحق. فالسابق الذي سبق بفضله، واللاحق الذي لحق بأبيه من فضه، والماحق الذي محق شرف آبائه.

روي أن عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة رفعت إليه وصية لرجل بما أمر أن يتخذ به حصونا، قال: اشتروا به خيلا للسبيل، أما سمعتم قول الجعفي: (من الكامل)

ولقد علمت على تجنبي الردى ... أن الحصون الخيل لا مدر القرى

قال أعرابي لأهله: أين بلغت قدركم؟ قالت: قام خطيبها، أرادت الغليان.

ونذكر هاهنا الألقاب والكنى التي اشتهر بها أربابها وغلبت على أسمائهم وأغنت عنها.

امرؤ القيس بن حجر: قيل له: الملك الضليل لأنه أضل ملك أبيه، ولقب ذا القروح لأن ملك الروم كساه حلة مسمومة فقرحته.." (١)

"فلما فتح الله على المسلمين حدثت أبي، فقال: قاتله الله! أبى إلا نفاقا، أفلسنا خيرا له من بني الأصفر!؟ ثم كان يأخذ بيدي فيطوف بي على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: حدثهم، فأحدثهم فيعجبون من نفاقه.

وروي أن أب سفيان دخل على عثمان . فقال: هل علينا من عين؟ فقال له عثمان: لا، فقال: يا عثمان، إن الأمر أمر عالمية؟، والملك ملك جاهلية، فاجعل أوتاد الأرض بني أمية.

وروي أنه دخل عليه فقال له: إن الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم فتلقفوها تلقف الكرة، فو الله ما من جنة ولا نار، هذا أو نحوه. فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل.

حدث أبو عبيدة أن معاوية وجه جيشا إلى بلاد الروم ليغزو الصائفة، فأصابهم جدري فمات أكثر المسلمين، وكان ابنه يزيد مصطحبا بدير مران مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرهم فقال: من البسيط:

إذا ارتفقت على الأنماط مصطبحا ... بدير مران عندي أم كلثوم

فما أبالي بما لاقت جموعهم ... بالقرقدونة من حم ومن موم

فبلغ شعره أباه فقال: أم والله ليلحقن بهم، فليصيبنه ما أصابهم، فخرج حتى لحق بهم، وغزا حتى لحق إلى القسطنطينية، فنظر إلى الديباج، فإذا كانت الحملة للمسلمين، ارتفع من إحداهما أصوات الطبول والدفوف، وإذا كانت الحملة للروم، ارتفع من الأخرى. فسأل يزيد عنهما، فقيل: هذه ابنة ملك الروم، وتلك ابنة جبلة بن الأيهم، وكل واحدة تظهر السرور بما تفعله عشيرتها. فقال: أم والله لأسرنهما. ثم كف العسكر، وحمل حتى هزم الروم فأحجرهم في المدينة، وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده، فهشمه حتى انخرق، فضرب عليه لوح من ذهب، فهو عليه إلى اليوم.

قال ميمون بن هارون: رأى الرشيد فيما يرى النائم امرأة تحمل كف تراب ثم قالت له: هذه التربة التي تدفن فيها فأصبح فزعا، فقص رؤياه، فقال له أصحابه: وما في هذا؟ قد يرى النائم أكثر من هذا وأغلظ، ثم لا يضر. فركب وقال: إني لأرى الأمر قريبا، فبينا هو يسير إذ نظر إلى امرأة واقفة من وراء شباك حديد تنظر إليه، فقال: هذه والله المرأة التي رأيتها، ولو رأيتها بين ألف امرأة ما خفيت علي، ثم أمرها أن تأخذ كف

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢٧/٣

تراب فتدفعه إليه، فضربت بيدها الأرض التي كانت عليها فأعطته منها كف تراب، فبكى وقال: هذه والله التربة التي رأيتها في منامي وهذه الكف بعينها، فمات بعد مدة، فدفن في ذلك الموضع بعينه، اشتري له ودفن فيه.

كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة في مجلسه، فناظر يوما بين يديه محمد بن العباس الصولي علي بن الهيثم في الإمامة، فتقلدها أحدهما ودفعه الآخر، فلجت المناظرة بينهما إلى أن نبط محمد عليا، فقال له علي: إنما تكلمت بلسان غيرك، ولو كنت في غير هذا المجلس لسمعت أكثر مما قلت.

فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قال، وما كان منه **من سوء الأدب** بحضرته، ونهض عن فرشه، ونهض الجلساء فخرجوا. فأراد محمد أن ينصرف، فمنعه صاحب المصلى وقال علي بن صالح: أفعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ونهض على الحال التي رأيت، ثم تنصرف بغير إذن منه؟ اجلس حتى نعرف رأيه فيك، وأمر بأن يحبس. ومكث المأمون ساعة ثم خرج، فجلس على سريره، وأمر بالجلساء فردوا إليه، فدخل إليه علي بن صالح، فعرفه ما كان من قول محمد والانصراف، وما كان من منعه إياه، فقال: دعه ينصرف إلى لعنة الله. فانصرف.

وقال المأمون لجلسائه: أتدرون لم دخلت إلى النساء في هذا الوقت؟ قالوا: لا، قال: إنه لما كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمن فلتات الغضب وله بنا حرمة فدخلت إلى النساء فعابثتهن حتى سكن غضبي.." (١)

"البحر : متقارب تام (أرى الناس في مصر شتى القلوب ** وإن جمعتهم عوادي النوب) (فكل له وجهة تستراد ** وكل له شأنه والأرب) (وبعض يمد حبال الرجاء ** وبعض يرى اليأس حقا وجب) ٤ (وهذا ينام على فضة ** وهذا يبيت ضجيع الذهب) ٥ (وهذا يطوف بأوراقه ** معني الأماني حثيث الطلب) ٦ (يريد الضياع بأقصى البقاع ** ولو خالط الشوك فيها الحطب) ٧ (وبات الفقير يريد الرغيف ** فيمعن من خيفة في الهرب) ٨ (إذا سأل القوت قالوا أساء ** وإن وصف الفقر قالوا كذب) ٩ (وإن قال يا رب أين القلوب ** أجاب الوعيد وهاج الغضب)٠ (وقالوا فقير يصك الوجوه ** بفحش المقال وسوء الأدب)

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٢٢/٣

". (١)

"وما وهم فيه المؤلفون في الموضع أنهم خلطوا التكميل بالتتميم، إذ ساقوا في باب التتميم شواهد التكميل، لأن كلا منهم ذكر قول عوف بن محلم السعدي سريع:

إن الثمانين وبلغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

من شواهد التتميم، ومعنى البيت تام بدون لفظة وبلغتها وإذا لم يكن المعنى ناقصا فكيف يسمى هذا تتميما!!، وإنما هو تكميل، وما غلطهم إلا من كونهم لم يفرقوا بين تتميم الألفاظ وتتميم المعاني، فلو سموا مثل هذا تتميما للوزن لكان قريبا، وإنما ساقوه على أنه من تتميم المعاني البديعة ولذلك أتوا بقول المتنبي طويل:

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب ... يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

في باب التتميم، وهو مثل الأول، وإن زاد على الأول أدنى زيادة، لما في لفظة حاشاك بعد ذكر الفناء من **حسن الأدب** مع الممدوح، وربما سومح بأن يجعل هذا البيت في شواهد التتميم لهذه الشبهة.

وأما الأول فمحض التكميل، ولا مدخل له في التتميم اللهم إلا أن يكون مرادهم بالتتميم تتميم الوزن، لا تتميم المعنى، فيجوز بهذا الاعتبار أن يسمى كل ماورد من الحشو الحسن سوءا كان متمما للمعنى أو مكملا تتميما، لأنه به تم الوزن، ويكون من قسم تتميم الألفاظ، وما قدمناه من تتميم المعاني.

ومن مليح التكميل قول النابغة الذبياني في وصف حمار وأتان وحشيين طويل:

فإن هبطا سهلا أثارا عجاجة ... وإن طلعا حزنا تشظت جنادل

فإنه لو اقتصر على وصف صلابة حوافرهما بالمشي في السهل كان المدح لهما غير كامل، حتى يصفهما بالمشي في الحزن، فلا جرم أنه لما أراد تكميل المدح وأوجبت عليه الصناعة أن يقول في عجز البيت: الحزن كما قال في صدره: السهل، فوصفهما بما يوجب لهما بلوغ الغاية في صلابة الحوافر هذا ما نقلته من كلام الناس على هذا البيت، وفيه ما فيه، لأن الاقتصار على وصفهما بالمشي في السهل، وهو يريد وصفهما بصلابة الحوافر، نقص تام في المعنى المراد، فبقية البيت على هذا تتميم لا تكميل.

والفرق بين التتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله، إذ كان الكمال أمرا زائدا على التمام.

والتتميم لا يكون إلا في المعاني دون الفنون، أعني بالمعاني معاني النفس، لا معاني البديع، التي هي

---

(١) ديوان أحمد محرم، ص/٢٩٣

أنواعه، وأعني بالفنون أغراض المتكلم ومقاصده، والتكميل يكون فيهما معا، هذا إذا لم يرد بالتتميم تتميم الوزن كما قدمت.

ومن أحسن التكميل تكميل وقع في قول شاعر الحماسة بسيط

لو قيل للمجد: حد عنهم وخلهم ... بما احتكمت من الدنيا لما حادا

فقوله: بما احتكمت من الدنيا، من التكميل العجيب، والله أعلم.

باب المناسبة." (١)

"ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى، لأن المدح إذا خرج مخرج المثل كان أسير في الأرض، وفي ضمن ذلك لهج الناس بالمدح الخارج مخرج المثل، وهذا البيت وإن نظر فيه إلى قول المتنبي بسيط

تمسي الأماني صرعى دون مبلغه ... فلا يقول لشيء ليت ذلك لي

فبيت ابن نباته أفضل من بيت المتنبي، لأنه **أحسن الأدب** مع ممدوحه، فلم يجعله في حيز من يتمنى شيئا، وجعل قدرته وجوده أصارا مادحة قد بلغ كل أمنيته فلم يبق له أمل: وإن كان في بيت المتنبي زيادة من جهة المبالغة في قوله: دون مبلغه واستعارة في اللفظ لقوله: تمسي الأماني صرعى ففي بيت ابن نباتة أن كل ما جعله المتنبي للممدوح، جعله ابن نباتة لشاعر الممدوح من نعمته وزيادة المبالغة في المدح بكونه أخرج المدح مخرج المثل كما بينا، فهو أسير وأبقى، وإذا أنصف الناظر في البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله في صدر بيت ابن نباتة لأن حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الأماني، وهذا قد استقل به صدر بيت ابن نباتة، والذي في صدر البيت هو الذي في عجزه لأنه ملزومه، أعني بيت المتنبي، وكله في قول ابن نباتة:

لم يبق جودك لي شيئا أؤمله

وعجز بيت ابن نباتة ملزوم صدره، لأن من نال كل أمل صحب الدنيا بلا أمل، غير أن ابن نباتة لكونه أخرج العجز مخرج المثل صار كأنه قد استأنف معنى آخر مستقلا بجميع معنى بيت المتنبي، مع كونه زاد بأن جعل للممدوح، حسن أدب معه، وبالغ بإخراج المدح مخرج المثل، فقد ترجح بيت ابن نباتة على بيت المتنبي من وجوه شتى، والله أعلم.

وقد يختلط على بعض الناس هذه الأبواب الأربعة، وهي باب الإيغال، والتكميل، والتمكين، والتذييل، وأنا أشير إلى الفرق بينها فأقول: الإيغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الروي وما يتعلق بها، وهو أيضا مما

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/٧٠

يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل وأما التمكين فيفارق هذه الأبواب مزن كونه عبارة عن استقرار القافية في مكانها، لكنها لا تزيد معنى البيت شيئا، ومتى حذفت القافية نقص المعنى، مع كونها غير نافرة من البيت، والتكميل وإن أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الإيغال من وجهين، أحدهما: كونه يأتي في الحشو والمقاطع، والإيغال التذييل لا يكونان إلا في المقاطع دون الحشو، والإيغال والتذييل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم، والتميل لا بد أن يأتي بمعنى يكمل الغرض المتقدم إما تكميلا بديعيا أو تكميلا عروضيا، لأنه يكون بمعنى البديع كمطابقة تكمل جناسا، أو مبالغة تكمل تشبيها، أو بالفنون، والفنون عند أهل الصناعة هي ما ينتجها المتكلم من الأغراض والمقاصد كالمديح، والهجاء، والرثاء، والفخر، والوصف، وغير ذلك، والتذييل يفارق الإيغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى إيغالا، آخذا في البيت من الجزء الذي هو الضرب إلى أول العجز والله أعلم.

باب المشاكلة

وهي أن يأتي المتكلم في كلامه أو الشاعر في شعره باسم من الأسماء المشتركة في موضعين فصاعدا من البيت الواحد، وكذلك الاسم في كل موضع من الموضعين مسمى غير الأول، تدل صيغته عليه بتشاكل إحدى اللفظتين الأخرى في الخط والفظ، ومفهومهما مختلف، ومن انشادات التبريزي في هذا الباب قول أبي سعيد المخزومي مديد:

حدق الآجال آجال ... والهوى للمرء قتال

وأنشد فيه قول الشماخ بسيط

كادت تساقطني والرحل أن نطقت ... ورقاء حين دعت ساقا على ساق

وقال التبريزي: فلفظة الآجال الأولى أسراب البقر الوحشية، والثانية منتهى الأعمال، وبينهما مشاكلة في الخط واللفظ، وكذلك ساق الأولى التي هي ذكر الحمام، والثانية التي هي ساق الشجرة، وعندي أن ما أنشده التبريزي في هذا الباب داخل في أحد قسمي التجنيس المماثل، والذي ينبغي أن تفسر به المشاكلة قولنا: إن الشاعر يأتي بمعنى مشاكل لمعنى في شعر غير ذلك الشعر، أو في شعر غيره بحيث يكون كل واحد منهما وصفا أو نسبا أو غير ذلك من الفنون، غير أن كل صورة أبرز المعنى فيها غير الصورة الأخرى، فالمشاكلة بينهما من جهة الغرض الجامع لهما، والتفرقة بينهما من جهة صورتيهما اللفظية، ومثال مشاكلة

الشاعر نفسه قول امرئ القيس في صفة الفرس طويل:
وقد أغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل." (١)

"وفي الناس من رزق بديهة حسنة، وحدة خاطر، ونفاذ طبع؛ وسرعة نظم، يرتجل القول ارتجالا، ويأتي به عفوا صفوا، فلا تقعد به عن قوم قد أتعبوا خواطرهم، وكدوا نفوسهم في التهذيب، وبذلوا جهدهم في التنقيح والتأديب واحذر إذا كاتبت من الإسراف في الشكر، فإنه إبرام يوجب للكلام ثقلا، ولا تطل الدعاء فإنه يورث مللا، ولا تجعل كلامك مبنيا على السجع كله، فتظهر عليه الكلفة، ويبين فيه أثر المشقة، ويتكلف لأجل السجع ارتكاب المعنى الساقط، واللفظ النازل، وربما اشتد عيب كلمة المقطع رغبة في السجع، فجاءت نافرة من أخواتها، قلقة في مكانها بل اصرف كل النظر إلى تجويد الألفاظ، وصحة المعاني، واجتهد في تقويم المباني، فإن جاء الكلام مسجوعا عفوا من غير قصد، وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان، وإن عز ذلك فاتركه وإن اختلفت أسجاعه، وتباينت في التقفية مقاطعة، فقد كان المتقدمون لا يحلفون بالسجع ولا يقصدونه بتة، إلا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام، واتفق عن غير قصد ولا اكتساب، وإنما كانت كلماتهم متوازنة، وألفاظهم متناسبة، ومعانيهم ناصعة، وعبارتهم رائقة وفصولهم متقابلة، وجمل كلامهم متماثلة، وتلك طريقة الإمام علي عليه السلام، ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام، كابن المقفع، وسهل بن هارون، وإبراهيم بن العباس، والحسن بن سهل، وعمرو بن مسعدة، وأبي عثمان الجاحظ، وغير هؤلاء من الفصحاء والبلغاء، ولا تجعل كل الكلام شريفا عاليا، ولا وضيعا نازلا، بل فصله تفصيل العقود، فإن العقد إذا كان كله نفيسا، لا يظهر حسن فرائده، ولا يبين كمال واسطته، وانظر إلى نظم القرآن العزيز كيف جمع طبقات البلاغة الثلاث، ليظهر فضل كل طبقة في بابها، وتبين محكم أسبابها، ويعلم أن أدناها بالنسبة إليها يعلو على أعلى الطبقات من كلام البلغاء، ويربى عليها، فإن الكلام إذا كان منوعا افتتنت الأسماع فيه، ولم يلحق النفوس ملل من ألفاظه ومعانيه، واعلم أن الألفاظ أجساد والمعاني أرواحا، فإذا قويت الألفاظ فقو المعاني، وإذا أضعفتها فأضعفها لتتوازن قوى الكلام، وتتناسب في الأفهام، واقصد القوافي السهلة المستحسنة، دون المستصعبة المستهجنة، والأوزان المستعملة الحلوة، دون المهجورة الكزة، فإن الشعر كالجواد، والقوافي حوافره، والألفاظ صورته، والمعاني سرعته، والأوزان جملته، واجعل كلامك كله كالتوقيعات، وعليك بالمقطعات فإنها في القلوب أحلى وأكمل، وفي المجالس أرشق وأجول، وبالأسماع أعلق، وبالأفواه أعبق، فإذا نثرت منظوما فغير قوافي شعره إلى قوافي سجعه، وإذا أخذت معنى

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/٧٨

بيت من بيت فتجنب الألفاظ جملتها ما استطعت، أو معظمها، وغيرا لوزن والقافية، وزد في معناه، وانقص من لفظه، واحترس مما طعن عليه به، لتكون أملك له من قائله وإن كان التفضيل قد يقع بغير ما ذكرت، ومما يقدم به المتكلم على غيره **حسن الأدب** مع الممدوح، كقول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة بن حمدان عفا الله عنه بسيط

لم يبق جودك لي شيئا أؤمله ... تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

فإنه **أحسن الأدب** مع ممدوحه، بخلاف المتنبي، فإن المتنبي قال في هذا المعنى بسيط

تمسي الأماني صرعى دون مبلغه ... فما يقول لشيء ليت ذلك لي

فإن المتنبي جعل ممدوحه ممن يصح منه التمني لو كانت بقيت له أمنيته. وابن نباتة جعل مادح ممدوحه لم تبق له أمنيته، ورفعه عن أن يكون هو ممن يصح أن يتمنى شيئا، فكل ما جعله المتنبي لممدوحه، جعله ابن نباتة لشاعر ممدوحه، وهذا الأدب من قول الله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: " الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين " فأسند أفعال الخير كلها لله، وأسند فعل الشر لنفسه، حسن أدب مع ربه. صلى الله عليه وسلم.." (١)

"ومثل ذلك قوله تعالى: " ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى " مقتضى الصناعة أن يؤتى بتجنيس الازدواج في صدر الآية، كما أتى به في عجزها، لكنه منع منه توخي التأديب والتهذيب في نظم الكلام، وذلك أنه لما كان الضمير الذي في " ليجزي " عائدا على الله سبحانه، وجب أن يعدل عن لفظ المعنى الخاص إلى ردفه، حتى لا تنسب السيئة لله تعالى، فقال سبحانه في موضع .. " بالسيئة " " بما علموا " فعوض عن تجنيس المزاوجة الإرداف، لما في الإرداف من **حسن الأدب** مع الله تعالى، ليعلمنا ذلك، ولما كان قوله تعالى " وجزاء سيئة سيئة مثلها " قد أمن فيه هذا المحذور، أتى الكلام فيه على مقتضى الصناعة، والله أعلم.

ومن أحسن ما وقع في هذا قوله تعالى: " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار " لأنه سبحانه أدمج وهو أعلم في هذا الكلام وصف نفسه بالعدل فعلق فن الفخر بفن الأدب، إذ ظاهر الآية التأدب والموعظة، ووصف نفسه تعالى بالعدل فخر متعلق بذلك، مع ما في لفظ هذا الكلام من الملاءمة التي حصل بها ائتلاف اللفظ بالمعنى ،لأن الركون إلى الظالم دون فعل الظالم نفسه، ومس النار دون إحراقها والدخول فيها، والعدل يقتضي أن يكون العقاب على قدر الذنب، فكان ذلك المساس ملائما للركون دون غيره،

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/٨٦

فانظر ما انطوى عليه نظم هذه الألفاظ السبع من المعاني، وأنواع البديع، والائتلاف الذي دلت عليه الملاءمة، والإدماج، والتعليق والافتنان، والبسط، إذ عدل عن قوله " إلى الظالمين " إلى قوله " إلى الذين ظلموا " لما يحتمل الأول من الاستمرار في الظلم على سبيل الندور، ليلائم المعنى لفظ الركون ولفظ المساس، والمبالغة، لأنه إذ نهى عن الركون إلى من وقع منه الظلم في وقت دون وقت كان النهي عن الركون لمن استمر منه الظلم بطريق أولى، لترى ما تحت نظم هذا الكتاب العزيز من الخبايا التي هذا بعضها. وما خفي منها أكثر مما ظهر، والله أعلم.

وإذا تقاربت الديار، تقاربت الأفكار، ولهذا قيل: الشعر محجة يقع فيها الخاطر على الخاطر، كوقوع الحافر على الحافر. واعلم أن من الناس من شعره في البديهة أبدع منه في الروية، ومن هو مجيد في رويته وليست له بديهة، وقلما يتساويان، ومنهم من إذا خاطب أبدع، وإذا كاتب قصر، ومنهم من بضد ذلك، ومن قوى نظمه ضعف نثره، ومن قوى نثره ضعف نظمه، وقلما يتساويان، وقد يبرز الشاعر في معنى من معاني مقاصد الشعر دون غيره من المقاصد، ولهذا قيل: أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، وعنترة إذا كلب، والأعشى إذا طرب.

وإياك وتعقيد المعاني بسوء التركيب، واستعمال اللفظ الوحشي، فإن خير الكلام ما سبق معناه إلى القلب، قبل وصول جملته إلى السمع، فإن علي بن عيسى الرماني ذكر أن أسباب الإشكال ثلاثة وكلها تغير الكلام عن الأغلب، كالتقديم، والتأخير، وسلوك الطريق الأبعد، وإيقاع المشترك وقد جمع هذه الأسباب الثلاثة قول الفرزدق طويل:

وما مثله في الناس إلا مملك ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

فإن الممدوح: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، خال هشام ابن عبد الملك، فأبو أم هشام بن عبد الملك وهو المملك أبو إبراهيم ابن هشام بن إسماعيل المخزومي، فجد المملك وهو المملك لأمه أبو الممدوح، فالممدوح على هذا خال المملك، وحاصل معنى هذا البيت: وما مثل هذا الممدوح إلا ابن أخته، وأما التقديم والتأخير مع قوله وما مثله البيت فإن صحته وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه، فلما قدم وأخر حصل التعقيد. وأما سلوك الطريق الأبعد، فقوله: أبو أمه أبوه، وكان يجزئه قوله: جده أبوه. وأما المشترك ففي قوله حي لصلاحية اللفظ لضد الميت، وللقبيلة. انتهى كلام الرماني.

وليكن كلامك سليما من التكلف، بريئا من التعسف، وليحط لفظك بمعناك، وتشتمل عبارتك على مغزاك، واحذر الإطالة إلا فيما تحمد فيه، فإن البلاغة لمحة دالة، وقيل: سرعة جواب في صواب، وقيل: أن تقول

فلا تبطئ، وأن تصيب فلا تخطئ، والصحيح من حدها أنها إيضاح المعنى بأقرب الطرق أسهلها، وإذا روعي الاشتقاق فيها قيل في حدها: هي بلوغ المتكلم بعبارته أقصى ما في نفسه، وإيصال ذلك لمخاطبه بأقرب الطرق وأسهلها والعي إكثار من مهدار، وإخطاء بعد إبطاء، كما جاء في المثل: " سكت ألفا ونطق خلفا " .." (١)

" وما أحلى ما ناسب ابن هانئ قسمي مطلعه بالاستعارات الفائقة حيث قال

(بسم الصباح لأعين الندماء ... وانشق جيب غلالة الظلماء)

وقال الشريف أبو جعفر البياضي يشير إلى الرفق بالإبل عند السرى وتلطف ما شاء في تناسب القسمين حيث قال

(رفقا بهن فما خلقن حديدا ... أو ما تراها أعظما وجلودا)

وهذه القصيدة طريقها الغريب لم يسلكها غيره فإنه نسجها جميعها على هذا المنوال ومنها

(يفلين ناصية الفلا بمناسم ... وسم الوجا بدمائهن البيدا)

(فكأنهن نثرن درا بالخطا ... ونظمن منه بسيرهن عقودا)

ومما يعذب في الذوق من هذا الباب قول ابن قاضي ميلة

(يزيد الهوى دمعي وقلبي المعنف ... ويحيي جفوني الوجد وهو المكلف)

وقد نبه مشايخ البديع على يقظة الناظم في حسن الابتداء فإنه أول شيء يقرع الأسماع ويتعين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين وتفقد ما يكرهون سماعه ويتطيرون منه ليتجنب ذكره ويختار لأوقات المدح ما يناسبها

وخطاب الملوك في حسن الابتداء هو العمدة في **حسن الأدب** فقد حكي أن أبا النجم الشاعر دخل على هشام بن عبد الملك في مجلسه فأنشده من نظمه

(صفراء قد كادت ولما تفعل ... كأنها في الأفق عين الأحول)

وهشام بن عبد الملك أحول فأخرجه وأمر بحبسه

وكذلك اتفق لجرير مع أبيه عبد الملك فإنه دخل عليه وقد مدحه بقصيدة حائية أولها

(أتصحو أم فؤادك غير صاح ...)

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/٨٧

فقال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة ." (١)

" فإنه استوفى ما أراده من المدح في الشطر الأول ثم احتاج إلى تتميم البيت وأراد إتمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحسانا وتوكيدا فأخرجه مخرج المثل السائر حيث قال تركتني أصحب الدنيا بلا أمل ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى لأن المدح إذا خرج مخرج المثل كان أسير في الأرض

قال ابن أبي الأصبع هذا البيت إن نظر فيه إلى قول أبي الطيب المتنبي

(تمسي الأماني صرعى دون مبلغه ... فما يقول لشيء ليت ذلك لي)

فبيت ابن نباتة أفضل من بيت المتنبي لأنه **أحسن الأدب** مع ممدوحه إذ لم يجعله في حيز من يتمنى شيئا وجعل في قدرته وجوده ما يبلغ مادحه كل أمنية فلم يبق له أمل وإن كان في بيت المتنبي زيادة من جهة المبالغة في قوله دون مبلغه واستعارة في اللفظ بقوله تمسي الأماني صرعى ففي بيت ابن نباتة أن كل ما جعله المتنبي لممدوحه جعله ابن نباتة لمادحه مع زيادة المبالغة في المدح بكونه أخرجه مخرج المثل السائر كما بينا فهو أشهر وأسير وأبقى

وإذا تأمل الناظر في البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله في صدر بيت ابن نباتة لأن حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الأماني وهذا قد استقل به صدر بيت ابن نباتة والعجز ملزوم صدره لأن من نال كل أمل صحب الدنيا بلا أمل غير أن ابن نباتة لكونه أخرج العجز مخرج المثل صار كأنه استأنف معنى آخر مستقلا بجميع معنى بيت المتنبي مع كونه زاد بأن جعل للمادح ما جعله المتنبي للممدوح وهذا غاية في **حسن الأدب**

وقد ترجح بيت ابن نباتة على بيت المتنبي من وجوه

انتهى كلام ابن أبي الأصبع في النقد الحسن الذي قرره على بيت أبي الطيب وبيت ابن نباتة

وقد يختلط على بعض الناس هذه الأبواب الأربعة وهي باب الإيغال والتذييل والتمكين والتكميل

والفرق ظاهر فإن الإيغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الروي وما يتعلق به وهو أيضا مما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل

وأما التمكين فليس له مدخل في هذه الأبواب لأنه عبارة عن استقرار القافية في مكانها لأنها لا تزيد معنى البيت بل إذا حذفت نقص معنى البيت لأنها ممكنة في قواعده

---

(١) خزانة الأدب، ٢١/١

وأما التكميل فإنه وإن أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الإيغال والتذييل من وجهين أحدهما كونه يأتي في الحشور والمقاطع والإيغال والتذييل لا يكونان إلا في المقاطع دون الحشو ." (١)

"كأني بمتأمل نظر في رسم كتابة هذا الزجل فأنكره لبعده عن رسم الألفاظ المعربة الخالية من اللحن ويعذر في ذلك لأنه ليس له إلمام بمصطلح رسمه ومن رسمه على غير هذا الطريق لم ينفذ له مرسوم فإنه يؤديه إلى خطأ وزنه وإعراب لحنه

ومصنفه أبو بكر بن يحيى بن قرمان الوزير قال في خطبته وقد جردته من الإعراب تجريد السيف من القراب

ولم يطلب من الزجل غير عذوبة ألفاظه وغرابة معانية

انتهى

ومن التواجيه اللطيفة في الطب ما اتفق أن بعض الملوك خرج لقتال أعدائه فأيده الله بنصره فطلب كاتب إنشائه ليكتب على الفور حكاية الحال فتعذر وجوده في ذلك الوقت فطلب طبيبه وأمر بالكتابة بسرعة وكان الطبيب حاذقا فكتب موجها في صناعته

أما بعد فإنا كنا مع العدو في حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لم يقع إلا على قيفال ولم يكن إلا كجس نبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم

فهلك بسعادتك يا معتدل المزاج

وكان أبو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامي وسراج الدين الوراق لم يخرجوا عن هذا النوع في غالب نظمهم ويأتي الكلام على ذلك في مواضعه من باب التورية وأما توجيه أسماء أنواع البديع فهو نسيج وحده وواسطة عقده

وما ذاك إلا أنه رسم لي بإنشاء توقيع المقر الأخوي الزيني عبد الرحمن بن الخراط الشافعي أحد أعيان العصر في الأدب بكتابة السر بثغر طرابلس وأنا منشئ ديوان الإنشاء الشريف المؤيدي بالديار المصرية فقصدت التوجيه بالأنواع المذكورة لتحصل الملاءمة ومراعاة النظير بذلك فإن صاحب التوقيع من المتميزين على كلا الحالين **بحسن الأدب** فمن ذلك قولي في فصل التعدية وبعد فمنهل إنعامنا الشريف قد حلينا لأهل الأدب مورده لتصير عقود إنشائنا بجواهر منثورة منضده وتطلع كل براعة باستهلالها في أشرف المطالع وتسكن النزاهة طباق البديع للمقابلة فيتنزه الناظر والسامع ويقوم الاستخدام بما يجب عليه من واجب

---

(١) خزانة الأدب، ٢٤٤/١

الخدمة ويزيل الاقتباس بنوره عن أهلته كل ظلمة وتجول خيول الاستطراد في رد العجز على صدره ويحصل لأهل الأدب في زماننا تمكين فيظهر الافتنان في نظمه ونثره ويصير لفقه المذهب الكلامي في أيامنا الشريفة ترشيح ومماثلة ومناسبة ويبرز في توشيح التسليم من غير اعتراض مناقضة ومواربة ويجنح العصيان إلى الدخول تحت الطاعة ويسمع القول بموجبه من غير مراجعة في كل براعة ويزول التجاهل بالعارف ويصير التسجيع والموازنة عند إيجازه بالمواقف ." (١)

" طالما بلدا لبيدا وولى منه شعر ابن مقبل شريدا وقالت الآداب لبحتري لفظه ألم نربك فينا وليدا وإن نثر فما الدر اليتيم إلا تحت حجره ولا الزهر النضير إلا ما ارتضع من أخلاف قطره ولا المترسلون إلا من تصرف في ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره وإن تكلم على فنون الأدب روى الظما وجلا معاني الألفاظ كالدمى وقالت الأعاريض لابن أحمد وله خليلي هبا بارك الله فيكما

هذا وكم أثنى قديم علم الأوائل على فكره الحكيم وشهدت رواية الحديث النبوي بفضله وما أعلى من شهد بفضله الحديث والقديم

بدأتني أعزك الله من الوصف بما قل عن مكاني وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني وحملت كاهلي من المنن ما لم يستطع وضربت لذكري في الافاق نوبة خليلية لا تنقطع وسألتني مع ما عندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها وثمر من غرسها أن أجيبك وأجيزك وأوزان بمثقال كلمي الحديد إبريزك وأقابل لسانك المطلق بلساني المحصور وأثبت استدعاءك على بيت مال نطقي المكسور فتحيرت بين أمرين أمرين ووقع ذهني السقيم بين داءين مضرين إن فعلت ما أمرت به فما أنا من أرباب هذا القدر العالي والصدر الحالي ومن أنا من أبناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز وكيف أطالب مع إقتار علمي بأن أمدح وأجيز وإني لمقيد خطوي هذه الوثبات وأنى يماثل قوة هذا الغرس ضعف هذا النبات

وإن منعت فقد أسأت الأدب والمطلوب حسن الأدب مني وأهملت الطاعة التي أقرع بعدها برمح القلم سني وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الأفق وقال قطني ثم ترجح عندي أن أجيب السؤال وأقابل بالامتثال صابرا على تهكم سائلي معظما قدري كما قيل بتعاقلي منقادا إلى جنة استدعائك من السطور بسلاسلي وأجزت لك أن تروي عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور ومنظوم ومنثور وإجازة ومناولة ونقل وتصنيف وتنضيد وتفويف وماض ومتردد وآت على رأي بعض الرواة ومتجدد وجميع ما تضمنه استدعاؤك فاجمع ما يكون من لفظه المتبدد كاتبا لك بذلك خطي مشترطا عليك الشرط المعتبر فليكن

---

(١) خزانة الأدب، ٣١٦/١

قبولك يا عربي البيان جواب شرطي ذاكرا من لمع خبري ما أبطأت بذكره وأرجو أن أبطىء ولا أخطي ." (١)

"وقال مسعر بن كدام: رحم الله من أهدى إلى عيوبي في ستر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع.

قال الأحنف: لأن أدعى من بعد أحب إلي من أن أقصى عن قرب.

وعن الأحنف أيضا أنه قال: ما جلست مجلسا قط، أخاف أن أقام منه لغيري وقال البعيث بن حريث:

؟وإن مكاني في الندى ومجلسي له الموضع الأقصى إذا لم أقرب

ولست وإن قربت يوما ببائع ... خلاقي ولا ديني ابتغاء التحبب

ويعتده قوم كثير تجارة ... و يمنعني من ذاك ديني ومنصبي

جلس رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، فقال: جلست إلينا على حين قيام، أفتأذن؟! كان يقال:إياك وكل جليس لا تصيب منه خيرا.

وعن معاذ بن جبل، أنه قال: إياك وكل جليس لا يفيدك علما.

كان يقال: من سره أن يعظم حلمه ، وينفعه علمه، فليقل من مجالسته من كان بين ظهرانيه. وقال الحسن البصري: انتقوا الإخوان، والأصحاب، والمجالس.

وروى هشام بن عروة ،عن محمد بن المنكدر، قال :كان يقال: خياركم ألينكم مناكب في الصلاة، وركنا في المجالس، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون.

تباعد كعب الأحبار يوما في مجلس عمر بن الخطاب، فأنكر ذلك عليه، فقال: يا أميرالمؤمنين! إن في حكمة لقمان ووصيته لابنه : إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل، فلعله يأتيه من هو آثر عنده منك فينحيك فيكون نقصا عليك.

وكان يقال: الجليس الصالح خيرمن الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء.

وعن جعفر بن سليمان الضبعي، قال: رأيت مع مالك بن دينار كلبا، فقلت له: ما هذا؟ قال هذا خير من الجليس السوء.

قال زياد: إنه ليعجبني من الرجال من إذا أتى مجلسا أن يعرف أين يكون مجلسه، وإني لآتي المجلس، فأدع مالي مخافة أن أدفع عما ليس لي.

---

(١) خزانة الأدب، ١٣٢/٢

وكان الأحنف إذا أتاه رجل أوسع له، فإن لم يكن له سعة أراه كأنه يوسع له.

طرح أبو قلابة لجليس له وسادة، فردها فقال له: أما سمعت الحديث: " لا تردن على أخيك كرامته " .

قال ابن شبرمة لابنه: يا بني! إياك وطول المجالسة، فإن الأسد إنما يجترىء عليها من أدام النظر إليها.

وهذا عندي مأخوذ من قول أردشير لابنه: يابني لا تمكن الناس من نفسك فإن أجرأ الناس على السباع، أكثرهم لها معاينة. ومن هذا – والله أعلم – أخذ ابن المعتز قوله:

رأيت حياة المرء ترخص قدره ... فإن مات أغلته المنايا الطوائح

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله ... كذا تخلق المرء العيون اللوامح

ومن سوء الأدب في المجالسة: أن تقطع على جليسك حديثه، أو تبدره إلى تمام ما ابتدأ به خبرا كان أو شعرا، تتم له البيت الذي بدأ به، وتريه أنك أحفظ منه. فهذا غاية في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه.

قيل لداود الطائي: لم تركت مجالسة الناس؟ قال: ما بقي إلا كبير يتحفظ عليك، أوصغير لا يوقرك.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: لا تجالس عدوك، فإنه يحفظ عليك سقطاتك ويماريك في صوابك.

قالت الخنساء:

إن الجليس يقول القول تحسبه ... خيرا وهيهات فانظر ما به التمسا

كان يقال: رأس التواضع، الرضا بالدون من المجلس. وهذا يروى عن ابن مسعود أنه قال:إن من التواضع أن ترضى بالدون من المجلس، وأن تبدأ بالسلام من لقيت.

قال إبراهيم النخعي إن الرجل ليجلس مع القوم فيتكلم بالكلام، يريد الله به، فتصيبه الرحمة فتعم من حوله، وإن الرجل يجلس مع القوم فيتكلم بالكلام يسخط الله به، فتصيبه السخطة فتعم من حوله.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما في مجلسه، فرفع رأسه إلى السماء ثم طأطأه ثم رفعه فسئل عن ذلك فقال: " هؤلاء قوم كانوا يذكرون الله فنزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة كالقبة، فلما دنت منهم تكلم رجل منهم بباطل فرفعت عنهم ثم تلا: " ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون " .." (١)

"وعنه عليه السلام أنه قال: " أفضل الكسب كسب الصانع إذا صحح " .

وقال عليه السلام: " التجار هم الفجار إلا من بر وصدق " .

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/٤

وقال عليه السلام: " التاجر الأمين الصدوق مع الشهداء يوم القيامة " .

وقال صلى الله عليه وسلم: " يا معشر التجار؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟!؟؟ ؟؟؟؟إن بيعكم هذا يشوبه الحلف، فشوبوه بالصدقة " . وقال صلى الله عليه وسلم: " الجالب مرزوق والمحتكر ملعون " .

أو قال " ..مذموم " .

وقال صلى الله عليه وسلم: " تسعة أعشار الرزق في التجارة، والعشر في السابياء " .

وقال عليه السلام: " اللهم بارك لأمتي في بكورها " .

وروي عنه عليه السلام أنه قال: " من أشراط الساعة، أن يرفع العلم، ويقبض المال ، ويظهر القلم، وتكثر التجار " .

وقال صلى الله عليه وسلم: " من استقالة أخوه المسلم في بيع باعه منه، فأقاله أقاله الله من عثرته يوم القيامة " .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :فرقوا بين المنايا، واجعلوا الرأس رأسين.

وقال عمر: بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك.

وقال ابن شهاب:مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي وهو يبيع مسومة فقال: " عليك بأول سومة، أو بأول سوم، فإن الربح مع السماح " .

قيل للزبير رحمه الله: بم بلغت هذا المال؟ قال: إني لم أرد ربحا، ولم أشتر عيبا.

كان يقال: الأسواق موائد الله في الأرض ، فمن أتاها أصاب منها.

قال خالد بن صفوان: في التجار لؤم الطبائع، وعي اللسان، وموت القلب، وسوء الأدب، وقصر الهمة، والاشتمال على كل بلية.

اشترى أعرابي جملا فندم عليه في شرائه، فجعل يصعد النظر فيه،ويصوبه ليجد ما يتوصل به إلى رده فقال البائع: من طلب عيبا وجده.

يقال: الغبن في شيئين، في الرداءة أو الغلاء، فإذا استجدت فقد سلمت من أحدهما.

قال الراجز:

ما أرخص الغالي إذا كان حسن

وقال محمود الوراق:

وإذا غلا شيء علي تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

قال معاوية – رحمه الله – لقوم: ما تجارتكم؟قالوا: بيع الرقيق قال: بئس التجارة ضمان نفس، ومئونة ضرس.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا اشتريت بعيرا فاشتره ضخما، فإن لم توافق كرما، وافقت لحما.

ودخل مالك بن دينار السوق فجلس إلى قوم يحدثهم، فقال: كيف سوقكم؟ قالوا: كاسدة. قال:غششتم. قال: وكيف متاعكم؟ قالوا:رديء قال: كذبتم. قال:وكيف كثرته؟ قالوا:قليل. قال:حلفتم.

كان عبد الله بن مسعود يقول: عجبا للتاجر كيف يسلم إن باع مدح، وإن اشترى ذم.

قال سعيد بن المسيب: إذا أبغض الله عبدا جعل رزقه في الصياح.يعني – والله أعلم – من لا صناعة له إلا النداء لغير صلاة محترسا بالليل وبراحا بالنهار. ونحو هذا عن الفضيل بن عياض، وزاد كالملاحين ودونهم، ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل.

قال ابن عباس: من اشترى ما ل ا يحتاج إليه يوشك أن يبيع ما يحتاج إليه.

قال المغيرة بن حبناء:

وما كل حين يصدق المرء ظنه ... ولا كل أصحاب التجارة يربح

ولابن شهاب الزهري:

ألا كل من يهدي له البيع يرزق ... وقد يصلح المال اليسير الموفق

ولمنصور الفقيه:

بنيتي لا تجزعي واصبري ... عساك بصبرك أن تظفري

فلو نال يوما أبوك الغنى ... كساك الدبيقي والتستري

ولكن أبوك ابتلي بالعلوم ... فما إن يبيع ولا يشتري

باب الرزق

قال الله عز وجل: " نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا " الآية.

وقال: " والله فضل بعضكم على بعض في الرزق " .

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة تقول: اللهم متعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعوت الله لآجال معلومة وأرزاق مقسومة " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أبى الله أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون " .

وقال عليه السلام: " استنزلوا الرزق بالصدقة " .

وقال عليه السلام: " ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا ينال ما عنده بما يكره، اتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم " .." (١)

"وروى هارون بن موسى الأعور عن سالم العلوى ، قال : قال لي الحسن : خل بين الناس وبين هلالهم حتى يراه معك غيرك.

وكان شعبة يقول : سالم العلوي يرى الهلال قبل الناس بليلتين.

قال الخليل بن أحمد : الناس في سجن ما لم يمازحوا.

مزح الشعبي يوما ، فقيل له : يا أبا عمرو أفتمزح ؟ قال : إن لم يكن هذا متنا من الغم ، داخل ، وهواء خارج.

كان محمد بن سيرين يداعب ويضحك حتى يسيل لعابه ، فإذا أردته على شئ من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك.

أتت ابن سيرين امرأة الفرزدق شاكية ، فلما خرجت تمثل :

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا ... ولو رضيت زب استه لاستقرت

قيل لابن سيرين : إن قوما يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء ، فعجب من جهلهم ، وكان في المسجد ، فتمثل :

نبئت أن فتاة كنت أخطبها ... عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحا لصلاته.

وقال شعبة : أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مرة بيت شعر غزل ، ثم افتتح الصلاة ، وكان إمامهم.

وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض ، واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء.

كان يقال : لكل شئ بدء ، وبدء العداوة المزاح.

كان يقال : لو كان المزاح فحلا ، ما ألقح إلا الشر.

قال سعيد بن العاص : لا تمازح الشريف فيحقد ، ولا الدنيء فيجترئ عليك.

قال ميمون بن مهران : إذا كان المزاح أمام الكلام فآخره الشتم واللطام.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/٢٤

قال جعفر بن محمد : إياكم والمزاح ، فإنه يذهب بماء الوجه.

كان خالد صفوان يكره المزاح ، ويقول : يسعط أحدهم أخاه بأحر من الخردل ويضحكه بأصلب من الجندل ، ويفرغ عليه أشد من إلى المرجل ، ويقول : مازحته.

قال إبراهيم ال نخعي : لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر.

قال أبو هفان :

مازح صديقك ما أحب مزاحا ... وتوق منه في المزاح جماحا

فلربما مزح الصديق بمزحة ... كانت لباب عداوة مفتاحا

وقال ابن وكيع :

لا تمزحن فإن مزحت فلا يكن ... مزحا تضاف به **إلى سوء الأدب**

واحذر ممازحة تعود عداوة ... إن المزاح على مقدمة الغضب

ولأبي جعفر محمد بن جرير الطبري :

لي صاحب ليس يخلو ... لسانه عن جراح

يجيد تمزيق عرضي ... على سبيل المزاح

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إياكم وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه " .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من كثر ضحكه استخف به وذهب بهاؤه.

وقال غيره من الحكماء : إياك والمشي في غير أرب ، والضحك من غير سبب.

قال قتيبة بن مسلم لبنيه : لا تمازحوا فيستخف بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فترق أخلافكم ، ولا تبخلوا فيزدريكم أكفاؤكم.

قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن علي بن المعتصم :

الكبر ذل والتواضع رفعة ... والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص ذل والقناعة عزة ... واليأس من صنع الإله قنوط

وقال آخر :

فإياك إياك المزاح فإنه ... يجرى عليك الطفل والدنس النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورثه من بعد عزته ذلا

وقال آخر :

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه ... وأحسن الصدق عند الله والناس

وقال آخر :

للجد ما خلق الإنسان فالتمسن ... بالجد حظك لا بالهزل واللعب

لا يلبث الهزل أن يجنى لصاحبه ... ذما ، ويذهب عنه بهجة الأدب

لا خير في الهزل فاتركه لقائله ... واهرب بعرضك منهم أوشك الهرب

وقال محمود الوراق :

تلقى الفتى يلقى أخاه وخدنه ... في لحن منطقه بما لا يغفر

ويقول كنت ممازحا وملاعبا ... هيهات نارك في الحشا تتسعر

ألهيتنا وطفقت تضحك لاهيا ... عما به وفؤاده يتفطر

أو ما علمت ومثل جهلك غالب ... أن المزاح هو السباب الأكبر

فهؤلاء كرهوا المزاح وذموه ، ولم يستثنوا منه قليلا من كثير ، وأما منصور الفقيه فنهى عن الإكثار منه ، فقال :." (١)

"فلم أر ديباجا ولم أر سندسا ... بأحسن في بيت الكريم من الخبز

وقال آخر:

فكم من أكلة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر

وكم من طالب يسعى لشيء ... وفيه هلاكه لو كان يدري

قال المأمون: سبعة أشياء لا تمل، أكل خبز البر، وشرب ماء العنب، وأكل لحم الضان، والثوب اللين، والرائحة الطيبة، والفراش الوطئ، والنظر إلى كل شيء حسن. فقال له الحسن ابن سهل: أين محادثة الإخوان يا أمير المؤمنين؟ قال: هن ثمان وهي أولهن.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يرويه عن علي، أنه قال: لا يقام عن الطعام حتى يرفع.

قال ابن عباس: من السنة إذا دعوت أحدا إلى منزلك أن تخرج معه حتى يخرج.

روى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، أنه قال: رب البيت آخر من يغسل يديه.

وقال أبو الزناد: من إكرام الضيف **وحسن الأدب** في مؤاكلته، أن تغسل يديك قبله أولا، وبعده آخرا.

لعبد الله بن المبارك، وتمثل بها المأمون:

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٢٥

احضر طعامك وابذله لمن أكلا ... واحلف على من أبى، واشكر لمن فعلا
ولا تكن سابري العرض محتشما ... من القليل، فلست الدهر محتفلا
وقال آخر في ذم الشراب:
لا تفتكن على الكؤوس بشربها ... فهي التي بك عن قليل تفتك
يكفيك منها أن عقلك تارة ... يبكي عليك، وأن جهلك يضحك
وقال آخر:
وإني لأستحيي أكيلي أن يرى ... مكان يدي من جانب الزاد أقرعا
أبيت هضم الكشح مضطمر الحشا ... من الجوع أحشى الذم أن أتضلعا
وإنك إن أعطيت بطنك سؤله ... وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا
وقال كعب بن سعد الغنوي:
وزاد رفعت الكف عنه تجملا ... لأوثر في زادي على أكيلي
وما أنا للقول الذي ليس نافعي ... ويغضب منه صاحبي بقؤول
باب النوم وتصرف المعاني فيه
روى أن المسيح عليه السلام قال: خلقان أكرههما، النوم من غير سهر، والضحك من غير عجب، والثالثة وهي العظمى: إعجاب الرجل بعلمه.
قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: إياك وكثرة النوم، فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم.
قال لقمان لابنه: يا بني! إياك وكثرة النوم والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق.
كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله: بلغني أنك لا تقيل، وإن الشياطين لا تقيل.
قال علي: من الجهل النوم في أول النهار من غير سهر، والضحك من غير عجب، والقائلة تزيد في العقل.
قال عبد الله بن مسعود: النوم – عند الموعظة من الشيطان – .
قال عبد الله بن عمرو بن العاص: النوم على ثلاثة أوجه، نوم خرق، ونوم خلق، ونوم حمق. فأما النوم الخرق، فنومة الضحى، يقضى الناس حوائجهم وهو نائم، وأما نوم الخلق، فنوم القائلة نصف النهار، وأما نوم الحمق، فالنوم حين تحضر الصلوات.
قال غيره: نوم أول النهار خرق، ونوم القائلة خلق، ونوم العشى حمق، والنوم بين العشاءين يحرم الرزق.

قيل لأعرابي: ما يدعوك إلى نومه الضحى؟ قال: مبردة في الصيف، مسخنة في الشتاء.
قال بعض العلماء: النعاس يذهب العقل، والنوم يزيد فيه.
قال عبد الله بن شبرمة: نوم نصف النهار يعدل شربة دواء، يعني في الصيف.
قال عباس بن الأحنف:
قالوا: تنام، فقلت: الشوق يمنعني ... من أن أنام وعيني حشوها السهد
أبكي الذين أذاقوني مودتهم ... حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
هم قد دعوني فلما قمت مقتضيا ... للجب نحوهم من قربهم، بعدوا
لأخرجن من الدنيا وحبهم ... بين الجوانح لم يشعر به أحد
كان يقال: لإبليس لعوق وكحل وسعوط، فلعوقه الكذب، وكحله النعاس عند سماع الخير، وسعوطه الكبر.
قال علي بن الجهم، يهجو قوما:
أكثر ما يعرفه القوم ... الأكل والراحة والنوم." (١)

"بحق لا إله إلا الله
أعوذ بالرحمن من جهد البلا
وكل داء ومقام أعضلا
وهلع وجزع ان نزلا
جبلة المرء اذا عناه
بحق لا إله إلا الله
أعوذ بالرحمن من كيد الفتن
والهم والغم وارهاق الحزن
والاثم والبغي وطارق المحن
سبحانه يكفي من استكفاه
بحق لا إله إلا الله
أعوذ بالله من الرجس اللعين
وهمزه وكيده في كل حين

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٩١

أنت على جهاده نعم المعين

احفظني الله من قواه

بحق لا إله إلا الله

أعوذ بالله الرشيد الأمر

من وطئة الشر وحمل الاصر

والكفر والفقر وضيق الصدر

ومن عذاب القبر يا الله

بحق لا إله إلا الله

أعوذ بالله جميل الستر

من مسه الضر وحال الخسر

وموقف الخزي وعقبى المكر

ودعوة المظلوم يا غوثاه

بحق لا إله إلا الله

أعوذ بالله من التعدي

حدوده والزيغ والتردي

والرد عن أبوابه والطرد

مصائب يصرفها الاله

بحق لا إله إلا الله

أعوذ بالله من المداهنة

فيه وحال في المعاصي راهنه

وقومة في قرباتي واهنه

ما أو ه ن العبد بما عناه

بحق لا إله إلا الله

أعوذ بالرحمن **من سوء الأدب**

والاتكال دونه على سبب

أعوذ بالرحمن من طرق الريب
لا شك في الله تعالى الله
بحق لا إله إلا الله
أعوذ بالله من السآمه
في الخير والحسرة والندامة
ومعقبات الخزي في القيامه
لا تخز هذا العبد في عقباه
بحق لا إله إلا الله
أعوذ بالله من الشنار
والعار والنار وهضم الجار
والمنتهي لغضب الجبار
أجارنا الله حمانا الله
بحق لا إله إلا الله
أعوذ بالله من القرار
بلحظة في الليل والنهار
في كل اطواري إلى الآثار
معترف لله ما سواه
بحق لا إله إلا الله
أعوذ بالله من الركون
لغيره في سائر الشئون
تلك لعمري صفقة المغبون
من عرف الله كفاه الله
بحق لا إله إلا الله
أعوذ بالله من الشح المطاع
والحرص والجبن وخب وخداع

والكبر والبهت ومذموم الطباع

وحسد الخلق بما أعطاه

بحق لا إله إلا الله

أعوذ بالله من ابواب الجفا

وكل ما استعاذ منه المصطفى

أعوذ بالله وحسبي وكفى

عوذ فقير تربت يداه

بحق لا إله إلا الله." (١)

"واستسلموا طوع جبارين ما غضبوا

إلا أطاع من الجنان عاصيها

هزوا الممالك في أيمانهم فهوت

عروشها الشم وانهارت صياصيها

لهم علينا حقوق لا نقوم بها

الله يشكرها عنا ويجزيها

نسخة مهيئة للطباعة

شعراء مصر والسودان >> أحمد محرم >> أتحاربون الله في جبروته

أتحاربون الله في جبروته

رقم القصيدة : ٥٤٩٣١

أتحاربون الله في جبروته

أم تمكرون بأمة ما تخدع

عقدت عزيمتها على استقلالها

ومضت لطيتها تخب وتوضع

لا تمتري في الحق تطلبه ولا

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٤٣/٥٩

تلوي العنان لباطل لا ينفع

إن الحوادث لا أبالك علمت

من كان يجهل أي حزب يتبع

اليوم يصنع ما تضيق به الدنى

من كان أمس يقول ماذا نصنع

داعي الجهاد دم بجسمك جائل

وسلاحه نفس يجيء ويرجع

والأرض مضطرب لعزمك واسع

ولك المحلق في الجواء الأرفع

ما ضاق في الدنيا مجال مغامر

إلا تقاذفه المجال الأوسع

لا تفزعن إذا تطلع حادث

همم الرجال على الحوادث طلع

شعراء مصر والسودان >> أحمد محرم >> أرى الناس في مصر شتى القلوب

أرى الناس في مصر شتى القلوب

رقم القصيدة : ٥٤٩٣٢

أرى الناس في مصر شتى القلوب

وإن جمعتهم عوادي النوب

فكل له وجهة تستراد

وكل له شأنه والأرب

وبعض يمد حبال الرجاء

وبعض يرى اليأس حقا وجب

وهذا ينام على فضة

وهذا يبيت ضجيع الذهب

وهذا يطوف بأوراقه

معني الأماني حثيث الطلب

يريد الضياع بأقصى البقاع

ولو خالط الشوك فيها الحطب

وبات الفقير يريد الرغيف

فيمعن من خيفة في الهرب

إذا سأل القوت قالوا أساء

وإن وصف الفقر قالوا كذب

وإن قال يا رب أين القلوب

أجاب الوعيد وهاج الغضب

وقالوا فقير يصك الوجوه

بفحش المقال وسوء الأدب

أمور تشق على العارفين

وتترك جمهورهم في تعب

لقد أعوز الحب كل النفوس

ولم يدر حكامنا ما السبب

يطوف الرجال معا والنساء

آنا فرادى وآنا عصب

فيرمي التجار برامٍ لهم

بأبصار جن تمج اللهب

ويقسم دهقانهم أنه." (١)

"و قد هدرت مصاعبها الصعاب

هنالك لا قريب يرد عنا

و لا نسب نيط بنا قراب

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢١٩/٨٩

سأخطبها بحد السيف فعلا

إذا لم يغن قول، أو خطاب

وآخذها، وإن رغمت أنوف

مغالبة ، وإن ذلت رقاب

و إن مقام مثلي في الأعادي

مقام البدر تنبحه الكلاب

رموني بالعيوب ملفقات

و قد علموا بأني لا أعاب

و أني لا تدنسني المخازي

و أني لا يروعني السباب

ولما لم يلاقوا في عيبا

كسوني من عيوبهم وعابوا

العصر العباسي >> الشريف الرضي >> اثرها على ما بها من لغب

اثرها على ما بها من لغب

رقم القصيدة : ٩٨٤٣

اثرها على ما بها من لغب

يقلقل أغراضها والحقب

ولا ترقب اليوم ميط الاذى

عن اخفافها واندماء الجلب

إلى أن تعجعجها كالحني

تجتر بالدم لا بالعشب

عليها أخامص مثل الصقور

طوال الرجاء جسام الارب

وكل فتى حظ أجفانه

من الضيم مضمضة تستلب

فبينا يقال كرى جفنه

بقطع من الليل إذ قيل: هب

اذا وقعوا بعد طول الكلال

لم يغمزوا قدما من تعب

ولما يعافوا على عزهم

توسد أعضادها والركب

وعرج على الغر من هاشم

فأهد السلام لهم من كثب

وقل لبني عمنا الواجدين

بني عمنا، بعض هذا الغضب

اما آن للراقد المستمر

في ظلم الغي أن يستهب

سرحتم سفاهتكم في العقوق

ولم تحفلوا الحلم لما غرب

ولما ارنتم اران الجموح

وماج بكم حبلكم واضطرب

أقمنا أنابيبكم بالثقاف

وداوى الهناء مطال الجرب

ويا ربما عاد سوء العقاب

على المذنبين **بحسن الأدب**

مضيض من الداء ان يستطب

أطال وأعرض ما بيننا

مبير الحياء مثير الريب." (١)

"ولا تضيع زمنا ممكنا=تذكاره يذكي لظى حسرتك والشر مهما استطعت لا تأته= فإنه جور على مهجتك يا بني الذي لا ناصح له مثلي ولا منصوح لي مثلة قد قدمت لك في هذا النظم ما إن أخطرته بخاطرك في كل أوان رجوت لك حسن العاقبة إن شاء الله تعالى وإن أخف منه للحفظ وأعلق بالفكر وأحق بالتقدم قول الأول.

يزين الغريب إذا ما اغترب

ثلاث فمنهن حسن الأدب

وثانية حسن أخلاقه

وثالثة اجتناب الريب

واصغ يا بني إلى البيت الذي هو يتيمة الدهر وسلم الكرم والصبر ولو أن الديار نبت بكم لسكنتم الأخلاق والآدابا.." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٢٤٣ """"""""

بساطا أمام البيت وتحادثا فنام كل على طرف من البساط آمنا فنبه عمرا فثاب عليه بالسيف فقال من ينجيني منك يا عمرو وأنا لم أهرب هنا إلا منك فقال يا ابن العم والله لم يكن بيننا أكثر من الحديث وإنما غلب علي حبها من الصغر فقال زوجها حيث تحققت أن لا ريبة فلا بأس عليك فأقاما جميعا حتى مات عمرو من العشق والعفة والوجد .

وحكى أنها عمرت بعده فسئلت عن أي شيء مات عمرو وجدا بك مع أنه لأحسن عندك فقالت ما كنت بالقبيحة ولد كنت أروي الشعر وأحسن الأدب .

ومنهم

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٥/٩٢

(٢) جواهر الأدب، ١١٦/١

بشير الشهير بالاشتر وجيداء

هوى جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه فمنعها أهلها عنه فثار بينهما شر وخصومة عظيمة ، فلما طال شوقه واضمحل حاله جاء إلى صديق له يقال له نمير فقال له : هل عندك صنيع تمن به علي عسى أن تعود روحي إلي ، قال أشر بما شئت فإني فاعل قال له : تمضي إلى حي جيداء فإذا صادفت جاريتها فأخبرها بحالي فعسى أن تأخذ لي موعدا ، قال نمير فمضيت حتى لقيت الجارية فأخبرتها فمضت إلى مولاتها فأخذت منها موعدا بأن تأتي بعد العشاء عند شجيرات هناك .

فلما كان الليل أقبلت فقام إليها بشير وهممت بالإنصراف عنهما فقالا : والله ما بيننا أكثر مما ترى فمكانك فجلسنا حتى مضى شطر من الليل فعزمت على الذهاب فكادت نفس بشير أن تزهق ثم سألها الإقامة معه بقية الليلة فقالت لا سبيل إلى ذلك إلا أن يكون في صاحبك هذا خير . فقلت فيم شئتم ؟ فرمت بثيابها إلي وقالت إذهب إلى خدري كأنك أنا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٧٨ """"""""

بإقامة رجل جلد مزاح العلة بالفرس والسلاح ، وقعد الجم الغفير ، وسارت الجماعة إلى الكوفة ، ولحقت عز الدولة في التصيد ، وانتظرته ؛ فلما عاد قامت في وجهه واستأذنت في الوصول إليه على خلوة وسكون بال وقلة شغل ؛ فلم يلتفت إليهم ، ولا عاج عليهم – وكان وافر الحظ **من سوء الأدب** ، قليل التحاشي من أهل الفضل والحكمة – ثم قيل له : إن القوم وردوا في مهم لا يجوز التغافل عنه ، والإمساك دونه ، فأذن لهم بين المغرب والعتمة ، فجلسوا بحضرته كما اتفق من غير ترتيب ، فقال : تكلموا . فقال أبو الوفاء المهندس لأبي بكر الرازي : تكلم أيها الشيخ ، فإنك رضا الجماعة ، ومقنع العصابة . فقال أبو بكر : الحمد لله الذي لا موهبة إلا منه ، ولا بلوى إلا بقضائه ، لا مفزع إلا إليه ، ولا يسر إلا فيما يسره ، ولا مصلحة إلا فيما قدره ؛ له الحكم وإليه المصير ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله المبعوث ، إلى الوارث والموروث ؛ أما بعد ، فإن الله تعالى قد حض على الجهاد ، وأمر بإعزاز الدين ، والذب عن الحريم والإسلام والمسلمين في الدهر الصالح ، والزمان المطمئن ؛ فكيف إذا اضطرب الحبل وانتكثت مريرته ، وأبرز مصونه ، وعري حريمه بالاستباحة ؛ وينل جانبه بالضيم ، وضعضع مناره بالرغم ، وقصد ركنه بالهدم ، وأنت أيها المولى من وراء سدة أمير المؤمنين المطيع لله ، والحامل لأعباء مهماته ، والناهض بأثقال نوائبه وأحداثه ؛ والمفزع إليك ، والمعول عليك ، فإن كان منك جد وتشمير فما أقرب الفرج مما قد أظل

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ٢٤٣/١

وأزعج ، وإن كان منك توان وتقصير فما أصعبه من خطب ؟ وما أبعده من شعب وقد جئناك نحقق عندك ما بلغك من توسط هذه الطاغية أطراف الموصل وما والاها ، وأن الناس قد جلوا عن أوطانهم ، وفتنوا في." (١)

"""""""" صفحة رقم ٥٢٧ """""""

وائتمار ، ومسألة وجواب . وعند الشيخ أبي الوفاء من هذا الحديث ومن غيره مما يتصل به من ناحية ابن اليزيدي ما يجب أن يصاخ له بالأذن الواعية ، ويقابل بالنفس الراعية ، ويداوى بالدواء الناجع ، وتحسم مادته من الأصل ، فإن الفساد إذا زال حصل مكانه الصلاح . وليس بعد المرض إلا الإفراق ، ولا بعد النزاع إلا الإغراق . إلى ها هنا انتهى نفسي بالنصح وإن كانت شفقتي تتجاوزه ، وحرصي يستعلي عليه ، لكني خادم ، وكما يجب علي أن أخدم بنيات الصدر ، فينبغي أن ألزم الحد **بحسن الأدب** . والله إني لواد مخلص ، وعبد طائع ، ورجائي اليوم أقوى من رجائي أمس ، وأملي غدا أبسط من أملي اليوم ؛ أشكو إليك الأرق بالليل فكرا فيما يقال ، وتحفظا مما ينال ، وتوهما لما لا يكون إن كان ، وشر العدا ، الذين يتمنون لأولي نعمتهم الردى ، ويبيتون النكائث ، ويكسرون الأجفان ، ويتخازرون بالأعين ، ويتجاهرون بالأذى إذا تلاقوا ، ويتهامسون بالألسن إذا تدانوا ، والله يصرع جدودهم ، ويضرع خدودهم بين يديك ؛ وهذه الرقة مني والحفاوة ، وهذه الرعشة والقلق ، وهذا التقبع والتفزع كله ، لأني ما رأيت مثلك ، ولا شاهدت شبهك ، كرم خيم ، ولين عريكة ، وجود بنان ، وحضور بشر ، وتهلل وجه ، وحسن وعد ، وقرب إنجاز ، وبذل مال ، وحب حكمة . قد شاهدت ناسا في السفر والحضر ، صغارا وكبارا وأوساطا ، فما شاهدت من يدين بالمجد ، ويتحلى بالجود ، ويرتدي بالعفو ، ويتأزر بالحلم ؛ ويعطي بالجزاف ،." (٢)

"واعلم أن الرجل ذا الجاه عند السلطان والخاصة لا محالة أن يرى من الوالي ما يخالفه من الرأي في الناس والأمور. فإذا آثر أن يكره كل ما خالفه أو شك أن يمتعض من الجفوة يراها في المجلس، أو النبوة في الحاجة، أو الرد للرأي، أو الإدناء لمن لا يهوى إدناءه، أو الإقصاء لمن يكره إقصاءه.

فإذا وقعت في قلبه الكراهية تغير لذلك وجهه ورأيه وكلامه حتى يبدو ذلك للسلطان وغيره، فيكون ذلك لفساد منزلته ومروءته سببا وداعيا.

فذلل نفسك باحتمال ما خالفك من رأي السلطان، وقررها على أن السلطان إنما كان سلطانا لتتبعه في

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ص/٤٧٨

(٢) الإمتاع والمؤانسة، ص/٥٢٧

رأيه وهواه وأمره، ولا تكلفه اتباعك وتغضب من خلافه إياك.

تصحيح النصيحة للسلطان

اعلم أن السلطان يقبل من الوزراء التبخيل ويعده منهم شفقة ونظرا له، ويحمدهم عليه، فإن كان جوادا وكنت مبخلا، شنت صاحبك بفساد مروءته، وإن كنت مسخيا، لم تأمن إضرار ذلك بمنزلتك عنده.

فالرأي لك تصحيح النصيحة على وجهها، والتماس المخلص من العيب واللائمة في ما تترك من تبخيل صاحبك بألا يعرف منك في ما تدعوه إليه ميلا إلى شيء من هواك ولا طلبا لغير ما ترجو أن يزينه وينفعه.

الطاعة للملوك

لا تكونن صحبتك للملوك إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك، وموافقتهم فيما خالفك، وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك، وعلى ألا تكتمهم سرك ولاتستطلع ما كتموك، وتخفي ما أطلعوك عليه على الناس كلهم حتى تحمي نفسك الحديث به، وعلى الاجتهاد في رضاهم، والتلطف لحاجتهم، والتثبيت لحجتهم، والتصديق لمقالتهم، والتزيين لرأيهم، وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا إذا أساؤوا، وترك الانتحال لما فعلوا إذا احسنوا، وكثرة النشر لمحاسنهم، وحسن الستر لمساوئهم، والمقاربة لمن قاربوا و إن كانوا بعداء، والمباعدة لمن باعدوا وإن كانوا أقرباء، والاهتمام بأمرهم وإن لم يهتموا به، والحفظ لهم وإن ضيعوه، والذكر لهم وإن نسوه، والتخفيف عنهم من مؤونتك، والاحتمال لهم كل مؤونة، والرضى منهم بالعفو، وقلة الرضى من نفسك لهم إلا بالاجتهاد.

وإن وجدت عنهم وعن صحبتهم غنى، فأغن عن ذلك نفسك واعتزله جهدك فإنه من يأخذ عملهم بحقه، يحل بينه و بين لذة الدنيا وعمل الآخرة. ومن لا يأخذ بحقه، يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة.

إنك لا تأمن أنفة الملوك إن أعلمتهم، ولا تأمن عقوبتهم إن كتمتهم، ولا تأمن غضبتهم إن صدقتهم، ولا تأمن سلوتهم إن حدثتهم. وإنك إن لزمتهم لم تأمن تبرمهم بك، وإن زايلتهم لم تأمن عقابهم، وإن تستأمرهم حملت المؤونة عليهم، وإن قطعت الأمر دونهم لم تأمن فيه مخالفتهم. إنهم إن سخطوا عليك أهلكوك. وإن رضوا عنك تكلفت من رضاهم ما لا تطيق.

فإن كنت حافظا إن بلوك، جلدا إن قربوك، أمينا إن ائتمنوك: تعلمهم وأنت تريهم أنك تتعلم منهم، وتؤدبهم وكأنهم يؤدبونك: تشكرهم ولا تكلفهم الشكر، بصيرا بأهوائهم مؤثرا لمنافعهم، ذليلا إن ظلموك، راضيا إن أسخطوك، وإلا فالبعد منهم كل البعد، والحذر منهم كل الحذر.

تحرز من سكر السلطان وسكر المال وسكر العلم وسكر المنزلة وسكر الشباب، فإنه ليس من هذا شيء

إلا وهو ريح جنة تسلب العقل وتذهب بالوقار وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان إلى غير المنافع.

في الأصدقاء

أبذل لصديقك دمك ومالك

ابذل لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرك وتحننك، ولعدوك عدلك وإنصافك، واضنن بدينك وعرضك على كل أحد.

لا تنتحل رأي غيرك

إن سمعت من صاحبك كلاما أو رأيت منه رأيا يعجبك فلا تنتحله تزينا به عند الناس. و ا كتف من التزين بأن تجتني الصواب إذا سمعته، وتنسبه إلى صاحبه.

واعلم أن انتمالك ذلك مسخطة لصاحبك، وأن فيه مع ذلك عارا وسخفا.

فإن بلغ بك ذلك أن تشير برأي الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء. وهذا من سوء الأدب الفاشي في الناس.." (١)

" بي فغضب وقال ما تقول ويلك قلت لا أعلم فسل من حضر فأقبل على مسرور وحسين فسألهما عن القصة فجعلا يخبرانه ووجهه يتربد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة فسري عنه ورجع لونه وقال لإبراهيم ماله ذنب شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك ارجع إلى موضعك وأمسك عن هذا

فلما انقضى المجلس وانصرف الناس أمر بألا أبرح وخرج كل من حضر حتى لم يبق غيري فساء ظني وأهمتني نفسي فأقبل علي وقال ويلك يا إسحاق أتراني لم أفهم قولك ومرادك قد والله زنيته ثلاث مرات أتراني لا أعرف وقائعك وأقدامك وأين ذهبت ويلك لا تعد حدثني عنك لو ضربك إبراهيم أكنت أقتص لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل أتراك لو أمر غلمانه فقتلوك أكنت أقتله بك فقلت يا أمير المؤمنين قد والله قتلتني بهذا الكلام ولئن بلغه ليقتلني وما أشك في أنه قد بلغه الآن فصاح بمسرور الخادم وقال علي بإبراهيم الساعة فأحضر وقال قم فانصرف وقلت لجماعة من الخدم وكلهم كان لي محبا وإلي مائلا ولي مطيعا أخبروني بما يجري فأخبروني من غد أنه لما دخل وبخه وجهله وقال له أتستخف بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي وتقدم علي وتستخف بمجلسي وحضرتي هاه هاه أتقدم على هذا وأمثاله وأنت مالك وللغناء وما يدريك ما هو ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهم أنك تبلغ مبلغ إسحاق الذي غذي به وعلمه وهو صناعته ثم تظن أنك تخطئه

---

(١) الأدب الكبير والأدب الصغير، ص/١٩

فيما لا تدريه ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه أليس هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك وغلبة لذتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تحكمه ." (١)

" ذكر أبي دلف ونسبه وأخباره

هو القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومحله في الشجاعة وعلو المحل عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد **وحسن الأدب** وجودة الشعر محل ليس لكبير أحد من نظرائه وذكر ذلك أجمع مما لا معنى له لطوله وفي هذا القدر من أخباره مقنع وله أشعار جياد وصنعة كثيرة حسنة فمن جيد شعره وله فيه صنعة قوله

صوت

(بنفسي يا جنان وأنت مني ... محل الروح من جسد الجبان)

(ولو أني أقول مكان نفسي ... خشيت عليك بادرة الزمان)

(لإقدامي إذا ما الخيل حامت ... وهاب كماتها حر الطعان)

وله فيه لحن وهذا البيت الأول أخذه من كلام إبراهيم النظام

أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال

لقي إبراهيم النظام غلاما حسن الوجه فاستحسنه وأراد كلامه فعارضه ." (٢)

" (إذ قمت ليلا على البلاط فأبصرت ... ربيبا فليت لم أقم)

(فقلت عوجي تخبري خبرا ... وأنت منه كصاحب الحلم)

(قالت بل اخشى العيون إذ حضرت ... حولي وقلبي مباشر الألم) عروضه من المنسرح

والشعر والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق

وذكر محمد بن الفضل الهاشمي قال حدثنا أبي قال كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة في مجلسه فناظر بين يديه محمد بن العباس الصولي علي بن الهيثم جونقا في الإمامة فتقلدها أحدهما ودفعها الآخر فلجت المناظرة بينهما إلى أن نبط محمد عليا فقال له علي إنما تكلمت بلسان غيرك ولو كنت في غير هذا المجلس لسمعت أكثر مما قلت فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قاله وما كان

---

(١) الأغاني، ٣٠٨/٥

(٢) الأغاني، ٢٥٦/٨

منه **من سوء الأدب** بحضرته ونهض عن فرشه ونهض الجلساء فخرجوا وأراد محمد الانصراف فمنعه علي بن صالح صاحب المصلى وهو إذ ذاك يحجب المأمون وقال أفعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ونهض على الحال التي رأيت ثم تنصرف بغير إذن اجلس حتى نعرف رأيه فيك

وأمر بأن يجلس

قال ومكث المأمون ساعة فجلس على سريره وأمر بالجلساء فردوا إليه فدخل إليه علي بن صالح فعرفه ما كان من قول علي بن محمد في الانصراف وما كان من منعه إياه فقال دعه ينصرف إلى لعنة الله

فانصرف وقال المأمون لجلسائه أتدرون لم دخلت إلى النساء في هذا الوقت قالوا لا

قال إنه لما كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمن فلتات الغضب وله بنا حرمة فدخلت إلى النساء فعابثتهن حتى سكن غضبي ." (١)

" يا فاعل مثل دعبل تنفيه خزاعة والله لو كان من غيرها لرغبت فيه حتى تدعيه دعبل والله يا أخي خزاعة كلها

دعبل والمطلب بن عبد الله بن مالك

أخبرني محمد بن المرزبان قال حدثني إبراهيم بن محمد الوراق عن الحسين بن أبي السري عن عبد الله بن أبي الشيص قال حدثني دعبل قال

حججت أنا وأخي رزين وأخذنا كتبا إلى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولاها فصرنا من مكة إلى مصر فصحبنا رجل يعرف بأحمد بن فلان السراج نسي عبد الله بن أبي الشيص اسم أبيه فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا ويتولى خدمتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع

وأريناه **حسن الأدب** وكان شاعرا ولم نعلم وكتمنا نفسه وقد علم ما قصدنا له فعرضنا عليه أن يقول في المطلب قصيدة ننحله إياها

فقال إن شئتم وأرانا بذلك سرورا وتقبلا له فعملنا قصيدة وقلنا له تنشدها المطلب فإنك تنتفع بها

فقال نعم ووردنا مصر به فدخلنا إلى المطلب وأوصلنا إليه كتبا كانت معنا وأنشدناه

فسر بموضعنا ووصفنا له أحمد السراج هذا وذكرنا له أمره فأذن له فدخل عليه ونحن نظن أنه سينشد القصيدة التي نحلناه إياها فلما مثل بين يديه عدل عنها وأنشده

---

(١) الأغاني، ١٥/٢٢٥

(لم آت مطلبا إلا بمطلب ... وهمة بلغت بي غاية الرتب) ." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٦ """""""

وقال منها :

ناشدتك الله نسيم الصبا . . . أين استقرت بعدنا زينب

لم تسر إلا بشذا عرفها . . . أولا فماذا النفس الطيب

فأطلق له ثلثمائة دينار فجاء إلى أبيه وهو جالس في حانوته فوضعها في حجره وقال خذ هذه وابتع بها زيتا انتهى .

ابن سريج ورفيقاه

حكي عن عبد العزيز بن الفضل قال خرج القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن شريح وأبو بكر بن داود وأبو عبد الله نفطوية إلى وليمة فأفضى بهم الطريق إلى مكان ضيق فأراد كل منهم تقديم صاحبه عليه فقال ابن شريح ضيق الطريق **يورث سوء الأدب** فقال ابن داود لكنه تعرف به مقادير الرجال فقال نفطويه إذا استحكمت المودة بطلت التكاليف .." (٢)

"ابن تميم وهو شيخ لا حدث

قد حبس الأصلع في بيت الحدث

ورأيت شيخا قدم مع الحاج من خراسان يعرف بالخشوعي، من الكرامية أصحاب البرانس، حضر مجلسه وناظره في مسألة الجسم، وكان يقول، وهو مذهب هشام بن الحكم في التكلمين المتقدمين: لما كان مثبتا بالعقل دون غيره، وكنت لا أثبت بالعقل، إلا معقولا، كما لا أثبت بالسمع إلا مسموعا، وكما لا أثبت بالبصر إلا مبصرا؛ وكان إثبات العقل لمن هو غير جسم في المشاهدة غير معقول، وجب أن يكون جسما لأنه قد كان دخل في قسمة المعقول؛ وإن بطل أن يكون جسما بطل أن يكون معقولا، وقد ثبت أنه معقول؛ فإذا قد ثبت أنه جسم.

فقال ابن عباد: هاتوا مسألة أخرى، فسماع كلام الحكل أرجع بالفائدة من هذا، وأخذ في مسألة أخرى.

وحكى قوم منهم أبو طاهر الأنماطي والقطان أنه قد شده ولم يحضره في الحال شيء، وكان الخصم ألد ذا سلاطة قليل الاكتراث، حضر غير طائع، وتكلم غير متروع.

---

(١) الأغاني، ١٧٤/٢٠

(٢) طيب المذاق من ثمرات الأوراق، ص/٥٦

وعاد هذا الشيخ في مجلس آخر، فقال له: أتقول إن الله جسم؟ قال: نعم.

قال: فإذا كان جسما جاز أن يكون فوقه شيء أو تحته شيء، أو عن يمينه شيء، أو عن يساره شيء.

قال: نعم.

قال: فما تنكر أن يكون معبودك الآن في هذا الصندوق؟ فخمد الخراساني خمدة م اشتعل فقال: أ ليس عندك أن الله متكلم بكلام يفعله في الأحوال المختلفة؟ فقال: بلى.

قال: فما تنكر لأن يكون هذا الحمار ينغط، فيحل الله كلامه في جرذانه، فيقول: أنا ربكم الأعلى، وتسمع ذلك منه.

فانخزل ابن عباد وقال: خذوا في غير هذا.

والسخف والجرأة وسوء الأدب وإطلاق اللسان بما لا يجوز دينا ومروة غالبة على أصحاب الكلام؛ والتقى والرهبة والروع بعيدة من هذه الطبقة.

وحكى يوما في نوادره الفاترة ما يدل على قلة دين القوم وسوء استبصارهم وشدة استهانت۰م بما يقولونه محقين ومبطلين، وأن الديدن هو الهذيان والرقاعة والتعصب والإيهام، وليس لوجه الله في ذلك شيء، لا فيما يجدون به، ولا فيما يهزلون فيه، لا حشمة ولا تقوى، ولا مراقبة ولا بقيا؛ قد جعلوا الله عرضة للخصومات بالوساوس، ودينه منديلا لكل يد.

سأل ملحد موحدا فقال: ما الدليل على أن للعالم صانعا؟ فقال: الدليل على ذلك شعرة أمك، لأنها كلما نتفتها بالدبق نبتت؛ فلو لم يكن هناك منبت لما نبتت.

فقال الملحد: هذا ينقلب عليك لأنه يقال لك: الدليل على أن العالم ليس له صانع نواة أمك، لأنها إذا قطعت مرة لم تنبت بعد ذلك.

وحكى يوما آخر فقال: اجتمع رجلان؛ أحدهما يقول بقول هشام، والآخر يقول بقول الجوالقي.

فقال صاحب الجوالقي لصاحب هشام: صف لي ربك الذي تعبده. فوصفه، فقال: هو جسم ولكن لا يد له ولا جارحة ولا آلة.

فقال له صاحب الجوالقي: أيسر○○ك أن يكون لك بهذه الصفة ابن؟ قال: لا.

قال: أ فما تستحي أن تصف ربك بصفة لا ترضاها لولدك؟ ثم قال صاحب هشام: قد سمعت قولنا، فصف لي أنت ربك. فوصف فيما وصف: أنه جعد قطط في أتم تمام وأحسن حسن وأحلى صورة وأعدل هيئة وأجمل شارة.

فقال له صاحب هشام: أ فيسرك أن تكون لك جارية بهذه الصفة تطؤها؟ قال: نعم.
قال: أ فما تستحي من عبادة من تحب مباضعته؟ وذلك أن من أحب مباضعة مثله فقد أوقع عليه الشهوة، تعالى الله عن هذه السخافات والجهالات، وإن قوما يلهجون بهذا وأشباهه لغي بعد من الهدى والنهى.
وسمعته يسب أصحاب الهندسة ويقول: جاءني بعض هؤلاء الحمقى ورغبني في الهندسة، فابتدأ، فأثبت خمسة وعشرين، وخط خطا، ووضع شكلا، وطول وزعم أنه يعمل برهانا على ذلك. فقلت له: إني كنت أعرف أن خمسة في خمسة خمسة وعشرون ضرورة، وقد شككت الآن، فأنا مجتهد حتى أعلمه بالاستدلال. وهذا هو الخسار والدمار.
ولو كان له سهم يسير من العقل ما باح على نفسه بهذا القول، ولو سمع من غيره لوجب إنكاره، ولو حقق قول القائل: من جهل شيئا عاداه. أ تراه ما سمع كلام ابن ثوابه في مثل هذا، وكيف نسب فيه إلى الرقاعة، وكيف رحمه أهل الحكمة، وكيف هزئ به قوم وجدوا طريقا إلى ذلك.." (١)

"وأنا أحكي لك في هذا المكان الكلام وإن تنفست الرسالة، لتعلم أن من شاء حمق نفسه، وأن الله إذا شاء خذل عبده وأشمت به أعاديه.
حدثنا أبو بكر الصيمري قال: حدثنا ابن سمكة قال: حدثنا ابن محارب قال: سمعت أحمد بن الطيب يقول: إن صديقا لابن ثوابة الكاتب أبي العباس يكنى أبا عبيدة قال له ذات يوم: إنك رجل - بحمد الله ومنه - ذو أدب وفصاحة وبراعة وبلاغة؛ فلو أكملت فضائلك بأن تضيف إليها معرفة البرهان القياسي، وعلم الأشكال الهندسية الدالة على حقائق الأشياء، وقرأت كتاب " أقليدس " وتدبرته؟ فقال له ابن ثوابة: وما " أقليدس " ؟ قال له: رجل من علماء الروم يسمى بهذا الاسم، وضع كتابا فيه أشكال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الأشياء المعلومة والمغيبة، يشحذ الذهن ويدقق الفهم، ويلطف المعرفة، ويصفي الحاسة، ويثبت الروية؛ ومنه انفتح الخط وعرفت مقادير حروف المعجم.
فقال له أبو العباس ابن ثوابة: وكيف ذاك؟ قال: لا تعلم هو حتى تشاهد الأشكال وتعاين البرهان.
قال له: فافعل ما بدا لك. فأتاه برجل يقال له قويري مشهور مقدم، ولم يعد إليه بعد ذلك.
قال أحمد بن الطيب: فاستطرفت ذلك وعجبت منه، وسألت المخبر عن انصراف قويري أي شيء كان سببه؟ فأجابني بأن لا أعلم، فكتبت إلى ابن ثوابة رقعة نسختها: بسم الله الرحمن الرحيم.
اتصل بي - جعلني الله فداك - أن رجلا من إخوانك أشار عليك بتكميل فضائلك وتقويتها بمعرفة شيء

(١) أخلاق الوزيرين، ص/٤٦

من القياس البرهاني، وطمأنينتك إليه، وأنك أصغيت إلى قوله وأذنت له، وأنه أحضرك رجلا كان غاية في سوء الأدب، معدنا من معادن الكفر، وإماما من أئمة الشرك؛ لاستفزازك واستغوائك، يخادعك في عقلك الرصين، وينازلك في ثقافة فهمك المتين، فأبى الله العزيز إلا جميل عوائده الحسنة قبلك، ومننه السوابق لدي، وفضله الدائم عندك، بأن أتى على قواعد برهانه من ذروته، وحط عوالي أركانه من أقصى معاقد أسه، فأحببت استعلام ذلك على كنهه من جهتك، ليكون شكري لك على ما كان منك حسب لومي لصاحبك على ما كان منه، ولأتلافى الفارط في ذلك بتدبر أسسه إن شاء الله.

قال: فأجابني ابن ثوابة برقعة نسختها: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلت رقعتك - أعزك الله - وفهمت فحواها، وتدبرت مضمنها، والخبر كما اتصل بك، والأمر كما بلغك. وقد لخصته وبينته حتى كأنك معنا وشاهدنا.

فأول ما أقول: الحمد لله ولي النعم، والمتوحد بالقسم، إليه يرد علم الساعة وإليه المصير؛ وإياه أسأل إيزاع الشكر على ذلك وعلى ما منحنا من ودك وإتمامه بيننا بمنه.

ومما أحببت إعلامك وتعريفكه مما تأدى إليك، أن أبا عبيدة - عليه لعنة الله تترى - بنحسه ودسه ودحسه اغتالني ليكلم ديني من حيث لا أعلم، وينقلني عما أعتقده وأراه وأضمره من الإيمان بالله عز وجل ورسوله صلى الله عليه، فوطد لي الزندقة بتزيينه الهندسة، وأنه يأتيني برجل يفيدني علما شريفا تكمل به فضائلي - فيما زعم - فقلت: عسى أن أفيد به براعة في صناعة، أو كمالا في مروة، أو نسكا في دين، أو فخارا عند الأكفاء. فأجبته بأن هلم به! فأتاني بشيخ ديراني شاخص النظر، منتشر عصب البصر، طويل مشذب، محزوم الوسط، متزمل في مسكه، فاستعذت بالرحمن إذ نزغني الشيطان، ومجلسي قد غص بالأشراف من كل الأطراف، كلهم يرمقه ويتشوف إلى رفعي مجلسه وإدنائه وتقريبه، ويعظمونه ويحيونه، والله محيط بالكافرين.

فأخذ مجلسه، ولوى أشداقه، وفتح أوساقه، فتبينت في مشاهدته النفاق، وفي ألفاظه الشقاق.

فقلت له: بلغني أن عندك معرفة بالهندسة، وعلما واصلا إلى فضل يفيد الناظر فيه حكمة وتقدما في كل صنعة؛ فهلم أفدنا شيئا منها عسى أن يكون عونا لنا على دين أو دنيا، وزينا في مروة أو مفاخرة لدى الأكفاء، ومفيدا نسكا وزهدا، (فذلك هو الفوز العظيم)، (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)، (وما ذلك على الله بعزيز).." (١)

---

(١) أخلاق الوزيرين، ص/٤٧

"وقال: أحدثك من حلمه بأعجب من هذا؛ كنا بأذربيجان لما افتتحناها لإبراهيم بن المرزبان وقررناها في يده اتفق أن ظفرنا هناك بطبيب نصراني بغدادي حسن الحذق، بارع الصناعة، مشهود له بصواب الرأي وجودة التدبير، فأدناه أبو الفضل ورضي هديه، وحمد رأيه وقوله، وكان يخصه بالبر والتحفة؛ فكان من أمره أن أبا الفضل شرب غداتئذ قدحا من شراب الرمان، فبقي في أسفل القدح قليلا، ومد يده إلى الطبيب يناوله، تكرمة له، ويقول له: اشرب هذه البقية.

فقال له الطبيب: " نهى نبيكم عن سؤر الكلب " ، وأمسك عن القدح.

فاصفر وجه أبي الفضل، ولم ينطق بكلمة، ولا أساء إليه، ولا اعتذر ذاك من فرطته.

ولتدافع الحديث ما أخرج من ذكر هذا إلى شأن ذاك. ولقد اضطرب علي نسج الرسالة على مذهب المصنفين، ولكن عذري بين، لأني نقلت ما نقلت في وقت صعب وحال عوراء.

سألت العتابي، شيخ ا من أهل أصفهان كان صحب ابن عباد في أيام الحداثة، عن ترك ابن عباد الشراب.

فقال: والله ما ترك ما ترك لله، ولكن تركه أنه كان إذا سكر افتضح ودعا إلى الفجور به، ولما فشا هذا وقبحت القالة هجره، وأظهر ذلك لتقوى الله، أو لوجه الله تعالى.

ورأيت ابن عباد يوما يقول لابن أبي هشام: لا تقل حرجت نفسه، إنما الحرج للصدر، قال الله تعالى: (فلا يكن في صدرك حرج منه).

فقال له: فأين أنت من قوله تعالى: (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت). فعرق جبينه خجلا؛ وكان ذاك سبب إعراضه عن هذا الشيخ، وانقلابه عنه بالحرمان.

وقال لي العتابي: كان هذا، يعني ابن عباد يقال له في المكتب: ديوجه، قال: وتفسيره شيطان صغير.

وقال لي ابن الرازي: كلمته في شيء يوما، وقلت في عرض الكلام: " وكان ذلك لانطلاق لسانه " ، فقال له: " اخسأ، الانطلاق في الشيء والطلاقة في اللسان " .

قال: فقلت له: ما تصنع بقول الأول وهو يزيد بن الصعق يخاطب النابغة الذبياني:

وأي الناس أغدر من شآم ... له صردان منطلق اللسان

قال: فخمد وحقد.

هكذا قال بفتح القاف، وكان فصيحا.

وقال يوما في المجلس، وهو يحدث عن رجل أعطاه شيئا فتلكأ في قبوله: " ولا بد من شيء يعين على الدهر " ثم قال: قد سألت جماعة عن صدر هذا البيت فما كان عندها ذاك. فقلت: أنا أحفظ ذاك.

فنظر إلي بغضب وقال: فما هو؟ قلت: قد نسيته.

قال: ما أسرع ذكرك من نسيانك.

قلت: ذكرته والحال سليمة، فلما حالت على سلامتها نسيت.

قال: وما حيلولتها؟ قلت: نظر الصاحب بغضب، فوجب في **حسن الأدب** أن لا يقال ما يثير الغضب.

فقال: ومن تكون حتى يغضب عليك؟ دع هذا وهات! قلت: قال الشاعر:

ألام على أخذ القليل وإنما ... أصادف أقواما أقل من الذر

فإن أنا لم آخذ قليلا حرمته ... ولا بد من شيء يعين على الدهر

فسكت.

وكان ابن عباد ورد إلى الري سنة ثمان وخمسين مع مؤيد الدولة، وحضر مجلس ابن العميد أبي الفضل، وجرى بينه وبين مسكويه كلام، ووقع تجاذب.

قال مسكويه: فدعني حتى أتكلم، ليس هذا نصفة، إذا أردت أن لا أتكلم فدع على فمي مخدة.

فقال له: أنا لا أدع على فمك مخدة، ولكن أدع فمك على المخدة. وطارت النادرة، ولصقت وشاعت وبقيت.

فأما حديث ابن عباد مع أبي عبد الله الحصيري فمن الطرائف؛ كان هذا الحصيري من أسقط الناس وأنذلهم، فلما ورد ابن عباد الري تقرب إليه وعرض نفسه عليه، وسأل أن يلقنه المذهب، فحقره ابن عباد، وكان لا يهش له.

فجعل الحصيري يقف في الأسواق والشوارع العظام، والمربعات الكبار، وينادي بصوت جهير ويقول: ادعوا الله للصاحب الجليل، إسماعيل الذي ليس له في الدنيا عديل! ثم يقول بالفارسية: فإنه قد بسط العدل، وأحيا العلم، وبث المكارم، وآوى الغرباء؛ لا يشرب الخمر، ولا يعفج الغلمان، ولا يخلو بالمردان، ولا يتقحب بالنساء، ولا ياخذ الرشا، ولا يقبل المصانعات؛ نهاره في الملك، وليله في دراسة العلم.

وأشباه هذا الكلام الشنيع.." (١)

"وتلاحى هو وأحمد بن المدبر يوما بين يدي المتوكل قال الصولي: وكان الخلفاء لا ينكرون تنازع الكتاب بين أيديهم وابن المدبر يلي في ذلك الوقت أمر دار المتوكل كله، المطابخ والفرش وغير ذلك، وفي المجلس مرفقة قد جعلت لأمر ولم ترفع، فضرب الفضل بيده على المرفقة ضربا شديدا، فقام منها غبار

---

(١) أخلاق الوزيرين، ص/٩٢

كثير، فقال له أحمد: أتغبر بين يدي أمير المؤمنين ؟ أما لك أدب ! أما خدمت الملوك ! فضحك الفضل وقال: من خدمتي للملوك فعلت هذا، ليرى أمير المؤمنين قلة كفايتك في فرشه، وأنك لا تهتم بنفضها، ويعلم كيف يكون فيما يبعد عنه، ولولا خوفي **من سوء الأدب** حقا لضربت البساط فيرى ما هو أعظم من هذا ! فبهت أحمد، وجعل يعتذر، فما مضت إلا أيام حتى عزل عن الدار.

محمد بن عبد الملك الزيات

كتب للمعتصم ووزر له ولأبنه الواثق بعده خلافته كلها وأياما يسيرة من خلافة المتوكل، وهو أحد من رأس بعلمه وبيانه وبلاغته. ولما استقصر المعتصم أحمد بن عمار المزاري، وسأله عن الكلأ فلم يعرفه، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ! خليفة أمي، وكاتب أمي !! فعرف مكانة ابن الزيات من الأدب، فأمر بإدخاله عليه، وقال له: ما الكلأ ؟ فأجابه بما هو مشهور عنه، فاستحسن المعتصم ذلك، وقال لأبن عمار: انظر في الدواوين والأعمال، وهذا يعرض علي الكتب، فلم ير اطراح ابن عمار لقصوره، ولا بخس ابن الزيات حق منظومه ومنثوره.." (١)

"كان على ديوان الضياع فعزله الواثق، ودفعه إلى عمر بن فرج الرخجي فحبسه، وكان جوادا ممدحا، وفيه يقول عبد الصمد بن المعذل:

قد تركت الرياح يأبن رياح ... وهي حسرى إن هب منها نسيم

نهكت مالك الحقوق فأضحى ... لك مال نضو وفعل جسيم

وصنع أبو العيناء خبرا في إبراهيم هذا وجماعة من رجال السلطان رجاء أن ينتهي إلى الواثق فينتفع به، ومن ألفاظه: قلت: ما عندك من خبر إبراهيم ابن رياح ؟ قال: ذلك رجل أوثقه كرمه، وإن يفز للكرام قدح فأحر بمنجاته، ومعه رجاء لا يخذله، ورب لا يسلمه، وفوقه خليفة لا يظلمه ! فلما قرئ على الواثق ضحك واستظرفه وقال: ما صنع هذا كله أبو العيناء إلا في سبب إبراهيم ابن رياح، وأمر بتخليته.

إبراهيم بن العباس الصولى

ولي الأهواز في أيام الواثق، فطالبه ابن الزيات وقصده بكل مكروه، حتى صرف عنها وكان قبل ذلك أشد الناس اتصالا به وصداقة له، ثم تغير عليه لأن رآه مع ابن أبي دواد، فكتب إليه إبراهيم:

إني متى أحقد بحق ... دك لا أضر به سواكا

ومتى أطعتك في أخي ... ك أطعت فيك غدا أخاكا

---

(١) إعتاب الكتاب، ص/٢٥

حتى أرى متقسما ... يوما لذا وغدا لذاكا

وحكي عن حاجب محمد بن عبد الملك الزيات قال: لما انصرف إبراهيم ابن العباس معزولا عن الأهواز، وقف بباب عبد الملك يطلب الإذن، فاستأذنت له ثلاث مرات، فلم يأذن، فخرجت إليه فقلت: يا أبا إسحق قد حملت نفسي **على سوء الأدب** بأن كررت الاستئذان على الوزير فلم يأذن ! فسألني إيصال رقعة إليه، فقلت: هاتها، فثنى رجله على سرجه وكتب: من كان واحدك إذ جعلت لنفسك واحدا، وواحدي إذ خفت من زماني نبوة ؟ أما والله لو أمنتك لقلت، ولكني أخاف منك عتبا لا تنصفني فيه، وأخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي، وما قدر فقد كان ويكون وكائن، وعن كل حادثة أحدوثة، وما أقول إني تبدلت بحالة كنت بها مغتبطا حالة أنا في مكروهها، بل أقول إني قهرت، فلما فزعت إلى ناصري، وجدت من ظلمني أخف نية في ممن استنصرت به، وأحمد الله كثيرا وأشكره ! وكتب في آخر الرقعة:

وكنت أخي بإخاء الزمان ... فلما نبا صرت حربا عوانا

وكنت إليك أذم الزمان ... فأصبحت فيك أذم الزمانا

وكنت أعدك للنائبات ... فهأنا أطلب منك الأمانا

قال: فأوصلت الرقعة، فقرأها وفكر ساعة ثم وقع في آخرها: ارجع مذموما، لا حاجة بنا إلى أخوتك ولا صداقتك ولا الاستعانة بك:

إذا ما بدأت امرأ جاهلا ... ببر فقصر عن حمله

ولم تلفه قائلا بالجميل ... ولا عارف العز من ذله

فسمه الهوان فإن الهوان ... دواء لذي الجهل من جهله

كذا في رسائل ناح الأصبهاني وحسبك ما أخلدت إليه ضعة ونقصا، وفي كفاية الله غنى عنك ! قال: فلما قرأ إبراهيم التوقيع جعل يتحرق على دابته ساعة وقال لي: إن انقطاعي اليوم إلى الله ثم إليك ! فقلت: قل ما شئت ! قال: توصل لي رقعة أخرى ؟ قلت: قد رأيت التوقيع ! قال: أكتب الرقعة وتكون في يدك فإنه سيسأل ما فعل إبراهيم؛ فقلت: أكتب؛ فثنى رجله على سرجه وكتب: من شكرك على درجة رفعتها، أو نعمة أوليتها، أو زيادة مننت بها، فإني أشكرك على مهجة أحييتها، وحشاشة أبقيتها، ورمق قمت به، وحلت بين التلف وبينه، فلا تسقطني عندك هنة إن كانت، فإني والله واحدك بالأسباب التي تجتمع فيك ولك، ولا تجتمع لك في غيري من أخ ولا صاحب، وكنت أعدك الوفاء، فقد والله فعلت، وكنت تعدني ألا أضام في دولتك وأيامك، فلا تخذلني في حال إن أخليتني فيها من نصرتك لم يلحقني مقدار في نفسي ومودتي

إلا لحقك مثله والسلام ! وقال في آخره:

أبا جعفر عرج على خلطائكا ... وأقصر قليلا من مدى غلوائكا

فإن كنت قد أوتيت في اليوم رفعة ... فإن رجائي في غد كرجائكا

فلما قرأ الرقعة أذن له في الدخول، وقرب مجلسه، ونادمه يومه، وصرفه محبوا مكرما.." (١)

" (لا يروى ولا يقلب كفا ** ـــ ـــ ـــ وأكف الرجال في تقليب) (ليس يزرى السواد بالرجل الشهم ** ـــ ـــ ـــ ولا بالفتى الأديب الأريب) (إن يكن للسواد فيك نصيب ** ـــ ـــ ـــ فبياض الأخلاق منك نصيبي) (يعد رفيع القوم من كان عاقلا ** ـــ ـــ ـــ وإن لم يكن في قومه بنسيب) (وإن حل أرضا عاش فيها بعقله ** ـــ ـــ ـــ وما عاقل في بلدة بغريب) (لكل شيء حسن زينة ** ـــ ـــ ـــ وزينة العاقل **حسن الأدب**) (قد يشرف المرء بآدابه ** يوما وإن كان وضيع الحسب) (وما أدب الإنسان شيء كعقله ** ـــ ـــ ـــ وما عقله إلا بحسن التأدب) (ذهب الشباب فما له من عودة ** ـــ ـــ ـــ وأتى المشيب فأين منه المهرب) (أدب الكبير من التعب ** ـــ ـــ ـــ كبر الكبير عن الأديب) (حتى متى والى متى ** ـــ ـــ ـــ لا تستفيق من اللعب) (وخير ما يجمع الفتى أدب ** ـــ ـــ ـــ يزينه حين يعرض الخطب) (لا يعرف الله حق معرفة ** ـــ ـــ ـــ من لم يكن عاقلا له أدب) (يا طالب العلم نعم الشيء تجمعه ** ـــ ـــ ـــ لا تعدلن به درا ولا ذهبا) (العلم كنز وذخر لا نفاذ له ** ـــ ـــ ـــ نعم القرين إذا ما عاقلا صحبا) (وجامع العلم مغبوط به أبدا ** ـــ ـــ ـــ ولا يحازر فيه الفوت والسلبا)

". (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٣ """""""

قال بعض السلف : إذا صح العقل التحم بالأدب التحام الطعام بالجسد الصحيح ، وإذا مرض العقل نبا عنه ما يسمع من الأدب ، كما يقيء الممعود ما أكل من الطعام ، وإن آثر الجاهل أن يتعلم شيئا من الأدب تحول ذلك الأدب جهلا ، كما يتحول ما خالط جوف المريض من طيب الطعام داء . وقال أيضا : أحمد العقلاء من عقله عن صحة طبيعة ، ورأيه عن سبب معرفة ، وعلمه من قبل حجة ، ومنطقه عن صدق مقال ، وفعله عن حسن نية ، وأدبه عن فضل رغبة ، وعطاياه عن شجاعة غريزة ، وأمانته عن عفاف

---

(١) إعتاب الكتاب، ص/٢٩

(٢) السحر الحلال في الحكم والأمثال، ص/١٢

، وأجتهاده في قصد سبيل . وقال أيضا : ثم وصل صحة الطبيعة بحسن العادة ، وذكاء العقل بشدة الفحص ، ونفاذ الرأي بدرك المنافع ، وحسن المنطق بخير العرض ، وحسن العمل بالفقه في الدين ، **وحسن الأدب** بكثرة التعهد ، وبث العطايا بصواب الموضع ، وفضل الورع بفضل الحرية .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٥ """""""

ومر فلان يعتصي على عصا أي يتوكأ عليها ، وعصاه أي ضربه بالعصا . والعصا من العصية أي بعض الأمر من بعض ؛ هذا كله عن الأصمعي . قال أرسطاطاليس : سوء العادة كمين لا يؤمن وثوبه . وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : خلتان ليس معهما غربة : **حسن الأدب** وتجنب الريب . شاعر : الطويل فتى لا تراه الدهر إلا مشمرا . . . ليدرك مجدا أو ليرغم لوما تبسمت الأموال عن طيب ذكره . . . وإن كان يبكيها إذا ما تبسما وقال علي رضي الله عنه لرجل حروري : نوم على يقين خير من صلاة على شك . دخل ابن عباس على بعض الأنصار في وليمة لهم فقاموا له ، فأستحيى من ذلك وقال : بالإيواء والنصر إلا جلستم .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٤٦ """""""

مع عيسى ، فأبى فقال : أتأنف ويحك أن تكون معه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إني حلفت يمينا لا أكون على أمير المؤمنين في جد ولا هزل . قيل لأعرابي : كيف ترى الدهر ؟ قال : خدوعا خلوبا ، وثوبا غلوبا . قال رجل لمتكلم : ما الدليل على صانع العالم ؟ قال : شعرة أمك ، فإنها تحلقها فتنبت وتعلم أن لها منبتا ، فقال الرجل : إن كان هذا دليلا على إثبات الصانع فإن بظر أمك يدل على نفي الصانع ، لأنها إذا قطعته لم ينبت ؛ فانقطع المتكلم . والسفه في المتكلمين فاش ، وسوء الأدب عندهم من أجود سلاح ، والمكابرة من أكبر عدة ، ولهذا يجتمعون فلا ينفع الله باجتماعهم وبتعاطيهم وبأهوائهم . وما زال هذا الدين بهي المنظر مهيب المخبر ، عذب المورد محمود المصدر ، حتى تكلم هؤلاء القوم فأثاروا الشبه ، وأقاموا الحجج ، وطرحوا في القلوب العار ، وحملوا الألسنة على الإنكار ؛ كفى الله المسلمين شرهم ، إنه نعم الكافي والمعين . قال أبو عبيدة : السحاب فحل الأرض . قال المدائني : كان فروخ العلج موسرا ، فزوج إلى بعض أشراف." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر . ، ١٣/٢

(٢) البصائر والذخائر . ، ٢٥/٢

(٣) البصائر والذخائر . ، ٤٦/٣

"""""""" صفحة رقم ٢٠ """"""""

٣٢ – وقال آخر : أعد لصديقك بذلك ، ولعدوك عذلك . ٣٣ – وقال أعرابي : ليس العمل للوفاء ، كالسعي للرجاء . ٣٤ – وقال آخر : رب بعيد لا يفقد بره ، وقريب لا يؤمن شره . ٣٥ – وقال آخر : من أحم قرم ، ومن تهور ندم ٣٦ – وقال آخر : أبين العجز قلة الحيلة ، وملازمة الحليلة . ٣٧ – وقيل لصوفي : كيف أنت ؟ قال : طلبت فلم أرزق ، وحرمت فلم أصبر . ٣٨ – وقال بعض الهند في كتابه : لا ظفر مع بغي ، ولا صحة مع حرص ، ولا ثناء مع كبر ، ولا صداقة مع خب ، ولا شرف **مع سوء الأدب** ، ولا بر مع شح ، ولا اجتناب محرم مع حرص ، ولا ولاية حكم مع عدم فقه ، ولا عذر مع إصرار ، ولا سلامة مع غيبة ، ولا راحة قلب مع حسد ، ولا سؤدد مع انتقام ، ولا رياسة مع عجب ، ولا صواب مع استبداد ، ولا ثبات مع جهل الوزراء . ٣٩ – قال عبد الملك الكاتب : تزوج بعض أصحابنا سرا من أهله ، فأولدها بنتا ولم يكن هناك بينة ، ثم عشق أخرى وفارقها وجحد ابنتها ، وكان يأتي الجديد على السفاح ، فاحتالت القديمة حتى علمت حضوره عند الزانية ، ثم مضت إلى صاحب الرفع وسلمتها إليه ، ثم وجهت إلى زوجها : إني إن." (١)

"فقلت: يا نعمة لا تزال تجحدها، ومنة لا تزال تكندها فقال: ما معنى تكندها؟ فقلت: كند النعمة كفرها، فرفع رأسه وقال: معاذ الله أن يكون كند بمعنى جحد، فتلونا:)إن الإنسان لربه لكنود(. وقلت له: أليس الشرط أملك، والعهد بيني وبينك أن تكست ونسكت، كي تتم ونتم، فنبذ الأدب وراء ظهره، وصار إلى السخف يكلينا بصاعه ومده، فقلت: يا هذا إن الأدب **غير سوء الأدب**. ولو كان في باب الاستخفاف شيء أعظم من الاحتقار، وإنكار أبلغ من ترك الإنكار، لبلغته منك. فأخذ يمضي على غلوائه، ويمعن في هرائه وهذائه وقلت: أستغفر الله من مقالتك، وسكت حتى عرف الناس أني أملك من نفسي ما لا يملكه، وأسلك من طريق الحلم ما لا يسلكه، ثم عطفت عليه فقلت: يا أبا بكر إن الحاضرين قد أعجبوا من حلمي بأضعاف ما أعجبوا من علمي. وتعجبوا من عقلي أكثر مما تعجبوا من فضلي وبقى الآن أن يعلموا أن هذا السكوت ليس عن عي وأن تكلفي للسفه أشد استمرارا من طبعك، وغربي في السخف أمتن عودا من نبعك، فقال: أنا قد كسبت بهذا العقل دية أهل همذان مع قلته، فما الذي أفدت أنت بعقلك مع غزراته؟ فقلت: هذا الذي به تتمدح من أنك شحذت فأخذت، فهذا عندنا صفة ذم، وقد صدقت. أنت بهذه الحلبة أسبق، وفي هذه الحرفة أعرق، وأنا قريب العهد بهذه الصنعة، حديث الورد لهذه الشرعة، وما أضيع

---

(١) البصائر والذخائر . ، ٥/٢٠

وقتا قطعته بذكرك، ولسانا دنسته باسمك، وملت إلى القوال. فقلت: أسمعنا خيرا، فغنى أبياتا منها:

وشبهنا بنفسج عارضيه ... بقايا اللطم في الخد الرقيق

فقال أبو بكر: أحسن ما في الأمر أني أحفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها. فقلت: إن أنشدتكها ساءك مسموعها، ولم يسرك مصنوعها، فقال: أنشد، فقلت: روايتي تخالف هذه الرواية، وأنشدت:

وشبهنا بنفسج عارضيه ... بقايا الوشم في الخد الصفيق

فأتته السكتة، وأضجرته النكتة، وانطفأت تلك الوقدة، وانحلت تلك العقدة، ودفع القوال فبدأ بأبيات، ولحسن بأصوات، وجعل النعاس يثني الرءوس، ويمنع الجلوس، فقمنا إلى ما وطئ من مضجع، ومهد من مهجع، ولم يكن النوم ملأ العيون، ولا شغل الجفون، حتى أقبل وفد الصباح، وحيعل المؤذن بالفلاح، وندب إلى النهوض بالمفروض، فلما قضينا الفرض، فارقنا الأرض، وظني أن هذا الفاضل يأكل يده ندما، ويبكي على ما جرى دمعا ودما، وأنه إذا نام هاله منا طيف، وإذا انتبه راعه منا سيف، وسعوا بيننا بالصلح، وعرفنا له فضل السن، فقصدناه معتذرين إليه، فأومأ إيماءة مهيضة، واهتز اهتزازة مغيضة، وأشار إشارة مريضة، بكف سحبها على الهواء سحبا، وبسطها في الجو بسطا، وعلمنا أن للمقهور أن يستخف ويستهين، وللقاهر أن يحتمل ويلين، فقلنا: إن بعد الكدر صفوا، كما أن عقب المطر صحوا، وعرض علينا الإقامة سحابة ذلك اليوم، فاعتللنا بالصوم، فلم يقبل العذر وألح، فقلت: أنا وذاك، فطعمنا عنده. وخرجنا والنية على الجميل موفورة، وبقعة الود معمورة، وصرنا لا نتعلل إلا بمدحه، ولا نتنقل إلا بذكره، ولا نعتد إلا بوده، لا. بل ملأنا البلد شكرا، والأسماع نشرا، وبينا نحن من الحال في أعذبها شرعة، ومن المقة في أطيبها جرعة، ومن المودة في أعزها بقعة، وأوسعها رقعة، حتى طرأ علينا رسولان محتملان مقالته، ومؤديان رسالته، ذاكران أن أبا بكر يقول قد تواترت الأخبار، وتظاهرت الآثار، في أنك قهرت، وأني قهرت، ولا شك أن ذلك التواتر عنك صدرت أوائله، والخبر إذا تواتر به النقل، قبله العقل، ولا بد أن نجتمع في مجلس بعض الرؤساء، فتناظر بمشهد الخاصة والعامة، فإنك متى لم تفعل ذلك لم آمن عليك تلامذتي، أو تقر بعجزك وقصورك عن بلوغك أمدي. ومنال يدي، فقلت: هذا التواتر ثمرة ذلك التناظر، مع ذلك التساتر، فإن ساءك فأحر أن يسوءك عند مجتمع الناس، ومحتفل أولى الفضل، ولأن تترك الأمر مختلفا فيه خير لك من أن يتفق عليه، وإن أحببت أن تطير هذا الواقع، وتهيج هذا الساكن، فرأيك موفق.." (١)

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ص/١٠

"قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه ... حتى يكون إلى توريطه سببا
شر الأخلاء من كانت مودته ... مع الزمان إذا ما خاف أو رغبا
إذا وترت امرءا فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا
آخر:
ليس الصديق الذي يعطيك شاهده ... شهد الوداد وخان الغيب غائبه
وقال عبيد بن الأبرص:
قد يوصل النازح النائي وقد ... يقطع ذو السهمة القريب
آخر:
تلوم على القطيعة من أتاها ... وأنت شببتها في الناس قبلي
آخر:
قد فرق الله بين شيمتنا ... في كل أمر فكيف نأتلف
قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: من أفطر من أجل أخ له، ثم لم يمنن عليه عدل له ذلك بصيام شهر.
وقال الحسن البصري: لا ينظر الله إلى من بذل الود لأخيه حتى ائتمنه ثم انطوى له على غل.
شاعر:
وأخ إن جاءني في حاجة ... كان بالإلحاح مني واثقا
وإذا ما جئته في حاجة ... كان بالرد بصيرا حاذقا
يعمل الفكرة لي في الرد من ... قبل أن أبدأ فيها ناطقا
آخر:
أراك مع الأعداء في كل موطن ... وقلبك من ضغن علي مريض
وما بي من فقر إلى أن تحبني ... وما ضرني أني إليك بغيض
وقال ابن عباس: العاقل الكريم صديق كل أحد، إلا من ضره، والجاهل اللئيم عدو لكل أحد إلا من نفعه.
وقال آخر:
لنا صديق مبغض للأدب ... إخوانه من جهله في تعب
يغضب حينا عند حد الرضا ... نوكا ويرضى عند حال الغضب

كأنه من سوء تأديبه ... أسلم في **كتاب سوء الأدب**

آخر:

الحمد لله عامل الصدقه ... كان صديقا فقد لوى عنقه

آخر:

يا صديقي ما كنت لي بصديق ... إنما كنت للزمان صديقا

قال بعض السلف: أحق الناس بأن يتقى: العدو القوي، والصديق المخادع، والسلطان الغشوم.

شاعر:

إذا عدوك لم يظهر عداوته ... فما يضرك إن عاداك أشرار

وقال رجل لعمر بن الخطاب: والله إني لأحبك في الله، قال: لو كنت كما تقول لأهديت إلي عيوبي.

وقال أعرابي: السؤال عن الصديق أحد اللقائين.

شاعر:

من لم يكن ذا صديق ... يفضي إليه بسره

ويستريح إليه ... في خير أمر وشره

فليس يعرف طعما ... لحلو عيش ومره

آخر:

وأبيض قد صادفته فدعوته ... إلى بدوات الأمر حلو شمائله

أخي ثقة إن أبتغ الجد عنده ... أجده ويلهيني إذا شئت باطله

وإني لمعراض عن المرء بعدما ... يبين وتبدو لو أشاء مقاتله

آخر:

أغيب عنكم بود لا يغيره ... طول البعاد ولا ضرب من الملل

آخر:

ولا يلبث الحبل الضعيف إذا التوى ... وجاد به الأعداء أن يتخذما

قال الحسن البصري: ليس من المروءة أن يربح الرجل على أخيه.

وقال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره اثنين، ولا يستأثر دون أخيه بورق ولا عين.

وقال الحسن: لأن اقضي لأخ من إخواني حاجة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة.

وقال الحسن: ما تحاب اثنان ففرق بينهما إلا ذنب يحدثه أحدهما.

وقال الحسن: لا تشتر مودة ألف بعداوة واحد.

وقال الشاعر:

إذا ما امرؤ ولى علي بوده ... وأدبر لم يهدر بإدباره ودي

قيل لأعرابي: كيف ينبغي أ، يكون الصديق؟ قال: مثل الروح لصاحبه، يحييه بالتنفس، ويمتعه بالحياة ويريه من الدنيا نضارتها، ويوصل إليه نعيمها ولذتها.

وأخبرنا ابن مقسم العطار النحوي قال: أنشدنا ثعلب لأعرابي:

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلم

إذا سمته وصل القرابة سامني ... قطيعتها، تلك السفاهة والظلم

ويسعى إذا أبني ليهدم صالحي ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم

يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكالموت عندي أن يسوغ له الرغم

فإن أنتصر منه أكن مثل رائش ... سهام عدو يستهاض بها العظم." (١)

"فقال: ما أراك إلا وقد حفظت هذا البيت، قال: نعم! وإن شئت أن أنشدك القصيدة كلها كما أنشدك أنشدتك، قال: نعم، فأنى أشاء، فأنشده القصيدة حتى جاء على آخرها، ثم أقبل على عمر فقال: أنشد، فأنشده:

تشط غدا دار جيراننا

فقال ابن عباس:

وللدار بعد غد أبعد

فقال: كذا قلت! قال: كذا يكون – إن شاء الله – فاضطرب ابن أبي ربيعة وخجل، فقال له ابن عباس: إنما عنيت أنك أنت قلته، قال: يا عم، فكيف علمت؟ فقال: لا يكون بعد هذا إلا ذا.

ويروى أن أعرابيا سأله عن قول الشاعر:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما علم الإنسان إلا ليعلما

من الذي قاله؟ ومن عني به؟ قال: عمرو بن حممة الدوسي، قضى على العرب ثلاثمائة سنة وهو ابن سبعين، فألزموه السادس من ولد ولده حيث كبر، فجعل بينه وبينهم أمارة إذا اختلط أن يقرع له العصا

---

(١) الصداقة والصديق، ص/٥٥

ليرتدع. فذلك قول المتلمس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه سمع كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري ينشد:

ألا هل أتى غسان عنا ودوننا ... من الأرض خرق غوله متتعتع

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة ... مدربة فيها القوانس تلمع

فقال صلى الله عليه: " لا تقل عن جذمنا وقل عن ديننا " . فكان كعب يقرأ كذلك ويفتخر بذلك، ويقول: ما أعان رسول الله صلى الله عليه أحدا في شعره غيري.

وحدثني الرياشي في إسناد قال: لما دخل رسول الله صلى الله عليه المدينة اجتمعت عليه الأنصار، وجعلوا يخبرونه عن أمورهم، قال: وأنشده حسان:

وقد أروح أمام الحي منتطقا ... بصارم مثل لون الملح قطاع

يدفع عني ذباب السيف سابغة ... موارة مثل مور النهي بالقاع

في فتية كسيوف الهند أوجههم ... لا ينكلون إذا ما ثوب الداعي

قال: ورسول الله صلى الله عليه يتبسم، فظن أن تبسمه لما يسمع من وصفه ما هو عليه من جبنه. وذكر الزبير أن قومه كانوا يدفعون أن يكون جبانا، ولكنه أقعده عن الحرب أن أكحله قد قطع، فذهب منه العمل في الحرب، وأنشد الزبير قول حسان:

أضر بجسمي مر الدهور ... وخان قراع يدي الأكحل

وقد كنت أشهد وقع الحروب ... ويحمر في كفي المنصل

ورثنا من المجد أكرومة ... يورثها الآخر الأول

وحدثت عن الأصمعي قال: الدليل على أن حسانا لم يكن جبانا من الأصل أنه كان يهاجي خلقا فلم يعيره أحد منهم.

وكان أبو بكر الصديق رحمة الله عليه – فيما يروى – شاعرا، وعمر شاعرا، وعلي أشعر الثلاثة. وينشد لعلي عليه السلام:

فلو كنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا ... فنسأل بعد ذا عن كل شي

وكانت عائشة رحمها الله تفسر قول رسول الله صلى الله عليه: " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه

)من الورى(خير له من أن يمتدئ شعرا " . قالت: يعني الهجاء منه.

وسمع أبو بكر يوما قول لبيد:

أخا لي أما كل شيء سألته ... فيعطي وأما كل ذنب فيغفر

فقال: ذاك رسول الله صلى الله عليه.

وحدثني الرياشي قال: أنشد منشد أبا بكر قول زهير في هرم بن سنان:

أن نعم معترك الجياع إذا ... خب السفير وسابئ الخمر

ولنعم حشو الدرع أنت إذا ... دعيت نزال ولج في الذعر

ومرهق النيران يحمد في ال ... لأواء غير ملعن القدر

وجعل أبو بكر رحمه الله يقول عند كل بيت: ذاك رسول الله، حتى أنشده:

والستر دون الفاحشات وما ... يلقاك دون الخير من ستر

أي يكون لك سترا دون الفاحشات من دون الخيرات. فقال: هكذا كان والله رسول الله صلى الله عليه.

ثم قال: أشعر شعرائكم زهير.

باب منه

قال محمد بن علي بن الحسين – صلوات الله عليهم: إن الله جل وعز – أدب محمدا صلى الله عليه **أحسن الأدب**، فقال تبارك وتعالى: " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " .

فلما قبل عن ربه جل وعز، وعمل بما أمره به ربه أثنى عليه فقال: " وإنك لعلى خلق عظيم " .." (١)

"قال: فقال له صاحبه: يا ابن أخي! أحسنت والله، عتق ما يملك لو أن هذا في موضع أمير المؤمنين الرشيد لخلع عليك ثيابه مشقومة طربا، قال: فقمت وهما لا يعلمان من أنا، فدخلت على أمير المؤمنين الرشيد، فحدثته، فقال: أدركهما لا يفوتانك، فوجهت من أتى بهما، فلما دخلا عليه ودخلا بوجوه قد ذهب ماؤها، وأنا قائم على رأسه، فقال: يا إبراهيم! هذان هما؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين، فنظر المغني منهما إلي وقال: سعاية في جوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فسري عن أمير المؤمنين بعض غضبه، فقال: ما كنتما فيه؟ قالا: خير، قال: فما من ذلك الخير؟ فسكتا، فقال للمغني منهما: من أنت؟ فابتدره جماعة فقالوا: يا أمير المؤمنين! هذا ابن جريج فقيه أهل مكة، فقال: فقيه يتغنى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: يا أمير المؤمنين! لم يكن ذلك بالقصد مني، ولكني سمعت من هذا المخزومي

---

(١) الفاضل، ص/٤

– يعني صاحبه – صوتين لم يزالا في قلبي حتى التقينا وأحببت أن يأخذهما علي فأخذهما علي، وحلفت إني قد أحسنت وأنه لو كان في موضع أمير المؤمنين لخلع علي، وسكت.

فقال: إن كنت تركت من الحديث شيئا فهاته، فقال: ما تركت يا أمير المؤمنين شيئا، قال: والله لتقولن ما قال أو لأضربن عنقك.

قال: يا أمير المؤمنين! قال: لو كنت في موضعه لخلعت عليه ثيابك مشقوقة طربا، فتبسم الرشيد وقال: أما هذا فلا، ولكن سأنبذها لك صحيحة فهو خير لك، ثم دعا بثياب ونبذ إليه ثيابه، وأمر له بعشرة آلاف درهم، ولصاحبه بخمسة آلاف درهم، وقال: لا تعود لمثل هذا.

قال: فقال صاحب ابن جريج: إلا أن تحج ثانية يا أمير المؤمنين، فضحك وقال: ألحقوه بصاحبه في الجائزة.

وصية أعرابية لولدها

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن رستم، قال: حدثني محمد بن عيسى النحوي، قال: قال أبان بن تغلب – وكان عابدا من عباد البصرة: شهدت أعرابية وهي توصي ولدا لها يريد سفرا وهي تقول له: أي بني! اجلس امنحك وصيتي، وبالله تعالى توفيقك، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك.

قال أبان: فوقفت مستمعا لكلامها مستحسنا لوصيتها فإذا هي تقول: أي بني! إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين، وإياك والتغرض للعيوب، فتتخذ غرضا، وخليق إلا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقل ما اعتورت السهام هدفا إلا كلمته حتى يهي ما اشتد من قوته، وإياك والجود بدينك، والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريما يلين لهزتك، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا يتفجر ماؤها، ومثل لنفسك أمثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه، ومن كانت مودته بشره، وخالف ذلك فعله، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها، ثم أمسكت.

فدنوت منها فقلت: بالله يا أعرابية إلا زدتيه في الوصية، قالت: أوقد أعجبك كلام الأعراب يا عراقي؟ قلت: نعم، قالت: والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها.

عندما يسمع المحب اسم حبيبه

حدثنا محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا عون بن محمد، قال: حدثني إدريس بن بدر أخو الجهم بن

بدر، قال: كان أبي منقطعا إلى الفضل بن يحيى، فكان معه يوما في موكبه، فقال أبي: فرأيت من الفضل حيرة وجولة، فنظر إلي ففطن أني قد استبنت ما كان فيه، فقال: عرفني يا بدر، كيف قال المجنون: وداع دعا.......؟ فأنشده:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى ... فهيج أحزان الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائرا كان في صدري

قال: هذه والله قصتي، كنت أهوى جارية يقال لها خشف، فكان مني ما رأيت ونالني مثل ما نال المجنون.

كتاب سوء الأدب

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الشامي بهراة، قال: أخبرني علي بن الجعد، قال: كتب أبو يوسف القاضي يوما وعن يمينه إنسان، فلاحظه يقرأ ما يكتب، ففطن به أبو يوسف، فقال له: وقفت على شيء من خطأ؟ قال: لا، والله، ولا حرف. فقال له أبو يوسف: جزيت خيرا كفيتنا مؤونة قراءته، ثم أنشأ يقول:

كأنه من سوء تأدابه ... تعلم في **كتاب سوء الأدب**." (١)

"تتبع إخوانه في البلاد ... فأغنى المقل عن المكثر

قال: فبعث إليه أبو البختري بألف دينار.

قال القاضي: وفي غير هذه الرواية قبل البيت الأول من هذه الأبيات:

تأمل قبيح الذي جئته ... تجده خلوف فم الأبخر

وهذا من قبيح الهجاء وفيه مبالغة في الذم عجيبة. وأنشدنا في هذا المعنى.

رأيت نبيذين في مجلس ... فقلت لساق لنا ما السبب

فقال الذي نحن في بيته ... يفضل قوما بسوء الأدب

تعريف بأبي البختري

فأما أبو البختري هذا فهو وهب القرشي الأسدي الفهري؛ قال القاضي: وله أخبار كثيرة، ومدحه الشعراء مدحا كثيرا لسماحته وسعة عطائه واستفاضة مكارمه وسجاحة أخلاقه، وقد ذمه آخرون وطعن فيه الأئمة من الأكابر والرؤساء وأعلام المحدثين والعلماء ونسبوه إلى الكذب فيما يرويه ووضع كثير من الحديث الذي كان يأتيه، وهجاه بهذا المعنى بعض الشعراء، ولعل بعض ما لم نذكره من أخباره يأتي فيما بعد إن

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٢١٩

شاء الله تعالى.

المجلس السابع والثمانون

حديث في أداء حقوق المال

أخبرنا المعافى قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمي سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة قال، حدثنا محمد بن عبد الله بن زيد قال، حدثنا إسحاق يعني الأزرق قال، حدثنا عبد الملك وهو ابن أبي سلمى عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من صاحب إبل ولا بقير ولا غنم لا يؤدي حقها إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطأه ذات الخف بخفها، وتنطحه ذات القرن بقرنها، ليس فيها يومئذ لا جماء ولا مكسورة القرن " ، قيل: يا رسول الله وما حقها؟ قال: إطراق فحلها.

شرح بعض ألفاظ الحديث

قال القاضي : قوله: " بقاع قرقر " أي أملس مستو، ويقال قاع قرق وقرقر وقرقوس، ومن القرق قول الراجز.

كأن أيديهن بالقاع القرق ... أيدي جوار يتعاطين الورق

وقوله: " إطراق فحلها " : يقال أطرق الرجل فحل إبله: مِن طلبه ليطرق إناث إبله للنتاج، وفي هذا ما يدل على وجوب الإطراق على صاحب الفحل، ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عسيب الفحل وهو إجارته للضراب.

حدثنا محمد بن علي بن إسماعيل الإبلي قال، حدثنا أبو سهل عمر بن عبدوس الهمذاني بالإسكندرية قال: حدثنا هاني بن متوكل قال: حدثنا ابن لهيعة عن زيد بن أبي حبيب وعقيل بن خالد عن ابن شهاب عن انس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع الرجل فحلة فرسه.

وحدثنا محمد بن علي قال، حدثنا بكر بن سهل القشي قال، حدثنا عبد الله بن يوسف قال، حدثنا ابن لهيعة عن زيد بن أبي حبيب وعقيل عن ابن شهاب عن أنس قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر نحوه.

وحدثنا محمد بن علي قال، حدثنا محمد بن الهيثم القاضي قال، حدثنا سعيد بن أبي مريم قال، حدثنا ابن لهيعة عن زيد بن أبي حبيب عن ابن شهاب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: نهى أن يبيع الرجل فحلة فرسه، ولم يذكر عقيل بن خالد. قال القاضي: فاجارة الفحل للضراب غير جائزة لما ورد فيها من نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولأن ذلك من الغرر الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قد يراد الفحل على الضراب فيمنتع، وقد يكره منه الضراب فيتوثب عليه، فهو محظور بما ورد من الأخبار

وبدليل النظر من جهة القياس والاعتبار وكان مالك في من سلك سبيله من أهل المدينة يجيزون هذا ويرخصون فيه ولا يرون به بأسا، والسنة والقياس أولى بالاتباع. ومن العسب قول زهير:

ولولا عسبه لتركتموه ... وشر منيحة أير معار

وقد جاء في الأمر بإطراق الفحل أخبار كثيرة، وروي من التوعد مثل ما ذكرنا في هذا الخبر في مانع الزكاة، وجائز أن يقع التعذيب بما وصفنا، وكل من منع حقا وجب في هذا المال عليه بزكاة أو غيرها.

أعرابي يخضب لحيته." (١)

"حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن الشرقي بن القطامي قال: كان شمر يرعش الملك الحميري ميمون النقيبة مغضور الناصية مظفرا بعيد الصيت وطاء للسعد، وملك ثمانيا وأربعين سنة، هكذا يقول لأهل اليمن في سيرة ملوكهم فلما تقاربت أيامه وأشفى على انقضاء مدته، وهو شمر يرعش بن تبع بن ياسر ينعم تبع بن عمرو ذي الأذعار تبع بن أبرهة ذي المنار تبع بن الرائش تبع بن قيس بن صيفي، جمع بينه وهم ثلاثة: دريد ومكنف وشرحبيل، فقال: تناهت المدة، وتقضت العدة، وجاء مالا يدفع، وحل مالا يمنع، وقد بلغت من السن مدى في دونه تنجذ التجارب ذا الحجى، وإني ملق إليكم كلاما استدل بجوابه على ألبابكم، وأسبر به حصافة رويتكم، لتطمئن نفسي عند فراقكم: أنا لي خلفا أذكر به وإن كان غناء ذلك عني قليلا فقالوا: قل: فقال: ما المجد؟ فقالوا: ابتناء المكارم، وحمل المغارم، والاضطلاع بالعظائم، وظلف النفس عن ركوب المظالم. قال: فما الشرف؟ قالوا: كرم الجوار، وصيانة الأقدار، وبذل المطلوب في اليسر والإعسار. قال: فما الدناءة؟ قالوا: تتبع التافه اليسير، ومنع النزر الحقير. قال: فما المروة؟ قالو: سمو الهمة، وصيانة النفس عن المذمة قال: فما الكلفة قالوا: التماس ما لا يعنيك ومطالبة مالا يؤاتيك. قال: فما الحلم؟ قالوا : كظم الغيظ، وضبط النفس عند الغضب، وبذل العفو عند القدرة. قال: فما الجهل؟ قالوا: معاجلة الوثوب، والغباوة بعواقب الخطوب. قال: فما الجرأة؟ قالوا: حفظ ما استرعيت، ومجانبة ما استكفيت. قال: فما الأربة؟ قالوا: انتظار الفرصة، والتوقف عند الشبهة. قال: فما الشجاعة؟ قالوا: صدق الباس، والصبر عند المراس. قال: فما العجز؟ قالوا: العجلة قبل الاستمكان، والتأني بعد الفرصة. قال: فما الجبن؟ قالوا: النزق عند الفزع، والهلع عند الجزع. قال: فما السماحة؟ قالوا حسن البشر عند السؤال واستقلال كثير النوال قال فما الشح. قالوا: أن ترى القليل إسرافا، والبذل إتلافا. قال: فما الظرف؟ قالوا: حسن المجاورة، ولين المعاشرة. قال: فما الصلف؟ قالوا: التعظم مع

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٤٢٧

صغر القدر، واستشعار الكبر مع قلة الوفر. قال: فما الفهم؟ قالوا: لسان مراع، وقلب واع. قال: فما الغنى؟ قالوا: قلة التمني والرضى بما يكفي قال فما السؤدد قالوا: اصطناع العشيرة، وحمل الجريرة. قال: فما السنا؟ قالوا: حسن الأدب، ورعاية الحسب. قال: فما اللؤم؟ قالوا؛ إحراز النفس وإسلام العرس. قال: فما الدناءة؟ قالوا: الجلوس على الخسف، والرضا بالهوان. قال: فما الفقر؟ قالوا: شره النفس، وشدة القنوط. قال: فما الشرف؟ قالوا: الفعل الكريم، والحسب الصميم، والفرع العميم. قال: انصرفوا يا بني، الآن أسمحت للموت قرونتي، وأنشأ يقول:

هون فـقد الحياة أني ... خلفت ذكرا على الزمان

أخلاف أسلاف بيت ملك ... مؤيد الأس والبواني

فالآن فلترشف المنايا ... ما أسأر الدهر من جناني

تعليقات

قال القاضي: قول الشرقي في شمر يرعش " ميمون النقيبة مغضور الناصية " وصفه باليمن والبركة مع خلوص الحرية وكرم النجر والشيمة، يقال للأرض الحرة الطين الطيبة الترب غضراء، ومنه غضارة العيش وغضارة النعمة، ومنه اشتق اسم غاضرة من بني أسد، ويروى بيت توبة بن الحمير:

أبيني لنا لا زال ريشك ناعما ... ولا زلت في غضراء غض نضيرها

على وجهين: غضراء وخضراء. وقوله " لا يمنع " بمعنى لا يرد ولا يدفع، وقوله " مدى في دونه تنجذ التجارب ذا الحجى " معنى تنجذه: تحكمه وتقر عقله وحلمه، والنواجذ الأضراس واحدها ناجذ، وفيها ناجذ ينبت عند تناهي الشباب ومقاربة التكهل يقال له ضرس الحلم، وتسميه العامة ضرس العقل، قال سحيم بن وثيل:

وماذا يدري الشعراء مني ... وقد جاوزت حد الأربعين

أخو خمسين مجتمع أشدي ... ونجذني مجاورة الشؤون

كسر نون الجمع في " الأربعين " لتتفق حركات الإطلاق في قوافيه، وهي لغة ضعيفة جارية في شذوذها مجرى فتح نون الاثنين كقول الشاعر:." (١)

" ذكر المصطفين من أهل بغداد

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٤٣٣

نزل بغداد خلق كثير من العلماء والزهاد والأولياء والعباد وإنما ننتخب منهم من يدخل في شرط كتابنا هذا ونذكرهم على طبقاتهم والله الموفق

٢٥٤ – أبو هاشم الزاهد

قال أبو نعيم الحافظ أبو هاشم من قدماء زهاد بغداد ومن أقران أبي عبد الله البراثي وبلغني أن سفيان الثوري جلس إليه وقال ما زلت أرائي وأنا لا أشعر حتى جالست أبا هاشم فأخذت منه ترك الرثاء

محمد بن حسين قال حدثني بعض أصحابنا قال قال أبو هاشم الزاهد إن الله عز و جل وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها وليقبل المطيعون له بالإعراض عنها وأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون وإلى الآخرة مشتاقون

وعن حكيم بن جعفر قال نظر أبو هاشم إلى شريك القاضي يخرج من دار يحيى بن خالد فبكى وقال أعوذ بالله من علم لا ينفع

وعن محمد بن الحسين قال قال أبو هاشم الزاهد أخذ المرء نفسه **بحسن الأدب** تأديب أهله ." (١)

" قال جنيد كان سري متصل الشغل وكان إذا فاته شيء لا يقدر أن يعيده وكذا كان عمر بن الخطاب لم يكن له وقت ينام فيه فكان ينعس وهو قاعد فقيل له يا أمير المؤمنين ألا تنام فقال كيف أنام إن نمت بالنهار ضيعت أمور المسلمين وإن نمت بالليل ضيعت حظي من الله عز و جل

وعنه قال أخبرنا سري السقطي قال صليت ليلة ثم جلست ساعة ومددت رجلي فنوديت في سري يا سري من جالس الملوك ينبغي أن **يحسن الأدب**

وعن حسن البزار قال كان أحمد بن حنبل ها هنا وكان بشر بن الحارث ها هنا وكنا نرجو أن يحفظنا الله بهما ثم ماتا وبقي سري فإني أرجو أن يحفظنا الله بسري

وعن الجنيد قال ما رأيت أعبد لله من السري السقطي أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رئي مضطجعا إلا في علة الموت

---

(١) صفة الصفوة، ٢/٣٠٦

وعن القاسم بن عبد الله البزار قال سمعت سري بن المغلس يقول لو أن رجلا دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار فخاطبه كل ." (١)

" توفي في ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة وقبره ظاهر بالجانب الغربي رحمه الله

٣١٠ - أبو محمد الحريري وإسمه أحمد بن محمد بن الحسين

عن عبدالله الرازي قال سمعت الحريري يقول منذ عشرين سنة مامددت رجلي في الخلوة فإن **حسن الأدب** مه اللع أولى

وقال علي بن عبد الله اعتكف أبو محمد الحريري بمكة في سنة إثنتين وتسعين ومائتين فلم يأكل ولم ينم ولم يمد رجليه فقال له أبو بكر الكناني يا أبا محمد بماذا قدرت على إعتكافك فقال علم صدق باطني فأعانني على ظاهري

وقال أبو الحسن الفارسي قال أبو محمد الحريري من توهم أن عملا من أعماله يوصله إلى مأموله الأعلى والأدنى فقد ضل عن طريقه لأن النبي صلى الله عليه و سلم قال لن ينجي أحدكم عمله فما لاينجي من المخوف كيف يبلغ إلى المأمول ومن صح إعتماده على فضل الله تعالى فذاك الذي يرجى له الوصول

وقال محمد بن داود الدينوري سمعت أبا محمد الحريري يقول ." (٢)

" إستحالتها وقد كان الخلدي كتب إلى شيخنا أبي نعيم يجيز له رواية جمع علومه عنه وكتب أبو نعيم هذه الحكاية عن أبي الحسن بن مقسم عن الخلدي ورواها لنا عن الخلدي نفسه إجازة والخلدي ثقة وكان إبن مقسم غير ثقة والله أعلم

وعن عيسى بن محمد قال سمعت أبا الحسن خيرا النساج يقول تقدم إلي شاب من البغداديين وقد انطبقت يده فقلت له مالك فقال جلست إليك فحللت عقدة من طرف إزارك فجفت يدي فقلت كنت قد بعت به لأهلي غزلا ثم مسحت يده بيدي فرد الله عليه يده وناولته الدرهم وقلت إشتر به شيئا ولا تعد

قال أبو بكر الرازي قال خير النساج الخوف سوط الله يقوم به أنفسنا وقد **تعودت سوء الأدب** ومتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السر

وقال العمل الذي يبلغ إلى الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف

---

(١) صفة الصفوة، ٣٨٢/٢

(٢) صفة الصفوة، ٤٤٧/٢

علي بن هرون الحربي يحكي عن غير واحد ممن حضر موت خير من أصحابه أنه غشي عليه عند صلاة المغرب ثم أفاق ونظر إلى ناحية من باب البيت فقال قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور ما أمرت به لايفوتك وما أمرت به يفوتني ." (١)

" والد قالت نعم فلان الخياط في موضع كذا وكذا فراسلت أباها أن يزوجها مني ففرح بذلك واحضرت الشهود فتزوجتها فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء شوهاء الخلق فقلت اللهم لك الحمد على ما قدرته لي وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك وأزيدها برا وإكراما إلى أن صارت بحيث لا تدعني أخرج من عندها فتركت حضور المجالس إيثارا لرضاها وحفظا لقلبها ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة وكأني في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها شيئا من ذلك إلى أن ماتت فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي

أبو عمرو بن حمدان قال سمعت أبا عثمان الحيري يقول من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة لقوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا

قال ابن حمدان وقرأت بخط أبي سمعت أبا عثمان يقول الخوف من الله يوصلك إليه والعجب يقطعك عنه واحتقار الناس في نفسك مرض لا يداوى

وقال أبو عثمان حق لمن أعزه الله بالمعرفة أن لا يذل نفسه بالمعصية

أبو الحسين الوراق قال سمعت أبا عثمان يقول وقد سئل عن الصحبة فقال الصحبة مع الله عزوجل **بحسن الأدب** ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع الرسول صلى الله عليه و سلم باتباع سنته ولزوم ظاهر الحكم والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام ." (٢)

" قال عبيد بن عبد القاهر قال أبو يزيد غبت عن الله عزوجل ثلاثين سنة وكانت غيبتي عنه ذكري إياه فلما خنست عنه وجدته في كل حال فقال له رجل مالك لا تسافر قال لأن صاحبي لا يسافر وانا معه مقيم فقال السائل إن الماء القائم قد كره الوضوء منه فقال أبو يزيد لم يروا بماء البحر باسا هو الطهور ماؤه الحل ميتته ثم قال قد ترى الأنهار تجري لها دوي وخرير حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به سكن خريرها وحدتها ولم يحس بها ماء البحر ولا ظهرت فيه زيادة ولا إن خرجت منه استبان فيه

---

(١) صفة الصفوة، ٤٥٣/٢

(٢) صفة الصفوة، ١٠٥/٤

قاسم الحداد قال خرج أبو يزيد البسطامي في بعض سياحته فوقف على دجلة فالتقى به الشيطان فحول وجهه ثم قال وعزتك إنك تعلم أني ما عبدتك قط لهذا فلا تحجبني به عنك

عبد الصمد بن محمد عن أبي يزيد انه صعد ليلة سور بسطم فلم يزل يدور على السور إلى وقت طلوع الفجر يريد أن يقول لا إله إلا الله فيغلبه ما يريد عليه من هيبة الاسم فلا يستطيع أن يطلق بها لسانه فلما كان وقت طلوع الفجر نزل فبال الدم

الحسن بن علويه قال قال أبو يزيد قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف بي هاتف من يجالس الملوك فينبغي أن يجالسهم **بحسن الأدب** ." (١)

"ثامنا : صبره واحتسابه: الصبر سيد الأخلاق، ورفيق الدرب والطريق إلى الإمامة في الدين، والفوز العظيم، وما من خلق من الأخلاق الفاضلة إلا وهو يرجع إلى الصبر، فالصبر أساس الأخلاق الحميدة، وبذر الخير، وجماع الأمر وأصل كلمة الصبر هي المنع والحسن، فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الجيوب وحقيقة الصبر، وخلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل مالا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها (١) ، وقيل: الصبر : هو الوقوف مع البلاء **بحسن الأدب** (٢) ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى: الصبر في كتابه العزيز في نيف وتسعين موطنا تدل على وجوبه، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر، وجعلها ثمرة له، وجمع للصابرين بين أمور يجمعها لغيرهم قال تعالى : "أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون" (البقرة، آية : ٥١٦) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة (٣) .

وقال الشاعر:

اصبر قليلا وكن بالله معتصما

لا تعجلن، فإن العجز بالعجل

الصبر مثل اسمه في كل نائبة

ج

(١) صفة الصفوة، ١١٠/٤

لكن عواقبه أحلى من العسل (٤)

---

(١) الأخلاق بين الطبع والتطبع ص ١٩٧.

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٧.

(٣) صحيح الجامع للألباني (٩٩٢/١) السلسلة الصحيحة رقم ١٤٣

(٤) الأخلاق بين الطبع والتطبع ص ١٩٧.." (١)

"وروى أنه كان بينه وبين أبى سليمان الداراني عقد بأنه لا يخالفه فى شيء يأمره به، فجاء يوما والداراني يتكلم في مجلسه، فقال: " ان التنور قد سجر، فبم تأمر؟ " فلم يجبه. فقال ثانيا، وثالثا، فلما ألح عليه، كأنه قد ضاق قلبه، فقال له: .. اذهب فاقعد فيه! " . ثم تغافل واستغل عنه ساعة، ثم ذكره فقال: " اطلبوا أحمد، فانه فى التنور، لأنه على عقد ألا يخالفنى! " فذهبوا إليه فإذا به جالس في التنور لم يحترق منه شعرة " .

وروى عن سعيد بن عبد العزيز الحلبي، قال: " أحسن ما سمعت عنه، أنه جاءه مولود، ولم يكن له شيء من الدنيا، فقال لتلميذ له: " قد جاءنا البارحة مولود! خذ لنا دقيقا! " فتعجب تلميذه من ذلك. وكان بعض التجار قد وجه متاعا إلى مصر، فنوى: إن سلم فلأحمد مائتا درهم؛ فسلم المتاع، فدفعها إلى غلامه، وقال: " اخبر احمد بذلك " ، ففرح تلميذه لذلك. ثم جاء رجل وقال: " يا أحمد! جاءني البارحة ولد! أعندك من الدنيا شيء؟ " . فرفع رأسه إلى السماء وقال: " يا مولاى! هكذا بالعجل؟! " ودفع الدراهم اليه، ثم قال لتلميذه: " قم - ويحك! - جئنا بالدقيق! " .

وجاءه رجل مرة أخرى، فقال: " ولد لى الليلة غلام، وما عندنا شيء ننفقه! " فقال: " أصبحت لا املك سوى هذين القميصين!. فخذ أحدهما " . فنظر أيهما أجد، فقال: " السفلاني أجد، وهو يبلغ لك ثمنا جيدا " . ثم تنحى فنزعه ولبس الفوقاني، ومضى الرجا. وخرج أحمد من باب جيرون، فلما صار على المدرج لقيه رجل فسلم عليه، وقال له: " عمير ابن جوصاء يسلم عليك ويقول: ثلاثون دينارا، انتفع بها! " . فقال احمد: " أعطيت قميصا فوجه إلى بثلاثين دينارا!. ما هذه الغفلة؟! " ثم صرخ صرخة عظيمة ورمى بنفسه، ولو لم يمسك لتهشم وجهه.

ولأحمد ولد أسمه عبد الله، وكنته أبو محمد. وكان زاهدا ورعا، عالما بالحديث، حدث عن أبيه، وصار

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ٣٤٠/١

من الأعيان. مات سنة خمس وثلثمائة.

ولأحمد أخ اسمه محمد كان أكبر منه. من قدماء المشايخ، صحب الفضيل، وروى عنه أخوه.

قال: سمعته يقول: " من أنس بغير الله فهو فى وحشة أبدا " .

وزوجة احمد، واسمها رابعة - بمثناة من تحت - بنت إسماعيل، كانت عابدة كرابعة العدوية بمصر.

خطبت أحمد من نفسها، فكرة ذلك لما كان فيه من العبادة، وقال: " والله ما لى همة في النساء، لشغلي بحالي! " فقالت: " وأني لأشغل بحالي منك، ومالي شهو في الرجال. ولكنى ورثت مالا جزيلا من زوجي، فأردت أن أنفقه على أخواني، وأعرف بك الصالحين، لتكون لى طريقا إلى الله " . فقال: " حتى استأذن أستاذي " . قال أحمد: " فرجعت إلى أستاذي، وكان ينهاني عن التزوج، ويقول: " ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير " . فلما سمع كلامها، قال: " تزوج بها، فأنها ولية الله، هذا كلام الصديقين " . قال: فتزوجها، وتزوج عليها ثلاث نسوة، قال: " فكانت تطعمني الطيبات، وتطيبني وتقول: اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك " .

وكانت تشبه في أهل الشام برابعة العدوية في أهل مصر.

أحمد بن خضرويه البلخي

١٤٥ - ٢٤٠ للهجرة

أحمد بن خضرويه البلخي أبو حامد من أكابر خراسان سمع أبا تراب، وحاتما الأضم، ورحل إلى أبى يزيد. ومات سنة أربعين ومائتين.

من كلامه: " لا نوم اثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة؛ ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة " .

وقال: " من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء: بالتواضع، **وحسن الأدب**، وسخاوة النفس " .

وقال: " من أراد ان يكون الله معه فليلزم الصدق، فان الله مع الصادقين " .

وروى أنه اقترض من رجل مائة ألف درهم، فقال الرجل: " ألستم أنتم الزهاد فى الدنيا؟!، فما تصنع بهذه الدراهم؟! " . قال: أشترى بها لقمة، وأضعها في فم مؤمن، ولا أجترىء أن أسأل ثوابه من الله تعالى " ، فقال: " ولم؟! " . قال: " لأن الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة!. فما مائة ألف فى جناح بعوضة، وما قدرها؟! " .

وقال محمد بن حامد: "كنت جالسا عند احمد بن خضرويه، وهو في النزع، فسئل عن مسألة، فدمعت

عيناه، وقال: " يا بنى! باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة، هو ذا يفتح لى الساعة. وى ادرى أنفتح لى بالسعادة أم بالشقاوة، وأنى لى بالجواب؟! " .." (١)

"" من استولت عليه النفس صار أسيرا في حكم الشهوات، محصورا في سجن الهوى، وحرم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذ بكلام الحق ولا يستحليه، وان كثر ترداده على لسانه، لقوله تعالى:)سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق(. يعنى: لا يفهمونه، ولا يجدون له لذة. صرف الله عن قلوبهم فهم مخاطباته، وأغلق عليهم سبيل فهم كتابه، وسلبهم الانتفاع بالمواعظ، فلا يعرفون الحق، ولا يسلكون سبيله " .

وقال: " ما مددت رجلي في الخلوة منذ عشرين سنة، فان **حسن الأدب** مع الله أولى " .

واعتكف مرة بمكة فلم يأكل، ولم ينم، ولم يستند إلى حائط، ولم يمد رجليه، فقيل: " بماذا قدرت على اعتكافك؟ " . فقال: " علم صدق باطني فأعانني على ظاهري " .

وأنشد:

شكرتك، لا أبى مجازيك منعما ... بشكر، ولا كيما يقال له الشكر

وأذكر أياما لديك، وحسنها ... وآخر ما يبقى على الذاكر الذكر

وقال مرة – وكان عنده جماعة – : " هل فيكم من إذا أراد الله أن يحدث في المملكة حدثا أبى علمه إلى وليه قبل ابتدائه في كونه؟ " فقالوا: " لا! " فقال: " مروا! وابكوا على قلوبكم لم تجد من الله شيئا من هذا " .

وكان كثيرا ما ينشد:

تعلمت ألوان الرضا خوف هجره ... وعلمه حبي له كيف يغضب

ولى ألف وجه، مذ عرفت طريقه، ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهب؟!

وعزى إلى ابن عطاء الأدمى السالف، وأوله:

ومستحسن للهجر والوصل أعذب ... أطالبه ودي فيأبى ويهرب

إذا حدثته بالهوى أظهر الجفا ... ويعلم منى أنني لست أذنب

وقال: "كان في جامع بغداد فقير لم يجتمع له ثوبان قط، في شتاء ولا صيف. فسئل عن ذلك، فقال: " أني كنت ولعا بكثرة الثياب، فرأيت في منامي كأني في الجنة، وإذا بفقراء على مائدة، فأردت أن أجلس

---

(١) طبقات الأولياء، ص/٦

معهم، فإذا جماعة من الملائكة أخذوا بيدي، فأقاموني وقالوا: " هؤلاء أصحاب قميص واحد. وأنت لك قميص، فلا تجلس معهم " . فانتبهت ونذرت ألا ألبس غير ثوب واحد إلى أن القى الله " .

وأنشد:

قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكى الأحبة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بها أسائل مخبرا ... عن أهلها، أو صادقا، أو مشفقا

فأجابني داعي الهوى في رسمها: ... فرقت من تهوى فعز الملتقى!

وقال: " الصبر ألا تفرق بين حالتي النعمة والمحنة، وع سكون الخاطر فيها. والتصبر هو السكون في البلاء مع وجدان أثقال المحنة " .

وأنشد لبعضهم في المعنى:

صبرت ولم أطلع هواك على صبري ... وأخفيت ما بي منك عن موضع الصدر

مخافة أن يشكو ضميري صبابتي ... إلى دمعتي سرا، فتجري ولا أدري

ومن أصحابه أبو عبد الله، وأبو القاسم، ابنا أحمد بن محمد المقرئ. وصحبا غيره أيضا.

مات الأول سنة ست و ستين وثلثمائة. وكان ورعا.

ومات الثاني سنة ثمان وسبعين وثلثمائة.

ومن كلام الأول: " الفقير الصادق الذي يملك كل شئ ولا يملكه شئ " .

ومن كلام الثاني: " الفتوة رؤية فضل الناس ونقصانك " .

ومن أصحابه أيضا أبو محمد عبد الله بن محمد الراسبي البغدادي. مات سنة سبع وستين وثلثمائة.

قال: " المحبة إذا ظهرت افتضح بها الحب، وإذا كتمت قتلت المحب كمدا " . وأنشد:

ولقد أفارقه بإظهار الهوى ... عمدا ليستر سره إعلانه

فلربما كتم الهوى إظهاره ... ولربما فضح الهوى كتمانه

وعى المحب لدى الحبيب بلاغه ... ولربما قتل البليغ لسانه

كم قد رأينا قاهرا سلطانه ... للناس، ذل بحبه سلطانه

أبو سعيد بن الأعرابي

٢٤٧ - ٣٤٠ للهجرة

أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري، المعروف بابن الأعرابي. صحب الجنيد والنوري وغيرهما.

وكتب وصنف في التصوف وفي غيره.
سكن مكة، ومات بها سنة أربعين وثلثمائة، عن ثلاث وستين سنة.
من كلامه: " أخسر الخاسرين الخاسرين من أبدى للناس صالح عمله، وبارز بالقبيح من هو أقرب اليه من حبل الوريد " .
وسئل عن أخلاق الفقراء، فقال: " أخلاقهم السكون عند الفقد، والاضطراب عند الوجود، والأنس بالهموم، والوحشة عند الأفراح " .." (١)

"فمسكن النقباء المغرب، والنجباء مصر، والأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمداء زوايا الأرض، والغوث بمكة.
فإن عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل النقباء، ثم النجباء، ثم الأبدال، ثم الأخيار، ثم العمداء؛ فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث، فلا يتم مسألته حتى تجاب دعوته " .
وقال: " صحبني رجل، وكان ثقيلا علي قلبي، فوهبت له شيئا ليزول ما في قلبي، فلم يزل، فحملته إلي بيتي، وقلت: " ضع رجلك علي خدي " فأبي، فقلت: " لا بد تفعل! " واعتقدت أنه لا يرفع رجله علي خدي حتى يرفع الله من قلبي الذي كنت أجده. فلما زال عن قلبي ما كنت أجده قلت له: " ارفع رجلك الآن! " .
وسئل عن الفائدة في مذاكرة الحكايات، فقال: " الحكايات جند من جنود الله، تقوي بها أبدان المريدين " . فقيل له: " هل لهذا شاهد؟ " . قال: " نعم! قال الله تعإلي:)وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك(.
وروي عنه انه قال: "كنت وأبو سعيد الخراز، وعباس بن المهتدي، وآخر لم يذكره، نسير بالشام علي ساحل البحر وإذا شاب يمشي ومعه محبرة، فظننا أنه من أصحاب الحديث، فتثاقلنا به، فقال أبو سعيد: " يا فتي! علي أي طريق تسير؟ " فقال: " ليس أعرف إلا طريقتين: طريق الخاصة و طريق العامة؛ أما طريق العامة فهذا الذي أنتم عليه، وأما طريق الخاصة فباسم الله! " وتقدم إلي البحر ومشي حيالنا علي الماء، فلم نزل نراه حتي غاب عنا " .
ونظر الكتاني إلي شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل، فقال: " هذا رجل أضاع حق الله في صغره فضيعه الله في كبره " .

---

(١) طبقات الأولياء، ص/١٢

وكان كثيرا ما ينشد:

الشوق والوجد في مكاني ... قد منعاني من القرار

هما في لا يفارقاني ... فذا شعاري وذا دثاري

وخيم في الطواف اثنتي عشرة ألف ختمة.

وقال: " لو لا أن ذكره فرض علي ما ذكرته إجلالا له، مثلي يذكره ولم يغسل فاه بألف توبة متقبلة عن ذكره؟! " .

وأنشد:

ما إن ذكرتك إلا هم يغلبني ... قلبي وسري وروحي عند ذكراكا

حتي كأن رقيبا منك يهتف بي: ... إياك! ويحك والتذكار! إياكا!

ومن أصحابه أيضا محمد بن موسى الواسطي - نسبة إلي واسط العراق بلدة مشهورة - أبو بكر الخراساني، من فرغانة. وصحب أيضا النوري وكان عالما كبير القدر.

مات بمرو بعد العشرين وثلثمائة.

ومن كلامه: " الخوف والرجاء زمامان يمنعان **من سوء الأدب** " .

وانقطع شسع نعله في غدوة إلي الجمعة، فأصلح له، فقال: " إنما انقطع لأني لم أغتسل للجمعة! " . واغتسل بعد ذلك.

ومن أصحابه أبو الحسين علي بن هند القرشي الفارسي، من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم.

وصحب أيضا جعفر الحذاء، وعمرا المكي. له الأحوال العالية، والمقامات الزكية.

ومن كلامه: " اجتهد ألا تفارق باب سيدك بحال، فإنه ملجأ الكل، فمن فارقه لا يري لقدمه قرارا ولا مقاما " .

وانشد:

كنت من كربتي أفر إليهم ... فهم كربتي! فأين المفر؟!

ومن أصحابه أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي سعدان البغدادي، وصحب النوري أيضا. شافعي المذهب، إمام في المعارف.

ومن كلامه: الصابر علي رجائه لا يقنط من فضله " .

ومن أستاذيه محمد بن ابرهيم البغدادي البزاز أبو حمزة، من أولاد عيسى بن أبان. وجالس بشر بن الحارث،

وسافر مع أبي تراب، وصحب سريا. وكان عالما بالقراءات، فقيها زاهدا واعظا.

وهو أول من تكلم ببغداد في المحبة والشوق، والقرب والأنس، على رءوس الناس. وهو أستاذ جميع البغاددة؛ وكان الإمام أحمد يقول له في المسائل: " ما تقول فيها يا صوفي؟! " .

مات سنة تسع وثمانين ومائتين.

وكان يتكلم في مجلسه يوم الجمعة، فتغير عليه الحال، وسقط عن كرسيه، ومات في الجمعة الثانية، ودفن بباب الكوفة.

ومن كلامه: من رزق ثلاثة أشياء مع ثلاثة أشياء فقد نجا من الآفات: بطن خال مع قلب قانع، وفقر دائم مع زهد حاضر؛ وصبر كامل مع ذكر دائم " .

وقال: " علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغني ويذل بعد العزة، وينحط بعد الشهرة. وعلامة الصوفي الكاذب أن يستغني بعد الفقر، ويعز بعد الذل، ويشتهر بعد الخفاء " .." (١)

"خير بن عبد الله النساج، أبو الحسن. من " سر من رأى " ، ونزل بغداد، وصحب أبا حمزة البغدادى، ولقى سريا السقطي. وكان من أقران النوري. وعمر طويلا، وصحب الجنيد، وابن عطاء. وتاب في مجلسه ابرهيم الخواص والشبلي، وكان أستاذ الجماعة.

مات سنة اثنتين وعشرين مثلثمائة، عن مائة وعشرين سنة.

من كلامه: الخوف سوط الله، يقوم به أنفسا قد **تعلمت سوء الأدب**؛ فمتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السر " .

قال جعفر الخلدي: سألت خيرا النساج: " أكان النسج حرفتك؟ " قال: " لا! " قلت: " فمن اين سميت به؟! " قال: " عاهدت الله ألا آكل الرطب أبدا، فغلبتني نفسي يوما، فأخذت نصف رطل، فلما أكلت واحدة، إذا رجل نظر إلى وقال: " يا خير! يا آبق! هربت منى؟! " . وكان له غلام اسمه خير، قد هرب منه، فوقع على شبهه. فاجتمع الناس فقالوا: " والله! هذا غلامك خير! " . فبقيت متحيرا، وعلمت بما أخذت، وعرفت جنايتي. فحملني إلى حانوته، الذي كان ينسج فيه غلمانه، فقالوا: " يا عبد السوء! تهرب من مولاك!. ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل " . وأمرني بنسج الكرباس. فدليت رجلي على أن أعمل، فكأني كنت أعمل من سنين. فبقيت معه أربعة أشهر أنسج له، فقمت ليلة فتوضأت وقمت إلى صلاة الغداة، فسجدت وقلت في سجودي: " إلهي! لا أعود إلى ما فعلت! " . فأصبحت فإذا الشبه قد

---

(١) طبقات الأولياء، ص/٢٤

ذهب عنى، وعدت إلى صورتي التي كنت عليها، فأطلقت، فثبت على هذا الاسم " .
وكان يقول: " لا أغير اسما سماني به رجل مسلم " .
وقال عيسى بن محمد؛ سمعت أبا الحسن خيرا النساج يقول: " تقدم إلى شاب من البغاددة، وقد انطبقت يده، فقلت له: " مالك؟! " فقال: " جلست اليك، فحللت عقدة من طرف إزارك، فأخذت منه درهما، فجفت يدي " . فقلت: "كيف فعلت به؟ " ، قال خير: - وكنت قد بعت به لأهلى غزلا - فمسحت يده بيدي، فردها الله عليه، وناولته الدرهم، قلت: " اشتر به شيئا ولا تعد " .
وقال أبو الحسين المالكي: "كنت أصحب خيرا النساج عدة سنين، فقال لي، قبل موته بثمانية أيام: " أنا أموت يوم الخميس، وقت المغرب، وأدفن يوم الجمعة، قبل الصلاة، وستنسى هذا، فلا تنسى! " ، قال أبو الحسين: فأنسيته إلى يوم الجمعة، فلقيني من أخبرني بموته، فخرجت لأحضر الجنازة قبل الصلاة كما قال " .
وحكى غيره أنه غشى عليه عند المغرب، ثم أفاق ونظر إلى ناحية من باب البيت، فقال: " قف! عافاك الله! فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور، وما أمرت به لا يفوتك، وما أمرت به يفوتنى، فدعنى أمضى لما أمرت به " . ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى، ثم تمدد وغمض عينيه، وتشهد ومات " .
رضى الله عنه، ورحمة الله عليه.
حرف الدال
داود الطائي
؟ - ١٦٥ للهجرة
داود بن نصير الطائي أبو سليمان. كان كبير الشأن، سمع الحديث، واشتغل بالفقه مدة، ثم اختار العبادة والزهد، فبلغ منهما الغاية.
ورث عن ابيه عشرين دينارا، فأكلها في عشرين سنة، كل سنة دينارا، منه يصل، ومنه يتصدق.
وكان بدء توبته أنه دخل المقبرة، فسمع امرأة عند قبر تقول:
مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يرجى وأنت قريب
نريد تلاقى كل يوم وليلة ... وتبلى كما تبلى وأنت حبيب
وقيل: سبب زهده أنه سمع نائحة تندب وتقول:
بأي خديك تبدى البلى ... وأي عينيك إذا سالا؟

مات بالكوفة سنة خمس – وقيل: ست – وستين ومائة، فى خلافة المهدى.

من كلامه: " ما أخرج الله عبدا من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وانسه بلا بشر " .

ودخل عليه رجل، فقال له: " ما حاجتك؟ " ، قال: " زيارتك " فقال: " أما أنت فقد فعلت خيرا حين زرت، ولكن انظر ما ينزل بي أنا، إذا قال لي: من أنت لتزار؟. من الزهاد؟ والله. أنت من العباد؟ لا والله. أنت من الصالحين؟. لا والله " . ثم أقبل يوبخ نفسه "كنت في الشبيبة فاسقا، ولما شبت صرت مرائيا "
.

وقال عبد الله بن ادريس، قلت لداود: " أوصني " فقال: " أقلل من معرفة الناس " . قلت: " زدني " ، قال: " ارض باليسير من الدنيا، عن سلامة الدين، كما رضى أهل الدنيا بالدنيا، مع فساد الدين " . قلت: " زدني " ، قال: " اجعل الدنيا كيوم صمته، ثم أفطر على الموت " .

وأحتجم داود، فأعطى الحجام دينارا، فقيل له: " هذا أسراف " ، فقال: " لا عباد لمن لا مروءة له " .." (١)

"١ – أخبرنا أبو الحسن، منصور بن عبد الله الديمرتى، ببغداد، قال: سأل أبو عمرو، عثمان بن جحدة بن درامهم، الكازرونى، بها ،قال:أخبرنا أبو الفتح ،أحمد بن الحسن بن محمد بن سهل، المصرى، المعروف بابن الحمصى الواعظ بالبصرة، قال: حدثنا على بن جعفر البغدادى، قال: قال أبو موسى الديبلى؛ حدثنا أبو يزيد البسطامي؛ حدثنا أبو عبد الرحمن السدى؛ عن عمرو بن قيس الملائى، عن عطية العوفي؛ عن أبى سعيد الخدرى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كره كاره.إن◌◌ الله، بحكمته وجلاله، جعل الروح والفرح في اليقين والرضا؛ وجعل الهم والحزن في الشك والسخط) * * * ٢ – سمعت الحسن بن على بن حيوية الدامغانى، يقول: سمعت الحسن بن علويه، يقول: قال أبو يزيد: " قعدت ليلة في محرابى، فمددت رجلى، فهتف بى هاتف: من يجالس الملوك ينبغى أن يجالسهم **بحسن الأدب** " .

٣ – وبه قال: سئل أبو يزيد عن درجة العارف، فقال: " ليس هناكدرجة. بل أعلى فائدة العارف وجود معروفه " .

---

(١) طبقات الأولياء، ص/٣٣

٤ – قال، وقال أبو يزيد: " العابد يعبده بالحال، والعارف الواصل يعبده في الحال " .

٥ – قال، وسئل أبو يزيد: " بماذا يستعان على العبادة؟ " فقال: " بالله! إن كنت تعرفه " .

٦ – قال، وقال أبو يزيد: " أدنى ما يجب على العارف، ان يهب له ما قد ملكه " .

٧ – قال: وقال أبو يزيد: " من ادعى الجمع بابتلاء الحق، يحتاج أن يلزم نفسه علل العبودية " .

* * * ٨ – سمعت منصور بن عبد الله، يقول: سمعت أبا عمران، موسى بن عيسى، المعروف بعمى، يقول: سمعت أبى يقول: أذن أبو يزيد مرة، ثم أراد أن يقيم، فنظر في الصف، فرأى رجلا عليه أثر سفر، فتقدم إليه، فكلمه بشيء، فقام الرجل، وخرج من المسجد، فسأله بعض من حضر، فقال الرجل: "كنت في السفر، فلم أجد الماء، فتيممت، ونسيت ودخلت المسجد، فقال لى أبو يزيد: لا يجوز التيمم في الحضر؛ فذكرت ذلك، وخرجت " .

٩ – قال،وقال أبو يزيد: " عمنت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئا أشد على من العلم ومتابعته؛ ولولا اختلاف العلماء لبقيت. و اختلاف العلماء رحمة، إلا في تجريد التوحيد " .

١٠ – قال، وقال أبو يزيد: " لا يعرف نفسه من صحبته شهوته " .

١١ – قال، وقال أبو يزيد: " الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة. وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم " .

* * *

١٢ – سمعت أبا عمرو محمد بن أحمد بن حمدان ، يقول: وجدت بخط أبى: " سمعت أبا عثمان، سعيد بن إسماعيل، يقول: قال أبو يزيد: " من سمع الكلام ليتكلم مع الناس، رزقه الله فهما يكلم به الناس؛ ومن سمعه ليعامل الله به في فعله، رزقه الله فهما يناجى به ربه عز وجل " .

١٣ – قال، وقال أبو يزيد: " اطلع الله على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا، فشغلهم بالعبادة " .

١٤ – قال، وقال أبو يزيد: "كفر أهل الهمة أسلم من إيمان أهل الجنة " .

١٥ – قال،وسئل أبو يزيد: " بماذا نالوا المعرفة؟ " . قال: " بتضييع ما لهم، والوقوف مع ماله " .

* * * ١٦ – سمعت أبا نصر الهروى، يقول سمعت يعقوب بن إسحاق، يقول: سمعت إبرهيم الهروى، يقول : سمعت أبا يزيد يقول: " هذا فرحى بك وأنا أخافك!. فكيف فرحى بك إذا أمنتك؟! " .

١٧ – وبهذا الأسناد، قال:سمعت أبا يزيد يقول: " يا رب! أفهمني عنك، فإني لا أفهم عنك إلا بك "..(١)

"٥ – سمعت أبا بكر، محمد بن عبد الله، الرازي، قال: سمعت محمد بن الفضل، يقول: " استقرض أحمد بن خضرويه من رجل مائة ألف درهم. فقال له الرجل: أليس أنتم الزهاد في الدنيا؟! ما تصنع بهذه الدراهم؟. قال: أشتري بها لقمة، فأضعها في فم مؤمن؛ و لا أجتريء أن أسأل ثوابه من الله تعالى!. قال: لم؟. قال: لأن الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة، و ما مائة ألف درهم في الدنيا، من جناح بعوضة؟!. لو أخذتها، فطلبت بها شيئا، ما الذي تعطى بها؟!. و الدنيا كلها لها هذا القدر؟! " .

* * * ٦ – سمعت منصور بن عبد الله، يقول: سمعت محمد بن حامد الترمذي، يقول: قال أحمد بن خضرويه: " الصبر زاد المضطرين، و الرضا درجة العارفين " .

٧ – قال، و قال أحمد: " من صبر على صبره فهو الصابر، لا من صبر و شكا " .

٨ – و بإسناده، قال أحمد: "كنت في طريق مكة،كيف كلن حكمك مع الله فيها؟. قلت:أردت ألا يكون لى في اختياره اختيار. فقال لى:يافضولى! قد اخترت كل شيء، حيث كانت لك إرادة؟ " .

٩ – قال، وقال أحمد: " من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء:

التواضع، **وحسن الأدب،**وسخاوة النفس " .

١٠ – قال،وقال احمد: " الطريق واضح، والحق لائح، والداعي قد أسمع، فما التحير بعد هذا إلا من العمى " .

١١ – قال، وقريء بين يدي أحمد بن خضرويه، قول الله عز وجل:(ففروا إلى الله).فقال: " أعلمهم بهذا أنه خير مفر " .

١٢ – قال،وقال أحمد: " حقيقة المعرفة:المحبة له بالقلب، والذكر له باللسان، وقطع الهمة عن كل شيء سواه " .

١٣ – قال، وقال أحمد: " القلوب أوعية؛ فإذا امتلأت من الحق، أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح؛ وإذا امتلات من الباطل، أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح " .

١٤ – قال، وقال رجل لأحمد بن خضرويه: " أوصني " .فقال: " أمت نفسك حتى يحييها " .

١٥ – قال،وقال احمد: " أقرب الخلق إلى الله أوسعهم خلقا " .

---

(١) طبقات الصوفية، ص/٣٦

١٦ – قال، وقال احمد: " بلغني أنه استأذن بعض الأغنياء على بعض الزهاد، فأذن له، فرآه – في رمضان – يأكل خبزا يابسا بملح، فرجع إلى منزله، وبث إليه بألف دينار، فرده؛وقال:إن هذا جزاء من أفشى سره إلى مثلك! " .

١٧ – قال،وقال أحمد: " لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق املك من الشهوة. ولولا ثقل الغفلة لما ظفرت بك الشهوة " .

١٨ – قال، وقال أحمد: " ليس من طالبه الحق بآلائه، كمن طالبه الحق بنعمائه " .

١٩ – قال،وسئل أحمد: " أى الأعمال أفضل؟.قال:رعاية السر عن الالتفات إلى شيء سوى الله تعالى

" ١٤ – يحيى بن معاذ الرازي ومنهم يحيى بن معاذ بن جعفر، الرازي الواعظ. تكلم في علم الرجاء، وأحسن الكلام فيه.

وكانوا ثلاثة اخوة:يحيى وإسماعيل وإبرهيم.أكبرهم سنا إسماعيل ويحيى أوسطهم، وأصغرهم إبرهيم.وكلهم كانوا زهادا.

وإبرهيم خرج مع يحيى إلى خراسان؛ وتوفي فيما بين نيسابور وبلخ. وقيل إنه مات في بعض بلاد جوزجان وخرج يحيى إلى بلخ، وأقام بها مدة، ثم رجع إلى نيسابور، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين.

وروى الحديث: ١ – حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن،قال:حدثنا على بن محمد الأزرق،حدثنا محمد بن عبدك،قال سمعت يحيى بن معاذ الرازى، الواعظ، يذكر عن حمدان بن عيسى البلخي؛ عن الزبرقان؛عن الشعبى؛ عن ابن عباس، قال: " التقوى كرم الخلق وطيب المطعم " .

* * * ٢ – أخبرنا الحسين بن أحمد بن أسد الهروى، قال:حدثنا محمد ابن على بن الحسين البلخى؛ حدثنا نصر بن الحارث؛ حدثنا يحيى بن معاذ؛ حدثنا عصمة بن عاصم؛ حدثنا سعدن الحليمى؛ حدثنا ابن جريح؛عن أبى الزبير؛ عن جابر، قال:طكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم التفكر،طويل الأحزان قليل الضحك إلا أن يبتسم " .

* * *." (١)

"٣ – قال، وسمعته يقول: ((الأسراء على وجوه: أسير نفسه وشهوته، وأسير شيطانه وهواه، وأسير ما لامعنى له: لفظه أو لحظه، هم الفساق. وما دام للشواهد على الأسرار اثر، وللأغراض على القلب خطر، فهو محبوب، بعيد من عين الحقيقة. وما تورع المتورعون، ولا تزهد المتزهدون إلا لعظم الأعراض فى

---

(١) طبقات الصوفية، ص/٤٤

أسرارهم. فمن اعرض هنا أدبا، أو تورع عنها ظرفا، فذلك الصادق فى ورعه، والحكيم فى أدبه)).

٤ – قال، وسمعته يقول: ((أفقر الفقراء من ستر الحق حقيقة حقه عنه)).

٥ – قال، وسمعته يقول: ((الحب يوجب شوقا، والشوق يوجب أنسا، فمن فقد الشوق والأنس فليعلم انه غير محب)).

٦ – قال، وسمعته يقول: ((كيف يرى الفضل فضلا من ييأمن أن يمون ذلك مكرا؟)).

٧ – قال، وسمعته يقول: ((الموحد لايرى إلا ربوبية صرفا، تولت عبودية محضا، وفيه معالجة الأقدار، ومغالبة القسمة)).

٨ – قال، وسمعته يقول: الخوف والرجاء زمامان يمنعان **من سوء الأدب))**.

٩ – سمعت محمد بن عبد الله، يقول: سمعت ابا بكر الواسطى، يقول: ((الخوف حجاب بين العبد وبين الله تعالى؛ والخوف هو الإياس، والرجاء هو الطمع؛ فإن خفته بخلته، وإن رجوته اتهمته)).

١٠ – قال، وقال الواسطى: ((من حال به الحال كان مصروفا عن التوحيد، ومن انقطع به انقطع، ومن وصل به وصل. وفى الحقيقة لافصل ولاوصل، ولذلك قيل: ولا عن قلى كان القطيعة بيننا ولكنه دهر يشت ويجمع *** ١١ – سمعت عبد الواحد بن على النيسابورى، يقول: سمعت ابا العباس السيارى، يقول: سمعت أبا بكر الواسطى، يقول: ((كائنات محتومة، بأسباب معروفة، وأوقات معلومة، اعتراض السريرة لها رعونة)).

١٢ – وسمعته يقول: سمعت الواسطى، يقول: ((الرضا نعتان من نعوت الحق، يجريان على الأبد بما جريا فى الأزل، يظهران االوسمين على المقبولين والمطرودين؛ فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم، كما بانت شواهد المطرودين بظلمها عليهم. فأنى تنفع مع ذلك الألوان المصفرة، والأكمام المقضرة، والأقدام المنتفخة)).

١٣ – قال، وسمعته يقول: ((التعرض للحق، والسبيل إليه، تعرض للبلاء، ومن تعرض للبلاء لايسلم منه. ومن أراد السلامة فليتباعد من مراتع الأهوال)). وأنشد: ذرينى تجئنى ميتتى مظمئنة ولم أتجتم هول تلك الموارد فإن عليات الأمور مشوبة بمستودعات فى بطون الأساود ١٤ – قال، وسمعته يقول: ((الوقاية للأشباح، والرعاية للأرواح( ))).

*** ١٥ – سمعت أبا عثمان سعيد بن[أبى] سعيد، يقول: سمعت احمد بن محمد بن حاتم الدرابجرى، يقول: سمعت الواسطى، يقول: ((الوقت اقل من ساعة، فما أصابك من نعمة أو من شدة – قبل ذلك

الوقت – [فأنت عنه خال، إنما ينالك منه ما فى ذلك الوقت]؛ وما كان بعد ذلك فلا تدرى أيصل إليك أملا)).

*** ١٦ – سمعت الشيخ أبا عبد الله الحضرمى الفقيه، يقولك سمعت أبا العباس السيارى، يقول: سمعت ابا بكر الواسطى، يقول: ((الذاكرون – فى ذكره – أكثر غفلة من الناسين لذكره، لأن ذكره سواه)).

١٧ – وبهذا الإسناد، قال: سمعت الواسطى، يقول: ((حياة القلب بالل!هـ تعالى، بل بقاء القلوب مع الله، بل الغيبة عن الله بالله)).

١٨٠ – وبهذا الإسناد، قال: سمعت الواسطى، يقول: ((أربعة أشياء لاتليق بالمعرفة: الزهد، والصبر، والتوكل، والرضا؛ لأن كل ذلك من صفة الأشباح)).

١٩ – [قال: وسمعته يقول: ((مطالعة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل])).

*** ٢٠ – سمعت أبا احمد الحسنويى، يقول: قال أبو بكر الواسطى: ((الناس على ثلاث طبقات: الطبقة الأولى، من الله عليهم بأنوار الهداية، فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق.

والطبقة الثانية، من الله عليهم بأنوار العناية، فهم معصومون من الصغائر والكبائر.

والطبقة الثالثة، من الله عليهم بالكفاية، فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة وحركات أهل الغفلة " .

١ ٢٣٨ – [٣١ – الحسين بن منصور الحلاج]

ومنهم الحلاج، وهو الحسين بن منصور، وكنيته ابو مغيث. وهو من أهل بيضاء فارس. ونشأ بولسط، والعراق.

وصحب الجنيد، وأبا الحسين النورى، وعمرا المكى، والفوطى، وغيرهم.." (١)

"١٣ – وبهذا الإسناد، قال ابرهيم: ((ما دام لأعراض الكون فى قلبك خطر، فاعلم أنه لاخطر لك عن الله)).

١٤ – وبهذا الإسناد، قال ابراهيم: ((من تعزز بشيء غير الله فقد ذل فى عزه)) ١٥ – وبهذا الإسناد، قال ابرهيم: ((الأولياء مرتبطون بالكرامات والدرجات؛ والأنبياء مكشوف لهم عن حقائق الحق، فالكرامات والدرجات – عندهم – وحشة)).

١٦ – وبهذا الإسناد، قال ابرهيم: ((علامة محبة الله تعالى إيثار طاعته، ومتابعة نبيه، صلى الله عليه وسلم)).

---

(١) طبقات الصوفية، ص/٩٠

١٧ – وبهذا الإسناد، قال ابرهيم: ((الأنبياء منبسطون على بسط الأنس، والأولياء على درجات الكرامة)).

[١٧ – خير النساج] ومنهم خير النساج، وكنيته أبو الحسن. كان اصله من سامرا، وأقام ببغداد.

صحب أبا حمزة البغدادى، وسأل السرى السقطى عن مسائل. وكان ابرهيم الخواص تاب فى مجلسه؛ وكذلك الشبلى، تاب فى مجلسه. عمر طويلا، وكان من أقران النورى وطبقته.

وكان اسمه محمد بن اسماعيل السامرى. وإنما سمى خيرا النساج، لأنه خرج إلى الحج، فأخذه ردل على باب الكوفة؛ فقال: ((أنت عبدى، واسمك خير؛ وكان أسود، فلم يخالفه، فأخذه الرجل، واستعمله فى نسج الخز سنين.

وكان يقول له: يا خير! . فيقول: لبيك! . ثم قال له الرجل – بعد سنين – : أنا غلطت! . لا أنت عبدى، ولا اسمك خير: فلذلك سمى خير النساج. وكان يقول: لاأغير اسما سمانى به رجل مسلم.

عاش مائة وعشرين سنة.

***

١ – سمعت ابا الحسن القزوينى، يقول: سمعت ابا الحسين المالكى، سقول: ((سألت عن حضر موت خير النساج عن أمره، فقال: لما حضرته صلاة المغرب غشى عليه، ثم فتح عينيه، وأومأ غلى ناحية باب البيت، وقال: قف! عافاك الله! . إنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور. وما أمرت به لايفوتك، وما أمرت به يفوتنى، فدعنى امضى فيما أمرت به، ثم امض لما أمرت به. فدعا بماء فتوضأ، وصلى، ثم تمدد، وغمض عينيه، وتشهد ومات.))

*** ٢ – وأخبرنى بعض أصحابنا أنه رآه فى النوم، فقال له: ((ما فعل الله بك؟ . قال: لا تسألنى عن هذا، ولكنى استرحت من دنياكم الوضرة.)).

*** ٣ – سمعت أبا بكر الرازى، يقول: سمعت خيرا النساج، يقول: ((من عرف من الدنيا قدرها وجد من الآخرة حقها؛ ومن جهل من الآخرة حقها قتله من الدنيا نزرها.)).

٤ – قال، وقال خير النساج: ((الصبر من أخلاق الرجال؛ والرضا من أخلاق الكرام.)).

٥ – قال، وقال خير: ((شرح صدور المتقين، وكشف بصائر المهتدين، بنور حقائق افيمان)).

٦ – قال، وقال خير: ((من لاحظ شكره استصغر نعمه.)).

٧ – قال، وقال خير: ((من سبق بخطوة لايدرك، إذا كان صادقا مجتهدا)).

٨ – قال، وقال خير: ((الإخلاص هو الذى ريقبل عمل عامل إلا به.)) ٩ – قال، وقال خير: ((العمل

الذى يبلغ الغايات هو رؤية التقصير والعجز ةالضعف.)).

١٠ – قال، وقال خير: لانسب أشرف من خلقه الله تعالى بيده، فلم يعصمه؛ ولا غلم أشرف من علم من علمه الله الأسماء كلها، فلم ينفعه فى وقت جريان القدر والقضاء عليه؛ ولا عبادة أتم ولا أكثر من عبادة إبليس؛ لم ينجه ذلك من المسبوق عليه.)).

١١ – قال، وقال خير: ((توحيد كل مخلوق ناقص، لقيامه بغيره، وحاجته إلى غيره. قال الله تعالى: (ياأيها الناس انتم الفقراء غلى الله) أى المحتاجون إليه فى كل نفس(والله هو الغنى٩ عنكم، وعن توحيدكم، وأفعالكم، (الحميد) الذى يقبل منك مالا يحتاج إليه، ويثيبك عليه ما تحتاج إليه.)).

١٢ – قال، وقال خير: ((ميراث أفعالك ما يليق بافعالك. فاطلب ميراث فضله، فإنه أتم واحسن. قال الله تعالى: (قل بفضل الله وبرحمنه فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون).

١٣ – قال، وقال خير: ((الخوف سوط الله فى الأرض، يقوم به أنفسا قد **تعودت سوء الأدبز** ومتى ما أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب، وظلمة السر.)).

[١٨ – أبو حمزة الخراسانى] ومنهم ابو حمزة الخراسانى. وكان اصله من نيسابور، من محلة ملقاباذ صحب مشايخ بغداد. وهو من أقران الجنيد؛ سافر مع أبى تراب النخشبى، وأبى سعيد الخراز. وهو من افتى المشايخ، وأورعهم.

*** ١ – سمعت ابا العباس البغدادى، يقول، سمعت أبا جعفر الفرغانى، يقول: قال أبو حمزة الخراسانى: ((من نصح نفسه كرمت عليه؛ ومن تشاغل عن نصيحتها هانت عليه))..." (١)

"قال: وحكى لنا أيضا قال: حكى لي أبو العباس بن أبي عمرو الشرابي وكان على باب يعرف بباب الخاصة مما يلي باب الأزج يقارب قبر أبي بكر عبد العزيز قال: كان لنا ذات ليلة خدمة أمسيت لأجلها ثم إني خرجت منها نومة الناس وغلق البوابون خلفي الباب وتوجهت إلى داري بباب الأزج فرأيت عمود نور من جو السماء إلى جوف المقبرة فجعلت أنظر إليه ولا ألتفت خوفا أن يغيب عني إلى أن وصلت حذاء قبر أبي بكر عبد العزيز فإذ أنا بالعمود من (١٢٥/٢) جوف السماء إلى القبر فبقيت متحيرا ومضيت وهو على حاله.

وحكى لنا هذا الشيخ عن أبي سعد السقاء وهو من باب الأزج قال: جئت يوما أصب راوية ماء في حب مقبرة فرأيت رجلا خراسانيا على قبر أبي بكر عبد العزيز يترحم عليه ويتضرع فصاح بي وقال لي: تعالى

---

(١) طبقات الصوفية، ص/٩٤

يا سقاء هذا الرجل في هذا الموضع لا يبنى عليه مشهد؟ هذا رجل حديثه عندنا ورأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في نومي وهو يقول: من زار قبر عبد العزيز غلام الخلال يعني غفر له.

قال: وكان مع ما ذكرنا من التصانيف في الفروع والأصول له قدم في تفسير القرآن ومعرفة معانيه.

ولقد وجدت عنه: أن رافضيا سأله عن قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به من هو؟. فقال له: أبو بكر الصديق فرد عليه وقال: بل هو علي ابن أبي طالب فهم به الأصحاب فقال: دعوه ثم قال إقرأ ما بعدها لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله أسوأ الذي عملوا وهذا يقتضي أن يكون هذا المصدق ممن له إساءة سبقت وعلى قولك أيها السائل لم يكن لعلي إساءة فقطعه.

وهذا استنباط حسن لا يعقله إلا العلماء فدل على علمه وحلمه وحسن خلقه فإنه لم يقابله على جفائه بجفاء وعدل إلى العلم.

(١٢٦/٢) وقد امتدحه بعضهم بأبيات قال فيها:

فعبد العزيز له مقام بعلم ... حين يفتي كالصوارم

يزين الحنبلية حين يفتي ... ويطري الشافعي بلا دراهم

وأقسم بالذي ناجى لموسى ... لقد أضحى يشرف كل عالم

ولو عاش ابن حنبل كي يراه ... لأيقن أنه حصن المحارم

فرحمة ربنا تسرى وتعلو ... على قبر ابن حنبل بالمكارم

وتوفي في شوال لعشر بقين منه سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وتوفي في يوم الجمعة بعد الصلاة.

وفي رواية أخرى قال أبو بكر عبد العزيز في علته: أنا عندكم إلى يوم الجمعة وذلك في شوال سنة ثلاث وستين وثلاثمائة فقيل له: يعافيك الله أو كلاما هذا معناه فقال: سمعت أبا بكر الخلال يقول: سمعت أبا بكر المروذي يقول: عاش أحمد بن حنبل ثمانا وسبعين سنة ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة وعاش أبو بكر المروذي ثمانا وسبعين سنة ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة وعاش أبو بكر الخلال ثمانا وسبعين سنة ومات يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة وأنا عندكم إلى يوم الجمعة ولي ثمان وسبعون سنة فلما كان يوم الجمعة مات ودفن بعد الصلاة.

وهذه كرامة حسنة له فإنه حدث بيوم موته وكان يوم موته يوما عظيما لكثرة الجمع.

وهاجر من داره لما ظهر سب السلف إلى غيرها وهذا يدل على قوة دينه وصحة عقيدته رحمه الله.

قلت أنا: قرأت بخط بعض أصحابنا قال: حكى لنا أبو القاسم الأزجي: أن عبد العزيز بن جعفر أضاق في بعض الأوقات فأخذ رقعة وكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم فلان بن فلان محتاج قال: فأخذتها وخرجت إلى (١٢٧/٢) باب الخليفة وألقيت الرقعة من يدي فحملتها الريح وعدت إلى منزلي فما كان إلا يسيرا فإذا الباب يطرق فخرجت وإذا شيخ لا أعرفه فدفع إلي قرطاسا ثقيلا فأخذته ودخلت فاعتبرته فإذا هو خمسمائة درهم وإذا رقعتي القرطاس وفيها مكتوب: يا صاحب هذه الرقعة بعدها **أحسن الأدب** في الطلب.

وقرأت بخط أبي حفص البرمكي قال: سمعت أبا بكر عبد العزيز بن جعفر يقول: سمع مني الخلال نحو عشرين مسألة وأثبتها في كتابه.

قال: وحكى لنا عن الخلال: أنه قال: من لم يعارض لم يدر كيف يضع رجله.

وقال: رأيت الخلال في المنام فسألته عما يأكل؟ فقال: ما أكلت منذ فارقتكم إلا بعض فرخ وقال: أما علمت أن طعام الجنة لا ينفد؟.

وقال: قال رجل للخلال: إنما جئتك أسألك عن مسألة فقال له: أنت طرقي.

وقال: ما دخلت إلى مجلس فرفعت فيه إلا أخذت دون حقي فيه.

قال البرمكي: الغالب أنه حكى هذا عن نفسه.." (١)

" خمس وأربعين ثنا أبو بكر أحمد بن يعقوب بن إبراهيم الطابثي المعدل ثنا علي بن إسحاق بن البختري ثنا أحمد بن علي الخزاز ثنا داود بن مهران الدباغ ثنا أيوب بن سيار عن ابن المنكدر عن جابر قال سمعت بلالا يقول أذنت ليلة باردة شديدا بردها فلم يأت أحد ثم أذنت الثانية فلم يأت أحد فقال رسول الله ما شأنهم يا بلال قلت كمدهم البرد فقال اللهم احبس عنهم البرد قال بلال أشهد لقد رأيتهم يتروحون في الصبح أو قال الفجر

٨٨٩ - أبو الحسن هذا سكناه بالطفادة وقد قرأت عليه في جامع البصرة وسألته عن مولده سنة خمسمائة فقال لي ثلاث وستون سنة وقال لي جابر بن محمد بن جابر التميمي لم نجد له عن غير أبي محمد المتوثي سماعا وهو شيخ مرضي أثنى عليه جابر

---

(١) طبقات الحنابلة، ١٢٤/٢

٨٩٠ – سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن سهل الغزنوي بالرحبة يقول سمعت أبا حاتم الكرامي بنيسابور يقول مثل العالم مع الله تعالى كمثل الوزير مع الأمير يأخذه بالصغيرة والكبيرة لعلو رتبته وسمو خطته ومثل العامي كمثل السائس يصفح عما صدر عنه **من سوء الأدب** والوساوس لخسة منزلته وقلة معرفته

٨٩١ – أبو الحسن هذا قد كان يتفقه معنا ببغداد على الكيا وكان من الأذكياء ويصحب ابن الشهرزوري قاضي الرحبة وكان شريكه في الدرس ثم رأيته بها وهو ينوب عنه في الحكم وله ترسل جيد وشعر وقد كاتبني بشيء من شعره جوابا عن قصيدة لي من جملتها في آخرها

(وخص بهاء الدين عند لقائه ... بألف سلام لا تكن عنه غافلا)

(وسائله عني طال في النصر عمره ... وإن لم يكن عني وحالي)

(وذكره ما قد كان بيني وبينه ... ببغداد في وقت التفقه كاملا)

(وبلغه عني قول من هو ناصح ... على جملة الأحوال إن كان قابلا)

(كأنك بالدنيا تولت وبالذي ... تنافس فيها قد غدا الكل زائلا) ." (١)

" ١٢٥٣ – أنشدني أبو عمران موسى بن محمد بن خطاب الكندي السبتي بديار مصر أنشدنا أبو بحر يوسف بن عبد الصمد الخولاني الأندلسي بسبته لنفسه من قصيدة طويلة طائلة

(لئن مطلتني الليالي بوعد ... فكم أمسك الغيث ثم انهمل)

(وإن نلت من بعد لأي مرادا ... فما أحسن الحلي بعد العطل)

(وقد يمكن الوصل بعد الصدود ... وقد يدرك الأمن بعد الوجل)

(وتمرض ثم تصح الجسوم ... وتصعب ثم تزول العلل)

(ولا بد للريح من أن تهب ... ولا بد للروض من أن يطل) – المتقارب –

١٢٥٤ – أبو عمران قد كان من أعيان العدوة بالمغرب وقد زوجه مروان بن سمحون اللواتي الطنجي ابنته وسمع الحديث عليه وعلى أبي إسحاق الفاسي وأنشدنا مقطعات كثيرة من شعر المغاربة الذين رآهم كأبي الحسن علي بن بياع السبتي والمرادي المتكلم وأبي بحر الخولاني الأندلسي سمع علي كثيرا طول إقامته بالثغر وكان شيخا موقرا **حسن الأدب** آثار الرياسة بينة عليه ورجع إلى المغرب وهناك توفي رحمه الله

١٢٥٥ – سمعت أبا عمران موسى بن محمد بن سعيد الجوبي بدمشق يقول سمعت أبا الحسن الخرائطي بالجزيرة يقول قال الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن البشنوي تعلمت أحسن الخلق من أخس

---

(١) معجم السفر، ص/٢٦٨

الخلق تعلمت الفتوة من الديك والوفاء من الكلب والاحتمال من الحمار ألا ترى أن الديك إذا قدمت إليه علفا صاح بالديكة ولا يأكل خفية والكلب إن أطعمته لقمة عرف لك ذلك ما حييت والحمار إن ضربته أو لم تطعمه أو ركبته صبر على أذاك من غير صياح ولا صراخ

١٢٥٦ – الجوبيون قبيلة من الأكراد ويقال لهم الشوبية أيضا بالشين بطن من ." (١)

"ولقد وقع خبر وفاته – رحمه الله – على نفوس أبنائه ومحبيه وعارفي فضله وما أكثرهم بل على الأمة وشدة المصاب ولكن الكل – وهم مؤمنون بالله وراضون بقضائه وقدره – يعلمون أن الموت حق وأنه مصير كل حي قالوا بصوت واحد : " إنا لله وإنا إليه راجعون " ودعوا الله بصادق الدعاء وخالص الرجاء بأن يسكنه فسيح جناته ويغفر له ويعفو عنه وأن يعوض هذه الأمة فيه خيرا .

لقد عرفت هذا الرجل أستاذا في علوم الشريعة واستمعت لدروسه وتلقيت عنه في فترات مختلفة فأدركت مكانته العلمية وصدق لهجته وسداد توجيهه وجاورته في السكن فكان خير جار ورافقته في السفر فكان نعم الرفيق والمؤانس وجالسته فرأيت فيه **حسن الأدب** وصواب الرأي وتعرفت على بعض مراجعة في الدراسة وإعجابه ببعض العلماء وبعض الأئمة في بعض الأمور كان تلميذا مخلصا على مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية قرأ نتاجهما العلمي قراءة مكررة جتى وعى ما فيها عن قناعة وتشرب فقههما ومنحهما في الاجتهاد واستغلالهما في أخذ الأحكام من الأدلة الشرعبية وهو يظهر الإعجاب بيهما ولا يخفي على مجالسه تقديره لهذين الإمامين الجليلين كما لا يخفي عليه إعجابه بحركة الإصلاح والتجديد في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة وحسن معالجته للمشكلات التي تواجهه في دعوته ويلمس منه إعجابه في مجال القيادة والسياسة والحكمة بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل في توحيد المملكة العربية السعودية ويظهر بجلاء احترامه وتقديره لكثير من علماء المملكة العربية السعودية وفي مقدمتهم الشيخان الجليلان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبد العزيز بن باز في علمهما وعملهما . وذكر لي يوما من الأيام بأنه حين كان يدرس في المعهد العلمي في عنيزة حضر دروس الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي وكان يثني عليه ثناء عطرا في علمه وورعه وأسلوب حياته وتنظيم وقته ويقول : إنه كان سابقا لعصره بحرا في." (٢)

---

(١) معجم السفر، ص/٣٧٢

(٢) سيرة حياة الشيخ عبد الرزاق عفيفى، ٣/٢٥٠

"٣٨ وفيها مات الحكم بن أبي العاص عم عثمان رضي الله عنه ووالد مروان كان النبي قد كرده إلى الطائف وبقى طريدا إلى زمن عثمان فرده إلى المدينة واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده وهو مؤتمن على ما قال وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين فيها توفى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله وأبو الخلفاء العباسيين حسن بلاؤه يوم حنين وكان رسول الله يكرمه وبحله وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده وكان صيتا ينادى غلمانه من سلع وهم بالغابة فيسمعونه وذلك على ثمانية أميال وكان موته أول رمضان عن ست وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه وفيها عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد العشرة من السابقين الأولين تصدق مرة بأربعين ألفا وبقافلة جاءت من الشام كما هي وفضائله كثيرة وهو من المقطوع لهم بالجنة وما يذكر أنه يدخل الجنة حبوا لغناه فلا أصل له ويالـيت شعري إذا كان هذا يدخلها حبوا ويتأخر دخوله لأجل غناه فمن يدخلها سابقا مستقيما وفي خلافة عثمان رضي الله عنه قتل عبيد الله بن معمر التيمي عن أربعين سنة برستاق ألف دينار وكانت لفتى أدبها **أحسن الأدب** فأملق فباعها وهو مغرم بها فأنشدت أبياتا فيها (عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر) فرفق لها عبيد الله وردها عليه وثمنها وفيها توفى عبد الله بن مسعود الهذلي وهو أحد القراء الأربعة ومن أهل السوابق في الإسلام ومن علماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين هاجر الهجرتين." (١)

"كن مع

١٩٧ الله بما يرد لا مع نفسك بما تريد لكن لا بد من الإستغفار وقال علامة الراسخ أن يزداد تمكنا عند سلبه لأنه مع الحق بما أحب فمن وجد اللذة في حال المعرفة دون السلب فهو مع نفسه غيبة وحضورا وقال من صدق في شيء وتعلقت همته بحصوله كان له عاجلا أو آجلا فإن لم يصل إليه في الدينا فهو له في الآخرة ومن مات قبل الفتح رفع إلى محل همته وقال العارف يعرف ببصره ما يعرفه غيره ببصيرته ويعرف ببصيرته ما لا يدركه أحد إلا نادرا ومع ذلك فلا يأمن على نفسه من نفسه فكيف يأمن على نفسه من مقدور ربه وهذا مما قطع الظهور سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال لا ينقص العارف قوله لتلميذه خذ هذا العلم الذي لا تجده عند غيري ونحوه مما فيه تزكية نفسه لأن قصده حث المتعلم على القبول وقال كلام العارف على صورة السامع بحسب قوة استعداده وضعفه وشبهته القائمة بباطنه وقال كل من ثقل عليك الجواب عن كلامه فـلا تجبه فإن وعاءه ملآن لا يسع الجواب وقال من صح له قدم في التوحيد

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣٢/١

انتفت عنه الدعاوي من نحو رياء وإعجاب فإنه يجد جميع الصفات المحمودة لله لا له والعبد لا يعجب بعمل غيره ولا بمتاع غيره وقال من ملكته نفسه عذب بنار التدبير ومن ملكه الله عذب بنار الاختبار ومن عجز عن العجز أذاقه الله حلاوة الإيمان ولم يبق عنده حجاب وقال من أدرك من نفسه التغير والتبديل في كل نفس فهو العالم بقوله تعالى (^كل يوم هو في شأن) وقال من طلب دليلا على وحدانية الله تعالى كان الحمار أعرف بالله منه وقال الجاهل لا يرى جهله لأنه في ظلمته والعالم لا يرى علمه لأنه في ضياء نوره ولا يدري شيء إلا بغيره فالمرآة تخبرك بعيوب صورتك وتصدقها مع جهلك بما أخبرت به والعالم يخبرك بعيوب نفسك مع علمك بما أخبرك به وتكذبه فماذا بعد الحق إلا الضلال وقال **حسن الأدب** في الظاهر آية حسنه في الباطن فإياك وسوء." (١)

"٤٢ (وما تركت بها الخمس التي وجبت * وإن رأوا تركها في بعض ما يجب) (وإن تقطب وجهي حين تبسم لي * فعند بسط الموالي **يحسن الأدب**) (عاطيتها من بنات الترك غانية *كإظهار لأسود والسود قد غلبوا) (ما قلت أردافها مهما برزت بها * قف لي عليها وقل لي هذه الكتب) (وإن مررت بشعر فوق قامتها * بالله قل لي كيف البان والعذب) (تحكي الثنايا التي أبدته من حبب * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب) وله (عيرتني بالسقم أنك مشبهى * ولذاك خصرك مثل جسمي ناحلا) (وأراك تشمت إذ رأيتك سائلا * لا بد أن يأتي عذارك سائلا) قال الذهبي تخرج به الأصحاب وكان أحد الأذكياء وقال ابن شهبة توفي في ذي الحجة بالقاهرة ودفن بالقرافة بتربة القاضي فخر الدين ناظر الجيش ولما بلغت وفاته ابن تيمية قال أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين وفيها على خلاف في ذلك محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود الجزري ثم المصري شمس الدين أبو عبد الله ولد سنة سبع وثلاثين وستمائة واشتغل بالعلم وأخذ بقوص عن الأصفهاني وشرح منهاج البيضاوي شرحا حسنا والفية بن مالك وأخذ السبكي عنه علم الكلام وتوفي بمصر في ذي القعدة وفيها على خلاف أيضا شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي بكر ابن هبة الله الحزري ثم المصري الشافعي ويعرف بابن المحوجب وفي بلاده بابن القوام ولد سنة ست وثلاثين وستمائة كذا رأيته في بعض تواريخ المصريين وقرأ القرآت السبع وأخذ بدمشق النحو عن شرف الدين بن المقدسي وبقوص المعقولات عن الأصفاني والفقه عن الشيخين ابن دقيق العيد والدشناوي وأخذ بمصر عن القرافي قال الأسنوي كان ذكيا أقام بمصر وأخذ عنه كثير من طلبتها

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ١٩٦/٥

ودرس بالمعزية بعد موت ابن الرفعة وكانت السوداء تغلب على مزاجه توفي في رجب سنة إحدى عشرة." (١)

"٢١ على الاشتغال ليلا ونهارا وكان فقيرا لا يملك شيئا وقاسى في أيام طلبه من الجوع والمكابدة ما هو مشهور عنه وبرع في سائر العلوم وحقق الفنون وساد الأقران وسارت بفضله الركبان ووقع على تقدمه الاجماع وابتهجت بذكره النواظر والاسماع وصار عمدة يرجع إلى قوله وفتواه في زمن مشايخه وقرت به عيونهم وزوجه شيخه أبو شكيل بابنته ورزق منها أولادا فضلاء نجباء وكان مهابا جدا تخضع له الملوك آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر لا يراعى أحدا في دين الله تعالى ولا يخاف في الله لومة لائم وكلفه علي بن طاهر قضاء عدن فدام قريب أربعة أشهر ثم ترك وتوجه لنفع الطلبة خاصة وعمل على جامع المختصرات نكتا في مجلدة وكذا على ألفية النحو وشرح الملحة شرحا حسنا ولخص شرح ابن الهائم على هائميته إلى غير ذلك من الرسائل في علم الهندسة وغيرها قاله السخاوي وممن تخرج به عفيف الدين ابن الحاج ومحمد باقضام والعلامة مءمد بحرق وغيرهم وله نظم كثير جدا منه (اعط المعية حقها * واحفظ له **حسن الأدب**) (واعلم بأنك عبده * في كل حال وهو رب) وتوفي بعدن يوم السبت حاجي عشرى المحرم وفيها جمال الدين محمد بن إبراهيم المكدش بفتح الميم وسكون الكاف وكسر الدال المهملة آخره شين معجمة فقيه اللامية ومفتيها ببلده سامر وكان له بها مشهد عظيم وبنو المكدش هؤلاء أخيار صالحون اشتهر منهم جماعة بالولاية التامة وظهور الكرامات وقريتهم يقال لها الأنفة بفتح الهمزة وفتح النون والفاء آخره تاء تأنيث جهة بوادي سهام وهي محلة مقصودة للزيارة والتبرك ونسبهم في الغنميين وهم قبيلة مشهورة من قبائل عك بن عدنان ومسكنهم فيما بين وادي سهام ووادي سردد قاله في النور السافر وفيها جمال الدين محمد بن حسين بن محمد بن حسين القماط الزبيدي الشافعي ولد بزبيد في صفر." (٢)
"

وفيها مات الحكم بن أبي العاص عم عثمان رضي الله عنه ووالد مروان كان النبي صلى الله عليه وسلم قد طرده إلى الطائف وبقى طريدا إلى زمن عثمان فرده إلى المدينة واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوعده برده وهو مؤتمن على ما قال وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٤١/٦

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢٠/٨

فيها توفى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو الخلفاء العباسيين حسن بلاؤه يوم حنين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه وبحله وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده وكان صيتا ينادى غلمانه من سلع وهم بالغابة فيسمعونه وذلك على ثمانية أميال وكان موته أول رمضان عن ست وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه

وفيها عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد العشرة من السابقين الأولين تصدق مرة بأربعين ألفا وبقافلة جاءت من الشام كما هي وفضائله كثيرة وهو من المقطوع لهم بالجنة وما يذكر أنه يدخل الجنة حبوا لغناه فلا أصل له ويااليت شعري إذا كان هذا يدخلها حبوا ويتأخر دخوله لأجل غناه فمن يدخلها سابقا مستقيما

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه قتل عبيد الله بن معمر التيمي عن أربعين سنة برستاق من رساتيق اصطخر وكان أحد الاجواد اشترى جارية تسمى الكاملة بعشرين ألف دينار وكانت لفتى أدبها **أحسن الأدب** فأملق فباعها وهو مغرم بها فأنشدت أبياتا فيها

(عليك سلام لا زيارة بيننا ** ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر)

فرق لها عبيد الله وردها عليه وثمنها

وفيها توفى عبد الله بن مسعود الهذلي وهو أحد القراء الأربعة ومن أهل السوابق في الإسلام ومن علماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين هاجر الهجرتين

---

(١) ".

" الله بما يريد لا مع نفسك بما تريد لكن لا بد من الإستغفار وقال علامة الراسخ أن يزداد تمكنا عند سلبه لأنه مع الحق بما أحب فمن وجد اللذة في حال المعرفة دون السلب فهو مع نفسه غيبة وحضورا وقال من صدق في شيء وتعلقت همته بحصوله كان له عاجلا أو آجلا فإن لم يصل إليه في الدينا فهو له في الآخرة ومن مات قبل الفتح رفع إلى محل همته وقال العارف يعرف ببصره ما يعرفه غيره ببصيرته ويعرف ببصيرته ما لا يدركه أحد إلا نادرا ومع ذلك فلا يأمن على نفسه من نفسه فكيف يأمن على نفسه من مقدور ربه وهذا مما قطع الظهور سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال لا ينقص العارف قوله لتلميذه خذ هذا العلم الذي لا تجده عند غيري ونحوه مما فيه تزكية نفسه لأن قصده حث المتعلم على القبول وقال كلام العارف على صورة السامع بحسب قوة استعداده وضعفه وشبهته القائمة بباطنه وقال كل من ثقل

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٣٨/١

عليك الجواب عن كلامه فلا تجبه فإن وعاءه ملآن لا يسع الجواب وقال من صح له قدم في التوحيد انتفت عنه الدعاوي من نحو رياء وإعجاب فإنه يجد جميع الصفات المحمودة لله لا له والعبد لا يعجب بعمل غيره ولا بمتاع غيره وقال من ملكته نفسه عذب بنار التدبير ومن ملكه الله عذب بنار الاختبار ومن عجز عن العجز أذاقه الله حلاوة الإيمان ولم يبق عنده حجاب وقال من أدرك من نفسه التغير والتبديل في كل نفس فهو العالم بقوله تعالى ﴿كل يوم هو في شأن ﴾ وقال من طلب دليلا على وحدانية الله تعالى كان الحمار أعرف بالله منه وقال الجاهل لا يرى جهله لأنه في ظلمته والعالم لا يجري علمه لأنه في ضياء نوره ولا يدري شيء إلا بغيره فالمرآة تخبرك بعيوب صورتك وتصدقها مع جهلك بما أخبرت به والعالم يخبرك بعيوب نفسك مع علمك بما أخبرك به وتكذبه فماذا بعد الحق إلا الضلال وقال **حسن الأدب** في الظاهر آية حسنه في الباطن فإياك وسوء

". (١)

"

(وما تركت بها الخمس التي وجبت ** وإن رأوا تركها في بعض ما يجب)

(وإن تقطب وجهي حين تبسم لي ** فعند بسط الموالي **يحسن الأدب**)

(عاطيتها من بنات الترك غانية **كإظهار لأسود والسود قد غلبوا)

(ما قلت أردافها مهما برزت بها ** قف لي عليها وقل لي هذه الكتب)

(وإن مررت بشعر فوق قامتها ** بالله قل لي كيف البان والعذب)

(تحكي الثنايا التي أبدته من حبب ** لقد حكيت ولكن فاتك الشنب)

وله

(عيرتني بالسقم أنك مشبهى ** ولذاك خصرك مثل جسمي ناحلا)

(وأراك تشمت إذ رأيتك سائلا ** لا بد أن يأتي عذارك سائلا)

قال الذهبي تخرج به الأصحاب وكان أحد الأذكياء وقال ابن شهبة توفي في ذي الحجة بالقاهرة ودفن بالقرافة بتربة القاضي فخر الدين ناظر الجيش ولما بلغت وفاته ابن تيمية قال أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ١٩٧/٥

وفيها على خلاف في ذلك محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود الجزري ثم المصري شمس الدين أبو عبد الله ولد سنة سبع وثلاثين وستمائة واشتغل بالعلم وأخذ بقوص عن الأصفهاني وشرح منهاج البيضاوي شرحا حسنا والفية بن مالك وأخذ السبكي عنه علم الكلام وتوفي بمصر في ذي القعدة

وفيها على خلاف أيضا شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي بكر ابن هبة الله الحزري ثم المصري الشافعي ويعرف بابن المحوجب وفي بلاده بابن القوام ولد سنة ست وثلاثين وستمائة كذا رأيته في بعض تواريخ المصريين وقرأ القرآت السبع وأخذ بدمشق النحو عن شرف الدين بن المقدسي وبقوص المعقولات عن الأصفاني والفقه عن الشيخين ابن دقيق العيد والدشناوي وأخذ بمصر عن القرافي قال الأسنوي كان ذكيا أقام بمصر وأخذ عنه كثير من طلبتها ودرس بالمعزية بعد موت ابن الرفعة وكانت السوداء تغلب على مزاجه توفي في رجب سنة إحدى عشرة

---

(١) ".

" على الاشتغال ليلا ونهارا وكان فقيرا لا يملك شيئا وقاسى في أيام طلبه من الجوع والمكابدة ما هو مشهور عنه وبرع في سائر العلوم وحقق الفنون وساد الأقران وسارت بفضله الركبان ووقع على تقدمه الاجماع وابتهجت بذكره النواظر والاسماع وصار عمدة يرجع إلى قوله وفتواه في زمن مشايخه وقرت به عيونهم وزوجه شيخه أبو شكيل بابنته ورزق منها أولادا فضلاء نجباء وكان مهابا جدا تخضع له الملوك آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر لا يراعى أحدا في دين الله تعالى ولا يخاف في الله لومة لائم وكلفه علي بن طاهر قضاء عدن فدام قريب أربعة أشهر ثم ترك وتوجه لنفع الطلبة خاصة وعمل على جامع المختصرات نكتا في مجلدة وكذا على ألفية النحو وشرح الملحة شرحا حسنا ولخص شرح ابن الهائم على هائميته إلى غير ذلك من الرسائل في علم الهندسة وغيرها قاله السخاوي وممن تخرج به عفيف الدين ابن الحاج ومحمد باقضام والعلامة محمد بحرق وغيرهم وله نظم كثير جدا منه

(اعط المعية حقها ** واحفظ له **حسن الأدب**)

(واعلم بأنك عبده ** في كل حال وهو رب)

وتوفي بعدن يوم السبت حادي عشرى المحرم وفيها جمال الدين محمد بن إبراهيم المكدش بفتح الميم وسكون الكاف وكسر الدال المهملة آخره شين معجمة فقيه اللامية ومفتيها ببلده سامر وكان له بها

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٤٢/٦

مشهد عظيم وبنو المكدش هؤلاء أخيار صالحون اشتهر منهم جماعة بالولاية التامة وظهور الكرامات وقريتهم يقال لها الأنفة بفتح الهمزة وفتح النون والفاء آخره تاء تأنيث جهة بوادي سهام وهي محلة مقصودة للزيارة والتبرك ونسبهم في الغنميين وهم قبيلة مشهورة من قبائل عك بن عدنان ومسكنهم فيما بين وادي سهام ووادي سردد قاله في النور السافر وفيها جمال الدين محمد ابن حسين بن محمد بن حسين القماط الزبيدي الشافعي ولد بزبيد في صفر

". (١)

"

١ المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية التي أجاب عليها المترجم له تقع في ص ٥٦٤ إلى آخر ص ٥٨٤ من الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية طبعة المنار بمصر عام ١٣٤٩هـ.

٢ تاريخ الجبرتي المسمى العجائب والآثار في التراجم والأخبار المجلد الرابع طبعة حسين شرف الكتبي حوادث شهر شوال عام ١٢٣٠هـ ص ٧٤٤.

ص -١٦٧-

أطلق لهما الإذن لإلى أي محل أراداه فكانا يركبان ويمران بالشوارع بأتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها ودخلا إلى الجامع الأزهر في وقت لم يكن فيه أحد من المتصدرين للإقراء والتدريس وسألا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه فقيل انقرضوا من أرض مصر بالكلية واشتريا نسخا من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشاف والبغوي والكتب الفقهية المجمع على صحتها وغير ذلك وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما أنسا وطلاقة لسان واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبار والنوادر ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق **وحسن الأدب** في الخطاب والتفقه في الدين واستحضار الفروع الفقهية واختلاف المذاهب فيما يفوق الوصف، واسم أحدهما عبد الله والآخر عبد العزيز وهو الأكبر حسا ومعنى"انتهى كلام عبد الرحمن بن حسن الجبرتي وقال بركهارت وهو يتحدث عن صلح الإمام عبد الله بن سعود وطوسون وعن الرسولين اللذين يحملان اتفاقية الصلح قال وما نصه:

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب. مفهرس، ٢١/٨

"وصل الرسولان الوافدان من قبل عبد الله ابن سعود وكانا في حاشية طوسون باشا في المدينة إلى القاهرة في أغسطس أثناء تمرد الجنود التي سبق ذكرها أحدهما كان يدعى عبد العزيز وهو أحد أقارب الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الدعوة والآخر كان أحد ضباط سعود قدما لمحمد علي المعاهدة التي عقدت مع ابنه طوسون باشا ومعها الخطابات التي ذكرت من قبل، وكان عبد العزيز عالما كبيرا أمر الباشا إلى معظم العلماء الأكفاء أن." (١)

"قال أبو هاشم الزاهد ان الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين به دونها وليقبل المطيعون له بالاعراض عنها وأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون والى الآخرة مشتاقون.

وعن محمد بن الحسين قال قال أبو هاشم الزاهد أخذ المرء نفسه **بحسن الأدب** تأديب أهله.

ولد الرشيد المعروف بالسبتي

عن عبد الله بن الفرج العابد قال احتجت إلى صانع يصنع لي شيئا من امر الروز جاريين فأتيت السوق فجعلت ارمق الصناع فإذا في آواخرهم شاب مصفر بين يديه زبيل كبير ومر وعليه جبة صوف ومئزر صوف فقلت له تعمل قال نعم قلت بكم قال بدرهم ودانق قلت له قم حتى تعمل قال على شريطه قلت ما هي قال إذا كان وقت الظهر واذن المؤذن خرجت وتطهرت وصليت في المسجد جماعة ثم رجعت فإذا كان وقت العصر فكذلك قلت نعم فقام معي فجئنا المنزل فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع فشد وسطه وجعل يعمل ولا يكلمني بشيء. حتى إذا أذن المؤذن للظهر قال يا عبد الله قد أذن المؤذن قلت شانك.

فخرج فصلى فلما رجع عمل أيضا عملا جيدا إلى العصر فلما أذن المؤذن قال يا عبد الله قد أذن المؤذن قلت شأنك فخرج فصلى ثم رجع فلم يزل يعمل إلى آخر النهار فوزنت له اجرته وانصرف.

فلما كان بعد أيام احتجت إلى عمل فقالت لي زوجتي اطلب لنا ذلك الصانع الشاب فانه قد نصحنا في عملنا فجئت السوق فلم اره فسألت عنه فقالوا تسأل عن ذلك المصفر المشؤوم الذي لا نراه إلا من سبت إلى سبت لا يجلس إلا وحده في آخر الناس فانصرفت.

فلما كان يوم السبت اتيت السوق فصادفته فقلت تعمل فقال قد عرفت الاجرة والشرط قلت استخر الله تعالى فقام فعمل على النحو الذي كان عمل.

قال فلما وزنت له الاجرة زدته فابى أن يأخذ الزيادة فألححت عليه فضجر وتركني ومضى فغمني ذلك

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم، ٥٩/٢

فاتبعته وداريته حتى أخذ اجرته فقط.

فلما كان بعد مدة احتجنا أيضا إليه فمضيت في يوم السبت فلم اصادفه.." [١]

"قال أبو عثمان وقد سئل عن الصحبة، فقال: الصحبة مع الله عز وجل **بحسن الأدب** ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته، ولزوم ظاهر الحكم، والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة، والصحبة مع الأهل والولد بحسن الخلق، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر والانبساط ما لم يكن إثما، والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم ورؤية نعمة الله عليك إذ عافاك مما ابتلاهم به.

قال أبو عثمان: الذكر الكثير أن تذكر في ذكرك أنك لا تصل إلى ذكره إلا به وبفضله.

قال أبو عثمان يقول: منذ اربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته.

أبو عمرو بن مطر قال: حضرت مجلس أبي عثمان الخيري فخرج ثم قعد على موضعه الذي كان يقعد فيه للتذكير، فسكت حتى طال سكوته فناداه رجل: ترى أن تقول في سكوتك شيئا؟ فأنشا يقول:

وغير تقي بأمر الناس بالتقى طبيب يداوي والطبيب مريض فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج.

لما تغيرت الحال على عثمان وقت وفاته، مزق ابنه أبو بكر قميصا كان عليه ففتح أبو عثمان عينه وقال: يا بني خلاف السنة في الظاهر من رياء في باطن القلب الباطن.

ومن عباد دامغان فاطمة بنت عمران

كانت كثيرة الاجتهاد.

قدم الرملي فلقي فاطمة فقال هذه زاهدة وقتها وكانت مستجابة الدعوة مقيمة على تعهد الفقراء إلى أن ماتت.

ذكر المصطفين من أهل بسطام أبو يزيد البسطامي

وكان سروشان مجوسيا فأسلم وكان لعيسى ثلاثة أولاد: أبو يزيد وهو أوسطهم، وآدم، وهو أكبرهم، وعلي وهو أصغرهم، وكانوا كلهم عبادا زهادا.

وقال أبو يزيد: لا يعرف نفسه من صحبته شهوته.

وسئل أبو يزيد البسطامي، ما علامة العارف؟ قال: أن لا يفتر من ذكره، ولا يمل من حقه، ولا يستأنس بغيره.

---

(١) مختصر صفة الصفوة، ١/١٠٥

وقال: إن الله أمر العباد ونهاهم فأطاعوا فخلع من خلعه فاشتغلوا بالخلع عنه، وإني لا أريد من الله إلا الله.

وقال أبو يزيد: لو صفت لي تهليلة ما بليت بعدها بشيء.." (١)

"قال أبو يزيد: هذا فلاحي بك وأنا أخافك فكيف فرحي بك إذ أمنتك؟ وسئل بما نالوا المعرفة؟ قال: بتضييع مالهم والوقوف مع ما له.

قال أبو يزيد البسطامي: ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير؛ بل إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير.

وقال أبو يزيد: لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالا لله أن أذكره.

وقال أبو يزيد: إن في الطاعات من الآفات ما لا يحتاجون إلى أن يطلبوا في المعاصي.

وقال أبو يزيد: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر.

وقال أبو يزيد أشد المحجوبين عن الله ثلاثة بثلاثة، أولهم: الزاهد بزهده، والثاني: العابد بعبادته، والثالث: العالم بعلمه. ثم قال: مسكين الزاهد، لو علم أن الله عز وجل سمى الدنيا كلها قليلا فكم ملك من الدنيا؟ وفي كم زهد مما ملك؟ وأما العابد فلو رأى منه الله عليه في العبادة عرف عبادته في المنة، وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله عز وجل من العلم سطر واحد من اللوح المحفوظ فكم علم هذا العالم من ذلك السطر؟ وكم عمل مما علم؟ قال: سمعت أبا يزيد يقول: ما ذكروه إلا بالغفلة ولا خدموه إلا بالفترة.

قال أبو يزيد: قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف بي هاتف من يجالس الملوك فينبغي أن يجالسهم **بحسن الأدب.**

قال أبا يزيد: دعوت نفسي إلى الله فأبت علي واستعصت، فتركتها ومضيت إلى الله عز وجل.

قال أبو يزيد: رأيت رب العزة تبارك وتعالى في المنام، فقلت: يا بار خدا، كيف الطريق إليك؟ قال: اترك نفسك ثم تعال.

كان أبو يزيد يعظ نفسه فيصيح عليها فيقول: يا مأوى كل سوء، المرأة إذا حاضت طهرت بثلاثة أيام أو أكثره بعشرة، أنت يا نفس قاعدة منذ عشرين وثلاثين سنة بعد ما طهرت فمتى تطهرين؟ إن وقوفك بين يدي طاهر ينبغي أن يكون طاهرا.

---

(١) مختصر صفة الصفوة، ١/٤١٩

قال أبا يزيد: عرج قلبي إلى السماء فطاف ودار ورجع، فقلت: بأي شيء جئت معك؟ قال: المحبة والرضا.." (١)

"العباس في يوم السبت الثامن عشر من ربيع الأول. وبدمشق الشيخ إسماعيل المغربي المالكي نائب الحكم بها، وأم أبي بكر١ تتر ابنة القاضي عز الدين محمد بن أحمد بن المنجا التنوخية، وبدرالدين حسن بن البهاء محمد بن محمد بن أبي الفتح البعلي والقاضي شرف الدين حسين بن علي بن سرور عرف بابن خطيب الحديثة، والمعمرة أم القاسم خديجة بنت إبراهيم بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن سلطان التغلبية٢، وأم يوسف خديجة ابنة الإمام بدر الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن قوام البالسية الصالحية، وخديجة بنت أبي بكر بن علي بن أبي بكر بن عبد الملك الكردي٣ الصالحية، والمعمر نجم الدين داود بن أحمد بن علي بن حمزة البقاعي، وبالقاهرة القاضي بهاء الدين أبو الفتح رسلان بن أبي بكر بن رسلان٤ البلقيني في جمادى الثانية، وبدمشق أم أحمد رقية بنت علي بن محمد بن أبي بكر بن مكي الصفدي الصالحية، وزينب بنت العماد أبي بكر بن أحمد٥ بن محمد بن

---

١ والذي في معجم الحافظ ابن حجر والضوء اللامع "أم بكر" وسماها الحافظ في معجمه تتر كما هنا ولكنه سماها في إنباء الغمر ططر فأوردها في حرف الطاء المهملة وقد أوردها صاحب الضوء اللامع في الحرفين وهي أخت المسندة فاطمة الآتي ذكرها فيمن توفوا في هذه السنة -أعني ٨٠٣- فهما قد توفيتا في سنة واحدة. "الطهطاوي".

٢ وهو محرف وأصله "البعلية" ففي معجم الحافظ ابن حجر وإنباء الغمر والضوء اللامع خديجة بنت إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن سلطان البعلية ثم الدمشقية وليس في عبارة هذه الكتب تكرير إبراهيم أولا فلعل ما هنا زيادة من ناسخ، والله أعلم. "الطهطاوي".

٣ والذي في معجم الحافظ ابن حجر وإنباء الغمر والضوء اللامع وشذرات الذهب "الكوري" وسيأتي للمؤلف ما يوافقه. "الطهطاوي".

٤ وهو ابن أخي الحافظ سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني. وقد اشتغل بالفقه كثيرا ومهر فيه وشارك في غيره وكان كثير المنازعة لعمه في اعتراضاته على الإمام الرافعي مع الوقار **وحسن الأدب**، وقد توفي عن سبع وأربعين سنة وذكره الحافظ ابن حجر في إنبائه والتقي المقريزي في عقوده والشمس

---

(١) مختصر صفة الصفوة، ١/٤٢٠

السخاوي في الضوء اللامع وصاحب الشذرات. "الطهطاوي".
٥ وجدها الشهاب أحمد بن محمد بن عباس بن أبي بكر بن جعوان بن عبد الله المعروف بابن جعوان الأنصاري الدمشقي "المتوفى بها سنة ٦٩٩" من تلاميذ الإمام النووي وكان فقيها شافعيا عمدة في نقل المذهب كما ذكره الحافظ الذهبي في العبر. وجعوان بالجيم والعين المهملة والواو والنون كما في طبقات الحفاظ للذهبي وطبقات الشافعية للجمال الإسنوي وكذا في طبقات التاج السبكي الوسطى وقد وقع في طبقاته الكبرى المطبوعة "ابن صفوان" بالصاد المهملة والفاء وهو تحريف مطبعي. "الطهطاوي".." (١)

"فأحضروا له من الدروع والأموال جملا كثيرة لا يحويها المقال، فأخذ ذلك من جملة الغنائم، وأقام شريعة جده سيد العوالم.

ثم عاد إلى مكة المشرفة، فدخلها في شهر رمضان في موكب عظيم قد أضاء، لم يسمع بمثله فيما مضى، وبين يديه الجماعات المقبوضون كل عشرة في كبل حديد، وشيخهم مع ولديه في الحديد، راكب في حال غير جميل.

ثم أمر بذبح أربعة عن الحاكم كما ذبحوه؛ وذلك بسوء ما فعلوه.

ومن ذلك في عام تسع وثمانين وتسعمائة: سار إلى ناحية الشرق مرة ثانية لمخالفة وقعت بينهم متناهية، في جيش كثيف جرار، ومدافع كبار، تنسف الجبال وتفتح الأمصار، ففتح مدنا وحصونا تعرف بالبديع والخرج والسلمية والإمامية، ومواضع في شوامخ الجبال تزيد على ما سبق بأمثال أمثال، فقويت شوكته وعز سلطانه، وتحقق عند ذوي البصائر أنه بعناية الله تعالى كل حين يعلو شأنه.

ثم عين من رؤسائه من ضبطها، على أمور التزمها وشرطها، فعاد مؤيدا منصورا، وعلم سعده منشورا.

فأخبره بعض عيونه التي يبثها في البلاد لتأتيه بأخبار العباد، أن جماعة من شوكة بني خالد تجمعوا وتحزبوا، ومن طريقك ترصدوا وتقربوا، في جمع من الشجعان والأبطال حتى جرائد الخيل وكرائم الجمال. فتدارك مولانا المشار إليه من الحزم والعزم ما أمكن، وقدم من قدم، وأخر من أخر، وأكمن من أكمن.

فوافاه الجيش الخالدي فوجد مولانا على غاية الحذر فتقابلا وتقاتلا، فهرب الخالدي وانكسر، فقتل مولانا أكثرهم عمدا، وغنم خيلا وإبلا وعمدا، ولم ينج منهم إلا الهارب، ومن خيلهم ورجلهم وإبلهم إلا الذاهب. وهذه النصرة أعظم في صدور الأعداء شوكة ونكاية، وأعلى منصبا وأجل ولاية. وهذه المذكورات عيون غزواته الشهيرة، وسواها كثيرة كبيرة.

---

(١) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لابن فهد المكي، ص/١٢٤

ذكرما خوله الله من فصاحة اللسان، وبديع البيان، في توقيعه بالبنان، والحكم بفصل الخطاب والتوفيق للصواب.

فمنها: لفظ " العزة لله سبحانه وتعالى " فمولانا المشار إليه وجميع سلفه الكرام وجون به في توقيعاتهم الفخام.

ولا يخفى ما في هذه اللفظة من جوامع الكلم **وحسن الأدب** مع ذي الجلال الإكرام، والعظمة والإنعام، والإشارة إلى قوله تعالى: " فإن العزة لله جميعا " النساء: ١٣٩ المستوجبة لعزة كاتبها وقائلها، وتواضعه مع كمال شرفه في الذات والصفات.

ومن ذلك: أن جميع توقيعاته يرقم فيها بعد الجواب لفظ " على الوجه الشرعي، والقانون المحرر المرعي " وهذا من خصوصيات مولانا الشريف حسن المشار إليه دامت رحمة الله عليه.

ومن ذلك: أن جميع ما يرقمه من الكلمات ولو كثرت خال من النقط بحيث تتبع أهل الخط أكثر تحريرات مولانا فلم يجدوا فيها نقطة.

ولعل مراده بذلك دفع المماثلة لخطه ورفع المشاكلة حتى يبعد عن التزوير.

ومن ذلك: سلامته من الحشو المخل والتطويل الممل.

ومن ذلك: أن قاضيا من قضاة المدينة الشريفة عرض عليه مكتوب، وقف صحيح العبارة بمحكمة الشرع، مضمونه: أن الأوقاف المشروحة به لا تؤخر إلا بشروط مرعية ذكرت فيه، وعين فيه أمورا لا تمكن الإحاطة بها إلا بعد قراءة المكتوب جميعه، وقراءته تحتاج إلى زمن طويل، فلما وقف مولانا الشريف حسن عليه قال من أول نظرة: هذا فرع من أصل يحتاج إلى اتصال وثبوت بالطريق الشرعي، فعرض له القاضي المشار إليه بأن مثل هذا يبعد تزويره، وأن الخصم في ذلك السيد مانع أمير المدينة الشريفة وهو أميركم، وكان مولانا الشريف حسن متكئا، فاستوى جالسا، ثم استقبل القبلة، وقال للقاضي: يا مولانا سيدي ووالدي الشريف الكبير أبو نمي ليس عندي على وجه الأرض أحب منه وأكرم، ومع ذلك والله العظيم وحق هذه الكعبة المدبجة لو ارتكب باطلا ما وافقته عليه، فإن قلتم ثبت عندي هذا المكتوب حكمت بموجبه على الفور. فعجب القاضي المذكور من فرط ذكاء مولانا وسرعة فهمه ومتانة ديانته وتحير منه واستحيا من قوة معرفته بالمقصود واستوائه جالسا. ثم ذكر والده الكريم، وتقرير محبته وطاعته له، ثم فسر بعدم موافقته على الباطل، وهذا من نور النبوة بلا شك ولاريب.

ومن ذلك أن جميع ما يرقمه للخاص والعام يبدؤه بذكر الله تعالى، ويختمه بالصلاة والسلام على جلى

محمد خير الأنام.

ثم يتبع ذلك بقوله: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي ذلك ما لا يحد من الخير ولا يحصى، ولا يحصر ولا يستقصى.." (١)

"وتمرض تصح ثم الجسوم ... وتصعب ثم تزول العلل

ولابد للريح من أن تهب ... ولابد للروض من أن يطل أبو عمران قد كان من أعيان العدوة بالمغرب، وقد زوجه مروان ابن سمحون اللواتي الطنجي ابنته، وسمع الحديث عليه وعلى أبي إسحاق الفاسي؛ وأنشدنا مقطعات مثيرة من شعر المغاربة الذين رآهم كأبي الحسن علي بن بياع السبتي والمرادي المتكلم وأبي بحر الخولاني الأندلسي. سمع كثيرا طول إقامته بالثغر، وكان شيخا موقرا **حسن الأدب**، آثار الرياسة بينة عليهن ورجع إلى المغرب وهناك توفي، رحمه الله.." (٢)

"فالجامع يضم ثلاثة أصناف من الناس، أولهما أهل الخير والصلاح، وهم يحتلون صحنه، ويقف على بابه الصنف الثاني من الشباب الموصوفين بقلة الحياء وسوء الأدب والغوغائية، وعلى النوافذ يجلس الصنف الثالث وهم الأغراب الذين قدموا حبا للعبث وترويحا عن النفس.

فلو فرض أن دخل رجل واتجه مباشرة للجماعة الخيرة، واشترك معهم فيما يفعلونه، فلا شك أن اجتماعهم به سيكسبه أجرا عظيما، ولكن عمله هذا لا يعجب الشباب، ولا الأجانب الأغيار.

ولو فرض أيضا أن الرجل نفسه دخل المسجد، وبدأ يغنى غناءا فاضحا، ثم اتبعه بالرقص الخليع والصياح المجنون، فإن عمله بلا شك سيسر له أولئك الشباب العابثون، ويكون مدعاة للاستهزاء من الأجانب الأغيار، في حين يستصغره أهل الخير ويستخفون به.

وفسر النورسي المثل بقوله:

" وعلى غرار هذا: فإن العالم الإسلامي، وقارة آسيا جامع عظيم ومن فيه من المؤمنين وأهل الحقيقة هم الجماعة الفاضلة في ذلك الجامع، وأولئك الصبيان الوقحون هم أولئك المتزلفون ذوو العقول الصبيانية، وأما أولئك المفسدون والسفهاء فهم الملحدون المتفرنجون الذين لا يعرفون دينا ولا ملة، أما الأجانب المتفرجون، فهم الصحفيون الذين ينشرون أفكار الأجانب.

فكل المسلمين لاسيما من ذوي الفضل والكمال، لهم موقع في هذا الجامع المهيب، كل حسب درجته،

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٤٧٩

(٢) أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، ص/١٢٢

وتلفت إليه الأنظار حسب موقعه، فإن صدرت منه أعمال وتصرفات تنم عن الإخلاص — الذي هو أساس الإسلام — وابتغاء رضى الله، على وفق ما أمر به القرآن العظيم من أحكام وحقائق، ونطق لسان حاله بالآيات القرآنية معنى عندئذ يدخل ضمن الدعاء الذي يدعوه كل فرد من أفراد العالم الإسلامي وهو:

- اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات.

ويكسب حظا منه، ويكون ذا علاقة قوية مع جميع المؤمنين، ولكن لا يبدو موقعه في نظر بعض أهل الضلالة ممن هم كالحيوانات المضرة، ولا تظهر مكانته لدى الحمقى الذين هم كالصبيان الملتحين.." (١)

"فلقد سجل النورسي أن هناك طائفة من أدباء ونوابغ المسلمين ممن ابتلوا بالفلسفة، قد ضلوا وأضلوا، وغدت آدابهم محاضن ومرجعيات تنشر الزندقة وتبث عدوى الجحود في الأوساط الإجتماعة .. ولقد خص بالذكر من هؤلاء أبا العلاء المعري، وهو " المعروف بتشاؤمه، وعمر الخيام الموصوف بنحيبه اليتمي، وأمثالهما من الأدباء الأعلام ممن استهوتهم الفلسفة وانبهرت نفوسهم الأمارة بها، فهؤلاء قد تلقنوا صفعة تأديب ولطمة تحقير وتكفير من قبل أهل الحقيقة والكمال، فزجروهم قائلين : أيها السفهاء أنتم تمارسون السفه وسوء الأدب، وتسلكون سبيل الزندقة، وتربون الزنادقة في أحضان أدبكم .." (١)

وواضح أن النورسي يقدر هنا خطورة الانحراف الفكري الذي ترتب عن شيوع فلسفة الشك والحيرة الوجودية، لاسيما تلك الصادرة عن مرجعيات لها من النبوغ والوجاهة ما كان لأولئك المبرزين من أدباء ومفكرين مسلمين، إذ أن النفوس مولعة ب الانسياق وراء الاستثناءات، فهي -أي النفس الأمارة - بحكم تكوينها المهيأ للسير في طريق الحيدة والانحراف عن الحق، تكون أسرع إلى الأخذ بما يزل ويضل، وهو ما أوقعت فيه الكثيرين من الناس تلك أفكار الوجودية اللا إيمانية القلقة التي طفقت تنم عنها آثار بعض الأعلام المسلمين، إذ لم تكن هذه الآثار لتعدم من يتفاعل معها، فيخرج عن نطاق ثقافة وعقيدة التوحيد التي شملت الأمة وجعلتها كيانا روحيا عضويا واحدا..

الإيمان وازع فطري، وجودي

لا بدع أن يحب النورسي الحياة، وأن يعرب عن محبته تلك في العديد من المناسبات.. ذلك لأن الحياة - عنده - تعتبر من أهم الأصعدة التي تجلت فيها قدرة الخالق وعظمته على العطاء والابداع، والمجال الحيوي الذي تعلقت به مواجد الإنسان من حيث هو انسان، مميز للشهوات، متذوق للنعم، ومتشه للطيبات..

---

(١) رسائل عن النورسية، ١٦٨/٤

(١) الكلمات ص. ٦٤٦.." [١]

"وكأنما نقلت مآزرهم إلى ال ... جدد الحمى الأنقاء من يبرين

ووراء ذياك المقبل مورد ... حصباؤه من لؤلؤ مكنون

إما بيوت النحل بين شفاههم ... منضودة أو حانة الزرجون

ترمي بعينك الفجاج مقلبا ... ذات الشمال بها وذات يمين

لو كنت زرقاء اليمامة ما رأت ... من بارق حيا على جيرون

شكوك من ليل التمام وإنما ... أرقى بليل ذوائب وقرون

ومعنف في الوجد قلت له أنئد ... فالدمع دمعي والحنين حنيني

ما نافعي إن كان ليس بنافعي ... جاه الصبا وشفاعة العشرين

لا تطرقن خجلا للومة لأئم ... ما أنت أول حازم مفتون

أ أسومهم وهم الأجانب طاعة ... وهواي بين جوانحي يعصيني

ديني على ظبياتهم ما ينقضي ... فبأي حكم يقبضون رهوني

وخشيت من قلبي الفرار إليهم ... حتى لقد طالبته بضمين

كل النكال أطيق إلا ذلة ... إن العزيز عذابه بالهون

يا عين مثل قذاك رؤية معشر ... عار على دنياهم والدين

لم يشبهوا الإنسان إلا أنهم ... متكونون من الحما المسنون

نجس العيون فإن رأتهم مقلتي ... طهرتها فنزحت ماء جفوني

أنا إن هم حسبوا الذخائر دونهم ... وهم إذا عدوا الفضائل دوني

لا يشمت الحساد أن مطامعي ... عادت إلي بصفقة المغبون

ما يستدير البدر إلا بعدما ... أبصرته في الضمر كالعرجون

هذا الطريق اللحب زاجر ناقتي ... واليم قاذف فلكي المشحون

فإذا عميد الملك حل بربعه ... ظفرا بفأل الطائر الميمون

قوله:)أأسومهم وهم الأجانب طاعة(، هو من قول البحتري:

---

(١) رسائل عن النورسية، ٢٦٣/١١

ولست أعجب من عصيان قلبك لي ... عمدا إذا كان قلبي فيك يعص◌يني

وبعده:

ملك إذا ما العزم حث جياده ... مرحت بأزهر شامخ العرنين

ومثله قول الشريف الرضي:

أروم إنصافي من رجال أباعد ... ونفسي أعدى لي من الناس أجمعا

إذا لم تكن نفس الفتى من صديقه ... فلا يحدثن من خلة الغير مطمعا

وأصله من قول بكر بن حارثه:

قلبي إلى ما ضرني داعي ... يكثر أسقامي وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوي إذا ... كان عدوي بين أضلاعي

وقوله:)يا عين مثل قذاك رؤية معشر(إلخ، هو معنى بديع، وقد سبق إليه، قال الثعالبي: أتفق لي في زمن الصبا معنى بديع، لم أسبق إليه، وهو:

قلبي وجدا مشتعل ... وبالهموم مشتغل

وقد كستني في الهوى ... ملابس الصب الغزل

إنسانة فتانة ... بدر الدجى منها خجل

إذا زنت عيني بها ... فبالدموع تغتسل

وقد سبقه ابن هندو، في قوله:

يقولون لي ما بال عينك مذ رأت ... محاسن هذا الظبي أدمعها هطل

فقلت زنت عيني بطلعة وجهه ... فكان لها من صوب أدمعها غسل

قال أبو علي الفارسي: لست أعجب من توارده، وإنما أعجب من قوله لم أسبق إليه وقد قال أبو الطيب في الحمى:

إذا ما فارقتني غسلتني ... كأنا عاكفان على حرام

وقد سلم من شناعة ذكر الزنا، وما في قبح لفظه من الخنا، فمعناه أصح؛ لأنه ذكر في هذا الشعر من نفسه وزائرته ذكرا وأنثى، جرى بينهما ما يقتضي الغسل.

وإن قيل: إن قوله)عاكفان على حرام(من لغو الكلام، وهما ذكرا، زنا بين اثنين، ولو قال زني ناظري، أو لحظي، كان أحسن.

قلت: هذا كله كلام ناء عن **حسن الأدب**، وهو سخف، ولكن أي الرجال المهذب، ومع ذلك فقد وقع هذا في كلام من تقدمهم، ومعناه أصح وديباجته ألطف وأوضح، كقول يزيد بن معاوية:." (١)

"لا تخيب أملي يا سيدي ... لذنوبي ولسوء الأدب

فأنا عبد مسيىء مذنب ... مستقيل عثرتي فاستجب

ولك الحلم الذي تياره ... لم تكدره ذنوب المذنب

قل أجبنا غير مأمور فيا ... خيبة المسعى إذا لم تجب

وشفعنا وقبلناك وقد ... جاءك البر ونجح المطلب

وافض ما في النفس لي من ارب ... لم أزل من شانه في تعب

وصلاة الله مع تسلمه ... أبدا في سبب معتقب

يستهلان على سوحك ما ... عقب الصبح ظلام المغرب

وعلى آلك والصحب الأولى ... أسسوا دين الهدى بالقضب

وقوله مادحا شريف مكة المشرفة الشريف ادريس بن الحسن لما عرض له في وظيفة الخطابة بالمسجد الحرام والبسه القفطان يوم مباشرته لها وذلك لتسع عشرة خلون من شهر رمضان عام ثمان وعشرين وألف

زها بك دست الملك والتاج والعقد ... غداة إليك الحل أصبح والعقد

مطاعا بعطف الله بعد رسوله ... أولى الأمر فالعاصي لأمرك مرتد

أبا شرف ادريس منتخب العلى ... أبا الشرف الوضاح غيرك والمجد

لقد حظيت شمس الخلافة بدرها ... فقارنها في الأوج والطالع السعد

قنصت العلا بالراغبية واللهي ... هما شركاها لا الأماني والوعد

وقمت بملك ما لغيرك حمله ... منال المهاوي ليس تدركه الربد

وشرفت دست الملك حين حللته ... ومرقاتك المرقال والفرس النهد

فكنت به ادريس اذرقي ... مكانا عليا خصه الصمد الفرد

وكنت ولم تفتن سليمان إذ دعى ... فأوتيت ما لا ينبغي لفتى بعد

وما لم ينله غير آبائك الأولى ... ربوع الندى شادوا وأنف العلا شدوا

ملوك هم الأنياب للملك والسوى ... إذا نسبوا كانوا الزوائد أو عدوا

---

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، ص/٧

تولوا وأفضى ملكهم لمحجب ... تصادم تيجان الملوك إذا يبدوا
تأخر عصرا فاستزاد من العلى ... كما زاد بالتأخير ما ترغم الهند
وأصبح عطلا جيد من رام عقدها ... سواء وأضحى يستضيء به العقد
تفرد طود الملك بالمجد جامعا ... مزاياه فهو الجامع العلم الفرد
رأى أن عدته خلت منه خلة ... فصيره قصرا عليه فلا يعدو
فيا ملكا بالفضل أذعن ضده ... وما الفضل إلا ما أقربه الضد
بك الدست يزهو يوم سلمك والبرد ... ويوم الوغي يزهو بك السرج والسرد
وما زلت في حاليك سلما وضده ... عليك رواق المجد يرفع والبند
فيشقى بك الجاني ويسعد مخفق ... ويأمن مطرود وترهبك الأسد
إذا بيت الأعداء أمرا تضاءلت ... لدى خطبه الآراء واستتر الرشد
وترت قويم الفكر قوسا لوترهم ... من العزم لم يكهم له أبدا حد
وقدت من القود الجياد مقاتبا ... إذا طلبت يدنو بتقريبها البعد
وغلى إلى الأعناق أيدي بطشهم ... من الرعب جيش لا تشام له جند
فأحياؤهم في الأرض موتى كأنها ... عليهم وقد ضاقت بما رحبت لحد
سجايا أبي لايجار طريده ... ولا راع يوما جار عقوته طرد
مليك هو الطود الأشم للائذ ... هو البطل الطعان والأسد الورد
جواد له في المال ثروة ثائر ... تحكم في الجاني واحفظه الحقد
طوت نحوه بالوقد كل تنوقة ... نجاة بخد الأرض من وخدها خد
وجاد فلم تفقد مراما بجوده ... فقل عوضا عن جاد قد فقد الفقد
هو البحر عذب للموالي والعدا ... عذاب لهم من لجه الجزر والمد." (١)

"تحل بتاجا لصنع تغد مملكا ... يطول على هام الرجال كواهله

وقوله وأجاد

عرفتك دهري ليس لي فيك حيلة ... يروج بها فضلي لديك واسلك
سرى الياس مما في يديك وإن يكن ... رجاء ففي الأخرى التي لست تملك

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص/٩٠

وقوله أيضا

يا بني الزهراء لا لقيتم ... أبد الأيام سواء من أحد

بشراكم لاح بمغنى أدم ... فلذا كل إليه قد سجد

بدر الدين حسين

الشهير بباشا زاده

غرة جبهة الزمان. وواسطة عقد الفضل المزري بعقد الجمان. وتاريخ الحسب والمجد. وصدر الكرم والشرف النجد. الجامع بين جلية النسب ومزية الأدب. والشافع كرم نفسه النفيسة **بحسن الأدب**. جر على هام المجرة ذيله. وأنار بقمر فضله ليله. فأصبح وهو عزيز مصره. والفاخر على ذي التاج المحجب في قصره. أجري بمصر نيله نيلها. وما زال مانح الفضائل والفواضل ومنيلها. فساق كل فاضل فلك أمله إليه وأرجاه. تاليا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاه. وأما أدبه فمأدبة البراعة والاحسان. القاصر عن نثره ونظمه سحبان وحسان. وما برحت كواكب فضله مشرقة لائحة. وسواكب أفضاله غادية رائحة. حتى وافته بأجله وفاته. وعفت آثاره وبكت عليه عفاته. فتوفى في رجب سنة ثلاث وعشرين وألف ومن نظمه ونثره ما كتبه إلى القاضي محمد دراز المكي مراجعا عن كتاب كتبه إليه معزيا له في ولده عبد الرحمن وكان قد وصل إلى مكة المشرفة للحج فتوفى بها ثامن ذي الحجة الحرام سنة ثمانية عشر ومائة وألف وافتتح القاضي كتابه بقوله

على أريحي شافني بخياله ... سلام يحاكي منه طيب خصاله

عشقت وما أبصرته غير أنني ... سمعت من الحاكين وصف كماله

فأجابه بقوله

على المعي شمت آيات فضله ... فهمت به مستغنيا عن خياله

فمن أجل ذا اثني عليه ولم أقل ... سمعت من الحاكين وصف كماله

لا يزال برؤياه قميص الجو معنبرا. وثناء لا ينفك بمرآه بساط البسيط معشوشبا نضرا. أطيب من النسائم صافحت أنامل الزهور. فحلت منها العقود. وأرق منها إذا اعتلت شوقا للثم الثغور. وهز القدود. إلى من هو الآخذ من الفضل بزمامه. والصاعد من المجد فوق غاربه وسنامه فارس حلبة المعارف وكميها. وشاكي سلاحها ولوذعيها. فاني يشق لها غبار. وكيف يركض معه مبار في مضمار. أعني الفاضل الممجد. ابن دراز محمد. نسأل الله تعالى كما فرده بما جمع له من الشيم الصالحة والأفعال. أن يكثر له الأمثال.

ويهييء له الآمال. ما لمع آل. واختلفت آصال. وبعد فقد ورد من تلك الديار. ووفد من هاتيك الآثار ديار معال طال ما هاج برقها ... جفونا أحال الوجد من دمعها دما

بكر فكر ترفل من التيه في برد قشيب. دوحة فضل تميس في روض خصيب. سماء أنجم الفصاحة في أرجائها لوائح. حديقة بلابل البلاغة في منابر أفنانها صوادح. فيا لله ما أحسنه من كلام. وواعجبا ما أبدعه من نظام. ولعمري لقد غاص فجاء بالدر منضودا. وما أخاله إلا ارتقى فأتى بالنجم مصفودا. فلو تليت لصخر لتفجرت أنهاره. أو شدى بها في روض لتبسمت أزهاره. ولو اقتاد بها الجوزاء لانقادت. أو استمال بها جلامد القلوب للانت. أقداح ألفاظها تطوف من المعاني برحيق. فمن قرع سمعه شيء منها فسكر أني يفيق. وشاها ساحر بيان ليس له مماثل. بل هو سحبان وائل لو قال بالتناسخ عاقل. فأماطت فضلة النقاب. ولاحت دون ما حجاب. حركت سواكن شوق اشتعل ضرامه. واستعرت لهيب قلب اشتد أوامه. فاه لولا ما ابتهجت به الأبصار من حسن روائها. وآض به روض السرور من سلسال مائها. كيف وقد بشرت بصحتكم التي هي نهاية الآمال. وأشعرت بقيام خيام عزتكم الذي هو أوراد الاخوان بالعشي والآصال. فلله الحمد أولا وآخرا. وباطنا وظاهرا. وقد أشرتم إلى ما أشرتم إليه. مما يأبى القلب اللسان رحمة أن ينطق به أو يعرج عليه. فإنا لله وإنا إليه راجعون ولسنا أول من رماه الدهر نبيل مصائبه. وضرسه بنابه وافترسه بمخالبه. ولنا الآن إلى مزيد الثواب مزيد استشراف. وبالدهر في أن لا يعاندنا مزيد تلطف واستعطاف. والسلام. ومنه ما كتبه إلى الشيخ عبد الرحمن المرشدي." (١)

"السدري أبو نبقة محمد بن هشام بن أبي خميصة مولى لبني عوال فاشترى المتوكل ولاءه بثلاثين ألف درهم وكان يصحب الجماز وعبد الصمد بن المعذل والجاحظ وأدباء البصرة، ذكر عبد الله بن شبيب إنه كان مع السدري فصار إلى باب رجل من وجوه أهل البصرة فأبطأ إذانه قليلا فقال السدري:

سأترك هذا الباب ما دام إذنه ... على ما أرى حتى يخف قليلا

إذا لم أجد يوما إلى الإذن سلما ... وجدت إلى ترك المجيء سبيلا

وله:

لعمركما يا صاحبي لئن بدت ... لنا ظلم في دور آل زياد

لقد أظلمت أحسابهم قبل ما ترى ... على الناس واسودت بكل بلاد

الأخيطل وهو محمد بن عبد الله بن شعب مولى بني مخزوم ويكنى أبا بكر من أهل الهواز. قدم بغداد

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص/٢٤١

ومدح محمد بن عبد الله بن طاهر وهو ظريف مليح الشعر يسلك طريق أبي تمام ويحذو حذوه وكان يهاجي الحمدوني وهو القائل:

أسمعت إذن رجائي نعمة النعم ... فأرعني أذنا أرحبك في كلمي

ريحان شعر إذا ما الفكر أمطرها ... فهما تروى لها لب الفتى الفهم

فما اقتراب الهوى من عاشق دنف ... ألذ من ماء شعر جال في كرم

وله في وصف مصلوب:

كأنه عاشق قد مد صفحته ... يوم الفراق إلى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته ... مواصل لتمطيه من الكسل

وله في الشقائق:

هذي الشقائق قد أبصرت حمرتها ... مع السواد على أعناقها الذبل

كأنها دمعة قد غسلت كحلا ... جاءت بها وقفة في وجنتي خجل

أبو عبد الرحمن العطوي محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى كنانة بصري شاعر وهو أحد المتكلمين الحذاق يذهب إلى مذهب حسين الخباز وولاؤه لبين ليث بن أبي بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو متوكلي، ومن قوله:

وأحاديث في خلال الأغاني ... كابتسام الرياض غب القطار

وله:

فوحق البيان يعضده البر ... هان في مأقط ألد الخصام

ما رأينا سوى الحبيبة شيئا ... جمع الحسن كله في نظام

هي تجري مجرى الأصالة في الرأ ... ي ومجرى الأرواح في الأجسام

وله:

لم أحاكم صروف دهري في الأق؟ ... داح حتى فقدت أهل السماح

أحمد الله صارت الخمر تأسو ... دون إخواني الثقات جراحي

محمد بن أبي العتاهية ولقبه عتاهية ويكنى أبا عبد الله وأمه هاشمة بنت عمرو اليمامي مولى كان لمعن بن زائدة. وكان محمد ناسكا شاعرا وهو القائل:

قد أفلح الساكت الصموت ... كلام راعي الكلام قوت

ما كل نطق له جواب ... جواب ما يكره السكوت

يا عجبا لا مرئ ظلوم ... مستيقن أنه يموت

وله:

لربما غوفص ذو عزة ... أصح ما كان ولم يسقم

يا واضع الميت في قبره ... خاطبك القبر فلم تفهم

محمد بن الفضل الجرجرائي أبو جعفر الكاتب. كان يكتب للفضل ابن مروان ثم وزر للمتوكل وهو شيخ ظريف **حسن الأدب** عالم بالغناء توفي سنة خمسين ومائتين وقد نيف على الثمانين. وله مع إسحاق الموصلي أخبار ومكاتبات. ومنها قوله وقد اعتذر إليه من تقصير كان منه في لقائه:

خل أتى ذنبا إلي وإنني ... لشريكه في الذنب إن لم أغفر

فمحا بإحسان إساءة فعله ... وأزال بالمعروف قبح المنكر

وله يقول لبعض كتابه:

تعجل إذا ما كان أمن وغبطة ... وأبط إذا ما استعرض الخوف والهرج

ولا تيأسن من فرجة أن تنالها ... لعل الذي ترجوه من حيث لا ترجو

وله يقول لنجاح بن سلمة:

إن من الإخوان من وده ... على ديمومة تلمع

يخاله الظمآن ماء ولا ... ماء به من ظمأ ينقع

وأنت منهم غير شك فما ... ترجع عن غي ولا تقلع

محمد بن غياث الكاتب. له رسائل حسان وكان يألف أحمد بن الخصيب قبل وزارته فلما وزر أحمد أحسن إليه فامتدحه بشعر منه:

هذا الوزير أبو العباس قد نجمت ... به المكارم واستعلت به الرتب." (١)

"""""" صفحة رقم ٥٤٠ """""

٣٦٧٥ وابو الطيب يوسف بن عمر بن سهل السني حدث عن أبي الحسن محمد بن يعقوب بن الجندي السني قال حدثنا أبو عمران موسى بن محمد الحديثي نقلته من خط الشيخ أبي بكر بن الخاضبة الحافظ رحمه الله مضبوطا في الموضعين بكسر السين في أربعين أبي سعد الماليني وابو الطيب شيخ الماليني

---

(١) معجم الشعراء، ص/١١٧

والحديثي يروي عن أبي يعلى الموصلي وأما السني بضم السين المهملة فهو

٣٦٧٦ أبو زرعة روح بن محمد بن أحمد السني القاضي الرازي سبط أبي بكر بن السني حدث عن علي بن إبراهيم بن محمد بن عمران الزيات وأبي الهيثم أحمد بن عمر بن شبويه المروزي وابي أحمد الحسين بن علي النيسابوري حدث عنه الحافظ أبو بكر الخطيب قال يحيى بن منده في تاريخه كثير الحديث صاحب غرائب **حسن الأدب** جميل الطريقة سمع منه علي بن الحسين الإسكاف." (١)

"فجاء مجيء الغيث الجدب هاطلا ... وقرت عيون واطمأن قلوب

فيا حبذا بشرى شفتنا من الضني ... ولله أنس يوم ذاك وطيب

الأستاذ أبو المعمر نعيم بن الحسن

بن المظفر

هذا الفاضل كما أظن من فضلاء كنجة، وأورده ها هنا سهوا. قال:

سلام عليك، سلام إذا ... أتاك تحمل عرف الشذا

وشوقي إليك يرض العظام ... ويولي الجفون فنون القذى

وطيفك يطرقني للسلام ... خلال الظلام إذا اجلوذا

فإن هزمته جيوش الصباح ... طعانا حكى مثل برق غذا

ثنى عطفه ومضى واغتذى ... وتاه على الصب واستحوذا

يراقب سمعي وقت الأذان ... فيحذر نفسي وقت الأذى

نجور ويعدل عند العناق ... ويمضي ويتركنا هكذا

فيا حبذا عدله المستلذ ... ويا حبذا حكمه المحتذى

وله أيضا:

يا شادنا يتحرى غدرة الذيب ... قلص فديتك من أذيال تعذيبي

صدقتك الحب من سر الفؤاد ضنى ... ففيم ردي بظن فيك مكذوب؟

فض الختام وذهب بالكؤوس يدي ... فالأرض ما بين تفضيض وتذهيب

والجو ما بين أسجال الغمام وتس ... جاع الحمام وتسكاب الشآبيب

فمن هزار عن الألحان مرتجز ... ومن رذاذ على الريحان مسكوب

---

(١) تكملة الإكمال، ٣/٥٤٠

أبو العلاء المهرقاني

هو من فضلاء أصبهان بالتحقيق. أنشدني الشيخ أبو عامر له قال: أنشدني لنفسه:

أيا من رنا فاستأسرتني لحاظه ... وما لي عنه في الإسار أمان

تملكت فاصنع ما بدا لك ريثما ... يحيط بنار العارضين دخان

أبو سعد محمد بن عبد الرحمن

الصيدلاني الجرجاني

قال الشيخ أبو عامر كان هذا الفاضل **يحسن الأدب**، لا إلى غاية. مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة. قال:

وأنشدني لنفسه:

إن البراغيث بالليالي ... إذا توثبن في القتال

مخلع البسيط

لمشبهات على فراشي ... بزرقطونا على المقالي

قلت: أخذه من قول الآخر:

لو تراني والبراغي ... ث بجسمي يعبثونا

خلت أني نائم في ... بيدر البزرقطونا

قال: وأنشدني الصيدلاني أيضا لنفسه:

أرق عيني لدغ سود لادغه ... تبيت في فضل دمائي والغه

تصبح نفسي من دمائي فارغه ... كأن جلدي نسغته ناسغه

لا تصلح الفاسد منه الدابغه

قلت: لو نسبت هذا الفاضل إلى الغالب عليه لسميته " المستغيث من البراغيث " .

الأستاذ أبو الفرج بن هندو القمي

كأن الفضل لم يخلق إلا لأجله، فهو أمير النظم والنثر بخيله ورجله. وقد ظفرت بديوانه فلم أجنح للتجافي عنه والتخطي، وأثبته على ما في من الملال بخطي. فكنت فيه كالغواص ينفرد بذاته في طلب الفرائد، ويخرج من الحمأ حصى القلائد. وناهيك بشعره جدا وهزلا، وبنثره حديثا وغزلا.

ولم أرد أن يكون كتابي هذا من حليه عاطلا وألا يجود رياضه ذلك الغمام هاطلا. فكتبت منه ما هو الماء الزلال والسحر الحلال. أنشدني ابنه أبو الشرف عماد، قال: أنشدني والدي، رحمه الله، لنفسه:

يا سيف إن ترك بحاشية اللوى ... ثارا جعلت له غرارك غارما

أجعل قرابك فضة مسبوكة ... وأصغ عليك من الزبرجد قائما

كن للرؤوس، فدتك نفسي، ناثرا ... كيما أكون لمدح نظمك ناظما

هل أرضعتك صياقلي ماء الردى ... إلا لترضعني الدماء سواجما؟

وله أيضا:

أسحي دمي يا أم عمر أو احقني ... قليل لدينا أن يباح لك الدم." (١)

"أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر بن علوي بن عبد الله ابن علي بن عبد الله بن علوي بن الأستاذ الأعظم الفقيه الأجل المعروف بالشلي وهو أخو محمد الجمال صاحب التاريخ واحد مشايخه ولد بمدينة تريم وحفظ القرآن على المعلم الكبير محمد با عيشه وجوده عليه وحفظ الجزرية والعقيدة الغزالية والأربعين النووية والأجرومية وأكثر الأرشاد وورقات الأصول وقطر الندى لابن هشام وأخذ عن والده وتفقه بالعلامة محمد الهادي بن عبد الرحمن بن شهاب الدين والقاضي الأجل أحمد بن حسين وأخذ عن الشيخ أبي بكر وأخيه شهاب الدين ابني عبد الرحمن بن شهاب الدين الأصلين وغيرهما من علوم الدين والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله باهارون والشيخ زين العابدين العيدروس وأخيه عبد الرحمن السقاف بن محمد العيدروس والفقيه فضل والشيخ أحمد بافضل الشهير بالسودى وأخذ عن غيرهم ممن يطول ذكرهم وبرع في الفقه والحديث والعربية وأجازه غير واحد من مشايخه وألبسه الخرقة ثم رحل إلى الهند وأخذ بها عنه جماعة علوم الأدب وأخذ عن السيد الأجل الشيخ شيخ بن عبد الله العيدروس علوم الصوفية وصحب الشيخ الكبير السيد أبا بكر بن أحمد العيدروس والسيد الكبير الشيخ جعفر العيدروس والسيد عمر بن عبد الله باشيبان ولازمه في دروسه وأخذ عنه العلوم العقلية والفنون الأدبية وعلوم العربية واتصل بالملك عنبر فأحسن إليه واختص به بعض ملوك تلك الديار فأجلسه في أعلى مراتبه ثم عاد إلىوطنه فلازم القاضي أحمد بن حسين وقرأ عليه فتح الجواد وأحياء علوم الدين وقرأ علي الشيخ عبد الرحمن السقاف في العربية والحديث وكتب الصوفية ثم رحل إلى الحرمين وأخذ عن الشيخ العارف محمد بن علوي والشيخ عبد العزيز الزمزمي والشيخ محمد بن علي بن علان والشيخ سعيد باقشير والشيخ محمد بن عبد المنعم الطائفي والسيد أحمد بن الهادي والعارف أحمد بن محمد القشاشي المدني وأجازه أكثرهم بجميع مروياتهم ومؤلفاتهم ثم رجع إلى وطنه وكان أديبا باهرا حسن الخط ثابت الذهن عجيب الفهم مطلعا على

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص/٩٩

اللغة والمفاكهات وكانت له قدرة على كشف الغوامض ومعرفة تامة بالحساب والفرائض ودرس وأجاد وانتفع به كثير من الطلبة وكان نير السريرة طيب الرائحة لطيف الثياب دائم البشر لا يترك قيام الليل كثير التحمل للبلايا صبورا على من أذاه وكان يحب الفقراء وكان يقول كل من ابتلاه الله بالفقر في هذا الزمان حقيق بأن يعتقد وكان **حسن الأدب** مع الناس قال أخوه في ترجمته ومنذ صحبته ما أذكر أنه غضب يوما من الأيام ولا أغتاب أحدا ولو أذاه ولم يزل على حالته إلى أن توفي وكانت ولادته في سنة تسع عشرة وألف وتوفي في سنة سبع وخمسين وألف بمدينة تريم ودفن بمقبرة زنبل وقبره بها معروف يزار رحمه الله تعالى الشيخ أحمد بن أبي بكر بن سالم بن أحمد بن شيخان بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله باعلوي وتقدم رفع نسبه في ترجمة والده أبي بكر الشهاب المقدم في العلوم المنفرد بالفنون الأديبة إلى مكارم شيم وأخلاق وصفاء باطن وظاهر ولد بمكة المشرفة في رجب سنة تسع وأربعين وألف وبها نشأ وتربى في كنف والده وحفظ القرآن والأرشاد وبعض المنهج وألفية الحافظ العراقي في أصول الحديث وألفية ابن مالك وغير ذلك من الرسائل ولازم أباه وعنه أخذ الطريق المسلسل ولبس منه الخرقة الشريفة وتلقن الذكر والمصافحة والمشابكة ولازم الشيخ عبد الله با سعيد باقشير في درسه وأخذ عن الشيخ عبد العزيز الزمزمي والشيخ علي بن الجمال وأحمد بن عبد الرؤف وعبد الله بن الطاهر العباسي وحضر دروس العلامة عيسى المغربي وأخذ عن العارف بالله تعالى عبد الرحمن المغربي وألبسه الخرقة ثم لازم محمد بن سليمان ملازمة تامة وأتقن عدة فنون منها الحديث والفقه والأصول والعربية والفرائض والحساب والميقات والمعاني والبيان والعروض وأمره شيخه ابن سليمان بالتدريس فجلس بالمسجد الحرام وأخذ عن الشيخ أحمد البشبيشي لما قدم مكة في حجته الأولى وأجازه وكانت له همة تزاحم الأفلاك ونثر وأنشاء ونظم وألف عدة رسائل وتعاليق وأختصر تاريخ القرطبي المسمى بالبرق اليماني وزاد فيه زيادات ولكن لم تطل مدته ومن شعره قوله في مليح اسمه بكرى

ياغزالا مرعاه وسط فؤادي ... وحبيبا ما زال دمعي يذري." (١)

"عفوكم عنا دواء ... نافع من كل عله

والرضى منكم زلال ... مبرد من كل غله

ودكم عندي أمان ... ببراهين الأدله

حبكم شرعي وديني ... وهو عندي خير مله

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ١/١٠٣

وهولى لي خلق كريم ... وطباع وجبله

ولقد مازج روحى ... وسواد القلب حله

قمر الحسن وللح ... سن بدور وأهله

لو رآه البدر أع ... لاه مقاما وأجله

ضرب الحسن عليه ... قبة تزهو وكله

يا لقومي في كثير ... الحسن حظى ما أقله

يا رسول قل له با ... لله أن أحسنت قل له

كي يقضي الصب عمرا ... فعساه ولعله

أن يكن لا يرتجى الو ... بل من الوصل فطله

وعلى الحسن زكاة ... وردت فيها الأدله

وهو مسكين فمنع ال ... صرف فيه من أحله

لست أشكو الجورالا ... للأجل ابن الأجله

من له كثرة أوصا ... ف العلى من غير عله

من رقى في المجد والف ... خر إلى أرقى محله

ونضا منصل عزم ... مرهف الجد وسله

وسعى في طلب العل ... ياء من غير تعله

وسما في نيله الف ... ضل إلى أرفع قله

ما أحل الله شخصا ... في العلى حيث أحله

يا سليل العز يا من ... لاعا ديه المذله

وصل المملوك وصل ... منكم أعلا محله

وكساه برد فحر ... زانه بين الأخله

عقد نظم خلته ور ... دا كساء الصبح طله

وتود الغيد لو أ ... ن لها منه أشله

بل هو الفضل أدا ... م الله للعالم ظله

فيه اعزاز لقدرى ... ولنظمى فيه ذله

فاقبلوا منى جوابا ... جاء في ضعف وقله

طال تقصيرى ولكن ... سامحوا المملوك لله

ومن شعر الإمام قوله

وشادن أجرى دموعي دما ... سفحا على الخدين لا ترقا

أخاف مسود عذارى به ... ببيض من حلته الزرقا

وله غير ذلك وكانت ولادته في سنة تسع عشرة بعد الألف وتوفي في رابع جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وألف وقام بعده في طلب الأمامة لنفسه أحمد بن الحسن بن القاسم ونازعه فيها القاسم بن محمد بن القاسم ابن عمه وحصل بينهما محاربه ثم تمت الولاية لأحمد كما تقدم في ترجمته الشيخ إسماعيل بن محمد عماد الدير المعروف بابن تبل الدمشقي القبياتي ذكره النجم الغزى في ذيله فقال في حقه كان من أذكياء العالم ودأب في الاشتغال حتى برع في كل فن من الفنون واشتهر بالفضل وكان شافعيا ثم تحنف وقصد أن يسلك طريق الصوفية فاختلى عند الشيخ احمد الحرستاني الكاتب ورأى في الواقعة بعد ستة عشر يوما أنه فلاة فيها فيها كوم من أحجار وأوساخ ووجد عليها قطعة خبز فأكلها فذكر هذه الرؤيا للشيخ أحمد فقال له اخرج من الخلوة فإن لك خولة في الدنيا فخرج ثم تعلق بأنواع العلوم العقلية وسافر إلى الروم وسلك الطريق وخدم في الدنيا فخرج ثم تعلق بأنواع العلوم العقلية وسافر إلى الروم وسلك الطريق وخدم بعض الموالى حتى صار محاسبا بأوقاف قسطنطينية في زمن بعض قضاتها حتى حصل دنيا عريضة واشتهر فيما بينهم بمنلا عماد ثم تفرغ عن ذلك كله ووهب ما عنده من متاع وغيره ولحق بالعارف بالله تعالى الشيخ محمود الاسكدارى وصار من مريديه وتوفي في عنده بأسكدار في نسة عشر بعد الألف رحمه الله تعالى السيد إسماعيل بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم من أولاد الأئمة باليمن وجده هو الذي أخرج الأتراك من اليمن وكان ذا ولاية واسعة وستأتي ترجمته أن شاء الله تعالى وكان السيد إسماعيل المذكور في المحل الأعلى من الفصاحة والبلاغة **وحسن الأدب** نقى الطبع به الآثار رقيق جلباب النظم وله مؤلف سماه سمط اللآل بأشعار الآل وفضله في اليمن أشهر من أن يذكر ومن شعره النقى البهى قوله يمدح والده محمد بن الحسن." (١)

"" أبو بكر " بن صدقة بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الزكي بن فتح الدين بن نور الدين بن أبي الحسن المناوي الأصل المصري القاهري الشافعي الزيات والده، ويعرف بالمناوي ولد سنة خمس وثمانين

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢٥٨/١

وسبعمائة أو قبلها بقليل وحفظ القرآن والعمدة والشاطبيتين والمنهاج الفرعي ومختصر ابن الحاجب الأصلي وألفية ابن مالك وعرض في سنة سبع وتسعين علي ابن الملقن والأنباسي الغماري والكمال الدميري وخلق أجازوا له وكذا عرض بمكة حين مجاورته فيها مع أبيه سنة ثمانمائة على غير واحد من أعيانهم منهم محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو اليمن الطبري والجمال بن ظهيرة وجود القرآن على خليل المشبب وغيره واشتغل في الفقه عند ابن الملقن والدميري والبدر الطنبدي والفارسكوري وفي الأصول عند الشهابين العجيمي والبوصيري وفي العربية عند الشمس الشطنوفي وغيره وسمع علي المطرز والعراقي والهيثمي والأنباسي والشرف القدسي وناصر الدين بن الفرات والجوهري في آخرين بالقاهرة وكذا بمكة علي ابن ظهيرة وغيره فيما كان يخبر به وهو ثقة فقد كان فيها سنة ثمانمائة وتعاني التجارة ونالته محنة بسبب ولد له انقطع بسببها عن الناس مدة ثم برز ولازم التقي الحصني وفي شرح مسلم وغيره وحضر دروس الشرف المناوي وحدث سمع منه الفضلاء أخذت عنه قديما، وكان خيرا حسن الأدب كثير التواضع والسكون محبا في العزلة والانفراد مكرما للطلبة مع فضيلة في الجملة، مات في رجب سنة ثمانين وصلى عليه بجامع طولون ودفن بالقرافة رحمه الله وإيانا وفي ترجمته من المعجم فوائد.

" أبو بكر " بن صلغاي المجاور الجامع الغمري، ممن ينتمي للظاهر صاحب الجامع كبيت بني ابن خاص بك، متمول شديد الحرص قبيح المعاملة له أملاك ورزق ونحوها، اختلس له من بيته مرة جملة وما وصل لغريمه وآل أمره إلى أن صار مقعدا طريحا لا حركة فيه سوى اللسان وقد صاهره جانبك خارندار يشبك من حيدر وهو ألطف وأشبه، " مات في صفر سنة تسعمائة عفا الله عنه " .

" أبو بكر " بن الطيب في ابن أحمد بن أبي بكر بن أحمد.

" أبو بكر " بن عباس بن أحمد الزين البدراني والد محمد الآتي، تزوج أخت بلديه محمد بن محمد بن محمد بن أمين الشهير بابن قطب الدين ثم ابنته واستولدها ولده المشار إليه وكان قد سمع رفيقا للجديدي من شيخنا المسلسل وحضر بعض مجالس إملائه ثم سمع مني المسلسل وبقراءته ولده ثلاثة أحاديث من أول البخاري.

" أبو بكر " بن عبد الله بن أيوب بن أحمد الزين الملوي ثم المصري الشاذلي أخو الشمس محمد الريس الماضي وحفيد أيوب شيخ معتقد له زاوية بملوى، ولد سنة اثنتين وستين وسبعمائة وصحب الفقراء وتلمذ لحسين الحبار ثم لازم صاحبه الصلاح الكلائي وصار يتكلم على الناس بزاوية شيخه الحيار بقنطرة الموسكي ويفسر القرآن برأيه على قاعدته فضبطوا عليه أشياء ورفع إلى القاضي الجلال البلقيني فمنعه من

ذلك إلا أن قرأ من تفسير البغوي وغيره واجتمع بي بسبب ذلك فوجدته حسن السمت عريا عن العلم وكان قال فيما ذكر لي أنه رأى في قوله تعالى "كذبت قوم هود المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود " أن الضمير في قوله أخوهم للمرسلين فقلت له بل لعاد فقال لا لأنه لا يليق بالنبي أن يوصف بأنه أخو الكفرة فقلت له فقد قال في الآية الأخرى " واذكر أخا عاد " فسكت وله نظائر لذلك إلا أنه كان كثير الذكر والعبادة يتكسب من التجارة في الغزل والجماعة من الناس فيه اعتقاد كبير، مات في ليلة الجمعة خامس ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وكانت جنازته حافلة، ذكره شيخنا في أنبائه.

" أبو بكر " بن عبد الله بن العماد أبي بكر بن أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن محمد بن يوسف بن قدامة العماد بن التقي المقدسي ثم الصالحي الحنبلي. ولد سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة وسمع من أحمد بن عبد الله بن جبارة والبهاء علي بن العز عمر وغيرهما، وحدث سمع منه شيخنا وذكره في معجمه وأنبائه وقال مات في الكائنة العظمى بدمشق سنة ثلاث، وتبعه المقريزي في عقوده.

" أبو بكر " بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية ابن ظهيرة القرشي الماضي أبوه، أخوان من الأب خاصة، ماتا صغيرين.." (١)

"الله تعالى وكان بعض الأولياء يقول في حقه. إنه من الأربعة الأوتاد. الذين يحفظ الله بهم البلاد والعباد. ويغيث بهم الحاضر والباد. وكان رحمه الله يقول عمري سبعون سنة. فكان كذلك. ومن أولاده الفقيه الصوفي عمر، وكان تصوف بعد أن برع في العلم. وكان شيخه في التصوف الشيخ عبد الرحمن باهر مز. وله معه حكاية طويلة. ومن شعره:ه تعالى وكان بعض الأولياء يقول في حقه. إنه من الأربعة الأوتاد. الذين يحفظ الله بهم البلاد والعباد. ويغيث بهم الحاضر والباد. وكان رحمه الله يقول عمري سبعون سنة. فكان كذلك. ومن أولاده الفقيه الصوفي عمر، وكان تصوف بعد أن برع في العلم. وكان شيخه في التصوف الشيخ عبد الرحمن باهر مز. وله معه حكاية طويلة. ومن شعره:

اعط المعية حقها ... واحفظ له **حسن الأدب**

واعلم بأنك عبده ... في كل حال وهو رب

ونظمه كثير جدا. فهو مشتمل على كثير من اشارات الصوفية واصطلاحاتهم. ومسائلهم الدقيقة. وعليه حلاوة. وفيه طلاوة. ولاجل هذا يحفظه أهل تلك الجهة كثيرا ويتمثلون به، ويستعملونه غالبا في مغانيهم. ويعتنون به أشد العناية. حتى العوام. وهو سلس الألفاظ، قريب المعاني. يفهمه كل أحد بحسب حاله في

---

(١) الضوء اللامع، ٢٣٧/٥

المحبة المجازية. ونحو ذلك. وهو مع ذلك مشتمل على ذكر كثير من الأمثال المتداولة بينهم ومنه هذه الوسيلة العظيمة التي اشتملت على ذكر كثير من اولياء الله. رضي الله عنهم. وهي:

يا رب بالشيخ الجنيد وخاله ... وشقيق والشبلي وشهرة حاله

وحبيب العجمي وداود فتى ... طي وبصري وطيب وصاله

وبتستري الدار سهل وما سرى ... بسراه في الاسرار من سلساله

وبزهد ابراهيم صفوة ادهم ... وفضيل الضافي على افضاله

وبشارة كرمان وبابن خفيفهم ... متحمل الأثقال من أثقاله

وببشر بشر طيب الاسم الذي ... بحفاه لم يحتج لخصف نعاله

والواسطي جمال أرباب الصفا ... جالي صفا أسرارهم بصقاله

وجليل جيلان الذي قد توجت ... تيجان فخر من عظيم جلاله

مولاي عبد القادر المنعوت في ... الملكوت بالبازي لبعد حلاله

والشاذلي المدعو أبو الحسن الذي ... خفقت قبول القرب من اقباله

وسفيره المرسي عيبة سره ... ومنيل من والاه خير نواله

وائمة الإسلام اعلام الهدى ... وحماة علم الشرع كاف كماله

سفيانها الثوري وابن عيينة ... وأبو حنيفة من جلا بجماله

ظلم الجهالة والمملك مالك ... والشافعي وحزبه ورجاله

وبأحمد المحمود صفوة حنبل ... إذا ذاك لم ينسج على منواله

وبفخر شيراز أبي اسحاقها ... وصلاحه المصيون عن اخلاله

وبسره المسرور في تنبيهه ... وبهاء مهذبه وزهو جماله

وبحجة الإسلام مرشد أهله ... سبل الصواب بصائبات مقاله

ببسيطه ووسيطه ووجيزه ... بما حكى الأحياء من أحواله

وضيا جواهره وما ابداه في ... منهاجه من عين عذب زلاله

يا الله يا رباه يا غوثاه يا ... من لا يصون السؤل عن سؤاله

فرج علي واجل عن قلبي الصدى ... اني مؤمل طلق عقد عقاله

وازح غيوم الغم عنه ونحه ... وارحه يا مولاي من اغلاله

وأذقه برد الإنس مما يختشى ... وانله ما يرجوه من آماله

واجعل صلاتك والسلام يحفها ... أبدا على خير الأنام وآله

سر الوجود محمد وأميره ... ومنيره بمقاله وفعاله

ومنه أيضا هذه الوسيلة التي نظم بها أكثر مشايخ الرسالة نفع الله بهم. وهي.

يامن لقب بالصبابة ممتلي ... واضالع بلظى القطيعة تصطلي

من ذا لمابي كاشفا الاك يا ... من قد مددت له أكف توسلي." (١)

"والقديم.والقديم.

علت به درجات الفضل واتضحت ... دقائق من معاني لفظه البهج

وهذا وليل الشباب الجون منسدل ... فكيف حين يضيء الشيب بالسرج

يا حبذا أعين الأوصاف ساهرة ... بين الدقائق من علياء والدرج

بدأتني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني، واضمحل عياني، وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني، وحملت كاهلي من المن ما لم يستطع، وضربت لذكرى في الآفاق نوبة خليلية لا تنقطع، وسألتني مع ما عندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها، وثمر من غرسها، أن أجيبك وأجيزك، وأوازن بمثقال كلمي الحديد أبريزك، وأقابل لسنك المطلق بلساني المحصور، وأثبت استدعاءك الجليلي على بيت مال نطقي المكسور، فتحيرت بين أمرين أمرين، ووقع ذهني السقيم بين دائين مضرين، إن فعلت ما أمرت فما أنا من ارباب هذا القدر العالي، والصدر الحالي، ومن أنا من أبناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز، وكيف أطالب مع اقتار عدمي وفهمي بأن واجيز وأين لمقيد خطوى هذه الوثبات، وإني يماثل قوة هذا الغرس ضعف هذا النبات، وأن منعت فقد أسأت الأدب والمطلوب **حسن الأدب** مني، وأهملت الطاعة التي أقرع بعدها برمح القلم سنى، وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الرجال وقال قطني، ثم ترجح عندي إن أجيب السؤال، وأقابل بالامتثال، وأتحامل على ظلع الأقوال، صابرا على تهكم سائلي، معظما قدري كما قيل بتغافلي منقادا إلى جنة استدعائك من الطور بسلاسلي، وأجزت لك أن تروى عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور، ومنظوم ومنثور، وإجازة ومناولة ومطارحة ومراسلة ونقل وتصنيف، وتنضيد وتفويف، وماض ومتردد، وآت على رأي بعض الرواة ومتجدد، وجميع ما تضمنه استدعاؤك فأجمع ما يكون لفظه المتفرد كاتبا لك بذلك خطى مشترطا عليك الشرط المعتبر فليكن قبولك يا عربي البيان جواب شرطي

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/١٩

ذاكرا من لمع خبري ما أبطأت بذكره وأرجو أن ابطيء ولا أخطيء فأما مولدي فبمصر المحروسة في ربيع الأول سنة ست وثمانين وست مائة بزقاق القناديل وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعا وحضورا فمن أقدمهم الشيخ شهاب الدين أبو الهيجاء غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب نزيل قطيا المعروف بابن الرداف سمعت عليه بعض الغلانيات وهو الجزء الثاني والثالث من تجزية أحد عشر جزءا والشيخ عز الدين أبو نصر عبد العزيز بن أبي الفرج الحصري البغدادي سمعت عليه جزءا من أحاديث خرجها له والدي، والشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن أبي محمد إسحاق بن محمد الهمذاني الأبرقوهي سمعت عليه السيرة النبوية بقراءة الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس، وأما من أجازني منهم بمصر وغيرها من الأمصار فكثير أخبرنا الشيخ المسند عز الدين أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي الحراني رحمه الله أجازة انا الشيخ أبو الفتوح يوسف بن المبارك بن كامل قراءة عليه وأنا حاضر ببغداد وأنا الشيخ أبو م نصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز قراءة عليه وأنا أسمع أن الشيخ أبو الغنايم عبد الصمد بن علي بن محمد قراءة عليه وأنا حاضر قيل له أخبركم أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدار قطني ما محمد بن علي بن إسماعيل الأيلي ما أحمد بن المعلى بن يزيد ما حماد بن المبارك ما محمد بن شعيب ما مرون أبن جناح عن هشام بن عروة أنه أخبره عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن من الشعر حكمة، وأما الفضلاء والأدباء الذين رويت منهم القاضي الفاضل محي الدين أبو محمد عبد الله أبن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر الكاتب المصري والشيخ الإمام بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن النحاس النحوي الحلبي والأمير الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الصاحب المورخ شرف الدين اسماعيل التيتي الآمدي، اقترح علي ولم أبلغ الحلم نظما في زي ادة النيل فقلت:

زادت أصابع نيلنا ... وطمت فأكمدت الأعادي

وأت بكل جميلة ... ما ذي أصابع ذي أيادي

والشيخ العالم علم الدين قيس بن سلطان الضرير من أهل منية بني خصيب قرأت علهي كثيرا من كتب الأدب المشهورة وكان كثيرا ما يستنشدني إلي أن أنشدت قولي:." (١)

"وأما قياسه آية نساء النبي على قوله تعالى ليس كمثله شيء فليس بقياس صحيح لأنه قال تعالى ليس كمثله شيء وشيء للعموم وشيء يستغرق الألهية والصورة والصفة وكل ما سوى الله تعالى وأما الآية

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٣٨/١

الأخرى فيقتضي التخصيص كما قال، وقال ابن النجار: قرأت عليه كتاب الأموال لأبي عبيد فقال لي وقد مر بعض أقوال أبي عبيد: ما كان إلا حمارا مغفلا لا يعرف الفقه، وحكى لي عنه أنه قال في إبراهيم النخعي: أعور سوء، فاجتعمنا يوما عند أبي القسم ابن السمرقندي في قراءة الكامل لابن عدي فحكى ابن عدي حكاية عن السعدي فقال: يكذب ابن عدي إنما هذا قول إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، فقلت له: السعدي هو الجوزجاني! ثم قلت: إلى كم نحتمل **منك سوء الأدب** تقول في إبراهيم النخعي كذا وفي مالك كذا وفي أبي عبيد كذا وفي ابن عدي كذا، فغضبت وأخذته الرعدة وقال: كان البرداني وابن الخاضبة وغيرهما يخافوني وآل الأمر إلى أن تقول لي هذا، فقال له ابن السمرقندي: هذا بذاك، وقلت له: إنما نحترمك ما احترمت الأيمة فإذا أطلقت القول فيهم لم نحترمك، فقال: والله لقد علمت من علم الحديث ما ليم يعلمه غيري ممن تقدمني وأني لأعلم من صحيح البخاري ومسلم ما لم يغلما من صحيحهما، فقلت له على وجه الاستهزاء: فعلمك إذا إلهام! فقال: إي والله الهام! وتفرقنا وهاجرته ولم أتمم عليه كتاب الأموال وكان سيئ الاعتقاد يعتقد من أحاديث الصفات ظاهرها، ثم حكى عنه ما حكاه ابن عساكر في آية الساق وفي الغسل على من جامع ولم ينزل.

ابن سعيد

السلمى الصيرفي محمد بن سعيد السلمي الصيرفي أبو بكر، من شعراء مصر، من شعره:

أما آن أن نغدو ... إلى الراح وأن نصبو

وأن نجلو صدى السمع ... بما يستعذب القلب

الناجم المصري محمد بن سعيد المصري يعرف بالناجم، كان في ناحية وهب بن اسمعيل بن عباس الكاتب وأكثر مدحه فيه وفي أهله وقال يهنئ بعضهم بالنوروز:

أسلم على الدهر ماضيه وغابره ... فقد جرى لك فيه يمن طايره

يوم جديد يظل الدهر يدخره ... لمن يرى الجود من أبقى ذخايره

أما ترى الفضل يستدعي برقته ... حث الكؤس وينعي عهد ناجره

فصل تسر بنو الدنيا بطلعته ... وتضحك الأرض حسنا عن أزاهره

وقال:

تراوحنا وتغدو لابن وهب ... مواهب من نداه كالغوادي

ويشرق حين يدجو وجه خطب ... كأن الأرض منه في حداد

خلايق لو حكاها الغيث يوما ... لعم بقطره قطر البلاد
المصلوب محمد بن سعيد بن حسان المصلوب، قد دنسوه ألوانا كثيرة كيلا يعرف وهو محمد بن أبي قيس وهو محمد الطبري وهو القرشي وهو الأزدي هو الدمشقي وهو ابن الطبري، قتله أبو جعفر المنصور في الزندقة مصلوبا سنة خمسين وماية.
الرازي محمدبن سعيد بن سابق الرازي نزيل قزوين، روى له أبو داود وثقة يعقوب بن شيبة، وتوفي سنة ست عشرة وماتين.
الضرير محمد بن سعيد بن غالب العطار الضرير بغدادي ثقة، قال ابن أبي حاتم: صدوق، روى عنه ابن ماجة في تفسيره، توفي سنة إحدى وستين وماتين.
الحيرى محمد بن سعيد بن إسمعيل الحيرى الحافظ ابن الزاهد بي عثمان النيسابوري الأديب الفقيه، توفي خمس وعشرين وثلث ماية.
القشيري المؤرخ محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحافظ أبو علي الحارني نزيل الرقة ومؤرخها، توفي سنة أربع وثلثين وثلث ماية.
ابن ضمضم الكلابي محمد بن سعيد بن ضمضم بن الصلت بن المثنى بن المحلق الكلابي، هو شاعر وأبوه شاعر وهو أعرابي فصيح، مدح محمد بن عبد الله بن طاهر ورثاه بعد وفاته وبقي إلى قبيل الثمانين وماتين، وهو القايل:
إن القطوف إذا ما مد غايته ... يوم الرهان الجياد القرح انبهرا
ليس الذي حلب الأيام أشطرها ... كمثل من كان من تجريبها غمرا." (١)

"ولد سنة أربع وسبعين وأربع مائة وقدم بغداد وتكلم بمذهب الأشعري وبالغ في التعصب فقامت الفتن في الأسواق وأفضى الحال إلى النهب والضرب واستحلال الأموال والدماء،ودخل النيسابوري على مسعود وقدح فيه فقال:تقلد دمه حتى أقتله،فقال:لا أتقلده،فوكل السلطان بابي الفتوح وحمل إلى أسفرايين فمات ببسطام في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة.
ووصل الخبر إلى بغداد بموته فقعدوا لعزائه فحضر الغزنوي فقال له بعض العامة:ما حضرت إلا شماتة به،فقام بعض الفقهاء وأنشد:
خلا لك يا عدو الجو فاصفر ... ونجس في صعودك كل عود

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣٣٧/١

كذاك الثعلبان يجول كبرا ... ولكن عند فقدان الأسود

ورثاه المعنى ابن الباطوح البغدادي:

أيها الركب ابلغوا بلغتم ... إن سقمي صدني عن سفري

وإذا جئتم ثنيات اللوى ... فلجوا ربع الحمى في خطري

وصفوا شوقي إلى سكانه ... واذكروا ما عندكم من خبري

وحنيني نحو أيام مضت ... بالحمى لم أقض من٥ا وطري

فاتني فيها مرادي وحلا ... لتمني القرب فيها سهري

كنت أخشى فوتها قبل النوى ... فرماني حذري في حذري

آه واشوقي إلى من بدلوا ... صفو عيشي بعدهم بالكدر

كلما اشتقت تمنيتهم ... ضاع عمري بالمنى واعمري

الجرجرائي الكاتب محمد بن الفضل الجرجرائي الكاتب.

كان يكتب للفضل بن مروان ثم وزر للمتوكل،وكان شيخا ظريفا **حسن الأدب** عالما بالغناء.توفي سنة خمسين ومائتين وقد نيف على الثمانين.وله مع إسحاق الموصلي أخبار،كتب إلى إسحاق المذكور:

خل أتى ذنبا إلي وإنني ... لشريكه في الذنب إن لم أغفر

فمحا بإحسان إساءة فعله ... وأزال بالمعروف قبح المنكر

وقال لبعض كتابه:

تعجل إذا ماكان أمن وغبطة ... وأبط إذا ما استعرض الخوف والهرج

ولا تيأسا من فرجة أن تنالها ... لعل الذي ترجوه من حيث لا ترجو

البصرة الكاتب محمد بن الفضل الكاتب المعروف بالبصرة.

كان يعاشر أبا هفان ومحمد بن مكرم واليعقوبي وأبا علي البصير وأبا العيناء.

قال في سديف غلام ابن مكرم:

أحبك ما حييت وما حييتا ... برغمك إن كرهت وإن هويتا

وأصبر إن جفوت ولا أبالي ... غضبت من المحبة أو رضيتا

وأسعى في الذي تهواه جهدي ... فكن لي،مت قبلك،كيف شيتا

أبو عدنان العنبري محمد بن الفضل بن أحمد بن علي بن محمد بن يحيى بن أبان بن الحكم العنبري أبو

عدنان الأصبهاني الكاتب الأديب.
قال يحيى بن منده:هو صاحب صلاة واجتهاد يرجع في معرفة اللغة والنحو إلى معرفة تامة ما رأيت رجلا أحسن صلاة منه حسن الوجه جميل الطريقة،مات سنة اثنتين وثمانين وأربع مائة فجأة،حدث عن أحمد بن موسى بن مردويه وأبي بكر بن أبي علي ومن بعدهما من الشيوخ.
الزنجاني الشاعر محمد بن الفضل أبو عبد الرحمن الزنجاني الشاعر.توفي سنة عشرين وست مائة تقريبا.
ومن شعره:
قسما بأيام الصفا ووصالكم ... والجمع في جمع وذاك الملتزم
ما اخترت بعدكم بديلا لا ولا ... نادمت بعد فراقكم إلا الندم
وقال:
العين تشتاق أن تراكم ... فاغتنموا الأجر في الوصال
منوا على عبدكم بوصل ... أو ابعثوا طارق الخيال
جودوا على فاقتي وفقري ... كفيتم حادث الليالي
نأيتم عن سواد عيني ... وأنتم في سواد بالي
سركم في صميم قلبي ... بضاعة القوم في الرحال
أبو الفضائل العلوي محمد بن الفضل بن يحيى بن عبد الله بن جعفر ابن زيد بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أبو الفضائل بن أبي القاسم العلوي الحسيني.
قال ابن النجار:شاب فاضل يقول الشعر الجيد،مدح الإمام الناصر بعدة قصائد وأنشدها بمجلس الوزارة، وكان كيسا لطيف الطبع متواضعا حسن الأخلاق.
ومن شعره:." (١)

"أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر اليمامي الهاشمي مولى المنصور البصري الأخباري أبو العيناء.مولده سنة إحدى وتسعين ومائة.وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين،وكان قبل العمى أحول.
قال ياقوت:قرأت في تاريخ دمشق قرأت على زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقي:حدثنا أبو عبد الله الحافظ:سمعت عبد العزيز بن عبد الملك الأموي يقول:سمعت إسماعيل بن محمد النحوي يقول:سمعت

---

(١) الوافي بالوفيات، ٦٥/٢

أبا العيناء يقول:أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه إلا ابن شيبة العلوي قال:لا يشبه آخر هذا الحديث أوله،فأبى أن يقبله،وكان أبو العيناء يحدث بهذا بعدما كان.

وكان جد أبي العيناء الأكبر لقي علي بن أبي طالب فأساء المخاطبة بينه وبينه فدعا عليه علي بالعمى له ولولده من بعده فكل من عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم.

وقال المبرد:إنما صار أبو العيناء أعمى بعد أن نيف على الأربعين وخرج من البصرة واعتلت عيناه فرمي فيهما بما رمي والدليل على ذلك قول أبي علي البصير فيه:

قد كنت خفت يد الزما ... ن عليك إذ ذهب البصر

لم أدر أنك بالعمى ... تغنى ويفتقر البشر

وقال أحمد بن أبي دؤاد:ما أشد ما أصابك من ذهاب بصرك؟قال:أبدأ بالسلام وكنت أحب أن أكون أنا المبتدئ وأحدث من لا يقبل على حديثي ولو رأيته لم أقبل عليه،فقال له ابن أبي دؤاد:أما من بدأك بالسلام فقد كافأته بجميل نيتك له ومن أعرض عن حديثك فما أكسب نفسه **من سوء الأدب** أكثر مما نالك من سوء الاستمالة،فأنشد أبو العيناء:

أن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وسمعي منهما نور

قلب ذكي وعقل غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور

قال المتوكل:أشتهي أن أنادم أبا العيناء إلا أنه ضرير،فقال أبو العيناء:أن أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهلة ونقش الخواتيم فإني أصلح.

وخاصم يوما علويا فقال له العلوي:أتخاصمني وأنت تقول في صلاتك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقال له:لكني أقول الطيبين الطاهرين فتخرج أنت منهم.

وصار يوما إلى باب صاعد بن مخلد فاستأذن عليه فقيل:هو مشغول بالصلاة،ثم استأذن بعد ساعة فقيل له كذلك فقال:لكل جديد لذة،وقد كان قبل الوزارة نصرانيا.

ومر بباب عبد الله بن منصور وكان مريضا وقد صلح فقال لغلامه:كيف خبر مولاك؟فقال:كما تحب.فقال:ما لي لا أسمع الصراخ عليه.

ولقيه بعض أصحابه في السحر فجعل صاحبه يعجب من بكوره فقال أبو العيناء:أراك تشركني في الفعل وتفردني بالعجب.

وقال له المتوكل:أرأيت طالبيا ضريرا فيما تقدم وإنما سألتك عما سلف،فقال:نعم رأيت منهم واحدا ببغداد

منذ ثلاثين سنة،فقال:نجده كان مؤاجرا ونجدك كنت قوادا عليه،فقال :يا أمير المؤمنين ما بلغ هذا من فراغي أدع موالي مع كثرتهم وأقود على الغرباء؟فقال المتوكل:أردت أن أشتفي منهم فاشتفى لهم مني.

واجتمع أبو هفان وأبو العيناء على مائدة فقال أبو هفان:هذه أشد حرا من مكانك في لظى،فقال أبو العيناء بردها بشيء من شعرك.

وقال له المنتصر بن المتوكل:يا أبا العيناء ما أحسن الجواب؟فقال:ما أسكت المبطل وحير المحق فقال:أحسنت والله.

ودخل على ابن منازة الكاتب وعنده ابن المرزبان فأراد العبث به ابن المرزبان فقال له ابن منازة:لا تفعل!فلم يقبل فلما جلس قال له:يا أبا العيناء لم لبست جباعة؟فقال:وما الجباعة؟قال:التي ليست بجبة ولا دراعة،فقال أبو العيناء:ولم أنت صفد؟ثم قال:وما الصفد؟ثم قال:الذي ليس بصفعان ولا نديم،فوجم لذلك وضحك أهل المجلس.

وقال:عشقتني امرأة بالبصرة من غير أن تراني وإنما كانت تسمع كلامي وعذوبته فلما رأتني استقبحتني وقالت:قبحه الله!هذا هو؟فكتبت إليها:

ونبئتها لما رأتني تنكرت ... وقالت ذميم أحول ما له جسم

فإن تنكري مني احولالا فإني ... أديب أريب لاعيي ولا فدم

فوقعت في الرقعة:يا عاض بظر أمه! ألديوان الرسائل أريدك أم لنفسي؟وقال جحظة:أنشدنا أبو العيناء لنفسه:

حمدت إلهي غذ منيت بحبها ... على حول يغني عن النظر الشزر

نظرت إليها والرقيب يظنني ... نظرت إليه فاسترحت من العذر." (١)

"أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك هو أبو الحسن جحظة البرمكي النديم، لقيه ابن المعتز فقال له: ما حيوان إذا قلب صار آلة للبحرية؟ فقال: علق إذا عكس صار قلعا، فقال: أحسنت يا جحظة، فلزمه هذا اللقب، وكان في عينيه نتو جدا وكان قبيح المنظر، وكان المعتمد يلقبه خنياكر، وكان **حسن الأدب** كثير الرواية للأخبار متصرفا في فنون من النحو واللغة والنجوم مليح الشعر مقبول الألفاظ حاضر النادرة وكان طنبوريا فائقا، له من التصانيف: كتاب الطبيخ. كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام. كتاب الطنبوريتين. فضائل السكباج. كتاب ما شهده من المعتمد. ديوان شعره، كتاب

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢/٧١

الترنم. كتاب المشاهدات. وكان جحظة وسخا قذرا دني النفس قليل الدين، قيل عنه كان لا يصوم شهر رمضان، قال أبو القاسم الحسين ابن علي البغدادي: كان جحظة عند أبي يوما في شهر رمضان فاحتبسه فلما كان نصف النهار سرق من الدار رغيفا ودخل المستراح وجلس على المقعدة يأكل واتفق أن دخل أبي فرآه فاستعظم ذلك وقال: ما هذا؟ قال أفت لبنات وردان ما يأكلون فقد رحمتهم من الجوع. وقال أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي: حدثني أبو علي ابن الأعرابي الشاعر قال: كنت في دعوة جحظة فأكلت وجلسنا نشرب وهو يني إذ دخل رجل فقدم إليه جحظة زلة كان زلها من طعامه ونحن نأكل وكان بخيلا على الطعام وكأن الرجل كان طاويا فأتى على الزلة ورفع الطيفورية فارغة وجحظة يزرقه ونحن نلمح جحظة ونضحك، فلما فرغ قال له جحظة: تلعب معي بالنرد، قال: نعم، فوضعاه بينهما ولعبا فتوالى الغلب على جحظة فأخرج جحظة رأسه من قبة الخيش ورفعه إلى السماء وقال كأنه يخاطب الله تعالى: وإني ستحق هذا لأني أشبعت من أجعته. وحدث جحظة في أماليه قال: كنت أشرب عند بعض إخواني في ناعورة ثابت الرصاصي في يوم مطر ومعنا شيخ خضيب حشن البزة متصدر فتجارينا ذكر المطر وم‌ا جاء فيه من الخبر فقال ذلك الشيخ: حدثونا يا سيدي عن النبي صلى الله عليه وعلى أصحابه با بكر وبا حفص وعلى النبيين السريين منكر ونكير وعلى عمر ابن العاص قاتل الكفار يوم غدير خم وصاح براية النبي يوم القطائف – يريد يوم الطائف – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومحا ملك يتبحا حتى يضحا في موضحا ثم يصعد ويدحا، فقلت: يا شيخ فالقطر يقع من الكنيف فالملك ينزل معه٩، قال: نعم يا سيدي فيهم ما في الناس من الدناءة والخسة، قلت: يريد ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يتبعها حتى يضعها في موضعها ثم يصعد ويدعها فأبدل العين حاء مهملة. ومن شعره:

لي صديق مغرى بقربي وشدوي ... وله عند ذلك وجه صفيق

قوله إن شدوت: أحسنت زدني ... وبأحسنت لا يباع الدقيق

وقال جحظة:

ومن كلفي إياه أمطر ناظري ... إذا هو أبدي من ثناياه لي برقا

كأن دموعي تبصر الوصل هاربا ... فمن أجل ذا تجري لتدركه سبقا

وقال:

إذا ما ظمئت إلى ريقه ... جعلت المدامة منه بديلا

وأين المدامة من ريقه ... ولكن أعلل قلبي قليلا

وقال:

أقول لها والصبح قد لاح ضوءه ... كما لاح ضوء البارق المتألق

شبيهك قد وافى وآن افتراقنا ... فهل لك في صوت وكأس مروق

فقلت شفائي في الذي قد ذكرته ... وإن كنت قد نغصته بالتفرق

وقال:

أي شيء رأيت أعجب من ذا ... إن تفكرت ساعة في الزمان

كل شيء من السرور بوزن ... والبلايا تكال بالقفزان

وقال:

وليل في كواكبه حران ... فليس لطول مدته انقضاء

عدمت مطالع الإصباح فيه ... كأن الصبح جود أو وفاء

وقال:

رحلتم فكم من أنة بعد أنة ... مبينة للناس شوقي إليكم

وقد كنت أعتقت الجفون من البكا ... وقد ردها في الرق حزني عليكم

وكتب إلى أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله المسمعي وكان قائدا جليلا يتقلد البصرة وفارس:

إليك أبا إسحاق عني رسالة ... تزين الفتى إن كان يعشق زينه

لقد كنت غضبانا على الدهر زاريا ... عليه فقد أصحلت بيني وبينه." (١)

"أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز قاضي الجماعة بتونس، كان إماما محدثا فقيها مقرئا كبير القدر يكنى أبا العباس، كان والده من زهاد بلنسية وفقهائها، ولد سنة تسع وست مائة وسمع الكثير من أبي الربيع بن سالم وطال عمره وأكثر عن أهل تونس، منهم الإمام أبو عبد الله بن جابر الوادي آشي، وكان أعلى أهل المغرب إسنادا في القرآن وله معرفة بالفقه والحديث وله شعر. توفي سنة ثلاث وتسعين وست مائة. ومن شعره......

ابن طلامي

أحمد بن محمد بن الحسين بن علي أبو العباس الطائي المعروف بابن طلامي بالطاء المهملة من أهل واسط، تفقه على القاضي أبي الحسن علي بن إبراهيم الفارقي وسمع منه ومن أحمد بن بعيد الله الآمدي

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣١٧/٢

ودخل بغداذ بعد الثلاثين وخمس مائة وسمع بها من أبي القاسم بن السمرقندي وعمر بن محمد السهروردي وروى بها شيئا من شعره، روى عنه يوسف بن محمد بن مقلد الدمشقي وذكر أنه كان شيخا صالحا. ومن شعره:

لعمرك إن الحب لله جنة ... إذا لم يشبه غير حب محمد

وأصحابه الأخيار ثم تبيعهم ... ومن حب آل الله ليس بمعتدي

ونفسك والدنيا وإبليس والهوى ... فإنك إن تهجرهم سوف تهتدي

أبو عبد الله الجهمي

أحمد بن محمد بن حميد بن ثور بن سليمان بن حفص بن عبد الله ابن أبي الجهم بن حذيفة العدوي القرشي من بني عدي بن كعب يعرف بالجهمي، نسبة إلى جده أبي الجهم، يكنى أبا عبد الله، حجازي نشأ بالعراق، وكان أديبا راوية شاعرا خبيث اللسان هجاء، وقع بينه وبين قوم من العمريين والعثمانيين كلام فذكر سلفهم بأقبح ذكر، فنهاه بعض العباسيين فذكر العباس بأقبح ذكر ورماه بأمر عظيم، وتشاهدوا عليه وأنهي خبره إلى المتوكل فأمر بضربه مائة سوط فضربه إياها إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم في مجلس العامة بسر من رأى، فلما فرغ من ضربه أنشأ يقول:

تبرا الكلوم وينبت العشر ... ولكل مورد غية صدر

واللؤم في أثواب منبطح ... لعبيده ما أورق الشجر

وله من التصانيف: "كتاب أنساب قريش وأخبارها " . كتاب " المعصومين " . كتاب " المثالب " . كتاب " الانتصار في الرد على الشعوبية " . كتاب " فضائل مصر " .

أبو الحسن الكاتب

أحمد بن محمد بن حمادة أبو الحسن الكاتب: حسن الأدب من أفاضل الكتاب، صنف الكتب ولقي الأدباء وله: كتاب " امتحان الكتاب وديوان ذوي الألباب " . وكتاب " شحذ الفطنة " . وكتاب " الرسائل " .

الخثعمي

أحمد بن محمد الخثعمي أبو عبد الله ويقال أبو العباس ويقال أبو الحسن، كان يتشيع وهاجى البحتري وناقض الإصبع المسلمي. وقال:

اذهبا بي إن لم يكن لكما عق ... ر إلى بوب قبره فاعقراني

وانضحا من دمي عليه فقد كا ... ن دم من نداه لو تعلمان

وقال:

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف

يستخلف الله مالا أنت متلفه ... وما عن النفس إن أتلفتها خلف

أبو جعفر اليزيدي

أحمد بن محمد بن أبي محمد يحيى اليزيدي أبو جعفر النحوي، كان جده من ندماء المأمون وسمع أحمد جده يحيى وأبا زيد الأنصاري وكان مقرئا. روى عنه أخواه عبيد الله والفضل ابنا محمد وابن أخيه محمد بن العباس. مات سنة ستين ومائتين.

دخل يوما على المأمون وهو بقارا يريد الغزو فأنشده يمدحه:

يا قصر ذا النخلات من بارا ... إني حننت إليك من قارا

أبصرت أشجارا على نهر ... فذكرت أشجارا وأنهارا

لله أيام نعمت بها ... في القفص أحيانا وفي بارا

إذ لا أزال أزور غانية ... ألهو بها وأزور خمارا

لا أستجيب لمن دعا لهدى ... وأجيب شطارا وذعارا

أعصي النصيح وكل عاذلة ... وأطيع مزمارا وأوتارا

قال فغضب المأمون وقال: أنا في وجه عدو أحض الناس عل الغزو وأنت تذكرهم نزههم ببغداذ قلت: الشيء بتمامه، ثم أنشدته:

فصحوت بالمأمون من سكري ... ورأيت خير الأمر ما اختارا

ورأيت طاعته مؤدية ... للفرض إعلانا وإسرارا." (١)

"على التصغير. ففكر الفراء ساعة ثم قال: أحسن الله عن الإفادة **وحسن الأدب** جزاك. قال ياقوت في معجم الأدب: هكذا وجدت هذا الخبر في أمالي الجوزي وهو ما علمت من الحفاظ إلا أنه غلط فيه من وجوه لأن السكري لم يلق الأصمعي ولا أبا عبيدة ولا أبا زيد وإنما روى عمن روى عنهم كابن حبيب وغيره ثم إن ياقوت ذكر وفاة السكري ووفاة أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي ثم قال: والفراء في طبقة هؤلاء لأنه مات سنة سبع ومئتين ولعل هذه الحكاية عن غير السكري. وللسكري من الكتب كتاب أشعار هذيل.

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣/١٥

كتاب النقائض. كتاب النبات. كتاب الوحوش. وجوده. كتاب المناهل والقرى. كتاب الأبيات السائرة. وعمل أشعار جماعة منهم شعر امرىء القيس. النابغة الذبياني. النابغة الجعدي. زهير. لبيد. تميم بن أبي مقبل. دريد بن الصمة. الأعشى. مهلهل. متمم بن نويرة. أعشى باهلة. الزبرقان بن بدر. بشر بن أبي خازم، المتلمس. الراعي. الشماخ. الكميت. ذو الرمة. الفرزدق. قيس بن الخطيم. هدبة بن خشرم. مزاحم العقيلي. والأخطل. ولم يعمل شعر جرير. وعمل شعر أبي نواس وتكلم على معانيه وغريبه في نحو الف ورقة. وأما أشعار القبائل فعمل منه اشعار بني هذيل. أشعار بني شيبان. أشعار بني يربوع. أشعار بني طيء. أشعار بني يشكر. أشعار بني حنيفة. أشعار بني محارب. أشعار الأزد. أشعار بني نهشل. أشعار بني عدي. أشعار بني أشجع. أشعار بني نمير. أشعار بني عبد ود. أشعار بني مخزوم. أشعار بني سعد. أشعار بني الحارث. أشعار الضباب. أشعار فهم وعدوان. أشعار مزينة. أشعار اللصوص.

ابن حمكان الشافعي

الحسن بن الحسين بن حمكان أبو علي الهمذاني الشافعي الفقيه نزيل بغداد قال الخطيب: سمعت الأزهري يصعفه توفي سنة خمس وأربعمئة.

ابن رامين الاستراباذي

الحسن بن الالحسين بن رامين القاضي أبو محمد الاستراباذي قال الخطيب: كان صدوقا فاضلا صالحا وكان متكلما أشعريا توفي سنة اثنتي عشرة وأربعمئة.

ابن الذهبي القيسراني

الحسن بن الحسين بن محمد بن المفرج سديد الدين أبو محمد القيسراني ثم المصري المعروف بابن الذهبي. كان فاضلا شاعرا مليح الخط وجمع لنفسه مجموعا هائلا ذكر أنه يكون في خمسين مجلدا روى عنه من شعره الزكي المنذري وتوفي سنة سبع وعشرين وستمئة وله ثمانون سنة ومن شعره:

النوبختي الكاتب

الحسن بن الحسين بن علي بن أبي سهل أبو محمد النوبختي الكاتب. قال الأزهري: كان رافضيا وقال البرقاني كان معتزليا. وقال: تبين أنه صدوق. توفي سنة اثنتين وأربعمئة.

سجادة الحضرمي

الحسن بن حماد سجادة البغدادي الحضرمي. روى عنه أبو داود وابن ماجة وروى عنه النسائي بواسطة كان من جلة العلماء ببغداد قال ابن حنبل: صاحب سنة. وتوفي سنة إحدى وأربعين ومئتين.

ابن أبي الريان الأصبهاني

الحسن بن حمد بن محمد، أبو علي بن أبي الريان الأصبهاني. كان والده وزيرا لعضد الدولة وسيأتي ذكر إن شاء الله تعالى في موضعه وكان أبو علي هذا فاضلا أديبا روى عنه أبو علي بن وشاح وأبو منصور بن العكبري، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمئة.

ظهير الدين النعماني

الحسن بن الخطير ابن أبي الحسين النعماني أبوعلي الفارسي المعروف بالظهير. كان يذكر أنه من أولاد النعمان بن مليك، توفي بالقاهرة سنة ثمان وتسعين وخمسمئة روى ياقوت في معجم الأدباء عن تلميذه الشريف محمد بن عبد العزيز الأدريسي الصعيدي أنه قال: أنا نعماني لأني من ولد النعمان بن المنذر وولدت بقرية تعرف بالنعمانية ومنها ارتحلت إلى شيراز فتفقهت بها وأنتحل مذهب النعمان أبي حنيفة وأنتصر له فيما وافق اجتهادي. وكان عالما بفنون من العلم كان قارئا بالعشر والشواذ عالما بالتفسير والناسخ والمنسوخ والفقه والخلاف." (١)

"ومن كان ذا مال ولم يك ذا حجيكون كذي نعل وليس له رجل

وقال آخر:

أرى العلم نورا والتأدب حليةفخذ منهما في رغبة بنصيب

وليس يتم العلم في الناس للفتىإذا لم يكن في علمه بأديب

وأنشد أبو حاتم سهل بن يحيى السجستاني:

إن الجواهر درها ونضارها ... هن الفداء لجوهر الآداب

فإذا اكتنزت أو ادخرت ذخيرة ... تسمو بزينتها على الأصحاب

فعليك بالأدب المزين أهله ... كيما تفوز ببهجة وثواب

فلرب ذي مال تراه مبعدا ... كالكلب ينبح من وراء حجاب

وترى الأديب وإن دهته خصاصة ... لا يستخف به لدى الأتراب

وقال آخر:

ما وهب الله لامرئ هبة ... أحسن من عقله ومن أدبه

هما جمال الفتى فإن فقدا ... ففقده للحياة أجمل به

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٣٠/٤

وحدث أبو صالح الهروي قال: كان عبد الله بن المبارك يقول: أنفقت في الحديث أربعين ألفا، وفي الأدب ستين ألفا، وليت ما أنفقته في الحديث أنفقته في الأدب، قيل له: كيف؟ قال: لأن النصارى كفروا بتشديدة واحدة خففوها، قال تعالى: يا عيسى إني ولدتك من عذراء بتول. فقالت النصارى: ولدتك.

شاعر:

ولم أر عقلا صح إلا بشيمة ... ولم أر علما صح إلا على أدب

وقال آخر:

لكل شيء حسن زينة ... وزينة العالم **حسن الأدب**

قد يشرف المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيع النسب

وقال آخر:

من كان مفتخرا بالمال والنسبفإنما فخرنا بالعلم والأدب

لا خير في رجل حر بلا أدبلا، لا، وإن كان منسوبا إلى العرب

قالوا: والفرق بين الأديب والعالم، أن الأديب من يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه. والعالم من يقصد بفن من العلم فيعتمله. ولذلك قال علي كرم الله وجهه: العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه.

شاعر:

ذخائر المال لا تبقى على أحدوالعلم تذخره يبقى على الأبد

والمرء يبلغ بالآداب منزلةيذل فيها له ذو المال والعقد

وحدث سفيان قال: سمعت الخليل بن أحمد يقول: إذا أردت أن تعلم العلم لنفسك، فاجمع من كل شيء شيئا، وإذا أردت أن تكون رأسا في العلم، فعليك بطريق واحد، ولذلك قال الشعبي: ما غلبني إلا ذو فن.

شاعر:

لا فقر أكبر من فقر بلا أدبليس اليسار بجمع المال والنشب

ما المال إلا جزازات ملفقة ... فيها عيون من الأشعار والخطب

ويقال: من أراد السيادة، فعليه بأربع: العلم، والأدب، والعفة، والأمانة.

شاعر:

كم من خسيس وضيع القدر ليس لهفي العز أصل ولا ينمى إلى حسب

قد صار بالأدب المحمود ذا شرف ... عال وذا حسب محض وذا نسب

وقال بزرجمهر: من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعا، وبعد صوته وإن كان خاملا، وساد وإن كان غريبا، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيرا.

ويقال: عليكم بالأدب، فإنه صاحب في السفر، ومؤنس في الحضر، وجليس في الوحدة، وجمال في المحافل، وسبب إلى طلب الحاجة.

ويقال: مروءتان ظاهرتان: الفصاحة والرياش.

وكلم شبيب بن شيبة رجلا من قريش، فلم يحمد أدبه، فقال له يا ابن أخي: الأدب الصالح خير لك من الشرف المضاعف، وقال:

وكم من ماجد أضحى عديما ... له حسن، وليس له بيان

وما حسن الرجال لهم بزين ... إذا لم يسعد الحسن اللسان." (١)

"حدث أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي البصري قال: لما مات أبو العباس أحمد بن يحيى بكى أبو إسحاق الزجاج، فقلت ما بكاؤك؟ فقال لي: أين يذهب بك؟ أليس كان يقال: أحمد بن يحيى جالس وإبراهيم الزجاج اليوم؟ فقال الزجاج ونفطويه وابن الأنباري: مات الناقد، ونفقت البهارج. وحدث المرزباني في كتاب المقتبس، ولم يذكر من خبره غير هذه القصة، وذكرها ابن النديم في فهرسته، قالا جميعا: كان السبب في اتصال أبي إسحاق الزجاج بالمعتضد، أن بعض الندماء وصف للمعتضد كتاب جامع النطق الذي عمله محبرة النديم، قال محمد بن إسحاق خاصة، واسم محبرة محمد بن يحيى بن أبي عباد، ويكنى أبا جعفر، واسم أبي عباد جابر بن زيد بن الصباح العسكري، وكان **حسن الأدب**، ونادم المعتضد، وجعل كتابه جداول، رجع الكلام إلى اتفاقهما، فأمر المعتضد القاسم بن عبيد الله أن يطلب من يفسر تلك الجداول، فبعث إلى ثعلب وعرضه عليه فلم يتوجه إلى حساب الجداول، وقال لست أعرف هذا، وإن أردتم كتاب العين فموجود، ولا رواية له فكتب ابن عبيد الله إلى المبرد أن يفسرها، فأجابهم: إنه كتاب طويل، يحتاج إلى تعب وشغل، وإنه قد كبر وضعف عن ذلك، وإن دفعتموه إلى صاحبي إبراهيم بن السري رجوت أن يفي بذلك، فتغافل القاسم عن مذاكرة المعتضد بالزجاج حتى ألح عليه المعتضد، فأخبره بقول ثعلب والمبرد وأنه أحال على الزجاج، فتقدم إليه بالتقدم إلى الزجاج بذلك، ففعل القاسم، فقال الزجاج: أنا أعمل ذلك على غير نسخة، ولا نظر في جدول، فأمره بعمل الثنائي، فاستعار الزجاج كتب اللغة من ثعلب والسكري وغيرهما، لأنه كان ضعيف العلم باللغة، ففسر الثنائي كله، وكتبه بخط الترمذي

---

(١) معجم الأدباء، ١/٢

الصغير أبي الحسن، وجلده، وحمله إلى الوزير، وحمله الوزير إلى المعتضد، واستحسنه وأمر له بثلاثمائة دينار، وتقدم إليه بتفسيره كله، ولم يخرج مما عمله الزجاج نسخة إلى أحد، إلا إلى خزانة المعتضد ووزيره. وقال ابن النديم: ثم ظهر في كتاب السلطان هذا التفسير منقطعا، ورأيناه في طلحي لطيف، وصار للزجاج بهذا السبب منزلة عظيمة، وجعل له رزق في الندماء، ورزق في الفقهاء، ورزق في العلماء، نحو ثلاثمائة دينار، قال ابن النديم: وللزجاج من الكتب: كتاب ما فسره من جامع النطق، كتاب معاني القرآن، " قرأت على ظهر كتاب المعاني: ابتدأ أبو إسحاق بإملاء كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين وأتمه في شهر ربيع الأول، سنة إحدى وثلثمائة " ، كتاب الاشتقاق، كتاب القوافي، كتاب العروض، كتاب الفرق، كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، كتاب مختصر النحو، كتاب فعلت وأفعلت، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، كتاب شرح أبيات سيبويه، كتاب النوادر.

إبراهيم بن سعدان بن حمزة

الشيباني المؤدب، ذكره المرزباني في كتابه وقال: كان أبو الحسن العنزي كثير الرواية عنه، يروى عنه الأخبار، ومستحسن الأشعار. وكان لسعدان بن المبارك النحوي ابن يسمى إبراهيم، روى عن أبيه النقائض، ورواها عنه أبو سعيد السكري، ولست أعلم أهو الذي نسبه العنزي إليه أم غيره؟ لأن العنزي نسبه إلى سعدان بن حمزة الشيباني، والله أعلم. كل هذا كلام المرزباني.

وكان إبراهيم بن سعدان النحوي فيما رواه أحمد بن أبي طاهر، يؤدب المؤيد، وكان ذا منزلة عنده. وحدث المرزباني فيما رفعه إلى أبي إسحاق الطلي أحمد بن محمد بن حسان في جمال إبراهيم بن سعدان:

ألا أيها العير المصرف لونه ... بلونين في قر الشتاء وفي الصيف

هلم وقاك الله من كل آفة ... إلى مجد مولاك الشفيق على الضيف

وحدث المرزباني عن عبد الله بن يحيى العسكري، عن أبي إسحاق الطلي قال: أخبرنا إبراهيم بن سعدان، قال: حرفان فيهما أربع وعشرون نقطة لا يعرف مثلهما حكاهما أبو الحسن الجبائي، تتقتقت أي صعدت في الجبل، وتبشبشت من البشاشة، وحرف في القرآن هجاؤه عشرة أحرف متصلة، ليس في القرآن مثله في سورة النور: " ليستخلفنهم في الأرض " .." (١)

"صاحب كتاب شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، كان نحويا لغويا قيما بالقياس والإفتنان في العلوم العربية، أخذ عن القاضي أبي سعيد السيرافي، وأبي الحسن الرماني، وأبي علي الفارسي، ومات في سنة

---

(١) معجم الأدباء، ١٨/١

ست وأربعمائة في خلافة القادر بالله، لم أجد له خبرا فأحكيه، إلا ما حكى هو عن نفسه في كتاب شرح الإيضاح: أنه تكلم مع أبي محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن السيرافي قال العبدي: ما كان ابن السيرافي مكينا في هذا الشأن على شهرته عند الناس في اللغة في ياء تفعلين، فقال: هي علامة التأنيث، والفاعل مضمر، فقلت له: ولو كانت بمنزلة التاء في ضربت، علامة للتأنيث فقط، لثبتت مع ضمير الاثنين، وعلم أن فيها مع دلالتها على التأنيث، معنى الفاعل، فلما صار للاثنين، بطل ضمير الواحد الذي هو الياء، وجاءت الألف وحدها، فقال: هذا زنبيل الحوائج كذا وكذا، وانقطع الوقت بالضحك من ابن شيخنا، ومن قلة تصرفه.

وقرأت في فوائد. نقلت عن أبي القاسم المغربي الوزير: أن العبدي أصيب بعقله، واختل في آخر عمره، وله من التصانيف كتاب شرح الإيضاح، كتاب شرح الجرمي.

أحمد بن أبي بكر بن أبي محمد الخاوراني

النحوي، الأديب، أبو الفضل، يلقب بالمحدويه، لقيته بعرف سرين، وهو شاب فاضل بارع متفنن قيم بعلم النحو، محترق بالذكاء، حافظ للقرآن، كتب بخطه العلوم، وقرأها على مشايخه، ورأيته قد صنف كتابين صغيرين في النحو، وشرع في أشياء لم تمهله المنية ليتمها، منها – فيما ذكر لي – شرح المفصل للزمخشري، وكتب عني الكثير، وفارقته في سنة سبع عشرة وستمائة، ثم بلغني أنه اعتب، فمات في سنة عشرين وستمائة، وعمره نحو ثلاثين سنة، وله رسالة صالحة.

أحمد بن عفر الدينوري

ختن ثعلب على ابنته، يكنى: أبا علي، أحد النحاة المبرزين المصنفين في نحاة مصر، وقال: إنه مات بمصر سنة تسع وثمانين ومائتين، قال: وكان أبو علي الدينوري يخرج من منزل ثعلب، وهو جالس على باب داره، فيتخطى أصحابه، ومعه محبرته، فيقرأ كتاب سيبويه على أبي العباس المبرد، فيعاتبه ثعلب ويقول: إذا رآك الناس تمضي إلى هذا الرجل، وتقرأ عليه، وتتركني، يقولون ماذا؟ فلم يكن يلتفت إلى قوله، قال: وكان أبو علي هذا حسن المعرفة، قال: قال المصعبي: فسألت أبا علي: كيف صار المبرد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب؟ فقال: المبرد قرأه على العلماء وثعلب قرأه على نفسه.

قال الزبيدي: وأصله من الدينور، وقدم البصرة، وأخذ عن المازني، وحمل عنه كتاب سيبويه، ثم دخل بغداد، فقرأ على المبرد، ثم قدم مصر، وألف كتاب المهذب في النحو، وكتب في صدره اختلاف البصريين والكوفيين، وعزا كل مسألة إلى صاحبها، ولم يعتل لكل واحد منهم، ولا احتج لمقالته، فلما أمعن في

الكتاب ترك الاختلاف، ونقل مذهب البصريين، وعول في ذلك على كتاب الأخفش سعيد بن مسعدة، وله كتاب مختصر في ضمائر القرآن، استخرجه من كتاب المعاني للفراء، ولما قدم علي بن سليمان الأخفش إلى مصر، خرج أبو علي منها، فلما رجع الأخفش إلى بغداد، عاد أبو علي إلى مصر، فأقام بها حتى مات في السنة المقدم ذكرها، وله كتاب إصلاح المنطق.

أحمد بن جعفر جحظة

هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم، قال أبو عبد الله الحسن ابن علي بن مقلة: سألت جحظة عمن لقبه بهذا اللقب، فقال: ابن المعتز لقيني يوما فقال لي: ما حيوان إذا قلب صار آلة للبحرية؟؟ فقلت: علق، إذا عكس صار قلعا فقال: أحسنت يا جحظة، فلزمني هذا اللقب، وهو من في عينيه نتو جدا، وكان قبيح المنظر، وكان له لقب آخر، يلقبه به المعتمد، وهو خنياكر، وما أدري أي شيء معناه؟ كان **حسن الأدب**، كثير الرواية للأخبار، متصرفا في فنون من العلم، كالنحو واللغة والنجوم، مليح الشعر، مقبول الألفاظ، حاضر النادرة وكان طنبوريا حاذقا فيه فائقا، مات في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بجيل، ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين، ذكره محمد بن إسحاق النديم، فقال: ولجحظة من التصانيف: كتاب الطبيخ – لطيف، – كتاب الطنبوريين، كتاب فضائل السكباج، كتاب الترنم، كتاب المشاهدات، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله، كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام، كتاب ديوان شعره.." (١)

"قال: وكان حسن الاعتقاد، ومن حسن اعتقاده أنه كان لا يتثب من علم النجوم الأحكام، بل كان يثبت ما يدل عليه الحسبان، ولقد جرى ذكره رحمه الله في مجلس الإمام أبي بكر، أحمد بن محمد بن العباس البزار، وهو الإمام ببلخ، والمفتي بها، فأثنى عليه خيرا، وقال: إنه كان قويم المذهب، حسن الاعتقاد، لم يعرف بشيء في ديانته، كما ينسب إليه من نسب إلى علم الفلسفة، وكل من حضر من الفضلاء والأماثل، أثنى عليه ونسبه إلى الاستقامة والاستواء، وأنه لم يعثر له مع ما له من المصنفات الجمة، على كلمة تدل على قدح في عقيدته، ثم لما قضى وطره من العراق، وصار في كل فن من فنون العلم قدوة، وفي كل نوع من أنواعه إماما، قصد العود إلى بلده، فتوجه إليها مقبلا على طريق هراة، حتى وصل إلى بلخ، وانتشر بها علمه، فلما ورد أحمد بن سهل بن هاشم المروزي بلخ، واستولى على تخومها، راوده على أن يستوزره فأبى عليه، واختار سلامة الأولى، والعقبى، فاتخذ أبا القاسم الكعبي وزيرا، وأبا زيد كاتبا، وكان أبو القاسم الوزير

---

(١) معجم الأدباء، ١/٨٥

وأبو زيد من الكتاب، وعظم محلهما عنده، وأصبحا بأرفع طرف عنده مرموقين وبأروى كأس من جنابه مصبوحين ومغبوقين، وكان رزق أبي القاسم في الشهر ألف درهم ورقا، ولأبي زيد خمسمائة درهم ورقا، وكان أبو القاسم يأمر الخازن بزيادة مائة درهم لأبي زيد من رزقه ونقصان مائة درهم من رزق نفسه، فكان يصل إلى أبي زيد ستمائة درهم وإلى أبي القاسم تسعمائة درهم، وكان يأخذ لنفسه مكسرة، ويأمر لأبي زيد بالوضح الصحاح، فبقوا على ذلك مدة غير طويلة، وعاشوا على جملة جميلة، حتى فتكت بهم يد المنون، وهلك أحمد بن سهل عن عمر قصير، واستمتاع بإمامة غير كبير، قال: أخبرني أبو محمد الحسن بن الوزيري: وكان لقي أبا زيد وتتلمذ له قال: كان أبو زيد ضابطا لنفسه ذا وقار، وحسن استبصار، قويم اللسان، جميل البيان، متثبتا نزر الشعر، قليل البديهة، واسع الكلام في الرسائل والتأليفات، إذا أخذ في الكلام أمطر اللآلئ المنثورة، وكان قليل المناظرة، حسن العبارة، وكان يتنزه عما يقال في القرآن، إلا الظاهر المستفيض من التفسير والتأويل، والمشكل من الأقاويل، وحسبك ما ألفه من كتاب نظم القرآن، الذي لا يفوقه في هذا لاباب تأليف.

قرأت في كتاب البصائر لأبي حيان الفارسي، من ساكني بغداد، قال: قال أبو حامد القاضي لم أر كتابا في القرآن مثل كتاب لأبي زيد البلخي، وكان فاضلا يذهب في رأي الفلسفة، لكنه تكلم في القرآن بكلام لطيف دقيق في مواضع، وأخرج سرائره، وسماه نظم لاقرآن، ولم يأت على جميع المعاني فيه.

قال: وللكعبي كتاب في التفسير، يزيد حجمه على كتاب أبي زيد، قال الوزيري: وكان أيضا يتحرج عن تفضيل الصحابة بعضهم على بعض، وكذلك عن مفاخرة العرب والعجم، ويقول ليس في هذه المناظرات الثلاث ما يجدي طائلا، ولا يتضمن حاصلا، لأن الله تعالى يقول في معنى القرآن: (قرآنا عربيا غير ذي عوج) الآية وأما معنى الصحابة وتفضيل بعضهم على بعض، فقوله عليه السلام، أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم، وكذلك العربي والشعوبي، فإنه سبحانه يقول: (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ويقول في موضع آخر، (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال: وسمعت بعض أهل الأدب يقول: اتفق أهل صناعة الكلام أن متكلمي العالم ثلاثة، الجاحظ، وعلي بن عبيدة اللطفي، وأبو زيد البلخي، فمنهم من يزيد لفظه على معناه، وهو الجاحظ ومنهم من يزيد معناه على لفظه، وهو علي بن عبيدة، ومنهم من توافق لفظه ومعناه، وهو أبو زيد.

وقال أبو حيان في كتاب النظائر: أبو زيد البلخي يقال له بالعراق جاحظ خراسان، وحكي أن أبا زيد لما دخل على أحمد بن سهل، أول دخوله عليه، سأله عن اسمه، فقال أبو زيد، فعجب أحمد بن سهل من

ذلك، حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته، وعد ذلك من سقطاته، فلما خرج ترك خاتمه في مجلسه عنده، فأبصره أحمد بن سهل، فازداد تعجبا من غفلته، فأخذه بيده ونظر في نقش فصه، فإذا عليه أحمد بن سهل، فعلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للموافقة الواقعة بين اسمه واسمه، وأنه أخذ **بحسن الأدب**، وراعى حد الاحتشام، واختار وصمة التزام الخطإ في الوقت والحال، على أن يتعاطى اسم الأمير بالاستعمال والابتذال.." (١)

"قال محمد بن الحسن: واتصل ذلك بنا، فقلنا لأحمد ابن كليب: قد خسرت دجاجك وبيضك، فقال هات: كل ليلة قبلة يده، وأخسر أضعاف ذلك. قال: فلما يئس من رؤيته ألبتة، نهكته العلة، وأضجعه المرض، قال: فأخبرني شيخنا محمد بن خطاب قال: فعدته، فوجدته بأسوإ حال، فقلت له: ولم لا تتداوى؟ فقال: دوائي معروف وأما الأطباء، فلا حيلة لهم فيه، ألبتة. فقلت له: وما دواؤك؟ قال: نظرة من أسلم، فلو سعيت في أن يزورني لأعظم الله أجرك، وكان هو والله أيضا يؤجر، قال: فرحمته، وتقطعت نفسي له، ونهضت إلى اسلم، فتلقاني بما يجب، فقلت له: لي حاجة، قال: وما هي؟ قلت له: قد علمت ما جمعك مع أحمد من ذمام الطلب عندي، فقال: نعم، فقد تعلم أنه أشهر اسمي وآذاني، فقلت له: كل ذلك مغتفر في الحال التي هو فيها، والرجل يموت، فتفضل بعيادته، فقال: والله ما أقدر على ذلك، فلا تكلفني هذا، فقلت له: لا بد، فليس عليك في ذلك شيء، فإنما هي عيادة مريض، قال: ولم أزل به حتى أجاب، فقلت: فقم الآن، فقال لي: لست والله أفعل ذلك، ولكن غدا، فقلت له: ولا خلف؟ فقال: نعم. قال: فانصرفت إلى أحمد بن كليب، وأخبرته بوعده بعد تأبيه، فسر بذلك، وارتاحت نفسه. قال: فلما كان من الغد، بكرت إلى أسلم وقلت له، الوعد، فوجم وقال: والله لقد تحملني على خطة صعبة، وما أدري كيف أطيق ذلك؟ فقلت له: لا بد من أن تفي بوعدك، فأخذ رداءه ونهض معي راجلا، فلما أتينا منزل أحمد بن كليب، وكان يسكن في آخر درب طويل، فلما توسط الدرب احمر وخجل، وقال لي: الساعة والله أموت، وما أستطيع أن أنقل قدمي، ولا أن أعرض لهذا نفسي. فقلت: لا تفعل، بعد أن بلغت المنزل، أن تنصرف؟ قال لا سبيل والله إلى ذلك، ألبتة، قال: ورجع مسرعا، فاتبعته وأخذت بردائه، فتمادى وتمزق الرداء، وبقيت قطعة منه في يدي، ومضى فلم أدركه، فرجعت ودخلت إلى أحمد بن كليب، وقد كان غلامه دخل إليه، إذ رآنا من أول الدرب مبشرا، فلما رآني دونه، تغير لونه، وقال: وأين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة، فاستحال من وقته، واختلط، وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثره من التوجع، فاستبشعت، الحال، وجعلت أرجع

---

(١) معجم الأدباء، ١٠٨/١

وقمت، فثاب إليه ذهنه، وقال لي: يا أبا عبد الله، اسمع، وأنشد:

أسلم يا راحة العليل ... رفقا على الهائم النحيل

وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

فقلت له: اتق الله، ما هذه العظيمة؟ فقال لي: قد كان ما كان، فخرجت عنه، فوالله ما توسطت الدرب حتى سمعت الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا، هذا قتيل الحب، لا دية ولا قود.

قال: وهذه قصة مشهورة عندنا، والرواة ثقات، وأسلم هذا، من بيت جليل، وهو صاحب الكتاب المشهور في أغاني زرياب، وكان شاعرا أديبا.

قال الحميدي: وقد رأيت ابنه أبا الجعد قال: وذكرت هذه القصة لمحمد بن سعيد الخولاني الكاتب، فعرفها، وقال لي: أخبرني الثقة قال: لقد رأيت أسلم هذا في يوم شديد المطر، لا يكاد أحد يمشي في طريق، وهو قاعد على قبر أحمد بن كليب زائرا له، وقد تحين غفلة الناس في مثل ذلك الوقت، وكان أحمد بن كليب، قد أهدى إلى أسلم في أول أمره كتاب الفصيح، وكتب عليه:

هذا كتاب الفصيح ... بكل لفظ مليح

وهبته لك طوعا ... كما وهبتك روحي

وقرأت في كتاب الديارات للخالدي حكاية أعجبني أمر صاحبها، وأحببت أن يكون لها موضع من كتابي هذا، وكأن المثل يذكر بالمثل، ذكرتها عقيب خبر أحمد بن كليب، فإنهما خبران متقاربان.

قال: حدثني أبو الحسين، يحيى بن الحسين الكندي الحراني الشاعر، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري، قال: كان بالرها وراق يقال له سعد، وكان في دكانه مجلس كل أديب، وكان **حسن الأدب** والفهم، يعمل شعرا رقيقا، وما كنا نفارق دكانه، أنا وأبو بكر المعوج، الشامي الشاعر، وغيرنا من شعراء الشام، وديار مصر، وكان لتاجر بالرها نصراني، من كبار تجارها ابن اسمه عيسى، من أحسن الناس وجها، وأحلاهم قدا، وأظرفهم طبعا ومنطقا، وكان يجلس إلينا، ويكتب عنا أشعارنا، وجميعنا يحبه، ويميل إليه، وهو حينئذ صبي في الكتاب، فعشقه سعد الوراق عشقا مبرحا، ويعمل فيه الأشعار، فمن ذلك وقد جلس عنده في دكانه:." (١)

"" بسم الله الرحمن الرحيم " ، اتصل بي، - جعلت فداك - ، أن رجلا من إخوانك أشار عليك، بتكميل فضائلك وتقويتها، بشيء من معرفة القياس البرهاني، وطمأنينتك إليه، وأنك أصغيت إلى قوله،

---

(١) معجم الأدباء، ١٦١/١

وأذنت له، فأحضرك رجلا كان غاية **في سوء الأدب**، ومعدنا من معادن الكفر، وإماما من أئمة الشرك، لاستغرارك واستغوائك، يخادعك عن عقلك الرصين، وينازلك في ثقافة فهمك المبين، فأبى الله العزيز، إلا جميل عوائه الحسنة قبلك، ومننه السواب لديك، وفضله الدائم عندك، بأن تأتي على قواعد برهانه من ذروته، وتحط عوالي أركانه، من أقصى معاقد أسه، فأحببت استعلامي ذلك على كنهه من جهتك، ليكون شكري لك، على ما كان منك، حسب لومي لصاحبك، على ما كان منه، ولأتلافي الفارط، في ذلك بتدبر المشيئة، إن شاء الله تعالى، قال: فأجابني ابن ثوابة برقعة نسختها: " بسم الله الرحمن الرحيم " وصلت رقعتك – أعزك الله – وفهمت فحواها، وتدبرت متضمنها، والخبر كما اتصل بك، والأمر كما بلغك، وقد لخصته وبينته، حتى كأنك معنا وشاهدنا، وأول ما أقول: الحمد لله مولي النعم، والمتوحد بالقسم، " إليه يرد علم الساعة " ، " وإليه المصير " ، وأنا أسأله إتراع الشكر على ذلك، وعلى ما منحنا من ودك، وإتمامه بيننا بمنه، ومما أحببت: إعلامك وتعريفك بما تأدى إليك، أن أبا عبيدة " لعنه الله تعالى " بنحسه، ودسه وحدسه، اغتالني ليكلم ديني، من حيث لا أعلم، وينقلني عما أعتقده، وأراه وأضمره، من الإيمان بالله عز وجل، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، موطدا إلى الزندقة، بسوء نيته من الهندسة، وأنه يأتيني برجل يفيدني علما شريفا، تكمل به فضائلي فيما زعم، فقلت: عسى أفيد به براعة في صناعة، أو كمالا في مروءة، أو فخارا عند الأكفاء، فأجبته: بأن هلم، فأتاني بشيخ ديراني شاخص النظر، منتشر عصب البصر، طويل مشذب، محزوم الوسط، متزمل في مسكة فاستعذت بالرحمن، إذ نزغني الشيطان، ومجلسي غاص بالأشراف، من كل الأصناف وكلهم يرمقه، ويتشوف إلى رفعي مجلسه، وإدنائه وتقريبه، ويعظمونه ويحيونه، " والله محيط بالكافرين " ، فأخذ مجلسه، ولوى أشداقه، وفتح أوساقه، فتبينت في مشاهدته النفاق، وفي ألفاظه الشقاق، فقلت: بلغني أن عندك معرفة من الهندسة، وعلما واصلا إلى فضل، يفيد الناظر فيه حكمة، وتقدما في كل صناعة، فهلم أفدنا شيئا منها، عسى أن يكون عونا لنا على دين أو دنيا، في مروءة ومفاخرة لدى الأكفاء، ومفيدا زهدا ونسكا، فذلك هو الفوز العظيم، " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز " ، " وما ذلك على الله بعزيز " ، قال: فأحضرني دواة وقرطاسا، فأحضرتهما، فأخذ القلم ونكت نكتة، نقط منها نقطة، تخيلها بصري، وتوهمها طرفي، كأصغر من حبة الذرة، فزمزم عليها من وساوسه، وتلا عليها من حكم أسفار أباطيله، ثم أعلن عليها جاهرا بإفكه وأقبل علي وقال: أيها الرجل، إن هذه النقطة شيء لا جزء له، فقلت: أضللتني ورب الكعبة، وما الشيء الذي لا جزء له؟ فقال كالبسيط، فأذهلني وحيرني، وكاد يأتي على عقلي، لولاأن هداني ربي، لأنه أتاني بلغة، ما سمعتها والله من عربي ولا عجمي، وقد أحطت

علما بلغات العرب، وقمت بها وسبرتها جاهدا، واختبرتها عامدا، وصرت فيها إلا ما لا أجد أحدا يتقدمني إلى المعرفة به، ولا يسبقني إلى دقيقة وجليلة، فقلت أنا: وما الشيء البسيط؟ فقال: كالله، وكالنفس، فقلت له: إنك من الملحدين، أتضرب بالله الأمثال؟ والله يقول: " فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون " لعن الله مرشدا أرشدني إليك، ودالا دلني عليك، فما ساقك إلي إلا قضاء سوء، ولا كسعك نحوي إلا الحين، وأعوذ بالله من الحين، وأبرأ إليه منكم ومما تلحدون، والله ولي أمير المؤمنين، إني بريء مما تشركون، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فلما سمع مqالتي كره استعاذتي، فاستخفه الغضب، فأقبل علي مستبسلا وقال: إني أرى فصاحة لسانك سببا لعجمة فهمك، وتدرعك بقولك آفة من آفات عقلك، فلولا من حضر والله المجلس، وإصغاؤهم إليه مستصوبين أباطيله، ومستحسنين أكاذيبه، وما رأيت من استهوائه إياهم بخدعه، وما تبينت من توازرهم، لأمرت بسل لسان اللكع الألكن، وأمرت بإخراجه، إلى آخر نار الله وسعيره، وغضبه ولعنته، ونظرت إلى أمارات الغضب في وجوه الحاضرين، فقلت: ما غضبكم لنصراني يشرك بالله." (١)

"أبو جعفر من أهل مصر، رحل إلى بغداد، فأخذ عن المبرد، والأخفش علي بن سليمان، ونفطويه، والزجاج، وغيرهم. ثم عاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات بها، فيما ذكره أبو بكر الزبيدي في كتابه، في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

وأبو جعفر هذا: صاحب الفضل الشائع والعلم المتعارف الذائع، يستغني بشهرته، عن الإطناب في صفته.

قال الزبيدي: ولم يكن له مشاهدة، فإذا خلا بعلمه جود وأحسن، وكان لا ينكر أن يسأل أهل النظر والفقه، ويفاتشهم عما أشكل عليه في تصانيفه. قال الزبيدي: فحدثني قاضي القضاة بالأندلس، وهو المنذر بن سعيد البلوطي قال: أتيت ابن النحاس في مجلسه بمصر، فألفيته يملي في أخبار الشعراء شعر قيس بن معاذ المجنون، حيث يقول:

خليلي هل بالشام عين حزينة ... تبكي على نجد لعلي أعينها؟

قد اسلمها الباكون إلا جمامة ... مطوقة باتت وبات قرينها

تجاوبها أخرى على خيزرانة ... يكاد يدنيها من الأرض لين٥١

فقلت: يا ابا جعفر، ماذا – أعزك الله – باتا يصنعان؟ فقال لي: وكيف تقوله أنت يا أندلسي؟ فقلت: بانت وبان قرينها، فسكت، ومازال يستثقلني بعد ذلك، حتى منعني كتاب العين، وكنت ذهبت إلى الانتساخ من

---

(١) معجم الأدباء، ١٧١/١

نسخته، فلما قطع بي، قيل انتسخ من أبي العباس ابن ولاد، فقصدته، فلقيت رجلا كامل العلم، حسن المروءة، وسألته الكتاب فأخرجه غلي، ثم تندم أبو جعفر لما بلغه إباحة ابن العباس الكتاب لي، وعاد إلى ما كنت أعرفه منه.

قال: وكان أبو جعفر لئيم النفس، شديد التقتير على نفسه، وكان ربما وهبت له العمامة، فقطعها ثلاث عمائم، وكان يأبى شرى حوائجه بنفسه، ويتحامل فيها على أهل معرفته، وصنف كتبا حسانا مفيدة، منها كتاب الأنوار، كتاب الاشتقاق لأسماء الله عز وجل، كتاب معاني القرآن، كتاب اختلاف الكوفيين والبصريين سماه " المقنع " ، كتاب أخبار الشعراء، كتاب أدب الكتاب، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب الكافي في النحو، كتاب صناعة الكتاب، كتاب إعراب القرآن، كتاب شرح السبع الطوال، كتاب شرح أبيات سيبويه، كتاب الاشتقاق، كتاب معاني الشعر، كتاب التفاحة في النحو، كتاب أدب الملوك.

وسمعت من يحكي: أن تصانيفه تزيد على الخمسين مصنفا، وقد ذكر أبو عبد الله الحميدي: القاضي المذكور في قصة ابن النحاس، وقال: هو أبو الحكم، المنذر ابن سعيد، يعرف بالبلوطي، ينسب إلى موضع هناك قريب من قرطبة، يقال له فحص البلوط، ولي قضاء الجماعة بقرطبة، في حياة الحكم المستنصر، وذكر له قصة استحسنتها فأثبتها ههنا، إذ لم أجعل له ترجمة، لأنه لم يذكره بالتصنيف في الأدب، فقال: كان الحكم المستنصر مشغوفا بأبي علي القالي، ييؤهله لكل مهمة في بابه، فلما ورد رسول ملك الروم، أمره عند دخول الرسول إلى الحضرة أن يقوم خطيبا، بما كانت العادة جارية به، فلما كان في ذلك الوقت، وشاهد أبو علي الجمع، وعاين الحفل، جبن ولم تحمله رجلاه، ولا ساعده لسانه، ففطن له أبو الحكم، منذر بن سعيد القاضي، فوثب وقام مقامه، وارتجل خطبة بليغة على غير أهبة، وأنشد لنفسه في آخرها:

هذا المقال الذي ما عابه فند ... لكن صاحبه أزرى به البلد

لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا ... لكنني منهم فاغتالني النكد

لولا الخلافة أبقى الله بهجتها ... ما كنت أبقى بأرض ما بها أحد

واتفق الجمع على استحسانه، وجمال استدراكه، وصلب العلج وقال: هذا كبش رجال الدولة، ثم ذكر قصته مع ابن النحاس بعينها.

أحمد بن محمد بن حمادة أبو الحسن الكاتب

حسن الأدب، من أفاضل الكتاب، صنف الكتب ولقي الأدباء، وله كتاب امتحان الكتاب، وديوان ذوي الألباب، كتاب شحذ الفطنة، كتاب الرسائل، ذكر ذلك محمد بن إسحاق.

أحمد بن محمد، بن عبد الله، بن هارون

أبو الحسين، أظنه من عسكر مكرم، لأنه اعتنى بشرح مختصر محمد بن علي، بن غسماعيل المبرمان، ثم قرأت في بعض المجموعات:." (١)

"قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: ومات في شوال سنة خمسين وثلاثمائة، ومولده في رمضان، سنة إحدى وسبعين ومائتين، أو اثنتين وسبعين ومائتين، وهو صاحب الخط الحسن المشهور، مولى جويرية بنت أبي سفيان، روى الحديث عن جماعة من أهل الشام، قال ابن عساكر: وقد ذكره عبد العزيز الكناني وقال: كان ثقة مأمونا، يورق للناس بدمشق، له خط حسن.

قال المؤلف: وإنما ذكرناه، لما اشترطنا في أول الكتاب، من ذكر أرباب الخطوط المنسوبة، فذكرناه لما وصفه به ابن عساكر من جودة الخط، وأما أنا، فلم أر من خطه شيئا.

أحمد بن محمد، بن الفضل،

بن جعفر، بن محمد ابن الجراح، أبو بكر الخزاز، سمع أبا بكر ابن دريد، وأبا بكر بن السراج، وأبا بكر بن الأنباري، وروى كثيرا من مصنفاتهم، ومات في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وكان ثقة **حسن الأدب** والخط، والإتقان، والضبط، فاضلا أديبا، كثير الكتب، حسن الحال، ظاهر الثروة، روى عنه القاضي أبو العلاء الواسطي، والصيمري، والتنوخي، وأبو الحسين هلال بن المحسن، وأولاد الصابئ كلهم كثيرا من كتب الأدب، متصلة الرواية إلى الآن، وقد روى شيخنا تاج الدين أبو اليمن من طريقه عدة كتب أدبية.

قال أبو القاسم التنوخي: سمعت ابن الجراح يقول: كتبي بعشرة آلاف درهم، ووابي بعشرة آلافدرهم. وسلاحي بعشرة آلاف درهم قال التنوخي: وكان أحد الفرسان، يلبس أداته، ويركب فرسه، ويخرج إلى الميدان، ويطارد الفرسان.

أحمد بن محمد، بن أحمد،الأصبهاني المقرئ "

بن الحسين، بن سعيد، " أبو علي الأصبهاني المقرئ " سكن دمشق، وصنف تصانيف في القراءات، وقرأ القرآن على أبي القاسم، زيد بن علي، بن أحمد، بن أبي بلال الكوفي، وأبي بكر النقاش، وأبي العباس بن الحسن ابن سعد الفاسي، وأبي عبد الله، صالح بن مسلم، بن عبيد الله، بن المقرئ، وأبي الفتح، المظفر بن أحمد، بن إبراهيم، بن برهان. وسمع بدمشق أبا محمد عبد الله بن عطية، وعبد الوهاب بن الحسن الكلابي، والحسين بن علي، وأبا القاسم بن الفرات، وأبا نصر بن الجبان. ومات سنة ثلاث وتسعين

---

(١) معجم الأدباء، ١/١٨٢

وثلاثمائة، بدمشق في شهر ربيع الآخر، وكان لجنازته مشهد عظيم.

أحمد بن محمد، بن هاشم،

بن خلف، ابن عمرو بن سعيد ابن عثمان، بن سلمان، بن سليمان، القيسي القرطبي الأعرج، يكنى أبا عمر، سمع محمد بن عمر بن لبابة، وأسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، ومال إلى النحو وغلب عليه، وأدب به، وكان وقورا مهيبا، لا يقدم عليه، ولا عنده هزل، وكان يلقب بالقاضي لوقاره. مات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة. قال ابن الفرضي: ذكره محمد ابن حسن.

أحمد بن محمد، بن جعفر، بن ثوابة

يكنى أبا عبد الله، أحد البلغاء الفهماء، وأرباب الاتساع في علم البلاغة، ولي ديوان الرسائل بعد أبيه محمد بن جعفر، في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، في أيام المقتدر، ولم يزل على ديوان الرسائل، إلى أن م ات وهو متوليه، في أيام معز الدولة، في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فولي ديوان الرسائل بعده، أبو إسحاق الصابئ، حدث أبو الحسين، علي بن هشام الكاتب قال: سمعت الوزير أبا الحسن، علي بن عيسى، يقول لأبي عبد الله، أحمد بن محمد، بن محمد، بن جعفر، بن ثوابة، ما قال: " أما بعد " فما أحد، على وجه الأرض أكتب من جدك، وكان أبوك أكتب منه، وأنت أكتب من أبيك، قال أبو علي المحسن التنوخي: وقد رأيت أنا أبا عبد الله هذا في سنة تسع وأربعمائة، وإليه ديوان الرسائل، وكان نهاية في حسن الكلام والكتبة.

أحمد بن محمد، بن الفضل، الأهوازي

يعرف بابن كثير، صاحب بلاغة وفضل، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب مناقب الكتاب.

أحمد بن محمد، الأفريقي المعروف بالمتيم

أبو الحسن، أحد الأدباء، الفضلاء، الشعراء، له من التصانيف: كتاب الشعراء الندماء، كتاب الانتصار المنبئ عن فضل المتنبئ، وغير ذلك، وله ديوان شعر كبير، قال الثعالبي: رأيته ببخارى شيخا رث الهيئة، تلوح عليه سيماء الحرفة، وكان يتطبب ويتنجم، فأما صناعته التي يعتمد عليها، فالشعر. ومما أنشدني لنفسه:

وفتية أدباء ما علمتهم ... شبهتهم بنجوم الليل إذ نجموا

فروا إلى الراح من خطب يلم بهم ... فما درت نوب الأيام أين هم؟
قال: وأنشدني أيضا لنفسه:." (١)

"فغنيته فاقبل على إبراهيم بن المهدى، فقال: ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت، فقلت له: ليس هذا مما تحسنه وتعرفه، وإن شئت فنه، فإن لم أجدك تخطئ فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك، فدمى حلال ثم أقبلت على الرشيد فقلت: يا أمير المؤمنين: هذه صناعتي، وصناعة أبي، وهى إلى قربتنا منك، واستخدمتنا إليك، وأوطأتنا بساطك، فإذا نازعناها أحد بلا علم، لم نجد بدا من الإيضاح والذب، فقال: لا عزو، ولا لوم عليك، وقام الرشيد لببول، فأقبل على إبراهيم وقال: ويلك يا إسحاق، تجترى على وتقول ما قلت يا ابن الزانية، فداخلني ما لم أملك نفسي معه، فقلت له: أنت تشتمني ولا أقدر على إجابتك، وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لقد كنت أقول لك: يا ابن الزانية، كما قلت لي يا ابن الزانية، ولكن قولي في ذمك، ينصرف إلى خالك لأعلم، ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه قال إسحاق: وكان بيطارا، وعلمت أن إبراهيم يشكونى إلى الرشيد، وأن الرشيد سيسأل من حضر عما جرى فيخبره، ثم قلت له: أنت تظن أن الخلافة تصير إليك، فلا تزال تهددني بذلك، وتعاديني كما تعادي سائر أولياء أخيك، حسدا له ولولده على الأمر، وأنت تضعف عنه وعنهم، وتستخف بأوليائهم تشيعا وأرجو ألا يخرجها الله تعالى عن يد الرشيد وولده، وأن يقتلك دونها، وإن صارت إليك والعياذ بالله، فحرام على العيش يومئذ، والموت أطيب من الحياة معك، فاصنع حينئذ مابدا لك.

فلما خرج الرشيد، وثب إبراهيم فجلس بين يديه، وقال يا أمير المؤمنين: شتمنى وذكر أمي، واستخف بي، فغضب الرشيد وقال: ما تقول ويلك؟ قلت: لا أعلم، سل من حضر، فأقبل على مسرور وحسين الخادم فسألهما عن القصة، فجعلا يخبرانه ووجهه يربد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة، فسرى عنه ورجع لونه، وقال لإبراهيم: ما له ذنب، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى موضعك، وأمسك عن هذا، فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أمر ألا أبرح، وخرج كل من حضر، حتى لم يبق غيري، فساء ظني وهمتني نفسي، فأقبل على وقال لي: ويحك يا إسحاق، أتراني لا أعرف وقائعك؟ قد والله زانيته دفعات، ويحك لا تعد، ويحك حدثني عنك لو ضربك أخى إبراهيم، أكنت أقتص لك منه، فأضربه؟ وهو أخي يا جاهل؟ أتراه لو أمر غلمانه أن يقتلونك فقتلوك، أكنت أقتله بك؟ فقلت: قد والله قتلتني يا أمير المؤمنين بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلني، وما أشك في أنه قد بلغه الآن، فصاح بمسرور الخادم وقال: على بإبراهيم

---

(١) معجم الأدباء، ١٨٤/١

الساعة، وقال لي: قم فانصرف، فقلت لجماعة من الخدم، وكلهم كان لي محبا، وإلى مائلا، أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد: أنه لما دخل عليه وبخه وجهله، وقال له: لم تستخف بخادمي؟ وصنيعتي، ونديمي، وابن خادمي، وصنيعة أبى في مجلسي، وتقدم على وتصنع في مجلسي، وحضرتي، هاه هاه، نقدم على هذا وأمثاله، وأنت مالك والغناء، وما يدريك ماهو؟ ومن أخذ لحنه وطارحك إياه، حتى تظن أنك تبلغ منه مبلغ إسحاق، الذى غذى به، وهو صناعته، ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك، فلا تثبت لذلك، وتعتصم بشتمه، أليس هذا مما يدل على السقوط، وضعف العقل، وسوء الأدب، من دخولك فيما لا يشبهك، ثم إظهارك إياه ولم تحكمه، أليس تعلم ويحك؟ أن هذا سوء رأى وأدب، وقلة معرفة ومبالاة بالخطأ، والتكذيب والرد القبيح، ثم قال له والله العظيم، وحق رسوله الكريم – وإلا فأنا نفى من أبي – لئن أصابه سوء أو سقط عليه حجر من السماء، أو سقط من دابته، أو سقط عليه سقف، أو مات فجأة، لأقتلنك به – والله والله والله وأنت أعلم – فلا تعرض له، قم الآن فاخرج، فخرج وقد كاد يموت، فلما كان بعد ذلك، دخلت عليه وإبراهيم عنده، فأعرضت عنه، فجعل الرشيد ينظر إلي مرة، وإلى إبراهيم أخرى، ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه والأخذ عنه وإن هذا لا تقدر عليه كما تريد، إلا أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه، وبره وصله، فإذا فعلت ذلك، ثم خالف ما تهواه، عاقبته بيد منبسطة، ولسان منطلق، ثم قال لي: قم إلى مولاك وابن مولاك، فقبل رأسه، فقمت إليه، وأصلح بيننا وحدث المبرد قال: حدثت عن الأصمعي قال: دخلت أنا وإسحاق بن إبراهيم يوما على الرشيد، فرأيته لقس النفس، فأنشده

وآمره بالبخل قلت لها اقصرى ... فذلك شيء ما إليه سبيل." (١)

"ومدمعي منهمرا ماؤه ... منهملا في الخد مسكوبا

وأنشدني – أدام الله علوه – لنفسه:

والعين يحجبها لألاء وجنته ... من التأمل فى ذا المنظر الحسن

بل عبرتى منعت لو نظرتى عبرت ... إليه من مقلتى إلا على السفن

لولا تجسمه بالإبتسام وما ... أمده الله عند النطق باللسن

لما عرفت عقيقا شفه درر ... ولم يبن فوه نطقا وهو لم يبن

حدثنى عزيز الدين، – رحمه الله – ، قال: ورد الفخر الرازي إلى مرو، وكان من جلالة القدر، وعظم الذكر،

---

(١) معجم الأدباء، ١/ ٢٣٠

وضخامة الهيبة، بحيث لا يراجع فى كلامه، ولا يتنفس أحد بين يديه لإعظامه، على ما هو مشهور متعارف، فدخلت إليه، وترددت للقراءة عليه، فقال لي يوما: أحب أن تصنف لي كتابا لطيفا في أنساب الطالبيين لأنظر فيه، فلا أحب أن أكون جاهلا به. فقلت له: أتريده مشجرا أم منثورا؟ فقال: المشجر لاينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئا أحفظه، فقلت: السمع والطاعة، ومضيت وصنفت له الكتاب، الذى سمیته بالفخري، وحملته وجئته به، فلما وقف عليه، نزل عن طراحته، فأعظمت ذلك وخدمته، فانتهرني نهرة مزعجة، وزعق علي وقال: اجلس بحيث أقول لك، فتداخلني – علم الله – من هيبته ما لم أتمالك، غلا أن جلست حيث أمرنى، ثم أخذ يقرأ على ذلك الكتاب، وهو جالس بين يدي، ويستفهمني عما يستغلق عليه، إلى أن أنهاه قراءة، فلما فرغ منه قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علم أنت أستاذي فيه، وأناأستفيد منك، وأتتلمذ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلا بين يدى الأستاذ، فقمت من مقامى، وجلس هو في منصبه، ثم أخذت أقرأ عليه، وأنا جالس بحيث كان أولا، وهذا لعمري من **حسن الأدب** حسن، ولا سيما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة.

إسماعيل الضرير النحوى، أبو علي

لا أعرف من أمره إلا ما ذكر: أن رجلا سأل إسماعيل الضرير النحوى، عن أبي القاسم، علي بن أحمد، ابن الفرج، بن الحسين، بن المسلمة، الملقب برئيس الرؤساء، وزير القائم، كيف ترى رئيس الرؤساء في النحو؟ فقال: يتكلم فيه بكلام أهل الصنعة، وسئل رئيس الرؤساء عن إسماعيل فقال: ما أرى مفتوح القلب فى النحو، إلا هذا المغمض العينين!

إسماعيل بن حماد الجوهري،

أبو نصر الفارابي ابن أخت أبى إسحاق الفارابى، صاحب ديوان الأدب، وكان الجوهرى هذا من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل في الجودة، لا يكاد يفرق بينه وبين خط أبي عبد الله بن مقلة، وهو مع ذلك من فرسان الكلام في الأصول، وكان يؤثر السفر على ساق. دخل العراق فقرأ علم العربية على شيخى زمانه، ونور عين أوانه، أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي. وسافر إلى أرض الحجاز، وشافه باللغة العرب العاربة، وقد ذكر هو ذلك في مقدمة كتاب الصحاح من تصنيفه، وطوف بلاد ربيعة ومضر، وأجهد نفسه فى الطلب، ولما قضى وطره من الطواف، عاد راجعا إلى خراسان، وتطرق الدامغان، فأنزله أبو على الحسين بن على، وهو من أعيان الكتاب، وأفراد الفضلاء عنده، وأخذ عنه، وسمع منه، ثم سرحه إلى نيسابور، فلم يزل مقيما بها

على التدريس، والتأليف، وتعليم الخط، وكتابة المصاحف، والدفاتر، حتى مضى لسبيله عن آثار جميلة وذكره أبو الحسين الباخرزي فقال: هو صاحب صحاح اللغة، لم يتأخر فيها عن شرط أقرانه، ولا انحدر عن درجة أبناء زمانه، أنشدنى الأديب، يعقوب بن أحمد قال: أنشدنى الشيخ أبو إسحاق صالح الوراق، تلميذ الجوهري – رحمه الله – له:

ياضائع العمر بالأماني ... أما ترى رونق الزمان

فقم بنا يا أخا الملاهي ... نخرج إلى نهر نشنقان

لعلنا نجتني سرورا ... حيث جنى الجنتين دان

كأننا والقصور فيها ... بحافتى كوثر الجنان

والطير فوق الغصون تحكى ... بحسن أصواتها الأغانى

وأرسل الورق عندليب ... كالزير واليم والمثاني

وبركة حولها أناخت ... عشر من الدلب واثنتان

فرصتك اليوم فاغتنمها ... فكل وقت سواه فان." (١)

"ثم يوصي بحاجته. وتصديق هذه الوصية في القرآن: (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا). فهذا عهد الميت. وهذه وصيته سنة إحدى وعشري وخمسمائة. وقلتها من خطه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسن بن أحمد بن الحسن، بن أحمد بن محمد العطار، طوعا في صحة عقله وبدنه، وجواز أمره، أوصى وهو يشهد (أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وخلق كل شيء فقدره تقديرا، ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين). ويشهد أن محمدا عبده ورسوله (أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون). صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا، ويشهد أن الجنة حق، والنار حق، والبعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وأنه جل وعز جامع الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، ويشهد أن صلاته ونسكه، ومحياه ومماته لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمر وهو من المسلمين، وأنه رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا، وبالقرآن إماما، وبالمؤمنين إخوانا، وأنه يدين لله عز وجل بمذهب أصحاب الحديث، ويتضرع إلى الله عز وجل، ويتوسل إليه بجميع كتبه المنزلة، وأسمائه

---

(١) معجم الأدباء، ٢٥٣/١

الحسنى، وكلماته التامات، وجميع ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين أن يحييه على ذلك حيا، ويميته على ذلك إذا توفاه، وأن يبعثه عليه يوم الدي، وأوصى نفسه وخاصته وقرابته، ومن سمع وصيته بتقوى الله، وأن يعبدوه في العابدين، ويحمدوه في الحامدين، ويذكروه في الذاكرين، ولا يموتن إلا وهم مسلمون، وأوصى إلى الشيخ أبي مسعود إسماعيل بن أبي القاسم الخاز في جميع تركته، وما يخلفه بعده، وفي قضاء ديونه، واقتضاء ديونه وإنفاذ وصاياه، وذكره في ذلك بتقوى الله وإيثار طاعته، وحذره أن يبدل شيئا من ذلك أو يغيره، وقد قال الله تعالى: (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلوه، إن الله سميع عليم).

وكتب هذه الوصية موصيها الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن العطار، في يوم الثلاثاء السابع من ذي الحجة، سنة إحدى وعشري وخمسمائة.

قال: وحدثني من شهد قبض روح الشيخ - رضي الله عنه - قال: كنا قعودا في ذلك الوقت، وكنا نحب أن نلقنه كلمة الشهادة رعاية للسنة، ومع هذا كنا نخشى من هيبته، **ونحذر سوء الأدب**، فبقينا متحيرين حتى قلنا للرجل من أصحاب الشيخ: اقرأ أنت سورة يس. فرفع الرجل صوته يقرأ السورة، وكنا ننظر إليه ونراقب حاله، فدهش القارئ وأخطأ في القراءة، ففتح الشيخ عينه ورد عليه، فسررنا لذلك وحمدا الله عز وجل، ثم جئ إليه بقدح فيه شيء من الدواء، ووضع القدح على شفته، فولى وجهه ورد القدح بفيه، وفتح عينه وقال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، رافعا بها صوته وفاضت نفسه - رحمه الله، ورضي عنه وأرضاه، وجعل أعلى الجنان مأواه - . وكان ذلك قبيل العشاء الآخرة ليلة الخميس، التاسع عشر من جمادى الأولى، عام تسع وتسعين وخمسمائة، ودفن يوم الخميس في مسجده، وصلى عليه ابنه الإمام ركن الدين شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد، القائم مقامه، وخليفته على أولاده، وأصحابه وأتباعه. - رحمه الله - .

والكتاب الذي يشتمل على مناقبه، كتاب ضخم جليل. وإنما كتبت هذه النبذة ليستدل لها على فضله ومرتبته - رحمة الله عليه - ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين.

الحسن بن أبي عباد، اليمني النحوي

من وجوه اليمن، كان يصجب الفقيه يحيى بن أبي الخير، وعمه إبراهيم بن أبي عباد نحوي أيضا يذكر في موضعه. وصنف الحسن هذا مختصرا في النحو مشهورا بالمن، يقرؤه المبتدئون وهو قريب العهد، تقارب وفاته سنة تسعين وخمسمائة. وهو القائل:

لعمرك ما اللحن من شيمتي ... ولا أنا من خطأ ألحن
ولكنني قد عرفت الأنا ... م فخاطبت كلا بما يحسن
الحسن بن أسد بن الحسن الفارقي." (١)

"وفي النشوار: حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي قال: قال أبو أحمد: طلحة بن الحسين بن المثنى، وقد تجارينا على خلوة للحديث عما كان بينه وبين أبي القاسم البريدي، وتدبير كل واحد منهما لصاحبه في القبض عليه، وأشرت عليه بأ يهرب من البصرة ولا يقيم، وأنه يجب أن يغير زيه فقال: لست أفكر في هذا الرجل لأمور كثيرة، منها: رؤيا رأيتها منذ ليال كثيرة. فقلت: ما هي؟ فقال: رأيت ثعبانا عظيما قد خرج من هذا الحائط، وأوأ بيده إلى حائط في ملجسه وهو يريدني فطلبته فأتيته في الحائط. فتأولت ذلك أن الثعبا البريدي وأني أغلبه. قال: فحين قال: فأتيته في الحائط، سبق إلى قلبي أن البريدي هو الثابت، وأن الحائط حياطة له دون أبي أحمد. فأردت أن أقول له: إن الخبر مستفيض لما كان عبد الملك رأى في منامه، كأنه وابن الزبير اصطرعا في صعيد من الأرض، فطرح ابن الزبير عبد الملك تحته على الأرض، وأوتده بأربعة أوتاد فيها، وأنه أنفذ راكبا إلى البصرة، حتى لقي ابن سيرين، فقص عليه الرؤيا كأنها له، وكتم ابن الزبير. فقال له ابن سيرين: هذه الرؤيا ليست رؤياك، فلا أفسرها لك، فألح عليه فقال له: هذه للرؤيا يجب أن تكون لعبد الملك، فإن صدقتني فسرتها لك، فقال: هو كما وقع لك. فقال: قل له: إن صحت رؤياك هذه فستغلب ابن الزبير على الأرض، ويملك الأرض من صلبك أربعة ملوك. فمضى الرجل إلى عبد الملك فأخبره، فعجب من فطنة ابن سيرين فقال: ارجع إليه فقل له: من أين قلت ذلك؟ فرجع الرجل إليه، فقال له: إن الغالب في النوم هو المغلوب، وتمكنه على الأرض غلبه عليها، والأوتاد الأربعة التي أوتدها في الأرض: هم ملوك يتمكنو من الأرض كما تمكنت الأوتاد.

قال أبو القاسم الآمدي: فأردت أن أقول لأبي أحمد هذا، وما وقع لي من القياس عليه في تفسير رؤياه، فكرهت ذلك لأنه كان يكون سوء أدب وقباحة عشرة، وعيا لنفسه، فما مضت الأيام حتى قبض البريدي عليه، وكان من أمره ما كان.

أبو الحسن البوراني

معتزلي نحوي، ذكره المقدر عند ذكره لجماعة من المعتزلة النحويين فقال: وأبو الحسن البوراني، ناهيك تدقيقا في مسائل الكتاب، وكان في أيام أبي علي الفارسي وطبقته.

---

(١) معجم الأدباء، ٣٢٨/١

الحسن بن الحسين بن عبيد الله

ابن عبد الرحمن، ابن العلاء بن أبي صفرة، المعروف بالسكري، أبو سعيد النحوي اللغوي، الراوية الثقة المكثر. مات في سنة خمس وسبعين ومائتين، ومولده في سنة اثنتي عشرة ومائتي. سمع يحيى بن معين، وأبا حاتم السجستاني، والعباس بن الفرج الرياشي، ومحمد بن حبيب، والحارث اب أبي أسامة، وأحمد بن الحارث الخزاز وخلقا سواهم. وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخي وكان ثقة صادقا يقرئ القرآن، وانتشر عنه من كتب الأدب ما لم ينتشر عن أحد من نظرائه. وكان إذا جمع جمعا فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة.

حدث أبو الكرم خميس بن علي الحوزي النحوي الحافظ الواسطي في أماليه، - وله في هذا الكتاب باب - قال: قدم أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري بغداد، فحضر مجلس أبي زكريا الفراء وهو يومئذ شيخ الناس بها، فأملى الفراء بابا في التصغير قال فيه: العرب تقول: هو الهن وتصغيره الهنى وتثنيته في الرفع الهنيان، وفي النصب والجر الهنيين، وأنشد عليه قول القتال الكلابي:

يا قاتل لله صلعانا تجئ بهم ... أم الهنيين من زند لها وارى

فأمسك أبو سعيد حتى إذا انقضى المجلس، ولم يبق فيه أحد سوى الفراء، تقدم أبو سعيد حتى جلس بين يديه وقال له: - أكرمك الله - أنا رجل غريب وقد مر شيء، أتأذن لي في ذكره؟ فقال اذكره. فقال: إنك قلت هو الهن، وتثنيته في الرفع الهنيان، وفي النصب والجر الهنيين، وهذا جميعه كما قلت، ثم أنشدت قول الكلابي:

يا قاتل الله صلعانا تجئ بهم ... أم الهنيين من زد لها وارى

وليس هكذا أنشدناه أشياخنا. قال الفراء: ومن أشياخك؟ قال: أبو عبيدة، وأبو زيد، والأصمعي. قال الفراء: وكيف أنشده أشياخك؟ فقال: زعموا أن الهنبر بوزن الخنصر: ولد الضبع. وأن القتال قال:

يا قاتل الله صلعانا تجئ بهم ... أم الهنيبر من زد لها وارى

على التصغير. ففكر الفراء ساعة وقال: - أحسن الله عن الإفادة **بحسن الأدب** جزاءك - .." [١]

"وعن زيد بن الحباب: سمعت سفيان النوري يقول بالكوفة: خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك، قال علي بن المدائني: لم يكن في موالي ابن عباس أغزر من عكرمة، كان عكرمة من أهل العلم.

---

(١) معجم الأدباء، ١/٣٣٤

وعن هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومي: سمعت ابن أبي ذئب يقول: كان عكرمة مولى ابن عباس ثقة. وقال المروزي: قلت لأحمد بن حنبل: تحتج بحديث عكرمة؟ فقال: نعم نحتج به. عثمان بن سعيد الدارمي: قلت ليحيى بن معين: فعكرمة أحب إليك عن ابن عباس أو عبيد الله عن عبد الله؟ فقال: كلاهما ولم يختر فقلت: وعكرمة أو سعيد بن جبير، فقال: ثقة وثقة ولم يختر، قال عثمان بن سعيد: عبيد الله أجل من عكرمة. قال: وسألته عن عكرمة بن خالد فقال: ثقة. قلت: هو أصح حديثا أو عكرمة مولى ابن عباس؟ فقال: كلاهما ثقتان، وقال يحيى بن معين: إذا رأيت إنسانا يقع في عكرمة وفي حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام. حماد بن زائد: حدثنا عثمان بن مرة: قلت للقاسم إن عكرمة مولى ابن عباس قال: حدثنا ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزفت والمقير والدباء والحنثم والحرار فقال: يا بن أخي إن عكرمة كذاب يحدث غدوة حديثا يخالفه عشيا. يحيى بن البكاء: سمعت ابن عمر يقول لنافع: اتق الله ويحك يا نافع، ولا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس، كما أحل الصرف وأسلم ابنه صيرفيا. يزيد بن زناد قال: دخلت على علي بن عبد الله ابن مسعود وعكرمة مقيد على باب الحش، قلت: ما لهذا كذا، قال: إنه يكذب.

علاقة بن كرسم الكلابي

أحد بني عامر بن كلاب، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان في أيام يزيد بن معاوية وله علم بالأنساب والأخبار وأحاديث العرب القديمة، وقد أخذ عنه من ذلك شئ كثير، وكان يزيد بن معاوية قد أدخله في سماره. مات ولم يعلم تاريخ وفاته. وله كتاب الأمثال في نحو خمسين ورقة، قال محمد بن إسحاق: رأيت هذا الكتاب.

علان الوراق الشعوبي

أخلي موضع اسم أبيه، ذكره محمد بن إسحاق فقال: أصله من الفرس وكان علامة بالأنساب والمثالب والمنافرات، منقطعا إلى البرامكة، وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة مات. قال: وعمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها، وكان قد عمل كتابا لم يتمه سماه الحلية انقرض أثره، قال: كذا قال ابن شاهين الأخباري، وله من الكتب: كتاب الميدان في المثالب يحتوي على جميع مثالب العرب ابتدأ ببني هاشم قبيلة بعد قبيلة على الترتيب إلى آخر قبائل اليمن على ترتيب كتاب ابن الكلبي، وله أيضا كتاب فضائل كنانة كتاب النمر بن قاسط، كتاب نسب تغلب بن وائل، كتاب فضائل ربيعة، كتاب المنافرة، وذكر محمد بن أبي الأزهر: كان في جوارنا بباب الشام فتى يعرف بالفيرزان وكان

يورق في دكان علان الشعوبي وأورد خبرا دل به على أن علانا كان وراقا له دكان يبيع فيه الكتب وينسخ، وحدث أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب من تصنيفه قال: كان بعض أصحاب أحمد بن أبي خالد الأحول قد وصف له علانا الشعوبي الوراق فأمر بإحضاره وبأن يستكتب له، فأقام في داره فدخلها أحمد بن أبي خالد يوما فقام إليه جميع من فيها غير علان الوراق فإنه لم يقم له؟ فقال أحمد: ما أسوأ أدب هذا الوراق فإنه لم يقم له. فقال أحمد: ما أسوأ أدب هذا الوراق وسمعه علان فقال: كيف أنسب أنا **إلى سوء الأدب** ومني تتعلم الآداب وأنا معدنها، ولماذا أردت مني القيام لك، ولم آتك مستميحا لك، ولا راغبا إليك، ولا طالبا منك وإنما رغبت إلي في أن آتيك فأكتب عندك فجئتك لحاجتي إلى ما آخذه من الأجرة، وقد كنت بغير هذا منك أولى، ثم حلف أيمانا مؤكدة ألا يكتب عد يومه حرفا في منزل أحد من خلق الله تعالى، وجدت في بعض الكتب قال علان – وكان قبيحا – : مررت بمخنث يغزل عى حائط فقال لي: من أين؟ قلت: من البصرة قال لا إله إلا الله، تيغر كل شئ حتى هذا، كانت القرود تجلب من كمة واليمن والآن تجئ من العراق.." (١)

"ألا أفيق ولا أفتر لحظة ... إن أنت لم تعشق فأنت حجاره

ألحب أول ما يكون بنظرة ... وكذا الحريق بداؤه بشراره

يا من أحب ولا أسمى باسمها ... إياك أعنى فاسمعي يا جاره

فلما وفيت الشعر ورويت الإسناد وريقي بليل ولساني طلق ووجهي متهلل، وقد تكلفت هذا وأنا في بقية من غرب الشباب وبعض ريعانه، وملأت الدار صياحا بالرواية والقافية، فحين انتهيت أنكرت طرفه، وعلمت سوء موقع ما رويت عنده، قال: ومن تعرف أيضا، قلت ابن الجعابي الحافظ، يكنى بأبي حيان، رجل صدق وهو يروي عن التابعين. قال: ومن تعرف أيضا؟ قلت: روى الصولي فيما حدثنا عنه المرزباني أن معاوية لما احتضر أنشد يزيد عند رأسه متمثلا:

لو أن حيا نجا لفات أبو ... حيان لا عاجز ولا وكل

الحول القلب الأريب وهل ... يدفع صرف المنية الحيل؟

قال الصولي: وهذا كان من المعمرين المغفلين، وانتهى الحديث من غير هشاشة ولا هزة ولا أريحية، بل على اكفهرار وجه ونبو طرف وقلة تقبل، وجرت أشياء أخر كان عقباها أني فارقت بابه سنة سبعين وثلاثمائة راجعا إلى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة، ولم يعطني في مدة ثلاث سنين درهما واحدا ولا ما قيمته درهم

---

(١) معجم الأدباء، ٢/٢٠

واحد، احمل هذا على ما أردت، ولما نال مني هذا الحرمان الذي قصدني به وأحفظني عليه، وجعلني من جميع غاشيته فردا أخذت أملي في ذلك بصدق القول عنه وسوء الثناء عليه، والبادئ أظلم، وللأمور أسباب، والأسباب أسرار، والغيب لا يطلع عليه ولا قارع لبابه.

قال أبو حيان: قال لي الصاحب يوما – وهو يحدث عن رجل أعطاه شيئا فتلكأ في قبوله – : ولا بد من شيء يعين على الدهر ثم قال: سألت جماعة عن صدر هذا البيت فما كان عندهم ذلك. فقلت: أنا أحفظ ذاك، فنظر بغضب فقال: ما هو؟ قلت: نسيت، فقال: ما أسرع ذكرك من نسيانك! قلت: ذكرته والحال سليمة، فلما استحالت عن السلامة نسيت. قال: وما حيلولتها؟ قلت: نظر الصاحب بغضب فوجب في **حسن الأدب** ألا يقال ما يثير الغضب. قال: ومن تكون حتى نغضب عليك؟ دع هذا وهات، قلت قول الشاعر:

ألام على أخذ القليل وإنما ... أصادف أقواما أقل من الذر

فإن أنا لم آخذ قليلا حرمته ... ولا بد من شيء يعين على الدهر." (١)

"وقيل: الفتح بن خاقان بن غرطوج، كذا قال المرزباني في كتاب المعجم، قال محمد بن إسحق النديم: كان في نهاية الذكاء والفطنة **وحسن الأدب** وكان من أولاد الملوك، واتخذه المتوكل أخا وكان يقدمه على جميع أولاده. قتل مع المتوكل ليلة قتل بالسيوف لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين بالمتوكلية، وكانت له خزانة كتب جمعها له علي بن يحيى المنجم لم ير أعظم منها كثرة وحسنا. وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين. قال أبو هفان: ثلاثة لم أر قط ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم من الجاحظ، والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن إسحاق القاضي.

قال المؤلف: وباقي القصة في أخبار الجاحظ فكرهت التكرار. وللفتح من التصانيف: كتاب البستان صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه، ويلقب برأس البغل ونسبه إليه، كتاب الصيد والجوارح. وذكره أبو القاسم في تاريخ الشام فقال: الفتح بن خاقان بن غرطوج التركي أبو محمد قدم الشام مع المتوكل معادله على جمازة، ثم نزل بالمزة فلما رحل المتوكل عن دمشق استخلف بها كلباتكين التركي. وكان على خاتم المتوكل وقتل معه. روى عنه أبو زكريا يحيى بن حكيم الأسلمي شيئا من شعره وأبو العباس المبرد، وأحمد بن يزيد المؤدب، فلم يذكره الخطيب في تاريخه. وعن محمد بن القاسم قال: دخل المعتصم يوما إلى خاقان بن غرطوج يعوده فرأى الفتح بن خاقان ابنه وهو صبي لم يتغد فمازحه ثم قال: أيما أحسن داري أم داركم؟

---

(١) معجم الأدباء، ٢/١٤٨

فقال الفتح بن خاقان: يا سيدي دارنا إذا كنت فيها أحسن، فقال المعتصم: لا أبرح والله حتى أنثر عليه مائة ألف درهم وفعل ذلك. وعن أبي العباس المبرد قال: أنشد الفتح بن خاقان:

لست مني ولست منك فدعني ... وامض عني مصاحبا بسلام

وإذ ما شكوت ما بي قالت ... قد رأينا خلاف ذا في المنام

فزاد الفتح بن خاقان:

لم تجد علة تجنى بها الذن ... ب فصارت تعتل بالأحلام

قال المبرد وسمعت الفتح ينشد قبل أن يقتل بساعات هذا البيت وهو:

وقد يقتل الغتمي مولاه غيلة ... وقد ينبح الكلب الفتى وهو غافل

وكان الفتح يتعشق خادما للمتوكل اسمه شاهك، وله فيه أشعار منها:

أشاهك، ليلي مذ هجرت طويل ... وعيني دما بعد الدموع تسيل

وبي منك والرحمن ما لا أطيقه ... وليس إلى شكوى إليك سبيل

أشاهك لو يجزى المحب بوده ... جزيت ولكن الوفاء قليل

قال ابن حمدون: كان الفتح بن خاقان يأنس بي ويطلعني على الخاص من سره، فقال لي مرة: شعرت يا أبا عبد الله، إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين، فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة يعني جاريته فلم أتمالك أن قبلتها، فوجدت ما بين شفتيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا، فكان هذا من مستحسن كلام الفتح، فكأن الوأواء الدمشقي سمع هذا حين قال:

سقى الله ليلا طاب إذ زار طيفه ... فأفنيته حتى الصباح عناقا

يطيب نسيم منه يستجلب الكرى ... ولو رقد المخمور فيه أفاقا

تملكني لما تملك مهجتي ... وفارقني لما أمنت فراقا

ووجدت في بعض المجاميع للفتح بن خاقان يصف الورد:

أما ترى الورد يدعو الشاربين إلى ... حمراء صافية في لونها صنب

مداهن من يواقيت مركبة ... على الزمرد في أجفانها ذهب

خاف الملال إذا طالت إقامته ... فصار يظهر أحيانا ويحتجب

كان أديبا فاضلا، زكي النفس حسن العشرة، لطيف الأخلاق، متوددا محببا إلى كل من يكلمه، وكان غاية في الجود، وكان قد تنزل من المتوكل بمنزلة الروح من الجسد، وكان خدم قبله المعتصم والواثق. فذكر أبو

العيناء قال: قال الفتح بن خاقان: غضب علي المعتصم ثم رضي عني وقال لي: ارفع حوائجك لتقضى، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس شيء من عرض الدنيا وإن جل، يفي برضا أمير المؤمنين وإن قل. قال: فأمر فحشي فمي جوهرا.." (١)

"قال أبو بكر بن كامل: ورأيته عنده في ستة أجزاء وقال أبو العباس بن المغيرة الثلاج: لما اعتل ابني أبو الفرج وكان **حسن الأدب** ويتفقه على مذهب أبي جعفر. قال لي أبو جعفر تقبل مني ما أصفه لك؟ فقلت نعم، وكنت أتبرك بقوله ورأيه. قال: احلق رأسه واعمل له جواذابة سمينة من رقاق وأكثر دسمها وقدمها إليه وأطعمه منها حتى يمتلئ شبعا ثم خذ ما بقي فاطرحه على دماغه، واحرص أن ينام على حاله تلك فإنه يصلح إن شاء الله تعالى ففعلت فكان سبب برئه. وأبو الفرج هذا مات قبل أبي جعفر بمديدة، وكان أبو الفرج هذا يتعسف في كلامه. تجاوروا يوما عند أبي جعفر فذكر الطبيخ فقال أبو الفرج: لكني أكلت طباهقة. قال أبو جعفر: وما الطباهقة؟ قال: الطباهقة: ألا ترى أن العرب تعمل الجيم قافا. قال أبو جعفر: فأنت إذا أبو الفرق بن الثلاق، فصار يعرف بأبي الفرق بن الثلاق ويمزح معه بذلك.

وكان أبو بكر بن الجواليقي يأخذ لسانه بالإعراب ويكثر الإشارات فيه إلى حد البغض، فأخذ يوما في ذلك فقال أبو جعفر: أنت بغيض فسمي بغيض الطبري. قال: ورأيت أنا هذا الإنسان يوما وقد ورد على باب الطاق وكان مهاجرا لبعض الوراقين فوقف علينا فسلم ثم أعتذر من وقوفه بالمكان لأجل الوراق فقال: لولا من ما كنت بالذي، يعني لولا من ههنا ما كنت لأقف على حانوتك، وكان بأبي جعفر ذات الجنب تعتاده وتنتقض عليه، فوجه إليه علي بن عيسى طبيبا فسأل الطبيب أبا جعفر عن حاله، فعرفه حاله وما استعمل وأخذه لعلته وما انتهى إليه في يومه ذاك وما كان رسمه أن يعالج به وما عزم على أخذه من العلاج. فقال له الطبيب: ما عندي فوق ما وصفته لنفسك شيء، والله لو كنت في ملتنا لعددت من الحواريين – وفقك الله – ، ثم جاء إلى علي بن عيسى فعرفه ذلك فأعجبه. قلت: أكثر هذه الأخبار عن عبد العزيز بن محمد الطبري من كتاب له أفرده في سيرة أبي جعفر، ومن كتاب لأبي بكر بن كامل في أخباره والله ولي الخير.

قال أبو علي الأهوازي: مات ببغداد في سنة عشر وثلاثمائة، وكذا وجدته بخط أبي سليمان بن يزيد مكتوبا، ورأيت أيضا من يقول: إنه مات في سنة إحدى عشرة وست عشرة والله أعلم وأحكم، وهذه السنون كلها في أيام المقتدر بالله.

---

(١) معجم الأدباء، ٢/٢٤٢

محمد بن جعفر الصيدلاني

كان صهر أبي العباس المبرد على ابنته ويلقب برمة، وكان أديبا شاعرا، روى عن أبي هفان الشاعر أخباراً وحدث عنه أبو الفرج الأصفهاني وغيره، وأنشد الخطيب في تاريخه لمحمد بن جعفر الصيدلاني:

أما ترى الروض قد لاحت زخارفه ... ونشرت في رباه الريط والحلل

واعتم بالأرجوان النبت منه فما ... يبدو لنا منه إلا مونق خضل

والنرجس الغض يرنو من محاجره ... إلى الورى مقل تحيا بها المقل

تبر حواه لجين فوق أعمدة ... من الزمرد فيها الزهر مكتهل

فعج بنا نصطلح يا صاح صافية ... صهباء في كأسها من لمعها شعل

فقد تجلت لنا عن حسن بهجتها ... رياض قطربل واللهو مشتمل

وعندنا شادن شدت قراطقه ... على نقا وقضيب فهو معتدل

يدور بالكأس بين الشرب آونة ... ما دام للشرب منه العل والنهل

وقينة إن تشأ غنتك من طرب ... ودع هريرة إن الركب مرتحل

وإن أشرت إلى صوت تكرره ... إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

ليست بمظهرة تيها ولا صلفا ... وليس يغضبها التجميش والقبل

فنحن في تحف منها وفي غزل ... مما يغازلنا طرف لها غزل

محمد بن جعفر بن ثوابة الكاتب." (١)

"وقيل ابن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء أبو عبد الله المعروف بأبي العيناء، الأخباري الأديب الشاعر، روي عن ابن عاصم النبيل، وسمع من الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والعتبي غيرهم، وحدث عنه الصولي ابن نجيح وأحمد بن كامل وآخرون، وكان فصيحا بليغا من ظرفاء العالم آية في الذكاء واللسن وسرعة الجواب، فمن لطائفه: أنه شكا تأخر أرزاقه إلى عبيد الله بن سليمان فقال له: ألم نكن كتبنا لك إلى ابن المدبر فما فعل في أمرك؟ قال جرني على شوك المطل، وحرمني ثمرة الوعد، فقال: أنت اخترته. فقال: وما علي وقد اختار موسى قومه سبعين رجلا فما كان منهم رشيد، فأخذتهم الرجفة، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتبا فلحق بالمشركين مرتدا، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري حكما فحكم عليه. وحجبه بعض الأمراء ثم كتب إليه يعتذر منه فقال: تجبهني مشافهة

---

(١) معجم الأدباء، ٣٧٧/٢

وتعتذر إلى مكاتبة؟. وقال: أخجلني ابن صغير لعبد الرحمن بن خاقان قلت له: وددت أن لي ابنا مثلك قال: هذا بيدك، قلت: كيف ذلك؟ قال: تحمل أبي على امرأتك فتلد لك ابنا مثلي. وبلغه أن المتوكل قال: لولا أنه ضرير لنادمناه فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلة وقراءة نقش الفصوص صلحت للمنادمة. ودخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له: ما تقول في دارنا هذه؟ فقال: إن الناس بنوا الدور في الدنيا، وأنت بنيت الدنيا في دارك، فاستحسن كلامه ثم قال له: كيف شربك للخمر؟ قال: أعجز عن قليله، وأفتضح عند كثيره. فقال له: دع هذا عنك ونادمنا فقال: أنا رجل مكفوف وكل من في مجلسك يخدمك وأنا محتاج أن أخدم، ولست آمن من أن تنظر إلي بعين راض وقلبك علي غضبان، أو بعين غضبان وقلبك راض، ومتى لم أميز بين هذين هلكت، فأختار العافية على التعرض للبلاء. فقال: بلغني عنك بذاء في لسانك، فقال: يا أمير المؤمنين، قد مدح الله تعالى وذم فقال: (نعم العبد أنه أواب)، وقال عز وجل: (هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم). وقال الشاعر:

إذا أنا المعروف لم أثن صادقا ... ولم أشتم النكس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه؟ ... وشق لي الله المسامع والفما؟

قال: فمن أين أنت؟ قال من البصرة: قال: فما تقول فيها؟ قال: ماؤها أجاج، وحرها عذاب، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم. قرأت في تاريخ دمشق قال: قرأت على زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت عبد العزيز بن عبد الملك الأموي يقول: سمعت إسماعيل بن محمد النحوي يقول: سمعت أبا العيناء يقول: أنا والحافظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ في بغداد فقبلوه إلا ابن شيبة العلوي قال: لا يشبه آخر هذا الحديث أوله فأبي أن يقبله، وكان أبو العيناء يحدث بهذا بعد ما كان، وكان جد أبي العيناء الأكبر يلقى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأساء المخاطبة بينه وبينه، فدعا عليه بالعمى له ولولده من بعده، فكل من عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم.

وقال المبرد: إنما صار أبو العيناء أعمى بعد أن نيف على الأربعين، وخرج من البصرة واعتلت عيناه فرمى فيهما بما رمى، والدليل على ذلك قول أبي البصير:

قد كنت خفت يد الزما ... ن عليك إذ ذهب البصر

ولم ادر أنك بالعمى ... تغنى ويفتقر البشر

وقال أحمد بن أبي دؤاد لأبي العيناء: ما اشد ما أصابك في ذهاب بصرك؟ قال أبدأ بالسلام، وكنت أحب

أن أكون أنا المبتدئ، وأحدث من لا يقبل على حديثي ولو رأيته لم أقبل عليه. فقال له ابن أبي دؤاد: أما من بدأك بالسلام فقد كافأته بجميل بيتك له، ومن أعرض عن حديثك إنما أكسب نفسه **من سوء الأدب** أكثر مما نالك من سوء الإعراض. وقال محمد بن خلف المرزبان: قال لي أبو العيناء: أتعرف في شعراء المحدثين رشيدا الرياحي؟ قال: فقلت لا. قال: بل هو القائل في:

نسب لابن قاسم ما تراث ... فهو للخير صاحب وقرين

أحول الهين والخلائق زين ... لا احولال بها ولا تلوين

ليس للمرء شائنا حول العي ... ن إذا كان فعله لا يشين." (١)

"– رفعك الله – عن طبقتهم، فإن الأمر كما قال أفلاطون: الفضائل مرة الورد حلوة الصدر، و الرذائل حلوة الورد مرة الصدر، و قد زاد أرسطاطاليس في هذا المعنى فقال: إن الرذائل لاتكون حلوة الورود عند ذي فطرة سليمة بل يؤذيه تصور قبحها إذا يفسد عليه مايستلذ من غيرها بها، وكذلك يكون صاحب الطبع السليم قادرا على معرفة ما يتوخى وما يتجنب، كالتام الصحة يكفي حسه تعريفه النافع والضار، فلا ترضى لنفسك – حفظك الله – إلا بما تعلم أنه يناسب طبقة أمثالك، واغلب خطرات الهوى بعزائم الرجال الراشدين، وامح بنفسك إلى المعالي بإطاعة عقلك فإنك تسر بنفسك، وتراها في كل يوم مع الاعتماد على ذلك في رتبة علية، ومرقاة من سمو في السعادة إن شاء الله تعالى. ومن شعر أمين الدولة قوله:

لو كان يحسن غصن البان مشيتها ... تأودا لحكاها غير محتشم

في صدرها كوكبا نور أقلهما ... ركنان مالمسا من كف مستلم

صانتهما في حرير من غلائلها ... فتلك في الحل والركنان في الحرم

وقال:

أبصره عاذلي عليه ... ولم يكن قبل ذا رآه

فقال لو عشقت هذا ... مالامك الناس في هواه

قل لي إلى من عدلت عنه ... وليس أهل الهوى سواه

فظل من حيث ليس يدري ... يأمر بالعشق من نهاه

وقال:

لاتعجبوا من حنين قلبي ... إليهم واعذروا غرامي

---

(١) معجم الأدباء، ٤٢٢/٢

فالقوس مع كونها جمادا ... تئن من فرقة السهام

وقال:

لولا حجاب أمام النفس يمنعها ... عن الحقيقة عما كان في الأزل

لأدركت كل شيء عز مطلبه ... حتى الحقيقة في المعلول والعلل

وقال:

ألعلم للرجل اللبيب زيادة ... ونقيصة للأحمق الطياش

مثل النهار يزيد أبصار الورى ... نورا ويعمى مقلة الخفاش

هبة الله بن علي بن محمد

بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله ابن أبي الحسن بن عبد الله الأمين بن عبد الله بن الحسن ابن جعفر بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو السعادات المعروف بابن الشجري البغدادي، نسب إلى بيت الشجري من قبل أمه، كان أوحد زمانه وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، متضلعا من الأدب كامل الفضل، قرأ على ابن فضال المجاشعي والخطيب أبي زكريا التبريزي وسعيد بن علي السلالي وأبي معمر ابن طبا طبا العلوي، وسمع الحديث من أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي، وأبي علي محمد بن سعيد الكاتب وغيرهما. وأقرأ النحو سبعين سنة، وأخذ عنه تاج الدين الكندي وخلق. وكان نقيب الطالبيين بالكرخ نيابة عن الطاهر، وكان ذا سمت حسن وقور لايكاد يتكلم في مجلسه بكلمة إلا تتضمن أدب نفس أو أدب درس، وصنف الأمالي وهو أكبر تصانيفه وأمتعها، أملاه في أربعة وثمانين مجلسا، والانتصار على ابن الخشاب رد فيه عليه ما انتقده من الأمالي، وكتاب الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام، وشرح التصريف الملوكي، وشرح اللمع لابن جني النحوي، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه وغير ذلك.

توفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة. ومن شعره:

لاتمزحن فإن مزحت فلا يكن ... مزحا تضاف به إلى سوء الأدب

واحذر ممازحة تعود عداوة ... إن المزاح على مقدمة الغضب

وقال:

هل الوجد خاف والدموع شهود ... وهل مكذب قول الوشاة جحود؟

وحتى متى تفنى شئونك بالبكا ... وقد حد حدا للبكاء لبيد

وإني وإن لانت قناتي لضعفها ... لذو مرة في النائبات شديد

وقال:

وتجنب الظلم الذي هلكت به ... أمم تود لو أنها لم تظلم

إياك والدنيا الدنية إنها ... دار إذا سالمتها لم تسلم

هبة الله بن علي بن عرام

أبو محمد الربعي الأسواني، كان أديبا فاضلا وشاعرا مجيدا، وكان من خواص الوزير رضوان وجلسائه، ومدحه بعدة قصائد، وله ديوان شعر جمعه بنفسه ونقحه وهذبه ورتبه علي الحروف وهو في مجلد لطيف، مات سنة خمسين وخمسمائة ومن شعره:." (١)

"وسئل بأي شيء يعرف العبد بأن نفسه اختارت الفقر على الغنى فقال: إذا صار يخاف من حصول الغنى كما كان يخاف من حصول الفقر فقد اختار الفقر. وسئل ما علامة صدق الزاهد فقال: أن يصير يفرح بكل شيء فاته من الدنيا، ويغتم لكل شيء حصل له منها، وكان يقول: مثل المؤمن كمثل الرجل غرس نخلة وهو يخاف أن تحمل شوكا، ومثل المنافق كمثل رجل غرس شوكا وهو يطمع أن يحصده رطبا هيهات، وكان يقول: لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة فقال لي: اجتمعت بالخضر عليه السلام فقدم لي قدحا أخضر فيه رائحة السكباج فقال لي: كل يا إبراهيم فرددته عليه فقال: إني سمعت الملائكة تقول من أعطى فلم يأخذ، سأل فلا يعطي، وكان رضي الله عنه يقول: إذا كان العالم طامعا، وللمال جامعا فبمن يقتدي الجاهل، وإذا كان الفقير المشهور بالفقر راغبا في الدنيا، والتنعم بملابسها ومناكحها فبمن يقتدي الراغب حتى يخرج عن رغبته. وإذا كان الراعي هو الذئب فمن يرعى الغنم رضي الله عنه.

ومنهم أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي

رضي الله تعالى عنه

مات سنة إحدى وستين ومائتين ومن كلامه رضي الله عنه مددت ليلة رجلي في محرابي فهتف بي هاتف من يجالس الملوك ينبغي له أن يجالسهم **بحسن الأدب**، وكان رضي الله عنه يقول: اختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد، ولقد عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا أشق على العبد من العلم ومتابعته. وكان رضي الله عنه يقول: عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله، وكان يقول: خلع الله على العبيد النعم ليرجعوا بها إليه فاشتغلوا بها عنه، وكان يقول إلهي إنك خلقت هؤلاء الخلق بغير علمهم،

---

(١) معجم الأدباء، ٩٢٤/٢

وقلدتهم أمانة بغير إرادتهم فإن لم تعنهم فمن يعنهم؟ وسئل رضي الله عنه عن السنة والفريضة فقال: السنة ترك الدنيا بأسرها، والفريضة الصحبة مع الله تعالى، وذلك لأن السنة كلها تدل على ترك الدنيا، والكتاب كله يدل على صحبة المولى لأن كلامه صفة من صفاته تعالى، والنعم أزلية فيجب أن يكون لها شكر أزلي.

وكان يقول رأيت رب العزة في النوم فقلت يا رب كيف أجدك فقال فارق نفسك وتعال إلي.

وسئل رضي الله عنه ما صفة العارف فقال صفة أهل النار لا يموت فيها ولا يحيا وقيل له: متى يكون الرجل متواضعا، فقال: إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه. وكان يقول رضي الله عنه: إن أولياء الله تعالى مخدرون عنده في جنان الأنس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة، وكان يقول: حظوظ كرامات الأولياء على اختلافها تكون من أربعة أسماء الأول والآخر والظاهر والباطن، وكل فريق له منها اسم فمن فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام فأصحاب اسمه الظاهر يلاحظون عجائب قدرته، وأصحاب اسمه الباطن يلاحظون ما يجري في السرائر وأصحاب اسمه الأول شغلهم بما سبق، وأصحاب اسمه الآخر متربصون بما يستقبلهم. فكل يكاشف على قدر طاقته إلا من تولى الحق تعالى تدبيره، وكان رضي الله عنه يقول: إذا سئل عن المعرفة: للخلق أحوال ولا حال لعارف لأنه محيت رسومه، وفنيت هويته لهوية غيره وعييت آثاره لآثار غيره فالعارف طيار والزاهد سيار.

وكتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد إنني سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب إليه أبو يزيد رضي الله عنه غيرك شرب من بحور السماوات والأرض، وما روي بعد، ولسانه خارج يقول هل من مزيد.

ودخل إبراهيم بن شيبة الهروي يوما على أبي يزيد فقال له: أبو يزيد وقع في خاطري أني أشفع لك إلى ربي عز وجل فقال: يا أبا يزيد لو شفعك الله في جميع المخلوقين لم يكن ذلك كثيرا، إنما هم قطعة طين فتحير أبو يزيد من جوابه ودخل على أبي يزيد عالم بلده وفقيهها يوما فقال: يا أبا يزيد علمك هذا عمن وممن ومن أين؟ فقال أبو يزيد علمي من عطاء الله وعن الله ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم " فسكت الفقيه. وسئل أبو علي الجوزجاني رضي الله عنه عن الألفاظ التي تحكي عن أبي يزيد فقال رحمه الله أبو يزيد نسلم له حاله ولعله بها تكلم على حد غلبة أو حال سكر ومن أراد أن يرتقي إلى مقام أبي يزيد فليجاهد نفسه كما جاهد أبو يزيد فهناك يفهم كلام أبي يزيد والله تعالى أعلم.

ومنهم أبو محمد سهل بن عبد الله

رحمه الله." (١)

"وسئل رضي الله عنه عن الفرق بين الصوفية، والمتصوفة فقال: الصوفي من اختاره الله لنفسه فصافاه من غير تكلف، والمتصوف هو المتكلف بنفسه المظهر لزهده مع كون رغبته في الدنيا، وتربية بشريته، وكان يقول: لا تخاصم نفسك فإنها ليست لك دعها لمالكها يفعل بها ما يريد، وكان يقول: ليس من الأدب أن تسأل رفيقك إلى أين؟ أو في أيش؟ وكان رضي الله عنه يقول: من لم يجعل قبلته على حقيقه ربه فسدت صلاته، وكان يقول: رؤي مجنون بني عامر في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال: غفر لي، وجعلني حجة على المحبين.

وكان رضي الله عنه يقول: من أقبل على الآخرة وركن إليها أحرقته بنورها، وصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله أحرقه بنور التوحيد، وصار جوهرا لا قيمة له، وقيل له مرة ما هي الدنيا؟ فقال رضي الله عنه ما دنا من القلب، وشغل عن الحق.

رضي الله عنه.

ومنهم أبو بكر الطمستاني

رضي الله تعالى عنه ورحمه

كان من أجل المشايخ، وأعلاهم حالا منفردا بحاله، ووقته لا يشاركه أحد فيه من أبناء جنسه، ولا يدانيه، وكان الشبلي رضي الله عنه يقول به، ويجله، ويكرمه، صحب إبراهيم الفارسي، وغيره من مشايخ الفرس، وكانوا جميعا يحترمونه.

ورد نيسابور، ومات بها سنة أربعين وثلاثمائة، وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه جالسوا الله كثيرا، وجالسوا الناس قليلا، يريد بذلك العزلة، وكان يقول: خير الناس من رأى الحق في غيره، وعلم أن السبيل إلى الله غير السبيل الذي عليه هو ولو ارتفع في المرتبة، وذلك ليرى تقصير نفسه عما كلف به، وكان رضي الله عنه يقول: من اتبع الكتاب، والسنة، وهاجر إلى الله بقلبه، واتبع آثار الصحابة لم تسبقه الصحابة إلا بكونهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رضي الله عنه يقول: اليقظة لأهل اليقظة لعمارة الآخرة كما أن الغفلة لأهل الغفلة لعمارة الدنيا.

قلت: هذا إذا لم يقصد المحترف بحرفته نفع العباد واقتصر على جمع الدنيا فقط فإذا نوى بحرفته نفع

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/٧٥

العباد فقد عمر الدنيا، والآخرة، والله أعلم.
وكان رضي الله عنه يقول: كل من استعمل الصدق بينه، وبين الله تعالى شغله صدقه مع الله عن الفراغ إلى خلق الله قلت: وكان شيخنا الشيخ محمد بن عنان رضي الله عنه من أهل هذا المقام فكان لا يقدر أن يرد على أحد كلاما أبدا رضي الله تعالى عنه.
وكان يقول: ماذا أصنع، والكون كله عدو لي، وكان يقول: الوصل بلا فصل فإذا جاء الفصل فلا وصل، وكان يقول: النفس كالنار إذا طفئت في موضع تأججت في موضع كذلك النفس إذا هذبت من جانب تأثرت من جانب، وكان رضي الله عنه يقول: إن لم تقدروا على أن تصحبوا الله بالأدب فاصحبوا من يصحبه لتوصلكم بركات صحبته إلى صحبة الله رضي الله عنه.
ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري
رحمه الله تعالى آمين
صحب يوسف ين الحسين، وعبد الله بن الخراز، وأبا محمد الجريري، وأبا العباس بن عطاء، ولقي رويما وورد نيسابور، إلى سمرقند، ومات بها بعد الأربعين والثلاثمائة، وكان رضي الله عنه يقول: العلماء متفاوتون في ترتيب مشاهدات الأشياء فقوم رجعوا من الأشياء إلى الله فشاهدوا الأشياء حيث الأشياء ثم رجعوا عنها إلى الله، وقوم رجعوا من الله إلى الأشياء من غير غيبتهم عنه فلم يروا شيئا إلا ورأوا الحق قبله، وقوم بقوا مع الأشياء لأنهم لم يكن لهم طريق منهم إلى الله، وكان يقول عن أهل زمانه نقضوا أركان التصوف، وهدموا سبيلها، وغيروا معانيها بأسام أحدثوها سموا الطمع زيادة، وسوء الأدب إخلاصا، والخروج عن الحق شطحا، والتلذذ بالمذموم طيبة، واتباع الهوى ابتلاء، والرجوع إلى الدنيا، وصولا، وسوء الخلق صولة، والبخل حلاوة، والسؤال عملا، وبذاءة اللسان سلامة، وما كان هكذا طريق القوم إنما درجوا على الحياء، والأدب، والزهد في الحظوظ.
رضي الله عنهم أجمعين.
ومنهم أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي
رضي الله تعالى عنه." (١)
"وكان رضي الله عنه يقول: يجب على المريد أن لا يتكلم قط إلا بدستور شيخه إن كان جسمه حاضرا، وإن كان غائبا يستأذنه بالقلب، وذلك حتى يترقى إلى الوصول إلى هذا المقام، في حق ربه عز

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/١٢١

وجل، فإن الشيخ إذا رأى المريد يراعيه هذه المراعاة رباه بلطيف الشراب، وأسقاه من ماء التربية، ولاحظه بالسر المعنوي الإلهي فيا سعادة من **أحسن الأدب** مع مربيه، ويا شقاوة من أساء، وكان رضي الله عنه يقول: من عامل الله تعالى بالسرائر جعله على الأسرة، والحضائر، ومن خلص نظره من الاعتكاس سلم من الالتباس وكان رضي الله عنه يقول: من غاب بقلبه في حضرة ربه لا يكلف في غيبته فإذا خرج إلى عالم الشهادة قضى ما فاته، وهذا حال المبتدئين أما حال الكمل فلا يجري عليهم هذا الحكم بل يردون لأداء فرضهم، وسننهم، وكان رضي الله عنه يقول: من لم يكن متشرعا بتحققا نظيفا عفيفا شريفا فليس من أولادي، ولو كان ابني لصلبي، وكل من كان من المريدين ملازما للشريعة والحقيقة، والطريقة، والديانة، والصيانة، والزهد، والورع، وقلة الطمع فهو، ولدي، وإن كان من أقصى البلاد. وقيل له مرة ما تريد؟ فقال: أريد ما أراد الله عز وجل، وكان رضي الله عنه يقول: ما كل من وقف يعرف لذة الوقوف، ولا كل من خدم يعرف آداب الخدمة، ولذلك قطع بكثير من الناس مع شدة اجتهادهم، وكان رضي الله عنه يقول: سألتكم بالله يا أولادي أن تكونوا خائفين من الله تعالى فإنكم غنم السكين، وكباش الفناء، وخرفان العلف يا من تنور شواهم قد أوهج، ويا من السكين لهم تحد، وتجذب: " قوا أنفسكم وأهليكم نارا " " التحريم: ٦ " ، وكان رضي الله عنه يقول: لا يكمل الفقير حتى يكون محبا لجميع الناس مشفقا عليهم ساترا لعوراتهم فإن ادعى الكمال، وهو على خلاف ما ذكرناه فهو كاذب، وكان يقول: لا تنكروا على فقير حاله، ولا لباسه، ولا طعامه، ولا على أي حال كان، ولا على أي ثوب يلبس ولا إنكار على أحد إلا إن ارتكب محظورا صرحت به الشريعة، وذلك أن الإنكار يورث الوحشة والوحشة سبب لانقطاع العبد عن ربه عز وجل، فإن الناس خاص وخاص الخاص، ومبتدي، ومنته، ومتشبه، ومتحقق، ويرحم الله تعالى البعض بالبعض، والقوي ما يقدر أن يمشي مع الضعيف وعكسه والفقراء غيث، وهو سيف فإذا ضحك الفقير في وجه أحدكم فاحذروه، ولا تخالطوه إلا بالأدب، وكان رضي الله عنه يقول: الشريعة أصل، والحقيقة فرع فالشريعة جامعة لكل علم مشروع، والحقيقة جامعة لكل علم خفي، وجميع المقامات مندرجة فيهما.

وكان رضي الله عنه يقول: يجب على المريد أن يأخذ من العلم ما يجب عليه في تأديته فرضه، ونفله، ولا يشتغل بالفصاحة، والبلاغة فإن ذلك شغل له عن مراده بل يفحص عن آثار الصالحين في العمل، ويواظب على الذكر، وكان يقول: الرجال منهم رجل، وبصف رجل، وربع رجل، ورجل كامل، وبالغ، ومدرك، وواصل، وكان رضي الله عنه يقول: توبة الخواص محو لكل ما سوى الله تعالى ولا يتطلعون إلى عمل، ولا قول يتوبون عن أن يختلج في أسرارهم أن لي أو يتوهمون أن علي، ويخشون من قول أنا فهم يراعون الخطرات،

وكان يقول: يا مريدي اجمع همة العزم، وقوة شدة الحزم لتعرف الطريق ، لإدراك لا بالوصف فأي مقام، وقفت فيه حجبك بل ارفض كل ما يحجبك عن مولاك فإن كل ما دون الله تعالى باطل، وكأن رضي الله عنه يقول: الأعراض تورث الأعراض، وكان يقول: دعني يا ولدي من البطالات، وتجرد من قالبك إلى قلبك، وكان رضي الله عنه يقول: احذر يا أخي أن تدعي أن لك معاملة خالصة أو حالا، واعلم أنك إن صمت فهو الذي صومك، وإن قمت فهو الذي أقامك، وإن عملت فهو الذي استعملك، وإن رأيت فهو الذي أراك، وإن شربت شراب القوم فهو الذي أسقاك، وإن اتقيت فهو الذي وقاك، وإن ارتفعت فهو الذي رقى منزلتك، وإن نلت فهو الذي نولك، وليس لك فـي الوسط شيء إلا أن تعترف بأنك عاص مالك حسنة، واحدة، وهو صحيح من أين لك حسنة، وهو الذي أحسن إليك، وهو الحاكم فيك إن شاء قبلك، وإن شاء ردك، وكان رضي الله عنه يقول: ولد القلب خير من ولد الصلب، فولد الصلب له إرث الظاهر من الميراث وولد القلب له إرث الباطن من السر.." (١)

"وخوف الناس، وكان يقول أصدق الأقوال عند الله تعالى قول لا إله إلا الله على النظافة، وأدل الأعمال على محبته تعالى لك بغض الدنيا، واليأس من أهلها على الموافقة وكان يقول لا تسرف بترك الدنيا فيغشاك ظلمتها، وتنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة، وكان رضي الله عنه يقول: لا تقوى لمحب الدنيا إنما التقوى لمن أعرض عنها. وكان يقول إذا توجهت لشيء من عمل الدنيا، والآخرة فقل: يا قوي يا عزيز يا عليم يا قدير يا سميع يا بصير، وكان يقول إذا ورد عليك مزيد من الدنيا والآخرة فقل " حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله، ورسوله إنا إلى الله راغبون " ، وكان يقول خصلة واحدة إذا فعلها العبد صار إمام الناس من أهل عصره، وهي الإعراض عن الدنيا، واحتمال الأذى من أهلها، وكان يقول: إذا تداين أحدكم فليتوجه بقلبه إلى الله تعالى، ويتداين على الله تعالى فإن كل ما تداينه العبد على الله تعالى فعلى الله أداؤه، وكان يقول إن عارضك عارض من معلوم هو لك فاهرب إلى الله منه هروبك من النار، وهذه من غرائب علوم المعرفة في علوم المعاملة، وكان رضي الله عنه يقول: إذا تداين اللهم عليك تداينت وعليك توكلت، وإليك أمري فوضت، وكان يقول: خصلة واحدة تحبط الأعمال، ولا يتنبه لها كثير من الناس وهي سخط العبد على قضاء الله تعالى قال تعالى: " ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم " " محمد: ٩ " ، وكان يقول لا يترك منازعة الناس في الدنيا إلا المؤمن بالقسمة، وكان يقول رأيت في النوم صائحا يصيح في جو السماء إنما تساق لرزقك أو لأجلك أو

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/١٧٠

لما يقضي الله به عليك أو بك أو لك، وهي خمسة لا سادس لها، وكان يقول: كل حسنة لا تثمر نورا أو علما في الوقت فلا تعد لها أجرا، وكل سيئة أثمرت خوفا من الله تعالى، ورجوعا إليه فلا تعد لها وزرا، وكان يقول حسنتان لا يضر معهما كثرة السيئات الرضا بقضاء الله، والصفح عن عباد الله، وكان يقول: إياك أن تقف مع الخلق بل أنف المضار، والمنافع عنهم لأنها ليست منهم، واشهدها من الله فيهم، وفر إلى الله منهم بشهود القدر الجازي عليك، وعليهم أو لك، ولهم ولا تخف خوفا تغفل به عن الله تعالى، وترد القدر إليهم تهلك، وكان يقول رضي الله عنه من فارق المعاصي في ظاهره، ونبذ حب الدنيا من باطنه، ولزم حفظ جوارحه، ومراعاة سره أتته الزوائد من ربه، وكل به حارسا يحرسه من عنده، وأخذ الله بيده خفضا، ورفعا في جميع أموره، والزوائد هي زوائد العلم واليقين، والمعرفة، وكان رضي الله عنه يقول: لا يوصف العبد بأنه قد هجر المعاصي إلا إن كانت لم تخطر له على بال فإن حقيقة الهجر نسيان المهجور هذا في حق الكاملين فإن لم يكن كذلك فليهجر على المكابدة، والمجاهدة، وكان يقول: لا يتزحزح العبد عن النار إلا إن كف جوارحه عن معصية الله، وتزين بحفظ أمانة الله، وفتح قلبه لمشاهدة الله، ولسانه، وسره لمناجاة الله، ورفع الحجاب بينه، وبين صفات الله وأشهده الله تعالى أرواح كلماته، وكان يقول الغل هو ربط القلب على الخيانة، والمكر، والخديعة، والحقد هو شدة ربط القلب على الخيانة المذكورة، وكان يقول: اتق الله في الفاحشة جملة وتفصيلا وفي الميل إلى الدنيا صورة وتمثيلا وكان يقول عقوبة ارتكاب المحرمات بالعذاب، وعقوبة أهل الطاعات بالحجاب لما يقع لهم فيها **من سوء الأدب**، وعقوبة المراكنات ترك المزيد وعقوبة القلق، والاستعجال هلاك السر وكان يقول: من اعترض على أحوال الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر موت بالذل، وموت بالفقر، وموت بالحاجة إلى الناس ثم لا يجد من يرحمه منهم، وكان الشيخ مكين الدين الأسمر رضي الله عنه يقول: الناس يدعون إلى باب الله تعالى وأبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يدخلهم على الله، وكان الشاذلي رضي الله عنه يقول: من النفاق التظاهر يفعل السنة، والله يعلم منه غير ذلك، ومن الشرك بالله اتخاذ الأولياء، والشفعاء دون الله قال الله تعالى: " مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون " .ف الناس، وكان يقول أصدق الأقوال عند الله تعالى قول لا إله إلا الله على النظافة، وأدل الأعمال على محبته تعالى لك بغض الدنيا، واليأس من أهلها على الموافقة وكان يقول لا تسرف بترك الدنيا فيغشاك ظلمتها، وتنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة، وكان رضي الله عنه يقول: لا تقوى لمحب الدنيا إنما التقوى لمن أعرض عنها. وكان يقول إذا توجهت لشيء من عمل الدنيا، والآخرة فقل: يا قوي يا عزيز يا عليم يا قدير يا سميع

يا بصير، وكان يقول إذا ورد عليك مزيد من الدنيا والآخرة فقل " حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله، ورسوله إنا إلى الله راغبون " ، وكان يقول خصلة واحدة إذا فعلها العبد صار إمام الناس من أهل عصره، وهي الإعراض عن الدنيا، واحتمال الأذى من أهلها، وكان يقول: إذا تداين أحدكم فليتوجه بقلبه إلى الله تعالى، ويتداين على الله تعالى فإن كل ما تداينه العبد على الله تعالى فعلى الله أداؤه، وكان يقول إن عارضك عارض من معلوم هو لك فاهرب إلى الله منه هروبك من النار، وهذه من غرائب علوم المعرفة في علوم المعاملة، وكان رضي الله عنه يقول: إذا تداين اللهم عليك تداينت وعليك توكلت، وإليك أمري فوضت، وكان يقول: خصلة واحدة تحبط الأعمال، ولا يتنبه لها كثير من الناس وهي سخط العبد على قضاء الله تعالى قال تعالى: " ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم " " محمد: ٩ " ، وكان يقول لا يترك منازعة الناس في الدنيا إلا المؤمن بالقسمة، وكان يقول رأيت في النوم صائحا يصيح في جو السماء إنما تساق لرزقك أو لأجلك أو لما يقضي الله به عليك أو بك أو لك، وهي خمسة لا سادس لها، وكان يقول: كل حسنة لا تثمر نورا أو علما في الوقت فلا تعد لها أجرا، وكل سيئة أثمرت خوفا من الله تعالى، ورجوعا إليه فلا تعد لها وزرا، وكان يقول حسنتان لا يضر معهما كثرة السيئات الرضا بقضاء الله، والصفح عن عباد الله، وكان يقول: إياك أن تقف مع الخلق بل أنف المضار، والمنافع عنهم لأنها ليست منهم، واشهدها من الله فيهم، وفر إلى الله منهم بشهود القدر الجازي عليك، وعليهم أو لك، ولهم ولا تخف خوفا تغفل به عن الله تعالى، وترد القدر إليهم تهلك، وكان يقول رضي الله عنه من فارق المعاصي في ظاهره، ونبذ حب الدنيا من باطنه، ولزم حفظ جوارحه، ومراعاة سره أتته الزوائد من ربه، وكل به حارسا يحرسه من عنده، وأخذ الله بيده خفضا، ورفعا في جميع أموره، والزوائد هي زوائد العلم واليقين، والمعرفة، وكان رضي الله عنه يقول: لا يوصف العبد بأنه قد هجر المعاصي إلا إن كانت لم تخطر له على بال فإن حقيقة الهجر نسيان المهجور هذا في حق الكاملين فإن لم يكن كذلك فليهجر على المكابدة، والمجاهدة، وكان يقول: لا يتزحزح العبد عن النار إلا إن كف جوارحه عن معصية الله، وتزين بحفظ أمانة الله، وفتح قلبه لمشاهدة الله، ولسانه، وسره لمناجاة الله، ورفع الحجاب بينه، وبين صفات الله وأشهده الله تعالى أرواح كلماته، وكان يقول الغل هو ربط القلب على الخيانة، والمكر، والخديعة، والحقد هو شدة ربط القلب على الخيانة المذكورة، وكان يقول: اتق الله في الفاحشة جملة وتفصيلا وفي الميل إلى الدنيا صورة وتمثيلا وكان يقول عقوبة ارتكاب المحرمات بالعذاب، وعقوبة أهل الطاعات بالحجاب لما يقع لهم فيها **من سوء الأدب**، وعقوبة المراكنات ترك المزيد وعقوبة القلق، والاستعجال هلاك السر وكان يقول: من اعترض على

أحوال الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر موت بالذل، وموت بالفقر، وموت بالحاجة إلى الناس ثم لا يجد من يرحمه منهم، وكان الشيخ مكين الدين الأسمر رضي الله عنه يقول: الناس يدعون إلى باب الله تعالى وأبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يدخلهم على الله، وكان الشاذلي رضي الله عنه يقول: من النفاق التظاهر يفعل السنة، والله يعلم منه غير ذلك، ومن الشرك بالله اتخاذ الأولياء، والشفعاء دون الله قال الله تعالى: " مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون " .." (١)

"رحمه الله تعالى، ورضي عنه آمين

كان من الأئمة الراسخين في العلم، وله المؤلفات النافعة في الطريق، واختصر رسالة القشيري رضي الله عنه، وتكلم على مشكلاتها، وقرأتها عليه بعد قراءتها على الشيخ زكريا رحمه الله تعالى، فكنت أعرض عليه ما سمعته من شرح الشيخ لها فيقره، ويمدحه، ويقول: كان الشيخ زكريا من العارفين، ولكنه تستر بالفقه، وتلقنت عليه الذكر ثلاث مرات متفرقات أول مرة، وأنا شاب أمرد دخلت عليه بعد العصر، فقلت له: يا سيدي لقني الذكر بحال قوي فقال: بسم الله الرحمن الرحيم يا ولدي، وأطرق ساعة، وقال: قال: لا إله إلا الله فما استتمها الشيخ إلا وقد غبت عن إحساسي فما استفقت إلا المغرب، فلم أجد عندي أحدا، فمكثت خمسة عشر يوما مطرودا لا أستطيع الاجتماع به لسوء أدبي معه في قولي لقني بحال قوي الثانية لقنني فسمعت منه لا إله إلا الله ثلاث مرات فعبت كذلك، فرأيت في تلك الليلة كأن الشيخ بيده ثلاث مآثر فغرزها في جلدي إلى آخرها، فلما أفقت ذكرت له ذلك فقال: الحمد لله الذي أظهر أثرها الثالثة لقنني حين لقن الشيخ أبا العباس الحريثي رضي الله عنه لكونه كان أصفى قلبا مني، وأكبر سنا وأعرف بمقام الرجال ثم لا زلت أتردد بصحبته مدة حياة الشيخ رضي الله عنه، وذكر لي سيدي أبو العباس رحمه الله أنه قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات، فقال: الشيخ الفقير، ووقع له أنه قرأ في يوم، وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة كل درجة ألف ختمة، وكان رضي الله عنه يقول: إذا وقع من المريد شيء مذموم عند شيخه، وهو محمود عند غيره، فالواجب عليه عند أهل الطريق رجوعه إلى كلام شيخه دون كلام غيره، وإن قال: للمريد إن كلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم فعليه بالرجوع إلى كلام شيخه، وأولى إذا كان من الراسخين في العلم، وكان رضي الله عنه يقول: إذا خرج المريد عن حكم شيخه، وقدح فيه فلا يجوز لأحد تصديقه لأنه في حالة تهمة لارتداده عن طريق شيخه وهذا الأمر قال: أن يسلم منه مريد طرده شيخه لأنه لضعفه يخاف من تجريحه فيه، وتنقصه عند الناس حين يرون أن شيخه طرده، وتضيق عليه الدنيا، فلا

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/٢٢٣

يجد منفسا إلا الحظ في شيخه، والرد عن نفسه بنحو قوله لو رأينا فيه يعني الشيخ خيرا ما فارقناه، فيزكي نفسه، ويخرج في شيخه، وبذلك يستحكم المقت فيه لا سيما إن اجتمع بعد شيخه على من ينقص شيخه، ويزدريه ويظهر فيه المعايب فإنه يهلك مع الهالكين، ولكن إذا أراد الله بمريد خيرا جمعه عند غضب شيخه على من يحب شيخه، ويعظمه فإن المريد يندم على شيخه ضرورة، ويرجع إليه، وكان رضي الله عنه يقول: إذا خرج المريد عن حكم شيخه وانقطع عن مجلسه فإن كان سبب ذلك الحياء من الشيخ أو من جماعته لزلة وقع فيها أو فترة حصلت منه فهو كالطلاق الرجعي، فللشيخ أن يقبله إذا رجع لأن حرمة الشيخ في نفس هذا المريد لم تزل لا سيما، والمريد أحوج ما يكون إلى الشيخ حال اعوجاجه فينبغي للشيخ التلطف بهذا المريد، وعدم الغلظة عليه، والهجر له إلا أن يكون وثق به لقوة العهد الذي بينه، وبينه.

وكان رضي الله عنه يقول: ليس للمريد أن يسأل شيخه عن سبب غيظه، وهجره له بل ذلك **من سوء الأدب**، وكان رضي الله عنه يقول: لا يجوز للمريد عند أهل الطريق أن يجيب عن نفسه أبدا إذا لطخه شيخه بذنب لأنه يرى ما لا يرى المريد فإنه طبيب، وكان يقول: ليس للشيخ أن يبين للمريد صورة الفتح الذي علم من طريق الكشف أنه يئول إليه أمر المريد بعد مجاهداته، وكمال سلوكه لأن المريد إذا حصل معنى صورة ذلك في نفسه، وتكرر شهوده له ربما ادعى الفتح، وباطنه معرى عن ذلك إذ النفس معرضة للخيالة، وعدم الصدق، وكثرة الدعوى، وربما فارق هذا شيخه، وادعى الكمال لعلمه بصورة النتج علما لا حذقا، ولا ذوقا كما يظهر المنافق صورة المؤمن في العمل الظاهر، وباطنه معرى عن الموجب لذلك العمل، وكلامه رضي الله عنه غالبه سطرته في كتابة رسالة الأنوار القدسية، وغيرها من مؤلفاتي.." (١)

"... كان الفراء متورعا دينا (١) ، وكان بارا بأهله ، يقسم بينهم ما جمعه في عامه ، وكان وفيا لأشياخه ، محببا إلى نفوس طلابه ، قال محمد بن جهم السمري (٢) : ... فيكون - يعني الفراء - أحلى في قلوبنا من الأحمر ، وجميل فعله .

- ٤٠ -

... وكان متسامحا ، كما كان حازما (٣) ، وكان رحب الصدر (٤) ، عفيف اللسان (٥) ، يتحرى الصدق في المودة والعداء (٦) ، معتزا بنفسه ، على تيه وتعجب وتعظم (٧) ، وهذا الاعتزاز بالنفس لا يصل إلى

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/٣٥٧

حدود الإضرار بالناس ٠

... لقد كانت في طبيعة الفراء سماحة ، وفي خلقه إسجاح ، وهذا ما تحدثنا به عبارة أبي بريدة الوضاحي (٨) عندما خزن الوراقون كتاب المعاني عن الناس ؛ ليتكسبوا به ، حيث قال لهم الفراء : قاربوا الناس تنفعوا وتنتفعوا ، ورجل هذه نزعته في الخير ، وذلك حبه لمقاربة الناس ، إنه لعلى خلق كريم ٠

... وكان الفراء صدوقا (٩) ، يعد الرجوع إلى الخير فضيلة ، فقد راجعه أحد طلابه في بيت من الشعر كان الفراء رواه ، فقال له الفراء (١٠) : أحسن الله عن الإفادة **بحسن الأدب** جزاءك ، وتراجع الفراء عن روايته ، وهو الذي وثقه ابن حبان ، فذكره فيمن ذكر من الثقات (١١) ٠

---

(١) مراتب النحويين ، ص ١٣٩ ، بغية الوعاة ٣٣/٢ ، المزهر ، ص ٤١

(٢) معجم الأدباء ١٠/١٣

(٣) معجم الأدباء ١٣/٢٠

(٤) ثعلب ، مجالس ثعلب ، ص ٦٥٧

(٥) معجم الأدباء ٧٢/٧

(٦) م ٠ ن ١٠/١٣

(٧) بغية الوعاة ٣٣٣/٢

(٨) عبد الفتاح شلبي ، أبو علي الفارسي وآثاره في القراءات والنحو ، ص ٢٦٧

(٩) تقريب التهذيب ٣٤٨/٢

(١٠) معجم الأدباء ٩٥/٨ ـ ٩٧

(١١) تهذيب التهذيب ٢١٢/١١." [١]

" وقال بن ناصر كان فهما عالما متعففا وكان يذهب الى ان المناولة كالسماع وقال السلفي في معجمه كان من أعيان علماء الإسلام بمدينة السلام متصرفا في فنون من العلوم أدبا ونحوا ومعرفة بالأنساب وكان داودى المذهب قرشي النسب كتب عنى وكتبت عنه مولده بقرطبة وقال احمد بن أبي بكر البندنيجى لما دفنوا أبا عامر العبدري قال بن ناصر خلا لك الجو فيضي واصفرى مات أبو عامر حافظ حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم من شاء فليقل ما شاء قال الحافظ بن عساكر كان أبو عامر داوديا وكان احفظ

---

(١) الفراء واثره في المدرسة الكوفية، ص/٣٨

شيخ لقيته ذكر انه دخل دمشق سمعته يقول وقد جرى ذكر الإمام مالك فقال جلف جاف ضرب هشام بن عمار بالدرة وقرأت عليه الأموال لأبي عبيد فقال ما كان الا حمارا مغفلا لا يعرف الفقه فاجتمعنا عند بن السمرقندي في سماع الكامل فنقل فيه عن السعدي فقال العبدري يكذب إنما هو إبراهيم الجوزجاني فقلت وهو السعدي فقلت كم يتحمل منك سوء الأدب وعدد أقواله فغضب وارتعد وقال كان بن الخاضبة والبردانى يخافانى فآل امرى الى هذا فقال السمرقندي هذا بذاك وقلت إنما نحترمك ما احترمت الأئمة فقال والله لقد علمت من علم الحديث ما لم يعلمه غيرى ممن تقدم وأنى لأعلم من صحيح البخاري ومسلم ما لم يعلما فقلت مستهزئا فعلمك إذا إلهام وهاجرته قال وكان سيء الاعتقاد يعتقد من أحاديث الصفات ظاهرها بلغني انه قال في يوم يكشف عن ساق وضرب على ساقه فقال ساق كساقي هذه ." (١)

"قال محمد بن أحمد بن تميم في كتابه قال: كان سحنون ثقة حافظا للعلم فقيه البدن. اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره. الفقه البارع والورع الصادق، والصرامة في الحق،والزهادة في الدنيا، والتخشن في الملبس، والمطعم، والسماحة. كان لا يقبل من السلاطين شيئا. وربما وصل أصحابه بالثلاثين دينارا أو نحوها، ومناقبة كثيرة. قال أبو بكر المالكي: وكان مع هذا رقيق القلب، غزير الدمعة، ظاهر الخشوع متواضعا، قليل التصنع، كريم الأخلاق، حسن الأدب، سالم الصدر، شديدا على أهل البدع، لا يخاف في الله لومة لائم. انتشرت إمامته في المشرق والمغرب. وسلم له الإمامة أهل عصره، واجتمعوا على فضله وتقديمه. ومناقبه كثيرة قد ألف فيها أبو العرب التميمي كتابا مفردا. وسئل أشهب من قدم إليكم من المغرب؟ قال: سحنون. قيل: فأسد؟ قال: سحنون والله أفقه منه بتسع وتسعين مرة. وقال أشهب: ما قدم إلينا من المغرب مثله وىقد حثه ابن القاسم على أن يقيم عنده يطلب العلم، ويدع الخروج إلى الغزو، لما استفرس فيه. وقال ابن القاسم لابن رشيد: قل لصاحبك يعني سحنون يقعد. فالعلم أولى به من الجهاد، وأكثر ثوابا. ويعطي هذه الخيل التي قدم بها هو، في مثل حاله، يؤديها عنه. فما قدم إلينا من إفريقية مثل سحنون، ولا ابن غانم. قال حمديس: رأيت أبا مصعب بالمدينة، وغيره. وبمصر أصحاب ابن القاسم. وبمكة علماء من أهل بغداد. والله ما رأيت فيهم مثل ابن سحنون ولا رأيته بعده. وقال محمود بن يزيد: أول ما تعلمت مسائل الصلاة من سحنون. وإن قلت أن سحنون أفقه من أصحاب مالك كلهم، إني لصادق. قال أبو العرب: وكل ما لقيت من أصحاب سحنون الذين سمعوا منه وسمعنا منهم عشرات من مشاهير الفقهاء والشيوخ، منهم: يحيى بن عمر، وحبيب، وابن مسكين، وابن أبي سليمان، وابن سالم، وابن الحداد،

---

(١) تذكرة الحفاظ، ٤/١٢٧٣

وحمديس، وجبلة، وابن معتب، وغيرهم. قال: ومنهم من سمع، وهو أسن من سحنون. ولقي أصحاب مالك وسفيان الثوري، ورأى الناس في الآفاق كلهم يقولون ما رأيت أحدا مثل سحنون في ورعه وفقهه وزهده. وكان يزيد بن بشير يبجل سحنون ويعظمه. وقال: كنت بتونس، فبلغني مقامه من الإسلام وبركته ويقدم إلي رجل من أصحابه فأعرف فيه الأدب، وربما قدم إلي رجل من عند حرملة فأعرف فيه قلة الأدب ، فأقول له: فهلا كنت مثل من يؤدبه سحنون . قال أبو زيد بن أبي الغمر: لم يقدم علينا أحد أفقه من سحنون، إلا أنه قدم علينا من هو أطول لسانا منه . يعني ابن حبيب . وقال يونس بن عبد الأعلى: هو سيد أهل المغرب . فقال له حمديس (القطان): أو لم يكن سيد أهل المشرق والمغرب ؟ قال: قد كان رجلا نبيلا فاضلا خيرا، من شأنه ومن شأنه . فأثنى عليه ورفع به . اخذ من ابن وهب مغازيه ، إجازة . يعني سحنون . قال سليمان بن عمران: إذا سألت أسدا عن مسألة أجابني من بحر عميق ، ومعنى جوابه ردا تزد. وإذا سألت سحنون أجابني من بحر عميق ومعنى جوابه زد في سؤالك. وكان العلم في صدر سحنون كسورة في القرآن من حفظه. وكان سحنون رجلا صالحا. وقال سحنون أني حفظت هذه الكتب حتى صارت في صدري كأم القرآن. وكان أبو عياش بن عيشون يقول إذا ذكره: قال الإمام أبو سعيد. وكان ابن طالب وغيره لا يسميه، ويكنيه إجلالا له. وكان ابن عبد الحكم يقول لبعض من يحضر مجلسه: ما يقول أبو سعيد في هذه المسألة؟ قال بكر بن حماد: سمعت سحنون يقول: عندي في البيت سماع سنتين لسفيان بن عيينة وقال غيره: كنا عند ابن القاسم، فقال:أن يكن يسعد أحد بهذه الكتب، فسحنون. ثم التفت إلى ابن عبد الحكم، فقال وان قبل، أبي محمد العلم. والتفت إلى اصبغ فقال: وان قبله لراوية، قال برأت. وقد روى اصبغ أولا عن سحنون ثم ترك ذلك. قال برأت. قال سحنون: عندي ستة، أو أربعة وأربعون كتابا، من البيوع، منها كتابان أو ثلاثة اصلها أربع مسائل في الموطأ. قال ابن وضاح: كان سحنون يروي تسعة وعشرين سماعا، وما رأيت في الفقه مثل سحنون في المشرق. قال سعيد بن الحارث: كان أبو سعيد عاقلا بمرة، ورعا بمرة، عالما بمذاهب المدنيين بمرة. وقال: جالست الناس بهذه البلد، منذ بلغته، ما رأيت أجود غريزة من سحنون. قال محمد بن الحارث: كانت أفريقية قبل رحلة سحنون، قد غمرها مذهب مالك بن انس، لأنه رحل إليها اكثر من ثلاثين رجلا، كلهم لقي مالك بن انس." (١)

"ولقي موسى محمد بن الحسن، فلم يأخذ عنه. فسئل عن ذلك، فقال: لو ملأ لي مسجدي هذا ذهبا ما سمعت منه حرفا. وذكر أنه بلغه عنه شيء من مخالفة السنة، وامتحنه ابن أبي الجواد قاضي

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ٢١٩/١

القيروان، وكان معتزليا، فسأله عن القرآن. فقال موسى: سمعت فلانا وفلانا وذكر جماعة من أهل العلم، يقولون لمن قال القرآن مخلوق فهو كافر. فقال له ابن أبي الجواد: لقد أعمى الله قلبك، كما أعمى بصرك. وكان موسى إذ ذاك قد كف بصره. وكان موسى إذا نزل عنده اسماعيل بن رباح الزاهد يستجد له الطعام، فلا يأكل منه إسماعيل شيئا. فيذهب موسى الى السؤال وأهل الطرق، فإذا رآهم إسماعيل كذلك وقرب إليهم موسى الطعام دنا إسماعيل، فأكل معهم، وألف موسى بن معاوية كتاب الزهد، وكتاب مواعظ الحسن محمد بن رشيد مولى عبد السلام بن مفرج الربعي القائد. وقال المالكي: مولى عمر. كانت رحلته ورحلة سحنون الى الحجاز، والى ابن القاسم واحدة. وكان سماعهما واحدا. وإنما نابه سحنون برجال الشام. لأنه رحل الى الشام دونه. قال سحنون: كان فقيها فهما طويل اللسان، حسن البيان، قال غيره: كان من أهل العلم والفقه، ثقة في نقله. قال أبو سعيد يونس: روى عن سفيان بن عيينة وابن القاسم، وابن وهب. قال ابن حارث: كان ذكيا مصاحبا لسحنون، عند ابن القاسم، وكان ابن القاسم إذا تكلم في العلم أسرع ابن رشيد الى فهمه، وكان إذا فهم شيئا رسخ في قلبه. قال أبو العرب وكان أهل الأندلس في أول أمره يسمعون منه. فيأتونه أكثر مما كانوا يأتون سحنون. ثم يرخص في المعاملة بالعينة. فأحبه كثير من من الناس. قال أبو العرب: وأما في نقله العلم، فكان ثقة، وكان أبوه رشيدا صقليا، رجلا صالحا. فرأى في منامه كأنه أتى مسجد الجامع، فبال في محرابه، فقص رؤياه على البهلول بن راشد. فقال له: يخرج من صلبك ولد يكون إماما. فولد له محمد. وذكر أن الفرج والد اصبغ رأى مثلها قال ابن حبيب: لما مات ابن رشيد، كره سحنون أن ينظر في تركته، وأمرني وأيوب فيها. فمات محمد وسحنون قاض، فيما قاله أبو العرب. وذكر ابن الجزار أنه توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين. وغلط ابن حارث هذا القول ولم يسم قائله. قال: والصواب ما رواه أبو العرب. وقال ابن يونس توفي سنة اثنتين ومائتين، وصوب المالكي هذا. وخطأ ما قاله أبو العرب، وابن حارث. والله أعلم وهو الموفق للصواب لا رب غيره ولا معبود سواه.

حماد بن يحيى أبو يحيى السجلماسي

عداده في أهل القيروان. سمع عبد الله بن بكر السهمي وابن الماجشون. وهو أول من قدم بفقه ابن الماجشون القيروان. قال محمد بن أحمد بن تميم: وقد سمع من سحنون، وكان شيخا صالحا تاجرا. وكان في كتبه تصحيف كثير، لم يكن يقوم بها. سمع منه عامة أصحاب سحنون، وكان له ابن ابنه حسن، روى عن أبيه، مات قديما. سمع منه ابن بسطام.

زيد بن بشر بن زيد بن عبد الرحمن الأزدي

صليد أم ابنه، مولده لبني سريح الحضرمي، يجري على أبيه العتق من قبلها. فكان زيد يقر بولائهم، مع صحة نسبه في الأزد. قال الكندي: هذا، ويكنى أبا البشر. أصله من أهل مصر، وعداده في أهل تونس، وبها نزل. قال أبو العرب: وقدم أولا القيروان، في قضاء سحنون. فأتاه فسلم عليه، ثم لحق بتونس. وكان فقيها ثقة مأمونا أديبا مصونا. سمع زيد بن بشر، من ابن القاسم ومن وهب وأشهب وضمام بن إسماعيل، ويحيى بن سليمان الطائفي، وبشر بن بكر وغيرهم. قال أبو بكر المالكي: كان رجلا كريم النفس، كثير التواضع، **حسن الأدب**، وعده ابن سفيان فيمن لقي مالكا. ولا أراه يصح ذلك. قال الكندي: كان في حجر ابن لهيعة، ولم يسمع منه شيئا. قال: وكان فقيها من أكابر أصحاب ابن وهب، وعده الشيرازي في فقهاء هذه الطبقة. قال ابن وضاح: وكان ثقة الثقات.

ذكر جمل من أخباره وفضائله." (١)

"وكانت بين الأصيلي وابن زرب القاضي، وأصحابه مشاحنة، أثارتها النفاسة، وعلو كعب الأصيلي في العلم، وأزراؤه عليهم، فأراد ابن أبي عامر صلاح حالهم بتفريقهم، فقلد الأصيلي قضاء سرقسطة، فدارت بين الأصيلي وواليها بين يدي ابن أبي عامر منافسة، ومحارجة لأشياء أنكرها عليه الأصيلي. وكان في خلق الأصيلي حرج وزعارة، فاستعفى من القضاء فعوفي، وقيل بل حلف الوالي أن لا يلي معه. فصرفه ابن أبي عامر عن القضاء، صرفا جميلا. وأراد حاجته الى قربه بالحضرة. فأقام رأسا في أهل الشورى بقرطبة، سيما بعد وفاة ابن زرب. فإنه استكملت رئاسته، حتى كان بالأندلس نظير ابن أبي زيد بالقيروان وعلى هديه، إلا أنه كان فيه ضجر شديد، يخرجه أوقات القيظ الى غير صفته. ذكر بعضهم أنه هنأه بالشورى حين تقلدها، فقال: لعن الله الشورى إن لم أرفعها، ولعنني إن رفعتني، ونحو هذا. وأبلغ عن القاضي ابن زرب رحمه الله يوما كلاما، عرض به فساءه، وحرك منه وانبعث من ضجره، ما شق جيبه غيظا وتمثل:

لبستم ثياب الخز لما كفيتم ... ومن قبل لا تدرون من فتح القرى

وقوفا بأطراف الفجاج وخيلنا ... تساقي كؤوس الموت يدعو بالقنا

فلما أكلتم قتلنا بسلاحنا ... تحدث مكفي يعيب الذي كفى

ويحكى أنه ناظر ابن أبي زيد يوما في مسألة فاحمر مزاجه، فقال له ابن أبي زيد: قال خلاف قولك فلان. فقال: لو قالها فلان ما صدقته، أو لكان خطأ، أو نحو هذا من الكلام مما أسرف فيه، وغلا بفرط حرجه، فانتدب له البرادعي وتولاه ووجد للمقال سبيلا وأنكر عليه كل من حضر ولكن تولى ذلك البرادعي، بفرط

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ٢٤٠/١

حرج منه هو أيضا. فخرج الأصيلي. فكان ذلك سبب مقاطعته مجلس ابن أبي زيد. فيقال إن ابن أبي زيد قال للبرادعي: لقد حرمتنا فوائد الشيخ بإسرافك في الرد عليه.

ذكر وفاته رضي الله عنه

توفي رحمه الله يوم الخميس، لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، سنة اثنتين وتسعين. وكان جمعه مشهودا. وجهزه المظفر ابن أبي عامر على عادته للفقهاء. وبعث الى ابنه أكفانا له وحنوطا من عنده، رعاية لمكانة من أبيه المنصور. فقبل ابنه كرامته. وجهز شيخه فيما كان أعده لنفسه. وكان أراد أن يدفن ليلا ولا يعلم بجنازته، فرده عن ذلك صهره ابن أبي صفرة، وأوصى أن يدفن في خمسة أثواب. وكان آخر ما سمع منه لما احتضر: اللهم إنك قد وعدت بالجزاء عند كل مصيبة، ولا مصيبة علي أعظم من نفسي، فأحسن جزائي عنها يا أرحم الراحمين. ثم خفت. وكان قد أعد قبره لنفسه، يقف عليه ويتعظ به. وكان كثيرا ما يتخوف من سنة أربعماية، وما يجري فيها من الفتن. فذكر يوما شأنها في مجلسه، ودعا الله تعالى أن يتوفاه قبلها، وابنه محمدا. وسأل من حضر التأمين. وأن ابنه محمدا حاضر كاره، ففعل من حضر ذلك. وأجيب دعاؤه، فتوفي عما قريب كما ذكرنا. وتوفي ابنه بعده بأعوام. وكان سنة أربعماية، فكان فيها من الفتن، وخراب الأندلس ما كان.

عيسى بن محمد بن عبد الرحمن

أبو الأصبع يعرف بابن الحشاء، وبابن المعلم. قرطبي. روى عن جماعة من الأندلسيين ورحل الى المشرق، فلقي الناس واتسعت معرفته، قال ابن عفيف: كان فيها من أهل الأدب والعلم، راسخا في الرأي، بصيرا بالوثائق، ورعا، منقبضا، من خيار المسلمين، عامرا للمسجد الجامع لتفقيه الناس وفتياهم، بصيرا بالاختلاف، جميل اللقاء، إماما في المذهب المالكي. ناظر الجلة في علم السنة. وعلا بغزارة علمه، وقدمه ابن زرب للشورى، فانتفع به، ودعي للقضاء مرتين فأبى. ولزم حاله الى أن مات. قال ابن حيان: كان غزير العلم، معتنيا بالأخبار، **حسن الأدب** والفهم، كثير الحفظ، فصيحا، عفيفا، ورعا مجانبا للسلطان. أراده المظفر والمهدي بعده عن القضاء ببعض الكور فأبى. ولم يقدر فيه على شيء، واستهدف بجفوتهما فوقي شرهما. وعاتبه ابن ذكوان في ذلك، وكان الذي هدى ابن عامر الى مكانه. وقال له: يقع الناس فيك. فقال: بلى. فبرر جفاه حينا. ومات رحمه الله سنة اثنتين وأربعماية. فقدم موضعه للشورى ابن دحون.

أحمد بن سعيد بن ابراهيم الهمداني." (١)

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ٨/٢

"قال: لأني نويت أن أوصي أن يجعل في كفني حتى أخاصم به هذا الظالم غدا.

وبكى، فبكى الواثق وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجعله في حل، فقال: لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراما لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لكونك من أهله.

فقال له: أقم قبلنا فننتفع بك، وتنتفع بنا.

قال: إن ردك إياي إلى موضعي أنفع لك، أصير إلى أهلي وولدي، فأكف دعاءهم عليك، فقد خلفتهم على ذلك.

قال: فتقبل منا صلة؟

قال: لا تحل لي، أنا عنها غني.

قال المهتدي: فرجعت عن هذه المقالة، وأظن أن أبي رجع عنها منذ ذلك الوقت. (١١/٣١٦)

قال○ أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي الحافظ: هذا الأذني هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي.

قال إبراهيم نفطويه: حدثني حامد بن العباس، عن رجل، عن المهتدي:

أن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن.

فصل

عن الحسين بن إسماعيل، عن أبيه، قال:

كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف - أو يزيدون نحو خمس مائة - يكتبون، والباقون يتعلمون منه **حسن الأدب** والسمت.

ابن بطة: سمع النجاد يقول: سمعت أبا بكر بن المطوعي يقول:." (١)

"=ومن الآداب الطيبة الكلام مع كل أحد بما يليق بحاله ومقامه؛ مع العلماء بالتعلم والاستفادة والاحترام، ومع الملوك والرؤساء بالاحترام والكلام اللطيف اللين المناسب لمقامهم، ومع الإخوان والنظراء بالكلام الطيب، ومطارحة الأحاديث الدينية والدنيوية والانبساط الباسط للقلوب، المزيل للوحشة، المزين للمجالس.

ويحسن المزاح أحيانا إذا كان صدقا، ويحصل فيه هذه المقاصد.

ومع المستفيدين من الطلبة ونحوهم بالإفادة، ومع الصغار والسفهاء بالحكايات والمقالات اللائقة بهم بما

---

(١) ترجمة الأئمة الأربعة، ص/٣٥١

يبسطهم ويؤنسهم، ومع الأهل والعيال بالتعليم للمصالح الدينية والدنيوية، والتربية البيتية، وتوجيههم للأعمال التي تنفعهم مع المباسطة والمفاكهة؛ فإنهم أحق الناس ببرك، ومن أعظم البر حسن المعاشرة.

ومع الفقراء والمساكين بالتواضع، وخفض الجناح، وعدم الترفع والتكبر عليهم.

فكم حصل بهذا من خيرات و بركات، وكم حصل بضده من شر وفوات خير.

ومع من تعرف منه العداوة والبغضاء والحسد بالمجاملة، وعدم الخشونة، وإن أمكنك الوصول إلى أعلى الدرجات، وهي قوله_تعالى_: [ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم] (فصلت: ٣٤)_فما أكمله من مقام لايوفق له إلا ذو حظ عظيم+.(١)

٩_ وقال _ أيضا _: =ومن الآداب الطيبة إذا حدثك المحدث بأمر ديني أو دنيوي ألا تنازعه الحديث إذا كنت تعرفه، بل تصغي إليه إصغاء من لايعرفه، ولم يمر عليه، وتريه أنك استفدت منه، كما كان ألباء الرجال يفعلونه.

وفيه من الفوائد تنشيط المحدث، وإدخال السرور عليه، وسلامتك من العجب بنفسك، وسلامتك من سوء الأدب؛ فإن منازعة المحدث في حديثه من سوء الأدب+.(٢)

١٠_ وسئل عن الأسباب والأعمال التي يضاعف بها الثواب فأجاب إجابة عظيمة قد لا تظفر بها في غير هذا الجواب.

(١) _ الرياض الناضرة ص٥٤٨_٥٤٩.

(٢) _ الرياض الناضرة ص٥٤٨.." [1]

"أخبرني والدي رحمه الله يأثره عن شيوخ الحلبيين أنه بلغهم أن أبا العلاء بن سليمان قال: أحقق من الألوان لون الحمرة، وذلك أنني لما جدرت ألبستني أمي قميصا أحمر فأنا أذكر ذلك اللون وأحققه قبل العما.

وقرأت فيما سيره القاضي أبو المعالي أحمد بن مدرك قاضي المعرة من أخبار بني سليمان قال: ولما قدم من بغداد - يعني أبا العلاء - عزم على العزلة والانقضاب من العالم فكتب إلى أهل معرة النعمان: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب إلى السكن المقيم بالمعرة شملهم الله بالسعادة، من أحمد بن عبد الله بن سليمان، خص به من عرفه وداناه، سلم الله الجماعة ولا أسلمها ولم شعثها ولا آلمها.

(١) تراجم لتسعة من العلماء، ص/١٧١

أما الآن فهذه مناجاتي بعد منصرفي عن العراق، مجتمع أهل الجدل، وموطن بقية السلف، بعد أن قضيت الحداثة فانقضت، وودعت الشبيبة فمضت، وحلبت الدهر أشطره، وخبرت خيره وشره، فوجدت أقوى ما أصنعه أيام الحياة أن اخترت عزلة تجعلني من الناس كبارح الأروى من سانح النعام، وما ألوت نصيحة لنفسي، ولا قصرت في اجتذاب المنفعة إلى حيزي، فأجمعت على ذلك، واستخرت الله فيه بعد جلائه عن نفر يوثق بخصائلهم، فكلهم رآه حزما وعدة إذا تم رشدا، وهو أمر أسري عليه بليل قضى سنة، وخبت به النعامة، ليس بنسج الساعة ولا ربيب الشهر والسنة، ولكنه غذي الحقب المتقادمة، وسليل الفكر الطويل، وبادرت إعلامهم ذلك مخافة أن يتفضل منهم متفضل بالنهوض إلى المنزل الجارية عادتي بسكناه ليلقاني فيه، فيتعذر ذلك عليه، فأكون قد جمعت بين **سمجين: سوء الأدب**، وسوء القطيعة، ورب ملوم لا ذنب له.

والمثل السائر خل أمرأ وما اختار، وما أسمحت القرون الإياب حتى وعدتها أشياء ثلاثة: نبذة كنبذة فتيق النجوم، وانقضابا من العالم كانقضاب القابية من القوب، وثباتا في البلد إن جال أهله من خوف الروم، فإن أبى من يشفق علي أو يظهر الشفق إلا النفرة مع السواد كانت نفرة الأعضب والأدماء.

وأحلف ما سافرت استكثر من النشب، ولا أتكثر بلقاء الرجال، ولكن آثرت الإقامة بدار العلم، فشاهدت أنفس ما كان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه، والجاهل مغالب القدر، فلهيت عما ستأثر به الزمان، والله يجعلهم أحلاس الأوطان، لا أحلاس الخيل والركاب، ويسبغ عليهم النعمة سبوغ القمراء الطلقة على الظبي الغرير، ويحسن جزاء البغداديين فلقد وصوفوني بما لا أستحق وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم وعرضوا علي أموالهم عرض الجد، فصادفوني غير جذل بالصفات ولا هش إلى معروف الأقوام، ورحلت وهم لرحلتي كارهون، وحسبي الله وعليه فليتوكل المتوكلون.

قال: وإنما قيل رهن المحبسين للزومه منزله، وكف بصره، وأقام مدة طويلة في منزله محتجبا لا يدخل عليه أحد، ثم إن الناس تسببوا إليه حتى دخلوا عليه، فكتب الشيخ أبو صالح محمد بن المهذب إلى أخيه أبي الهيثم عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان رحمهما الله في ذلك.

بشمس زرود لا ببدر معان ... ألما وإن كان الجميع شجاني

يقول فيها:

أبا الهيثم اسمع ما أقول فإنما ... يعين على ما قلت خير معان

قريضي هجاء إن حرمت مديحه ... لأروع وضاح الجبين هجان

أطل على بغداد كالغيث جاءها ... بأسعد نجم في أجل أوان

نضاها ثياب المحل وهي لباسها ... وبدلها من شدة بليان

فيا طيب بغداد وقد أرجت به ... على بعدها الأطراف من أرجان

غدا بكم المجد المضيء وإنه ... ليقمر من أضوائه القمران

ميسر المعالي دوننا هل يسرها ... بطون وهاد أو ظهور رعان

نأى ما نأى فالموت دون فراقه ... فما عذره في النأي إذ هو دان

فكن حاملا مني إليه رسالة ... تبين لينا في هضاب أبان

فإن قال: أخشى من فلان تشبها ... فقل ما فلان عندنا كفلان

هو الخل ما فيه اختلال مودة ... فلا تخشى منه زلة بضمان

فإن خنت عهدا أو أسأت خليقة ... ولم يك شأني في المودة شاني

فلا أحسنت في الحرب أمسك مقبضي ... يميني ولا يسراي حفظ عناني." (١)

"جاء أخيري زمان ما به لهما ... مماثل وصل الجد الذي وصلا

أبو العلاء وأبو نصر هما جمعا ... علم الورى وهما للفضل قد كملا

هذا كما تراه رامح علم ... وذاك أعزك للدنيا قد اعتزلا

هما هما قدوة الآداب دانية ... طورا وقاصية إن مثلا مثلا

لولاهما لتفر العلم عن حلم ... أو لافترى صاحب التمويه إن سئلا

يا طالب الأدب اسأل عنهما وأهن ... إذا رأيتهما أن لا ترى الأولا

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به ... فطلعة البدر تغني أن ترى زحلا

فلو كان المنازي واجه أبا العلاء بهذا الكلام القبيح المستفظع لما مدح أصحابه أبا نصر بما ذكره، وكذلك الذي احتج به في ترك اللحم لا يليق أن يصدر مثله من أبي نصر المنازي، وقد كان عارفا بالفقه، وشهد له سليم الرازي بأن له يدا في الفقه واللغة على ما نذكره في ترجمته، ومثل ما نقله الناقل عنه جوابا عن قوله في ترك أكل اللحم أنه رحمة للحيوان لا يحسن الجواب عنه بما ذكر، والرحمة للحيوان من الخصال المندوب إليها كما قال صلى الله عليه وسلم: والشاة إن رحمتها رحمك، وقد ترك جماعة من الزهاد والعباد أكل الشهوات والطيبات تقربا إلى الله تعالى، وعد ذلك في مناقبهم ومحاسنهم، ولم ينكر عليهم، فكيف

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٢٧٧/١

يجعل الامتناع من أكل اللحم تركا للآخرة، وقد استقصينا الكلام على هذا في كتاب دفع الظلم والتجري.

وقد قال أبو نصر المنازي في أبي العلاء أبياتا خاطبه بها في مدحه:

لله لؤلؤ ألفاظ تساقطها ... لو كن للغيد ما استأنسن بالعطل

ومن عيون معان لو كحلن بها ... نجل العيون لأغناها عن الكحل

سحر من اللفظ لو دارت سلافته ... على الزمان تمشي مشية الثمل

فمن هذا خطابه له وذكره لما قيل فيهما كيف يصح عنه أنه يواجهه بهذا الكلام الفاحش الخارج عن حسن الآداب، المجانب لصحة القول والصواب.

أخبرنا عبد الله بن أبي علي الأنصاري عن أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ قال: ذكر – يعني أبا الفضل هبة الله بن المثنى بن ابراهيم الهيتي – له أنه دخل المعرة، وكان أبو العلاء يعيش فيها، فنهاه أبو صالح بن شهاب عن الدخول عليه.

قلت: وهذا أبو صالح هو أبو صالح محمد بن المهذب بن علي بن المهذب ابن أبي حامد بن همام بن أبي شهاب، وكان ابن عمه أبي العلاء، وهو الذي كتب الأبيات النونية إلى أبي الهيثم أخي أبي العلاء حين احتجب أبو العلاء ومنع الناس من الدخول عليه وأولها:

بشمس زرود لا ببدر معان....

وقد ذكرناها وفيها من المدح والتقريظ لأبي العلاء والتحيل في الدخول عليه ما هو واضح، فكيف يمنع الناس من الدخول عليه وينهاهم عنه، اللهم إلا إن كان ذلك وقع في الوقت الذي قدم أبو العلاء من بغداد، وعزم على العزلة عن الناس، وكتب إلى أهل المعرة ما كتب، وأراد أبو الفضل الهيتي الدخول عليه فنهاه أبو صالح عن ذلك مخافة أن يمضي فيتعذر عليه فيكون كما قال في رسالته: فأكون قد جمعت بن **سمجين:** **سوء الأدب** وسوء القطيعة.

ذكر ابن السيد البطليوسي في شرح سقط الزند لأبي العلاء قال: وكان المعري متدينا، كثير الصيام والصدقة، يسمع له بالليل هينمة لا تفهم، وكان لا يقرع أحد عليه الباب حتى تطلع الشمس، فإذا سمع قرع الباب علم أن الشمس قد طلعت، فقطع تلك الهينمة وأذن في الدخول عليه، وكان لا يرى أكل اللحم، ولا شرب المسكر، ولا النكاح، وكان ذا عفة ونزاهة نفس، إلا أنه كان مخالفا لما عليه أهل السنة.

وقول ابن السيد: أنه كان مخالفا لما عليه أهل السنة لا أعلم بأي طريق وقعت المخالفة، وقد وصفه بهذه الصفات المحمودة، وكان شافعي المذهب من أهل السنة والجماعة.." (١)

"أخبرنا يوسف بن خليل فيما أجازه لنا، وسمعت منه بعضه قال: أخبرنا أبو المكارم أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله اللبان قال: أخبرنا أبو علي الحسن ابن أحمد الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا الحسن ابن مقسم يحكي عن أبي محمد الجريري قال: سمعت أبا إسحاق المارستاني يقول: رأيت الخضر عليه السلام فعلمني عشر كلمات وأحصاها بيده: اللهم إني أسألك الإقبال عليك والإصغاء إليك، والفهم عنك، والبصيرة في أمرك والنفاذ في طاعتك، والمواظبة على أرادتك والمبادرة في خدمتك **وحسن الأدب** في معاملتك والتسليم والتفويض إليك.

أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان قال: أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل السوسي قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن الحسين ابن محمد العطار قال: حدثنا عبد العزيز بن أحمد التميمي قال: أخبرنا عبد الرحمن ابن عثمان بن القاسم قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الأذرعي قال: حدثنا الحسين بن حميد العكي قال: حدثنا زهير بن عباد قال: محمد بن جامع قال: بلغنا أن الخضر عليه السلام بينما هو يساير رجلا إذ جلسا للغداء فإذا بينهما شاة مشوية فلم يروا من وضعها مما يلي الخضر قد شوي ومما يلي الرفيق نيئا لم يشو، فقال له الخضر: إنك زعمت أنك لا تنال رزقك إلا بالصب والعناء فيه فقم فأعن به واشوه. أما أنا فقد كفيته لأني زعمت أنه من يتوكل على الله كفاه فقد كفيته.

كتب إلينا المؤيد بن محمد الطوسي قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي إجازة قال: أخبرنا أبو عثمان الصابوني قال: أخبرنا زاهر بن أحمد قال: أخبرنا أبو عمرو بن السماك قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا محرز بن حيان عن سفيان بن عيينة قال: رأيت رجلا في الطواف حسن الوجه حسن الثياب منيفا على الناس، قال: فقلت في نفسي ينبغي أن يكون عند هذا علم، قال: فأتيته فقلت: تعلمنا شيئا، لعل شيئا، قال: فلم يكلمني حتى فرغ من طوافه قال: فأتى المقام فصلى خلفه ركعتين خفف فيهما، ثم قال: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال: قلنا وماذا قال ربنا؟ قال: أنا الملك الذي لا أزول فهلموا إلي أجعلكم ملوكا لا تزولون، ثم قال: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال: قلنا: ماذا قال ربنا؟ قال: قال: أنا الملك الحي الذي لا أموت فهلموا إلي أجعلكم أحياء لا تموتون، ثم قال: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال: قلنا: ماذا قال ربنا؟ قال: قال: أنا الذي إذا أردت أمرا أقول له كن فيكون، يعني فهلموا إلي أجعلكم

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١/٢٨٤

إذا أردتم أمرا قلتم له كن فيكون.

قال ابن عيينة: فذكرته لسفيان الثوري فقال: أما أنا فعندي أنه كان ذاك الخضر عليه السلام ولكن لم تعقله.

أنبأنا محمد بن هبة الله القاضي قال: أخبرنا علي بن أبي محمد قال: حدثنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل إملاء قال: حدثنا عبد الواحد بن إسماعيل الروياني في كتابه قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر الخبازي قال: سمعت أبا الحسن النهاوندي الزاهد في ديار المغرب يقول: لقي رجل خضرا النبي عليه السلام فقال له: أفضل الأعمال أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه، قال: الخضر: وأفضل الصلوات عليه ما كان عند نشر حديثه وإملائه يذكر باللسان، ويكتب في الكتاب، ويرغب فيه شديدا، ويفرح به كثيرا، إذا اجتمعوا لذلك حضرت ذلك المجلس معهم.

وقال علي بن أبي محمد: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن المزرقي قال: أخبرنا أبو الغنائم بن المأمون قال: أخبرنا أبو القاسم البغوي قال: حدثنا أبو نصر القمار قال: أخبرنا مسكين أبو فاطمة عن مورع بن موسى عن عمرو بن قيس الملائي قال: بينما أنا أطوف بالكعبة إذا أنا برجل بارز من الناس وهو يقول: من أتى الجمعة فصلى قبل الإمام وصلى مع الإمام وصلى بعد الإمام، ومن أتى الجمعة فصلى مع الإمام وصلى بعد الإمام كتب من العابدين، ومن أتى الجمعة فلم يصل قبل الإمام ولا بعد الإمام كتب من الغابرين ثم ذهب فلم أره، فخرجت من الصفا أطلبه بأبطح مكة، فأحتبست عن أصحابي فسألوني فأخبرتهم قالوا: الخضر؟ قلت: الخضر صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا عتيق بن أبي الفضل السلماني قراءة عليه وأنا أسمع قال: أخبرنا علي بن الحسن، ح.." (١)

"قال ابن الزبير: كان أستاذا فاضلا جليلا، نحويا لغويا، مقرئا أديبا، روى عن ابن بشكوال وغيره. أقرأ بإشبيلية، ثم نقل إلى مراكش، فأقرأ بها إلى أن مات. وكان مجلسه حافلا لتفننه في العلوم، وكان ملحوظا من الأكابر، جليل القدر، كريم الطبع، حسيب الأصل، نبيه البيت، حسن النظم والنثر.

مات يوم الأربعاء ثالث صفر سنة إحدى وستمائة.

٢٧٠ - محمد بن عبد العزيز بن محمد بن محمود بن سهل، أبو نصر التيمي الأصبهاني النحوي القاضي يعرف بسيبويه

قال يحيى بن مندة في "تاريخ أصبهان": هو **حسن الأدب**، أحد وجوه العلم، عالم باللغة والنحو، حدث عن ابن فارس وغيره، وعنه عم أبي سعد السمعاني.

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٣/٣٤٣

٢٧١ – محمد بن عبد الغني بن عمر بن عبد الله بن فندلة أبو بكر
قال في "الريحانة": شيخ مسن، نحوي لغوي محدث. روى عن الأعلم الشنتمري، وأبي علي الغساني وأبي مروان بن سراج. وعنه أبو عبد الله بن عبادة الجياني.
٢٧٢ – محمد بن عبد القوي بن بدران شمس الدين، أبو عبد الله المقدسي المرداوي الحنبلي النحوي
قال الصفدي: ولد سنة ثلاثين وستمائة، وتفقه على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، وقرأ العربية على الشيخ جمال الدين بن مالك وغيره، وبرع في العربية واللغة، ودرس وأفتى، وصنف. أخذ عنه القاضيان: شمس الدين بن مسلم وجمال الدين بن جملة.
مات سنة تسع وتسعين وستمائة.
٢٧٣ – محمد بن عبد الماجد العجيمي النحوي، المتفنن. الشيخ شمس الدين، سبط الشيخ جمال الدين بن هشام
قال ابن حجر: أخذ عن خاله الشيخ محب الدين، ومهر في الفقه والأصول والعربية. وكان كثير الأدب، فائقا في معرفة العربية، ملازما للعبادة، وقورا ساكنا.
مات في العشرين من شعبان سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، وكانت جنازته حافلة.
قلت: أخذ عنه شيخنا الإمام تقي الدين الشمني.." (١)

"ومن كلمات أبي الفرج: قوله في هذا العالم ربما صار التولدي توالديا فلا يتعجب من أن يصير نوع التوالدي تولديا لا في هذا العالم كالشمس في ازمان والنار تؤثر فإنها تؤثر في آن، وقال: " آ " لا يكون سببا لوجود " ب " وب لا يكون سببا لوجود " ا " لأن من حق السبب أن يكون متقدما في الوجود على المسبب ومن حق المسبب أن يكون متأخرا، وإذا اعتبرت ذلك عرفت أن " آ " لا تكون علة لما هي " ب " و " ب " علة لوجود " آ " .
وقال: إذا قامت حجتك على الكريم أكرمك ووقرك، وإذا قامت على الخسيس (ازدراك) وامتهنك .
الفقير المتشبه بالغني كالوارم المتشبه بالسمين .
البخيل تغافله عن عظيم الجرم اسهل عليه من المكافأة على صغير الإحسان شرير العالم يفرح بالطعن على من تقدمه من العلماء، ويسوءه بقاء من في عصره منهم، لأنه يحب ألا يكرم سواه، والغالب عليه في العلم شهوة الرياسة .

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ١/ ١٢٠

من مدحك بما ليس فيك فهو مخاطب غيرك، وكذا من هجنك البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل من ماله . إذا أقبلت الدولة خدمت الشهوات العقول، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات . إذا أصحبت العاقل فأرضه و أسخط حاشيته، وإذا خدمت الجاهل فافعل ضد ذلك .

حرام على الملك السكر فإنه حارس المملكة، وقبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه .

الشجاع يختار حسن الذكر على البقاء، والجبان يختار البقاء على حسن الذكر .

الأماني أحلام المستيقظ . وقال: أول ما يظهر بعد الطوفان والأمراض الوبائية المفنية للناس الضروريات من الملابس والمآكل، ثم بعد ذلك يطلبون الحسن منها.

الجند والمدن والحصون تتخذ أولا هربا من السباع الضاربة ثم بعد ذلك لتوقي (الناس) بعضهم من بعض .

إذا تمسك الأبناء بسنن الآباء فربما داخلتهم المصيبة فدعت الضرورة إلى صاحب شرع حق يدعوهم إلى شئ واحد فيه صلاحهم .

الحكيم العالم أبو القاسم الكرماني

كان حكيما جرت بينه وبين أبي علي مناظرة، أدت إلى مشاجرة **لزمها سوء الأدب**. ونسبه أبو علي إلى قلة العناية بصناعة المنطق، ونسب أبو القاسم أبا علي إلى الغلط و المغالطة. وكتب هذه المناظرة أبو علي إلى الشيخ الوزير الأمين أبي سعيد الهمذاني الذي صنف أبو علي باسمه الرسالة الأضحوية، وكتب الحكيم أبو الخير إليه رسالته المعروفة . ومن كلمات الحكيم أبي القاسم قوله : الطبيب خادم القدر صح المريض أو هلك .

وقال: تأثير العلويات بتقدير الله تعالى في السفليات لا ينكر، لأن الأسفل مربوط بالأعلى، والتفاصيل لا تدرك، فاختر أمرا بين أمرين فإنك في ذلك تحتاج إلى علم زماني وغير زماني .

وقال يوما للشيخ أبي علي : لا يقدر ما عندك بتهجين ما عند غيرك فإن الحق ابلج و الإنصاف لم ينعدم .

وقال: المبتهج بمدحه الذي يسمعه كمادح نفسه وقال : معاتبة الجاهل كالطالب من الأعمى صحة البصر .

أبو الفتح يحيى بن علي بن محمد

الكاتب البستي كان أبو الفتح حكيما شاعرا من خدم الملوك السامانية وندماء الأمير خلف بن احمد

واستخدمه الأمير ناصر الدين سبكتكين فقال له أبو الفتح أنا غرس أعدائك فلا تثق بي إلا بعد تجربتي فان التجربة تزيل الشبهة. وعاش هو إلى أيام السلطان محمد بن محمود، وخلع عليه السلطان محمد بن محمود مرارا، وقيل هو كاتب باتبور صاحب بست واستحضره الأمير سبكتكين، وكان كاتب السلطان محمود مدة، ثم اتفق له مفارقة خراسان مع الخاقانية، وتوفي بما وراء النهر.

فللأمور مواقيت مقدرة ... وكل أمر له حد وميزان

فلا تكن عجلا في الأمر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران

يا أيها العالم المرضي سيرته ... أبشر فأنت بغير الماء ريان

ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج ... فأنت ما بينها لا شك ظمآن

وقوله:

تق الله والزم عرى دينه ... وبعدهما فاعرف الفلسفة

ودع عنك قوما يعيبونها ... ففلسفة المرء فل السفه

وقوله:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وقوله:

لا تلمني على اضطراب تراه ... في كتاب أخطه أو قريض." (١)

"ومن كلماته قوله: الحسود لا يرجى الاستمتاع به، وكيف يرجى الاستمتاع (بمن) مضرته تنال القريب فضلا عن الغريب.

الفضيلة في ذوي الأخطار زينة العالم.

لسان العلم أفصح من كل لسان.

كفى بالعلم نفاسة أنه يفخر به من لا يعرفه، وكفى بالجهل ذلالة أنه يأنف منه من يعرفه من نفسه.

الإنسان موزون بين كفتي النفس والطبيعة.

الإصرار على الشر مع ذي الإقلاع عنه زيادة في الشر.

كذبت حواسك الخمس إلا إذا شهد لدعواها العدل الرضا.

---

(١) تتمة صوان الحكمة، ص/٧

احرص على أن تعمل جيدا لا على أن تقول جيدا.

لا تنازع من فوقك، ولا تقل ما لا تعلم.

استصغر الكبير في طلب المنفعة، واستعظم الصغير عند دفع المضرة.

أعط من دونك ما تحب أن يعطيك من فوقك.

النظر في أعمال الأخيار وسننهم جلاء العقول.

لا تأس على ما فاتك أسى القنوط، ولا تفرح بما أتاك فرح أشر.

الحكيم أبو حامد أحمد بن اسحق الأسفزاري

الحكيم المتقي والفيلسوف المبرز، له تصانيف في الرياضيات والمعقولات، وكلامه في تصانيفه منقح لا غبار عليه، ولا يشوبه ضعف. ومن كلماته: أحق ما صبر عليه المرء ما ليس إلى تغييره سبيل.

ما لا تحب أن تفعله لا تخطر ببالك ذكره.

اختر الرمي بالحجارة بغير فائدة على التفوه بكلام باطل.

العلم بالله يكون باللفظ اليسير، فاللفظ الكثير دليل على عدم العلم به.

إذا أضمرت سوءا في غيرك فأنت أقرب في الإساءة إلى نفسك وجعلت حياتك حياة رديئة.

وقال: الصلاة الحسنة والعبادات علامة معرفة الله تعالى.

المظلوم الذي لا يظلم مستجاب الدعوة.

عسير على الإنسان أن يكون حرا وهو مطيع للعادة السيئة.

لا تتكلم بما لا يعنيك، وتكلم بما يعنيك في وقته وموضعه.

لا تبالغ بإفراط الهشاشة والبشاشة، فإن ذلك من السخف كما أن قلة الكلام من الكبر.

الحكيم أبو الوفاء البوزجاني

بلغ المحل الأعلى في الرياضيات، وكان حميد الأثر، وكفى بذلك شاهدا تصنيفه المعنون بالمنازل ثم زيجه ثم سائر تصانيفه وكان نقي الجيب من عثرات الدنيا قانعا بما عنده ومن كلماته قوله: لا خير في الحياة إلا مع الصحة والأمن **من سوء الأدب** الاستخفاف بحق المؤدب لا تتحدث مع من يرى حديثك غنما إلا عند الضرورة إن غلبك غيرك في الكلام فلا يغلبك أحد في السكوت إن كان السفيه عندك فخصه بترك المكافأة.

لا تجالس أحدا بغير طريقته، فإنك إن لقيت الجاهل بالعلم، والماجن بالجد، فقد آذيت جليسك، وأنت

مستغن عن إيذائه.

الحكيم بطليموس التالي أبو علي بن الهيثم

كان تلو بطلميوس في العلوم الرياضية والمعقولات، وتصانيفه (أكثر) من أن تحصى، وله في الأخلاق رسالة لطيفة ما سبقه بها أحد. وقد صنف كتابا في الحيل، بين فيه حيلة إجراء نيل مصر عند نقصانه في المزارع، وحمل الكتاب وقصد قاهرة مصر فنزل في خان، فلما ألقى عصاه قيل له إن صاحب مصر الملقب بالحاكم على الباب يطلبك فخرج أبو علي ومعه كتابه.

وكان أبو علي قصير القامة، وعلى باب الخان دكان فصعد أبو علي الدكان، ودفع الكتاب إلى صاحب مصر، وصاحب مصر راكب حمارا مصر يا، مع آلات مفضضة. فلما نظر صاحب مصر في الكتاب قال له: أخطأت فإن مؤنة هذه الحيلة أكثر من منافع الزرع، وأمر بهدم الدكان ومضى، فخاف أبو علي على نفسه، وهرب حين جن الليل، وأقام بالشام عند أمير من أمرائها فاقبل عليه ذلك الأمير، وأجرى عليه أموالا كثيرة، فقال له أبو علي: يكفيني قوت يوم، وتكفيني جارية وخادم: فما زاد على قوت إن أمسكته كنت خازنك، وإن أنفقته كنت قهرمانك ووكيلك، وإذا اشتغلت بهذين الأمرين فمن الذي يشتغل بأمري وعلمي. فما قبل بعد ذلك إلا نفقة احتاج إليها، ولباسا متوسطا. وقد قصده من أمراء سمنان أمير يقال له سرخاب متعلما، فقال له أبو علي: أطلب منك للتعليم أجرة، وهي مائة دينار في كل شهر، فبذل ذلك الأمير مطلوبه وما قصر فيه، وأقام عنده ثلاث سنين. فلما عزم الأمير على الانصراف قال له أبو علي: خذ أموالك بأسرها فلا حاجة لي إليها وأنت أحوج إليها مني عند عودك إلى مقر ملكك ومسقط رأسك، وإني قد جربتك بهذه الأجرة، فلما علمت أنه لا خطر ولا موقع للمال عندك في طلب العلم، بذلك مجهودي في تعليمك وإرشادك. واعلم ألا أجرة ولا رشوة ولا هدية في إقامة الخير ثم ودعه وانصرف.." (١)

"بشر يجود إذا قصد ... ت تريد جداوه هلم

ما قال لا في حاجة ... لا بل يقول نعم نعم

وهو العفو عن المس ... ئ وعن قبائح ما اجترم

نام القضاة عن الأنا ... م وعين بشر لم تنم

وحكيم أهل زمانه ... فيما يريد وما حكم

وكأنه القمر المني ... ر إذا بدا أجلى الظلم

---

(١) تتمة صوان الحكمة، ص/١٦

وكأنه البحر المطل ... إذا تقاذف والتطم

وكأنه زهر الربي ... ع إذا تفتح أو نجم

ختم الإله لبشرنا ... بالخير منه إذا ختم

قال أحمد بن كامل القاضي: مات بشر بن الوليد الكندي المفلوج صاحب أبي يوسف القاضي، في سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وبلغ سبعا وتسعين سنة، ودفن في مقابر باب الشام. رحمه الله تعالى.

٥٦٨ - بشر بن يحيى المروزي

قال نصير بن يحيى: سئل بشر بن يحيى المروزي عن ماء وقعت فيه نجاسة، فأرة أو نحوها، والماء قليل، فعجن به وخبز، قال: بيعوه من النصارى، ولا أراهم يأكلونه إن علموا ذلك، فلا بد من الإعلام. ثم قال: بيعوه من اليهود، ولا أراهم يأكلونه إن علموا ذلك. ثم قال: بيعوه من المجوس، ور أراهم يأكلونه إن علموا ذلك. ثم قال: بيعوه من هؤلاء الذين يقولون: الماء طاهر لا ينجسه شيء. كذا في " حيرة الفقهاء " ، نقله صاحب " الجواهر " .

قلت: وفيه **من سوء الأدب**، وبذاءة اللسان، ما لا يخفى، ومثل هذا لايليق بشأن أهل العلم، سامحه الله تعالى، وغفر له بمنه وكرمه.

٥٦٩ - بشر بن أبي الأزهر القاضي، واسم أبي الأزهر يزيد

النيسابوري، وكنيته أبو سهل

تفقه على أبي يوسف، وسمع ابن المبارك، وابن عيينة، وأبا يوسف، وشريكا، وابن وهب، في آخرين.

روى عنه الإمام علي ابن المديني، ومحمد بن يحيى الدهلي.

ذكره الحاكم في " تاريخ نيسابور " ، وقال: من أعيان الفقهاء الكوفيين، وأديانهم، ومفتيهم، وزهادهم، مات ليلة الأربعاء، السادس من رمضان، سنة ثلاث عشرة ومائتين. رحمه الله تعالى.

٥٧٠ - بكار بن الحسن بن عثمان بن زياد بن عبد الله، الفقيه

العنبري، الأصبهاني، مفتيها

حدث عن أبيه، وعن ابن المبارك، وإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة.

امتحن في أيام الواثق، فلم يجب إلى ما يريدون، وقال: عيون الناس ممدودة إلي، فإن أجبت أخشى أن يجيبوا ويكفروا. وتجهز ليخرج، فوكل به، وعزم حبان بن بشر القاضي على نفيه من أصبهان، فجاء البريد بموت الواثق، فطرد الأعوان عن داره، فقال الناس: ذهب بكار بن الحسن بالدست، وخرى حبان في

الطست.

قال ابن أبي الشيخ: مات سنة ثمان ومائتين، رحمه الله تعالى.

وسيأتي أبوه الحسن في بابه، إن شاء الله تعالى.

٥٧١ - بكار بن قتيبة بن عبد الله بن أبي بردعة

ابن عبيد الله بن بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة

أبو بكرة الثقفي، البكراوي

وفي هذا النسب، من تقديم بعض الآباء، على بعض، وإثبات البعض، وإسقاط البعض، خلاف، لا علينا أن نطيل به، لعدم الفائدة المهمة في ذلك.

ولدسنة اثنتين وثمانين ومائة، وأخذ الفقه والشروط عن هلال بن يحيى، وعيسى بن أبان، وطلب الحديث، فأكثر عن أبي داود الطيالسي، ويزيد بن هارون، وصفوان بن عيسى، وعبد الصمد بن عبد الوارث، ومؤمل بن إسماعيل، وغيرهم من مشايخ البصرة.

وروى عنه أبو داود السجستاني، خارج " السنن " وابن خزيمة، وأبو عوانة، في " صحيحيهما " والطحاوي، أكثر عنه جدا، وخلائق كثيرون، وكان له اتساع في الفقه والحديث.

وعن أحمد بن سهل الهروي قال: كنت ألازم غريما لي، بعد العشاء الآخرة، أو نحو هذا، وكنت ساكنا في جوار بكار بن قتيبة، فانصرفت إلى منزلي، فإذا هو يقرأ (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض)، الآية، فوقفت أتسمع عليه طويلا، ثم انصرفت فقمت في السحر، على أن أصير إلى منزل الغريم، فإذا هو يقرأ هذه الآية، ويرددها، فعلمت أنه كان يقرؤها من أول الليل.

وكان كثيرا ما ينشد:

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها ... لعيبي في نفسي عن الناس شاغل." (١)

"وثلثمائة يوم الأربعاء، لست خلون منه، بعد طلوع الشمس بساعة. وقيل؛ توفي سنة أربع وعشرين وهو ابن مجاهد المقرىء ببغداد، والله أعلم، ودفن ثاني يوم بباب الكوفة، رحمه الله تعالى.

قال ابن خالويه: ليس في العلماء من اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سوى (١) نفطويه.

ومن شعره ما ذكره أبو علي القالي في كتاب الأمالي (٢) :

قلبي عليك أرق من خديكا ... وقواي أوهى من قوى جفنيكا

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص/١٩٢

لم لا ترق لمن يعذب نفسه ... ظلما وبعطفه هواه عليكا وفيه يقول أبو عبد الله محمد بن زيد (٣) بن علي بن الحسين الواسطي المتكلم المشهور، صاحب الإمامة وكتاب إعجاز القرآن الكريم في نظمه وغيرهما:

من سره أن لا يرى فاسقا ... فليجتهد أن لا يرى نفطويه

أحرقه الله بنصف اسمه ... وصير الباقي صراخا عليه وتوفي أبو عبد الله محمد (٤) المذكور سنة سبع – وقيل: سنة ست – وثلثمائة رحمة الله تعالى.

حكى عبد العزيز بن الفضل قال: خرج القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، وأبو بكر محمد بن داود الظاهري، وأبو عبد الله نفطويه إلى وليمة دعوا لها، فأفضى بهم الطريق إلى مكان ضيق، فأراد كل واحد منهم صاحبه أن يتقدم عليه، فقال ابن سريج: ضيق الطريق **يورث سوء الأدب**، وقال ابن داود: لكنه يعرف مقادير الرجال، فقال نفطويه: إذا استحكمت المودة بطلت التكاليف.

ونفطويه – بكسر النون وفتحها والكسر أفصح والفاء ساكنة – قال أبو

---

(١) د: إلا.

(٢) الأمالي ١: ٢٠٧.

(٣) أ: يزيد.

(٤) ب هـ : أبو عبيد الله إبراهيم بن محمد.." (١)

"الحسن جوهر – المقدم ذكره في حرف الجيم – وكان العقد في مجلس العزيز ولم يحضره إلا خواصه، وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار، والكتاب ثوبا مصمتا.

وكان المعز أبو تميم معد والد العزيز المذكور قد تقدم وهو بالمغرب إلى القاضي أبي حنيفة النعمان المذكور في أول الترجمة بعمل اسطرلاب فضة، وأن يجلس مع الصائغ أحد ثقاته، فأجلس أبو حنيفة ولده المذكور محمدا، فلما فرغ الاسطرلاب حمله أبو حنيفة إلى المعز، فقال له: من أجلست معه فقال: ولدي محمدا، فقال: هو قاضي مصر، فكان كما قال، لأن المعز كانت تحدثه نفسه أبدا بأخذ مصر، فلهذا تلفظ بهذا الكلام، ورافقته السعادة مع المقادير.

وقال القاضي محمد المذكور: كان المعز إذا رآني وأنا صبي بالمغرب يقول لولده العزيز: هذا قاضيك. وكان محمد جيد المعرفة بالأحكام مفننا في علوم كثيرة **حسن الأدب** والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس، وله

---

(١) وفيات الأعيان، ٤٨/١

شعر، فمن ذلك قوله:

أيا مشبه البدر بدر السماء ... لسبع وخمس مضت واثنتين

ويا كامل الحسن في نعته ... شغلت فؤادي وأسهرت عيني

فهل لي من مطمع أرتجيه ... وإلا انصرفت بخفي حنين

ويشمت بي شامت في هواك ... ويفصح لي ظلت صفر اليدين

فإما مننت وإما قتلت ... فأنت القدير على الحالتين وكتب إليه عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي:

تعادلت القضاة علا فأما ... أبو عبد الإله فلا عديل

وحيد في فضائله غريب ... خطير في مفاخرة جليل

تألق بهجة ومضى اعتزاما ... كما يتألق السيف الصقيل

فيقضي والسداد له حليف ... ويعطي والغمام له رسيل

لو اختبرت قضاياه لقالوا ... يؤيده عليها جبرئيل

إذا رقي المنابر فهو قس ... وأن حضر المشاهد فالخليل فكتب إليه القاضي محمد المذكور:." (١)

"بن أبي النصر بن محمد اللفتواني (١) الحافظ يقول: بيت ابن منده بدئ بيحيى وختم بيحيى، يريد في معرفة الحديث والعلم (٢) والفضل.

وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي - المقدم ذكره - في " مساق (٣) تاريخ نيسابور " فقال: أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور في الدنيا، سافر وأدرك المشايخ وسمع منهم، وصنف على الصحيحين، وكان يروي بإسناده المتصل إلى بعض العلماء أنه قال: كثرة الضحك أمارة الحمق، والعجلة من ضعف العقل، وضعف العقل من قلة الرأي وقلة الرأي **من سوء الأدب**، وسوء الأدب يورث المهانة، والمجون طرف من الجنون، والحسد داء لا دواء له، والنمائم تورث الضغائن. وكان يروي بالإسناد المتصل إلى الأصمعي أنه قال: دخلت في البادية إلى مسجد، فقام الإمام يصلي فقرأ: (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) نوح: وأرتج عليه، فجعل يرددها ويقول: (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) فقال إعرابي من ورائه، وهو قائم يصلي: يا هذا، إن لم يذهب نوح فأرسل غيره.

وكان يحيى المذكور كثيرا ما ينشد لبعضهم:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... وللمشتري دنياه بالدين أعجب

---

(١) وفيات الأعيان، ٥/٤٢٠

وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أخيب (٤) وكانت ولادته في غداة يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وتوفي يوم عيد النحر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة بأصبهان، ومولده بها أيضا، رحمه الله تعالى؛ ولم يخلف في بيت ابن منده بعده مثله.

وقال ابن نقطة في كتابه " إكمال الأكمال " توفي يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وذكر أن مولد أبيه عبد الوهاب

---

(١) في أكثر النسخ: الكفتواني، وأثبت ما في ن.

(٢) ن: والحفظ والعلم.

(٣) ن: سياق، وكذلك ورد من قبل في عدة مواضع.

(٤) في النسخ جميعا: أعجب، وهو تكرار دون فرق في المعنى، فأبقين، ما في المطبوعة المصرية.." [1]

"كان أولا وقعة بدر أو أحد فإنك لا تدري أيهما كان قبل الآخر، فأمسك عنه.

وذكر في الكتاب المذكور أيضا عن علي بن الجعد أن القاضي أبا يوسف كتب يوما كتابا، وعن يمينه إنسان يلاحظ ما يكتبه، ففطن له أبو يوسف، فلما فرغ من الكتابة التفت إليه وقال له: هل وقفت على شيء من خطأ فقال: لا والله ولا حرف واحد، فقال له أبو يوسف: جزيت خيرا حيث كفيتنا مؤونة قراءته، ثم أنشد:

كأنه من سوء تأديبه ... أسلم في كتاب سوء الأدب وقال حماد بن أبي حنيفة (١) : رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر، وهما يتجادلان في مسألة، فلا يقول أبو يوسف قولا إلا أفسده زفر، ولا يقول زفر قولا إلا أفسده أبو يوسف، إلى وقت الظهر، فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر، وقال: لا تطمع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف، وقضى لأبي يوسف على زفر، ولم يكن بعد أبي يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر.

وقال طاهر بن أحمد الزبيري (٢) : كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تتكلم، فقال: بلى، متى يفطر الصائم فقال: إذا غابت الشمس، فقال: فإن لم تغب إلى نصف الليل، فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صميك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك، ثم تمثل:

عجبت إزراء الغبي بنفسه ... وصمت الذي قد كان بالقول أعلما

---

(١) وفيات الأعيان، ١٧٠/٦

وفي الصمت ستر للغبي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما ومن كلام أبي يوسف (٣) : صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة. وكان يقول: رؤوس النعم ثلاثة: فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها،

---

(١) تاريخ بغداد: ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق: ٢٤٨.

(٣) متابع للنقل عن المصدر السابق.." [1]

"وهو لا يسأل ما حيلته، والأقدار هي التي جعلته يحتال ويعمل كما هو مشاهد. ومنه أن بعض الناس ألقوا أنفسهم في اليم ومنهم من لم يلقها، ولو كانت الأقدار حكمت على كل إنسان يلقى في اليم مكتوفا لكانوا كلهم سواء وما هم بسواء..."١.

والذين تمذهبوا بمذهب الجبر وتبرأوا من اسمه هم الأشعرية، وقد اتخذ رشيد رضا موقفا معارضا لما ذهبوا إليه، وحمل على مذهبهم وبين فساده، فبعد أن يورد مذهب السلف الصالح نقلا عن مصادرهم، يقول مخاطبا قراءه: "أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد إلا كتب متأخري الأشعرية القائلة بأن لا تأثير للأسباب في مسبباتها ولا لقدرة الإنسان في عمله، وأن الله يخلق السبب عند المسبب، وأن العبد كاسب لعمله في الظاهر مجبور عليه في الحقيقة..."٢ .

ويرد مذهب الجبرية أيضا في قولهم أن الأفعال هي خلق لله تعالى وأنها تنسب للإنسان لأنه محلها فقط، فيقول: "إن أفعاله تسند إليه ويوصف بها لأنها تقوم به وتصدر عنه، لا لأنه محلها..."٣ .

ويرشد رشيد رضا قراءه بأن لا يلتفتوا لهذا الجدال والفلسفة التي تقع بين المعتزلة والأشعرية٤ ويعد هذا الجدال **من سوء الأدب** مع الله تعالى. ويرى أن هذه الطريقة وتلك الفلسفات هي التي أفسدت عقيدة العامة من المسلمين المتأخرين، الذين اختلط عليهم الأمر، فترى في كلامهم ما يدل تارة على القدر وتارة على الجبر لاضطراب عقائدهم بسبب هذه الفلسفات، وأنهم أصبحوا في المسائل المتعلقة بإقامة الدين جبرية، وفي المسائل المتعلقة بالدنيا قدرية٥.

----

١ المصدر نفسه (٨/٢٣-٢٤).

٢ مجلة المنار (٩/١١٠).

---

(١) وفيات الأعيان، ٦/٣٨٣

٣ تفسير المنار (٨/٢٨٦).

٤ المصدر نفسه (٣/٢٣٠ و٨/٥٠).

٥ مجلة المنار (١٢/١٩٧).

وأما المذهب الحق في رأي رشيد رضا ـ في مسألة القدر ـ وفي كل مسألة فهو مذهب السلف الصالح ١.." (١)

"كما أن رشيد رضا يرى أن هذا الجدال بين الأشعرية والمعتزلة وما يشوبه من احتجاج بعضهم على بعض بعبارات مبتدعة هي **من سوء الأدب** مع الله تعالى وهو مما يجب الاستغفار منه ٢.

ـــ

١ المصدر نفسه (٨/ ٥٩ ـ ٦٠)

٢ المصدر نفسه.

المبحث التاسع: العمر، والرزق، والدعاء:

وهذه المسائل الثلاث فمن فروع عقيدة القدر. ولدينا في مسألة العمر أدلة ظاهرها التعارض، فتدل طائفة منها على أن الأجل لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص، ومنها قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ ١. وقوله تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها﴾ ٢. وطائفة أخرى من الأدلة تشير إلى معنى زيادة العمر ونقصه؛ منها قوله تعالى: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ ٣، وقوله تعالى: ﴿ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده﴾ ٤.

ومن السنة أحاديث: منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره، فليصل رحمه" ٥.

ـــ

١ سورة الأعراف، الآية (٣٤)، وسورة النحل، الآية (٦١)

٢ سورة المنافقون، الآية (١١)

٣ سورة فاطر، الآية (١١)

٤ سورة الأنعام، الآية (٢)

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيد ة، ص/١٢٢

٥ أخرجه البخاري: ك: الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم، مف الفتح (١/ ٤٢٩) برقم: ٥٩٨٦، ومسلم:: ك: البر، باب: في صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٤/ ١٩٨٢) برقم: ٢٥٥٧، و انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد (٨ / ١٥٢ ـ ١٥٣)

فاختلفت أنظار العلماء في ذلك، وتباينت وجهاتهم في الجمع بين هذه النصوص على أقوال:
الأول: أن الزيادة ليس حقيقية بل هي كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة ١.." (١)

"في السنة عن اللعن الذي يتساهل فيه أهل الأهواء من السفهاء ١. ولأنه لا يستحق اللعن إلا من مات كافرا بالله وغضب الله عليه، وهذا لا يعرف إلا بوحي من الله تعالى، ولأن الخاتمة مجهولة ٢ ووراء ذلك كله: "إن السواد الأعظم من المسلمين يعدون سب معاوية ولعنه من الكبائر، ويرمون سابه بالرفض والابتداع، وأن السني من المسلمين ليعادي الشيعي على سب معاوية وأبي سفيان بله الخلفاء الثلاثة، ويعادي الخارجي على سب عثمان وعلي ما لا يعادي غيرهما على ترك فريضة من الفرائض أو ارتكاب فاحشة من الفواحش، فهذا الطعن في عظماء الصحابة وحملة الدين الأولين لو كان جائزا في نفسه لكفى في تحريمه ما يترتب عليه من زيادة التفريق بين أهل القبلة وتمكين العداوة في قلوبهم حتى يكفر بعضهم بعضا. لهذا لا أبالي أن أقول لو اطلع مطلع على علم الغيب فعلم أن معاوية مات على غير الإسلام لما جاز له أن يلعنه..." ٣. وقد استفتي الشيخ رشيد في لعن معاوية غير مرة فلم يفت به ولم يرضه ٤.
ورغم ذلك فإن موقف الشيخ رشيد من معاوية رضي الله عنه غير مرضي. إنه يقول: "إن سيرة معاوية تفيد بجملتها وتفصيلها أنه كان طالبا للملك ومحبا للرياسة، وإنني لأعتقد أنه قد وثب على هذا الأمر مقتاتا، وأنه لم يكن له أن يحجم عن مبايعة علي بعد أن بايعه أولو الأمر... وإنني على اعتقادي هذا لا أرى للمسلمين خيرا في الطعن في الأشخاص والنبز بالألقاب واللعن والسباب، وإنما عليهم أن يبحثوا عن الحقائق ليعلموا من أين جاءهم البلاء فيسعوا في تلافيه مع الاتحاد والاعتصام، والاقتداء بالسلف الصالح في **حسن الأدب** مع الصحابة الكرام" ٥.
ويقول أيضا: "...ونحن من أولياء علي ـ عليه السلام والرضوان ـ لا

---

١ المصدر نفسه (٨/ ٦٢٩ ـ ٦٣٠)

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ، ص/١٥٤

٢ مجلة المنار (٨/٦٢٦)

٣ مجلة المنار (٨/٦٣٠)

٤ المصدر نفسه والصفحة

٥ المصدر نفسه (٩/ ٢١٣)." (١)

"... ... كثير من المنتسبين إلى السنة وإلى العلم الشرعي يحرصون على الاستفتاء في كل المسائل بيد أن الغالب على طائفة منهم عدم التأدب بآداب طلبة العلم، والتخلق بأخلاق أصحابه. وقد بلي الشيخ أبو بكر جومي بكثير من هذا الصنف، فكانوا يسألونه الأسئلة المتهافتة الغرض منها إثارة الفتن وزعزعة أفكار الناس أو التشهير برأي المفتي أو الاستهزاء به. وكان البعض منهم يلقى الأسئلة على عواهنها في أول الدرس أو وسطه حسبما شاء من دونما استئذان من الشيخ أو انتظار لينهى الشيخ كلامه الذي هو في أثنائه أو يكون السائل جافا في أسلوبه غليظا في ألفاظه جهوريا في صوته، بحيث وصل **بأحدهم سوء الأدب** إلى أن يقاطع الشيخ في كلامه ويقول له "كفرت بهذا الذي ذكرت". وكان الشيخ أبو بكر جومي يجيب على أسئلتهم بكل هدوء ووقار ويواصل درسه إذا اقتضى الأمر ذلك، ولم يكن يبالي بكثرة الضجيج ولا كان يرد بالمثل لمن أساء الأدب إليه، ولكنه كان لبيبا يتفطن لأسئلة الاستهزاء ويعرف كيف يجيب عليها بما يناسبها. ويتصف بالحلم عند مضايق الأسئلة، فمثلا لم يجب الذي قال له : "كفرت بهذا الذي ذكرت " إلا أنه تشهد بكلمة الشهادة التي هي مفتاح الإسلام ثم قال له : هل دخلت الآن في الإسلام ؟ فقال : نعم. قال : إذن لنستمر في درسنا !

ثانيا : أسلوبه في الرد على المخالف والحوار معه.." (٢)

"صليبة من العرب أصله شامي من حمص وقدم أبوه سعيد في جند حمص قال محمد ابنه: قلت له: أنحن صليبة من تنوخ؟ فقال لي: وما تحتاج إلى ذلك فلم أزل به حتى قال لي: نعم وما يغني عنك ذلك من الله شيئا إن لم تتقه.

وسحنون: لقب له واسمه: عبد السلام وسمى سحنون باسم طائر حديد: لحدته في المسائل وقد جمع الناس أخبار سحنون مفردة ومضافة وممن ألف فيها تأليفا مفردا: أبو العرب التميمي ومحمد بن حارث القروي.

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، ص/٢٩٢

(٢) الشيخ أبوبكر محمود جومي: حياته مواقفه وآراؤه، ص/٧٣

ذكر طلبه ورحلته: أخذ سحنون العلم بالقيروان من مشايخها: أبي خارجة وبهلول وعلي بن زياد وابن أبي حسان وابن غانم وابن أشرس وابن أبي كريمة وأخيه: حبيب ومعاوية الصمادحي وأبي زياد الرعيني ورحل في طلب العلم في حياة مالك وهو بن ثمانية عشر عاما أو تسعة عشر وكانت رحلته إلى بن زياد بتونس وقت رحلة بن بكير إلى مالك.

قال سحنون: كنت عند بن القاسم وجواباته ترد عليه فقيل له: فما منعك من السماع منه؟ قال: قلة الدارهم وقال مرة أخرى: لحا الله الفقر فلولاه لأدركت مالكا فإن صح هذا فله رحلتان. وسمع من بن القاسم وابن وهب وأشهب وطليب بن كامل وعبد الله بن عبد الحكم وسفيان بن عيينة ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي وحفص بن غياث وأبي داود الطيالسي ويزيد بن هارون والوليد بن مسلم وابن نافع الصائغ ومعن بن عيسى وابن الماجشون ومطرف وغيرهم. وانصرف إلى إفريقية سنة إحدى وتسعين ومائة.

قال سحنون: سمع مني أهل أجدابية سنة إحدى وتسعين وفيها مات بن القاسم قال: وخرجت إلى بن القاسم وأنا بن خمس وعشرين وقدمت إلى إفريقية بن ثلاثين سنة وأول من قرأ علي عبد الملك بن زونان.

قال أبو العرب: كان سحنون ثقة حافظا للعلم فقيه البدن اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره: الفقه البارع والورع الصادق والصرامة في الحق والزهادة في الدنيا والتخشن في الملبس والمطعم والسماحة.

وكان لا يقبل من السلطان شيئا وربما وصل أصحابه بالثلاثين دينارا أو نحوها. ومناقبه كثيرة وكان مع هذا رقيق القلب غزير الدمعة ظاهر الخشوع متواضعا قليل التصنع كريم الأخلاق **حسن الأدب** سالم الصدر شديدا على أهل البدع لا يخاف في الله لومة لائم وسلم له الإمامة أهل عصره واجتمعوا على فضله وتقديمه.

سئل أشهب عمن قدم إليكم من أهل المغرب؟ قال: سحنون قيل له: فأسد؟ قال: سحنون والله أفقه منه بتسع وتسعين مرة. وقال أيضا: ما قدم إلينا من المغرب مثله وقال بن القاسم: ما قدم إلينا من إفريقية مثل سحنون قال أبو زيد بن أبي الغمر: لم يقدم علينا أفقه من سحنون إلا أنه قدم علينا من هو أطول لسانا منه يعني بن حبيب. وقال يونس بن عبد الأعلى: هو سيد أهل المغرب فقال له حمديس: أو لم يكن سيد أهل المغرب والمشرق؟.

أخذ سحنون من بن وهب مغازيه إجازة وكان العلم في صدر سحنون كسورة من القرآن من حفظه وقال سحنون: إني حفظت هذه الكتب حتى صارت في صدري كأم القرآن وقال بن القاسم: إن أسعد أحد – بهذه الكتب – لسحنون. وقال بن وضاح: كان سحنون يروي تسعة وعشرين سماعا وما رأيت في الفقه مثل سحنون بالمشرق.

وقال بن حارث: قدم سحنون بمذهب مالك واجتمع له مع ذلك فضل الدين والعقل والورع والعفاف والانقباض فبارك الله فيه للمسلمين فمالت إليه الوجوه وأحبته القلوب وصار زمانه كأنه مبتدأ قد انمحى ما قبله فكان أصحابه سرج أهل القيروان وأنبه علمائها وأكثرهم تأليفا وابن عبدوس فقيهها وابن غافق عاقلها. وابن عمر حافظها وجبلة زاهدها وحمديس أصلبهم في السنة وأعداهم للبدعة وسعيد بن الحداد لسانها وفصيحها وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث وأشدهم وقارا وتصاونا كل هذه الصفات مقصورة على وقتهم.

قال محمد بن سحنون قال أبي: إذا أردت الحج فاقدم طرابلس وكان فيها رجال مدنيون ثم مصر وفيها الرواة ثم المدينة – وفيها مالك ثم مكة واجتهد ج٥دك فإن قدمت علي بلفظ خرجت من دماغ مالك ليس عند شيخك أصلها فاعلم أن شيخك كان مفرطا.

وقال سليمان بن سالم: دخلت مصر فرأيت بها العلماء متوافرين: عبد الحكم والحارث بن مسكين وأبا الطاهر وأبا إسحاق والبرقي وغيرهم ودخلت المدينة وبها أبو المصعب والفروي ودخلت مكة وبها ثلاثة عشر محدثا ودخلت غيرها من البلدان ولقيت علماءها ومحدثيها فما رأيت مثل سحنون وابنه بعده.." (١)

"رحل فسمع من بن القاسم وصحبه وعول عليه وانصرف إلى الأندلس وكانت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه في وقته أحد في قرطبة وكانت له فيها رياسة بعد انصرافه من المشرق وكان بن القاسم يعظمه ويجله ويصفه بالفقه والورع وكان لا يعد في الأندلس أفقه منه في نظرائه.

قال الرازي: كان عيسى عالما زاهدا متفننا حج حجات وولي قضاء طليطلة: للحكم والشورى بقرطبة.

وقال بن أيمن: هو الذي علم لأهل مصرنا المسائل وكان أفقه من يحيى بن يحيى – على جلالة يحيى وعظم قدره. وقال بن مزين وابن لبابة: فقيه الأندلس: عيسى. وقال أبو عمر الصدفي: هو من أهل النظر والفقه التام والورع. قال بن حارث: كان عيسى فقيها بارعا غير مدافع ومن متقدمي العلماء بالأندلس خيرا فاضلا عابدا ناسكا ورعا: من أهل العلم والعمل والخشية مجاب الدعوة صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة.

وشيعه بن القاسم عند انصرافه عنه ثلاث فراسخ فعوتب في ذلك فقال: تلومونني أن شيعت رجلا لم يخلف بعده أفقه منه ولا أورع؟. وقال بن القاسم: أتانا عيسى فسألنا سؤال عالم. وكان ينتجع بلده طليطلة وبها توفي سنة اثنتي عشرة ومائتين وقبره هناك مشهور وقيل: توفي منصرفه عن طليطلة.

---

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص/٩٧

وبه وبيحيى: انتشر عام مالك بالأندلس ورجعت الفتيا بها إلى رأيه وأدرك عيسى بن القاسم وابن وهب وأشهب فسمع من بن القاسم واقتصر عليه فاعتلت في الفقه طبقته. وكان من أهل الزهد البائس والدين الكامل وأحواله في العلم البارع والفضل الكامل مشهورة مع قوته في التفقه لمالك وأصحابه. وكان بن وضاح يقول: هو الذي علم أهل الأندلس الفقه.

ولعيسى سماع من بن القاسم: عشرون كتابا وله تأليف في الفقه يسمى: كتاب الهدية كتب به إلى بعض الأمراء: عشرة أجزاء.

وكان عيسى ذا هيئة حسنة وعقل رصين ومذهب جميل وكتب إلى بن القاسم في رجوعه عما رجع عنه من كتاب أسد فيما بلغه ويسأله إعلامه بذلك فكتب إليه بن القاسم: اعرضه على عقلك فما رأيته حسنا فأمضه وما أنكرته فدعه. وهذا يدل على ثقة بن القاسم بتفقهه. وتوفي سنة اثنتي عشرة ومائتين.

ومن الطبقة الثانية من إفريقية:

عيسى بن مسكين بن منظور الإفريقي

أصله من العجم ويتولى قريشا من أهل الساحل سمع من سحنون وابنه جميع كتبه ومن غيرهما وسمع بالشام من أبي جعفر الأيلي وبمصر من الحارث بن مسكين وأبي الطاهر والربيع ومحمد بن المواز ومحمد بن عبد الرحيم البرقي ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سنجر ويونس الصدفي ومن علي بن عبد العزيز وغيرهم.

سمع منه الناس: أحمد بن محمد بن تميم وأبو الحسن الكانشي وابن مسرور الحجام وعلي بن حمود وغيرهم.

كان فقيها عالما فصيحا ورعا مهيبا وقورا ثقة مأمونا صالحا ذا سمت وخشوع فاضلا طويل الصمت دائم الحمد رقيق القلب غزير الدمعة كثير الإشفاق متفننا في كل العلوم: الحديث والفقه واللغة وأسماء الرجال وكناهم وقوتهم وضعفهم فصيحا جيد الشعر كثير الكتب في الفقه والآثار صحيحا يشبه سحنونا في هيئته وسمته واعتماده على سحنون وبه كان يقتدي في كل أموره من شمائله وزهده ومباينته لأهل البدع **حسن الأدب** بين المروءة.

قال أبو علي البصري: لو أفردنا كتاب في ذكر مناقبه ومحاسنه وزهده وورعه وعدله ما انتهينا إلى وصفه. كان عالما باللغة قائلا للشعر من أهل الفضل البارع والورع الصحيح والصمت الطويل مستجاب الدعوة. قال الكانشي: أدخلني عيسى بن مسكين إلى بيت مملوء بالكتب ثم قال لي: كلها رواية وما فيها كلمة

غريبة إلا وأنا أحفظ لها شاهدا من كلام العرب؟. وكان محمد بن سحنون إذا استفتي قال: أفت يا أبا موسى. وكان إذا تفاخر أهل المدينة وأهل العراق برجالهم قيل لأهل العراق: عندكم مثل عيسى بن مسكين؟ فيفخمونه ويقولون: ذلك أفضلكم وأفضلنا. وولي القضاء بعد أن قال له الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب: ما تقول في رجل قد جمع خلال الخير أردت أن أوليه القضاء وألم به شعث هذه الأمة فامتنع؟ قال: يلزمه أن يلي قال: تمنع؟ قال: تجبره على ذلك بجلد. قال: قم فأنت هو؟ قال: ما أنا بالذي وصفت وتمنع. فأخذ الأمير بمجامع ثيابه وقرب السيف من نحره فتقدم بعد أمر عظيم وولاه بعد إجماع الناس عليه على اختلاف مذاهبهم وامتناعه.." (١)

" قال كان طاووس فقيها زاهدا ورعا محدثا عابدا ناسكا أدرك خمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث صحبهم وأخذ عنهم منهم علي وابن عباس وابن عمر ومعاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح وزيد بن ثابت وأبو هرير ومعظم أخذه عن الأولين قيل لعبيد الله بن أبي زيد مع من كنت تدخل على ابن عباس فقال مع عطا والعامة قيل له فطاووس قال أيهات كان ذلك يدخل مع الخواص وكان عمرو بن دينار الآتي ذكره إذا ذكر عنده طاووس يقول ما رأيت مثله

وروى عنه جماعة من التابعين كمجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وابن الزبير وابن المنكدر وابن منبه والزهري مع جمع غيرهم لا يحصون كثرة

ومن روايته المستحسنة ما قاله الرازي بإسناده عنه أنه كان يقول سمعت جابر بن عبد الله ومعاذ بن جبل وأبا عبيدة بن الجراح يقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يخرج الرجل من بيته صلاة الغداة فيجلس في مجلسه يعلم الغلمان السكينة والوقار **وحسن الأدب** أحب إلى الله من أن يعبده مئتي خريف لا يسخط الله عليه وعرضت هذا الخبر على بعض الفقهاء فقال لي انظر إلى أدب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر كيف لم ينسب إلى المعلم غير تعليم السكينة والوقار **وحسن الأدب** تأدبا مع الله إذ قال الله ! (الرحمن علم القرآن) ! قام طاووس بقضاء مخلافي الجند وصنعاء وكان يختلف بينهما وله في صنعاء مسجد يعرف به وهو الذي كان يقيم به أيام لبثه بصنعاء ولذلك يتوهم جماعة أن بلده صنعاء وكان ابن عباس إذا سئل عنه قال ذلك عالم اليمن

وكان ولاة اليمن يعولون في أمورهم الدينية على قوله وذلك عن وصاة من مواليهم غالبا فإنه قد كان شهرفي البلد أنه إمام وقته وفقيه مصره وكان متى قيل له

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص/١٠٥

". (١)

" فانتفع به أهل الشحر وانتشر عنه الفقه وتفقه به جماعة من أهلها وغيرهم منهم أحمد بن أبي السبتي الآتي ذكره وحسن بن علي باخير الحضرمي وهو فقيه الشحر في عصرنا حتى توفي ثم علي بن عبد الله با أسد حضرمي ثم من شبام عبد الله بن أحمد با حارث ويعرف بعبيد تصغير عبد ثم محمد بن مسعود عرف بأبي بهير من وادي حضرموت يقال له بور بفتح الباء الموحدة وسكون الواو ثم راء ويذكر أنه موجود الآن سنة ٧٢٦ ولم يزل هذا أبو الخير حاكما ومفتيا بالشحر حتى صار ملكها الى الغزو ذلك سنة ٧٦ وقيل سنة ٦٧٧ فاصدر القاضي الملقب بالبهاء اليها رجلا من أهل اليمن من القضاة الذين كانوا بابين يعرفون بالكرديين جمع كردي اسمه عمر بن محمد بن ابراهيم فلما قدم الشحر لزم أبو الخير بيته فكان الكردي يستدعيه في قضايا لا يليق استحضاره لأجلها ولا يجوز وربما انه كان اذا حضر سفه عليه سفها لا يبغي أن يكون من سفلة الى سفلة فكيف من قاض الى فقيه مشهور بالدين والفقه بحيث كان أهل الشحر يقولون بينهما في الفقه والفهم والدين كما بين البهيمة والادمي ولما طال **عليه سوء الأدب** من الكردي خرج عن الشحر الى حضرموت فأقام بها مدة ثم عاد الى حجر مسكنه أولا فلم يزل بها حتى توفي على راس سبعمائة وخمس ٧٠٥ وقبره مشهور يزار ويتبرك به وكان ذلك بقرية تعرف بالحصين بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وسكون ياء المثناة من تحت ثم نون تصغير حصن وخلفه في القرية ابن له اسمه احمد هو الآن فقيه الناحية وحاكما يسكن قرية يقال لها ميفعة لعرب يقال لهم العبديون ومنها موضع يسمى رضوم بفتح الراء وضم الضاد

المعجمة ثم واو ثم ميم وهي قرية اختطها الشيخ الصالح ابو معبد

". (٢)

"٢ رواية ياقوت: "فلست في الحلق..." ولعلها أصح. والقبل: الطاقة والمقدرة.

٣ الحسين: الصوت الخفي.

٤ ترجمته في طبقات ابن قاضي شهبة ص٢٥٦ وإنباه الرواة ١/ ٣١٣ وطبقات الزبيدي ص٨٦ وبغية الوعاة

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ٩٤/١

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ٤٥٧/٢

١/ ٥٠٧ والفهرست ١/ ٦٢ ومعجم الأدباء ٨/ ١٤٥ والأعلام ٢/ ٢١٠ ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٤٢.
والسيرافي بكسر السين: نسبة إلى سيراف، وهي من بلاد فارس، على ساحل الخليج العربي.
٥ محمد بن السري، أبو بكر، وقد ترجم له المصنف برقم ٣٢٠.
٦ ترجم له المصنف برقم ٣٤٢.

١١٥ ٣٦٤

١,٢٦ Results

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة
حرف الحاء

ابن مجاهد١ وابن دريد٢ وكان ورعا عالما، يأكل من كسب يده، ولا يخرج من بيته إلى الحكم إلا بعد نسخ عشر ورقات، يأخذ أجرتها عشرة دراهم، وكان يتجاهر بالاعتزال، وله تآليف منها: "شرح كتاب سيبويه" وأحسن فيه.
مات سنة ٣٦٨ ٣.
١٠٠- الحسن بن عبد الله بن سعيد، أبو أحمد العسكري٤.
من عسكر مكرم، من أعلام اللغويين، وأبو هلال العسكري من أصحابه٥ وله أصحاب نبلاء.
مات سنة ٣٨٢ ٦.
١٠١- الحسن بن عبد الله بن سهيل، أبو هلال العسكري٧.
الأديب، اللغوي، تلميذ أبي أحمد المذكور قبله. له مصنفات جليلة منها

---

١ أحمد بن موسى بن العباس التيمي، كبير العلماء بالقراءات في عصره. من أهل بغداد. وكان حسن الأدب، رقيق الأخلاق. توفي سنة ٣٢٤. الأعلام ١/ ٢٤٦.
٢ أبو بكر وقد ترجم له المصنف برقم ٣١٠.

٣ مولده عند السيوطي قبل سنة ٢٧٠.
٤ ترجمته في بغية الوعاة ١/ ٥٠٦ ومعجم الأدباء ٨/ ٢٢٣ وإنباه الرواة ١/ ٣١٠ وتاريخ ابن الأثير ٧/ ١٨٨ وتاريخ أبي الفداء ٢/ ١٣٣ ومرآة الجنان ٢/ ٤١٥ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٦٣، وشذرات الذهب ٣/ ١٠٢ والأعلام ٢/ ٢١١ ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٣٩.
والعسكري: نسبة إلى عسكر مكرم، وهي مدينة في الأهواز. وله مصنفات.
٥ صاحب ،الترجمة القادمة. وهو ابن أخته.
." (١)

"٢ رواية ياقوت: "فلست في الحلق..." ولعلها أصح. والقبل: الطاقة والمقدرة.
٣ الحسين: الصوت الخفي.
٤ ترجمته في طبقات ابن قاضي شهبة ص٢٥٦ وإنباه الرواة ١/ ٣١٣ وطبقات الزبيدي ص٨٦ وبغية الوعاة ١/ ٥٠٧ والفهرست ١/ ٦٢ ومعجم الأدباء ٨/ ١٤٥ والأعلام ٢/ ٢١٠ ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٤٢.
والسيرافي بكسر السين: نسبة إلى سيراف، وهي من بلاد فارس، على ساحل الخليج العربي.
٥ محمد بن السري، أبو بكر، وقد ترجم له المصنف برقم ٣٢٠.
٦ ترجم له المصنف برقم ٣٤٢.

٣٦٤ ١١٥

Results ١,٢٦

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة
حرف الحاء

ابن مجاهد١ وابن دريد٢ وكان ورعا عالما، يأكل من كسب يده، ولا يخرج من بيته إلى الحكم إلا بعد نسخ عشر ورقات، يأخذ أجرتها عشرة دراهم، وكان يتجاهر بالاعتزال، وله تآليف منها: "شرح كتاب سيبويه" وأحسن فيه.

---

(١) البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة- سوريا، /

مات سنة ٣٦٨ ٣.

١٠٠- الحسن بن عبد الله بن سعيد، أبو أحمد العسكري٤.

من ع‍سكر مكرم، من أعلام اللغويين، وأبو هلال العسكري من أصحابه٥ وله أصحاب نبلاء.

مات سنة ٣٨٢ ٦.

١٠١- الحسن بن عبد الله بن سهيل، أبو هلال العسكري٧.

الأديب، اللغوي، تلميذ أبي أحمد المذكور قبله. له مصنفات جليلة منها

---

١ أحمد بن موسى بن العباس التيمي، كبير العلماء بالقراءات في عصره. من أهل بغداد. وكان حسن الأدب، رقيق الأخلاق. توفي سنة ٣٢٤. الأعلام ١/ ٢٤٦.

٢ أبو بكر وقد ترجم له المصنف برقم ٣١٠.

٣ مولده عند السيوطي قبل سنة ٢٧٠.

٤ ترجمته في بغية الوعاة ١/ ٥٠٦ ومعجم الأدباء ٨/ ٢٢٣ وإنباه الرواة ١/ ٣١٠ وتاريخ ابن الأثير ٧/ ١٨٨ وتاريخ أبي الفداء ٢/ ١٣٣ ومرآة الجنان ٢/ ٤١٥ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٦٣، وشذرات الذهب ٣/ ١٠٢ والأعلام ٢/ ٢١١ ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٣٩.

والعسكري: نسبة إلى عسكر مكرم، وهي مدينة في الأهواز. وله مصنفات.

٥ صاحب الترجمة القادمة. وهو ابن أخته.

". (١)

"

٦٧٨ الحسن بن أحمد يكنى أبا عبد الله كانت له رواية في أدب الكتاب عن أبي علي البغدادي وكان يقرىء العربية واللغة ذكره ابن عزيز ولا أعرفه في أصحاب أبي علي ولعل اسمه الحسين

٦٧٩ حسن بن عبد العزيز بن حسن بن أبي عبدة من أهل قرطبة يكنى أبا محمد كان حسن الأدب والمعرفة وتوفي بالمرية إثر انتقاله إليها من بلنسية دار هجرته من قرطبة سنة أربعين وأربعمائة ذكره ابن حيان وقرأته بخط ابن حبيش

---

(١) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة- سوريا، /

٦٨٠ الحسن بن محمد بن هالس الأزدي المقرىء من أهل سرقسطة يكنى أبا علي سمع من القاضي أبي عبد الله بن فورتش تاريخ ابن أبي خيثمة وروى عن أبي عمرو المقرىء وأجاز له في صفر سنة أربع وأربعمائة وكان من جلة أصحابه وهو أحد الشهود على أبي عمر الطلمنكي بخلاف السنة غفر الله له أخذ عنه أبو الربيع سليمان بن حارث وقرأ عليه بعض خبره عن ابن خير

٦٨١ الحسن بن عبد الله بن زكرياء من أهل المرية يكنى أبا علي ويعرف بابن الفراء وهو عم القاضي أبي عبد الله كان من أئمة القرآن مشهورا بالتعليم أخذ عنه أبو عمران موسى بن سليمان وغيره وحكى أبو عمرو الخضر بن عبد الرحمن قال سمعت أبا القاسم بن العربي يقول للقاضي أبي عبد الله سافرت مع أبيك أبي زكرياء إلى صقلية في مركب واحد فكان يؤمنا ويصلي بنا وأدركت عمك الشيخ أبا علي وهو يقرىء القرآن في مسجد حبونة ورأيت الفقيه أبا أحمد بن الحوات وهو يقرأ عليه

٦٨٢ الحسن بن جعفر بن أبي الربيع المدليني الإمام بقرطبة ومدلين من أعمال بطليوس يكنى أبا علي روى عن أبي شاكر عبد الواحد بن موهب وأبي عبد الله بن خليفة حدث عنه أبو مروان بن مسرة سمع منه رسالة ابن أبي زيد والتلقين لعبد الوهاب وحدث عنه أيضا أبو بكر محمد بن أحمد بن محرز برسالة ابن أبي زيد ذكره ابن خير واستدركه وابن هالس قبله على ابن بشكوال وفي خبرهما عن غيره

---

(١) ".

"١(اما آن للراقد المستمر ** في ظلم الغي أن يستهب)(سرحتم سفاهتكم في العقوق ** ولم تحفلوا الحلم لما غرب)(ولما ارنتم اران الجموح ** وماج بكم حبلكم واضطرب)٤ (أقمنا أنابيبكم بالثقاف ** وداوى الهناء مطال الجرب)٥ (ويا ربما عاد سوء العقاب ** على المذنبين **بحسن الأدب**)٦ (** مضيض من الداء ان يستطب)٧ (أطال وأعرض ما بيننا ** مبير الحياء مثير الريب)٨ (افي كل يوم لرق الهوان ** صبيبة انفسكم تنسكب)٩ (إذا قادكم مثل قود الذلول ** نفرنا نفور البعير الازب)٠ (وفي كل يوم الى داركم ** مزاحف من فيلق ذي لجب)

---

(٢) ".

---

(١) التكملة لكتاب الصلة، ٢٠٧/١

(٢) ديوان الشريف الرضي، ص/١٨٥

"قيل: فلان شولة الناصح وشولة أمة كانت ترى أن تنصح مواليها وهي تسعى في إهلاكهم. وقال معاوية يوما لعمرو بن العاص: عل غششتني منذ استنصحتك؟ قال: لا. فقال: ولا يوم أشرت علي بمبارزة علي وأنت تعلم من هو؟ فقال: كيف وقد دعاك رجل عظيم الخطر كنت من مبارزته إلى إحدى الحسنيين، إن قتلته فزت بالملك وازددت شرفا إلى شرف، وإن قتلك تعجلت من الله تعالى ملاقاة الشهداء والصديقين! فقال: وهذا أشد من الأول! فقال: أو كنت من جهادك في شك؟ فقال: دعني من هذا.

النابغة:

يخبركم أنه ناصح ... وفي نصحه ذنب العقرب

الموسوي:

يروم نصحي أقوام رأوا كيدي ... والعجز أن تجعل الموتور منتصحا

هذا من قول حارثة بن بدر:

أهان وأقصى ثم تستنصحوني ... وأي امرئ يعطي نصيحته قسرا؟

وقال لمن يرد نصيحته:

أعاذل إن نصحك لي عناء ... فحسبك قد سمعت وقد عصيت

مما جاء في الوعظ والمتعظين

والآمرين بالمعروف والقصاص والمفتين

نهي من لا يتعظ عن الوعظ:

قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: عظني وأوجز. فقال: توق ما تعيب. وقال أيضا: لا تأت ما تعيب ولا تعب ما تأتي. وجاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال: إني أريد أن أعظ. فقال: أو بلغت ذلك إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله تعالى فافعل، قال: ما هي؟ قال: قول الله تعالى: " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم " . وقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " . وقول العبد الصالح شعيب: " ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه " . أحكمت هذه الآيات؟ قال: لا. قال: فابدأ إذا بنفسك.

ابن كناسة:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ... إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها

كمن كسا الناس من عري، وعورته ... للناس بادية، ما إن يواريها

الحث على الوعظ بالفعال دون المقال:

قال بقراط: لا تحث غيرك على فعل الفضائل ما لم تستكمل فيك، فأفعالك تحث على المحاسن أكثر من مقالك. وقال أبو جعفر النيسابوري: ليس الحكيم الذي يلقنك الحكمة تلقينا، إنما الحكيم الذي يعمل العمل فتقتدي به. وقال أبو هاشم: أخذ المرء نفسه **بحسن الأدب** تأديب أهله، ومن هذا قول محمود الوراق:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ... ويعديهم داء الفساد إذا فسد

وقال عدي:

ونفسك فاحفظها من الغي والردى ... متى تغوها تغو الذي بك يقتدي

التلطف والملاينة في الوعظ:

قيل: تصدى رجل للرشيد فقال: إني أريد أن أغلظ عليك لي في المقال، فهل أنت محتمل؟ قال: لا، لأن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من كان شرا مني! فقال: فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى؟

وقيل: الواجب لمن يعظ أن لا يعنف، ولمن يوعظ أن لا يأنف

الحث على الاتعاظ:

قيل: من قل اعتباره قل استظهاره، من لم يتعظ بغيره وعظ الله به غيره. وقال حكيم: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ به غيره. وقيل: يا لها من موعظة لو وافقت في القلوب حياة!

النهي عن وعظ من لا يتعظ:

قيل: وعظ من لا يرعيك سمعه ولا يشحذ وعظك طبعه كمن وضع مائدة لأهل القبور، ورام بخرقة تليين الصخور. وقيل: فلان في وعظه كنافخ في قفص وقاص في مقبرة. وقيل: لا ينجع الوعظ في القلوب القاسية كما لا يزكو البذر في الأرض الجاسية. وقيل: صقلك سيفا ليس له سنخ تعب، وبذرك أرضا سبخة نصب. وقيل: من استثقل سماع الحق فهو للعمل به أكثر استثقالا.

الحث على قبول وعظ من ليس بمتعظ:

قال بعضهم: لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا إن تعلموا بأحسن ما تسمعون منا. ووقف رجل على ابن عيينة وهو يعظ الناس فأنشده:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي والطبيب مريض

فأنشده ابن عيينة:

اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي ... ينفعك علمي ولا يضرك تقصيري

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به، وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه.
وما أحسن ما قال يوسف بن الحسين الرازي في دعائه: اللهم إنك تعلم أني نصحت للناس قولا وخنت نفسي، فهب خيانتي لنفسي لنصيحتي للناس!.." (١)

"كتب بعض الوزراء إلى عامل: سوق السعاة عندنا كاسدة وألسنتهم لدينا معقودة، ولم نرد هذه الناحية لإحياء العظام الناخرة، ولا لتتبع الرسوم العافية! عامل الناس بما في ديواننا، فإنها أيام قلائل، فإما ذكر الأبد أو خزي الأبد، وتجنب أن تكون كما قال جرير:

وكنت متى حللت بدار قوم ... حللت بخزية وتركت عارا!

وقيل: لا ينبغي للوالي أن ينقض سنة اجتمعت عليها الألفة وصلحت عليها العامة. وأخرج أبو علي ابن رستم عاملا إلى بعض النواحي، وكان في القرية حمام كثير فعده، وأخذ واحدة منها وشق حوصلتها، وعد الحبوب الموجودة فيها واحتسب بذلك. فقال: إن كل حمامة تأكل في السنة من الحنطة كذا، وألزمهم ذلك. فكتب أبو علي إليه كتابا وفي آخره هذا الشعر:

عجبت من نفسي ومن إشفاقها ... ومن طرادي الطير عن أرزاقها

في سنة قد كشفت عن ساقها ... والموت في عنقي وفي أعناقها

والأبيات لرؤبة، قالها وقد تولى طراد الطير عن زرع له. وكتب إلى أنوشروان عامل له بناحية يعلمه جودة الريع بها، ويستأذنه في الزيادة على الرسم، فأمسك عن إجابته، فعاوده العامل في ذلك فكتب إليه: قد كان في تركي إجابتك عن كلامك ما حسبتك تنزجر به عن تكلف ما لم تؤمر به، فإذ قد أبيت إلا تماديا في سوء الأدب فأقطع إحدى أذنيك، واكفف عما ليس من شأنك! فقطع العامل إحدى أذنيه ائتمارا له.

حث الولاة على مراعاة الديانة:

قال ازدشير: الدين والملك أخوان لا غنى لأحدهما عن الآخر، فالدين أس والملك حارس، والبناء ما لم يكن له أس فمهدوم، والملك مالم يكن حارس فضائع.

حث السلطان على اعتبار ظاهر الرعية دون بواطنهم:

قال بعض الملوك: أنا أملك الأجساد لا النيات، وأحكم بالعدل لا بالرضى، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر. وقال معاوية: الناس أعطونا سلطانا، وأعطيناهم أمانا، وأظهروا لنا الطاعة تحت حقد، وأظهرنا لهم

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٥٤

حلما تحت غضب! شاعر:

لقد أحلك من يعصيك ظاهره ... وقد أطاعك من يعصيك مستترا

حث الوالي على اكتساب مودة الرعية:

كتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر: املك الرعية بالإحسان إليها، تظفر بالمحبة منها، فإن طلبك ذلك بإحسانك أدوم بقاء منه باعتسافك، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها إلى القلوب بالإحسان، واعلم أن الرعية إذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل، فأحسن قولها تأمن فعلها. وقال علي بن عبد الله ابن عباس: تطلب محبة الرعية فطاعة المحبة أفضل من طاعة الهيبة.

السياسة بالعمارة:

كان يقال: أسوس من زياد؛ قيل: إنه ركب يوما بالسوس فرأى عمارة حسنة، فخاف أهلها أن يزيد في خراجها، فالتفت إليهم وقال: بارك الله عليكم فقد وضعت عنكم مائة ألف لما رأيت من عمارة بلدكم؛ قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: لله در زياد! سعى أهل العراق سعي الأم البرة، وجمع منهم المال جمع الذرة، فأغناهم وحباهم بحسن التدبير. وقيل: من طمع في وفور الإرتفاع بغير العدل فهو يهزأ بنفسه.

ذم جامع للمال تارك للعمارة:

حول عامل لأنوشروان من الأهواز فضل ثمانين درهم على الغبرة القائمة، فسأله أنوشروان عن ذلك، فقال: وجدت في أيدي قوم فضولا فأخذتها منهم! فقال: رد هذا المال لمن أخذته منهم، فإن مثلنا في ذلك إن أخذناه كمثل من طين سطحه بتراب أساس بيته، فيوشك أن يكون ضعف الأساس، وثقل السطح مسرعين في خراب بيته. ولما عزل عثمان رضي الله عنه عمر بن العاص عن مصر وولى عبد الله ابن أبي سرح، دخل عليه عمرو فقال له عثمان: أشعرت أن اللقاح بعدك درت ألبانها؟ فقال: نعم ولكنكم أعجفتم أولادها! وقال الحجاج لبغض الدهاقين من الري: ما بال بلدكم قد خرب؟ فقال: لأن عمالكم استعملوا فيها قول شاعركم:

لا تكسع الشولة بأغبارها ... إنك لا تدري من الناتج

واصبب لأضيافك ألبانها ... فإن شر اللبن الوالج

النهي عن المقاطعة:." (١)

"قال الأعمش: ما نظرت إلى ثقيل إلا اشتكت عيني. وقال: ربما سألني ثقيل عن مسألة فأنساها في الوقت لما ينالني منه. وقال ابن عمر رضي الله عنه. اتقوا من تبغضه قلوبكم. وقال مالك لطبيبه: انظر

---

(١) محاضرات الأدباء، 1/٧٤

مجسي، فجسه؛ وقال: مزاجك معتدل إلا أن فيه كدرا فهل وصل إليك اليوم بغيض؟ قال: نعم. قال: فهذا من ذاك. وقيل مجالسة الثقيل حمى الروح؛ ومنه أخذ أبو هفان:

أورثتني بجلوس ... إليك حمى مليلة

وقيل لانوشروان: ما بال الرجل يحمل الثقيل فلا يعييه ولا يحمل مجالسة الثقيل؟ فقال: لأن الحمل تشترك فيه الأعضاء والثقيل تنفرد به الروح.

الأحوال المفضية للثقل:

قال ابن سيرين: مكتوب في **كتاب سوء الأدب**: إذا أتيت منزل قوم فلم ترض بما يأكلون، وسألتهم ما لا يجدون، وكلفتهم ما لا يطيقون، وأسمعتهم ما يكرهون، فإن لم يخرجوك فهم لذلك مستأهلون. وقيل: من مقتضيات الثقل أن يكون الإنسان يتتايس وهو يقدر أن يتكايس. ودخل ثقيل على ابن أبي البغل فأطال الجلوس فلما خرج الناس قال: هل من حاجة؟ قال: لا، فأنظره ساعة ثم قال: ما اسمك: قال: أبو عبد الله محمد بن عبد الله. فقال لحاجبه: خذ بيد أبي عبد الله محمد ابن عبد الله، واطرده إلى لعنة الله!

التعريض بثقيل:

ابن عائشة: ذكر الله تعالى الثقلاء فقال: " فإذا طعمتم فانتشروا " . وشرب بغيض عند رجل فلما أمسى لم يأته بسراج فقال: أين السراج؟ قال: إن الله يقول: " وإذا أظلم عليهم قاموا " . قال ثعلب لرجل استثقله: خاتم طاوس فلم يعلم الرجل ما عناه فقال له ثعلب: إن طاوسا نقش على خاتمه: أبرمت فقم، فإذا استثقل رجلا دفعه إليه وقال: اقرأه. وعاد الشعبي ثقيل فأطال الجلوس ثم قال: ما أشد ما مر عليك في مرضك؟ قال: قعودك عندي! ودخل ثقيل إلى الصاحب فأطال الجلوس وتبرم به، فكتب رقعة ودفعها إليه فيها:

إن كنت تزعم أن الدار تملكها ... حتى نقوم فنبغي غيرها دارا

أو كنت تعلم أن الدار أملكها ... فقم لكي تذهب الأحزان والعارا

ودخل على ابن مكرم إخوان من أولاد ينار، فاستثقل أحدهما واستطاب الآخر فانزعج الثقيل وبقي الآخر فقال له: ما مثلك ومثل أخيك إلا ما قال الله تعالى: " فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

اغتياب الثقلاء والوقيعة فيهم:

قال معمر: لا غيبة للثقلاء، والوقيعة فيهم من اللذات، وفي مجالسات أبي بكر بن دريد لم يبق من الدنيا إلا أكل القديد وحك الجرب، والوقيعة في الثقلاء. وفي وصف بارد: هو جبل همدان وماء سيدان.

يوسف بن المغيرة:

ومن يقتل الأبطال بأسا ونجدة ... فإن أبا يعقوب يقتلهم بردا

آخر:

إنما ظرف أبي العيناء في المجلس لحظه ... فإذا طاولته استبردت معناه ولفظه

وصف ساق يشغف الشرب بحسنه ويلهيهم بغنجه:

لأبي فراس، وقد حضر مجلسا فثمل، فقيل له: سكرت! فأنشأ يقول:

سكرت من لحظه لا من مدامته ... ومال بالنوم عن عيني تمايله

وما السلاف دهتني بل سوالفه ... وما الشمول دهتني بل شمائله

لوى بعقلي أصداغ لوين له ... وغال صبري ما تحوي غلائله

آخر:

ساع على صحبي بصهباء ... كالغصن المغتص بالماء

أغار من وقفته كلما ... قال لحاسي الكأس: مولائي

حتى لقد صاروا وهم إخوتي ... من شدة الغيرة أعدائي

وصف ساق تشبه وجنته خمرة:

قال ديك الجن:

فقام بخمر يخضب الكف كأسها ... وتحسبه من وجنتيه استعارها

أخذه ابن المعتز وزاد عليه فقال:

تدور علينا الراح من كف شادن ... له لحظ عين يشتكي السقم مدنف

كأن سلاف الخمر من ماء خده ... وعنقودها من شعره الجعد يقطف

جحظة:

وخمارة من بنات القسوس ... تبيع المدامة في دارها

وجاءت تهادى كقد القضيب ... سقته الغوادي بأمطارها

وفي كفها قهوة في الإناء ... وكالنار لم تغل في نارها

كوجنة من هي في كفها ... ونكهتها وقت أسحارها

فمن قارص وردتي خدها ... ومن جاذب فضل زنارها
الفرح الصالحي:." (١)

"اللهم إنا نعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد، وضعف البصر وقلة القناعة والحاح الشهوة ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة وإيثار الباطل على الحق، والإصرار على المأثم واستكثار الطاعة والإزراء على المقلين، وسوء الولاية لما تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا، وأن نعضد ظالما أو نخذل ملهوفا، أو نروم ما ليس لنا بحق أو نقول في العلم بغير علم، ونعوذ بك من سوء السيرة واحصاء الصغيرة، ونعوذ بك من شماتة الأعداء ومن الفقر إلى غير الأكفاء، ومن عيشة في شدة ومن ميتة على غير عدة، ومن سوء المآب وحرمان الثواب وحلول العقاب. ودعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك من الفاجر وجدواه والسفيه وعدواه، وذي الرحم ودعواه ومن عمل لا ترضاه، اللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا واجعل امال في سمحائنا. ودعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك من عضال الداء وخيبة الرجاء وشماتة الأعداء وزوال النعمة وفجاءة النقمة.

من سأل الله العافية:

اللهم إني أعوذ بك مما يقلق قلب الصديق ويضحك سن العدو، اللهم استرنا بستورك الحصينة واعصمنا بحبالك المتينة، وأدخلنا في كفالتك الأمينة، اللهم إني أسألك سترك الذي لا تخرقه الرماح ولا تزيله الرياح.

من دعا لنفسه وقومه بالعافية:

قال رجل في عقب صلاته: اللهم عافني في نفسي فإنها أعز الأنفس إلي، وفي أولادي فإنهم لحمي ودمي، وفي عشيرتي فإنعهم ناصري وعزي، وفي جماعة المسلمين فإن صلاحي لا يتم إلا بصلاحهم، اللهم استودعك ما أحاطت به شفقتي وعجزت عنه قوتي.

من سأل الله أن يقيه الشر من مرديه:

أسأل الله الذي يعد أنفاسي أن لا يكلني إلى احتراسي، اللهم إني تخليت من حولي وحيلتي إلى حولك وحيلتك، اللهم اجعلني أفقر خلقك إليك وأغناهم بك. وكان مطرف يقول: اللهم إنك أمرتنا بأمرك ولا نقوى عليه إلا بكرمك ونهيتنا عما نهيتنا عنه ولا ننتهي عنه إلا بعصمتك.

أدعية لأوقات معلومة:

كان إبراهيم بن أدهم إذا أصبح يقول: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات

---

(١) محاضرات الأدباء، ٣١٩/١

والأرض وعشيا وحين تظهرون. وقيل لرجل: الحق دارك فقد احترقت. فقال: ما احترقت والله. فقيل: أتحلف على ذلك؟قال: نعم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قال حين يصبح ربي الله لا اله غلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله أحاط بكل شيء علما، أعوذ بالله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، لم ير يومئذ في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه، وقد قلتها اليوم فلما انتهوا إلى داره وجدوها قد احترق ما حولها ولم تحترق. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى هلال رمضان يقول: اللهم هذا شهر رمضان فسلمه لنا وتسلمه منا بيسر وعافية، وارزقنا صيامه وقيامه متقبلا بإيمان واحتساب. وكان إذا أتي بالباكورة قبلها ووضعها على عينيه ويقول: اللهم أريتنا أوله فأرنا آخره. وقال أمير المؤمنين كرم اله وجهه: علمني رسول الله صلى اله عليه وسلم إذا لبست ثوبا جديدا ان أقول: الحمد لله الذي كساني من الرياش ما أتجمل به في الناس، اللهم اجعلها ثياب بركة أسعى بها لمرضاتك وأعمل فيها بطاعتك. وكان عليه الصلاة والسلام يقول: اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، اللهم هب لي من حقك وأرض عني خلقك. قال البناني: بلغنا أنه يستجاب الدعاء عند المطر، ثم تلا: " وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته " .

من سأل الله التوفيق لعبادته:

قال سعيد بن المسيب: مر بي صلة بن اشيم فقلت: ادع لي، فقال: رغبك اله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعول في الدين إلا عليه، اللهم إني أحب طاعتك وإن قصرت فيها، وأكره معصيتك وإن ركبتها، فتفضل علي بالجنة وإن لم أستحقها، وخلصني من النار وإن استوجبتها. اللهم إني اسألك الإقبال عليك والإصغاء إليك، والفهم عنك والبصيرة في أمرك، والنفاذ في طاعتك والمراقبة على ارادتك، والمبارزة في خدمتك **وحسن الأدب** في معاملتك، والتسليم والتفويض إليك.." (١)

" – لا تمزحن فإن مزحت فلا يكن ... مزحا تضاف به **إلى سوء الأدب**

– واحذر ممازحة تعود عداوة ... إن المزح على مقدمة الغضب

(١) محاضرات الأدباء، ٣٢/٢

هبة الله البغدادي ." (١)

"ووقت وفى بالدهر لي عند واحد ... وفى لي بأهليه وزاد كثيرا

يقول: رب وقت اجتمع لي فيه من اللذات والسرور مثل ما في جميع الدهر عند فرد في عصره، وهذا الواحد اجتمع له من الفضائل مثل ما في جميع الخلق بل أزيد كثيرا.

شربت على استحسان ضوء جبينه ... وزهر ترى للماء فيه خريرا

يقول: شربت مستحسنا ضوء جبينه، في بستان ذي زهر. وماء ترى له خريرا. والهاء في فيه للزهر.

غد الناس مثليهم به، لا عدمته ... وأصبح دهري في ذراه دهورا

مثليهم: نصب على الحال، ويجوز أن يكون خبر غدا من أخوات كان.

يقول: فيه من الفضائل مثل ما في جميع الناس، فهو قائم مقامهم فصار الناس مثليهم، واجتنيت أنا عنده من اللذات ما يجتنيه أهل الدهور، فقام دهري مقام دهور كثيرة.

يصف مجلسين للأمير وذكر أبو محمد انزواء أحد المجلسين عن الآخر ليرى من كل واحد منهما ما لا يرى من صاحبه فقال له:

المجلسان على التمييز بينهما ... مقابلان ولكن أحسنا الأدبا

كان المجلسان كل واحد منهما في الجهة التي تقابل الآخر، منحرفا عنه. فهو يقول: إنهما متقابلان في الحقيقة، ومن حيث الحسن والبهاء، وإن كانا قد ميز بينهما. وإنما انحراف أحدهما عن الآخر؛ **لحسن الأدب**! لأن عادة الغلام أن يقف ناحية، حيث لا يراه السيد إلا عند الحاجة إليه.

وقيل: إن ما يجري في أحدهما لا يعرفه أهل المجلس الآخر.

إذا صعدت إلى ذا، مال ذا رهبا ... وإن صعدت إلى ذا، مال ذا رغبا

وروى في المصراعين رهبا.

يقول: إذا صعدت إلى أحد المجلسين انحرف الآخر عن مقابلة الآخر من مقابلة وجهك، هيبة لك وخوفا من سلطانك! وروى في الثاني: رعبا، ورغبا بالغين المعجمة، فالمعنى على هذا: إن أحدهما كان للسطوة والنكال، والآخر للرغبة والنوال، فإذا صعد إلى أحدهما خشي أن يميل إليه بسطواته، فإذا صعد إلى الآخر مال إليه رغبة فيما عوده به من نواله وهباته.

فلم يهابك ما لا حس يردعه؟ ... إني لأبصر من فعليهما عجبا

---

(١) مجمع الحكم والأمثال، ص/

يردعه: أي يزجره.

يقول: كيف يخاف منك من ما لا حس له يزجره؟! وذلك عجب منهما، فإذا كان ذلك حالهما. فالعقلاء أولى أن يخافوا منك.

وأقبل الليل وهما في بستان فقال يمدحه:

زال النهار ونور منك يوهمنا ... أن لم يزل ولجنح الليل إجنان

جنح الليل: قطعة من أوله، وقيل: نصفه الأخير. كأنه جنح إلى الذهاب وإجنان الليل: تغطية الأرض بالظلمة.

يقول: إن النهار قد زال، ونور وجهك في إشراقه يوهمنا أن النهار باق بعد والليل قد أظلم بقطعه.

فإن يكن طلب البستان يمسكنا ... فرح فكل مكان منك بستان

يقول: إن كانت إقامتك بالبستان هذا رغبة منه فارجع إلى منزلك فإن كل مكان تحله فهو بستان؛ لما فيك من المحاسن والألطاف.

فلما استقل في القبة نظر إلى السحاب فقال يمدحه:

تعرض لي السحاب وقد قفلنا ... فقلت: إليك إن معي السحابا

يقول: لما انصرفنا من البستان إلى المنزل تعرض لنا السحاب، وهم بالمطر علينا. فقلت: أمسك عن مطرك، فإن معي السحاب، وهو الممدوح.

وقوله: إليك. أي أمسك عني.

فشم في القبة الملك الرجى ... فأمسك بعد ما عزم انسكابا

شم: أي انظر، من قولك شمت البرق أشيمه شيما: إذا نظرت إليه.

يقول: قلت للسحاب انظر إلى الملك المرجى في القبة، إن شككت في قولي، فإنه أكرم منك! فلما نظر إليه السحاب علم صدق قولي فأمسك بعد أن عزم على أن يسكب خجلا واستحياء.

وكره الشرب فلما كثر البخور وارتفعت رائحة الند قال يصف مجلس الشراب عند الأمير:

أنشر الكباء ووجه الأمير ... وحسن الغناء وصافي الخمور!

الكباء: العود الذي يتبخر به. ونشره: رائحته المنتشرة منه.

يقول لنفسه: هذه الأشياء مجتمعة في هذا المجلس ولا أشرب؟!

فداو خماري بشربي لها ... فإني سكرت بشرب السرور

يقول: شربت خمر السرور فسكرت، فهات الخمر لأداوي بها خماري! وهو من قول الأعشى:

وكأسٍ شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

وأشار إليه بعض الطالبين بمسك فقال، وكان أبو محمد حاضرا:

الطيب مما غنيت عنه ... كفى بقرب الأمير طيبا

يبني به ربنا المعالي ... كما بكم يغفر الذنوبا." [1]

"٢ – في الأدب الكبير: وليستوحش [الوالي] من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فإنما يصول الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع (١) .

أفلاطون: اتقوا صولة الكريم إذا جاع وبطر اللئيم إذا شبع (٢) .

عمرو بن العاص، قال لمعاوية: أحذر طغيان اللئيم وخصاصة الكريم، فإن اللئيم إنما يصول إذا شبع، وأما الكريم فإذا جاع (٣) .

كسرى: احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع (٤) .

٣ – في الأدب الكبير: وأعلم أن المستشار ليس بكفيل وأن الرأي ليس بمضمون، بل الرأي كله غرر لآن أمور الدنيا ليس شيء منها بثقة (٥) (وهو بنصه في السعادة والإسعاد لارسطاطاليس) (٦) وقد أورده المبشر في مختار الحكم دون نسبة على النحو التالي: **من سوء الأدب** وضعف الرأي ادلال المستشار بصوابه، ومن جهل المستشير أن يلوم المستشار على ما ينزل به من القضاء، لآن الرأي غير مضمون والعمل في ذلك بالتغرير " (٧) .

٤ – في الأدب الكبير: و أعلم أن اللئام أصبر أجسادا، والكرام أصبر نفوسا، وليس الصبر المحمود الممدوح بأن يكون الرجل جلدا وقاحا على الضرب، أو رجله قوية على المشي، أو يده قوية على العمل، فإن هذا من صفات الحمير، ولكن الصبر المحمود أن يكون للنفس غلوبا، وللأمور محتملا، وفي الضر متحملا؟ (٨) .

---

(١) رسائل البلغاء: ٥٢.

(٢) مختار الحكم: ١٣٩.

(٣) السعادة والإسعاد: ٣٠٥.

---

(١) معجز أحمد، ص/١٨٣

(٤) العقد ٢: ٣٥٥.

(٥) رسائل البلغاء: ١٠١.

(٦) السعادة والإسعاد: ٤٣٠.

(٧) مختار الحكم: ٣٤٦.

(٨) رسائل البلغاء: ٨٢.." (١)

"-------------- صفحة رقم ٤١ --------------

سأطوي حديث النفس حتى أميته . . . وأستره لو أستطيع عن القلب ٦٩ - قال صاحب الكتاب : ويقال العاقل لا يخيف أحدا ما استطاع ولا يقيم على خوف وهو يجد مذهبا . ' ٩١ ' قال أعشى بني قيس بن ثعلبة : تقيم على خوف وإنك قادر . . . على هرب منه لأنك جاهل وتأمن يوما فالوريد وغيره . . . يخافان منك الغدر فيما تحاول ألا ثكلتك الأم بل هي إذ ثوت . . . تراك سليما يا ابن عفان ثاكل ٧٠ - قال صاحب الكتاب : ويقال خلال من لزمهن بلغنه ما يريد وقربن له البعيد وآنسنه في الوحشة وعرفنه في الغربة ولين له المعيشة وأكثرن له الإخوان : كف الأذى وحسن السيرة وسعة الخلق **وحسن الأدب** والاقتصاد في العمل ومجانبة الريب . ' ٩٢ ' قال مرداد بن عائل الإيادي أحد المعمرين : إذا أنت عاشرت الملا يا ابن سلهب . . . معاشرة الأبرار لم تعدم الفضلا." (٢)

"-------------- صفحة رقم ١٠٠ --------------

خاتمة النسخة ف تمت الأمثال المستخرجة من كتاب كليلة ودمنة وما ضاهاها من أشعار العرب بحمد الله وكرمه وعونه فله الحمد والشكر أبدا وصلى الله على محمد وآله وسلم ، أواخر يوم السبت من أواخر شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وستين وثماني مائة سنة وكاتبه إبراهيم بن علي بن يحيى بن محمد بن عيسى بن أسعد المالكي ثم المرادي ثم المذحجي غفر الله لوالديه ولأقاربه ولمشايخه في الدين ولجميع المسلمين والمسلمات آمين آمين . خاتمة النسخة ب قال أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر اليمني : هذا آخر ما استخرجته من الأشعار المضاهية لأمثال كليلة ودمنة . وكان ذلك في مناف الاربعين وثلاثمائة وحملته

---

(١) ملامح يونانية في الأدب العربي، ص/١٤١

(٢) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة ، ص/٤١

إلى المعز في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة إلى المنصورية . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل . والوالي حقيق إلا يحتقر مروءة وجدها عند أحد وإن كان صغير المنزلة . فأن الصغير ربما عظم كالعصب الذي يؤخذ من الميتة فإذا عملت من القوس أكرم فيقبض عليه الملك ويحتاج إليه في لهوه وبأسه ' ك ٥٣ ' . فإن ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه إذا كان ذا رأي في الأمر الذي يبشرك فيه ' ك ٦٤ ' . إذا لقي المرء عدوه في المواطن التي يعلم أنه هالك فيها حقيق أن يقاتل كرما وحفاظا ' ك ٦٥ ' . فأنه كان يقال : الرجال ثلاثة حازمان وعاجز . فأحد الحازمين من إذا نزل به البلاء لم يدهش ولم يذهب قلبه شعاعا ولم يعي برأيه وحيلته أو مكيدته التي بها يرجو المخرج والنجاة . وأحزم من هذا المتقدم ذو العدة الذي يعرف الأمر مبتدأ قبل وقوعه فيعظمه إعظامه ، ويحتال له حيلته كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الأمر قبل وقوعه . وأما العاجز فهو لا يزال في التردد وتمني الأماني حتى يهلك نفسه ' ك ٦٩ ' . وقرأت في كتاب للهند : الناس حازمان وعاجز فأحد الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم ينظر به وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه . وأحزم منه العارف بالأمر إذا قيل فيدفعه قبل وقوعه . والعاجز في تردد وتثن حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطبع مرشدا ' ع ٢٨٠ : ١ ' . ومن بلغ في الدنيا جسيما فلم يبصر ' ك ٧٤ ' . أو أتبع الهوى فلم يعثر أو جاور النساء فلم يفتتن أو طلب إلى اللئام فلم يهن ويحرم أو واصل الأشرار فسلم أو صاحب السلطان فدام له منه الإحسان ' ك ٧٤ – ٧٥ ' أو صاحب السلطان فدام له منه الإحسان ' ك ٧٤ – ٧٥ ' . أو طلب إلى اللئام فلم يهن ويحرم ' ك ٧٤ ' . فإن تهمة الأشرار ربما أورث أهلها تهمة الأخبار ' ك ٧٥ ' . وأعجبت منه أن أكون أطلب رضاه وموافقته فلا يرضى واعجب من ذلك أن ألتمس محبته واجتنب مخالفته فيغضب ويسخط ' ك ٧٦ ' . وأن كانت موجدته عن غير سبب انقطع الرجاء . لأن العلة إذا كانت المعتبة في ورودها كان الرضا في إصدارها ' ك ٧٦ ' . وعرفت أنه من التمس الرخصة من الإخوان عند المشاورة والأطباء عند المرض والفقهاء عند الشبهة فقد أخطأ الرأي وزاد في المرض واحتمل الوزر ' ك ٧٧ ' . وفي كتاب للهند : من التمس من الإخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر ' ع ٣٠ : ١ ' . وإن لم يكن هذا فلعل بعض ما أعطيته من الفضل جعل فيه هلاكي . فأن الشجرة الحسنة ربما كان فسادها في طيب ثمرتها إذا تنوولت أغصانها وجذبت حتى تكسر وتفسد . والطاووس ربما صادر ذنبه الذي هو حسنه وجماله وبالا عليه فاحتال إلى الخفة والنجاة ممن يطلبه فيشغله عن ذلك ذنبه ' ك ٧٧ ' . والفرس الجواد القوي ربما أهلكه ذلك فأجهد وأتعب واستعمل لما عنده من

الفضل حتى يهلك ' ك ٧٧ ' . والرجل ذا الفضل ربما كان فضله ذلك سبب هلاكه لكثرة من يحسده ويبغي عليه من أهل السوء . وأهل الشر أكثر من أهل الخير بكل مكان فإذا عادوه وكثروا عليه أوشكوا أن يهلكوه ' ك ٧٧ ' . ومن بذل نصيحته واجتهاده لمن لا يشكر له فهو كمن بذر بذرة في السباخ ' ك ٧٩ ' . ألا ترى أن الماء ألين من القول وأن الحجر أشد من القلب وليس يلبث الماء إذا طال تحدره على الحجر الصلد أن يؤثر فيه ' ك ٨٣ ' . وقرأت في كتاب للهند : فإن الماء ألين من القول والحجر أصلب من القلب وإذا أنحدر عليه وطال ذلك أثر فيه ' ع ٢٢ : ٢ ' . فكذلك النجدة تلحقها السخافة عن خطأ الرأي فأنها إذا فقد أحدهما صاحبه لم يكن للآخر عمل عند اللقاء وللرأي عليها الفضل لأن أمورا كثيرة يجزي فيها الرأي ولا تبلغ هي شيئا إلا به ' ك ٨٨ ' . ولا خير في الكلام إلا مع الفعل ولا في الفقه إلا مع الورع ولا في الصدقة إلا مع النية ' ك ٨٩ ' . وأعلم أن الأدب يدفع عن اللبيب السكر ويزيد الأحمق سكرا كالنهار فأنه ينير لكل ذي بصر من الطير وغيره ولا تستطيع الخفافيش الاستقلال فيه ' ك ٨٩ ' . وفي كتاب كليلة ودمنة : الأدب يذهب عن العقل السكر ويزيد الأحمق سكرا كما أن النهار يزيد كل ذي بصر بصرا ويزيد الخفافيش سوء بصر ' ع ٢٨١ : ١ ، ٤١ : ٢ ' . وذو الرأي لاتبطره منزلة اصابها كالجبل الذي لا يتزلزل وأن اشتدت الريح . وذو السخف ينزقه أدنى أمر كالحشيش الذي يميله الشيء اليسير ' ك ٨٩ – ٩٠ ' . وفي كتاب كليلة ودمنة : ذو العقل لا تبطره المنزلة والعز كالجيل لا يتزعزع وأن اشتدت عليه الريح والسخيف يبطره أدنى منزلة كالحشيش بحركة أضعف ريح ' ع ٢٨١ : ١ ' . ومن الحمق التماس الإخوان بغير الوفاء والأجر بالرياء ومودة النساء بالغلظة ونفع المرء نفسه بضر الناس والفضل والعلم بالدعة والخفض ' ك ٩٠ ' . وقرأت في كتاب للهند : من الحمق التماس الرجل الإخوان بغير وفاء والأجر بالرياء ومودة النساء بالغلظة ونفع نفسه بضر غيره والعلم والفضل بالدعة والخفض ' ع ٤٠ : ٢ ' . لا تلتمس تقويم ما لا يعتدل وتبصير من لا يفهم فأن الحجر الذي يقدر على قطعه لا تجرب به السيوف والعود الذي لا ينحني لا يعالج حنيه ' ك ٩١ ' . أنه رب امرئ قد أوقعه تمحله في ورطة . . . أنه من لك يتثبت أوقعه ما يحتال به فيما عسى ألا يخلص منه ' ك ٩٢ ، ٩٣ ' . لا يوقعنك بلاد تخلصت منه آخر لعلك لا تخلص منه ' د ٢٧ ' . وإنما صلاح أهل البيت ما لم يدخل فيه مفسد ، وبقاء إخاء الإخوان ما لم يحتل له مثلك ' ك ٩٣ ، ٩٤ ' . فأنه يقال إن امرءا لا يود أحدا ولا يبغضه إلا وجد له في نفسه مثل ذلك ' ك ١٠٠ ' . والسبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول بين الحازم وحاجته ' ك ١٢٨ ' . السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول بين الحازم وبين طلبته ' د ٣٣ ' والمودة بين الصالحين سريع

اتصالها بطيء انقاطعها ومثل ذلك مثل كوز الذهب الذي هو بطيء الانكسار سريع الإعادة والصلاح إن أصابه ثلم أو وهن . والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها كالاناء من الفخار مكسره أدنى شيء ثم لا وصل له أبدا ' ك ١٣١ ' . والمودة بين الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها . ومثل ذلك مثل كوب الذهب الذي هو بطيء الانكسار هين الإصلاح . والمودة بين الأشرار سريع انقاطعها بطيء اتصالها كاكوز من الفخار يكسره أدنى عبث لا وصل له أبدا ' د ٣٣ ' . والكريم يود الكريم عن لقية واحدة ومعرفة يوم فقط واللئيم لا يصل أحدا إلا عن رغبة أو رهبة ' د ٣٤ ' . إن الإخوان أهل الدنيا يتعاطون بينهم أمرين ويتواصلون عليهما : ذات النفس وذات اليد . فأما المتعاطون ذات النفس فهم المتعاونون المتصافون يستمتع بعضهم ببعض . وأما المتعاطون ذات اليد فهم المتعاونون المستمتعون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض ' ك ١٣١ ' . وإن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليها : ذات النفس وذات اليد . فأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون المستمتعون الذن يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض متاجرة ومكايلة ' د ٣٤ ' . ومن كان إنما يصنع المعروف ابتغاء الأجر والاكتساب لبعض شئون الدنيا فإنما مثله فيما يعطي ويبذل مثل الصياد والقائه الحب للطير لا يريد بذلك منفعتهن بل يريد بذلك نفع نفسه ' ك ١٣١ – ١٣٢ ' . وقرأت في كتاب للهند : من صنع المعروف لعاجل الجزاء فهو كملقي الحب ليصيد به الطير لا لينفعه ' ع ١٧٦ : ٣ ' . إن من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا ' ك ١٣٢ ' . وقرأت في كتاب للهند : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا ' ع ٦ : ٣ ' . الخرس خير من اللسن المطعم بالكذب والعنين خير من العاهر والفاقة الفقر خير من النعمة والسعة من أموال الناس والاجتهاد في الكفاف خير من الإسراف والتبذير فيما لا يحل ' ك ١٣٨ ' . ولا حسب كحسن الخلق ولا غنى كالقناعة وأحق ما صبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل ' ك ١٣٩ ' . ولا حسب كحسن الخلق ولا غنى كالرضا وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى تغييره ' د ٣٥ ' . وفي كتاب كليلة : لا فقر ولا بلاء كالحرص والشره ولا غنى كالرضا والقناعة ولا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق ' ع ١٩٢ : ٣ ' . إنما يختبر ذو البأس عند اللقاء وذو الأمانة عند الأخذ والإعطاء والأهل والولد عند الفاقة والإخوان عند النوائب ' ك ١٤٥ ' . قلما ظفر أحد يبغي وقل من حرص على النساء فلم يفتضح وقل من أكثر من الطعام فلم يسقم وقل من ابتلى بوزراء السوء إلا وقع في المهالك ' ك ١٧٠ ' . وقرأت في كتاب للهند : لا ظفر مع بغي ولا صحة مع نهم ولا اجتناب محرم مع حرص ولا ثبات ملك مع متهاون وجهالة وزراء ' ع ١١١ : ١ ' . إذا طلب اثنان أمرا ظفر به أفضلهما مروءة فإن استويا

في المروءة فافضلهما أعوانا فإن استويا في ذلك فأسعدهما جدا ' ك ١٧٢ ' . إذا لم يستطع الرجل عظيما إلا باحتمال صغير كان حقيقا إلا يلتفت إلى الصغير ' ك ١٧٧ ' . وذو العقل يق الكلام ويبالغ في العمل ويعترف بالزلة ويثبت بالأمور قبل الإقدام عليها ويقبل عثرة عمله بعقله كالرجل الذي يعثر على الأرض وعليها ينهض ويستقيم ' ك ١٨٣ ' . وفي كتاب دليلة . . . العاقل يقل الكلام ويبالغ في العمل ويعترف بزلة عقله ويستقبلها كالرجل يعثر بالأرض وبها ينتعش ' ع ٢٨١ : ١ ' . ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهود عقله فيهلكه ولا الرخاء ينبغي له أن يبلغ منه مبلغا يبطره ويسكره ويعمي عليه أمره ' ك ٢٣١ ' . فأنه ليس أحد ابعد من الخير من اثنين منزلتهما واحدة وصفتهما مختلفة : أحدهما من لا يثق بأحد ، والآخر من لا يثق به أحد ' ك ٢٣١ ' . وإن الكريم لا يكون إلا شكورا غير حقود ، تنسيه الخلة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة ' ك ٢٣٢ – ٢٣٣ ' . وأعجل العقوبة عقوبة الغدر واليمين الكاذبة ومن إذا تضرع إليه وسئل العفو لم يعف ولم يصفح ' ك ٢٣٣ ' . وكان يقال : أعجل الذنوب عقوبة الغدر واليمين الفاجرة ورد التائب وهو يسأل العفو خائبا ' ع ١٠٠ : ٣ ' . إن الغادر لا يجاز له بعذره وإن اخطأه عاجل العقوبة لم يخطئه آجلها حتى تدرك الأعقاب وأعقاب الأعقاب ' ك ٢٣٨ – ٢٣٩ ' . فمن كان له عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تربيته ' ك ٢٤٠ ' . . . . إنما كان ذلك قدرا مقدورا وكنا له عللا فلا تؤاخذنا بما أتاك به القدر . . . إن أمر القدر لكما ذكرت ولكن ليس ذلك حقيقا أن يمنع الحازم من توقي المخوف والاحتراس من المحترس منه . ولكنه يجمع تصديقا بالقدر وأخذا بالقوة والحزم ' ك ٢٤١ ' . وفي كتاب للهند : اليقين بالقدر لا يمنع الحازم توقي المهالك وليس على أحد النظر في القدر المغيب ولكن عليه العمل بالحزم ونحن نجمع تصديقا بالقدر وأخذا بالحزم ' ع ١٤٣ : ٢ ' . وكان يقال : الفاقة بلاء والحزن بلاء وقرب العدو بلاء وفراق الأحبة بلاء والسقم بلاء والهرم بلاء ورأس البلايا الموت ' ك ٢٤١ – ٢٤٢ ' . وليس أحد أعلم بما في نفس الموجع ممن ذاق مثل ما به ' ك ٢٤٢ ' . أنه لا خير فيمن لا يستطيع الإعراض عما في نفسه ويميته ويتناساه حتى لا يذكر منه شيئا ولا يكون له في نفسه موقع ' ك ٢٤٢ ' . والعاقل لا يخيف أحدا ما استطاع ولا يقيم على الخوف وهو يجد مذهبا ' ك ٢٤٣ ' . فأن خلالا خمسا من تزودهن بلغنه في كل وجه وطريق وقرين له البعيد وآنس له الغربة وأكسبنه المعيشة والإخوان : كف الأذى **وحسن الأدب** ومجانية الريبة وكرم الخلق والنيل في العمل ' ك ٢٤٣ ' . وقرأت في كتاب للهند : من تزود خمسا بلغنه وآنسنه : كيف الأذى وحسن الخلق ومجانبة الريب والنبل في العمل **وحسن الأدب** ' ع ٢٤ : ٣ ' . وشر المال ما لا ينفق منه وشر الازواج التي لا تواتي البعل وشر الولد العاصي

وشر الاخوان الخاذل لاخوانه وشر الملوك الذي يخافه البريء وشر البلاد بلاد ليس فيها أمن ولا خصب ' ك ٢٤٣ ' . وقرأت في كتاب للهند : شر المال ما لا ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرسء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن ' ع ٣ : ١ ' . وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المكروه من غيره فارتدع عن ان يبتلى أحدا بمثل ذلك من الظلم والعدوان ' ك ٢٧٥ - ٢٧٦ ' . فاصبري من غيرك على نحو ما صبر عليه غيرك منك فإنه قد قيل : كما تدين تدان ' ك ٢٧٦ ' . وانه من عمل بغير الحق والعدل انتقم منه وأديل عليه . فان صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا وإذا مرت بالطيب حملت طيبا . وقد قالت العلماء في أشياء ليس لها ثبات ور١ بقاء : ظل الغمام وصحبة الاشرار وعشق النساء والثناء الكاذب والمال الكثير . وفيه 'كتاب للهند ' : ستة أشياء لا ثبات لها : ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق النساء والمال الكثير والسلطان الجائر والثناء الكاذب . وقيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء : ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق النساء والنبأ الكاذب والمال الكثير . وهذا الحزن الذي أنا فيه وتذكري اخواني كالجرح المندمل تصيبه الضربة فيجتمع على صاحبها ألمان : ألم الضربة وألم انتقاض الجرح . انه من تكلف من القول والعمل ما ليس من شكله اصابه ما اصاب القرد . . . وان الكريم لا يكون إلا شكورا غير حقود تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة . ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لا يدركها الا باربعة أشياء : اما الثلاثة التي يطلب فالسعة في المعيشة والمنزلة في الناس والزاد إلى الآخرة . وأما الأربعة التي يحتاج إليها في دركها : فاكتساب المال من معروف وجوهه وحسن القيام عليه والتثمير له بعد اكتسابه وانفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضى الأهل والاخوان ويعود عليه في الآخرة ثم التوقي لجميع هذه الآفات بجهده فمن أضاع هذه الخلال الأربع لم يدرك ما أراد لأنه إن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وإن هو كان ذا مال واكتساب ثنم لم يحكم تقديره أوشك أن ينفذ فإذا هو ليس له شيء . وان هو وضعه ولم يثمره لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة النفاد كالكحل الذي لا يأخذ منه الا مثل الغبار ثم هو سريع الفناء . ثم ان كانت نفقته في غير مواضع الحقوق اكتسب المذمة وصار إلى عواقب الندامة . وان هو اكتسب وأصلح ثم أمسك عن انفاقه في وجوهه كان كمن يعد فقيرا . لا تفعلن ذلك أيها الملك ولا ترحم من تخافه فان الملك الحازم ربما ابغض الرجل واقصاه ثم تكاره عليه فقربه وولاه لما يعرف من غنائه وفضله فعل فعل المتكاره على الدواء البشع رج١ء منفعته ومغبته . وربما احب الرجل وأدناه ثم أهلكه واستأصله مخافة ضره كالذي تلدغ الحية أصبعه فيقطعها مخافة أن ينتشر السم في جسده كله فيقتله . قرأت في كتاب للهند : السلطان الحازم ربما

أحب الرجل فأقصاه واطرحه مخافة ضره فعل الذي تلسع الحية اصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده . وربما ابغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه الغناء يجده عنده كتكاره المرء على الدواء البشع لنفعه . وقد كان يقال : لا يغفل العاقل عن التماس علما ما في نفس أهله وولده واخوانه وصديقه عند كل امر وفي كل لحظة وكلمة وعند القيام والقعود وعلى كل حال فأن ذلك شاهد على ما في القلوب ' ك ١٧٩ - ١٨٠ ' . فلا يمنعن ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربته والتماس ما عنده إذا طمع منه في دفع مخوف . وكثير من المودة يتحول بغضا وكثير من البغض يتحول محبة ومودة عن حوادث العلل والامور . وذو الرأي والعقل يهيئ لكل ما حدث من ذلك رأيا من الطمع فيما يحدث من ذلك قبل العدو واليأس مما عند الصديق ' ك ٢٢٩ ' . فانه ليس كل من اسيء إليه ينبغي أن يتخوف غشه وعداوته ، ويؤيس من نصيحته ومودته . لكن ينبغي ان ينزل الناس في ذلك على اختلاف ما بينهم . فان منهم من إذا ظفر بقطيعته كان الرأي ان يغتنم ذلك منه ويمتنع من معاودته ومنهم من لا ينبغي تركه وقطعه على كل حال ' ك ٢٥٥ ' . فان خلالا ثلاثا المرء حقيق بالتفكر فيها والاحتيال لها : ما يمضي من الضر والنفع بأن يحترش من الضر الذي اصابه لئلا يعود إليه ويرفق في المحبوب طلب مراجعته . وما هو مقيم فيه من ذلك فيستوثق مما يوافقه ويهرب مما يخالفه وما هو منتظر له فيطلب المرجو ويلتجئ من المحذور بالاستعداد لما يرجو أو يخاف ' ك ٦٢ ' . وكان يقال : الزم ذا العقل والكرم واسترسل إليه واياك وفراقه ولا عليك ان تصحب من لا جود له إذا كان محمود الرأي واحترس من سيئ اخلاقه وانتفع بما عنده ولا تدع مواصلة السخي وان كان لا نبل له واستمتع بسخائه وانفعه بلبك واهرب من اللئيم الأحمق ' ك ٩٤ ' . وقرأت في كتاب للهند : ثق بذي العقل والكرم واطمئن إليه وواصل العاقل غير ذي الكرم واحترس من سيئ أخلاقه وانتفع بعقله وواصل الكريم غير ذي العقل وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك واهرب من اللئيم الأحمق ' ع ٨٠ : ٣ ' وكان يقال : افضل البر الرحمة ورأس المودة الاسترسال وانفع العقل المعرفة بما يكون وبما لا يكون وطيب النفس وحسن الانصراف عما لا سبيل إليه ' ك ١٣٩ - ١٤٠ ' . وسمعت العلماء قالوا : . . . . وافضل البر الرحمة ورأس المودة الاسترسال ورأس العقل المعرفة بما يكون وما لا يكون وطيب النفس حسن الانصراف عما لاسبيل إليه ' د ٣٥ ' . وقرأت في كتاب الهند : رأس المودة الاسترسال ' ع ٥ : ٣ ' . وقد جربت وعرفت انه لا ينبغي لأحد أن يلتمس من الدنيا طلبا فوق الكفاف الذي يدفع به الحاجة والأذى عن نفسه وذلك يسير إذا أعين بسعة يد وسخاء نفس ' ك ١٤٠ ' . ولو ان رجلا وهبت له الدنيا بما فيها لم ينتفع من ذلك إلا بالقليل الذي يكف به الاذى عن نفسه فاما ما سواه ففي مواضعه لا يناله ' ك ١٤٠ ' . فان الرجل ذا

المروءة قد يكرم على غير مال كالاسد الذي يهاب وان كان رابضا . والغني الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذي يهان وان طوق وخلخل ' ك ١٤١ ' . والرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال كالأسد يهاب وان كان عقيرا والرجل الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذي يهون على الناس وان طوق وخلخل ' د ٣٥ – ٣٦ ' . ما ارى التبع والاخوان والاهل الا مع المال ولا تظهر المروءة والرأي والمودة إلا به فاني وجدت من لا مال له إذا اراد ان يتناول امرا قعد به عنه العدم كالماء الذي يبقى في بطون الاودية عن مطر الصيف فلا هو إلى بحر ولا إلى نهر فيبقى في مكانه لأنه لا مادة له ' ك ١٣٧ ' . ما التبع والاعوان والصديق والحشم إلا للمال ولا يظهر المروءة الا المال ولا الرأي ولا القوة إلا بالمال ' د ٣٤ ' . ووجدت من لا اخوان له فلا أهل له ومن لا ولد له فلا ذكر له ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة ومن لا مال له فلا عقل له لأن الرجل إذا اصابه الضر والحاجة رفضه اخوانه وقطع ذوو قرابته وده وهان عليهم واضطرته المعيشة وما يعالج منها لنفسه وعياله إلى التماس الرزق فيما يغرر فيه بنفسه ودينه وهلاك آخرته فإذا هو قد خسر الدنيا والآخرة ' ك ١٣٧ ' . ومن لا اخوان له فلا أهل له ومن لا اولاد له فلا ذكر له ومن لا عقل له فلا دنيا ولا آخرة ومن لا مال له فلا شي له ' د ٣٤ ' . فان الشجرة النابتة في السباخ المأكولة من كل جانب أمثل حالا من الفقير الذي يحتاج إلى ما في ايدي الناس ' ك ١٣٧ ' . فالفقر رأس كل بلاء وداعية المقت إلى صاحبه وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن للتهمة ومجمعة للبلايا ' ك ١٣٧ ' . والفقر داعية إلى صاحبه مقت الناس وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن التهمة ومجمعة للبلايا ' د ٣٤ ' . ووجدت الرجل إذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا واساء به الظن من كان يظن به حسنا فإن اذنب غيره كان للتهمة موضعا ' ك ١٣٨ ' . فإذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن به حسنا فان اذنب غيره اظنوه وكان للتهمة وسوء الظن موضعا ' د ٣٤ ' . وليس من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير ذم . فان كان جوادا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا ' ك ١٣٨ ' . وليس خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب . فان كان شجاعا سمي اهوج وان كان جوادا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا ' د ٣٤ – ٣٥ ' . وقرأت في كتاب للهند : ليس من خلة يمدح به الغني الا ذم بها الفقير فان كان شجاعا قيل اهوج وان كان وقورا قيل بليد وان كان لسنا قيل مهذار وان كان زميتا قيل عيي ' ع ١ : ٢٣٩ ' فالموت اهون من الفاقة التي تضطر صاحبها إلى المسألة . . . . ولا سيما مسألة الاشحاء الادنياء اللؤماء ' ك

١٣٨ ' . فان الكريم لو كلف ان يدخل يده في فم التنين فيستخرج منه سما فيبتلعه كان اخف عليه من الطلب إلى اللئيم ' ك ١٣٨ ' . وقد قيل من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه أو بفراق الاحبة والاخوان أو بالغربة حيث لا يعرف مبيتا ولا مقيلا ولا يرجو إيابا أو بفاقة تضطره إلى المسألة فالحياة له موت والموت له راحة ' ك ١٣٨ ' . وكان يقال : من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه أو بفراق الاحبة والاخوان أو بالغربة حيث لا يعرف مبيتا ولا مقيلا ولا يرجو ايابا أو بفاقة تضطره إلى المسألة فالحياة له موت والموت له راحة ' د ٣٥ ' . انه رب عداوة باطنة ظاهرها صداقة وهي أشد ضرا من العداوة الظاهرة ' ك ٢٣٤ ' . والعاقل يفي لمن صالح بما جعل له ويثق بذلك من نفسه ولا يثق ولا يثق لها بمثل ذلك من أحد ولا يؤثر على البعد من عدوه ما استطاع شيئا ' ك ٢٣٥ ' . فان العاقل إذا رجا نفع عدو اظهر له الصداقة وإذا خاف ضر الصديق اظهر له العداوة ' ك ٢٣٤ ' . وربما قطع المرء عن صديقه بعض ما كان يصله بفضله فلم يخف شره لأن اصل امره لم يكن عداوة ' ك ٢٣٤ - ٢٣٥ ' . فاما من كان اصل امره عداوة وتحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فأنه إذا ذهب الأمر الذي احدث ذلك صار إلى اصل امره كالماء الذي يسخن بالنار فإذا رفع عنها عاد باردا ' ك ٢٣٥ ' . وقرأت في كتاب للهند : العدو إذا احث صداقة لعلة الجأته اليها فمع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء يسخن فإذا رفع عاد باردا . وليس من عداوة الجوهر صلح الا ريثما يعود إلى العداوة وليس صلح العدو بموثوق به ولا مركون إليه فان الماء ان هو سخن بالنار واطيل اسخانه لم يمنعه ذلك من اطفاء النار إذا صب عليها . ليس بين عداوة الجوهرية صلح الا ريثما ينتكث كالماء ان اطيل اسخانه فانه لا يمتنع من اطفاء النار إذا صب عليها . فاني قد علمت ان الضعيف هو اقرب إلى ان يسلم من العدو القوي إذا هو احترس منه ولم يغترر به من القوي إذا اغتر بالضعيف واسترسل إليه . والعاقل يصانع عدوه إذا اضطر إليه فيظهر له وده ويريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بدا ويعجل الانصراف عنه إذا وجد إلى ذلك سبيلا . ان للاحقاد في القلوب لمواقع موجعة خفية فالالسن لا تصدق على القلوب والقلب اعدل على القلب شهادة من اللسان . ان الاحقاد مخوفة حيث كانت واشدها ما كان في انفس الملوك فان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الطلب بالوتر مكرمة وفخرا . ولا ينبغي للعاقل ان يغتر بسكون الحقود فانما مثل الحقد في القلب ما لم يجد متحركا مثل الجمر الكنون ما لم يجد حطبا . فلا يزال الحقد يتطلع إلى اعلل كما تبتغي النار الحطب فإذا وجد علة استعر استعار النار فلا يطفئه ماء ولا كلام ولا لين ولا رفق . . واكيس الاقوام من لم يكن يلتمس الامر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلا فان النفقة في القتال من الانفس وغير ذلك انما النفقة فيه من الاموال . . وقرأت في

كتاب للهند : . . . ويكره ' الحازم ' القتال ما وجد بدا لان النفقة فيه من الانفس والنفقة في غيره من المال . ولا تغترن بسلطانك عليهم فيدعوك ذلك إلى استصغارهم والتهاون بأمرهم فان الحشيش الضعيف إذا جمع فتل منه الحبل القوي الذي يوثق به الفيل المغتلم الشديد . وقد قيل : لو ان امرأ توسد النار وافترش الحيات كان احق بأن يهنئه ال نوم عليها منه إذا احس من صاحبه الذي يغدو عليه ويروح بعداوة يريد بها نفسه . ان صاحب الضرس المأكول لا يزال في اذى منه حتى يفارقه . والطعام الذي غثيت منه النفس راحتها في قذفه . والعدو المخوف دواؤه في فقده أو قهره . فانهم كانوا يقولون : ليس للعدو الحنق الذي لا يطاق الا الهرب منه والتباعد عنه . . . . وما الرأي الا ان نذكي العيون والطلائع بيننا وبين العدو وننظر هل يقبلن صلحا أو فدية أو خراجا نؤديه اليهن . بل ترك اوطاننا والاصطبار على الغربة وشدة المعيشة احب إلينا من وضع احسابنا والخضوع لعدونا الذي نحن خير منه واشرف . وقد يقال : قارب عدوك بعض المقاربة تنل منه حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك بها ويضعف ويذل لها جندك . ومثل ذلك مثل الخشبة القائمة في الشمس فإن املتها قليلا زاد ظلها وان جاوزت الحد في امالتها ذهب الظل . وكان يقال : قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك عدوك وتذل نفسك ويرغب عنك ناصرك . ومثل ذلك مثل العود المنصوب في الشمس ان املته قليلا زاد ظله وان جاوزت الحد في امالته نقص الظل . قرأت في كتاب للهند : بعض المقاربة حزم وكل المقاربة عجز كالخشبة المنصوبة في الشمس تمال فيزيد ظلها ويفرط في الامالة فينقص الظل . قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك منه ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك مع ما تذل به نفسك ويرعب ناصرك . والمثل في ذلك مثل العود المنصوب في الشمس ان أملته قليلا زاد ظله وان جاوزت الحد في امالته نقص الظل . فان العاقل لا يأمن عدوه على كل حال ان كان بعيدا لم يأمن من معاودته وان كان متكشفا لم يأمن استطراده وان كان قريبا لم يأمن مواثبته وان كان وحيدا لم يأمن مكره . الحازم لا يأمن عدوه على كل حال ان كان بعيدا لم يأمن من معاودته وان كان قريبا لم يأمن مواثبته وان رآه م تكشفا لم يأمن استطراده كمينه وان رآه وحيدا لم يأمن مكره . الحازم يحذر عدوه على كل حال . يحذر المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى والمكر ان رآه وحيدا . الحازم لا يأمن عدوه على كل حال : ان كان بعيدا لم يأمن من معرته بالكيد وان كان قريبا لم يأمن مواثبته وان كان منكشفا لم يأمن استطراده وان كان وحيدا لم يأمن مكره . ولكل حريق مطفئ : للنار الماء وللسم الدواء وللعشق الوصال وللحزن الصبر زنار الحقد لا تخبو . وكان يقال : من اقلعت عنه الحمى استراح بدنه وقلبه ومن وضع الحمل الثقيل استراح منكبه ومن أمن عدوه ثلج صدره

. فان العاقل وان كان واثقا بقوته وقوله وفضله رشدة بطشه لا يحمله ذلك على ان يجني على نفسه عداوة اتكالا على ما عنده من ذلك كما ان الرجل وان كان عنده الترياق والأدوية لا ينبغي له ان يشرب السم اتكالا على ما عنده من ذلك . وانما يستخرج ما عند الرجال ولاتهم وما عند الجنود قادتهم وما في الدين علماؤه . وكثرة الأعوان إذا لم يكونوا نصحاء مجربين مضرة على العمل فان العمل ليس بذلك رجاؤه بل بصالح الاعوان وذوي الفضل كالرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيثقله ولا يجد له ثمنا والرجل الذي يحمل الياقوت فلا يثقل عليه وهو قادر على بيعه بالكثير من المال . فان الرجل الذي بحضرة السلطان إذا كان قد اطيلت جفوته عن غير جرم كان منه أو كان مبغيا عليه أو كان معروفا بالحرص والشره أو كان قد اصابه ضر أو ضيق فلم ينعش أو كان قد اجرم جرما فهو يخاف العقوبة أو كان شريرا لا يحب الخير أو كان قد وقف على خيانته أو كان قد حيل بينه وبين ما كان في يده من سلطان أو كان قد وقف على خيانته أو كان قد حيل بينه وبين ما كان في يده من سلطان أو كان يلي عملا نعزل عنه أو فرق عليه أو انتقص منه أو اشرك بينه وبين غيره فيه أو كان اذنب في نظرائه فعفي عنهم وعوتب وعوقب أو عوقبوا جميعا فبلغ منه ما لم يبلغ من أحد منهم مثله أو كان قد أبلى بلاء نظرائه ففضلوا عليه في المنزلة والجاه أو كان غير موثوق به في الهوى والدين أو كان يرجو في شيء مما يضر الولاة نفعا أو يخاف في شيء مما ينفعهم ضرا أو كان لعدو السلطان موادا . كل هؤلاء ليس السلطان حقيقا بالاسترسال إليهم والطمأنينة إلى ما قبلهم والائتمان لهم . ان السلطان انما يؤتى من قبل ست : الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق . فأما الحرمان فيأتي بفقد الاعوان والساسة من أهل الرأي والنجدة والامانة أو يبعد بض من هو كذلك . واما الفتنة فهي تخرب الناس ووقوع التحارب بينهم . واما الهوى فهو الاغرام بالنساء أو الحديث والشرب والصيد وما اشبه ذلك . واما الفظاظة فالافراط في الشدة حتى يبتلى اللسان بالشتم واليد بالبطش والضرب وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من القحط والموت ونقص الثمرات واشباه ذلك . واما الخرق فاعمال الشدة في موضع اللين والرفق في مكان الغلظة . فانه كان يقال : إذا عرف الملك من الرجل انه قد ساواه في الرأي والمنزلة والهيبة والمال والتبع فليصرعه فانه ان لم يفعل كان هو المصروع . وخير الاعوان اقلهم مصانعة . وخير النساء الموافقة لبعلها . وافضل الاعمال احلاها عاقبة واحسن الثناء ما كان على افواه الأحرار . واشرف السلطان ما لم يخالطه بطر . وأيسر الاغنياء من لم يكن للحرص اسيرا . وامثل الاخلاق أونها على الورع . مع ان الملوك حزمة لا يعلنون بالعقوبة إلا لمن ظهر ذنبه وما كان من ذلك مكتوما ستروها منه . ان السلطان إذا كان صالحا ووزراؤه غير صالحين قل خيره على الناس وامتنع منهم فلم يجتر عليه أحد ولم يدن منه

كالماء الصافي الطيب الذي فيه التماسيح فلا يستطيع الرجل دخوله وان كان سابحا واليه محتاجا . كان يقال : انما يصيب الملوك الظفر بالحزم والحزم باصالة الرأي والرأي بتحصين الاسرار . الظفر بالحزم والحزم باصالة الرأي والرأي بتكرار النظر وبتحصين الاسرار . وانما يطلع على السر من قبل خمسة : من قبل صاحب الرأي ومن قبل مشاوره ومن قبل الرسل والبرد ومن قبل المستمعين الكلام ومن قبل الناظرين في أثر الرأي ومواقع العمل بالتشبيه والتظني . من حصن سره فانه من تحصينه اياه في أحد امرين : اما ظفر بما يريد واما سلامة من عيبه وضره ان اخطأه ذلك . وفي تحصين السر الظفر بالحاجة والسلامة من الخلل . وإذا كان الملك محصنا لاسراره متخيرا للوزراء مهيبا في انفس العامة بعيدا من ان يعلم ما في نفسه لا يضيع عنده حسن بلاء ولا يسلم منه ذو جرم مقدرا لما يفيد ولما ينفق كان خليقا الا يسلب صالح ما اعطي . فمن السر ما يدخل فيه الرهط ومنه ما يدخل فيه الرجلان ومنه ما يستعان فيه بالقوم . وللأسرار منازل : منها ما يدخل الرهط فيه ومنها ما يستعان فيه بقوم ومنها ما يستغنى فيه بواحد . وأعلم أن الرسول به وبرأيه وأدبه يعتبر عقل المرسل وكثير من شأنه وعليك باللين والمواتاة فإن الرسول هو يلين القلب إذا رفق ويخشن الصدر إذا خرق (ك ١٥٤) . لا يطمعن ذو الكبر والصلف في الثناء الحسن ولا يطمعن الخب في كثرة الصديق ولا الشيء الأدب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص في قلة الذنوب ولا الملك المتهاون الضعيف الوزراء في بقاء ملكه . لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثناء ولا الخب في كثرة الصديق ولا الشيء الأدب في الشرف ولا الشحيح في المحمدة ولا الحريص في الإخوان ولا المعجب بثبات الملك . ولا ثناء مع كبر ولا صداقة مع خب ولا شرف مع سوء أدب ولا بر مع شح . . . ولا رياسة مع غرارة وعجب . فإن الملك إذا لم يكن في مملكته قرة عيون رعيته فمثله ذات الضرع الضخم إذا وضعت ولدها لم يكن فيه ما يكفيه . وأعمال الملك كثيرة ومن يحتاج إليه من العمال والأعوان كثير ومن يجمع منهم الذي ذكرت من النصيحة وأصالة الرأي والعفاف قليل . وإنما السبب في الوجه الذي به يستقيم العمل أن يكون الملك عالما بمودة من يريد الاستعانة به ، وما عند كل رجل منهم من الرأي والغناء وما فيه من العيوب . فإذا استقر ذلك عنده من علمه أو علم غيره وعلم ما يستقيم به وجه لكل عمل من قد عرف أن عنده من الأمانة والنجدة والرأي ما يستقل بذلك العمل ، وإن الذي فيه من العيب لا يضر بذلك العمل . ويتحفظ من أن يوجه أحدا في وجه لا يحتاج فيه إلى مروءة إن كانت عنده ولا تؤمن عيوبه وعاقبة ما يكره منه . ثم على الملك بعد ذلك تعاهد عماله والتفقد لأمورهم حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ثم عليهم بعد ذلك ألا يتركوا محسنا بغير جزاء ولا يقروا مسيئا ولا عاجزا على العجز والإساءة .

فإنهم إن ضيعوا ذلك وتهاونوا به تهاون المحسن واجترأ المسيء ففسد الأمر وضاع العمل . لأن تنقل الناس من بعض المنازل إلى بعض فيه صعوبة ومشقة شديدة ثم أن الأشياء في ذلك تجري على منازل حتى تنتهي إلى الخطر الجسيم من مضادة الملك في ملكه . إن أمورا ثلاثة تزداد بها لطافة ما بين الإخوان واسترسال بعضهم إلى بعض : منها المؤاكلة ومنها الزيارة في الرحل ومنها معرفة الأهل والحشم . وقرأت في كتاب للهند : ثلاثة أشياء تزيد في الأنس والثقة : الزيارة في الرحل والمؤاكلة ومعرفة الأهل والحشم . وقد كان يقال : لا يكثرن الرجل على إخوانه حمل المؤنات حتى يؤذيهم ويبرمهم . فإن عجل البقرة إذا أكثر مصه إياها وإفراطه أوشكت أن تضربه وتنفيه . الأصدقاء صديقان : طائع ومضطر وكلاهما يلتمس المنافع ويحترس من المضار . فأما الطائع منهما فيسترسل إليه ويوثق به على كل حال . وأما المضطر فإن له حالات يسترسل فيها وحالات يتقى فيها فلا يزال العاقل يرتهن منه بعض حاجته ببعض ما يتقي وما يخاف . فإنه من اتخذ صديقا ثم أضاع ود اخائه حرم ثمرة إخائه وأيس من منفعة الإخوان . وإن من المعونة على تسلية الهم وسكون النفس عند نزول البلاء لقاء الأخ أخاه وإفضاء كل واحد منهما إلى صاحبه بثه . فإن من المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الأخ أخاه إذا أفضى كل واحد إلى صاحبه بثه . من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب . ومن ترك الأمر الذي لعله أن يبلغ منه حاجته مخافة لما لعله يتوقاه ويشفق منه فليس ببالغ جسيما . وقد قيل في أمور لا يستطيعها أحد إلا بمعونة من ارتفاع همة وعظيم خطر منها عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو . وفي كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تنال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر : عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو . لا ينبغي للرجل ذي المروءة أن يرى إلا في مكانين ولا يليق به غيرهما أما مع الملوك مكرما وأما مع النساك متبتلا . كالفيل الذي إنما بهاؤه وجماله في مكانين : أما في البرية وحشيا وأما مركبا للملوك . وفيه أيضا : لا ينبغي أن يكون الفاضل من الرجال إلا مع الملوك مكرما أو مع النساك متبتلا كالفيل لا يحسن أن يرى إلا في موضعين : في البرية وحشيا أو للملوك مركبا . فإن المال وسائر متاع الدنيا سريع إقباله إذا أقبل وشيك إدباره إذا أدبر كالكرة فإن ارتفاعها وإقبالها وإدبارها ووقوعها سريع . ١٦٠ - لا يزال المرء مستقلا ما لم يعثر فإذا هو عثر لج به العثار ولو مشى في جدد . لقد صدق القائل الذي يقول : لا يزال الرجل مستمرا حتى يعثر . فإذا عثر مرة واحدة في أرض الخبار لج به العثار وإن مشى في جدد . وقد كان يقال : من غالب الملك الحازم الأريب المصنوع له الذي لا تبطره السراء ولا يدهشه الخوف فإن حينه يجدر به . وويل لمن ابتلي بصحبتهم (الملوك) فإنهم لا حميم لهم

ولا حريم ولا يحبون أحدا ولا يكرم عليهم إلا أن يطمعوا عنده في غناء فيقربوه عند ذلك ويكرموه . فإذا قضوا منه حاجتهم فلا ود ولا حفاظ . ولا الإحسان يجزون به ولا الذنب يعفون عنه .." (١)

"ومذهب السعادة هو القول: إن السعادة العقلية هي الخير الأعلى، وهي غاية العمل الإنساني سواء أكانت بالفرد أم المجتمع، ومذهب السعادة بهذا المعنى مقابل لمذهب اللذة، وهو القول: أن اللذة هي الخير الأعلى"(٢٧١).

٣١-الزينة:

الزينة ليست هي الجمال، وإنما هي التحلي به، ولهذا قال الحرالي: الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسه أو حلية أو هيئة(٢٧٢).

والزين ما اكتسب جماله من غيره بمحسنات.

قال ابن فارس:"الزاء والياء والنون أصل صحيح يدل على حسن الشيء وتحسينه.

فالزين نقيض الشين.. يقال: زينت الشيء تزيينا، وأزينت الأرض وازينت وازدانت.. إذا حسنها عشبها، ويقال -إن كان صحيحا-: إن الزين عرف الديك.. وينشدون:

وجئت على بغل تزفك تسعة * * *كأنك ديك مائل الزين أعور"(٢٧٣)

وقال الراغب:"الزينة الحقيقية ما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأما ما يزينه في حالة دون حالة فهو من وجه شين.. والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينة نفسية كالعلم والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية كالقوة وطول القامة، وزينة خارجية كالمال والجاه.. فقوله:﴿حبب إليكم الإيمان وزينه قلوبكم﴾[سورة الحجرات/٧]، فهو من الزينة النفسية، وقوله:﴿من حرم زينة الله﴾[سورة الأعراف/٣٢] فقد حمل على الزينة الخارجية، وذلك أنه قد روي: أن قوما كانوا يطوفون بالبيت عراة فنهوا عن ذلك بهذه الآية.. وقال بعضهم: بل الزينة المذكورة في هذه الآية هي الكرم المذكور في قوله:﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[سورة الحجرات/١٣]، وعلى هذا قال الشاعر:وزينة العقل **حسن الأدب**(٢٧٤)." (٢)

"فالقفطي ذكر إنه "كان فاضلا عالما زاهدا "[١٨]، وابن كثير يصفه " بالفقيه العابد الزاهد "[١٩]. وابن قاضي يقول فيه "كان زاهدا عابدا مخلصا تاركا الدنيا "[٢٠]. فسيرة البغدادي جملة من الورع والمجاهدة والمجالدة وعلى الرغم من قدره وعلو مكانته عند الخلفاء، قنع صاحبنا وزهد في دنياه، فكان

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة ، ص/١٠٠

(٢) مبادئ في نظرية الشعر والجمال، ص/٣٢٩

أقرب إلى مسالك الصوفية، أو قل إنه حبب لنفسه الطريقة الصوفية إلا أنه لم يعتنقها مذهبا جاء في نزهة الألباء في حديثه عن أستاذه أبي منصور الجواليقي قوله: وحضرت حلقته يوما وهو يقرأ عليه كتاب الجمهرة لابن دريد.وقد حكى عن بعض النحويين أنه قال:" أصل (ليس) (لا أيس) فقلت: هذا الكلام كأنه من كلام الصوفية، فكأن الشيخ أنكر علي ذلك "[٢١]

هذه الواقعة تعطينا الدليل على أن صاحبنا لم تكن نفسه تستهوي الصوفية مذهبا بل استهوتها مسلكا، فنراه يجالس الصوفية ويشاركهم ويسلك مسلكهم في مواجهة أمور الحياة. إضافة إلى ذلك كان البغدادي يتسم بالجد والسيطرة على خوالج نفسه، ويظهر هذا الحد من خلال عبارة قالها تعليقا على مداعبة جرت بين الميداني والزمخشري " هذه فكاهة لا تليق بالمشايخ "[٢٢] وكأنه بتصرفه هذا قد أخذ بنصيحة أستاذه ابن الشجري حين قال:

لا تمزحن فإن مزحت فلا يكن مزحا تضاف به **إلى سوء الأدب**

واحذر ممازحة تعود عداوة إن المزاح على مقدمة الغضب

مذهبه الفقهي:." (١)

"اخبرنا ابو القاسم عبد الله بن محمد الحلواني قال ثنا مكرم قال ثنا بشر بن الوليد قال كان ابو يوسف يكتب كتابا ورجل يطلع فيه فقال له ابو يوسف حين فرغ هل فيه خطأ شيء قال لا ولا حرف قال كفيتنا مؤنة النظر فيه ثم انشأ يقول

(كأنه من سوء تأديبه ... اسلم في **كتاب سوء الأدب**)

اخبرنا عمر بن ابراهيم قال ثنا مكرم قال ثنا احمد قال ثنا ابو عبيد قال سمعت ابراهيم بن الجراح يقول دخلت على ابي يوسف وهو شديد العلة فقال يا ابراهيم ما تقول في مسألة قلت في مثل هذه الحال قال ولا بأس بذلك ندرس فينجو به ناج ثم قال ايما افضل في رمي الجمار ان ترميها راكبا راكبا او ما شيا قلت راكبا قال اخطأت قلت ماشيا قال أخطأت قلت له قل فيها رضي الله عنك فقال ان كانت مما لا تقف عنده فالأفضل ان ترميها راكبا لأنه أسرع لتنحيك وإن كانت اتفقت عنده فالأفضل أن ترميها ماشيا لأنه اشد لتمكنك واغزر لدعائك

اخبرنا ابو القاسم عبد الله بن محمد المعدل قال حدثنا ابو بكر مكرم بن احمد قال ثنا عبد الوهاب بن محمد قال سمعت محمد بن شجاع قال حدثني الحسن بن ابي مالك وعباس بن الوليد قالا كنا نختلف

---

(١) أبو البركات البغدادي (الأنباري) أثر عصره عليه وآراؤه النحوية، ص/٩

الى ابي معاوية في حديث الفقه من حديث الحجاج بن ارطأة فقال لنا ابو معاوية اليس ابو يوسف القاضي عندكم قلنا بلى فقال اتتركون ابا يوسف وتكتبون عني كنا نختلف الى الحجاج فكان ابو يوسف يحفظ والحجاج يملي علينا فإذا خرجنا كتبنا من حفظ ابي يوسف

"._________________________________١٠٢_________________________________

(١)

"يتعب فيها أبدا جسمه ... وإنما الراحة كالخلس

يخدع فيها بالمنى نفسه ... ووافد الموت به مرسي

ينسى الذي يأتي به صرفها ... والآمل الغرار قد ينسي

تلبسه من طمع غفلة ... بالمطعم الملذوذ واللبس

فأسلم الله إمام الهدى ... فما عطاء الدهر بالنحس

كل الورى أنت وكل يرى ... عبدك من عال ومن نكس

بقاؤك الفوز لنا والغنى ... نصبح فيه مثل ما نمسي

شوى صروف الدهر ما لم تصب ... في الرطب إن عاثت وفي اليبس

من تاجر الدهر بلا صرفه ... فصار من ربح إلى وكس

فأسلم الكل فلا بأس أن ... يرزأ في السدس وفي الخمس

إن غيب البدر كسوف فقد ... لاحت بسعد غرة الشمس

ما طالع الأمة يا سيدي ... إذا خطاك الخطب بالبخس

فما فرغت من الإنشاد حتى بكا بكاء شديدا، ثم قال لي أنت كنت حديثتني أن المأمون قال لمحمد بن عباد المهلبي لما مات أخوه أبو عيسى، وكان أحب الناس إليه: يا محمد حال القدر دون الوطر. قلت له قد كان ذاك، فقال والله ما كان المأمون لأبي عيسى بأشد حبا مني لهارون ولا أصح نية فيما روى عنه. ودفن هارون في داره بقرب الجسر، وحضره يومه الوزير والقواد، وكل نزع سيفه ومنطقه إلى أن دفن بعد العصر وانصرفوا فقال بعد ذلك: لو لا أني لا أدرك ثأري لقتلت بختيشوع الطبيب، سقى أخي هارون درهم سقمونيا حتى قتله ورمى بكل ما في جوفه! وإن كان المشئوم ما تعمد ذلك، ولكنه أعمى القلب، قصير العلم بليد الفكر، مرزوق في أيامه،محظوظ.

---

(١) أخبار أبي حنيفة للصيمري، ص/٨٨

وأشاع الناس بأن ابن رايق يريد الصعود من واسط إلى بغداد ولحقه الناس من بغداد، فظن الساجية والحجرية أن ذلك بمكاتبة الراضي.

فتكلموا في ذلك فكتب إليه لا تجيء ووجه بما كرد وينال وعبد الله بن علي كاتب نسيم، يناشدونه في مقامه وقدموا من عنده يوم الخميس لست خلون من شهر ربيع الآخر.

ومات في هذا الوقت علي بن العباس النوبختي وقد قارب ثمانين سنة وكان **حسن الأدب** والشعر وكان ابنه الحسين يكتب لابن رايق ويدبره أمره. وقد شيخ هاشمي من سر من رأى يقال له إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى فحدث واجتمع إليه، وذكروا أنه ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وكان عنده علو إسناد مفقود في وقته، الموطأ عن مالك عن أبي مصعب الزبيري وروى عن أبي سعد الأشج وعبد الجبار بن العلاء العطار.

فتكلم الناس في سماعة والتهبت له سوق ثم طفئت ورجع إلى سر من رأى.

واستحق الساجية والحجرية، فطالب الوزير مياسير التجار بأموال يعجلونها، ويكتب لهم بها سفاتج فاستتروا.

وضرب ابن جبير الدقاق، وأخذ منه مال وأمر منكان ينزل بسور المدينة أن ينتقل لتباع المنازل.

ووجه الحسن بن عبد الله بمائة كر دقيقا، يفرق بسر من رأى وبغداد على الأشراف والضعفى ففرح به الناس وصدرت زواريق كثيرة للتجار فصلح السعر. وبلغ الحجرية والساجية أن بدرا الخرشني والمؤنسية والرجالة قد عزموا بأمر السلطان، فتنكروا لهم فخرج بدر ومن معه إلى الصحراء يوم الثلاثاء، لثلاث خلون من جمادى الأولى وقالوا كيف صار الساجية والحجرية يأخذون المال وقت استحقاقهم ونحن نؤخر بقسم المال بيننا! وصار الحجرية والساجية إلى الحلبة وأقاموا بها واستظهر السلطان بعض الاستظهار ببعض اليلبقية والهارونية وغلمان أم المقتدر. ثم إن الحجرية والساجية أخرجوهم عن الدار، وصار الخرشني إلى مسجد الجامع بالرصافة فضرب خيمة هناك وتبعه جعفر بن ورقاء ولؤلؤ وغيرهم.." (١)

"يا عمرو ناد عبد زهراء ... يعرفه السامع والرائي

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي وقال رضي الله تعالى عنه، في قول سمنون المحب:

وليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرني الأولى أن يقول: فكيفما شئت فاعف عني إذ طلب العفو أولى من طلب (١) الاختبار. وقال رضي الله تعالى عنه: الزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة، والعارف جاء من الآخرة إلى الدنيا. وقال رضي الله تعالى عنه: العارف لا دنيا له، لن دنياه لآخرته، وآخرته لربه. وقال: الزاهد غريب في الدنيا، لأن الآخرة وطنه، والعارف غريب في الآخرة.

---

(١) أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص/٨٢

قال بعض العارفين: معنى الغربة في كلام الشيخ، رضي الله تعالى عنه أن الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشش روحه، فيكون غريبا في الدنيا، إذ ليست وطنا لقلبه، عاين الآخرة فأخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها، وفيما شهد من عقوبتها ونكالها، فتغرب في هذه الدار. و أما العارف فإنه غريب في الآخرة إذ كشف له عن صفات معروفة فأخذ قلبه فيما هناك، فصار غريبا في الآخرة، لأن سره مع الله تعالى، بلا أين، فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم، إليها يأوون، وفيها يسكنون، فإن تنزلوا إلى سماء الحقوق، أو أرض الخصوص،فبالإذن والتمكين، والرسوخ في اليقين، فلم ينزلوا إلى الخصوص لشهوة، ولم يصعدوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة، بل كانوا في ذلك كله بآداب الله تعالى وآداب رسله وأنبيائه متأدبين، وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين، رضي الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم آمين.

---

(١) في بعض النسخ: لأن طلب.." (١)

"قول الأول:

يزين الغريب إذا ما اغترب ... ثلاث فمنهن **حسن الأدب**

وثانية حسن أخلاقه ... وثالثة إجتناب الريب وإذا اعتبرت هذه الثلاثة ولزمتها في الغربة رأيتها جامعة نافعة، لا يلحقك إن شاء الله تعالى مع استعمالها ندم، ولا يفارقك بر ولا كرم، ولله در القائل:

يعد رفيع القوم من كان عاقلا ... وإن لم يكن في قومه بحسيب

إذا حل أرضا عاش فيها بعقله ... وما عاقل في بلدة بغريب وما قصر القائل حيث قال:

واصبر على خلق من تعاشره ... وداره فاللبيب من دارى

واتخذ الناس كلهم سكنا ... ومثل الأرض كلها دارا وأصغ يا بني إلى البيت الذي هو يتيمة الدهر، وسلم الكرم والصبر:

ولو أن أوطان الديار نبت بكم ... لسكنتم الأخلاق والآدابا إذ حسن الخلق أكرم نزيل، والأدب أرحب منزل، ولتكن كما قال أحدهم في أديب متغرب: وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد، وإليه قصد، غير مستريب بدهره، ولا منكر شيئا من أمره، و إذا دعاك قلبك إلى صحبة من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سلما، وهب في روض أخلاقه هبوب النسيم، وحل بطرفه محل الوسن (١) ، وانزل بقلبه نزول المسرة، حتى يتمكن لك وداده، ويخلص فيك اعتقاده، وطهر من الوقوع فيه لسانك، وأغلق سمعك، ولا ترخص في

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٣/٢

جانبه لحسود لك منه، يريد إبعادك عنه، لمنفعته،

---

(١) ج: على الوسن.." (١)

"[أخبار عن المروانيين]

١٢٢ - وحكي أن أيوب بن سليمان السهيلي المرواني حضر يوما عند ابن باجة والشاعر أبو الحسن ابن جودي هناك، فتكلم المرواني بكلام ظهر فيه نبل وأدب، فتشوف أبو الحسن ابن جودي لمعرفته، وكان إذ ذاك فتي السن، فقال له: من أنت أكرمك الله تعالى فقال: هلا سألت غيري عني فيكون ذلك أحسن لك أدبا ولي توقيرا، فقال ابن جودي: قد سألت من المعرف عنك فلم يعرفك، فقال: يا هذا، لطالما مر علينا زمان يعرفنا من يجهل، ولا يحتاج من يرانا فيه إلى أن يسأل، وأطرق ساعة، ثم رفع رأسه وأنشد:

أنا ابن الألى قد عوض الدهر عزهم ... بذل وقلوا واستحبوا التنكرا

ملوك على مر الزمان بمشرق ... وغرب دهاهم دهرهم وتغيرا

فلا تذكرنهم بالسؤال مصابهم ... فإن حياة الرزء أن يتذكرا ففطن ابن جودي أنه منبني مروان، فقام وقبل رأسه، واعتذر إليه، ثم انصرف المرواني، فقال ابن باجة لابن جودي: أساء أدبك بعد ما عهدت منك كيف تعمد إلى رجل في مجلسي تراني قد قربته وأكرمته وخصصته بالإصغاء إلى كلامه فتقدم عليه بالسؤال عن نفسه فاحذر أن تكون لك عادة، فإنها من أسوء الأدب، فقال ابن جودي: لم أزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام:

نأخذ من ماله ومن أدبه (١) ... ١٢٣ - وحكي أن بكارا المرواني (٢) لما ترك وطنه وخرج في الجهاد وقتل، قال صاحب السقط: إنه اجتمع به في أشبونة فقال: قصدت منزله بها، ونقرت

---

(١) صدر البيت: ننقل أسبابنا إلى ملك.

(٢) انظر أخبار بكار وأشعاره في المغرب ١: ٤١٥.." (٢)

"٥٨٩ - وحكي أن حافظ الأندلس إمام الأدباء (١) ، رئيس المؤلفين، حسنة الزمان، نادرة الإحسان، أبا محمد عبد الله بن إبراهيم الصنهاجي الحجاري صاحب كتاب المسهب كان سبب اتصاله بعبد الملك

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٥٥/٢

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٣٤/٣

بن سعيد جد علي بن موسى صاحب المغرب أنه وفد عليه في قلعته، فلما وقف على بابه وهو بزي بداوة ازدراه البوابون، فقال لهم: استأذنوا لي على القائد، فضحكوا به، وقالوا له: ما كان وجد القائد من يدخل عليه في هذه الساعة إلا أنت فمد يده إلى دواة في حزامه وسحاءة، وكتب بها: بباب القائد الأعلى – لازال آهلا بأهل الفضيلة – رجل وفد عليه من شلب بقصيدة مطلعها:

عليك أحالني الذكر الجميل

فإن رأى سيدي أن يحجب من بلده شلب ومن قصيده هذا فهو أعلم بما يأتي ويذر، ولا عتب على القدر، ورغب إلى أحد غلمانه، فأوصل الورقة، فلما وقف عليها القائد، قال: من شلب، وهذا مطلع قصيدته، ما لهذا إلا شأن، ولعله الوزير ابن عمار، وقد نشر إلى الدنيا، عجلوا بالإذن له، فأذنوا له ودخل وبقي واقفا لم يسلم ولا كلم أحدا، فاستثقله الحاضرون، واستبردوا مقصده، ونسبوه للجهل **و سوء الأدب**، فقال له أحدهم: ما لك لا تسلم على القائد، وتدخل مداخل الأدباء والشعراء فقال: حتى أخجل جميعكم قدر ما أخجلتموني على الباب مع أقوام أنذال، وأعلم أيضا من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى، فأكون أتقيه إن قدر لي خدمته، فقال له عبد الملك: أتأخذ بما فعل السفهاء منا قال: لا والله، بل أغفر لك ذنوبك الدهر أجمع، وإنما هي أسباب نقصدها لنحاور بها مثلك أعزك الله تعالى. ويتمكن التأنيس، وينحل قيد الهيبة، ثم أنشد من رأسه ولا ورقة في يده:

---

(١) ب: الأدب.." (١)

"فإن عدا مودعه الرمز فقد زل، وغن تعدى مذيعه الغمز فقد ضل.

رقيقة – الحسن خلق، والجمال خلق، **وحسن الأدب** في الظاهر عنوان **حسن الأدب** في الباطن، وحيث هو الجمال هو الجميل.

حقيقة – تحقق العلماء بالتوحيد فاستشعروا " والله خلقكم وما تعملون " لكنهم اعتبروا خلق السبب والابتلاء به، فتصرفوا بدلالة الإذن في مذهبه، فاستقاموا على طريقة الأدب، ولم يفتهم فضل التوكل، ولم تتسع معارف الزهاد لما عرفوا المشبب بكيفية الانصراف إلى السبب منه، لدقة الفرق بينه وبين الانصراف عنه، فوقفوا مع التوكل للعذر، ولم يستعملوا أدب الجريان مع ابتلاء الأمر، وعكف الغافلون على ظاهر السبب، ففاتهم التوكل والأدب " أولئك كالأنعام بل هم أضل " .

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٢٣/٤

رقيقة: الفيت لعبد الحق الإشبيلي بيتا هو عندي أفضل من قصيدة، وهو:

قد يساق المراد وهو بعيد ... ويريد المريد وهو قريب ومن أراد معرفة قدر هذا البيت فليتل " الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب " .

حقيقة: أشرف أسمائك ما أضافك إليه، وأكرم صفاتك ما دل فيك عليه (١) .

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

ولا تصفني بالهوى عندها ... فعندها تحقيق أنبائي رقيقة:

أعزز بمن سوداء قلبي مغرب ... لخياله، وسواد عيني مشرق

إن غاب عن سري فعنه لم يغب ... أو عن عياني فهو فيه محقق

---

(١) مر البيت الأول فيما تقدم المجلد ٢: ١٩٣.." [1]

"الشوب، واقصدوا أبواب غافر الذنب وقابل التوب، واعلموا **أن سوء الأدب** مع الله تعالى يفتح أبواب الشدائد، ويسد طرق العوائد، فلا تمطلوا بالتوبة أزمانكم، ولا تأمنوا مكر الله فتغشوا إيمانكم، ولا تعلقوا متابكم بالضرائر، فهو علام السرائر، وإنما علينا أن ننصحكم وإن كنا أولى بالنصيحة، ونعتمدكم بالموعظة الصريحة، الصادرة - علم الله تعالى - عن صدق القريحة، وإن شاركناكم في الغفلة فقد سبقناكم إلى الاسترجاع والاستغفار، وإنما لكم لدينا نفس مبذولة في جهاد الكفار، وتقدم قبلكم إلى مواقف الصبر التي لا ترضى بالفرار، واجتهاد فيما يعود بالحسنى وعقبى الدار، والاختيار لله ولي الاختيار، ومصرف الأقدار، وها نحن نسرع في الخروج إلى مدافعة هذا العدو ونفدي بنفوسنا البلاد والعباد، والحريم المستضعف والأولاد، ونصلى من دونهم نار الجلاد، ونستوهب منكم الدعاء لمن وعد بإجابته، فإنه يقبل من صرف إليه وجه إنابته، اللهم كن لنا في هذا الاهتمام نصيرا، وعلى أعدائك ظهيرا، ومن انتقام عبدة الأوثان كفيلا، اللهم قو من ضعفت حيلته فأنت القوي المعين، وانصر من لا نصير له إلا أنت فإياك نعبد وإياك نستعين، اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا عند تزلزل الأقدام، ولا تسلمنا عند لقاء عدو الإسلام، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام، اللهم دافع بملائكتك المسومين، اللهم اجعلنا على تيقظ وتذكر من " قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم " آل عمران: ١٧٣.

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٢٧/٥

وقد وردت علينا المخاطبات من إخواننا المسلمين الذين عرفنا في القديم والحديث اجتهادهم، وشكرنا في ذات الله تعالى جهادهم، بني مرين أولي الامتعاض لله تعالى والحمية، والمخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزية، بعزمهم على الامتءاض لحق الجوار، والمصارخة التي تليق بالأحرار، والنفرة." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٣٧ """"""""

قال الحكم بن عيينة : مررنا بامرأة محرمة وقد أبلت ثوبها ، فقلت : أسفري عن وجهك . قالت : أفتاني بذلك زوجي محمد بن علي بن الحسن رضي الله عنهم . وكان رضي الله عنه إذا رأى مبتلي أخفى الاستعاذة . وكان لا يسمع من داره : يا سائل بورك فيك ، ولا يا سائل خذ هذا ، وكان يقول : سموهم باحسن أسمائهم . وكان يقول : اللهم أعني على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالعفو . وقال لابنه : يا بني ، إذا أنعم الله عليك نعمة فقل : الحمد لله ، وإذا حزبك أمر فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإذا أبطأ عليك رزق فقل : استغفر الله . وقال : أدب الله محمدا (صلى الله عليه وسلم) - **أحسن الأدب** فقال : ' خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ' . فلما وعى قال : ' وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ' .

زيد بن علي رضي الله عنه

وكان يسمى في آل محمد - (صلى الله عليه وسلم) - الراهب . ومن كلامه : إن الذين كرمت عليهم أنفسهم حفظوها بطاعة الله من العمل بمعصيته ، وأدبوها بالقرآن ، وأقاموها على حدود الرحمن ، فلم يهتكوا حجاب ما حرم الله عليهم ، ولم يسأموا من الصبر ومرارته في الله ابتغاء مرضاته ، فراقبوه في الخلوات ، وبذلوا له من أنفسهم الكثير من الطاعات ، حتى إذا." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٣٢ """"""""

قال ابن شهاب : ليس بكذاب من درأ عن نفسه . قال الحجاج لابن قرية : ما الأرب ؟ قال : الصبر على كظم الغيظ حتى تمكن الفرصة . قالوا : ثلاث لا غربة معهن : مجانبة الريب ، **وحسن الأدب** ، وكف الأذى . وكان يقال : عليكم بالأدب ، فإنه صاحب في السفر ، ومؤنس في الوحدة ، وجمال في المحفل ، وسبب إلى طلب الحاجة . قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما أحسن الحسنات في آثار السيئات ، وأقبح السيئات في آثار الحسنات ، وأقبح من هذا وأحسن من ذاك السيئات في آثار السيئات ،

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٨٩/٧

(٢) نثر الدر . ، ٢٣٧/١

والحسنات في آثار الحسنات . قال أبو إدريس الخولاني : المساجد مجالس الكرام . قيل : المنة ٤١٧ تهدم الصنيعة . وكان يقال : كتمان المعروف من المنعم عليه كفر له ، وذكره من المنعم تكدير له . كان مالك بن دينار يقول : ما أشد فطام الكبير كان يقال : أنعم الناس عيشا من عاش في عيشة غيره . قال رجل لرجل من قريش : والله ما أمل الحديث . فقال : إنما يمل العتيق . يروى عن أسماء بن خارجة أنه قال : لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا ، فإنما هو كريم أسد خلته ، أو لئيم أشترى عرضي منه . كان ابن شبرمة إذا نزلت بن نازلة قال : سحابة ثم تتقشع . كان يقال : أربع من كنوز الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان الفاقة : وكتمان الوجع . قيل : ليس للجوج تدبير ، ولا لسيىء الخلق عيش ، ولا لمتكبر صديق والمنة تفسد الصنيعة . كان يقال : لا ينبغي لعاقل أن يشاور واحدا من خمسة : القطان والغزال." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٤٠ """"""""""

مع العجلة الخطار ، وربما خطئ المخاطر بالقضاء . شر أخلاق الرجال البخل والجبن وهما خير أخلاق النساء . إذا جاء زمان الخذلان انعكست العقول . سعة السمحاء أحد الخصبين ، وكثرة المال عند البخلاء أصعب الجدبين . **من سوء الأدب** مؤانسة من احتشمك ، وكشف خلة من سترها عندك ، والنزوع إلى مشورة لم تدع إليها . قال إبراهيم التيمي : نعم القوم السؤال ؛ يدقون أبوابكم ويقولون : هل توجهون إلى الآخرة شيئا بشيء ؟ في الاعتبار غنى عن الاختبار . غيظ البخيل على الجواد أعجب من بخله . أذل الناس معتذر إلى لئيم . أشجع الناس أثبتهم عقلا في بداهة الخوف . قال مطرف : المعاذر ، والمعاتب مغاضب . قال بعضهم : المروءة يهدمها اليسير ، لا يبنيها إلا الكثير . قال ابن المقفع : المروءة بلا مال كالأسد الذي يهاب ولم يفرس ، وكالسيف الذي يخاف وهو مغمد ، والمال بلا مروءة كالكلب الذي يجتنب عقرا ولم يعقر . وقال : اطلبوا الأدب ؛ فإن كنتم ملوكا برزتم ، وإن كنتم وسطا فقتم وإن أعوزتم المعيشة عشتم بأدبكم . وقال أبو الأسود : ليس شيء أعز من العلم ، والملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٣٣٩ """"""""""

عليك . فقال الفتى : أنا أفعل ذلك واحتذ من رسمك فيه ، ولا تجاوزه فوصفه هذا النديم لصاحبه ، فقال

---

(١) نثر الدر . ، ١٣٢/٤

(٢) نثر الدر . ، ١٤٠/٤

: لا يكونن بغداديا سيئ الأدب ، فضمن عنه **حسن الأدب** ، وإقامة شروط الخدمة . فاستحضره وحضر ، وأعجب به ، وخلع عليه ، فحملت إليه صلة من الثياب والدراهم وغيرها ، ووضعت بين يديه وواكله وأحضر مجلس أنسه وهو في أثناء ذلك يأتي بالعظائم من الكذب فيصدقه إلى أن قال مرة – وقد أخذ الشراب من الفتى – إن لي عادة في كل سنة أن أطبخ قدرا كبيرة وقت ورود حاج خراسان ، وأدعوهم وأطعمهم جميعهم من تلك القدر الواحدة ، فتحير الفتى وقال : أي شيء هي هذه القدر بادية العرب ؟ دهناء تميم ؟ بحر قلزم ؟ فغضب الأمير ، وأمر بتمزيق الخلع عليه وطرده في بعض الليل ، وأقبل على النديم يعنفه ويلومه ، وعاد الفتى إلى باب النديم ، وبات عليه إلى أن أصبح ، وعاد الرجل إلى منزله ، فدخل إليه و اعتذر بالسكر ، وضمن أن لا يعود لمثل ذلك ، فعاد إلى صاحبه وحسن أمره وقال : أنه كان بعيد عهد في الشراب ، وعمل النبيذ فيه عملا لم يشعر معه بشيء مما جرى . وأنه بكر إلى سير ، فرآه اللصوص عند عوده فعارضوه وأخذوا منه حلة الأمير ومانعهم فمزقوا عليه خلعة ، فرسم بإعادته إلى المجلس ، وأضعف له في اليوم الثاني الجائزة والخلعة وجعل الفتى يتقرب بأنواع التقرب إليه ، وإذا كذب الأمير صدقة ، وحلف عليه . إلى أن جرى ذكر الكلاب الربيبة والصغار فقال الأمير : قد كان عندي منها عدة في غاية الصغر ، حتى أتى لأمر بأن تلقى في المكحلة ، وكان لي مضحك أعبث به ، فأمرت أن يكحل من تلك المكحلة إذا قام وسكر وكان إذا أصبح وأفاق من سكره يرى تلك الكلاب وهي تنبح في عينه ولا يقدر عليها لصغرها . قال : فقام الفتى وخلع الثياب المخلوعة عليه ، وترك الجائزة وعاد عريانا . قال : لا صبر لي على كلاب تنبح من أجفان العين ، اعمل بي ما شئت ، وفارق البصرة ، وعاد إلى بغداد . قال المدائني كان عندنا بالمدائن رجل يقال له : ديناروبه وكان خبيثا ، قال له والي المدائن : إن كذبت كذبة لم أعرفها فلك عندي زق شراب ودراهم وغيرهما . قال له ديناروبه : هرب لي غلام فغاب عني دهرا لا أعرف له خبرا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٥ """""""

واعلموا أني لم أسم هذين البابين باب رفق وباب عنف ، ولكني سميتهما جميعا بابي رفق ؛ لأن فتح باب المكروه مع باب السرور هو أوشك لإغلاقه حتى لا يبتلى به أحد . واعلموا أن في الرعية من الأهواء الغالية للرأي ، والفجور المستثقل للدين ، والسفلة الحنقة على الوجوه بالنفاسة والحسد ما لا بد معه أن يقرن بباب الرأفة باب الغلظة ، وبباب الاستبقاء باب القتل . واعلموا أن الوالي قد يفسد بعض الرعية من حرصه على صلاحها ، أو قد يغلظ عليها من شدة رقته لها ، وقد يقتل منها من حرصه على حياتها . واعلموا أن

---

(١) نثر الدر . ، ٣٣٩/٦

قتالكم الأعداء من الأمم قبل قتالكم الأدب من أنفس رعيتكم ليس بحفظ ولكنه إضاعة ، وكيف يجاهد العدو بقلوب مختلفة وأيد متعادية ؟ وقد علمتم أن الذي بني عليه الناس وجبلت عليه الطباع حب الحياة وبغض الموت ، وإن الحرب تباعد من الحياة ، وتدني من الموت ، فلا دفع ولا منع ولا صبر ولا محاماة مع هذا إلا بأحد وجهين : إما بنية ، والنية ما لا يقدر عليه الوالي عند الناس بعد النية التي تكون في أول الدولة ، وإما **بحسن الأدب** وإصابة السياسة . واعلموا أن بدء ذهاب الدولة إنما يبدأ من قبل إهمال الرعية بغير أشغال معروفة ولا أعمال معلومة ، فإذا فشا الفراغ تولد منه النظر في الأمور والفكر في الأصول ، فإذا نظروا في ذلك نظروا فيه بطبائع مختلفة ، فتختلف بهم المذاهب ، ويتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديهم وتضاغنهم ، وهم في ذلك مجتمعون في اختلافهم على بغض الملوك ؛ لأن كل صنف منهم إنما يجري إلى فجيعة الملك الذي يملكه ، ولكنهم لا يجدون سلما إلى ذلك أوثق من الدين ، ولا أكثر أتباعا ، وأعز امتناعا ، ولا أشد على الناس صبرا ، ثم يتولد من تعاديهم أن الملك لا يستطيع جمعهم على هوى واحد ، فإذا انفرد ببعضهم فهو عدو لبعض . ثم يتولد من تعاديهم وعداوتهم للملك كثرتهم ، فإن من شأن العامة الاجتماع على الاستثقال للولاة والنفاسة عليهم ، لأن في الرعية المحروم." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٢٩ """""""

فقال : أهب لك ذنبه ، على أن لا يدخل داري ، إننا قد أيسنا من الآخرة ، وإنما هي الدنيا ، فلا نحتمل ، والله ، لأحد ، تنغيصها علينا .

إسحاق المصعبي تحركه رقاع أصحاب الأرباع في بغداد

وحدثني ، قال : حدثني أبو يحيى بن مكرم ، القاضي البغدادي ، قال : حدثني أبي ، قال : كان في جواري شيخ يعرف بأبي عبيدة ، **حسن الأدب** ، كثير الرواية للأخبار ، وكان ينادم إسحاق بن إبراهيم المصعبي . فحدثني : إن إسحاق استدعاه ذات ليلة ، في نصف الليل ، بعدة رسل . قال : فهالني ذلك ، وأوحشني ، لما أعرفه من زعارة أخلاقه ، وشدة إسراعه إلى القتل ، وخفت أن يكون قد نقم علي شيئا في العشرة ، أو بلغه عني باطل ، فأحفظه ، فيقتلني . فخرجت طائر العقل ، حتى أتيت داره . فأدخلت من دار إلى أخرى ، إلى أن أدخلت دار الحرم ، فاشتد جزعي ، ثم أدخلت إلى حجرة لطيفة ، فسمعت في دهليزها ، بكاء امرأة ، متخافتا ، وهو جالس على كرسي ، وبين يديه سيف مسلول . فذهب علي أمري ، وسلمت ، ووقفت . فقال : اجلس يا أبا عبيدة ، فسكن روعي ، وجلست . فرمى إلي قصصا ،

---

(١) نثر الدر ، ٧/٤٥

فإذا هي رقاع أصحاب الشرط في الأرباع ، يخبر كل واحد منهم ، بخبر يومه ، وفي أكثرها ، كبسات وقعت ، بنساء من بنات الوزراء ، والرؤساء من الكتاب ، وبنات القواد والأمراء ، مع رجال على ريب ، وإنهن محصلات في الحبوس ، ويستأذن في أمرهن . فقلت : قد وقفت على هذه الرقاع ، فما يأمرني الأمير ؟ فقال : إن هؤلاء ، كلهن ، أجل آباء مني ، وأكثر حسبا ومالا ، وقد أفضى بهن الدهر ، إلى ما قد رأيت ، وقد وقع لي أن بناتي سيبلغن إلى هذا ، وقد جمعتهن – وهن." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٤١ """"""""

الجاهل ميت ، والعاصي سكران

حدثنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ، القاضي ، قال : حدثنا أبو القاسم البزاز ، قال : حدثني بعض أصحاب سهل بن عبد الله التستري الزاهد ، قال : قال لنا سهل : الجاهل ميت ، والعاصي سكران ، والمصر هالك . كن صحيحا تكن فصيحا من أمثال العامة :

كن صحيحا ، تكن فصيحا

. ومن أمثالهم في هذا المعنى : إذا كان بولك صحيحا ، فاضرب به وجه الطبيب . أي إذا كنت سليما ، فلا تبال ما صنعت .

حسن الأدب بين يدي الله

سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري ، يقول : سمعت جعفرا الخلدي ، يقول : سمعت جنيدا ، يقول : سمعت سريا السقطي ، يقول : الناس في الأعمال يتقاربون ، وإنما قارب من قارب ، بحسن الأدب بين يدي الله تعالى .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١٥٦ """"""""

المكتب ونحن صبيان ، لم تعلق بحفظي ، فلما ترعرعت ، كتبتها في موضع ، وأنسيتها ، ثم نقلتها منه ، إلى هذا الموضع ، وبقيت عندي إلى الآن .

مؤدب يتشاتم مع التلاميذ

وسمعت ، وأنا في الكتاب ، أنه جاء إلى معلمي ، فأسلم إليه ابنه ، فقال له : لم نقلته من عند المعلم الأول ؟ قال : لأنني جزت به يوما ، والصبيان يتشاتمون ، وهو لا يمنعهم بأكثر من أن يقول : قيدوا

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ١٢٩/٢

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ١٤١/٢

ألفاظكم ، أخزى الله حرماتكم ، لا تتشاتموا يا بني البظر . وإذا هو ، ليس يمنعهم من سوء الأدب ، ويدخل في جملة المتشاتمين ، فنقلته .

رقية للمرأة كي لا تسقط حملها

حدثني عبد الله بن عمر بن الحارث ، قال : كان أبي يكتب آي الرقى ، على أصل وقع إليه في ذلك . وكان مما يكتبه رقية للمرأة ، إذا خافت أن تسقط ولدها ، وتعلق في وسطها ، فلا تسقط . قال : وجربنا عليه ذلك ، على طول السنين ، فلم يخطىء . يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ' إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ' ، الآية ، ' وما قدروا الله حق قدره ' ، الآية ' ونفخ في الصور فصعق من في." (١)

"وجدنا في كتاب تميم ... أحق الخيل بالركض المعار

أحق مبتدأ والمعار خبره، بعين غير معجمة، وهو أن الفرس ينفلت فيذهب يمينا وشمالا من مرحه وأرنه، يقال: عار الفارس وأعاره صاحبه فهو معار. والناس يظنون المعار من العارية وهو خطأ.

ورواه بعض أهل الأدب بخط أبي علي الفارسي: المغار بغين معجمة، وهو من أغرت الحبل فتلته فهو مغار. يعني أن الفرس إذا ضمر واندمج في شحمه وذهبت البطنة عنه كان حقيقا بالمسابقة به. وما رأيت العلماء باللغة اعتمدوا على هذا المعنى، والصحيح ما رووه أولا.

ومما ينبغي أن يتجنبه الشاعر من سوء الأدب في خطابه، ويعطف عليه جيد البحث والتنقيب حتى يهتدي الى صوب صوابه ما غلط فيه الشعراء وعابه عليهم العلماء، كقول بعضهم وقد مدح زبيدة وهي تسمع من أبيات:

أزبيدة ابنة جعفر ... طوبى لزائرك المثاب

تعطين من رجليك ما ... تعطي الأكف من الرغاب

فهم الخدم والحشم بضربه، فقالت: دعوه فإنه لم يرد إلا خيرا، ولكنه أخطأ الصواب، وضل عن المنهج، لأنه سمع قولهم في الشعر: شمالك أندى من يمين غيرك، وظهرك أحسن من وجه سواك، فظن أن الذي ذهب إليه من ذلك القبيل، أعطوه ما أمل ونبهوه على ما أهمل. فعجب الناس من حلمها وضياء حسها وفهمها، وليس كل ممدوح حليما، ولا كل سامع عليما. وقريب من هذا ما رثى به أبو الطيب والدة سيف الدولة بقوله:

رواق العز فوقك مسبطر ... وملك علي ابنك في كمال

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ١٥٦/٢

ولولا غفلة ذهبت بعقل أبي الطيب ورانت على حسه وفهمه لما خاطب ملكا في أمه بذلك ولا جعل شيئا مسبطرا فوقها. وهذا كقوله أيضا:

لو استطعت ركبت الناس كلهم ... الى سعيد بن عبد الله بعرانا

أو ما علم أبو الطيب أن زوجة سعيد وأمه من جملة الناس، فكيف ذهب عنه ذلك حتى اعتمده، وشافه الممدوح به وأنشده؟! ولله در المتوكل الليثي حيث يقول:

الشعر لب المرء يعرضه ... والقول مثل مواقع النبل

منها المقصر عن رميته ... ونواقر يذهبن بالخصل

أخذ ذلك من قولهم: الشر كالنبل في جفيرك إذا رميت به الغرض. فمنه طالع وواقع، وعاضد وقاصر. فالطالع الذي يعلو الغرض، لم يزغ عنه يمينا ولا شمالا وهو مستحب. والواقع الذي يقع بالغرض. والعاضد الذي يقع عن يمين الغرض أو شماله، وهو شرها. والقاصر الذي يقصر دون الغرض فلا يبلغه. وقوله: ونواقر يذهبن بالخصل، أي صوائب، يقال: نقر السهم فهو ناقر إذا أصاب، والنواقر: الدواهي.

وينبغي للشاعر أن يجتنب التن اقض في شعره، فإنه من أوفى عيوب الشر الدالة على جهله بالمعاني ووضع الكلام مواضعه. وقد عيب على جماعة من الشعراء القدماء ذلك، وهو أن الشاعر يبتدئ بشيء ويقرره ثم يعطف عليه، إما في باقي البيت أو في الذي يليه، فينقض ما بناه، ويأتي بما يخالف معناه فمن ذلك ما ناقض فيه على سبيل المضاف عبد الرحمن القس حيث يقول:

وإني إذا ما الموت حل بنفسها ... يزال بنفسي قبل ذاك فأقبر

جمع بين قبل وبعد وهما من المضاف، لأنه لا قبل إلا لبعد ولا بعد إلا لقبل. فإن قوله: إذا حل الموت بها، وفي هذا الكلام معنى الشرط وقد وضعه ليكون له جوابا يأتي به، وجوابه: يزال بنفسي قبل ذاك، وهذا تناقض مثاله قول القائل: إذا مات زيد مات عمرو قبله، فجعل ما هو قبل بعدا وهذا معنى يغلط فيه خلق كثير ولا يحققونه.

ومثله في التناقض على سبيل الإيجاب والسلب قوله أيضا:

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ... ملامكم فالقتل أعفى وأيسر." (١)

""""""""" صفحة رقم ٧١ """""""

وقيل :

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٨٢

فإياك إياك المزاح فإنه . . . يجري عليك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه . . . ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال بعض البلغاء : المزاح خرف ، والاقتصاد فيه ظرف ، والإفراط فيه ندامة . وقالوا : من كثر مزحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه . ويقال : أكثر أسباب القطيعة المزاح . وإن كان لا غنى للنفس عنه للجمام ، فليكن بمقدار الملح في الطعام . قال أبو الفتح البستي رحمه الله :

أفد طبعك المكدود بالهم راحة . . . تراح وعلله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن . . . بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

وقيل :

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب . . . مزحا تضاف به **إلى سوء الأدب**

لا تغضبن أخا إذا مازحته . . . إن المزاح على مقدمة الغضب

وقيل :

مازح صديقك ما أحب مزاحا . . . وتوق منه في المزاح جماحا

فلربما مزح الصديق بمزحة . . . كانت لبدء عداوة مفتاحا

وقال سعيد بن العاص لولده : يا بني ، اقتصد في مزحك ، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء ، ويجرئ السفهاء . ويقال : المزاح أوله فرح ، وآخره." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢١٧ """"""""

قال : فإذا خوخة قد فتحت وإذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء ، فقال : يا فاسق أسأت التأدية ، ومنعت القائلة ، وأذعت الفاحشة ؛ ثم اندفع يغنيه ؛ فظننت أن طويسا قد نشر يغنيه ، فقلت : أصلحك الله من أين لك هذا الغناء ؟ قال : نشأت وأنا غلام أتبع المغنين وآخذ عنهم ؛ فقالت لي أمي : يا بني ، إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه ، فدع الغناء وأطلب الفقه فإنه لا يضر معه قبح الوجه . فتركت المغنين وأتبعت الفقهاء ، فبلغ الله بي ما ترى . فقلت : فأعد جعلت فداءك . فقال : لا ولا كرامة أتريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس وإذا هو مالك ولم أعلم .

ومنهم محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . كان عالما بالفقه والغناء جميعا . وكان يحيى بن أكثم وصفه للمأمون بالفقه ، ووصفه أحمد بن يوسف بالغناء . فقال المأمون : ما أعجب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٤/٧١

ما أجتمع فيه العلم بالعلم والغناء .

ذكر من غنى من الأعيان والأكابر والقواد

ممن نسبت له صنعة في الغناء

منهم أبو دلف العجلي . هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . كان محله من الشجاعة وبعد الهمة وعلو المحل عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد **وحسن الأدب** وجودة الشعر محلا كبيرا ليس لكثير من أمثاله .

قال أبو الفرج الأصبهاني : وله صنعة حسنة . فمن جيد صنعته قوله والشعر له أيضا :

بنفسي يا جنان وأنت مني . . . مكان الروح من جسد الجبان

ولو أني أقول مكان نفسي . . . خشيت عليك بادرة الزمان

لإقدامي إذا ما الخيل حامت . . . وهاب كماتها حر الطعان." (١)

""""""""" صفحة رقم ٨ """""""

بشتمه هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك ، وغلبة لذتك على مروءتك وشرفك ، ثم إظهارك إياه ولم تحكمه ، وادعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك إلى إفراط الجهل . ألا تعلم ، ويحك ، أن هذا سوء أدب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطأ والتكذيب والرد القبيح ثم قال : والله العظيم وحق رسوله وإلا فأنا بريء من المهدي إن أصابه أحد بسوء أو أسقط عليه حجر من السماء أو سقط من دابته أو أسقط عليه سقفه أو مات فجأة لأقتلنك به . والله والله والله فلا تعرض له وأنت أعلم قم الآن فاخرج ، فخرج وقد كاد يموت . فلما كان بعد ذلك دخلت على الرشيد وإبراهيم عنده فأعرضت عن إبراهيم فجعل ينظر إلي مرة وإليه مرة ويضحك ، ثم قال : إني لأعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه ، وإن هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى ، والرضا لا يكون بمكروه ، ولكن أحسن إليه وأكرمه واعرف حقه وبره وصله ، فإذا فعلت ذلك ثم خالف ما تهواه عاقبته بيد مستطيلة منبسطة ولسان منطلق . ثم قال لي : قم إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه ، فقمت إليه وقام إلي وأصلح الرشيد بيننا . رأسه ، فقمت إليه وقام إلي وأصلح الرشيد بيننا .

قال أبو الفرج : وكان إسحاق جيد الشعر ، كان يقول الشعر وينسبه للعرب . فمن ذلك قوله :

لفظ الخدور إليك حورا عينا . . . أنسين ما جمع الكناس قطينا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢١٧/٤

فإذا بسمن فعن كمثل غمامة . . . أو أقحوان الرمل بات معينا

وأصح ما رأت العيون محاجرا . . . ولهن أمراض ما رأيت بات عيونا." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٣ """""""""

فإذا برجل راكب على حمار يؤمنا وهو يصيح : أحسنت والله فقلنا اصعد إلينا كائنا من كنت ، فصعد وقال : لو منعتموني من الصعود لما امتنعت ، ثم سفر اللثام عن وجهه فإذا هو مخارق . فقال : يا أبا جعفر ، اعد على صوتك فأعاده ، وشرب رطلا من شرابنا وقال : لولا أني مدعو الخليفة لأقمت عندكم واستمعت هذا الغناء الذي هو أحسن من النزهة غب المطر .

وله مع إسحاق بن إبراهيم ومخارق أخبار شهدا له فيها بحسن الصنعة ، وكفاه ذلك فضلا في صناعته .

ذكر أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو من أهل الري ، مولى المنصور ، من ولد بهرام شوبين مرزبان الري . قال : وهو مرتجل قليل الصنعة حسن الغناء والنغم بقوة وشجا واقتدار شديد على الغناء ، وكان في زمانه أحد المعدودين في **حسن الأدب** وتمام المروءة وحسن الزي والآلة ، وكان عظيم التيه رفيع الهمة ، وكانت له منزلة عند المأمون . قال محمد بن الحارث : كنت مع المأمون وهو يريد بلاد الروم ومعه عدة من المغنين ، فجلس يوما والمعتصم والعباس معه من حيث لا نراهم وهم يسمعون غناءنا ، فغنى المغنون جميعا وغنيت هزجا لإسماعيل بن جامع ، فبعث إلي المأمون بأصل شاهشفرم وقد لف أصله بمنديل حرير ، فجاءني به الغلام وقال : أعد الصوت ، فأخذته وشممته وثبت فأعدته قائما ، ووضعت الأصل بين يدي وشربت رطلا وقلت للمغنين : حكم لي أمير المؤمنين بالحذق والغناء . فقالوا : وكيف ؟ قلت : دفع إلي لواء الغناء من بينكم . فقالوا : ليست كما ذكرت ، ولكن حياك إذ أطربته ، والرسول قائم فانصرف بالخبر ، فما لبث أن رجع إلي فقال : هو كما ذكرت .

قال أبو العنبس بن حمدون : كان محمد بن الحارث أحسن خلق الله شمائل وإشارة إذا غنى . وقال أحمد بن حمدون : صنع محمد بن الحارث هزجا في هذا." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٢٩٨ """""""""

وقال معاوية : قد وليتني فوليت قوما لايأتيك عنهم إلا الخير ، والرجلان أعلم بناحيتيهما ، والرأي **حسن**

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٥/٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٥/٣٣

الأدب .

قال عمر : أرى أنك قد لنت لهم ، وتراخيت عليهم ، وزدتهم على ماكان يصنع عمر ، فأرى أن تلزم طريق صاحبيك ، فتشتد في موضع الشدة ، وتلين في موضع اللين .

فقال عثمان : قد سمعت كل ما أشرتم به علي ، ولكل أمر باب يؤتى منه . إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن ، وإن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف بهن اللين والمؤاتاة إلا في حدود الله ، فإن فتح فلا يكون لأحد على حجة حق . وقد علم الله أني لم آل الناس خيرا ، وأن رحا الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها . سكنوا الناس ، وهيئوا لهم حقوقهم ؛ فإذا تعوطيت حقوق الله عز وجل فلا تدهنوا فيها .

وكان هذا بمكة . فلما قدم عثمان المدينة دعا عليا وطلحة والزبير ، وعنده معاوية ، فحمد معاوية الله ، ثم قال أنتم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخيرته من خلقه ، وولاه أمر هذه الأمة ، لايطمع فيه أحد غيركم ، اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع ، وقد كبر وولى عمره ، ولو انتظرتم به الهرم لكان قريبا ؛ مع أني أرجو أن يكون أكرم على الله أن يبلغه ذلك ، وقد فشت مقالة أخفتها عليكم ، فما عتبتم فيه من شيء فهذه يدي لكم به ، ولا تطمعوا الناس في أمركم ، فوالله إن طمعوا فيه لرأيتم منها أبدا إدبارا .

فقال علي بن أبي طالب : مالك وذاك لا أم لك قال : دع امي فإنها ليست بشر أمهاتكم ، قد اسلمت وبايعت النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وأجبني عما أقول لك .

فقال عثمان : صدق ابن أخي ، أنا أخبركم عني وعما وليت ، إن صاحبي اللذين كانا قبلي أنفسكما ، ومن كان منهما بسبيل احتسابا ، وإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)كان يعطي قرابته ، فأنا في رهط أهل عيلة ، وقلة معاش ، فبسطت يدي في شيء من ذلك المال لما أقوم به فيه ، فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه ، فأمري لأمركم تبع .

فقالوا : أصبت وأحسنت ، قد أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفا ، وأعطيت مروان خمسة عشر ألفا . فأخذ منهما ذلك ، فرضوا وخرجوا راضين .

ولما رأى معاوية ما الناس فيه قال لعثمان : أخرج معي إلى الشام فإنهم على الطاعة قبل أن يهجم عليك مالا قبل لك به ، فقال : لا أبيع جوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ وإن كان فيه قطع خيط عنقي ."، (١)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٩/٢٩٨

وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما . وكان أبيض مشربا بحمرة أشهل ، بعينيه حول وكان عاقلا حازما ذا رأي وشجاعة وعدل ، محبا لأهل الخير والصلاح ، راغبا في الجهاد . وكان يعود المرضى ويشهد الجنائز ، ومن محاسن أعماله أنه أخرج متصدقا يأخذ الصدقة على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) . وهو الذي تمم بناء جامع قرطبة وبنى عدة مساجد ، وبلغ من عز الإسلام في ولايته وذل الكفر أن رجلا مات وأوصى بفك أسير من المسلمين من تركته ، فطلب ذلك فلم يوجد في دار الكفار أسير من المسلمين يشترى ويفك لضعف العدو وله مناقب كثيرة بالغ أهل الأندلس فيها حتى قالوا كان يشبه بعمر بن عبد العزيز ، وكان نقش خاتمه " بالله يثق هشام ويعتصم " .

وكان له من الأولاد الذكور عبد الملك الأكبر ، والحكم الوالي بعده ، ومعاوية ، والوليد ، وعبد العزيز ، وخمس بنات .

وزراؤه : أبو عثمان صاحب الأرض ، ويوسف بن بخت وشهيد بن عيسى وغيرهم . حجابه : عبد الواحد بن مغيث إلى أن توفي ، ثم ولده عبد الملك وهو رجل الأندلس جمع الحجابة والوزارة والكتابة والتقدم على الجيوش مع حسن الأدب والعفاف والدين والتواضع والكرم والمروءة . كتابه : فطيس بن سلمة ، وخطاب بن يزيد . قاضيه : المصعب بن عمران الهمذاني . أصحاب شرطته : الحسن بن بسام ، ثم علي بن خريم المزني ، ثم سعيد بن عياض اليحصبي .

ذكر إمارة الحكم بن هشام الملقب بالمرتضى

هو أبو العاص الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه أم ولد اسمها زخرف ، وهو الثالث من ملوك بني أمية بالأندلس . بويع له يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمانين ومائة ، وتولى أخذ البيعة له عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، ولما ولي الحكم كان أول ما بدأ به الغزو في سبيل الله تعالى .

ذكر غزو الفرنج

في هذه السنة أعني – سنة ثمانين ومائة – بعث الحكم جيشا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد الفرنج ، فدخل البلاد وبث السرايا . وسير سرية ، فجازوا خليجا من البحر كان الماء قد جزر عنه ، وكان الكفار قد جعلوا أموالهم وأهلهم." (١)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢١٠/٢٣

""""""" صفحة رقم ١٩٤ """""""

ينقمها عليه ، ففعلت ذلك امتثالا لما أمر . فلما مضت أيام فإذا بحراقة في بعض العشيات وصلت إلى منزلي بحافة دجلة ، ودخل على سعد الدين الحاجب ، وقال : استعد لخدمة أمير المؤمنين . فركبت الحراقة وركبها سعد الدين معي ، فتكلم الملاح بكلمات غريبة لم أفهمها ؛ فقفز سعد الدين من الحراقة إلى أخرى بجنبها وتركني منفردا فيها ، فسألته عن ذلك ، فقال : ما كنت أعرف أن تلك من المراكب الخاصة ، وقد سيروها لك تشريفا ، فقمت وخدمته وشكرت ودعوت ، وسقنا إلى أن وصلنا إلى باب كبير ، فدخلت وتأخر سعد الدين ولم يتغير من هناك . فقلت : لم لا تدخل ؟ فقال : وما منا إلا له مقام معلوم ، ليس لي أن أتعدى هذا المقام . وكان خلف الباب خادم ، فأوصلني إلى باب آخر وطرق الباب ، ففتح فدخلت وإذا بخادم شيخ جالس على دكة وبين يديه مصحف وشمعة ، فأجلسني ورحب بي إلى أن جاء خادم آخر أبيض حسن الصورة فصافحني ولاطفني بالعجمي وأخذ بيدي وأوصاني بتعظيم المواقف الشريفة ، **وحسن الأدب** وتقبيل الأرض حيث يشير إلي . فذكر ما اتفق له إلى أن انتهى إلي الستر والوزير قائم فأمر بالوقوف بالقرب من الوزير ، ثم قال له أمير المؤمنين : كيف الجناب العالي الشاهنشاهي – وهكذا كان يخاطب في الكتب – ثم وعده بمواعيد جميلة في حق السلطان ، وأنه يقدمه على سائر ملوك زمانه ، وخلع عليه وأعيد ؛ وأصحب بالأمير فلك الدين ابن سنقر الطويل وسعد الدين بن الحاجب ، ومعهما خلعة للسلطنة ؛ فوصلوا إلى خلاط في فصل الشتاء ، والسلطان يحاصرها .

قال : وكان الذي استصحبوه من الأنعام والخلع خلعتين للسلطان إحداهما حبة وعمامة وسيف هندي مرصع النجاد والثانية قباء وكمة فرجية وسيف قلاجوري محلى بالذهب معرقه الحياصة بالدنانير ، وقلادة مرصعة يمنية ، وفرسان بالساحات والسرفسارات والطوق أثقل ما يكون وأبهى ، وثمان تطبيقات طبقت حوافرها عند التسليم وزن كل تطبيقة منها مائة دينار ، وترس ذهب مرصع بنفائس الجواهر ، وثلاثون فرسا من الخيل العربية مجللة بالأطلس الرومي مبطنة الجلال بالأطلس البغدادي وعلى رأس كل جنيب مقود من الحرير وقد ضرب عليه ستون دينارا خليفتية ؛ وثلاثون أو عشرون مملوكا بالعدة والمركوب ، وعشرة فهود بجلال الأطلس وقلائد الذهب ، وعشرة صقور مكللة الكمام بصغار الحب ، ومائة وخمسون بقجة في كل واحدة عشرة ثياب وخمسة أكر من العنبر الأشهب مضلعة بالذهب ، وشجرة عود طولها خمسة أذرع." (١)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٧/١٩٤

وفادتهم ، وغزرنا لأجل مرسلهم من الإقبال مادتهم ، وسمعنا خطابهم ، وأعدنا جوابهم هذا ، مع كوننا لم يخف علينا انحطاط قدرهم ، ولا ضعف أمرهم . وأنهم ما دعفوا الأفواه الخطوب إلا لما ارتكبوه من ذنوب . وما كان ينبغي أن يرسل مثل هؤلاء لمثلنا من مثله . ولا ينتدب لهذا الأمر المهم إلا من يجمع على فصل خطابه وفضله .

وأما ما التمسوه من الهدايا والتحف ، فلو قدموا من هداياهم حسنة ، لعوضناهم بأحسن منها . ولو أتحفونا بتحفة لقابلناهم بأجمل عوض عنها . وقد كان عمهم الملك أحمد ، راسل والدنا السلطان الشهيد وناجاه بالهدايا والتحف من مكان بعيد . وتقرب إلى قلبه بحسن الخطاب ، فأحسن له الجواب ، وأتى البيوت من أبوابها ، **بحسن الأدب** ، وتمسك من الملاطفة بأقوى سبب .

والآن ، فحيث انتهت الأجوبة إلى حدها ، وأدركت الأنفة من مقابلة ذلك الخطاب غاية قصدها ، فنقول : إذا ج نح الملك للسلم ، جنحنا لها ، وإذا دخل في الملة المحمدية ، ممتثلا ما أمر الله به ، مجتنبا ما عنه نهى ، وانضم في سلك الإيمان ، وتمسك بموجباته ، تمسك المتشرف بدخول فيه لا المنان ، وتجنب التشبه بمن قال الله عز وجل في حقهم : " قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان " . وطابق فعله قوله ، ورفض الكفار الذين لا يحل له أن يتخذهم حوله ، وأرسل إلينا رسولا من جهته يرتل آيات الصلح ترتيلا ؛ ويروق خطابه وجوابه ، حتى يتلو كل أحد عند عوده " يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا " . صارت حجتنا وحجته المركبة على من خالف ذلك ، وكلمتنا وكلمته قامعة أهل الشرك في سائر الممالك ، ومظافرتنا له تكسب الكافرين هوانا ؛ والمشاهد لتصافينا يتلو قوله تعالى : " واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا . وينتظم إن شاء الله تعالى شمل الصلح ، أحسن انتظام . ويحصل التمسك من الموادعة والمصافاة بعروة ولا انفصال لها ولا انفصام . وتستقر قواعد الصلح ، على ما يرضي الله ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام ، إن شاء الله تعالى .

كتب في ثامن وعشرين المحرم سنة إحدى وسبعمائة .." (١)

"- المحامية: كثيرا ما تكون الألفاظ مترجمة خطأ بنيات المتكلمين بها أو المصغين إليها؛ فكلمة الحب مثلا قد تنتهي إلى فكر من الأفكار حاملة معنى الفجور، وهي بعينها تبلغ إلى فكر حاملة إلى سموه من سموها؛ وعلى نحو من هذا يختلف معنى كلمة الحجاب عند الشرقيين والأوربيين؛ فالأصل في مدنية

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٧٢/٣١

هؤلاء إباحة المعاني الخفيفة من العفة.. وإكرام المرأة إكرام مغازلة.. يقولون: إن رقم الواحد غير رقم العشرة، فيضعونه في حياة المرأة، فما أسرع ما يجيء "الصفر" فإذا هو العشرة بعينها!

أما الشرقيون فالأصل في مدنيتهم التزام العفة وإقرار المرأة في حقيقتها، لا جرم كان الحجاب هنا وهناك بالمعنيين المتناقضين: الاستبداد والعدل، والقسوة والرحمة، و ...

– النائب: وامرأة البيت وامرأة الشارع ...

– المحامية: وبصر القانون وعمي القانون ...

– الرئيس: **وحسن الأدب** وسوء الأدب... الموضوع الموضوع.

– المحامية: لا والذي شرفكم بشرف الحكم، يا حضرات المستشارين؛ ما يرى القلب المسكين في حبيبته إلا تعبير الجمال، فهو يفهمها فهم التعبير ككل موضوعات الفن، وما بينه وبينها إلا أن حقيقة الجمال تعرفت إليها فيها، أئن أحس الشاعر سرا من أسرار الطبيعة في منظر من مناظرها، قلتم أجرم وأثم؟

هذا قلب ذو أفكار، وسبيله أن يعان على ما يتحقق به من هذا الفن، قد تقولون: إن في الطبيعة جمالا غير جمال المرأة فليأخذ من الطبيعة وليعط منها؛ ولكن ما الذي يحيي الطبيعة إلا أخذها من القلب؟ وما هي طريقة أخذها من القلب إلا بالحب؟ وقد تقولون: إنه يتألم ويتعذب؛ ولكن سلوه: أهو يتألم بإدراكه الألم في الحب، أو بإدراكه قسوة الحقيقة وأسرار التعقيد في الخير والشر؟

إن شعراء القلوب لا يكونون دائما إلا في أحد الطرفين: هم أكبر من الهم، فرح أكثر من الفرح؛ فإذا عشقوا تجاوزوا موضوع الوسط الذي لا يكون الحب المعتدل إلا فيه؛ ومن هذا فليس لهم آلام معتدلة ولا أفراح معتدلة.." (١)

"وفي الآية إشارتان: إحداهما أن الفظاظة تنفر الأصحاب والجلساء وتفرق الجموع والحشم، وإنما الملك ملك بجلسائه وأصحابه وأتباعه وحشمه. وأخلق بخصلة تنفر الأولياء وتطمع الأعداء، فقمن بكل سلطان رفضها والاحتراز من سوء مغبتها، ولتكن كما قال الله: " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " الشعراء: ٢١٥. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه، فجاء رجل فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقالوا: هذا الأبيض المتكئ. فقال الرجل: يا ابن عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد أجبتك! دل الأثر على أنه ما استأثر بشرف المجلس ولا باينهم بزي ولا مقعد.

وقد يبلغ باللين ما يبلغ بالغلظة. ألا ترى أن الرياح تهول أصواتها فيتداخل لها الشجر وتنعطف الأفنان

---

(١) وحي القلم، ص/١٥٦

والأغصان، وفي الفرط تنكسر الأغصان، والماء بلينه في أصول الشجر يقلعها من أصلها. وإذا كانت الحية مع صعوبتها وسمها وتغيبها في حجرها ترقى بالكلام حتى تستعطف فتخرج، فالإنسان أحرى أن يستمال بلين القول وحسن المنطق، فإذا أردت أن تنتقم ممن يسيء إليك فكافئه بكل كلمة سوء قالها كلمة جميلة وحسن ثناء عليه.

والإشارة الثانية أنه قال: " وشاورهم في الأمر " آل عمران: ١٥٩. فإذا قيل لنا: كيف يشاورهم وهو نبيهم وإمامهم، وواجب عليهم مشاورته وأن لا يفصلوا أمرا دونه؟ قلنا: هذا أدب أدب الله به نبيه عليه السلام، وجعله مأدبة لسائر الملوك والأمراء والسلاطين. لما علم الله تعالى ما في المشاورة من حسن الأدب مع الجليس ومساهمته في الأمور، فإن نفوس الجلساء والنصحاء والوزراء تصلح عليه وتميل إليه وتخضع عنوة بين يديه، شرعه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولذي الإمرة من أهل ملته. ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة، فأمرهم بالنزول فقال له سعد: يا رسول الله إن كان هذا بأمرك فسمعا وطاعة، وإن يكن غير ذلك فليس بمنزل. فسمع منه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ارتحلوا! ومن أقبح ما يوصف به الرجال، ملوكا كانوا أو سوقة، الاستبداد بالرأي وترك المشاورة، وسنعقد للمشاورة بابا إن شاء الله تعالى. والخصلة الثالثة ما روى البخاري ومسلم أن رجلا قال: يا رسول الله استعملني. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لا نستعمل على عملنا من أراده. والسر فيه أن الولايات أمانات وتصريف في أرواح الخلائق وأموالهم، والتسرع إلى الأمانة دليل على الخيانة، وإنما يخطبها من يريد أكلها، فإذا أؤتمن خائن على موضع الأمانات كان كمن استرعى الذئب على الغنم. ومن هذه الخصلة تفسد قلوب الرعايا على ملوكها، لأنه إذا اهتضمت حقوقهم وأكلت أموالهم فسدت نياتهم، وأطلقوا ألسنتهم بالدعاء والتشكي، وذكروا سائر الملوك بالعدل والإحسان فكانوا كالبيت السائر الذي أنشدناه أولا.

وراعي الشاء يحمي الذئب عنها ... فكيف إذا الذئاب لها رعاء؟

وإذا خان أهل الأمانات وفسد أهل الولايات، كان الأمر كما قال الأول:

بالملح يصلح ما يخشى تغيره ... فكيف بالملح أن حلت به الغير؟

ولغيره في مثل ذلك:

ذئب تراه مصليا ... فإذا مررت به ركع!

يدعو وجل دعائه: ... ما للفريسة لا تقع؟

عجل بها يا ذا العلا ... إن الفؤاد قد انقطع!

ومن أشراط الساعة التصدي للأمانة وخطبة الولاية. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أشراط الساعة أن تكون الزكاة مغرما والأمانة مغنما، فحينئذ يدعو عليه الضعيف وأهل الصلاح ويقعد له الشرير بالمراصد ويخامر عليه القوي، ويقبح ثناؤه عند الجماعة ويتمنوا الراحة منه، وينتظرون من يصلح لها سواه.

الباب الحادي عشر

في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان

ولا ثبات له دونها

فأول الخصال وأحقها بالرعاية العدل الذي هو قوام الملك، ودوام الدول ورأس كل مملكة سواء كانت نبوية أو إصطلاحية. اعلم أرشدك الله تعالى أن الله تعالى أمر بالعدل، ثم علم سبحانه وتعالى أن كل الناس ليست تصلح على العدل بل تطلب الإحسان وهو فوق العدل، فقال:." (١)

"هذا كتاب الحسين يأمر برد المال. فقال مسلم: أما دون أن أضرب مفرقك بالسيف فلا! فضحك معاوية وقال: والله لقد تهددني أبوك بذلك قبل أن يشتري أمك، وسوغه المال. فقال الحسين حين بلغه ذلك: غلبنا معاوية جودا وحلما!

الباب السابع والعشرون

في المشاورة والنصيحة

وهذا الباب مما يعده الحكماء من أساس المملكة وقواعد السلطنة، ويفتقر إليه الرئيس والمرؤوس. وقد ذكرنا في باب الخصال الفرقانية ونذكر ههنا فوائدها ومحاسنها. اعلموا أن المستشير وإن كان أفضل رأيا من المشير فإنه يزداد برأيه رأيا، كما تزداد النار بالسليط ضوءا، فلا تقذفن في روعك أنك إذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأي غيرك، فيمنعك ذلك عن المشاورة، فإنك لا تريد الرأي للفخر به ولكن للانتفاع به، وإن أردت الذكر كان أفخر لذكرك وأحسن عند ذوي الألباب لسياستك أن يقولوا: لا ينفرد برأيه دون ذوي الرأي من إخوته. ولا يمنعك عزمك على إنفاذ رأيك وظهور صوابه لك عن الاستشارة، ألا ترى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أمر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها، فحمله **حسن الأدب** وعلمه بموقعه في النفوس على الاستشارة فيه، فقال لابنه: " يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى " الصافات: ١٠٢. وهذا من أحسن ما يرسم في هذا الباب.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرأي الفرد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين والثلاثة الآراء

---

(١) سراج الملوك، ص/٤٠

كالثلاثة لا تكاد تنقطع. وروي أن روميا وفارسيا تفاخرا. فقال الفارسي: نحن لا نملك علينا من يشاور. وقال الرومي: ونحن لا نملك علينا من لا يشاور. وقال بزرجمهر: إذا أشكل الرأي على الحازم كان بمنزلة من أصل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها فالتمسها فوجدها، كذلك الحازم بجمع وجوه الرأي في الأمر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص له الصواب. وكان يقال: من كثرت استشارته حمدت إمارته. وفي حكم الهند قال بعض الملوك: إن الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزامة، وكما يزداد البحر بمواده من الأنهار، وينال بالحزم والرأي ما لا يناله بالقوة والجند، ولم تزل حزمة الرجال يستحلون مرائر قول النصحاء، كما يستحلي الجاهل المساعدة على الهوى.

قال المأمون لطاهر بن الحسين: صف لي أخلاق المخلوع، يعني أخاه الأمين. فقال: كان واسع الصدر ضيق الأدب، يبيح من نفسه ما تأباه همم الأحرار ولا يصغي إلى نصيحة ولا يقبل مشورة، يستبد برأيه فيرى سوء عاقبته ولا يردعه ذلك عما يهم به. قال: فكيف كانت حروبه؟ قال: يجمع الكتائب بالتبذير ويفرقها بسوء التدبير. فقال المأمون: لذلك ما حل محله. أما والله لو ذاق لذاذة النصائح، واختار مشورات الرجال وملك نفسه عند شهوتها ما ظفر به. وقال بعضهم: إنفاذ الملك الأمور بغير روية كالعبادة بغير نية، ولم تزل العقلاء على اختلاف آرائهم يشهدون العيوب، ويستشيرون صواب الرأي من كل أحد حتى الأمة الوكعاء. هذا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي. وكان يقال: من أعطي أربعا لم يمنع أربعا: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب. وقال بعضهم: خمير الرأي خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره. وقال صاحب كتاب التاج: إن بعض ملوك العجم استشار وزراءه، فقال بعضهم: لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحدا إلا خاليا، فإنه أموت للسر وأحزم للرأي وأجدر للسلامة، وأعفى لبعضنا من غائلة بعض. وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مرازبته فقصروا في الرأي، دعا الموكلين بأرزاقهم فعاقبهم فيقولون: تخطئ مرازبتك وتعاقبنا؟ فيقول: نعم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطأوا.

وكانوا إذا اهتموا بمشاورة رجل بعثوا إليه بقوته وقوت عياله لسنة ليتفرغ لبه. وكان يقال: النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وإذا شاورت فاصدق الخبر تصدقك المشورة، ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك.وقال بعض ملوك العجم:." (١)

---

(١) سراج الملوك، ص/٦٣

" قال أبو حاتم رضى الله عنه ألأحمق يتوهم أنه أعقل من ركب فيه الروح وأن الحمق قسم على العالم غيره والأحمق مبغض في الناس مجهول في الدنيا غير مرضى العمل ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين كما أن العاقل محب الى الناس مسود في الدنيا مرضى العمل عند الله في الآخرة وعند الصالحين في الدنيا

أنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندي حدثنا عبد الله بن سليمان قال كان الحسن يقول أنا للعاقل المدبر أرجى مني للأحمق المقبل

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري ... وما الغي إلا أن تصاحب غاويا ... وما الرشد إلا أن تصاحب من رشد ... ولن يصحب الإنسان إلا نظيره ... وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد ...

وأنشدني علي بن محمد البسامي ... لنا جليس تارك للأب ... جليسه من نوكه في تعب ... يغضب جهلا عند حال الرضا ... عمدا ويرضى عند حال الغضب ... فنحن منه كلما جاءنا ... في عجب قد جاز حد العجب ... كأنه من سوء تأديبه ... أسلم في **كتاب سوء الأدب** ...

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربعي حدثنا عبد الله بن موسى البصري حدثنا العتبي قال سمعت أعرابيا يقول العاقل بخشونه العيش مع العقلاء أسر منه بلين العيش مع السفهاء

قال أبو حاتم رضى الله عنه وإن من شيم العاقل الحلم والصمت والوقار والسكينه والوفاء والبذل والحكمة والعلم والورع والعدل والقوة ." (١)

" وإن تكن الأخرى فإن وراءنا ... مفاوز لو سارت بها العيس كلت ...

قال أبو حاتم رضى الله عنه لا يجب على العاقل أن يناقش على تصحيح الإعتاب بالإكثار مخافة أن يعود المعاتب الى ما عوتب عليه لأن من عاتب على كل ذنب أخاه فحقيق أن يمله ويقلاه وإن **من سوء الأدب** كثرة العتاب كما أن من أعظم الجفاء ترك العتاب والإكثار في المعاتبة يقطع الود ويورث الصد

ولقد أنشدني عبد الله بن أحمد النقيب البغدادي لابن المعتز ... معاتبة الإلفين تحسن مرة ... فإن أكثروا إدمانها أفسد الحبا ... إذا شئت أن تقلى فزر متتابعا ... وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا ...

---

(١) روضة العقلاء، ص/١٢٣

وأنشدني محمد بن أبي علي الصيداوي ... إذا كنت في كل الأمور معابتا ... خليلك لم تلق الذي لا تعاتبه ... فعش واحد أو صل أخاك فإنه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه ... إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه ...

أخبرنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لا تكثر العتاب فإن العتاب يورث الضغينه والبغضة وكثرته **من سوء الأدب**

قال أبو حاتم رضى الله عنه قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب مراعاة الإخوان فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب

ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر

أنبأنا علي بن الحسن بن عبد الجبار بنصيبين حدثنا علي بن حرب الطائي حدثنا وكيع عن الثوري عن ابن جريج عن العباس بن عبد الرحمن بن مينا عن ." (١)

" ذاك من فاخر في الناس به ... فاق من فاخر منهم وغلب ...

وأنشدني محمد بن نصر بن نوفل أنشدني عبد العزيز بن أحمد بن بكار إمام مسجد مكه ... ما حلة نسجت بالدر والذهب ... إلا وأحسن منها المرء بالأدب ...

حدثنا محمد بن أبي علي الخلادي حدثنا أحمد بن محمد المسروقي حدثنا محمد بن الحسين البرجلاني حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبد الله بن سلمة بن مرداس عن أبيه قال قال لي رجل من حكماء الفرس أقرب القرابة المودة الدائمة وأفضل ما ورث الأباء الأبناء **حسن الأدب**

قال أبو حاتم رضى الله عنه أفضل ما ورث أب أبنا ثناء حسن وأدب نافع والخرس عندي خير من البيان بالكذب كما أن الحصور خير من العاهر

فيجب على العاقل ان يذكى قلبه بالأدب كما يذكى النار بالحطب لأن من لم يذك قلبه ران حتى يسود ومن تعلم الأدب فلا يتخذه للمماراة عدة ولا للمباراة ملجأ ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسة وليستعين به على ما يقر به الى بارئه

ولقد انشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش ... ادب المرء كلحم ودم ... ما حواة رجل الا صلح ... لو وزنتم رجلا ذا أدب ... بألوف من ذوى الجهل رجح ...

---

(١) روضة العقلاء، ص/١٨٢

انبأنا احمد بن بشر الكرجى حدثنا محمود بن الخطاب حدثنا رستة عبد الرحمن بن عمر قال سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول ما ندمت على شيء ندامتى انى لم انظر فى العربية

سمعت اسحاق بن ابراهيم بن اسماعيل القاضى يقول سمعت ابن اخى الأصمعى يقول سمعت عمى يقول تعلموا النحو فإن بنى اسرائيل كفروا بكلمة ." (١)

" واحدة كانت مشددة فخففوها قال الله يا عيسى إني ولدتك فقرأوا يا عيسى إني ولدتك مخفف فكفروا

حدثنا الحسن بن إسحاق الإصبهاني حدثنا أبو أمية حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا ابو زيد النحوى قال جاء رجل إلى الحسن فقال ما تقول في رجل ترك ابيه وأخيه فقال الحسن ترك أباه و أخاه قال الرجل فما لأباه ولأخاه فقال الحسن فما لأبيه ولأخيه فقال الرجل كلما تابعتك خالفت

قال ابو حاتم رضي الله عنه لا زينة أحسن من زينة الحسب كما أن من أجمل الجمال إستعمال الأدب ولا حسن لمن لا أدب له ومن كان من اهل الأدب ممن لا حسب له يبلغ به أدبه مراتب أهل الأحساب لأن **حسن الأدب** خلف من الحسب وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ولا البلاغة إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام ومن أحمد الفصاحة الأقتدار عند البداهة والغزارة عند الإطالة وأحسن البلاغة وضوح الدلالة وحسن الإشارة

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول سمعت أبا داود السنجي يقول سمعت الأصمعي يقول ليست البلاغة بخفة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكن بإصابة المعنى والقصد الى الحاجة وإن أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروي المجدع ولا البدوي المعرب

وأنشدني الكريزي ... ولم أر فضلا تم إلا بشيمة ... ولم أر عقلا صح إلا على أدب ... ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم ... عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب ...

حدثنا عمر بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي قال قال المدائني ذكر عند على بن عبد الله بن عباس بلاغة رجل فقال إني لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا على مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله ." (٢)

---

(١) روضة العقلاء، ص/٢٢١

(٢) روضة العقلاء، ص/٢٢٢

"الله من الآيات وخذوا من لكم بالصبر على الأزمات والمواساة في المهمات وأيقظوا جفونكم من السنات واعلموا أنكم رضعا ثدي كلمة التوحيد وجيران البلد الغريب والدين الوحيد وحزب التمحيص ونفر المرام العويص وتفقدوا معاملاتكم مع الله فمتى رأيتم الصدق غالبا والقلب للمولى الكريم مراقبا وشهاب اليقين ثاقبا فثقوا بعناية الله التي لا يغلبكم معها غالب ولا ينالكم من أجلها عدو مطالب وأنكم في الستر الكثيف وعصمة الخبير اللطيف ومهمى رأيتم الخواطر متبددة والظنون في الله مترددة والجهات التي تخاف وترجى متعددة والغفلة عن الله ملابسها متجددة وعادة الخذلان دايمة وأسواق الشهوات قائمة فاعلموا أن الله منفذ فيكم وعده ووعيده في الأمم الغافلين وأنكم قد ظلمتم أنفسكم ولا عدوان إلا على الظالمين والتوبة ترد الشارد إلى الله والله يحب التوابين ويحب المتطهرين وهو القائل (إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) وما أقرب صلاح الأحوال مع الله إذا صلحت العزايم وتوالت على حزب الشيطان الهزايم وخملت الدنيا الدنية في العيون وصدقت فيما عند الله الظنون (يا أيها الذين آمنوا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وتوبوا سراعا إلى طهارة الثوب وإزالة الشوب واقصدوا أبواب غافر الذنب وقابل التوب واعلموا **أن سوء الأدب** مع الله يفتح أبواب الشدائد ويسد طرق العوائد فلا تمطلوا بالتوبة أزمانكم ولا تأمنوا مكر الله فتغشوا إيمانكم ولا تعلقوا جنابكم بالضرار فهو علام السرار وإنما علينا معاشر الأولياء أن ننصحكم وإن كنا أولى بالنصيحة ونعتمدكم بالموعظة الصريحة الصادرة علم الله ". (١)

"دعتني أخاها بعد ما كان بيننا ... من الأمر ما لا يفعل الأخوان

فما ظن ذا الواشي بأبيض ماجد ... وبيضاء خود حين يلتقيان

ودخل بعض الأدباء مجلسا فرأى فيه نبيذا حسنا للأكابر، ونبيذا دونه لقوم دونهم فقال:

نبيذان في مجلس واحد ... لإيثار مثر على معسر

فلو كنت تفعل فعل الكرام ... فعلت كفعل أبي البختري

تتبع إخوانه في البلاد ... فأغنى المقل عن المكثر

فبلغت الأبيات أبا البختري فبعث إليه خمسة آلاف درهم.

وكان لأبي البختري إخوان يغشونه ولا يكادون يفارقونه فلما ولي القضاء، شغل عنهم فقاطعوه، وجعلوا يسبونه ويقعون فيه وينسبونه إلى قلة الوفاء، فلما عزل وجه إليهم فأحضرهم وقال: كأني بكم وقد أخذتم علي

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ٥٤/٢

في اشتغالي عنكم ونلتم مني إذ جفوتكم، وقد رجوتم نفعي فأسأتم بي ظنا، قالوا: قد كان ذلك، فقال: والله ما قطعتكم إلا نظرا لكم وتوفيرا عليكم، وأمر بإحضار ما اجتمع له أيام عمله من أرزاقه وصلاته، فأحضرت أكياس فيها عشرة آلاف دينار فقسمها فيهم وأخذ منها مثل ما صار إلى أحدهم وعادوا إلى ما كانوا عليه من المؤانسة.

وفي مثل الأبيات الأول:

رأيت نبيذين في مجلس ... فقلت لصاحبنا ما السبب

فقال الذي نحن في بيته ... يفضل قوم بسوء الأدب

وكان المعروف بأبي هريرة المصري، من أهل الحديث والأدب، ظريفا مليحا، مملقا في حداثته وإنما معاشه من النسخ، قال: فكنت أوان الربيع إذا أخذت الأرض زخرفها، وازينت أخرج متنزها إلى بركة الحبش، في خفي بلنسية فيها شراب وفي كمي منديل نظيف فيه أوساط وكتاب أنادمه، وأجلو بصري على ذلك الماء الرقيق والروض الأنيق إلى أن تصوب الشمس للغروب فانصرف إلى منزلي وأنا ثمل، فانصرفت عشية، فإذا بفارس خارج من مصر لا يتبين منه غير عينيه، فسلم وقال: من أين أقبل الشيوخ، فقلت في نفسي، أجن الرجل، ومن الذي يرى معي، والتفت فإذا ذود من تيوس يسوقها راع، فقلت: حضرنا نكاح الوالدة حفظها الله، فضحك حتى كاد يسقط من سرجه، فلما كان بعد أيام يسيرة لقيني الأمير بكير في موكبه، فقال لبعض غلمانه، ألحقني بالرجل فأرتعت لذلك روعا شديدا، فلما دخلت عليه، إذا بين يديه كيس فيه ثلاثة آلاف درهم، فقال لي: هذا حق حضور ذاك النكاح فغلمت أنه هو الذي لقيني.

وخرج أبو هريرة هذا إلى (ديهور) مع إخوان له يشربون فسكروا وناموا، وأتى حمار أبي هريرة وقد عطش إلى جفنة مزر فشرب حتى سكر ورقد، فاستيقظ أصحابه فوجدوه لا يقدر على النهوض، فأرادوا أن يركبوه الحمار سكران، فأكثروا جملا وعادلوا بينه وبين حماره، ودخلوا به فقرعوا بابه، وقالوا لإمه، خذي إليك النديمين فأنهما سكرا جميعا.

وروي أن جعفر بن يحيى استأذن الرشيد في ليلة يخلو فيها، فأذن له، فوجه إلى كل من يتشوقه من أصحابه، وبعث إلى مسلم بن الوليد فلما صار إليه، قال له جعفر: أنشدني من شعك ما يشاكل ليلتنا هذه، فأني إنما خلوت لفرط صبابة بجارية لنخاس تحكم علي في ثمنها، ووالله ما يزداده ولكني أكره الخديعة، فقال: أصلح الله الأمير، لك أجل المراتب وأعلى الأمثال، وأنا أقول على قدري، وقد كانت لي ليلة مثل هذه فقلت فيها شيئا، فدعني بخساسة عيشي واجعل وصفها لك فأنت أحق به، فأنشده:

تحملت هجر الشادن المتدلل ... وعاصيت في حب الغواية عذلي

وما أبقت الأيام مني ولا الصبا ... سوى كبد حرى وقلب مقتل

وكنت نديم الكاس حتى إذا طغت ... تعوضت منها ريق أحور عيطل

نهاني عنها حبها أن أسوءها ... بلمسي فلم أفتك ولم أتبتل

أخذت لطرف العين منها نصيبه ... وأخليت من كفي مكان المخلخل

سقتني بعينيها الهوى وسقيتها ... فدب دبيب الراح في كل مفصل

وما العيش إلا أن تبيت موسدا ... ،صريع مدام، كف أحور أكحل

وممكورة رود الشباب كأنها ... قضيب على دعص من الرمل أهيل." (١)

"قال البكري: قال مطرف يوصي ابنه: يا عبد اله، إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق ولا تنغص إلى نفسك عبادة ربك! فإن الحسنة بين سيئتين، وخير الأمور أوساطها، وشر السير القحقحة، وإن المنبت لا أرض قطع ولا ظهر أبقى انتهى.

قال: ومن قوله: إن هذا الدين متين . . إلى آخر الحديث، مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسير بيت في هذا قول الشاعر:

عليك بأوساط الأمور فأنها ... نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا!

الشر ألجأه إلى مخ العراقيب.

ويقال أيضا:

شر ما أجاءك إلى مخة عرقوب.

الشر نقيض الخير؛ ولجأ الرجل إلى كذا بالفتح والكسر لا ذبه وألجأته إليه: أضطررته وأجأته إليه أيضا بمناه؛ والمخ نقى العظم وعظم ممخ: ذو نقي؛ والعراقيب جمع عرقوب، وهو العصب فوق عقب الإنسان، وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يديها، وكل ذات أربع فعرقوباها في رجليها، وركبتاها في يديها. والمعنى أن الشر هو الذي ألجأك إلى سؤال اللئام. فيضرب عند الاضطرار إلى المسألة البخيل. وإنما خص العرقوب لأنه شر المخاخ، كما إنه شر العظام، كما قال الاخطل لكعب بن جعيل:

وسميت كعبا بشر العظام ... و كان أبوك يسمى الجعل

شر المال مالا يزكى ولا يذكى.

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/٢٦

المال: معروف، والتزكية إخراج الزكاة والتذكية الذبح للأكل. والموصوف بما ذكر الحمار ونحوه، لأنه لا زكاة فيه وزكاة له.

شر أهر ذاناب.

الشر تقدم؛ وهر الكلب يهر هريرا: صوت ولم ينبح. قال حسان، رضي الله عنه:

يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل

غيره:

ويغشون حتى ترى كلبهم ... يهاب الهرير وينسى النباحا

و ذو الناب: الكلاب؛ وأهررته أنا: حملته على الهرير.

وهذا المثل يضرب عند ظهور أمارات الشر وتبين مخائله.

وأصله أن قائله سمع هريرا الكلب في الليل، فأشفق من طارق بشر، فقال ذلك تعظيما للحال وتهويلا للأمر عند نفسه ومستمعه، أي: ما أهر ذا ناب إلا شر عظيم.

ولأحل هذا الوصف المنوي، حسن الابتداء بلفظة " شر " حتى حصل من ذلك الحصر.

شر يوميها وأغواه لها.

هذا يضرب عند إظهار البر باللسان لمن يراد به الغوائل. وهو شطر بيت تمامه:

ركبت غز بحدج جملا

و سيأتي في حرف اللام استيفاء الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

الشرط أملك، عليك أم لك.

الشرط بفتح فسكون إلزام الشيء والتزامه. ويكون أيضا بمعنى سق الجلود، كفعل الحجام، وأما الشرط بالتحريك فهو العلامة، ومنه أشراط الساعة، أي علامتها؛ والملك مثلث الميم: لاحتواء على الشيء والقدرة عليه.

والمعنى إن ما أشترط فهو لازم وأولى أن يتفع سواء كان ذلك الشرك عليك أم كان لك.

وهذا المثل نطق به القاضي شريح، ولا أدري أهو المخترع له أم قيل قبله.

ذكر السكاكي في المفتح إنه حكى أن عدي بن أرطة أتى ومعه امرأة له مثال أهل الكوفة يخاصمها. فلما جلس بين يدي شريح قال له عدي: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: إني امرؤ من أهل الشام. قال: بعيد وسحيق. قال: وإني قدمت العراق. قال: خير مقدم. قال: وتزوجت هذه. قال: بالرفاء والبنين!

قال: إنها ولدت لي غلاما. قال: ليهنك الفارس! قال: وأردت أن أنقلها إلى داري. قال: المرء أحق بأهله. قال: كنت شرطت لها وكرها. قال: الشرط أملك منك! قال: أقض بيننا! قال: فعلت! قال: فعلى من قضيت؟ قال: على أبن أمك! قوله: أين أنت؟ يريد: في أي شغل أنت هذا الوقت؟ هل أنت متفرغ للنظر فيما بيننا؟ ولا يريد السؤال عن المكان حقيقة، ولكن لما كان فضولا مع ما فيه **من سوء الأدب** حمله القاضي على حقيقته وأجاب بنفس المكان، تجهيلا له وتعريضا إنه بين جمادين وهما عدي والحائط.

وقوله الرفاء والبنين: متعلق بمحذوف، أي تزوجت وأعرست مصحوبا بالرفاء، أي بالموافقة والألفة وبالبنين، أي الذكور دون البنات.

وقوله: ليهنك الفارس! دعاء له وتفاؤل، أي: ليكن ولدك هنيئا لك لائقابه، ويبلغ مبلغ الفروسة!." [١]

"فاجاك من وفد الشباب نذير ... والدهر من أخلاقه التغيير

هو محمود بن الحسن الوراق البغدادي مولى بني زهرة يكنى أبا حسن، شاعر كثير الشعر جيده وعامته في الحكم والمواعظ والزهد.

أنشد أبو علي " ١ - ١٠٨،١٠٨ " لداود بن جهوة:

أقاسي البلى لا أستريح إلى غد ... فيأتي غد إلا بكيت على أمس

هكذا ثبت عن أبي علي ابن جهوة وأنشد ابن الجراح وغيره هذا الشعر لداود بن جمهور لم يختلفوا في ذلك، ولم أر جهوة اسما إلا هذا فإن كان معلوما فهي من أجهى الطريق إذا استبان والجهوة: الدبر لغة يمانية يقال فتح الله جهوته. قال الراجز:

شر قرين للكبير نعلته ... تولغ كلبا سؤره أو تكفته

وتدفع الشيخ فتبدو جهوته

وأخذ ابن الرومي معنى قول الشاعر:

وأنكرت شمس الشيب في ليل لمتي ... لعمري لليلى كان أحسن من شمسي

فقال:

وجار على ليل الشباب فضامه ... نهار مشيب سرمد ليس ينفد

وعزاك عن ليل الشباب معاشر ... وقالوا نهار الشيب أهدى وأرشد

وكان نهار المرء أهدى لرشده ... ولكن ظل الليل أندى وأبرد

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٣٥٢

وهذه القصيدة كثيرة النوادر قليلة الحشو على طولها وينتهي عدد أبياتها إلى أربعمائة بيت يمدح فيها صاعدا ويذكر الموفق وصاحب الزنج. فمن النادر فيها قوله يصف الدنيا:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأوسع مما كان فيه وأرغد

إذا أبصر الدنيا استهل كأنه ... بما سوف يلقى من أذاها يهدد

ومن ذلك قوله في المديح:

تراه عن الحرب العوان بمعزل ... وآراؤه فيها وإن غاب شهد

كما احتجب المقدار والحكم حكمه ... على الناس طرا ليس عنه معرد

فتى روحه ضوء بسيط كيانه ... ومسكن ذاك الروح نور مجسد

صفا ونفى عنه القذى فكأنه ... إذا ما استكفته العقول مصعد

كأن أباه حين سماه صاعدا ... رأى كيف يرقى في المعالي ويصعد

وأنشد أبو علي " 1 - ١٠٩،١٠٩ " للعكوك:

جلال مشيب نزل ... وأنس شباب رحل

ع هو علي بن جبلة بن عبد الرحمن الأبناوي من أبناء الشيعة الخراسانية يكنى أبا الحسن، والأصمعي لقبه بالعكوك بين يدي الرشيد، وذلك أن عليا دخل على الرشيد فأنشده شعرا حسنا فحسده الأصمعي لما رأى من إقبال الرشيد عليه فقال له: إيه يا عكوك. فقال له على في مجلس أمير المؤمنين: تلقب الناس يا ابن راعي الضأن العشرين ألست من باهلة. والعكوك في كلام العرب: الغليظ السمين. وكان على إذا ذكر الأصمعي بمحضره سبه. وكان العكوك ضريرا أبرص. وكان شاعرا مطبوعا عذب اللفظ جزله.

وأنشد أبو علي " ١ - ١٠٩،١٠٩ " لأبي دلف:

نظرت إلي بعين من لم يعدل ... لما تمكن طرفها من مقتلي

ع أبو دلف هو القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر، وهو ممن جمع إلى محله الشامخ في الشجاعة وعظيم الغناء في المشاهد **حسن ال أدب** وجودة الشعر ومحض الجود. ومن مختار شعره في الشيب أيضا قوله:

في كل يوم أرى بيضاء قد طلعت ... كأنما طلعت في ناظر البصر

لئن قصصتك بالمقراض عن بصري ... لما قرضتك عن همي ولا فكري

ومن مختار ما ورد في قرض طلائع المشيب قول كشاجم:

نظرت إلى المرآة فروعتني ... طلائع شيبتين ألمتا بي

فأما شيبة ففزعت منها ... إلى المقراض من حب التصابي

وأما شيبة فعفوت عنها ... لتشهد بالبراءة من خضابي

فيالك من مشيب قد تبدي ... أقمت به الدليل على شبابي

وأنشد أبو علي " ١ - ١١٠،١٠٩ " :

حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني خاتل أدنو لصيد." (١)

"خلطوا فيه أي أفسدوا ويقال خلط بالتشديد في الشر وخلط بالتخفيف في الخير . ويفرقون يميزون يقال فيما كان تمييزا فرق بالتخفيف فرقت بين الحق والباطل وما كان من جمع ففرق بالتشديد فرقت بين زيد وعمرو ونصب رأيك على معنى قر رأيك لأنه مصدر والعامل فيه الفعل الذي صدر عنه ورأى يكون بمعنى نظر وبمعنى علم وإضمار الفعل جائز في كل المصادر المأمور بها لأن الأمر لا يكون إلا بالفعل فإذا أضمرته دل المصدر عليه ولو كان خبرا لم يجز فيه الإضمار لأن الخبر يكون بالفعل وغيره وإن كتب فرأيك موفقا ثنى موفقا وجمعه فقال فرأيكما موفقين ورأيكم موفقين ولا يجوز الأفراد على هذا الوجه فأن جعل التوفيق للرأي لم يثن ولم يجمع فكتب فرأيكما موفق ورأيكم موفق . والأكفاء الأمثال وأحدهم كفؤ قال الله تعالى " ولم يكن له كفؤا أحد " والرؤساء جمع رئيس يقال رأس الرجل القول يرأسهم رأسا ورياسة وفلان رأس القوم ورئيسهم وقد ترأس عليهم والرئيس أيضا الذي رأسه البرسام أي أصاب رأسه والرئيس أيضا الذي ضرب رأسه قال :

كأن سحيله شكوى رئيس ... يحاذر من سرايا واغتيال

فيقال الرئيس ههنا الذي شج وهو رأس الكلاب وهو فيها بمنزلة الرئيس في الناس . والأستاذين الواحد أستاذ وهو الماهر بصنعته وهذه الكلمة ليست بالعربية ولا توجد في الشعر الجاهلي ولو كانت عربية لوجب أن يكون أشتقاقها من الستذ وليس ذلك بمعروف وربما خاطبوا الخصى بالأستاذ إذا عظموه وإنما أخذ ذلك من الأستاذ الذي هو الصانع لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم فكأنه أستاذ في **حسن الأدب**

.

وقوله " ولا يفرقون بين من يكتب إليه وأنا فعلت ذلك وبين من يكتب إليه ونحن فعلنا ذلك ونحن لا يكتب

---

(١) سمط اللآلي، ص/٩٣

بها عن نفسه إلا آمر أوناه لأنه من كلام الملوك والعظماء قال الله عز وجل " أنا نحن نزلنا الذكر " وقال " أنا كل شيء خلقناه بقدر " وعلى هذا الابتداء خوطبوا في الجواب فقال حكاية عمن حضره الموت " رب أرجعون " ولم يقل رب ارجعن.

إنما جاز الأخبار عن الواحد بلفظ الجماعة لأن الملوك والعلماء والعظماء يستغنى برأي الواحد منهم وفهمه عن الجماعة فالملك يلي أمر جماعة من يسوسهم من أهل مملكته فهم له منقادون وعلى طاعته مجتمعون فحسن منه لفظ الجمع في الأخبار عن نفسه لذلك والعالم يحتاج إليه الجميع ممن يضطر إلى علمه فقد حصل فيه ما يجتمع في الكثير المقصرين عنه ولذلك سمى عالما لحاجة الأمة إليه . ونحن جمع أنا من غير لفظها وحرك آخره بالضم لألتقاء الساكنين لأن الضمة من جنس الواو التي هي علامة الجمع ونحن كناية عنهم.

وقوله " وربما صدر الكاتب كتابه بأكرمك الله وأبقاك فإذا توسط كتابه وعدد على المكتوب إليه ذنوبا له قال فلعنك الله وأخزاك فكيف يكرمه الله ويلعنه ويخزيه في حال وكيف يجمع بين هذين في كتاب " صدر أي كتب صدره والصدر أعلى مقدم الشيء وصدر القناة أعلاها وصدر الأمر أوله والصدرة من الأنسان ما أشرف من أعلى صدره ويقال صدر الفرس إذا جاء وقد سبق بصدره. ولعنه الله أبعده واللعن في اللغة معناه الطرد والأبعاد قال الشماخ :

ذعرت به القطا ونفيت عنه ... مقام الذئب كالرجل اللعين

أراد مقام الذئب اللعين كالرجل ويقال أراد مقام الذئب الذي هو كالرجل اللعين وهو المنفي والرجل اللعين لا يزال منتبذا عن الناس شبه الذئب به. وأخزاه الله أي أهانه والخزي الهوان وقد خزى الرجل يخزي خزيا وخزاه يخزوه إذا ساسه قال لبيد:

غير أن لا تكذبنها في التقى ... وأخزها بالبر لله الأجل

وقوله " وقال أبرويز لكاتبه في تنزيل الكلام إنما الكلام أربعة سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وأمرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات إن التمس إليها خامس لم يوجد وإن نقص منها رابع لم تتم فإذا طلبت فأسجح وإذا سألت فأوضح وإذا أمرت فاحكم وإذا أخبرت فحقق " أسجح أي أحسن وأرفق وسهل وقالت عائشة رضي الله عنها لعلي يوم الجمل ملكت فأسجح وقال عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

أقول وقد شدوا لساني بنسعة ... أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا

أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا ... فإن أخاكم لم يكن من بوائيا." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٥٣ """""""

فإن تنكري مني احولالا فإنني . . . أديب أريب لا عيي ولا فدم فاتصل بها الشعر ، فكتبت إلي : إنا لم نرد أن نوليك ديوان الزمام وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب إلى عدي بن أرطاة : إن قبلك رجلين من مزينة – يعني بكر بن عبد الله ، وإياس بن معاوية – فول أحدهما قضاء البصرة ؛ فأحضرهما ، فقال بكر : والله ما أحسن القضاء ؛ فإن كنت صادقا فما تحل توليتي ، وإن كنت كاذبا فذلك أوجب لتركي ، فقال إياس : إنكم وقفتموه على شفير جهنم ، فافتدى منها بيمين يكفرها ، ويستغفر الله تعالى منها ، فقال له عدي : أما إذ اهتديت لها فأنت أحق بها ، فولاه .

ودخل إياس الشام وهو غلام صغير ، فقدم خصما له إلى بعض القضاة ، وكان الخصم شيخا ، فصال عليه إياس بالكلام ، فقال له القاضي : خفض عليك ، فإنه شيخ كبير ، قال : الحق أكبر منه ، قال : اسكت قال : فمن ينطق بحجتي ؟ قال : ما أراك تقول حقا ، قال : لا إله إلا الله فدخل القاضي على عبد الملك فأخبره ؛ فقال : اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لا يفسد أهلها وقال أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي : كنت يوما عند العباس بن خالد ، وكان ممن حبب الله إليه أن يتحدث ، فأخذ يحدثني ، ويتنقل من حديث إلى حديث ، وكنا في صحن له ، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا إلى موضع آخر ، حتى صار الظل فيئا ؛ فلما أكثر وأضجر ، ومللت **حسن الأدب** في حسن الاستماع ، وذكرت قول الأوزاعي : إن حسن الاستماع قوة للمحدث ، قلت له : إذا كنت وأنا أسمع قد عييت مما لا كلفة علي فيه ، فكيف أراك وأنت المتكلم ؟ فقال : إن الكلام يحلل الفضول اللزجة." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٧٠ """""""

وأخذت آخرها من قول رؤبة بن العجاج : الرجز :

إني وإن لم ترني فإنني . . . أخوك والراعي إذا استرعيتني

أراك بالود وإن لم ترني

قال : فاستخفني في ذلك ونسب **إلي سوء الأدب** . وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز في المنصب

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/٤٤

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب، ١٥٣/١

العالي من الشعر والنثر ، وفي النهاية في إشراق ديباجة البيان ، والغاية من رقة حاشية اللسان . وكان كما قال ابن المرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النثر أتى بحلال السحر ، وليس بعد ذي الرمة أكثر افتنانا وأكبر تصرفا وإحسانا في التشبيه منه . وإنما فرقت جملة ما اخترت من شعره ونثره في جملة هذا الكتاب ؛ لئلا أخرج عما تقدم به الشرط في البسط ، وآتي ههنا ببعض ما أختاره له ، قال : الوافر :

وفتيان سروا والليل داج . . . وضوء الصبح متهم الطلوع

كأن بزاتهم أمراء جيش . . . على أكتافهم صدأ الدروع

وقال أيضا : الكامل :

في ليلة أكل المحاق هلالها . . . حتى تبلى مثل وقف العاج

والصبح يتلو المشتري فكأنه . . . عريان يمشي في الدجا بسراج

وقال أيضا يصف فرسا : الكامل :

ولقد غدوت على طمر سابح . . . عقدت سنابكه عجاجة قسطل." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٠٧ """""""

وكتائبا تردي غواربها العدى . . . وفوارسا تعدو صوالجها الظبا لا يوردون الماء سنبك سابح . . . أو يكتسي بدم الفوارس طحلبا

قال : وبلغ عمر بن العلاء أن أبا العتاهية عاتب عليه في هنات نالها منه في مجلس ، وكان كثير الانقطاع إليه ، فتخلف عنه ، فساء ذلك عمر ، فكتب إليه : قد بلغني الذي كان من تجنبك فيما استخفك **به سوء الأدب** عن علم حقيقة مني ، فصرت مترددا . من العمى في يلاميع الشبهة ؛ ولو كان معك من علمك داع إلى لقائي لكشفت لك مورد الأمر ومصدره ، لترجع إلى الصلة ، فتقال أو تأبى إلا الصريمة فتصرم ؛ وقد قال الأول : الطويل :

ومستعتب أبدى على الظن عتبه . . . وأخرج منه المحفظات غليل

كشفت له عذرا فأبصر وجهه . . . فعاد إلى الإنصاف وهو ذليل

فأجابه أبو العتاهية : لم أجز بعتبي الحقيقة إلى الشبهة ، ولم أجد سعة مع عظيم قدرتك إلى حمل اللائمة ، فقصر بي الخوف من سخطك ، على ترك معاتبتك ، لأن المعاتبة لا تجتني إلا من المساوي ، ولو رغبت عن الصلة إلى القطيعة لتقاضيتك ذلك عن طول الصحبة ، وسالف المدة ، وأنا أقول : الطويل :

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب، ١/١٧٠

رضيت ببعض الذل خوف جميعه . . . وليس لمثلي بالملوك يدان

وكنت امرأ أخشى العقاب وأتقي . . . مغبة ما تجني يدي ولساني

فهل من شفيع منك يضمن توبتي . . . فإني امرؤ أوفي بكل ضمان ؟

فتراجعا إلى أحسن ما كانا عليه .

وإنما ألم أبو العتاهية في قوله : إن المطايا تشتكيك . . . وما يليه بقول أبي الحجناء نصيب الأكبر : الطويل :

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله . . . ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال أبو الطيب في أبي العشائر الحمداني : المنسرح :

تنشد أثوابنا مدائحه . . . بألسن ما لهن أفواه." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٠٧ """""""

فقدمت رجلا رغبة في رغيبة . . . وأخرت رجلا رهبة للمعاطب

أخاف على نفسي وأرجو مفازها . . . وأستار غيب الله دون العواقب

ألا من يريني غايتي قبل مذهبي . . . ومن أين والغايات بعد المذاهب

رجع إلى إنشاء بديع الزمان

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان إلى أبي علي إسماعيل يعتذر إليه : **سوء الأدب** من سكر الندب ، وسكر الغضب من الكبائر التي تنالها المغفرة ، وتسعها المعذرة ، وقد جرى بحضرة الشيخ ما جرى ، وقد أفنيت يدي عضا ، وأسناني رضا ، وإن لم أوف ما جرى فالعذر أمد خطا ، فإن كان بساطا يطوى ، وحديثا لا يروى ، فأولى من عذر اللاعب ، وأحرى من غفر الصاحب ؛ وإن كان ميتا ينشر ، وسببا يذكر ، فليكن العقاب ما كان ، إن لم يكن الهجران ، على أني قد أخذت قسطي من العقاب ، واستفدت من رد الجواب ، ما كفى وأوجع القفا ؛ فكان من موجب أدب الخدمة ، إبقاء الحشمة لولي النعمة ، ب١حتمال الشتم ، والإغضاء عن الخصم ، لكنني أحدقت بي ثلاثة أحوال لا يسلم صاحبها ؛ اللعب وسكره ، والخصم وهجره ، والإدلال والثقة ، وهن اللواتي حملنني على ماء الوجه فهرقته ، وحجاب الحشمة فخرقته ، وقد منعني الآن فرط الحياء من وشك اللقاء ، وعهدي بوجهي وهو أصفق من العدم الذي حملني على جهله ، وأوقح من الدهر الذي أحوجني إلى أهله ؛ لكن النعم إذا توالت على وجه رفقت قشرته ، وألانت بشرته ؛ وأنا

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب، ٣٠٧/١

منتظر من الجواب ما يريش جناحي إلى خدمته ، فإن رأى أن يكتب فعل ، إن شاء الله .

وله رقعة إلى أبي علي بن مشكويه أولها : الطويل :

ويا عز إن واش وشى بي عندكم . . . فلا تمهليه أن تقولي له : مهلا

كما لو وشى واش بعزة عندنا . . . لقلنا : تزحزح لا قريبا ولا أهلا بلغني ، أطال الله بقاء الشيخ أن قيضة كلب وافته بأحاديث لم يعرها الحق نوره ، ولا الصدق ظهوره ، وأنه – أدام الله عزه – أذن لها على مجال أذنه ، وفسح لها فناء ظنه ، ومعاذ الله أن أقولها ، وأستجيز معقولها ؛ بل قد كان بيني وبين الشيخ عتاب لا ينزل كنفه ولا يجدف ، وحديث لا يتعدى النفس وضميرها ، ولا يعرف الشفة وسميرها ، وعربدة كعربدة أهل الفضل ، لا تتجاوز الذلال والإدلال ، ووحشة لا يكشفها عتاب لحظة ، كعتاب." (١)

"وقد أشرت عليهم بترك تنجزهم الصفح عن ذلك، وقلت: الصبر على القناعة أقبل من سوء الصناعة، والكريم يجب أن يستحيا منه، والجمرة إلى الجمرة نار ينتفع بها المقرور، والنغبة مع أختها ري الظمآن. فأبوا إلا غير ذلك وقالوا: إنا لا نحمل أوقا كان موضوعا فيما سلف. وهذه الأيام المشرقة لو رأتها " دوس " لما قال القائل منهم: ذهب الخير مع عمرو بن حممة.

فجشموني كلاما في ذلك، فقبح الله معزى خيرها خطة، وشجرا أطوله التربة، ومؤرثات للضيفان أكثرها ضراما ما يوقده أبو الحباحب.

فما برحوا، والكاذب خائب، يرمون بالسروة ويفتلون في الذروة، ويقردون العود النافر، ويزجون ثقالا قيد فما أيد، ويحدون بأم الربيق على أريق. حتى همت النعامة بكروع، وعزم الضب على الشروع. وأني للوليدة بأزمان القردة؟ ومن الفند أن يسأل نعمان في بريرة، ويلتمس من رياض الحزن إنبات الزهرة. وإذا عذلتهم في ذلك، فلهم أن يقولوا : لأفقر منا يهدي غمام أرضنا، وسائمتنا أحق بما نبت في عرضنا.

وقد وصلوا بهذه الرسالة رقعة يرجون بها من اليد العالية توقيعا مؤبدا لا يكون بعده القول مرددا، بل يحسم بإيجاب طمع كل ناظر وجاب.

فإن جاءت بالنجح فلله الحمد ثم للسيد " عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء " . إذا كرم الزندان لم تتعب في القدح اليدان؛ ومن وقف على العناقة أروى الناقة، ومن نزل " تبالة " نفض البالة.

وإن خابت، فهي حقيقة بالخيبة. المطية رجاحة، والأذن فيها جاحة؛ وإن ثعالة لا تبنى العالة. ولو أصغى المسمع إلى ما يأمر به **حسن الأدب**، لم أحفل بحظيات لقمان، ممن صدق أو مان، ولا احتملت أسهم

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٥٠٧/١

القارة خيفة من الحقارة. لأن المسألة في التافه أنبأت عن اللب النافه.
وإنما جعلت هذا المقدار تافها، لشرف مقدار المسئول. فأما أنا فمذهبي أن الدرهم يقع عليه اسم المال الكثير. ولو كان في الوجذ فراشة وفي المحل الممحول ءذيمة، لكفيت الغافلة من رماها، والجازئة من اسماها.
ولهؤلاء القوم أريضة ليست بالأريضة، هي من قلة العمل كالمريضة. غراسها ليس بعميم، وثمرها بين الثمر كبنى يربوع في بنى تميم؛ إلا أن أولئك حمدوا في الغارة، وذم هذا حين يغير. وحين يختبز لا يطيب منه الخبز. وما سقى منها بالأبق والأديم، فهو العناء المنصب في الحادث وفي القديم؛ يشتكيه المالك ومن يعمل فيه، ويجعل حليما مثل سفيه.
كأن ماءه المنتزع كافر محتقر، غفر له بعد ما مسته سقر، فقد عولي به من أسفل سافلين إلى أعلى عليين. وربما غار ونكز، فلم يفل الملطس في إخراجه حتى يرجع إلى قرواه. تود بهيمة أصعدته، لو كانت في سواد ذي القرنين، تحمل أوتاد خيام أو غيرها من أثقال اللئام، وتسافر من المشرق إلى المغرب، وتراح من هذا البؤس الدرب. إذ كان سفرها لا ينفد وعذابها يجدد. ولا يقنع لها القدر بالأين حتى يأمر بتخمير العين. فالخطوة من العبء قصيرة، والعين عمياء بصيرة. وهي في أوقات النجر يكف بصرها عند الفجر فتنظر إلى القمر دون الشمس، ويومها في الشقوة نظير الأمس. وربما تكون ليست بالزعلة فيستأجر لها غلام عارم لا كريم هو ولا مكارم. فيسوقها بالعجراء سياقة عنيف ويمزق جلدها تمزيق الخنيف. فهي تروى الناضر ولا تلقاه، وتسمع قسيب الأزرق ولا تسقاه. وتمر عليها الدجالة من الرفاق، فإذا سمعت صوت الحافر هاج ذلك عليها طربا وحزنا، وذمت إلى الله القادر معاشا لزنا.
وترد جباها الواردة، فإذا حمل أمرها على ما ظهر من اللفظ العربي في الكتاب الكريم من قوله عزت كلمته: " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم " .
وعلى ما جاء في الحكاية عن النملة: " يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون " .
وعن الهدهد في قوله " تعالى " : " إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم " .
فجائز أن تضمر هذه البهيمة أو تقول باللسان ما لا يفهمه كل إنسان، من كلام معناه: رب صلف تحت الراعد، وساع دأب لقاعد.
تقرى البائسة وترد الرائسة.

ردي ردي ورد قطاة صما

كدرية أعجبها برد الما." (١)

"أغتدي: أخرج غدوة، والطير ساكنة لم تطر، ويروى في وكراتها، والوكر حيث يسقط الطائر للمبيت أي موضعها التي تبيت فيها، والوكر أيضا: مواضع العش، والوكنات في الجبال كالتماريد في السهل واحدها تمراد وهو برج صغير للحمام الواحدة وكنة، وهي الوقنات أيضا وقد وكن الطائر يكن ووقن يقن ووكر يكر؛ إذا أوى إلى وكن. وقيل لا واحد لها فمن قال واحدها وكنة، جمع وكنة على وكنات، كما تقول غرفة وغرفات فهذا الجيد ليفرق بين الاسم والنفس فتقول في النعت حلو حلوات وفي الاسم الذي ليس بنعت وكنة وكنات وركبة ركبات وإن شئت أبدلت من الضمة فتحة فقلت ركبات، وإن شئت أسكنت لثقل الضمة فقلت وكنات وغرفات. وإن شئت أبدلت من الواو همزة فقلت أكنات ومثله [قوله تعالى] (إذا الرسل أقتت) وإنما هو الوقت وفيه القراءتان وقال أبو حاتم جمع وكرا على وكر ثم جمع وكرا على وكرات، وكذلك وكنات فهي جمع الجمع، والواو في الطير واو الحال والجملة في موضع نصب حال، يقول قد أغتدي في هذه الحال بفرس منجرد فأقام النعت مقام المنعوت أي قصير الشعر والأوابد الوحش، وكذلك أوابد الشعر وتقديره قيد الأوابد تقييد ذي الأوابد ثم حذف ذي الأوابد. والمعنى أن هذه الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد. وهذا الكلام جيد بالغ لم يسبقه إليه أحد والهيكل الضخم.

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

أي يصلح للكر والفر، إذا أقبل حسن الإقبال وإن أدبر **حسن الأدبار**، وقوله معا أي عنده هذا وعنده هذا، كما يقال فارس راجل أي قد جمع هذين والجلمود الصخرة الملساء التي ليست بالكبيرة، وحطه أي حدره السيل بقوته، من عل أي من مكان عال، وفيه ثمان لغات تقول جئته من عل ومن عل ياهذا، ومن علو يا هذا، ومن علو، ومن علا وأنشد يونس.

فهي تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع أجواز الفلا

ويقال حئتك من عال ومن معال، ومن معالى.

". (٢)

---

(١) رسالة الصاهل والشاجح، ص/٢

(٢) شرح المعلقات التسع للشيباني، /

"قال: وحدثنا حسين بن الحسن قال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن علي بن رباح قال: سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أربع خلال إن أعطيتهن فلا يضرك ما عدل به من الدنيا: حسن خليقة، وعفاف طعمة، وصدق حديث، وحفظ أمانة.

لعبد الله بن مسعود قال: وبلغني عن وكيع عن مسعر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن باباه قال: قال عبد الله بن مسعود: خلطوا الناس وزايلوهم.

نصيحة صعصعة بن صوحان لابن أخيه عن وكيع عن سفيان عن حبيب بن ميمون قال: قال صعصعة بن صوحان لابن أخيه: إذا لقيت المؤمن فخالطه، وإذا لقيت الفاجر فخالفه، ودينك فلا تكلمنه.

للمسيح عليه السلام قال المسيح صلى الله عليه: "كن وسطا وامش جانبا " لأبي الدرداء وروي أبو معاوية عن الأحوص بن حكيم عن أبي الزاهرية قال: قال أبو الدرداء: إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم.

بين عمر رضي الله عنه ولبيدة العجلي ودخل لبيدة العجلي على عمر رضي الله عنه، فقال له عمر: أقتلت زيدا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد قتلت رجلا يسمى زيدا، فإن يكن أخاك فهو الذي أكرمه الله بيدي ولم يهني به ثم لم ير من عمر بعد ذلك مكروها.

بين محمد بن أبي الفضل الهاشمي وأبيه قال محمد بن أبي الفضل الهاشمي: قلت لأبي: لم تجلس إلى فلان وقد عرفت عداوته؟ فقال: أخبي نارا وأقدح عن ود.

شعر للمهاجر بن عبد الله الكلابي وقال المهاجر بن عبد الله الكلابي:

وإني لأقصي المرء من غير بغضة ... وأدني أخا البغضاء مني على عمد

ليحدث ودا بعد بغضاء أو أرى ... له مصرعا يردي به الله من يردي

بين عقال بن شبة ولأبيه وقال عقال بن شبة: كنت رديف أبي، فلقيه جرير على بغل فحياه أبي وألطفه؛ فلما مضى قلت: أبعد ما قال لنا ما قال! قال: يا بني، أفأوسع جرحي! لابن الحنفية قال ابن الحنفية: قد يدفع باحتمال مكروه ما هو أعظم منه.

للحسن في حسن السؤال، ومداراة الناس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤونة.

لابن الشهاب مدح ابن شهاب شاعر فأعطاه، وقال: من ابتغى الخير اتقى الشر.

في الأثر وفي الحديث المرفوع: " أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن " وقال: إن حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الإعمار.

وقال: من حسن الله خلقه وخلقه كان من أهل الجنة.

لبعض الشعراء قال الشاعر:

فتى إذا نبهته لم يغضب ... أبيض بسام وإن لم يعجب

موكل النفس بحفظ الغيب ... أقصى رفيقته له كالأجنب

من كتاب العجم وقرأت في كتب العجم: حسن الخلق خير قرين، والأدب خير ميراث، والتوفيق خير قائد.

لعائشة رضي الله عنها في الأنصار وقالت عائشة رضي الله عنها: ما تبالي المرأة إذا نزلت بين بيتين من الأنصار صالحين ألا تنزل من أبويها.

لجعفر بن محمد في حسن الجوار وصدقة السر وقال جعفر بن محمد: حسن الجوار عمارة للدار، وصدقة السر مثراة للمال لعبد الله بن عمرو بن العاص وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ثلاثة من قريش أحسنها أخلاقا وأصبحها وجوها وأشدها حياء، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم بحق أو باطل لم يكذبوك: أبو بكر الصديق، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم.

شعر ليزيد بن الطثرية وقال يزيد بن الطثرية:

وأبيض مثل السيف خادم رفقة ... أشم ترى سرباله قد تقددا

كريم على علاته لو تسبه ... لفداك رسلا لا تراه مربدا

يجيب بلبيه إذا ما دعوته ... ويحسب ما يدعي له الدهر أرشدا

من كتاب الهند وقرأت في كتاب للهند: من تزود خمسا بلغته وآنسته: كف الأذى، وحسن الخلق ومجانبة الريب والنبل في العمل، **وحسن الأدب** شعر للمرار ولغيره، في مداراة القرابة وقال المرار في مداراة القرابة:

ألا أنما المولى كعظم جبرته ... فلا يخرق المولى ولا جابر العظم

وقال آخر في مداراة الناس:

وأنزلني طول النوى دار غربة ... إذا شئت لاقيت آمرار لا أشاكله." (١)

"لقد باع من الوفاء علقا خطيرا واعتاض من الطمع شيأ يسيرا وحال بينه وبين العهد الوفاء وكان يضايق نفسه في اختيار المتاع ويسامحها في اختيار المبتاع ويخلع خلعة تساوي بدرة على عرض يساوي نقرة ويرف كريمة من كرائم شعره إلى من لم تقم عنه كريمة ولم يعرف له قيمة لو رأى الطمع في بحر النار لدخله ولو أتاه الدرهم من دبر كلب لأخذه وما غسله فلا جرم إن الناس كما استحسنوا قوله استقبحوا فعله وكما أعجبوا بشعره تعجبوا من غدره يشكر ثم يشكو ويمدح ثم يهجو ويشهد ثم يجرح شهادته ويعطي ثم يسترجع

---

(١) عيون الأخبار، ص/٢٨٧

عطيته فكم حر سلبه لخاءه وكم عرض جرد عنه كساءه ومن صحفة أكل منها ثم شرق فيها ومن طوية زهدها ثم عكف عليها وصف بعضهم الخصيان مادحا لهم فقال هم الأمناء على الحرم البعداء عن التهم ولهم التظرف والتلطف والوقار وقلة الضحك وهم طراز الملك وجمال الدول وعنوان النعم وكثيرا ما أدبوا أولاد الملوك وهذبوهم وعرفوهم طريق السياسات ودربوهم والحاكة يقال الحمق عشرة أجزاء تسعة منها في الحاكة وواحد في سائر الناس وقالوا لو أن للحائك قرنا لنطح به وسأل رجل الأعمش عن الصلاة خلف الحائك فقال لا بأس بها على غير وضوء قيل فما تقول في شهادته قال تقبل مع شاهدين عدلين وقال الحسن البصري من نظر في طراز حائك لم يرجع إليه عقله أربعين يوما والسبب في زوال عقولهم ما ذكر أن مريم عليها السلام ذهبت تطلب عيسى وكان قد ضل منها فلقيت حائكا فسألته كيف أخذ فدلها على غير الطريق التي سلك فقالت اللهم توهه فلا يوجد إلا تائها وفي رواية أنها قالت اللهم اجعلهم سفلة الناس وأقلهم عقلا قيل لرجل من الحاكة هل في بلدكم حائك قال لا قيل فمن ينسج ثيابكم قال كل منا ينسج ثوبه لنفسه قيل له فإذا كلكم حاكة قالوا فلان مجنون وأجن منه لا يكون فلان إذا رأيته نسيت مجنون بني عامر

طرف مما ذم به أهل الجهالة ... المتمسكون بعرى الغواية والضلالة

يحكى أن أبا الأسود الدؤلي قال إذا أردت أن تقهر عالما فأحضره جاهلا وقالوا لا معيبة أعظم من الجهل ولا صاحب أخذل منه وقالوا لا مصيبة أعظم من الجهل وقالوا الجهل في القلب كالأكلة في الجسد وقال بزرجمهر العالم كبير وإن كان صغيرا والجاهل صغير وإن كان كبيرا وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما الأدب عند الجاهل كالماء في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وقال وهب بن منبه يقال إن الجاهل إذا تكلم فضحه عيبه وإذا سكت فضحه جهله لا علم نفسه يغنيه ولا علم غيره ينفعه إن قال لم يحسن وإن قيل له لم يفقه وذم أعرابي رجلا فقال فلان إن أعرضت عنه اغتم وإن أقبلت عليه اعتز وإن حلمت عليه جهل عليك وإن جهلت عليه حلم عنك البشامي يهجو جاهلا

لنا جليس تارك للأدب ... جليسه من نوكه في تعب

مخالف يغضب في حال الرضا ... عمدا ويرضى عند حال الغضب

كأنه من سوء تأديباته ... أسلم في **مكتب سوء الأدب**

وقال بزرجمهر الجاهل عد ونفسه فكيف يكون صديق غيره وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال لو كان في بني إسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبح غيره شاعر يهجو جاهلا

ليس يدري من الجهالة من ذا ... دور البعر في بطون الجمال

آخر

يظن بأن الخمل في القطف نابت ... وأن الذي في باطن التين خردل

وقالوا فلان لا يعرف اليمين من الشمال ولا الجنوب من الشمال ولا السماء من الأرض ولا الطول من العرض ينظر إلى العلم نظر المغشي عليه من الموت إن أصاب أحجم وإن أخطأ صمم وقالوا فلان خطؤه بعد اجتهاد وصوابه عن غير اعتماد وقال الشاعر

يصيب ولا يدري ويخطي وما درى ... وكيف يكون النوك إلا كذلكا

وقالوا الجهل رأس الفضائح ومعدن القبائح ومضمار العثار وهو الدليل على غلظ الطبع وجمود الخاطر وفساد التركيب واعتلال الذهن وكذب النفيل وخبث الطوية ويقال أشد حوادث الدنيا عالم يجري عليه حكم جاهل وكانت ملوك الفرس إذا غضبت على عالم وأرادت عقوبته حبسته مع جاهل شاعر

وإذا بليت بجاهل متهكم ... يجد المحال من الأمور صوابا

أوليته مني السكوت وربما ... كان السكوت عن الجواب جوابا." (١)

"ويقال **حسن الأدب** يستر قبيح النسب وقالوا الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب ويقال الأدب ينوب عن الحسب ولا ينفع حسب بلا أدب شاعر

كم من خسيس وضيع القدر ليس له ... في العز بيت ولا ينمى إلى نسب

قد صار بالأدب المحمود ذا شرف ... عال وذا حسب محض وذا نشب

يعلى التأدب أقواما ويرفعهم ... حتى يساووا ذوي العلياء في الرتب

ذكر من دأب في طلب الأدب ... فنال به أعلى المناصب والرتب." (٢)

"وكان يقال الكاتم سره بين إحدى فضيلتين الظفر بحاجته أو السلامة من شر اذاعته ويقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه وقال آخر كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشاؤه يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أيسر من الندامة على إفشائه إبراهيم بن خفاجة

لا تودعن ولا الجماد سريرة ... فمن الجوامد ما يشير وينطق

وإذا المحك أذاع سراخ له ... وهو النضار فمن به يستوثق

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/٦٤

(٢) غرر الخصائص الواضحة، ص/٧٥

وقال الأحنف أدنى أخلاق الشريف كتمان سره وأعلى أخلاقه كتمان ما أسر إليه قال الشاعر
ولست بمبد للرجال سريرتي ... ولا أنا عن أسرارهم بسؤل
ولا أنا يوما للحديث سمعته ... إلى ههنا من ههنا بنقول
آخر
تبوح بسرك ضيقا به ... وتحسب كل أخ يكتم
وكتمانك السر ممن تخاف ... ومن لا تخافهم أحزم
إذا ذاع سرك من مخبر ... فأنت إذا لمته ألوم
وقال كعب بن زهير
لا تفش سرك إلا عند ذي ثقة ... أولا فأفضل ما استودعت أسرارا
صدرا رحيبا وقلبا واسعا صمتا ... لم تخش منه لما أودعت اظهارا
وقيل لأبي مسلم الخراساني بأي شيء أدركت ما أدركت قال ائتزرت بالحزم وارتديت بالكتمان وحالفت الصبر وساعدني القدر فأدركت مرادي وحزت ما في نفسي ثم أنشد
أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
ما زلت أسعى عليهم في دمارهم ... والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتهبوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن يدع غنما في أرض مضيعة ... ونام عنها تولى رعيها الاسد
وأما المزاح وما ورد فيه ... عمن أباحه ومن يجافيه
فيروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال من مزح استخف به وقال آخر تجنب شؤم الهزل ونكد المزاح فإنهما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد عسر وفحلان إذا القحا لم ينتجا غير ضر وقالوا المزاح يضع قدر الشريف ويذهب هيبة الجليل وقال حكيم لولده يا بني إياك والمزاح فإنه يذهب بهاء الوجه ويحط من المروأة شاعر
ألا رب قول قد جرى من ممازح ... فساق إليه الموت في طرف الحبل
وإن مزاح المرء في غير حينه ... دليل على فرط الحماقة والجهل
آخر
إياك إياك المزاح فإنه ... يطمع فيك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورث بعد العز صاحبه ذلا

ويقال أوكد أسباب القطيعة المزاح وإن كان لا غنى للنفس عنه فليكن بمقدار ما يحتاج الطعام من الملح كما قال أبو العباس البستي

أفد طبعك المكدود بالهم راحة ... براح وعلله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

وقال سعيد بن العاص لولده اقتصد في مزاحك فإن الافراط فيه يذهب البهاء ويجرئ السفهاء ويقال المزح أوله فرح وآخره ترح شاعر

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب ... مزحا تضاف به إلى سوء الأدب

لا تغضبن أحدا إذا مازحته ... إن المزاح على مقدمة الغضب

أبو جعفر الطبري

لي صاحب ليس يخلو ... لسانه من جراح

يجيد تمزيق عرضي ... على سبيل المزاح

الباب السابع

في الذكاء

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول من هذا الباب

في مدح الفطن والاذهان

المعظمة من قدر المهان

قال ابن الأنباري في كتابه الذي سماه بالزاهر قولهم فلان ذكي معناه كامل الفطنة ثاقبها من قول العرب ذكت النار تذكو إذا زاد وقودها ويقال مسك ذكي إذا كان طيب الريح قال جميل

صادت فؤادي بعينيها ومبتسم ... كأنه حين أبدته لنا برد

عذب كان ذكي المسك خالطه ... والزنجبيل وماء المزن والبرد." (١)

"ومن أظرف الحكايات وألطف الفكاهات ما يحكي أن الأشعث بن قيس قال لرجل أسدى إليه معروفا فلم يشكره عليه ما شكرت معروفي عندك فقال الرجل إن معروفك كان من غير محتسب فوقع عند

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/٩٧

غير شاكر وليم بعضهم على منه بمعروف أسداه فقال إذا كفرت النعمة وجبت المنة وليم آخر فقال إذا جحد الاحسان وجب الامتنان

النوع الثاني

في أن من تمام المعروف ترك المطل به ... وإعانة المستجدي على حصول مطلبه

قال جعفر الصادق نظرت إلى المعروف فوجدته لا يتم إلا بثلاث تعجيله وستره وتصغيره فإنك إذا عجلته هنأته وإذا سترته تممته وإذا صغرته عظمته مدح بعضهم من هذه خلته فقال

زاد معروفك عندي عظما ... إنه عندك مستور حقير

تتناساه كأن لم تأته ... وهو عند الناس مشكور كثير

آخر

أمت ذكر معروف تريد حياته ... فأحياؤه حقا اماتة ذكره

وصغره يعظم في النفوس محله ... فتصغيره في الناس تعظيم قدره

وقال عمرو بن العاص ما استبطأني صاحب حاجة قط لأني لا أعد شيأ قط حتى أعد له نجازا ولا أمنع شيأ حتى أعد له عذرا ويقال إياك والمطل بالمعروف فإنه مفسدة للمروأة مهدمة للصنيعة ممحقة للشكر داعية للذم شاعر

يا صانع المعروف لا تمطلن ... يزداد ذو الحاجة في حاجته

فشر معروفك ممطوله ... وخيره ما كان في ساعته

لكل خير يرتجى آفة ... ومطلك المعروف من آفته

وسأل رجل رجلا فاعتذر إليه وعجل صرفه فقال أصبت في الشكر من حيث أخطأت في الرد لأنك صرفتني وفي الزاد بقية وفي النفس رمق وفي الوجه بقية ماء الحياة شاعر

جود الكرام إذا ما كان عن عدة ... وقد تأخر لم يسلم من الكدر

إن السحائب لا تجدي بوارقها ... نفعا إذا هي لم تمطر على الأثر

وماطل الوعد مذموم وإن سمحت ... يداه من بعد طول المطل بالبدر

آخر

كم جزيل من النوال أتاني ... بعد مطل وكان غير جزيل

أي فرق بين الكريم إذا استب ... طأت معروفه وبين البخيل

آخر

رأيت المطل ميدانا طويلا ... يروض طباعه فيه البخيل

يراود عن جداه نفس سوء ... يرى أن الندى حمل ثقيل

آخر

تعجيل جود المرء أكرومة ... ينشر عنه أطيب الذكر

والجر لا يمطل معروفه ... ولا يليق المطل بالحر

وقالوا المنع بالعذر الجميل خير من المطل الطويل وقالوا المطل مرض المعروف والانجاز برؤه والمنع تلفه وقالوا المسؤل حر حتى يعدو مسترق بالوعد حتى ينجز وقالوا من مروأة المطلوب إليه أن لا يلجئ إلى الالحاح عليه وقالوا الاسراع بالرد خير من الابطاء بالوعد أبو تمام

وخير عداة المرء مختصراتها ... كما أن خير الليالي قصارها

وإن الليالي الصالحات كبارها ... إذا وقعت تحت المطال صغارها

وما العرف بالتسويف إلا كخلة ... تسليت عنها حين شط مزارها

آخر

إذا قلت في شيء نعم فاتمه ... فإن نعم دين على الحر واجب

وإلا فقل لا واسترح وأرح بها ... لكيلا يقول الناس إنك كاذب

وقالوا لولا أن انجاز الوعد فضيلة معدومة في أكثر الناس لما وصف الله سبحانه وتعالى نبيه إسمعيل بصدق الوعد شاعر

إن الحوائج ربما أودى بها ... متطلب يقضي له ممطولها

فإذا قصدت لطالب لك حاجة ... فاعلم بأن تمامها تعجيلها

الفصل الثاني من الباب التاسع

في منح الأماجد الأجواد

وملح الوافدين والقصاد

فمما يجب أن يقدم فيما يممناه ... تلطف الراغب لينال ما تمناه

يقال التلطف في السؤال سبب لتحصيل النوال وقالت الحكماء لطف الاستماح سبب النجاح وقال العتابي إذا طلبت حاجة إلى ذي سلطان فأجمل في الطلب إليه وإياك والالحاح عليه فإن اللحاحة تكلم عرضك

وتريق ماء وجهك فلا تأخذ عوضا مما أخذ منك ولعل الالحاح يجمع عليك أخلاق الوقاح وحرمان النجاح ولقد **أحسن الأدب** القائل

وإذا طلبت إلى كريم حاجة ... فلقاؤه يكفيك والتسليم." (١)

"وحكى القرطبي في تفسيره أن أعرابيا قال لسليمان بن عبد الملك وقد قال له أزل الشعرة من لقمتك وهو يأكل من طعام عبد الملك شعر:

و للموت خير من يسارة باخل ... يلاحظ أطراف الأكيل على عمد

آداب الشرب

ويكره التنفس في الإناء، ونفخ الطعام ليبرد، وإن كان الطعام حارا فليصبر حتى يبرد. وإذا أتى بكوز ليشرب منه فلينظر إلى طرفه قبل الشرب، فقد يكون فيه شيء يؤذيه. ويستحب تنحية رأسه عن الكوز عند إرادة التنفس، ولا ينفخ في الماء، ولا يتنفس داخل الكوز، وإذا شرب شرب قليلا مصا مصا لقوله صلى الله عليه وسلم : " مصوا الماء مصا ولا تغبوه غبا فإن الكباد من الغب " والكباد بضم الكاف وفتح الباء الموحدة قيل وجع الكبد. على أن بعضهم قال أتفق سبعون حكيما على أن كثرة النوم من شرب الماء. وقال الدميري والشرب بثلاثة أنفاس يتحصل له فيها عشر حسنات: تسمية الله تعالى في الابتداء، وحمده في الآخر ثلاثا، وإبانة القدح عن فيه مرتين، فتنفسه مرتين امتثالا للأمر، وإذا شرب يناوله الأيمن فالأيمن، ويكون الساقي آخرهم شربا انتهى.

تصغير اللقمة

وقال النووي في فتاويه: هل صح أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتصغير اللقمة في الأكل وتدقيق المضغ، أو يستحب ذلك؟ فأجاب: لم يصح في ذلك شيء، وهو مستحب إذا كان فيه رفق بجلسائه، أو قصد بذلك تعليمهم الأدب، أو كان في الطعام قلة، وكان ضيفا، أو كان شبعان وعرف أنه رفع يده يرفع غيره يده ممن له حاجة في الأكل أو نحو ذلك من المقاصد الصالحة انتهى.

الأكل بالأصابع

وقال العبادي إذا كان الطعام سمحا أستحب الأكل بجميع الأصابع، وإن كان جامدا أستحب بثلاثة. قال الشافعي رضي الله عنه: والأكل بإصبع واحدة من المقت، وبإصبعين من الكبر، وبثلاث أصابع من السنة، وبأربع وخمس من الشره. وفي الأوسط للطبراني عن كعب بن عجرة قال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/١٤٣

وسلم يأكل بأصابعه الثلاث قبل أن يمسحها: الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام " .قال الشيخ سراج الدين بن الملقن في شرح الترمذي: كأن السر فيه أن الوسطى أكثر تلوثا لأنها أطول، فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها، ولأنها لطولها أول ما تنزل في الطعام انتهى. وفي مسلم من حديث كعب بن عجرة قال: " رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها " . قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: فيحتمل هذا الحديث أن يكون أطلق على الأصابع اليد، ويحتمل وهو الأولى أن يكون المراد باليد الكف كلها، فيشمل الحكم من أكل بكفه كلها، أو بأصابعه فقط، أو ببعضها. ويؤخذ منه أن الأكل بثلاث أصابع هو السنة. قال عياض والأكل بأكثر منها من الشره وسوء الأدب كتكبير اللقمة، ولأنه غير مضطر إلى ذلك لجمع الطعام اللقمة وإمساكها من جهاتها الثلاث، فإن أضطر إلى ذلك لخفة الطعام وعدم تلقفه بالثلاث عمد الرابعة أو الخامسة. وقد أخرج سعيد بن منصور من مراسيل أبن شهاب: " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل أكل بخمس " فيجمع بينه وبين حديث كعب، باختلاف الحال انتهى.

من آداب الطعام أيضا

وينبغي للآكل أن يتوسط في أكله، فلا يقصر فيه حتى ينسب إلى التحشم، ولا يتابع فيه حتى ينسب إلى الشره والجوع والبخل، وأن لا يقضم الخبز بفمه ثم يضعه في الطعام، فإنه يورث قنافة، من حيث إنه قد يكون فمه أبخر، ولأن البصاق ينفصل على اللقمة من الفم إلى الطعام. ويسمى هذا النوع في كتاب " معايب الآكل " بالمهندس، من حيث إنه يصلح اللقمة ويهندسها ثم يضعها في الطعام وهو مذموم. وأن يضم شفتيه عند الأكل لمعنيين، أحدهما: أنه يأمن ما يتطاير من البصاق حال المضغ، وقد يقع ذلك في الطعام فيورث القنافة. الثاني: أنه إذا ضم شفتيه لفمه ترقق. وينبغي له عند السعال أن يحول وجهه عن الطعام أو يبعده عنه أو يجعل شيئا على فيه، لئلا يخرج منه بصاق فيقع في الطعام، وأن لا يطأطئ برأسه على الإناء حالة الأكل، وإذا كان المأكول بطيخا قد وضح على طبق أو غيره فينبغي له ألا يخلط ما أكله من القشر، بما لم يؤكل، لأنه يورث القنافة وتنفيرا عن أكل الباقي، ولا يرمي القشر، لأن في رميه كلفة في جمعه ليطرح في المزبلة، وربما نالت القشور رأس الجليس فصدمته، أو تقابل منها شيء حالة الرمي، بل يجعله على حدة.." (١)

" فالبشرى لأهل الإسلام بما نحن عليه من الهمم المصروفة إلى الاستعداد وجمع العساكر التي تكون لها الملائكة الكرام إن شاء الله تعالى من الأنجاد والاستكثار من الجيوش الإسلامية المتوفرة العدد المتكاثرة

(١) فص الخواتم فيما قيل في الولائم، ص/١٥

المدد الموعودة بالنصر الذي يحفها في الظعن والإقامة الواثقة به من قوله (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على عدوهم إلى يوم القيامة)

المبلغة في نصر دين الله آمالا المستعدة لإجابة داعي الله إذا قال (انفروا خفافا وثقالا)

وأما رسلهم فلان وفلان فقد وصلوا إلينا ووفدوا علينا وأكرمنا وفادتهم وغزرنا لأجل مرسلهم من الإقبال مادتهم وسمعنا خطابهم وأعدنا عليهم جوابهم هذا مع كوننا لم يخف علينا انحطاط قدرهم ولا ضعف أمرهم وأنهم ما دفعوا لأفواه الخطوب إلا لما ارتكبوه من ذنوب وما كان ينبغي أن يرسل مثل هؤلاء لمثلنا من مثله ولا ينتدب لمثل هذا الأمر المهم إلا من يجمع على فصل خطابه وفضله

وأما ما التمسوه من الهدايا والتحف فلو قدموا من هداياهم حسنة لعوضناهم بأحسن منها ولو أتحفونا بتحفة لقابلناها بأجل عوض عنها

وقد كان عمهم الملك أحمد راسل والدنا الشهيد وناجى بالهدايا والتحف من مكان بعيد وتقرب إلى قلبه بحسن الخطاب فأحسن له الجواب وأتى البيوت من أبوابها **بحسن الأدب** وتمسك من الملاطفة بأقوى سبب

والآن فحيث انتهت الأجوبة إلى حدها وأدركت الأنفة من مقابلة ذلك الخطاب غاية قصدها فنقول إذا جنح الملك للسلم جنحنا لها وإذا دخل في الملة المحمدية ممتثلا ما أمر الله تعالى به مجتنبا ما عنه نهى وانتظم في سلك الإيمان وتمسك بموجباته تمسك المتشرف بدخوله فيه لا المنان وتجنب التشبه بمن قال ." (١)

" وهذه نسخة توقيع بنظر الحسبة الشريفة من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله مضافا إلى نظر أوقاف الملوك وهي

الحمد لله مثيب من احتسب ومجيب المنيب فيما أكتسب

نحمده حمدا رسب الأدب صرب الطرب ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ظاهرة الحسب طاهرة النسب ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل من انتدى وانتدب وأدب أمته **فأحسن الأدب** صلى الله عليه و سلم وآله وصحبه صلاة يكتتم أجرها فيكتتب ويستتم بها كل صلاح ويغتنم بها كلا فلاح وسلم تسليما كثيرا

---

(١) صبح الأعشى، ٢٧١/٧

وبعد فإن الحسبة الشريفة هي قانون جواد الأوضاع ومضمون مواد الإجماع تجمع إلى الشريعة الشريفة سياسة يرهب جدها ويرهف حدها وتخشى الرعايا سطوات مباشرها وتتنحى عما تصبه سيول بوادرها وأصحابها الآلة التي هي أخت السيف في التأثير ولكل منهما سطوة تخاف لا فرق بينهما إلا ما بين التأنيث والتذكير وله التصرف المطلق والتعرف الذي يفتح من الحوانيب على أربابها كل باب مغلق ولركوبه في المدينة زينة يحشر لها الناس ضحى ورهبة يغدو بها كل أمين لشأنه مصلحا وإليه الرجوع في كل تقويم وهو المرجو في كل أمر عظيم وهي بدمشق حرسها الله تعالى من أجل المناصب التي تتعلق عو اليها بيد متوليها وتؤمل منازل البدور وإن ربها ترجع إلى تصريفه أزمة الأمور وينتجع سحابه الهطل غمامة الجمهور وتحيا به سنة عمرية لولاها لضاقت رحاب المعاملات وضاعت بالغش المعايش ." (١)

"أغتدي: أخرج غدوة، والطير ساكنة لم تطر، ويروى في وكراتها، والوكر حيث يسقط الطائر للمبيت أي موضعها التي تبيت فيها، والوكر أيضا: مواضع العش، والوكنات في الجبال كالتماريد في السهل واحدها تمراد وهو برج صغير للحمام الواحدة وكنة، وهي الوقنات أيضا وقد وكن الطائر يكن ووقن يقن ووكر يكر؛ إذا أوى إلى وكن. وقيل لا واحد لها فمن قال واحدها وكنة، جمع وكنة على وكنات، كما تقول غرفة وغرفات فهذا الجيد ليفرق بين الاسم والنفس فتقول في النعت حلو حلوات وفي الاسم الذي ليس بنعت وكنة وكنات وركبة ركبات وإن شئت أبدلت من الضمة فتحة فقلت ركبات، وإن شئت أسكنت لثقل الضمة فقلت وكنات وغرفات. وإن شئت أبدلت من الواو همزة فقلت أكنات ومثله [قوله تعالى] (إذا الرسل أقتت) وإنما هو الوقت وفيه القراءتان وقال أبو حاتم جمع وكرا على وكر ثم جمع وكرا على وكرات، وكذلك وكنات فهي جمع الجمع، والواو في الطير واو الحال والجملة في موضع نصب حال، يقول قد أغتدي في هذه الحال بفرس منجرد فأقام النعت مقام المنعوت أي قصير الشعر والأوابد الوحش، وكذلك أوابد الشعر وتقديره قيد الأوابد تقييد ذي الأوابد ثم حذف ذي الأوابد. والمعنى أن هذه الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد. وهذا الكلام جيد بالغ لم يسبقه إليه أحد والهيكل الضخم.

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

أي يصلح للكر والفر، إذا أقبل حسن الإقبال وإن أدبر **حسن الأدبار**، وقوله معا أي عنده هذا وعنده هذا، كما يقال فارس راجل أي قد جمع هذين والجلمود الصخرة الملساء التي ليست بالكبيرة، وحطه أي حدره السيل بقوته، من عل أي من مكان عال، وفيه ثمان لغات تقول جئته من عل ومن عل ياهذا، ومن علو يا

---

(١) صبح الأعشى، ١٢/٦٠

هذا، ومن علو، ومن علا وأنشد يونس.

فهي تنوش الحوض نوشا من علا ... نوشا به تقطع أجواز الفلا

ويقال حئتك من عال ومن مع ال، ومن معالى.." (١)

"وذا انصرافي إلى محلي

أآذن أيها الأمير

يقول الذي نلت منه بشربه نال مني بتغيير اعضائي والأخذ من عقلي ثم تعجب مما تفعله الخمر وهذا كما قال الطائي، وكأس كمعسول الأماني شربتها، ولكنها أجلت وقد شربت عقلي، إذا اليد نالتها بوتر توترت، على ضغنها ثم استقادت من الرجل، وكما قال ايضا، أفيكم فتى حي فيخبرني عني، بما شربت مشروبة الراح من ذهني وعرض عليه الصحبة في غد فقال

وجدت المدامة غلابة

تهيج للقلب أشواقه

غلابة تغلب العقل والحزن وتحرك الشوق كما قال البحتري، من قهوة تنسى الهموم وتبعث، الشوق الذي قد ضل في الأحشاء،

تسيء من المرء تأديبه

ولكن تحسن أخلاقه

أراد بسوء الأدب حركاته المفرطة وقول الخنا والعربدة وبحسن الخلق السماحة

وأنفس ما للفتى لبه

وذو اللب يكره إنفاقه

اعز ما للانسان عقله والعاقل يكره اخراج العقل من نفسه

وقد مت أمس بها موتة

وما يشتهي الموت من ذاقه

جعل غلبة السكر عقله كالموت ثم قال ومات مرة لا يشتهي العود إليه وقال يصف لعبة أحضرت المجلس على صورة جارية

وجارية شعرها شطرها

---

(١) شرح المعلقت التسع، ص/٦٩

محكمة نافذ أمرها

يعني أن شعر رأسها طويل قد بلغ نصف بدنها حكمها أهل المجلس واطاعوها فيما تأمرهم لأنها كانت تدور فإذا وقفت بحذاء واحد منهم شرب فأمرها نافذ عليهم

تدور وفي يدها طاقة

تضمنها مكرها شبرها

كانت قد وضعت في كفها طاقة ريحان أو نرجس كرها لأنها لم تأخذها طوعا

فإن أسكرتنا ففي جهلها

بما فعلته بنا عذرها

أي أن اسكرتنا بوقوفها حذاءنا فجهلها ما فعلت عذر لها لأنها لا تعلم ما فعلت واديرت فوقفت حذاء أبي الطيب فقال

جارية ما لجسمها روح

بالقلب من حبها تباريح

يعني أن القلوب تحبها للطف صورتها والتباريح الشدائد

في يدها طاقة تشير بها

لكل طيب من طيبها ريح

أي كل طيب يستفيد طيب الرائحة منها لأنها أطيب الأشياء ريحا

سأشرب الكاس عن إشارتها

ودمع عيني في الخد مسفوح." (١)

"أي أردت أن أشبهها بشيء فوجدت تشبيها معدوما ويجوز أن يريد بالتشبيه المفعول وهو المشبه به يقول اردت مشبها لها فكان مستحيل الوجود فإن قيل هذا يناقض ما قبله لأنه ذكر التشبيه قلنا ذلك تشبيه جزءي لأنه ذكر خضرة النبات على حمرة التراب في التشبيه وأراد في هذا البيت تشبيه الجملة فلم يتعارضا

وإذا رجعت إلى الحقا

ئق فهي واحدة لأوحد

أي هي واحدة في الحسن لأوحد في المجد.

---

(١) شرح ديوان المتنبي، ٢٦١/١

وقال فيه أيضا

ووقت وفى بالدهر لي عند واحد

وفي لي بأهليه وزاد كثيرا

يريد أن وقتي عند يفي بجميع الزمان كما أن الممدوح يفي بكل إنسان.

شربت على استحسان ضوء جبينه

وزهر ترى للماء فيه خريرا

غدا الناس مثليهم به لا عدمته

وأصبح دهري في ذراه دهورا

أي هو عالم مثل الناس كلهم فالناس به عالمون ودهره عظيم القدر به فقد صار به الدهر دهورا.

وقال يصف مجلسين له متقابلين على مثال ربربين قد شدا بقلس

المجلسان على التمييز بينهما

مقابلان ولكن أحسنا الأدبا

يقول هما وإن ميز بينهما مقابلان وكل واحد منهما قد **احسن الأدب** ثم ذكر ذلك الأدب فقال.

إذا صعدت إلى ذا مال ذا رهبا

وإن صعدت إلى ذا مال ذا رهبا

يقول إذا صعدت إلى احدهما فجلست فيه مال الآخر هيبة لك حين هجرته.

فلم يهابك ما لا حس يردعه

أني لأبصر من فعليهما عجبا

واقبل الليل وهما في بستان فقال:

زال النهار ونور منك يوهمنا

أن لم يزل ولجنح الليل إجنان

أي إذا ابصرنا نور وهجك ظننا أن النهار باق لم يزل مع أن الليل قد اظلم.

وإن يكن طلب البستان يمسكنا

فرح فكل مكان مكن بستان

يقول إن كان يسمكنا في هذا البستان طلب البستان لتكون فيه فسر منه فكل مكان كنت فيه فهو بستان.

وكره الشرب فلما كثر البخور وارتفعت رائحة الند بمجلسه قال:

أنشر الكباء ووجه الأمير

وحسن الغناء وصافي الخمور

النشر الرائحة الطيبة والكباء العود الذي يتبخر به وخبر المبتداء محذوف للعلم به كأنـه قال اتجتمع هذه الاشياء لأحد كما اجتمعت لي.." (١)

"ألا أذهب وجها ألا أصبت فيه مت يغنيني: فإن خلالا خمسا من تزودهن كفينه في كل وجه، وآنسنه في غربة، وقربن له البعيد، وأكسبنه المعاش الإخوان: أولهن كف الأذى والثانية **حسن الأدب**، والثالثة مجانبة الريب والرابعة كرم الخلق، والخامسة النبل في العمل. وإذا خاف الإنسان على نفسه شيئا طابت نفسه عن المال والأهل والولد والوطن: فإنه يرجو الخلف من ذلك كله ولا يرجو عن النفس خلفا. وشر المال ما لا إنفاق منه وشر الأزواج التي لا تواتي بعلها، وشر الولد العاصي العاق لوالديه وشر الإخوان الخاذل لأخيه عند النكبات والشدائد، وشر الملوك الذي يخافه البريء، ولا يواظب على حفظ أهل مملكته، وشر البلاد بلاد بلا خصب فيها ولا أمن، وإنه لا أمن لي عندك أيها الملك ولا طمأنينة لي في جوارك. وثم ودع الملك وطار. فهذا مثل ذوي الأوتار الذين لا ينبغي لبعضهم أن يثق ببعض.." (٢)

"وإنما هو الوقت وفيه القراءتان وقال أبو حاتم جمع وكرا على وكر ثم جمع وكرا على وكرات، وكذلك وكنات فهي جمع الجمع، والواو في الطير واو الحال والجملة في موضع نصب حال، يقول قد أغتدي في هذه الحال بفرس منجرد فأقام النعت مقام المنعوت أي قصير الشعر والأوابد الوحش، وكذلك أوابد الشعر وتقديره قيد الأوابد تقييد ذي الأوابد ثم حذف ذي الأوابد. والمعنى أن هذه الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد. وهذا الكلام جيد بالغ لم يسبقه إليه أحد والهيكل الضخم.

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

أي يصلح للكر والفر، إذا أقبل حسن الإقبال وإن أدبر **حسن الأدبار**، وقوله معا أي عنده هذا وعنده هذا، كما يقال فارس راجل أي قد جمع هذين والجلمود الصخرة الملساء التي ليست بالكبيرة، وحطه أي حدره

---

(١) شرح ديوان المتنبي، ٣٤٣/١

(٢) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/٢٦١

السيل بقوته، من عل أي من مكان عال، وفيه ثمان لغات تقول جئته من عل ومن عل يـ ه ذا، ومن علو يا هذا، ومن علو، ومن علا وأنشد يونس.." (١)

"منه الغرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم حوالينا ولا علينا [١] ، فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالإكليل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره، فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال: أجل [٢] .

قال ابن هشام: وقوله «وشبرقه» عن غير ابن إسحاق.

(الأسماء التي وردت في قصيدة أبي طالب) :

قال ابن إسحاق: والغياطل: من بني سهم بن عمرو بن هصيص، وأبو سفيان ابن حرب ابن أمية. ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف. وزهير

---

[١] هو من **حسن الأدب** في الدعاء: لأنها رحمة الله ونعمته المطلوبة منه، فكيف يطلب منه رفع نعمته وكشف رحمته؟

[٢] قال السهيلي: «فان قيل كيف قال أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ولم يره قط استسقى وإنما كانت استسقا آته عليه الصلاة والسلام بالمدينة في سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له؟ فالجواب: أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضا في حياة عبد المطلب ما دله على ما قال.

روى أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي النيسابورى أن رقيقة بنت أبى صيفي بن هاشم قالت: تتابعت على قريش سنو جدب قد أقحلت الظلف وأرقت العظم، فبينا أنا راقدة للهم أو مهدمة ومعى صنوي. إذا أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول: يا معشر قريش: إن هذا النبي المبعوث منكم، هذا إبان نجومه، فحيهلا بالحيا والخصب، ألا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاما أبيض أشم العرنين له فخر يكظم

---

(١) شرح المعلقات التسع أبو عمرو الشيباني ص/١٦١

عليه، ألا فليخص هو وولده وليدلف إليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا إلا وفيهم الطيب الطاهر لذاته، ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم، إلا فغثتم أبدا ما عشتم. قالت: فأصبحت مذعورة قد قف جلدي، ووله عقلي، فاقتصصت رؤياي، فو الحرمة والحرم، إن بقي أبطحي إلا قال هذا شيبة الحمد، وتتامت عنده قريش وانقض إليه الناس من كل بطن رجل فشنوا ومسوا واستلموا وطوفوا، ثم ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يدقون حوله ما إن يدرك سعيهم مهلة حتى قروا بذروة الجبل، واستكفوا جنابيه. فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع، أو قد كرب ثم قال: اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم، ومسئول غير مبخل، وهذه عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنتهم فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثا مريعا مغدقا. فما راموا والبيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بثجيجه» .." (١)

"قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

الرسول عليه السلام يستسقي لأهل المدينة ويود لو أن أبا طالب حي ليرى ذلك: قال ابن هشام: وحدثني من أثق به، قال: أقحط أهل المدينة، فأتوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فشكوا ذلك إليه، فصعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المنبر فاستسقى١ فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي٢ يشكون منه الغرق؛ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "اللهم حوالينا ولا علينا" ٣، فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالإكليل، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره"، فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال: "أجل".

قال ابن هشام: وقوله "وشبرقه" عن غير ابن إسحاق.

ذكر الأسماء التي وردت في قصيدة أبي طالب: قال ابن إسحاق: والغياطل: من بني سهم بن عمرو بن هصيص، وأبو سفيان بن حرب بن أمية. ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف. وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أمه عاتكة بنت عبد المطلب. قال ابن إسحاق: وأسيد، وبكره: عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. وعثمان بن عبيد الله، أخو طلحة بن عبيد الله التيمي. وقنفذ بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. وأبو

(١) سيرة ابن هشام ت السقا عبد الملك بن هشام ٢٨١/١

الوليد عتبة بن ربيعة. وأبو الأخنس بن شريق الثقفي، حليف بني زهرة بن كلاب.

---

١ حديث الاستسقاء بالمدينة حديث مروي من طرق كثيرة وبألفاظ مختلفة.

٢ الضواحي: جمع ضاحية، وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكن من المطر، ولا منجاة من السيول، وقيل: ضاحية كل بلد، خارجه.

٣ وقوله عليه السلام: "اللهم حوالينا، ولا علينا" كقوله في حديث آخر: "اللهم منابت الشجر، وبطون الأودية، وظهور الآكام"، فلم يقل: اللهم ارفعه عنا هو من **حسن الأدب** في الدعاء؛ لأنها رحمة الله، ونعمته المطلوبة منه، فكيف يطلب منه رفع نعمته، وكشف رحمته، وإنما يسئل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء.." (١)

"" إن أحمق الحمق الفجور، وأمثل الأشياء ترك الفضول، وقلة السقط لزوم الصواب، وخير الأمور مغبة ألا تني في استصلاح المال، وإياك والتبذير فإن التبذير مفتاح اليؤس، ومن التواني والعجز نتجت الهلكة، وأحوج الناس إلى الغنى من لا يصلحه إلا الغنى – وأولئك الملوك –، وحب المديح رأس الضياع، وفي المشورة صلاح الرعية ومادة الرأي، ورضا الناس غاية لا تدرك، فتحر الخير بجهدك، ولا تحفل سخط من رضاه الجور، ومعالجة العقاب سفه، وتعود الصبر، لكل شيء ضراوة، فضر لسانك بالخير، وتوكل بالمهم، ووكل بالصغير، وأخر الغضب فإن القدرة من ورائك، وأقل الناس في البخل عذرا أقلهم تخوفا للفقر، وأقبح أعمال المقتدرين الانتقام، جاز بالحسنة، ولا تكافئ بالسيئة، فإن أغني الناس عن الحقد من عظم خطره عن المجازاة، وإن الكريم غير المدافع إذا صال بمنزلة اللئيم البطر، من حسد من دونه قل عذره، ومن حسد من فوقه فقد أتعب نفسه، من جعل لحسن الظن نصيبا روح عن قلبه، وأصدر به أمره ".

وكتب الحارث بن أبي شمر الغساني ملك عرب الشام إلى أكثم بن صيفي بن رباح، أن هرقل نزل بنا، فقامت خطباء غسان فتلقته بأمر حسن، فوافقه، فأعجب به، فعجب من رأيهم وأحلامهم، وأعجبني ما رأيت منهم، ففخرت بهم عليه، فقال: هذا أدبي فإن جهلت ذاك فانظر، هل بجزيرة العرب مثل هؤلاء حكمة، وعقولا، وألسنة.

فكتب إليه أكثم: " إن المروءة أن تكون عالما كجاهل، وناطقا كعيي، والعلم مرشدة، وترك ادعائه ينفي الحسد، والصمت يكسب المحبة، وفضل القول على الفعل لؤم، وفضل الفعل على القول مكرمة، ولم يلز

---

(١) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد عبد الملك بن هشام ٢٥٢/١

الكذب بشيء إلا غلب عليه، وشر الخصال الكذب، والصديق من الصدق سمى، والقلب يتهم وإن صدق اللسان، والانقباض من الناس مكسبة للعداوة، والتقرب من الناس مجلبة لجليس السوء، فكن من الناس بين المنقبض والمسترسل، وخير الأمور أوساطها، وأفضل القرناء المرأة الصالحة، وعند الخوف حسن العمل، ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من علمه زاجر " أي لم يحفل بمرشد "، ومن أهمل نفسه أمكن عدوه " أو قال تمكن من عدوه " على أسوأ عمله، وفسولة الوزراء أضر من بعض الأعداء، وأول الغيظ الوهن ".

قالوا: وكتب النعمان بن المنذر إلى أكثم، وذكر ملك من ملوك فارس رجال العرب وعداوة بعضهم لبعض، وحالهم في بلادهم، فقال الفارس: هذا لخفة أحرمهم، وقلة عقولهم.

فكتب إلى أكثم أن اعهد إلينا أمرا نعجب به فارس ونرغبهم به في العرب.

فكتب أكثم: " لن يهلك امرؤ حتى يضيع الرأي عند فعله، ويستبد على قومه بأموره، ويعجب بما ظهر من مرؤته ويغتر بقوته، والأمر يأتيه من قومه، وليس للمختال في حسن الثناء نصيب، والجهل قوة الخرق، والخرق قوة الغضب، وإلى الله تصير المصائر، ومن أتى مكروها إلى أحد فبنفسه بدأ، إن الهلكة إضاعة الرأي، والاستبداد على العشيرة يجر الجريرة، والعجب بالمروءة دليل على الفسولة، ومن اعتر بقوته فإن الأمر يأتيه من فوقه، لقاء الأحبة مسلاة للهم، من أشر ما لا ينبغي إعلانه ولم يعلن للأعداء سريرته سلم الناس عليه، والعي أن تكلم يفوق ما تسد به حاجتك، وينبغي لمن عقل ألا يثق بإخاء من لم تضطره إليه حاجة، وأقل الناس راحة الحقود، ومن أتى على يديه غير عامد فأعفه من الملامة " أو اللائمة "، ولا تعاقب على الذنوب إلا بقدر عقوبة الذنب فتكون مذنبا، ومن تعمد الذنب لم تحل الرحمة دون عقوبته، والأدب رفق، والرفق يمن، والخرق شؤم، وخير السخاء ما وافق الحاجة، وخير العفو ما كان مع القدرة، **ومن سوء الأدب** كثرة العتاب، ومن اغتر بقوته وهن، ولا مروءة لغاش، ومن سفه حلمه هان أمره، والأحداث تأتي بغتة، وليس في قدرة القادر حيلة، ولا صواب مع العجب، ولا بقاء مع بغي، ولا تثقن بمن لم تختبره ".

أخبرن أبو ورق قال، حدثنا أبو حاتم قال، وذكر ابن الكلبي، عن عيسى ابن لقمان، عن محمد بن حاطب الجمحي قال: عاش ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ابن عمرو بن هصيص مائتي سنة، ولم يشب شيبة قط، وأدرك الإسلام فلم يسلم.

وقد اختلف في إسلامه، فقالت نائحته بعد موته:

من يأمن الحدثان بعد ... ضبيرة السهمي ماتا

سبقت منيته المشيب ... وكان ميتته افتلاتا." (١)

"ويقال: إن مخلد بن يزيد بن المهلب هو الذي أعطاه، لأن أباه قد كان قدمه خليفة على خراسان، فكان يقول بعد موت مخلد: رحم الله مخلدا، ما ترك لي بعده من قول.

قالوا: وقدم قيس بن زهير على النمر بن قاسط بعد الهباءة ليقيم فيهم، فقال: يا معشر النمر، أنا قيس بن زهير، غريب، حريب، فانظروا إلى امرأة قد أذلها الفقرر وأدبها الغنى، لها حسب وجمال، فزوجونها.

فنظروا له امرأة على ما وصف، يقال لها " ظبية " ابنة الكيس النمري.

فقال لهم: إني ل أقيم فيكم، إني فخور غيور آنف، ولعلني أن لا أغار حتى أرى، ولا أفخر حتى أسمع، ولا آنف حتى أظلم.

فأقام حتى ولد له غلام، فسماه " خليفة " ثم بدا له أن يرتحل عنهم، فقال لهم: " إن لكم عي حقا، وإني أوصيكم بخصال فاحفظوها، عليكم بالأناة فإن بها تنال الفرصة، وتسويد من لا تعابون بتسويده، والوفاء، فإن يعيش الناس، وإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة، ومنع ما تريدون منعه قبل القسر، وإجلرة الجار على الدهر، وتنفيس المنازل عن بيوت الأيامى، وخلط الضيف بالعيال.

وأنهاكم عن الرهان فإني به أثكلت مالكا، وعن البغي فإنه صرع زهيرا، وعن السرف في الدماء، فإن قتل أهل الهباءة ألزمني العار، ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق، ولا تبيتوا بعراص الغدر، وإياكم وعورات الناس، ولا تردوا النساء عن الأكفاء فإن لم تصيبوا الأكفاء فإن خير أزواجهن القبر، واعلموا أني أصبحت ظالما مظلوما، ظلمني بنو بدر بقتل مالك، فقتلت من لا ذنب له.

ثم قال:

إن يوم الهباءة أورثني الذل ... فأصبحت ظالما مظلوما

كان ظلمي قتل سراة بني بدر ... فأصبحت بعدهم مرحوما

فخضبت السنان من ثغر القوم ... وكانوا للناظرين نجوما

كان ثاري لمالك بن زهير ... واحدا كان فيهم معلوما

فقتلت الجميع من حذر الثكل ... لقد كنت في الدماء نهوما

كان ظلمي، وكان ظلمهم أمس ... عظيما ورأيهم موصوما

---

(١) المعمرون والوصايا السجستاني، أبو حاتم ص/٧

لطم القوم داحسا حذر السبق ... لقد كان داحس مشئوما

ظلمونا بقتلنا وظلمنا ... معشرا كان يومهم محتوما

إن للنمر في إجارتها الجار ... وأمن الطريد حظا عظيما

يأمن الجار فيهم وترى وسطهم ... ذا خئولة معموما

يملأ الدلو قبل دلو أخي النمر ... وما حوض جارهم مهدوما

وصية مجاشع ذكروا أن مجاشع بن شريف، أو مخاسن بن معاوية بن شريف قل في حرب النعمان بن الشقيقة: " يا بني تميم، أقل الناس رحمة الملوك، إن الملوك ينككلون بالشقي السعيد، ومنجاة من ناوأ الملوك الصبر وكتمان السر، وأول الظفر الاجتماع، وأول البلاء الفشل، وآفة الكرم جوار اللئام، وقد غلب على الكرم من سبق إليه، احفظوا ألسنتكم يعم عدوكم كيدكم، إنه من كتم سره عمى كيده على عدوه ".

وصية أسيد بن أوس ذكروا أن أسيد بن أوس انطلق إلى الحارث بن الهبولة الغساني، وكان أسيد أخا معاوية بن شريف لأمه، وأمها ماوية بنت الرضا البارقي، يستمده في حرب ابن الشقيقة، فلما قدم عليه قال: " إنما يوثق في الشدة بذي القرابة، وبصفاء الإخوان، وبصدق أهل الوفاء، إن خير السجية ما لم يتكلف، وخير الأعوان على البخل السخاء، والعفو منتهى البر، الزم البر يبرك بنوك، أخر الغضب وادفع بالإناة، وآخر الدواء الكي، وخير الثواب الشكر، وخطل القول غواية، ومنتهى البر الهوى، والصدق تمام المروءة، والكذب يفسد الفعال، وتصرف الأحوال بغير الرجال، وأغنى الخصال عن المادة العفاف، وخير السيرة العفو، وترك العقوبة يسل السخيمة ".

وصية صيفي بن رياح ذكروا أت صيفي بن رياح أبا أكثم بن صيفي قال: " سلطانك على أخيك على كل حال، فإذا أخذ السيف فلا سلطان لك عليه، وكفى بالمشرفية واعظا، وترك الفخر أبقى للثناء، وأسرع الجرم عقوبة البغى، وشر النصرة التعدي، والأم الأخلاق أضيفها، **ومن سوء الأدب** كثرة العتاب، واقرع الأرض بالعصا ". فذهبت مثلا.

وصية أبي جهم بن حذيفة العدوي." (١)

"ويرعد إرعاد الهجين أضاعه ... غداة الشمال الشمرج المتنصح

الهجين البختي ويكون من الرجال في غير هذا الموضع أيضا، والشمرج الثوب الخلق، والمتنصح المخيط في كل ناحية.

---

(١) المعمرون والوصايا السجستاني، أبو حاتم ص/٤٦

وقال أبو داود يصف حدة نفسه ونزقه بعد الجري:

فقلت لهم جللوه الثياب ... وشدوا الحزام وأرخوا اللبب

وضموا جناحيه أن يستطار ... فقد كان يأخذ **حسن الأدب**

وقال ابن أحمر:

ثم اقتحمت مناجدا ولزمته ... لفؤاده زجل كعزف الهدهد

مناجدا مشارا ولفؤاده صوت ووجيب مثل صوت الهدهد وهو عزفه، وقال طرفة يصف قلب ناقة:

وأروع نباض أحذ ململم ... كمرادة صخر من صفيح مصمد

الأروع الحديد، ومرادة صخر حجر يرمى به صلب شبهه به في صلابته، قال ابن مقبل:

يزع الذراع منه مثل ما ... يزع الدالي من الدلو الوذم

يزع يكف الذراع منه ويرفق به كما يرفق الدالي بالدلو يخاف على." (١)

"موكل النفس بحفظ الغيب ... أقصى رفيقيه له كالأجنب «١»

وقرأت في كتب العجم: حسن الخلق خير قرين، والأدب خير ميراث، والتوفيق خير قائد.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما تبالي المرأة إذا نزلت بين بيتن من الأنصار صالحين ألا تنزل من أبويها.

وقال جعفر بن محمد: حسن الجوار عمارة للدار، وصدقة السر مثراة للمال.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ثلاثة من قريش أحسنها أخلاقا وأصبحها وجوها وأشدها حياء، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم بحق أو باطل لم يكذبوك: أبو بكر الصديق، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم.

وقال يزيد بن الطثرية «٢» : [من الطويل]

وأبيض مثل السيف خادم رفقة ... أشم ترى سربا له قد تقددا «٣»

كريم على علاته لو تسبه ... لفداك رسلا لا تراه مربدا «٤»

يجيب بلبيه إذا ما دعوته ... ويحسب ما يدعى له الدهر أرشدا «٥»

وقرأت في كتاب للهند: من تزود خمسا بلغته وآنسته: كف الأذى، وحسن الخلق، ومجانبة الريب، والنبل في العمل، **وحسن الأدب**." (٢)

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٥٦/١

(٢) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ٢٩/٣

"ثم قال: أرجعي إليه فأنشديه هذا فإن شاء بعد فليردك.

قال ابن أبي طاهر اشترى عبد الله بن طاهر جارية المارقي بخمسة آلاف دينار، وأهداها إلى المأمون فلما أدخلت عليه قال لها: غني يا جارية، فغنت وهي قائمة. فقال لها: لم غنيت وأنت قائمة، وما منعك من الجلوس؟ فقالت يا سيدي: أمرتني أن أغنى ولم تأمرني أن أجلس فغنيت بأمرك، **وكرهت سوء الأدب** في الجلوس بغير إذنك. فوهب لها مالا واستحسن ذلك من فعلها.

وذكر عن أبي السمراء قال: كنت يوما عند أبي العباس عبد الله بن طاهر رضي الله عنه وليس في المجلس غيري وأنا بالقرب منه ودخل أبو الحسين إسحاق ابن إبراهيم فأستدناه أبو العباس وناجاه شيء أعتمد إسحاق على سيفه وأصغى لمناجاته وحولت وجهي وأنا ثابت مكاني وطالت النجوى بينهما وأعترتني حيرة فيما بين القعود على ما أنا عليه أو القيام وانقطع ما كانا فيه ورجع إسحاق إلى موقفه ونظر إلى أبو العباس فقال يا أبا السمراء: -

(إذا النجيان دسا عنك أمرهما ... فأرتج بسمعك تجهل ما يقولان)

(ولا تحملهما ثقلا بخوفهما ... به تناجيهما في المجلس الداني)

قال أبو السمراء فما رأيت أكرم منه، ولا أرفق تأديبا ترك مطالبتي في هفوتي بحق الأمراء وادبني أدب النظراء.

وذكر عن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب: أنه حضر أبا العباس عبد الله بن طاهر وعنده شيخ من الفرس فقال له الشيخ في عرض كلام جرى من حكم الفرس كلمتان أرويهما. فقال له أبو العباس وما هما؟ قال: كانت الفرس تقول لا توحش الحر فإن أوحشته فلا ترتبطه، وكانت تقول: أدابنك الله تعمل الشر فإني إذا رأيتك عاملا به رأيته واقعا بك.." (١)

"بن ابي سفيان وهو خليفة فدقت ثناياها وقالت أذات ثغر تراني بعد أبي عمرو رحمه الله فأيست من نفسها الخطاب.

وقال المدائني عن مجالد عن الشعبي قال نشزت سكينة بنت الحسين عليه السلام على عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حزام فدخلت أمه رملة بنت الزبير على عبد الملك فأخبرته بنشوز سكينة على ابنها وقالت يا أمير المؤمنين لولا أن نبتز أمورنا لم تكن لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا قال يا رملة إنها سكينة قالت وإن

---

(١) كتاب بغداد ابن طيفور ص/٩١

كانت سكينة فو الله لقد ولدنا خيرهم ونكحنا خيرهم قال يا رملة غرني منك عروة قالت ما غرك ولكنه نصحك انك قتلت أخي مصعبا فلم يأمني عليك قال وقيل لرملة بنت الزبير أو لزينب بنت الزبير ما بالك أهزل ما تكونين إذ قدم عليك زوجك قالت إن الحرة لا تضاجع زوجها بملء بطنها وقال خطب سعيد بن العاص عائشة بنت عثمان بن عفان فقالت لا أتزوج به والله أبدا فقيل لها ولم ذاك قالت لأنه أحمق له برذونان أشهبان فهو يتحمل مؤونة اثنين واللون واحد وقال الزبير ذكر رجل من قريش سوء خلق امرأته بين يدي جارية له كان يتحظاها فقالت له انما حظوظ الاماء لسوء خلائق النساء الحرائر.

ابن الكلبي الكاتب عن سهل بن هارون بن رهبوبي قال عزى المأمون أم الفضل بن سهل حين قتل وقال لها لا تجزعي عليه ففي خلف لك منه ولن تفقدي معي إلا وجهه قالت يا أمير المؤمنين كيف لا أجزع على ابن أكسبني ابنا مثلك وقال اشترى أمير المؤمنين كتاب جارية المارقي بخمسة الاف دينار فلما دخلت عليه قال لها غني يا جارية فغنت وهي قائمة فقال لها لم غنيت قائمة وما منعك من الجلوس قالت يا سيدي أمرتني أن أغني ولم تأمرني أن أجلس فغنيت بأمرك **وكرهت سوء الأدب** في الجلوس بغير أذنك فاستحسن فعلها وأمر لها بمال وأحظاها.

حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني عبد الله بن عبد الرحيم قال لما طلق عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس زينب بنت محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أمر ابنته حمادة أن تركب معها من منزله حيث انتقلت إلى منزل نزلته فمرت بها بين قصر عيس بن موسى وقصر موسى بن عيسى بن موسى فقالت زينب لمن هذان القصران فأخبرتها حمادة." (١)

"باب

نبذ من أقوال الحكماء

قال أبو العباس١ قال بعض الحكماء: من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا وكان يقال: من أدب ولده أرغم حاسده.

وقال رجل لعبد الملك بن مروان إني أريد آن أسر إليك شيئا، فقال عبد الملك لأصحابه: إذا شئتم، فنهضوا، فأراد الرجل الكلام، فقال له غبد الملك قف، لا تمدحني، فآنا أعلم بنفسي منك، ولا تكذبني، فإنه لا رأي لمكذوب ؟ ولا تغتب عندي احدا. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي في الانصراف؟ قال له: إذا شئت.

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٣٩

وقال بعض الحكماء: ثلاث لا غربة معهن: مجانبة الريب، **وحسن الأدب**، وكف الأذى.

وقال عمرو بن العاص لدهقان٢ نهر تيرى٣: بم ينبل الرجل عندكم ؟ فقال: بترك الكذب، فإنه لا يشرف إلا من يوثق بقوله، وبقيامه بأمر أهله، فإنه لا ينبل من يحتاج أهله إلى غيره، وبمجانبة الريب، فإنه لا يعز من لا يؤمن ألا يصادف على سوأة، وبالقيام بحاجات الناس، فإنه من رجي الفرج لديه كثت غاشيته.

وقال بزر جمهر: من كثر أدبه كثر شرفه، وإن كان قبل وضيعا، وبعد صيته وإن كان حاملا، وسادا وإن كلن غريبا، وكثرت الحاجة إليه وإن كان مقترا.

وكان يقال: عليكم بالأدب، فإنه صاحب في السفر، ومؤنس في الوحدة، وجمال في المحفل، وسبب إلى طلب الحاجة.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أفضل ما أعطيته العرب الأبيات. يقدمها الرجل أمام حاجته، فيستعطف بها الكريم، ويستنزل لها اللئيم.

---

١ ساقطة من ر.

٢ الدهقان: زعيم فلاحى العجم، ويطلق على رئيس الإقليم.

٣ نهر تيرى: موصع بناحية الأهواز.." (١)

"وقوله: "على جل حادث" فهو الجليل من الأمر، ويقال: فلان يدعى للجلى، قال طرفة:

وإن أدع للجلى أكن من حماتها١

وفيهم يقول الحطيئة٢:

لقد مريتكم لو أن درتكم ... يوما يجيء بها مسحي وإبساسي

لما بدا لي منكم غيب أنفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكم آسي

أزمعت يأسا مبينا من نوالكم ... ولا ترى طاردا للحر كالياس

ما كان ذنب بغيض لا أبالكم ... في بائس جاء يحدوا آخر الناس

جار لقوم أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيما بين أرماس

ملوا قراه وهرته كلابهم ... وجرحوه بأنياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١/٦٥

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

قوله: "لقد مريتكم" أصل، المري المسح، يقال مريت الناقة، إذا مسحت ضرعها لتدر، ويقال: مرى الفرس والناقة إذا قام أحدهما على ثلاث ومسح الأرض بيده الأخرى، قال الشاعر:

إذا حط عنها الرحل ألقت برأسها ... إلى شذب العيدان أو صنفت تمري٣

وهذا من أحسن أوصافها.

وقال بعض المحدثين يصف برذونا **بحسن الأدب٤**.

وإذا احتبى قربوسه بعنانه ... علك اللجام إلى انصراف الزائر٥

---

١ تمامة:

وإن تأتك الأعداء بالجهد فاجهد

٢ كلمة "الحطيئة" ساقطة من س.

٣ شذب العيدان: ما تفرق منها، الواحد شذبة.

٤ زيادات ر: "الشعر لمحمد بن يزيد" من ولد مسلمة بن عبد الملك، يصف فرسه، وقبله:

عودته فيما أزور حبابي ... إهماله وكذاك كل مخاطر

٥ القربوس: حنو السرج، العنان: سير اللجام الذي تمسك به.." (١)

"وسمع أبو بكر يوما قول لبيد «١» :

أخا لى أما كل شيء سألته ... فيعطى وأما كل ذنب فيغفر

فقال: ذاك رسول الله صلى الله عليه.

وحدثنى الرياشى قال: أنشد منشد أبا بكر قول زهير فى هرم بن سنان:

أن نعم معترك الجياع إذا ... خب السفير وسابئ الخمر «٢»

ولنعم حشو الدرع أنت إذا ... دعيت نزال ولج فى الذعر

ومرهق النيران يحمد فى ال ... لأواء غير ملعن القدر

وجعل أبو بكر رحمه الله يقول عند كل بيت: ذاك رسول الله، حتى أنشده:

والستردون الفاحشات وما ... يلقاك دون الخير من ستر

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٢/١٤٠

أى يكون لك سترا دون الفاحشات من دون الخيرات. فقال: هكذا كان والله رسول الله صلى الله عليه.

ثم قال: أشعر شعرائكم زهير.

باب منه [أخبار وأحاديث]

قال «٣» محمد بن على بن الحسين بن على- صلوات الله عليهم: إن الله جل وعز- أدب محمدا صلى الله عليه **أحسن الأدب**، فقال تبارك وتعالى:

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين.

فلم ا قبل عن ربه جل وعز، وعمل بما أمره به ربه أثنى عليه فقال:

وإنك لعلى خلق عظيم.." (١)

"يستحيي من ربه اليوم إلى أن يجيء قبض الثمن

مثل المصلي الساهي

مثل المصلي الذي يصلي ويكون ساهيا في قلبه كمثل رجل جنى في حق الأمير ثم ندم فاستجمع خدمه وخوله وتوجه إلى باب الملك معتذرا فلما قام بين يدي الملك بشاكريته وخدمه ووقف بهم عليه معتذرين مما كان منه ومن خدمه **من سوء الأدب** صفح عنه وحيي وأكرم ومن أقبل إلى الملك ثم زاغ عنه في الطريق وبعث بشاكريته وخدمه حتى وقفوا مقام الاعتذار ومحل الكرامة ولما أقبل الملك إليه ليقبل عذره ويحسن إليه أعرض عن مقام ٥٠ الاعتذار وشغل بنهماته وترك خدمه وخوله بين يدي الملك معتذرا منه أفليس من مقالة الملك أن يقول أنت الذي جنيت في حقي وتركت أمري وضيعت أموري وهؤلاء الخدم إنما حضروا لأجلك فأقمتهم مقام الاعتذار عنك واشتغلت بنهماتك أليس أنه ممقوت ولا يعبأ باعتذار خوله فيما هنالك

مثل الدعوات دون حضور القلب

وكذا مثل دعواته التي تجري على لس ا نه بدون حضور القلب رغبة ورهبة كمثل سائل يقف على باب يسأل شيئا ولم يلبث ومضى." (٢)

---

(١) الفاضل محمد بن يزيد المبرد ص/١٤

(٢) الأمثال من الكتاب والسنة الترمذي، الحكيم ص/٦٢

"حنيك السن «١» بصير بالأمور، فإذا ظفرت به فلا تباعده، فإن العاقل ليس بمانعك نصيحته وإن جفت.

وكان يقال: غريزة قعل لا يضيع معها عمل.

وكان يقال: أجل الأشياء أصلا وأحلاها ثمرة: صالح الأعمال، **وحسن الأدب**، وعقل مستعمل.

وكان يقال: التجارب ليس لها غاية والعاقل منها في الزيادة. ومما يؤكد هذا قول الشاعر:

ألم تر أن العقل زين لأهله ... وأن كمال العقل طول التجارب

ومكتوب في الحكمة: إن العاقل لا يغتر بمودة الكذوب ولا يثق بنصيحته.

ويقال: من فاته العقل والفتوة فرأس ماله الجهل.

ويقال: من عير الناس الشيء، ورضيه لنفسه فذاك الأحمق نفسه.

وكان يقال: العاقل دائم المودة، والأحمق سريع القطيعة.

وكان يقال: صديق كل امريء عقله، وعدوه جهله.

وكان يقال: المعجب لحوح والعاقل منه في مؤونة. وأما العجب فإنه الجهل والكبر.

وقيل: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه.

ويقال: ما شيء بأحسن من عقل زانه حلم، وحلم زانه علم، وعلم زانه صدق، وصدق زانه عمل، وعمل زانه رفق.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ليس العاقل من عرف الخير من." (١)

"مخدمون، كرام في مجالسهم ... وفي الرحال إذا رافقتهم خدم

وما أصاحب من قوم فأذكرهم ... إلا يزيدهم حبا إلي هم

الأدب في الحديث والاستماع

وقالت الحكماء: رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم، والإصغاء للمتكلم.

وذكر الشعبي قوما فقال: ما رأيت مثلهم أسد «١» تناوبا في مجلس، ولا أحسن فهما من محدث.

وقال الشعبي فيما يصف به عبد الملك بن مروان: والله ما علمته إلا آخذا بثلاث، تاركا لثلاث: آخذا بحسن الحديث إذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر المؤونة إذا خولف؛ تاركا لمجاوبة اللئيم، ومماراة «٢» السفيه، ومنازعة اللجوج.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٠٩/٢

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني، تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث؛ وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول؛ فاحذر أن تسرع في القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل، حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لم تقل أقرب منك إلى قول ما لم تفعل.

قالوا: من **حسن الأدب** ألا تغالب أحدا على كلامه، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه، وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه، ولا تقتحم عليه فيه، ولا تره أنك تعلمه، وإذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه ولا تظهر الظفر به، وتعلم حسن الاستماع، كما تعلم حسن الكلام.

وقال الحسن البصري: حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوههم.

وقال أبو عباد الكاتب: إذا أنكر المتكلم عين السامع فليسأله عن مقاطع حديثه." (١)

"باب **في سوء الأدب**

دخل عروة بن مسعود الثقفي على النبي صلى الله عليه وسلم: فجعل يحدثه ويشير بيده إليه حتى تمس لحيته، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده السيف، فقال له:

اقبض يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا ترجع إليك! فقبض يده عروة.

وعروة هذا عظيم القريتين الذي قالت فيه قريش: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم

«١» ويقال: إنه الوليد بن المغيرة المخزومي.

النبي صلى الله عليه وسلم ووفد تميم:

ولما قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم ناداه رجل منهم من وراء الجدار: يا محمد، اخرج إلينا.

فأنزل الله تعالى: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

«٢» وفي قراءة ابن مسعود: (بنو تميم أكثرهم لا يعقلون) وأنزل الله في ذلك: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا

«٣» .

أبو بكر وبائع ثوب:

ونظر أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى رجل يبيع ثوبا، فقال له: أتبيع الثوب؟ قال: لا عافاك الله! قال. لقد علمتم لو تتعلمون: قل: لا، وعافاك الله.

وخطب الحسن في دم، فأجابه صاحب الدم فقال: قد وضعت ذلك الدم لله ولوجوهكم. قال له الحسن:

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢/٢٦٤

ألا قلت: قد وضعت ذلك الدم لله خالصا؟

وذكر أعرابي رجلا بسوء الأدب فقال: إن حدثته سابقك إلى ذلك الحديث وإن تركته أخذ في الترهات «٤» .." (١)

"وقال احمد:

لنا صديق تارك للأدب ... إخوانه من نوكه في تعب

غير صدوق في أحاديثه ... وليس يدرى كيف وضع الكذب

مخالف يغضب عند الرضا ... جهلا ويرضى عند وقت الغضب

كأنه من سوء تأديبه ... أسلم فى **كتاب سوء الأدب**

وقال أيضا:

نفسى على حسراتها موقوفة ... فوددت لو خرجت من الحسرات

لو فى يدى حساب أيامي إذا ... ألقيته متطلبا لوفاتى

لم أبك حبا للحياة وانما ... أبكي مخافة أن تطول حياتى

وقال أيضا:

الناس فى الدنيا أحاديث ... تبقى ولا تبقى المواريث

فرحمة الله على هالك ... طابت له فيها الأحاديث

وقال أيضا:

يا سراح اسقنى القدح ... باح مولاك وافتضح

إن مولى مولاك عن ... جرم مولاك قد صفح

قال أبو بكر: وجدت بخط احمد بن اسماعيل: أهدى أحمد بن يوسف هدية إلى المأمون فى عيد وكتب اليه: هذا يوم جرت فيه العادة، باهداء العبيد للسادة، وقد أهديت لأمير المؤمنين قليلا من كثيره عندى، وقلت:

أهدى إلى سيده العبد ... ما ناله الإمكان والجهد

وانما أهدى له ماله ... يبدأ هذا ولذا رد." (٢)

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٢٢/٢

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٢١٦/١

"قصير العلم بليد الفكر، مرزوق في أيامه، محظوظ.

وأشاع الناس بأن ابن رايق يريد الصعود من واسط إلى بغداد ولحقه الناس من بغداد، فظن الساجية والحجرية أن ذلك بمكاتبة الراضي.

فتكلموا في ذلك فكتب إليه لا تجيء ووجه بماكرد وينال وعبد الله بن علي كاتب نسيم؛ يناشدونه في مقامه وقدموا من عنده يوم الخميس لست خلون من شهر ربيع الآخر.

ومات في هذا الوقت علي بن العباس النوبختي وقد قارب ثمانين سنة وكان **حسن الأدب** والشعر وكان ابنه الحسين يكتب لابن رايق ويدبره أمره. وقدم شيخ هاشمي من سر من رأى يقال له إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى فحدث واجتمع إليه، وذكروا أنه ولد سنة أربع وعشرين ومائتين. وكان عنده علو إسناد مفقود في وقته، الموطأ عن مالك عن أبي مصعب الزبيري وروى عن أبي سعيد الأشج وعبد الجبار بن العلاء العطار. فتكلم الناس في سماعه والتهبت له سوق ثم طفئت ورجع إلى سر من رأى.

واستحق الساجية والحجرية، فطالب الوزير مياسير التجار بأموال يعجلونها ويكتب لهم بها سفاتج فاستتروا. وضرب ابن جبير الدقاق، وأخذ منه مال وأمر من كان ينزل بسور المدينة أن ينتقل لتباع المنازل ووجه الحسن بن عبد الله بمائة كر دقيقا، يفرق بسر من رأى وببغداد على الأشراف والضعفى، ففرح به الناس وحدرت زواريق كثيرة للتجار فصلح السعر. وبلغ الحجرية والساجية أن بدرا الخرشني." (١)

"٥٥٥- محمد بن عبد الله الليثي: أندلسي محدث. دخل المشرق، ورويت عنه «١» .

٥٥٦- محمد بن عبد الله بن أحمد بن شعيب بن أبي عرابة العرابي «٢» : كان كريما سمحا، وكانت له بمصر منزلة عند السلطان والعامة. توفي بمصر يوم الأحد لست خلون من شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائة «٣» .

٥٥٧- محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن مطرف»

: يكنى أبا الميمون.

مديني، قدم مصر في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وخرج عن مصر في شهور سنة أربعين وثلاثمائة «٥» . حدث بمصر عن ثابت بن نعيم بن معن، وأبي ذهل عبيد بن الغازي، وعبيد الله المعمري، وبكر بن سهل. وكان أخباريا **حسن الأدب**، وكان في سمعه ثقل قليل «٦» .

٥٥٨- محمد بن عبد الله بن الأشعث الفهري: أندلسي محدث. مات بالأندلس «٧» .

---

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٢/٧٦

٥٥٩- محمد بن عبد الله بن حيون: من أهل إلبيرة. حدث. توفى سنة خمس وستين ومائتين «٨» .." [1]

"(٤) فهرست التاريخ والحضارة

(حرف الهمزة) * الإباضية: ١٧٦/٤٦١.

* اتصال معاوية بن صالح الحمصى بعبد الرحمن بن معاوية لدى دخوله الأندلس وامتلاكها، وإرساله إياه إلى الشام فى بعض أمره، ثم توليته قضاء الجماعة بالأندلس: ٢٣٤/٦٢٧.

* إجبار محمد بن عبد الله بن قيس الكنانى (أبى محرز) على الجلوس للقضاء: ٢١٤/٥٦٦.

* أحد أمراء المغرب: ٧٩/٢٠٠.

* أحد العشرة التابعين: ٣٧/٩٣.

* أحد فقهاء الأندلس: ١٧٧/٤٦٢.

* أحد وجوه أهل مصر: ١٣١/٣٤٠.

* أخبار قدوم حنظلة بن صفوان الكلبى من المغرب إلى مصر سنة ١٢٧ هـ بعد إخراج عبد الرحمن بن حبيب الفهرى له منها: ٦٩/١٦٩.

* أخبارى **حسن الأدب**: ٢١٠/٥٥٧.

* أديب عاقل: ٢٣٩/٦٣٩.

* استخلفه أبوه على إفريقية إلى أقاصى المغرب: ١٤٢/٣٧٣.

* استخلاف مروان بن الحكم ابنه عبد العزيز على مصر: ١٢٩/٣٣٨- ١٣٠.

* استخلاف موسى بن نصير ابنه عبد العزيز على الأندلس، وكتابة سليمان بن عبد الملك إلى الجند بقتله، والإتيان برأسه: ١٣٠/٣٣٩.

* استشهاد خلف بن سعيد المنيى بالأندلس سنة ٣٠٥ هـ: ٧٥/١٨٧.

* استشهد فى أقصى ثغور الأندلس: ٢٤٥/٦٥٢.

* استشهد فى قتال الروم سنة ٢٨٨ هـ: ١٢٦/٣٢٤.

* استعمال عمر بن عبد العزيز إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر على إفريقية:

---

(١) تاريخ ابن يونس المصرى ابن يونس ٢١٠/٢

.٣٧/٩٣

* استوزره بعض الأمراء: ١٢٧/٣٢٨.." (١)

" بي فغضب وقال ما تقول ويلك قلت لا أعلم فسل من حضر فأقبل على مسرور وحسين فسألهما عن القصة فجعلا يخبرانه ووجهه يتربد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة فسري عنه ورجع لونه وقال لإبراهيم ماله ذنب شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك ارجع إلى موضعك وأمسك عن هذا

فلما انقضى المجلس وانصرف الناس أمر بألا أبرح وخرج كل من حضر حتى لم يبق غيري فساء ظني وأهمتني نفسي فأقبل علي وقال ويلك يا إسحاق أتراني لم أفهم قولك ومرادك قد والله زنيته ثلاث مرات أتراني لا أعرف وقائعك وأقدامك وأين ذهبت ويلك لا تعد حدثني عنك لو ضربك إبراهيم أكنت أقتص لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل أتراك لو أمر غلمانه فقتلوك أكنت أقتله بك فقلت يا أمير المؤمنين قد والله قتلتني بهذا الكلام ولئن بلغه ليقتلني وما أشك في أنه قد بلغه الآن فصاح بمسرور الخادم وقال علي بإبراهيم الساعة فأحضر وقال قم فانصرف وقلت لجماعة من الخدم وكلهم كان لي محبا وإلي مائلا ولي مطيعا أخبروني بما يجري فأخبروني من غد أنه لما دخل وبخه وجهله وقال له أتستخف بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي وتقدم علي وتستخف بمجلسي وحضرتي هاه هاه أتقدم على هذا وأمثاله وأنت مالك وللغناء وما يدريك ما هو ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهم أنك تبلغ مبلغ إسحاق الذي غذي به وعلمه وهو صناعته ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه أليس هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك وغلبة لذتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تحكمه ." (٢)

" ذكر أبي دلف ونسبه وأخباره

هو القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومحله في الشجاعة وعلو المحل عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد **وحسن الأدب** وجودة الشعر محل ليس لكبير أحد من نظرائه وذكر ذلك أجمع مما لا معنى له لطوله وفي هذا القدر من أخباره مقنع وله أشعار جياد وصنعة كثيرة حسنة فمن جيد شعره وله فيه صنعة قوله

---

(١) تاريخ ابن يونس المصرى ابن يونس ٤٩٥/٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٠٨/٥

صوت

(بنفسي يا جنان وأنت مني ... محل الروح من جسد الجبان)

(ولو أني أقول مكان نفسي ... خشيت عليك بادرة الزمان)

(لإقدامي إذا ما الخيل حامت ... وهاب كماتها حر الطعان)

وله فيه لحن وهذا البيت الأول أخذه من كلام إبراهيم النظام

أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال

لقي إبراهيم النظام غلاما حسن الوجه فاستحسنه وأراد كلامه فعارضه ." (١)

" (إذ قمت ليلا على البلاط فأبصرت ... ربيبا فليت لم أقم)

(فقلت عوجي تخبري خبرا ... وأنت منه كصاحب الحلم)

(قالت بل اخشى العيون إذ حضرت ... حولي وقلبي مباشر الألم) عروضه من المنسرح

والشعر والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق

وذكر محمد بن الفضل الهاشمي قال حدثنا أبي قال كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة في مجلسه فناظر بين يديه محمد بن العباس الصولي علي بن الهيثم جونقا في الإمامة فتقلدها أحدهما ودفعها الآخر فلجت المناظرة بينهما إلى أن نبط محمد عليا فقال له علي إنما تكلمت بلسان غيرك ولو كنت في غير هذا المجلس لسمعت أكثر مما قلت فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قاله وما كان منه **من سوء الأدب** بحضرته ونهض عن فرشه ونهض الجلساء فخرجوا وأراد محمد الانصراف فمنعه علي بن صالح صاحب المصلى وهو إذ ذاك يحجب المأمون وقال أفعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ونهض على الحال التي رأيت ثم تنصرف بغير إذن اجلس حتى نعرف رأيه فيك

وأمر بأن يجلس

قال ومكث المأمون ساعة فجلس على سريره وأمر بالجلساء فردوا إليه فدخل إليه علي بن صالح فعرفه ما كان من قول علي بن محمد في الانصراف وما كان من منعه إياه فقال دعه ينصرف إلى لعنة الله فانصرف وقال المأمون لجلسائه أتدرون لم دخلت إلى النساء في هذا الوقت قالوا لا

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨/٢٥٦

قال إنه لما كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمن فلتات الغضب وله بنا حرمة فدخلت إلى النساء فعابثتهن حتى سكن غضبي ." (١)

" يا فاعل مثل دعبل تنفيه خزاعة والله لو كان من غيرها لرغبت فيه حتى تدعيه دعبل والله يا أخي خزاعة كلها

دعبل والمطلب بن عبد الله بن مالك

أخبرني محمد بن المرزبان قال حدثني إبراهيم بن محمد الوراق عن الحسين بن أبي السري عن عبد الله بن أبي الشيص قال حدثني دعبل قال

حججت أنا وأخي رزين وأخذنا كتبا إلى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولاها فصرنا من مكة إلى مصر فصحبنا رجل يعرف بأحمد بن فلان السراج نسي عبد الله بن أبي الشيص اسم أبيه فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا ويتولى خدمتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع

وأريناه **حسن الأدب** وكان شاعرا ولم نعلم وكتمنا نفسه وقد علم ما قصدنا له فعرضنا عليه أن يقول في المطلب قصيدة ننحله إياها

فقال إن شئتم وأرانا بذلك سرورا وتقبلا له فعملنا قصيدة وقلنا له تنشدها المطلب فإنك تنتفع بها

فقال نعم ووردنا مصر به فدخلنا إلى المطلب وأوصلنا إليه كتبا كانت معنا وأنشدناه

فسر بموضعنا ووصفنا له أحمد السراج هذا وذكرنا له أمره فأذن له فدخل عليه ونحن نظن أنه سينشد القصيدة التي نحلناه إياها فلما مثل بين يديه عدل عنها وأنشده

(لم آت مطلبا إلا بمطلب ... وهمة بلغت بي غاية الرتب) ." (٢)

"قوله: «وإن عفت أمرا مدبر الوجه»، هو من العيافة والزجر، كما يخرج العائف في طلب الرزق فيتعفف الطير ويزجر، وربما صادف خيرا في وجهه، وربما أخفق، وللعرب في هذا مذاهب مأثورة.

ومنه قول الأعشى:

ما يعيف اليوم في الطير الروح

أي: الرائحة، يقال: رائح وروح، مثل: غائب وغيب.

وقوله: «فواقا كلا ولا» أي: الاستراحة بهذا المقدار، قول القائل: «لا لا». وفي التنزيل: «مالها من فواق»

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥/٢٢٥

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٠/١٧٤

قيل: من استراحة وهذا من أبي تمام عذب حسن، استعمل فيه **حسن الأدب**.

والجيد الحسن الحلو لفظا ومعنى قول الآخر:

قد يبلغ المشتاق موضع شوقه ... سرى البحتريات البعيد كلالها

تركت سواد الشك وانحزت طالبا ... بياض الثريا حيث مال ذبالها

وقال أبو تمام يعاتب على التعبيس والقطوب:." (١)

"٦٨ إسحاق المصعبي تحركه رقاع أصحاب الأرباع في بغداد

وحدثني «١» ، قال: حدثني أبو يحيى بن مكرم، القاضي البغدادي «٢» ، قال: حدثني أبي، قال: كان في جواري شيخ يعرف بأبي عبيدة، **حسن الأدب**، كثير الرواية للأخبار، وكان ينادم إسحاق بن إبراهيم المصعبي «٣» .

فحدثني: إن إسحاق استدعاه ذات ليلة، في نصف الليل، بعدة رسل.

قال: فهالني ذلك، وأوحشني، لما أعرفه من زعارة أخلاقه، وشدة إسراعه إلى القتل، وخفت أن يكون قد نقم علي شيئا في العشرة، أو بلغه عني باطل، فأحفظه «٤» ، فيقتلني.

فخرجت طائر العقل، حتى أتيت داره.

فأدخلت من دار إلى أخرى، إلى أن أدخلت دار الحرم، فاشتد جزعي، ثم أدخلت إلى حجرة لطيفة، فسمعت في دهليزها، بكاء امرأة، متخافتا، وهو جالس على كرسي، وبين يديه سيف مسلول.." (٢)

"٨٠ كن صحيحا تكن فصيحا

من «١» أمثال العامة: كن صحيحا، تكن «٢» فصيحا.

ومن أمثالهم في هذا المعنى: إذا كان بولك صحيحا، فاضرب به وجه الطبيب.

أي إذا كنت سليما، فلا تبال ما صنعت.

٨١ **حسن الأدب** بين يدي الله

سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري «٣» ، يقول: سمعت جعفرا الخلدي «٤» ، يقول: سمعت

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٥٤٧/٣

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ١٠١/٣

جنيدا «٥» ، يقول: سمعت سريا السقطي «٦» ، يقول:

الناس في الأعمال يتقاربون، وإنما قارب من قارب «٧» ، **بحسن الأدب** «٨» بين يدي الله تعالى.." (١)

"فقال: يا أبا جعفر، التراب والجندل بفيك وعلى رأسك، والويل والويح محيطان بك، أتطمع أن تعلمهم بهذه الهيبة؟ حفت بك اللعنة والخيبة، أسبابك أفسدت، أمن قدري بضحكك وضعت؟ أم سترك عند هؤلاء الأنكاد هتكت؟ أشهد الله، لا أكلمك، أو تعتذر.

وأخذ أبو جعفر، يداريه، ويعتذر إليه، حتى رضي لوقته.

وكان يقول الشعر، وينشده أبا جعفر دائما، وما حفظت منه شيئا.

ولولا أن هذه الألفاظ، تعاودناها في المكتب ونحن صبيان، لم تعلق بحفظي، فلما ترعرعت، كتبتها [١١٩] في موضع، وأنسيتها، ثم نقلتها منه، إلى هذا الموضع، وبقيت عندي إلى الآن.

١٠١ مؤدب يتشاتم مع التلاميذ

وسمعت، وأنا في الكتاب، أنه جاء إلى معلمي، فأسلم إليه ابنه، فقال له: لم نقلته من عند المعلم الأول؟ قال: لأنني جزت به يوما، والصبيان يتشاتمون، وهو لا يمنعهم بأكثر من أن يقول: قيدوا ألفاظكم، أخزى الله حرماتكم، لا تتشاتموا يا بني البظر.

وإذا هو، ليس يمنعهم **من سوء الأدب**، ويدخل في جملة المتشاتمين، فنقلته.." (٢)

"٩٤: ٦٢: أجر الطبيب عن سقي دهن الخروع

٩٥: ٦٣: ابن الوزير علي بن عيسى، يمنع والديه من الاجتماع

٩٦: ٦٤: الوزير أبو علي بن مقلة يثني على القاضي أبي عمر

٩٧: ٦٥: الخليفة المعتضد يبحث عن حجة لقتل وزيره

٩٩: ٦٦: عمرو بن الليث الصفار يعاقب واحدا من حرسه

١٠٠: ٦٧: حميد الطوسي يأمر بقتل الطباخ لأنه لم ينضج دجاجة

١٠١: ٦٨: إسحاق المصعبي تحركه رقاع أصحاب الأرباع في بغداد

١٠٤: ٦٩: شغف المتوكل بالعود الهندي

١١٤: ٧٠: الكاتب بشر بن هارون النصراني يهجو وزيرا

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ١٢٣/٣

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ١٤٨/٣

١١٥: ٧١: رأي الوزير ابن الفرات في سياسة المملكة

١١٦: ٧٢: الخليفة لا يخاتل

١١٧: ٧٣: علم الخرق وعلم الورق

١١٨: ٧٤: المواساة بخل إنما هو الإيثار

١١٩: ٧٥: الجنيد والسائل

١١٩: ٧٦: جعفر الخلدي يحج على التوكل

١٢٠: ٧٧: كتم رويم حب الدنيا أربعين سنة

١٢١: ٧٨: البريء جريء والخائن خائف

١٢٢: ٧٩: الجاهل ميت والعاصي سكران

١٢٣: ٨٠: كن صحيحا تكن فصيحا

١٢٣: ٨١: **حسن الأدب** بين يدي الله تعالى

١٢٤: ٨٢: ابن نصرويه يشاور شابا

١٢٥: ٨٣: الوزير المهلبي ينعى علي أبي تمام الزينبي نقص مروءته

١٢٦: ٨٤: الوزير المهلبي يفاضل بين ابن عبد الواحد والزينبي." (١)

"محمد بن الفضل الجرجرائي أبو جعفر الكاتب. كان يكتب للفضل ابن مروان ثم وزر للمتوكل وهو شيخ ظريف **حسن الأدب** عالم بالغناء توفي سنة خمسين ومائتين وقد نيف على الثمانين. وله مع إسحاق الموصلي أخبار ومكاتبات. ومنها قوله وقد اعتذر إليه من تقصير كان منه في لقائه:

خل أتى ذنبا إلي وإنني ... لشريكه في الذنب إن لم أغفر

فمحا بإحسان إساءة فعله ... وأزال بالمعروف قبح المنكر

وله يقول لبعض كتابه:

تعجل إذا ما كان أمن وغبطة ... وأبط إذا ما استعرض الخوف والهرج

ولا تيأسن من فرجة أن تنالها ... لعل الذي ترجوه من حيث لا ترجو

وله يقول لنجاح بن سلمة:

إن من الإخوان من وده ... على ديمومة تلمع

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ٢٩٦/٣

يخاله الظمآن ماء ولا ... ماء به من ظمأ ينقع

وأنت منهم غير شك فما ... ترجع عن غي ولا تقلع

محمد بن غياث الكاتب. له رسائل حسان وكان يألف أحمد بن الخصيب قبل وزارته فلما وزر أحمد أحسن إليه فامتدحه بشعر منه:

هذا الوزير أبو العباس قد نجمت ... به المكارم واستعلت به الرتب

سموه أحمد فالإسلام يحمده ... والدهر كاسم أبيه ممرع خصب

فلا فضائل إلا منه أولها ... ولا مواهب إلا دون ما يهب

وله في شجاع بن القاسم كاتب أو تامش لما قتل:

فقد الخير حين ولى شجاع ... وأزيلت بفقده الأطماع

قيل أودى بقتله العي والجه؟ ... ل مقال تمجه الأسماع

ولخير عندي من العاقل المو ... رد ما ظن جاهل يفاع

وله في جعفر بن محمود لما صرف عن وزارة المعتز:

في غير أمن الله يا جعفر ... زلت فزال الخوف والمنكر

بلغت أمرا لست أهلا له ... باعك عما دونه يقصر

كنت كثوب زانه طيه ... حينا فأبدى عيبه المنشر

ما ينفع المنظر من جاهل ... بأمره ليس له مخبر

ومدح في هذه الأبيات عيسى بن فرخانشاه لأنه وزر بعد جعفر للمعتز.." (١)

"فقال: أنا شيخ كبير السن، على هذه الصورة التي ترى، وقد أحرقتني الشمس، وكادت تتلفني، وأنا أريد جبل، فاحملوني معكم، فإن الله، عز وجل، يحسن أجر صاحبكم.

قال: فشتمه الملاح، وانتهره.

فأدركتني عليه رقة، وقلت للغلام: خذه معنا، فقدم إلى الشط، وصحنا به، وحملناه.

فلما صار معنا في الزلال وانحدرنا؛ تقدمت، فدفع إليه قميص ومنديل، وغسل وجهه، واستراح، فكأنه كان ميتا عاد إلى الدنيا.

وحضر وقت الغداء، فتذممت وقلت للغلام: هاته يأكل معنا.

---

(١) معجم الشعراء المرزباني ص/٤٣٣

فجاء وقعد على الطعام، فأكل أكل أديب نظيف، غير أن الجوع قد أثر فيه.

فلما رفعت المائدة؛ أردت أن يقوم ويغسل يده ناحية، كما يفعل العامة، في مجالس الخاصة، فلم يفعل، فغسلت يدي.

وتذممت أن آمر بقيامه، فقلت: قدموا له الطست، فغسل يده، وأردت بعدها أن يقوم لأنام، فلم يفعل.

فقلت: يا شيخ، أيش صناعتك؟ قال: حائك، أصلحك الله.

فقلت في نفسي: هذا الحياكة **علمته سوء الأدب**، فتناومت عليه، ومددت رجلي.

فقال: قد سألتني عن صناعتي، فأجبتك، فأنت، أعزك الله، ما صناعتك؟." (١)

"إسحاق المصعبي تحركه رقاع أصحاب الأرباع ببغداد

حدثني عبد الله بن محمد بن داسة البصري رحمه الله، قال: حدثني أبو يحيى بن مكرم، القاضي البغدادي، قال: حدثني أبي، قال: كان في جواري، رجل يعرف بأبي عبيدة، **حسن الأدب**، كثير الرواية للأخبار، وكان قديما ينادم إسحاق بن إبراهيم المصعبي، فحدثني: أن إسحاق استدعاه ذات ليلة، في نصف الليل.

قال: فهالني ذلك، وأفزعني، لما كنت أعرفه منه، من زعارة الأخلاق، وشدة الإسراع إلى القتل، وخفت أن يكون قد نقم علي شيئا في العشرة، أو بلغ عني باطلا، فأحفظه، فيسرع إلى قتلي، قبل كشف حالي.

فخرجت طائر العقل، حتى أتيت داره، فأدخلت إلى بعض دور الحرم، فاشتد جزعي، وذهب علي أمري.

فانتهي بي إليه، وهو في حجرة لطيفة، فسمعت في دهليزها بكاء امرأة ونحيبها، ودخلت، فإذا هو جالس على كرسي، وبيده سيف مسلول، وهو مطرق، فأيقنت بالقتل.

فسلمت، ووقفت، فرفع رأسه وقال: اجلس أبا عبيدة، فسكن روعي، وجلست.

فرمى إلي رقاعا كانت بين يديه، وقال: اقرأ هذه." (٢)

"وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى ... فهيج أحزان الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلي طائرا كان في صدري

قال: هذه والله قصتي، كنت أهوى جارية يقال لها خشف، فكان مني ما رأيت ونالني مثل ما نال المجنون.

كتاب سوء الأدب

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٣٠٨/٣

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٥/٤

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الشامي بهراة، قال: أخبرني علي بن الجعد، قال: كتب أبو يوسف القاضي يوما وعن يمينه إنسان، فلاحظه يقرأ ما يكتب، ففطن به أبو يوسف، فقال له: وقفت على شيء من خطأ؟ قال: لا، والله، ولا حرف. فقال له أبو يوسف: جزيت خيرا كفيتنا مؤونة قراءته، ثم أنشأ يقول:

كأنه من سوء تأدابه ... تعلم في **كتاب سوء الأدب**

لم يدعه يسأل غيره

حدثنا عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: حدثني سليمان بن منصور الخزاعي، قال: حدثنا أبو سفيان الحميري، عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري، قال: قدم أعرابي المدينة يطلب في أربع ديات حنلها، فقيل له: عليك بحسن ابن علي، وعليك بعبد بن جعفر، وعليك بسعيد بن العاص، وعليك بعبد الله بن العباس، فدخل المسجد فرأى رجلا يخرج ومعه جماعة، فقال: من هذا؟ قيل: سعيد بن العاص، قال: هذا أحد أصحابي الذين ذكروا لي، فمشى معه فأخبره بالذي قدم له، ومن ذكره وأنه أحدهم، وهو ساكت لا يجيبه، فلما بلغ باب منزله قال لخازنه: قل لهذا الأعرابي فليأت بمن يحمل له، فقيل له: ائت بمن يحمل، قال: عافي الله سعيدا، إنما سألناه ورقا ولم نسأله تمرا، قال: ويحك ائت بمن يحمل لك، فأخرج إليه أربعين ألفا، فاحتملها الأعرابي فمضى إلى البادية ولم يلق غيره.

كيف خلصه الله من الغلام

حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلجن قال: حدثنا الحسين بن فهم، قال: حدثنا عمر بن شية، عن فلان من أهل البصرة، قال: مررت بالنخاسين ببغداد فإذا أنا برجل ينادي على غلام نظيف له هيئة وجمال، وهو يقول: من يشتري غلاما سارقا آبقا قتولا لمواليه؟ فعد خلال سوء، قال: فقلت: يا غلام! ما هذه الصفات بك؟ قال: فقال لي: امض إلى عملك إن أردت أن تمضي، فإن مولاي يريد أن يستعيبني بهذا، قال: فرغبني هذا الكلام فيه، فقلت للمنادي: بعنيه، فقال: مع كل ما وصفت من الخلال المذمومة فيه؟ قال: فقلت: ارم بثمن هذا في البحر.

فاشتريته بسبعة عشر دينارا وصرت به إلى منزلي، فمكث شهورا لا أرى إلا كل خلة." (١)

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٣٤٤

"ذا القرنين ما أنت صانع. فقال له ذو القرنين: هل لك في صحبتي فأتخذ ك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هذا المال؟ قال: ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعا. قال ذو القرنين: ولم؟ قال: من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق، قال: ولم ذاك؟ قال: يعادونك لما في يدك من الملك والمال والدنيا، ولا أجد أحدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء، فانصرف عنه ذو القرنين.

قال القاضي: في هذا الخبر ما إذا اعتبره ذو اللب وفكر فيه وتأمله أداه بتوفيق الله جل وعز إلى الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة. ولذي القرنين عندنا في هذا المعنى أخبار تأتي متفرقة فيما يأتي من مجالس هذا الكتاب إن شاء الله.

جود أبي دلف وجود أبي البختري

حدثنا عبد الله بن منصور الحارثي قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال: أنشدني ابن أبي دلف قول ابن أبي فنن في أبيه أبي دلف:

ما لي وما لك قد كلفتني شططا ... حمل السلاح وقول الدارعين قف

أمن رجال المنايا خلتني رجلا ... أمسي وأصبح مشتاقا إلى التلف

تسعى المنايا إلى غيري فأكرهها ... فكيف أسعى إليها عاري الكتف

يا هل حسبت سواد الليل غيرني ... وأن روحي في جنبي أبي دلف

قال: فبعث إليه أبو دلف بخمسمائة دينار، فقلت له: هلا فعل أبوك كما فعل أبو البختري القاضي؟ قال: وما فعل؟ قلت: روي لنا أن رجلا باذ الهيئة دخل على قوم وهم على شراب لهم فحطوا مرتبته في الشراب فقال:

نبيذان في مجلس واحد ... لإيثار مثر على مقتر

ولو كنت تفعل ذا في الطعام ... لزمت قياسك في المسكر

ولو كنت تسلك سبل الكرام ... سلكت سبيل أبي البختري

تتبع إخوانه في البلاد ... فأغنى المقل عن المكثر

قال: فبعث إليه أبو البختري بألف دينار.

قال القاضي: وفي غير هذه الرواية قبل البيت الأول من هذه الأبيات:

تأمل قبيح الذي جئته ... تجده خلوف فم الأبخر

وهذا من قبيح اله جاء وفيه مبالغة في الذم عجيبة. وأنشدنا في هذا المعنى.
رأيت نبيذين في مجلس ... فقلت لساق لنا ما السبب
فقال الذي نحن في بيته ... يفضل قوما بسوء الأدب." (١)
"لاث به الأشياء والعبري
وأما السدرة التي تكون متوسطة بين الماء وبين البر فإنها تسمى الأشكلة. قال آخر:
وأنتم أناس تقمصون من القنا ... إذا مار في أكتافكم وتأطرا

امتحان شمر يرعش لبنيه
حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن الشرقي بن القطامي قال: كان شمر يرعش الملك الحميري ميمون النقيبة مغضور الناصية مظفرا بعيد الصيت وطاء للسعد، وملك ثمانيا وأربعين سنة، هكذا يقول لأهل اليمن في سيرة ملوكهم فلما تقاربت أيامه وأشفى على انقضاء مدته، وهو شمر يرعش بن تبع بن ياسر ينعم تبع بن عمرو ذي الأذعار تبع بن أبرهة ذي المنار تبع بن الرائش تبع بن قيس بن صيفي، جمع بينه وهم ثلاثة: دريد ومكنف وشرحبيل، فقال: تناهت المدة، وتقضت العدة، وجاء مالا يدفع، وحل مالا يمنع، وقد بلغت من السن مدى في دونه تنجذ التجارب ذا الحجى، وإني ملق إليكم كلاما ا ستدل بجوابه على ألبابكم، وأسبر به حصافة رويتكم، لتطمئن نفسي عند فراقكم: أنا لي خلفا أذكر به وإن كان غناء ذلك عني قليلا فقالوا: قل: فقال: ما المجد؟ فقالوا: ابتناء المكارم، وحمل المغارم، والاضطلاع بالعظائم، وظلف النفس عن ركوب المظالم. قال: فما الشرف؟ قالوا: كرم الجوار، وصيانة الأقدار، وبذل المطلوب في اليسر والإعسار. قال: فما الدناءة؟ قالوا: تتبع التافه اليسير، ومنع النزر الحقير. قال: فما المروة؟ قالو: سمو الهمة، وصيانة النفس عن المذمة قال: فما الكلفة قالوا: التماس ما لا يعنيك ومطالبة مالا يؤاتيك. قال: فما الحلم؟ قالوا: كظم الغيظ، وضبط النفس عند الغضب، وبذل العفو عند القدرة. قال: فما الجهل؟ قالوا: معاجلة الوثوب، والغباوة بعواقب الخطوب. قال: فما الجرأة؟ قالوا: حفظ ما استرعيت، ومجانبة ما استكفيت. قال: فما الأربة؟ قالوا: انتظار الفرصة، والتوقف عند الشبهة. قال: فما الشجاعة؟ قالوا: صدق البأس، والصبر عند المراس. قال: فما العجز؟ قالوا: العجلة قبل الاستمكان، والتأني بعد الفرصة. قال: فما الجبن؟ قالوا: النزق عند الفزع، والهلع عند الجزع. قال: فما

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٦٥٢

السماحة؟ قالوا حسن البشر عند السؤال واستقلال كثير النوال قال فما الشح. قالوا: أن ترى القليل إسرافا، والبذل إتلافا. قال: فما الظرف؟ قالوا: حسن المجاورة، ولين المعاشرة. قال: فما الصلف؟ قالوا: التعظم مع صغر القدر، واستشعار الكبر مع قلة الوفر. قال: فما الفهم؟ قالوا: لسان مراع، وقلب واع. قال: فما الغنى؟ قالوا: قلة التمني والرضى بما يكفي قال فما السؤدد قالوا: اصطناع العشيرة، وحمل الجريرة. قال: فما السنا؟ قالوا: **حسن الأدب**، ورعاية الحسب. قال: فما اللؤم؟ قالوا؛ إحراز النفس وإسلام العرس. قال: فما الدناءة؟ قالوا: الجلوس على الخسف،." (١)

"بينا ترى في الزق مسحوبة ... إذ حكمت أن يسحب الساحب

مسلوبة في الدن مغلوبة ... لها اقتدار سالب غالب

ومثله قول ابن المعتز:

نباكرها ولنا قدرة علي ... ها وتمسي لها القدره

فعند الصباح لها حمرة ... وعند المساء لها سكره

تضاحك في الكأس كف الف ... تى وفي نفسها للفتى عذره

وجميع ما قيل أشرح وأعذب من قوله والسابق أولى به.

ويليها أبيات أولها:

وجدت المدامة عذابة ... تهيج للقلب أشواقه

قال فيها:

تسيء من المرء تأديبه ... ولكن تحسن أخلاقه

لو استعمل مكان) تأديبه () تمييزه (صح وصفه إياها **لأن سوء الأدب** أولى بسوء الخلق، وقد قال الشاعر:

رأيت أقل الناس عقلا إذا انتشى ... أقلهم عقلا إذا كان صاحيا

تزيد حمياها السفيه سفاهة ... وتترك أخلاق الكريم كما هيا

فخبر بزيادة سوء أدب السيئ الأدب وزيادة حسن أخلاق الكريم وهو صحيح وقال المتنبي

وأنفس ما للفتى لبه ... وذو اللب يكره إنفاقه." (٢)

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٦٦٢

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٦٧٣

"اذا بصروا نارا يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب

فغضب سليمان، وقال لنصيب: أنشد مولاك فانشد

أقول لركب قافلين تيمموا ... فقاذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبرونا عن سليمان إننى ... لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فاثنوا بالذى أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فأعطاه وحرم الفرزدق، قلنا: وشعر الفرزدق أحسن وأجود، وأكثر طلاوة، وأبين بلاغة وفصاحة، ولكنه مفارق لحسن الأدب، ولما يوجبه العقل، لأن العاقل لا يفتخر بحضرة السلطان، ولا يمدح نفسه عند الملوك، وأعقل الناس أخضعهم للسلطان، والكبر عليهم هلكة.

أول لواء عقد

أخبرنا أبو القاسم عن العقدى عن ابى جعفر عن المدائنى عن رجاله قال:

أول لواء عقده رسول الله– صلى الله عليه وسلم– لواء أبيض لحمزة، حمله مرثد حليف حمزة فى السنة التى هاجر فيها فى شهر رمضان، بعثه فى ثلاثين رجلا من المهاجرين يعترض عير قريش مقبلة من الشام، فلقى أبا جهل وأبا سفيان فى ثلاثمائة، فحجز مجدى بن عمرو الجهنى بينهم، فانصرفوا من غير قتال.

وكانت رايته يوم حنين سوداء من برد لعائشة، وأول ما عقدت الرايات يومئذ، وكانت قبل ذلك الألوية.

وكانت راية على يوم صفين سوداء، يحملها الحضين بن المنذر، أبو ساسان، وحضين بالضاد المعجمة، وليس فى العرب." (١)

"قال بعض السلف: إذا صح العقل التحم بالأدب التحام الطعام بالجسد الصحيح، وإذا مرض العقل نبا عنه ما يسمع من الأدب، كما يقيء الممعود ما أكل من الطعام، وإن آثر الجاهل أن يتعلم شيئا من الأدب تحول ذلك الأدب جهلا، كما يتحول ما خالط جوف المريض من طيب الطعام داء.

وقال أيضا: أحمد العقلاء من عقله عن صحة طبيعة، ورأيه عن سبب معرفة، وعلمه من قبل حجة، ومنطقه عن صدق مقال، وفعله عن حسن نية، وأدبه عن فضل رغبة، وعطاياه عن شجاعة غريزة، وأمانته عن عفاف، وأجتهاده في قصد سبيل.

وقال أيضا: ثم وصل صحة الطبيعة بحسن العادة، وذكاء العقل بشدة الفحص، ونفاذ الرأي بدرك المنافع،

---

(١) الأوائل للعسكري العسكري، أبو هلال ص/١٢٠

وحسن المنطق بخير العرض، وحسن العمل بالفقه في الدين، **وحسن الأدب** بكثرة التعهد، وبث العطايا بصواب الموضع، وفضل الورع بفضل الحرية.." (١)

"ومر فلان يعتصي على عصا أي يتوكأ عليها، وعصاه أي ضربه بالعصا. والعصا من العصية أي بعض الأمر من بعض؛ هذا كله عن الأصمعي.

قال أرسطاطاليس: سوء العادة كمين لا يؤمن وثوبه.

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: خلتان ليس معهما غربة: **حسن الأدب** وتجنب الريب.

شاعر: الطويل

فتى لا تراه الدهر إلا مشمرا ... ليدرك مجدا أو ليرغم لوما

تبسمت الأموال عن طيب ذكره ... وإن كان يبكيها إذا ما تبسما

وقال علي رضي الله عنه لرجل حروري: نوم على يقين خير من صلاة على شك.

دخل ابن عباس على بعض الأنصار في وليمة لهم فقاموا له، فأستحيى من ذلك وقال: بالإيواء والنصر إلا جلستم.." (٢)

"مع عيسى، فأبى فقال: أتأنف ويحك أن تكون معه؟ قال: يا أمير المؤمنين، إني حلفت يمينا لا أكون على أمير المؤمنين في جد ولا هزل.

قيل لأعرابي: كيف ترى الدهر؟ قال: خدوعا خلوبا، وثوبا غلوبا.

قال رجل لمتكلم: ما الدليل على صانع العالم؟ قال: شعرة أمك، فإنها تحلقها فتنبت وتعلم أن لها منبتا، فقال الرجل: إن كان هذا دليلا على إثبات الصانع فإن بظر أمك يدل على نفي الصانع، لأنها إذا قطعته لم ينبت؛ فانقطع المتكلم.

والسفه في المتكلمين فاش، وسوء الأدب عندهم من أجود سلاح، والمكابرة من أكبر عدة، ولهذا يجتمعون فلا ينفع الله باجتماعهم وبتعاطيهم وبأهوائهم. وما زال هذا الدين بهي المنظر مهيب المخبر، عذب المورد محمود المصدر، حتى تكلم هؤلاء القوم فأثاروا الشبه، وأقاموا الحجج، وطرحوا في القلوب العار، وحملوا الألسنة على الإنكار؛ كفى الله المسلمين شرهم، إنه نعم الكافي والمعين.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ١٣/٢

(٢) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ٢٥/٢

قال أبو عبيدة: السحاب فحل الأرض.

قال المدائني: كان فروخ العلج موسرا، فزوج إلى بعض أشراف." (١)

"٣٢ – وقال آخر: أعد لصديقك بذلك، ولعدوك عذلك.

٣٣ – وقال أعرابي: ليس العمل للوفاء، كالسعي للرجاء.

٣٤ – وقال آخر: رب بعيد لا يفقد بره، وقريب لا يؤمن شره.

٣٥ – وقال آخر: من أحم قرم، ومن تهور ندم ٣٦ – وقال آخر: أبين العجز قلة الحيلة، وملازمة الحليلة.

٣٧ – وقيل لصوفي: كيف أنت؟ قال: طلبت فلم أرزق، وحرمت فلم أصبر.

٣٨ – وقال بعض الهند في كتابه: لا ظفر مع بغي، ولا صحة مع حرص، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع خب، ولا شرف **مع سوء الأدب**، ولا بر مع شح، ولا اجتناب محرم مع حرص، ولا ولاية حكم مع عدم فقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع غيبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سؤدد مع انتقام، ولا رياسة مع عجب، ولا صواب مع استبداد، ولا ثبات مع جهل الوزراء.

٣٩ – قال عبد الملك الكاتب: تزوج بعض أصحابنا سرا من أهله، فأولدها بنتا ولم يكن هناك بينة، ثم عشق أخرى وفارقها وجحد ابنتها، وكان يأتي الجديد على السفاح، فاحتالت القديمة حتى علمت حضوره عند الزانية، ثم مضت إلى صاحب الرفع وسلمتها إليه، ثم وجهت إلى زوجها: إني إن." (٢)

"وعاد هذا الشيخ في مجلس آخر، فقال له: أتقول إن الله جسم؟ قال: نعم.

قال: فإذا كان جسما جاز أن يكون فوقه شيء أو تحته شيء، أو عن يمينه شيء، أو عن يساره شيء.

قال: نعم.

قال: فما تنكر أن يكون معبودك الآن في هذا الصندوق؟ فخمد الخراساني خمدة م اشتعل فقال: أليس عندك أن الله متكلم بكلام يفعله في الأحوال المختلفة؟ فقال: بلى.

قال: فما تنكر لأن يكون هذا الحمار ينغط، فيحل الله كلامه في جرذانه، فيقول: أنا ربكم الأعلى، وتسمع ذلك منه.

فانخزل ابن عباد وقال: خذوا في غير هذا.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ٤٦/٣

(٢) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ٢٠/٥

والسخف والجرأة وسوء الأدب وإطلاق اللسان بما لا يجوز دينا ومروة غالبة على أصحاب الكلام؛ والتقى والرهبة والروع بعيدة من هذه الطبقة.." (١)

"قال له: فافعل ما بدا لك. فأتاه برجل يقال له قويري مشهور مقدم، ولم يعد إليه بعد ذلك.

قال أحمد بن الطيب: فاستطرفت ذلك وعجبت منه، وسألت المخبر عن انصراف قويري أي شيء كان سببه؟ فأجابني بأن لا أعلم، فكتبت إلى ابن ثوابة رقعة نسختها: بسم الله الرحمن الرحيم.

اتصل بي – جعلني الله فداك – أن رجلا من إخوانك أشار عليك بتكميل فضائلك وتقويتها بمعرفة شيء من القياس البرهاني، وطمأنينتك إليه، وأنك أصغيت إلى قوله وأذنت له، وأنه أحضرك رجلا كان غاية **في سوء الأدب**، معدنا من معادن الكفر، وإماما من أئمة الشرك؛ لاستفزازك واستغوائك، يخادعك في عقلك الرصين، وينازلك في ثقافة فهمك المتين، فأبى الله العزيز إلا جميل عوائده الحسنة قبلك، ومننه السوابق لدي، وفضله الدائم عندك، بأن أتى على قواعد برهانه من ذروته، وحط عوالي أركانه من أقصى معاقد أسه، فأحببت استعلام ذلك على كنهه من جهتك، ليكون شكري." (٢)

"قال: وما حيلولتها؟ قلت: نظر الصاحب بغضب، فوجب في **حسن الأدب** أن لا يقال ما يثير الغضب.

فقال: ومن تكون حتى يغضب عليك؟ دع هذا وهات! قلت: قال الشاعر:

ألام على أخذ القليل وإنما ... أصادف أقواما أقل من الذر

فإن أنا لم آخذ قليلا حرمته ... ولا بد من شيء يعين على الدهر

فسكت.

وكان ابن عباد ورد إلى الري سنة ثمان وخمسين مع مؤيد الدولة، وحضر مجلس ابن العميد أبي الفضل، وجرى بينه وبين مسكويه كلام، ووقع تجاذب.

قال مسكويه: فدعني حتى أتكلم، ليس هذا نصفة، إذا أردت أن لا أتكلم فدع على فمي مخدة.

فقال له: أنا لا أدع على فمك مخدة، ولكن أدع فمك على المخدة. وطارت النادرة، ولصقت وشاعت وبقيت.." (٣)

---

(١) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيان التوحيدي ص/٢٣١

(٢) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيان التوحيدي ص/٢٣٧

(٣) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيان التوحيدي ص/٤٦٤

"٦٣ - قال صاحب الكتاب: ويقال الغادر مأخوذ بغدره وإن قصرت عنه عقوبة العاجل لم تقصر عنه عقوبة الآجل حتى إن العقوبة قد تدرك الأعقاب وأعقاب الأعقاب.

" ٨٥ " قال أبن درماء العبدي بن غطفان وكان حصن ومحصن وافيا سيابة بن سيابة متخلفا عن ركب كان فيهم فقتلاه وأخذا منه ما كان معه فأثريا به وأورثاه عقبهما حصن بن عامر بن محصن وكان ذا ندام وإخوان فقعد به الدهر حتى ضرب به المثل:

أتعجب مما قد رماك به الدهر ... وأنك بعد اليسر عاد بك العسر

ألم تنب عن جديك والغدر منهما ... بسيابة في حين خلفه السفر

فنالا به حظا وأدركت بالذي ... أصاباه من غدر ألا قبح الغدر

٦٤ - قال صاحب الكتاب: ويقال من كان ذا عقل كان على إماتة حقده أحرص منه على تربيته.

" ٨٦ " قال الزر بن نصر الأزدي:

لعمرك ما الزاكي المثمر حقده ... ولكن مميت الحقد أزكى وأربح

٦٥ - قال صاحب الكتاب: ويقال الأقدار وإن كانت مقدورة فليست تمنع الحازم من توقي المخوف والاحتراس مما يحترس منه. ولكنه يجتمع تصديقا بالمقدور وأخذا من قبل ذلك بالحزم.

" ٨٧ " قال نهشل بن خويلد العبدي:

ولم أجعل المقدور للعجز علة ... ولا أنني كذبت جبر المقادير

ولكن بحذر حازم كنت حارسا ... خليل الذي يخشى اغتيال المغادر

فلا تعط للمقدور بالكف ضلة ... وكن حذرا فالحذر فوز المحاذر

٦٦ - قال صاحب الكتاب: ويقال الفاقة بلاء والسقم بلاء والغربة بلاء ورأس البلاء الهرم.

" ٨٨ " قال بعض المعمرين:

لا تعذلاني فمثلي اليوم لم يلم ... بليت مغتربا بالسقم والعدم

هذا البلاء وأبلى منه نائبة ... رمت صفاتي على الأيام بالهرم

٦٧ - قال صاحب الكتاب: ويقال ليس أحد أعلم بما في نفس الموجع الحران ممن ذاق مثل ما به.

" ٨٩ " قال المؤمل بن أميل المحاربي:

وصفت الذي بي للطبيب من الهوى ... فما كان من جهل بما قلت يفهم

وما وصف الأوجاع قبلي متيم ... فيعرف ذاك الوصف إلا متيم

كما أن هذا موجع القلب مغرم ... كذلك هذا موجع القلب مغرم

٦٨ - قال صاحب الكتاب: ويقال لا خير فيمن لا يستطيع كتمان ما في نفسه وإماتته حتى لا يذكر منه شيئا بل لا يكون له في نفسه موقع.

" ٩٠ " قال حاتم الطائي:

سأطوي حديث النفس حتى أميته ... وأستره لو أستطيع عن القلب

٦٩ - قال صاحب الكتاب: ويقال العاقل لا يخيف أحدا ما استطاع ولا يقيم على خوف وهو يجد مذهبا.

" ٩١ " قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

تقيم على خوف وإنك قادر ... على هرب منه لأنك جاهل

وتأمن يوما فالوريد وغيره ... يخافان منك الغدر فيما تحاول

ألا ثكلتك الأم بل هي إذ ثوت ... تراك سليما يا ابن عفان ثاكل

٧٠ - قال صاحب الكتاب: ويقال خلال من لزمهن بلغنه ما يريد وقربن له البعيد وآنسنه في الوحشة وعرفنه في الغربة ولين له المعيشة وأكثرن له الإخوان: كف الأذى وحسن السيرة وسعة الخلق **وحسن الأدب** والاقتصاد في العمل ومجانبة الريب.

" ٩٢ " قال مرداد بن عائل الإيادي أحد المعمرين:

إذا أنت عاشرت الملا يا ابن سلهب ... معاشرة الأبرار لم تعدم الفضلا

ونلت الذي حاولت من كل خطة ... ولين معاش لا تخاف له هزلا

وقربت عن بعد وأونست موحشا ... وزادك في الأخيار تغنى به نبلا

وذاك تقى الرحمن فالبس ثيابها ... وكن لذوي الحاجات في حاجهم سهلا

وكف الأذى عن ذي الجوار وغيره ... وقصدك في الأعمال واجتنب البخلا

ولا تصحبن ذا ريبة في محجة وجانب أخا الفحشاء واستصحب العدلا

٧١ – قال صاحب الكتاب: ويقال شر الأمور التي لا تتفق وشر الأزواج التي لا تواني وشر الولد العاصي وشر الإخوان الخاذل وشر الملوك الذي يخافه البريء وشر البلاد بلد لا أمن فيه.." (١)

"وذو العقل يق الكلام ويبالغ في العمل ويعترف بالزلة ويثبت بالأمور قبل الإقدام عليها ويقبل عثرة عمله بعقله كالرجل الذي يعثر على الأرض وعليها ينهض ويستقيم " ك١٨٣ ".

وفي كتاب دليلة ... العاقل يقل الكلام ويبالغ في العمل ويعترف بزلة عقله ويستقبلها كالرجل يعثر بالأرض وبها ينتعش " ع١:٢٨١ ".

ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهود عقله فيهلكه ولا الرخاء ينبغي له أن يبلغ منه مبلغا يبطره ويسكره ويعمي عليه أمره " ك٢٣١ ".

فأنه ليس أحد ابعد من الخير من اثنين منزلتهما واحدة وصفتهما مختلفة: أحدهما من لا يثق بأحد، والآخر من لا يثق به أحد " ك٢٣١ ".

وإن الكريم لا يكون إلا شكورا غير حقود، تنسيه الخلة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة " ك٢٣٢ –

٢٣٣ ".

وأعجل العقوبة عقوبة الغدر واليمين الكاذبة ومن إذا تضرع إليه وسئل العفو لم يعف ولم يصفح " ك٢٣٣ ".

وكان يقال: أعجل الذنوب عقوبة الغدر واليمين الفاجرة ورد التائب وهو يسأل العفو خائبا " ع٣:١٠٠ ".

إن الغادر لا يجاز له بعذره وإن اخطأه عاجل العقوبة لم يخطئه آجلها حتى تدرك الأعقاب وأعقاب الأعقاب " ك

٢٣٨ –

٢٣٩ ".

فمن كان له عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تربيته " ك

٢٤٠ ".

---

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة محمد بن حسين اليمني ص/٨

... إنما كان ذلك قدرا مقدورا وكنا له عللا فلا تؤاخذنا بما أتاك به القدر ... إن أمر القدر لكما ذكرت ولكن ليس ذلك حقيقا أن يمنع الحازم من توقي المخوف والاحتراس من المحترس منه. ولكنه يجمع تصديقا بالقدر وأخذا بالقوة والحزم " ك٢٤١ ".

وفي كتاب للهند: اليقين بالقدر لا يمنع الحازم توقي المهالك وليس على أحد النظر في القدر المغيب ولكن عليه العمل بالحزم ونحن نجمع تصديقا بالقدر وأخذا بالحزم " ع٢:١٤٣ ".

وكان يقال: الفاقة بلاء والحزن بلاء وقرب العدو بلاء وفراق الأحبة بلاء والسقم بلاء والهرم بلاء ورأس البلايا الموت " ك٢٤١ –

٢٤٢ ".

وليس أحد أعلم بما في نفس الموجع ممن ذاق مثل ما به " ك٢٤٢ ".

أنه لا خير فيمن لا يستطيع الإعراض عما في نفسه ويميته ويتناساه حتى لا يذكر منه شيئا ولا يكون له في نفسه موقع " ك٢٤٢ ".

والعاقل لا يخيف أحدا ما استطاع ولا يقيم على الخوف وهو يجد مذهبا " ك

٢٤٣ ".

فأن خلالا خمسا من تزودهن بلغنه في كل وجه وطريق وقرين له البعيد وآنس له الغربة وأكسبنه المعيشة والإخوان: كف الأذى **وحسن الأدب** ومجانية الريبة وكرم الخلق والنيل في العمل " ك٢٤٣ ".

وقرأت في كتاب للهند: من تزود خمسا بلغنه وآنسنه: كيف الأذى وحسن الخلق ومجانبة الريب والنبل في العمل **وحسن الأدب** " ع٣:٢٤ ".

وشر المال ما لا ينفق منه وشر الازواج التي لا تواتي البعل وشر الولد العاصي وشر الاخوان الخاذل لاخوانه وشر الملوك الذي يخافه البريء وشر البلاد بلاد ليس فيها أمن ولا خصب " ك٢٤٣ ".

وقرأت في كتاب للهند: شر المال ما لا ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرىء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن " ع١:٣ ".

وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المكروه من غيره فارتدع عن ان يبتلى أحدا بمثل ذلك من الظلم والعدوان " ك٢٧٥ –

٢٧٦ ".

فاصبري من غيرك على نحو ما صبر عليه غيرك منك فإنه قد قيل: كما تدين تدان " ك٢٧٦ ".

وانه من عمل بغير الحق والعدل انتقم منه وأديل عليه.

فان صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا وإذا مرت بالطيب حملت طيبا.

وقد قالت العلماء في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظل الغمام وصحبة الاشرار وعشق النساء والثناء الكاذب والمال الكثير.

وفيه "كتاب للهند ": ستة أشياء لا ثبات لها: ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق النساء والمال الكثير والسلطان الجائر والثناء الكاذب.

وقيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق ا‌لنساء والنبأ الكاذب والمال الكثير.

وهذا الحزن الذي أنا فيه وتذكري اخواني كالجرح المندمل تصيبه الضربة فيجتمع على صاحبها ألمان: ألم الضربة وألم انتقاض الجرح.

انه من تكلف من القول والعمل ما ليس من شكله اصابه ما اصاب القرد ...

وان الكريم لا يكون إلا شكورا غير حقود تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة.." (١)

"آخر:

أراك مع الأعداء في كل موطن ... وقلبك من ضغن علي مريض

وما بي من فقر إلى أن تحبني ... وما ضرني أني إليك بغيض

وقال ابن عباس: العاقل الكريم صديق كل أحد، إلا من ضره، والجاهل اللئيم عدو لكل أحد إلا من نفعه.

وقال آخر:

لنا صديق مبغض للأدب ... إخوانه من جهله في تعب

يغضب حينا عند حد الرضا ... نوكا ويرضى عند حال الغضب

كأنه من سوء تأديبه ... أسلم في **كتاب سوء الأدب**

آخر:

الحمد لله عامل الصدقه ... كان صديقا فقد لوى عنقه

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة محمد بن حسين اليمني ص/٢٧

آخر:

يا صديقي ما كنت لي بصديق ... إنما كنت للزمان صديقا

قال بعض السلف: أحق الناس بأن يتقى: العدو القوي، والصديق المخادع، والسلطان الغشوم.

شاعر:

إذا عدوك لم يظهر عداوته ... فما يضرك إن عاداك أشرار." (١)

"وإن عزوف النفوس عمن يخونني ... ومعطى قيادي للحبيب المؤالف

أشاطره روحي ومال وأتقي ... حذارا عليه من رياح عواصف

فإن خان عهدي لم أخنه وإن أكن ... على ما أرى من غدره بمواقف

وأترك عقباه لعقبي فعاله ... ففي عقب الأيام كل التناصف

ومن قوله أيضا:

بكيت على مفارقة الشباب ... وأيام البطانة التصابي

وأيام التغازل والدلال ... وأيام التجني والعتاب

مضت فكأنها لما تولت ... معقبة نفيسا بالعقاب

لتبلي كل ملبوس جديد ... وتمزج كل معسول بصاب

بياض الشيب أعلام المنايا ... نشرن نذيرة لك بالذهاب

هو الكفن الذي يبلى وشيكا ... ويأتي بعده كفن التراب

ثم قال: ألا قلال من هذا الباب أولى بنا، فلسنا من أهل هذا الفن، وسمة التقصير لائحة علينا، ودالة على نقصنا، وإن خفي ذلك بنظرنا، لأن الإنسان عاشق نفسه وليس بمؤاخذها على تقصيره. ثم قال لي: أنشدنا ما سمعنا منك لبعض الآلهيين فأنشدته:

لما تجاوز حسي ... وفات مسي ولمسي

ولم أزل أتقرا ... دليل أبناء جنسي

فلم يكن ذاك يجدي ... ولا يعود بالسي

رجعت نحوى بشرط ... يغيب عني حسي

فلاح تحت ضلوعي ... ما قد من قرن شمسي

---

(١) الصداقة والصديق أبو حيان التوحيدي ص/٢٤٢

فقلت هذا طريقي ... من غير شك ولبس

وغصت حتى تجلى ... وأشرقت منه نفسي

فقال أبو سليمان: ما **أحسن الأدب** والحكمة إذا كان هذا من ثمرها؟." (١)

"أوجب علينا **حسن الأدب** التفرق عنه. فما مرت أيام حتى نظمنا ذلك المجلس وضمنا مثل ذلك الأنس، فقال له بعض أصحابنا، وأظنه أبا الخير اليهودي: إن أذنت لنا في تمام الذي من تلك الجهة العذبة؟ فأنا صدرنا عنها وبنا برح، ومن وهب الله له ما وهب لك خليق بالجود على المستحق، ومن عرفه الله ما عرفك حرى بالتلطف في المسألة، وأنت بحر الله في الخلق تقذف بالجواهر، وشجرة العقل في العالم تخرج ضروب الثمر في كل حين وإبان، فلا زلت مكنوفا بالمعرفة، مؤيدا بالنصرة، جوادا بالعطية، بداء بالرفد، محببا إلى القلوب حاليا بالعيون، ممدحا بالألسنة، وصحوبا بالتوفيق، مذكورا بالثناء الفائق متنافسا عليه بالطارف والتالد.

فقال: لولا أني أعلم أن عشق الحكمة حرككم بهذه الكلمات الغر وهذه الفقر التي توفي حسنا على الدر، لأثنيت عليكم، ورددت أنفاسكم إليكم، شفقة على مروءتكم من عادة المتملقين، وصيانة لأعراضكم عن دنس المماذقين، فجولوا الآن فيما أحببتم فما يبخل بالحق على أهل إلاشقي، ولا ينفس بالصواب على طالبه إلا دني ردي.

فقيل له: فما العقل؟ فقال: العقل خليفة العلة الأولى عندك، يناجيك عنه ويناغيك به، ويبلغ إليك منه ويدلك على قصده والسكون في حرمه، ويدعوك إلى مواصلته والتوحيد به، والإهتزاز إليه، والإعتزاز به. وهذا كله نصح لا غش فيه، ورفق لا عنف معه، وبيان لم يخلط به تلجج، ويقين لا يطيف به تخلج.

قيل له: فقد قيل إن العقل مأخوذ من العقال.

فقال: هذا كلام خلف، ومعناه دنس، ودعوى متهافتة، إنما يدل الإشتقاق من الكلمة على جهة واحدة، والمطلوب المتنازع، لأنه مأخوذ من تركيب الحروف وتأليف اللفظ وصورة المسموع. أترانا إذا نطقنا بلغة أخرى، بالرومية أو الهندية، بمعنى العقل لكنا نريد به معنى العقال؟ لا والله! بل هذا المعنى موجود." (٢)

"والنسل، وفضيحة الولد والأهل. فسكن المشايخ منهم، وطيبوا أنفسهم، وقووا منتهم ووعدوهم أن يرتئوا فيه متفقين، ويجتمعوا عليه مجتهدين، ويستخيروا الله ضارعين، وانصرف الناس عنهم.

---

(١) المقابسات أبو حيان التوحيدي ص/٢٩٩

(٢) المقابسات أبو حيان التوحيدي ص/٣٧١

واجتمع القوم: أبو تمام الزينبي، ومحمد بن صالح بن شيبان، وابن معروف القاضي، وابن غسان القاضي، وابن مكرم- وكان من كبار الشهود في سوق يحيى- وابن أيوب القطان العدل وأبو بكر الرازي الفقيه، وعلي بن عيسى والعوامي صاحب الزبيري، وابن رباط شيخ الكرخ، ونائب الشيعة ولسان الجماعة، وابن آدم التاجر، والشالوسي أبو محمد، وغيرهم ممن يطول ذكرهم، وتشاوروا وتفاوضوا، وقلبوا الأمر، وشعبوا القول، وصوبوا وصعدوا، وقربوا وبعدوا والتأم لهم من ذلك أن تخرج طائفة وراء الأمير بختيار إلى الكوفة وتلقاه وتعرفه ما قد شمل مدينة السلام من الاهتمام، وأن الخوف قد غلبهم، وأن الذعر قد ملكهم، وأنهم يقولون: لو كان لنا خليفة أو أمير أو ناظر سائس لم يفض الأمر إلى هذه الشناعة، وأن أمير المؤمنين المطيع لله إنما ولاه ما وراء بابه ليتيقظ في ليله، متفكرا في مصالح الرعايا، وينفذ في نهاره آمرا وناهيا ما يعود بمراشد الدين، ومنافع الدانين والقاصين وإلا فلا طاعة، وكلاما على هذا الطابع، وفي هذا النسج، فاتفق جماعة على صريمة الرأي في الحركة إلى الكوفة، منهم أبو كعب الأنصاري، وأبو الحسن مدره القوم، وعلي بن عيسى، والعوامي، وابن حسان القاضي صاحب الوقوف، وأبو أحمد الجرجاني القاضي البليغ، وابن سيار القاضي أبو بكر، وأبو بكر الرازي.

وأما جعل، فإنه ذكر ما به من وجع النقرس، واستعفى.

وأما أبو سعيد السيرافي، فإنه ذكر ضعفا وسنا، وقال: أنا أعين في هذه النائبة بإقامة رجل جلد مزاح العلة بالفرس والسلاح، وقعد الجم الغفير، وسارت الجماعة إلى الكوفة، ولحقت عز الدولة في التصيد، وانتظرته، فلما عاد قامت في وجهه واستأذنت في الوصول إليه على خلوة وسكون بال وقلة شغل، فلم يلتفت إليهم، ولا عاج عليهم- وكان وافر الحظ من سوء الأدب، قليل التحاشي من أهل الفضل والحكمة- ثم قيل له: إن القوم وردوا في مهم لا يجوز التغافل عنه، والإمساك دونه، فأذن لهم بين المغرب والعتمة، فجلسوا بحضرته كما اتفق من غير ترتيب، فقال: تكلموا.

فقال أبو الوفاء المهندس لأبي بكر الرازي: تكلم أيها الشيخ، فإنك رضا الجماعة، ومقنع العصابة.

فقال أبو بكر: الحمد لله الذي لا موهبة إلا منه، ولا بلوى إلا بقضائه، ولا مفزع إلا إليه، ولا يسر إلا فيما يسره، ولا مصلحة إلا فيما قدره، له الحكم وإليه." (١)

"وللأمور أيها الوزير ظهور وبطون، وهواد وأعجاز، وأوائل وأواخر، وليس على الإنسان أن يدرك النجاح في العواقب، وإنما عليه أن يتحرز في المبادئ، ولهذا قال القائل:

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ص/٣٧٥

لأمر عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

وقال سليمان بن عبد الملك أو غيره من أهل بيته: ما لمت نفسي على فوت أمر بدأته بحزم، ولا حمدتها على درك أمر بدأته بعجز.

هاهنا ناس إذا تلاقوا ينفث بعضهم إلى بعض بما هو صريح وكناية، ويحتاج الأمر إلى ابن يوسف، ويستملي الخبيث من الجالس فوق مشرعة مكان الروايا.

وليس يصح كل ما يقال فيروى على وجهه، وليس يخفى أيضا كل ما يجري فيمسك عنه، والأمور مرجة، والصدور حرجة، والاحتراس واجب، النصح مقبول، والرأي مشترك، والثقة بالله من اللوازم على من عرفه وآمن به، وليس من الله عز وجل بد على كل حال.

والله أسأل الدفاع عنك، والوقاية لك، في مصبحك وممساك، وفي مبيتك ومقيلك، وشهادتك وغيبتك، ولذوي مليحا في هذا الباب نفخ وإيقاد، وتناقل وائتمار، ومسألة وجواب.

وعند الشيخ أبي الوفاء من هذا الحديث ومن غيره مما يتصل به من ناحية ابن اليزيدي ما يجب أن يصاح له بالأذن الواعية، ويقابل بالنفس الراعية، ويداوى بالدواء الناجع، وتحسم مادته من الأصل، فإن الفساد إذا زال حصل مكانه الصلاح. وليس بعد المرض إلا الإفراق، ولا بعد النزع إلا الإغراق.

إلى هاهنا انتهى نفسي بالنصح وإن كانت شفقتي تتجاوزه، وحرصي يستعلي عليه، لكني خادم، وكما يجب علي أن أخدم بنيات الصدر، فينبغي أن ألزم الحد **بحسن الأدب.**

والله إني لواد مخلص، وعبد طائع، ورجائي اليوم أقوى من رجائي أمس، وأملي غدا أبسط من أملي اليوم، أشكو إليك الأرق بالليل فكرا فيما يقال، وتحفظا مما ينال، وتوهما لما لا يكون إن كان، وشر العدا، الذين يتمنون لأولي نعمتهم الردى، ويبيتون النكائث، ويكسرون الأجفان، ويتخازرون بالأعين، ويتجاهرون بالأذى إذا تلاقوا، ويتهامسون بالألسن إذا تدانوا، والله يصرع خدودهم، ويضرع خدودهم بين يديك، وهذه الرقة مني والحفاوة، وهذه الرعشة والقلق، وهذا التقبع والتفزع كله، لأني ما رأيت مثلك، ولا شاهدت شبهك، كرم خيم، ولين عريكة، وجود بنان، وحضور بشر، وتهلل وجه، وحسن وعد، وقرب إنجاز، وبذل مال، وحب حكمة.." (١)

"١٧١- وقال صلى الله عليه وسلم: فلما نشأت بغض إلي الأوثان، وبغض إلي الشعر.

- نفسه، ويكون قوله في آخره: حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته مقحما، قال:

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ص/٤١١

وشيخ ابن اسحاق هذا ذكره ابن حبان في الثقات وزعم بعضهم أنه في رجال الصحيح، قال شيخنا- يعني: الحافظ المزي-: ولم أقف على ذلك، فانظر إلى هذا الإمام وما تكنه نفسه من التعظيم لمقام هذا النبي الذي أكرمه الله منذ صغره بحماية خاصة ورعاية تامة حتى من مجرد الهم بالشيء المباح، حتى حمله ذلك أن يوجه الحديث فيجعله من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن نفسه، إن هذا لمن تمام **حسن الأدب** وصحة الاعتقاد، رحمه الله.

(١٧١) - قوله: «وقال صلى الله عليه وسلم» :

يعني: في حديث شداد بن أوس الطويل، أخرجه أبو يعلى في مسنده الكبير [٩/ ١٨ إتحاف الخيرة، رقم ٨٥٠١، المطالب العالية ٤/ ١٧١، رقم ٤٢٥٤] ، الآجري في الشريعة [/ ٤٣١] ، أبو نعيم في الدلائل-فيما ذكره السيوطي في المناهل برقم ١٦٢ إذ ليس في المختصر المطبوع منه.

وهذا لفظ حديث أبي يعلى:

قال أبو يعلى: وثنا يحيى بن عمر بن النعمان السامي، ثنا محمد بن يعلى الكوفي، ثنا عمر بن صبح، عن ثور بن يزيد، عن مكحول، عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل من بني عامر وهو سيد قومه وكبيرهم ومكرمهم يتوكأ على عصا فقام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ونسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى جده فقال: يا ابن عبد المطلب إني نبئت أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس أرسلك بما أرسل إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنك تفوت بعظيم، إنما كان الأنبياء والملوك في بيتين من بني إسرائيل بيت نبوة وبيت ملك، ولا أنت من هؤلاء ولا هؤلاء إنما أنت من العرب ممن يعبد الحجارة والأوثان فما لك والنبوة؟ ولكن لكل أمر حقيقة فأتني بحقيقة قولك وبدء شأنك، قال: -." [1]

"(إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كره كاره إن الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشكو السخط)

سمعت الحسن بن علي بن حيويه الدامغاني يقول سمعت الحسن بن علويه يقول قال أبو يزيد قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف لي هاتف من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم **بحسن الأدب**

وبه قال سئل أبو يزيد عن درجة العارف فقال ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العارف وجود معروفه

---

(١) شرف المصطفى الخركوشى ١/٤٤٦

قال وقال أبو يزيد العابد يعبده بالحال والعارف الواصل يعبده في الحال

قال وسئل أبو يزيد بماذا يستعان على العبادة فقال بالله إن كنت تعرفه." (١)

"قال قال أحمد القلوب جوالة إما أن تجول حول العرش وإما أن تجول حول الحش

قال وقال أحمد في الحرية تمام العبودية وفي تحقيق العبودية تمام الحرية

قال وقال أحمد لا تتم معاشرة متضادين في دين أو في دنيا

سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازي قال سمعت محمد بن الفضل يقول استقرض أحمد بن خضرويه من رجل مائة ألف درهم فقال له الرجل أليس أنتم الزهاد في الدنيا ما تصنع بهذه الدراهم قال أشتري بها لقمة فأضعها في فم مؤمن ولا أجترئ أن أسأل ثوابه من الله تعالى قال لم قال لأن الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة لو أخذتها فطلبت بها شيئا ما الذي تعطى بها والدنيا كلها لها هذا القدر

سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد الترمذي يقول قال أحمد بن خضرويه الصبر زاد المضطرين والرضا درجة العارفين

قال وقال أحمد من صبر على صبره فهو الصابر لا من صبر وشكا

وبإسناده قال أحمد كنت في طريق مكة فوقعت رجلي في شكال فكنت أمشي فرسخين وهو متعلق بها فرآني بعض الناس فنزعه عني ثم دفعني فقدمت بسطام فابتدأني أبو يزيد فقال الحال الذي ورد عليك في طريق مكة كيف كان حكمك مع الله فيها قلت أردت ألا يكون لي في اختياره اختيار فقال لي يا فضولي قد اخترت كل شيء حيث كانت لك إرادة

قال وقال أحمد من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء التواضع **وحسن الأدب** وسخاوة النفس." (٢)

"للشواهد على الأسرار أثر وللأعراض على القلب خطر فهو محجوب بعيد من عين الحقيقة وما تورع المتورعون ولا تزهد المتزهدون إلا لعظم الأعراض في أسرارهم فمن أعرض عنها أدبا أو تورع عنها ظرفا فذلك الصادق في ورعه والحكيم في أدبه

قال وسمعته يقول أفقر الفقراء من ستر الحق حقيقة حقه عنه

قال وسمعته يقول الحب يوجب شوقا والشوق يوجب أنسا فمن فقد الشوق والأنس فليعلم أنه غير محب

قال وسمعته يقول كيف يرى الفضل فضلا من لا يأمن أن يكون ذلك مكرا

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٦٩

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٩٦

قال وسمعته يقول الموحد لا يرى إلا ربوبية صرفا تولت عبودية محضا وفيه معالجة الأقدار ومغالبة القسمة

قال وسمعته يقول الخوف والرجاء زمامان يمنعان **من سوء الأدب**

سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا بكر الواسطي يقول الخوف حجاب بين العبد وبين الله تعالى والخوف هو الإياس والرجاء هو الطمع فإن خفته بخلته وإن رجوته اتهمته

قال وقال الواسطي من حال به الحال كان مصروفا عن التوحيد ومن انقطع به انقطع ومن وصل به وصل وفي الحقيقة لا فصل ولا وصل ولذلك قيل." (١)

"**تعودت سوء الأدب** ومتى ما أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السر

٥٨ - ومنهم أبو حمزة الخراساني

وكان أصله من نيسابور من محلة ملقاباذ صحب مشايخ بغداد وهو من أقران الجنيد سافر مع أبي تراب النخشبي وأبي سعيد الخراز وهو من أفتى المشايخ وأورعهم

سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت أبا جعفر الفرغاني يقول قال أبو حمزة الخراساني من نصح نفسه كرمت عليه ومن تشاغل عن نصيحتها هانت عليه

وبهذا الإسناد قال سئل أبو حمزة الخراساني عن الأنس فقال ضيق الصدر عن معاشرة الخلق

وبهذا الإسناد قال أبو حمزة الخراساني الغريب المستوحش من الإلف

وبهذا الإسناد قال أبو حمزة الخراساني من استشعر ذكر الموت حبب إليه كل باق وبغض إليه كل فان

وبهذا الإسناد قال أبو حمزة الخراساني العارف يخاف زوال ما أعطى والخائف يخاف نزول ما وعد والعارف يدافع عيشه يوما ليوم ويأخذ عيشه يوما ليوم

وبهذا الإسناد سئل أبو حمزة الخراساني عن الصوفي فقال من صفى من كل درن فلم يبق فيه وسخ المخالفات بحال." (٢)

"ثم قال لابن زكريا: قبل كل شيء فما رأيت أحمق منك، فقال له ابن زكريا: ليس هذا من خلقك وأنت موصوف بالحلم **وحسن الأدب**، فقال له أبو القاسم رحمه الله: أنا أبين لك ذلك، أنت رجل تنكر ما يقوله المسلمون وأهل الشرائع/ في الربوبية والنبوات وتراه جهلا، وهم يرون ما أنت فيه كفرا يحل دم من ذهب اليه ورآه، وأنت بينهم وهم معك وحولك في ألوف فراسخ، وأنت تبدي ذلك وتناظر فيه ولست

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٢٣٣

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٢٥٠

تحسب الأجر والثواب في المعاد ولا في العاجل على ذلك لأنك لا ترى بالمعاد والجزاء، فهذه واحدة. وأخرى، أنك تدعي صحة الكيمياء، وأنك تجعل الحجر والمدر ذهبا وفضة، ولك في ذلك كتب تنكر على من أنكر ذلك وكذب به، ومع هذا فقد خاصمتك امرأتك في نفقتها ونفقة ولد لك وأحوجتها إلى أن رفعتك إلى الحكام ليفرضوا عليك كما يفعل ذلك بأفقر الناس وأقلهم حيلة، فهذه ثانية. وأخرى، أن ينصرك من الضعف، ويعينك من المرض اللازم ما هو بين، و أنت تدعي علم الطبائع ولك حذق في الطب والتقدم فيه والازراء على من تقدمك من الأطباء، كابن ماسويه وغيره، وعلى أطباء أهل زمانك، فكان من عذر الرازي في سقم بصره حبه الباقلاء وكثرة أكله له، وأنه يفضله على اللوز، وأنه أطيب منه، ثم من بعد هذا نزل الماء في عيني الرازي هذا وعمي، وكان يجيء بمن يقدح الماء منه ويجيء بمن عمي من نزول الماء في عينه فيستوصفهم كيف عموا، ومتى نزل الماء في أعينهم، وما كانت أغذيتهم، ويجيء بمن يقدح الماء من عيونهم عنده ويدبرهم على أحوط ما يكون في ذلك ليجرب وينظر كيف الأثر في ذلك. وكد وبذل وجمع الأطباء فما رجع عليه بصره، ومات أعمى. وقد كان يعرض له من وجع أذنه ما يقلق القلق العظيم، ويمنعه النوم والقرار، ويتداوى بكل ما ذكره المتطببون في ذلك وهو على كل حال/ يتقدم في صنعة الطب." (١)

"قال الحكم بن عيينة: مررنا بامرأة محرمة وقد أبلت ثوبها، فقلت: أسفري عن وجهك. قالت: أفتاني بذلك زوجي محمد بن علي بن الحسن رضي الله عنهم. وكان رضي الله عنه إذا رأى مبتلي أخفى الاستعاذة. وكان لا يسمع من داره: يا سائل بورك فيك، ولا يا سائل خذ هذا، وكان يقول: سموهم باحسن أسمائهم. وكان يقول: اللهم أعني على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالعفو. وقال لابنه: يا بني، إذا أنعم الله عليك نعمة فقل: الحمد لله، وإذا حزبك أمر فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا أبطأ عليك رزق فقل: استغفر الله. وقال: أدب الله محمدا صلى الله عليه وسلم – **أحسن الأدب** فقال: " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ". فلما وعى قال: " وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ".

زيد بن علي رضي الله عنه

وكان يسمى في آل محمد – صلى الله عليه وسلم – الراهب. ومن كلامه: إن الذين كرمت عليهم أنفسهم حفظوها بطاعة الله من العمل بمعصيته، وأدبوها بالقرآن، وأقاموها على حدود الرحمن، فلم يهتكوا حجاب

---

(١) تثبيت دلائل النبوة القاضى عبد الجبار ٦٢٥/٢

ما حرم الله عليهم، ولم يسأموا من الصبر ومرارته في الله ابتغاء مرضاته، فراقبوه في الخلوات، وبذلوا له من أنفسهم الكثير من الطاعات، حتى إذا." (١)

"قال ابن شهاب: ليس بكذاب من درأ عن نفسه. قال الحجاج لابن قرية: ما الأرب؟ قال: الصبر على كظم الغيظ حتى تمكن الفرصة. قالوا: ثلاث لا غربة معهن: مجانبة الريب، **وحسن الأدب**، وكف الأذى. وكان يقال: عليكم بالأدب، فإنه صاحب في السفر، ومؤنس في الوحدة، وجمال في المحفل، وسبب إلى طلب الحاجة. قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: ما أحسن الحسنات في آثار السيئات، وأقبح السيئات في آثار الحسنات، وأقبح من هذا وأحسن من ذاك السيئات في آثار السيئات، والحسنات في آثار الحسنات. قال أبو إدريس الخولاني: المساجد مجالس الكرام. قيل: المنة ٤١٧ تهدم الصنيعة. وكان يقال: كتمان المعروف من المنعم عليه كفر له، وذكره من المنعم تكدير له. كان مالك بن دينار يقول: ما أشد فطام الكبير! كان يقال: أنعم الناس عيشا من عاش في عيشة غيره. قال رجل لرجل من قريش: والله ما أمل الحديث. فقال: إنما يمل العتيق. يروى عن أسماء بن خارجة أنه قال: لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا، فإنما هو كريم أسد خلته، أو لئيم أشترى عرضي منه. كان ابن شبرمة إذا نزلت بن نازلة قال: سحابة ثم تنقشع. كان يقال: أربع من كنوز الجنة: كتمان المصيبة، وكتمان الصدقة، وكتمان الفاقة: وكتمان الوجع. قيل: ليس للجوج تدبير، ولا لسيىء الخلق عيش، ولا لمتكبر صديق والمنة تفسد الصنيعة. كان يقال: لا ينبغي لعاقل أن يشاور واحدا من خمسة: القطان والغزال." (٢)

"مع العجلة الخطار، وربما خطئ المخاطر بالقضاء. شر أخلاق الرجال البخل والجبن وهما خير أخلاق النساء. إذا جاء زمان الخذلان انعكست العقول. سعة السمحاء أحد الخصبين، وكثرة المال عند البخلاء أصعب الجدبين. **من سوء الأدب** مؤانسة من احتشمك، وكشف خلة من سترها عندك، والنزوع إلى مشورة لم تدع إليها. قال إبراهيم التيمي: نعم القوم السؤال؛ يدقون أبوابكم ويقولون: هل توجهون إلى الآخرة شيئا بشيء؟ في الاعتبار غنى عن الاختبار. غيظ البخيل على الجواد أعجب من بخله. أذل الناس معتذر إلى لئيم. أشجع الناس أثبتهم عقلا في بداهة الخوف. قال مطرف: المعاذر، والمعاتب مغاضب. قال بعضهم: المروءة يهدمها اليسير، لا يبنيها إلا الكثير. قال ابن المقفع: المروءة بلا مال كالأسد الذي يهاب ولم يفرس، وكالسيف الذي يخاف وهو مغمد، والمال بلا مروءة كالكلب الذي يجتنب عقرا ولم

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٢٣٧/١

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٣٢/٤

يعقر. وقال: اطلبوا الأدب؛ فإن كنتم ملوكا برزتم، وإن كنتم وسطا فقتم وإن أعوزتم المعيشة عشتم بأدبكم. وقال أبو الأسود: ليس شيء أعز من العلم، والملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.." (١)

"عليك. فقال الفتى: أنا أفعل ذلك واحتذ من رسمك فيه، ولا تجاوزه فوصفه هذا النديم لصاحبه، فقال: لا يكونن بغداديا سيئ الأدب، فضمن عنه **حسن الأدب**، وإقامة شروط الخدمة. فاستحضره وحضر، وأعجب به، وخلع عليه، فحملت إليه صلة من الثياب والدراهم وغيرها، ووضعت بين يديه وواكله وأحضر مجلس أنسه وهو في أثناء ذلك يأتي بالعظائم من الكذب فيصدقه إلى أن قال مرة – وقد أخذ الشراب من الفتى – إن لي عادة في كل سنة أن أطبخ قدرا كبيرة وقت ورود حاج خراسان، وأدعوهم وأطعمهم جميعهم من تلك القدر الواحدة، فتحير الفتى وقال: أي شيء هي هذه القدر بادية العرب؟ دهناء تميم؟ بحر قلزم؟ ! فغضب الأمير، وأمر بتمزيق الخلع عليه وطرده في بعض الليل، وأقبل على النديم يعنفه ويلومه، وعاد الفتى إلى باب النديم، وبات عليه إلى أن أصبح، وعاد الرجل إلى منزله، فدخل إليه واعتذر بالسكر، وضمن أن لا يعود لمثل ذلك، فعاد إلى صاحبه وحسن أمره وقال: أنه كان بعيد عهد في الشراب، وعمل النبيذ فيه عملا لم يشعر معه بشيء مما جرى. وأنه بكر إلى سير، فرآه اللصوص عند عوده فعارضوه وأخذوا منه حلة الأمير ومانعهم فمزقوا عليه خلعة، فرسم بإعادته إلى المجلس، وأضعف له في اليوم الثاني الجائزة والخلعة وجعل الفتى يتقرب بأنواع التقرب إليه، وإذا كذب الأمير صدقة، وحلف عليه. إلى أن جرى ذكر الكلاب الربيبة والصغار فقال الأمير: قد كان عندي منها عدة في غاية الصغر، حتى أتى لأمر بأن تلقى في المكحلة، وكان لي مضحك أعبث به، فأمرت أن يكحل من تلك المكحلة إذا قام وسكر وكان إذا أصبح وأفاق من سكره يرى تلك الكلاب وهي تنبح في عينه ولا يقدر عليها لصغرها. قال: فقام الفتى وخلع الثياب المخلوعة عليه، وترك الجائزة وعاد عريانا. قال: لا صبر لي على كلاب تنبح من أجفان العين، اعمل بي ما شئت، وفارق البصرة، وعاد إلى بغداد. قال المدائني كان عندنا بالمدائن رجل يقال له: ديناروية وكان خبيثا، قال له والي المدائن: إن كذبت كذبة لم أعرفها فلك عندي زق شراب ودراهم وغيرهما. قال له ديناروية: هرب لي غلام فغاب عني دهرا لا أعرف له خبرا." (٢)

"واعلموا أني لم أسم هذين البابين باب رفق وباب عنف، ولكني سميتهما جميعا بابي رفق؛ لأن فتح باب المكروه مع باب السرور هو أوشك لإغلاقه حتى لا يبتلى به أحد. واعلموا أن في الرعية من الأهواء

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٤/١٤٠

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٣٣٩

الغالية للرأي، والفجور المستثقل للدين، والسفلة الحنقة على الوجوه بالنفاسة والحسد ما لا بد معه أن يقرن بباب الرأفة باب الغلظة، وبباب الاستبقاء باب القتل. واعلموا أن الوالي قد يفسد بعض الرعية من حرصه على صلاحها، أو قد يغلظ عليها من شدة رقته لها، وقد يقتل منها من حرصه على حياتها. واعلموا أن قتالكم الأعداء من الأمم قبل قتالكم الأدب من أنفس رعيتكم ليس بحفظ ولكنه إضاعة، وكيف يجاهد العدو بقلوب مختلفة وأيد متعادية؟ وقد علمتم أن الذي بني عليه الناس وجبلت عليه الطباع حب الحياة وبغض الموت، وإن الحرب تباعد من الحياة، وتدني من الموت، فلا دفع ولا منع ولا صبر ولا محاماة مع هذا إلا بأحد وجهين: إما بنية، والنية ما لا يقدر عليه الوالي عند الناس بعد النية التي تكون في أول الدولة، وإما **بحسن الأدب** وإصابة السياسة. واعلموا أن بدء ذهاب الدولة إنما يبدأ من قبل إهمال الرعية بغير أشغال معروفة ولا أعمال معلومة، فإذا فشا الفراغ تولد منه النظر في الأمور والفكر في الأصول، فإذا نظروا في ذلك نظروا فيه بطبائع مختلفة، فتختلف بهم المذاهب، ويتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديهم وتضاغنهم، وهم في ذلك مجتمعون في اختلافهم على بغض الملوك؛ لأن كل صنف منهم إنما يجري إلى فجيعة الملك الذي يملكه، ولكنهم لا يجدون سلما إلى ذلك أوثق من الدين، ولا أكثر أتباعا، وأعز امتناعا، ولا أشد على الناس صبرا، ثم يتولد من تعاديهم أن الملك لا يستطيع جمعهم على هوى واحد، فإذا انفرد ببعضهم فهو عدو لبعض. ثم يتولد من تعاديهم وعداوتهم للملك كثرتهم، فإن من شأن العامة الاجتماع على الاستثقال للولاة والنفاسة عليهم، لأن في الرعية المحروم." (١)

"دعتني أخاها بعد ما كان بيننا ... من الأمر ما لا يفعل الأخوان

فما ظن ذا الواشي بأبيض ماجد ... وبيضاء خود حين يلتقيان

ودخل بعض الأدباء مجلسا فرأى فيه نبيذا حسنا للأكابر، ونبيذا دونه لقوم دونهم فقال:

نبيذان في مجلس واحد ... لإيثار مثر على معسر

فلو كنت تفعل فعل الكرام ... فعلت كفعل أبي البختري

تتبع إخوانه في البلاد ... فأغنى المقل عن المكثر

فبلغت الأبيات أبا البختري فبعث إليه خمسة آلاف درهم.

وكان لأبي البختري إخوان يغشونه ولا يكادون يفارقونه فلما ولي القضاء، شغل عنهم فقاطعوه، وجعلوا يسبونه ويقعون فيه وينسبونه إلى قلة الوفاء، فلما عزل وجه إليهم فأحضرهم وقال: كأني بكم وقد أخذتم علي

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٧/٤٥

في اشتغالي عنكم ونلتم مني إذ جفوتكم، وقد رجوتم نفعي فأسأتم بي ظنا، قالوا: قد كان ذلك، فقال: والله ما قطعتكم إلا نظرا لكم وتوفيرا عليكم، وأمر بإحضار ما اجتمع له أيام عمله من أرزاقه وصلاته، فأحضرت أكياس فيها عشرة آلاف دينار فقسمها فيهم وأخذ منها مثل ما صار إلى أحدهم وعادوا إلى ما كانوا عليه من المؤانسة.

وفي مثل الأبيات الأول:

رأيت نبيذين في مجلس ... فقلت لصاحبنا ما السبب

فقال الذي نحن في بيته ... يفضل قوم بسوء الأدب

وكان المعروف بأبي هريرة المصري، من أهل الحديث والأدب، ظريفا مليحا، مملقا في حداثته وإنما معاشه من النسخ، قال: فكنت أوان الربيع إذا أخذت الأرض زخرفها، وازينت أخرج متنزها إلى بركة الحبش، في خفي بلنسية فيها شراب وفي كمي منديل نظيف فيه أوساط وكتاب أنادمه، وأجلو بصري على ذلك الماء الرقيق والروض الأنيق إلى أن تصوب الشمس للغروب فانصرف إلى منزلي وأنا ثمل، فانصرفت عشية، فإذا بفارس خارج من مصر لا يتبين منه غير عينيه، فسلم وقال: من أين أقبل الشيوخ، فقلت في نفسي، أجن الرجل، ومن الذي يرى معي، والتفت فإذا ذود من تيوس يسوقها راع، فقلت: حضرنا نكاح الوالدة حفظها الله، فضحك حتى كاد يسقط من سرجه، فلما كان بعد أيام يسيرة لقيني الأمير بكير في موكبه، فقال لبعض غلمانه، ألحقني بالرجل فأرتعت لذلك روعا شديدا، فلما دخلت عليه، إذا بين يديه كيس فيه ثلاثة آلاف درهم، فقال لي: هذا حق حضور ذاك النكاح فغلمت أنه هو الذي لقيني.

وخرج أبو هريرة هذا إلى (ديهور) مع إخوان له يشربون فسكروا وناموا، وأتى حمار أبي هريرة وقد عطش إلى جفنة مزر فشرب حتى سكر ورقد، فاستيقظ أصحابه فوجدوه لا يقدر على النهوض، فأرادوا أن يركبوه الحمار سكران، فأكثروا جملا وعادلوا بينه وبين حماره، ودخلوا به فقرعوا بابه، وقالوا لإمه، خذي إليك النديمين فأنهما سكرا جميعا.

وروي أن جعفر بن يحيى استأذن الرشيد في ليلة يخلو فيها، فأذن له، فوجه إلى كل من يتشوقه من أصحابه، وبعث إلى مسلم بن الوليد فلما صار إليه، قال له جعفر: أنشدني من شعك ما يشاكل ليلتنا هذه، فأني إنما خلوت لفرط صبابة بجارية لنخاس تحكم علي في ثمنها، ووالله ما يزداده ولكني أكره الخديعة، فقال: أصلح الله الأمير، لك أجل المراتب وأعلى الأمثال، وأنا أقول على قدري، وقد كانت لي ليلة مثل هذه فقلت فيها شيئا، فدعني بخساسة عيشي واجعل وصفها لك فأنت أحق به، فأنشده:

تحملت هجر الشادن المتدلل ... وعاصيت في حب الغواية عذلي

وما أبقت الأيام مني ولا الصبا ... سوى كبد حرى وقلب مقتل

وكنت نديم الكاس حتى إذا طغت ... تعوضت منها ريق أحور عيطل

نهاني عنها حبها أن أسوءها ... بلمسي فلم أفتك ولم أتبتل

أخذت لطرف العين منها نصيبه ... وأخليت من كفي مكان المخلخل

سقتني بعينيها الهوى وسقيتها ... فدب دبيب الراح في كل مفصل

وما العيش إلا أن تبيت موسدا ... ،صريع مدام، كف أحور أكحل

وممكورة رود الشباب كأنها ... قضيب على دعص من الرمل أهيل." (١)

"الطبع وظلمة القلب وقصور الهمة وعي اللسان وسوء الأدب.

ولبعضهم:

قد ترى يا ابن أبي اسحق «١» في ودك عقده ... وكذا السوقي للإخوان سوقي الموده." (٢)

"٦٥- كثرة الوفاق نفاق.

٦٦- كثرة الخلاف شقاق.

٦٧- رب أمل خائب!.

٦٨- رب طمع كاذب.

٦٩- رب رجاء يؤدي إلى حرمان.

٧٠- رب أرباح يؤدي إلى خسران.

٧١- البغنى سائق الحين. «١»

٧٢- في كل جرعة شرقة.

٧٣- ومع كل أكلة غصة. «٢»

٧٤- من أكثر فكره في العواقب لم يشجع. «٣»

٧٥- إذا حلت المقادير بطل الحذر. «٤»

٧٦- الإحسان يقطع اللسان.

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٢٦

(٢) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٧٣

٧٧- الشرف بالعقل والأدب، لا بالأصل والنسب.

٧٨- أكرم النسب **حسن الأدب**.

٧٩- الحسب حسن الخلق.

٨٠- أفقر الفقر الحمق «٥» ٨١- أو حش الوحشة العجب.

٨٢- أغنى الغنى العقل.." (١)

"فلما قام سفيان قال لنا ابو يوسف خذوا ما روى لكم فرد علينا الأربعين حديثا حفظا على سنه وضعفه وعلته وشغله بسفره

اخبرنا ابو القاسم عبد الله بن محمد الحلواني قال ثنا مكرم قال ثنا بشر بن الوليد قال كان ابو يوسف يكتب كتابا ورجل يطلع فيه فقال له ابو يوسف حين فرغ هل فيه خطأ شيء قال لا ولا حرف قال كفيتنا مؤنة النظر فيه ثم انشأ يقول

(كأنه من سوء تأديبه ... اسلم في **كتاب سوء الأدب**)

اخبرنا عمر بن ابراهيم قال ثنا مكرم قال ثنا احمد قال ثنا ابو عبيد قال سمعت ابراهيم بن الجراح يقول دخلت على ابي يوسف وهو شديد العلة فقال يا ابراهيم ما تقول في مسألة قلت في مثل هذه الحال قال ولا بأس بذلك ندرس فينجو به ناج ثم قال ايما افضل في رمي الجمار ان ترميها راكبا راكبا او ما شيا قلت راكبا قال اخطأت قلت ماشيا قال أخطأت قلت له قل فيها رضي الله عنك فقال ان كانت مما لا تقف عنده فالأفضل ان ترمِيها راكبا لأنه أسرع لتنحيك وإن كانت اتفقت عنده فالأفضل أن ترميها ماشيا لأنه اشد لتمكنك واغزر لدعائك

اخبرنا ابو القاسم عبد الله بن محمد المعدل قال حدثنا ابو بكر مكرم بن احمد قال ثنا عبد الوهاب بن محمد قال سمعت محمد بن شجاع قال حدثني الحسن بن ابي مالك وعباس بن الوليد قالا كنا نختلف الى ابي معاوية في حديث الفقه من حديث الحجاج بن ارطأة فقال لنا ابو معاوية اليس ابو يوسف القاضي عندكم قلنا بلى فقال اتتركون ابا يوسف وتكتبون عني كنا نختلف الى الحجاج فكان ابو يوسف يحفظ والحجاج يملي علينا فإذا خرجنا كتبنا من حفظ ابي يوسف." (٢)

---

(١) الإعجاز والإيجاز الثعالبي، أبو منصور ص/٣٨

(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه الصيمري ص/١٠١

"ووقت وفى بالدهر لي عند واحد ... وفى لي بأهليه وزاد كثيرا

يقول: رب وقت اجتمع لي فيه من اللذات والسرور مثل ما في جميع الدهر عند فرد في عصره، وهذا الواحد اجتمع له من الفضائل مثل ما في جميع الخلق بل أزيد كثيرا.

شربت على استحسان ضوء جبينه ... وزهر ترى للماء فيه خريرا

يقول: شربت مستحسنا ضوء جبينه، في بستان ذي زهر. وماء ترى له خريرا. والهاء في فيه للزهر.

غد الناس مثليهم به، لا عدمته ... وأصبح دهري في ذراه دهورا

مثليهم: نصب على الحال، ويجوز أن يكون خبر غدا من أخوات كان.

يقول: فيه من الفضائل مثل ما في جميع الناس، فهو قائم مقامهم فصار الناس مثليهم، واجتنيت أنا عنده من اللذات ما يجتنيه أهل الدهور، فقام دهري مقام دهور كثيرة.

يصف مجلسين للأمير وذكر أبو محمد انزواء أحد المجلسين عن الآخر ليرى من كل واحد منهما ما لا يرى من صاحبه فقال له:

المجلسان على التمييز بينهما ... مقابلان ولكن أحسنا الأدبا

كان المجلسان كل واحد منهما في الجهة التي تقابل الآخر، منحرفا عنه. فهو يقول: إنهما متقابلان في الحقيقة، ومن حيث الحسن والبهاء، وإن كانا قد ميز بينهما. وإنما انحراف أحدهما عن الآخر؛ **لحسن الأدب**! لأن عادة الغلام أن يقف ناحية، حيث لا يراه السيد إلا عند الحاجة إليه.

وقيل: إن ما يجري في أحدهما لا يعرفه أهل المجلس الآخر.

إذا صعدت إلى ذا، مال ذا رهبا ... وإن صعدت إلى ذا، مال ذا رغبا

وروى في المصراعين رهبا.

يقول: إذا صعدت إلى أحد المجلسين انحرف الآخر عن مقابلة الآخر من مقابلة وجهك، هيبة لك وخوفا من سلطانك! وروى في الثاني: رعبا، ورغبا بالغين المعجمة، فالمعنى على هذا: إن أحدهما كان للسطوة والنكال، والآخر للرغبة والنوال، فإذا صعد إلى أحدهما خشي أن يميل إليه بسطواته، فإذا صعد إلى الآخر مال إليه رغبة فيما عوده به من نواله وهباته.

فلم يهابك ما لا حس يردعه؟ ... إني لأبصر من فعليهما عجبا

يردعه: أي يزجره.

يقول: كيف يخاف منك من ما لا حس له يزجره؟! وذلك عجب منهما، فإذا كان ذلك حالهما. فالعقلاء

أولى أن يخافوا منك.

وأقبل الليل وهما في بستان فقال يمدحه:

زال النهار ونور منك يوهمنا ... أن لم يزل ولجنح الليل إجنان

جنح الليل: قطعة من أوله، وقيل: نصفه الأخير. كأنه جنح إلى الذهاب وإجنان الليل: تغطية الأرض بالظلمة.

يقول: إن النهار قد زال، ونور وجهك في إشراقه يوهمنا أن النهار باق بعد والليل قد أظلم بقطعه.

فإن يكن طلب البستان يمسكنا ... فرح فكل مكان منك بستان

يقول: إن كانت إقامتك بالبستان هذا رغبة منه فارجع إلى منزلك فإن كل مكان تحله فهو بستان؛ لما فيك من المحاسن والألطاف.

فلما استقل في القبة نظر إلى السحاب فقال يمدحه:

تعرض لي السحاب وقد قفلنا ... فقلت: إليك إن معي السحابا

يقول: لما انصرفنا من البستان إلى المنزل تعرض لنا السحاب، وهم بالمطر علينا. فقلت: أمسك عن مطرك، فإن معي السحاب، وهو الممدوح.

وقوله: إليك. أي أمسك عني.

فشم في القبة الملك الرجى ... فأمسك بعد ما عزم انسكابا

شم: أي انظر، من قولك شمت البرق أشيمه شيما: إذا نظرت إليه.

يقول: قلت للسحاب انظر إلى الملك المرجى في القبة، إن شككت في قولي، فإنه أكرم منك! فلما نظر إليه السحاب علم صدق قولي فأمسك بعد أن عزم على أن يسكب خجلا واستحياء.

وكره الشرب فلما كثر البخور وارتفعت رائحة الند قال يصف مجلس الشراب عند الأمير:

أنشر الكباء ووجه الأمير ... وحسن الغناء وصافي الخمور!

الكباء: العود الذي يتبخر به. ونشره: رائحته المنتشرة منه.

يقول لنفسه: هذه الأشياء مجتمعة في هذا المجلس ولا أشرب؟!

فداو خماري بشربي لها ... فإني سكرت بشرب السرور

يقول: شربت خمر السرور فسكرت، فهات الخمر لأداوي بها خماري! وهو من قول الأعشى:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

وأشار إليه بعض الطالبين بمسك فقال، وكان أبو محمد حاضرا:

الطيب مما غنيت عنه ... كفى بقرب الأمير طيبا

يبني به ربنا المعالي ... كما بكم يغفر الذنوبا." (١)

"وقد أشرت عليهم بترك تنجزهم الصفح عن ذلك، وقلت: الصبر على القناعة أقبل من سوء الصناعة، والكريم يجب أن يستحيا منه، والجمرة إلى الجمرة نار ينتفع بها المقرور، والنغبة مع أختها ري الظمآن.

فأبوا إلا غير ذلك وقالوا: إنا لا نحمل أوقا كان موضوعا فيما سلف. وهذه الأيام المشرقة لو رأتها " دوس " لما قال القائل منهم: ذهب الخير مع عمرو بن حممة.

فجشموني كلاما في ذلك، فقبح الله معزى خيرها خطة، وشجرا أطوله التربة، ومؤرثات للضيفان أكثرها ضراما ما يوقده أبو الحباحب.

فما برحوا، والكاذب خائب، يرمون بالسروة ويفتلون في الذروة، ويقردون العود النافر، ويزجون ثقالا قيد فما أيد، ويحدون بأم الربيق على أريق. حتى همت النعامة بكروع، وعزم الضب على الشروع. وأني للوليدة بأزمان القردة؟ ومن الفند أن يسأل نعمان في بريرة، ويلتمس من رياض الحزن إنبات الزهرة. وإذا عذلتهم في ذلك، فلهم أن يقولوا: لأفقر منا يهدي غمام أرضنا، وسائمتنا أحق بما نبت في عرضنا.

وقد وصلوا بهذه الرسالة رقعة يرجون بها من اليد العالية توقيعا مؤبدا لا يكون بعده القول مرددا، بل يحسم بإيجاب طمع كل ناظر وجاب.

فإن جاءت بالنجح فلله الحمد ثم للسيد " عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء ". إذا كرم الزندان لم تتعب في القدح اليدان؛ ومن وقف على العناقة أروى الناقة، ومن نزل " تبالة " نفض البالة.

وإن خابت، فهي حقيقة بالخيبة. المطية رجاحة، والأذن فيها جاحة؛ وإن ثعالة لا تبنى العالة. ولو أصغى المسمع إلى ما يأمر به **حسن الأدب**، لم أحفل بحظيات لقمان، ممن صدق أو مان، ولا احتملت أسهم القارة خيفة من الحقارة. لأن المسألة في التافه أنبأت عن اللب النافه.

وإنما جعلت هذا المقدار تافها، لشرف مقدار المسئول. فأما أنا فمذهبي أن الدرهم يقع عليه اسم المال الكثير. ولو كان في الوجد فراشة وفي المحل الممحول غذيمة، لكفيت الغافلة من رماها، والجازئة من اسماها.

ولهؤلاء القوم أريضة ليست بالأريضة، هي من قلة العمل كالمريضة. غراسها ليس بعميم، وثمرها بين الثمر

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١٨٣

كبنى يربوع في بنى تميم؛ إلا أن أولئك حمدوا في الغارة، وذم هذا حين يغير. وحين يختبز لا يطيب منه الخبز. وما سقى منها بالأبق والأديم، فهو العناء المنصب في الحادث وفي القديم؛ يشتكيه المالك ومن يعمل فيه، ويجعل حليما مثل سفيه.

كأن ماءه المنتزع كافر محتقر، غفر له بعد ما مسته سقر، فقد عولي به من أسفل سافلين إلى أعلى عليين. وربما غار ونكز، فلم يفل الملطس في إخراجه حتى يرجع إلى قرواه. تود بهيمة أصعدته، لو كانت في سواد ذي القرنين، تحمل أوتاد خيام أو غيرها من أثقال اللئام، وتسافر من المشرق إلى المغرب، وتراح من هذا البؤس الدرب. إذ كان سفرها لا ينفد وعذابها يجدد. ولا يقنع لها القدر بالأين حتى يأمر بتخمير العين. فالخطوة من العبء قصيرة، والعين عمياء بصيرة. وهي في أوقات النجر يكف بصرها عند الفجر فتنظر إلى القمر دون الشمس، ويومها في الشقوة نظير الأمس. وربما تكون ليست بالزعلة فيستأجر لها غلام عارم لا كريم هو ولا مكارم. فيسوقها بالعجراء سياقة عنيف ويمزق جلدها تمزيق الخنيف. فهي تروى الناضر ولا تلقاه، وتسمع قسيب الأزرق ولا تسقاه. وتمر عليها الدجالة من الرفاق، فإذا سمعت صوت الحافر هاج ذلك عليها طربا وحزنا، وذمت إلى الله القادر معاشا لزنا.

وترد جباها الواردة، فإذا حمل أمرها على ما ظهر من اللفظ العربي في الكتاب الكريم من قوله عزت كلمته: " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ".

وعلى ما جاء في الحكاية عن النملة: " يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ".

وعن الهدهد في قوله " تعالى ": " إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ".

فجائز أن تضمر هذه البهيمة أو تقول باللسان ما لا يفهمه كل إنسان، من كلام معناه: رب صلف تحت الراعد، وساع دأب لقاعد.

تقرى البائسة وترد الرائسة.

ردي ردي ورد قطاة صما

كدرية أعجبها برد الما." (١)

"كنت يوما عند العباس بن خالد، وكان ممن حبب الله إليه أن يتحدث، فأخذ يحدثنى، وينتقل من حديث إلى حديث، وكنا في صحن له، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا إلى موضع آخر، حتى صار الظل فيئا؛

---

(١) رسالة الصاهل والشاجح أبو العلاء المعري ص/٢

فلما أكثر وأضجر، ومللت **حسن الأدب** في حسن الاستماع، وذكرت قول الأوزاعى: إن حسن الاستماع قوة للمحدث، قلت له: إذا كنت وأنا أسمع قد عييت مما لا كلفة على فيه، فكيف أراك وأنت المتكلم؟ فقال: إن الكلام يحلل الفضول اللزجة الغليظة التي تعرض فى اللهوات وأصل اللسان ومنابت الأسنان، فوثبت وقلت: لا أرانى معك اليوم إلا «إيارج الفيقرا» ؛ فأنت تتغر غربى! فاجتهد في أن أجلس فلم أفعل. قال أحمد بن الطيب: كنا مرة عند بعض إخواننا، فتكلم وأعجبه من نفسه البيان، ومنا حسن الاستماع، حتى أفرط، فعرض لبعض من حضر ملل، فقال: إذا بارك الله في الشيء لم يفن، وقد جعل الله تعالى في حديث أخينا البركة!.

ولعبد الله بن سالم الخيّاط في رجل كثير الكلام:

لى صاحب في حديثه البركه ... يزيد عند السكون والحركه

لو قال لا في قليل أحرفها ... لردها بالحروف مشتبكه

ومن طرائف التطويل ما أنشأه البديع، وسيمر من كلامه ما هو آنق من زهر الربيع.

[الملح]

قال الأصمعى: بالعلم وصلنا، وبالملح نلنا، وقال الأصمعى أيضا: أنشدت محمد بن عمران قاضى المدينة، وكان أعقل من رأيته:

يأيها السائل عن منزلى ... نزلت في الخان على نفسى." (١)

"إنى وإن لم ترنى فإننى ... أخوك والراعى إذا استرعيتنى

أراك بالود وإن لم ترنى

قال: فاستخفنى في ذلك ونسب **إلى سوء الأدب**.

وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز في المنصب العالى من الشعر والنثر، وفي النهاية في إشراق ديباجة البيان، والغاية من رقة حاشية اللسان. وكان كما قال ابن المرزبان: إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النثر أتى بحلال السحر، وليس بعد ذى الرمة «١» أكثر افتنانا وأكبر تصرفا وإحسانا في التشبيه منه.

وإنما فرقت جملة ما اخترت من شعره ونثره في جملة هذا الكتاب؛ لئلا أخرج عما تقدم به الشرط في البسط، وآتى ههنا ببعض ما أختاره له، قال:

وفتيان سروا والليل داج ... وضوء الصبح متهم الطلوع

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٢٠١/١

كأن بزاتهم أمراء جيش ... على أكتافهم صدأ الدروع

وقال أيضا:

فى ليلة أكل المحاق هلالها ... حتى تبدى مثل وقف العاج «٢»

والصبح يتلو المشترى فكأنه ... عريان يمشى في الدجا بسراج «٣»

وقال أيضا يصف فرسا:

ولقد غدوت على طمر سابح ... عقدت سنابكه عجاجة قسطل «٤»." (١)

"من لم ير الميدان لم ير معركا ... أشبا، ويوما بالأسنة أكهبا «١»

وكتائبا تردى غواربها العدى ... وفوارسا تعدو صوالجها الظبا

لا يوردون الماء سنبك سابح ... أو يكتسى بدم الفوارس طحلبا «٢»

[رجع إلى عمر بن العلاء]

قال: وبلغ عمر بن العلاء أن أبا العتاهية عاتب عليه في هنات نالها منه فى مجلس، وكان كثير الانقطاع إليه، فتخلف عنه، فساء ذلك عمر، فكتب إليه:

قد بلغنى الذى كان من تجنبك فيما استخفك **به سوء الأدب** عن علم حقيقة منى، فصرت مترددا من العمى في يلاميع الشبهة «٣» ؛ ولو كان معك من علمك داع إلى لقائى لكشفت لك مورد الأمر ومصدره، لترجع إلى الصلة، فتقال أو تأبى إلا الصريمة فتصرم؛ وقد قال الأول:

ومستعتب أبدى على الظن عتبه ... وأخرج منه المحفظات غليل

كشفت له عذرا فأبصر وجهه ... فعاد إلى الإنصاف وهو ذليل

فأجابه أبو العتاهية: لم أجز بعتبى الحقيقة إلى الشبهة، ولم أجد سعة مع عظيم قدرتك إلى حمل اللائمة، فقصر بى الخوف من سخطك، على ترك معاتبتك؛ لأن المعاتبة لا تجتنى إلا من المساوى، ولو رغبت عن الصلة إلى القطيعة لتقاضيتك ذلك عن طول الصحبة، وسالف المدة، وأنا أقول:

رضيت ببعض الذل خوف جميعه ... وليس لمثلى بالملوك يدان

وكنت امرأ أخشى العقاب وأتقى ... مغبة ما تجنى يدى ولسانى

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٢١٩/١

فهل من شفيع منك يضمن توبتى ... فإنى امرؤ أوفى بكل ضمان
فتراجعا إلى أحسن ما كانا عليه." (١)

"فى قصيدته التي مدح بها أحمد بن محمد بن ثوابة حين ساوره، وقال: لو أتى لبيد لتعجب منه، فاستجز له وقال:

ولما دعانى للمثوبة سيد ... يرى المدح عارا قبل بذل المثاوب
تنازعنى رغب ورهب كلاهما ... قوى، وأعيانى طلوع المعايب
فقدمت رجلا رغبة في رغيبة ... وأخرت رجلا رهبة للمعاطب
أخاف على نفسى وأرجو مفازها ... وأستار غيب الله دون العواقب
ألا من يرينى غايتى قبل مذهبى ... ومن أين والغايات بعد المذاهب

[من اعتذارات البديع]

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان إلى أبى على إسماعيل يعتذر إليه:

سوء الأدب من سكر الندب، وسكر الغضب من الكبائر التي تنالها المغفرة، وتسعها المعذرة، وقد جرى بحضرة الشيخ ما جرى، وقد أفنيت يدى عضا، وأسنانى رضا، وإن لم أوف ما جرى فالعذر أمد خطا، فإن كان بساطا يطوى، وحديثا لا يروى، فأولى من عذر اللاعب، وأحرى من غفر الصاحب؛ وإن كان ميتا ينشر، وسببا يذكر، فليكن العقاب ما كان، إن لم يكن الهجران، على أنى قد أخذت قسطى من العقاب، واستفدت من رد الجواب، ما كفى وأوجع القفا؛ فكان من موجب أدب الخدمة، إبقاء الحشمة لولى النعمة، باحتمال الشتم، والإغضاء عن الخصم، لكنى أحدقت بى ثلاثة أحوال لا يسلم صاحبها: اللعب وسكره، والخصم وهجره، والإدلال والثقة، وهن اللواتى حملننى على ماء الوجه فهرقته، وحجاب الحشمة فخرقته، وقد منعنى الآن فرط الحياء من وشك اللقاء، وعهدى بوجهى وهو أصفق من العدم الذى حملنى على جهله، وأوقح من الدهر الذى أحوجنى إلى أهله؛ لكن النعم إذا توالت على وجه رققت قشرته، وألانت بشرته؛ وأنا منتظر من الجواب ما يريش جناحى إلى خدمته، فإن رأى أن يكتب فعل، إن شاء الله.." (٢)

"تعلم من الأفعى أمالي طبعها ... فآنس إذا أوحشت تعف من الذم
لئن كان سم كامن تحت نابها ... ففي لحمها ترياق غائلة السم

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٣٨٦/٢

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٦١٣/٢

وقال:

الله يعلم أني لست ذا بخل ... ولست ملتمسا في البخل لي عللا
لكن طاقة مثلي غير خافية ... والذر يعذر في القدر الذي حملا
[وقال] أبو بكر الخالدي:

وأخ رخصت عليه حتى ملني ... والشيء مملول إذا ما يرخص
ما في زمانك ما يعز وجوده ... إن رمته إلا صديق مخلص
[وقال] أخوه أبو عثمان:

يا هذه إن رحت في ... خلق فما في ذاك عار
هذي المدام هي الحيا ... ة قميصها خزف وقار
أبو نصر بن نباتة:

ولا تحقرن عدوا رماك ... وإن كان في ساعديه قصر
فإن السيوف تجذ الرقاب ... وتعجز عما تنال الإبر
وله:

أرى همم المرء اكتئابا وحسرة ... عليه إذا لم يسعد الله جده
وما لامرئ في حادث الدهر حيلة ... إذا نحسه في الأمر وافق سعده
وله:

وعنفني في مركب الهول معشر ... وقالوا: أيهوى الجدب من هو في الخصب
وإني لأدري أن في العجز راحة ... وأعلم أن السهل أوطا من الصعب
ولو طلب الناس المكارم كلهم ... لكان الغنى كالفقر والعبد كالرب
ولكن أشخاص المعالي خفية ... على كل عين ليس تبصر باللب
يقول في هذه القصيدة يمدح علي بن المزربان:

ومن كعلي للفوارس تدعي ... وللخيل سامتها القوائم للوثب
ترى الشمس أما والكواكب إخوة ... وتنظر من بدر السماء إلى ترب
رأى الفلك الدوار تربة بابل ... أحق وأولى منه بالأنجم الشهب
يدب ويسري نشركم في نسيمها ... ويعبق منكم في المياه وفي الترب
وما بشروق الشمس منها تشرفت ... بكم شرفت شرق البلاد على الغرب
ابن وكيع:

لئيم لا يزال يلم وفرا ... لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب صيد يمسك وهو طاو ... فريسته ليأكلها سواه
وقال:

تعمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن خالفتني لتريد نقصي ... فلا تغضب إذا لم تعط طاعة
وقال:

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب ... مزحا تضاف به **إلى سوء الأدب**
لا تغضبن أخاك إن مازحته ... إن المزاح على مقدمة الغضب
[وقال] أبو إسحاق الصابي:

وأحق من نكسته ... بالصغر من درجاته
من مجده من غيره ... وسفاله من ذاته
وكتب إلى صديق له من السجن بقوله:

نحن في الصحبة كالنسرين لكني واقع
وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع
وكان سبب سجنه أنه في أيام عز الدولة بختيار بن معزها أحمد بن بويه الديلمي كان على ديوان الإنشاء،

وكانت بين بختيار وعضد الدولة فنا خسرو منافسة في الرئاسة، فلما خلع الفضل بن جعفر المقتدر [وهو المطيع] وأقيم مكانه ابنه أبو الفضل عبد الكريم الطائع سنة أربع وستين وثلاثمئة، استولى على جميع الأمر عضد الدولة، وقتل بختيار وأمحى أثره، فأحضر الصابي، وقال: قد علمت ما كنت تعاملني به من قبيح المخاطبة في المكاتبة، وقد أحفظني ذلك، فأوجب حلفي على قتلك إذا ظفرت بك، وقد رأيت ذلك من الفساد إذ كنت مقدما في صناعتك، ولكن لا تعمل لي عملا أبدا.

واستصفى أمواله وحبسه، وولى ديوان الإنشاء أبا منصور المرزبان الشيرازي، وكان غاية في البلاغة والفصاحة وحسن آلات الكتابة. وزارة أبا إسحاق الصابي في السجن أبو الفرج الببغاء الشاعر زورة ثم قطعه فكتب إليه:

أبا الفرج أسلم وابق وانعم ولا تزل ... يزيدك صرف الدهر حظا إذا نقص

مضت مدة أستام ودك غاليا ... فأرخصته والبيع غال ومرتخص

وآنستني في محبسي بزيارة ... شفت كمدا من صاحب لك قد خلص

ولكنها كانت كحسوة طائر ... فواقا كما يستفرض السارق الفرص

وأحسبك استوحشت من ضيق محبسي ... وعادك عيد من تذكرك القفص

فعوفيت يا قس الطيور فصاحة ... إذا سرد المنظوم أو تلي القصص

من المنسر الأشغى ومن حزة المدى ... ومن بندق الرامي ومن قصة المقص

ومن صعدة فيها من الدبق لهذم ... لفرسانكم عند اللقاء بها قعص." (١)

"ولا يحب أن يكون كلما طال كلامه انحل نظامه؛ بل يأتي في آخر ما أحكمه بما ينسي ما تقدمه، وإلا كان كما ذكر الجاحظ: أن الرشيد أحب أن ينظر إلى شعيب القلال كيف يعمل؟ فأدخل القصر، وأتي بكل ما يحتاج إليه من آلة العمل؛ فبينما هو يعمل إذ بصر بالرشيد فنهض قائما. فقال له: دونك وما دعيت له؛ فإني لم آتك لتقوم إلي؛ بل لتعمل بين يدي. فقال: وأنا أصلحك الله لم آتك ليسوء أدبي؛ وإنما أتيتك لأزداد أدبا؛ فأعجب الرشيد به، وقال له: بلغني أنك إنما تعرضت لي حين كسدت صناعتك؟ فقال: يا سيدي، وما كساد عملي في خلال وجهك! فضحك الرشيد حتى غطى وجهه. وقال: ما رأيت أنطق منه ولا أعيا منه! ينبغي أن يكون أعقل الناس وأجهل الناس. وكذلك كان.

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحصري القيرواني ص/٥٢

سر النادرة دون مطمطة ومجمجة

ويجب إذا حكى النادرة الظريفة، والحكمة اللطيفة، ألا يعربها فتثقل، ولا يمجمجها فتجهل، ولا يمطمطها فتبرد، ولا يقطعها فتجمد. ولو أن قائئا حكى قول مزيد المدني، وقد أكل طعاما فأثقله. فقيل له: تقيأه يذهب ما بك. فقال: خبز نقي، ولحم جدي، والله لو وجدته قيا لأكلته. فلو أعطاه حقه من الإعراب فقال: خبز نقي، ولحم جدي، والله لو وجدته قيئا لأكلته، لخرج عن حده، وأفلج من برده.

وكذلك لو ذهب بما يحتاج إلى الإعراب من كلام الفصحاء والأعراب إلى اللحن لاستغث واسترث. كما ذكروا أن الحجاج بعث إلى ولي البصرة أن اختر لي من عندك عشر فصحاء، فاختار رجالا فيهم كثير بن أبي كثير وكان عربيا فصيحا قال كثير: فقلت: بم أفلت من الحجاج؟ ثم قلت في نفسي: باللحن؛ فلما دخلت عليه دعاني فقال: ما اسمك؟ قلت: كثير. قال: ابن من؟ فقلت: إن قلت: ابن أبو كثير خفت أن يتجاوزها. فقلت: ابن أبا كثير. فقال: اذهب فعليك لعنة الله وعلى من بعث بك، جروا في عنقه! فأخرجت.

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله: ما تقول في رجل مات وترك أبيه وأخيه؟ فقال: أغيلمة إن فهمناهم لم يفهموا، وإن علمناهم لم يعلموا، قل: ترك أباه وأخاه، فقال له: فما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: قل لأبيه ولأخيه، قال: أرى كلما تابعتك خالفتني.

ولكل صناعة آلة، ولكل بضاعة حالة. وذم رجل رجلا فقال: أقداحه محاجم ودعواته ملاوم، وكئوسه محابر، ونوادره بوارد.

وقال الزبير: رؤي الغاضري ينازع أشعب الطمع عند بعض الولاة فقال: أيها الأمير، إنه يريد أن يدخل علي في صناعتي، ويشاركني في بضاعتي، وهيئته هيأة قاض، والأمير يضحك.

وقال عمرو بن عثمان:

واشتياقي إلى أبي الخطاب ... وأحاديثه الرقاق العذاب

وإشارته التي استعارت ... حركات المهجور عند العتاب

ويجب على اللبيب المطرب ألا يطيل فيمل، ولا يقصر فيخل، فللكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، قال أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ أحمد بن إسحاق الكندي: كنت يوما عند العباس بن خالد، وكان ممن حبب إليه أن يتحدث، فأقبل يحدثني، وينتقل من حديث إلى حديث، وكان في صحن منزله، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا من موضع إلى موضع آخر حتى صار الظل فيئا. فلما أكثر وأضجر، ومللت **حسن الأدب** في حسن الاستماع، وذكرت قول الأوزاعي: إن حسن الاستماع قوة للمحدث، فقلت له: إذا كنت وأنا

أسمع قد عييت مما لا كلفة علي فيه؛ فكيف بك وأنت المتكلم؟ فقال: إن الكلام يحلل الفضول الغليظة التي تعرض في اللهوات وأصل اللسان، ومنابت الأسنان؛ فوثبت وقلت: ما أراني معك في إلا أيارج الفيقرا إذ أنت تتغرغر بي منذ اليوم، والله لا أجلس، واجتهد بي فلم أفعل.

وقال أحمد بن الطيب: كنا مرة عند بعض إخواننا، فتكلم فأعجبه من نفسه الكلام، ومنا حسن الاستماع، حتى أفرط؛ فعرض لبعض من حضر ملل؛ فقال: إذا بارك الله في شيء لم يفن، وقد جعل الله في حديث أخينا هذه البركة.

وقال عبد الله بن سالم في رجل كثير الكلام:

لي صاحب في حديثه بركه ... يزيد هذا السكون والحركه

لو قال لا في قليل أحرفها ... لردها بالحروف مشتبكه

والتحفظ في هذا الباب من أكبر الأسباب؛ لأن المنادر والمهاتر والمسامر قد تمر له النادرة المضحكة، والطيبة المحركة؛ فيستغرب المجلس، وتطرب الأنفس؛ فيدعوه ما استحسن منه، واستندر عنه، أن يعود إلى مثلها فينقص من حيث ظن أنه زاد، ويفسد عليه ما أراد.." (١)

"قال: وسمعت بنانا يقول: الشر والاختلاف في الوليمة أحد المصيبتين.

قال: وأتى بنان قوما ليدخل إليهم، فقالوا له: من أنت؟ قال: الذي كفيتكم مؤنة الإرسال إلي.

قال: وقيل لبنان: أي الطعام وجدت أطيب؟ قال: ما اتسع صدر صاحبه.

قال: وسمعت بنانا يقول: سبعة يضنين، بل يقتلن: إذا كان صاحب الوليمة بخيلا، والبواب كذابا صلفا، والقيم على الناس بغيضا يسيء الأدب، والخباز لا يحسن يعمل الطعام وكان قذر الكف، والمائدة حتى توضع، وجيء الإخوان، والمجلس ليس فيه غناء ولا نبيذ كالبيت الخرب. وسبعة يزدن صاحب الوليمة سرورا وفرحا بما هو فيه: إذا كان سخيا جوادا كريما لم يسأل شيئا إلا جاد به، والحاجب إذا كان ظريفا لبيبا، والوكيل- أو قال: القيم- إذا كان عاقلا **حسن الأدب** ينزل الناس منازلهم ويرتبهم، والخباز إذا كان طيب العمل نظيف الكف، وغلام عاقل يضحك في وجوه الناس ويحثهم على الأكل، والمائدة إذا وضعت وكان معك من تحبه ويحبك يأكل معك، وليس يجيئك ثقيل ولا بغيض فيزحمك أو يؤذيك، ويجيء أصحابك العقلاء الذي يعرفون حقك، ويكرمونك ويجلونك ويحلفون." (٢)

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر الحصري القيرواني ص/٤

(٢) التطفيل وحكايات الطفيليين الخطيب البغدادي ص/١٦٢

"عما قرفت به، وأخذني إليه، ففك وثاقي، قال: وتجمعت العامة وبالغوا في التشنيع علي ومتابعة رفع القصص في أمري، فقلت لابن أبي دؤاد. قد كثر تجمع هؤلاء الهمج علي وهم كثير، فقال: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله

[البقرة ٢٤٩] .

فقلت: قد بالغوا في التشنيع علي، فقال: ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

[فاطر ٤٣] . قلت: فإني على غاية الخوف من كيدهم، ولن يخرج أمري عن يدك فقال: لا تحزن إن الله معنا

[التوبة ٤٠] . فقلت: القاضي- أعزه الله- كما قال الصموت الكلابي:

لله درك- أي جنة خائف ... ومتاع دنيا- أنت للحدثان

متخمط يطأ الرجال بنعله ... وطء الفنيق دوارج القردان

ويكبهم حتى كأن رءوسهم ... مأمومة تنحط للغربان

ويفرج الباب الشديد رتاجه ... حتى يصير كأنه بابان

قال: يا غلام الدواة والقرطاس، اكتب هذه الأبيات عن أبي عبد الله. قال: فكتبت له، ولم يزل يتلطف في أمري حتى خلصني.

حدثنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد الوكيل حدثنا إسماعيل بن سعيد المعدل حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال: قال أبو العيناء قال لي ابن أبي دؤاد: ما أشد ما أصابك في ذهاب بصرك؟ قلت: خلتان، يبدؤني قومي بالسلام، وكنت أحب أن ابتدئهم، وإني ربما حدثت المعرض عني وكنت أحب أن أعرف ذاك فأقطع عنه حديثي. قال: أما من ابتدأك بالسلام فقد كافأته بحسن النية، وأما من أعرض عن حديثك فما أكسب نفسه **من سوء الأدب** أكثر مما وصل إليك من سوء اجتماعه.

أخبرني علي بن أيوب بن محمد بن عمران المرزباني أخبرني محمد بن يحيى حدثنا أبو العيناء قال قال لي المتوكل: قد أردتك لمجالستي. فقلت: لا أطيق ذاك، وما أقول جهلا بمالي في هذا المجلس من الشرف، ولكني رجل محجوب، والمحجوب تختلف إشارته ويخفى عليه إيماؤه، ويجوز علي أن أتكلم بكلام غضبان ووجهك راض، وبكلام راض ووجهك غضبان، ومتى لم أميز هذين هلكت. فقال: صدقت ولكن تلزمنا فقلت: لزوم الفرض الواجب. فوصلني بعشرة آلاف درهم.

قال وروي أن المتوكل قال: أشتهي أن أنادم أبا العيناء لولا أنه ضرير. فقال أبو العيناء: إن أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهلة، ونقش الخواتيم، فإني أصلح.." (١)

"قال لي أبو نعيم الحافظ: توفي أحمد بن جعفر بن محمد بن سعيد أبو حامد الأشعري سنة سبع عشرة وثلاثمائة في رجب.

وقال أبو نعيم أيضا: قال أبو محمد بن حبان: ارتحل إلى العراق بضع عشرة رحلة، ورأيته ببغداد، ونسبه ابن حبان إلى الضعف، وألقى حديثه.

٢٠٠٢- أحمد بن جعفر بن محمد بن أحمد بن سمي، أبو بكر الناقد [١] :

حدث عن الحسن بن عرفة، وأبي يحيى محمد بن سعيد العطار، ويحيى بن أبي طالب. روى عنه محمد بن إسحاق القطيعي، ويوسف بن عمر القواس. وذكر يوسف أنه سمع منه في سنة تسع عشرة وثلاثمائة.

٢٠٠٣-[٢] أحمد بن جعفر بن أحمد، أبو بكر الخياش [٣] :

من أهل مصر، قدم بغداد وحدث بها عن المقدام بن داود، وأحمد بن محمد بن رشدين، ومحمد بن عبد الله بن حكيم وغيرهم من المصريين. روى عنه القاضي أبو الحسن الجراحي، ومحمد بن عبد الله الأبهري، وأبو الحسن الدارقطني.

أخبرنا أبو القاسم الأزهري أخبرنا علي بن عمر الحافظ. قال: وأما الحبشي فهو شيخ من أهل مصر كتبنا عنه، كان شيخا صالحا يكنى أبا بكر أحمد بن جعفر الحبشي، يحدث عن أبي علاثة محمد بن عمرو بن خالد، وعبيد بن رحال، ويحيى ابن أيوب العلاف، وأبي عبد الرحمن النسائي، وغيرهم من المصريين. وكتب أيضا عن البغداديين والبصريين، كتب عن أبي يحيى الساجي، ومحمد بن الحسين بن مكرم، وعبدان الأهوازي، وإسحاق بن خالويه، وغيرهم. ويعرف أيضا بأبي بكر الخياش، كان من الثقات.

٢٠٠٤- أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك، أبو الحسن النديم المعروف بجحظة [٤] :

كان **حسن الأدب**، كثير الرواية للأخبار، متصرفا في فنون جمة، عارفا من العلوم

---

[١] ٢٠٠٢- هذه الترجمة برقم ١٦٨٦ في المطبوعة.

[٢] ٢٠٠٣- هذه الترجمة برقم ١٦٨٧ في المطبوعة.

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٣٩٢/٣

انظر: الأنساب، للسمعاني ٥/٢٢١.

[٣] الخياش: هذه اللفظة لمن يبيع الخيش (الأنساب ٥/٢٢١) .

[٤] ٢٠٠٤- هذه الترجمة برقم ١٦٨٨ في المطبوعة.

انظر: المنتظم لابن الجوزي ١٣/٣٥٩.." (١)

"محال. قال: فرأيت الخزف المكسور في غرفته، لم يشله ولم يمسه حتى عفى عليه التراب.

قال أبو نصر إبراهيم بن هبة الله بن إبراهيم الجرباذقاني- بها- حدثنا معمر بن أحمد بن محمد بن زياد الأصبهاني، أخبرني أحمد بن منصور المذكر قال: سمعت محمد بن منصور النسائي يقول: قال أبو محمد الجريري: إن الله لا يعبأ بصاحب حكاية، إنما يعبأ بصاحب قلب ودراية.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، أخبرني محمد بن الحسين السلمي قال: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: منذ عشرين سنة ما مددت رجلي وقت جلوسي في الخلوة، فإن **حسن الأدب** مع الله أولى.

أخبرنا إسماعيل الحيري، أخبرنا عبد الرحمن السلمي قال: سمعت عبد الله بن عطاء يقول: كان الجنيد إذا تكلم في علوم الحقائق يقول: هذا من بابة أبي محمد بن الجريري إذا لم يحضر هو المجلس.

وقال أبو عبد الرحمن: سمعت أبا سعيد بن أبي حاتم يقول: قال أبو محمد الدبيلي: سألت الجنيد عند وفاته: إلى من نقعد بعدك في هذا الأمر؟ فقال: إلى أبي محمد الجريري.

أخبرنا رضوان أبو محمد بن الحسن الدينوري قال: سمعت أبا سعد الحسين بن عثمان بن أحمد بن سهل الكرخي يقول: سمعت أبا الحسن علي بن الحسن بن بندار يقول: سمعت أبا الحسن علي بن داود البغدادي- بأنطاكية- يقول سئل أبو محمد الجريري: ما العبادة؟ فقال: حفظ ما كلفت، وترك ما كفيت.

أخبرنا عبد الكريم بن هوازن قال: سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول:

سمعت أبا الفضل الصرام- بهراة- يقول: سمعت علي بن عبد الله يقول: اعتكف أبو محمد الجريري بمكة في سنة اثنتين وتسعين ومائتين، فلم يأكل ولم ينم ولم يستند إلى حائط ولم يمد رجليه. فقال له أبو بكر الكتاني: يا أبا محمد بماذا قدرت على اعتكافك؟ فقال: علم صدق باطني فأعانني على ظاهري. ثم أنشأ يقول:

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٤/٢٨٥

سأشكر لا أني أجازيك منعما ... بشكري ولكن كي يقال له شكر

وأذكر أيامي لديك وطيبها ... وآخر ما يبقى على الذاكر الذكر." (١)

"٣٠٣٥-[١] إبراهيم بن أحمد، أبو إسحاق المارستاني [٢] :

أحد شيوخ الصوفية، حكى عنه أبو محمد الجريري.

أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: سمعت أبا الحسن بن مقسم يحكى عن أبي محمد الجريري قال: سمعت أبا إسحاق المارستاني يقول: رأيت الخضر عليه السلام فعلمني عشر كلمات وأحصاها بيده: اللهم أني أسألك الإقبال عليك، والإصغاء إليك، والفهم عنك، والبصيرة في أمرك، والنفاذ في طاعتك، والمواظبة على إرادتك، والمبادرة في خدمتك، **وحسن الأدب** في معاملتك، والتسليم والتفويض إليك.

قال لي أبو نعيم: اسم أبي إسحاق المارستاني إبراهيم بن أحمد، بغدادي كان الجنيد له مؤاخيا.

٣٠٣٦- إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أبو إسحاق الخواص [٣] :

من أهل سر من رأى، وهو أحد شيوخ الصوفية، وممن يذكر بالتوكل وكثرة الأسفار إلى مكة وغيرها على التجريد، وله كتب مصنفة. روى عنه جعفر الخالدي وغيره.

أخبرنا أبو نعيم الحافظ، أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير الخالدي- في كتابه- قال: سمعت إبراهيم الخواص يقول: سلكت في البادية إلى مكة سبعة عشر طريقا، فيها طريق من ذهب، وطريق من فضة! حدثنا أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي الحبلي- بلفظه- قال: سمعت جعفر الخالدي يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: نزلت إلى مشرعة الساج من بغداد، وكان الماء مدادا، والريح يلعب بالموج، فرأيت رجلا بين الموج يمشي على الماء، فسجدت وجعلت بيني وبين الله أن لا أرفع رأسي حتى أعلم من الرجل، فلم أطل في السجود حتى حركني فقال لي: قم ولا تعاود، فأنا إبراهيم بن علي الخراساني! حدثنا عبد العزيز بن علي الوراق، حدثنا علي بن عبد الله الهمذاني، حدثنا

---

[١] ٣٠٣٥- انظر: حلية الأولياء، لأبي نعيم.

[٢] المارستاني: نسبة إلى المارستان المعروف. (لب اللباب للسيوطي ٢٣٢) .

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٩٨/٥

[٣] ٣٠٣٦- انظر: المنتظم، لابن الجوزي ٢٦/١٣. والطبقات الـكبرى للشعراني ٨٣/١ وسماه هناك إبراهيم بن إسماعيل. والأعلام ٢٨/١.." (١)

"ومن هذا الجنس أيضا الابتداء في القصائد فإنه يحتاج إلى تحرز فيه حتى لا يستفتح بلفظ محتمل أو كلام يتطير منه وقد روى أن ذا الرمة أنشد هشام بن عبد الملك قصيدته البائية فلما ابتدأ وقال:

ما بال عينك منها الماء ينسكب ... كأنه من كلى مفرية سرب

قال هشام: بل عينك١

وقد كان أبو الطيب افتتح قصيدته التي مدح فيها عضد الدولة بقوله:

أوه بديل من قولتي واها ... لمن نأت والحديث ذكراها

فقال له: أوه وكيه ويقال إن بعض الشعراء٢ دخل على الداعي العلوي٣ في يوم مهرجان فأنشده:

لا تقل بشرى ولكن بشريان ... غرة الداعي ويوم المهرجان

فبطحه وضربه خمسين عصا وقال: إصلاح أدبه أبلغ في ثوابه.

وكان شيخنا يعيب قول أبي الطيب:

إذا ما لبست الدهر مستمعا به ... تخرقت والملبوس لم يتخرق

ويقول: إذا طولب الشاعر **بحسن الأدب** وجب أن لا يقابل الممدوح بمثل هذا الكلام.

---

١ كانت عين هشام تدمع دائما فظن أنه يعرض به.

٢ هو نصر بن نصر الحلواني المشهور بابن مقاتل.

٣ هو محمد بن زيد صاحب طبرستان.." (٢)

"لأن تلك يدركها الضعيف البصر ويتعذر عليه إدراك هذه ولو اعتبرنا هذا في الكلام وفهم البليد له لاعتبرنا ذلك في النقوش وإدراك الضعيف البصر لها وهذا فاسد. ويلزم من ذهب إلى اختيار العبارة عن المعنى بالألفاظ الكثيرة من حيث كان ذلك سببا لفهم عوام الناس ومن لا يسبق ذهنه إلى تصور المعنى أن يختار الألفاظ العامية المبتذلة على الألفاظ الفصيحة التي لم تكثر استعمالها العامة ولا ابتذلوها لأن علته في اختيار الطويل لأجل فهمهم له قائمة في الألفاظ المتبذلة ولا خلاف أنهم إلى فهمها أقرب من فهم ما

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٧/٦

(٢) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص/١٨٣

يقل ابتذالهم له وهذا مما لا يذهب إليه أحد ولا التزامه ملتزم.

وقد قسموا دلالة الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام أحدها المساواة وهو أن يكون المعنى وفاضلا عنه والثالث الإشارة وهو أن يكون المعنى زائدا على اللفظ. أي أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة.

وقالوا: إن التذييل يصلح للمواقف الجامعة وبحيث يكون الكلام مخاطبا به عامة الناس ومن لايسبق ذهنه إلى تصور المعاني والإشارة تصلح لمخاطبة الخلفاء والملوك ومن يقتضى **حسن الأدب** عنده التخفيف في خطابه وتجنب الإطالة فيما يتكلف سماعه والمساواة إلي هي الوسط بني هذين الطرفين من الإشارة والتذييل تصلح للوسط بين الطرفين اللذين هما الملوك وعوام الناس. والذي عندي في هذا ما ذكرته وهو أن المختار في الفصاحة والدال على البلاغة هو أن يكون المعنى مساويا للفظ أو زائدا عليه وأعنى بقولي زائدا عليه أن يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة لا أن تكون الألفاظ لفرط إيجازها قد ألبست المعنى وأغمضته حتى يحتاج في استنباطه إلى." (١)

"١٥- أبو سعد [١] محمد بن عبد الرحمن «١» الصيدلاني [٢] [الجرجاني] [٣]

قال الشيخ أبو عامر كان هذا الفاضل **يحسن الأدب**، لا إلى غاية. مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة «٢» . قال: وأنشدني لنفسه:

إن البراغيث بالليالي [٤] ... إذا توثبن في القتال [٥]

(مخلع البسيط)

لمشبهات على فراشي ... بزرقطونا «٣» على المقالي

[قلت] [٦] : أخذه من قول الآخر:

لو تراني والبراغي ... ث بجسمي يعبثونا

(مجزوء الرمل)

---

[١]- في ل ١: سعيد.

[٢]- الشاعر ساقط من ف ٣.

[٣]- إضافة في ل كلها وب ٢ وب ٣.

---

(١) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص/٢٠٧

[٤]- في ل ١ وب ٣: في الليالي.

[٥]- في ل ١ وب ٣: قتالي.

[٦]- إضافة في ف ١ وب ٢ وب ٣ ول ٢.." (١)

"مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي ... ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

ويروى في الجفون وكان يجب أن يقول ولقياك لأن الرؤيا تستعمل في المنام خاصة لكنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية لأنه كان بالليل كقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس لم يرد رؤيا المنام إنما أراد رؤيا اليقظة ولكنه كان بالليل

على أنني طوقت منك بنعمة ... شهيد بها بعضي لغيري على بعضي

يريد انصرف عنك مع أنك قلدتني نعمة يشهد بها بعضي على بعض أي من نصر إلي استدل بنعمتك علي والمعنى أن القلب أن أنكر نعمتك شهد الجلد بما عليه من الخلعة

سلام الذي فوق السموات عرشه ... تخص به يا خير ماش على الأرض

وقال أيضا وهو يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال

ألم تر أيها الملك المرجى ... عجائب ما رأيت من السحاب

تشكي الأرض غيبته إليه ... وترشف ماءه رشف الرضاب

هذا البيت تفسير ما ذكره من العجائب يقول الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها وتمص ماءه كما يمص العاشق ريق المحبوب

وأوهم أن في الشطرنج همي ... وفيك تأملي ولك انتصابي

الشطرنج معرب والأحسن كسر الشين ليكون على وزن فعلل كجردحل وقرطعب يقال ما له قرطعبة أي شيء والجردحل من الأبل الضخم وليس في كلام العرب فعلل وقيل أنه معرب من سدرنج يعني أن من اشتغل به ذهب غناؤه باطلا يقول إنما اتأمل في محاسنك لا في الشطرنج وانتصب جالسا لأراك لا للعب

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ٦٠٧/١

سأمضي والسلام عليك مني ... مغيبي ليلتي وغدا إيابي
وأخذ الشراب من أبي الطيب وأراد الانصراف فلم يقدر على الكلام فقال هذين البيتين وهو لا يدري

نال الذي نلت منه مني ... لله ما تصنع الخمور
وذا انصرافي إلى محلي ... أآذن أيها الأمير
يقول الذي نلت منه بشربه نال مني بتغيير اعضائي والأخذ من عقلي ثم تعجب مما تفعله الخمر وهذا كما قال الطائي، وكأس كمعسول الأماني شربتها، ولكنها أجلت وقد شربت عقلي، إذا اليد نالتها بوتر توترت، على ضغنها ثم استقادت من الرجل، وكما قال ايضا، أفيكم فتى حي فيخبرني عني، بما شربت مشروبة الراح من ذهني وعرض عليه الصحبة في غد فقال

وجدت المدامة غلابة ... تهيج للقلب أشواقه
غلابة تغلب العقل والحزن وتحرك الشوق كما قال البحتري، من قهوة تنسى الهموم وتبعث، الشوق الذي قد ضل في الأحشاء،

تسيء من المرء تأديبه ... ولكن تحسن أخلاقه
أراد بسوء الأدب حركاته المفرطة وقول الخنا والعربدة وبحسن الخلق السماحة

وأنفس ما للفتى لبه ... وذو اللب يكره إنفاقه
اعز ما للانسان عقله والعاقل يكره اخراج العقل من نفسه

وقد مت أمس بها موتة ... وما يشتهي الموت من ذاقه
جعل غلبة السكر عقله كالموت ثم قال ومات مرة لا يشتهي العود إليه وقال يصف لعبة أحضرت المجلس على صورة جارية

وجارية شعرها شطرها ... محكمة نافذ أمرها
يعني أن شعر رأسها طويل قد بلغ نصف بدنها حكمها أهل المجلس واطاعوها فيما تأمرهم لأنها كانت تدور فإذا وقفت بحذاء واحد منهم شرب فأمرها نافذ عليهم

تدور وفي يدها طاقة ... تضمنها مكرها شبرها

كانت قد وضعت في كفها طاقة ريحان أو نرجس كرها لأنها لم تأخذها طوعا

فإن أسكرتنا ففي جهلها ... بما فعلته بنا عذرها

أي أن اسكرتنا بوقوفها حذاءنا فجهلها ما فعلت عذر لها لأنها لا تعلم ما فعلت واديرت فوقفت حذاء أبي الطيب فقال

جارية ما لجسمها روح ... بالقلب من حبها تباريح

يعني أن القلوب تحبها للطف صورتها والتباريح الشدائد

في يدها طاقة تشير بها ... لكل طيب من طيبها ريح

أي كل طيب يستفيد طيب الرائحة منها لأنها أطيب الأشياء ريحا

سأشرب الكاس عن إشارتها ... ودمع عيني في الخد مسفوح

أي إنما يبكي لكراهية الشرب ولكنه لا يمكنه مخالفة اشارتها واديرت فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها فقال

يا ذا المعالي ومعدن الأدب ... سيدنا وابن سيد العرب

أنت عليم بكل معجزة ... ولو سألنا سواك لم يجب

أي بكل مسألة معجزة الناس عن بيانها والجواب فيها

أهذه قابلتك راقصة ... أم رفعت رجلها من التعب." (١)

"هذا البيت تعليل لقوله ومنصرفي له أمضى السلاح لاني كلما لم أرك طال ليلى فيعد ما بين جفني والصباح لسهري شوقا إلى لقائك ولو قال بين عيني والصباح كان اظهر لأن الصبح إنما يرى بالعين لا بالجفن واخرج بين عن الظرفية ورفعه بفعله وهو معنى بعيد ومثله قول الآخر، كان رماحهم أشطان بئر، بعيد

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/١٢٣

بين جانبها جرور.

وسايره وهو لا يدري أين يريد به فلما دخل كفرديس قال

وزيارة عن غير موعد ... كالغمض في الجفن المسهد

أي اتفقت لنا زيارة هذه القرية بغتة فكانت لطيبها كالنوم في الجفن الساهد

معجت بنا فيها الجيا ... د مع الأمير أبي محمد

المعج ضرب من السير لين سهل يقال معجت الإبل والريح إذا هبت هبوبا لينا ومنه قول الشاعر، يصل الشد بشد فإذا، ونت الخيل من الشد معج،

حتى دخلنا جنة ... لو أن ساكنها مخلد

خضراء حمراء الترا ... ب كأنها في خد أغيد

شبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بخضرة الشارب على الـخد والمورد والغيد لا ينبيء عن الحمرة لكنه أراد أغيد مورد الخد حين شبه الخضرة على الحمرة بما في خده كما قال، كأن أيديهن بالموماة، أيدي جوار بتن ناعمات، يريد أن أيدي الإبل قد انخضبت من الدم كما أن أيدي الجواري الناعمات حمر بالخضاب وليست النعمة من الخضاب في شيء.

أحببت تشبيها لها ... فوجدته ما ليس يوجد

أي أردت أن أشبهها بشيء فوجدت تشبيها معدوما ويجوز أن يريد بالتشبيه المفعول وهو المشبه به يقول اردت مشبها لها فكان مستحيل الوجود فإن قيل هذا يناقض ما قبله لأنه ذكر التشبيه قلنا ذلك تشبيه جزءي لأنه ذكر خضرة النبات على حمرة التراب في التشبيه وأراد في هذا البيت تشبيه الجملة فلم يتعارضا

وإذا رجعت إلى الحقا ... ئق فهي واحدة لأوحد

أي هي واحدة في الحسن لأوحد في المجد.

وقال فيه أيضا

ووقت وفى بالدهر لي عند واحد ... وفي لي بأهليه وزاد كثيرا

يريد أن وقتي عند يفي بجميع الزمان كما أن الممدوح يفي بكل إنسان.

شربت على استحسان ضوء جبينه ... وزهر ترى للماء فيه خريرا

غدا الناس مثليهم به لا عدمته ... وأصبح دهري في ذراه دهورا

أي هو عالم مثل الناس كلهم فالناس به عالمون ودهره عظيم القدر به فقد صار به الدهر دهورا.

وقال يصف مجلسين له متقابلين على مثال ربربين قد شدا بقلس

المجلسان على التمييز بينهما ... مقابلان ولكن أحسنا الأدبا

يقول هما وإن ميز بينهما مقابلان وكل واحد منهما قد **احسن الأدب** ثم ذكر ذلك الأدب فقال.

إذا صعدت إلى ذا مال ذا رهبا ... وإن صعدت إلى ذا مال ذا رهبا

يقول إذا صعدت إلى احدهما فجلست فيه مال الآخر هيبة لك حين هجرته.

فلم يهابك ما لا حس يردعه ... أني لأبصر من فعليهما عجبا

واقبل الليل وهما في بستان فقال:

زال النهار ونور منك يوهمنا ... أن لم يزل ولجنح الليل إجنان

أي إذا ابصرنا نور وهجك ظننا أن النهار باق لم يزل مع أن الليل قد اظلم.

وإن يكن طلب البستان يمسكنا ... فرح فكل مكان مكن بستان

يقول إن كان يسمكنا في هذا البستان طلب البستان لتكون فيه فسر منه فكل مكان كنت فيه فهو بستان.

وكره الشرب فلما كثر البخور وارتفعت رائحة الند بمجلسه قال:

أنشر الكباء ووجه الأمير ... وحسن الغناء وصافي الخمور

النشر الرائحة الطيبة والكباء العود الذي يتبخر به وخبر المبتداء محذوف للعلم به كأنه قال اتجتمع هذه الاشياء لأحد كما اجتمعت لي.

فداو خماري بشربي لها ... فإني سكرت بشرب السرور

أي أنا سكران بالسرور حين اجتمع لي ما ذكرته فداو خماري بشرب الخمر أي إنما أريد شرب الخمر لأنفى الخمار لا للسكر فإني سكران من السرور.

ولما انصرف ن البستان نظر الى السحاب فقال:

تعرض لي السحاب وقد قفلنا ... فقلت إليك إن معي السحابا

فشم في القبة الملك المرجى ... فأمسك بعد ما عزم انسكابا

وأشار إليه طاهر العلوي بمسك وأبو محمد حاضر فقال

الطيب مما غنيت عنه ... كفى بقرب الأمير طيبا

يبني به ربنا المعالي ... كما بكم يغفر الذنوبا

وجعل أبو محمد يضرب البخر بكمه ويسوقه إليه فقال." (١)

"..

= الهمذاني يعرف بأبي محمد السني، روى عن أبي حاتم الرازي، روى عنه أبو زيد المروزي" وقد ذكر هذا الرجل في الأنساب فراجعه. وفي الأنساب "أبو سلمة أحمد بن محمد بن عبد العزيز السني، من أهل نسف، كان بها شيخ يقال له أحمد بن محمد بن عبد العزيز وكان معتزليا فلقب هذا بالسني، يروي ... "بياض" وأدركت أنا من أولاده شيخا يقال له: أبو سلمة الحسين بن محمد بن أبي سلمة السني يعرف بالدهقان سمع أجزاء من كتاب السنن للبحيري المعروف بالصحيح وكان يرويها عن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد البلوي، قرأت عليه أجزاء بنسف ... ،...، وهشام بن عبيد الله الرازي السني "المعروف أنه السني بكسر السين كما يأتي" يحدث عن بشير بن سلمان ومالك بن أنس والليث بن سعد وابن لهيعة وحماد بن زيد وأبي عوانة وعبد الرحمن بن أبي الزناد، روى عنه بقية بن الوليد والحسن بن عرفة وأبو مسعود أحمد بن الفرات وأبو حاتم الرازيان ومحمد بن المغيرة وأبو يحيى محمد بن سعيد بن غالب القطان البغدادي" وفي الاستدراك "أبو زرعة روح بن محمد بن أحمد السني القاضي الرازي سبط أبي بكر بن

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/١٦٢

السني، حدث عن علي بن إبراهيم بن محمد بن عمران الزيات وأبي الهيثم أحمد بن عمر بن شبويه المروزي وأبي أحمد الحسين بن علي النيسابوري. حدث عنه الحافظ أبو بكر الخطيب، قال يحيى بن منده في تاريخه: كثير الحديث صاحب غرائب **حسن الأدب** جميل الطريقة، سمع منه علي بن الحسين الإسكاف. وأبو القاسم مسعود بن أحمد السني، حدث عن أبي بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي، سمع منه أبو سعد السمعاني. والحسين بن عبد الملك الأديب الخلال السني الأثري تقدم ذكره في أول الكتاب" راجع ما تقدم ١/ ١٢٤ في التعليق. وفي المشتبه "وأبو نصر أحمد بن علي بن منصور بن شعيب البخاري السني مؤلف كتاب المنهاج، حدث عنه أبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي وجماعة. وحافظ الدين أبو إبراهيم إسماعيل بن القاسم السني عن أبي المحاسن الروياني، وعنه القطب النيسابوري" وفي التبصير "ومحمد بن السري خال ولد ابن السني له تصانيف".." (١)

"باب القبي والقبي والقني والفتي:

أما القبي بضم القاف وكسر الباء المعجمة بواحدة فهو أبو جعفر القبي منسوب إلى قبيل من مراد أدرك عبد الله بن مسعود، روى عنه عمران بن سليم.

وعمر بن كثير القبي الكوفي، سمع سعيد بن جبير، روى عنه حسان بن أبي يحيى الكندي منسوب إلى القبة وهي الرحبة بالكوفة. قاله يحيى بن معين.

وعمران بن سليمان القبي، روى عن قتادة، حدث عنه يزيد بن أبي حبيب.

وأما القبي بفتح القاف فهو أيوب بن يحيى بن أيوب بن سليمان الحراني القبي كان من الآمرين بالمعروف مات بعد سنة ثمانين ومائتين منسوب إلى القب وهو مكيال تكال به الغلات.

وأما القني بضم القاف وبالنون المشددة فهو عبد الغالب بن جعفر بن الحسن بن علي الضراب أبو معاذ يعرف بابن القني، سمع محمد بن إسماعيل الوراق، وحدث. وابنه علي بن عبد الغالب أبو الحسن، سمع ابن الصلت المجبر وأبا أحمد الفرضي وسافر وكتب، وحدث ومات قديما.

وأما الفتي أوله فاء مفتوحة بعدها تاء معجمة باثنتين من فوقها فهو أبو عبد الله سلمان بن عبد الله يعرف بابن الفتى من أهل النهر وإن دخل بغداد بعد سنة ثلاثين وأربعمائة وتشاغل بالأدب وقرأ على أبي الخطاب

---

(١) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ابن ماكولا ٥٠٢/٤

الجبلي والثمانيني وغيرهما من أدباء ذلك الوقت وحضر عندي وتأدب وقال الشعر وسافر إلى الجبل وشاهدته بالري دفعات وبهمذان ووجدته فاضلا مليح الشعر **حسن الأدب** حافظا." (١)

"٣٤٢ – وحدثنا والدي رضي الله تعالى عنه قال: حدثني أبو سعد عبد الله بن فهد النصراني الكاتب قال: لما تقلد أبو القاسم بن فسانجس أعمال النهروانات في أيام الوزير فخر الملك أبي غالب، وأبو العلاء سعيد بن الحسن بن يزيد النصراني يتولى يومئذ ديوانها، اتفق أن رفع أبو القاسم من حسابها ما احتيج إلى الموافقة عليه وحضر بحضرة فخر الملك وجرى من الخطاب ما خرج فيه أبو العلاء **إلى سوء الأدب** واستعمال السرف، وعادته بذاك جارية، وثقل على أبي القاسم ما سمعه منه، وإمساك فخر الملك عن إنكاره عليه ومنعه منه، وانقضى المجلس على غيظ من أبي القاسم تجرعه وكظمه، وامتعاض أسره وكتمه، ومضت الأيام وقتل فخر الملك، ووزر أبو القاسم لسلطان الدولة بواسط، فقامت قيامة أبي العلاء من ذاك، وضاقت به الأرض بما رحبت، وبقي متحيرا بين الاستتار والتغيب أو المقام والتجلد، وورد أبو القاسم إلى بغداد فحمل بنفسه على أن لقيه، فلم ير منه ما ظنه به، ونفسه تحدثه بضد ما يظهره له ويشاهده، فلما كان في بعض الأيام وقد خرج من بين يديه منعه الحاجب وقال له: الوزير يأمرك ألا تنصرف إلا بعد استئذانه فما شك أنه الذي خافه وتوقعه. قال: فأقمت ساعة، ثم استدعاني فوجدته جالسا على الفاكهة وهو يأكل منها، فجلست وظننت أن ما بين يدي منها مسموم، فلم أزل أقلبه وأولع به ولا أتعرض له، وأحس بفعلي فأخذ كمثراة وقطعها وأكل منها ثم أعطاني باقيها فأكلته، وأنست قليلا، وقمنا إلى الطعام فجرت حالي على مثل ذاك، وهو يطعمني مما يأكل، ويقدم إلي مما بين يديه تأنيسا بي وفرغنا، وخرجت لغسل يدي، واستدعاني وقال لي: أراك منقبضا متجعدا وجلا منزعجا، وأظن ذاك لتذكرك ذلك اليوم هيهات ما الأمر على ما تظن وإني لك على ما تحب وتهوى، وليس من المروءة ذكر ما مضى فقبلت يده ورجله والأرض بين يديه، ودعوت له وانصرفت ساكنا مطمنا.

؟

٣٤٣ – وحدثنا رضي الله عنه قال: كان الوزير أبو القاسم العلاء بن الحسن قد لقبه الديلم سياه سبال لقبا اشتهر به بينهم وفشا فيهم، إما لأنه كان أسود السبال دون لحيته، أو لأنه كان يخضبه، حتى إن أحد الديلم المتقدمين قال له في كلام دار بينهما: يا وزير سياه سبال بار خداه، فضحك منه وعلم الديلمي بما

---

(١) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ابن ماكولا ١٠٧/٧

جناه عليه، فنهض خجلا عجلا، واستعيد فلم يعد ثم راسله بالاعتذار الشديد، وبقي مدة لا يلقاه حياء.

٣٤٤ - وحدثنا رضي الله عنه قال: حدثني الوزير مؤيد الملك أبو علي الرخجي قال: عاد فخر الملك من الأهواز في خرجته الأولى للقاء سلطان الدولة أبي شجاع بن بويه، فاتفق أن حضر عيد أو فصل، وحضر أبو الفضل بن أبي أحمد الشيرازي لخدمته فيه على رسمه، وأنشده قصيدة مدحه بها وهناه بذلك اليوم فيها، ثم وصل آخر القصيدة بحديث جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك مع الرشيد في قتله إياه، وقرأه عليه مسندا له عمن رواه، فاستطرفنا إيراده ما أورده منه من غير أمر يقتضيه، وثقل على فخر الملك ما سمعه، وعلينا ما أورده وتطيرنا على فخر الملك من اتفاق ما اتفق، وأقبل بعضنا على بعض يعجب من ذلك، وندم أبو الفضل على ما كان منه، وانحدر فخر الملك عائدا إلى الأهواز، فكان من أمره ما كان وجرت حاله مجرى جعفر بن يحيى في قتله، فسبحان الله ما أطرف هذا الاتفاق.

٣٤٥ - وحدثنا رضي الله عنه قال: حدثني نجم الكفاة أبو عبد الله الحسين بن الحسن النسوي النائب قال: حدثني أبو القاسم البلخي المنجم قال: كان أبو الفضل عبد المسيح بن العلاء النصراني الكاتب صديقا للوزير أبي الفضل بن سودميذ، ومختلطا به، فاجتمعا على الرأي والسعي في نكبة الوزير فخر الملك أبي غالب، وتقلد أبو الفضل موضعه، وقبض على فخر الملك فاتفق أن كنت يوما حاضرا عند ابن سودميذ وقد جاءه عبد المسيح، وتحدثا وأطالا السرار والإفصاح، فضرب ابن سودميذ في عرض حديثهما إلى دفتر كان بين يديه وفتحه ليتفاءل بأول ما يقع طرفه عليه منه، فوقع نظره على بيت من قصيدة لأبي تمام، على قوله:

وصرت وزيرا والوزارة مكرع ... يغص به بعد اللذاذة كارعه

فرماه من يده، ثم أخذه بعد ساعة وفتحه، فخرج عليه البيت بعينه، فتطير منه ورماه في كانون تار كان بحضرته.." (١)

"فقال له الرجل: إن رأى القاضي أن يدنيني منه لأقول شيئا فعل! فقال: أدن، فدنا منه وقال: إن أحق الناس بستر هذا الشعر أنت، وقد علمت فيمن قيل! فتبسم عبيد الله وقال: أرى فيك مصطنعا، فقم إلى منزلك؛ وقال لخصمه: رح إلي لتأخذ مالك، فراح إليه وغرم له ما كان يدعيه.

---

(١) الهفوات النادرة الصابئ، غرس النعمة ص/٨٧

٤٠٢ – قيل لرجل: بكم تبيع شاتك؟ قال: اشتريتها بخمسة، وهي خير من ستة، وقد رأيت دونها بسبعة، وقد أعطيت بها ثمانية، وفي نفسي أني لا أبيعها بتسعة، ولكن لا أنقصها عن عشرة، فمن وزن أحد عشر وإلا لم أبعها والسلام!

٤٠٣ – ابن مهرويه عن علي بن القاسم طارمة قال: كنت مع المعتصم لما غزا الروم، فجاءه بعض سراياه فأخبره بخبر ساءه، فركب من فوره، وسار أحد سير، وأنا أسايره، فسمع منشدا ينشد في عسكره:

إن الأمور إذا انسدت مسالكها ... فالصبر يفتح كل ما أرتتجا

لا تيأسن وإن طالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

فسر بذلك، وطابت نفسه، ثم التفت إلي وقال: يا علي أتروي هذا الشعر؟ قلت: نعم، قال: من يقوله؟ قلت: محمد بن بشير، فتفاءل باسمه ونسبه، وقال: أمر محمود وبشر سريع يعقب هذا الأمر! ثم قال: أنشدني أبيات برمتها فأنشدته:

ماذا يكلفك الروحات والدلجا ... البر طورا وطورا تركب اللججا

كم من فتى قصرت في الرزق خطوته ... ألفيته بسهام الرزق قد فلجا

لا تيأسن وإن طالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

إن الأمور إ ذا انسدت مسالكها ... فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

فاطلب لرجلك قبل الخطو موقعها ... فمن علا زلقا عن غرة زلجا

فلا يغرنك صفو أنت شاربه ... فربما كان بالتكدير ممتزجا

لا ينتج الناس إلا من لقاحهم ... يبدو لقاح الفتى يوما إذا نتجا

قال: وأصاب من ذلك الوجه ما أحب، وزال ماكره، وعاد غانما مسرورا.

٤٠٤ – ذكر جحظة أن أبا الفضل بن القص١ر المعروف ببرد الخيار مر يوما على أبيه وهو يقصر في دكانه، ومعه غلام يحمل قاطر ميز نبيذ وجوا مرجه مذبوحة مسموطة، وقد صار طنبوريا وأيسر، فقال: الحمد لله الذي جعل ابني وأرانيه قبل أن أموت ممن يأكل لحم الجوانيرات ويشرب نبيذ القامرطيزات يريد القاطرميزات!

٤٠٥ - أبو إسحق محمد بن هرون بن عيسى بن ابراهيم المعروف بابن شبرمة قال: كنا عند عبد الله بن أيوب، وكان يحدثنا بالعشيات، فخرج فقعد للحديث، فخرج طفلان صغيران، فقال له بعض من كان معنا: يا أبا محمد هؤلاء أولادك؟ يا أبا محمد تعرف ذلك الحديث؟ قال: أي حديث؟ قال: "قيل: يولد لابن ثمانين؟ قيل: نعم، إذا كان في جواره ابن عشرين! " فأطرق ابن أيوب وغضب غضبا شديدا وقال: لأحدثتكم العشية! ماذا التهجم وسوء الأدب؟ فحلف الرجل أنه سهل وغلط، ولم يورد ذلك على أصل ولا عن قصد! فقلنا له: قد جئناك من مكان بعيد من المدينة! قال: قد قلت لا أحدثكم، ادخلوا إلى ابني فاكتبوا عنه فإنه قد سمع من سعيد بن سعيد بن محمد الحرمي! وتركنا ودخل، ولم ينتفع به أحد من بعد؛ وكنا دائما ندم المخاطب له تلك العشية ونلومه ونوبخه.

آخر الكتاب، ولواهب العقل الحمد دائما كما هو أهله ومستحقه، وصلواته على سيدنا ومولانا محمد النبي وآله، وسلامه. ووافق الفراغ من تعليقه يوم الأحد ثامن عشر شوال سنة سبع وأربعين وستمائة.." (١)

"وأنشد أبو علي " ١ - ١٠٩، ١٠٩ " لأبي دلف:

نظرت إلي بعين من لم يعدل ... لما تمكن طرفها من مقتلي

ع أبو دلف هو القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر، وهو ممن جمع إلى محله الشامخ في الشجاعة وعظيم الغناء في المشاهد **حسن الأدب** وجودة الشعر ومحض الجود. ومن مختار شعره في الشيب أيضا قوله:

في كل يوم أرى بيضاء قد طلعت ... كأنما طلعت في ناظر البصر

لئن قصصتك بالمقراض عن بصري ... لما قرضتك عن همي ولا فكري

ومن مختار ما ورد في قرض طلائع المشيب قول كشاجم:

نظرت إلى المرآة فروعتني ... طلائع شيبتين ألمتا بي

فأما شيبة ففزعت منها ... إلى المقراض من حب التصابي

---

(١) الهفوات النادرة الصابئ، غرس النعمة ص/٩٩

وأما شيبة فعفوت عنها ... لتشهد بالبراءة من خضابي

فيالك من مشيب قد تبدي ... أقمت به الدليل على شبابي." (١)

"وقال ابن كناسة:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما ... إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها

كمن كسا الناس من عري وعورته ... للناس بادية ما إن يواريها «١»

الحث على الوعظ بالفعال دون المقال

قال بقراط: لا تحث غيرك على فعل الفضائل ما لم تستكمل فيك فأفعالك تحت على المحاسن أكثر من مقالك.

وقال أبو جعفر النيسابوري: ليس الحكيم الذي يلقنك الحكمة تلقينا، إنما الحكيم الذي يعمل العمل فتقتدى به.

وقال أبو هاشم: أخذ المرء نفسه **بحسن الأدب** تأديب أهله. ومن هذا قول محمود الوراق:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ... ويعديهم داء الفساد إذا فسد

وقال عدي:

ونفسك فاحفظها من الغي والردى ... متى تغوها تغو الذي بك يقتدي «٢»

التلطف والملاينة في الوعظ

قيل: تصدى رجل للرشيد، فقال: إني أريد أن أغلظ عليك لي في المقال، فهل أنت محتمل؟ قال: لا، لأن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من كان شرا مني، فقال: فقولا له قوًلا لينا لعله يتذكر أو يخشى.

وقيل: الواجب لمن يعظ أن لا يعنف ولمن يوعظ أن لا يأنف.

الحث على الاتعاظ

قيل: من قل اعتباره قل استظهار من لم يتعظ بغيره وعظ الله به غيره. وقال حكيم:

السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره. وقيل: يا لها من موعظة لو وافقت في القلوب حياة.

النهي عن وعظ من لا يتعظ

وقيل: وعظ من لا يعيرك سمعه، ولا يشحذ وعظك طبعه كمن وضع مائدة لأهل القبور، ورام بخرقة تليين

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١/٣٣١

الصخور.

وقيل: فلان في وعظه كنافخ في قفص وقاص في مقبرة.." (١)

"وروي أن عمر رضي الله عنه أتي بمال كثير فقال لعماله: إني أظنكم قد أهلكتم الناس، فقالوا: لا والله ما أخذنا إلا عفوا صفوا بلا وسط. وقال معاوية لمروان: من ترى للعراق؟ فقال من لا يمسح الحلوب «١» ، حتى يجمع الدرة، ولا يدنى بالعلبة حتى يمسح الصرة.

الحث على ترك التتبع والرسوم الجائرة

كتب بعض الوزراء إلى عامل: سوق السعادة عندنا كأسدة وألسنتهم لدينا معقولة ولم نرد هذه الناحية لاحياء العظام الناخرة، ولا لتتبع الرسوم العافية. عامل الناس بما في ديواننا فإنها أيام قلائل فإما ذكر الأبد أو خزي الأبد. وتجنب أن تكون، كما قال جرير:

وكنت متى حللت بدار قوم ... حللت بخزية وتركت عارا

وقيل: لا ينبغي للوالي أن ينقض سنة «٢» ... اجتمعت عليها الألفة وصلحت عليها العامة.

وأخرج أبو علي بن رستم عاملا إلى بعض النواحي، وكان في القرية حمام كثير فعده وأخذ واحدة منها وشق حوصلتها وعد الحبوب المojودة فيها واحتسب بذلك. فقال: إن كل حمامة تأكل في السنة من الحنطة كذا. وألزمهم ذلك فكتب أبو علي إليه كتابا وفي آخره هذا الشعر:

عجبت من نفسي ومن إشفاقها ... ومن طرادي الطير عن أرزاقها

في سنة قد كشفت عن ساقها ... والموت في عنقي وفي أعناقها

والأبيات لرؤبة قالها وقد تولى طراد الطير عن زرع له.

وكتب إلى أنوشروان عامل له بناحية يعلمه جودة الريع «٣» بها، ويستأذنه في الزيادة على الرسم. فأمسك عن إجابته. فعاوده العامل في ذلك، فكتب إليه: قد كان في تركي إجابتك عن كلامك ما حسبتك تنزجر به عن تكلف ما لم تؤمر به. فإذ قد أبيت إلا تماديا **في سوء الأدب** فاقطع إحدى أذنيك. واكفف عما ليس من شأنك. فقطع العامل إحدى أذنيه ائتمارا له.

حث الولاة على مراعاة الديانة

قال أزدشير «٤» : الدين والملك أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر. فالدين أس والملك حارس، والبناء

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/١٦٨

ما لم يكن له أس مهدوم، والملك ما لم يكن له حارس فضائع.

حث السلطان على اعتبار ظاهر الرعية دون بواطنهم

قال بعض الملوك: أنا أملك الأجساد، لا النيات. وأحكم بالعدل لا بالرضا، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر.." (١)

"لانفضوا من حولك

«١» وأنت فظ وما يبرحون حولك، فضحك منه.

رؤيته أثقل من رضوى ... أثقل من واش على عاشق «٢»

قال أبو العتاهية لابنه: أنت ثقيل الظلم مظلم الهواء جامد النسيم. وقال شاعر:

كمثل غريم مقتض أو كأنه ... طلوع رقيب أو نهوض حبيب

وقال أبو نواس:

لطلعته وخزة في الحشا ... كوخز المشارط في المحتجم

وقال أحمد بن حمدون:

صلف مائق ضعيف مقيت ... أحمق ساذج ضعيف الكتابه «٣»

وقال آخر:

وبغيض لو أنه كان صوتا ... كان إيقاعه ثقيل الثقيل

وللصاحب:

ثقيل قد تربع في الطنافس ... ينافس في لجاجته الخنافس

الحث على مصابرة الثقيل

سأل رجل صديقا له أن يمشي معه إلى إنسان في حاجة، فقال: أحب أن تعفيني، فإنه ثقيل بغيض غث، فقال صاحبه: يا سيدي أحسبه الكنيف الذي تأتيه كل يوم مرتين.

صعوبة ملاقاة الثقلاء

قال الأعمش: ما نظرت إلى ثقيل إلا اشتكت عيني، وقال: ربما سألني ثقيل عن مسألة فأنساها في الوقت، لما ينالني منه. وقال ابن عمر رضي الله عنه: اتقوا من تبغضه قلوبكم. وقال مالك لطبيبه: أنظر مجسي فجسه، وقال: مزاجك معتدل إلا أن فيه كدرا فهل وصل إليك اليوم بغيض؟ قال: نعم، قال: فهذا من ذاك.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢١٢/١

وقيل: مجالسة الثقيل حمى الروح، ومنه أخذ أبو هفان:

أورثتني بجلوس ... إليك حمى مليله

وقيل لأنوشروان: ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل فلا يعييه ولا يحمل مجالسة الثقيل، فقال: لأن الحمل تشترك فيه الأعضاء والثقيل تنفرد به الروح.

الأحوال المفضية للثقل

قال ابن سيرين: مكتوب في **كتاب سوء الأدب** إذا أتيت منزل قوم فلم ترض بما." (١)

"العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، أعوذ بالله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. إن ربي على صراط مستقيم، لم ير يومئذ في نفسه ولا أهله ولا ماله شيئا يكرهه وقد قلتها اليوم.

فلما انتهوا إلى داره وجدوها قد احترق ما حولها ولم تحترق.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى هلال رمضان يقول: اللهم هذا شهر رمضان فسلمه لنا، وسلمنا له، وتسلمه منا في يسر وعافية، وأرزقنا صيامه وقيامه متقبلا بإيمان واحتساب، وكان إذا أتى بالباكورة قبلها ووضعها على عينيه ويقول: اللهم أريتنا أوله فأرنا آخره.

وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لبست ثوبا جديدا أن أقول الحمد لله الذي كساني من الرياش ما أتجمل به في الناس. اللهم اجعلها ثياب بركة أسعى بها لمرضاتك وأعمل فيها بطاعتك.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول: اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له. اللهم هب لي من حقك، وأرض عني خلقك. قال البناني: بلغنا أنه يستجاب الدعاء عند المطر ثم تلا: وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته

. «١»

من سأل الله التوفيق لعبادته

قال سعيد بن المسيب: مر بي صلة بن أشيم فقلت: ادع لي. فقال: رغبك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعول في الدين إلا عليه. اللهم إني أحب

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٨٠٢/١

طاعتك وإن قصرت فيها، وأكره معصيتك وإن ركبتها، فتفضل علي بالجنة وإن لم أستحقها، وخلصني من النار وإن استوجبتها. اللهم إني أسألك الإقبال عليك والإصفاء إليك، والفهم عنك، والبصيرة في أمرك، والنفاذ في طاعتك، والمراقبة على إرادتك، والمبارزة في خدمتك، **وحسن الأدب** في معاملتك، والتسليم والتفويض إليك.

المقر بذنبه السائل من الله تعالى الرحمة

اللهم إني رهين بذنوبي، أتعثر في ذيولها وأستخفي تحت سدولها، فتفضل علي بعفو يبسط حافة رجائي ويقبض المخافة عن أرجائي. إلهي لست أنفك مقلبا أزمة الخطايا وأعنة السيئات، فوفقني لتوبتي وأمنن علي عند إنتهاء نوبتي.." (١)

"جارية أحسن من حليها ... والحلي فيه الدر والجوهر

وريحها أطيب من طيبها ... والطيب فيه المسك والعنبر

دخل ثابت بن عبد الله بن الزبير على عبد الملك بن مروان، فقال: ما ثابت من الأسماء؟ والله ما هو باسم رجل ولا امرأة، فقال: لا ذنب يا أمير المؤمنين للرجل فيما سماه أبواه، ولو كان اسمي إلي لتسميت زينب حتى تحبني، يعرض له بزينب التي يقال: زينب وكعكتان

[موعظة حكيم]

عبد الرحمن عن عمه قال: قال بعض حكماء العرب لابنه، وهو يعظه، يا بني، إن التواضع مع البخل وسوء الأدب، أحمد عند العلماء من التجبر مع السخاء **وحسن الأدب**، وأعظم بها حسنة عفت عن صاحبها سيئتين، وأكبرها من خطيئة أفسدت على صاحبها من حسنتين.

[هجاء دعبل لإبراهيم بن المهدي]

عن ابن أبي داود [١] قال: دخلت على المعتصم، فقال لي: يا أبا عبد الله، أيظن دعبل [٢] أنه يجد عندي من الاحتمال، ما كان يجده عند المأمون؟

---

[١] في الأصل ابن أبي داود، والصواب: ابن أبي داود، بتقديم الواو في (داود) .

أحمد بن أبي دواد الإيادي: أحد القضاة المشهورين من المعتزلة، ورأس فتنة القول بخلق القرآن، كان فصيحا عارفا بالأخبار والأنساب، شديد الدهاء، اتصل بالمأمون ثم صار قاضي القضاة في زمن المعتصم،

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٤٨٨/٢

ثم اعتمد الواثق على رأيه، وأصيب بالفلج في زمن المتوكل، وهو الذي حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن، توفي سنة ٢٤٠ هـ.
(تاريخ بغداد ١٤١/٤- ١٥٦، وفيات الأعيان ٢٢/١، لسان الميزان ١٧١/١) .
[٢] دعبل الخزاعي: دعبل بن علي بن رزين، أبو علي، أصله من الكوفة، وأقام ببغداد، شاعر هجاء جيد الشعر، كان مولعا بالهجاء والحط من أقدار الناس وهجاء الخلفاء، الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق، صنف كتابا في طبقات الشعراء، توفي سنة ٢٤٦ هـ، (وفيات الأعيان ١٧٨/١٢، الشعر والشعراء ص ٣٥٠، تاريخ بغداد ٣٨٢/٨) .." (١)

"فما تزدهيني ذات دل غريرة ... تزين للكهل الحليم التصابيا
ولكن قصرت العين عن كل منظر ... فما أرسلت لحظا على القلب جانيا
غضوب لدين الله في كل موطن ... يعاف الرضى حتى يرى الدين راضيا
ألا إنني لما عددتك أولا ... ختمت وما استثنيت بعدك ثانيا
وقال:
إلام اتباعي للأماني الكواذب ... وهذا طريق المجد بادي المذاهب
أهم ولي عزمان عزم مشرق ... وآخر يغري همتي بالمغارب
ولا بد لي أن أسأل العيس حاجة ... تشق على أخفافها والغوارب
علي لآمالي اضطراب مؤمل ... ولكن على الأقدار نجح المطالب
فيا نفس لا تستصحبي الهون إنه ... وإن خدعت أسبابه شر صاحب
ويا وطني إن بنت عني فإنني ... سأوطن أكوار العتاق النجائب
إذا كان أصلي من تراب فكلها ... بلادي وكل العالمين أقاربي
وما ضاق عني في البسيطة جانب ... وإن جل إلا اعتضت منه بجانب
إذا كنت ذا هم فكن ذا عزيمة ... فما غائب نال النجاح بغائب
١٠٠- الأمير أبو الحسن المقداد بن الحسن الكلبي
أخو ميمون بن الحسن كامل الصفات، جم الأداوات.
فمن شعره قوله في العزيز بالله:

---
(١) المجموع اللفيف ابن ه بة الله ص/١٧٧

أما ونزار حلفة لو حلفتها ... على الماء لم أشربه وهو نمير

لقد خبت من معروفه وحرمته ... وإني إلى معروفه لفقير

وقوله:

كن بديعا كما خلقت بديعا ... حسن الوجه يا قبيح الفعال

وامتثل من عزيز آل علي ... شيمة كي تكون فرد الكمال

١٠١- أبو سعيد ميمون [بن] أبي بكر الوراق

معروف بالسداد، موصوف بحسن القناعة والاقتصاد. وله مع ذلك شعر كثير.

فمن شعره قوله [من قصيدة] يمدح فيها أبا الحسن علي بن محمد بن القطاع لما قلد ديوان الخاصة.

أولها:

خيال سرى والليل سود ذوائبه

يقول فيها:

سرى زائرا من غير وعد على نوى ... فشرد عن عيني الكرى فهو سالبه

ولما نأى من مت وجدا لبينه ... أتيت امرءا يحيا به من يقاربه

أبا الحسن المفضال ذا الكرم الذي ... يجود على العافين سحا مواهبه

إذا أمه العافون واصل جوده ... فأخصب من ضاقت عليه مذاهبه

فتى ما شكا يوما إليه نوائبا ... حليف لها إلا اضمحلت نوائبه

إذا جاد أحيا جوده كل معدم ... فلا عدم إلا وهو بالجود قاضبه

ويغضي حياء للسؤال كأنما ... يطالب من جدواك ما أنت طالبه

سأنشر شكري ما حييت فإن أمت ... ستنشر بعدي عليك غرائبه

وقوله يصف حماما على طريق اللغز:

فما شيء به الأمواه تجري ... على أرض بأسفلها لهيب

وإن أبصرت لأعلاه ففيه ... نجوم لا يميل بها غروب

١٠٢- الأمير أبو محمد ميمون بن الحسن الكلبي

ممن جمع إلى طيب الأصل والكرم، **حسن الأدب** والفهم. فمن شعره قوله على لسان سكين:

أنا أخت للمنايا ... طبعها طبعي وفني

غير أن اللحظ أمضى ... في فؤاد الصب مني

١٠٣- أبو القاسم هاشم بن يونس الكاتب

صاحب ترسل ومقامات، وملح وروايات. [و] أخذ من كل علم بنصيب وافر.

وله من قصيدة:

ألمت بنا والليل سود ذوائبه ... تطالعنا راياته ومواكبه

وبين سواد الليل أبيض ماجد ... تخر لديه ساجدات كواكبه

على حين نام الليل وانتبه الهوى ... وأونس مغناه وأوحش راكبه

ولما بدا طيف البخيلة سامحت ... بوصل، ولا وصل لمن هو طالبه

عجبت لدان وصله وهو نازح ... كأني على بعد الديار أقاربه

بعيد قريب في الفؤاد محله ... فدار تنائيه ونفس تصاقبه

وبتنا ونار الحب تضرم بيننا ... ودمع الهوى يهمي على الخد ساكبه

أقبله طورا وطورا أضمه ... وأعرضت عن دهري فلست أعاتبه

وفارقني عند الصباح برغمه ... وكل عطاء النوم فالصبح سالبه

وله من أخرى:

وأغيد مجدول القوام مهفهف ... دعاني فلم ألبث ولم أتخلف

فلما استمر الحب بيني وبينه ... وفيت له بالعهد فيه ولم يف

ومنها:

أكل خليل هكذا غير مسعف ... وكل حبيب في الهوى غير منصف." (١)

"باب الخليفة وألقيت الرقعة من يدي فحملتها الريح وعدت إلى منزلي فما كان إلا يسيرا فإذا الباب يطرق فخرجت وإذا شيخ لا أعرفه فدفع إلى قرطاسا ثقيلا فأخذته ودخلت فاعتبرته فإذا هو خمسمائة درهم وإذا رقعتي القرطاس وفيها مكتوب: يا صاحب هذه الرقعة بعدها **أحسن الأدب** في الطلب.

وقرأت بخط أبي حفص البرمكي قال: سمعت أبا بكر عبد العزيز بن جعفر يقول: سمع مني الخلال نحو عشرين مسألة وأثبتها في كتابه.

قال: وحكى لنا عن الخلال: أنه قال: من لم يعارض لم يدر كيف يضع رجله.

---

(١) الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة ابن القطاع الصقلي ص/٣٦

وقال: رأيت الخلال في المنام فسألته عما يأكل؟ فقال: ما أكلت منذ فارقتكم إلا بعض فرخ وقال: أما علمت أن طعام الجنة لا ينفد؟.

وقال: قال رجل للخلال: إنما جئتك أسألك عن مسألة فقال له: أنت طرقي.

وقال: ما دخلت إلى مجلس فرفعت فيه إلا أخذت دون حقي فيه.

قال البرمكي: الغالب أنه حكى هذا عن نفسه.

وقال: سمعت ابن بشار يقول: من زعم أن الكفار يحاسبون ما يستحي من الله ثم قال: من صلى خلف من يقول هذه المقالة يعيد.

وقال: تنزه ابن البربهاري عن ميراث أبيه عن سبعين ألف درهم.

قال: وسئل الخلال: يكتفي الرجل بكتاب العلل عن المبسوط؟ قال: إذا كان له قريحة.

ضرار بن أحمد بن ثابت أبو الطيب الحنبلي

صحب جماعة من شيوخ المذهب: أبو علي الخرقي. قال: سمعته يقول: حدثني أبو بكر المروذي قال: سئل أبو عبد الله أحمد بن حنبل وأنا أسمع عن الحقنة؟ فقال: أكرهها لأنها تشبه اللواط.." (١)

"وقال مغيرة بن حفص: رأى ابن سيرين كأن الجوزاء تقدمت الثريا فأخذ في وصيته وقال: مات الحسن وأموت بعده، وهو أشرف مني.

وقال ابن سيرين: حسن الخلق عون على الدين.

وقال: ثلاثة ليس معها غربة: **حسن الأدب**، ومجانبة الأذى، والكف عن الريب.

وقال محمد بن سيرين: إن رجلين اختصما في تخوم أرض، أي في حد أرض، فأوحى الله عز وجل إليها كلميهما، فقالت: يا مسكينان تختصمان في وقد ملكني ألف أعور سوى الأصحاء.." (٢)

"٨- وكان سناطا «١» فكانت الأنصار تقول: لوددنا أنا اشترينا له لحية بأنصاف أموالنا. ودعا للأيد محمد بن الحنيفة فخيره بين أن يقعد فيقيمه، أو يقوم فيقعده، فغلبه في الحالتين، فالنصرفا مغلوبين.

٩- وروي أن عليا رضي الله عنه لبس درعا فاستطالها، فقبض محمد بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على الموضع الذي حده له، ثم جبذها فقطعها.

---

(١) طبقات الحنابلة ابن أبي يعلى ٢/١٢٧

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني إسماعيل الأصبهاني ص/٩٢٥

ولقد زال المقام عن مكانه، فأراد الحجاج أن يرده برجله، فصاح به محمد، ثم أخذه بيده فرده، فقيل له: انتهز الحجاج وقد قتل ابن الزبير، فقال: والله لقد كنت عزمت أن رادني «٢» أن اجتذب عنقه فأقطعها.

١٠- نظر رسطاليس إلى ذي وجه حسن فاستنطقه فلم يحمده، فقال: بيت حسن لو كان فيه ساكن. وقال آخر: طست «٣» ذهب فيه خل.

١١- قال حكيم لشاب قبيح الوجه **حسن الأدب**: قد عفت محاسن أدبك مقابح وجهك، وما أنصف أدبك وجهك، ولا وجهك أدبك.

١٢- أعرابي: كأن خدودهم ورق المصاحف، وكأن أعناقهم أباريق الفضة، وكأن حواجبهم الأهلة.

١٣- بعض السلف: جمع الله البهاء والهوج في الطويل، والكيس «٤» والدمامة في القصير، وجمع الخير فيما بين ذلك.

١٤- الجماز «٥» :." (١)

"واكتموا أنسابهم لعزتهم ... وجوه وفعل شاهد كل مشهد

١٤- قيل لفيلسوف: أي الرسل أنجح؟ قال: الذي له جمال وعقل.

١٥- وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أبردتم إلي بريدا فاجعلوه حسن الاسم.

١٦- مر رجل بأبي الحارث جمين «١» فسلم عليه بسوط، فلم يرد عليه السلام فقيل له، فقال: سلم علي بالإيماء فرددت عليه بالضمير.

١٧- دخل على معاوية رجل مرتفع العطاء فرأى في عينيه رمصا «٢» فحط «٣» عطاءه وقال: أيعجز أحدكم إذا أصبح أن يتعهد أديم وجهه؟.

١٨- دخل ابن عباس مجلسا فيه الأنصار فقاموا له، فقال: بالايواء والنصر الا جلستم، يريد قوله تعالى: والذين آووا ونصروا

. «٤»

١٩- لا تجب من لا يسألك، ولا تسأل من لا يجيبك.

٢٠-[شاعر] :

كأنه من سوء آدابه ... أسلم في **كتاب سوء الأدب**." (٢)

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/١٨٤

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/٤١٦

"٧٤- كان قوم من سفهاء بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، أخرج إلينا نكلمك. فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءه ما ظهر من سوء أدبهم، فأنزل: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

«١» .

٧٥- حرمة مجلس الملك إذا غاب كحرمته إذا حضر. وكان للملوك عيون على مجالسهم إذا غابوا، فمن حضر وكان في المحافظة على **حسن الأدب** على مثل ما كان عليه عند حضورهم أثبت وزيد في تكرمته، وسمي من كان على خلاف ذلك ذا وجهين وبقي منقوصا متضيعا.

٧٦- قيل لإبراهيم بن أدهم «٢» : كيف أصبحت؟ قال: بخير ما لم يحمل مؤونتي غيري.

٧٧- من حق الملك إذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده ومد رجليه أو تمطى «٣» أو اتكأ أو فعل ما يدل على كسله أن يقوم من بحضرته، وكان أردشير «٤» إذا تمطى قام سماره، وكان قباذ «٥» إذا رفع رأسه إلى السماء قاموا ومن حقه أن لا يعاد عليه حديث وإن طال الدهر.

٧٨- قال روح بن زنباع: أقمت مع عبد الملك تسع عشرة سنة فما أعدت عليه حديثا إلا مرة، فقال لي: قد سمعته منك.

٧٩- وعن الشعبي: ما حدث بحديث مرتين رجلا بعينه.

٨٠- كان أردشير وأنوشروان إذا زارا وزيرا أو عظيما أرخت الفرس تلك الزيارة، وجرى بذلك تاريخ كتبهم في الأطراف. وكان سنة من زارارة." (١)

"١٥٦- كان الجاحظ يتعجب من فطنة طويس «١» ووضعه الكلام موضعه، من **حسن الأدب** في قوله لبعض القرشيين: أمك المباركة وأبوك الطيب. يعني إصابته في قسمة الصفتين وأن لم يصفها بالطيب.

١٥٧- سفيان بن عيينة: الوضوء والخلال يبدأ فيهما بالأكبر، والماء يبدأ في سقيه بالأيمن فالأيمن.

١٥٨- شعر:

إن حسن اللقاء والبشر مما ... يزرع الود في فؤاد الكريم

وهما يزرعان يوما فيوما ... أسوأ الظن في فؤاد اللئيم

١٥٩- جميل «٢» :

وقد طال هجري بيتها لا أزوره ... كفى حزنا هجران من أنت وامق «٣»

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/٤٢٦

وهجرك من تهوى بلاء وشقوة ... عليك مع الشوق الذي لا يفارق

- وله:

أزور بيوتا لاصقات ببيتها ... وقلبي في البيت الذي لا أزوره

١٦٠- إسحاق الموصلي «٤» : يا هذا أذقنا نفسك حتى إذا استعذ بناك تركتنا.." (١)

"٢٨٥- قال العباس بن محمد «١» لمؤدب ولده: إنك قد كفيته أعراضهم فاكفني آدابهم، والتمسني عند آثارك فيهم تجدني.

٢٨٦- سقراط: سوأة لمن أعطي الحكمة فجزع لفقد الذهب والفضة.

ولم أر فضلا تم إلا بشيمة ... ولم أر عقلا تم إلا على أدب

٢٨٧-[آخر] :

هل الحفظ إلا للصبي وذو النهى ... يمارس أشغالا تشرد بالذكر

متى كان قلب المرء للحفظ فارغا ... تناول أقصاه وإن كان لا يدري

٢٨٨- علي رضي الله عنه: اعقلوا الخبر إذ سمعتموه، عقل رعاية، لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل.

٢٨٩- عن بعض المحدثين: يكون الحديث الحسن عند الشيخ الذي لا يجوز حديثه، فأجيء به إلى الأعمش، فيسمع منه الحديث، فأرويه عن الأعمش، واطرح المحدث.

٢٩٠- النبي صلى الله عليه وسلم: ما نحل والد ولده نحلا أفضل من أدب حسن.

٢٩١- من قعد به حسبه نهض به أدبه. **أحسن الأدب** أن لا يفخر المرء بأدبه.

٢٩٢- الأصمعي «٢» : ما من مطيe أبلغ دركا «٣» ، وهي وادعة، من الأدب.." (٢)

"الحق والباطل وما كان من جمع ففرق بالتشديد فرقت بين زيد وعمرو ونصب رأيك على معنى قر رأيك لأنه مصدر والعامل فيه الفعل الذي صدر عنه ورأى يكون بمعنى نظر وبمعنى علم وإضمار الفعل جائز في كل المصادر المأمور بها لأن الأمر لا يكون إلا بالفعل فإذا أضمرته دل المصدر عليه ولو كان خبرا لم يجز فيه الإضمار لأن الخبر يكون بالفعل وغيره وإن كتب فرأيك موفقا ثنى موفقا وجمعه فقال فرأيكما موفقين ورأيكم موفقين ولا يجوز الأفراد على هذا الوجه فأن جعل التوفيق للرأي لم يثن ولم يجمع

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/٤٣٨

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤/٦٧

فكتب فرأيكما موفق ورأيكم موفق. والأكفاء الأمثال وأحدهم كفؤ قال الله تعالى " ولم يكن له كفؤا أحد " والرؤساء جمع رئيس يقال رأس الرجل القول يرأسهم رأسا ورياسة وفلان رأس القوم ورئيسهم وقد ترأس عليهم والرئيس أيضا الذي رأسه البرسام أي أصاب رأسه والرئيس أيضا الذي ضرب رأسه قال:

كأن سحيله شكوى رئيس ... يحاذر من سرايا واغتيال

فيقال الرئيس ههنا الذي شج وهو رأس الكلاب وهو فيها بمنزلة الرئيس في الناس. والأستاذين الواحد أستاذ وهو الماهر بصنعته وهذه الكلمة ليست بالعربية ولا توجد في الشعر الجاهلي ولو كانت عربية لوجب أن يكون أشتقاقها من الستذ وليس ذلك بمعروف وربما خاطبوا الخصى بالأستاذ إذا عظموه وإنما أخذ ذلك من الأستاذ الذي هو الصانع لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم فكأنه أستاذ في **حسن الأدب**.

وقوله " ولا يفرقون بين من يكتب إليه وأنا فعلت ذلك وبين من يكتب إليه ونحن فعلنا ذلك ونحن لا يكتب بها عن نفسه إلا آمر أوناه لأنه من كلام الملوك والعظماء قال الله عز وجل " أنا نحن نزلنا الذكر " وقال " أنا كل شيء خلقناه بقدر " وعلى هذا الابتداء خوطبوا في الجواب فقال حكاية عمن حضره الموت " رب أرجعون " ولم يقل رب ارجعن.

إنما جاز الأخبار عن الواحد بلفظ الجماعة لأن الملوك والعلماء والعظماء يستغنى برأي الواحد منهم وفهمه عن الجماعة فالملك يلي أمر جماعة من يسوسهم من أهل مملكته فهم له منقادون وعلى طاعته مجتمعون فحسن منه لفظ الجمع في الأخبار عن نفسه لذلك والعالم يحتاج إليه الجميع ممن يضطر." (١)

"وباتت كما باتت مهاة خميلة ... لها جؤذر عند الصراة عقير

وقد أكلت أشلاؤه فكأنها ... مقسمة عند القداح جزور

كما بغمت من شجوها أم واحد ... أتيح لها مثل الزجاج طرير

لدن غدوة حتى صغت شمس يومها ... وفي أبريها رنة وزفير

تسوف ثراه عن مشق إهابه ... كأن أسابي الدماء عتير قال أبن بسام: وصاعد على تتابعه في الكذب، ولجاجته بين الامتهان وسوء الأدب، قد أخذ بطرف من الترفيق، وخلا بجانب من لقم الطريق، ألا تراه كيف صرح باليأس، عن شق غبار أبي نواس ولكن ابن أبي عامر حمله على الغرر، وعرضه لسوء الخبر، ولعله ذهب إلى قول أبي الطيب:

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٨٣

بلغت بسيف الدولة النور رتبة ... أنرت بها ما بين غرب ومشرق

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق ... أراه غباري ثم قال له: الحق وذكرت بهذا الخبر ما وصف عن أبي عبد الله بن شرف، وذلك لنه قال يوما للمأمون أيام خدمته إياه، واستشفافه صبابة عمره." [1]

"شعره

نظم ابن الشجرى الشعر، كما ينظم العلماء، فجاء خاليا من النفس الشعرى الذى يسرى فى قصيد الشعراء، وقد نبه على هذا الأقدمون، فيقول العماد الأصفهانى (١): «وفضله أعلى من شعره»، وقال فى موضع آخر (٢): «وكان له شعر مقارب».

ويقول الأدفوى (٣): «وله نظم غير طائل»

وقد حكم عليه معاصره أبو محمد الحسن بن أحمد بن حكينا (٤)، الشاعر، فكتب إليه:

يا سيدى والذى يعيذك من ... نظم قريض يصدا به الفكر

ما فيك من جدك النبى سوى ... أنك ما ينبغى لك الشعر

ومن شعر ابن الشجرى الذى أورده مترجموه، قوله:

لا تمزحن فإن مزحت فلا يكن ... مزحا تضاف به **إلى سوء الأدب**

واحذر ممازحة تعود عداوة ... إن المزاح على مقدمة الغضب

وقوله، وقد استجاده الأدفوى:

هل الوجد خاف والدموع شهود ... وهل مكذب قول الوشاة جحود

وحتى متى تفنى شئونك بالبكا ... وقد حد حدا للبكاء لبيد (٥)

وإنى وإن لانت قناتى لضعفها ... لذو مرة فى النائبات شديد

---

(١) الخريدة، الموضع المذكور فى صدر الترجمة.

(٢) الخريدة، قسم العراق-الجزء الثانى ص ٢٣٥، فى أثناء ترجمة ابن حكينا.

(٣) البدر السافر، الموضع المذكور فى صدر الترجمة.

(٤) بكسر الحاء المهملة، وكسر الكاف أيضا مشددة، ويتصحف فى بعض الكتب بالجيم (جكينا) نبه

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٢٣/٧

عليه العلامة الزركلي، رحمه الله، في الأعلام ٢/ ١٩٥، عن تاج العروس (حكن).

(٥) يريد قول لبيد: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر." (١)

"فيقول ابن القاسم هو نور يجعله الله في القلوب.

ذكر مكانه من العلم والثناء عليه

قال محمد بن أحمد بن تميم في كتابه قال: كان سحنون ثقة حافظا للعلم فقيه البدن. اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره. الفقه البارع والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتخشن في الملبس، والمطعم، والسماحة. كان لا يقبل من السلاطين شيئا. وربما وصل أصحابه بالثلاثين دينارا أو نحوها، ومناقبة كثيرة. قال أبو بكر المالكي: وكان مع هذا رقيق القلب، غزير الدمعة، ظاهر الخشوع متواضعا، قليل التصنع، كريم الأخلاق، **حسن الأدب**، سالم الصدر، شديدا على أهل البدع، لا يخاف في الله لومة لائم. انتشرت إمامته في المشرق والمغرب. وسلم له الإمامة أهل عصره، واجتمعوا على فضله وتقديمه. ومناقبه كثيرة قد ألف فيها أبو العرب التميمي كتابا مفردا. وسئل أشهب من قدم إليكم من المغرب؟ قال: سحنون. قيل: فأسد؟ قال: سحنون والله أفقه منه بتسع وتسعين مرة. وقال أشهب: ما قدم إلينا من المغرب مثله." (٢)

"قال محمد بن أحمد بن تميم: وقد سمع من سحنون، وكان شيخا صالحا تاجرا. وكان في كتبه تصحيف كثير، لم يكن يقوم بها. سمع منه عامة أصحاب سحنون، وكان له ابن ابنه حسن، روى عن أبيه، مات قديما. سمع منه ابن بسطام.

زيد بن بشر بن زيد بن عبد الرحمن الأزدي

صليد أم ابنه، مولده لبني سريح الحضرمي، يجري على أبيه العتق من قبلها. فكان زيد يقر بولائهم، مع صحة نسبه في الأزد. قال الكندي: هذا، ويكنى أبا البشر. أصله من أهل مصر، وعداده في أهل تونس، وبها نزل. قال أبو العرب: وقدم أولا القيروان، في قضاء سحنون. فأتاه فسلم عليه، ثم لحق بتونس. وكان فقيها ثقة مأمونا أديبا مصونا. سمع زيد بن بشر، من ابن القاسم ومن وهب وأشهب وضمام بن إسماعيل،

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري المقدمة/٣٢

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك القاضي عياض ٤/٤٨

ويحيى بن سليمان الطائفي، وبشر بن بكر وغيرهم. قال أبو بكر المالكي: كان رجلا كريم النفس، كثير التواضع، **حسن الأدب**، وعده ابن سفيان فيمن لقي مالكا. ولا أراه يصح ذلك. قال الكندي: كان في حجر ابن لهيعة، ولم يسمع منه شيئا.." (١)

"قال ابن حيان: كان غزير العلم، معتنيا بالأخبار، **حسن الأدب** والفهم، كثير الحفظ، فصيحا، عفيفا، ورعا مجانبا للسلطان. أراده المظفر والمهدي بعده عن القضاء ببعض الكور فأبى. ولم يقدر فيه على شيء، واستهدف بجفوتهما فوقي شرهما. وعاتبه ابن ذكوان في ذلك، وكان الذي هدى ابن عامر الى مكانه. وقال له: يقع الناس فيك. فقال: بلى. فبرر جفاه حينا. ومات رحمه الله سنة اثنتين وأربعماية. فقدم موضعه للشورى ابن دحون.

أحمد بن سعيد بن ابراهيم الهمداني

أبو عمر. المعروف بابن الهندي، قرطبي. أخذ عن ابراهيم وظيفته، وسمع محمد بن أبي دليم.." (٢)

"وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه.

ويلحق به: ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه، ونومه، وملبسه، ومسكنه، ومنكحه، وماله وجاهه.

وقد تلحق هذه الخصال الآخرة «١» بالأخروية، إذا قصد بها التقوى، ومعونة البدن على سلوك طريقها، وكانت على حدود الضرورة، وقواعد «٢» الشريعة.

وأما المكتسبة الأخروية: فسائر الأخلاق العلية، والآداب الشرعية من: الدين- والعلم- والحلم- والصبر- والشكر- والعدل- والزهد- والتواضع- والعفو- والعفة- والجود- والشجاعة- والحياء- والمروءة- والصمت- والتؤدة- والوقار- والرحمة- **وحسن الأدب** والمعاشرة ... وأخواتها «٣» ، وهي التي جماعها (حسن الخلق) .

---

(١) أي الأخيرة المتعلقة بالأمور العادية الواقعة في الأحوال الدنيوية.

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك القاضي عياض ٩٨/٤

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك القاضي عياض ١٤٦/٧

(٢) وفي نسخة (وقوانين) .

(٣) من الأخلاق المفصله في كتب الإحياء والعوارف والرسالة.." [١]

"قال ابن عباس «١» : «تعزروه» تجلوه.

وقال المبرد «٢» : «تعزروه» تبالغوا في تعظيمه.

وقال الأخفش «٣» : تنصرونه.

وقال الطبري «٤» : تعينونه. وقرىء «٥» : «تعززوه» بزائين من العز ونهي عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس «١» وغيره وهو اختيار ثعلب «٦» .

---

(١) ابن عباس تقدمت ترجمته في ج ١ ص «٥٢» رقم «٦» .

(٢) تقدمت ترجمته في ج ١ ص «٢٧١» رقم «٧»

(٣) الأخافشة ثلاثة اصغر وهو ابو الحسن علي بن سليمان بن الفضل المعروف بالاخفش (الصغير) النحوي كان عالما. روى عن المبرد وثعلب وغيرهما، وروى عنه الحريري وغيره، وهو ثقة توفي في شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمئة فجاة ببغداد. وأما (الاوسط) فهو ابو الحسن سعيد بن مسعده المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالاخفش النحوي أحد نحاة البصرة من أئمة العربية واخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئا الا وعرضه علي- رحمه الله تعالى- وكان يرى انه اعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه. وهذا الذي زاد في العروض بحر الخبب، وله تصانيف كثيرة منها (الاوسط) في النحو. وتفسير معاني القرآن. وغير ذلك، توفي سنة خمس عشرة ومائتين أما الاكبر فهو عبد الحميد بن حميد من أهل هجر من مواليهم وكان نحويا لغويا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها، وأخذ عن سيبويه وأبي عبيدة. ومعنى الاخفش هو الصغير العين مع سوء بصره.. ومراد القاضي هو الاوسط.

(٤) محمد بن جرير الطبري تقدمت ترجمته في ج ١ ص «١٨٢» رقم «٢» .

(٥) في الشواذ.

(٦) ثعلب: هو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية أبو العباس أحمد بن يزيد الشيبانى مولاهم البغدادي المقدم في النحو على طريقة الكوفيين مولده سنة مئتين توفي سنة احدى وتسعين ومئتين.." [٢]

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد القاضي عياض ١٤٠/١

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد القاضي عياض ٨٠/٢

"**من سوء الأدب**. وقد قال المحتج للفرقة «١» الأولى. على سياق ما قلناه.. إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم «٢» إذن في هذا أسوأ «٣» حالا من غيرهم.

فاعلم أكرمك الله: أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم.. بل نقول: «إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم، ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم «٤» له سببا لمنماة «٥» رتبهم كما قال: «ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى «٦» » .

وقال لداود: «فغفرنا له ذلك «٧» » الآية وقال بعد قول موسى: «تبت إليك «٨» » «إني اصطفيتك على الناس «٩» » .

وقال بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته: «فسخرنا له الريح. إلى

---

(١) القائلين بأن الأنبياء معصومون من جميع الذنوب، وأن السهو والنسيان لا يؤاخذون به كغيرهم.

(٢) وفي بعض النسخ (وحالهم) .

(٣) وفي نسخة (أشق) .

(٤) الاستشعار: طلب الشعور، والمراد به مقاساته.. أو هو من الشعار وهو اللباس الملاصق للبدن. وفي نسخة (استغفارهم) .

(٥) منماه: مصدر ميمي يعني النمو وهو الزيادة.

(٦) آية: ١٢٢ سورة طه.

(٧) آية: ٢٥ سورة ص.

(٨) آية: ١٤٣ سورة الأعراف.

(٩) آية: ١٤٤ سورة الأعراف.." (١)

"أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد «١» لقراءته وإقراءه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف.. وعقدوا عليه- بالرجوع عنه، والتوبة منه- سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي بن «٢» مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة.

وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر «٣» الأبهري وغيره وأفتى أبو محمد «٤» بن أبي زيد بالأدب فيمن

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد القاضي عياض ٣٨٩/٢

قال لصبي: لعن الله معلمك وما علمك.. وقال: **أردت سوء الأدب** ولم أرد القرآن قال أبو محمد وأما من لعن المصحف فإنه يقتل.

---

(١) ابن مجاهد: أحمد بن موسى بن العباس بين مجاهد التميمي الأستاذ أبو بكر البغدادي رئيس القراء وهو أول من جمع القراآت ولد سنة خمس وأربعين ومائتين.

(٢) أبو علي بن مقلة: الوزير الكاتب المشهور استوزره الخليفة المقتدر بالله واتهمه فأمره فاستعفاه من الوزراة. فلما تولى الراضي بالله استؤزره ثم غضب عليه وقطع يده وسجنه.

(٣) تقدمت ترجمته في ج ٢ ص (٣٣١) رقم (٤) .

(٤) تقدمت ترجمته في ج ٢ ص (٤٧٩) رقم (٥) .." [١]

"وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه، وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقواعد الشريعة، وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلمية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة **وحسن الأدب** والمعاشرة وأخواتها وهي التي جماعها: حسن الخلق.

وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا نكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء الله تعالى وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها.

(فصل)

قال القاضي إذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ورأينا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة

(قوله جماعها) في الصحاح جماع الشئ بالكسر جمعه يقال جماع الخبا الأخبية (قوله في الغريزة) بفتح الغين المعجمة وكسر الراء بعدها مثناة تحتية فزاى: أي الطبيعة (قوله شعبة) بضم الشين المعجمة وسكون

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد القاضي عياض ٦٥٠/٢

العين المهملة: أي فرقة وقطعة.

(*)."[١]

"بين يدي الله ورسوله، و: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الثلاث آيات وقال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فأوجب تعالى تعذيره وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه، وقال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه، وقال الأخفش تنصرونه، وقال الطبري تعينونه، وقرئ تعززوه براءين من العز، ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره هو اختيار ثعلب، قال سهل ابن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا، ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضاء فيه وأن يفتاتوا بشئ في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به، وإلى هذا يرجع قوله الحسن ومجاهد والصحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال (واتقوا الله إن الله سميع عليم) قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم، وقال السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم، ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته، وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم

قوله تعزيره) بالراء أي تعظيمه وتوقيره (*)."[٢]

"رذالهم فكان هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله وإعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالإضافة إلى هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيفما كانت من سهو أو تأويل فهى مخالفة وترك وقوله غوى أي جهل أن تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل أخطأ ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ بقوله لأحد صاحبي السجن (اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) قيل أنسي يوسف ذكر الله، وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك، قال النبي

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – وحاشية الشمني القاضي عياض ٥٥/١

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – وحاشية الشمني القاضي عياض ٣٥/٢

صلى الله عليه وسلم (لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث) قال ابن دينار: لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك، فقال: يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى، وقال بعضهم: يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة

مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به **من سوء الأدب** وقد قال المحتج للفرقة

(قوله رذالهم) بضم الراء وتخفيف الذال، ذكره الفارابى في ديوان الأدب، يقال هو رذال المال وغيره يعنى خسيسه (قوله الهيئات) بمثناة تحتية ساكنة بعد الهاء فهمزة وفى بعض النسخ: (الهنات) بنون مخففة من غير همزة، جمع هنة، وهى خصلة الشر.

(*)."[1]

"بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر الأبهري وغيره وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال **أردت سوء الأدب** ولم أرد القرآن قال أبو محمد وأما من لعن المصحف فإنه يقتل

(فصل) وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه صلى الله عليه وسلم وتنقصهم حرام ملعون فاعله * حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل العدل حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو علي السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يعقوب ابن إبراهيم حدثنا عبيدة بن أبى رابطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله ابن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم

) قوله الوزير أبي علي) هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبى خراجها ويتقلب أحواله إلى أن استوزره المقتدر سنة ست عشرة وثلاثمائة ثم قبض عليه في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ونفاه إلى فارس بعد أن صادره ولما ولى القاهرة أحضره في يوم الأضحى سنة عشرين وخلع عليه ولم يزل وزيره إلى أن اتهمه على الفتك به وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر في أول شعبان سنة إحدى وعشرين ولما ولى الراضي بالله في جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين استوزره أيضا

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – وحاشية الشمني القاضي عياض ٢/١٧٠

توفى رحمه الله سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (قوله عبيدة بن أبي رابطة) بفتح العين المهملة وكسر الموحدة نص عليه ابن ماكولا (*)."[1]

"وقال له: لقد شنعت القول فيه، ثم قال: هو والله من أولياء الله حقا، ثم قال للرجل: إن أنا أخبرتك أنه من أولياء الله حقا تكف عني شرك، ولا تمل على الكتبة ما يضرك؟ قال: نعم، قال أبو حنيفة: أما قولك: إنه لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، فإنه يرجو رب الجنة ويخاف رب النار، وقولك: لا يخاف الله، فإنه لا يخاف ظلمه ولا جوره وقال الله تعالى: وما ربك بظلام للعبيد

(فصلت: ٤٦) . وقولك: يأكل الميتة، فهو يأكل السمك، وقولك: يصلي بلا ركوع ولا سجود، فقد جعل أكثر عمله الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد لزم موضع الجنائز فهو يصلي عليها ويعتبر ويقصر أمله ويصلي على كل مسلم ومسلمة، ويدعو للأحياء والأموات ومن هو آت من المؤمنين والمؤمنات، وقولك: يشهد بما لم ير، فهو شهادة الحق، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وقولك: يبغض الحق، فهو يحب البقاء حتى يطيع الله ويكره الموت وهو الحق، قال الله تعالى: وجاءت سكرة الموت بالحق

(ق: ١٩) ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ: «وجاءت سكرة الحق بالموت» ، وأما الفتنة فالقلوب مجبولة على حب المال والولد وذاك من الفتنة العظيمة على قلوب المؤمنين، قال الله تعالى: نما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم

(التغابن: ١٥) ، لكم فاحذروهم.

٨١٨- قال سيف الدولة بن حمدان لابن عم له: ما أعاقك اليوم عن التصبح؟ قال: دخلت الحمام وقلمت أظفاري، فقال: لو قلت: أخذت من أطرافي كان أوجز.

[فطنة طويس]

«٨١٩» - كان الجاحظ يتعجب من فطنة طويس ووضعه الكلام موضعه من **حسن الأدب** في قوله لبعض القرشيين: أمك المباركة وأبوك الطيب، يعني إصابته في قسمة الصفتين وإن لم يصفها بالطيب.." [2]

"فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قال، وما كان منه **من سوء الأدب** بحضرته، ونهض عن فرشه، ونهض الجلساء فخرجوا. فأراد محمد أن ينصرف، [فمنعه صاحب المصلى وقال علي بن صالح] :

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني القاضي عياض ٣٠٧/٢

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٩٣/٨

أفعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ونهض على الحال التي رأيت، ثم تنصرف بغير إذن منه؟ اجلس حتى نعرف رأيه فيك، وأمر بأن يحبس. ومكث المأمون ساعة ثم خرج، فجلس على سريره، وأمر بالجلساء فردوا إليه، فدخل إليه علي بن صالح، فعرفه ما كان من قول محمد والانصراف، وما كان من منعه إياه، فقال: دعه ينصرف إلى لعنة الله. فانصرف.

وقال المأمون لجلسائه: أتدرون لم دخلت إلى النساء في هذا الوقت؟ قالوا:

لا، قال: إنه لما كان من أمر هذا الجاهل ما [كان لم آمن فلتات الغضب وله بنا حرمة] فدخلت إلى النساء فعابثتهن حتى سكن غضبي.

ومضى محمد من وجهه إلى طاهر بن الحسين، فسأله الركوب إلى المأمون وأن يستوهبه جرمه، فقال له طاهر: ليس هذا من أوقاتي، وقد كتب إلي خليفتي في الدار أنه قد دعا بالجلساء. فقال محمد: أكره أن أبيت ليلة وأمير المؤمنين علي ساخط. فلم يزل به حتى ركب طاهر معه، فأذن له فدخل ومجير الخادم واقف على يمين المأمون. فلما بصر المأمون بطاهر أخذ منديلا كان بين يديه، فمسح بين عينيه مرتين أو ثلاثا إلى أن وصل إليه [وحرك شفتيه بشيء أنكره طاهر، ثم دنا] فسلم، فرد السلام وأمره بالجلوس، فجلس في موضعه، فسأله عن مجيئه في غير وقته، فعرفه الخبر واستوهبه ذنب محمد، فوهبه له. فانصرف، وعرف محمدا ذلك، ثم دعا بهارون بن جعونه [١] ، وكان شيخا خراسانيا داهية ثقة عنده، فذكر له فعل المأمون، وقال له: الق كاتب مجير الخادم، والطف به، وتضمن له عشرة آلاف درهم على

---

[١] الطبري: جبغويه وفي الطبعة الأوروبية: جيغويه.." (١)

"«ما من أحد يوم القيامة غني ولا فقير، إلا وود أنه لم ينل من الدنيا إلا قوتا» «١» .

وكان للحاكم أبي منصور هذا في مشهد خسروجرد مجلس قبل أن يبني مجد الملك القمي «٢» هناك بناء، وكان منبره من اللبن والجص، رأى الكثير من المشايخ، وأفاد منهم، وقدم في آخر عمره إلى خسروجرد. قال: حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحرشي، قال: حدثنا محمد بن يعقوب الأموي، قال: حدثنا أبو محمد بن بكر بن سعد القرشي، قال: حدثنا شعيب ابن يحيى، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، عن حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال النبي صلى الله عليه: «إذا حضر العشاء والصلاة، فابدأوا بالعشاء» «٣» .

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٩/١٧٣

وروى أيضا بهذا الإسناد أن المصطفى صلوات الله عليه قد كان في بيت أحد نسائه، فجيء بصحفة من طعام من بيت أحد أزواجه الأخر، فغضبت هذه الزوجة، وقالت إنها تتدخل في ليلتي، وحملت ذلك **على سوء الأدب**– وأنا لا أعتقد بصحة هذه القصة– فكسرت الصحفة فتناثر الطعام، فقام المصطفى صلوات الله عليه وأخذ قطعتي الصحفة بيده المباركة– وكانت من خشب أم غيلان– ووضع فيها اللحم وأبقى الرسول لديه إلى أن أتته تلك المرأة في ليلتها بالطعام فأكله المصطفى وأعطى الصحفة." (١)

"ومن كلمات أبي الفرج: قوله في هذا العالم ربما صار التولدي تواليا فلا يتعجب من أن يصير نوع التوالدي تولديا لا في هذا العالم كالشمس في ازمان والنار تؤثر فإنها تؤثر في آن، وقال: " آ " لا يكون سببا لوجود " ب " وب لا يكون سببا لوجود " ا " لأن من حق السبب أن يكون متقدما في الوجود على المسبب ومن حق المسبب أن يكون متأخرا، وإذا اعتبرت ذلك عرفت أن " آ " لا تكون علة لما هي " ب " و " ب " علة لوجود " آ ".

وقال: إذا قامت حجتك على الكريم أكرمك ووقرك، وإذا قامت على الخسيس (ازدراك) وامتهنك.

الفقير المتشبه بالغني كالوارم المتشبه بالسمين.

البخيل تغافله عن عظيم الجرم اسهل عليه من المكافأة على صغير الإحسان شرير العالم يفرح بالطعن على من تقدمه من العلماء، ويسوءه بقاء من في عصره منهم، لأنه يحب ألا يكرم سواه، والغالب عليه في العلم شهوة الرياسة.

من مدحك بما ليس فيك فهو مخاطب غيرك، وكذا من هجنك البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل من ماله. إذا أقبلت الدولة خدمت الشهوات العقول، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات. إذا أصحبت العاقل فأرضه وأسخط حاشيته، وإذا خدمت الجاهل فافعل ضد ذلك.

حرام على الملك السكر فإنه حارس المملكة، وقبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه.

الشجاع يختار حسن الذكر على البقاء، والجبان يختار البقاء على حسن الذكر.

الأماني أحلام المستيقظ. وقال: أول ما يظهر بعد الطوفان والأمراض الوبائية المفنية للناس الضروريات من الملابس والمآكل، ثم بعد ذلك يطلبون الحسن منها.

الجند والمدن والحصون تتخذ أولا هربا من السباع الضاربة ثم بعد ذلك لتوقي (الناس) بعضهم من بعض.

إذا تمسك الأبناء بسنن الآباء فربما داخلتهم المصيبة فدعت الضرورة إلى صاحب شرع حق يدعوهم إلى

---

(١) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٣٨٠

شئ واحد فيه صلاحهم.

الحكيم العالم أبو القاسم الكرماني

كان حكيما جرت بينه وبين أبي علي مناظرة، أدت إلى مشاجرة **لزمها سوء الأدب**. ونسبه أبو علي إلى قلة العناية بصناعة المنطق، ونسب أبو القاسم أبا علي إلى الغلط والمغالطة. وكتب هذه المناظرة أبو علي إلى الشيخ الوزير الأمين أبي سعيد الهمذاني الذي صنف أبو علي باسمه الرسالة الأضحوية، وكتب الحكيم أبو الخير إليه رسالته المعروفة. ومن كلمات الحكيم أبي القاسم قوله: الطبيب خادم القدر صح المريض أو هلك.

وقال: تأثير العلويات بتقدير الله تعالى في السفليات لا ينكر، لأن الأسفل مربوط بالأعلى، والتفاصيل لا تدرك، فاختر أمرا بين أمرين فإنك في ذلك تحتاج إلى علم زماني وغير زماني.

وقال يوما للشيخ أبي علي: لا يقدر ما عندك بتهجين ما عند غيرك فإن الحق ابلج والإنصاف لم ينعدم.

وقال: المبتهج بمدحه الذي يسمعه كمادح نفسه وقال: معاتبة الجاهل كالطالب من الأعمى صحة البصر.

أبو الفتح يحيى بن علي بن محمد

الكاتب البستي كان أبو الفتح حكيما شاعرا من خدم الملوك السامانية وندماء الأمير خلف بن احمد واستخدمه الأمير ناصر الدين سبكتكين فقال له أبو الفتح أنا غرس أعدائك فلا تثق بي إلا بعد تجربتي فان التجربة تزيل الشبهة. وعاش هو إلى أيام السلطان محمد بن محمود، وخلع عليه السلطان محمد بن محمود مرارا، وقيل هو كاتب باتبور صاحب بست واستحضره الأمير سبكتكين، وكان كاتب السلطان محمود مدة، ثم اتفق له مفارقة خراسان مع الخاقانية، وتوفي بما وراء النهر.

فللأمور مواقيت مقدرة ... وكل أمر له حد وميزان

فلا تكن عجلا في الأمر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران

يا أيها العالم المرضي سيرته ... أبشر فأنت بغير الماء ريان

ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج ... فأنت ما بينها لا شك ظمآن

وقوله:

تق الله والزم عرى دينه ... وبعدهما فاعرف الفلسفة

ودع عنك قوما يعيبونها ... ففلسفة المرء فل السفه

وقوله:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
وقوله:
لا تلمني على اضطراب تراه ... في كتاب أخطه أو قريض." (١)

"ومن كلماته قوله: الحسود لا يرجى الاستمتاع به، وكيف يرجى الاستمتاع (بمن) مضرته تنال القريب فضلا عن الغريب.

الفضيلة في ذوي الأخطار زينة العالم.

لسان العلم أفصح من كل لسان.

كفى بالعلم نفاسة أنه يفخر به من لا يعرفه، وكفى بالجهل ذلالة أنه يأنف منه من يعرفه من نفسه.

الإنسان موزون بين كفتي النفس والطبيعة.

الإصرار على الشر مع ذي الإقلاع عنه زيادة في الشر.

كذبت حواسك الخمس إلا إذا شهد لدعواها العدل الرضا.

احرص على أن تعمل جيدا لا على أن تقول جيدا.

لا تنازع من فوقك، ولا تقل ما لا تعلم.

استصغر الكبير في طلب المنفعة، واستعظم الصغير عند دفع المضرة.

أعط من دونك ما تحب أن يعطيك من فوقك.

النظر في أعمال الأخيار وسننهم جلاء العقول.

لا تأس على ما فاتك أسى القنوط، ولا تفرح بما أتاك فرح أشر.

الحكيم أبو حامد أحمد بن اسحق الأسفزاري

الحكيم المتقي والفيلسوف المبرز، له تصانيف في الرياضيات والمعقولات، وكلامه في تصانيفه منقح لا غبار عليه، ولا يشوبه ضعف. ومن كلماته: أحق ما صبر عليه المرء ما ليس إلى تغييره سبيل.

ما لا تحب أن تفعله لا تخطر ببالك ذكره.

اختر الرمي بالحجارة بغير فائدة على التفوه بكلام باطل.

العلم بالله يكون باللفظ اليسير، فاللفظ الكثير دليل على عدم العلم به.

---

(١) تتمة صوان الحكمة البيهقي، ظهير الدين ص/٧

إذا أضمرت سوءا في غيرك فأنت أقرب في الإساءة إلى نفسك وجعلت حياتك حياة رديئة.

وقال: الصلاة الحسنة والعبادات علامة معرفة الله تعالى.

المظلوم الذي لا يظلم مستجاب الدعوة.

عسير على الإنسان أن يكون حرا وهو مطيع للعادة السيئة.

لا تتكلم بما لا يعنيك، وتكلم بما يعنيك في وقته وموضعه.

لا تبالغ بإفراط الهشاشة والبشاشة، فإن ذلك من السخف كما أن قلة الكلام من الكبر.

الحكيم أبو الوفاء البوزجاني

بلغ المحل الأعلى في الرياضيات، وكان حميد الأثر، وكفى بذلك شاهدا تصنيفه المعنون بالمنازل ثم زيجه ثم سائر تصانيفه وكان نقي الجيب من عثرات الدنيا قانعا بما عنده ومن كلماته قوله: لا خير في الحياة إلا مع الصحة والأمن **من سوء الأدب** الاستخفاف بحق المؤدب لا تتحدث مع من يرى حديثك غنما إلا عند الضرورة إن غلبك غيرك في الكلام فلا يغلبك أحد في السكوت إن كان السفيه عندك فخصه بترك المكافأة.

لا تجالس أحدا بغير طريقته، فإنك إن لقيت الجاهل بالعلم، والماجن بالجد، فقد آذيت جليسك، وأنت مستغن عن إيذائه.

الحكيم بطليموس التالي أبو علي بن الهيثم

كان تلو بطلميوس في العلوم الرياضية والمعقولات، وتصانيفه (أكثر) من أن تحصى، وله في الأخلاق رسالة لطيفة ما سبقه بها أحد. وقد صنف كتابا في الحيل، بين فيه حيلة إجراء نيل مصر عند نقصانه في المزارع، وحمل الكتاب وقصد قاهرة مصر فنزل في خان، فلما ألقى عصاه قيل له إن صاحب مصر الملقب بالحاكم على الباب يطلبك فخرج أبو علي ومعه كتابه.

وكان أبو علي قصير القامة، وعلى باب الخان دكان فصعد أبو علي الدكان، ودفع الكتاب إلى صاحب مصر، وصاحب مصر راكب حمارا مصر يا، مع آلات مفضضة. فلما نظر صاحب مصر في الكتاب قال له: أخطأت فإن مؤنة هذه الحيلة أكثر من منافع الزرع، وأمر بهدم الدكان ومضى، فخاف أبو علي على نفسه، وهرب حين جن الليل، وأقام بالشام عند أمير من أمرائها فاقبل عليه ذلك الأمير، وأجرى عليه أموالا كثيرة، فقال له أبو علي: يكفيني قوت يوم، وتكفيني جارية وخادم: فما زاد على قوت إن أمسكته كنت خازنك، وإن أنفقته كنت قهرمانك ووكيلك، وإذا اشتغلت بهذين الأمرين فمن الذي يشتغل بأمري وعلمي.

فما قبل بعد ذلك إلا نفقة احتاج إليها، ولباسا متوسطا. وقد قصده من أمراء سمنان أمير يقال له سرخاب متعلما، فقال له أبو علي: أطلب منك للتعليم أجرة، وهي مائة دينار في كل شهر، فبذل ذلك الأمير مطلوبه وما قصر فيه، وأقام عنده ثلاث سنين. فلما عزم ال أمير على الانصراف قال له أبو علي: خذ أموالك بأسرها فلا حاجة لي إليها وأنت أجوج إليها مني عند عودك إلى مقر ملكك ومسقط رأسك، وإني قد جربتك بهذه الأجرة، فلما علمت أنه لا خطر ولا موقع للمال عندك في طلب العلم، بذلك مجهودي في تعليمك وإرشادك. واعلم ألا أجرة ولا رشوة ولا هدية في إقامة الخير ثم ودعه وانصرف.." (١)

"محمد نا أحمد بن حنبل (١) أخبرني يحيى بن سعيد (٢) بن عبيد الله أخبرني نافع عن ابن عمر قال لا أعلمه إلا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال كل مسكر حرام وكل مسكر خمر

[١١٨٤] أخبرنا أبو محمد بن الأكفاني قراءة نا عبد العزيز الكتاني أنا أبو الفرج محمد بن أحمد العين زربي نا أبو بكر أحمد بن علي الحبال الصوفي نا الريان المعروف بالمدلل قال سمعت محمد بن كثير العبدي يقول سمعت سفيان الثوري يقول إن الرجل ليحدثني بالحديث قد سمعته أنا قبل أن تلده أمه فيحملني **حسن الأدب** أن أسمعه منه ٣٤ - أحمد بن علي بن الفضل بن طاهر بن الحسين ابن جعفر بن الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات أبو الفضل سمع أباه وأبا محمد بن أبي نصر وأبا عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن سعدان وأبا نصر منصور بن رامش (٣) وأبا الحسن العتيقي وأبا الحارث النمر بن عبد السلام الحميري الحمصي ورشأ بن نظيف حدثنا عنه أبو محمد بن طاوس وأبو الحسين أحمد بن سلامة الأبار وأبو نصر غالب بن المسلم وأبو القاسم نصر بن السوسي وأبو علي الحسين بن علي بن أشليها وابنه أبو الحسن علي وكان من أهل الأدب والفضل إلا [أنه] (٤) كان يتهم برقة الدين وكان له شعر وهو واقف خزانة الكتب التي في الجامع في حلقه شيخنا أبي الحسن بن الشهرزوري أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل وأبو الحسن أحمد بن سلامة الأبار

---

(١) انظر مسند احمد ٢ / ١٦

(٢) بالاصل " بن " خطأ

---

(١) تتمة صوان الحكمة البيهقي، ظهير الدين ص/١٦

(٣) إعجامها غير واضح بالاصل وم والصواب ما أثبت انظر سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٤٠

(٤) زيادة عن مختصر ابن منظور ٣ / ١٨٥ ومن قوله: إلا إلى الدين سقط من م." (١)

"أذن وصلينا العصر ثم قام قائما يدعو رافعا يديه فسمعت من دعائه اللهم أصلح أمة أحمد اللهم فرج عن أمة أحمد اللهم ارحم أمة أحمد إلى أن سقط القرص ثم أذن للمغرب ولم أر أحدا أعرف بأوقات الصلاة منه فلما أن صلى المغرب قلت له لم اسمع منك من الدعاء إلا هذه الكلمات الثلاث فقال من قال هذا كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الأبدال فلما أن صلينا العشاء الاخرة قال لي تأكل فقلت نعم فقال لي أدخل إلى الداخل فكل ما هنالك فدخلت فوجدت صخرة عظيمة عليها الجوز ناحية والفستق ناحية والزبيب ناحية والتين ناحية والتفاح ناحية والخرنوب ناحية والحبة الخضراء (١) ناحية فأكلت منها ما أردت فلما كان عند السحر جاء هو فأكل منها شيئا يسيرا ثم قام فأوتر فما زال يدعو ثم سجد فسمعته في سجوده يقول اللهم من علي بإقبالي عليك وإضعافي إليك وإنصاتي لك والفهم منك والبصيرة في أمرك والبقاء في خدمتك وحسن الأدب في مءاملتك فلما رفع رأسه قلت من أين لك هذا الدعاء فقال ألهمت ولقد كنت في بعض الليالي أدعو به سمعت هاتفا يهتف بي ويقول إذا دعوت ربك بهذا فقم فإنه مستجاب فلما أن صلينا قلت من أين هذه الفواكه فإني لم اكل شيئا أطيب منها فقال سوف ترى فلما كان بعد ساعة دخل الكهف طير له جناحان أبيضان وصدر أخضر وفي منقاره حبة زبيب وبين رجليه جوزة فوضع الزبيبة على الزبيب والجوزة على الجوز فقال لي رأيته فقلت نعم قال هذا لي منذ ثلاثين سنة يأتيني هذا ويدخل علي في اليوم سبع مرات فلما كان ذلك اليوم عددت مجيء الطائر فجاء خمس عشرة مرة فقلت له ذلك فقال انظر أنت فقد زادك واحدة فاجعلنا في حل وكان عليه قميص بلا كمين ومئزر يشبه توز (٢) القوس فقلت له من أين لك هذا قال يأتيني كل سنة هذا الطير وفي

---

(١) الحبة الخضراء: البطم (القاموس)

(٢) التوز: الاصل (القاموس)." (٢)

"أنبأنا أبو الحسن الموازيني وأبو طاهر الحنائي قالا أنا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن سعدان نا محمد بن سليمان الربعي نا علي بن الحسين بن ثابت الذروي (١) نا هشام بن خالد نا الحسن بن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٦/٥

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر ، أبو القاسم ٢٤٠/٧

يحيى الخشني عن ابن أبي رواد قال إلياس والخضر يصومان في شهر رمضان في بيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من قابل (٢) أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الفقيه وأبو منصور محمد بن عبد الملك المقرئ قال علي حدثنا وقال محمد أنا أبو بكر الخطيب أنا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أبا الحسن بن مقسم يحكي عن أبي محمد الجريري (٣) قال سمعت أبا إسحاق المرستاني يقول رأيت الخضر عليه السلام فعلمني عشر كلمات وأحصاها بيده اللهم إني أسألك الإقبال (٤) عليك والإصغاء إليك والفهم عنك والبصيرة في أمرك والنفاذ في طاعتك والمواظبة على إرادتك والمبادرة في خدمتك **وحسن الأدب** في معاملتك والتسليم والتفويض إليك (٥) قال أبو نعيم اسم أبي إسحاق المرستاني إبراهيم بن أحمد كان الجنيد له مؤاخيا أخبرنا أبو العز السلمي فيما قرأ إسناده علي وناولني إياه وقال اروه عني أنا محمد بن الحسين أنا المعافى بن زكريا (٦) نا عبيد الله (٧) بن محمد بن جعفر الأزدي نا أبو بكر بن أبي الدنيا نا إسحاق بن إبراهيم الباهلي نا عبد الله بن بكر السهمي نا الحجاج بن فرافصة قال كان رجلان يتبايعان عند عبد الله بن عمر فكان أحدهما يكثر الحلف فمر عليهم رجل فقام عليهما (٨) فقال للذي يكثر الحلف يا

(١) كذا بالاصل وم وفي الاصابة ١ / ٤٤٠ الدوري

(٢) نقله ابن حجر في الاصابة ١ / ٤٤٠

(٣) عن ابن العديم وبالاصل وم " الحريري " وفي الاصابة: الحريري أيضا

(٤) غير واضحة بالاصل والمثبت عن مختصر ابن منظور وبغية الطلب وم

(٥) الخبر نقله ابن العديم ٧ / ٣٣٠٦ وابن حجر في الاصابة ١ / ٤٥٠

(٦) الجليس الصالح الكافي ٢ / ١٤٨ ونقله عنه في بغية الطلب ٧ / ٣٣٠٤

(٧) كذا بالاصل وابن العديم وفي الجليس الصالح: عبد الله

(٨) بالاصل: " عليها " والمثبت عن الجليس الصالح." (١)

"جرى منه أيضا انه كان يصحف في أسماء شيوخه الذين حدث عنهم فقال لي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الرعيني املى علينا يوما فقال حدثنا أبو بجير (١) محمد بن جابر بن بحير فقال الناس من كل جانب أبو بجير أبو بجير فقال ما هذا السوء الأدب وهذا الشيخ كتبت عنه بالكوفة سنة كذا وكذا قال عبد

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٢٨/١٦

الغني وكان يحدث عن وافد بن موسى فيصحف فيه ويقول واقد وما رأيت أبا سعيد بن يونس اطلق في أحد ما اطلق فيه في تاريخه قرأت على أبي محمد السلمي عن أبي محمد التميمي أنا مكي بن محمد بن الغمر: أنا أبو سليمان بن زبر قال وفيها يعني سنة خمس عشرة وثلاثمائة مات أبو القاسم القزويني عبد الله بن محمد بن جعفر

٣٤٨٥ - عبد الله بن محمد بن جعفر أبو محمد النهاوندي المقرئ المالكي حدث عن أبي الحسن احمد بن محمد الخلال الانطاكي وأبي (٢) علي الحسين بن بندار وأبي بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن يعقوب بن زوران (٣) روى عنه أبو نصر بن الحبان ومحمد بن رزق الله بن أبي عمرو المنيني وأبو الفرج الهيثم بن احمد الصباغ وأبو عبد الله الحسين بن عثمان بن احمد البيروذي أخبرنا أبو القاسم الخضر بن الحسين بن عبدان أنبأ أبو القاسم بن أبي العلاء أنا علي بن محمد الحنائي حدثني أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله نا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر النهاوندي المقرئ المالكي من حفظه حدثني أبو علي الحسين بن بندار رحمه الله نا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص بن عبيد الطنافسي نا أبو عمر المقرئ حفص بن عمر الدوري نا سوار بن الحكم عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن انس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يا حملة القران إن أهل السموات يذكرونكم عند الله عز وجل فتحببوا إلى الله عز وجل

---

(١) كذا بالأصل وفي المطبوعة: " أبو يحيى "

(٢) بالأصل: وأبو

(٣) كذا بالأصل وفي تبصير المنتبه ٢ / ٦٤٥ زوزان بزايين معجمتين الأولى مضمومة: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن زوزان الأنطاكي الحافظ شيخ لابن جميع." (١)

"على أحد من عمالي إلا أعطيته وليس لي ولا لعمالي (١) حق قبل الرعية إلا متروك لهم وقد رفع إلي أهل المدينة أن أقواما يشتمون وآخرين يضربون فيا من ضرب سرا وشتم سرا من ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم وليأخذ بحقه كيف كان مني أو من عمالي أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان وقالوا إن الأمة لتمخض بشر فإلى ما ذاك مسلمها وما يدرون ما باب تلك الإذاعة وما حيلتها وبعث إلى عمال (٢) الأمصار فقدموا عليه فقدم عليه عبد الله بن عامر

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٧٤/٣٢

ومعاوية وعبد الله بن سعد وأدخل معهم في المشورة سعيدا وعمرا فقال ويحكم ما هذه الشكاة وما هذه الإذاعة إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم وما يعصب (٣) هذا إلا بي فقالوا له ألم تبعث ألم يرفع إليك الخبر عن العوام ألم يرجعوا (٤) وما يشافههم أحد بشئ لا والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلا وما كنت لتأخذ به أحدا ويقيمك (٥) على شئ وما هي [إلا] (٦) الإذاعة ما نحل الأخذ بها ولا الانتهاء إليها قال فأشيروا علي فقال سعيد بن العاص هذا الأمر مصنوع يصنع في السر فيلقى به غير المعرفة فيخبر به فيتحدث به الناس في مجالسهم قال فما دواء ذلك قال طلب هؤلاء القوم ثم قتل الذين يخرج هذا من عندهم وقال عبد الله بن سعد خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم حتى الأدب فإنه خير من أن تدعهم وقال معاوية قد وليتني فوليت قوما لا يأتيك عنهم إلا الخير الرجلان أعلم بناحيتهما قال فما الرأي قال **حسن الأدب** قال فما ترى يا عمرو قال أرى أنك قد لنت لهم وتراخيت عنهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر وأرى أن تلزم طريق صاحبيك فتشد في موضع الشدة [وتلين في موضع] (٧) اللين إن الشدة لا تنبغي عن من لا يألو الناس سرا وتلين لمن يخاف البأس بالنصح وقد فرشتهما جميعا

---

(١) كذا بالأصل وم و " ز " وفي الطبري: لعيالي
(٢) الأصل: عثمان والتصويب عن م و " ز " والطبري
(٣) بالأصل: " وما لم يغضب هذا الآن "
وبعدها وما في م بياض والمثبت عن هامش " ز "
وقد استدرك على الهامش فيها من: وما إلى لم يرجعوا
(٤) بالأصل: لم يرجوا والمثبت عن م وهامش " ز "
(٥) الأصل وم و " ز ": ونقيمتك والتصويب عن الطبري
(٦) الزيادة عن م و " ز "
(٧) الزيادة عن م و " ز "." (١)

"علي السمرقندي وراق داود بن علي قال سمعت أبا سليمان داود بن علي (١) يقول قال لي إسحاق بن إبراهيم بن راهويه ذهبت أنا وأحمد بن حنبل إلى الشافعي بمكة فسألته عن أشياء فرأيته رجلا فصيحا **حسن الأدب** فلما فارقناه أعلمني جماعة من أهل الفهم بالقرآن أنه كان أعلم الناس في زمانه بمعاني القرآن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٠٦/٣٩

وأنه قد كان أوتي فهما في القرآن (٢) ولو كنت عرفت ذلك منه قال أبو سليمان فرأيته يتأسف على ما فاته من الشافعي قال أبو سليمان عبد العزيز المكي أحد من له فهم بمعاني القرآن كان أحد أصحاب الشافعي وممن أخذ عنه (٣) أخبرنا أبو الفتح الفقيه أنبأنا أبو البركات المقرئ أنبأنا أبو القاسم الصيرفي أنبأنا الحسن بن الحسين حدثني إبراهيم بن محمد بن جعفر الطبري الجلابي الروياني بهمذان قدم حاجا قال سمعت أبا العباس أحمد بن محمد العتابي يقول سمعت أبا بكر أحمد بن الفضل النجار يقول سمعت إسحاق بن راهويه يقول وقد اجتمع مع أحمد بن حنبل ببغداد والشافعي نازل بباب الطاق يا أحمد بلغني أن رجلا من قريش جاء إلى بغداد إلى عندكم وهو نازل بباب الطاق فكيف ترى أن نلقاه قال أحمد إنه رجل إمام من أئمة المسلمين وقد رأيته مرات وعدت إليه عودة بن عودة ولكن قم بنا إليه قال إسحاق فقمنا إليه فوجدناه يقرأ القرآن فسلمنا عليه وأجلسنا فجلسنا بجنبه فلما أن فرغ من درسه التفت إلى أحمد فقال يا أبا عبد الله من الرجل فقال أخونا إسحاق بن راهويه قال إسحاق فأدناني منه وأدناني وعانقني وقال الحمد لله الذي جمع بيني وبينكما قال إسحاق فتناظرنا في الحديث فلم أر أعلم منه ثم تناظرنا في الفقه فلم أر أفقه منه ثم تناظرنا في القرآن فلم أر أقرأ منه ثم تناظرنا في اللغة ووجدته بيت اللغة وما رأت عيناي مثله قط حتى تمنيت أن أكون سريا لثيابه في سرجه قال فخرجنا من عنده فالتفت إلي أحمد فقال لي يا أبا يعقوب كيف رأيت الرجل قال فقلت راجحا وافرا زاد الله مثله في المسلمين أخبرنا (٤) أبو المظفر بن القشيري أنبأنا أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ

---

(١) ترجمته في سير اعلام النبلاء ١٣ / ٩٧ وتاريخ بغداد ٨ / ٣٦٩

(٢) كذا بالاصل وم ود وفي المختصر: قراءات

(٣) كتب بعدها بالاصل وم الى

(٤) كتب فوقها بالاصل: ملحق." (١)

"سمعت (١) أبا عامر يقول ذات يوم وقد جرى ذكر مالك بن أنس رحمه الله جلف جاف عليه هشام بن عمار فضربه بالدرة وقرأت عليه بعض كتاب الأموال لأبي عبيد فقال لي يوما وقدم بعض أقوال أبي عبيدة ما كان إلا حمارا مغفلا (٢) لا يعرف الفقه وحكى لي عنه أنه قال في إبراهيم النخعي أعور سوء فاجتمعنا يوما عند أبي القاسم بن السمرقندي في قراءة الكامل لابن عدي فحكى لابن عدي حكاية عن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٣٠/٥١

السعدي فقال يكذب ابن عدي إنما هذا قول إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني فقلت له السعدي هو الجوزجاني ثم قلت إلى كم نحتمل **منك سوء الأدب** تقول في إبراهيم النخعي كذا وفي مالك كذا وفي أبي عبيد كذا وفي ابن عدي كذا فغضب وأخذته الرعدة وقال كان البرداني وابن (٣) الخاضبة وغيرهما يخافوني وآل الأمر إلى أن تقول لي هذا فقال له ابن السمرقندي هذا بذاك وقلت له إنما نحترمك ما احترمت الأئمة فإذا أطلقت القول فيهم فما نحترمك فقال والله لقد علمت من علم الحديث ما لم يعلمه غيري ممن تقدمني وإني لأعلم من صحيح البخاري ومسلم ما لم يعلماه من صحيحيهما (٤) فقلت له على وجه الاستهزاء فعلمك إذا إلهام فقال أي والله إلهام وتفرقنا وهاجرته ولم أتمم عليه كتاب الأموال وكان سيئ الاعتقاد يعتقد من أحاديث الصفات ظاهرها بلغني أنه قال يوما في سوق باب الأزج " يوم يكشف عن ساق " (٥) فضرب على ساقه وقال ساق كساقي هذه وبلغني عنه أنه قال أهل البدع يحتجون بقوله " ليس كمثله شئ " (٦) أي في الإلهية تاما في الصورة فهو مثلي ومثلك فقد قال الله تعالى " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء " (٧) أي في الحرمة لا في الصورة وسألته يوما عن مذهبه في أحاديث الصفات فقال اختلف الناس في ذلك فمنهم من تأولها ومنهم من أمسك عن تأولها ومنهم من اعتقد ظاهرها ومذهبي أحد هذه الثلاثة مذاهب وكان يفتي على مذهب داود فبلغني أنه سئل عن وجوب الغسل على من جامع ولم

---

(١) راجع الخبر في سير أعلام النبلاء ١٩ / ٥٧١ ومعجم البلدان

(٢) بالاصل ود و (ز) (معقد) والمثبت عن معجم البلدان وسير الاعلام

(٣) بالاصل (وافر) والمثبت عن د و (ز) والمصدرين

(٤) بالاصل: صحيحهما والمثبت عن د و (ز) والمصدرين

(٥) سوره القلم الايه: ٤٢

(٦) سوره الشورى الايه: ١١

(٧) سوره الاحزاب الايه: ٣٢." (١)

"وهب بن وهب جوادا سمحا كريما أنشدني محمد بن العباس اليزيدي ومحمد بن السري للعطوي (١) * هلا فعلت هداك المليك * فينا كفعل أبي البختري يتبع إخوانه في البلاد * فأغنى المقل عن المكثر * قال اليزيدي عن عمر بن شبة عن أبي يحيى الزهري قال فبعث إليه مالا أخبرنا أبو العز السلمي مناولة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٠/٥٣

وإذنا وقرأ علي إسناده أخبرنا محمد بن الحسين أخبرنا المعافى بن زكريا القاضي (٢) حدثنا عبد الله بن منصور الحارثي حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال روي لنا أن رجلا باذ (٣) الهيئة دخل على قوم وهم على شراب لهم فحطوا مرتبته في الشراب فقال (٤) * نبيذان في مجلس واحد * لا يثار مثر على مقتر لو كنت تفعل ذا في الطعام * لزمت قياسك في المسكر ولو كنت تفعل فعل (٥) الكرام * سلكت سبيل أبي البختري تتبع إخوانه في البلاد * فأغنى المقل عن المكثر * قال فبعث إليه أبو البختري بألف دينار قال القاضي وفي غير هذه الرواية قبل البيت الأول من هذه الأبيات وهو * تأمل قبيح الذي جئته * تجده خلوف فم الأبخر * وهذا من قبيح الهجاء وفيه مبالغة في الذم عجيبة وأنشدنا في المعنى * رايت نبيذين في مجلس * فقلت لساق لنا ما السبب فقال الذي نحن في بيته * يفضل قوما لسوء الأدب * فأما أبو البختري هذا فهو وهب بن وهب القرشي الفهري القاضي وله أخبار كثيرة ومدحه الشعراء مدحا كثيرا لسماحته وسعة عطائه واستفاضة مكارمه وسماحة أخلاقه وقد ذمه آخرون وطعن فيه الأئمة من الأكابر والرؤساء وأعلام المحدثين والعلماء ونسبوه

---

(١) بالأصل وم و " ز ": العطوفي والمثبت عن تاريخ بغداد

(٢) رواه المعافى بن زكريا في الجليس الصالح الكافي ٤ / ٥٦ - ٥٧

(٣) باذ الهيئة: أي رثها والذي بالأصل وم و " ز ": " باذ الهيبة " والمثبت عن الجليس الصالح

(٤) الأبيات في الأغاني ٨ / ٢٥٣

(٥) في الجليس الصالح: سبل." (١)

"لعجبا إنك تذكر من أقطع جدك ومن أقرها في يده فلا تترحم عليه وتذكر من نزعها فتترحم عليه فإنا قد أمضينا ما صنع عمر رحم الله عمر قم

٩٢٠٥ - أعرابي وفد على هشام ابن عبد الملك يتظلم من بعض عماله ذكر أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد أنا أبو حاتم يعني السجستاني عن أبي عبيدة عن يونس قال دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك فذكر عاملا له فقال إن فلانا ممن رفعت خسيسته وأثبت ركنه وأعليت ذكره وأمرته بنشر محاسنك فطواها (١) وإظهار مكارمك فأخفاها وعمد إلى أمورك في رعيتك فتعداها استخفافا بالحرمة وقلة شكر النعمة قد أخرب البلاد وأضاع الأجناد وأظهر الفساد وأخرج الناس من سعة العدل إلى ضيق الجور حتى باعوا الطارف

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤١٠/٦٣

(٢) والتلاد وهموا ببيع النسل والأولاد فقال هشام يا أعرابي أحقا ما تقول قال نعم والذي بلغك أعلى مراتب الشرف والله لو كان على سويقة من أسواق البحرين ما أجزأها مع أنه يخلط ذاك بلؤم الحسب وذفر النسب وسوء الأدب

٩٢٠٦ - رجل من جلساء هشام بن عبد الملك أنبأنا أبو محمد بن الأكفاني نا عبد العزيز الكتاني أنا عبيد الله بن أحمد الصيرفي إجازة أنا محمد بن العباس الخزاز (٣) أنا محمد بن خلف بن المرزبان أنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب حدثني العتبي قال كان عند خالد (٤) بن عبد الله ذات ليلة فقهاء من أهل الكوفة فيهم أبو حمزة الثمالي إذ قال خالد حدثني حديثا كحديث عشيق ليس فيه فحش فقال أبو حمزة الثمالي (٥) أصلح الله الأمير زعموا أنه ذكر عند هشام بن عبد الملك غدر النساء وسرعة تزويجهن فقال

---

(١) بالأصل: وطواها

(٢) التلاد: كل ما قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء وهو نقيض الطارف

(تاج العروس: تلد)

(٣) بدون إعجام بالأصل

(٤) تحرفت بالأصل إلى: " خلف " وهو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد أبو الهيثم القسري الدمشقي ترجمته في سير الأعلام ٥ / ٤٢٥

(٥) هو ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي الأزدي الكوفي مولى المهلب ترجمته في تهذيب الكمال ٣ / ٢٣٣." (١)

"خمس وأربعين ثنا أبو بكر أحمد بن يعقوب بن إبراهيم الطابثي المعدل ثنا علي بن إسحاق بن البختري ثنا أحمد بن علي الخزاز ثنا داود بن مهران الدباغ ثنا أيوب بن سيار عن ابن المنكدر عن جابر قال سمعت بلالا يقول أذنت ليلة باردة شديدا بردها فلم يأت أحد ثم أذنت الثانية فلم يأت أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنهم يا بلال قلت كمدهم البرد فقال اللهم احبس عنهم البرد قال بلال أشهد لقد رأيتهم يتروحون في الصبح أو قال الفجر

٨٨٩ - أبو الحسن هذا سكناه بالطفادة وقد قرأت عليه في جامع البصرة وسألته عن مولده سنة خمسمائة فقال لي ثلاث وستون سنة وقال لي جابر بن محمد بن جابر التميمي لم نجد له عن غير أبي محمد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٠٦/٦٨

المتوثي سماعا وهو شيخ مرضي أثنى عليه جابر

٨٩٠ - سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن سهل الغزنوي بالرحبة يقول سمعت أبا حاتم الكرامي بنيسابور يقول مثل العالم مع الله تعالى كمثل الوزير مع الأمير يأخذه بالصغيرة والكبيرة لعلو رتبته وسمو خطته ومثل العامي كمثل السائس يصفح عما صدر عنه من سوء الأدب والوساوس لخسة منزلته وقلة معرفته

٨٩١ - أبو الحسن هذا قد كان يتفقه معنا ببغداد على إلكيا وكان من الأذكياء ويصحب ابن الشهرزوري قاضي الرحبة وكان شريكه في الدرس ثم رأيته بها وهو ينوب عنه في الحكم وله ترسل جيد وشعر وقد كاتبني بشيء من شعره جوابا عن قصيدة لي من جملتها في آخرها

(وخص بهاء الدين عند لقائه ... بألف سلام لا تكن عنه غافلا)

(وسائله عني طال في النصر عمره ... وإن لم يكن عني وحالي)

(وذكره ما قد كان بيني وبينه ... ببغداد في وقت التفقه كاملا)

(وبلغه عني قول من هو ناصح ... على جملة الأحوال إن كان قابلا)

(كأنك بالدنيا تولت وبالذي ... تنافس فيها قد غدا الكل زائلا)." (١)

"١٢٥٣ - أنشدني أبو عمران موسى بن محمد بن خطاب الكندي السبتي بديار مصر أنشدنا أبو بحر يوسف بن عبد الصمد الخولاني الأندلسي بسبتة لنفسه من قصيدة طويلة طائلة

(لئن مطلتني الليالي بوعد ... فكم أمسك الغيث ثم انهمل)

(وإن نلت من بعد لأي مرادا ... فما أحسن الحلي بعد العطل)

(وقد يمكن الوصل بعد الصدود ... وقد يدرك الأمن بعد الوجل)

(وتمرض ثم تصح الجسوم ... وتصعب ثم تزول العلل)

(ولا بد للريح من أن تهب ... ولا بد للروض من أن يطل) // المتقارب //

١٢٥٤ - أبو عمران قد كان من أعيان العدوة بالمغرب وقد زوجه مروان بن سمحون اللواتي الطنجي ابنته وسمع الحديث عليه وعلى أبي إسحاق الفاسي وأنشدنا مقطعات كثيرة من شعر المغاربة الذين رآهم كأبي الحسن علي بن بياع السبتي والمرادي المتكلم وأبي بحر الخولاني الأندلسي سمع علي كثيرا طول إقامته بالثغر وكان شيخا موقرا حسن الأدب آثار الرياسة بينة عليه ورجع إلى المغرب وهناك توفي رحمه الله

١٢٥٥ - سمعت أبا عمران موسى بن محمد بن سعيد الجوبي بدمشق يقول سمعت أبا الحسن الخرائطي

---

(١) معجم السفر أبو طاهر السلفي ص/٢٦٨

بالجزيرة يقول قال الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن البشنوي تعلمت أحسن الخلق من أخس الخلق تعلمت الفتوة من الديك والوفاء من الكلب والاحتمال من الحمار ألا ترى أن الديك إذا قدمت إليه علفا صاح بالديكة ولا يأكل خفية والكلب إن أطعمته لقمة عرف لك ذلك ما حييت والحمار إن ضربته أو لم تطعمه أو ركبته صبر على أذاك من غير صياح ولا صراخ

١٢٥٦ - الجوبيون قبيلة من الأكراد ويقال لهم الشوبية أيضا بالشين بطن من." (١)

"وتمرض تصح ثم الجسوم ... وتصعب ثم تزول العلل

ولابد للريح من أن تهب ... ولابد للروض من أن يطل أبو عمران قد كان من أعيان العدوة بالمغرب، وقد زوجه مروان ابن سمحون اللواتي الطنجي ابنته، وسمع الحديث عليه وعلى أبي إسحاق الفاسي؛ وأنشدنا مقطعات مثيرة من شعر المغاربة الذين رآهم كأبي الحسن علي بن بياع السبتي والمرادي المتكلم وأبي بحر الخولاني الأندلسي. سمع كثيرا طول إقامته بالثغر، وكان شيخا موقرا **حسن الأدب**، آثار الرياسة بينة عليهن ورجع إلى المغرب وهناك توفي، رحمه الله.." (٢)

""اللهم حوالينا ولا علينا"، فانجاب السحاب عن المدينة، فصار حواليها كالإكليل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره" فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال: "أجل"

قال ابن هشام: وقوله " وشبرقه " عن غير ابن إسحاق.

الأسماء التي وردت في قصيدة أبي طالب:

قال ابن إسحاق: والغياطل: من بني سهم بن عمرو بن هصيص، وأبو سفيان بن

وقوله حتى أتاه أهل الضواحي يشكون الغرق. الضواحي: جمع ضاحية وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكن من المطر ولا منجاة من السيول وقيل ضاحية كل بلد خارجه. وقوله عليه السلام "اللهم حوالينا، ولا علينا" كقوله في حديث آخر "اللهم منابت الشجر وبطون الأودية وظهور الآكام" فلم يقل اللهم ارفعه عنا

---

(١) معجم السفر أبو طاهر السلفي ص/٣٧٢

(٢) أخبار وتراجم أندلسية أبو طاهر السلفي ص/١٢٢

– هو من **حسن الأدب** في الدعاء لأنها رحمة الله ونعمته المطلوبة منه فكيف يطلب منه رفع نعمته وكشف رحمته وإنما يسأل سبحانه كشف البلاء والمزيد من النعماء ففيه تعليم كيفية الاستسقاء. وقال "اللهم منابت الشجر" ولم يقل اصرفها إلى منابت الشجر لأن الرب تعالى أعلم بوجه اللطف وطريق المصلحة كان ذلك بمطر أو بندى أو طل أو كيف شاء وكذلك بطون الأودية والقدر الذي يحتاج إليه من مائها.

فصل: فإن قيل كيف قال أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ولم يره قط استسقى، وإنما كانت استسقاءاته عليه السلام بالمدينة في سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له.." (١)

"في الحجر، إذ جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئا، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئا، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست، فأخذ بعضدي، فقمت معه فخرج إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض، بين البغل – والحمار – في فخذيه جناحان يحفر بهما رجليه يضع يده في منتهى طرفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته"

حديث قتادة عن مسراه صلى الله عليه وسلم:

قال ابن إسحاق، وحدثت عن قتادة أنه قال حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لما دنوت منه لأركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم على الله منه. قال فاستحيا حتى ارفض عرقا، ثم قر حتى ركبته"

عود إلى حديث الحسن عن مسراه صلى الله عليه وسلم وسبب تسمية أبي بكر: الصديق:

قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى جبريل عليه السلام معه حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء فأمهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فصلى بهم ثم أتي بإناءين في أحدهما: خمر وفي الآخر لبن. قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء اللبن فشرب منه وترك إناء الخمر. قال

طرف منه وإنما معناه أذهب نورهم وسمعهم. قلنا: في الجواب عن هذا: أن النور والسمع والبصر كان بيده سبحانه وقد قال بيده الخير وهذا من الخير الذي بيده وإذا كان بيده فجائز أن يقال ذهب به على المعنى

---

(١) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ٣٩/٣

الذي يقتضيه قوله سبحانه بيده الخير كائنا ما كان ذلك المعنى، فعليه ينبني ذلك المعنى الآخر الذي في قوله: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ مجازا كان أو حقيقة ألا ترى أنه لما ذكر الرجس كيف قال: ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ [الأحزاب: ٣٣] . ولم يقل يذهب به وكذلك قال: ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ [الأنفال ١١] تعليقا لعباده **حسن الأدب** معه حتى لا يضاف إلى." (١)

". . . . .

الاستسقاء:

فصل: وذكر حديث استسقاء رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالمدينة، وهو حديث مروي من طرق كثيرة، وبألفاظ مختلفة.

وقوله: حتى أتاه أهل الضواحي يشكون الغرق. الضواحي: جمع ضاحية، وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكن من المطر، ولا منجاة من السيول، وقيل: ضاحية كل بلد: خارجه. وقوله عليه السلام: اللهم حوالينا، ولا علينا، كقوله في حديث آخر: اللهم منابت الشجر، وبطون الأودية، وظهور الآكام، فلم يقل: اللهم ارفعه عنا- هو من **حسن الأدب** في الدعاء؛ لأنها رحمة الله، ونعمته المطلوبة منه، فكيف يطلب منه رفع نعمته، وكشف رحمته، وإنما يسئل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء. وقال: اللهم منابت الشجر، ولم يقل: اصرفها إلى منابت الشجر؛ لأن الرب تعالى أعلم بوجه اللطف، وطريق المصلحة كان ذلك بمطر

- توأم، وشاة ربى وغنم رباب، وظئر وظؤار وعرق بفتح العين وعراق ورخل بكسر الراء ورخال وفرير وفرار «كل الجمع بضم الأول» . وقال الزجاجى مثل قول السيرافى. وقال ابن خالويه فى كتاب ليس: عرق وعراق، ورخل من أولاد الضأن ورخال وشاة ربى ورباب، وتوأم وتوأم، وفرير وفرار ولد الظبية ونذل ونذال ورذل ورذال وثنى وثناء، وهو الولد الذى بعد البكر، وناقة بسط أو بسط بضم الباء أو كسرها إذا كانت غزيرة والجمع: بساط، فتكون ثلاث عشرة كلمة. وزاد الزمخشرى: عرام بمعنى عراق. ونظمها فى أبيات وزاد السيوطى عنه: نذال «ص ٧٢، المزهر للسيوطى ج ٢." (٢)

---

(١) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ٢٥٤/٣

(٢) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ١٠٣/٣

". . . . .

من الوجوه؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة فتدبره.

وكذلك تسامح النحويون أيضا في الباء والهمزة، وجعلوهما بمعنى واحد في حكم التعدية، ولو كان ما قالوه أصلا لجاز في: أمرضته أن تقول: مرضت به، وفي أسقمته: أن تقول: سقمت به، وفي أعميته أن تقول: عميت به قياسا علي: أذهبته وأذهبت به، ويأبى الله ذلك والعالمون؛ فإنما الباء تعطي مع التعدية طرفا من المشاركة في الفعل، ولا تعطيه الهمزة، فإذا قلت: أقعدته، فمعناه:

جعلته يقعد، ولكنك شاركته في القعود، فجذبته بيدك إلى الأرض، أو نحو ذلك، فلا بد من طرف من المشاركة إذا قعدت به، ودخلت به، وذهبت به بخلاف أدخلته وأذهبته.

فإن قلت: فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم، وذهب بسمعهم وأبصارهم» ويتعالى- سبحانه- عن أن يوصف بالذهاب، ويضاف إليه طرف منه، وإنما معناه: أذهب نورهم وسمعهم. قلنا: في الجواب عن هذا: أن النور والسمع والبصر كان بيده سبحانه، وقد قال: بيده الخير، وهذا: من الخير الذي بيده، وإذا كان بيده، فجائز أن يقال ذهب به على المعنى الذي يقتضيه قوله سبحانه بيده الخير كائنا ما كان ذلك المعنى، فعليه ينبني ذلك المعنى الآخر الذي في قوله: ذهب الله بنورهم مجازا كان أو حقيقة، ألا ترى أنه لما ذكر الرجس كيف قال: «ليذهب عنكم الرجس» الأحزاب: ٣٣.

ولم يقل يذهب به، وكذلك قال: «ويذهب عنكم رجز الشيطان» الأنفال: ١١ تعليما لعباده حسن الأدب معه، حتى لا يضاف إلى القدوس سبحانه- لفظا ومعنى شيء من الأرجاس، وإن كانت خلقا له وملكا." (١)

"وعن الجريري رحمه الله قال: منذ عشرين سنة ما مددت رجلي وقت جلوسي للخلوة، فإن حسن الأدب مع الله تعالى أولى.

وروي عن ابن سيرين رحمه الله: أنه سئل: أي الآداب أقرب إلى الله؟

فقال: معرفة ربوبيته، وعمل بطاعته، والحمد لله على السراء، والصبر على الضراء.

وقال رجل من قيس لرجل من قريش: اطلب الأدب فإنه زيادة في العقل، ودليل على المروءة، وصلة «١» في المجلس، ثم قال:

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ٤١٣/٣

تعلم فليس المرء يخلق عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

فإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا صمت عليه المحافل

ولا ترض من عيش بدون ولا يكن ... نصيبك إرث قدمته الأوائل

وكان يقال: من **حسن الأدب** أن لا تنازع من فوقك، ولا تقول مالا تعلم، ولا تتعاطى مالا تنال، ولا يخالف لسانك ما في قلبك، ولا قولك فعلك، ولا تدع الأمر «٢» إذا أقبل وتطلبه إذا أدبر.

ويقال: من أدب صغيرا قرت عينه كبيرا، ومن أدب ابنه أرغم أنف عدوه.

وكان يقال: ثلاثة ليس معهن غربة: مجانبة الريب «٣» ، وكف الأذى، **وحسن الأدب**.

وقال عبد الملك بن مروان: ما الناس إلى شيء من الأدب أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التي بها يتعاودون الكلام، ويتعاطون البيان، ويتهادون." (١)

"وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: من تأدب بأدب الله صار من أهل محبة الله.

وروي عن ابن المبارك رحمه الله أنه قال: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى الكثير «١» من العلم.

وعن أبي نصر الطوسي السراج رحمه الله قال: «٢» [الأدب سند للفقراء، وزين للأغنياء، و] الناس في الأدب «٣» [متفاوتون، وهم] على ثلاث طبقات:

[أهل الدنيا، وأهل الدين، وأهل الخصوصية من أهل الدين، ف] أما أهل الدنيا فان أكثر «٤» آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسمار «٥» الملوك وأشعار العرب، [ومعرفة الصنائع] ، وأما أهل الدين فإن أكثر «٦» آدابهم في رياضة النفوس «٧» وتأديب الجوارح [وطهارة الأسرار] وحفظ الحدود وترك الشهوات [واجتناب الشبهات وتجريد الطاعات والمسارعة إلى الخيرات] ، وأما أهل الخصوصية فإن أكثر «٨» آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعقود «٩» [بعد العهود] وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر [والعوارض والبوادي والطوارق، واستواء السر مع الإعلان] **وحسن الأدب** في مواقف الطلب وأوقات الحضور [والقربة والدنو والوصلة] ومقامات القرب «١٠» وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: قد أكثر الناس في الأدب، ونحن نقول: هو معرفة النفس.

وقال الجنيد رحمه الله: إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب.." (٢)

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٢٢٨

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٢٣١

"كثيرة. وسأورد منها نبذا يستدل بها على الباقيات.

فمن ذلك مكاتبة إلى بعضهم: تأجيل فرض الخدمة ضامن ضررين يكسفان أنوار الولاء، وإن كان يباري الجونة عند ظهيرة القاع: أحدهما عار **من سوء الأدب** سابغ، والثاني تأجج نار الشوق الغانية بطبعها عن الاحتطاب لها. وبينهما وثوق بالكرم لا يعبث في صحته وحصينته عابث، وسبب الإرجاء من قبيل المشافهة، فإنها ظهر حمول للجهالات، والله تعالى يحفظ حشاشة المعالي، بطول بقاء المجلس العالي.

وكتب إلى النقيب الطاهر:." (١)

"واغتماما بأمره، حتى شق علي، فقلت لرجل كان معي حين خرجنا: ما أراه ينتفع بنفسه أياما.

أنبأنا يحيى بن الحسن بن البنا، قال: أنبأنا أبو يعلي محمد بن الحسين، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الحنائي، قال: أخبرنا أبو محمد الطرسوسي، قال: حدثنا أبو العباس البردعي، قال: سمعت الحسن بن إسماعيل، يقول: سمعت أبي يقول: كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلمون منه **حسن الأدب** وحسن السمت.

أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، وأبو طالب بن يوسف، قالا: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: أخبرنا أبو عبد الله بن بطة، قال: سمعت أبا بكر أحمد بن سليمنا النجاد، يقول: سمعت أبا بكر بن المطوعي، يقول: اختلفت إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ثنتي عشرة سنة وهو يقرأ "المسند" على أولاده، ما كتبت منه حديثا واحدا؛ إنما كنت أنظر إلى هديه؛ وأخلاقه، وآدابه.

أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم، قال: أخبرنا أبو علي بن أبي بكر المروذي، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي البخاري، قال: سمعت محمد بن إبراهيم البوشنجي، يقول: ما رأيت أحمد بن حنبل جالسا إلا القرفصاء إلا أن يكون في الصلاة، وهذه الجلسة التي تحكيها قيلة في." (٢)

"نلقبه ب محمود مجازا ... وما يلفى له فعل حميد

بعيد من ذوي الحسنى، فقير ... من المعروف، مناع، شديد

تعرض بي، لأهجوه، وبيني ... وبين هجائه أحد بعيد

وهجوي، لا أعرضه لقرد، ... مخافة أن تدنسه القرود

وأنشدني أيضا لنفسه:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق ج ١ العماد الأصبهاني ص/٣٥١

(٢) مناقب الإمام أحمد ابن الجوزي ص/٢٨٨

لو كان لله باب جنته ... كما على بابكم من الرد،

تكبر الخلق عن عبادته ... وجاهروه بالكفر والجحد

واقترحوا النار والخلود بها ... على النعيم الباقي، من الدرد

وأنشدني أيضا لنفسه:

ما بهم، مع سوء أخلاقهم، ... إلى ارتتاج الباب من حاج

وجوههم أمنع من بابهم ... أين الصفا الصلد من الساج؟

للؤم شرع، وهم رسله، ... وعنهم جاء بمنهاج

وأنشدني لنفسه، في الإلغاز في حكة الجرب:

وما شيء، نعوذ منه؟ حتى ... إذا باشرته، استكثرت منه

ألذ به، سوى عيني وسمعي، ... فإنهما لملتفتان عنه

وأنشدني أيضا لنفسه، يلغز بالبرغوث:

ما نائم، إذا وثب ... يرقص من غير طرب؟

وإنما رقصته ... تظهر للغير الحرب

معاشر، لكنه ... يكثر **من سوء الأدب**

يؤخذ في تهمته ... من لم يكن له الطلب

وعينه إذا أصا ... ب قرنه ينوي الهرب

يقدم، والشمس لها ... صبابة من اللهب

يرحل، والكيال يه ... دي، والقفير ينقلب

في بغداد يكون أوان البراغيث من أول الربيع إلى حين وقوع قسمة الغلات.

وأنشدني أيضا لنفسه، يلغز بالكتاب:

وذي غربة، يلهيك عند قدومه ... ويلقي إليه سره ويذيعه

خفيف، إذا استعبرته، وهو راجح ... من الفضل، محبوب إليه صنيعه

ويجفوه من بعد البشاشة معرضا ... كأنك لم يبهجك يوما طلوعه

وأنشدني لنفسه:

يا صاحبي، إليكما عن شاني ... لا تكثرا عذلي، ولا تسلاني

ما لي على البين المشت سلمتما جلد، ومالي بالفراق يدان

فإليكما عن مفرد، ألف النوى ... ترب الهموم، مولد الأحزان

ضرب البعاد عليه عمد قبابه، ... فطواه عن سكن وعن إخوان

فإذا صبا، ولوى عنان رحيله ... بالقرب، مبتجها، إلى الأوطان

ففراقه المحتوم موت أول، ... وصدوف نيته حمام ثان

ما لي وللبين المصرف صرفه ... من بعد أحبابي وهجر مكاني؟

كيف السبيل عليه، وهو محملي ... ما لا أطيق، وفي يديه عناني؟

إلى هذا الموضع، أملاه علي في تلك السنة ب، واسط.

وأنشدني لنفسه ب واسط في صفر سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة:

كم ذا الوقوف بنا على الإبل؟ ... أورد قلوصي ماء ذي الأثل

واعدل إلى ذات اليمين بنا ... واحطط بربع بريكة رحلي

مغنى، عفت آيات ملعبه ... ومحت معالمه يد المحل

أودعت قلبي في ربائبه ... وعقلت في عرصاته عقلي

وبكيت حين رأيت ما صنعت ... أيدي النوى بالربع والشمل

أكبرته، فوطئت تربته ... بحشاي، لا بمناسم الإبل

وطفقت أنشد فيه، حين خلا ... منهم، بما يغري، ولا يسلي

لا لبيض لي، في الدهر بعدهم، ... يوم. وهل دار بلا أهل؟

هذا البيت، ل مهيار. وهو، ها هنا، تضمين.." (١)

"- ١ - المعنى يقول هما وإن كان قد ميز بينهما يتقابلان وكل واحد منهما قد أحسن الأدب مع صاحبه وذكر الأدب فقال إذا صعدت يريد إذا صعدت إلى أحدهما فجلست عليه مال الآخر هيبة حين هجرته

٣ - المعنى يريد أنه يصر أمرا عجبا من شأنيهما ويروى فعليهما يريد إذا كان ما لا عقل له ولا حس يهابك فكيف بمن له عقل وفطنة لا يخاف على نفسه

٣٠

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ١/١٣٥

- ٢ - المعنى يريد أن السحاب أمسك عن الانسكاب لئلا يخجل من جوده لتقصيره عنه

٣١

- ١ - المعنى يريد أن قرب الأمير منه يغنيه عن كل طيب وبه بنى الله المعالى كما بكم يا آل محمد يغفر الذنوب لأن محمدا

يوم القيامة هو الشفيع المشفع يشفع فى أهل الكبائر من أمته." (١)

"وقال آخر [١] :

لكل شيء حسن زينة ... وزينة العالم **حسن الأدب**

قد يشرف المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيع النسب

وقال آخر:

من كان مفتخرا بالمال والنسب ... فإنما فخرنا بالعلم والأدب

لا خير في رجل حر بلا أدب ... لا لا وإن كان منسوبا إلى العرب

قالوا [٢] : والفرق بين الأديب والعالم أن الأديب من يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه، والعالم من يقصد لفن من العلم فيعتمله [٣] ، ولذلك قال علي كرم الله وجهه [٤] : العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه.

شاعر:

ذخائر المال لا تبقى على أحد ... والعلم تذخره يبقى على الأبد

والمرء يبلغ بالآداب منزلة ... يذل فيها له ذو المال والعقد

وحدث سفيان، قال سمعت الخليل بن أحمد يقول: إذا أردت أن تعلم العلم لنفسك فاجمع من كل شيء شيئا، وإذا أردت أن تكون رأسا في العلم فعليك بطريق واحد، ولذلك قال الشعبي: ما غلبني إلا ذو فن.

شاعر:

لا فقر أكبر من فقر بلا أدب ... ليس اليسار بجمع المال والنشب

ما المال إلا جزازات ملفقة ... فيها عيون من الأشعار والخطب

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١/١٤٦

ويقال: من أراد السيادة فعليه بأربع، العلم والأدب والعفة والأمانة.

---

[١] البيتان في غرر الخصائص: ١٤٤.

[٢] محاضرات الراغب ١: ٥١.

[٣] في ر: فيقتله، دون إعجام.

[٤] محاضرات الراغب ١: ٥١ (دون نسبة) .." (١)

"من أبي خازم مسرورا بصنيع أبي عمر، فاستبطأه الوزير، فحكى ما جرى من كل واحد منهما، فقال له الوزير: فأي الرجلين أفضل عندك يا أبا إسحاق؟ فقال:

أبو عمر في عقله وسداده وحسن عشرته ومعرفته بحقوق الوزير (يغري بأبي خازم) فقال الوزير: دع هذا عنك، أبو خازم دين كله، وأبو عمر عقل كله.

حدث أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي البصري قال: لما مات أبو العباس أحمد بن يحيى بكى أبو إسحاق الزجاج، فقلت: ما بكاؤك؟ فقال لي:

أين يذهب بك؟ أليس كان يقال أحمد بن يحيى جالس وإبراهيم الزجاج اليوم، فقال الزجاج ونفطويه وابن الأنباري: مات الناقد ونفقت البهارج.

وحدث المرزباني في كتابه المقتبس [١] ولم يذكر من خبره غير هذه القصة وذكرها ابن النديم في فهرسته [٢] قالا جميعا: كان السبب في اتصال أبي إسحاق الزجاج بالمعتضد أن بعض الندماء وصف للمعتضد «كتاب جامع النطق» الذي عمله محبرة النديم، (قال محمد بن إسحاق خاصة: واسم محبرة محمد بن يحيى بن أبي عباد ويكنى أبا جعفر، واسم أبي عباد: جابر بن زيد بن الصباح العسكري، وكان **حسن الأدب** ونادم المعتضد وجعل كتابه جداول) .

رجع الكلام إلى اتفاقهما: فأمر المعتضد القاسم بن عبيد الله أن يطلب من يفسر تلك الجداول، فبعث إلى ثعلب وعرضه عليه، فلم يتوجه إلى حساب الجداول وقال: لست أعرف هذا، وإن أردتم كتاب العين فموجود ولا رواية له. فكتب ابن عبيد الله إلى المبرد أن يفسرها فأجابهم إنه كتاب طويل يحتاج إلى تعب وشغل، وإنه قد كبر [٣] وضعف عن ذلك، وإن دفعتموه إلى صاحبي إبراهيم بن السري رجوت أن يفي بذلك. فتغافل القاسم عن مذاكرة المعتضد بالزجاج حتى ألح عليه المعتضد، فأخبره بقول ثعلب والمبرد وأنه أحال

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٠/١

على الزجاج، فتقدم إليه بالتقدم إلى الزجاج بذلك، ففعل القاسم، فقال الزجاج: أنا أعمل ذلك على غير نسخة ولا نظر في جدول، فأمره بعمل الثنائي، فاستعار الزجاج كتب اللغة من ثعلب والعسكري وغيرهما

---

[١] لم ترد في نور القبس.

[٢] الفهرست: ٦٦.

[٣] الفهرست: أسن.." (١)

"- ٦٩-

أحمد بن جعفر جحظة

: هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم. قال أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة: سألت جحظة عمن لقبه بهذا اللقب فقال: ابن المعتز لقبني به، فإنه لقبني يوما فقال لي: ما حيوان إذا قلب [١] صار آلة للبحرية؟ فقلت: علق إذا عكس صار قلعا، فقال: أحسنت يا جحظة، فلزمني هذا اللقب، وهو من في عينيه نتوء جدا؛ وكان قبيح المنظر وكان له لقب آخر يلقبه به المعتمد، وهو خنياكر [٢] ، وما أدري أي شيء معناه.

كان **حسن الأدب** كثير الرواية للأخبار متصرفا في فنون من العلم كالنحو واللغة والنجوم، مليح الشعر مقبول الألفاظ حاضر النادرة، وكان طنبوريا حاذقا فيه فائقا، مات في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة [٣] بجبل ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين.

ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: ولجحظة من التصانيف: كتاب الطبيخ، لطيف. كتاب الطنبوريين. كتاب فضائل السكباج. كتاب الترنم. كتاب المشاهدات. كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله. كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام. كتاب ديوان شعره.

قال [٤] : كان جحظة وسخا قذرا دنيء النفس في دينه قلة، وهو القائل:

إذا ما ظمئت إلى ريقه ... جعلت المدامة منه بديلا

وأين المدامة من ريقه ... ولكن أعلل قلبا عليلا

---

[٦٩]- ترجمة جحظة في الفهرست: ١٦٢ وتاريخ بغداد ٤: ٦٥ ووفيات الأعيان ١: ١٣٣ والوافي ٦:

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٦٢/١

٢٨٦ وفي الأغاني والديارات والبصائر وغيرها من الكتب الأدبية أخبار منثورة عنه، وقد ألف فيه الدكتور مزهر السوداني كتابه: جحظة البرمكي الأديب الشاعر (النجف: ١٩٧٧) .

[١] م: عكس.

[٢] لعل معناه: المغني.

[٣] في الفهرست: سنة ٣٢٦ (وأثبت ابن خلكان التاريخين) .

[٤] أي صاحب الفهرست.." (١)

"يذهب في رأي الفلاسفة، لكنه تكلم في القرآن بكلام لطيف دقيق في مواضع، وأخرج سرائره وسماه «نظم القرآن» ولم يأت على جميع المعاني فيه. قال:

وللكعبي كتاب في التفسير يزيد حجمه على كتاب أبي زيد.

قال الوزيري: وكان أيضا يتحرج عن تفضيل الصحابة بعضهم على بعض، وكذلك عن مفاخرة العرب والعجم ويقول: ليس في هذه المناظرات الثلاث ما يجدي طائلا ولا يتضمن حاصلا، لأن الله تعالى يقول في معنى القرآن أنزلناه قرآنا عربيا غير ذي عوج

(الزمر: ٢٨) الآية. وأما معنى الصحابة وتفضيل بعضهم فقوله عليه السلام: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، وكذلك العربي والشعوبي فإنه سبحانه يقول فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون

(المؤمنون: ١٠١) ويقول في موضع آخر إن أكرمكم عند الله أتقاكم

(الحجرات: ١٣) .

قال: وسمعت بعض أهل الأدب يقول: اتفق أهل صناعة الكلام أن متكلمي العالم ثلاثة الجاحظ وعلي بن عبيدة اللطفي وأبو زيد البلخي، فمنهم من يزيد لفظه على معناه وهو الجاحظ، ومنهم من يزيد معناه على لفظه وهو علي بن عبيدة، ومنهم من توافق لفظه ومعناه وهو أبو زيد.

وقال أبو حيان في «كتاب النظائر» : أبو زيد البلخي يقال له بالعراق جاحظ خراسان.

وحكى ان أبا زيد لما دخل على أحمد بن سهل أول دخوله عليه سأله عن اسمه فقال له: أبو زيد، فعجب أحمد بن سهل من ذلك حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته، وعد ذلك من سقطاته، فلما خرج ترك خاتمه في مجلسه عنده، فأبصره أحمد بن سهل فازداد تعجبا من غفلته، فأخذه بيده ونظر في نقش فصه فإذا عليه «أحمد بن سهل» فعلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للموافقة الواقعة بين اسمه واسمه، وانه

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١/٢٠٧

أخذ **بحسن الأدب**، وراعى حد الاحتشام، واختار وصمة التزام الخطأ والمحال في الوقت والحال على أن يتعاطى اسم الأمير بالاستعمال والابتذال.

وحكى أن أبا زيد في حداثته وحال فقره وخلته كان التمس من أبي علي المنيري حنطة، فأمره بحمل جراب إليه ففعل، فلم يعطه حنطة وحبس الجراب، ومضى على هذا أعوام كثيرة، وخرج شهيد بن الحسين إلى محتاج بن أحمد بالصغانيان، وكتب." (١)

"وكتب إلى أهل معرة النعمان مقدمه من بغداد ولم يصل إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم*

هذا كتاب إلى السكن المقيم بالمعرة، شملهم الله بالسعادة، من أحمد بن عبد الله بن سليمان، خص به من عرفه وداناه، سلم الله الجماعة ولا أسلمها، ولم شعثها ولا آلمها.

أما الآن فهذه مناجاتي إياهم منصرفي عن العراق، مجتمع أهل الجدال، وموطن بقية السلف، بعد أن قضيت الحداثة فانقضت، وودعت الشبيبة فمضت، وحلبت الدهر أشطره، وجربت خيره وشره، فوجدت أوفق ما أصنعه في أيام الحياة، عزلة تجعلني من الناس كبارح الأروى من سانح النعام. وما ألوت نصيحة لنفسي، ولا قصرت في اجتذاب المنفعة إلى حيزي. فأجمعت على ذلك، واستخرت الله فيه، بعد جلائه على نفر يوثق بخصائلهم، فكلهم رآه حزما، وعده إذا تم رشدا.

وهو أمر سري عليه بليل، قضي ببقة [١] ، وخبت به النعامة، ليس بنتيج الساعة، ولا ربيب الشهر والسنة، ولكنه غذي الحقب المتقادمة، وسليل الفكر الطويل. وبادرت إعلامهم ذلك، مخافة أن يتفضل منهم متفضل بالنهوض إلى المنزل الجارية عادتي بسكناه ليلقاني فيه، فيتعذر ذلك عليه، فأكون قد جمعت بين **سمجين: سوء الأدب** وسوء القطيعة. ورب ملوم لا ذنب له. والمثل السائر: خل امرأ وما اختار. وما سمحت القرون [٢] بالإياب، حتى وعدتها أشياء ثلاثة: نبذة كنبذة فتيق النجوم [٣] ، وانقضابا من العالم كانقضاب القائبة من القوب [٤] ، وثباتا في البلد إن حال أهله من خوف الروم. فإن أبى من يشفق علي أو يظهر الشفق إلا النفرة مع السواد، كانت نفرة الأعفر أو الأدماء [٥] . وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب، ولا أتكثر بلقاء الرجال،

---

[١] إشارة إلى المثل ببقة تركت الرأي (في قصة الزباء) .

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١/ ٢٧٩

[٢] القرون: النفس.

[٣] النجوم: النباتات، يتفتق عنها قشرها وتنبذه.

[٤] القائبة: البيضة، القوب: الفرخ.

[٥] الأعفر: صفة للظبي. الأدماء: الظبية.." (١)

"في يوم شديد المطر لا يكاد أحد يمشي في طريق، وهو قاعد على قبر أحمد بن كليب زائرا له وقد تحين غفلة الناس في مثل ذلك الوقت.

وكان أحمد بن كليب قد أهدى إلى أسلم في أول أمره «كتاب الفصيح» وكتب عليه:

هذا كتاب الفصيح ... بكل لفظ مليح

وهبته لك طوعا ... كما وهبتك روحي

وقرأت في «كتاب الديارات» للخالدي [١] حكاية أعجبني أمر صاحبها، وأحببت أن يكون لها موضع من كتابي هذا، وكأن المثل يذكر بالمثل، ذكرتها عقيب خبر أحمد بن كليب فانهما خبران متقاربان، قال حدثني أبو الحسين يحيى بن الحسين الكندي الحراني الشاعر، قال حدثني أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري قال: كان بالرها وراق يقال له سعيد، وكان في دكانه مجلس كل أديب، وكان **حسن الأدب** والفهم يعمل شعرا رقيقا، وما كنا نفارق دكانه أنا وأبو بكر المعوج الشامي الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر، وكان لتاجر بالرها نصراني من كبار تجارها ابن اسمه عيسى من أحسن الناس وجها وأحلاهم قدا وأظرفهم طبعا ومنطقا، وكان يجلس إلينا ويكتب عنا من أشعارنا، وجميعنا نحبه ونميل إليه، وهو حينئذ صبي في الكتاب، فعشقه سعيد الوراق عشقا مبرحا، وكان يعمل فيه الأشعار، فمن ذلك وقد جلس عنده في دكانه:

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي ... وهاك فابر عظامي موضع القلم

وصير اللوح وجهي وامحه بيد ... فإن ذلك برء لي من السقم

ترى المعلم لا يدري بمن كلفي ... وأنت أشهر في الصبيان من علم

ثم شاع بعشق الغلام في الرها خبره، فلما كبر وشارف الاحتلام [٢] أحب الرهبنة، وخاطب أباه وأمه في ذلك، والح عليهما حتى أجاباه وخرجا به إلى دير زكى بنواحي الرقة، وهو في نهاية حسنه، فابتاعا له قلاية، ورفعا إلى رأس الدير جملة من المال عنها، فأقام الغلام فيها. وضاقت على سعيد الوراق الدنيا بما رحبت،

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٣١٩/١

وأغلق

---

[١] وردت في تزيين الأسواق ٢: ٣٥٤.

[٢] م: الاشلاف؛ وما أثبته ورد في ر.." (١)

"لما أراني الدهر من تصريفه ... غيرا يغير مثلها مثلي

بلغ أحمد بن ثوابة بجنونه ... ما ليس يبلغه ذوو عقل

إن كان نقص المرء يجلب حظه ... فالعقل يرفع رزق ذي فضل

قال أبو حيان في «كتاب الوزيرين» [١] : حدثنا أبو بكر الصميري قال، حدثنا ابن سمكة قال، حدثنا ابن محارب قال، سمعت أحمد بن الطيب يقول: إن صديقا لابن ثوابة الكاتب أبي العباس يكنى أبا عبيدة قال له ذات يوم: إنك بحمد الله ومنه ذو أدب وفصاحة وبراعة [وبلاغة] فلو أكملت فضائلك بأن تضيف إليها معرفة البرهان القياسي وعلم الأشكال الهندسية الدالة على حقائق الأشياء، وقرأت أقليدس وتدبرته، فقال لي ابن ثوابة: وما كان اقليدس ومن هو؟ قال: رجل من علماء الروم يسمى بهذا الاسم وضع كتابا فيه أشكال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الأشياء المعلومة والمغيبة يشحذ الذهن ويدقق الفهم ويلطف المعرفة ويصفي الحاسة ويثبت الروية، ومنه افتتح الخط وعرفت مقادير حروف المعجم، قال له أبو العباس ابن ثوابة: وكيف ذلك؟ قال: لا تعلم كيف هو حتى تشاهد الأشكال وتعاين البرهان، قال: فافعل ما بدا لك، فأتاه برجل يقال له قويري [٢] مشهور ولم يعد إليه بعد ذلك.

قال أحمد بن الطيب: فاستظرفت ذلك وعجبت منه، فكتبت إلى ابن ثوابة رقعة نسختها: بسم الله الرحمن الرحيم، اتصل بي- جعلت فداك- أن رجلا من إخوانك أشار عليك بتكميل فضائلك وتقويتها بشيء من معرفة القياس البرهاني وطمأنينتك إليه، وأنك أصغيت إلى قوله وأذنت له، فأحضرك رجلا كان غاية في سوء الأدب، معدنا من معادن الكفر، وإماما من أئمة الشرك، لاستغرارك واستغوائك، يخادعك عن عقلك الرصين، وينازلك في ثقافة فهمك المبين، فأبى الله العزيز إلا جميل عوائده الحسنة قبلك، ومننه السوابق لديك، وفضله الدائم عندك بأن أتى على قواعد برهانه من ذروته، وحط عوالي أركانه من أقصى معاقد أسه، فأحببت استعلامي ذلك على كنهه من جهتك، ليكون شكري لك على ما كان منك حسب لومي لصاحبك على

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٤٢٥/١

---

[١] أخلاق الوزيرين: ٢٣٥- ٢٤٧.

[٢] قويري: اسمه إسحاق بن إبراهيم (أخبار الحكماء: ٥٥) .." (١)

"قرطبة يقال له فحص البلوط، ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر، وذكر له قصة استحسنتها فأثبتها هاهنا إذ لم أجعل له ترجمة [١] لأنه لم يذكره بالتصنيف في الأدب فقال: كان الحكم المستنصر مشغوفا بأبي علي القالي يؤهله لكل مهم في بابه، فلما ورد رسول ملك الروم أمره عند دخول الرسول الحضرة أن يقوم خطيبا بما كانت العادة جارية به، فلما كان في ذلك الوقت وشاهد أبو علي الجمع وعاين الحفل جبن ولم تحمله رجلاه ولا ساعده لسانه، وفطن له أبو الحكم منذر بن سعيد القاضي، فوثب وقام مقامه وارتجل خطبة بليغة على غير أهبة، وأنشد لنفسه في آخرها:

هذا المقال الذي ما عابه فند ... لكن صاحبه أزرى به البلد

لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا ... لكنني منهم فاغتالني النكد

لولا الخلافة أبقى الله بهجتها ... ما كنت أبقى بأرض ما بها أحد

واتفق الجمع على استحسانه وجمال استدراكه، وصلب العلج وقال: هذا كبش رجال الدولة، ثم ذكر قصته مع ابن النحاس بعينها.

-١٦١ -

أحمد بن محمد بن حمادة أبو الحسن الكاتب

: **حسن الأدب**، من أفاضل الكتاب، صنف الكتب ولقي الأدباء وله: كتاب امتحان الكتاب وديوان ذوي الالباب. كتاب شحذ الفطنة. كتاب الرسائل، ذكره محمد بن إسحاق.

-١٦٢ -

أحمد بن محمد بن عبد الله بن هارون أبو الحسين

: أظنه من عسكر مكرم لأنه اعتنى بشرح مختصر محمد بن علي بن إسماعيل المبرمان، ثم قرأت في بعض المجموعات: تقدم رجلان إلى القاضي أبي أحمد ابن أبي علان رحمه الله، فادعى

---

[١٦١]- ترجمته في الفهرست: ١٤٤- ١٤٥ والوافي ٧: ٣٨٨.

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٤٤٣/١

[١٦٢]- الوافي ٨: ٢٩ وبغية الوعاة ١: ٣٦٨.

[١] تأمل هذا؛ فإن له ترجمة برقم: ١١٦٠.." (١)

"[الجزء الثاني]

[تتمة حرف الالف]

بسم الله الرحمن الرحيم*

[-١٦٩ -]

أحمد بن محمد بن الفضل بن جعفر بن محمد

بن الجراح، أبوبكر الخزاز: سمع أبا بكر ابن دريد وأبا بكر ابن السراج وأبا بكر ابن الانباري وروى كثيرا من مصنفاتهم، ومات في سنة احدى وثمانين وثلاثمائة. ومكان ثقة **حسن الأدب** والخط والاتقان والضبط، فاضلا أديبا كثير الكتب، حسن الحال ظاهر الثروة. روى عنه القاضي أبو العلاء الواسطي والصيمري والتنوخي وأبو الحسين هلال بن المحسن وأولاد الصابىء كلهم كثيرا من كتب الأدب متصلة الرواية إلى الآن، وقد روى شيخنا تاج الدين أبو اليمن من طريقه عدة كتب أدبية.

قال أبو القاسم التنوخي: سمعت ابن الجراح يقول: كتبي بعشرة آلاف درهم ودوابي بعشرة آلاف درهم، [وسلامي بعشرة آلاف درهم] . قال التنوخي: وكان أحد الفرسان يلبس أداته ويركب فرسه ويخرج إلى الميدان ويطارد الفرسان.

[-١٧٠ -]

أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن سعيد

، أبو علي الاصبهاني المقرىء: سكن دمشق وصنف تصانيف في القراءات، وقرأ القرآن على أبي القاسم زيد بن علي بن أحمد بن أبي بلال الكوفي وأبي بكر النقاش وأبي العباس الحسن بن

---

[١٦٩]- تاريخ بغداد ٥: ٨١ والوافي ٨: ٨٠.

[١٧٠]- تاريخ ابن عساكر (ط) ٧: ١٦١ (مصورة ٢: ٨٨) وتهذيب ابن عساكر ١: ٤٤٥ (ولم يرد في مختصر ابن منظور) وطبقات الجزري ١: ١٠١ والوافي ٧: ٣٠٧.." (٢)

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١/٤٧٠

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢/٤٨٣

"إسحاق الذي غذي به وهو صناعته، ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه، أليس هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك ثم إظهارك إياه ولم تحكمه؟! أليس تعلم ويحك أن هذا سوء رأي وأدب وقلة معرفة ومبالاة بالخطأ والتكذيب والرد القبيح؟! ثم قال له: والله العظيم وحق رسوله الكريم وإلا فأنا نفي من أبي لئن أصابه سوء أو سقط عليه حجر من السماء، أو سقط من دابته، أو سقط عليه سقف، أو مات فجأة لأقتلنك به، والله والله والله، وأنت أعلم فلا تعرض له؛ قم الآن فاخرج، فخرج وقد كاد يموت. فلما كان بعد ذلك دخلت عليه وإبراهيم عنده، فأعرضت عنه، فجعل الرشيد ينظر إلي مرة وإلى إبراهيم أخرى ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه والأخذ عنه، وإن هذا لا تقدر عليه كما تريد إلا أن يرضى، والرضى لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه وبره وصله، فإذا فعلت ذلك ثم خالف ما تهواه عاقبته بيد منبسطة ولسان منطلق، ثم قال لي: قم إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه، فقمت إليه وأصلح بيننا.

وحدث «١» المبرد قال: حدثت عن الأصمعي قال: دخلت أنا وإسحاق بن إبراهيم يوما على الرشيد فرأيته لقس النفس، فأنشده إسحاق «٢» :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فذلك شيء ما إليه سبيل

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى ... بخيلا له حتى الممات خليل

واني رأيت البخل يزري بأهله ... فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

ومن خير أخلاق الفتى قد علمته ... إذا نال منها أن يقال «٣» ينيل

فعالي فعال الموسرين تكرما ... ومالي كما قد تعلمين قليل

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ... ورأي أمير المؤمنين جميل." (١)

"فقال لي يوما: أحب أن تصنف لي كتابا لطيفا في أنساب الطالبيين لأنظر فيه فلا أحب أن أموت «١» جاهلا به، فقلت له: أتريده مشجرا أم منثورا؟ فقال: المشجر لا ينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئا أحفظه، فقلت له: السمع والطاعة، ومضيت وصنفت له الكتاب الذي سميته ب «الفخري» وحملته وجئته به، فلما وقف عليه نزل عن طراحته وجلس على الحصير وقال لي: اجلس على هذه الطراحة، فأعظمت ذلك وهبته «٢» ، فانتهرني نهرة [عظيمة] مزعجة وزعق في قائلا «٣» : اجلس بحيث أقول لك، فتداخلني

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٥٩٩/٢

علم الله من هيبته ما لم أتمالك إلا أن جلست حيث أمرني، ثم أخذ يقرأ علي ذلك الكتاب وهو جالس بين يدي ويستفهمني عما يستغلق عليه إلى أن أنهاه قراءة، فلما فرغ من قراءته «٤» قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علم أنت أستاذي فيه، وأنا أستفيد منك وأتتلمذ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلا بين يدي الأستاذ، فقمت من مقامي «٥» ، وجلس هو في منصبه، ثم أخذت أقرأ عليه وأنا جالس بحيث كان أولا، وهذا لعمري من **حسن الأدب** حسن ولا سيما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة.

[٢٣٩]

إسماعيل الضرير النحوي أبو علي

: لا أعرف من أمره الا ما ذكر أن رجلا سأل إسماعيل الضرير النحوي عن أبي القاسم علي بن أحمد بن الفرج بن الحسين بن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء، وزير القائم: كيف ترى رئيس الرؤساء في النحو؟ فقال: يتكلم فيه بكلام أهل الصنعة، وسئل رئيس الرؤساء عن إسماعيل فقال: ما أرى مفتوح القلب في النحو إلا هذا المغمض العينين.

---

[٢٣٩]- ترجمته في إنباه الرواة ١: ١٩٨ وجعله الصفدي (الوافي ٩: ٢٢٩ ونكت الهميان: ١١٩) اسماعيل ابن المؤمل، وتابعه السيوطي في البغية ١: ٤٥٤.." [١]

"أحمد بن محمد بن العطار في يوم الثلاثاء السابع من ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

قال: وحدثني من شهد قبض روح الشيخ رضي الله عنه قال: كنا قعودا في ذلك الوقت، وكنا نحب أن نلقنه كلمة الشهادة رعاية للسنة، ومع هذا كنا نخشى من هيبته **ونحذر سوء الأدب**، فبقينا متحيرين حتى قلنا للرجل من أصحاب الشيخ: اقرأ أنت سورة يس، فرفع الرجل صوته يقرأ السورة، وكنا ننظر إليه ونراقب حاله، فدهش القارىء وأخطأ في القراءة، ففتح الشيخ عينه ورد عليه، فسررنا بذلك وحمدنا الله عز وجل. ثم جيء إليه بقدح فيه شيء من الدواء، ووضع القدح على شفته فولى وجهه ورد القدح بفيه وفتح عينه وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله رافعا بها صوته، وفاضت نفسه رحمه الله ورضي عنه وأرضاه، وجعل أعلى الجنان مأواه، وكان ذلك قبيل العشاء الآخرة ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الأولى عام سبعة وستين وخمسمائة، ودفن يوم الخميس في مسجده، وصلى عليه ابنه الإمام ركن الدين شيخ الإسلام ابو عبد الله أحمد القائم مقامه وخليفته على أولاده وأصحابه واتباعه رحمه الله. والكتاب الذي يشتمل على مناقبه كتاب

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢/٦٥٥

ضخم جليل، وإنما كتبت هذه النبذة ليستدل به على فضله ومرتبته، رحمة الله عليه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين.

[٣٠٩]

الحسن بن إسحاق بن أبي عباد اليمني النحوي

: من وجوه اليمن، كان يصحب الفقيه يحيى بن أبي الخير «١» ، وعمه إبراهيم بن أبي عباد نحوي أيضا يذكر في موضعه «٢» ، وصنف الحسن هذا مختصرا في النحو مشهورا باليمن يقرأه المبتدئون،

---

[٣٠٩]- إنباه الرواة ١: ٢٩٠ والوافي ١١: ٤٠٠ وبغية الوعاة ١: ٥٠٠ وروضات الجنات ٣: ٩٠.." (١)

"أخطىء وأصيب فأخاف بادرة خطأ يكون فيها حتفي، وقد رأيت ذلك في جماعة من أولياء مولانا، والسعيد من وعظ بغيره. فقال: لك ذلك. فقال أبو القاسم: أحب أن يكتب لي مولانا خطه بذلك، ويعطيني توثقة من نفسه به، فقد أوجب هذا الانبساط وسوء الأدب في الخطاب تحكيم مولانا إياي. فوجد من الحاكم وقفة في ذلك. فقال له: لا بأس، نحن عبيد، والمولى مالك. وأرجو أن لا آتي بما يكره مولانا، وأعيش في نعمته على رضاه وما يهواه. ولكن لي أخت لها من قلبي منزلة أخاف عليها من الريح إذا هبت، إن رأى أمير المؤمنين أن يكتب لها أمانا على نفسها، ويوثقها على بقاء مهجتها وصيانتها فعل، فقال له: لك ذلك، على أن تعطيني موثقا أن لا تفارق حضرتي إلا بإذني. فقال له: لك ذلك. وكتب كل واحد منهما بذلك خطه، وأيده بيمين حلفها. وخرج أبو القاسم من مجلسه وتهيأ من وقته للاستتار، فأحضر عجوزا ممن يوثق بعقلها وديانتها، وأمرها أن تكتري دارا في بعض المحال النائية، وتتردد إليها، وتبيت فيها تارة، وتنقطع أخرى، ولا تخالط أحدا من الجيران، ورتب ذلك مدة سنتين أو ثلاث. فاتفق أنه استدعي يوما إلى القصر، فدخل والحاكم جالس في مستشرف الدار، ولم يره أبو القاسم، وكان في اجتيازه قد وطىء نواة تمرة، فلما صار بحيث الحاكم جعل ينفض نعله عدة نوب، حتى سقطت النواة، ثم التفت فرأى الحاكم فقبل الأرض بين يديه، فوجد التغير في وجهه، والإنكار باد في نطقه، وإن أظهر التجمل والانبساط، فعلم أبو القاسم أن الحاكم قد ظن أن نفض نعله كان استهانة به واحتقارا له، وعلم أن الحاكم لا يقيل العثرة، ولما خرج من حضرته، مضى إلى الدار التي أعدتها تلك المرأة، واستتر فيها، وطلبه الحاكم فلم يوجد [واستخبر عنه] من أبيه، فأنكر أن يكون عرف له خبرا، أو وقف منه على أثر، فاعتقل أباه وجميع أهله،

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٨٤٠/٢

وأوقع بهم القتل، وجاء بأخته المذكورة، فعلقها وطرب منها أخاها، وضربها ضربا وجيعا ونادى في البلد بالتماسه، فلم يوقف له على خبر، فأخرج أباه وأخاه وجماعة من أهله إلى المقطم، جبل مطل على القاهرة، وضرب أعناقهم صبرا، ثم خرج بنفسه حتى وقف عليهم، وأمر برفعهم وغسلهم وتكفينهم ودفنهم، ورجع إلى داره بالقصر، وجلس للعزاء بهم، وحضرهم الناس، وعليهم ثياب الحزن، وهذا من أعجب تلون هذا الرجل- يعني الحاكم- فإنه كان متناقض." (١)

"[٧٠٦] علان الوراق الشعوبي:

ذكره محمد بن اسحاق فقال: أصله من الفرس وكان علامة بالأنساب والمثالب والمنافرات منقطعا إلى البرامكة، وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة، مات [...] .

قال: وعمل «كتاب الميدان» في المثالب الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها، وكان قد عمل كتابا لم يتمه سماه «الحلية» انقرض أثره. قال: كذا قال ابن شاهين الاخباري.

وله من الكتب: كتاب الميدان في المثالب يحتوي على جميع مثالب العرب ابتدأ ببني هاشم ثم قبيلة بعد قبيلة على الترتيب إلى آخر قبائل اليمن على ترتيب كتاب ابن الكلبي. وله أيضا: كتاب فضائل كنانة. كتاب النمر بن قاسط. كتاب نسب تغلب بن وائل. كتاب فضائل ربيعة. كتاب المنافرة. وذكر محمد بن أبي الأزهر:

كان في جوارنا بباب الشام فتى يعرف بالفيرزان، وكان يورق في دكان علان الشعوبي، وأورد خبرا دل به على أن علانا كان وراقا له دكان يبيع فيه الكتب وينسخ.

وحدث أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في «كتاب الوزراء والكتاب» من تصنيفه قال «١» : كان بعض أصحاب أحمد بن أبي خالد الأحول قد وصف له علانا الشعوبي الوراق، فأمر باحضاره وبأن يستكتب له، فأقام في داره، فدخلها أحمد بن أبي خالد يوما فقام إليه جميع من فيها غير علان الوراق فانه لم يقم له، فقال أحمد: ما أسوأ أدب هذا الوراق!! وسمعه علان فقال: كيف أنسب أنا إلى سوء الأدب ومني تعلم الآداب وأنا معدنها؟! ولماذا أردت مني القيام لك ولم آتك مستميحا لك ولا راغبا إليك ولا طالبا منك وإنما رغبت إلي في أن آتيك فأكتب عندك، فجئتك لحاجتي إلى ما آخذه من الأجرة، وقد كنت بغير هذا منك أولى، ثم حلف

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١١٠٣/٣

[٧٠٦]- الفهرست: ١١٨.." (١)

"ومن تعرف أيضا؟ قلت: ابن الجعابي الحافظ «١» يكنى بأبي حيان، رجل صدق وهو يروي عن التابعين. قال: ومن تعرف أيضا؟ قلت: روى الصولي فيما حدثنا عنه المرزباني أن معاوية لما احتضر أنشد يزيد عند رأسه متمثلا:

لو أن حيا نجا لفات أبو ... حيان لا عاجز ولا وكل

الحول القلب الأريب وهل ... يدفع صرف المنية الحيل

قال الصولي: وهذا كان من المعمرين المعقلين «٢» ، وانتهى الحديث من غير هشاشة ولا هزة ولا أريحية، بل على اكفهرار وجه ونبو طرف وقلة تقبل، وجرت أشياء أخر كان عقباها أني فارقت بابه سنة سبعين وثلاثمائة راجعا الى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة، ولم يعطني في مدة ثلاث سنين درهما واحدا ولا ما قيمته درهم واحد، احمل هذا على ما أردت. ولما نال مني هذا الحرمان الذي قصدني به، وأحفظني عليه، وجعلني من جميع غاشيته «٣» فردا أخذت أتلافى «٤» ذلك بصدق القول عنه وسوء الثناء عليه، والبادىء أظلم، وللأمور أسباب، وللأسباب أسرار، والغيب لا مطلع عليه ولا قارع لبابه.

قال أبو حيان «٥» قال لي الصاحب يوما وهو يحدث عن رجل أعطاه شيئا فتلكأ في قبوله:

ولا بد من شيء يعين على الدهر

ثم قال: سألت جماعة عن صدر هذا البيت فما كان عندهم ذلك، فقلت: أنا أحفظ ذاك، فنظر بغضب، فقال: ما هو؟ قلت: نسيت، فقال: ما أسرع ذكرك من نسيانك، قلت: ذكرته والحال سليمة فلما استحالت عن السلامة نسيت، قال: وما حيلولتها؟ قلت: نظر الصاحب بغضب، فوجب في **حسن الأدب** ألا يقال ما يثير الغضب، قال: ومن تكون حتى نغضب عليك؟ دع هذا وهات، قلت قول الشاعر:." (٢)

"[٨٨٩]

الفتح بن خاقان بن أحمد القائد وقيل الفتح بن خاقان بن غرطوج، كذا قال المرزباني في «كتاب المعجم» . قال محمد بن إسحاق النديم: كان في نهاية الذكاء والفطنة **وحسن الأدب**، وكان من أولاد الملوك، واتخذه المتوكل أخا، وكان يقدمه على جميع

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٤/١٦٣١

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٥/١٩٣٦

أولاده، قتل مع المتوكل ليلة قتل بالسيوف لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين بالمتوكلية، وكانت له خزانة كتب جمعها له علي بن يحيى المنجم لم ير أعظم منها كثرة وحسنا، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين، قال أبو هفان «١» : ثلاثة لم أر قط ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم منهم: الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي.

قال المؤلف: وباقي القصة في أخبار الجاحظ فكرهت التكرار.

وللفتح من التصانيف: كتاب البستان صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل ونسبه إليه. كتاب الصيد والجوارح.

وذكره أبو القاسم في «تاريخ الشام» فقال: الفتح بن خاقان بن غرطوج التركي أبو محمد، قدم الشام مع المتوكل معادله على جمازة، ثم نزل بالمزة، فلما رحل المتوكل عن دمشق استخلف بها كلباتكين التركي. وكان على خاتم المتوكل وقتل معه، روى عنه أبو زكريا يحيى بن حكيم الأسلمي شيئا من شعره، وأبو العباس المبرد وأحمد بن يزيد المؤدب، ولم يذكره الخطيب في تاريخه «٢» .

---

(٨٨٩) - أخباره في الكتب التاريخية كالطبري وابن الأثير ومروج الذهب وانظر معجم المرزباني: ١٩٠ والفهرست: ١٣٠ وتاريخ بغداد ١٢: ٣٨٩ وسير الذهبي ١٢: ٨٢ والوافي للصفدي (خ) والفوات ٣: ١٧٧ والنجوم الزاهرة ٢: ٣١٣ والشذرات ٢: ١١٤ وانظر كتاب «الترك في مؤلفات الجاحظ» للدكتور زكريا كتابجي؛ وياقوت ينقل أيضا عن تاريخ دمشق لابن عساكر (المصورة ١٤: ١٩٥) .." [١]

"العسل ويقبله منه، فلما مات وجد عنده إحدى عشرة جرة عسلا ومنها ما قد نقص منه.

وكان قد كتب «فردوس الحكمة» لعلي بن ربن الطبري وأخذه عن علي بن ربن مصنفه سماعا؛ قال أبو بكر ابن كامل: ورأيته عنده في ستة أجزاء.

وقال أبو العباس ابن المغيرة الثلاج: لما اعتل ابني أبو الفرج، وكان **حسن الأدب** ويتفقه على مذهب أبي جعفر، قال لي أبو جعفر: تقبل مني ما أصفه لك؟

فقلت: نعم، وكنت أتبرك بقوله ورأيه، قال: احلق رأسه واعمل له جوذابة سمينة من رقاق وأكثر دسمها وقدمها إليه وأطعمه منها حتى يمتلىء شبعا، ثم خذ ما بقي فاطرحه على دماغه واحرص أن ينام على حاله تلك، فإنه يصلح إن شاء الله تعالى، ففعلت فكان سبب برئه.

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٥/٢١٥٧

وأبو الفرج هذا مات قبل أبي جعفر بمديدة، وكان أبو الفرج هذا يتعسف في كلامه: تجاروا يوما عند أبي جعفر فذكر الطبيخ فقال أبو الفرج: لكني أكلت طباهقة، قال أبو جعفر: وما الطباهقة؟ قال الطباهجة، ألا ترى أن العرب تجعل الجيم قافا. فقال أبو جعفر: فأنت إذا أبو الفرق ابن الثلاق، فصار يعرف بأبي الفرق بن الثلاق، ويمزح معه بذلك.

وكان أبو بكر ابن الجواليقي يأخذ لسانه بالإعراب ويكثر الإشارات فيه إلى حد البغض، فأخذ يوما في ذلك، فقال أبو جعفر: أنت بغيض، فسمي بغيض الطبري، قال: ورأيت أنا هذا الانسان يوما وقد ورد إلى باب الطاق وكان مهاجرا لبعض الوراقين، فوقف علينا فسلم ثم اعتذر من وقوفه بالمكان لأجل الوراق، فقال: لولا من ما كنت بالذي (يعني لولا من هاهنا ما كنت لأقف على حانوتك) .

وكان بأبي جعفر ذات الجنب تعتاده وتنتقض عليه، فوجه إليه علي بن عيسى طبيبا، فسأل الطبيب أبا جعفر عن حاله فعرفه حاله وما استعمل وأخذ لعلته، وما انتهى إليه في يومه ذاك، وما كان رسمه أن يعالج به، وما عزم على أخذه من العلاج، فقال له الطبيب: ما عندي فوق ما وصفته لنفسك شيء، والله لو كنت في ملتنا لعددت من الحواريين، وفقك الله. ثم جاء إلى علي بن عيسى فعرفه ذلك فأعجبه.

قلت: أكثر هذه الأخبار عن عبد العزيز بن محمد الطبري من كتاب له أفرده في." (١)

"وقال المبرد: إنما صار أبو العيناء أعمى بعد أن نيف على الأربعين، وخرج من البصرة واعتلت عيناه فرمي فيهما بما رمي، والدليل على ذلك قول أبي علي البصير:

قد كنت خفت يد الزما ... ن عليك إذ ذهب البصر

ولم ادر أنك بالعمى ... تغنى ويفتقر البشر

وقال أحمد بن أبي دواد لأبي العيناء: ما أشد ما أصابك في ذهاب بصرك؟

قال: أبدأ بالسلام وكنت أحب أن أكون أنا المبتدىء، وأحدث من لا يقبل على حديثي ولو رأيته لم أقبل عليه، فقال له ابن أبي دواد: أما من بدأك بالسلام فقد كافأته بجميل نيتك له، ومن أعرض عن حديثك انما أكسب نفسه **من سوء الأدب** أكثر مما نالك من سوء الإعراض.

وقال محمد بن خلف بن المرزبان، قال لي أبو العيناء: أتعرف في شعراء المحدثين رشيدا الرياحي؟ قال: فقلت لا، قال بل هو القائل في:

نسب لابن قاسم ما تراث ... فهو للخير صاحب وقرين

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٦/٢٤٦٨

أحول العين والخلائق زين ... لا احولال بها ولا تلوين

ليس للمرء شائنا حول العي ... ن إذا كان فعله لا يشين

فقلت له: وكنت قبل العمى أحول؟ أمن السقم إلى البلى؟ فقال: هنا أظرف خبر تعرج به الملائكة إلى السماء اليوم، وقال: أيما اصلح من السقم إلى البلى أو حال العجوز أصلحها الله من القيادة إلى الزنا.

وحمله بعض الوزراء «١» على دابة فانتظر علفها، فلما أبطأ عليه قال: أيها الوزير هذه الدابة حملتني عليها أو حملتها علي؟

وقال له المتوكل «٢» هل رأيت طالبيا حسن الوجه؟ قال: نعم، رأيت ببغداد منذ ثلاثين واحدا، قال: تجده كان مؤاجرا وكنت أنت تقود عليه، فقال: يا أمير المؤمنين أو يبلغ هذا من فراغي؟ أدع موالي مع كثرتهم وأقود على الغرباء؟ فقال المتوكل." (١)

"مجلسا. والانتصار على ابن الخشاب رد فيه عليه ما انتقده من الأمالي. وكتاب الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام «١» . وشرح التصريف الملوكي. وشرح اللمع لابن جني النحوي. وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، وغير ذلك.

توفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.

ومن شعره:

لا تمزحن فإن مزحت فلا يكن ... مزحا تضاف به **إلى سوء الأدب**

واحذر ممازحة تعود عداوة ... إن المزاح على مقدمة الغضب

وقال «٢» :

هل الوجد خاف والدموع شهود ... وهل مكذب قول الوشاة جحود

وحتى متى تفني شؤونك بالبكا ... وقد حد حدا للبكاء لبيد «٣»

وإني وإن لانت قناتي لضعفها ... لذو مرة في النائبات شديد

وقال:

وتجنب الظلم الذي هلكت به ... أمم تود لو انها لم تظلم

إياك والدنيا الدنية إنها ... دار إذا سالمتها لم تسلم

[١٢٠٤] هبة الله بن علي بن عرام، أبو محمد الربعي

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٦/٢٦٠٤

الأسواني: كان أديبا فاضلا

[٤١٢٠] ترجمة عرام في الخريدة (قسم مصر) ٢: ١٨٦ ومرآة الزمان: ٢٢٦ والطالع السعيد: ٧٠١ (والوافي/ خ) والنجوم الزاهرة ٥: ٣٢٠.." [١]

"٣٦٧٥ - وابو الطيب يوسف بن عمر بن سهل السني حدث عن أبي الحسن محمد بن يعقوب بن الجندي السني قال حدثنا أبو عمران موسى بن محمد الحديثي نقلته من خط الشيخ أبي بكر بن الخاضبة الحافظ رحمه الله مضبوطا في الموضعين بكسر السين في أربعين أبي سعد الماليني وابو الطيب شيخ الماليني والحديثي يروي عن ابي يعلى الموصلي وأما السني بضم السين المهملة فهو

٣٦٧٦ - أبو زرعة روح بن محمد بن أحمد السني القاضي الرازي سبط أبي بكر بن السني حدث عن علي بن إبراهيم بن محمد بن عمران الزيات وأبي الهيثم احمد بن عمر بن شبويه المروزي وابي أحمد الحسين بن علي النيسابوري حدث عنه الحافظ أبو بكر الخطيب قال يحيى بن منده في تاريخه كثير الحديث صاحب غرائب **حسن الأدب** جميل الطريقة سمع منه علي بن الحسين الإسكاف." [٢]

"وأنشدني شيخنا أيضا قال: أنشدنا أستاذ المقرئين الفقيه الخطيب القاضي إشبيلية أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني قال: أنبأنا الإمام حافظ أهل زمانه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري لنفسه في كتابه إلينا:

لئن أصبحت مرتحلا بشخصي ... فروحي عندكم أبدا مقيم

ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعاينة الكليم

وأنشدني جماعة من شيوخي رحمهم الله منهم الأستاذ النحوي أبو القاسم السهيلي - والأستاذ كلمة ليست بعربية، ولا توجد هذه الكلمة في الشعر الجاهلي. وأصطلحت العامة إذا عظموا المحبوب أن يخاطبوه بالأستاذ، وإنما أخذوا ذلك من الماهر

بصنعته، لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم، فكأنه أستاذ في **حسن الأدب**. حدثني بهذا جماعة

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٧٧٦/٦

(٢) إكمال الإكمال لابن نقطة ابن نقطة ٥٤٠/٣

بغداد، منهم جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله. قال: سمعته من شيخنا اللغوي أبي منصور موهوب." (١)

"يتعداه، أو يكون صادقا، فيصيبكم١ بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له.

وفي هذا الكلام من **حسن الأدب**، والإنصاف ما أذكره لك، فأقول: إنما قال: ﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ ، وقد علم أنه نبي صادق، وأن كل ما يعدهم به لا بد وأن يصيبهم، لا بعضه؛ لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى عليه السلام، أن يسلك معهم طريق الإنصاف والملاطفة في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة، ليكون أدعى إلى سكونهم إليه، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدخل في تصديقهم إياه، فقال: ﴿وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ ، وهو كلام المنصف في مقابلة غير المشتط، وذلك أنه حين فرضه صادقا، فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد به، لكنه أردف بقوله: ﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ ، ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام، فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا، فضلا عن أن يتعصب له، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل، كأنه برطلهم٢ في صدر الكلام بما يزعمونه؛ لئلا ينفروا منه.

وكذلك قوله في آخر الآية: ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ ، أي هو على الهدى، ولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة، ولا عضده بالبينات.

وفي هذا الكلام من خداع الخصم، واستدراجه ما لا خفاء به، وقد تضمن من اللطائف الدقيقة ما إذا تأملته حق التأمل أعطيته حقه من الوصف.

ومما يجري على هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا، إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا، يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا، يا أبت لا

---

١ في الأصل "يصبكم".

٢ يقال: برطل فلان فلانا رشاه، فتبرطل فارتشى.." (٢)

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية ص/٩٢

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٢٠٦

"النوع الرابع عشر في الاستدراج

وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى، وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال؛ والكلام فيه وإن تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، وإذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها، والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيرا في خلابه، لا قصيرا في خطابه، فإذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده، وإلا «١» فليس بكاتب، ولا شبيه له إلا صاحب الجدل فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية.

وقد ذكرت في هذا النوع ما يتعلم منه سلوك هذه الطريق.

فمن ذلك قوله تعالى: وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب

ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه؛ فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم؛ فقال: لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه، أو يكون صادقا [وإن يكن صادقا] يصبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له، وفي هذا الكلام من **حسن الأدب** والإنصاف ما أذكره لك فأقول: إنما قال يصبكم بعض الذي

وقد علم أنه نبي صادق وأن كل ما يعدهم به لابد وأن يصيبهم، لا." (١)

"وإجرائى عليه ما كان تعوده منى، ثم مضيت إليه يوما، فقال لى: هل يقع حسد الإنسان إلا من نفسه؟ فقلت: لا، قال: فما معنى قول الله عز وجل: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم

، فلم أدر ما وجه ذلك، فقال: ينبغى أن تعلم أن هاهنا أشياء قد بقيت عليك، فاعتذرت إليه، ووعدته بالرجوع إلى ما تعوده منى «١».

وكانت «٢» درجة الزجاج قد ارتفعت، ونادم المعتضد. وسبب اتصاله به أن بعض الندماء وصف للمعتضد كتاب جامع النطق الذى عمله محمد «٣» النديم، وهو محمد بن يحيى [بن أبى عباد] «٤»، ويكنى أبا

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٦٤/٢

جعفر، واسم أبى عباد «٥» جابر «٦» بن يزيد بن الصباح العسكرى، وكان **حسن الأدب**، ونادم المعتضد، وجعل كتابه جداول، فأمر المعتضد قاسم بن عبيد الله أن يتطلب من يفسر تلك الجداول، فبعث إلى ثعلب، وعرضه عليه، فلم يتوجه إلى حساب الجداول، وقال: لست أعرف هذا، فأعطى للزجاج ففكه، وتقدم به، وصار له به رزق فى الفقهاء، ورزق فى الندماء «٧».." (١)

"وسافر إلى الجبل، وشاهدته بالرى دفعات وبهمذان، ووجدته فاضلا مليح الشعر **حسن الأدب** حافظا».

وذكره الباخرزى «١» فقال: «عاشرته «٢» بالنهروان سنة ثلاث وستين، ووجدته لطيف العشرة، وفتشته عما يتحلى به من علم الإعراب، فمد «٣» فيه أطناب «٤» الإطناب، حتى كاد يكون مكانه من المبرد والزجاج، مكان الأسنة من الزجاج «٥». وهو مع هذا أشعر أبناء جنسه. فمما أنشدنى لنفسه «٦» من قصيدة نظامية:

يا ظبية حلت بباب الطاق «٧» ... بينى وبينك أوكد الميثاق

فوحق أيام الصبى ووصالنا ... قسما بها وبنعمة الخلاق

ما مر من يوم ولا من ليلة ... إلا إليك تجددت أشواقى

سقيا لأيام جنى لى طيبها ... ورد الخدود ونرجس الأحداق

وإذا أضرت بى عقارب صدغها «٨» ... كانت مراشف ريقها ترياقى." (٢)

"٦٧٦ - محمد بن عبد العزيز بن محمد بن محمود بن سهل بن منده أبو نصر التميمى الأصبهانى النحوى المعروف بسيبويه «١»

حسن الأدب، أحد وجوه العلم؛ عالم بالنحو واللغة. حدث عن زيد ابن عبد الله بن رفاعة [١] الهاشمى وأبى الخير أحمد بن زكريا الفارسى الأديب، وأبى الحسين بن فارس اللغوى الأديب.

قال ابن منده [٢]: سمعت أبا نصر النحوى يقول: سمعت أبا الحسين بن فارس الأديب يقول: دخلت بغداذ طالبا للحديث، فحضرت مجلس بعض المحدثين، فرأيت شابا وعليه سمة جمال، وليست معى قارورة، فاستأذنته فى كتب الحديث من قارورته، فقال: من انبسط إلى الإخوان بالاستئذان، فقد استحق الحرمان.

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ١/١٩٩

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ٢/٢٨

قال: وسمعته يقول: سمعت أبا الحسين بن فارس يقول: سمعت أبا محمد بن أبى اليسار يقول: أبو أحمد العسكرى يكذب على الصولى [٣] مثل ما كان الصولى يكذب على الغلابى [٤]؛ مثل ما كان الغلابى يكذب على سائر الناس.

قال ابن منده أيضا: وأنشدنا أبو نصر الملقب بسيبويه قال: أنشد أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله:

---

[١] قال أبو حيان التوحيدى: «كان زيد بن رفاعة ذا ذكاء وذهن وقاد، ويقظه واتساع فى الفنون، من النظم والنثر والكتابة والبراعة فى الحساب والحفظ لأيام الناس، ومعرفة بالمقالات وتبصر فى الآراء، وتصرف فى كل فن؛ لكنه لا ينسب لمذهب؛ لجيشانه فى كل شىء، وغليانه فى كل باب، وكان قد صحب المقدسى والمهرجونى والريحانى وغيرهم، وهم الذين كانوا وضعوا رسائل إخوان الصفاء، وراموا الجمع بين الفلسفة والشريعة». وانظر لسان الميزان (٢: ٥٠٦)، وتاريخ بغداد (٨: ٤٥٠).

[٢] هو أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب المعروف بابن منده؛ تقدمت ترجمته فى حواشى الثانى ص ٢٧.

[٣] هو أبو بكر محمد بن يحيى الصولى، تأتى ترجمته للمؤلف.

[٤] هو أبو جعفر محمد بن زكريا الغلابى البصرى الأخبارى، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان (١: ١٦٨)، وقال إنه تكلم فيه.." (١)

"٧٣٠ - محمد بن يحيى بن أبى عباد جابر بن زيد بن الصباح العسكرى اللغوى المعروف بالنديم «١»

ويكنى أبا جعفر. كان حسن الأدب، ونادم المعتضد. وصنف كتابا فى اللغة سماه جامع المنطق، وجعله جداول، ومات. ووقف عليه المعتضد يوما، فاشتاقت نفسه إلى فك تلك الجداول، فأمر القاسم بن عبيد الله أن يطلب من أهل الأدب من يفسرها، فبعث إلى ثعلب، وعرفه وعرض عليه، فلم يتوجه له حساب الجداول، وقال: لست أعرف هذا، وإن أردتم كتاب العين فموجود ولا رواية له. ثم كتب إلى المبرد أن يفسرها فأجابهم: إنه كتاب طويل يحتاج إلى شغل وتعب، وإنه قد أسن وضعف عن ذلك، وإن دفعتموه إلى صاحبى إبراهيم بن السرى رجوت أن يفى بذلك. فتغافل القاسم بن عبيد الله [١] عن مذاكرة المعتضد باسم الزجاج؛ لأنه كان مشتغلا بتعليم أولاده؛ حتى ألح عليه المعتضد، فأخبره بقول ثعلب والمبرد، وأنه أحال على الزجاج؛ فتقدم المعتضد إليه بالتقدم إلى الزجاج بذلك، ففعل القاسم؛ فقال الزجاج: أنا أفعل

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ١٦٩/٣

ذلك على غير نسخة ولا نظر فى جداول، فأمره بعمل الثنائى، فاستعار الزجاج كتب اللغة من ثعلب والسكرى وغيرهما؛ لأنه كان ضعيف العلم باللغة؛ ففسر الثنائى كله، وكتبه بخط اليزيدى الصغير، وجلده وحمله إلى الوزير، وحمله الوزير إلى المعتضد بالله أمير المؤمنين، فاستحسنه، وأمر له بثلاثمائة دينار وتقدم إليه بتفسيره كله، ولم يخرج مما عمله الزجاج نسخة إلى أحد؛ إلا إلى خزانة المعتضد.

---

[١] وزير المعتضد، تقدمت ترجمته فى حواشى الجزء الأول ص ١٩٥.." (١)

"لما في لفظة حاشاك بعد ذكر الفناء من **حسن الأدب** مع الممدوح، وربما سومح بأن يجعل هذا البيت في شواهد التتميم لهذه الشبهة.

وأما الأول فمحض التكميل، ولا مدخل له في التتميم اللهم إلا أن يكون مرادهم بالتتميم تتميم الوزن، لا تتميم المعنى، فيجوز بهذا الاعتبار أن يسمى كل ماورد من الحشو الحسن سوءا كان متمما للمعنى أو مكملا تتميما، لأنه به تم الوزن، ويكون من قسم تتميم الألفاظ، وما قدمناه من تتميم المعاني.

ومن مليح التكميل قول النابغة الذبياني في وصف حمار وأتان وحشيين طويل:

فإن هبطا سهلا أثارا عجاجة ... وإن طلعا حزنا تشظت جنادل

فإنه لو اقتصر على وصف صلابة حوافرهما بالمشي في السهل كان المدح لهما غير كامل، حتى يصفهما بالمشي في الحزن، فلا جرم أنه لما أراد تكميل المدح وأوجبت عليه الصناعة أن يقول في عجز البيت: الحزن كما قال في صدره: السهل، فوصفهما بما يوجب لهما بلوغ الغاية في صلابة الحوافر هذا ما نقلته من كلام الناس على هذا البيت، وفيه ما فيه، لأن الاقتصار على وصفهما بالمشي في السهل، وهو يريد وصفهما بصلابة الحوافر، نقص تام في المعنى المراد، فبقية البيت على هذا تتميم لا تكميل.." (٢)

"فإنه لما انقضى ما أراده من المدح بقوله:

لم يبق جودك لي شيئا أؤمله

ثم احتاج إلى تتميم البيت وأراد إتمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحسانا له وتوكيدا، وكره التكرير لا لمعنى زائد، وعلم أن لا مزيد على معناه في بابه، فأخرجه مخرج المثل حيث قال:

تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ٣/٢٣٢

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٣٦١

ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى، لأن المدح إذا خرج مخرج المثل كان أسير في الأرض، وفي ضمن ذلك لهج الناس بالمدح الخارج مخرج المثل، وهذا البيت وإن نظر فيه إلى قول المتنبي بسيط

تمسي الأماني صرعى دون مبلغه ... فلا يقول لشيء ليت ذلك لي

فبيت ابن نباته أفضل من بيت المتنبي، لأنه **أحسن الأدب** مع ممدوحه، فلم يجعله في حيز من يتمنى شيئا، وجعل قدرته وجوده أصارا مادحة قد بلغ كل أمنيته فلم يبق له أمل: وإن كان في بيت المتنبي زيادة من جهة المبالغة في قوله: دون مبلغه واستعارة في اللفظ لقوله: تمسي الأماني صرعى ففي بيت ابن نباتة أن كل ما جعله المتنبي للممدوح، جعله ابن نباتة لشاعر الممدوح من نعمته وزيادة المبالغة في المدح بكونه أخرج المدح مخرج المثل كما بينا، فهو أسير وأبقى، وإذا أنصف الناظر في البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله في صدر بيت ابن نباتة لأن حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الأماني، وهذا قد استقل به صدر." (١)

"وإذا أضعفتها فأضعفها لتتوازن قوى الكلام، وتتناسب في الأفهام، واقصد القوافي السهلة المستحسنة، دون المستصعبة المستهجنة، والأوزان المستعملة الحلوة، دون المهجورة الكزة، فإن الشعر كالجواد، والقوافي حوافره، والألفاظ صورته، والمعاني سرعته، والأوزان جملته، واجعل كلامك كله كالتوقيعات، وعليك بالمقطعات فإنها في القلوب أحلى وأكمل، وفي المجالس أرشق وأجول، وبالأسماع أعلق، وبالأفواه أعبق، فإذا نثرت منظوما فغير قوافي شعره إلى قوافي سجعه، وإذا أخذت معنى بيت من بيت فتجنب الألفاظ جملتها ما استطعت، أو معظمها، وغيرا لوزن والقافية، وزد في معناه، وانقص من لفظه، واحترس مما طعن عليه به، لتكون أملك له من قائله وإن كان التفضيل قد يقع بغير ما ذكرت، ومما يقدم به المتكلم على غيره **حسن الأدب** مع الممدوح، كقول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة بن حمدان عفا الله عنه بسيط

لم يبق جودك لي شيئا أؤمله ... تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

فإنه **أحسن الأدب** مع ممدوحه، بخلاف المتنبي، فإن المتنبي قال في هذا المعنى بسيط

تمسي الأماني صرعى دون مبلغه ... فما يقول لشيء ليت ذلك لي

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٣٩٠

فإن المتنبي جعل ممدوحه ممن يصح منه التمني لو كانت بقيت له أمنيته. وابن نباتة جعل مادح ممدوحه لم تبق له أمنيته، ورفعه عن أن يكون." (١)

"هو ممن يصح أن يتمنى شيئا، فكل ما جعله المتنبي لممدوحه، جعله ابن نباتة لشاعر ممدوحه، وهذا الأدب من قول الله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: " الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين " فأسند أفعال الخير كلها لله، وأسند فعل الشر لنفسه، حسن أدب مع ربه. صلى الله عليه وسلم.

ومثل ذلك قوله تعالى: " ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى " مقتضى الصناعة أن يؤتى بتجنيس الازدواج في صدر الآية، كما أتى به في عجزها، لكنه منع منه توخي التأديب والتهذيب في نظم الكلام، وذلك أنه لما كان الضمير الذي في " ليجزي " عائدا على الله سبحانه، وجب أن يعدل عن لفظ المعنى الخاص إلى ردفه، حتى لا تنسب السيئة لله تعالى، فقال سبحانه في موضع.. " بالسيئة " بما علموا " فعوض عن تجنيس المزاوجة الإرداف، لما في الإرداف من **حسن الأدب** مع الله تعالى، ليعلمنا ذلك، ولما كان قوله تعالى " وجزاء سيئة سيئة مثلها " قد أمن فيه هذا المحذور، أتى الكلام فيه على مقتضى الصناعة، والله أعلم.

ومن أحسن ما وقع في هذا قوله تعالى: " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار " لأنه سبحانه أدمج وهو أعلم في هذا الكلام." (٢)

"وجدنا في كتاب تميم ... أحق الخيل بالركض المعار

أحق مبتدأ والمعار خبره، بعين غير معجمة، وهو أن الفرس ينفلت فيذهب يمينا وشمالا من مرحه وأرنه، يقال: عار الفارس وأعاره صاحبه فهو معار. والناس يظنون المعار من العارية وهو خطأ.

ورواه بعض أهل الأدب بخط أبي علي الفارسي: المغار بغين معجمة، وهو من أغرت الحبل فتلته فهو مغار. يعني أن الفرس إذا ضمر واندمج في شحمه وذهبت البطنة عنه كان حقيقا بالمسابقة به. وما رأيت العلماء باللغة اعتمدوا على هذا المعنى، والصحيح ما رووه أولا.

ومما ينبغي أن يتجنبه الشاعر **من سوء الأدب** في خطابه، ويعطف عليه جيد البحث والتنقيب حتى يهتدي الى صوب صوابه ما غلط فيه الشعراء وعابه عليهم العلماء، كقول بعضهم وقد مدح زبيدة وهي تسمع من

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٤١٦

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٤١٧

أبيات:

أزبيدة ابنة جعفر ... طوبى لزائرك المثاب

تعطين من رجليك ما ... تعطي الأكف من الرغاب

فهم الخدم والحشم بضربه، فقالت: دعوه فإنه لم يرد إلا خيرا، ولكنه أخطأ الصواب، وضل عن المنهج، لأنه سمع قولهم في الشعر: شمالك أندى من يمين غيرك، وظهرك أحسن من وجه سواك، فظن أن الذي ذهب إليه من ذلك القبيل، أعطوه ما أمل ونبهوه على ما أهمل. فعجب الناس من حلمها وضياء حسها وفهمها، وليس كل ممدوح حليما، ولا كل سامع عليما. وقريب من هذا ما رثى به أبو الطيب والدة سيف الدولة بقوله:

رواق العز فوقك مسبطر ... وملك علي ابنك في كمال

ولولا غفلة ذهبت بعقل أبي الطيب ورانت على حسه وفهمه لما خاطب ملكا في أمه بذلك ولا جعل شيئا مسبطرا فوقها. وهذا كقوله أيضا:

لو استطعت ركبت الناس كلهم ... الى سعيد بن عبد الله بعرانا

أو ما علم أبو الطيب أن زوجة سعيد وأمه من جملة الناس، فكيف ذهب عنه ذلك حتى اعتمده، وشافه الممدوح به وأنشده؟! ولله در المتوكل الليثي حيث يقول:

الشعر لب المرء يعرضه ... والقول مثل مواقع النبل

منها المقصر عن رميته ... ونواقر يذهبن بالخصل

أخذ ذلك من قولهم: الشر كالنبل في جفيرك إذا رميت به الغرض. فمنه طالع وواقع، وعاضد وقاصر. فالطالع الذي يعلو الغرض، لم يزغ عنه يمينا ولا شمالا وهو مستحب. والواقع الذي يقع بالغرض. والعاضد الذي يقع عن يمين الغرض أو شماله، وهو شرها. والقاصر الذي يقصر دون الغرض فلا يبلغه. وقوله: ونواقر يذهبن بالخصل، أي صوائب، يقال: نقر السهم فهو ناقر إذا أصاب، والنواقر: الدواهي.

وينبغي للشاعر أن يجتنب التناقض في شعره، فإنه من أوفى عيوب الشر الدالة على جهله بالمعاني ووضع الكلام مواضعه. وقد عيب على جماعة من الشعراء القدماء ذلك، وهو أن الشاعر يبتدئ بشيء ويقرره ثم يعطف عليه، إما في باقي البيت أو في الذي يليه، فينقض ما بناه، ويأتي بما يخالف معناه فمن ذلك ما ناقض فيه على سبيل المضاف عبد الرحمن القس حيث يقول:

وإني إذا ما الموت حل بنفسها ... يزال بنفسي قبل ذاك فأقبر

جمع بين قبل وبعد وهما من المضاف، لأنه لا قبل إلا لبعد ولا بعد إلا لقبل. فإن قوله: إذا حل الموت بها، وفي هذا الكلام معنى الشرط وقد وضعه ليكون له جوابا يأتي به، وجوابه: يزال بنفسي قبل ذاك، وهذا تناقض مثاله قول القائل: إذا مات زيد مات عمرو قبله، فجعل ما هو قبل بعدا وهذا معنى يغلط فيه خلق كثير ولا يحققونه.

ومثله في التناقض على سبيل الإيجاب والسلب قوله أيضا:

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ... ملامكم فالقتل أعفى وأيسر." (١)

"الفضل عاقلا داهيا جزلا، يذكر عنه أنه ما ظهر عليه سرور بفرح قط ولا حزن بمصيبة.

وتلاحى هو وأحمد بن المدبر يوما بين يدي المتوكل قال الصولي: وكان الخلفاء لا ينكرون تنازع الكتاب بين أيديهم وابن المدبر يلي في ذلك الوقت أمر دار المتوكل كله، المطابخ والفرش وغير ذلك، وفي المجلس مرفقة قد جعلت لأمر ولم ترفع، فضرب الفضل بيده على المرفقة ضربا شديدا، فقام منها غبار كثير، فقال له أحمد: أتغبر بين يدي أمير المؤمنين؟ أما لك أدب! أما خدمت الملوك! فضحك الفضل وقال: من خدمتي للملوك فعلت هذا، ليرى أمير المؤمنين قلة كفايتك في فرشه، وأنك لا تهتم بنفضها، ويعلم كيف يكون فيما يبعد عنه، ولولا خوفي **من سوء الأدب** حقا لضربت البساط فيرى ما هو أعظم من هذا! فبهت أحمد، وجعل يعتذر، فما مضت إلا أيام حتى عزل عن الدار.

محمد بن عبد الملك الزيات

كتب للمعتصم ووزر له ولأبنه الواثق بعده خلافته كلها و أياما يسيرة من خلافة المتوكل، وهو أحد من رأس بعلمه وبيانه وبلاغته. ولما استقصر المعتصم." (٢)

"وحكي عن حاجب محمد بن عبد الملك الزيات قال: لما انصرف إبراهيم ابن العباس معزولا عن الأهواز، وقف بباب عبد الملك يطلب الإذن، فاستأذنت له ثلاث مرات، فلم يأذن، فخرجت إليه فقلت: يا أبا إسحق قد حملت نفسي **على سوء الأدب** بأن كررت الاستئذان على الوزير فلم يأذن! فسألني إيصال رقعة إليه، فقلت: هاتها، فثنى رجله على سرجه وكتب: من كان واحدك إذ جعلت لنفسك واحدا، وواحدي إذ خفت من زماني نبوة؟ أما والله لو أمنتك لقلت، ولكني أخاف منك عتبا لا تنصفني فيه، وأخشى من

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٨٢

(٢) إعتاب الكتاب ابن الأبار ص/١٣٣

نفسي لائمة لا تحتملها لي، وما قدر فقد كان ويكون وكائن، وعن كل حادثة أحدوثة، وما أقول إني تبدلت بحالة كنت بها مغتبطا حالة أنا في مكروهها، بل أقول إني قهرت، فلما فزعت إلى ناصري، وجدت من ظلمني أخف نية في ممن استنصرت به، وأحمد الله كثيرا وأشكره! وكتب في آخر الرقعة:

وكنت أخي بإخاء الزمان ... فلما نبا صرت حربا عوانا

وكنت إليك أذم الزمان ... فأصبحت فيك أذم الزمانا." (١)

"وقرأت فيما سيره القاضي أبو المعالي أحمد بن مدرك قاضي المعرة من أخبار بني سليمان قال: ولما قدم من بغداد- يعني أبا العلاء- عزم على العزلة والانقضاب من العالم فكتب إلى أهل معرة النعمان:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب إلى السكن المقيم بالمعرة شملهم الله بالسعادة، من أحمد بن عبد الله بن سليمان، خص به من عرفه وداناه، سلم الله الجماعة ولا أسلمها ولم شعثها ولا آلمها.

أما الآن فهذه مناجاتي بعد منصرفي عن العراق، مجتمع أهل الجدل، وموطن بقية السلف، بعد أن قضيت الحداثة فانقضت، وودعت الشبيبة فمضت، وحلبت الدهر أشطره، وخبرت خيره وشره، فوجدت أقوى ما أصنعه أيام الحياة أن اخترت عزلة تجعلني من الناس كبارح الأروى «١» من سانح النعام، وما ألوت نصيحة لنفسي، ولا قصرت في اجتذاب المنفعة إلى حيزي، فأجمعت على ذلك، واستخرت الله فيه بعد جلائه عن نفر يوثق بخصائلهم، فكلهم رآه حزما وعدة إذا تم (١٥٣ ظ) رشدا، وهو أمر أسري عليه بليل قضى سنة، وخبت به النعامة، ليس بنسج الساعة ولا ربيب الشهر والسنة، ولكنه غذي الحقب المتقادمة، وسليل الفكر الطويل، وبادرت إعلامهم ذلك مخافة أن يتفضل منهم متفضل بالنهوض إلى المنزل الجارية عادتي بسكناه ليلقاني فيه، فيتعذر ذلك عليه، فأكون قد جمعت بين **سمجين: سوء الأدب**، وسوء القطيعة، ورب ملوم لا ذنب له.

والمثل السائر خل امرأ وما اختار «٢» ، وما أسمحت القرون الإياب حتى وعدتها أشياء ثلاثة: نبذة كنبذة فتيق النجوم «٣» ، وانقضابا من العالم." (٢)

"فمن هذا خطابه له وذكره لما قيل فيهما كيف يصح عنه أنه يواجهه بهذا الكلام الفاحش الخارج عن حسن الآداب، المجانب لصحة القول والصواب.

---

(١) إعتاب الكتاب ابن الأبار ص/١٤٧

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٨٦٨/٢

أخبرنا عبد الله بن أبي علي الانصاري عن أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ قال: ذكر- يعني أبا الفضل هبة الله بن المثنى بن ابراهيم الهيتي- له أنه دخل المعرة، وكان أبو العلاء يعيش فيها، فنهاه أبو صالح بن شهاب عن الدخول عليه.

قلت: وهذا أبو صالح هو أبو صالح محمد بن المهذب بن علي بن المهذب ابن أبي حامد بن همام بن أبي شهاب، وكان ابن عمه أبي العلاء، وهو الذي كتب الأبيات النونية الى أبي الهيثم أخي أبي العلاء حين احتجب أبو العلاء ومنع الناس من (١٦٤ ظ) الدخول عليه وأولها:

بشمس زرود لا ببدر معان....

وقد ذكرناها وفيها من المدح والتقريظ لأبي العلاء والتحيل في الدخول عليه ما هو واضح، فكيف يمنع الناس من الدخول عليه وينهاهم عنه، اللهم إلا إن كان ذلك وقع في الوقت الذي قدم أبو العلاء من بغداد، وعزم على العزلة عن الناس، وكتب الى أهل المعرة ما كتب، وأراد أبو الفضل الهيتي الدخول عليه فنهاه أبو صالح عن ذلك مخافة أن يمضي فيتعذر عليه فيكون كما قال في رسالته:

«فأكون قد جمعت بن **سمجين: سوء الأدب** وسوء القطيعة» .

ذكر ابن السيد البطليوسي في شرح سقط الزند لأبي العلاء قال: وكان المعري متدينا، كثير الصيام والصدقة، يسمع له بالليل هينمة «١» لا تفهم، وكان لا يقرع أحد عليه الباب حتى تطلع الشمس، فاذا سمع قرع الباب علم أن الشمس قد طلعت، فقطع تلك الهينمة وأذن في الدخول عليه، وكان لا يرى أكل اللحم، ولا شرب." (١)

"واعمل على أن الدهر دول

وقال لا تصادم من كان على الحق ولا تحارب من كان متمسكا بالدين

وقال صير الدين موضع ملكك فمن خالفه فهو عدو لملكك ومن تمسك بالسنة فحرام عليك ذمه وإدخال المذلة عليه واعتبر ممن مضى ولا تكن عبرة لمن بعدك

وقال لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يثبت

وقال عامل الضعيف من أعدائك على أنه أقوى منك وتفقد جندك تفقد من قد نزلت به الآفة واضطرته إلى مدافعتهم

وقال دار الرعية مداراة من قد انهتكت عليه مملكته وكثرة عليه أعداؤه

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٨٨٧/٢

وقال قدم أهل الدين والصلاح والأمانة على أنك تنال بذلك في العاقبة الفوز وتتزين به في الدنيا

وقال اقمع أهل الفجور على أنك تصلح دينك ورعيتك بذلك

وقال لا تغفل فإن الغفلة تورث الندامة وقال

لا ترج السلامة لنفسك حتى يسلم الناس من جورك ولا تعاقب غيرك على أمر ترخص فيه لنفسك واعتبر بمن تقدم واحفظ ما مضى والزم الصحة يلزمك النصر

وقال الصدق قوام أمر الخلائق والكذب داء لا ينجو من نزل به

ومن جعل الأجل أمامه أصلح نفسه ومن وسخ نفسه أبغضته خاصته

وقال لن يسود من يتبع العيوب الباطنة من إخوانه من تجبر على الناس ذلته

من أفرط في اللوم كره الناس حياته

من مات محمودا كان أحسن حالا ممن عاش مذموما

من نازع السلطان مات قبل يومه

أي ملك نازع السوقة هتك شرفه

أي ملك تطنف إلى المحقرات فالموت أكرم له

وقال من أسرف في حب الدنيا مات فقيرا ومن قنع مات غنيا

من أسرف في الشراب فهو من السفل

من مات قل حساده

وقال الحكمة شرف من لا قديم له

الطمع يورث الذلة التي لا تستقال

اللؤم يهدم الشرف ويعرض النفس للتلف

سوء الأدب يهدم ما بناه الأسلاف

الجهل سر الأصحاب

بذل الوجه إلى الناس هو الموت الأصغر

ينبغي للمدبر أن لا يتخذ الرعية مالا وقنية ولكن يتخذهم أهلا وإخوانا ولا يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير." (١)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/١٠٠

"وثلثمائة يوم الأربعاء، لست خلون منه، بعد طلوع الشمس بساعة. وقيل؛ توفي سنة أربع وعشرين وهو ابن مجاهد المقرىء ببغداد، والله أعلم، ودفن ثاني يوم بباب الكوفة، رحمه الله تعالى.

قال ابن خالويه: ليس في العلماء من اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سوى (١) نفطويه.

ومن شعره ما ذكره أبو علي القالي في كتاب الأمالي (٢) :

قلبي عليك أرق من خديكا ... وقواي أوهى من قوى جفنيكا

لم لا ترق لمن يعذب نفسه ... ظلما وبعطفه هواه عليكا وفيه يقول أبو عبد الله محمد بن زيد (٣) بن علي بن الحسين الواسطي المتكلم المشهور، صاحب الإمامة وكتاب إعجاز القرآن الكريم في نظمه وغيرهما:

من سره أن لا يرى فاسقا ... فليجتهد أن لا يرى نفطويه

أحرقه الله بنصف اسمه ... وصير الباقي صراخا عليه وتوفي أبو عبد الله محمد (٤) المذكور سنة سبع - وقيل: سنة ست - وثلثمائة رحمة الله تعالى.

حكى عبد العزيز بن الفضل قال: خرج القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، وأبو بكر محمد بن داود الظاهري، وأبو عبد الله نفطويه إلى وليمة دعوا لها، فأفضى بهم الطريق إلى مكان ضيق، فأراد كل واحد منهم صاحبه أن يتقدم عليه، فقال ابن سريج: ضيق الطريق **يورث سوء الأدب**، وقال ابن داود: لكنه يعرف مقادير الرجال، فقال نفطويه: إذا استحكمت المودة بطلت التكاليف.

ونفطويه - بكسر النون وفتحها والكسر أفصح والفاء ساكنة - قال أبو

---

(١) د: إلا.

(٢) الأمالي ١: ٢٠٧.

(٣) أ: يزيد.

(٤) ب هـ: أبو عبيد الله إبراهيم بن محمد.." (١)

"الحسن جوهر - المقدم ذكره في حرف الجيم - وكان العقد في مجلس العزيز ولم يحضره إلا خواصه، وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار، والكتاب ثوبا مصمتا.

وكان المعز أبو تميم معد والد العزيز المذكور قد تقدم وهو بالمغرب إلى القاضي أبي حنيفة النعمان المذكور في أول الترجمة بعمل اسطرلاب فضة، وأن يجلس مع الصائغ أحد ثقاته، فأجلس أبو حنيفة ولده المذكور

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤٨/١

محمدا، فلما فرغ الاسطرلاب حمله أبو حنيفة إلى المعز، فقال له: من أجلست معه فقال: ولدي محمدا، فقال: هو قاضي مصر، فكان كما قال، لأن المعز كانت تحدثه نفسه أبدا بأخذ مصر، فلهذا تلفظ بهذا الكلام، ورافقته السعادة مع المقادير.

وقال القاضي محمد المذكور: كان المعز إذا رآني وأنا صبي بالمغرب يقول لولده العزيز: هذا قاضيك. وكان محمد جيد المعرفة بالأحكام مفننا في علوم كثيرة **حسن الأدب** والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس، وله شعر، فمن ذلك قوله:

أيا مشبه البدر بدر السماء ... لسبع وخمس مضت واثنتين

ويا كامل الحسن في نعته ... شغلت فؤادي وأسهرت عيني

فهل لي من مطمع أرتجيه ... وإلا انصرفت بخفي حنين

ويشمت بي شامت في هواك ... ويفصح لي ظلت صفر اليدين

فإما مننت وإما قتلت ... فأنت القدير على الحالتين وكتب إليه عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي:

تعادلت القضاة علا فأما ... أبو عبد الإله فلا عديل

وحيد في فضائله غريب ... خطير في مفاخرة جليل

تألق بهجة ومضى اعتزاما ... كما يتألق السيف الصقيل

فيقضي والسداد له حليف ... ويعطي والغمام له رسيل

لو اختبرت قضاياه لقالوا ... يؤيده عليها جبرئيل

إذا رقي المنابر فهو قس ... وأن حضر المشاهد فالخليل فكتب إليه القاضي محمد المذكور:." (١)

"بن أبي النصر بن محمد اللفتواني (١) الحافظ يقول: بيت ابن منده بدئ بيحيي وختم بيحيى، يريد في معرفة الحديث والعلم (٢) والفضل.

وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي - المقدم ذكره - في " مساق (٣) تاريخ نيسابور " فقال: أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور في الدنيا، سافر وأدرك المشايخ وسمع منهم، وصنف على الصحيحين، وكان يروي بإسناده المتصل إلى بعض العلماء أنه قال: كثرة الضحك أمارة الحمق، والعجلة من ضعف العقل، وضعف العقل من قلة الرأي وقلة الرأي **من سوء الأدب**، وسوء الأدب يورث المهانة، والمجون طرف من الجنون، والحسد داء لا دواء له،

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤٢٠/٥

والنمائم تورث الضغائن. وكان يروي بالإسناد المتصل إلى الأصمعي أنه قال: دخلت في البادية إلى مسجد، فقام الإمام يصلي فقرأ: (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) نوح: وأرتج عليه، فجعل يرددها ويقول: (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) فقال إعرابي من ورائه، وهو قائم يصلي: يا هذا، إن لم يذهب نوح فأرسل غيره.

وكان يحيى المذكور كثيرا ما ينشد لبعضهم:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... وللمشتري دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أخيب (٤) وكانت ولادته في غداة يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وتوفي يوم عيد النحر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة بأصبهان، ومولده بها أيضا، رحمه الله تعالى؛ ولم يخلف في بيت ابن منده بعده مثله.

وقال ابن نقطة في كتابه " إكمال الأكمال " توفي يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وذكر أن مولد أبيه عبد الوهاب

---

(١) في أكثر النسخ: الكفتواني، وأثبت ما في ن.

(٢) ن: والحفظ والعلم.

(٣) ن: سياق، وكذلك ورد من قبل في عدة مواضع.

(٤) في النسخ جميعا: أعجب، وهو تكرار دون فرق في المعنى، فأبقين ما في المطبوعة المصرية.." [١]

"كان أولا وقعة بدر أو أحد فإنك لا تدري أيهما كان قبل الآخر، فأمسك عنه.

وذكر في الكتاب المذكور أيضا عن علي بن الجعد أن القاضي أبا يوسف كتب يوما كتابا، وعن يمينه إنسان يلاحظ ما يكتبه، ففطن له أبو يوسف، فلما فرغ من الكتابة التفت إليه وقال له: هل وقفت على شيء من خطأ فقال: لا والله ولا حرف واحد، فقال له أبو يوسف: جزيت خيرا حيث كفيتنا مؤونة قراءته، ثم أنشد:

كأنه من سوء تأديبه ... أسلم في **كتاب سوء الأدب** وقال حماد بن أبي حنيفة (١) : رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر، وهما يتجادلان في مسألة، فلا يقول أبو يوسف قولا إلا أفسده زفر، ولا يقول زفر قولا إلا أفسده أبو يوسف، إلى وقت الظهر، فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر، وقال: لا تطمع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف، وقضى لأبي يوسف على زفر، ولم يكن بعد

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٧٠/٦

أبي يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر.
وقال طاهر بن أحمد الزبيري (٢) : كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تتكلم، فقال: بلى، متى يفطر الصائم فقال: إذا غابت الشمس، فقال: فإن لم تغب إلى نصف الليل، فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صميك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك، ثم تمثل:
عجبت إزراء الغبي بنفسه ... وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للغبي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما ومن كلام أبي يوسف (٣) : صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة. وكان يقول: رؤوس النعم ثلاثة: فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها،

(١) تاريخ بغداد: ٢٤٧.
(٢) المصدر السابق: ٢٤٨.
(٣) متابع للنقل عن المصدر السابق.." [1]

"كل قول قصد به محاكاة شيء ونحي بذلك منحى من الأغراض فإنه يجب ألا يتعرض فيه إلى ما هو أليق بمضاد الشيء المحاكى به وأخص به أو أخص بمناسب مضاده، وألا يتعرض في تخييل حال الشيء المحاكى به إلى ما هو أخص بحال مضاد ذلك الشيء أو مناسب مضاده، وألا يتعرض في القول وما دل عليه إلى ما هو أخص بمضاد الغرض الذي نحي به منحاه أو إلى ما هو أخص بمناسب مضاد ذلك الغرض، وألا يتعرض فيه إلى لفظ له عرف فيما يضاد المعنى الذي دل عليه أو الغرض الذي نحي به منحاه أو الشيء الذي قصدت به محاكاته ولا إلى ما يناسب مضادات جميع ذلك، فإن التعرض في القول لما يضاد معناه مدلوله وغرضه، أو إلى ما يناسب تلك المضادات، أو إلى ما له عرف في شيء من ذلك، ضروب من التدافع.
١- إضاءة: وأكثر ما يقع التعرض في أحد المتضادين إلى ذكر ما هو أليق بالآخر وأخص به إذا كان للمتعرض له علقة بما هو خارج عن غرض القول مما سوى ذلك من أغراض المتكلم أو الموصوف أو المخاطبين، فألم به لأجل تلك العلقة وسها عن كونه قادحا في غرض القول أو فيما يرجع على حال الشيء المحاكي، أو تسومح في ذلك القدر من القدح اختيارا، أو لز على المسامحة فيه اضطرار.
٢- تنوير: فالجهات التي يجب فيها أن يتوقى في الشيء ما هو أخص بمضاده وما جرى مجراها هي

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٣٨٣/٦

جهات التضاد والتخالف في الأفعال والانفعالات والهيئات والأحوال والتمييزات وأغراض الكلام المترامية على أنحاء هذه الأشياء نحو التهنئة والتعزية والمديح والهجاء.

٣- إضاءة: فمن المعاني التي قصد فيها الذم فأورد في العبارة عنها ما هو أليق بالمدح قول الفرزدق: (الطويل -ق- المتدارك)

بأي رشاء يا جرير وماتح ... تدليت من هامات تلك القماقم

فقال له جرير: "جعلتني أتدلى على قومك".

ومن الأبيات التي وقع فيها سوء أدب حيث يجب **حسن الأدب** قول جرير: (الرجز -ق- المترادف)

يا بشر حق لوجهك التبشير ... هلا غضبت لنا وأنت أمير

قد كان حقك أن تقول لبارق ... يا آل بارق فيم سب جرير

فقال بشر: ما وجد ابن اللخناء رسولا غيري!؟.

٤- تنوير: ومن ذلك أن تأتي العبارة في صورة ما يضاد الغرض، نحو ما حكي من أن بعض الشعراء أنشد الداعي في يوم المهرجان: (الرجز -ق- المتواتر)

تقل بشرى ولكن بشريان ... غرة الداعي، ويوم المهرجان

فأمر بضربه خمسين عصا وقال: "هذا أبلغ في إصلاح أدبه".

ومن ذلك استفتاح أبي نواس قصدته التي هنى فيها الفضل بن يحي ابن خالد بدار ابتناها فقال: (الطويل -ق- المترادف)

أربع البلى إن الخشوع لباد عليك وإني لم أخنك ودادي

فتطير الفضل من ابتدائه، فلما ختم القصيدة بقوله:

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم ... بني برمك من رائحين وغاد

استحكمت كراهته لما سمع. فما مر أسبوع حتى نكب بنو برمك.

وحكي أن البحتري أنشد محمدا بن يوسف أو غيره من أمراء الثغور: (الطويل -ق- المتدارك)

لك الويل من ليل تطاول آخره ... ووشك نوى حي تزم أباعره

فقال له الممدوح: "بل لك الويل والحرب". على أن هذا البيت روى بالهاء بدل الكاف في قوله لك وهي أشبه من الرواية الأخرى.

وقد أنكر عبد الملك على جرير ما هو دون هذا حين أنشده: (الوافر -ق- المترادف) "أتصحو أم فؤادك

غير صاح"؟ .

فقال له الملك: "بل فؤادك".

٥- إضاءة: وقد تكون للعبارة دلالة على أمر مكروه خارج عما جيء بها للدلالة عليه، إما باشتراك وقع في اللفظ، أو بعرف واستعمال حدث فيه ولو للعامة. فيجب أن يتحفظ من ذلك حيث تتهيأ تلك العبارة بنفسها أو مع ما يكتنف بها لأن يفهم منها بحسب الاشتراك الواقع فيها أو بحسب العرف والاستعمال أمر قبيح في حق ممدوح أو مندوب أو منسوب به أو نحو ذلك مما يكره في حقه القبح.

ومن ذلك قول الصاحب في عضد الدولة: (الطويل -ق- المتدارك)

ضممت على أبناء تغلب تاءها ... فتغلب ما كر الجديدان تغلب

فقال عضد الدورة: " يقي الله! ".

ومما أكد القبح في هذه اللفظة التي هي قوله تغلب وقوعها قافية، فإنها مقطع الكلام وموضع تخلي السامع وتفرغه لتفقد ما مر على سمعه مما وقع فيها. فالسمع أقرب عهدا به، وهو أشد ارتساما فيه. ولو وردت اللفظة التي أنكرها عضد الدولة في أثناء البيت لكان الأمر فيها أسهل.." (١)

"دينارا، وذكر أن الوزير قال: يشترى بها غلاما ويربيه على أخلاقه، فمتى أراد سرد عليه ما يحفظه.

ا، ب أبو زيد الفازازى «١» قال والدى كنت آلف منزله أجالسه كثيرا فى سقيفة للمشهور من أدبه ورقة شعره وبراعته فى كتابته ولطافة أخلاقه. كان له طاق من وراء ظهره يستدعى بها من داره من يريده. فاتفق أن احتاج يوما حاجة فصاح من تلك الطاق: يا نسيم، لجارية له، فلم تسمعه لضعف صوته، فأردت النيابة فى ذلك، فصحت بها، فجاءت فقال لها: قولى «٢» لأبى عمران لأى شيء دعاك، فقمت خجلا وحصل لى من الوزير والكاتب باب عظيم فى الأدب الملوكى.

امحيى الدين بن ندا: «٣» المشهور بوزير الجزيرة كنت فى صحبته بالقاهرة فوصل كمال الدين بن العديم رسولا من صاحب حلب، ووقع اجتماعى به. ثم وصل ثانية معه إحسان لى من الملك الناصر برسم زاد إلى حضرته، فاقتضى الرأى أن خاطبه الرسول فى ذلك، فجاوبه: وبعد، فإنك سألتنى: البخل به عين الكرم، وسوء الأدب فيه مع المالك حسن أدب ورعى ذمم.

لكن لما علمت أن نفس النفيس تطمح إلى الأعلى، ملت إلى اختياره على نفسى:

فاخترت كمال أنسه على أنسى. ووجه بزاد.

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء القرطاجني ص/٤٨

ا، ب كمال الدين بن العديم: المذكور «٤» كان يقال له بحلب رئيس الأصحاب. ولما وصلت معه إليها، أنزلني في دار ببستان ماء جار. وقال لي: أنت أندلسي، وقد عرفت أن دياركم «٥» لا تخلو من." (١)

"الصلاة خلف الحائك فقال لا بأس بها على غير وضوء قيل فما تقول في شهادته قال تقبل مع شاهدين عدلين وقال الحسن البصري من نظر في طراز حائك لم يرجع إليه عقله أربعين يوما والسبب في زوال عقولهم ما ذكر أن مريم عليها السلام ذهبت تطلب عيسى وكان قد ضل منها فلقيت حائكا فسألته كيف أخذ فدلها على غير الطريق التي سلك فقالت اللهم توهه فلا يوجد إلا تائها وفي رواية أنها قالت اللهم اجعلهم سفلة الناس وأقلهم عقلا قيل لرجل من الحاكة هل في بلدكم حائك قال لا قيل فمن ينسج ثيابكم قال كل منا ينسج ثوبه لنفسه قيل له فإذا كلكم حاكة قالوا فلان مجنون وأجن منه لا يكون فلان إذا رأيته نسيت مجنون بني عامر

طرف مما ذم به أهل الجهالة ... المتمسكون بعرى الغواية والضلالة

يحكى أن أبا الأسود الدؤلي قال إذا أردت أن تقهر عالما فأحضره جاهلا وقالوا لا معيبة أعظم من الجهل ولا صاحب أخذل منه وقالوا لا مصيبة أعظم من الجهل وقالوا الجهل في القلب كالأكلة في الجسد وقال بزرجمهر العالم كبير وإن كان صغيرا والجاهل صغير وإن كان كبيرا وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما الأدب عند الجاهل كالماء في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وقال وهب بن منبه يقال إن الجاهل إذا تكلم فضحه عيبه وإذا سكت فضحه جهله لا علم نفسه يغنيه ولا علم غيره ينفعه إن قال لم يحسن وإن قيل له لم يفقه وذم أعرابي رجلا فقال فلان إن أعرضت عنه اغتم وإن أقبلت عليه اعتز وإن حلمت عليه جهل عليك وإن جهلت عليه حلم عنك البشامى يهجو جاهلا

لنا جليس تارك للأدب ... جليسه من نوكه في تعب

مخالف يغضب في حال الرضا ... عمدا ويرضى عند حال الغضب

كأنه من سوء تأديباته ... أسلم في مكتب سوء الأدب

وقال بزرجمهر الجاهل عد ونفسه فكيف يكون صديق غيره وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال لو كان في بني إسرائيل ووقعت قصة البقرة ما." (٢)

(١) المقتطف من أزاهر الطرف ابن سعيد المغربي ص/١٩٩

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١٦٠

"قال تكلم رجل بين يدي المأمون فأحسن فقال له المأمون ابن من أنت قال ابن الأدب يا أمير المؤمنين فقال نعم الحسب الذي انتسبت إليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد وبآدابه لا بثيابه وبفضيلته لا بفصيلته وبعقله لا بعقائله وبأنبائه لا بآبائه وبكماله لا بجماله قال الشاعر

كن ابن من شئت واتخذ أدبا ... يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

وقال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعا وبعد صيته وإن كان خاملا وساد وإن كان غريبا وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرا وقالوا من دأب في طريق الأدب أدرك حاجته وملك ناصيته ونبل قدره ونبه ذكره قال الشاعر

لكل شيء زينة في الورى ... وزينة المرء تمام الأدب

قد يشرف المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيع الحسب

وما أحسن قول بعض الأعاجم يفتخر ويعتذر

مالي عقلي وهمتي حسبي ... ما أنا مولى ولا أنا عربي

وإذا انتمى منتم إلى أحد ... فإنني منتم إلى أدبي

ويقال **حسن الأدب** يستر قبيح النسب وقالوا الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب ويقال الأدب ينوب عن الحسب ولا ينفع حسب بلا أدب شاعر

كم من خسيس وضيع القدر ليس له ... في العز بيت ولا ينمى إلى نسب

قد صار بالأدب المحمود ذا شرف ... عال وذا حسب محض وذا نشب

يعلي التأدب أقواما ويرفعهم ... حتى يساووا ذوي العلياء في الرتب." (١)

"وقال سعيد بن العاص لولده اقتصد في مزاحك فإن الافراط فيه يذهب البهاء ويجرئ السفهاء ويقال المزح أوله فرح وآخره ترح شاعر

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١٨٧

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب ... مزحا تضاف به إلى سوء الأدب

لا تغضبن أحدا إذا مازحته ... إن المزاح." (١)

"وجهك فلا تأخذ عوضا مما أخذ منك ولعل الالحاح يجمع عليك أخلاق الوقاح وحرمان النجاح ولقد أحسن الأدب القائل

وإذا طلبت إلى كريم حاجة ... فلقاؤه يكفيك والتسليم

فإذا رآك مسلما عرف الذي ... حملته فكأنه ملزوم

نقض بعضهم هذا بقوله

حث الجواد على الندى وتقاضه ... بالوعد واحمله على الانجاز

ودع الوثوق بطبعه فلربما ... نشط الجواد بشوكة المهماز

وقال بعضهم مقيما عذر من منع

وإذا طلبت إلى كريم حاجة ... فأبى فلا تقعد عليه بحاجب

فلربما ضن الجواد وما به ... بخل ولكن سوء حظ الطالب

فمن أحاسن بدائع ما تلطف به من استماح ... من الكلام الخادع لذوي السماح

ما حكى أن زياد بن أبيه نظر إلى أعرابي يأكل على مائدته أكلا ذريعا وهو من أقبح الناس وجها فقال يا أعرابي كم عيالك قال سبع بنات أنا أجمل منهن وهن آكل مني فضحك زياد وقال لله درك ما ألطف جوابك افرضوا لكل واحدة منهن مائة دينار وعجلوا لهن ذلك وقد روى الأصمعي هذه الحكاية وذكر أنها جرت لسعيد بن المحسن مع زياد وأنه لما وصله ووصل أولاده خرج وهو ينشد

إذا كنت مرتاد السماحة والندى ... فبادر زيادا أو أخا لزياد

يجبك امرؤ يعطي على الحمد ماله ... إذا ضن بالمعروف كل جواد." (٢)

"قال كان طاووس فقيها زاهدا ورعا محدثا عابدا ناسكا أدرك خمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث صحبهم وأخذ عنهم منهم علي وابن عباس وابن عمر ومعاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح وزيد بن ثابت وأبو هرير ومعظم أخذه عن الأولين قيل لعبيد الله بن أبي زيد مع من كنت تدخل على ابن عباس فقال مع عطا والعامة قيل له فطاووس قال أيهات كان ذلك يدخل مع الخواص وكان عمرو

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٢٣٨

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٣٢٩

بن دينار الآتي ذكره إذا ذكر عنده طاووس يقول ما رأيت مثله

وروى عنه جماعة من التابعين كمجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وابن الزبير وابن المنكدر وابن منبه والزهري مع جمع غيرهم لا يحصون كثرة

ومن روايته المستحسنة ما قاله الرازي بإسناده عنه أنه كان يقول سمعت جابر بن عبد الله ومعاذ بن جبل وأبا عبيدة بن الجراح يقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يخرج الرجل من بيته صلاة الغداة فيجلس في مجلسه يعلم الغلمان السكينة والوقار **وحسن الأدب** أحب إلى الله من أن يعبده مئتي خريف لا يسخط الله عليه وعرضت هذا الخبر على بعض الفقهاء فقال لي انظر إلى أدب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر كيف لم ينسب إلى المعلم غير تعليم السكينة والوقار **وحسن الأدب** تأدبا مع الله إذ قال الله ﴿الرحمن علم القرآن﴾ قام طاووس بقضاء مخلافي الجند وصنعاء وكان يختلف بينهما وله في صنعاء مسجد يعرف به وهو الذي كان يقيم به أيام لبثه بصنعاء ولذلك يتوهم جماعة أن بلده صنعاء وكان ابن عباس إذا سئل عنه قال ذلك عالم اليمن

وكان ولاة اليمن يعولون في أمورهم الدينية على قوله وذلك عن وصاة من مواليهم غالبا فإنه قد كان شهرفي البلد أنه إمام وقته وفقيه مصره وكان متى قيل له." (١)

"فانتفع به أهل الشحر وانتشر عنه الفقه وتفقه به جماعة من أهلها وغيرهم منهم أحمد بن أبي السبتي الآتي ذكره وحسن بن علي باخير الحضرمي وهو فقيه الشحر في عصرنا حتى توفي ثم علي بن عبد الله با أسد حضرمي ثم من شبام عبد الله بن أحمد با حارث ويعرف بعبيد تصغير عبد ثم محمد بن مسعود عرف بأبي بهير من وادي حضرموت يقال له بور بفتح الباء الموحدة وسكون الواو ثم راء ويذكر أنه موجود الآن سنة ٧٢٦ ولم يزل هذا أبو الخير حاكما ومفتيا بالشحر حتى صار ملكها الى الغزو ذلك سنة ٧٦ وقيل سنة ٦٧٧ فاصدر القاضي الملقب بالبهاء اليها رجلا من أهل اليمن من القضاة الذين كانوا بابين يعرفون بالكرديين جمع كردي اسمه عمر بن محمد بن ابراهيم فلما قدم الشحر لزم أبو الخير بيته فكان الكردي يستدعيه في قضايا لا يليق استحضاره لأجلها ولا يجوز وربما انه كان اذا حضر سفه عليه سفها لا يبغي أن يكون من سفلة الى سفلة فكيف من قاض الى فقيه مشهور بالدين والفقه بحيث كان أهل الشحر يقولون بينهما في الفقه والفهم والدين كما بين البهيمة والادمي ولما طال **عليه سوء الأدب** من الكردي خرج عن الشحر الى حضرموت فأقام بها مدة ثم عاد الى حجر مسكنه أولا فلم يزل بها حتى توفي على

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجندي، بهاء الدين ٩٤/١

راس سبعمائة وخمس ٧٠٥ وقبره مشهور يزار ويتبرك به وكان ذلك بقرية تعرف بالحصين بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وسكون ياء المثناة من تحت ثم نون تصغير حصن وخلفه في القرية ابن له اسمه احمد هو الآن فقيه الناحية وحاكما يسكن قرية يقال لها ميفعة لعرب يقال لهم العبديون ومنها موضع يسمى رضوم بفتح الراء وضم الضاد

المعجمة ثم واو ثم ميم وهي قرية اختطها الشيخ الصالح ابو معبد." (١)

"فلما قرئ كتابه فى الأمصار بكى الناس بكاء شديدا، ودعوا لعثمان رضى الله عنه. وقدم عمال الأمصار إلى مكة فى الموسم: عبد الله عامر أمير البصرة، وعبد الله بن سعد أمير مصر، ومعاوية أمير الشام وأدخل معهم فى المشورة سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص.

فقال عثمان رضى الله عنه: ويحكم! ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة! إنى والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم، وما يعصب هذا إلا بى، فقالوا: ألم تبعث؟ ألم نرجع إليك الخبر عن القوم؟ ألم ترجع رسلك ولم يشافههم أحد بشيء، والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلا، ولا يحل الأخذ بهذه الإذاعة.

فقال: اشيروا علي.

فقال سعيد: هذا أمر مصنوع يلقى فى السر، فيتحدث به الناس، ودواء ذلك طلب هؤلاء، وقتل الذين يخرج هذا من عندهم.

وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذى عليهم إذا أعطيتهم الذى لهم، فإنه خير من أن تدعهم.

وقال معاوية: قد وليتنى فوليت قوما لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتيهما، والرأى **حسن الأدب**.

وقال عمرو: أرى أنك قد لنت لهم، وتراخيت عليهم، وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريق صاحبيك، فتشتد فى موضع الشدة، وتلين فى موضع اللين.

فقال عثمان: قد سمعت كل ما أشرتم به علي، ولكل أمر باب." (٢)

"وزراؤه: أبو عثمان صاحب الأرض، ويوسف بن بخت «١» وشهيد بن عيسى وغيرهم. حجابه: عبد الواحد بن مغيث إلى أن توفى، ثم ولده عبد الملك وهو رجل الأندلس جمع الحجابة والوزارة والكتابة والتقدم على الجيوش مع **حسن الأدب** والعفاف والدين والتواضع والكرم والمروءة. كتابه: فطيس بن سلمة،

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجندي، بهاء الدين ٤٥٧/٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤٧٥/١٩

وخطاب بن يزيد.

قاضيه: المصعب بن عمران الهمذانى. أصحاب شرطته: الحسن ابن بسام، ثم على بن خريم المزنى، ثم سعيد بن عياض اليحصبى.

ذكر امارة الحكم بن هشام الملقب بالمرتضى

هو أبو العاص الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه أم ولد اسمها زخرف، وهو الثالث من ملوك بنى أمية بالأندلس. بويع له يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمانين ومائة، وتولى أخذ البيعة له عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، ولما ولى الحكم كان أول ما بدأ به الغزو فى سبيل الله تعالى.

ذكر غزو الفرنج

فى هذه السنة أعنى- سنة ثمانين ومائة- بعث الحكم جيشا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد الفرنج، فدخل البلاد وبث السرايا. وسير سرية، فجازوا خليجا من البحر كان الماء قد جزر عنه وكان الكفار قد جعلوا أموالهم وأهلهم." (١)

"تميزا له على سائر الملوك بمزيد الإكرام، فأجيب إلى ذلك. قال المنشى: حدثنى الحاجب الخاص قال: كان السلطان أمرنى أنى إذا حضرت إلى الديوان لا أقبل يد الوزير بدر الدين القمى «١» ، ولا أوفيه حق التعظيم لأمور كان ينقمها عليه، ففعلت ذلك امتثالا لما أمر. فلما مضت أيام فإذا بحراقة فى بعض العشيات وصلت إلى منزلى بحافة دجلة، ودخل على سعد الدين الحاجب، وقال:

استعد لخدمة أمير المؤمنين. فركبت الحراقة وركبها سعد الدين معى، فتكلم الملاح بكلمات غريبة لم أفهمها؛ فقفز سعد الدين من الحراقة إلى أخرى بجنبها وتركنى منفردا فيها، فسألته عن ذلك، فقال: ما كنت أعرف أن تلك من المراكب الخاصة، وقد سيروها لك تشريفا، فقمت وخدمته وشكرت ودعوت، وسقنا إلى أن وصلنا إلى باب كبير، فدخلت وتأخر سعد الدين ولم يتغير من هناك. فقلت: «لم لا تدخل؟» فقال: «وما منا إلا له مقام معلوم، ليس لى أن أتعدى هذا المقام» . وكان خلف الباب خادم، فأوصلنى إلى باب آخر وطرق الباب، ففتح فدخلت وإذا بخادم شيخ جالس على دكة وبين يديه مصحف وشمعة، فأجلسنى ورحب بى إلى أن جاء خادم آخر أبيض حسن الصورة فصافحنى ولاطفنى بالعجمى وأخذ بيدى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٥٩/٢٣

وأوصانى بتعظيم المواقف الشريفة، **وحسن الأدب** وتقبيل الأرض حيث يشير إلى. فذكر ما اتفق له إلى أن انتهى إلى." (١)

"إن شاء الله تعالى من أنجاد، والاستكثار من الجيوش الإسلامية المتوفرة العدد، المتكأثرة المدد، الموعودة بالنصر، الذى يحفها فى الظعن والإفامة، الواثقة بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على عدوهم إلى يوم القيامة» . المبلغة فى نصر دين الله آمالا، المستعدة لإجابة داعى الله إذا قال: (انفروا خفافا وثقالا)

«١» .

وأما رسلهم، وهم [فلان وفلان «٢»] ، فقد وصلوا إلينا، ووفدوا علينا، وأكرمنا وفادتهم، وغزرنا لأجل مرسلهم من الإقبال مادتهم، وسمعنا خطابهم، وأعدنا جوابهم هذا، مع كوننا لم يخف علينا انحطاط قدرهم، ولا ضعف أمرهم.

وأنهم ما دفعوا لأفواه الخطوب إلا لما ارتكبوه من ذنوب. وما كان ينبغى أن يرسل مثل هؤلاء لمثلنا من مثله. ولا ينتدب لهذا الأمر المهم إلا من يجمع على فصل خطابه وفضله.

وأماما بالتسموه من الهدايا والتحف، فلو قدموا من هداياهم حسنة، لعوضناهم بأحسن منها. ولو أتحفونا بتحفة لقابلناهم «٣» بأجمل عوض عنها. وقد كان عمهم الملك احمد «٤» ، راسل والدنا السلطان الشهيد وناجاه «٥» بالهدايا [والتحف «٦»] من مكان بعيد. وتقرب إلى قلبه بحسن الخطاب، فأحسن له الجواب، وأتى البيوت من أبوابها، **بحسن الأدب**، وتمسك من الملاطفة بأقوى سبب.." (٢)

"وقيل:

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب ... مزحا تضاف به **الى سوء الأدب**

لا تغضبن أخا إذا مازحته ... إن المزاح على مقدمة الغضب

وقيل:

مازح صديقك ما أحب مزاحا ... وتوق منه في المزاح جماحا

فلربما مزح الصديق بمزحة ... كانت لبدء عداوة مفتاحا

وقال سعيد بن العاص لولده: يا بنى، اقتصد في مزحك؛ فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجزىء السفهاء.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٧/٢٨٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١/٤٤٠

ويقال: المزاح أوله فرح، وآخره ترح. قال أبو العتاهية:

وترى الفتى يلقى أخاه وخدنه ... فى بعض منطقه بما لا يغفر

ويقول كنت ملاعبا وممازحا ... هيهات! نارك في الحشا تتسعر

ألقيتها وطفقت تضحك لاهيا ... وفؤاده مما به يتفطر

أو ما علمت ومثل جهلك غالب ... أن المزاح هو السباب الأكبر

فهذه نبذة مما قيل في الفكاهات والمجون، يفرح لها قلب المحزون، وتزول عنه الشجون. فلنذكر ما قيل مما يناسب هذا الباب من أشعار المزاحين.

ذكر شيء من الشعر المناسب لهذا الباب والداخل فيه

وسنورد في هذا الفصل من أشعار هذا الفن، ما رفلت معانيه في حلل أنفاسها على صفحات أطراسها، وأهلت مغانيه بما أودعه لسان القلم صدر قرطاسها من بديغ إيناسها. يضحك سامعه وإن كان ثكلا. ويستوفيه وإن كان عجلا. هذا مع ما فيه من فحش القول الذى إذا تأملته في موضعه كان أزين من عقود اللآلى،." (١)

"ومنهم محمد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.

كان عالما بالفقه والغناء جميعا. وكان يحيى بن أكثم وصفه للمأمون بالفقه، ووصفه أحمد بن يوسف بالغناء. فقال المأمون: ما أعجب ما اجتمع فيه العلم بالعلم والغناء!.

ذكر من غنى من الأعيان والأكابر والقواد ممن نسبت له صنعة في الغناء

منهم أبو دلف العجلى.

هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بنى عجل بن لجيم بن مصعب بن على بن بكر بن وائل. كان محله من الشجاعة وبعد الهمة وعلو المحل عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد **وحسن الأدب** وجودة الشعر محلا كبيرا ليس لكثير من أمثاله.

قال أبو الفرج الأصبهانى: وله صنعة حسنة. فمن جيد صنعته قوله- والشعر له أيضا-:

بنفسى يا جنان وأنت منى ... مكان الروح من جسد الجبان

ولو أنى أقول مكان نفسى ... خشيت عليك بادرة الزمان

لإقدامى إذا ما الخيل حامت ... وهاب كماتها حر الطعان

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٧٤/٤

قال: وكان أحمد بن أبى داود ينكر أمر الغناء إنكارا شديدا؛ فأعلمه المعتصم أن أبا دلف صديقه يغنى. فقال: ما أراه مع عقله يفعل ذلك! فستر المعتصم أحمد بن أبى داود في موضع وأحضر أبا دلف وأمره أن يغنى ففعل ذلك وأطال، ثم أخرج أحمد بن أبى داود عليه؛ فخرج والكراهة ظاهرة في وجهه. فلما رآه أحمد." (١)

"تخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك الى إقامة الحجة عليه [١] فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه! هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك، وغلبة لذتك على مروءتك [٢] وشرفك، ثم إظهارك إياه ولم تحكمه، وادعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك إلى إفراط الجهل. ألا تعلم، ويحك، أن هذا سوء أدب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطأ والتكذيب والرد القبيح! ثم قال: والله العظيم وحق رسوله وإلا فأنا بريء من المهدى إن أصابه أحد بسوء أو سقط عليه حجر من السماء أو سقط من دابته أو سقط عليه سقفه أو مات فجأة لأقتلنك به. والله! والله! والله! فلا تعرض له وأنت أعلم [٣] ! قم الآن فاخرج؛ فخرج وقد كاد يموت. فلما كان بعد ذلك دخلت على الرشيد وإبراهيم عنده [فأعرضت عن إبراهيم [٤]] فجعل ينظر إلى مرة وإليه مرة ويضحك؛ ثم قال: إنى لأعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه، وإن هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه واعرف حقه وبره وصله، فإذا فعلت ذلك ثم خالف ما تهواه عاقبته بيد مستطيلة منبسطة ولسان منطلق. ثم قال لى: قم إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه؛ فقمت إليه وقام إلى وأصلح الرشيد بيننا.

قال أبو الفرج: وكان إسحاق جيد الشعر، كان يقول الشعر وينسبه للعرب.

فمن ذلك قوله:

لفظ الخدور إليك حورا عينا ... أنسين ما جمع الكناس قطينا

فإذا بسمن فعن كمثل غمامة ... أو أقحوان الرمل بات معينا

وأصح ما رأت العيون محاجرا [٥] ... ولهن أمراض ما رأيت عيونا

---

[١] فى الأغانى: عليك.

[٢] كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «من دخولك فيما لا يشبهك ثم إظهارك إياه وغلبت لذتك الخ» .

[٣] كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «وأنت أعلم ولا تعرض له» .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤/٢٣١

[٤] زيادة عن الأغانى.

[٥] كذا بالأغانى، وفى الأصل: «جوارحا» .." (١)

"ذكر أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر [١]

قال أبو الفرج الأصفهانى: هو من أهل الرى، مولى المنصور، من ولد بهرام شوبين مرزبان الرى. قال: وهو مرتجل قليل الصنعة حسن الغناء والنغم بقوة وشجا واقتدار شديد على الغناء، وكان فى زمانه أحد المعدودين فى **حسن الأدب** وتمام المروءة وحسن الزى والآلة، وكان عظيم التيه رفيع الهمة، وكانت له منزلة عند المأمون. قال محمد بن الحارث: كنت مع المأمون وهو يريد بلاد الروم ومعه عدة من المغنين، فجلس يوما والمعتصم والعباس معه من حيث لا نراهم وهم يسمعون غناءنا؛ فغنى المغنون جميعا وغنيت هزجا لإسماعيل بن جامع، فبعث إلى المأمون بأصل شاهشفرم [٢] وقد لف أصله بمنديل حرير؛ فجاءنى به الغلام وقال: أعد الصوت؛ فأخذته وشممته ووثبت فأعدته قائما، ووضعت الأصل بين يدى وشربت رطلا وقلت للمغنين: حكم لى أمير المؤمنين بالحذق والغناء. فقالوا: وكيف؟ قلت: دفع إلى لواء ال‍غناء من بينكم. فقالوا: ليس كما ذكرت، ولكن حياك إذ أطربته، والرسول قائم فانصرف بالخبر، فما لبث أن رجع إلى فقال: هو كما ذكرت.

قال أبو العنبس بن حمدون: كان محمد بن الحارث أحسن خلق الله شمائل وإشارة إذا غنى. وقال أحمد بن حمدون: صنع محمد بن الحارث [هزجا فى هذا الشعر [٣]] :

أمسيت عبدا مسترقا ... أبكى الألى سكنوا دمشقا

أعطيتهم قلبى فمن ... يبقى بلا قلب فأبقى!

---

[١] كذا فى تصحيح كتاب الأغانى للأستاذ الشقيطى المطبوع بمصر سنة ١٣٣٤ هـ. وبسختر هو أحد الأعاجم من مرازبة الرى موالى المنصور الخليفة العباسى الثانى. وفى الأصل: «بشخير» وهو تحريف.

[٢] فى مفردات ابن البيطار: «شاهسفرم» وهو ضرب من النبات عطر الرائحة.

[٣] التكملة من الأغانى.." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦/٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٢/٥

"﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك﴾ [الأنبياء: ٤٦] . لخلافه١، وفي كليهما٢ نظرا أما الأول فلما سيأتي٣، وأما الثاني فلأن خلاف التعظيم مستفاد من البناء للمرة ومن نفس الكلمة؛ لأنها إما من قولهم "نفحت" الريح إذا هبت أي هبة، أي من قولهم "نفح الطيب" إذ فاح أي موحة كما يقال شمة، واستعماله بهذا المعنى٤ في الشر استعارة إذ أصله أن يستعمل في الخير، يقال "له نفحة طيبة" أي هبة من الخير٥..

وذهب٦ أيضا إلى أن قول تعالى: ﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ [مريم: ٤٥] بالإضافة، أما للتهويل أو لخلافه٧، والظاهر أنه لخلافة وإليه ميل الزمخشري، فإنه ذكر أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم لم يخل هذا الكلام من **حسن الأدب** مع أبيه، حيث لم يصرح فيه أن العذاب لاحق له لاصق به، ولكنه قال: ﴿إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ [مريم: ٤٥] ، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب.

وأما التنكير في قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ فيحتمل

---

١ أي للتحقير، راجع ص٨٣ من المفتاح.. والمثل "شر أهر ذا ناب" يضرب في ظهور أمارات الشر ومخايله. وذا الناب: السبع والمراد به هنا كلب.

٢ أي في كلا الجعلين.

٣ أي في بحث تقديم المسند إليه.

٤ وهو أن تكون "نفحة" من "نفح الطيب".

٥ وجواب الاعتراض على كلام السكاكي في "نفحة" أنه إن أراد أن لبناء المرة مدخلا في إفادة التحقيق فهذا لا ينافي كون التنكير للتحقير؛ لأنه مما يقبل الشدة والضعف، وإن أراد أن التحقير المستفاد من الآية مفهوم من بناء المرة ونفس الكلمة بحيث لامدخل للتنكير أصلا فممنوع للفرق الظاهر بين التحقير في "نفحة من عذاب" وبينه في نفحة العذاب بالإضافة.

٦ أي السكاكي.

٧ أي للتحقير.." (١)

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ٣٨/٢

"القدرهم، لعدم علمهم بقدره وجهلهم بحاله وأمره، فرمز بهذه المقالة إلى ذلك، ومن لحظ كلامه بعين الإنصاف، وأصغى سمعه لقبول الحق ودان بالاعتراف، عرف أن كلامه فى البلاغة شمس لا يشاركه غيره فى الشعاع وأنه فى الفصاحة فلك لا يدانيه غيره فى الارتفاع.

الضرب الرابع ما ورد فى كلام البلغاء من التعريض

، حكى ابن الأثير فى كتابه أن مروان بن الحكم كان واليا على المدينة من قبل معاوية، فعزله، فلما قدم عليه قال: عزلتك لثلاث، لو لم تكن إلا واحدة لأوجبت عزلك، إحداهن أنى أمرتك على عبد الله بن عامر، وبينكما ما بينكما، فلم تستطع أن تشتفى منه، والثانية منهن كراهتك أمر زياد، والثالثة أن ابنتى «رملة» استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان، فلم تعدها، فقال له مروان: أما عبد الله ابن عامر، فإنى لا أنتصر عليه فى سلطانى، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موضعه، وأما كراهتى أمر زياد، فإن سائر بنى أمية كرهوه، وأما استعداء «رملة» على عمرو بن عثمان، فو الله إنه ليأتى على سنة وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا، يريد أن «رملة» بنت معاوية، إنما استعدت لطلب الجماع، فقال معاوية: يابن الوزغ، لست هناك، فقال له مروان هو ذاك. وهذا من التعريضات اللطيفة الآخذه من حسن الملاطفة بحظ وافر، وألطف منها وأدخل فى الرشاقة ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك أنه كان يوم الجمعة، فدخل عثمان بن عفان، فقال له عمر: أى ساعة هذه فقال له عثمان:

يا أمير المؤمنين انقلبت من السوق فسمعت النداء فما زدت على أن توضأت، فقال عمر:

والوضوء أيضا، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل. فقوله أى ساعة هذه، تعريض بالإنكار عليه، لتأخره عن الحضور للصلاة، وترك السبق إليها، وإنها من **حسن الأدب** والإنصاف لفى أحسن موقع. ومن التعريض اللطيف ما روى عن امرأة أنها وقفت على قيس بن سعد، فقالت: أشكو إليك قلة الفأر فى بيتى، فقال: ما أحسن ما وردت عن حاجتها، املأوا لها بيتها خبزا وسمنا ولحما. ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك بن مروان، فقالت له: يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتى على العصى. فقال لها ألطفت فى السؤال، لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود، وملأ بيتها حبا وأنا شديد العجب." (١)

"الفصل الثالث فى ذكر [الاستدراجات]

الاستدراج، استفعال من قولهم: استدرجته إلى كذا إذا نزلته درجة درجة حتى تستدعيه إليك وينقاد لما قلته

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤيد العلوي ١٩٨/١

من ذلك، قال الله تعالى: سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (٤٤)
[القلم: ٤٤] فالاستدراج لهم إنما هو بإعطاء الصحة والنعمة والإمهال ليزدادوا فى الكفر والفسوق، وهذا اللقب إنما يطلق على بعض أساليب الكلام، وهو ما يكون موضوعا لتقريب المخاطب والتلطف به والاحتيال عليه بالإذعان إلى المقصود منه ومساعدته له بالقول الرقيق والعبارة الرشيقة، كما يحتال على خصمه عند الجدال والمناظرة بأنواع الإلزامات، والانتماء إليه بفنون الإفحامات، ليكون مسرعا إلى قبول المسألة والعمل عليها، وكمن يتلطف فى اقتناص الصيد فإنه يعمل فى الحبالة كل حيلة ليكون ذلك سبيلا إلى ما يقصده من الاصطياد، فهكذا ما نحن فيه، إذا أراد تحصيل مقصد من المقاصد فإنه يحتال بإيراد ألطف القول وأحسنه، فما هذا حاله من الكلام يقال له الاستدراج، ولنضرب له أمثلة بمعونة الله تعالى.
المثال الأول من كتاب الله تعالى:
وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (٢٨)
[غافر: ٢٨] فانظر إلى حسن مأخذ هذا الكلام، وما تضمنه من النزول فى الملاطفة، فصدر الكلام بالإنكار عليهم فى قتله واستقباحه، لأمرين: أما أولا فلأنه قائل بالتوحيد لله تعالى، وأما ثانيا فلأنه قد جاءكم بالمعجزات الواضحة فى هدايتكم إلى الخير، فمن هذه حاله كيف يقدم على قتله، هذا مما لا يتسع له العقل ولا يقبله، ثم أخذ بعد ذلك فى الاحتجاج عليهم على جهة التقسيم فقال: ليس يخلو حاله إما أن يكون كاذبا فضر كذبه يعود عليه، وأنتم خالصون عنه، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم إن تعرضتم لقتله، وفى سياق هذا الكلام من الملاطفة **وحسن الأدب** وكمال الإنصاف ما يربو على كل غاية، وبيانه من أوجه: أما أولا فلأنه صدر الكلام بكونه كاذبا على جهة التقدير ملاطفة واستنزالا للخصم عن نخوة." (١)

"فهكذا يصلح خطاب الملوك والخلفاء على هذا الوجه من **حسن الأدب**، ولقد غلا بعض من يدعى البلاغة، وزعم أنه لا ينبغى مخاطبة الملوك والخلفاء والأكابر بكاف الخطاب، وهذا فاسد، فإن الله تعالى هو مالك الملك والمتعالى بصفات الكمال، قد خوطب بكاف الخطاب كقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: واذكر ربك كثيرا

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤيد العلوي ٢/١٤٨

[آل عمران: ٤١] ، وقوله: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٩٩)
[الحجر: ٩٩] وقد جاء ذلك على ألسنة الفصحاء كثيرا ومنه قول النابغة:
وإنك كالليل الذى هو مدركى ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع «١»
ومن هذا قوله أيضا:
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب «٢»
نعم إنما يكره ذلك فى المكاتبات، دون الأقوال، وإنما يؤتى فى الكتابة على جهة الغيبة فى مخاطبة الملوك وأهل الرفعة لا غير، ومن الآداب الحسنة أن لا تخاطب الملوك بأسماء أمهاتهم وجداتهم، وقد عيب على أبى نواس ما أورده فى قصيدته الميمية التى امتدح بها الأمين محمد بن هارون الرشيد حيث قال:
أصبحت يا بن زبيدة ابنة جعفر ... أملا لعقد حباله استحكام
فإن ذكر الله الخليفة فى هذا الموضع قبيح، وكان له مندوحة عن ذكر مثل ذلك بأبيه أو بجده أو غير ذلك من سائر المدائح المعروفة عند الشعراء المفلقين، وقد أخذ عليه أيضا قوله فى قصيدة اخرى:
وليس كجدتيه أم موسى ... إذا نسبت ولا كالخيزران
فإن مثل هذا يعد فى الركيك من الشعر فضلا عن أن يكون معدودا من فصيحه، وهكذا فإنه قد أخذ على جرير فى مدح عمر بن عبد العزيز بذكر أمه حيث قال:
وتبنى المجد يا عمر بن ليلى ... وتكفى الممحل السنة الجمادا
فهذا وأمثاله مما يعاب ذكره، وينبغى للشاعر والخطيب تجنبه كما أشرنا إليه، لا يقال فكيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الزبير لما أخبر أنه سيقتل: بشر قاتل ابن صفية بالنار، فنسبه." (١)

"العذري. قال خلف بن بشكوال: كان حافظا للحديث وعلله عارفا برجاله وبالجرح والتعديل ضابطا ثقة كثير الحديث، صحب أبا علي الغساني واختص به، وكان أبو علي يفضله ويصفه بالذكاء والمعرفة، صنف "الأقليد في بيان الأسانيد" و"كتاب معرفة أسانيد الموطأ" و"كتاب البيان عما في كتاب أبي نصر الكلاباذي من النقصان" و"كتاب المنهاج" في رجال مسلم سمعت منه، ومات في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وله ثمان وسبعون سنة.
قلت: وفيها مات عالم ما وراء النهر أبو علي الحسين بن علي بن أبي القاسم اللامشي السمرقندي الحنفي، ومسند نيسابور أبو القاسم سهل بن إبراهيم المسجدي الشيعي.

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤيد العلوي ٢/١٦٦

١٠٧٢- ١٥/٤٠- العبدري الإمام الحافظ العلامة أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجي القرشي العبدري الميورقي الأندلسي نزيل بغداد: وكان من أعيان الحفاظ ومن فقهاء الظاهرية، سمع أبا عبد الله مالك بن أحمد البانياسي ورزق الله التميمي وأبا الفضل بن خيرون وطراد بن محمد الزينبي ويحيى بن أحمد السيبي وأبا عبد الله الحميدي وطبقتهم، قال القاضي أبو بكر بن العربي في معجمه: أبو عامر العبدري هو أنبل من لقيته.

وقال بن ناصر: كان فهما عالما متعففا وكان يذهب إلى أن المناولة كالسماع. وقال السلفي في معجمه: كان من أعيان علماء الإسلام بمدينة السلام، متصرفا في فنون من العلوم أدبا ونحوا ومعرفة بالأنساب، وكان داودي المذهب قرشي النسب كتب عني وكتبت عنه، مولده بقرطبة. وقال أحمد بن أبي بكر البندنيجي: لما دفنوا أبا عامر العبدري قال بن ناصر: خلا لك الجو فبيضي واصفري، مات أبو عامر حافظ حديث رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، من شاء فليقل ما شاء.

قال الحافظ بن عساكر: كان أبو عامر داوديا، وكان أحفظ شيخ لقيته ذكر أنه دخل دمشق، سمعته يقول وقد جرى ذكر الإمام مالك فقال: جلف جاف ضرب هشام بن عمار بالدرة. وقرأت عليه الأموال لأبي عبيد فقال: ما كان إلا حمارا مغفلا لا يعرف الفقه، فاجتمعنا عند بن السمرقندي في سماع الكامل فنقل فيه عن السعدي فقال العبدري: يكذب إنما هو إبراهيم الجوزجاني؛ فقلت: وهو السعدي؛ فقلت: كم يتحمل منك سوء الأدب؟ وعدد أقواله، فغضب وارتعد، وقال: كان بن الخاضبة والبرداني يخافانني فآل أمري إلى

١٠٧٢- العبر: ٤/ ٥٧. الوافي بالوفيات: ٣/ ٩٣، ٩٤. البداية والنهاية: ١٢/ ٢٠١، ٢٠٢. طبقات الحفاظ: ٤٦١. شذرات الذهب: ٤/ ٧٠.." (١)

"قال أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي الحافظ: هذا الأذني هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي (١) .

قال إبراهيم نفطويه: حدثني حامد بن العباس، عن رجل، عن المهتدي:

أن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن.

فصل

---

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي الذهبي، شمس الدين ٤٧/٤

عن الحسين بن إسماعيل، عن أبيه، قال:

كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء (٢) خمسة آلاف - أو يزيدون نحو خمس مائة - يكتبون، والباقون يتعلمون منه **حسن الأدب** والسمت.

ابن بطة: سمع النجاد يقول: سمعت أبا بكر بن المطوعي (٣) يقول:

اختلفت إلى أبي عبد الله ثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ (المسند) على أولاده، فما كتبت عنه حديثا واحدا، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه.

قال حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي: يقال: لم يكن أحد من الصحابة أشبه هديا وسمتا ودلا من ابن مسعود بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وكان أشبه

---

(١) في الأصل: " الآذرمي " بمد الهمزة، وهو خطأ.

والصواب ما أثبتن١ه من كتب الأنساب والضبط.

وهي نسبة إلى " أذرمة "، قرية من قرى نصيبين.

والاذرمي هذا من شيوخ النسائي وأبي داود وثقه أبو حاتم والنسائي، وقال مسلمة في كتاب، " الصلة ": لا بأس به، وانظر " التهذيب " ٦ / ٤، ٥.

(٢) جاء في اللسان: زهاء الشئ وزهاؤه: قدره، يقال: هم زهاء مئة وزهاء مئة، أي: قدرها.

وهم قوم ذوو زهاء، أي: ذوو عدد كثير ... من زهوت القوم: إذا حزرتهم.

وفي الأصل زيادة لفظ " على " بين زهاء وخمسة آلاف.

(٣) بضم الميم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو وفي آخرها عين مهملة، هذه النسبة إلى المطوعة، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور، وقصدوا جهاد العدو في بلادهم، لا إذا قصد العدو بلاد الإسلام.." (١)

"بمعجمة - ونصر بن أحمد بن الخليل المرجي، وأبو الشيخ، وخلق كثير.

قال يزيد بن محمد الأزدي في (تاريخ الموصل) :ومنهم أبو يعلى التميمي.

فذكر نسبه وكبار شيوخه، وقال: كان من أهل الصدق والأمانة، والدين والحلم، روى عن: غسان بن الربيع، ومعلى بن مهدي، وغيرهما من المواصلة، إلى أن قال:

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣١٦/١١

وهو كثير الحديث، صنف (المسند) وكتبا في الزهد والرقائق، وخرج الفوائد، وكان عاقلا، حليما صبورا، **حسن الأدب**، سمعته يقول: سمعت ابن قدامة: سمعت سفيان يقول:

ما تمتع متمتع بمثل ذكر الله، قال داود - عليه السلام -:ما أحلى ذكر الله في أفواه المتعبدين.

وحدثنا أبو يعلى: حدثنا ابن زنجويه: سمعت عبد الرزاق يقول: الرافضي عندي كافر.

وقد بلغنا عن أبي عمرو بن حمدان: أنه كان يفضل أبا يعلى الموصلي على الحسن بن سفيان، فقيل له: كيف تفضله و (مسند الحسن) أكبر، وشيوخه أعلى؟

قال: لأن أبا يعلى كان يحدث احتسابا، والحسن بن سفيان كان يحدث اكتسابا.

وقد وثق أبا يعلى: أبو حاتم البستي، وغيره.

قال ابن حبان: هو من المتقنين المواظبين على رعاية الدين وأسباب الطاعة.

وقال ابن عدي: ما سمعت مسندا على الوجه إلا (مسند أبي يعلى) ؛لأنه كان يحدث لله - عز وجل -.

قال ابن المقرئ: سمعت أبا إسحاق بن حمزة يثني على (مسند أبي يعلى) ، ويقول: من كتبه قل ما يفوته من الحديث.." (١)

"خلا لك الجو فبيضي واصفري ... (١)

مات أبو عامر حافظ حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمن شاء، فليقل ما شاء.

وقال الحافظ ابن عساكر: كان العبدري أحفظ شيخ لقيته، وكان فقيها داووديا، ذكر أنه دخل دمشق في حياة أبي القاسم بن أبي العلاء، وسمعته وقد ذكر مالك، فقال: جلف جاف، ضرب هشام بن عمار بالدرة، وقرأت عليه (الأموال) لأبي عبيد، فقال - وقد مر قول لأبي عبيد -:ما كان إلا حمارا مغفلا (٢) ، لا يعرف الفقه.

وقيل لي عنه: إنه قال في إبراهيم النخعي: أعور سوء، فاجتمعنا يوما عند ابن السمرقندي في قراءة كتاب (الكامل) ، فجاء فيه: وقال السعدي كذا، فقال: يكذب ابن عدي، إنما ذا قول إبراهيم الجوزجاني، فقلت له: فهو السعدي، فإلى كم نحتمل **منك سوء الأدب**، تقول في إبراهيم كذا وكذا، وتقول في مالك جاف، وتقول في أبي عبيد؟!

فغضب وأخذته الرعدة، وقال: كان ابن الخاضبة والبرداني وغيرهما يخافوني، فآل الأمر إلى أن تقول في هذا؟!

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٧٨/١٤

فقال له ابن السمرقندي: هذا بذاك.

فقلت: إنما نحترمك ما احترمت الأئمة.

فقال: والله لقد علمت من علم الحديث ما لم

---

(١) الرجز في " فصل المقال شرح الأمثال " ص: ٣٦٤ لكليب بن ربيعة، وهو كليب وائل، كان له حمى لا يقرب، فباضت فيه قبرة فأجارها، وقال يخاطبها: يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري وإنما يصفر الطائر ويتغنى في الخصب.

ويقال: إنها لطرفة، انظر " مجمع الاثمال ": ٢٣٩، اللسان: قبر، والخزانة: ١ / ٤١٧.

(٢) في الأصل: حمار مغفل.." (١)

"متعديا الى المسلمين فتجرد لي بحيث حصل لي مرادي وفوقه من تحصيل قراءتي له في عشرين مجلسا متواليه لم يتخللها سوى الجمعة ولازمني فيها وحضر القراءة كلها يضبطها بنسخة كانت بيده هي أصل ابن ناصر الحافظ يعارض بها نسخة القراءة وكانت اصل الشيخ المسمى

وأظهر لي من حسن الأخلاق والمبالغة في التواضع بحيث أنه كان إذا خرجنا من منزله بقصد القراءة يحمل هو بنفسه النسخة ولا يدع أحدا منا يحملها عنه وكنت أعتذر اليه من ذلك خوفا **من سوء الأدب** فيقول لو حملته على رأسي لكان ينبغي ألا احمل ما فيه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان يجلس تحت الكرسي ويدع صدر المجالس حتى إني لأستحي من مجلسه هناك وأعجب من شدة تواضعه ومبالغته في إكرامي بما لا استحق ورفعي عليه في المجلس ولولا قراءتي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظم حرمتها لما كان ينبغي لي ذلك

وكان هذا حاله في التواضع والتنازل والاكرام لكل من يرد عليه او يصحبه أو يلقاه حتى أن كل من لقيه يحكي عنه من المبالغة في التواضع نحوا مما حكيته وأكثر من ذلك فسبحان من وفقه وأعطاه وأجراه على خلال الخير وحباه." (٢)

"ولأنت أعطاف الحروف قسرا وتشاجرت الأمثلة على لفظه فلا غرو أن ضرب زيد عمرا يترجل كلام الفارسي بين يديه ويطير لفظ ابن عصفور حذرا من البازي المطل عليه وإن شعر هامت الشعراء بذكره في

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٥٨١/١٩

(٢) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية البزار، أبو حفص ص/٥٢

كل واد وحمل ذكرها في كل ناد ونصبت بيوته على يفاع الشرف كما تنصب بيوت الأجواد طالما بلد لبيدا وولي شعر ابن مقبل منه شريدا وقالت الآداب لبحتري لفظه ألم نربك فينا وليدا الشعراء وإن نثر فما الدر اليتيم إلا تحت حجره ولا الزهر النضير إلا ما ارتضع من أخلاف قطره ولا المترسلون إلا من تصرف في ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره وإن تكلم على فنون الأدب روى الظما وجلا معاني الألفاظ كالدمى وقال العروض له ولابن أحمد خليلي هبا بارك الله فيكما هذا وكم أثنى قدم علوم الأوائل على فكره الحكيم وشهدت رواية الأحاديث النبوية بفضله وما أعلى من شهد بفضله)

الحديث والقديم البسيط

(علت به درجات الفضل واتضحت ... دقائق من معاني لفظه البهج)

(هذا وليل الشباب الجون منسدل ... فكيف حين يضيء الشيب بالسرج)

(يا حبذا أعين الأوصاف ساهرة ... بين الدقائق من علياه والدرج)

بدأتني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني واضمحل عياني وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني الشعراء وحمغلت كاهلي من المن ما لم يستطع وضربت لذكرى في الآفاق نوبة خليلية لا تنقطع وسألتني مع ما عندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها وثمر من غرسها أن أجيبك وأجيزك وأوازن بمثقال كلمي الحديد أبريزك وأقابل لسنك المطلق بلساني المحصور وأثبت استدعاءك الجليلي على بيت مال نطقي المكسور فتحيرت بين أمرين أمرين ووقع ذهني السقيم بين دائين مضرين إن فعلت ما أمرت فما أنا من ارباب هذا القدر العالي والصدر الحالي ومن أنا من أبناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز وكيف أطالب مع اقتار علمي وفهمي بأن أجيب واجيز وأين لمقيد خطوى هذه الوثبات وإني يماثل قوة هذا الغرس ضعف هذا النبات وأن منعت فقد أسأت الأدب والمطلوب **حسن الأدب** مني وأهملت الطاعة التي أقرع بعدها برمح القلم سنى وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الرجال وقال قطني ثم ترجح عندي إن أجيب السؤال وأقابل بالامتثال وأتحامل على ظلع الأقوال صابرا على تهكم سائلي معظما قدري كما قيل بتغافلي منقادا إلى جنة استدعائك من السطور بسلاسلي وأجزت لك أن تروى عني ما تجوز لي روايته من مسموع." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١/٢٣٧

"وأما قياسه آية نساء النبي على قوله تعالى ليس كمثله شيء فليس بقياس صحيح لأنه قال تعالى ليس كمثله شيء وشيء للعموم وشيء يستغرق الألهية والصورة والصفة وكل ما سوى الله تعالى وأما الآية الأخرى فيقتضي التخصيص كما قال وقال ابن النجار قرأت عليه كتاب الأموال لأبي عبيد فقال لي وقد مر بعض أقوال أبي عبيد ما كان إلا حمارا مغفلا لا يعرف الفقه وحكى لي عنه أنه قال في إبراهيم النخعي أعور سوء فاجتعمنا يوما عند أبي القسم ابن السمرقندي في قراءة الكامل لابن عدي فحكى ابن عدي حكاية عن السعدي فقال يكذب ابن عدي إنما هذا قول إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني فقلت له السعدي هو الجوزجاني ثم قلت إلى كم نحتمل **منك سوء الأدب** تقول في إبراهيم النخعي كذا وفي مالك كذا وفي أبي عبيد كذا وفي ابن عدي كذا فغضبت وأخذته الرعدة وقال كان البرداني وابن الخاضبة وغيرهما يخافوني وآل الأمر إلى أن تقول لي هذا فقال له ابن السمرقندي هذا بذاك وقلت له إنما نحترمك ما احترمت الأيمة فإذا أطلقت القول فيهم لم نحترمك فقال والله لقد علمت)

من علم الحديث ما ليم يعلمه غيري ممن تقدمني وأني لأعلم من صحيح البخاري ومسلم ما لم يغلما من صحيحهما فقلت له على وجه الاستهزاء فعلمك إذا إلهام فقال إي والله الهام وتفرقنا وهاجرته ولم أتمم عليه كتاب الأموال وكان سيئ الاعتقاد يعتقد من أحاديث الصفات ظاهرها ثم حكى عنه ما حكاه ابن عساكر في آية الساق وفي الغسل على من جامع ولم ينزل." (١)

"إلى بغداد بموته فقعدوا لعزائه فحضر الغزنوي فقال له بعض العامة ما حضرت إلا شماتة به فقام بعض الفقهاء وأنشد)

(خلا لك يا عدو الجو فاصفر ... ونجس في صعودك كل عود)

(كذاك الثعلبان يجول كبرا ... ولكن عند فقدان الأسود)

ورثاه المعنى ابن الباطوح البغدادي

(أيها الركب ابلغوا بلغتم ... إن سقمي صدني عن سفري)

(وإذا جئتم ثنيات اللوى ... فلجوا ربع الحمى في خطري)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٧٩/٣

(وصفوا شوقي إلى سكانه ... واذكروا ما عندكم من خبري)

(وحنيني نحو أيام مضت ... بالحمى لم أقض منها وطري)

(فاتني فيها مرادي وحلا ... لتمني القرب فيها سهري)

(كنت أخشى فوتها قبل النوى ... فرماني حذري في حذري)

(آه واشوقي إلى من بدلوا ... صفو عيشي بعدهم بالكدر)

(كلما اشتقت تمنيتهم ... ضاع عمري بالمنى واعمري)
الجرجرائي الكاتب محمد بن الفضل الجرجرائي الكاتب
كان يكتب للفضل بن مروان ثم وزر للمتوكل وكان شيخا ظريفا **حسن ارأدب** عالما بالغناء توفي سنة خمسين ومائتين وقد نيف على الثمانين وله مع إسحاق الموصلي أخبار كتب إلى إسحاق المذكور
(خل أتى ذنبا إلي وإنني ... لشريكه في الذنب إن لم أغفر)

(فمحا بإحسان إساءة فعله ... وأزال بالمعروف قبح المنكر)
وقال لبعض كتابه
(تعجل إذا ما كان أمن وغبطة ... وأبط إذا ما استعرض الخوف والهرج)

(ولا تيأسا من فرجة أن تنالها ... لعل الذي ترجوه من حيث لا ترجو)
البصرة الكاتب محمد بن الفضل الكاتب المعروف بالبصرة
كان يعاشر أبا هفان ومحمد بن مكرم واليعقوبي وأبا علي البصير وأبا العيناء
قال في سديف غلام ابن مكرم
(أحبك ما حييت وما حييتا ... برغمك إن كرهت وإن هويتا)

(وأصبر إن جفوت ولا أبالي ... غضبت من المحبة أو رضيتا)

(

(وأسعى في الذي تهواه جهدي ... فكن لي مت قبلك كيف شيتا)." (١)

"البصري الأخباري أبو العيناء مولده سنة إحدى وتسعين ومائة وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين وكان قبل العمى أحول

قال ياقوت قرأت في تاريخ دمشق قرأت على زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ سمعت عبد العزيز بن عبد الملك الأموي يقول سمعت إسماعيل بن محمد النحوي يقول سمعت أبا العيناء يقول أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه إلا ابن شيبة العلوي قال لا يشبه آخر هذا الحديث أوله فأبى أن يقبله وكان أبو العيناء يحدث بهذا بعدما كان

وكان جد أبي العيناء الأكبر لقي علي بن أبي طالب فأساء المخاطبة بينه وبينه فدعا عليه علي بالعمى له ولولده من بعده فكل من عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم

وقال المبرد إنما صار أبو العيناء أعمى بعد أن نيف على الأربعين وخرج من البصرة واعتلت عيناه فرمي فيهما بما رمي والدليل على ذلك قول أبي علي البصير فيه قد كنت خفت يد الزمان عليك إذ ذهب البصر

(لم أدر أنك بالعمى ... تغنى ويفتقر البشر)

وقال أحمد بن أبي دؤاد ما أشد ما أصابك من ذهاب بصركقال أبدأ بالسلام وكنت أحب أن أكون أنا المبتدئ وأحدث من لا يقبل على حديثي ولو رأيته لم أقبل عليه فقال له ابن أبي دؤاد أما من بدأك بالسلام فقد كافأته بجميل نيتك له ومن أعرض عن حديثك فما أكسب نفسه **من سوء الأدب** أكثر مما نالك من سوء الاستمالة فأنشد أبو العيناء

(إن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وسمعي منهما نور)

(

(قلب ذكي وعقل غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور)

قال المتوكل أشتهي أن أنادم أبا العيناء إلا أنه ضرير فقال أبو العيناء أن أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهلة ونقش الخواتيم فإني أصلح

وخاصم يوما علويا فقال له العلوي أتخاصمني وأنت تقول في صلاتك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقال له لكني أقول الطيبين الطاهرين فتخرج أنت منهم

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٤/٢٣٠

وصار يوما إلى باب صاعد بن مخلد فاستأذن عليه فقيل هو مشغول بالصلاة ثم استأذن بعد ساعة فقيل له كذلك فقال لكل جديد لذة وقد كان قبل الوزارة نصرانيا

ومر بباب عبد الله بن منصور وكان مريضا وقد صلح فقال لغلامه كيف خبر مولاكفقال كما تحب فقال ما لي لا أسمع الصراخ عليه

ولقيه بعض أصحابه في السحر فجعل صاحبه يعجب من بكوره فقال أبو العيناء أراك تشركني في الفعل وتفردني بالعجب

وقال له المتوكل أرأيت طالبيا ضريرا فيما تقدم وإنما سألتك عما سلف فقال نعم رأيت منهم واحدا ببغداد منذ ثلاثين سنة فقال نجده كان مؤاجرا ونجدك كنت قوادا عليه فقال يا أمير المؤمنين ما بلغ هذا من فراغي أدع موالي مع كثرتهم وأقود على الغرباءفقال المتوكل أردت أن أشتفي منهم فاشتفى لهم مني

واجتمع أبو هفان وأبو العيناء على مائدة فقال أبو هفان هذه أشد حرا من مكانك في لظى فقال." (١)

"قلت أظنه عارض بهذه القصيدة عينية ابن زريق المشهورة التي أولها

(لا تعذليه فإن العذل يولعه ... قد قلت حقا ولكن ليس أسمعه)

)

وجيد هذه أكثر من جيد تلك وكانت وفاة ابن الدبيثي بواسط سنة ثمان وخمسين وخمس مائة

٣ - (أبو علي النحوي ختن ثعلب)

أحمد بن جعفر الدينوري ختن ثعلب أبو علي أحد المبرزين المصنفين في نحاة مصر كان يخرج من مجلس ثعلب وهو جالس على باب داره والطلبة عنده فيتخطى ثعلبا وأصحابه ومحبرته معه ويتوجه إلى المبرد ليقرأ عليه كتاب سيبويه فيعاتبه ثعلب على ذلك ويقول إذا رآك الناس تفعل هذا يقولون ماذا فلم يلتفت إليه قال المصعبي سألت أبا علي كيف صار المبرد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب قال لأنه قرأ الكتاب على العلماء وثعلب قرأه على نفسه وقدم أبو علي البصرة وأخذ عن المازني كتاب سيبويه ثم دخل إلى بغداذ فقرأ على المبرد ثم قدم مصر وألف كتاب المهذب في النحو وكتب في صدره اختلاف الكوفيين والبصريين وعزا كل مسألة إلى صاحبها ولم يعتل لكل منهم ولا احتج له فلما أمعن في الكتاب ترك الاختلاف ونقل مذهب البصريين وعول في ذلك على كتاب الأخفش سعيد بن مسعدة وله مختصر في ضمائر القرآن استخرجه من كتاب المعاني للفراء ولما قدم علي بن سليمان الأخفش إلى مصر خرج أبو علي منها فلما رجع الأخفش

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٤٣/٤

إلى بغداذ عاد أبو علي إلى مصر وأقام بها حتى مات وله كتاب إصلاح المنطق وتوفي سنة تسع وثمانين ومائتين

٣ - (جحظة البرمكي)

أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك هو أبو الحسن جحظة البرمكي النديم لقيه ابن المعتز فقال له ما حيوان إذا قلب صار آلة للبحرية فقال علق إذا عكس صار قلعا فقال أحسنت يا جحظة فلزمه هذا اللقب وكان في عينيه نتو جدا وكان قبيح المنظر وكان المعتمد يلقبه خنياكر وكان **حسن الأدب** كثير الرواية للأخبار متصرفا في فنون من النحو واللغة والنجوم مليح الشعر مقبول الألفاظ حاضر النادرة وكان طنبوريا فائقا له من التصانيف كتاب الطبيخ كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام كتاب الطنبوريتين فضائل السكباج كتاب ما شهده من المعتمد ديوان شعره كتاب الترنم كتاب المشاهدات وكان جحظة وسخا قذرا دني النفس قليل الدين قيل عنه كان لا يصوم شهر رمضان قال أبو القاسم الحسين ابن علي البغداذي كان جحظة عند أبي يوما." (١)

"٣ - (ابن طلامي)

أحمد بن محمد بن الحسين بن علي أبو العباس الطائي المعروف بابن طلامي بالطاء المهملة من أهل واسط تفقه على القاضي أبي الحسن علي بن إبراهيم الفارقي وسمع منه ومن أحمد بن بعيد الله الآمدي ودخل بغداذ بعد الثلاثين وخمس مائة وسمع بها من أبي القاسم بن السمرقندي وعمر بن محمد السهروردي وروى بها شيئا من شعره روى عنه يوسف بن محمد بن مقلد الدمشقي وذكر أنه كان شيخا صالحا ومن شعره

(لعمرك إن الحب لله جنة ... إذا لم يشبه غير حب محمد)

(وأصحابه الأخيار ثم تبيعهم ... ومن حب آل الله ليس بمعتدي)

(ونفسك والدنيا وإبليس والهوى ... فإنك إن تهجرهم سوف تهتدي)

٣ - (أبو عبد الله الجهمي)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٧٧/٦

أحمد بن محمد بن حميد بن ثور بن سليمان بن حفص بن عبد الله ابن أبي الجهم بن حذيفة العدوي القرشي من بني عدي بن كعب يعرف بالجهمي نسبة إلى جده أبي الجهم يكنى أبا عبد الله حجازي نشأ بالعراق وكان أديبا راوية شاعرا خبيث اللسان هجاء وقع بينه وبين قوم من العمريين والعثمانيين كلام فذكر سلفهم بأقبح ذكر فنهاه بعض العباسيين فذكر العباس بأقبح ذكر ورماه بأمر عظيم وتشاهدوا عليه وأنهي خبره إلى المتوكل فأمر بضربه مائة سوط فضربه إياها إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم في مجلس العامة بسر من رأى فلما فرغ من ضربه أنشأ يقول

(تبرا الكلوم وينبت العشر ... ولكل مورد غية صدر

)

(واللؤم في أثواب منبطح ... لعبيده ما أورق الشجر)

وله من التصانيف كتاب أنساب قريش وأخبارها كتاب المعصومين كتاب المثالب

كتاب الانتصار في الرد على الشعوبية كتاب فضائل مصر

٣ - (أبو الحسن الكاتب)

أحمد بن محمد بن حمادة أبو الحسن الكاتب **حسن الأدب** من أفاضل الكتاب صنف الكتب ولقي الأدباء وله كتاب امتحان الكتاب وديوان ذوي الألباب وكتاب شحذ الفطنة وكتاب الرسائل

٣ - (الخثعمي)

أحمد بن محمد الخثعمي أبو عبد الله ويقال أبو العباس ويقال أبو الحسن كان يتشيع وهاجى البحتري وناقض الإصبع المسلمي وقال اذهبا بي إن لم يكن لكما عقر إلى بوب قبره فاعقراني وانضحا من دمي عليه فقد كان دم من نداه لو تعلمان وقال

(لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف)." (١)

"أبي هريرة قرأ الفقه على ابن سريج وأبي غسحاق المروزي وشرح مختصر المزني وعلق عنه الشرح أبو علي الطبري ودرس ببغداد وتخرج به جماعة وانتهت إليه إقامة العراقين وكان معظما عند السلاطين والرعايا وله وجه في المذهب وتوفي سنة خمس وأربعين وثلاثمئة

٣ - (السكري النحوي)

الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبي صفرة المعروف بالسكري أبو سعيد

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٥٣/٧

النحوي اللغوي الراوية الثقة المكثر مولده سنة اثنتي عشرة ومائتين ووفاته سنة خمس وسبعين ومئتين سمع يحيى بن معين وأبا حاتم السجستاني والعباس بن الفرج الرياشي ومحمد بن حبيب والحارث بن أبي أسامة وأحمد بن الحارث الخزاز وخلقا غيرهم وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخي قال الخطيب وكان ثقة صادقا دينا يقريء القرآن وانتشر عنه من كتب الأدب ما لم ينتشر عن أحد من نظرائه كان إذا جمع جمعا كان الغاية في الاستيعاب)

والكثرة قال أبو الكرم خميس بن علي الحوزي الحافظ النحوي الواسطي في أماليه قال قدم العسكري أبو سعيد بغداد وحضر مجلس الفراء أبي زكرياء وهو يومئذ شيخ الناس فأملى الفراء بابا في التصغير قال فيه العرب تقول هو الهن وتصغيره الهني وتثنيته في الرفع الهنيان وفي النصب والجر الهنتين وأنشد قول القتال الكلابي من البسيط

(يا قاتل الله صلعانا تجيء بهم ... أم الهنين من زند لها وار)

فأمسك أبو سعيد حتى انفض المجلس وتقدم إليه وأعاد عليه ما قاله ثم قال وليس هكذا أنشدناه أشياخنا قال الفراء ومن أشياخك قال أبو عبيدة وأبو زيد والأصمعي فقال الفراء وكيف أنشدوه قال زعموا أن الهنبر على وزن الخنصر ولد الضبع وأن القتال قال من البسيط

(يا قاتل الله صلعانا تجيء بهم ... أم الهنيبر من زند لها وار)

على التصغير ففكر الفراء ساعة ثم قال أحسن الله عن الإفادة **وحسن الأدب** جزاك قال." (١)

"أبا العيناء. يقول: أنا والجاحظ. وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه. إلا ابن شيبة العلوي. قال: لا يشبه آخر هذا الحديث أوله. فأبى أن يقبله. وكان أبو العيناء يحدث بهذا بعدما كان. وكان جد أبي العيناء الأكبر، لقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأساء المخاطبة بينه وبينه. فدعا عليه بالعمة له وتولد من بعده. فكل من عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم، وقال المبرد: إنما صار أبو العيناء أعمى بعد أن نيف على الأربعين وخرج من البصرة واعتلت عيناه. فرمى فيهما بما رمى. والدليل على ذلك قول أبي علي البصير فيه:

قد كنت خفت يد الزما ... ن عليك إذ ذهب البصر

لم أدر أنك بالعمى ... تغني ويفتقر البشر

وقال أحمد بن أبي داود لأبي العيناء: ما اشد؟ ما أصابك في ذهاب بصرك. قال ابدأ بالسلام، وكنت.

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٢٤/١١

أحب أن أكون أنا المبتدئ. وأحدث من لا يقبل على حديثي. ولو رايته لم اقبل عليء، فقال له ابن أبي داود: أما من بداك بالسلام. فقد كافأته بجميل نيتك له. ومت أعرض عن حديثك. إنما أكسب نفسه **من سوء الأدب**، أكثر مما نالك من سوء الاستماع. فأنشد أبو العيناء:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وسمعي منهما نور

قلب ذكي وعقل غير خطل ... وفي فمي صارم كالسيف ماثور

وقال الخطيب: مولد أبي العيناء بالأهواز. ومنشاؤة بالبصرة. وبها كتب الحديث، وطلب الأدب. وسمع من أبي عبيدة، والأصمعي، وأبي عاصم النبيل، وأبي زيد الأنصاري، وغيرهم. وكان من أحفظ الناس، وأفصحهم لسانا، وأسرعهم جوابا، وأحضرهم نادرة. وانتقل من البصرة إلى بغداد، وكتب عنه أهلها، ولم يسند من الحديث إلا القليل. والغالب على رواياته الأخبار والحكايات. وقال الدارقطني: ليس بالقوي في الحديث. وقال جحظة: أنشدنا أبو العيناء لنفسه:

حمدت إلهي إذ بلاني بحبها ... على حول يغني عن النظر الشزر

نظرت إليها والرقيب يظنني ... نظرت إليه فاسترحت من الغدر

وقال محمد بن خلف بن المرزبان: قال لي أبو العيناء. أتعرف في شعراء المحدثين. رشيد الرياحي، قال: فقلت لا. قال بل هو القائل في:." (١)

"وقال ابن أبي حاتم: أخبرني أبو عثمان الخوارزمي نزيل مكة فيما كتب إلي: ثنا أبو أيوب حميد بن أحمد البصري، قال: كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسألة، فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله لا يصح فيه حديث، فقال: إن لم يصح فيه حديث ففيه قول الشافعي، رضي الله عنه، وحجته أثبت شيء فيه، ثم قال: قلت للشافعي: وما تقول في مسألة كذا وكذا؟ قال: فأجاب فيها، فقلت: من أين قلتها؟ هل فيه كتاب، أو حديث؟ قال: بلى، فنزع في ذلك حديثا للنبي، صلى الله عليه وسلم، وهو حديث نص، وروى البيهقي عن المروزي أنه سمع أحمد يقول: إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خبرا قلت فيها بقول الشافعي،

لأنه إمام عالم من قريش ويروي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «عالم قريش يملأ الأرض علما» ، وسيأتي هذا مسندا، وقال الخطيب: حدثني الحسن بن أبي طالب، حدثني علي بن عمر التمار، ثنا محمد بن عبد الله الشافعي، حدثوني عن إبراهيم الحربي، أنه قال: قال أستاذ الأستاذين، قالوا: من هو؟

---

(١) نكث الهميان في نكت العميان الصفدي ص/٢٥٢

قال: الشافعي، أليس هو أستاذ أحمد بن حنبل، وقال الحاكم النيسابوري: سمعت الفقيه أبا بكر محمد ابن علي الشاشي، يقول: دخلت على ابن خزيمة وأنا غلام، فقال: يا بني، على من درست الفقه؟ فسميت له أبا الليث، فقال: على من درس؟ قلت: على ابن سريج، فقال: وهل أخذ ابن سريج العلم إلا من كتب مستعارة، فقال بعضهم: أبو الليث هذا مهجور بالشاشي فإن البلد للحنابلة، فقال ابن خزيمة: وهل كان ابن حنبل إلا غلاما من غلمان الشافعي.

وقال ابن أبي حاتم: ثنا أحمد بن عثمان النحوي، سمعت أبا فديك الكسائي، يقول: سمعت إسحاق بن راهويه، يقول: كتبت إلى أحمد بن حنبل وسألته أن يوجه إلي من كتب الشافعي ما يدخل حاجتي فوجه إلي بكتاب الرسالة.

قال: وثنا أبو زرعة، قال: بلغني أن إسحاق بن راهويه كتب له كتب الشافعي، فتبين في كلامه أشياء قد أخذه عن الشافعي، وقد جعله لنفسه، قال أبو زرعة: ونظر أحمد بن حنبل في كتب الشافعي.

قال ابن أبي حاتم: وثنا أحمد بن سلمة بن عبد الله النيسابوري، قال: تزوج إسحاق بن راهويه بمرو بامرأة رجل كان عنده كتب الشافعي وتوفي، لم يتزوج بها إلا لحال كتب الشافعي، رضي الله عنه، فوضع جامعه الكبير على كتاب الشافعي والجامع الصغير على جامع الثوري الصغير، قال: وأخبرني أبو عثمان الخوارزمي نزيل مكة فيما كتب إلي قال: قال أبو ثور: كنت أنا، وإسحاق بن راهويه، وحسين الكرابيسي، وذكر جماعة من العراقيين، ما تركنا بدعتنا حتى رأينا الشافعي، رضي الله عنه.

وحدثنا أبو عبد الله الفسوي، عن أبي ثور، قال: لما ورد الشافعي، رضي الله عنه، العراق جاءني حسين بن علي الكرابيسي، وكان يختلف معي إلى أصحاب الرأي، فقال: قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه فقم بنا نسخر به، فقمت وذهبنا حتى دخلنا عليه، فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل الشافعي، رضي الله عنه، يقول: قال الله، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى أظلم علنا البيت، وتركنا بدعتنا واتبعناه، وقال داود بن علي الأصبهاني الظاهري، وله كتاب فضائل الشافعي، رضي الله عنه: قال لي إسحاق بن راهويه: ذهبت أنا، وأحمد بن حنبل إلى الشافعي بمكة، فسألته عن أشياء، فرأيته رجلا

فصيحا حسن الأدب، فلما فارقناه أعلمني جماعة من أهل الفهم بالقرآن أنه كان أعلم الناس في زمانه بمعاني القرآن، وأنه قد كان أوتي فهما في القرآن لو كنت عرفته للزمته، قال داود: فرأيته يتأسف على ما فاته من الشافعي، رضي الله عنه، قال داود: عبد العزيز المكي، أحد من له فهم بالقرآن، كان أحد أصحاب الشافعي، رضي الله عنه، وممن أخذ عنه، رواه ابن عساكر.

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة، يقول: كتبت كتب الشافعي من الربيع أيام يحيى بن عبد الله بن بكير سنة ثمان وعشرين ومائتين، وعندما عزمت على سماع كتب الشافعي بعت ثوبين رقيقين كنت حملتهما لأقطعهما لنفسي فبعتهما، وأعطيت الوراق، قال: وسمعت أبي، يقول: قال لي أحمد بن صالح: تريد أن تكتب كتب الشافعي؟ قلت: نعم لا بد أن أكتبها فهذه أسانيد جيدة تدل على أن كلا من هؤلاء الأئمة رحمهم الله حذا حذوه، واتبع أثره، وسلك مسالكه في النظر والاستنباط، فإذا عد العاد قول أبي ثور، والحسين بن علي الكرابيسي، والمزني، وابن خزيمة، وابن المنذر، وأضراب هؤلاء وجوها في مذهب
الشافعي، رضي الله عنه، جاز أن يقال مذهب الإمام أحمد يعد وجها في مذهب الشافعي، رحمه الله، فإنه قد ذكره جماعة من العلماء معدودا من جملة أصحاب الشافعي، منهم: أبو داود السجستاني، داود بن علي الظاهري، والحربي، وأبو إسحاق الشيرازي في الطبقات، وكذا قول إسحاق بن راهويه، كما ذكروا قول ابن خزيمة، وابن المنذر، وابن سريج وغيرهم من أئمة المذهب وجوها في المذهب يعني أنها معتبرة في مذهب الشافعي، فللحاكم أن يحكم بها، وللمفتي أن يفتي بها، لأنها مؤصلة على تأصيل الشافعي، ومأخوذة من طريقته في الاستنباط، فإنه قد نص في غير موطن على أنه إذا صح الحديث فهو مذهبه، وقال للإمام أحمد: أنتم أعلم بالحديث منا، فإذا صح الحديث أعلمني به أذهب إليه حجازيا كان، أو عراقيا، أو شاميا، أو يمينا، وسيأتي ذكر هذا كله في موضعه، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة.
وقال البيهقي: أنا أبو عبد الرحمن السلمي، سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الذبياني، سمعت أبا الهبير سهل بن عبد الصمد الرقي، سمعت داود بن علي هو الأصبهاني، يقول: اجتمع للشافعي، رضي الله عنه، من الفضائل ما لم يجتمع لغيره، فأول ذلك شرف نسبه ومنصبه، وأنه من رهط النبي، صلى الله عليه وسلم، ومنها صحة الدين وسلامة المعتقد من الأهواء والبدع، ومنها سخاوة النفس، ومنها معرفته بصحيح الحديث وسقيمه، ومنها معرفته بناسخ الحديث ومنسوخه، ومنها حفظه لكتاب الله، وحفظه لأخبار رسول الله، ومعرفته بسير النبي، صلى الله عليه وسلم، وبسير خلفائه، رضي الله عنهم، ومنها كشفه
لتمويه مخالفيه، ومنها تأليفه الكتب القديمة والجديدة، ومنها ما اتفق له من الأصحاب والتلامذة، مثل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، في زهده وعلمه وورعه وإقامته على السنة، ومثل سليمان بن داود الهاشمي، وعبد الله بن الزبير الحميدي، والحسين الفلاس، وأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، وحرملة بن يحيى التجيبي، والربيع بن سليمان المرادي، وأبي الوليد موسى بن أبي الجارود، والحارث بن سريج النقال، وأحمد بن خالد الخلال،

والقائم بمذهبه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني ولم يتفق لأحد من
العلماء والفقهاء ما اتفق له.
قال البيهقي: إنما عد داود من أصحاب الشافعي، رضي الله عنه، طائفة يسيرة، وقد عد أبو الحسن الدارقطني، من روى عنه من أحاديثه وأخباره وكلامه زيادة على مائة، مع قصور سنه عن سن أمثاله من الأئمة، وإنما يكثر الرواة عن العالم إذا جاوز سنه الستين، أو السبعين، والشافعي، رضي الله عنه، لم يبلغ في السن أكثر من أربع وخمسين سنة.
قال: وأنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري، ثنا الفضل بن الفضل الكندي، ثنا زكريا بن يحيى الساجي، قال: قلت لأبي داود السجستاني: من أصحاب الشافعي؟ قال: أولهم عبد الله بن الزبير الحميدي ، وأحمد بن حنبل، ويوسف بن يحيى، وأبو يعقوب البويطي، والربيع بن سليمان، وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، وأبو الوليد بن أبي الجارود المكي، والحسن بن محمد الزعفراني، والحسين بن علي الكرابيسي، وإسماعيل بن يحيى المزني، وحرملة بن يحيى، قال: ورجل ليس بالمحمود أبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى الذي يقال له الشافعي، وذلك أنه بدل وقال بالاعتزال، هؤلاء ممن تكلم في العلم وعرفوا به
من أصحابه.
وأما أنا فأخذت الفقه في مذهب الإمام الشافعي، رضي الله عنه، أولا عن الإمام العالم المحقق محيي الدين أبي زكريا يحيى بن إسحاق بن خليل بن فارس الشيباني الشافعي الحاكم، رحمه الله، وهو أخذ الفقه عن الشيخ الإمام العلامة العابد الزاهد الورع ضابط المذهب محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النواوي، نور الله ضريحه، وقال: أخذت الفقه عن أبي الحسن سلار بن الحسن الإربلي ثم الدمشقي وهو الإمام المجمع على جلالته وإمامته وتقدمه يا رسول الله علم المذهب على أهل عصره بهذه النواحي، وهو أخذه عن جماعة، منهم: أبو بكر الماهاني، عن أبي القاسم بن البزري الجزري، عن
أبي الحسن علي بن محمد بن علي الكيا الهراسي.
ثم أخذت الفقه أيضا، عن شيخنا الإمام العلامة شيخ المذاهب برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الإمام العلامة تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري، وغير واحد من أصحاب الشيخ تاج الدين المذكور، رحمة الله عليهم كلهم عنه، وهو تفقه بالشيخ الإمام عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام، وهو تفقه على الفخر بن عساكر عن الشيخ الإمام قطب الدين النيسابوري عن الإمام أبي سعد عمر بن سهل بن سعد الدامغاني، عن أبي حامد الغزالي الطوسي، والغزالي الكيا الهراسي تفقها على إمام الحرمين واسمه

أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، وهو أخذه عن أبيه الشيخ أبي محمد الجويني، عن أبي بكر عبد الله بن أحمد القفال المروزي الصغير إمام الطريقة الخراسانية، عن أبي زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد المروزي، عن أبي العباس أحمد بن عمر بن سريج، عن أبي القاسم عثمان بن بشار الأنماطي، عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، عن الإمام العالم أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، رحمه الله، ورضي عنه.." (١)

"الله من الآيات، وخذوا من لكم بالصبر على الأزمات، والمواساة في المهمات. وأيقظوا جفونكم من السنات، واعلموا أنكم رضعا ثدي كلمة التوحيد، وجيران البلد الغريب، والدين الوحيد، وحزب التمحيص، ونفر المرام العويص، وتفقدوا معاملاتكم مع الله، فمتى رأيتم الصدق غالبا، والقلب للمولى الكريم مراقبا، وشهاب اليقين ثاقبا، فثقوا بعناية الله، التي لا يغلبكم معها غالب، ولا ينالكم من أجلها عدو مطالب، وأنكم في الستر الكثيف، وعصمة الخبير اللطيف، ومهمى رأيتم الخواطر متبددة، [والظنون في الله مترددة، والجهات التي تخاف وترجى متعددة] والغفلة عن الله، ملابسها متجددة، وعادة الخذلان دايمة، وأسواق الشهوات قائمة، فاعلموا أن الله منفذ فيكم وعده، ووعيده في الأمم الغافلين، وأنكم قد ظلمتم أنفسكم، ولا عدوان إلا على الظالمين، والتوبة ترد الشارد إلى الله، والله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، وهو القائل: ﴿" إن الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين "﴾ وما أقرب صلاح الأحوال مع الله إذا صلحت العزايم، وتوالت على حزب الشيطان الهزايم، وخملت الدنيا الدنية في العيون، وصدقت فيما عند الله الظنون. " ﴿يا أيها الذين آمنوا إن وعد الله حق، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور "﴾ ، وتوبوا سراعا إلى طهارة الثوب، وإزالة الشوب، واقصدوا أبواب غافر الذنب، وقابل التوب، واعلموا **أن سوء الأدب** مع الله يفتح أبواب الشدائد، ويسد طرق العوائد، فلا تمطلوا بالتوبة أزمانكم، ولا تأمنوا مكر الله، فتغشوا إيمانكم، ولا تعلقوا جنابكم بالضرار فهو علام السرار، وإنما علينا معاشر الأولياء أن ننصحكم، وإن كنا أولى بالنصيحة، ونعتمدكم بالموعظة الصريحة، الصادرة علم الله." (٢)

"حاله: كان صبيا كما اجتمع وجهه، بادنا «١» دمث الخلق، لين الجانب، شديد البياض، كثيف الحاشية، متصلا بالجفوة، لطول الحجبة، وبعد التمرن والحنكة، غرا، فاقدا **لحسن الأدب**، عريقة ألفاظه

---

(١) طبقات الشافعيين ابن كثير ص/

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/٥٥

في العجمة. تصير الأمر إلى أخيه السلطان خيرتهم ولباب بيتهم، يوم قتل أبوهما؛ وله مزية السن والرجاحة والسكنى بمحل وفاة الأب؛ فأبقى عليه، وأسكنه بعض القصور لصقه، ولم يضايق أمه فيما استأثرت به من بيت المال، إذ كان إقليده في يدها، وبيضاؤه وصفراؤه في حكمها، ورفه متبوأه، واستدعى له ولأخيه المعلم الذي كان السبب في إفاتة إرماقهما، وإعدام حياتهما، الشيخ السفلة محمد البطروجي البائس، فرد ذلك السرب، فاستمرت أيام احتجابه وانتظاره على قصره، إلى رمضان من عام ستين وسبعمائة. وحرك سماسرة الفتنة له ولأمه جواز الطمع في الملك، ودندنوا لها حتى رقصت على إيقاعهم، وخفت إلى مواعدهم، وشمروا إلى خلاص الأمر؛ وأحام الوثبة صهره الرئيس أبو عبد الله، حلف الشؤم زوج أخته، محمد بن إسماعيل، الشهير الكائنة، المذكور في موضعه من حرف الميم، فسيرت إليه أمه المال، فبثه في الدعرة والشرار، حتى تم غرضه، واقتحم القلعة من بعض أسوارها عند البالية، وقد هدم منها شيء في سبيل إصلاحه، ليلة الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من عام ستين وسبعمائة؛ والسلطان ليلتئذ غير حال بها، فملؤوها لجبا ولغطا وصراخا وهولا وتنويرا، في جملة تناهز المائة؛ وانضاف إليهم أخوان رأيهم من حراسها وسكانها؛ فألبس الناس، وسقط في أيديهم. وأهدى الليل فتكتة هائلة، وأداها شنيعة، فاقتصر كل على النظر لنفسه، وانقسموا فرقتين؛ قصدت إحداهما دار كبير الدولة، وقيوم التفويض، وشيخ رجال الملك رضوان، المستبد بإحالة كورتها، الشيخ الذهول، معزوز القدر، ورائب النكتة، ومعود الإقالة، وجرار رسن الأطواد، وطول الإملا، الماشي على خد الدنيا، المغضوض البصر عن النظر، المستهين بكل سبة وحية تسعى، المعول على نظره، وقوة سعده وإجابة دعوته، مع كونه نسيج وحده في عفافه وديانته، ورضى الناس به، وسقوط منافستهم من أجله، ومأويهم على مول لفظه، وبساط معاملته، وصحة عقده. فعالجوا بابه طويلا وتولجوا داره، وقتلوه بين أهله وولده.

وقصدت الأخرى دار الأمير المترجم به ومعها صهره، فأخرجوه، وأركبوه على فرس، راعد الفرائض، ممتقع اللون، مختلط القول، تحف به داياته بين مولولة،." (١)

"وثوبوا «١» سراعا إلى طهارة القلوب، وإزالة الشوب «٢» ، واقصدوا أبواب غافر الذنوب «٣» وقابل التوب، واعلموا **أن سوء الأدب** مع الله يفتح أبواب الشدائد، ويسد طريق «٤» العوائد، فلا تمطلوا بالتوبة أزمانكم، ولا تأمنوا مكر الله فتغشوا إيمانكم، ولا تعلقوا متابكم بالصرائر «٥» ، فهو علام السرائر، وإنما علينا معاشر الأولياء «٦» أن ننصحكم وإن كنا أولى بالنصيحة، ونعتمدكم بالموعظة الصريحة،

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢١٥/١

الصادرة- علم الله- عن صدق القريحة، وإن شاركناكم في الغفلة، فقد ناديناكم «٧» إلى الاسترجاع والاستغفار، وإنما لكم لدنيا «٨» نفس مبذولة في جهاد الكفار، وتقدم «٩» إلى ربكم العزيز الغفار، وتقدم لديكم إلى مواقف الصبر التي لا ترتضي «١٠» بتوفيق الله الفرار، واجتهاد فيما يعود بالحسنى وعقبى الدار، والاختيار لله ولي الاختيار، ومصرف الأقدار. وها نحن نسرع في الخروج إلى مدافعة هذا العدو، ونفدي بنفوسنا البلاد والعباد، والحريم المستضعف والأولاد، ونصلى «١١» من دونهم نار الجلاد، ونستوهب منكم الدعاء إلى «١٢» من وعد بإجابته، وتقبل «١٣» من صرف إليه وجه إنابته. اللهم كن لنا في هذا الانقطاع «١٤» نصيرا، وعلى أعدائك ظهيرا، ومن انتقام عبدة الأصنام مجيرا «١٥» . اللهم قو من ضعفت حيلته، فأنت القوي المعين، وانصر من لا نصير له إلا أنت، إياك «١٦» نعبد، وإياك نستعين. اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا عند تزلزل الأقدام، ولا تسلمنا عند لقاء عدو الإسلام، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام. اللهم دافع بملائكتك المسومين، [عمن ضيقت أرجاؤه، وانقطع إلا منك رجاؤه. اللهم هيئ لضعفائنا، وكلنا ضعيف فقير، إليك، ذليل بين يديك حقير، رحمة تروى بالأزمة وتشبع، وقوة تطرد وتستتبع. يا غلاب الغلاب، يا هازم الأحزاب، يا كريم العوائد، يا مفرج الشدائد، ربنا أفرغ علينا صبرا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين «١٧»] . اللهم اجعلنا «١٨» ممن تيقظ فتيقظ، وذكر." (١)

"قال أبو العرب: كان سحنون ثقة حافظا للعلم فقيه البدن اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره: الفقه البارع والورع الصادق والصرامة في الحق والزهادة في الدنيا والتخشن في الملبس والمطعم والسماحة.

وكان لا يقبل من السلطان شيئا وربما وصل أصحابه بالثلاثين دينارا أو نحوها. ومناقبه كثيرة وكان مع هذا رقيق القلب غزير الدمعة ظاهر الخشوع متواضعا قليل التصنع كريم الأخلاق **حسن الأدب** سالم الصدر شديدا على أهل البدع لا يخاف في الله لومة لائم وسلم له الإمامة أهل عصره واجتمعوا على فضله وتقديمه. سئل أشهب عمن قدم إليكم من أهل المغرب؟ قال: سحنون قيل له: فأسد؟ قال: سحنون والله أفقه منه بتسع وتسعين مرة. وقال أيضا: ما قدم إلينا من المغرب مثله وقال بن القاسم: ما قدم إلينا من إفريقية مثل سحنون قال أبو زيد بن أبي الغمر: لم يقدم علينا أفقه من سحنون إلا أنه قدم علينا من هو أطول لسانا منه

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢/٣٤

يعني بن حبيب. وقال يونس بن عبد الأعلى: هو سيد أهل المغرب فقال له حمديس: أو لم يكن سيد أهل المغرب والمشرق؟.." (١)

"مسرور الحجام وعلي بن حمود وغيرهم.

كان فقيها عالما فصيحا ورعا مهيبا وقورا ثقة مأمونا صالحا ذا سمت وخشوع فاضلا طويل الصمت دائم الحمد رقيق القلب غزير الدمعة كثير الإشفاق متفننا في كل العلوم: الحديث والفقه واللغة وأسماء الرجال وكناهم وقوتهم وضعفهم فصيحا جيد الشعر كثير الكتب في الفقه والآثار صحيحا يشبه سحنونا في هيئته وسمته واعتماده على سحنون وبه كان يقتدي في كل أموره من شمائله وزهده ومباينته لأهل البدع **حسن الأدب** بين المروءة.

قال أبو علي البصري: لو أفردنا كتاب في ذكر مناقبه ومحاسنه وزهده وورعه وعدله ما انتهينا إلى وصفه. كان عالما باللغة قائلا للشعر من أهل الفضل البارع والورع الصحيح والصمت الطويل مستجاب الدعوة. قال الكانشي: أدخلني عيسى بن مسكين إلى بيت مملوء بالكتب ثم قال لي: كلها رواية وما فيها كلمة غريبة إلا وأنا أحفظ لها شاهدا من كلام العرب؟.." (٢)

"أحمد بن خضرويه البلخي

١٤٥ - ٢٤٠ للهجرة

أحمد بن خضرويه البلخي أبو حامد من أكابر خراسان سمع أبا تراب، وحاتما الأضم، ورحل إلى أبى يزيد. ومات سنة أربعين ومائتين.

من كلامه: " لا نوم اثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة؛ ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة ".

وقال: " من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء: بالتواضع، **وحسن الأدب**، وسخاوة النفس ".." (٣)

"في سجن الهوى، وحرم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذ بكلام الحق ولا يستحليه، وان كثر ترداده على لسانه، لقوله تعالى:) سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق (. يعنى: لا يفهمونه، ولا يجدون له لذة. صرف الله عن قلوبهم فهم مخاطباته، وأغلق عليهم سبيل فهم كتابه، وسلبهم الانتفاع بالمواعظ، فلا يعرفون الحق، ولا يسلكون سبيله ".

---

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ابن فرحون ٣٢/٢

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ابن فرحون ٦٧/٢

(٣) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٣٧

وقال: " ما مددت رجلي في الخلوة منذ عشرين سنة، فان **حسن الأدب** مع الله أولى ".

واعتكف مرة بمكة فلم يأكل، ولم ينم، ولم يستند إلى حائط، ولم يمد رجليه، فقيل: " بماذا قدرت على اعتكافك؟ ". فقال: " علم صدق باطني فأعانني على ظاهري ".

وأنشد:

شكرتك، لا أبى مجازيك منعما ... بشكر، ولا كيما يقال له الشكر." (١)

"وصحب أيضا النوري وكان عالما كبير القدر.

مات بمرو بعد العشرين وثلثمائة.

ومن كلامه: " الخوف والرجاء زمامان يمنعان **من سوء الأدب** ".

وانقطع شسع نعله في غدوة إلي الجمعة، فأصلح له، فقال: " إنما انقطع لأني لم أغتسل للجمعة! ". واغتسل بعد ذلك.

ومن أصحابه أبو الحسين علي بن هند القرشي الفارسي، من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم.

وصحب أيضا جعفر الحذاء، وعمرا المكي. له الأحوال العالية، والمقامات الزكية.." (٢)

"خير النساج

٢٠٢ - ٢٢٢ للهجرة

خير بن عبد الله النساج، أبو الحسن. من " سر من رأى "، ونزل بغداد، وصحب أبا حمزة البغدادى، ولقى سريا السقطي. وكان من أقران النوري. وعمر طويلا، وصحب الجنيد، وابن عطاء. وتاب في مجلسه ابرهيم الخواص والشبلي، وكان أستاذ الجماعة.

مات سنة اثنتين وعشرين مثلثمائة، عن مائة وعشرين سنة.

من كلامه: الخوف سوط الله، يقوم به أنفسا قد **تعلمت سوء الأدب**؛ فمتى." (٣)

"فخار وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بهما، وحوله حصن من زمرذ، وهو الصدق والاخلاص له تعالى، وحوله حصن من لؤلؤ رطب، وهو أدب النفس. فالمؤمن من داخل هذه الحصون، وابليس من ورائها ينبح كما ينبح الكلب، والمؤمن لا يبالي به لأنه قد تحصن بهذه الحصون. فينبغي للمؤمن

---

(١) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٧٢

(٢) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/١٤٩

(٣) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/١٩٦

أن لا يترك أدب النفس في جميع أحواله ويتهاون به في كل ما يأتي، فإن من ترك أدب النفس وتهاون به، فإنه يأتيه الخذلان لتركه **حسن الأدب** مع الله تعالى، ولا يزال ابليس يعالجه، ويطمع فيه ويأتيه حتى يأخذ منه جميع الحصون، ويرده إلى الكفر نعوذ بالله من ذلك. انتهى وما ذكره من الفريضتين في الآية قد يشكل، فيقال: ليس فيها إلا فريضة واحدة، وهي قوله تعالى: فاتخذوه عدوا

«١» إذ الأمر يقتضي الوجوب عند عدم قرينة تدل على خلافه.

وقد سألت شيخنا الإمام اليافعي رحمه الله عن الفريضة الثانية، أين هي من الآية؟ فأجاب قدس الله روحه، بأن فيها فريضة علمية وفريضة عملية، فالأولى العلم بكونه عدوا والثانية العمل في اتخاذ العداوة له انتهى وأما ما تقدم من ذكر الحصون فهو في نهاية الحسن والتحقيق، لكن قد يستولي الشيطان على بعض الحصون المذكورة دون بعض فيرد العبد إلى الفسق دون الكفر، فيستحق النار من غير تخليد، وقد لا يرده إلى الفسق، ولكن يرده إلى ضعف الايمان، فلا يستحق النار ولكن يستحق النزول عن رتبة أهل الايمان الكامل، وكل هذا التفاوت بسبب تفاوت الحصون المذكورة، إذ ليس أخذ حصن المعرفة والإيمان كأخذ بقية الحصون المذكورة، وبقية الحصون تتفاوت أيضا، فليس أخذ حصن الصدق والإخلاص، كأخذ حصن الأمر والنهي وكذلك سائر الحصون، والكلام في ذلك يطول ولكن مهما بقي حصن الايمان وحصن التوكل كاملين للعبد لم يقدر عليه الشيطان، لقوله تعالى: إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون

«٢» وهؤلاء المتصفون بالعبودية الكاملة لقوله تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان*

«٣» وهم المؤمنون حقا لقوله تعالى: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون

«٤» ثم قال في آخر وصفهم: أولئك هم المؤمنون حقا*

«٥» وقد يكون أخذ حصن واحد مؤديا إلى الكفر، وموجبا للتخليد في النار، كحصن الإيمان بالله. ونعوذ بالله من ذلك، ولكن لا يقدر على أخذ حصن الايمان، حتى يأخذ الحصون التي حوله نسأل الله الكريم الهدى والسلامة من الزيغ والردى. واعلم أن أول الواجبات المعرفة، وقال الاستاذ: النظر وقال ابن فورك وإمام الحرمين: القصد إلى النظر وقد بسطنا الكلام على ذلك، في كتابنا الجوهر الفريد في علم التوحيد، وما قاله في ذلك علماء الشريعة ومشايخ الصوفية رحمهم الله تعالى. فليراجع ذلك في الجزء السابع من الكتاب المذكور، وبالله التوفيق. واختلفوا هل بعث الله تعالى من الجن إليهم رسلا قبل بعثه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال الضحاك: كان منهم رسل لظاهر قوله تعالى: امعشر الجن والإنس ألم يأتكم

رسل منكم

«٦» وقال المحققون: لم يرسل إليهم منهم رسول ولم يكن ذلك في الجن قط وإنما الرسل من الإنس خاصة، وهذا هو الصحيح." (١)

"فمن ذلك سعد وكبابة ودار صيني بالسوية يدق ويستف منه مثقال لا سيما بعد القيء المستقصى وسف الكزبرة والنعناع ومضغ العود الرطب وكذلك السعد وأكل البصل يخفى رائحة الشراب والفوتنج النهري إذا مضغ قطع رائحته. انتهى كلام العنبري.

وقال التيفاشي في كتابه سرور النفس بمدارك الحواس الخمس وهو عدة مجلدات إنني لما رأيت لهج الخلفاء والملوك وشغف جمهور الأمم من العرب والعجم بشرب شراب العنب واختلاف مذاهبهم في استعماله مع الاتفاق على الميل إليه على تباين بخلهم ومللهم وقد ذكر عن الأحنف بن قيس أن رجلا قال له يا أبا بحر ما ألذ الأشربة فقال له الخمر فقال كيف علمت ولم تذقها قال لأني رأيت من أحلت له لا يصبر عنها ورأيت من حرمت عليه يخطئ البهائم ووجدت جل من يستعمل هذا المشروب لا يفي له خيره بشره ولا يقوم نفعه بضره وذلك لجهله بوجه استعماله فإن من المعلوم أن الخمر إنما المقصود من شربها منفءتان إحداهما للنفس بالتفريح ونفي الهموم وأخراهما للبدن بحفظ صحته عليه ونفي الأمراض النازلة به وتحقق عند كل من له أدنى مسكة من عقل أنها إذا استعملت على غير ما ينبغي انعكست هاتان المنفعتان مضرتين فصار عوض السرور هما وغما وضجرا وسوء خلق وعوض الصحة مرضا مزمنا أو موتا فجأة حسبما نشرحه إلا أنه لا يقتصر الأمر على عكس هاتين المنفعتين فقط بل يتعدى إلى مضار أخرى عظيمة إن سلمت المهجة كذهاب العقل والمال والجاه والذكر الجميل بل لا يقف الأمر على ذلك بل يتعدى الضرر إلى الأعقاب فإن الحكماء أجمعوا قاطبة على أن مدمن الخمر لا ينجب وإن أنجب كان الولد أحمق. انتهى كلام التيفاشي.

ونقلت من مجموع بخط بعض الأفاضل قد ذكر الحكماء والأطباء والعلماء والشعراء والفضلاء والبلغاء من مضار الخمر ومنافعها وبهجة عواريها وطوالعها فمن ذلك قولهم الخمر يسخن الجسم ويجود الهضم ويرطب الأعضاء ويسكن القيء والعطش إذا مزجت وتدر البول وتسهل الطبيعة وتسر النفس وتحدث النشاط والطرب والأريحة لا سيما في الأبدان المعتدلة هذا في أخذ القصد فإذا أكثر منها أحدث ذلك السهر وورم الكبد وقلة شهوة الجماع والغذاء والنسيان والبخر والرعشة والدمع وضعف البصر والحميات واختلاط العقل

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٣٠٣/١

والتبلد والسكتة والصرع وموت الفجأة لأن الخمر تملأ الدماغ فتغمر الحرارة كما يغمر الدهن نار السراج فيطفأ. انتهى.

الفصل الثالث

في آداب منتشيها وما يجب على مستعمليها

ينبغي للمعاشر والنديم المجالس للملوك والرؤساء أن يكون نظيف الكف نقي الظفر متعاهد التقليمة والتخليل بين أصابعه وغسل يده ومعصمه في أوقات وضوئه ومطعمه طيب المعاني عطر البشرة نظيف الوجه والشارب والأنف نقي الجبين مستعملا للسنوت وأخذ السعد بالغدوات وتسريح اللحية وتنظيف الثياب وعمامته خاصة لأن العين كثيرا ما تقع عليها متعطر بالبخور والغالية والدراير على الشعر والثياب وليجلس في مرتبته بحسن أدب وسكون جاشر بغير اتكاء ولا مد رجل ولا عبث بثوب ولا بلحية ولينهض بنهوض الملك ويجلس حيث يشير إليه ويدنو إذا استدناه ويجيبه إذا سأله ولا ينهض عن المائدة أولا ولا يمد يده مبتدئا ولا يلعق أصابعه ويعيدها في الطعام ولا يغمس أنامله ولا يسرع المضغ ولا يكثر الضحك والكلام ولا يعض اللحم بأسنانه ولا يرد ما عض في الصحفة ولا يتناول ما بين يدي غيره ولا يكثر اللقم ولا يفتت الخبز ولا يخلخل الملح ولا يتلقط الدسم بالخبز ولا يكثر من اغتراف الحبوب والأمراق خوفا من أن يسيل على الثياب وينسب إلى الشره وسوء الأدب ولا يفسخ الدجاج بيده بعنف خوفا من الاندلاق وهو أن يكون تحت جلد الدجاجة أو في أوراكها دسم فيطير على ثياب من بازائه بل يقطع بالسكين على تواضع ولا يحصر الزيتونة بشدة فربما طارت نواتها فأصابت وجه جليسه ولا يحمل بيده الحلوى بكثرة ولا يدخل إلى فيه الطعام الحار ثم يخرجه من فيه ولا ينفخ فيه وفي المرقة ليبرد ولا يكثر شرب الماء ولا يتجشى ظاهرا ولا يمشمش العظام ولا ينفض المخاخ ولا يعض الفواكه إن حضرت قبل الطعام ولا يمد يده إلى قطعة لحم مشهورة ولا بيضة منضورة ولا سنبوسجة مشتهاة ولا ما تقع الشهوة عليه ولا ما تسارع النفس إليه ويجب أن يتجنب الخمرة في مجالس الملوك ومن يخاف على عرضه.." (١)

"فمتى سلكت من الهموم مهالكا ... صادفت في فتح الدنان مطالبا

ومتى امتطيت من الكئوس كميتها ... أمسيت تمشي في المسرة راكبا

ومتى طرقت عشى أنس ديرها ... لم تلق إلا راغبا أو راهبا

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٦٨

وقال الشيخ عز الدين الموصلي لنفسه تغمده الله برحمته:
لأن شبه الساقي المداد بعسجد ... فقد مال بالتشبيه عن صنعة الأدب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا ... فموه لما حلت الكاس بالذهب
ونقلت من خط الشيخ بدر الدين البشتكي لنفسه:
وخمار هدينا في الدياجى ... بجذوة كأسه وسنا النديم
سألنا منه عن خمر حديثنا ... فأخبرنا عن العصر القديم
قلت: وعلى ذكر الحديث قال أبو بكر بن عياش كنت وسفيان الثوري وشريك نمشي بين الحيرة والكوفة فرأينا شيخا أبيض الرأس واللحية حسن السمت فقلنا هذا شيخ جليل قد سمع الحديث ورأى الناس وكان سفيان أطلبنا للحديث وأشدنا بحثا وأعلمنا به وأحفظنا له فتقدم إلى الشيخ وسلم عليه ثم قال له أعندك شيء من الحديث فقال له أما الحديث فلا ولكن عندي عتيق سنين قال فنظرنا فإذا الشيخ خمار.
نادرة: قيل لخالد بن صفوان أتمل الحديث قال إنما العتيق يمل.
رجوع. وقال المرحوم فخر الدين بن مكانس:
من شرطنا إن أسكرتنا الطلا ... صرفا تداوينا بشرب اللما
نعاف مزج الماء في كأسها ... لا آخذ الله السكارى بما
وقال بدر الدين بن الصاحب:
يأيها العاصر بادر إلى ... عنقودك الفاخر في كرمه
إياك أن تتركه ساعة ... تزبب النحس على أمه
وقال مجير الدين بن تميم:
وليلة بت اسقي في غياهبها ... راحا تسل شبابي من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت إلى ... غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم
ولما تمثلت في أواخر سنة خمس وتسعين وسبعمائة بين يدي سيدنا ومولانا أوحد العصر من غير مدافع ولا منازع أقضى القضاة بدر الدين محمد بن أبي بكر المخزومي الشهير بالدماميني أسبغ الله ظلاله تذاكرنا بين يديه الكريمة الكتب وحسن أسمائها فأخبرنا أنه في زمن الصبا جمع مقاطيع من الخمريات وسماها مقاطع الشرب تأمل ما ألطف هذه التسمية.
القصائد قال الشيخ العالم المفنن البارع صدر الدين محمد بن المرحل ويعرف في الشأم بابن وكيل بيت

المال تغمده الله بالرحمة (مولده سنة خمس وستين وستمائة ووفاته سنة ست عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى) :

ليذهبوا في ملامى أية ذهب ... في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب

لا تأسفن على مال تمزقه ... أيدي سقاة الطلا والخرد العرب

والمال أجمل وجه فيه تصرفه ... وجه جميل وراح في الدجى لهب

فما كسوا راحتي من راحها حللا ... إلا وعروا فؤادي الهم واستلبوا

راح بها راحتي في راحتي حصلت ... فنمى عجبي بها وازداد بي العجب

إذ ينبع الدر حلو من مذاقته ... والتبر منسبك في الكأس منسكب

وليست الكيمياء في غيرها وجدت ... وكل ما قيل في أبوابها كذب

قيراط خمر على القنطار من حزن ... يعيد ذلك أفراحا وينقلب

عناصر أربع في الكأس قد جمعت ... وفوقها الفلك السيار والشهب

ماء ونار وهواء أرضها قدح ... وطوقها فلك والأنجم الحبب

ما الكاس عندي بأطراف الأنامل بل ... بالخمس تقبض لا يخلو لها الهرب

شججت بالماء منها الرأس موضحة ... فحين أعقلها بالخمس لا عجب

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي لو لم يقل الشيخ صدر الدين من الشعر إلا هذا البيت لكان قد أتى بشيء غريب نهاية في البديع لقد غاص فيه عل المعنى ودق تحيله فيه:

وما تركت بها الخمس التي وجبت ... وإن رأوا تركها من بعض ما يجب

وإن أقطب وجهي حين تبسم لي ... فعند بسط الموالي **يحسن الأدب**

هذا البيت أيضا بديع المعنى دقيقه وقد اعتذر عن اقتضابه بأحسن عذر وأوضحه وما أحسن قول ابن رشيق:

أحب أخي وإن أعرضت عنه ... وأقل على سامعه كلامي

ولي في وجهه تقطيب راض ... كما قطبت في وجهه المدام

وتتمة الأبيات:

عاطيتها من بنات الترك عاطية ... لحاظها للأسود الغلب قد غلبوا

هيفاء جارية للراح ساقية ... من فوق ساقية تجري وتنسكب." (١)

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٧٧

"قال الخوارزمي من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وأهاجي الحطيئة وهاشميات الكميت وقلائص جرير وخمريات أبي نواس وتشبيهات ابن المعتز وزهريات أبي العتاهية ومراثي أبي تمام ومدايح البحتري وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم ولم يخرج إلى الشعر فلا شب الله قرنه.
وإذا نثرت منظوما فغير قوافي شعره عن قرائن سجعه وإذا سرقت معنى فغير الوزن والقافية ليخفي ذلك وإذا أخذت شعرا فزد على معناه وانقص من لفظه واحترز مما يطعن به عليك فحينئذ تكون أحق من قائله وأن لا يكاتب العامة بكلام الخاصة ولا بالعكس وأكثر من حفظ النظم والثر فعلي قدر مل يحفظ منه يقوي فيه وأعلم أن الشعر يسخي البخيل ويشجع الجبان ويفرج الهموم ويرضي الغضبان وكذلك قالوا الشعر يعد من السحر وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا" وقال الشافعي في كتاب الأم: والشعر كلام كالكلام فحسنه كحسنة وقبيحة كقبيحة وفضله على سائر الكلام أنه سائر في الناس يبقى على الزمان فينظر فيه وإن كان حسنا كان كغيره من الكلام الحسن. انتهى.
وقال الشيخ برهان الدين القيراطي في خطبة ديوانه ويكفي من تفضيله أن النبي صلى الله عليه وسلم استنشد بعض الصحابة من شعر أمية فأنشده مائة قافية، وكانت الصديقة تحفظ للبيد ألف بيت وافية، وكان الشعبي يقول لو شئت أن أملي عليكم من إنشادي شهرا لا أعيد بيتا لفعلت، وكان الأصمعي يحفظ أثني عشر ألف أرجوزة، وما زال السلف يحفظون الشعر قديما ويتخذونه في الخلوات نديما وينشدونه في مواطن المؤانسة ويوردون دقائقه في ساعات المجالسة، ولو أوردنا ما ورد في فضله من الآثار المسندة والأخبار الممهدة لوقف الناظر منها على حجج قوية ومحجة ضوية، ولقد كان جماعة من العلماء الراسخين والأئمة الورعين لهم في صناعة الشعر الغاية وانتهوا في الإجادة فيه إلى النهاية يعرف ذلك من وقف على تراجمهم وأحصاها وطالع أخبارهم واستقصاها.
وحديث "احثوا في وجوه المداحين التراب" فالمراد به الغلو والإطراء واستقباح المدح المفرط كلاما وشعرا ونظما ونثرا ولا يختص ذلك بالشعر وحده لما يخشى من افتتان سامعه عنده.
وقال أبو بكر الهذلي: قال لي الشعبي أتحب الشعر قلت نعم إنما تحبه فحول الرجال ويكرهه مؤنثوهم ثم إن الناظمين لأرواح الآلية أفراد والظافرين بفرائده ذوو انفراد والسالكين للمناهج الفاصلية أضمرتهم البلاد والمقتفين لمنار السراج والمتحليين بحيلة الجمال قلت منهم الأعداد والمؤلفين لعقودها المتواتر مدحها أجادوا بما أذعانه إغماد وجهال ما لهم بالأشعار إشعار راموا الوصول إلى معانيه اللطيفة بطباع كثيفة وحاولوا أسبابه الخفيفة بنفوس ثقيلة وأسبابه الثقيلة بعقول خفيفة لا يظفر أحد منهم بأبيات أوتاده وإن كان في عتوه

ذو الأوتاد ولا يتجملون من ملابسه بما يسترهم وإن تعصبوا أو نقبوا في البلاد ولا يجيبون من ألفاظهم اليابسة إلا بما يقال لهم إذا قطعوه جابوا الصخر بالواد فيقال لمجيدهم إذا أتى بلفظ وزنه وأخلاه من المعاني الحسنة إذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده فقل أنا وزان وما أنا شاعر ثم إن منهم من يظفر بمعنى ولكن يقلبه تركيبا ويركبه مقلوبا ويأتي بجمل غير مفيدة وقد قلت في ذلك من قصيدة:

وشاعر بالمعاني لا شعور له ... مركب الجهل يبدي سوء تركيب

موكل بمعانيه يحرسها ... فما يركب معنى غير مقلوب

فما أولاه يركب على نفسه مقلوبا ويضرب بأذنه **على سوء الأدب** تأديبا. انتهى كلام القاضي برهان الدين.

وقال الشيخ والإمام العالم المفنن النحوي العروضي القاضي زين الدين عمر بن الوردي في خطبة الكلام على مائة غلام ولعمري ما أنصفني من سابي الظن أو قال عني كيف رضي مع درجة العلم والفتوى بهذا الفن فالصحابة كانوا ينظمون وينثرون ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون.." (١)

"آداب شرب الماء في مجلس الملوك اتفق أكابر العلماء بالأدب أن استدعاء الكوز في مجلس الملك والرئيس وشرب الماء في مواجهته **من سوء الأدب** وأما مجلس الملك خاصة فلا سبيل إلى شرب الماء فيه البتة، ذكر في سيرة كافور الأخشيدي حكاية ينتفع بسماعها من يلزم مجالس الملوك قالوا كان أبو جعفر مسلم وأبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير عند كافور عشية صيف ولم يكن عنده غيرهما فقال لهما قد اشتد الحر وللثلج أيام ما جاءنا من الشام وما كان كافور يذوق الثلج وغنما كانت الكيزان توضع عليه فيشرب منها وبهذا سلم من ضرر الثلج فبينما هم كذلك إذا خبر بمجيء الثلج فقال هاتوا ثلاث كيزان فجاءوا بها فأخذ كافور كوزا فشربه واخذ أبو الفضل كوزا وشربه وأخذ أبو جعفر كوزا وقام فخرج من المجلس وشربه ثم عاد وأكب على يد كافور ثم قعد أبو جعفر ساعة وانصرف وأراد أبو الفضل أن ينصرف فشاغله كافور ثم قال هاتوا أبا اليمن فجاء فقال زد في جزاءة الشريف أبي جعفر ألف دينار في كل عام وإنما اجلس أبا الفضل ليريه مكافأته لأبي جعفر عن حسن أدبه معه في شرب الماء.

كتب أبو الخطاب الصابي إلى عمه أبي اسحق الصابي مع كوز ما بعث به إليه شرط المودة أطال الله بقاء سيدي أن لا أنفرد دونه بلذة ولا اختص قبله بعطية إذا كان لا فرق بين محبتي ومحبة ولا فصل بين مبرتي ومبرته وقد شربت الساعة في هذا الكوز فوجدته أعذب ارتشافا من الأفواه وأحلى مصا من الشفاه وأصفى جوهرا من فاخر الدر وأنقى من الثنايا من المسك الأذفر:

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٠٦

رقت حواشيه فخ ... ف على الأنامل والقلوب
فكأنه مستعمل ... من طيب أنفاس الحبيب
يتم على القدا ولا يحول بين الماء والهوى يلطف عن صفاء الزجاج ولا يحوج الغلام إلى الثلاج أن أفرغ شف وان أترع رف تتساوى المياه فيه عذوبة وتعجب العيون قبل النفوس رؤية:
اشهى إلى الأبصار من ... وجه الحبيب بلا رقيب
تهدى لنا أنفاسه ... ما فيك من كرم وطيب
حتى كان طينته من طينتك وعذوبته مشتقة من عذوبتك وقد أنفدته مملوءا إليك لتعلم أن قبلى مملوء من المحبة عليك والسلام.
وقال صالح بن يونس في كوز ومرفع:
أم الحياة على سرير من نحاس ... عريانة أبدا بغير لباس
هي في الممات لدى الورى معدودة ... لكنها ضمنت حياة الناس
وأهدى رجل لرئيس كيزانا وكتب إليه:
ما بعثت الكيزان إلا احتيالا ... جعلت مهجتى وروحي فداكا
منعتني الأيام تقبيل كفي ... ك فأرسلتها تقبل فاكا
ولا يسمى الكوز كوزا لا إذا كان له عروة وإلا فهو كوب وعى ذلك فسر قوله عز وجل (بأكواب وأباريق) ولذلك نظائر في اللغة وهو ما أن المائدة لا يقال لها مائدة إلا إذا كان عليها الطعام وإلا فهي خوان كما تقدم ولا يسمى الكأس كأسا إلا وفيه شراب وإلا فهو قدح وإلى ذلك أشار العلامة ذو الوزارتين وأمام العروتين لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب وزير صاحب الأندلس وكاتم سره في قوله لما وقف على كتاب ديوان الصبابة تأليف الشيخ شهاب الدين احمد بن أبي حجلة مخاطبا له على قوله في الكتاب المذكور:
كتاب حوى أخبار من قتل الهوى ... وسار بهم في شرق ومغرب
مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل ... يشيب فيها بالرياب وزينب
قوله هذه الأبيات:
يا من أدار من الصبابة بيننا ... قدحا ينم المسك من رياه
وأتى بريحان الحديث فكلما صبح النسيم براحة حياه

أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى ... لكن أهيم بذكر من أحياه

أنشدني هذه الأبيات المرحوم فخر الدين بن مكانس وذكر أن شهاب الدين بن أبي حجلة أنشده إياها وأنه تبجح بكونه مدح كتابه قال فقلت له يا شيخ شهاب الدين خثر عليك لسان الدين وذكر أن كتابك فارغ من المحاسن قال وكيف ذا قلت لقوله:

يا من أدار من الصبابة بيننا ... قاحا ينم المسك من رياه

أما علمت أن الكأس لا يقال له الكأس إذا شرب وإلا فهو قدح فامتغص له شهاب الدين وأخبرني أن لسان الدين عارضه بكتاب سماه روضة التعريف بالحب الشريف في التصوف انتهى.." (١)

"ابن مجاهد١ وابن دريد٢ وكان ورعا عالما، يأكل من كسب يده، ولا يخرج من بيته إلى الحكم إلا بعد نسخ عشر ورقات، يأخذ أجرتها عشرة دراهم، وكان يتجاهر بالاعتزال، وله تآليف منها: "شرح كتاب سيبويه" وأحسن فيه.

مات سنة ٣٦٨ ٣.

١٠٠- الحسن بن عبد الله بن سعيد، أبو أحمد العسكري٤.

من عسكر مكرم، من أعلام اللغويين، وأبو هلال العسكري من أصحابه٥ وله أصحاب نبلاء.

مات سنة ٣٨٢ ٦.

١٠١- الحسن بن عبد الله بن سهيل، أبو هلال العسكري٧.

الأديب، اللغوي، تلميذ أبي أحمد المذكور قبله. له مصنفات جليلة منها

---

١ أحمد بن موسى بن العباس التيمي، كبير العلماء بالقراءات في عصره. من أهل بغداد. وكان حسن الأدب، رقيق الأخلاق. توفي سنة ٣٢٤. الأعلام ١/ ٢٤٦.

٢ أبو بكر وقد ترجم له المصنف برقم ٣١٠.

٣ مولده عند السيوطي قبل سنة ٢٧٠.

٤ ترجمته في بغية الوعاة ١/ ٥٠٦ ومعجم الأدباء ٨/ ٢٢٣ وإنباه الرواة ١/ ١٠3 وتاريخ ابن الأثير ٧/ ١٨٨ وتاريخ أبي الفداء ٢/ ١٣٣ ومرآة الجنان ٢/ ٤١٥ والنجوم الزاهرة ٤/ ١٦٣، وشذرات الذهب ٣/ ١٠٢ والأعلام ٢/ ٢١١ ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٣٩.

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٧٧

والعسكري: نسبة إلى عسكر مكرم، وهي مدينة في الأهواز. وله مصنفات.
٥ صاحب الترجمة القادمة. وهو ابن أخته.
٦ قال القفطي: "عاش إلى حدود سنة ثمان وثلاثمائة" وذكره ابن الأثير وأبو الفداء في وفيات سنة ٣٨٧. وذكره اليافعي وابن العماد وابن تغري بردي في وفيات سنة ٣٨٢. وزاد السيوطي: ولد سنة ٢٩٣.
٧ ترجمته في معجم الأدباء ٨/ ٢٥٩ وبغية الوعاة ١/ ٥٠٦ وطبقات المفسرين ص١٠ وخزانة الأدب ١/ ١١٢ والأعلام ٢/ ٢١١ ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٤٠.." (١)

"رتب العلماء في حسن العمل بمطلقه ومقيده وعمومه وخصوصه، وعنهما تفرعت أحكام الملة فملأت علومها جميع الآفاق، وزكت أحكامها الشرعية على كثرة الإنفاق، وسرى الناس منها على المحجة التي استوى في الإشراق ليلها ونهارها، وعلا على الملل بالبراهين القاطعة نورها ومنارها؛ وكفى أهلها شرفا أنهم يذبون عن سنة نبيهم ذب الليوث، ويجودون على الأسماع بما ينفع الناس في أمر دينهم ودنياهم منها جود الغيوث، ويحافظون على ألفاظها محافظة من سمعها منه صلى الله عليه وسلم، ويعظمون مجالس إيرادها ونقلها حتى كأنهم **لحسن الأدب** جلوس بين يديه، ويغالون في العلو طلبا للقرب منه وذلك من أسنى المطالب، ويرحلون لضم شوارده من الآفاق فياقرب المشارق عندهم من المغارب! ولما كان المجلس السامي الفلاني: هو الذي عني بكل ما ذكر من وصف كريم، وحديث ورع قديم، وقدم هجرة في علم الحديث اقتضت له حسن أولوية ووجوب تقديم، وتلقى هذا العلم كما وصف عن أئمته حتى صار من أعيانهم، ولقي منهم علماء أضحى باقتفائهم كما كانوا رحلة زمانهم، ونظر في علومه فأتقنها فكأنه ينطق فيها بلسان ابن الصلاح «١» ، وأحرز غايات الكمال، في أسماء الرجال، فإلى اطلاعه يرجع في تجريح المجرح وتعديل الصحاح؛ وكان منصب تدريس الحديث الشريف النبوي الذي أنشأناه بالجامع الحاكمي تكثيرا لنشر أحاديث من لا ينطق عن الهوى، ونويناه لارتواء الرواة من بحر هذا العلم الشريف بالإعانة على ذلك وإنما لكل امريء ما نوى، قد استغرقت أوقات مباشره بتفويضنا الحكم العزيز على مذهبه إليه، وتوفير زمانه على...... «٢»
قلت: وتختلف أحوال التواقيع التي تكتب بالتداريس باختلاف." (٢)

---

(١) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة الفيروزآبادي ص/١١٦
(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٤٢/١١

"وهذه نسخة توقيع بنظر الحسبة الشريفة، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله، مضافا إلى نظر أوقاف الملوك، وهي:

الحمد لله مثيب من احتسب، ومجيب المنيب فيما اكتسب.

نحمده حمدا رسب الأدب صرب الطرب «١» ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ظاهرة الحسب، طاهرة النسب، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل من انتدى وانتدب، وأدب أمته فأحسن الأدب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يكتتم أجرها فيكتتب، ويستتم بها كل صلاح [ويغتنم بها كلا فلاح] «٢» ، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد، فإن الحسبة الشريفة هي قانون جواد «٣» الأوضاع، ومضمون مواد الإجماع، تجمع إلى الشريعة الشريفة سياسة يرهب جدها، ويرهف حدها، وتتخشى الرعايا سطوات مباشرها، وتتنحى عما تصبه سيول بوادرها؛ وأصحابها الآلة التي هي أخت السيف في التأثير، ولكل منهما سطوة تخاف لا فرق بينهما إلا ما بين التأنيث والتذكير «٤» ، وله التصرف المطلق، والتعرف الذي يفتح من الحوانيت على أربابها كل باب مغلق، ولركوبه في المدينة زينة يحشر لها الناس ضحى، ورهبة يغدو بها كل أمين لشأنه مصلحا؛ وإليه الرجوع في كل تقويم، وهو المرجو في كل أمر عظيم؛ وهي بدمشق- حرسها الله تعالى- من أجل المناصب التي تتعلق [عو] «٥» اليها بيد متوليها وتؤمل منازل البدور، وإن ربها ترجع إلى تصريفه أزمة الأمور، وينتجع سحابه الهطل غمامة الجمهور، وتحيا به سنة عمرية «٦» لولاها لضاقت رحاب المعاملات، وضاعت بالغش المعايش." (١)

"فالبشرى لأهل الإسلام بما نحن عليه من الهمم المصروفة إلى الاستعداد، وجمع العساكر التي تكون لها الملائكة الكرام إن شاء الله تعالى من الأنجاد؛ والاستكثار من الجيوش الإسلامية المتوفرة العدد، المتكاثرة المدد؛ الموعودة بالنصر الذي يحفها في الظعن والإقامة، الواثقة [به] «١» من قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على عدوهم إلى يوم القيامة» . المبلغة في نصر دين الله آمالا، المستعدة لإجابة داعي الله إذا قال: انفروا خفافا وثقالا
«٢» .

وأما رسلهم فلان وفلان فقد وصلوا إلينا، ووفدوا علينا؛ وأكرمنا وفادتهم، وغزرنا لأجل مرسلهم من الإقبال مادتهم، وسمعنا خطابهم، وأعدنا عليهم جوابهم؛ هذا مع كوننا لم يخف علينا انحطاط قدرهم، ولا ضعف

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٢/٦٠

أمرهم؛ وأنهم ما دفعوا لأفواه الخطوب، إلا لما ارتكبوه من ذنوب؛ وما كان ينبغي أن يرسل مثل هؤلاء لمثلنا من مثله، ولا ينتدب لمثل هذا الأمر المهم إلا من يجمع على فصل خطابه وفضله.

وأما ما التمسوه من الهدايا والتحف، فلو قدموا من هداياهم حسنة لعوضناهم بأحسن منها، ولو أتحفونا بتحفة، لقابلناها بأجل عوض عنها. وقد كان عمهم الملك أحمد راسل والدنا الشهيد، وناجى بالهدايا والتحف من مكان بعيد؛ وتقرب إلى قلبه بحسن الخطاب، فأحسن له الجواب؛ وأتى البيوت من أبوابها **بحسن الأدب**، وتمسك من الملاطفة بأقوى سبب.

والآن فحيث انتهت الأجوبة إلى حدها، وأدركت الأنفة من مقابلة ذلك الخطاب غاية قصدها؛ فنقول: إذا جنح الملك للسلم جنحنا لها، وإذا دخل في الملة المحمدية ممتثلا ما أمر الله تعالى به مجتنبا ما عنه نهى، وانتظم في سلك الإيمان، وتمسك بموجباته تمسك المتشرف بدخوله فيه لا المنان، وتجنب التشبه بمن قال." (١)

"سمع على الفخر بن البخاري مشيخته.

وبقي الى سنة أربعين وسبعمائة.

٦٥٧- أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن علي بن جعفر بن جرادة القرشي الشهير بابن السراج المصري أبوالعباس.

سمع على أبي الحسن علي بن الجميزي سنن الشافعي عن ابن الجميزي.

وسمع عليه الشيخ تقي الدين ابن عزام السابق ذكره من قوله في الجزء الأول باب الصلاة على الراحلة الى آخر الجزء الثاني وينتهي لنصف الكتاب.

وعلى عبد الوهاب بن رواج فتوح الشام تأليف أبي اسماعيل محمد بن عبد الله بن عمار الأسدي المقرئ بسماعه من الحافظ السلفي **وكتاب سوء الأدب** لأبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله١ بن الجنيد في خمسة أجزاء والمحدث الفاصل للرامهرمزي والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد وسؤالات بن الجنيد ليحيى بن معين ومجلس القطان واشتقاق الأسماء للخلال ومجلس من حديث ابن المظفر وجزء من حديث أبي يعلى الخليلي ومجلس السلمي.

وحدث سمع منه القطب الحلبي وغيره.

ومات في الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وسبعمائة بمصر ومولده تقريبا سنة خمس وثلاثين

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٧١/٧

وستمائة.

٦٥٨- أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن بن أبي الفتح بن وثم الصوري ثما الصالحي الحنبلي تقي الدين أبو العباس المسند الخير.

سمع في سنة اثنين وعشرين وستمائة على مجد الدين أبي المجد محمد بن أحمد بن الحسين بن أحمد القزويني شرح السنة للبغوي وعلى الحسين بن

٦٥٧- راجع ترجمته في: الدرر الكامنة ١٦٧/١، وفيه بدل جراده دراده.

١ زيادة من أ.

٦٥٨- راجع ترجمته في: شذرات الذهب ٣/٦، الدرر الكامنة ١٦٨.." (١)

"وعلى أبي غالب محمد بن الحسن الباقلاني كتاب الأدب المفرد للبخاري.

وعلى أبي بكر أحمد بن علي الحسين الطريثيثي كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي داود السجستاني.

وعلى أبي الحسين أحمد بن فتح المقري كتاب فتوح الشام لمحمد بن عبد الله بن عمار.

وعلى ثابت بن بندار كتاب المدخل لأبي بكر الاسماعيلي انا البرقاني عنه ومعجم شيوخ الاسماعيلي.

وعلى محمد بن علي بن أبي العلاء كتاب الفصل للوصل تأليف الخطيب البغدادي.

وعلى أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي ابن الطيوري كتاب تاريخ مكة للأزرقي **وكتاب سوء الأدب** لإبراهيم بن عبد الله الجيلي وكتاب المصاحف لابراهيم بن محمد بن عرفة بعطونه وكتاب المحدث الفاصل للرامهرمزي.

وعلى الحسين بن أحمد بن السر المصافحة للبرقاني.

وعلى أبي الفتح اسماعيل بن عبد الجبار المساكي كتاب الارشاد للحافظ أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي عنه.

وعلى أبي بكر أحمد بن علي بن الحسين الطريثيثي كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة لأبي القاسم اللالكائي ١.

مات في خامس ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة وتجاوز المائة بلا شك.

٧٢٢- أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سجمان البكري الوائلي

---

(١) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد التقي الفاسي ٣٣٠/١

١ زيادة من أ.

٧٢٢- راجع ترجمته في: شذرات الذهب ٤٧/٦، طبقات ابن قاضي شهبة ٢١٠/٢، الدرر الكامنة ٢٤٦/١، النجوم الزاهرة ٢٤٢/٩.." (١)

"نقلت من خط القاضي كمال الدين بن العديم من مسودة تاريخه أن ابن الدقاق البلنسي الشاعر المشهور كان يسهر الليل ويشتغل بالأدب وكان أبوه حدادا فقيرا فلامه وقال يا ولدي نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذي تسهر عليه فاتفق أنه برع في العلم والأدب وقال الشعر وعمل في أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة مطربة أولها:

يا شمس خدر ما لها مغرب ... وبدر تم قط لا يحجب

وقال منها:

ناشدتك الله نسيم الصبا ... أين استقرت بعدنا زينب

لم تسر إلا بشذا عرفها ... أولا فماذا النفس الطيب

فأطلق له ثلثمائة دينار فجاء إلى أبيه وهو جالس في حانوته فوضعها في حجره وقال خذ هذه وابتع بها زيتا انتهى.

حكي عن عبد العزيز بن الفضل قال خرج القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن شريح وأبو بكر بن داود وأبو عبد الله نفطوية إلى وليمة فأفضى بهم الطريق إلى مكان ضيق فأراد كل منهم تقديم صاحبه عليه فقال ابن شريح ضيق الطريق **يورث سوء الأدب** فقال ابن داود لكنه تعرف به مقادير الرجال فقال نفطويه إذا استحكمت المودة بطلت التكاليف. وحكي عن شريح جد أبي العباس المشهور بالصلاح الوافر أنه كان أعجميا لا يعرف بلسان العرب شيئا فاتفق له أنه رأى الباري عز وجل في النوم فحادثه وقال يا شريح طلبكن فقال يا خدادي سار بسار وهذا لفظ أعجمي معناه بالعربي يا شريح أطلب فقال يا رب رأسا برأس." (٢)

"وما أحلى ما ناسب ابن هانئ، قسمي مطلعه بالاستعارات الفائقة، حيث قال:

بسم الصباح لأعين الندماء ... وانشق جيب غلالة الظلماء١

وقال الشريف أبو جعفر البياضي، يشير إلى الرفق بالإبل عند السرى٢، وتلطف ما شاء في تناسب القسمين،

---

(١) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد التقي الفاسي ٣٧٢/١

(٢) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ٦٧/١

حيث قال:

رفقا بهن فما خلقن حديدا ... أو ما تراها أعظما وجلودا

وهذه القصيدة، طريقها الغريب، لم يسلكها غيره، فإن نسجها جميعها على هذا المنوال ومنها:

يفلين ناصية الفلا بمناسم ... وسم الوجا بدمائهن البيدا3

فكأنهن نثرن درا بالخطا ... ونظمن منه بسيرهن عقودا

ومما يعذب في الذوق من هذا الباب قول ابن قاضي ميلة:

يزيد الهوى دمعي وقلبي المعنف ... ويحيي جفوني الوجد وهو المكلف

وقد نبه مشايخ البديع على يقظة الناظم في حسن الابتداء، فإنه أول شيء يقرع الأسماع ويتعين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين، وتفقد ما يكرهون سماعه ويتطيرون منه، ليتجنب ذكره، ويختار لأوقات المدح ما يناسبها. وخطاب الملوك في حسن الابتداء هو العمدة في **حسن الأدب** فقد حكي أن أبا النجم الشاعر، دخل على هشام بن عبد الملك في مجلسه، فأنشده من نظمه:

صفراء قد كادت ولما تفعل ... كأنها في الأفق عين الأحول4

وهشام بن عبد الملك أحول، فأخرجه وأمر بحبسه.

وكذلك اتفق لجرير مع أبيه عبد الملك، فإنه دخل عليه وقد مدحه بقصيدة حائية أولها: "أتصحو أم فؤادك غير صاح". فقال له عبد الملك: بل فؤادك يا بن الفاعلة.

---

1 الجيب: من الثوب مكان إدخال الرأس منه - الغلالة: الثوب والستر.

2 السرى: السير ليلا.

3 يفلين: يثلمن - الناصية: غرة الشيء وأوله وناصية الأرض وجهها - الفلا: الفلاة: وهي الأرض الواسعة - المناسم: مفردها منسم وهو للإبل بمثابة القدم للإنسان - وسم: علم - الوجا: نوع من السير الذي يشقق المناسم.

4 هذا البيت في مدح هشام بن عبد الملك الأحول وهو في صفة الشمس قبيل الغروب.." [(1)]

"فإنه استوفى ما أراده من المدح في الشطر الأول، ثم احتاج إلى تتميم البيت، وأراد إتمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحسانا وتوكيدا، فأخرجه مخرج المثل السائر، حث قال: تركتني أصحب الدنيا بلا

---

(1) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة 21/1

أمل، ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى، لأن المدح إذا خرج مخرج المثل كان أسير في الأرض.

قال ابن أبي الأصبع: هذا البيت إن نظر فيه إلى قول أبي الطيب المتنبي:

تمسي الأماني صرعى دون مبلغه ... فما يقول لشيء ليت ذلك لي ١

فبيت ابن نباتة أفضل من بيت المتنبي، لأنه **أحسن الأدب** مع ممدوحه، إذ لم يجعله في حيز من يتمنى شيئا وجعل في قدرته وجوده ما يبلغ مادحه كل أمنية، فلم يبق له أمل، وإن كان في بيت المتنبي زيادة من جهة المبالغة، في قوله: دون مبلغه، واستعارة في اللفظ، بقوله: تمسي الأماني صرعى، ففي بيت ابن نباتة أن كل ما جعله المتنبي لممدوحه، جعله ابن نباتة لمادحه، مع زيادة المبالغة في المدح، بكونه أخرجه مخرج المثل السائر كما بينا، فهو أشهر وأسير وأبقى. وإذا تأمل الناظر في البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله في صدر بيت ابن نباتة، لأن حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الأماني، وهذا قد استقل به صدر بيت ابن نباتة، والعجز ملزوم صدره، لأن من نال كل أمل صحب الدنيا بلا أمل، غير أن ابن نباتة لكونه أخرج العجز مخرج المثل، صار كأنه استأنف معنى آخر مستقلا بجميع معنى بيت المتنبي، مع كونه زاد بأن جعل للمادح ما جعله المتنبي للمدوح، وهذا غاية في **حسن الأدب**. وقد ترجح بيت ابن نباتة على بيت المتنبي من وجوه. انتهى كلام ابن أبي الأصبع في النقد الحسن الذي قرره على بيت أبي الطيب المتنبي وبيت ابن نباتة.

وقد يختلط على بعض الناس هذه الأبواب الأربعة، وهي: باب الإيغال، والتذييل، والتمكين، والتكميل، والفرق ظاهر، فإن الإيغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الروي وما يتعلق به، وهو أيضا مما يأتي بعد تمام المعنى، كالتكميل والتذييل. وأما التمكين فليس له مدخل في هذه الأبواب، لأنه عبارة عن استقرار القافية في مكانها، لأها لا تزيد معنى البيت، بل إذا حذفت نقص معنى البيت، لأنها ممكنة في قواعده، وأما التكميل، فإنه وإن أتى بعد تمام المعنى، فهو يفارق الإيغال والتذييل من وجهين: أحدهما، كونه يأتي في الحشو والمقطاع، والإيغال والتذييل لا يكونان إلا في المقطاع دون الحشو

---

١ صرعى: قتلى، دون مبلغه: قبل الوصول إليه، ولا تصل إليه، لأنه لا يتمنى شيئا فكل شيء عنده محقق له.." (١)

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢٤٤/١

"كأني بمتأمل نظر في رسم كتابة هذا الزجل، فأنكره لبعده عن رسم الألفاظ المعربة الخالية من اللحن، ويعذر في ذلك، لأنه ليس له إلمام بمصطلح رسمه؛ ومن رسمه على غير هذا الطريق لم ينفذ له مرسوم، فإنه يؤديه إلى خطأ وزنه، وعراف لحنه. ومصنفه، أبو بكر بن يحيى بن قرمان الوزير، قال في خطبته: وقد جردته من الإعراب، تجريد السيف من القراب. ولم يطلب من الزجل غير عذوبة ألفاظه وغرابة معانيه. انتهى.

ومن التواجيه اللطيفة في الطب، ما اتفق أن بعض الملوك خرج لقتال أعدائه، فأيده الله بنصره، فطلب كاتب إنشائه ليكتب على الفور حكاية الحال، فتعذر وجوده في ذلك الوقت، فطلب طبيبه وأمره بالكتابة بسرعة، وكان الطبيب حاذقا فكتب موجها في صناعته: أما بعد فإنا كنا مع العدو في حلقة كدائرة البيمارستان٣، حتى لو رميت مبضعا لم يقع إلا على قيفال٤، ولم يكن إلا كجس نبضة أو نبضتين، حتى لحق العدو بحران عظيم. فهلك بسعادتك يا معتدل المزاج. وكان أبو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامي وسراج الدين الوراق لم يخرجوا عن هذا النوع في غالب نظمهم، ويأتي الكلام على ذلك في مواضعه من باب التورية، وأما توجيه أسماء أنواع البديع فهو نسيج وحده، وواسطه عقده وما ذاك إلا أنه رسم لي بإنشاء توقيع المقر الأخوي الزيني، عبد الرحمن بن الخراط الشافعي، أحد أعيان العصر في الأدب، بكتابة السر بثغر طرابلس، وأنا منشئ ديوان الإنشاء الشريف الميدي بالديار المصرية، فقصدت التوجيه بالأنواع المذكورة لتحصل الملاءمة ومراعاة النظير بذلك، فإن صاحب التوقيع من المتميزين على كلا الحالين **بحسن الأدب**، فمن ذلك قولي في فصل التعدية، وبعد فمنهل إنعامنا الشريف قد حلينا لأهل الأدب مورده، لتصير عقود إنشائنا بجواهر منثوره منضده، وتطلع كل براعة باستهلالها في أشرف الطالع، وتسكن النزاهة طباق البديع للمقابلة فيتنزه الناظر و السامع، ويقوم الاستخدام بما يجب عليه من واجب الخدمة، ويزيل الاقتباس بنوره عن أهلته كل ظلمة، وتجول خيول الاستطراد في رد العجز على صدره، ويحصل لأهل الأدب في زماننا تمكين فيظهر الافتتان في نظمه ونثره، ويصير لفقه المذهب الكلامي في أيامنا الشريفة ترشيح ومماثلة ومناسبة، ويبرز في توشيح التسليم من غير اعتراض مناقضة ومواربة، ويجنح العصيان إلى الدخول تحت الطاعة، ويسمع القول بموجبه من غير مراجعة في كل براعة، ويزول التجاهل بالعارف، ويصير التسجيع والموارية عند إيجازه بالمواقف.

---

١ البيمارستان: المستشفى "فارسية معربة".

٢ القيفا: الوريد الذي في جانب العضد "معربة".." (١)

"طالما بلد لبيدا، وولى منه شعر ابن مقبل شريدا، وقالت الآداب لبحتري لفظه ألم نربك فينا وليدا، وإن نثر فما الدر اليتيم إلا تحت حجره، ولا الزهر النضير إلا ما ارتضع من أخلاف قطره، ولا المرسلون إلا من تصرف في ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره. وإن تكلم على فنون الأدب روى الظما، وجلا معاني الألفاظ كالدمى، وقالت الأعاريض لابن أحمد وله: "خليلي هبا بارك الله فيكما".

هذا وكم أثنى قديم علم الأوائل على فكره الحكيم، وشهدت رواية الحديث النبوي بفضله، وما أعلى من شهد بفضله الحديث والقديم.

بدأتني أعزك الله، من الوصف بما قل عن مكاني، وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني. وحملت كاهلي من المنن ما لم يستطع، وضربت لذكري في الآفاق نوبة خليلية لا تنقطع، وسألتني، مع ما عندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها، وثمر من غرسها، أن أجيبك وأجيزك وأوازن بمثقال كلمي الحديد إبريزك٣، وأقابل لسانك المطلق بلساني المحصور، وأثبت استدعاءك على بيت مال نطقي المكسور، فتحيرت بين أمرين أمرين، ووقع ذهني السقيم بين داءين مضرين: إن فعلت ما أمرت به فما أنا من أرباب هذا القدر العالي، والصدر الحالي، ومن أنا من أبناء مصر حتي أتقدم لهذا الملك العزيز، وكيف أطالب مع إقتار علمي بأن أمدح وأجيز. وإني لمقيد خطوي هذه الوثبات، وأني يماثل قوة هذا الغرس ضعف هذا النبات.

وإن منعت فقد أسأت الأدب والمطلوب حسن الأدب مني، وأهملت الطاعة التي أقرع بعدها برمح القلم سني، وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الأفق وقال قطني٤. ثم ترجح عندي أن أجيب السؤال، وأقابل بالامتثال، صابرا على تهكم سائلي، معظما قدري كما قيل بتعاقلي٥، منقادا إلى جنة استدعائك من السطور بسلاسلي، وأجزت لك أن تروي عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور، ومنظوم ومنثور، وإجازة ومناولة ونقل وتصنيف، وتنضيد وتفويف٦، وماض ومتردد. وآت على رأي بعض الرواة ومتجدد، وجميع ما تضمنه استدعاؤك فاجمع ما يكون من لفظه المتبدد، كاتبا لك بذلك خطي، مشترطا عليك الشرط المعتبر فليكن قبولك يا عربي البيان جواب شرطي، ذاكرا من لمع خبري ما أبطأت بذكره وأرجو أن أبطئ ولا أخطي.

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١/٣١٦

١ الإبريز: الذهب.

٢ قطني: حسبي.

٣ التعاقل: اصطناع التعقل.

٤ تنضيد: ترتيب. تفويف: تزيين، وهو من المحسنات البديعية.." [١]

"بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي

الفن الأول والثاني

الزجل والمواليا

الحمد لله الذي علا زجل الملائكة في عالم الملكوت بحمده، ونظمنا في سلك العبودية فوقف كل منا متأدبا عند حده، أحمده حمدا يقوم وزنه بالقسط ولا يخسر الميزان، وأشكره شكرا تقوم لنا بركته بمعرفة قواعد الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نترقى بها إلى أعلى الرتب، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المنعوت **بحسن الأدب**، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة نترجح بها يوم الحسرة والندامة، وتعمنا بركتها بين يدي الحكم العدل يوم القيامة، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد فإن الأدب جنس يصدق على أنواع عجيبة وفنون غريبة، شهرتها تغني عن أن يجلى في هذا الأفق الزاهر بدرها، أو ينفث في عقد الأقلام سحرها، ولكن نعمل هنا بقول القائل:

إذا كان مدح فالنسيب المقدم

ونسيب الشعر هو المقدم بفصاحته، والموشح ببلاغته.

ولما كان ل ا ينظم إلا باللفظ الصحيح المعرب، لم يصل إليه إلا من تعاطى الآلة في العلوم وتأدب ولعمري هذا مضمار لم يحز قصبات السبق فيه غير الفحول، ولم يدرك شأوه إلا كل ضامر مهزول، ولكن في الناس من في طبعه ذوق الأدب والنكت الأدبية، ولم يعد نفسه من فرسان العربية، منهم الشيخ برهان الدين المعمار رحمه الله تعالى، فإنه نشأ بالديار المصرية ونكت فاستحلوا على زايد النيل زايده، ونقل عن الشيخ جمال الدين بن نباتة أنه قال: قطعنا المعمار بمقاطيعه.

وناهيك بهذه الصلة التي هي على مثله عايدة، واغتفر له أهل عصره اللحن وعدوه له من مطرب التلحين،

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢/١٣٢

فإنه أتى في نظمه بنكت تحرك العيدان وتغني عن القوانين، ولهذا عدل قبلة المغرب وهو الامام أبو بكر بن قزمان تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه، واخترع فنا سماه الزجل لم يسبق إليه، وجعل إعرابه لحنه، فامتدت إليه الأيدي، وعقدت الخناصر عليه.

ولما نظم بلفظ العوام تمكن منه أديب الطبع، وكان قد حبس عنانه عن العربيات ورأى بيوته واسعة الفنا، فأسكن مخدرات نكته بتلك الأبيات، غير أن مصنفه ومن تابعه من أهل عصره من علماء هذا الفن امروا فيه باجتناب أشياء منها الألفاظ المشرقية، فإن المصنف أو غيره من المغاربة قال:

لله در الزجل ويا ما لقي ... ما يوافق عمرو لسان مشرقي

وكما أن اللفظ المشرقي لا يجوز في الزجل، فاللفظ المغربي لا يجوز في المواليا لكون أنها من مخترعات المشارقة مثاله: إذا قلت في الزجل طلعتك، ووجنتك، وقامتك بسكون التاء لم تجز هذه الألفاظ عند الزجالة بل يعدونها خطأ في الوزن، فأن سكون هذه التاء لا تجوز عندهم، وعكس ذلك لا يجوز عند الموالة لأن تحريك هذه التاء لا يجوز عندهم البتة، وأقل من في الزجالة والموالة لا يجهل هذين العيبين، وكذلك تاء المتكلم مثل قلت وهمت لا يجوز في الزجل وهي ركن من أركان المواليا لأن المشارقة يتلفظون بها على صيغتها كقول الشيخ صفي الدين الحلي في بعض أزجاله:

مااجتمعنا تا أقول كنا ... وازعق فينا غراب البين

أو أقول عين ضد صابتنا ... بعد ما كنت قرير العين

فقوله كنت عيب فاحش عند الزجالة، ولا يجوز استعماله عندهم.

وهو أكبر عيوب الزجل بل محو رسمه وإخراجه عن قاعدة المصنف الإعراب، لأنه قال في خطبة ديوانه:

وقد جردته من الاعراب ... كما تجرد السيف من القراب

وموجب ذلك أن ابن غزلة الشاعر المغربي وهو من أكبر أشياخهم كان ينظم الموشح والزجل فيلحن في الموشح ويعرب في الزجل قصدا واستهتارا ويقول: القصد من الجميع عذوبة اللفظ وسهولة السبك، وكان ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك، ولهذا لم يثبت شيئا من موشحاته في دار الطراز لكون أنها مزنمة، لأن التزنيم هو ما أعرب من ألفاظ الفنون الأربع، الزجل والمواليا، والكان وكان، والقوما.

وسيأتي الكلام على بقية الفنون بعد الزجل إن شاء الله تعالى.." (١)

---

(١) بلوغ الأمل في فن الزجل الحموي، ابن حجة ص/١

"المسألة الثانية عشر: كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم إذا فرض الصلاة [صلاها] كاملة لا خلل فيها

قاله القاضي الماوردي.

المسألة الثالثة عشر: كان يلزمه صلى الله عليه وسلم إتمام كل تطوع يبتدأ به

حكاه البغوي عن بعضهم.

المسألة الرابعة عشر: أنه كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم أن يدفع بالتي هي أحسن

قاله ابن القاص، ودليله قوله- تعالى-: ادفع بالتي هي أحسن [(١)] قال ابن عطية: آية جمعت مكارم الأخلاق، وأنواع الحلم، والمعنى: ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعلة، أو باليسيرة التي هي أحسن السير والفعلات. فمن ذلك السلام، **وحسن الأدب**، وكظم الغيظ، والسماحة في العطاء، والاقتضاء وغير ذلك.

قال ابن عباس- رضي الله تبارك وتعالى عنهما-: إذا فعل المؤمن هذه الفضائل عصمه الله من الشيطان، وخضع له عدوه. وفسر مجاهد وعطاء هذه الآية بالسلام عند اللقاء، ولا شك أن السلام مبدأ الدفع بالتي هي أحسن، وهو جزء منه.

[(١)] فصلت: ٣٤.." (١)

"

[()] نضحهم البساط لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على أن الاختيار للمصلى أن يقوم في صلاته على أروح الحال وأمكنها، لا على أجهدها وأشدها، لئلا يشغله الجهد عما عليه من أدب الصلاة وخشوعها، كما أمر الجائع أن يبدأ بالطعام قبل الصلاة، خلاف ما زعم بعض المجتهدين، إذ زعم أن الاختيار له أن يقوم على أجهد الحال، كما سمع في بعض الأخبار أنهم لبسوا المسح إذا قاموا من الليل وقيدوا أقدامهم. [٢٥] وفي صلاته في بيتهم ليأخذوا علمها دليل على جواز حمل العالم علمه إلى أهله: إذا لم يكن فيه على العلم مذلة، وأما روى في أن: «العلم يؤتى ولا يأتي» : إذا كانت فيه للعلم مذلة، أو

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٥٩/١٣

كان من المتعلم على العالم تطاول. [٢٦] وفيه دلالة اختصاص لآل أبي طلحة، إذ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتهم. [٢٧] وأخذهم قبلة بيتهم بالنص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الدلائل والعلامات.

[٢٨] وفي قوله: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاء مازحه» ، ما يدل على أنه كان يمازحه كثيرا، وإذا كان كذلك كان في ذلك شيئان: [٢٩] أحدهما: أن ممازحة الصبيان مباح. [٣٠] والثاني: أنها إباحة سنة لا إباحة رخصة، لأنها لو كانت إباحة رخصة لأشبه أن لا يكثرها، كما قال في مسح الحصى للمصلى: «فإن كنت لا بد فاعلا فمرة» ، لأنها كانت رخصة لا سنة. [٣١] وفيه- إذ مازحه صلى الله عليه وسلم- ما يدل على ترك التكبر والترفع. [٣٢] وما يدل على حسن الخلق. [٣٣] وفيه دليل على أنه يجوز أن يختلف حال المؤمن في المنزل من حاله إذا برز، فيكون في المنزل أكثر مزاحا، وإذا خرج أكثر سكينة ووقارا- إلا من طريق الرياء- كما روي في بعض الأخبار: كان زيد بن ثابت من أفكه الناس إذا خلا بأهله، وأزمتهم عند الناس. [٣٤] وإذا كان ذلك كما وصفنا ففيه دليل على أن ما روي في صفة المنافق أنه يخالف سره علانيته ليس على العموم، وإنما هو على معنى الرياء والنفاق، كما قال جل ثناؤه: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن. [٣٥] وفي قوله: «فرآه حزينا» : ما يدل على إثبات التفرس في الوجوه. وقد احتج بهذا المعنى بعض أهل الفراسة بما يطول ذكره.

[٣٦] وفيه دليل على الاستدلال بالعبرة لأهلها، إذ استدل صلى الله عليه وسلم بالحزن الظاهر في وجهه على الحزن الكامن في قلبه، حتى حداه على سؤال حاله.

[٣٧] وفي قوله: «ما بال أبي عمير؟» دليل على أن من السنة إذا رأيت أخاك أن تسأل عن حاله.

[٣٨] وفيه دليل- كما قال بعض أهل العلم- على **حسن الأدب** بالسنة في تفريق اللفظ بين سؤالين:

فإذا سألت أخاك عن حاله قلت: مالك؟ كما

قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي قتادة: «مالك يا أبا قتادة؟»

وإذا سألت غيره عن حاله قلت: ما بال أبي فلان؟ كما

قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: «ما بال أبي عمير؟» .

[٣٩] وفي سؤاله صلى الله عليه وسلم من سأل- عن حال أبي عمير- دليل على إثبات خبر الواحد.

[٤٠] وفيه دليل على أنه يجوز أن يكنى من لم يولد له، وقد كان عمر بن الخطاب يكره ذلك حتى أخبر به عن النبي صلى الله عليه وسلم. [٤١] وفي قوله: «مات نغيره الذي كان يلعب به» : تركه النكير بعد ما

سمع ذلك صلى الله عليه وسلم دليل على الرخصة في اللعب للصبيان. [٤٢] وفيه دليل على الرخصة للوالدين في تخلية الصبي وما يروم من اللعب إذا لم يكن من دواعي الفجور، وقد كان بعض الصالحين يكره لوالديه أن يخلياه. [٤٣] وفي دليل على أن إنفاق المال في ملاعب الصبيان ليس من أكل المال بالباطل، إذا لم يكن من الملاهي المنهية. [٤٤] وفيه دليل على إمساك الطير في القفص. [٤٥] وقص جناح الطير لمنعه من الطيران، وذلك أن لا يخلو من أن يكون النغيرة التي كان يلعب بها في قفص أو نحوه، من شد رجل أو غيره، أو أن تكون مقصوصة الجناح، فأيهما كان المنصوص، فالباقي قياس عليه، يكره.." (١)

"وأما أنه لم يذم طعاما

فخرج البخاري [(١)] وأبو داود [(٢)] من حديث الأعمش، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاما قط، إذا اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه. ذكره في كتاب الأطعمة، وذكره البخاري أيضا في المناقب بهذا الإسناد، غير أنه قال: وإلا تركه.

وخرجه مسلم أيضا ولفظه: قال: ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط، كان إذا اشتهى شيئا أكله، وإن كرهه تركه [(٣)] . وفي رواية قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاب طعاما قط، كان إذا اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه سكت [(٤)] .

[(١)] (فتح الباري) : ٩/ ٨٣، كتاب الأطعمة، باب (٢١) ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاما، حديث رقم (٥٤٠٩) قوله: «ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاما» أي مباحا، أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه، وذهب بعضهم إلى أن العيب إن كان من جهة الخلقة كره، وإن كان من جهة الصنعة لم يكره، قال:

لأن صنعة الله لا تعاب، وصنعة الآدميين تعاب.

قال الحافظ ابن حجر: والذي يظهر التعميم، فإن فيه كسر قلب الصانع. قال النووي: من آداب الطعام المتأكدة أن لا يعاب، كقوله: مالح، حامض، قليل الملح، غليظ، رقيق، غير ناضج، ونحو ذلك.

قوله: «وإن كرهه تركه» ، يعنى مثل ما وقع له في الضب، ووقع في رواية أبى يحيى: «وإن لم يشنهه سكت» ، أي عن عيبه، قال ابن بطال: هذا من **حسن الأدب**، لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره، وكل

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ١٩٨/٢

مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب.

(المرجع السابق) : ٦/ ٧٠٢، كتاب المناقب، باب (٢٣) صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٣٥٦٣) .

[(٢)] (سنن أبى داود) : ٤/ ١٣٧، كتاب الأطعمة، باب (١٤) باب في كراهية ذم الطعام، حديث رقم (٣٧٦٣) .

[(٣)] (مسلم بشرح النووي) : ١٣/ ٢٦٩، كتاب الأشربة، باب (٣٥) لا يعيب الطعام، حديث رقم (١٧٨) .

[(٤)] (المرجع السابق) : حديث رقم (١٨٨) .." (١)

"فلما كان يوم الجمعة أول جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة عقد لابنه عبد العزيز على بنت جوهر القائد في مجلس العزيز، وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار، والشاهدان: محمد بن عبد الله العتقي وعبد الله بن محمد بن رجاء، وخلع العزيز على الزوج وانصرف محمد بن النعمان في جمع كثير من الخواص.

ثم قرر عبد العزيز في نيابته، وصرف ابن أخيه الحسين بن علي.

قال المسبحي: كان محمد بن النعمان خبيرا بالأحكام **حسن الأدب** والمعرفة بأيام الناس.

قال العتقي في تاريخه: أمر المعز وهو بالمغرب قاضي بلاده النعمان بن محمد أن يعمل له أسطرلابات وأن يجلس مع الصانع بعض ثقاته، فأجلس النعمان ولده محمدا، فلما فرغ توجه به إلى المعز فسأله: من أجلست مع الصانع؟ قال: ولدي محمدا. فقال: هو قاضي مصر. قال محمد بن النعمان: كان المعز إذا رآني قال لولده وأنا صبي: هذا قاضيك! قال المسبحي: وعدل محمد بن النعمان في أيامه نحوا من ثلاثين نفسا، وكان محمد بن النعمان جيد النظر في الأحكام. تقدمت إليه امرأة طالبت زوجها بحقها فامتنع من دفعه لها، فسألت القاضي أن يحبسه فأمر بذلك، ثم نظر إليها فوجدها جميلة وظهر عليها السرور، فلما توجه إلى الحبس أمر القاضي بحبسها مع وزجها فغضبت فقال لها: حبسناه لحقك ونحبسك لحقه. فلما تحققت ذلك أفرجت عنه. فلما توجهت قال القاضي: رأيتها فرحت بحبسه فخشيت أنها تخلو بنفسها لغيبة زوجها.

قال: وكان الوزير ابن كلس كثير المعارضة لبني النعمان في أحكامهم، فاتفق أن الحسن بن الحسين بن علي

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٣٣٦/٧

بن يحيى الدقاق زوج ولده يتيمة تعرف ببنت الديباجي بإذن محمد بن النعمان، فقام في ذلك بكر بن أحمد المالكي أحد الشهود وادعى فساد العقد لكونها غير بالغ، وبالغ في ذلك فقال ابن النعمان: ثبت عندي بإقرارها أنها بلغت. فحملت إلى القصر ورفع أمرها إلى العزيز وكشف عنها فوجدت غير بالغ." (١)

"سراج الدين ولد بأرمنت من صعيد مصر الأعلى سنة ٦٤٤ واشتغل بقوص فأخذ عن الشيخ مجد الدين القشيري وأذن له في الفتوى ثم قدم مصر فأخذ عن علمائها وأعاد بمدرسة زين التجار وسمع من ... وصنف التصانيف منها المسائل المهمة في اختلاف الأئمة ومنها كتاب الجمع والفرق وباشر قضاء قوص وغيرها وكان مشكور السيرة قال الأسنوي كان في الفقه إماما مع فضيلة تامة في الأصول والنحو وغير ذلك وعمر إلى أن لم يبق بمصر في الفتوى أقدم منه وكان حسن المحاضرة **يحسن الأدب** ونظم الشعر وأقام بقوص إلى أن لسعه ثعبان بظاهر قوص فمات في ربيع الآخر سنة ٧٢٥

٤١١ – أحمد بن عبد الدائم بن يوسف بن قاسم بن عبد الله بن عبد الخالق بن ساهل أمره الكتاني شهاب الدين الشرمساحي أبو يوسف الشاعر ولد سنة ٦٦٣ وتعانى النظم فمهر وكان سخي النفس وله مروءة ولم تكن طريقته محمودة روى عنه من شعره أبو الفتح اليعمري وأبو حيان وغيرهما منهم السبكي وكان شاعرا مشهورا مولعا بالهجاء حتى أنه لما دخل دمشق قدم لقاضيها شهاب الدين الخويي قصيدة هجو فردها إليه وقال كأنك ذاهل قال بل لست بذاهل بل صنعت ذلك عمدا لأشتهر." (٢)

"**حسن الأدب** منى وأهلت الطاعة التى أقرع بعدها برمح القلم سنى وفاتنى شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الأفق وقال قطنى ثم ترجح عندى أن أجيب السؤال وأقابل بالامتثال وأتحامل على ضلع الأقوال صابرا على تهكم سائلى معظما قدرى كما قيل بتغافلى منقادا إلى جنة استدعايك من السطور بسلاسلى فأجزت لك أن تروى عنى ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور ومنظوم ومنثور وإجازة ومناولة ومطارحة ومراسلة ونقل وتصنيف وتنضيد وتفويف وماض ومتردد وآت على رأى بعض الرواة ومتجدد وجميع ما تضمنه استدعاؤك بأجمع ما يكون لفظه المتفرد كاتبا لك بذلك خطى مشترطا عليك الشرط المعتبر فليكن قبولك يا عربي اللسان مكان اعراب شرطى ذاكرا من لمع خبرى ما أبطأت بذكره وأرجو أن أبطئ ولا أخطئ فأما مولدى فبمصر المحروسة في شهر ربيع الأول سنة ٦٨٦ بمنزلنا بزقاق القناديل وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعا وحضورا فمن اقدمهم الشيخ شهاب الدين أبو الهيجاء غازى بن أبي الفضل بن عبد

---

(١) رفع ال إ صر عن قضاة مصر ابن حجر العسقلاني ص/٤٢٣

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ١/١٨٨

الوهاب المعروف بالرداف والشيخ عز الدين أبو نصر عبد العزيز بن أبي الفرج الحصرى البغدادى والشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي محمد إسحاق بن محمد الأبرقوهى وأما ذوو الإجازة في مصر وغيرها فكثير وأما الفضلاء والأدباء الذين رويت عنهم ورويت منهم فمنهم القاضى الفاضل محي الدين ابو محمد بن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصرى والشيخ الإمام بهاء الدين أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن النحاس الحلبي النحوى والأمير الفاضل شمس الدين محمد ابن الصاحب شرف الدين ابن التيتى اقترح على أن انظم في زيادة النيل فقلت

(زادت أصابع نيلنا ... وطمت فاكمدت الأعادى)

(وأنت بكل جميلة ... ما ذى أصابع ذى أيادى) والشيخ علم الدين حسن بن سلطان المصرى من أهل منية ابن خصيب قرأت عليه كثيرا من الكتب الأدبية وكان كثيرا ما يستنشدني إلى أن أنشدته

(يا غائبين تعللنا لغيبتهم ... بطيب عيش ولا والله لم يطب)." (١)

"للأزهري قال الذهبي كان سريع القراءة فصيحا عذب العبارة دينا صينا متقنا ثم حصلت له سودة فكان يشتم من يحاضره ويفيق تارة **فيحسن الأدب** ولازم الوحدة وبقي يحدث نفسه ويجمع مع ذلك وينسخ ويسد أذنيه بقطن ويزعم أنه يسمع من يؤذيه وكان يقيم بالسميساطية بدمشق وسافر مرتين مع الحجاج فإذا وصل إلى المدينة أقام بها حتى يرجع معهم ولا يحج مات بالمرستان النوري بدمشق في جمادى الآخرة سنة ٧٢٣

٢٢٧٦ - محمود بن أبي بكر بن محمود بن أبي بكر بن طاهر بن معالي المعروف بابن عترة الخفاف البعلبكي ولد سنة ٦٤٥ ذكره البرزالي في معجمه وقال رجل خير سمع من الفقيه أبي عبد الله اليونيني ولازم الإقراء بجامع بعلبك وكان حسن السمت والاعتقاد

٢٢٧٧ - محمود بن أبي الحرم بن عثمان بن يحيى بن أبي القاسم الصالحي ابن السنبوسكي أبو الحسن ولد سنة بضع وخمسين وسمع على عمر الكرماني وابن أبي عمر والفخر وغيرهم وحدث بالشام وطريق الحجاز سمع منه البرزالي وذكره في معجمه فقال رجل خير معروف بالديانة والجودة مات في صفر سنة ٧٢٣

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٥/٤٩٠

٢٢٧٨ - محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء محمد السنجاري الكلاباذي أبو العلاء الفرضي الصوفي الحنفي مولده سنة ٦٤٤ ببخارا وتفقه بها." (١)

"كثيرة يطعن فيها على الإسلام وقد أجاد الشيخ في حذف ترجمته من هذا الكتاب وإنما أوردته لألعنه توفي إلى لعنة الله في سنة ثمان وتسعين ومائتين وقال المسعودي في مروج الذهب أنه مات سنة خمسين ومائتين وله أربعون سنة وأنه صنف مائة وأربعة عشر ديوانا وقال النديم في الفهرست قال أبو زيد البلخي في محاسن أهل خراسان كان أبو الحسين بن الراوندي من أهل مرو الروذ ولم يكن في زمانه في نظرائه احذق منه بالكلام ولا أعرف بدقيقه وجليله منه وكان في أول أمره حسن الأمر جميل المذهب ثم انسلخ من ذلك كله بأسباب عرضت له ولأن علمه كان أكثر من عقله قال وقد حكى جماعة عنه أنه تاب قبل موته مما كان منه وأظهر الندم واعترف بأنه إنما صار إلى ما صار حمية وأنفة من جفاء أصحابه وتنحيتهم إياه عن مجالسهم وأكثر كتبه الكفريات صنفها لأبي عيسى اليهودي الأهوازي وفي منزل هذا الرجل مات وذكر النديم أن الكتب التي ألفها قبل انسلاخه كانت في الاعتزال والرفض ونحو ذلك وهي نحو من أربعين كتابا وكتبه التي ألفها في الطعن على الشريعة اثنا عشر كتابا.

[٩٨٦] "ز - أحمد" بن يحيى بن علي بن علي بن أبي منصور المنجم ذكره النديم في مصنفي المعتزلة وقال كان **حسن الأدب** جيد المعرفة بالكلام وذكره المرزباني في معجمه فقال كان أديبا شاعرا فاضلا عالما رئيسا في علم الكلام والأدب وكان مولده سنة اثنتين وستين ومائتين وكان أبوه قد جمع كتابا في أسماء الشعراء ومات قبل أن يكمله فأتمه ولده هذا وكان أحمد بن يحيى هذا يتلمذ لأبي جعفر الطبري وصنف كتابا في الفقه على طريقته ومن شعره يمدح.

عمرت أطول مدة ... تزداد تمكينا وتسلم." (٢)

"في الشافعي،؟ قال: من الأبدال. قلت: فأحمد بن حنبل؟ قال: صديق، قلت: فبشر بن الحارث؟ قال: لم يخلف بعده مثله. قلت: بأي وسيلة رأيتك؟ قال: ببرك لأمك.

وقال أبو نعيم في «الحلية» : حدثنا ظفر بن محمد، حدثنا عبد الله بن إبراهيم الحريري، قال: قال أبو جعفر محمد بن صالح بن دريج قال بلال الخواص: رأيت الخضر في النوم، فقلت له: ما تقول في بشر؟ قال: لم يخلف بعده مثله، قلت: ما تقول في أحمد بن حنبل؟ قال: صديق.

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ١٠٣/٦

(٢) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١

وقال أبو الحسن بن جهضم: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن الصلت، عن بشر الحافي قال: كانت لي حجرة، وكنت أغلقها إذا خرجت ومعي المفتاح، فجئت ذات يوم وفتحت الباب ودخلت فإذا شخص قائم يصلي فراعني، فقال: يا بشر. لا ترع، أنا أخوك أبو العباس الخضر. قال بشر: فقلت له: علمني شيئا، فقال: قل أستغفر الله من كل ذنب تبت منه ثم عدت إليه، وأسأله التوبة وأستغفر الله من كل عقد عقدته على نفسي ففسخته ولم أف به.

وذكر عبد المغيث من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما يمنعكم أن تكفروا ذنوبكم بكلمات أخي الخضر»

«١» ، فذكر نحو الكلمات المذكورة في حكاية بشر.

وروى أبو نعيم، عن أبي الحسن بن مقسم، عن أبي محمد الحريري: سمعت أبا إسحاق المرستاني يقول: رأيت الخضر فعلمني عشر كلمات وأحصاها بيده: اللهم إني أسألك الإقبال عليك، والإصغاء إليك، والفهم عنك، والبصيرة في أمرك، والنفاذ في طاعتك، والمواظبة على إرادتك، والمبادرة إلى خدمتك، **وحسن الأدب** في معاملتك، والتسليم والتفويض إليك.

وقال أبو الحسن بن جهضم: حدثنا الخلدي، حدثنا ابن مسروق، حدثنا أبو عمران الخياط، قال: قال لي الخضر: ما كنت أظن أن لله وليا إلا وقد عرفته. فكنت بصنعاء اليمن في المسجد والناس حول عبد الرزاق يسمعون منه الحديث، وشاب جالس ناحية المسجد.

فقال لي: ما شأن هؤلاء؟ قلت: يسمعون من عبد الرزاق. قال: عمن؟ قلت: عن فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم: فقال: هلا سمعوا عن الله عز وجل؟ قلت: فأنت تسمع عن الله عز وجل؟ قال: نعم. قلت: من أنت؟ قال: الخضر، قال: فعلمت أن لله أولياء ما عرفتهم.

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الكبير ٢/ ٥٠١.." (١)

"وبآدابه لا بثيابه. وقيل لرجل: من أدبك؟ قال: رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت، ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا، من عرف الأدب اكتسب به المال والجاه.. خير الخلال الأدب، وشر المقال الكذب.. وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له؟ قال: كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق.. ودخل أبو العالية على ابن عباس رضي الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالا

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٢/٢٧٩

من قريش تحته، فرأى سوء نظرهم إليه وحموضة وجوههم «١» ، فقال: ما لكم تنظرون إلي نظر الشحيح إلى الغريم المفلس، هكذا الأدب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى، ويقعد العبيد على الأسرة.

وقال جالينوس: إن ابن الوضيع إذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا في منزلته، وابن الشريف إذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا في سقوطه.. وقيل: **أحسن الأدب** أن لا يفتخر المرء بأدبه.

وسمع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال: كلا، الغريب من لا أدب له.

ويقال: إذا فاتك الأدب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب.

ولعبد الملك بن صالح:

في الناس قوم أضاعوا مجد أولهم ... ما في المكارم والتقوى لهم أرب

سوء التأدب أرداهم وأرذلهم ... وقد يزين صحيح المنصب الأدب «٢»

- وقيل: أربعة تسود العبد: الأدب والعلم والصدق والأمانة.

- وقال بعض الحكماء: خمسة لا تتم إلا بخمسة:

لا يتم الحسب إلا بالأدب، ولا يتم الجمال إلا بالحلاوة، ولا يتم الغنى إلا بالجود، ولا يتم البطش إلا بالجرأة، ولا يتم الجهاد إلا بالتوفيق.

والله تعالى أعلم.

الباب الخامس في الآداب والحكم وما أشبه ذلك

قال الحكماء:

- إذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وعضده باليقين، فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف، وإذا أراد به شرا حبب إليه المال، وبسط منه الآمال، وشغله بدنياه ووكله إلى هواه، فركب الفساد وظلم العباد.- الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل،- من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ،- من سره الفساد ساءه المعاد،- كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع.- لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك، فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة.- من أطاع هواه باع دينه بدنياه،- ثمرة العلوم العمل بالمعلوم- من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد- أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه- خير الناس من أخرج الحرص من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه.- نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف.- البخيل حارس نعمته وخازن لورثته.- من لزم الطمع عدم الورع،- إذا ذهب

الحياء حل البلاء.- علم لا ينفع كدواء لا ينجع- من جهل المرء أن يعصي ربه في طاعة هواه، ويهين نفسه في إكرام دنياه.- أيام الدهر ثلاثة: يوم مضى لا يعود إليك، ويوم أنت فيه لا يدوم عليك، ويوم مستقبل لا ندري ما حاله ولا تعرف من أهله.- من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب.- لا تبت على غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة، ومن عمرك في فسحة.- عظ المسيء بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك.- إياك وفضول الكلام «٣» فإنه يظهر من عيوبك ما بطن «٤» ، ويحرك من عدوك ما سكن «٥» .-

لا يجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا.- حسن النية من العبادة.- حسن الجلوس من السياسة.- من زاد في خلقه نقص في حظه.- من ائتمن." (١)

"العباس في يوم السبت الثامن عشر من ربيع الأول. وبدمشق الشيخ إسماعيل المغربي المالكي نائب الحكم بها، وأم أبي بكر١ تتر ابنة القاضي عز الدين محمد بن أحمد بن المنجا التنوخية، وبدرالدين حسن بن البهاء محمد بن محمد بن أبي الفتح البعلي والقاضي شرف الدين حسين بن علي بن سرور عرف بابن خطيب الحديثة، والمعمرة أم القاسم خديجة بنت إبراهيم بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن سلطان التغلبية٢، وأم يوسف خديجة ابنة الإمام بدر الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن قوام البالسية الصالحية، وخديجة بنت أبي بكر بن علي بن أبي بكر بن عبد الملك الكردي٣ الصالحية، والمعمر نجم الدين داود بن أحمد بن علي بن حمزة البقاعي، وبالقاهرة القاضي بهاء الدين أبو الفتح رسلان بن أبي بكر بن رسلان٤ البلقيني في جمادى الثانية، وبدمشق أم أحمد رقية بنت علي بن محمد بن أبي بكر بن مكي الصفدي الصالحية، وزينب بنت العماد أبي بكر بن أحمد٥ بن محمد بن

---

١ والذي في معجم الحافظ ابن حجر والضوء اللامع "أم بكر" وسماها الحافظ في معجمه تتر كما هنا ولكنه سماها في إنباء الغمر ططر فأوردها في حرف الطاء المهملة وقد أوردها صاحب الضوء اللامع في الحرفين وهي أخت المسندة فاطمة الآتي ذكرها فيمن توفوا في هذه السنة -أعني ٨٠٣- فهما قد توفيتا في سنة واحدة. "الطهطاوي".

٢ وهو محرف وأصله "البعلية" ففي معجم الحافظ ابن حجر وإنباء الغمر والضوء اللامع خديجة بنت إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن سلطان البعلية ثم الدمشقية وليس في عبارة هذه الكتب تكرير إبراهيم أولا

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٢

فلعل ما هنا زيادة من ناسخ، والله أعلم. "الطهطاوي".
٣ والذي في معجم الحافظ ابن حجر وإنباء الغمر والضوء اللامع وشذرات الذهب "الكوري" وسيأتي للمؤلف ما يوافقه. "الطهطاوي".
٤ وهو ابن أخي الحافظ سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني. وقد اشتغل بالفقه كثيرا ومهر فيه وشارك في غيره وكان كثير المنازعة لعمه في اعتراضاته على الإمام الرافعي مع الوقار **وحسن الأدب**، وقد توفي عن سبع وأربعين سنة وذكره الحافظ ابن حجر في إنبائه والتقي المقريزي في عقوده والشمس السخاوي في الضوء اللامع وصاحب الشذرات. "الطهطاوي".
٥ وجدها الشهاب أحمد بن محمد بن عباس بن أبي بكر بن جعوان بن عبد الله المعروف بابن جعوان الأنصاري الدمشقي "المتوفى بها سنة ٦٩٩" من تلاميذ الإمام النووي وكان فقيها شافعيا عمدة في نقل المذهب كما ذكره الحافظ الذهبي في العبر. وجعوان بالجيم والعين المهملة والواو والنون كما في طبقات الحفاظ للذهبي وطبقات الشافعية للجمال الإسنوي وكذا في طبقات التاج السبكي الوسطى وقد وقع في طبقاته الكبرى المطبوعة "ابن صفوان" بالصاد المهملة والفاء وهو تحريف مطبعي. "الطهطاوي".." (١)
؟"

١٣١١ - تقي الدين الصالحي
٦٣٥ - ٧١٨ هـ؟ ١٢٣٧ - ١٣١٨م
عبد الله بن أحمد بن تمام بن حسان، الشيخ تقي الدين الصالحي الحنبلي.
؟ ذكره ابن حبيب في تاريخه، قال: سنة عشرة وسبعمائة، - فيها توفي الشيخ تقي الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن تمام الصالحي الحنبلي، إمام قدوة. زهده ثابت. وغرس ورعه نابت. وبرق صلاحه متألق. ونهر عرفانه متدفق. كان معروفا **بحسن الأدب**، متمسكا بفروع القرب. طاف البلاد، واجتمع بالعلماء والعباد. وحج وجاور. وسابق إلى فعل الخير وبادر. وروى ما سمع من الأحاديث والأخبار، وأمل من نظمه في الورق أحسن مما غنته الورق على الأشجار. انتهى كلام ابن حبيب.

---

(١) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ابن فهد ص/١٢٤

قلت: وكان له نظم ونثر، ومن شعره من أبيات:

تبدى فهو أحسن ما رأينا ... وألطف من تهيم له العقول." (١)

"ثم إنه يأمر من حضر بربط رجليه ويضربه عليها حتى يبكي.

[سعد الوراق وعيسى النصراني الفتى] «١» :

وحدث الخالدي «٢» عن أبي بكر أحمد بن محمد الصنوبري «٣» قال: كان بالرها «٤» وراق يقال له سعد. وكان في دكانه مجلس كل ذي أدب، وكان **حسن الأدب** والفهم، يعمل شعرا رقيقا، فما كنا نفارق دكانه، أنا وأبو بكر المعوج الشامي وغيرنا من الشعراء وشعراء الشام وديار مصر. وكان تاجر بالرها نصراني من كبار تجارها، له ابن اسمه عيسى، من أحسن الناس وجها، وأحلاهم قدا، وأظرفهم منطقا. وكان يجلس إلينا، ويكتب عنا من أشعارنا، وجميعنا نحبه، ونميل إليه. وهو حينئذ صبي في الكتاب. فعشقه سعد الوراق عشقا مبرحا. وكان يعمل فيه الأشعار؛ فمن ذلك وقد جلس في دكانه:

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي ... وهاك فابري عظامي موضع القلم

وصير اللوح وجهي وامحه بيد ... فإن ذلك برءا لي «٥» من السقم

ترى المعلم لا يدري بمن كلفي ... وأنت أشهر في الصبيان من علم." (٢)

"أما انا فلا آكل متكئا وكان صلى الله عليه وسلم يأمر مواكليه **بحسن الأدب** في الاكل كما قال لربيبه عمر بن أبى سلمة وكانت يده تطيش في الصحيفة سم الله يا غلام وكل بيمينك وكل مما يليك وقال البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه. وأكل عنده رجل بشماله فقال كل بيمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت ما منعه الا الكبر فما رفعها بعد الى فيه رواه مسلم ونهى المتواكلين عن القران في التمر الا أن يستأذن الرجل أخاه. وكان من أدب أصحابه معه اذا وضع الطعام لا يضعون أيديهم حتى يضع يده. وحضروا معه مرة على طعام فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدها ثم جاء أعرابى كانما يدفع فاخذ بيده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر عليه اسم الله وانه جاء بهذه الجارية يستحل بها فاخذت بيدها فجاء بهذا ا لاعرابى يستحل به فاخذت بيده والذي نفسي بيده ان يده في يدى مع أيديهما مجانبا له (اما انا فلا آكل متكئا) أخرجه بهذا اللفظ الترمذى عن أبى حنيفة بسند صحيح قال في الشفاء الاتكاء

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٦٧/٧

(٢) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ٦٣/١

التمكن للاكل في الجلوس والتقعدد له كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل ويستكثر منه وليس معني الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين (وقال لربيبه عمر بن أبي سلمة) كما أخرجه الشيخان والترمذى والنسائي عنه (تطيش) باهمال الطاء واعجام الشين أى يتحرك ويضطرب ويمتد الي نواحى الصحفة ولا يقتصر على موضع واحد (سم الله) فيه ندب التسمية أثناء الطعام اذا ترك في أوله قالوا ولعل ذلك كان قبل أن يسمى غيره ممن حضر الطعام والا كان قد حصلت سنة التسمية لانها سنة كفاية كذا قاله النووى وغيره (قلت) أو لعله أراد تعليمه آداب الاكل وسننه المستحبة مطلقا فمن ثم قال (وكل بيمينك) ولم يكن حينئذ يأكل الا بها (وكل مما يليك) محله في غير الرطب كما ورد في الحديث الصحيح (بركة تنزل من وسط الطعام الى آخره) أخرجه أحمد والبيهقي في السنن عن ابن عباس ولابي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن بسر كلوا من حواليها وذروا ذروتها يبارك فيها ولابن ماجه من حديث واثلة بن الاسقع كلوا باسم الله من حواليها واعفوا رأسها فان البركة تأتيها من فوقها (ونهى المتواكلين عن القران في التمر الى آخره) أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود عن ابن عمر والنهي للكراهة إن تيقن رضاهم والا فللتحريم وبهذا يجمع بين ما نقله عياض عن أهل الظاهر انه للتحريم وعن غيرهم انه للكراهة (لا يضعون أيديهم حتى يضع يده) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن حذيفة (كأنها تدفع) أي لشدة اسراعها (يستحل الطعام) أي يتمكن منه (أن لا يذكر) بضم أوله وفتح الكاف مبنى للمفعول (مع أيديهما) في بعض نسخ مسلم مع يدها وفي أخري مع يدهما ولابي داود مع." (١)

"(فصل) وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بملاعبة الزوجة والولد وتأديب الفرس وتعلم الرمى والسباحة وحث على ذلك ورخص في اللعب بالدف للعرس والعيد وقرر الجواري على اللعب بالأرجوحة والتلعب بالبنات لعلة التدريب وقرر الحبشة أيضا على لعبهم بالحراب والدرق في المسجد وقام طويلا ليستر عائشة وهى تنظر اليهم فلما ملت قالت حسبي قال فاذهبي اذا والله أعلم.

[الباب الثانى في الأخلاق المعنويات]

(الباب الثانى في الاخلاق المعنويات) التي حمدت شرعا وعقلا وشرف المتخلق بها أو بالوا حد منها عرفا وعادة كالعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة **وحسن الأدب** والمعاشرة وأخواتها وهي التى جماعها حسن الخلق الذى

(١) بهجة المحافل وبغية الأماثل العامري الحرضي ٢/٢٤٣

عظمه الله من نبيه وأصلها العقل الذى يحمل صاحبه على اقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وبه ظهر شرف الحيوان الانسانى على سائر الحيوانات وبتفاوته «فصل» في ذكر أمره صلى الله عليه وسلم بملاعبة الزوجة (وأمر بملاعبة الزوجة) كقوله لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وجاء فيه وفي تأديب الفرس وتعلم الرمى حديث حسن اخرجه احمد والترمذي والبيهقي في الشعب عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا واركبوا وان ترموا أحب الى من ان تركبوا كل شيء يلهو به الرجل باطل الارمي الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته امرأته فانهن من الحق ومن ترك الرمى بعد ما علمه فقد كفر الذى علمه (والسباحة) اخرج النسائى عن جابر بن عبد الله وجابر بن عمير كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب الا ان يكون أربعة ملاعبة الرجل امرأته وتأديب الرجل فرسه ومشي الرجل بين الفرضين وتعليم الرجل السباحة (وحث على ذلك) كقوله عليكم بالرمي فانه من خير لهوكم اخرجه البزار عن سعد واخرجه عنه أيضا الطبراني في الاوسط بلفظ فانه من خير لعبكم (ورخص في اللعب بالدف) بل أمر به فقال اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف أخرجه الترمذي عن عائشة واخرج احمد والترمذى وابن ماجه عن محمد ابن حاطب

(فصل) ما بين الحلال والحرام ضرب الدفوف والصوت في النكاح وأخرج عبد الله بن احمد بن حنبل في زوائد مسند أبيه عن أبي حسن المازني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره نكاح السر حتى يضرب بدف والدف بضم الدال وفتحها (للعرس) بضم الراء وسكونها (والعيد) والحديث فيه مشهور في الصحيحين.

(الباب الثانى) في الاخلاق المعنويات (والصمت) بفتح المهملة وكسرها (والتوءدة) بضم الفوقية وفتح الهمزة ثم مهملة وهي التأنى (جماعها) أي الجامع لها (اقتناء) اكتساب وزنا ومعنا." (١)

"العجيمي والبوصيري وفي العربية عند الشمس الشطنوفي وغيره وسمع على المطرز والعراقي والهيثمي والأبناسي والشرف القدسي وناصر الدين بن الفرات والجوهري في آخرين بالقاهرة وكذا بمكة على ابن ظهيرة وغيره فيما كان يخبر به وهو ثقة فقد كان فيها سنة ثمانمائة وتعانى التجارة ونالته محنة بسبب ولد له انقطع بسببها عن الناس مدة ثم برز ولازم التقي الحصني في شرح مسلم وغيره وحضر دروس الشرف المناوي وحدث سمع منه الفضلاء أخذت عنه قديما وكان خيرا **حسن الأدب** كثير التواضع والسكون محبا في العزلة والانفراد مكرما للطلبة مع فضيلة في الجملة مات في رجب سنة ثمانين وصلى عليه بجامع طولون

---

(١) بهجة المحافل وبغية الأماثل العامري الحرضي ٢/٢٧٦

ودفن بالقرافة رحمه الله وإيانا وفي ترجمته من المعجم فوائد ٩٧ (أبو بكر) بن صلغاي المجاور لجامع الغمري ممن ينتمي للظاهر صاحب الجامع كبيت بني ابن خاص بك متمول شديد الحرص قبيح المعاملة له أملاك ورزق ونحوها اختلس له من بيته مرة جملة وما وصل لغريمه وآل أمره إلى أن صار مقعدا طريحا لا حركة فيه سوى اللسان وقد صاهره جانبك خازندار يشبك من حيدر وهو ألطف وأشبه مات في صفر سنة تسعمائة عفا الله عنه (أبو بكر) بن الطيب في ابن أحمد بن أبي بكر بن أحمد ٩ ﴿أبو بكر) بن عباس بن أحمد الزين البدراني والد محمد الآتي تزوج أخت بلديه محمد بن محمد بن محمد بن أمين الشهير بابن قطب الدين ثم ابنته واستولدها ولده المشار إليه وكان قد سمع رفيقا للجديدي من شيخنا المسلسل وحضر بعض مجالس إملائه ثم سمع مني المسلسل وبقراءة ولده ثلاثة أحاديث من أول البخاري ٩٩ (أبو بكر) بن عبد الله بن أيوب بن أحمد الزين الملوي ثم المصري الشاذلي أخو الشمس محمد الريس الماضي وحفيد أيوب شيخ معتقد له زاوية بملوى ولد سنة اثنتين وستين وسبعمائة وصحب الفقراء وتلمذ لحسين الحبار ثم لازم صاحبه الصلاح الكلائي وصار يتكلم على الناس بزاوية شيخه الحيار بقنطرة الموسكي ويفسر القرآن برأيه على قاعدته فضبطوا عليه أشياء ورفع إلى القاضي الجلال البلقيني فمنعه من ذلك إلا إن قرأ من تفسير البغوي وغيره واجتمع بي بسبب ذلك فوجدته حسن السمت عريا عن العلم وكان قال فيما ذكر لي أنه رأى في قوله تعالى ﴿كذبت قوم هود المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود﴾ أن الضمير في قوله أخوهم للمرسلين فقلت له بل لعاد فقال لا لأنه لا يليق بالنبي أن يوصف بأنه أخو الكفرة فقلت له فقد." (١)

"الذي لا ينبت فيه عشب للجدب فسماه ميتا على الاستعارة ثم فرع عليه الأحياء وزاد الطبراني في روايته واسقه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا د عن ابن عمرو ابن العاص وهو من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال النووي في الأذكار // وإسناده صحيح // وقال ابن القطان فيه علي بن قادم وهو وإن كان صدوقا فإنه مستضعف ضعفه يحيى وقال ابن عدي نقبت عليه أحاديث رواها عن الثوري وهذا منها وأورده في الميزان في ترجمة عبد الرحمن بن محمد الحارثي وقال حدث بأشياء لم يتابع عليها اهـ وبه يعرف ما في رمز المصنف لحسنه وتصحيح النووي له

٩٧ - كان إذا استسقى قال اللهم أنزل في أرضنا بركتها وزينتها وسكنها وارزقنا وأنت خير الرازقين أبو عوانة طب عن سمرة

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٣٧/١١

كان إذا استسقى قال اللهم أنزل في أرضنا بركتها وزينتها أي نباتها الذي يزينها وسكنها بفتح السين والكاف أي غياث أهلها الذي تسكن إليه نفوسهم وارزقنا وأنت خير الرازقين أبو عوانة في صحيحه المشهور طب كلاهما عن سمرة قال ابن حجر // إسناده ضعيف //

٩٨ - كان إذا استفتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك د ت هـ ك عن عائشة ق هـ ك عن أبي سعيد طب عن ابن مسعود وعن واثلة // صح //كان إذا استفتح الذي وقفت عليه في أصول مخرجي هذا الحديث افتتح الصلاة أي ابتدأ فيها قال أي بعد تكبيرة الإحرام سبحانك اللهم بحمدك وتبارك اسمك قال ابن الأثير الاسم هنا صلة قال الفخر الرازي وكما يجب تنزيه ذاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب وتعالى جدك أي علا جلالك وعظمتك والجد الحظ والسعادة والغنى ولا إله غيرك لفظ رواية الترمذي كان إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك الله وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول أعوذ بالله." (١)

"وهو يتمجع لبنا بتمر فقال أدن فإن رسول صلى الله عليه وسلم سماهما الأطيبين قال ابن حجر // إسناده قوي // قال النووي فيه جواز أكل شيئين من فاكهة وغيرها معا وجواز أكل طعامين معا وجواز التوسع في المطاعم ولا خلاف بين العلماء في جواز ذلك وما نقل عن السلف من خلافه محمول على الكراهة في التوسع والترفه والإكثار لغير مصلحة دينية وقال القرطبي يدخل منه مراعاة صفات الأطعمة وطبائعها واستعمالها على الوجه اللائق على قاعدة الطب د هـ عن ابن بشر بكسر الموحدة وسكون المعجمة وابن بشر في الصحابة اثنان سلمانيان هما عبد الله وعطية فكان ينبغي تمييزه رمز المصنف لحسنه

٥٣٣ - (كان يحب القثاء) طب عن الربيع بنت معوذ ح

كان يحب القثاء لإنعاش ريحها للروح وإطفائها لحرارة المعدة الملتهبة سيما في أرض الحجاز ولكونها بطيئة الانحدار عن المعدة كان كثيرا ما يعدلها بنحو رطب أو تمر أو عسل طب عن الربيع بالتصغير والتثقيل بنت معوذ ابن عفراء الأنصارية النجارية من صغار الصحابة رمز لحسنه

٥٣٤ - (كان يحب هذه السورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ حم عن علي ض

كان يحب هذه السورة سورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ أي نزه اسمه عن أن يبتذل أو يذكر إلا على جهة التعظيم قال الفخر الرازي وكما يحب تنزيه ذاته عن النقائص يحب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب حم وكذا البزار كلاهما عن علي أمير المؤمنين رمز لحسنه قال الحافظ العرقي في سنده ضعيف

---

(١) الشمائل الشريفة السيوطي ص/٨٠

هكذا جزم به واقتصر عليه وبينه تلميذه الهيثمي قال فيه ثور بن أبي فاختة وهو متروك انتهى وبه يعرف أن رمز المصنف لحسنه زلل فاحش

٥٣٥ - (كان يحتجم) ق عن أنس." (١)

"٢٧٠ - محمد بن عبد العزيز بن محمد بن محمود بن سهل أبو نصر التيمي الأصبهاني النحوي القاضي

يعرف بسيبويه. قال يحيى بن مندة في تاريخ أصبهان: هو **حسن الأدب**، أحد وجوه العلم، عالم باللغة والنحو، حدث عن ابن فارس وغيره، وعنه عم أبي سعد السمعاني.

٢٧١ - محمد بن عبد الغني بن عمر بن عبد الله بن فندلة أبو بكر

قال في الريحانة: شيخ مسن، نحوي لغوي محدث. روى عن الأعلم الشنتمري، وأبي علي الغساني وأبي مروان بن سراج. وعنه أبو عبد الله بن عبادة الجياني.

٢٧٢ - محمد بن عبد القوي بن بدران شمس الدين أبو عبد الله المقدسي المرداوي الحنبلي النحوي

قال الصفدي: ولد سنة ثلاثين وستمائة، وتفقه علي الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، وقرأ العربية على الشيخ جمال الدين بن مالك وغيره، وبرع في العربية واللغة، ودرس وأفتى، وصنف. أخذ عنه القاضيان: شمس الدين بن مسلم وجمال الدين بن جملة.

مات سنة تسع وتسعين وستمائة.." (٢)

"له الغلام: أخطأت يا خراساني، قال: فيم؟ قال: في أخذ الشيء النقي بالشمال، وقد نهي عنه، قال: فمد اليمنى باسطا إلى الخادم [١] ليصب عليه الحرض، فقال: أخطأت يا خراساني، قال: فيم، ولا يأخذ الشيء بعد اليسرى إلا باليمنى، قال الغلام: ولكن إذا صب الحرض على يمينك، ثم ألقيته على يسارك، تكون عملت عملا واحدا مرتين، ولكن خذ المحرضة باليمنى، وصب الحرض بها على اليسرى، ثم رد المحرضة، وقد أخذت الشيء النقي باليمين، ولم يجد العائب عليك عيبا، قال: صدقت.

وأخذ الماء فرحض كفيه ظاهر هما وباطنهما فقال له الغلام: أخطأت يا خراساني، قال: فيم؟ قال: في تحريضك ظاهر كفيك بالحرض، قال عمر: وأي بأس في ذلك؟ قال:/ في ذلك خصلتان ذميمتان، قال عمر: ما هما؟ قال: أما الخصلة الأولى فيدل على أنك غمست يديك في المرقة، وذلك من

---

(١) الشمائل الشريفة السيوطي ص/٢٩٣

(٢) بغية الوعاة السيوطي ١٦١/١

وجهين ذميمين، **أما سوء الأدب**، وأما الشره والنهم، وأما الخصلة الثانية، فيدل على أنك تريد بذلك إزالة وسخ عليهما، وكل ذلك وبعضه أقبح من بعض، فقال عمر: ابن كم أنت؟ قال: ابن أب واحد، قال: إنما عنيت سنك، قال: فقل ابن كم سنة أنت، قال: ابن ثمان حجج، فقال: أحية أمك؟ فقال الغلام: ما هي بحية ولا عقرب، ولكنها امرأة، قال عمر: فكيف أقول؟ قال قل: من الأحياء أمك؟ فقال عمر في نفسه، وتقاصرت إليه نفسه، إني لم أتعلم أدب الأكل والشرب، فلست براجع، ووطن نفسه على المقام عند ابن جريج، فما فارقه إلا بعد سنين، أخرجه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي [٢] في كتاب صفوة التصوف بسنده إليه [٣] ./

وذكر أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي في تاريخ مصر، المذيل به على كتاب ابن يونس، دعا [٤] أحمد بن طولون [٥] برجل، فأدخل إليه، فقال لحاجب من حجابه: خذ هذا

---

[١] في ب، ط، ش، ل: إلى الغلام.

[٢] محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني القيسراني: أبو الفضل، رحالة مؤرخ من حفاظ الحديث، مولده ببيت المقدس، له كتب كثيرة منها: (تاريخ أهل الشام ومعرفة الأئمة منهم والأعلام) ، و (معجم البلاد) ، و (صفوة التصوف) ، و (أطراف الكتب الستة) وغيرها، توفي ببغداد سنة ٥٠٧ هـ. (ميزان الاعتدال ٧٥/٣، لسان الميزان ٢٠٧/٥، وفيات الأعيان ٤٨٦/١) .

[٣] في الأصل بياض بمقدار أربعة أسطر، بدون نقص في الكلام.

[٤] في ط، ب، ل: دعي.

[٥] أحمد بن طولون: أبو العباس، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور، تركي مستعرب، كا شجاها جوادا حسن السيرة، شديدا على الخصوم، تفقه وتأدب في سامراء، وحظي عند المتوكل فولاه الثغور وإمرة دمشق ثم مصر، توفي سنة ٢٧٠ هـ. (النجوم الزاهرة ١/٣، بدائع الدهور ٣٧/١، الولاة والقضاة ص ٢١٢-٢٣٢، ابن الأثير ١٣٦/٧ ابن خلكان ٥٥/١) .." (١)

"فنه [١] ، فان المتصدر قبل أوانه سفيه، ورب فقيه لا أدب فيه، فلما أتم درسه، وبسط لي أنسه، وسألني عن حالتي، فقلت في لجاجتي: نحن عشرة ذوو نسب، وألو علم وأدب، وقد أنشد كل منا بيتي شعر، سامهما بأغلى سعر، وأقام وزنهما، وقال: إنهما وإنهما، وأنا رسول أصحابي إليك، لتنصف بيننا فقد

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/١٦٨

دللت عليك، فقال: قل ما أردت أن تقول، وابدأ بنفسك ثم بمن تعول، ثم أصاخ إلي، فأنشدت بيتي، وهما: [السريع]

زائرة زارت بلا موعد ... أفدي بما أملكه سيرها

فقلت ماذا وقته فارجعي ... وعاودينى ليلة غيرها

فقال: **هذا سوء الأدب** بالأدب، والدليل على ضعف الطلب، أتزورك متفضلة، وترجع خجلة، سأنشدك بيتين لا مطعن عليهما، ولم أسبق إليهما [٢] : [السريع]

جبرت يا عائدتي بالصله ... فتممي الإحسان تنفي الوله

وهذه قد حسبت زورة ... لم أنت يا لعبة مستعجله

ثم قال: هكذا المعاني، فأنشدته قول الثاني: [السريع]

يا من أعار الليث حسن اللقا ... وكم أعار السحب الهطلا

بعضك في الجود ككل الورى ... فاعجب لبعض يعدل الكلا

فقال: لقد أشبهك في بيتيك، لا بل أربى **في سوء الأدب** عليك، فمن أعار الليث لقاه، فبماذا يلقى عداه؟ ومن أعار السحب الهطل، فقد خلت عن الهطل يداه، ولو أبدل أعار ب (علم) ، واحترز من خطر عموم البيت الثاني، كان أسلم، إذ يلزمه أن يكون بعض هذا الممدوح، مساويا في الجود للورى حتى للكليم والروح، لقد أخطأ وأحال، ويا ليته قال: [مخلع البسيط]

علمت ليث الشرى وثوبا ... والسحب علمتهن هطلا

حاشاك ذم وكل ضد ... فصح قولي حاشا وكلا

ثم قال: قد أريتك المباحث، فأنشدته قول الثالث: [السريع]

لو كنت محتاجا إلى درهم ... لكان بالمداح لي أسوه

وكان من لا يعطني أهجه ... فالحمد لله على الثروه

---

[١] قوله: (فاحتقرته لحداثة سنه.... غير فنه) ساقطة من نسخة ب.

[٢] البيتان في فوات الوفيات ١٥٨/٣ تحقيق إحسان عباس ط بيروت ١٩٦٨، مع خلاف يسير في الرواية،

والبيتان في أعلام النبلاء ٧/٥، وتتمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي، ٢٨٥/١، تحقيق رفعة البدراوي، ط بيروت ١٩٥٠ م.." (١)

"درهما وتقول: لا أدري؟ فقال: آكل بقدر علمي، ولو أكلت بقدر جهلي ما كفاني ما في الدنيا جميعا. سئل ثعلب عن شيء فقال: لا أدري، فقيل: إليك تضرب أكباد الإبل وأنت تقول: لا أدري؟ فقال للقائل: لو كان لأمك بعدد ما لا أدري بعر لاستغنت. سئل أبو بكر القباطي وهو على المنبر فقال: لا أدري.

فقيل: ليس هذا موضع الجهال. فقال: إنما علوت بقدر علمي، ولو علوت بقدر جهلي لعلوت السماء.

أعرابي: لا تقل فيما لا تعلم فتتهم فيما تعلم. من فاته الأدب فاته أعظم الآداب. أرسطاطاليس: من ترك الأدب عقم عقله. من قعد به حسبه نهض به أدبه. **حسن الأدب** يستر قبيح النسب. الفضل بالعلم والأدب لا بالأصل والنسب. من ساء أدبه ضاع نسبه. كل خير ينال بالطلب يزداد بالأدب. الأدب مال واستعماله كمال. النبي صلى الله عليه وسلم: «ما نحل «١» والد ولده نحلا أفضل من أدب حسن» . قيل: من لم يؤدبه الأبوان أدبه الملوان «٢» . جاليءنوس: إن ابن الوضيع إذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا في شرفه، وإن ابن الشريف إذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا في سقوطه. لقمان: اغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك. علي رضي الله عنه: الناس عالم أو متعلم وسائر الناس همج. الثوري: هتف العلم بالعمل، فإن أجابه استقر وإلا ارتحل. أبو حيان التوحيدي: لا تأنس بالعمل ما دمت متوحشا من العلم، ولا تثقن بالعلم ما دمت مقصرا في العمل، ولكن اجمع بينهما.." (٢)

"الله أحب من حسن خلقه. قيل لأعرابي: أتعرف الجمال؟ قال: إي لعمري، فقالوا: وما هو؟ فقال: عظم الأنف وسعة الشدق وضخامة القدمين والكعبين.

الأصمعي: رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح، فقلت:

يا هذه أترضين أن تكوني تحت هذا؟ فقالت: يا هذا لعله أحسن فيما بينه وبين الله تعالى فجعلني ثوابه، وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عقوبتي، أفلا أرضى بما رضي الله تعالى. ذهب جماعة من المتمولين إلى الأعمش وهو قائم في بابه، فلما رآهم مقبلين عليه دخل إلى بيته وخرج مسرعا في تلك الساعة، فسئل عن سبب ذلك فقال: رأيتكم قبحاء المنظر ثقلاء الصحبة فدخلت إلى امرأتي فلما رأيتها رضيت بكم، فإن

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٣٣٩

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٠

فوق المحنة محنة.

قال حكيم لشاب قبيح الوجه **حسن الأدب**: قد أخفت محاسن أدبك قبائح وجهك. قال رجل لمنصور بن الحلاج «١» : إن كنت صادقا فيما تدعيه فامسخني قردا، فقال: لو هممت لذلك لكان نصف العمل مفروغا منه. قيل: أقبح من القبيحة في عين ضرتها، كما يقال في الحسن: أحسن من الحسناء في عين أمها. قيل: أقبح من زوال النعمى وفوت المنى وطلعة الردى. قيل: أسمج من واو عمرو. قيل للحظوة: إلى أين تذهبين؟ فقالت: أقارن القباح. الجاحظ:

ما أخجلني إلا امرأة حملتني إلى صائغ وقالت له: مثل هذا. فبقيت مبهوتا فسألت الصائغ عن سببه فقال: هي امرأة استعملتني في صورة شيطان فقلت: لا أدري كيف أصوره، فأتت بك وقالت: مثل هذا. وقرع عليه قوم الباب، فخرج غلامه فسألوه: ما يصنع؟ فقال: هو ذا يكذب على الله. فقيل: كيف؟

قال: نظر في المرآة فقال: الحمد لله الذي خلقني فأحسن صورتي. وقيل فيه:

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ... ما كان إلا دون قبح الجاحظ." (١)

"بخدمة القلب. ماتت للمهدي جارية فجزع عليها جزعا شديدا، فكتب إليه أبوه:

كيف تجزع على أمة؟ فقال: جزعي لشيمتها لا لقيمتها. عن النبي صلى الله عليه وسلم: «بئس المال في آخر الزمان المماليك» . مجاهد: إذا كثر الخدم كثر الشياطين.

معاوية: التسلط على المماليك من لؤم القدرة. ابتاع بعض مشايخي غلاما فقلت: بورك لك فيه، فقال: البركة مع من قدر على خدمة نفسه، فاستغنى عن استخدام غيره، فخفت مؤنته وهانت تكاليفه وكفي سياسة العبد. أميروس:

التسلط على المماليك دناءة. وعنه صلى الله عليه وسلم: «الحرائر صلاح البيت والإماء هلاكه» . يقال: إذا لم تجد من الخدم إلا من ساء أدبه فاخدم نفسك فإنه يحمل على قلبك بسوء الأدب من الأذى أضعاف ما يرفع عن بدنك بخدمته من العناء.

يقال: لا تسمح لولدك ولا لامرأتك ولا لخادمك بما فوق الكفاية، فإن طاعتهم لك مقرونة بحاجتهم إليك.

يقال: اليسار مفسدة للنساء لاستيلاء شهوتهن على عقولهن. دعا علي كرم الله وجهه غلامه مرات فلم يجبه فنظر فإذا هو بالباب فقال: لم لا تجيبني؟ فقال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك، فاستحسن كلامه وأعتقه وقال: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه. يحيى بن أكثم: بت ليلة عند المأمون فعطش وقام فشرب

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٣٦٩

بنفسه، وكنت قد قصدت إلى الماء فقال: استخدام الرجل ضيفه لؤم، وأردت إيقاظ الخدم فقال: هم نيام وقد تعبوا في الخدمة وإني أسمعهم في الخلاء يشتمونني وأعفو عنهم. وعنه: جلس المأمون على جانب دجلة عند دخوله إلى بغداد وعنده العلماء والأشراف فإذا بملاح في سفينة عتيقة يدخل الماء في جوانبها وعليه ثوب خلق «١» وهو يصيح بأعلى صوته: أتظنون أن هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه الأمين، فسمع وتبسم والتفت إلينا وقال: ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا السيد الجليل.." (١)

"إن الرسول شهاب ثم يتبعه ... نور مضيء له فضل على الشهب

«الشهم» :

بفتح أوله وكسر ثانيه: السيد النافذ الحكم.

«الشهيد» :

العليم أو العدل المزكي. قال تعالى: ويكون الرسول عليكم شهيدا أي معدلا مزكيا.

روى البخاري من حديث عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: «أنا فرطكم وأنا شهيد عليكم»
[(١)] .

وهو من أسمائه تعالى ومعناه أنه الذي لا يغيب عنه شيء.

قال ابن الأثير: وهو فعيل من أبنية المبالغة في فاعل وإذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم فإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، أو إلى الظاهر فهو الشهيد. انتهى فكل شهيد وخبير عليم ولا عكس.

وقيل هو الشاهد يوم القيامة بما علم.

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يدعى نوح يوم القيامة فيقال: هل بلغت فيقول: نعم فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد. فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته.

فذلك قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة [(٢)] وسطا الآية. والوسط العدل. ولهذا مزيد بيان يأتي إن شاء الله تعالى في الخصائص والله تعالى أعلم.

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٠٨

«الصابر» :

اسم فاعل من الصبر، وهو حبس النفس عن الجزع وإمساكها في الضيق والفزع. وقال في الإحياء: هو ثبات باعث الدين على مقاومة باعث الهوى. وفي رسالة الأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى: الصبر إما على مكتسب للعبد وإما على غيره فالأول الصبر على ما أمر الله تعالى به وعما نهى عنه. والثاني: الصبر على مقاساة ما يتصل به من حكم الله لما فيه من مشقة. وقال الجنيد: هو تجرع المرارة من غير تعبيس وقال ابن عطاء: هو الوقوف مع البلاء **بحسن الأدب**.

وقال الجريدي: ألا يفرق بين حال النعمة و المحنة مع سكون الخاطر فيهما. وقيل: هو ترك الشكوى إلى العباد، فلا ينافيه الشكوى إلى الله تعالى لأنه وصف أيوب بالصبر فقال: إنا وجدناه صابرا مع شكواه إليه حيث قال: أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين.

[(١)] أخرجه البخاري ٣/ ٢٤٨ كتاب الجنائز (١٣٤٤) .

[(٢)] أخرجه البخاري ٦/ ٤٨ كتاب التفسير (٤٤٨٧) .." [(١)]

"الله تعالى عنه-: لما أذنت له قريش أن يطوف بالبيت، حين وجهه- صلى الله عليه وسلم- إليهم في القضية أبي وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

وروى الترمذي وحسنه، في حديث طلحة أن أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قالوا لأعرابي جاهل نتله- صلى الله عليه وسلم- عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه. فسأله، فأعرض عنه، إذ طلع طلحة فقال: هذا ممن قضى نحبه.

وروى أبو داود في الأدب، والترمذي في الشمائل، في حديث قيلة- بقاف مفتوحة، وتحتية ساكنة- بنت مخرمة، العنبرية، فلما رأته جالسا القرفصاء أرعدت من الفرق هيبة له وتعظيما.

وروى الحاكم في علوم الحديث، والبيهقي في المدخل في حديث المغيرة: «كان أصحابه -صلى الله عليه وسلم- يقرعون بابه بالأظافير» .

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٤٧٦/١

وروى أبو يعلى أن البراء بن عازب- رضي الله تعالى عنه-، قال: لقد كنت أريد أن أسأله- صلى الله عليه وسلم- عن الأمر فأؤخره سنين من هيبته.

تنبيهات

الأول: قوله تعالى: تعزروه بعين مهملة، فزاي، فراء، أي: يقووه ويعينونه على دينه، وقرئ بزايين من العز، وهي الشدة والقوة، قال القاضي: ونهى عن التقدم بين يديه، بآية لا تقدموا السابقة، وقد اختلف في تفسيرها، فقال ابن عباس، واختاره ثعلب: نهوا عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب، بسبقه بالكلام، وقال سهل بن عبد الله التستري: لا تقولوا قبل أن يقول، وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا.

الثاني: اختلف في سبب نزول قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الآيات، وقوله تعالى: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم. وقيل: نزلت هي ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي- صلى الله عليه وسلم- واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما عنده- صلى الله عليه وسلم-.

وقيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي- صلى الله عليه وسلم- في مفاخرة بني تميم، وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت أقام في منزله، وخشي أن يكون قد حبط عمله، ثم تفقده النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبر بشأنه، فدعاه، فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا نبي الله، خشيت أن أكون هلكت، نهانا الله- تعالى- أن نجهر بالقول، وأنا امرؤ جهير الصوت.

فقال." (١)

"قال ابن دينار: لما قال ذلك يوسف قيل له: اتخذت من دوني وكيلا، لأطيلن حبسك.

فقال: يا رب، أنسى قلبي كثرة البلوى.

وقال بعضهم: يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل الذر، لمكانتهم عنده، ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به **من سوء الأدب**.

وقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه: إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان، وما ذكرته، وحالهم أرفع فحالهم إذا في هذا أسوأ حالا من غيرهم.

فاعلم- أكرمك الله- إنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم، بل نقول: إنهم يؤاخذون

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ١١/٤٣٧

بذلك في الدنيا، ليكون ذلك زيادة في درجاتهم، ويبتلون بذلك، ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبهم، كما قال: ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. وقال لداود: فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب [ص ٢٥] .

وقال- بعد قول موسى: تبت إليك [الأعراف ١٤٣] : إني اصطفيتك على الناس [الأعراف ١٤٤] . وقال- بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته: فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب. والشياطين كل بناء وغواص. وآخرين مقرنين في الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب [ص ٣٦- ٤٠] .

وقال بعض المتكلمين: زلات الأنبياء في الظاهر زلات، وفي الحقيقة كرامات وزلف، وأشار إلى نحو مما قدمناه.

وأيضا فلينبه غيرهم من البشر منهم، أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك، فيستشعروا الحذر، ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم، ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم، فكيف بمن سواهم، ولهذا قال صالح المري: ذكر داود بسطة للتوابين.

قال ابن عطاء: لم يكن ما نص الله تعالى عليه من قضية صاحب الحوت نقصا له، ولكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم.

وأيضا فيقال لهم: فإنكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر.

ولا خلاف في عصمة الأنبياء من الكبائر، فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا، فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها، وهي مغفورة لو كانت؟." (١)

"في أحد المساجد الثلاثة أنه يلزمه إتيانها دون غيرها، وأما إتيان قباء وغيرها من مواضع الرباط فلا بأس بإتيانها بدليل حديث قباء هذا.

وقال العلامة ابن جملة: وهذا الذي ذكره هو الحق الذي لا محيد عنه، ولهذا تجد الأئمة من الفقهاء والمحدثين يذكرون الحديث في باب النذر، والسفر للجهاد، وتعلم العلم الواجب، وبر الوالدين، وزيارة الإخوان والتفكير في آثار صنع الله كله مطلوب للشارع وجوبا واستحبابا والسفر للتجارة والأعراض الدنيوية جائز، وكله خارج من هذا الحديث، فلم يبق إلا شد الرحل للمعصية وحينئذ هو الممنوع، ولا يختص المنع بشد الرحل باستحسان الله، أيكون السفر لزيارة النبي- صلى الله عليه وسلم- من هذا القسم لقد اجترأ

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٤٨٢/١١

على الله وعلى رسوله من قال هذا، وهو كلام يدور حول الاستهانة وسوء الأدب في إطلاقه ما يقتضي كفر قائله نعوذ بالله من الخذلان، وكذلك ليس

قوله- صلى الله عليه وسلم- «لا تتخذوا قبري عيدا وتجعلوا بيوتكم صورا»

ما يعارض ما تقدم، لأن سياقه يقتضي دفع توهم من توهم أن الصلاة عليه- صلى الله عليه وسلم- لا تكون مؤثرة إلا عند قبره فيفوت بسبب ذلك ثواب الصلاة عليه من بعد، ولهذا قال- صلى الله عليه وسلم-: «صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم» .

ولا نعلم خلافا بين أهل العلم في جواز السفر وشد الرحل، لغرض دنيوي كالتجارة، فإذا جاز ذلك فهذا أولى، لأنه من أعظم الأغراض الأخروية فإنه في أصله من الآخرة لا سيما في هذا الموضع، ولا نعلم خلافا بين أهل العلم في جواز السفر وشده.." (١)

"الباب الثالث في الرد على من زعم أن شد الرحل لزيارته- صلى الله عليه وسلم- معصية

قد تقدم أنه انعقد الإجماع على تأكد زيارته، وحديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد حجة في ذلك.

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر بعد أن ذكر حديث الصحيحين: أنه- صلى الله عليه وسلم- كان يأتي قباء راكبا وماشيا ليس في إتيانه- صلى الله عليه وسلم- مسجد قباء ما يعارض الحديث الأول، لأن ذلك معناه عند العلماء فيمن نذر على نفسه صلاة في أحد المساجد الثلاثة أنه يلزمه إتيانها دون غيرها.

وأما إتيان مسجد قباء وغيره من مواضع الرباط فلا بأس بإتيانها بدليل حديث قباء هذا.

قال الإمام العلامة محمود بن جملة: وهو الذي ذكره هو الحق الذي لا محيد عنه، ولهذا تجد الأئمة من الفقهاء والمحدثين يذكرون الحديث في باب النذور والسفر للجهاد، ولتعلم العلم الواجب، وبر الوالدين، وزيارة الإخوان، والتفكير في أثار صنع الله تعالى، وكله مطلوب للشارع إما وجوبا، أو استحبابا، والسفر للتجارة والأغراض الدنيوية جائز وكله خارج عن هذا الحديث، فلم يبق إلا شد الرحل للمعصية، وحينئذ هو النوع، ولا يختص بشد الرحل، يا سبحان الله أن يكون السفر لزيارة النبي- صلى الله عليه وسلم- من هذا القسم لقد اجترأ على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من قال هذا، وهو كلام يدور مع الاستهانة وسوء الأدب، وفي إطلاقه ما يقتضي كفر قائله نعوذ بالله من الخذلان، وكذا في

قوله- صلى الله عليه وسلم-: «لا تتخذوا قبري عيدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا»

يعارض ما سبق لأن سباقه يقتضي دفع توهم من توهم أن الصلاة عليه لا تكون مؤثرة إلا عند قبره فيفوت

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣٥٤/١٢

بسبب ذلك ثواب المصلي عليه من مصل، ولهذا

قال- صلى الله عليه وسلم-: «فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم»

ولا نعلم خلافا بين أهل العلم في جواز السفر وشد الرحل لغرض دنيوي كالتجارة فإذا جاز ذلك فهذا أولى، لأنه أعظم الأغراض الأخروية فإنه في أصله من أمر الآخرة لا سيما في هذا الوضع ولا نعلم خلافا بين أهل العلم في جواز السفر وشد الرحل لغرض أخروي كالاعتبار بمخلوقات الله- عز وجل- وآثار صنعه وعجائب ملكوته ومبتدعاته، وقد دل على هذا آيات كثيرة في الكتاب العزيز كقوله تعالى: قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير [العنكبوت: ٢٠] والاعتبار لمن بصره الله تعالى بمثل هذا السفر، فإن المسلم العاقل يحصل له أعظم العبر فيتقرر عنده أن الدنيا ليست بدار مقام، وأن آخر أمرها شرب كأس." (١)

"ولله در القائل:

قرب الديار يزيد شوق الواله ... لا سيما إن لاح نور جماله

أو بشر الحادي بأن لاح النقا ... وبدت على بعد رؤوس جباله

فهناك عيل الصبر عن ذي صبوة ... وبدا الذي يخفيه من أحواله

وليجتهد حينئذ في مزيد الصلاة والتسليم وترديد ذلك كلما دنا من الربا والأعلام، ولا بأس بالترجل والمشي عند رؤية ذلك المحل الشريف والقرب منه كما يفعله بعضهم، لأن وفد عبد القيس لما رأوا النبي- صلى الله عليه وسلم- نزلوا عن رواحلهم ولم ينكر عليهم والعظمة بعد الوفاة كهو في الحياة.

وقال أبو سليمان داود المالكي: في «الانتصار» إن ذلك يتأكد فعله لمن أمكنه من الرجال، وإنه يستحب تواضعا لله تعالى وإجلالا لنبيه- صلى الله عليه وسلم-.

وحكى القاضي أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة الشريفة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشي باكيا منشدا:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا على الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

ولله در القائل:

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري ... قمر تقطع دونه الأوهام

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣٨٣/١٢

وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الثرى ... ولها علينا حرمة وذمام

وقال غيره:

أتيتك راجلا وودت أني ... ملكت سواد عيني أمتطيه

وما لي لا أسير على الأماقي ... إلى قبر رسول الله فيه

ومنها إذا بلغ حرم المدينة الشريفة فليقل بعد الصلاة والتسليم: اللهم، هذا حرم نبيك ورسولك- صلى الله عليه وسلم- الذي حرمته على لسانه ودعاك أن تجعل فيه من الخير والبركة مثلي ما هو في حرم مكة البيت الحرام، فحرمني على النار وأمني من عذابك يوم تبعث عبادك وارزقني من بركاته ما رزقت به أوليائك وأهل طاعتك ووفقني فيه **بحسن الأدب** وفعل الخيرات وترك المنكرات، ثم يشتغل بالصلاة والتسليم، وإن كانت طريقه على ذي الحليفة، فلا يجاوز." (١)

"الخدري- رضي الله تعالى عنه- مرفوعا: من قال ذلك في مسيره إلى المسجد، وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، ويقبل الله عليه بوجهه، ثم ليقوي في قلبه شرف المدينة، وأنها حوت أفضل بقاع الأرض بالإجماع وإن بعض العلماء قال: إن المدينة أفضل أمكنة الدنيا، وفيها أرض مشى جبريل في عرصاتها، الله شرفها به وحماها.

ومنها: أن يقدم صدقة بين يدي نجواه ويبدأ بالمسجد الشريف قبل التعريج على أمر من الأمور أي شيء هو إلى مباشرته في ذلك الوقت غير مضطر ولا مضرور، فإذا شاهد المسجد النبوي والمسجد المحمدي فليستحضر أنه أتى مهبط أبي الفتوح جبريل، ومنزل أبي الغنائم ميكائيل، والموضع الذي خصه الله تعالى بالوحي والتنزيل فليزدد خشوعا وخضوعا بهذا المقام ويقتضيه هذا المسجد الذي ترتعد دونه الأقدام ويجتهد في أن يوفق للوفاء بحقه من التعظيم والقيام.

ومنها ما قاله القاضي فضل الله بن نصر التوزي: من أن الدخول من باب جبريل أفضل وجرت عادة القادمين من ناحية باب السلام بالدخول منه، فإذا أراد الدخول فليفرغ قلبه وليستصف ضميره، ويقدم رجله اليمنى، ويقول: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبنوره القديم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، رب وفقني وسددني

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣٨٦/١٢

وأصلحني، وأعني على ما يرضيك عني ويقف عند النبي **بحسن الأدب** ثم يقول في هذه الحضرة الشريفة: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ولا يترك ذلك كلما دخل المسجد أو خرج منه إلا أنه يقول عند خروجه، افتح لي أبواب فضلك بدل قوله: وافتح لي أبواب رحمتك.

ومنها: إذا صار في المسجد فلينو الاعتكاف مدة لبثه وإن قل على مذهب الإمام الشافعي- رحمه الله تعالى- فيجوز لما فيه من الفضل ثم ليتوجه إلى الروضة المقدسة، وإن دخل من باب جبريل فيقصدها من خلف الحجرة الشريفة مع ملازمة الهيبة والوقار وملابسة الخشية والانكسار والخضوع والافتقار، ثم ليقف في مصلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إن كان خاليا وإلا فيما يلي المنبر من الروضة، وإلا في غيرها فيصلي تحية المسجد ركعتين خفيفتين.

ونقل العلامة زين الدين المراغي عن بعض مشايخه: أن محل تقدم التحية على الزيارة إذا لم يكن مروره قبالة الوجه الشريف فإن كان استحبت الزيارة أولا مع أن بعض المالكية ترخص في تقديم الزيارة على الصلاة.." (١)

"وقال المبرد: يبالغوا في تعظيمه.

وقال الأخفش: ينصروه.

وقيل: التعزير نصر مع تعظيم.

وقرئ «يعزروه» بزائين من العز، ونهى عن التقدم بين يديه بسوء الأدب والقول، بسبقه الكلام على قول ابن عباس وغيره، وهو اختيار ثعلب.

وقال سهل بن عبد الله: لا تقولوا قبل أن يقول، وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا، ونهى عن التقدم والتعجيل بقضاء قبل قضائه فيه، وأن يفتاتوا عليه شيئا من أمر دينهم إلا بأمره، ولا يسبقوه به، وإلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي، وحذر مخالفة ذلك بقوله تعالى:

واتقوا الله إن الله سميع عليم [الحجرات: ١] .

قال الماوردي: «اتقوا» في التقدم [المنهي عنه] .

قال السدي: اتقوا الله في إهمال حقه، وتضييع حرمته، إنه «سميع» لقولكم «عليم» بفعلكم.

وقد تقدم الكلام على هذه الآيات في «الخصائص» ورأس الأدب معه- صلى الله عليه وسلم- كمال

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ١٢/٣٨٨

التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة خيال باطل نسميه معقولا أو نسميه شبهة أو شكا، أو تقدم إليه آراء الرجال وزيادة أذهانهم، فيوجد التحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وجد المرشد بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسل، فلا يتحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره.

فصل فيما روي من تعظيم الصحابة- رضي الله تعالى عنهم- للنبي- صلى الله عليه وسلم-

روى مسلم عن عمرو بن العاص- رضي الله تعالى عنه- قال: وما كان من أحد أحب إلي من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيقه أن أملأ عيني منه إجلالا له.

وروى الترمذي عن أنس- رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر، فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما، ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما.

وروى أبو داود عن أسامة بن شريك- رضي الله تعالى عنه- قال: أتيت." (١)

"أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنها تفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع صلى الله عليه وسلم أمته- إذا سألوا الله تعالى الجنة- أن يسألوه إياها، فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان في نحر العدو، وهم على ثلاثة أضعافهم عددا وعددا!! الخامس والعشرون: استشكل قوله: اعملوا ما شئتم [فصلت ٤٠] فإن ظاهره أنه للإباحة، وهو خلاف عقد الشرع، وأجيب بأنه إخبار عن الماضي أن كل عمل كان لكم فهو مغفور، ويؤيده إنه لو كان لما يستقبلونه من العمل لم يقع بلفظ الماضي، ولهذا لقال: فسأغفره لكم، وتعقب بأنه لو كان للماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب، لأنه صلى الله عليه وسلم خاطب بذلك عمر منكرا عليه ما قال في أمر حاطب، وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين، فدل على أن المراد ما سيأتي.

وأورده بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه، وقيل: إن صيغة الأمر في قوله: اعملوا للتشريف والتكريم، فالمراد عدم المؤاخذة بما يصدر عنهم، وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم السالفة، وتأهلوا لأن يغفر لهم الذنوب اللاحقة إن وقعت، أي كل ما عملتموه بعد هذه الوقعة من أي عمل كان فهو مغفور، وقيل: إن المراد أن ذنوبهم تقع إذا وقعت مغفورة، وقيل: هي شهادة بعدم وقوع

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٣٩٣/١٢

الذنوب منهم، وفيه نظر ظاهر، لما في قصة قدامة بن مظعون حين شرب الخمر في أيام عمر متأولا وحده، فهاجر بسبب ذلك، فرأى عمر في المنام من يأمره بمصالحته، وكان قدامة بدريا والذي يفهم من سياق القصة الاحتمال الثاني، وهو الذي فهمه أبو عبد الرحمن السلمي التابعي الكبير، واتفقوا على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة، لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها.

السادس والعشرون: قول الأنصار: «ائذن لنا فلنترك لابن أختنا» – بالفوقية– المراد أنهم أخوال أبيه عبد المطلب، فإن أم العباس هي نتيلة– بالنون والتاء المثناة الفوقية مصغرة– بنت جناب– بالجيم والنون– وليست من الأنصار، وإنما أرادوا بذلك أن أم عبد المطلب منهم، لأنها سلمى بنت عمرو بن أحيحة– بمهملتين مصغرا– وهي من بني النجار، وإنما قالوا: ابن أختنا لتكون المنة عليهم في إطلاقه، بخلاف ما لو قالوا: عمك لكانت المنة عليه صلى الله عليه وسلم، وهذا من قوة الذكاء **وحسن الأدب** في الخطاب، وإنما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من إجابتهم لئلا يكون في الدين نوع محاباة.

[ذكر أسماء من شهدوا بدرا]

السابع والعشرون: في معرفة من شهد بدرا من المسلمين، جملة من ذكر من المهاجرين أربعة وتسعون، وروى البخاري عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: جميع من." (١)

"وحكى القرطبي في تفسيره أن أعرابيا قال لسليمان بن عبد الملك وقد قال له أزل الشعرة من لقمتك وهو يأكل من طعام عبد الملك شعر:

وللموت خير من يسارة باخل ... يلاحظ أطراف الأكيل على عمد

آداب الشرب

ويكره التنفس في الإناء، ونفخ الطعام ليبرد، وإن كان الطعام حارا فليصبر حتى يبرد. وإذا أتى بكوز ليشرب منه فلينظر إلى طرفه قبل الشرب، فقد يكون فيه شيء يؤذيه. ويستحب تنحية رأسه عن الكوز عند إرادة التنفس، ولا ينفخ في الماء، ولا يتنفس داخل الكوز، وإذا شرب شرب قليلا مصا مصا لقوله صلى الله عليه وسلم: " مصوا الماء مصا ولا تغبوه غبا فإن الكباد من الغب " والكباد بضم الكاف وفتح الباء الموحدة قيل وجع الكبد. على أن بعضهم قال أتفق سبعون حكيما على أن كثرة النوم من شرب الماء. وقال الدميري والشرب بثلاثة أنفاس يتحصل له فيها عشر حسنات: تسمية الله تعالى في الابتداء، وحمده في الآخر ثلاثا، وإبانة القدح عن فيه مرتين، فتنفسه مرتين امتثالا للأمر، وإذا شرب يناوله الأيمن فالأيمن، ويكون

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ٤/٩٠

الساقي آخرهم شربا انتهى.

تصغير اللقمة

وقال النووي في فتاويه: هل صح أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتصغير اللقمة في الأكل وتدقيق المضغ، أو يستحب ذلك؟ فأجاب: لم يصح في ذلك شيء، وهو مستحب إذا كان فيه رفق بجلسائه، أو قصد بذلك تعليمهم الأدب، أو كان في الطعام قلة، وكان ضيفا، أو كان شبعان وعرف أنه رفع يده يرفع غيره يده ممن له حاجة في الأكل أو نحو ذلك من المقاصد الصالحة انتهى.

الأكل بالأصابع

وقال العبادي إذا كان الطعام سمحا أستحب الأكل بجميع الأصابع، وإن كان جامدا أستحب بثلاثة. قال الشافعي رضي الله عنه: والأكل بإصبع واحدة من المقت، وبإصبعين من الكبر، وبثلاث أصابع من السنة، وبأربع وخمس من الشره. وفي الأوسط للطبراني عن كعب بن عجرة قال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث قبل أن يمسحها: الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام ".قال الشيخ سراج الدين بن الملقن في شرح الترمذي: كأن السر فيه أن الوسطى أكثر تلوثا لأنها أطول، فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها، ولأنها لطولها أول ما تنزل في الطعام انتهى. وفي مسلم من حديث كعب بن عجرة قال: " رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها ". قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: فيحتمل هذا الحديث أن يكون أطلق على الأصابع اليد، ويحتمل وهو الأولى أن يكون المراد باليد الكف كلها، فيشمل الحكم من أكل بكفه كلها، أو بأصابعه فقط، أو ببعضها. ويؤخذ منه أن الأكل بثلاث أصابع هو السنة. قال عياض والأكل بأكثر منها من الشره وسوء الأدب كتكبير اللقمة، ولأنه غير مضطر إلى ذلك لجمع الطعام اللقمة وإمساكها من جهاتها الثلاث، فإن أضطر إلى ذلك لخفة الطعام وعدم تلقفه بالثلاث عمد الرابعة أو الخامسة. وقد أخرج سعيد بن منصور من مراسيل أبن شهاب: " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل أكل بخمس " فيجمع بينه وبين حديث كعب، باختلاف الحال انتهى.

من آداب الطعام أيضا

وينبغي للآكل أن يتوسط في أكله، فلا يقصر فيه حتى ينسب إلى التحشم، ولا يتابع فيه حتى ينسب إلى الشره والجوع والبخل، وأن لا يقضم الخبز بفمه ثم يضعه في الطعام، فإنه يورث قنافة، من حيث إنه قد يكون فمه أبخر، ولأن البصاق ينفصل على اللقمة من الفم إلى الطعام. ويسمى هذا النوع في كتاب " معايب الآكل " بالمهندس، من حيث إنه يصلح اللقمة ويهندسها ثم يضعها في الطعام وهو مذموم. وأن

يضم شفتيه عند الأكل لمعنيين، أحدهما: أنه يأمن ما يتطاير من البصاق حال المضغ، وقد يقع ذلك في الطعام فيورث القنافة. الثاني: أنه إذا ضم شفتيه لفمه ترقق. وينبغي له عند السعال أن يحول وجهه عن الطعام أو يبعده عنه أو يجعل شيئا على فيه، لئلا يخرج منه بصاق فيقع في الطعام، وأن لا يطأطئ برأسه على الإناء حالة الأكل، وإذا كان المأكول بطيخا قد وضح على طبق أو غيره فينبغي له ألا يخلط ما أكله من القشر، بما لم يؤكل، لأنه يورث القنافة وتنفيرا عن أكل الباقي، ولا يرمي القشر، لأن في رميه كلفة في جمعه ليطرح في المزبلة، وربما نالت القشور رأس الجليس فصدمته، أو تقابل منها شيء حالة الرمي، بل يجعله على حدة.." (١)

"٣٠٦ – حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أنبأنا يحيى بن حسان، حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن عمرو بن أبى عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال:

«كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ربما يسمعها من فى الحجرة وهو فى البيت».

———

لنا قولا عليه جماعة من الأصوليين: أن لا تكلم لا يدخل فى عموم الكلام، وحمل ابن المنير رواية مسلم: «أنه أعطى شطر الحسن» (١) على أن المراد أعطى شطر الحسن الذى أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم. (لا يرجع) مر فيه ما يعلم منه أنه لا تنافى بينه وبين الحديث السابق، وأن ذلك أولى من الجواب: بأن ترك الترجيع كان عن عمد، وفعله كان غير عمد، وقيل: المراد؛ ولا يرجع فى الغناء، ويرجع فى القراءة، وفيه من سوء الأدب فى التعبير ما هو ظاهر لإيهامه أنه صلى الله عليه وسلم كان يغنى بلا ترجيع.

...

———

٣٠٦ – إسناده حسن: عمرو بن أبى عمرو: قال فيه الحافظ: ثقة ربما وهم. ورواه أبو داود فى الصلاة (١٣٢٧)، من طريق بن أبى الزناد به فذكره.

(١) رواه مسلم فى الإيمان (١٦٢)، وأحمد فى مسنده (٣/ ١٤٨،٢٨٦).." (٢)

"ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ. حديثهم عنده حديث أولهم. يضحك مما

---

(١) فص الخواتم فيما قيل في الولائم ابن طولون ص/١٥

(٢) أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل ابن حجر الهيتمي ص/٤٥٢

يضحكون، ويتعجب مما يتعجبون، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابه

الظاهرة التى ترتبط بها مصالح وأحكام شرعية كما قدمته، وهذا فى التجسيس، والاطلاع على العورات وهذا لم يقع منه صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ولا تجسسوا (١).
(رجاء ثوابه): أثره على ثياب عليه لأنه أليق بالأدب، إذ لا يتحتم على الله إثابة أحد وإن بلغ ما بلغ من العظم. (أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير): كناية عن كونهم عنده كانوا على غاية تامة من السكون، وإطراق الرأس، وعدم الحركة والالتفات، أو عن كونهم مهابين مدهوشين فى هيبته صلى الله عليه وسلم ما إن كلامه عليه أهبة الوحى، وجلالة الرسالة، وأصل ذلك، أن سليمان كان إذا أمر الطير بأن يظلوا أصحابه، غضوا أبصارهم، ولم يتكلموا حتى يسألهم، مهابة منه، قيل للقوم إذا سكتوا مهابة: كأنما على رؤسهم الطير، أو عن كونهم متلذذين بكلامه، وأصل ذلك: أن الغراب يقع على رأس البعير، يلقط منه صغار القراد، فيسكن سكون راحة ولذة، لا يحرك رأسه، خوفا من طيرانه عنه. (وإذا سكت تكلموا): هذا كالذى قبله وبعده، من عظيم أدبهم فى حضرته وخضوعهم بين يديه وإجلالهم له وهيبته عندهم وتوقيرهم له، لشهودهم على شأنه، وكمال مرتبته صلى الله عليه وسلم، وتخلقهم بأخلاقه. (لا يتنازعون عنده الحديث): أى لا يتخاصمون فيه. (حديثهم عنده حديث أولهم): أى أفضلهم، إن كان لا يتقدم غالبا بالكلام بين يديه، إلا أكابر الصحابة فكان يصغى لحديث كل منهم، كما يصغى لحديث أولهم، ويحتمل أن المراد: إذا تكلم بشىء قبله منه، وعلم أنهم موافقوه علىه غالبا لمن من الله به عليهم من تألف قلوبهم، وكمال اتفاقها. (يضحك) إلخ: أى هو تابع لهم ضحكا وتعجبا، لكن علم مما مر أن غالب ضحكه التبسم، وهذا من خلقه العظيم على الجفوة هى الجفاء، والغلظة، وسوء الأدب، مما كان يصدر من جفاة العرب فى منطقهم ومسألتهم. (ليستجلبونهم): أى إلى مجلسه حتى يستفيدون من أسئلتهم ما لا يستفيدونه فى غيبتهم، لأنهم ح يهابون سؤاله والغرباء لا يهابونه، فيسألونه عما بدا لهم فيجيبهم.

---

(١) سورة الحجرات: آية (١٢).." (١)

"هوى جارية اسمها بيا فشغف بها طويلا فخطبها إلى أهلها فلمخ يجيبوه وزوجوها من غيره فلما شعر زوجها بحال عمرو معها رحل بها حتى نزل اليمن ببني الحرث بن كعب وطال الحال على عمرو فطاش

---

(١) أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل ابن حجر الهيتمي ص/٥١٠

عقله وطار لبه فأشار عليه أصدقاؤه أن يقصد مكة فيتعلق بأستار الكعبة ويسأل الله أما جمعه عليها أو صرف قلبه عنها ففعل فبينما هو يطوف في الموسم إذ رآه شخص من بني الحرث فوقعت بينهما ألفة فأخبره بالحال وغياب المرأة فأعلمه بمكانها منهم فقال عمرو هل لك في صنيعة يحسن شكرها قال نعم قل فقال عمرو ليتخلف كل منا عن أصحابه بعد النفر ثم نسير إلى مكان يقرب منها وتمضي أنت فتعلمها بمكاني ففعلا ومضى به الرجل حتى جعله في بيته وذهب فأعلم بيا فكانت تأتيه فيتحادثان ويتشاكيان ما لقيا من الوجد فأنكر زوجها غشيانها المنزل من غير عادة وحسن حالها بعد ما كانت فيه من الضجر فأظهر لها سفرا يتيب فيه عشرا ثم عاد بعد ليلتيِن وقد فرشت لعمرو بساطا أمام البيت وتحادثا فنام كل على طرف من البساط آمنا فنبه عمرا فثاب عليه بالسيف فقال من ينجيني منك يا عمرو وأنا لم أهرب هنا إلا منك فقال يا ابن العم والله لم يكن بيننا أكثر من الحديث وإنما غلب علي حبها من الصغر فقال زوجها حيث تحققت أن لا ريبة فلا بأس عليك فأقاما جميعا حتى مات عمرو من العشق والعفة والوجد.

وحكى أنها عمرت بعده فسئلت عن أي شيء مات عمرو وجدا بك مع أنه لأحسن عندك فقالت ما كنت بالقبيحة ولد كنت أروي الشعر **وأحسن الأدب**.

ومنهم

بشير الشهير بالاشتر وجيداء

هوى جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه فمنعها أهلها عنه فثار بينهما شر وخصومة عظيمة، فلما طال شوقه واضمحل حاله جاء إلى صديق له يقال له نمير فقال له: هل عندك صنيع تمن به علي عسى أن تعود روحي إلي، قال أشر بما شئت فإني فاعل قال له: تمضي إلى حي جيداء فإذا صادفت جاريتها فأخبرها بحالي فعسى أن تأخذ لي موعدا، قال نمير فمضيت حتى لقيت الجارية فأخبرتها فمضت إلى مولاتها فأخذت منها موعدا بأن تأتي بعد العشاء عند شجيرات هناك.

فلما كان الليل أقبلت فقام إليها بشير وهممت بالإنصراف عنهما فقالا: والله ما بيننا أكثر مما ترى فمكانك فجلسنا حتى مضى شطر من الليل فعزمت على الذهاب فكادت نفس بشير أن تزهق ثم سألها الإقامة معه بقية الليلة فقالت لا سبيل إلى ذلك إلا أن يكون في صاحبك هذا خير. فقلت فيم شئتم؟ فرمت بثيابها إلي وقالت إذهب إلى خدري كأنك أنا فسيجيء زوجي ويطلب القدح للحلب فلا تعطه حتى تطيل نكده ثم ارم به إلي فإني أفعل ذلك فإذا عاد باللبن فلا تأخذه حتى يضعه بنفسه أو يطول وقوفه فإنه بعد ذلك لا يأتيك بقية الليلة.

قال نمير ففعلت ذلك غير أني بعد أن طال وقوفه باللبن وأراد وضعه وأردت أخذه فاختلفنا فكب القدح وقال هذا طماح ثم عمد إلى سوط مفتول فضربني حتى زايلتني نفسي وهممت أن أوجره بالسكين فخلصوني وردوا علي الستر وجاءت أمها تعنفني وتوصيني بأن لا أخالف زوجي ظنا أنني ابنتها وتقول مالك وللأشتر ثم قامت عني على أن ترسل لي ابنتها الأخرى تؤنسني. فلما جاءت جعلت تبكي وتدعو على من ضربني واضطجعت إلى جانبي فوضعت يدي على فمها ثم قلت أن أختك مع بشير في موضع كذا وقد جرى لي من جهتها ما علمت وأنت أولى بالستر على أختك فارتعدت ساعة ثم أنست فبت معها في أطيب ليلة من اللطف والعفة حتى إذا جاء الصباح وأقبلت أختها فأنكرت من معي فقلت هي أختك وستخبرك بما كان ثم مضيت إلى بشير فأعلمته بالخبر فلما رأى تأثير السوط في بدني وخروج الدم قال لقد عظمت صنيعك ووجب شكرك.

قال ابن طاهر فلم يقم بعدها بشير إلا دون شهر وجاءه شخص فقصد مما جنتة فقال له وهو يتناول عنبا أتتفكه وجيداء قد قضت الساعة فلم يسمع منه إلا شهقة وحرك فإذا هو ميت فبلغ الخبر الجارية فهتكت سترها وجزت شعرها وألقت نفسها في بئر هناك فماتت.

ومنهم

مسعدة بن واثلة الصارمي." (١)

"بشر يجود إذا قصد ... ت تريد جداوه هلم

ما قال لا في حاجة ... لا بل يقول نعم نعم

وهو العفو عن المس ... ئ وعن قبائح ما اجترم

نام القضاة عن الأنا ... م وعين بشر لم تنم

وحكيم أهل زمانه ... فيما يريد وما حكم

وكأنه القمر المني ... ر إذا بدا أجلى الظلم

وكأنه البحر المطل ... إذا تقاذف والتطم

وكأنه زهر الربي ... ع إذا تفتح أو نجم

ختم الإله لبشرنا ... بالخير منه إذا ختم

قال أحمد بن كامل القاضي: مات بشر بن الوليد الكندي المفلوج صاحب أبي يوسف القاضي، في سنة

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/٧٥

ثمان وثلاثين ومائتين، وبلغ سبعا وتسعين سنة، ودفن في مقابر باب الشام. رحمه الله تعالى.

٥٦٨ - بشر بن يحيى المروزي

قال نصير بن يحيى: سئل بشر بن يحيى المروزي عن ماء وقعت فيه نجاسة، فأرة أو نحوها، والماء قليل، فعجن به وخبز، قال: بيعوه من النصارى، ولا أراهم يأكلونه إن علموا ذلك، فلا بد من الإعلام. ثم قال: بيعوه من اليهود، ولا أراهم يأكلونه إن علموا ذلك. ثم قال: بيعوه من المجوس، ور أراهم يأكلونه إن علموا ذلك. ثم قال: بيعوه من هؤلاء الذين يقولون: الماء طاهر لا ينجسه شيء. كذا في " حيرة الفقهاء "، نقله صاحب " الجواهر ".

قلت: وفيه **من سوء الأدب**، وبذاءة اللسان، ما لا يخفى، ومثل هذا لايليق بشأن أهل العلم، سامحه الله تعالى، وغفر له بمنه وكرمه.

٥٦٩ - بشر بن أبي الأزهر القاضي، واسم أبي الأزهر يزيد

النيسابوري، وكنيته أبو سهل

تفقه على أبي يوسف، وسمع ابن المبارك، وابن عيينة، وأبا يوسف، وشريكا، وابن وهب، في آخرين.

روى عنه الإمام علي ابن المديني، ومحمد بن يحيى الدهلي.

ذكره الحاكم في " تاريخ نيسابور "، وقال: من أعيان الفقهاء الكوفيين، وأديانهم، ومفتيهم، وزهادهم، مات ليلة الأربعاء، السادس من رمضان، سنة ثلاث عشرة ومائتين. رحمه الله تعالى.

٥٧٠ - بكار بن الحسن بن عثمان بن زياد بن عبد الله، الفقيه

العنبري، الأصبهاني، مفتيها

حدث عن أبيه، وعن ابن المبارك، وإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة.

امتحن في أيام الواثق، فلم يجب إلى ما يريدون، وقال: عيون الناس ممدودة إلي، فإن أجبت أخشى أن يجيبوا ويكفروا. وتجهز ليخرج، فوكل به، وعزم حبان بن بشر القاضي على نفيه من أصبهان، فجاء البريد بموت الواثق، فطرد الأعوان عن داره، فقال الناس: ذهب بكار بن الحسن بالدست، وخرى حبان في الطست.

قال ابن أبي الشيخ: مات سنة ثمان ومائتين، رحمه الله تعالى.

وسيأتي أبوه الحسن في بابه، إن شاء الله تعالى.

٥٧١ - بكار بن قتيبة بن عبد الله بن أبي بردعة
ابن عبيد الله بن بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة
أبو بكرة الثقفي، البكراوي

وفي هذا النسب، من تقديم بعض الآباء، على بعض، وإثبات البعض، وإسقاط البعض، خلاف، لا علينا أن نطيل به، لعدم الفائدة المهمة في ذلك.

ولدسنة اثنتين وثمانين ومائة، وأخذ الفقه والشروط عن هلال بن يحيى، وعيسى بن أبان، وطلب الحديث، فأكثر عن أبي داود الطيالسي، ويزيد بن هارون، وصفوان بن عيسى، وعبد الصمد بن عبد الوارث، ومؤمل بن إسماعيل، وغيرهم من مشايخ البصرة.

وروى عنه أبو داود السجستاني، خارج " السنن " وابن خزيمة، وأبو عوانة، في " صحيحيهما " والطحاوي، أكثر عنه جدا، وخلائق كثيرون، وكان له اتساع في الفقه والحديث.

وعن أحمد بن سهل الهروي قال: كنت ألازم غريما لي، بعد العشاء الآخرة، أو نحو هذا، وكنت ساكنا في جوار بكار بن قتيبة، فانصرفت إلى منزلي، فإذا هو يقرأ (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) ، الآية، فوقفت أتسمع عليه طويلا، ثم انصرفت فقمت في السحر، على أن أصير إلى منزل الغريم، فإذا هو يقرأ هذه الآية، ويرددها، فعلمت أنه كان يقرؤها من أول الليل.

وكان كثيرا ما ينشد:

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها ... لعيبي في نفسي عن الناس شاغل." (١)

"وروى عن ميمونة وأبي زيد وأبي ذر وعدة وعنه زيد بن أسلم وشريك وخلق وكان من كبار التابعين وعلمائهم أخرج له الأئمة الستة، (قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص) اختلف في كتابته والجمهور كما قاله النووي على كتابته بالياء وهو الفصيح عند أهل العربية ويقع في كثير من كتب الحديث والفقه وأكثرها بخلاف الياء وهي لغة انتهى وقال ابن الصلاح في الإملاء على المسلسل بالأولية بقول كثير من أهل الضبط في حالة الوصل بالياء جريا على الجادة والمتداول على الألسنة والمشهور حذف الياء وهو

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/١٩٢

مشكل على من استطرف من العربية ولم يوغل وربما أنكره ولا وجه لإنكاره فإنه لغة لبعض العرب شبه ما فيه الألف واللام بالمنون لما بينهما من التعاقب وبها قرأ عدة من القراء السبعة كما في قوله تعالى الكبير المتعال وشبهه انتهى وقد اثبت ابن كثير ياء المتعال وصلا ووقفا والجمهور على حذفها في الحالين وأراد بشبهه التلاق والتناد فإن قالون بخلاف عنه وورشا وافقا ابن كثير في اثبات الياء وصلا لا وقفا والحاصل أن المنقوص لا خلاف في جواز حذف لامه في اسم الفاعل واثباته وإنما الكلام على أن العاص هل هو اسم الفاعل من عصى بمعنى مرتكب العصيان أو حامل العصا أو الضارب بها أو هو معتل العين فلا يكون من هذا الباب وحينئذ اثبات الياء فيه خلاف الصواب والذي اقتصر عليه صاحب القاموس حيث قال في الأجوف والأعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص هذا وترجمة عبد الله مشهورة وفي الكتب المطولة مسطورة قيل بينه وبين أبيه عمرو في السن اثنتا عشرة وقيل إحدى عشرة سنة وقد أسلم قبل ابيه وأخرج البخاري هذا الحديث منفردا عن بقية أصحاب الكتب الستة في موضعين أحدهما في التفسير وثانيهما في البيوع وهو الذي ساقه القاضي أبو الفضل منه حيث قال (فقلت) وفي نسخة قلت (أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبي وقع في روايتنا أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة ولم يذكر ههنا القاضي يعني بل ذكره فيما سيأتي، (قال) أي ابن عمرو (أجل) أي نعم أخبرك فكان قوله أخبرني متضمنا لمعنى اتخبرني أو ألا تخبرني على ما هو مقتضى **حسن الأدب** في العبارة وإن كان الأمر أيضا هنا محمولا على الالتماس دون التحكم والإجبار (والله) قسم ورد ردا للمكذبين من اليهود والنصارى والمشركين (إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) وفيه إشعار بأنه حافظ للكتابين وأن ما يوجد في القرآن مع إيجازه وإعجازه أكثر مما يوجد في غيره من التوراة ونحوه وإيماء إلى أن اليهود حذفوا بعض صفاته من التوراة أو غيروا مبانيه أو معانيه قال الحلبي فإن قيل ما الحكمة في سؤال عطاء بن يسار لعبد الله بن عمرو عن صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة وهو قرشي سهمي قيل لأنه كان يحفظها وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب عنه انه رأى في المنام كان في إحدى يديه عسلا وفي الأخرى سمنا وكأنه يلعقهما فأصبح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه." (١)

"قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

وفي نسخة التودد من المودة أي التحبب إلى الصلحاء والفقراء والضعفاء فإنهم في الآخرة ملوك وشفعاء

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٦٣/١

(والوقار) بفتح الواو أي الرزانة والطمأنينة وعدم الطيش والخفة (والرحمة) أي التعطف والرأفة (**وحسن الأدب**) فإنه أحسن من الذهب وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تأديبي وجعل **حسن الأدب** من جملة الآداب الشرعية لأنه حالة خاصة من عموم الأحوال المرضية لحديث أن من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (والمعاشرة) أي المخالطة بالمخالقة على وجه الموافقة لقوله عليه الصلاة والسلام خالق الناس بخلق وقوله خياركم أحسنكم أخلاقا ومن كلام الشيخ أبي مدين المغربي حسن الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه (وأخواتها) أي أشباهها من الأخلاق الحميدة المفصلة في نحو كتاب الاحياء والعوارف والرسالة «١» (وهي) أي هذه الملكات النفسانية المكتسبة (التي جماعها) بكسر الجيم أي جمعها واجتماعها كذا قيل وفي الحديث الخمر جماع الإثم لأنها تجمع عددا منه والأظهر أن يقال مجمعها ومجتمعها (حسن الخلق) أي المحمود عند جميع الخلق وقد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وإنك لعلى خلق عظيم وكان خلقه القرآن يأتمر بأوامره وينزجر بزواجره ويرضى برضاه ويسخط بسخطه ومجمله قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال جبريل عند نزوله هو أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك. (وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة) أي مخلوق ومودع في السجية والطبيعية وهي بفتح غين معجمة وكسر راء مهملة ثم زاء. (وأصل الجبلة) أي الفطرة (لبعض الناس) أي ممن طبع عليه في أول خلقته وابتداء نشأته ومنه قول القائل:

كل امرئ راجع يوما لشيمته ... وإن تخلق أخلاقا إلى حين

(وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها) بالرفع أي فهو يحصلها للاقتداء بغيره فيها فتصير له كالغريزة وقال الحلبي هو بالنصب جواب النفي انتهى وفيه بحث لا يخفى (ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة) أي شائبة وقطعة خلق عليها ليرجع فيما يكتسبه إليها بميل طبعه الأول فيها (كما سنبينه إن شاء الله تعالى وتكون) أي تصير (هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد) بصيغة المفعول أي لم يقصد (بها وجه الله والدار الآخرة) أي بخلاف ما إذا أريد بها ذلك فإنها صارت حينئذ قربات عند الله فيثاب عليها (ولكنها) أي الغريزة وإن لم يرد بها ذلك (كلها) بالنصب أي جميعها (محاسن وفضائل) أي باعتبار افرادها (باتفاق أصحاب العقول السليمة. وإن اختلفوا في موجب حسنها) بكسر الجيم لا بفتحها كما قال التلمساني وسبقه الانطاكي لأنه بمعنى المقتضي وهو لا يناسب المقام كما لا يخفى أي سببها وباعثها

(١) هي للإمام الأستاذ أبي القاسم القشيري قاله مصححه طاهر.." (١)

"وجماعة وعنه علي بن الجعد وشيبان وعدة قال البخاري وغيره منكر الحديث وقد رماه مالك بالكذب وقد أخرج له الترمذي وابن ماجة ولا يحتمل أن يكون يزيد بن عياض يروي عن عمر بن قتادة لأن عمر بن قتادة لم يرو عنه إلا ولده عاصم ولا يعرف إلا بروايته عنه وجده ذكره ابن حبان في الثقات (ورواها) أي قصة قتادة (أبو سعيد الخدري عن قتادة) فهي رواية الأكابر عن الأصاغر (وبصق) أي بزق (على أثر سهم في وجه أبي قتادة) كما رواه البيهقي من حديث أبي قتادة وهو الحارث بن ربعي وقيل غير ذلك (في يوم ذي قرد) بفتح القاف والراء فدال مهملة وحكى السهيلي عن أبي علي الضم فيهما وهو منصرف ماء على ليلتين وقيل ليلة من المدينة بينها وبين خيبر ويقال لها غزوة الغابة كان يومه قبل خيبر بثلاثة أيام ذكره الحجازي قال ابن سعد كانت في ربيع الأول سنة ست وفي البخاري بعد حنين بثلاثة أيام وقبل الحديبية وفي مسلم نحوه وقال ابن القيم في الهدى وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية وقد وهم فيها جماعة من أهل المغازي والسير فذكروا أنها قبل الحديبية ثم استدل على صحة ما قال بما أورده فيه (قال) أي أبو قتادة (فما ضرب علي) أي ضربانا (ولا قاح) من القيح وهي المدة لا يخالطها دم يقال منه قاح الجرح يقيح إذا حصل فيه مادة بيضاء؛ (وروى النسائي) بالقصر ويمده بإسناده في سننه وهو الذي تأخر بعد الثلاثمائة من أصحاب الكتب الستة سمع قتيبة وطبقته وأصحاب مالك انتهى إليه علم الحديث وروى عنه الكتاني وابن السني (عن عثمان بن حنيف) بضم مهملة وفتح نون وعثمان هذا هو أخو عبادة وسهل وله صحبة ورواية شهد أحدا وما بعدها وهو أحد من تولى مسح سواد العراق لعمر وولى البصرة لعلي (أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري) أي يزيل عنه ما حجبه (قال فانطلق) وفي نسخة صحيحة فانطلق أي اذهب (فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك) أي ملتجئا ومتوسلا (بنبيب) وفي رواية بنبيك (محمد نبي الرحمة يا محمد) فيه التفات (إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم) التفات آخر (شفعه في) بتشديد الفاء والياء أي أقبل شفاعته في حقي (قال) أي عثمان الراوي (فرجع) أي الأعمى (وقد كشف الله عن بصره) والظاهر أن قوله يا محمد من جملة الدعاء المأمور به فلا يكون التصريح باسمه من **باب سوء الأدب** في ندائه فلا يحتاج إلى تكلف الدلجي بقوله ولعله كان قبل علمه بتحريمه أو قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا وقد رواه

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١/١٥٢

الترمذي أيضا وقال حسن صحيح غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجة في الصلاة والحاكم والبيهقي وصححاه؛ (وروي) كما رواه أبو نعيم والواقدي عن عروة (أن ابن ملاعب الأسنة) بضم الميم وكسر العين والأسنة بتشديد النون جمع سنان وهو الرمح ويقاله ملاعب الرماح أيضا وتءبيره بالملاعب أبلغ من اللعب سمي به لتقدمه وشجاعته فكأنه يلاعبها قال الحلبي لا أعرف ابنه وأما هو فعامر بن مالك عم عامر بن الطفيل وقد ذكره بعضهم في الصحابة لكن قال الذهبي في تجريده والصحيح أنه لم يسلم وقد قدم المدينة." (١)

"لهم مغفرة أي كثيرة لسيئاتهم وأجر عظيم على طاعاتهم واعلم أنه تنبغي هذه المراعاة أيضا بعد وفاته عليه الصلاة والسلام في مسجده لا سيما عند مشهده وكذا عند قراءة حديثه ومسنده وكذا عند سماع القرآن وتفسير الفرقان كما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (وقال تعالى: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) [النور: ٦٣] أي برفع الصوت فوق صوته أو بندائه بأسمائه فلا تقولوا يا محمد يا أحمد بل قولوا يا نبي الله ويا رسول الله كما خاطبه به سبحانه وعظم شأنه ذكره مجاهد وقتادة ولا منع من الجمع بين المعنيين في الآية فالمعنى نادوه بأوصافه الحميدة المذكورة في كلام الرب من خفض صوت مراعاة للأدب (فأوجب الله) أي تعالى على خلقه (تعذيره وتوقيره) أي تكريمه وتبجيله (وألزم) أي اتباعه (إكرامه وتعظيمه؛ قال ابن عباس رضي الله تعارى عنهما تعزروه تجلوه) من الإجلال (وقال المبرد) بتشديد الراء المفتوحة وقد سبق ذكره (تعزروه تبالغوا في تعظيمه؛ وقال الأخفش تنصرونه) الظاهر تنصروه أي دينه أو رسوله وهذه المباني متقاربة المعاني. واعلم أن من يقال له الأخفش ثلاثة أصغر وهو أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل المعروف بالأخفش الصغير النحوي كان عالما روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه الحريري وغيره وهو ثقة توفي في شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائة فجأة ببغداد وأما الأوسط فهو أبو الحسن سعيد ابن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالأخفش النحوي أحد نحاة البصرة من أئمة العربية وأخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه وكان يقول ما وضع سيبويه في كتابه شيئا إلا وعرضه علي رحمه الله تعالى وكان يرى أنه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه وهذا هو الذي زاد في العروض بحر الخبب وله تصانيف كثيرة منها الأوسط في النحو وتفسير معاني القرآن وغير ذلك توفي سنة خمس عشرة ومائتين وكان يقال له الأخفش الصغير فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالأخفش المتقدم صار هذا وسطا وأما الأكبر فهو أبو الخطاب عبد الحميد

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١/٦٥٥

بن حميد من أهل هجر من مواليهم وكان نحويا لغويا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها وأخذ عن سيبويه وأبي عبيدة ومن في طبقتهما وهذا ملخص كلام ابن خلكان والأخفش هو الصغير العين مع سوء بصره وقد يكون الخفش علة وهو الذي يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار ويبصر في الشيء في يوم غيم ولا يبصر في يوم صاح قاله الجوهري قال الحلبي والظاهر أن مراد القاضي هو الأوسط والله أعلم (وقال الطبري) بفتحتين وهو محمد بن جرير (تعينونه، وقرىء) أي شاذا (تعززوه بزايين) بياءين لا بهمز وياء كما يتوهم (من العز) أي مجرد العز بمعنى الشدة والقوة كما قال تعالى فعززنا بثالث بالتخفيف والتشديد ونقل هنا إلى التعزيز من باب التفعيل للمبالغة والتكثير (ونهى) أي الله سبحانه وتعالى وفي نسخة بصيغة المجهول (عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب) أي بالفعل (بسبقه بالكلام) ويروى في الكلام (على قول ابن عباس وغيره وهو." (١)

"دوني وكيلا) بهمزة الاستفهام الانكاري مقررا أو مقدرا (لأطيلن حبسك) أي عن غيري لتطمئن إلى أمري وتسلم لي في قضائي وقد روي وتعرف حقيقة قدري فحبسه كان تهذيبا لا تعذيبا كالأربعين للمريدين تأديبا وتدريبا، (فقال) أي يوسف اعتذارا (يا ربي أنسى قلبي كثرة البلوى) النازلة على قلبي من حين ألقيت في جبي وفورق بيني وبين أبي وحبي؛ (وقال بعضهم يؤاخذ) بصيغة المفعول وفي نسخة بالفاعل وفي أخرى أخذ (الأنبياء بمثاقيل الذر) أي من محقرات الأمر (لمكانتهم عنده) أي لرفعة مرتبتهم لديه في القدر (ويجاوز) بالوجهين وفي نسخة ويتجاوز وفي أخرى وتجاوزه (عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم) أي لعدم عنايته ورعايته وحمايته فيهم وإلا لكانوا كلهم اصفياء من انبياء أو أولياء (في أضعاف ما أتوا به) بقصر الهمزة أي ما فعلوه (من سوء الأدب) أي كالجبال في مخالفة أمر الرب (وقد قال المحتج للفرقة الأولى) أي اعترض المستدلي الموافق للطائفة السابقة القائلة بإثبات المعصية للأنبياء بعد البعثة وأورد (على سياق ما قلناه) ولحاق ما أولناه بطريق السؤال لما ظهر له من الإشكال حيث قال (إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا) الحال والمنوال (مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان) في الأقوال والأفعال (وما ذكرته) من حالهم بأنهم يؤاخذون بمثاقيل الذر مما لا يؤاخذ به غيرهم في مقادير الجبال (وحالهم أرفع) جملة حالية أي والحال أنهم أرفع درجة في نفس الأمر (فحالهم إذن) أي حينئذ (في هذا) أي في حق المؤاخذة (أسوأ حالا من غيرهم) حيث يعاملون بالمسامحة والمساهلة وهذا من خسافة العلم ورثاثة الفهم إذ لم يهتد إلى أن الأرفع درجة والأقرب منزلة من ربه لا يسامح بما يسامح البعيد عن مقام قربه كالوزراء والأمراء بالنسبة

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢/٦٤

إلى الملوك إذا كانوا على بساط الانبساط يخالف عليهم أقوى من الرعايا في المفازات البعيدة المشتغلين بأنواع النشاط ومن هنا يعلم معنى قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وحديث أنا أخشاكم له واتقاكم إذا عرفت ذلك مجملا، (فاعلم) ما سنلقي إليك مفصلا (أكرمك الله أنا لا نثبت) بالتشديد والتخفيف (لك) أي مخاطبا لك ومبينا لأجلك (المؤاخذة) أي مؤاخذتهم (في هذا) الباب (على حد مؤاخذة غيرهم) من حلول العقاب وحصول الحجاب الدنيوي أو الأخروي؛ (بل نقول إنهم) أي الأنبياء ونحوهم من العلماء (يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك) مع كونه كفارة لما صدر عنهم هنالك (زيادة) أي لهم كما في نسخة (في درجاتهم) في العقبى (ويبتلون) بضم الياء وفتح اللام على صيغة المجهول أي ويمتحنون (بذلك) أي بمؤاخذة ربهم (ليكون استغفارهم له) وفي أصل الأنطاكي ليكون استشعارهم له أي ليكون وقوع ذلك في قلوبهم (سببا لمنماة رتبهم) بفتح الميم الأولى أي لزيادة مراتبهم ومزية مناقبهم (كما قال) عز من قائل في حق آدم عليه الصلاة والسلام (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى [طه: ١٢٢]) وقال في حق يونس عليه الصلاة والسلام فاجتباه ربه فجعله من الصالحين أي الكاملين في الصلاح القائمين بحقوق الله تعالى وحقوق العباد على وجه الفلاح (وقال تعالى لداود) أي في حقه ولأجله (فغفرنا له ذلك [ص: ٣٥] الآية) أي." (١)

"سنة خمس وتسعين ومائة ببغداد ودفن في مقابر الشونيزية ومن جيد شعره قوله في نعت النرجس:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين جاريات ... على أطرافها الذهب السبيك

على قضب الزمرد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

وقال إسحاق التمار رأيت أبا نواس فيما يرى النائم فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي فأنكرت ذلك فقلت ألست أبا نواس قال نعم غفر لي ربي بأبيات قلتها وهي في البيت تحت رأسي فقال فبكرت إلى ابنه فسألته عن الرقعة فأدخلني الدار فرفعت الحصير فإذا رقعة مكتوب فيها بخطه:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذي يدعو ويرجو المجرم

ما لي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل ظني ثم إني مسلم

أدعوك رب كما أمرت تضرعا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٣٠٩/٢

هذا وإنما أنكر الرشيد (قوله:

فإن يك باقي سحر فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب)

بخاء معجمة وصاد مهملة أي رحيب الجانب كريم على الأقارب والأجانب قال التلمساني وعند الشارح أن المراد بخصيب عامل لبعض الملوك العباسيين وهو المأمون بن الرشيد وروي خضيب بالخاء والضاد المعجمتين يقال كف خضيب مختضب بالحناء أي إن يكن في مملكتكم أرض مصر بقية من سحر فرعون فلا هي تجدي نفعا مع وجود عصا موسى بكف أميرها خصيب تلقف ما يأفكون ولا شبهة أنه ما أراد به إثبات النبوة لممدوحه إلا أن في كلامه نوع من الاستعارة الموهمة في ظاهر العبارة لسوء الأدب هنالك فوبخه بذلك (وقال له يا بن اللخناء) بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة فنون فألف ممدودة من اللخن وهو النتن أي يا ابن المنتنة (أنت المستهزىء) أي المستحقر (بعصا موسى) بجعلك إياها بكف خصيب (وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته) وفي نسخة من ليلته (وذكر القتيبي) بضم القاف وفتح الفوقية قال الحلبي أنه عبد الله بن مسلم بن قتيبة وفي نسخة بضم العين المهملة وسكون الفوقية (أن مما أخذ عليه) أي أنكر على أبي نواس (وكفر فيه) وفي نسخة بتشديد الفاء مجهولا وفي نسخة به أي بسببه (أو قارب) أي قرب أن يكفر أو يكفر (قوله في محمد الأمين) أي ابن هارون الرشيد بن المهدي وتوفي الرشيد سنة ثلاث وتسعين ومائة فبويع للأمين بالخلافة في عسكر الرشيد صبيحة الليلة التي توفي فيها الرشيد وكان المأمون حينئذ بمرو وكتب صالح بن الرشيد إلى أخيه الأمين بوفاة الرشيد مع رجاء الخادم فأرسل معه خاتم الخليفة والبردة والقضيب ولما وصل إلى الأمين ببغداد أجيزت له البيعة ببغداد وتحول إلى." (١)

"بضم الميم (سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة) قال ابن خلكان كان ابن شنبوذ من مشاهير القراء وأعيانهم قيل كان كثير اللحن قليل العلم تفرد بقراآت من الشواذ فأنكرت عليه وبلغ أمره الوزير محمد بن مقلة الكاتب فاعتقله بداره واستحضره هو والقاضي أبا الحسين عمر بن محمد وأبا بكر أحمد بن موسى بن مجاهد المقري وجماعة من أهل القراآت فأغلظ القول عليهم فأمر الوزير بضربه فضرب سبع درر فدعا على الوزير أن يقطع الله يده ويشتت شمله وكان الأمر كذلك ثم كتب محضر بما كان يقرؤه واستتيب أن لا يقرأ بمصحف أمير المؤمنين عثمان وكتب خطه في آخره وأطلق فخشي عليه من العامة فأخرج إلى المدائن ثم عاد إلى بغداد سرا ولم يزل بها إلى أن توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (وكان فيمن أفتى عليه) مع فقهاء بغداد (بذلك) أي بالرجوع (أبو بكر الأبهري) المالكي وهو بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء وقيل

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٤٤٤/٢

بفتحتين وسكون الهاء نسبة إلى بلد عظيم بين قزوين وزنجان وبليدة بنواحي أصفهان وجبل بالحجاز (وغيره) من العلماء المالكية أو غيرهم (وأفتى أبو محمد بن أبي زيد) القيرواني (بالأدب فيمن قال لصبي) يتعلم القرآن (لعن الله معلمك وما علمك وقال) أي اللاعن (**أردت سوء الأدب**) أي في الأداء (ولم أرد القرآن) وفي التسامح عنه نظر إذ قوله وما علمك بعيد عن هذا التأويل بل ظاهر في طعن التنزيل فينبغي أن يستتاب إلا أن ثبت لحن فقيه الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (قال أبو محمد) أي ابن أبي زيد (وأما من لعن المصحف) أي صريحا (فإنه يقتل) أي إجماعا.

فصل [من سب آل بيته وأزواجه وأصحابه عليه الصلاة والسلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله]

(وسب آل بيته) وفي نسخ آل النبي وفي نسخة أهل بيته أي أقاربه (وأزواجه وأصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وتنقصهم حرام ملعون فاعله) أي مذموم وملام قائله.

(حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله تعالى) وهو الحافظ ابن سكرة (حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأو الفضل العدل) وهو ابن خيرون (حدثنا أبو يعلى) المعروف بابن زوج الحرة (حدثنا أبو علي السنجي) بكسر السين المروزي (حدثنا ابن محبوب) هو أبو العباس المحبوبي راوي الجامع عن الترمذي وشارح القدوري على ما ذكره الأنطاكي (حدثنا الترمذي) هو الحافظ أبو عيسى صاحب الجامع (حدثنا محمد بن يحيى) الظاهر أنه الذهلي أبو عبد الله النيسابوري (حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا عبيدة) وفي نسخة بالتصغير (ابن أبي رائطة) بالهمزة قبل الطاء المهملة قال الحلبي هو بفتح العين وكسر الموحدة نص عليه غير واحد من الحافظ منهم ابن ماكولا في إكماله والذهبي وضبط في بعض النسخ بضم وهو خطأ انتهى وقال التلمساني في اصل المؤلف عبيدة بالتصغير وصوابه عبيدة بالفتح وبه ذكره الدارقطني وهو كوفي نزل البصرة يروي عن عاصم بن أبي النجود وغيره (عن عبد الرحمن بن زياد) قال المزي في الأطراف يقال أنه أخو عبد الله بن زياد (عن عبد الله بن مغفل) بضم الميم." (١)

"قال بعض العارفين: قد قطعت اليد وهي اعز جوارحك في الدنيا لربع دينالر ن فلا يامن ان يكون عقابه في الآخر على هذا النحو من الشدة

ما قيل في أدب النفس: قال بعض الحكماء: إن النفس مهمولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسلة لا يستغنى بمحمودها عن التأديب، ولا يكتفي بالمرضى منها عن التهذيب لأن لمحمودها أضدادا مقابلة، يسعدها

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢/٥٥٠

هوى مطاع، وشهوة غالبة، وإن أغفل تأديبها تفويضا إلى العقل، أو توكلا على أن ينقاد إلى الأحسن بالطبع، أعدمه التفويض درك المجتهدين، وأعقبه التوكل ندم الخائبين، فصار من الأدب عاطلا، وفي سور الجهل داخلا.

قال بعض الحكماء الأدب أحد المنصبين. وقال: الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب لأن من ساء أدبه ضاع نسبه، ومن قل عقله ضل أصله.

وقال: **حسن الأدب** يستر قبح النسب وهو وسيلة إلى كل فضيلة وذريعة إلى كل شريعة.

قال الأعرابي لابنه: يا بني الأدب دعامة أيد الله تعالى بها الألباب، وحلية زين بها عواطل الأحساب، والعاقل لا يستغني وإن صحت غريزته على الأدب المخرج زهرته، كما لا تستغني الأرض وإن عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها.

في الحديث إذا آخى أحدكم رجلا فليسأله عن اسمه، واسم أبيه، وقبيلته، ومنزله، فإنه من واجب الحق، وصافي الإخاء، وإلا فهي مودة الحمقاء.

نريد عددا إذا ضوعف وزيد على الحاصل واحد، وضرب الكل في ثلاثة وزيد على الحاصل اثنان، ثم ضرب ما بلغ في أربعة، وزيد على الحاصل ثلاث بلغ خمسة وتسعين فالبجبر فرضناه شيئا وعملناه ما قاله السائل، فانتهى العمل إلى أربع وعشرين شيئا وثلاثة وعشرين عددا يعدل خمسة وتسعين، أسقطنا المشترك بقي أربعة وعشرين شيئا، معادلا لاثنين وسبعين، وهي الأولى من المفردات، قسمنا العدد على عدد الأشياء وهو المجهول، وبالعمل بالعكس نقصنا من الخمسة والتسعين ثلاثة، وقسمنا الباقي على أربعة، ونقصنا من الخارج اثنين وقسمنا الباقي على ثلاثة ونقصنا من الخارج وهو البعة واحدا ونصفنا الباقي وبالخطائين الفرض الأول اثنان، الخطاء الأول أربعة وعشرون ناقصة الفرض الثاني خمسة، الخطاء الثاني ثمانية وأربعون زائد المحفوظ الأول ستة وتسعون المحفوظ الثاني مائة وعشرون، والخطاآن مختلفان فقسمنا مجموع المحفوظين وهو مأتان وستة عشر على مجموع الخطائن، وهو اثنان وسبعون خرج ثلاثة وهي المطلوب.." (١)

"ذكره السخاوي في تاريخه قال وكان برع في الفقه وأصوله والعربية والحديث والتفسير وكان من شيوخه في الفقه أبا حميش وفي غيره أبا شكيل محمد بن مسعود قاضي عدن وغيرهم كابي هرمز الحضرمي وهو من أصلح شيوخه قلت ولبس منه خرقة التصوف قال ودرس وأفتى وكلفه علي بن ظاهر قضاء عدن

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٩٨/٢

فدام قريب أربعة أشهر ثم ترك وتوجه لنفع الطلبة خاصة مع علو همة وشرف نفس وعمل على جامع المختصرات نكتا في مجلدة وكذا على الفية النحو في كراريس مفيدة وشرح الملحة للحريري شرحا حسنا ولخص شرح ابن الهايم على هايميته إلى غير ذلك مثل الرسائل في علم الهندسة وغيرها وفتاواه مجيدة وعبارته محكمة انتهى كلام السخاوي

وله كتاب الفتاوي وهو كتاب جليل عظيم الفائدة وممن تخرج به من الأئمة الأعيان الفقيه العلامة الصالح عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن فضل المعروف بابن الحاج والإمام العلامة جمال الدين محمد بن عمر أبا قضام والفقيه العلامة عثمان بن محمد العمودي والقاضي الإمام البارع محمد بن عمر بحرق

ورأيت بخط الفقيه عبد الله بن الحاج فضل رحمه الله في آخر جواب له على مسألة اختلف فيها فقهاء عصره ما لفظه وقد افتى بذلك سيدنا وشيخنا الفقيه العلامة عبد الله بن أحمد محزمه رحمه الله وأخذه من مقتضى كلام الأصحاب وهو أحق من أن يقلد انتهى

بالجملة فإنه كان بقية العلماء العاملين ليس له نظير في زمانه ولم يخلفه بعده مثله رحمه الله تعالى وكان بعض الأولياء يقول في حقه إنه من الأربعة الأوتاد الذين يحفظ الله بهم البلاد والعباد ويغيث بهم الحاضر والباد وكان رحمه الله يقول عمري سبعون سنة فكان كذلك ومن أولاده الفقيه الصوفي عمر وكان تصوف بعد أن برع في العلم وكان شيخه في التصوف الشيخ عبد الرحمن أبا هرمز وله معه حكاية طويلة ومن شعره ... اعط المعية حقها ... واحفظ له **حسن الأدب** ...." (١)

"يا عمرو ناد عبد زهراء ... يعرفه السامع والرائي

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي وقال رضي الله تعالى عنه، في قول سمنون المحب:

وليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرني الأولى أن يقول: فكيفما شئت فاعف عني إذ طلب العفو أولى من طلب (١) الاختبار. وقال رضي الله تعالى عنه: الزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة، والعارف جاء من الآخرة إلى الدنيا. وقال رضي الله تعالى عنه: العارف لا دنيا له، لن دنياه لآخرته، وآخرته لربه. وقال: الزاهد غريب في الدنيا، لأن الآخرة وطنه، والعارف غريب في الآخرة.

قال بعض العارفين: معنى الغربة في كلام الشيخ، رضي الله تعالى عنه أن الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشش روحه، فيكون غريبا في الدنيا، إذ ليست وطنا لقلبه، عاين الآخرة فأخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها، وفيما شهد من عقوبتها ونكالها، فتغرب في هذه الدار. و أما العارف فإنه

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العيدروس ص/٣٢

غريب في الآخرة إذ كشف له عن صفات معروفة فأخذ قلبه فيما هناك، فصار غريبا في الآخرة، لأن سره مع الله تعالى، بلا أين، فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم، إليها يأوون، وفيها يسكنون، فإن تنزلوا إلى سماء الحقوق، أو أرض الخصوص، فبالإذن والتمكين، والرسوخ في اليقين، فلم ينزلوا إلى الخصوص لشهوة، ولم يصعدوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة، بل كانوا في ذلك كله بآداب الله تعالى وآداب رسله وأنبيائه متأدبين، وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين، رضي الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم آمين.

---

(١) في بعض النسخ: لأن طلب.." (١)

"قول الأول:

يزين الغريب إذا ما اغترب ... ثلاث فمنهن **حسن الأدب**

وثانية حسن أخلاقه ... وثالثة إجتناب الريب وإذا اعتبرت هذه الثلاثة ولزمتها في الغربة رأيتها جامعة نافعة، لا يلحقك إن شاء الله تعالى مع استعمالها ندم، ولا يفارقك بر ولا كرم، ولله در القائل:

يعد رفيع القوم من كان عاقلا ... وإن لم يكن في قومه بحسيب

إذا حل أرضا عاش فيها بعقله ... وما عاقل في بلدة بغريب وما قصر القائل حيث قال:

واصبر على خلق من تعاشره ... وداره فاللبيب من دارى

واتخذ الناس كلهم سكنا ... ومثل الأرض كلها دارا وأصغ يا بني إلى البيت الذي هو يتيمة الدهر، وسلم الكرم والصبر:

ولو أن أوطان الديار نبت بكم ... لسكنتم الأخلاق والآدابا إذ حسن الخلق أكرم نزيل، والأدب أرحب منزل، ولتكن كما قال أحدهم في أديب متغرب: وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد، وإليه قصد، غير مستريب بدهره، ولا منكر شيئا من أمره، و إذا دعاك قلبك إلى صحبة من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سلما، وهب في روض أخلاقه هبوب النسيم، وحل بطرفه محل الوسن (١) ، وانزل بقلبه نزول المسرة، حتى يتمكن لك وداده، ويخلص فيك اعتقاده، وطهر من الوقوع فيه لسانك، وأغلق سمعك، ولا ترخص في جانبه لحسود لك منه، يريد إبعادك عنه، لمنفعته،

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٩٣/٢

(١) ج: على الوسن.." (١)

"[أخبار عن المروانيين]

١٢٢ - وحكي أن أيوب بن سليمان السهيلي المرواني حضر يوما عند ابن باجة والشاعر أبو الحسن ابن جودي هناك، فتكلم المرواني بكلام ظهر فيه نبل وأدب، فتشوف أبو الحسن ابن جودي لمعرفته، وكان إذ ذاك فتي السن، فقال له: من أنت أكرمك الله تعالى فقال: هلا سألت غيري عني فيكون ذلك أحسن لك أدبا ولي توقيرا، فقال ابن جودي: قد سألت من المعرف عنك فلم يعرفك، فقال: يا هذا، لطالما مر علينا زمان يعرفنا من يجهل، ولا يحتاج من يرانا فيه إلى أن يسأل، وأطرق ساعة، ثم رفع رأسه وأنشد:

أنا ابن الألى قد عوض الدهر عزهم ... بذل وقلوا واستحبوا التنكرا

ملوك على مر الزمان بمشرق ... وغرب دهاهم دهرهم وتغيرا

فلا تذكرنهم بالسؤال مصابهم ... فإن حياة الرزء أن يتذكرا ففطن ابن جودي أنه منبني مروان، فقام وقبل رأسه، واعتذر إليه، ثم انصرف المرواني، فقال ابن باجة لابن جودي: أساء أدبك بعد ما عهدت منك كيف تعمد إلى رجل في مجلسي تراني قد قربته وأكرمته وخصصته بالإصغاء إلى كلامه فتقدم عليه بالسؤال عن نفسه فاحذر أن تكون لك عادة، فإنها من أسوء الأدب، فقال ابن جودي: لم أزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام:

نأخذ من ماله ومن أدبه (١) ... ١٢٣ - وحكي أن بكارا المرواني (٢) لما ترك وطنه وخرج في الجهاد وقتل، قال صاحب السقط: إنه اجتمع به في أشبونة فقال: قصدت منزله بها، ونقرت

(١) صدر البيت: ننقل أسبابنا إلى ملك.

(٢) انظر أخبار بكار وأشعاره في المغرب ١: ٤١٥.." (٢)

"٥٨٩ - وحكي أن حافظ الأندلس إمام الأدباء (١) ، رئيس المؤلفين، حسنة الزمان، نادرة الإحسان، أبا محمد عبد الله بن إبراهيم الصنهاجي الحجاري صاحب كتاب المسهب كان سبب اتصاله بعبد الملك بن سعيد جد علي بن موسى صاحب المغرب أنه وفد عليه في قلعته، فلما وقف على بابه وهو بزي بداوة

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٥٥/٢

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٣٤/٣

ازدراه البوابون، فقال لهم: استأذنوا لي على القائد، فضحكوا به، وقالوا له: ما كان وجد القائد من يدخل عليه في هذه الساعة إلا أنت فمد يده إلى دواة في حزامه وسحاءة، وكتب بها: بباب القائد الأعلى - لازال آهلا بأهل الفضيلة - رجل وفد عليه من شلب بقصيدة مطلعها:

عليك أحالني الذكر الجميل

فإن رأى سيدي أن يحجب من بلده شلب ومن قصيده هذا فهو أعلم بما يأتي ويذر، ولا عتب على القدر، ورغب إلى أحد غلمانه، فأوصل الورقة، فلما وقف عليها القائد، قال: من شلب، وهذا مطلع قصيدته، ما لهذا إلا شأن، ولعله الوزير ابن عمار، وقد نشر إلى الدنيا، عجلوا بالإذن له، فأذنوا له ودخل وبقي واقفا لم يسلم ولا كلم أحدا، فاستثقله الحاضرون، واستبردوا مقصده، ونسبوه للجهل وسوء الأدب، فقال له أحدهم: ما لك لا تسلم على القائد، وتدخل مداخل الأدباء والشعراء فقال: حتى أخجل جميعكم قدر ما أخجلتموني على الباب مع أقوام أنذال، وأعلم أيضا من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى، فأكون أتقيه إن قدر لي خدمته، فقال له عبد الملك: أتأخذ بما فعل السفهاء منا قال: لا والله، بل أغفر لك ذنوبك الدهر أجمع، وإنما هي أسباب نقصدها لنحاور بها مثلك أعزك الله تعالى. ويتمكن التأنيس، وينحل قيد الهيبة، ثم أنشد من رأسه ولا ورقة في يده:

---

(١) ب: الأدب.." (١)

"فإن عدا مودعه الرمز فقد زل، وغن تعدى مذيعه الغمز فقد ضل.

رقيقة - الحسن خلق، والجمال خلق، **وحسن الأدب** في الظاهر عنوان **حسن الأدب** في الباطن، وحيث هو الجمال هو الجميل.

حقيقة - تحقق العلماء بالتوحيد فاستشعروا " والله خلقكم وما تعملون " لكنهم اعتبروا خلق السبب والابتلاء به، فتصرفوا بدلالة الإذن في مذهبه، فاستقاموا على طريقة الأدب، ولم يفتهم فضل التوكل، ولم تتسع معارف الزهاد لما عرفوا المشبب بكيفية الانصراف إلى السبب منه، لدقة الفرق بينه وبين الانصراف عنه، فوقفوا مع التوكل للعذر، ولم يستعملوا أدب الجريان مع ابتلاء الأمر، وعكف الغافلون على ظاهر السبب، ففاتهم التوكل والأدب " أولئك كالأنعام بل هم أضل ".

رقيقة: الفيت لعبد الحق الإشبيلي بيتا هو عندي أفضل من قصيدة، وهو:

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤/١٢٣

قد يساق المراد وهو بعيد ... ويريد المريد وهو قريب ومن أراد معرفة قدر هذا البيت فليتل " الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ".

حقيقة: أشرف أسمائك ما أضافك إليه، وأكرم صفاتك ما دل فيك عليه (١) .

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

ولا تصفني بالهوى عندها ... فعندها تحقيق أنبائي رقيقة:

أعزز بمن سوداء قلبي مغرب ... لخياله، وسواد عيني مشرق

إن غاب عن سري فعنه لم يغب ... أو عن عياني فهو فيه محقق

---

(١) مر البيت الأول فيما تقدم المجلد ٢: ١٩٣.." [(١)]

"الشوب، واقصدوا أبواب غافر الذنب وقابل التوب، واعلموا **أن سوء الأدب** مع الله تعالى يفتح أبواب الشدائد، ويسد طرق العوائد، فلا تمطلوا بالتوبة أزمانكم، ولا تأمنوا مكر الله فتغشوا إيمانكم، ولا تعلقوا متابكم بالضرائر، فهو علام السرائر، وإنما علينا أن ننصحكم وإن كنا أولى بالنصيحة، ونعتمدكم بالموعظة الصريحة، الصادرة - علم الله تعالى - عن صدق القريحة، وإن شاركناكم في الغفلة فقد سبقناكم إلى الاسترجاع والاستغفار، وإنما لكم لدينا نفس مبذولة في جهاد الكفار، وتقدم قبلكم إلى مواقف الصبر التي لا ترضى بالفرار، واجتهاد فيما يعود بالحسنى وعقبى الدار، والاختيار لله ولي الاختيار، ومصرف الأقدار، وها نحن نسرع في الخروج إلى مدافعة هذا العدو ونفدي بنفوسنا البلاد والعباد، والحريم المستضعف والأولاد، ونصلى من دونهم نار الجلاد، ونستوهب منكم الدعاء لمن وعد بإجابته، فإنه يقبل من صرف إليه وجه إنابته، اللهم كن لنا في هذا الاهتمام نصيرا، وعلى أعدائك ظهيرا، ومن انتقام عبدة الأوثان كفيلا، اللهم قو من ضعفت حيلته فأنت القوي المعين، وانصر من لا نصير له إلا أنت فإياك نعبد وإياك نستعين، اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا عند تزلزل الأقدام، ولا تسلمنا عند لقاء عدو الإسلام، فقد ألقينا إليك يد الاستسلام، اللهم دافع بملائكتك المسومين، اللهم اجعلنا على تيقظ وتذكر من " قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم " آل عمران: ١٧٣.

وقد وردت علينا المخاطبات من إخواننا المسلمين الذين عرفنا في القديم والحديث اجتهادهم، وشكرنا في

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٢٧/٥

ذات الله تعالى جهادهم، بني مرين أولي الامتعاض لله تعالى والحمية، والمخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزية، بعزمهم على الامتءاض لحق الجوار، والمصارخة التي تليق بالأحرار، والنفرة." (١)

"إلا الفأر والحيات فإن كلا منهما مفسد فى الأرض، فالحيات مسلطة على الفار، والفار مسلطة على الناس، وكذلك العوام سلط بعضهم على بحض، فسلط الله تعالى الحكام عليهم، وكما أنه لا بد أن يسقط على الحية قاتلا يقتلها أو يأتيها أجلها سلط على الظالم ظالما آخر، وكان شديد الإنكار على علماء عصره، وكان يسمي القضاة القصاة والمشايخ المسايخ، والفقيه الفقيع من فقع اللبن إذ فسد، وكان من كلامه لا ينفع الدار إلا ما فيها، وكان يقول أيضا: لا تشتغل بعد أموال التجار وأنت مفلس، وكان يقول: أسلك ما سلكوا تدرك ما أدركوا، وكان يقول: لا تخلطوا الحقائق ويستدل بقوله تعالى: " ولا تلبسوا الحق بالباطل " " سورة البقرة: الآية ٤٢ " وكان يقول: عجبت لمن يقع عليه نظر المفلح. كيف لا يفلح قلت: وهو منقول عن سيدي أحمد بن الرفاعي - رضي الله تعالى عنه - وكان يقول: يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، ولا يبصر الجذء في عينه. قلت: هو حديث رواه الإمام أحمد من طريق أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - ولفظه يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه، وكان يقول: كنزك تحت جمارك، وأنت تطلبه من عند جارك، وله كلام غير هذا، وله من المؤلفات شرح الجرومية على طريقة الصوفية، وكتاب " غربة الإسلام، في مصر والشام "، وما والاهما من بلاد الروم والأعجام، ورسائل عدة منها " بيان فضل خيار الناس، والكشف عن مكر الوسواس "، " ورسالة الإخوان، من أهل الفقه وحملة القرآن "، و " كشف الإفادة، في حق السيادة "، و " مواهب الرحمن، وكشف عورات الشيطان "، و " تذكرة السالكين "، و " تذكرة المريد المنيب، بأخلاق أصحاب الحبيب "، كنا في ترجمته لابن طولون ورسالة لطيفة سماها " تنزيه الصديق، عن وصف الزنديق "، ترجم فيها الشيخ محيي الدين بن العربي، وذكر في أولها أن سبب تأليفها أنه دخل دمشق في سنة أربع وتسعين وثمانمائة، فسمع عن بعض أهلها استنقاص الشيخ محيي الدين بعد أن زار الشيخ عبد القادر ابن حبيب الصفدي بها في شعبان من هذه السنة، وهو الذي عرفه بابن العربي، وبمقامه في الصالحية. قال: وكنت أسمع به في المغرب، ولا أدري من حاله سوى أنه من أهل العلم والخير، فقصدت زيارته، فانتهيت إلى حمام يقال له: حمام الجورة، فسألت من الحمامي أن يفتح لي باب مقامه، فصعد من بعض الجدران، وفتح في باب مقامه، فوجدته ليس فيه أثر العواد، وفيه عشب يابس يدل على أن أحدا لا يأتيه إلى أن قال: ثم قعدت عند قدميه الكريمتين كما ينبغي. بل أقول

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٨٩/٧

قعدت **على سوء الأدب** إذ هو أن أقف خارج المقام بالكلية في مقام السائل المقتر لكن أخطأت. وأسأل الله تعالى بلطفه أن يتوب علي من ذلك. قال: ثم رأيت في مشهد قبره عند رأسه حجرا مكتوبا فيه قوله تعالى: " ادع إلى سبيل ربك " " سورة النحل: الآية ١٢٥ " الآية، فعند ذلك قوي نور اعتقادي في الشيخ، وتزايد نورا على نور حتى ملأ ظاهري وباطني، وكنت قصدت بلاد ابن عثمان رجاء الجواز من هناك إلى." (١)

"قال أبو علي الفارسي: لست أعجب من توارده، وإنما أعجب من قوله لم أسبق إليه وقد قال أبو الطيب في الحمى:

إذا ما فارقتني غسلتني ... كأنا عاكفان على حرام

وقد سلم من شناعة ذكر الزنا، وما في قبح لفظه من الخنا، فمعناه أصح؛ لأنه ذكر في هذا الشعر من نفسه وزائرته ذكرا وأنثى، جرى بينهما ما يقتضي الغسل.

وإن قيل: إن قوله) عاكفان على حرام (من لغو الكلام، وهما ذكرا، زنا بين اثنين، ولو قال زني ناظري، أو لحظي، كان أحسن.

قلت: هذا كله كلام ناء عن **حسن الأدب**، وهو سخف، ولكن أي الرجال المهذب، ومع ذلك فقد وقع هذا في كلام من تقدمهم، ومعناه أصح وديباجته ألطف وأوضح، كقول يزيد بن معاوية:

وكيف ترى بعين ترى بها ... سواها وما طهرتها بالمدامع

أجلك يا ليلى عن العين إنما ... أراك بقلب خاشع لك خاضع

ثم مشى على أثرهم الناس، وولدوا معاني لا تحصر، كقول السراج الوراق:

يا نازح الدار مر نومي يعاودني ... فقد بكيت لفقد الظاعنين دما

أوجبت غسلا على عيني بأدمعها ... فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما." (٢)

"الحسين بديع الزمان الهمذاني، فإنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط فيحفظها كلها ويؤديها من أو لها إلى آخرها لا يخرم حرفا، وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق من كتاب لا يعرفه ثم يهذها عن ظهر قلبه هذا، ويسردها سردا

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ١/٢٧٤

(٢) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/٢٦

ويطلعك على حقيقته ذلك ما جرى بينه وبين الأستاذ أبي بكر الخوارزمي من المناظرة يوم اجتماعها في دار السيد أبي القاسم المستوفي، بمشهد من القضاة والفقهاء والأشراف وغيرهم من سائر الناس.

قال البديع: وأول القصة أنا وطئنا خراسان، فما اخترنا إلا نيسابور دارا، وإلا جوار السادة جوارا، وقديما كنا نسمع بهذا الفاضل، ونقدر أنا إذا وردنا بلدة يخرج لنا في العشرة عن القشرة؛ فقد كانت لحمة الأدب جمعتنا، وكلمة الغربة نظمتنا، وقد قال الشاعر:

أجارتنا إنا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيب

فاخلف ذلك الظن كل الإخلاف، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف، وقد كان اتفق علينا في الطريق من العرب اتفاق، لم يوجبه استحقاق من بزة بزوها، وفضة فضوها وذهب ذهبوا به؛ ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة؛ وزي أوحش من طلعة المعلم، فما حللنا إلا قصبة جواره. ولا وطئنا إلا عتبة داره بعد ما كتبنا له: إنا لقرب الأستاذ أطال الله بقاه "كما طرب النشوان مالت به الخمر ".

ومن الارتياح للقائه "كما انتفض العصفور بلله القطر " ومن الامتزاج بولائه "كما التقت الصهباء والبارد العذب " ومن الابتهاج بمزاره "كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب " فكيف نشاط الأستاذ لصديق طوى إليه ما بين قصبتي العراق وخراسان، بل عتبتي الجبلونيسابور؟ وكيف اهتزازه لضيف:

رث الشمائل منهج الأثواب ... بكرت عليه مغيرة الأعراب

وهو أيده، الله ولى إنعامه، بإنفاذ غلامه، إلى مستقري لأفضى إليه بما عندي.

قال البديع: فلما أخذتنا عينه سقانا الدردي من أول دنة. وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه. من طرف نظر بشطره، وقيام دفع في صدره، وصديق استهان بقدره، وضيف استخف بأمره، فقاربناه إذ جانب، وواصلناه إذ جاذب، وشربناه على كدورته، ولبسناه على خشونته، ورددنا الأمر في ذلك إلى زي استغثه، ولباس استرثه، وكاتبناه نستمد وداده، ونستميل فؤاده، بقولنا: الأستاذ أزرى بضيفه إذ وجده يضرب آباط القلة في أطمار الذلة. فأعمل في تربيته أنواع المصارفة، وفي الاهتزاز له أصناف المضايقة؛ من إيماء بنصف الطرف، وإشارة بشطر الكف، ودفع في صدر القيام عن التمام، ومضغ الكلام، وتكلف لرد السلام، وقد قبلت تربيته صعرا، واحتملته وزرا، واحتضنته نكرا وتأبطته شرا. ولم آله عذرا؛ فإن المرء بالمال، وثياب الجمال، ولست مع هذه الحال، وفي هذه الأسمال، أتقزز صف النعال.

فلو صدقته العتاب، وناقشته الحساب لقلت إن بوادينا ثاغية صباح، وراغية رواح، وناسا يجرون المطارف، ولا يمنعون المعارف:

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

ولو طرحت بأبي بكر إليهم طوارح الغربة، لوجد منال البشر قريبا، ومحط الرحل رحيبا، ووجه لمضيف خصيبا، ورأى الأستاذ أبي بكر في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود، والمر الذي يتلوه شهد، موفق إن شاء الله.

فأجاب: وصلت رقعة سيدي ومولاي، ورئيسي أطال الله بقاءه إلى آخر السكباج، وعرفت ما تضمنته من حسن خطابه ومؤلم عتابه وصرفت ذلك منه إلى الضجر الذي لا يخلو منه من مسه عسر. ونبابه دهر. أما ما شكاه سيدي من مضايقتي إياه في القيام، فقد وفيته حقه على قدر ما قدرت عليه، ووصلت إليه. فأما القوم الذين صدر عنهم فكما وصف. ولقد جاورتهم فأحمدت المراد، ونلت المراد.

فإن أك قد فارقت نجدا وأهله ... فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للناس كافة، ولسيدي خاصة، فإن أعانني على ما في نفسي. بلغت إليه ما في النية، وجاوزت مسافة القدرة، وإن قطع على طريق عشرتي بالمعارضة، وسوء المؤاخذة، صرفت عناتي عن طريق الاختيار، بيد الاضطرار:

فما النفس إلا نطفة بقرارة ... إذا لم تكدر كان صفوا معينها

وبعد فحبذا عتاب سيدي إذا استوجبنا عتبا، واقترفنا ذنبا، فأما أن يسلفنا العربدة، فنحن نصونه عن ذلك، ونصون أنفسنا عن احتماله.

قال البديع: فلما ورد الجواب عمدنا لذكره فسحوناه عن صحيفتنا، ومحونا، وصرنا إلى اسمه فأخذناه، ونبذناه، وتركنا خطته، وتجنبنا خلطته، ومضى على ذلك الأسبوع، ودبت الأيام، ودرجت الليالي، وتطاولت المدة، وتصرم الشهر، وصرنا لا نعير السماع ذكره، ولا نودع الصدر حديثه، وجعل يستزيد ويستعيد بألفاظ تقطعها الأسماع من لسانه وتردها إلي، وكلمات تحفظها الألسنة من فمه وتعيدها على. فكاتبناه: أنا أرد من الأستاذ شرعة وده وإن لم تصف، وألبس خلعة بره وإن لم تضف. وقصاراي أن أكيله صاعا عن مد، وإن كنت في الأدب دعى النسب، ضعيف السبب، ضيق المضطرب، سيئ المنقلب.

سيدي ناقشني في الحساب القبول أولا، وصار فني في الإقبال ثانيا؛ فأما حديث الاستقبال وأمر الإنزال فنطاق الطمع ضيق عنه، غير متسع لتوقعه منه، وبعد فكلفة الفضل بينة، وفروض الود متعينة، وأرض العشرة لينة، فلم اختار قعود التعالي مركبا، وصعود التغالي مذهبا، وشوقي قد كد الفؤاد برحا إلى برح، ونكأة قرحا على قرح، ولكنها مرة مرة. ونفس حرة، وليس إلا غصص الشوق نتجزعها وحلل الصبر نتدرعها، وأنا لو

أعرت جناح طائر لما طرت إلا إليه، ولا وقعت إلا عليه.

قال البديع: وبقينا نقنع بالذكر وصلا حتى جعلت عواصفه تهب، وعقاربه تدب، وأفضت الحال إلى أن قال: لو أن بهذا البلد رجلا تأخذه أريحية الكرم يجمع بيني وبينه؟، واتفق أن السيد أبا علي نشط للجمع بيننا، فدعاني فأجبت، ثم عرض على حضوره فطلبت، فلما جاءنا تركناه على غلوائه حتى إذا نفض ما في رأسه وفرغ جعبة وسواسه، عطفنا عليه، وقلنا: فلتهدأ ضلوعك، وليفرخ روعك ولتسكن سورتك. ولتلن فورتك، ولا ترقص لغير طرب. ولا تحم لغير سبب، وقديما كنت أسمع بحديثك؛ فيعجبني الالتقاء بك، والاجتماع معك، والآن إذ سهل الله ذلك، فهلم إلى الأدب ننفق يومنا عليه، وإلى الجدل نتجاذب طرفيه، ولنبدأ بالفن الذي ملكت به زمانك، وأخذت منه مكانك، وطار به اسمك بعد وقوعه، وارتفع له ذكرك عقب خضوعه. . .

فقال: وما هو؟ قلت الحفظ إن شئت، والنظم إن أردت، والنثر إن اخترت، والبديهة إن نشطت، فأحجم عن الحفظ رأسا، ولم يجل في النثر قدحا، وقال أبادهك، واقترح علينا أن نقول على وزن قافية أبي الطيب: أرق على أرق ومثلي يأرق وابتدر أبو بكر إلى الإجازة، ولم يزل إلى الغايات سباقا فقال:

وإذا ابتدهت بديهة يا سيدي ... فأراك عند بديهتي تتغلق

وإذا قرضت الشعر في ميدانه ... لا شك أنك يا أخي تشقق

إني إذا قلت البديهة قلتها ... عجلا وطبعك عند طبعي يرفق

مالي أراك ودست مثلي عندها ... متموها بالترهات تمخرق

إني أجيز على البديهة مثل ما ... تريانه وإذا نطقت أصدق

لو كنت من صخر أصم لهاله ... مني البديهة واغتدى يتلفق

أو كنت ليثا في البديهة خادرا ... لرئيت يا مسكين مني تفرق

وبديهة قد قلتها متنفسا ... فقل الذي قد قلت يا ذا الأخرق

ثم وقف يعتذر، ويقول: هذا كما يجيء لا كما يجب، فقلت قبل الله عذرك فخذ الآن جزاء عن قرضك، وأداء لفرضك. وقلت:

مهلا أبا بكر فزندك أضيق ... فأخرس فإن أخاك حي يرزق

دعني أعرك إذا سكت سلامة ... فالقول ينجد في ذويك ويعرق

ولفاتك فتكات بيض سيوفكم ... فدع الستور وراءها لا تخرق

وأنظر لأشنع ما أقول وأدعى ... أله إلى أعراضكم متسلق

يا أحمقا، وكفاك ذلك خزية ... جربت نار معرتي هل تحرق؟

فلما أصابه حر الكلام، ومسه لفح هذا النظام، قال: يا أحمقا لا يجوز، فإنه لا ينصرف، وقطع علينا؛ فقلنا: يا هذا لا تقطع، فإن شعرك إن لم يكن عيبة عيب، فليس بظرف ظرف، وأما أحمق فلا يزال يصفعك وتصفعه، حتى ينصرف وتنصرف معه، وعرفناه أن للشاعر أن يرد ما لا ينصرف إلى الصرف، كما أن له رأيه في القصر والحذف.

وقلنا: أخبرنا عن بيتك الأول، أمدحت أم قدحت؟ وذكيت أم جرحت؟ ففيه شيئان متفاوتان، ومعنيان متباينان، بدأت فخاطبت بيا سيدي، وعطفت فقلت تتغلق. وهما لا يركضان في حلبة، ولا يخطان في خطة؛ ثم قلت له: خذ وزنا من الشعر حتى أسكت عليك، فتستوفي من القول حظك، وأسكت علينا حتى نستوفي حظنا، ثم إني أحفظ عليك أنفاسك، وأوافقك عليها، واحفظ على أنفاسي ووافقني عليها؛ فإن عجزت حفظتها لك. وأخذنا بيت المتنبي: أهلا بدار سباك أغيدها.

فقلت: يا نعمة لا تزال تجحدها، ومنة لا تزال تكندها فقال: ما معنى تكندها؟ فقلت: كند النعمة كفرها، فرفع رأسه وقال: معاذ الله أن يكون كند بمعنى جحد، فتلونا:) إن الإنسان لربه لكنود (. وقلت له: أليس الشرط أملك، والعهد بيني وبينك أن تكست ونسكت، كي تتم ونتم، فنبذ الأدب وراء ظهره، وصار إلى السخف يكلينا بصاعه ومده، فقلت: يا هذا إن الأدب غير سوء الأدب. ولو كان في باب الاستخفاف شيء أعظم من الاحتقار، وإنكار أبلغ من ترك الإنكار، لبلغته منك. فأخذ يمضي على غلوائه، ويمعن في هرائه وهذائه وقلت: أستغفر الله من مقالتك، وسكت حتى عرف الناس أني أملك من نفسي ما لا يملكه، وأسلك من طريق الحلم ما لا يسلكه، ثم عطفت عليه فقلت: يا أبا بكر إن الحاضرين قد أعجبوا من حلمي بأضعاف ما أعجبوا من علمي. وتعجبوا من عقلي أكثر مما تعجبوا من فضلي وبقى الآن أن يعلموا أن هذا السكوت ليس عن عي وأن تكلفي للسفه أشد استمرارا من طبعك، وغربي في السخف أمتن عودا من نبعك، فقال: أنا قد كسبت بهذا العقل دية أهل همذان مع قلته، فما الذي أفدت أنت بعقلك مع غزراته؟ فقلت: هذا الذي به تتمدح من أنك شحذت فأخذت، فهذا عندنا صفة ذم، وقد صدقت. أنت بهذه الحلبة أسبق، وفي هذه الحرفة أعرق، وأنا قريب العهد بهذه الصنعة، حديث الورد لهذه الشرعة، وما أضيع وقتا قطعته بذكرك، ولسانا دنسته باسمك، وملت إلى القوال. فقلت: أسمعنا خيرا، فغنى أبياتا منها:

وشبهنا بنفسج عارضيه ... بقايا اللطم في الخد الرقيق

فقال أبو بكر: أحسن ما في الأمر أني أحفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها. فقلت: إن أنشدتكها ساءك مسموعها، ولم يسرك مصنوعها، فقال: أنشد، فقلت: روايتي تخالف هذه الرواية، وأنشدت:

وشبهنا بنفسج عارضيه ... بقايا الوشم في الخد الصفيق

فأتته السكتة، وأضجرته النكتة، وانطفأت تلك الوقدة، وانحلت تلك العقدة، ودفع القوال فبدأ بأبيات، ولحسن بأصوات، وجعل النعاس يثني الرءوس، ويمنع الجلوس، فقمنا إلى ما وطئ من مضجع، ومهد من مهجع، ولم يكن النوم ملأ العيون، ولا شغل الجفون، حتى أقبل وفد الصباح، وحيعل المؤذن بالفلاح، وندب إلى النهوض بالمفروض، فلما قضينا الفرض، فارقنا الأرض، وظني أن هذا الفاضل يأكل يده ندما، ويبكي على ما جرى دمعا ودما، وأنه إذا نام هاله منا طيف، وإذا انتبه راعه منا سيف، وسعوا بيننا بالصلح، وعرفنا له فضل السن، فقصدناه معتذرين إليه، فأومأ إيماءة مهيضة، واهتز اهتزازة مغيضة، وأشار إشارة مريضة، بكف سحبها على الهواء سحبا، وبسطها في الجو بسطا، وعلمنا أن للمقهور أن يستخف ويستهين، وللقاهر أن يحتمل ويلين، فقلنا: إن بعد الكدر صفوا، كما أن عقب المطر صحوا، وعرض علينا الإقامة سحابة ذلك اليوم، فاعتللنا بالصوم، فلم يقبل العذر وألح، فقلت: أنا وذاك، فطعمنا عنده، وخرجنا والنية على الجميل موفورة، وبقعة الود معمورة، وصرنا لا نتعلل إلا بمدحه، ولا نتنقل إلا بذكره، ولا نعتد إلا بوده، لا. بل ملأنا البلد شكرا، والأسماع نشرا، وبينا نحن من الحال في أعذبها شرعة، ومن المقة في أطيبها ﺝرعة، ومن المودة في أعزها بقعة، وأوسعها رقعة، حتى طرأ علينا رسولان محتملان مقالته، ومؤديان رسالته، ذاكران أن أبا بكر يقول قد تواترت الأخبار، وتظاهرت الآثار، في أنك قهرت، وأني قهرت، ولا شك أن ذلك التواتر عنك صدرت أوائله، والخبر إذا تواتر به النقل، قبله العقل، ولا بد أن نجتمع في مجلس بعض الرؤساء، فتناظر بمشهد الخاصة والعامة، فإنك متى لم تفعل ذلك لم آمن عليك تلامذتي، أو تقر بعجزك وقصورك عن بلوغك أمدي. ومنال يدي، فقلت: هذا التواتر ثمرة ذلك التناظر، مع ذلك التساتر، فإن ساءك فأحر أن يسوءك عند مجتمع الناس، ومحتفل أولى الفضل، ولأن تترك الأمر مختلفا فيه خير لك من أن يتفق عليه، وإن أحببت أن تطير هذا الواقع، وتهيج هذا الساكن، فرأيك موفق.

ثم مضت على ذلك أيام، ونحن منتظرون لفاضل ينشط لهذا الفصل، وينظر بيننا بالعدل، فاتفقت الآراء على أن يعقد هذا المجلس في دار أبي القاسم الوزير، واستدعيت، فسرحت الطرف من ذلك السيد في عالم أفرغ في عالم، أو ملك في درع ملك، ونطق فودت الأعضاء لو أنها أسماع مصغية، واستمع فودت الجوارح لو أنها ألسنة ناطقة، وكنت أول من حضر، وطلع الإمام أبو الطيب وهو بنفسه أمة، ووحده عالم.

ثم حضر السيد أبو الحسين، وهو أبن الرسالة والإمامة، وعامر أرض الوحي، والمحتبي بفناء النبوة، وحضر بعد ذلك أبو عمر البسطامي، وناهيك به من حاكم يفصل، وناظر يعدل، ثم حضر القاضي أبو نصر، والأدب أدنى فضائله، وأيسر فواضله، وحضر الشيخ أبو سعيد محمد بن أرمك، وهو الرجل الذي تحميه لألاؤه، ولوذعيته من أن يذال بمن؟ أو ممن الرجل؟ وحضر أبو القاسم بن حبيب، والفقيه أبو الهيثم، ورائد الفضل يقدمهما، وقائد العقل يخدمهما، وحضر الشيخ أبو نصر المرزبان، والفضل منه بدأ وإليه يعود، وحضر بعده أصحاب الإمام أبي الطيب وأصحاب الأستاذ أبي الحسن الماسرجسي، وأصحاب الأستاذ أبي عمر البسطامي، وهم في الفضل كأسنان المشط، ومنه بأعلى مناط العقد، وحضر الشيخ أبو سعيد الهمذاني، وله في الفضل قدحه المعلى، وفي الأدب حظه الأعلى، ثم حضر أصحاب الأسبلة المسبلة، والأسوكة المرسلة، رجال يلعن بعضهم بعضا، فقلت: من هؤلاء؟ فقالوا: أصحاب الخوارزمي.

فلما أخذ المجلس زخرفه ممن حضر، وانتظر أبو بكر فتأخر، اقترحوا على قوافي أثبتوها، واقتراحات كانوا بيتوها، فما ظنك بالحلفاء أدنيت لها النار: من لفظ إلى المعنى نسقته، وبيت إلى القافية سقته. على ريق لم أبلعه، ونفس لم أقطعه. وقال الإمام أبو الطيب لن نؤمن لك حتى نقترح القوافي، ونعين المعاني، وننص على بحر، فإن قلت على الروي الذي أسومه، وذكرت المعنى الذي أرومه، فأنت حي القلب كما عهدناك، شجاع الطبع كما وجدناك، فلما خرجت من عهدة هذا التكليف، حتى ارتفعت الأصوات بالهيللة من جانب، والحوقلةمن آخر. وتعجبوا إذ أرتهم الأيام ما لم ترهم الأحلام، وجادهم العيان بما بخل به السماع، وأنجزهم الفهم ما أخلفهم الوهم، ثم التفت فوجدت الأعناق تلتفت وما شعرت إلا بهذا الفاضل، وقد طلع في شملته، وهب بجملته، ومشى إلى فوق أعناق الناس يريد الصدر، فقلت: يا أبا بكر تزحزح عن الصدر، فقال لست برب الدار، فتأمر على الزوار، فقلت: حضرت لتناظري، والمناظرة اشتقت إما من النظر، وإما من النظير، ومن حسن النظر أن يكون مقعدنا واحدا، حتى يتبين الفاضل من المفضول، ثم يتطاول السابق، ويتقاصر المسبوق، فقضت الجماعة بما قضيت.

ثم قلت: في أي علم تريد أن نتناظر؟ فأشار إلى النحو، فقلت: إن شئت أن أناظرك فيه فسلم ما كنت تدعيه، من سرعة في البديهة، وجودة في الروية، وقدرة على الحفظ، ونفاذ في الترسل، فقال: لا أسلم ذلك، ولا أناظر في غير هذا، وارتفعت المضاجة، واستمرت الملاجة، حتى قال له الأستاذ أبو عمر: أنت أديب خراسان، وبهذه الأبواب التي قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق، وتثاقلك عن مجاراته فيها مما يوهم، واضطره إلى منازلة أو نزول عنها. فقال: سلمت الحفظ، فقلت: خفف الله عنك كما خففت عنا

في الحفظ، فلو سلمت البديهة مع الترسل، حتى نفرغ للنحو والأمثال واللغة والعروض والأشعار فقال: ما كنت لأسلم الترسل، ولا سلمت الحفظ، فقلت: الراجع في فيئه كالراجع في قيئه؛ لكنا نقيلك عن ذلك السماح.

أنشدنا خمسين بيتا من قبلك مرتين، حتى أنشدك عشرين بيتا من قبلي عشرين مرة، فعلم أن من دون ذلك خرط القتاد، فسلمه ثانيا، كما سلمه باديا، وصرنا إلى البديهة، فقال أحد الحاضرين هاتوا على شعر أبي الشيص في قوله:

أبقى الزمان به ندوب عضاض ... ورمى سواد قرونه ببياض

فبدأ أبو بكر مقدارا أنا نغفل عن أنفاسه، أو نوليه جانب وسواسه، ولم يعلم أنا نحفظ عليه الكلم، فقال:

يا قاضيا ما مثله من قاض ... أنا بالذي تقضي علينا راض

فلقد ﻟﺒست ضفية ملمومة ... من نسج ذاك البارق الفضفاض

لا تغضبن إذا نظمت تنفسا ... إن الغضى في مثل ذاك تغاض

فلقد بليت بشاعر متقادر ... ولقد بليت بناب ذيب غاض

ولقد قرضت الشعر فأسمع وأستمع ... لنشيد شعر طائعا وقراض

فلأغلبن بديهة ببديهتي ... ولأرمين سواده ببياض

فقلت ما معنى ضيفة ملمومة؟ وما الذي أردت بالبارق الفضفاض؟ فأنكر أن يكون قاله قافية، فقالوا له: قد قلت. ثم قلت ما معنى قولك ذيب غاض؟ فقال هو الذي يأكل الغضى قلت: استنوق الجمل، وصار الذئب جملا يأكل الغضى. فما معنى أن الغضى في مثل ذاك تغاض، فإن الغضى لا أعرفه بمعنى الإغضاء فقال لم أقل الغضى، وأنكر البيت جملة فقلت: ما أغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك، وتتبرأ منه وهو يلحق بك. فما معنى قراض فلم أسمعه مصدرا من قرضت الشعر. ثم دخل الرئيس أبو جعفر، والقاضي أبو بكر، والشيخ أبو زكريا الحيري، وطبقة من الأفاضل وأخذ الرئيس مكانه من الصدر، وقال: قد ادعيت عليه أبياتا أنكرها فدعوني من البديهة على النفس واكتبوا ما تقولون فقلت:

برز الربيع لنا برونق مائة ... فانظر لروعة أرضه وسمائه

فالترب بين ممسك ومعنبر ... من نوره بل مائة وروائه

والماء بين مصندل ومكفر ... في حسن كدرته ولون صفائه

والطير مثل المحصنات صوادح ... مثل المغنى شاديا بغنائه

والورد ليس بممسك رياه بل ... يهدي لنا نفحاته من مائه

زمن الربيع جلبت أزكى متجر ... وجلوت للرائين خير جلائه

فكأنه هذا الرئيس إذا بدا ... في خلقه وصفاته وعطائه

ما البحر في تزخاره والغيث في ... إمطاره والجو في أنوائه

بأجل منه رغائبا ومواهبا ... لا زال هذا المجد حلف قبائه

والسادة الباقون سادة عصرهم ... متمدحون بمدحه وثنائه

وقال أبو بكر تسعة أبيات رددتها عليه، وقلت لمن حضر أرأيتم لو أن رجلا حلف بالطلاق لا ينشد شعرا قط وأنشد هذه الأبيات فقط، هل تطلق امرأته؟ فقالت الجماعة لا يقع بهذا طلاق. ثم قلت: أنقد علي كما نقدت، وأحكم عليه كما حكمت. فأنتقد ما انتقد، وكفتني الجماعة جوابه، وقالوا: قد علمنا أي الرجلين أشعر؟ وأي الخصمين أقدر.

ثم ملنا إلى الترسل فقلت: اقترح على غاية ما في طوقك، ونهاية ما في وسعك، حتى أقترح عليك أربع مائة صنف في الترسل، فإن سرت فيها برجلين، ولم أطر بجناحين، فلك يد السبق، ومثال ذلك أن أقول لك: اكتب كتابا يقرأ منه جوابه هل يمكنك أن تكتب؟ أو أقول لك أكتب كتابا في المعنى الذي أقول، وأنص عليه، وأنشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل، ولا تغافل حتى إذا كتبت ذلك قرئ من آخره إلى أوله، وانتظمت معانيه إذا قرئ من أسفله، هل كنت تفوق لهذا الغرض سهما، أو تجيل قدحا، أو تصيب نجحا؟ أو قلت لك أكتب كتابا إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كتابا؛ وإذا عكست سطوره مخالفة كان جوابا، أو قلت لك! كتب كتابا في المعنى الذي يقترح لا يوجد فيه حرف منفصل، من راء تتقدم الكلمة بديهة، هل كنت تفعل؟ أو قلت لك أكتب كتابا خاليا من الألف واللام هل كنت تقف من ذلك موقفا محمودا؟ أو قلت لك أكتب كتابا يخلو من الحروف العواطل، هل كنت تحظى منه بطائل؟ أو تبل لهاتك بناطل؟ أو قلت لك اكتب كتابا أوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم، على المعنى الذي يقترح هل كنت تغلو في قوسه غلوة؟ أو تخطو في أرضه خطوة؟ أو قلت لك: اكتب كتابا إذا قرئ معرجا وسرد معوجا وسرد معوجا كان شعرا هل كنت تقطع في ذلك شعرا؟ بلى والله تصيب ولكن من بدنك. وتقطع ولكن من ذقنك. أو أقوال لك: اكتب كتابا إذا فسر على وجه كان مدحا، وإذا فسر على وجه كان مدحا، وإذا فسر على وجه آخر كان قدحا، هل كنت تخرج عن هذه العهدة؟ أو أقوال لك: اكتب كتابا تكون حفظته من قبل أن لحظته، هل كنت تثق من نفسك به إلى ما أطاولك بعد؟ لا. بل) أست البائن أعلم.. (.

فقال أبو بكر هذه الأبواب شعبذة. فقلت: وهذا القول طرمذة. فما الذي تحسن أنت من الكتابة وفنونها حتى أباحثك على مكنونها، وأكاثرك بمخزونها، وأشبر قلمك، وأسبر فيها لسانك وفمك؟ فقال الكتابة التي يتعاطاها أهل الزمان المتعارفة بين الناس. فقلت: أليس لا تحسن من الكتابة سوى هذه الطريقة الساذجة. وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم، المتناول بكل لسان وفم، ولا تحسن هذه الشعبذة؟ فقال: نعم. فقلت: هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبل. وأناضلك بهذا النبل، ثم تقاس ألفاظي بألفاظك، ويعارض إنشائي بإنشائك. واقترح كتاب يكتب في النقود وفسادها، والتجارات ووقوفها، والبضاعات وانقطاعها. والأسعار وغلائها. فكتب أبو بكر: الدرهم والدينار ثمن الدنيا والآخرة، بهما يتوصل إلى جنات النعيم ويخلد في نار الجحيم، قال الله تبارك وتعالى:) خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم (. وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشد الإكبار. وأنكرناه أعظم الإنكار؛ لما نراه من الصلاح للعباد وننويه من الخير للبلاد. وتعرفنا في ذلك ما يربح للناس في الزرع والضرع. ويعود إليه أمر الضر والنفع. . . إلى كلمات لم تعلق بحفظنا فقلت: إن الإكبار والإنكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع أسجاع قد ثبتت في المعد، ولم تزل في اليد. وقد كتبت وكتبت. ولا أطالبك بمثل ما أنشأت، وناولته الرقعة فتبقى وبقيت الجماعة، وبهت وبهتت الكافة، وقالوا لي أقراه فجعلت أقرؤه واسرده معكوسا. وكان ما أنشأناه: الله شاء إن المحاضر صدور بها، وتملأ المنابر ظهور لها، وتفرع الدفاتر وجوه بها، وتمشق المحابر بطون لها ترشق آثارا كانت فيه آمالنا مقتضى على أياديه في تأييده الله أدام الأمير جرى فإذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع الدين أهل عن الكل هذا يحط أن في إليه نتضرع ونحن واقفة والتجارات زائفة، والنقود صيارفة؛ أجمع الناس صار فقد كريما نظرا لينظر شيمه مصاب وانتجعا كرمه بارقة وشمنا هممه على آمالنا رقاب، وعلقنا أحوالنا وجوه له، وكشفنا آمالنا وفود إليه بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا أن ونعماه تأييده وأدام بقاه الله أطال الجليل الأمير رأى إن.

وصلى الله على محمد وآله الأخيار.

فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر أحد الخصمين، فملنا إلى اللغة، فقلت: خذ غريب المصنف إن شئت وإصلاح المنطق إن أردت، وألفاظ ابن السكيت إن نشطت، ومجمل اللغة إن اخترت، وأدب الكتاب إن أردت، واقترح على أي باب شئت من هذه الكتب حتى أجعله لك نقدا وأسرده سردا، فقال اقرأ من غريب المصنف فقرأت الباب الذي أراده ولم أتردد فيه، وأتيت على الباب الذي يليه. ثم قلت اقترح غيره، فقالوا كفى ذلك فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من فصيح الكلام. فوقف حماره، وخمدت ناره. وقال الناس

اللغة مسلمة لك أيضا، فهاتوا غيره. فقلت يا أبا بكر هات العروض؛ فهو أحد أبواب الأدب، وسردت منه خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعللها وزحافها فقلت: هات الآن فاسرده كما سردت. وضجر الناس وتقوض المجلس.

هذا ملخص ما جرى بينهما.

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي: قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو كما عذر وله وفرة إلى شحمتي إذنيه فأكرمته وعظمته لما رأيته من فصاحته وحسن سمته. فلما تمكن الأنس بيني وبينه، وخلوت معه في المنزل اغتناما لمشاهدته، واقتباسا من أدبه، قلت: والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير.

فقال: ويحك أتدري ما تقول؟ أنا نبي مرسل! فظننت." (١)

"في باب التتميم وهو مثل الأول وإن زاد على الأول أدنى زيادة لما في لفظة حاشاك بعد ذكر الفناء من **حسن الأدب** مع الممدوح. وربما سومح بأن يجعل هذا البيت في شواهد التتميم بهذه اللفظة. وأما الأول فمحض التكميل ولا مدخل

له في التتميم. اه.

وقد ذكر التتميم في أول كتابه وقال: سماه ابن المعتز اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود المتكلم فيتمه. وشرح حده: أنه الكلمة التي إذا طرحت من الكلام نقص حسن معناه أو مبالغته مع أن لفظه يوهم بأنه تام. ومجيئه على وجهين: للمبالغة والاحتياط. ويجيء في المقاطع كما يجيء في الحشو. هذا كلامه. ولا يخفى أن هذا الحد منطبق على البيت.

وأما أنا فالبيت عندي من الاحتراس وهو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل فيفطن له فيأتي بما يلخصه من ذلك.

قال ابن أبي الإصبع: والفرق بين الثلاثة أن المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتي التكميل زيادة يكمل بها حسنة إما بفن زائد أو بمعنى.

والتتميم يأتي ليتمم نقص المعنى. والاحتراس لاحتمال دخل على المعنى وإن كان تاما كاملا.

والبيت من قصيدة للمتنبي مدح بها كافورا الإخشيدي." (٢)

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي يوسف البديعي ٢٥/١

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥٦/٩

"ركبت غز بحدج جملا
وسيأتي في حرف اللام استيفاء الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

الشرط أملك، عليك أم لك.
الشرط بفتح فسكون إلزام الشيء والتزامه. ويكون أيضا بمعنى سق الجلود، كفعل الحجام، وأما الشرط بالتحريك فهو العلامة، ومنه أشراط الساعة، أي علامتها؛ والملك مثلث الميم: لاحتواء على الشيء والقدرة عليه.
والمعنى إن ما أشترط فهو لازم وأولى أن يتفع سواء كان ذلك الشرك عليك أم كان لك.
وهذا المثل نطق به القاضي شريح، ولا أدري أهو المخترع له أم قيل قبله.
ذكر السكاكي في المفتح إنه حكى أن عدي بن أرطة أتى ومعه امرأة له مثال أهل الكوفة يخاصمها. فلما جلس بين يدي شريح قال له عدي: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: إني امرؤ من أهل الشام. قال: بعيد وسحيق. قال: وإني قدمت العراق. قال: خير مقدم. قال: وتزوجت هذه. قال: بالرفاء والبنين! قال: إنها ولدت لي غلاما. قال: ليهنك الفارس! قال: وأردت أن أنقلها إلى داري. قال: المرء أحق بأهله. قال: كنت شرطت لها وكرها. قال: الشرط أملك منك! قال: أقض بيننا! قال: فعلت! قال: فعلى من قضيت؟ قال: على أبن أمك! قوله: أين أنت؟ يريد: في أي شغل أنت هذا الوقت؟ هل أنت متفرغ للنظر فيما بيننا؟ ولا يريد السؤال عن المكان حقيقة، ولكن لما كان فضولا مع ما فيه **من سوء الأدب** حمله القاضي على حقيقته وأجاب بنفس المكان، تجهيلا له وتعريضا إنه بين جمادين وهما عدي والحائط.
وقوله الرفاء والبنين: متعلق بمحذوف، أي تزوجت وأعرست مصحوبا بالرفاء، أي بالموافقة والألفة وبالبنين، أي الذكور دون البنات.
وقوله: ليهنك الفارس! دعاء له وتفاؤل، أي: ليكن ولدك هنيئا لك لائقابه، ويبلغ مبلغ الفروسة!." (١)
"ثم رجعت في زورة أخرى بعد هذه فمررت أيضا بسجلماسة فوجدت فتنة أبشع من هذه وأشنع وقعت لهؤلاء مع عوام المسلمين " ثم مع المسلمين " كافة، عامة وخاصة، وذلك أنهم نظروا في كلام من حرض من الأئمة على النظر في علم التوحيد، وحذر من الجهل فيه ومن التقليد، فجعلوا يسألون " الناس " عما يعتقدون، ويكلفونهم الجواب والإبانة عن الصواب، فربما عثروا على قاصر العبارة عما في قلبه، أو

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٣/٢٣٠

متلجلج اللسان لدهش ناله، أو جاهل بشيء مما يقدح في العقيدة أو يظنونه قادحا وإن لم يقدح، فيشنعون عليه الجهل والكفر، ثم أشاعوا أن الفساد قد ظهر في عقائد الناس، وجعلوا يقررون العقائد للعوام، فشاع عند الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النمط الذي يقررون فهو كافر، وشاع عندهم أن من لم يعرف معنى لا إله إلا الله أي النفي والإثبات على التقرير الذي يقرره العلماء فهو كافر، فدخل من ذلك على عوام المسلمين أمر عظيم، وهول كبير، فلما دخلت البلد جاءني الناس أفواجا يشتكون من هذا " الأمر " وأن ليس كل أحد يبلغ إلى فهم تقارير العلماء فأقول لهم: إن الله تعالى إنما تعبدكم باعتقاد الحق في أنفسكم، أفلا تشهدون أن الله تعالى حق موجود؟ فيقولون: بلى، أفلا تعلمون أنه واحد في ملكه لا شريك له ولا إله معه وكل معبود سواه باطل فيقولون: بلى، هذا كله يقين عندنا لا نشك فيه ولا نرتاب، فأقول لهم هذا هو معنى كلمة الإخلاص المطلوب منكم اعتقاده، سواء عرفتموه من لفظها أو لا، فإن الكلمة عربية، والأعجمي لا حظ له في دلالتها، وإنما حسبه أن يترجم له مضمونها فيعتقده، وكذا العقائد كلها المطلوب منكم اعتقادها بالمعنى، ولا يشترط فهم ألفاظها التي يعبر " بها " عنها في كتب العلماء، ولا إدراك حدودها ورسومها التي تعرف بها. فإن فهم هذه العبارات والإحاطة بهذه الحقائق والتقريرات علم آخر لم يكلف به العوام، فإذا أجبتهم بذلك انطلقوا مسرورين حامدين شاكرين، ثم جاءني رئيس هذه الفتنة وسألني عن مسائل في هذا المنحى فأجبته، ثم تقدمت إليه بالنصيحة وقلت له: أكثر النحل وجل الطوائف الضالة إنما خرجت في هذا العلم، فإن أردت نفع الناس فقرر لهم العقائد بالقدر الذي يبلغون، وحدث الناس بما يفهمون، كما في الحديث الكريم ودع عنك هذه الامتحانات والتدقيقات والتشنيعات التي لم تجر بها سنة أهل الدين في عصر من الأعصار، فإذا هو قد أشرب ذلك وتمكن فيه التظاهر به، وإذا تمييزه قد نقص عما كنت أعرف منه قبل ذلك، نسأل الله العافية. فتمادى على ذلك وأصفقت عليه العوام حتى سمعوا مقالته فيهم، وجعل يتغالى في تقرير العقائد وبيان وجوه المخالفة ونحوها على التفصيل بما لا حاجة إليه حتى يقع في ذكر ما **هو سوء الأدب** في حقه تعالى، وما لا يستطيع كل من في قلبه رائحة من عظمة الله تعالى أن يفوه به، ويحضر مجلسه أوباش الأعراب من جراوة ونحوها، فإذا رجعوا إلى قومهم ذهبوا بتلك المقالات وجعلوا يلقون على أمثالهم من الرعاع الأسئلة من هذا المنحى فيقولون لهم: أين بات الله؟ وأين يصبح؟ وأين يظل؟ وأين هو؟ " وكيف هو "؟ إلى ما هو أبشع من ذلك مما لا أذكره، وقد نبهت على طرف من هذا المعنى في كتابي المذكور، ثم أشاعوا أن عوام المسلمين لا تؤكل ذبائحهم ولا يناكحون مخافة أن يكونوا لم يعرفوا التوحيد، فحدثني الفقيه المشارك الصالح أبو عبد الله مبارك بن محمد العنبري الغرفي – رحمه الله – أن

أعرابيا من هؤلاء الشيعة جاء مع قوم من بلد توات فكانوا إذا طبخوا زادهم وفيه الخليع يمتنع من الأكل معهم ويقول: إن الجزار الذي ذبح هذه البهيمة لا ندري أيعرف التوحيد أم لا؟ ولما دخل البلد جيء بطعام عليه لحم وجماعة من الأشراف حضور فدعوه للأكل فأمتنع وقال: إن العبد الذي ذبح تلك الذبيحة لا ندري أيعرف التوحيد أو لا؟ فقالوا له: ما ذبحها عبد، وإنما ذبحها المولى فلان الشريف منهم فامتنع أيضا وبات طاويا، ثم لم يقفوا في هذا بل انتهكوا حرمة عوام المسلمين ابتلاهم الله بانتهاك حرمة خاصتهم أيضا، فتناولوا فقهاء وقتهم ووقعوا في أهل العلم والدين ومن هم على سنن المهتدين، وضللوهم إذا لم يضللوا العامة، فوقع لهم قريب مما وقع للكميلية من الروافض فإنهم كفروا الصحابة حيث لم يقدموا عليا – كرم الله وجهه – ثم كفروا عليا حيث لم ينازعهم في حقه، وكان أهل البلد اتبعوني وأنا في." (١)

"نعم الناس في أمر الطلب والدعاء لا في هذه ولا في غيرها صنفان: " صنف " يسلم ولا يطلب، " وصنف يطلب " وذلك " بسبب " اختلاف المشارب وتباين الشهادات، فمن أشهده الله تعالى كونه عبدا مملوكا مكفولا بعين مولاه وفي حياطته لم يبق له دعاء ولا طلب، بل التوكل والتسليم وانتظار القسمة السابقة، وله في هذا مشارب، فقد يلاحظ حياطة المولى وكفالته فيستغني، وقد يلاحظ انبرام القسمة وأن الدعاء لا يزيد فيها ولا ينقص فيمسك، وقد يلاحظ علم الله تعالى وقدرته وجوده فيستحيي، إذ لا ينبه إلا غافل، ولا يستنهض إلا عاجز ولا يستعطف إلا بخيل، إلى غير هذا من الواردات، وقد يلاحظ إساءته وتقصيره في الخدمة فيستحيي أن يطلب، ومن أشهده الله تعالى "كونه " عبدا فقيرا محتاجا إلى سيده لا يستغني عنه لحظة، وقد أذن له في رفع حوائجه إليه فليس إلا الدعاء والطلب، وله في ذلك أيضا مشارب، فتارة يسترسل مع وصفه من الافتقار واللجأ إلى مولاه، وتارة يرى تعاطي ذلك وإظهاره هو اللائق بالعبودية، وتارة يلاحظ امتثال أمر الله تعالى حيث طلب من عباده أن يدعوه، وذلك كله من غير التفات إلى حاجة تقضى ولا ثمرة غير ما حصل له من التعبد والمناجاة والتذلل بين يدي الملك الجليل، وناهيك بذلك ثمرة " مع " ما يرجى أن يستتبعه ذلك من رضوان الله تعالى، وهو نهاية السول وغاية المأمول، وهذا كله لمعرفته بأن القسمة قد سبقت لا تزداد ولا تنقص، ومحال أن يكون الدعاء اللاحق، سببا للعطاء السابق، فلم يبق إلا أن الدعاء عبادة وتأدب مع الرب تعالى، والرب يفعل ما يشاء " ويحكم ما يريد "، وقد يلاحظ أن من جملة ما يقضى ترتب بروز العطاء على الدعاء، وأن الاشتغال بالدعاء سبب كسائر الأسباب فينتهض لإقامة الحكمة في تعاطي الأسباب وامتثال أمر الله تعالى في ذلك إذا أقيم " فيه " وهذا الوجه هو الذي يظهر من

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/٤٦

أحوال من يتحرى أوقات الاستجابة وأسبابها من الصالحين، والأوجه كلها حسنة لا يخرج المتلبس بشيء منها عن الخصوصية، نسأل الله تعالى أن يمنحنا **حسن الأدب** بمنه.

ثم الداعي أيضا له حالتان، لأنه إما أن يشهد حال نفسه من الإساءة والتقصير والخساسة الذاتية والذلة والمهانة فلا يدعو إلا بما يناسب ذلك من العفو والمغفرة والنجاة من النار والإقالة واللطف ونحو ذلك، وفي هذه الحالة قال القائل: تجرأت البارحة فسألت الجنة، وقال الآخر: سبحان الله متى خرجنا من النار حتى نطلب الجنة، وإما أن يشهد وصف ربه من الكرم والجود والفضل، أو يشهد أنه عبد للمالك العظيم، ويلاحظ نحو قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا سألتم الله فاستعظموا المسألة، فإن الله لا يتعاظمه شيء " فيدعو بما يناسب ذلك من الجنة والدرجة العلية، والرضوان والمعرفة، والمحبة والقرب والولاية، ونحو ذلك، ولا شك أن الحلة الأولى هي أنسب بالعبد في هذه الدار وأسلم له، ولكنه بيد الله تعالى يتصرف ويتلون بحسب سابق المشيئة.

وأما الحلاوة فمن جهة ما ذكرنا من التدريج، فإنا نود أن لو وجد المسرف حلاوة للطاعة وتبعها حتى يترك فسقه ويتمرن على العبادة، فعسى أن ينقله الله إلى حالة أخرى أرفع، وقد تكلمنا فيما لسنا من أهله وتعدينا طورنا، فنستغفر الله تعالى.

لله الأمر من قبل ومن بعد

تدبر العقل في أسرار الكون

اعلم أن الله جل أسمه بلطيف حكمته وبديع صنعته خلق العقل وجعل غذاءه العلوم والمعارف، ويسر له الاستعداد من الموجودات قال تعالى:) إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب (وقال تعالى:) وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم (فما من شيء يبرز في الوجود من السماء والأرض وما بينهما إلا ويمكن أن يكون للعقل فيه غذاء بحصول علم أو علوم، ويختلف ذلك باختلاف العقول فطنة وجمودا أولا، وباختلاف مواهب الله تعالى وفتوحه ثانيا، ويجري ذلك في الجواهر والأعراض وما لها من الكميات والكيفيات والهيئات، فمن رزقه الله تعالى فطنة استفاد من الأمور ما يستغربه أهل الجمود.." (١)

"مجلس الكرام حصون الكلام.

منقبة المرء تحت لسانه.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/٩٣

مجالسة الأحداث مفسدة الدين.

مشرب العذب مزدحم.

مصاحبة الأشرار ركوب البحر.

حرف النون

نور المؤمن قيام الليل.

نسيان الموت صدأ القلب.

نور قلبك بالصلاة في ظلم الليل.

نصرة الإنسان في الصدق.

نفاق المرء ذلة.

نعمة الجاهل كروضة في مزبلة.

نور مشيبك لا تظلمه بالمعصية.

نار الحرقة أشد من نار جهنم.

نعيت إليك نفسك، حين شاب رأسك.

نم آمنا تكن سالما في أمهد الفرش.

نضرة الوجه في التصدق.

نيل المنى، في الغنى.

حرف الهاء

همة السعيد آخرته، وهمة الشقي دنياه.

هلاك المرء في العجب.

هموم المرء بقدر همته.

هلك الحريص وهو لا يعلم.

هيهات من نصيحة العدو.

هربك من نفسك أشد من هربك من الأسد.

همة المرء قيمته.

هات ما عندك تعرف به.

حرف الواو

وهم المرء بقدر همه.

وعد الكريم نقد.

ولاية الأحمق سريعة الزوال.

وضع الإحسان في غير محله ظلم.

وزر صدقة المنان أعظم من أجره.

وحدة المرء خير من جليس السوء.

والاك من لم يعادك.

واساك من تغافل عنك.

ويل للحسود من حسده.

ولي الطفل مرزوق.

حرف لام ألف

لا دين لمن لا مروءة له.

لا فقر للعاقل.

لا راحة للحاسد.

لا غم للقانع.

لا وفاء للمرأة.

لا كرامة للكاذب.

لا حرمة للفاسق.

لا ظفر مع البغي.

لا صواب لمن ترك المشورة.

لا كرم أعز من التقوى.

لا داء أعيا من الجهل.

لا مرض أعيا من قلة العقل.

لا راحة لملول.

لا عقل لمن لا أدب له.

لا علم لمن لا بصيرة له.

لا بصيرة لمن لا فكر له.

لا خير في علوم الكذابين.

لا أعز من القانع ولا أذل من الطامع.

لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال.

لا يرفع الشح.

لا صحة مع النهم.

لا شرف **مع سوء الأدب**.

لا ثناء مع الكبر.

لا زيادة مع الزراعة "كذا ".

لا راحة للملوك.

لا شرف أعلى من الإسلام.

لا معقل أحسن من الورع.

لا شفيع أنجح من التوبة.

لا لباس أجمل من السلامة.

لا أيمان لمن لا إيمان له.

لا غنى لمن لا فضل له.

لا حياء لحريص.

لا شفيع كالودود الناصح.

حرف الياء

يأتيك ما قدر لك.

يطلبك رزقك كما تطلبه.

يبلغ الإنسان بالصدق منازل الكبار.

يسود المرء قومه بالإحسان.

يسود المرء بمصاحبة السعيد.

يشقى الرجل بمصاحبة السفيه.

يزيد في العمر الصدقة.

يأمن الخائف إذا وصل إلى ما خافه.

يأمن القلب راحة النفس "كذا ".

يسعد الرجل بمصاحبة السعيد ".

لله الأمر من قبل ومن بعد

الرغيف والذهب

وروي عن نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه خرج هو وصاحب له في سياحة فأصابهما الجوع وقد مرا بقرية فقال لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعاما بهذه القرية، وقام هو يصلي، فانطلق الرجل وأتى بثلاثة أرغفة، فوجده مشغولا فأكل رغيفا، فلما انصرف عيسى عليه السلام قال له: أين الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلا رغيفان. فانطلقا حتى مرا بظباء فدعا – عليه السلام – ظبيا منها فذكاه وأكلا منه. ثم قال له: قم بإذن الله الذي يحيي الموتى، فقام يشتد فقال الرجل: سبحان الله! فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ قال ما كان إلا إثنان، فانطلقا فمرا بنهر عظيم فأخذ بيده فمر به على الماء حتى قطع، فقال الرجل سبحان الله؟ فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ قال: ما كان إلا إثنان، فانطلقا حتى أتيا قرية خربة وإذا بثلاث لبنات من ذهب. فقال الرجل: هذا مال، فقال عيسى عليه السلام: واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث. فقال الرجل: أنا صاحبه، فقال عيسى: هي لك كلها وفارقه، فأقام عليها ليس معه من يحملها له، فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا اللبنات، فقال اثنان منهم للواحد: انطلق إلى القرية فائتنا بطعام، اتفق الاثنان على قتله إذا رجع، وأتى هو بالطعام فوضع فيه سما ليموتا فيختص بالمال، فلما جاء قتلاه وأكلا الطعام فماتا، فمر بهم عيسى – عليه السلام – وهم حول المال كلهم صرعى فقال: هكذا تفعل الدنيا بأهلها، وتركهم.." (١)

"القاضي أحمد بن حسين وقرأ عليه فتح الجواد وإحياء علوم الدين وقرأ على الشيخ عبد الرحمن السقاف في العربية والحديث وكتب الصوفية ثم رحل إلى الحرمين وأخذ عن الشيخ العارف محمد بن علوي والشيخ عبد العزيز الزمزمي والشيخ محمد بن علي بن علان والشيخ سعيد باقشير والشيخ محمد بن عبد

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/١٣٢

المنعم الطائفي والسيد أحمد بن الهادي والعارف أحمد بن محمد القشاشي المدني وأجازه أكثرهم بجميع مروياتهم ومؤلفانهم ثم رجع إلى وطنه وكان أديبا باهرا حسن الخط ثابت الذهن عجيب الفهم مطلعا على اللغة والمفاكهات وكانت له قدرة على كشف الغوامض ومعرفة تامة بالحساب والفرائض ودرس وأجاد وانتفع به كثير من الطلبة وكان نير السريرة طيب الرائحة لطيف الثياب دائم البشر لا يترك قيام الليل كثير التحمل للبلايا صبورا على من أذاه وكان يحب الفقراء وكان يقول كل من ابتلاه الله بالفقر في هذا الزمان حقيق بأن يعتقد وكان **حسن ادأدب** مع الناس قال أخوه في ترجمته ومنذ صحبته ما أذكر أنه غضب يوما من الأيام ولا اغتاب أحدا ولو أذاه ولم يزل على حالته إلى أن توفي وكانت ولادته في سنة تسع عشرة وألف وتوفي في سنة سبع وخمسين وألف بمدينة تريم ودفن بمقبرة زنبل وقبره بها معروف يزار رحمه الله تعالى

الشيخ أحمد بن أبي بكر بن سالم بن أحمد بن شيخان بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله باعلوي وتقدم رفع نسبه في ترجمة والده أبي بكر الشهابالمقدم في العلوم المنفرد بالفنون الأدبية إلى مكارم شيم وأخلاق وصفاء باطن وظاهر ولد بمكة المشرفة في رجب سنة تسع وأربعين وألف وبها نشأ وتربى في كنف والده وحفظ القرآن والإرشاد وبعض المنهج وألفية الحافظ العراقي في أصول الحديث وألفية ابن مالك وغير ذلك من الرسائل ولازم أباه وعنه أخذ الطريق المسلسل ولبس منه الخرقة الشريفة وتلقن الذكر والمصافحة والمشابكة ولازم الشيخ عبد اللهه باسعيد باقشير في درسه وأخذ عن الشيخ عبد العزيز الزمزمي والشيخ علي بن الجمال وأحمد بن عبد الرؤف وعبد الله بن الطاهر العباسي وحضر دروس العلامة عيسى المغربي وأخذ عن العارف بالله تعالى عبد الرحمن المغربي وألبسه الخرقة ثم لازم محمد بن سليمان ملازمة تامة وأتقن عدة فنون منها الحديث والفقه والأصول والعربية والفرائض والحساب والميقات والمعاني والبيان والعروض وأمره." (١)

"(فيه إعزاز لقدري ... ولنظمي فيه ذله)

(فاقبلوا مني جوابا ... جاء في ضعف وقله)

(طال تقصيري ولكن ... سامحوا المملوك لله)

ومن شعره الإمام قوله

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١/١٦٣

(وشادن أجرى دموعي دما ... سفحا على الخدين لا ترقا)

(أخاف مسود عذاري به ... ببيض من حلته الزرقا)

وله غير ذلك وكانت ولادته في سنة تسع عشرة بعد الألف وتوفي رابع جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وألف وقام بعده في طلب الإمامة لنفسه أحمد بن الحسين بن القاسم ونازعه فيها القاسم بن محمد بن القاسم ابن عمه وحصل بينهما محاربة ثم تمت الولاية لأحمد كما تقدم في ترجمته

الشيخ إسماعيل بن محمد عماد الدين المعروف بابن تبل الدمشقي القبيباتي ذكره النجم الغزي في ذيله فقال في حقه كان من أذكياء العالم ودأب في الإشتغال حتى برع في كل فن من الفنون واشتهر بالفضل وكان شافعيا ثم تحنف وقصد أن يسلك طريق الصوفية فاختلى عند الشيخ أحمد الحرستاني الكاتب ورأى في الواقعة بعد ستة عشر يوما أنه في فلاة فيها كوم من أحجار وأوساخ ووجد عليها قطعة خبز فأكلها فذكره هذه الرؤيا للشيخ أحمد فقال له أخرج من الخلوة فإن لك خولة في الدنيا فخرج ثم تعلق بأنواع العلوم العقلية وسافر إلى الروم وسلك الطريق وخدم بعض الموالي حتى صار محاسبا بأوقاف قسطنطينية في زمن بعض قضاتها حتى حصل دنيا عريضة واشتهر فيما بينهم بمنلا عماد ثم تفرغ عن ذلك كله ووهب ما عنده من متاع وغيره ولحق بالعارف بالله تعالى الشيخ محمود الإسكداري وصار من مريديه وتوفي عنده بأسكدار في سنة عشر بعد ألف رحمه الله تعالى

السيد إسماعيل بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم من أولاد الأئمة باليمن وجده هو الذي أخرج الأتراك من اليمن وكان ذا ولاية واسعة وستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى وكان السيد إسماعيل المذكور في المحل الأعلى من الفصاحة والبلاغة **وحسن الأدب** نقي الطبع بهى الآثار رقيق جلباب النظم وله مؤلف سماه سمط اللآل بأشعار الآل وفضله في اليمن أشهر من أن يذكر ومن شعره النقي البهي قوله يمدح والده محمد بن الحسن." (١)

"لا تخيب أملي يا سيدي ... لذنوبي ولسوء الأدب

فأنا عبد مسيىء مذنب ... مستقيل عثرتي فاستجب

ولك الحلم الذي تياره ... لم تكدره ذنوب المذنب

قل أجبنا غير مأمور فيا ... خيبة المسعى إذا لم تجب

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٤١٦/١

وشفعنا وقبلناك وقد ... جاءك البر ونجح المطلب

وافض ما في النفس لي من ارب ... لم أزل من شانه في تعب

وصلاة الله مع تسلمه ... أبدا في سبب معتقب

يستهلان على سوحك ما ... عقب الصبح ظلام المغرب

وعلى آلك والصحب الأولى ... أسسوا دين الهدى بالقضب

وقوله مادحا شريف مكة المشرفة الشريف ادريس بن الحسن لما عرض له في وظيفة الخطابة بالمسجد الحرام والبسه القفطان يوم مباشرته لها وذلك لتسع عشرة خلون من شهر رمضان عام ثمان وعشرين وألف

زها بك دست الملك والتاج والعقد ... غداة إليك الحل أصبح والعقد

مطاعا بعطف الله بعد رسوله ... أولى الأمر فالعاصي لأمرك مرتد

أبا شرف ادريس منتخب العلى ... أبا الشرف الوضاح غيرك والمجد

لقد حظيت شمس الخلافة بدرها ... فقارنها في الأوج والطالع السعد

قنصت العلا بالراغبية واللهي ... هما شركاها لا الأماني والوعد

وقمت بملك ما لغيرك حمله ... منال المهاوي ليس تدركه الربد

وشرفت دست الملك حين حللته ... ومرقاتك المرقال والفرس النهد

فكنت به ادريس اذرقي ... مكانا عليا خصه الصمد الفرد

وكنت ولم تفتن سليمان إذ دعى ... فأوتيت ما لا ينبغي لفتى بعد

وما لم ينله غير آبائك الأولى ... ربوع الندى شادوا وأنف العلا شدوا

ملوك هم الأنياب للملك والسوى ... إذا نسبوا كانوا الزوائد أو عدوا

تولوا وأفضى ملكهم لمحجب ... تصادم تيجان الملوك إذا يبدوا

تأخر عصرا فاستزاد من العلى ... كما زاد بالتأخير ما ترغم الهند

وأصبح عطلا جيد من رام عقدها ... سواء وأضحى يستضيء به العقد

تفرد طود الملك بالمجد جامعا ... مزاياه فهو الجامع العلم الفرد

رأى أن عدته خلت منه خلة ... فصيره قصرا عليه فلا يعدو

فيا ملكا بالفضل أذعن ضده ... وما الفضل إلا ما أقربه الضد

بك الدست يزهو يوم سلمك والبرد ... ويوم الوغي يزهو بك السرج والسرد

وما زلت في حاليك سلما وضده ... عليك رواق المجد يرفع والبند

فيشقى بك الجاني ويسعد مخفق ... ويأمن مطرود وترهبك الأسد

إذا بيت الأعداء أمرا تضاءلت ... لدى خطبه الآراء واستتر الرشد

وترت قويم الفكر قوسا لوترهم ... من العزم لم يكهم له أبدا حد

وقدت من القود الجياد مقاتبا ... إذا طلبت يدنو بتقريبها البعد

وغلى إلى الأعناق أيدي بطشهم ... من الرعب جيش لا تشام له جند

فأحياؤهم في الأرض موتى كأنها ... عليهم وقد ضاقت بما رحبت لحد

سجايا أبي لايجار طريده ... ولا راع يوما جار عقوته طرد

مليك هو الطود الأشم للائذ ... هو البطل الطعان والأسد الورد

جواد له في المال ثروة ثائر ... تحكم في الجاني واحفظه الحقد

طوت نحوه بالوقد كل تنوقة ... نجاة بخد الأرض من وخدها خد

وجاد فلم تفقد مراما بجوده ... فقل عوضا عن جاد قد فقد الفقد

هو البحر عذب للموالي والعدا ... عذاب لهم من لجه الجزر والمد." (١)

"تحل بتاجا لصنع تغد مملكا ... يطول على هام الرجال كواهله

وقوله وأجاد

عرفتك دهري ليس لي فيك حيلة ... يروج بها فضلي لديك واسلك

سرى الياس مما في يديك وإن يكن ... رجاء ففي الأخرى التي لست تملك

وقوله أيضا

يا بني الزهراء لا لقيتم ... أبد الأيام سواء من أحد

بشراكم لاح بمغنى أدم ... فلذا كل إليه قد سجد

بدر الدين حسين

الشهير بباشا زاده

غرة جبهة الزمان. وواسطة عقد الفضل المزري بعقد الجمان. وتاريخ الحسب والمجد. وصدر الكرم والشرف

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٩٠

النجد. الجامع بين جلية النسب ومزية الأدب. والشافع كرم نفسه النفيسة **بحسن الأدب**. جر على هام المجرة ذيله. وأنار بقمر فضله ليله. فأصبح وهو عزيز مصره. والفاخر على ذي التاج المحجب في قصره. أجري بمصر نيله نيلها. وما زال مانح الفضائل والفواضل ومنيلها. فساق كل فاضل فلك أمله إليه وأرجاه. تاليا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاه. وأما أدبه فمأدبة البراعة والاحسان. القاصر عن نثره ونظمه سحبان وحسان. وما برحت كواكب فضله مشرقة لائحة. وسواكب أفضاله غادية رائحة. حتى وافته بأجله وفاته. وعفت آثاره وبكت عليه عفاته. فتوفى في رجب سنة ثلاث وعشرين وألف ومن نظمه ونثره ما كتبه إلى القاضي محمد دراز المكي مراجعا عن كتاب كتبه إليه معزيا له في ولده عبد الرحمن وكان قد وصل إلى مكة المشرفة للحج فتوفى بها ثامن ذي الحجة الحرام سنة ثمانية عشر ومائة وألف وافتتح القاضي كتابه بقوله

على أريحي شافني بخياله ... سلام يحاكي منه طيب خصاله

عشقت وما أبصرته غير أنني ... سمعت من الحاكين وصف كماله

فأجابه بقوله

على المعي شمت آيات فضله ... فهمت به مستغنيا عن خياله

فمن أجل ذا اثني عليه ولم أقل ... سمعت من الحاكين وصف كماله

لا يزال برؤياه قميص الجو معنبرا. وثناء لا ينفك بمرآه بساط البسيط معشوشبا نضرا. أطيب من النسائم صافحت أنامل الزهور. فحلت منها العقود. وأرق منها إذا اعتلت شوقا للثم الثغور. وهز القدود. إلى من هو الآخذ من الفضل بزمامه. والصاعد من المجد فوق غاربه وسنامه فارس حلبة المعارف وكميها. وشاكي سلاحها ولوذعيها. فاني يشق لها غبار. وكيف يركض معه مبار في مضمار. أعني الفاضل الممجد. ابن دراز محمد. نسأل الله تعالى كما فرده بما جمع له من الشيم الصالحة والأفعال. أن يكثر له الأمثال. ويهييء له الآمال. ما لمع آل. واختلفت آصال. وبعد فقد ورد من تلك الديار. ووفد من هاتيك الآثار

ديار معال طال ما هاج برقها ... جفونا أحال الوجد من دمعها دما

بكر فكر ترفل من التيه في برد قشيب. دوحة فضل تميس في روض خصيب. سماء أنجم الفصاحة في أرجائها لوائح. حديقة بلابل البلاغة في منابر أفنانها صوادح. فيا لله ما أحسنه من كلام. وواعجبا ما أبدعه من نظام. ولعمري لقد غاص فجاء بالدر منضودا. وما أخاله إلا ارتقى فأتى بالنجم صفودا. فلو تليت لصخر لتفجرت أنهاره. أو شدى بها في روض لتبسمت أزهاره. ولو اقتاد بها الجوزاء لانقادت. أو استمال

بها جلامد القلوب للانت. أقداح ألفاظها تطوف من المعاني برحيق. فمن قرع سمعه شيء منها فسكر أني يفيق. وشاها ساحر بيان ليس له مماثل. بل هو سحبان وائل لو قال بالتناسخ عاقل. فأماطت فضلة النقاب. ولاحت دون ما حجاب. حركت سواكن شوق اشتعل ضرامه. واستعرت لهيب قلب اشتد أوامه. فاه لولا ما ابتهجت به الأبصار من حسن روائها. وآض به روض السرور من سلسال مائها. كيف وقد بشرت بصحتكم التي هي نهاية الآمال. وأشعرت بقيام خيام عزتكم الذي هو أوراد الاخوان بالعشي والآصال. فلله الحمد أولا وآخرا. وباطنا وظاهرا. وقد أشرتم إلى ما أشرتم إليه. مما يأبى القلب اللسان رحمة أن ينطق به أو يعرج عليه. فإنا لله وإنا إليه راجعون ولسنا أول من رماه الدهر نبيل مصائبه. وضرسه بنابه وافترسه بمخالبه. ولنا الآن إلى مزيد الثواب مزيد استشراف. وبالدهر في أن لا يعاندنا مزيد تلطف واستعطاف. والسلام. ومنه ما كتبه إلى الشيخ عبد الرحمن المرشدي." (١)

"فاستقبلنا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها، وهو يقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب".

الغنائم "فاستقبلنا" بضم التاء وكسر الموحدة، وفي الجهاد فاستقبلونا "بالسهام" وفي مسلم فرموهم برشق من نبل كأنها رجل جراد، وعنده أيضا عن أنس جاء المشركون بأحسن صفوف رأيت صف الخيل، ثم المقاتلة، ثم النساء من وراء ذلك، ثم الغنم، ثم الإبل، ونحن بشر كثير وعلى خيلنا خالد بن الوليد، فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا، فلم نلبث أن انكشفت خيلنا وفرت الأعراب، ومن تعلم من الناس، "ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء" التي أهداها له فروة بن نفاثة، كما في مسلم وعند ابن سعد وغيره، على بغلته دلدل وفيه نظر؛ لأن دلدل أهداها له المقوقس، وجمع القطب الحلبي باحتمال أنه ركب كلا منهما يومئذ كما مر، "وأن أبا سفيان بن الحارث" بن عبد المطلب "أخذ بزمامها" أولا، فلما ركضها صلى الله عليه وسلم إلى جهة المشركين، خشي العباس، فأخذه، وأخذ أبو سفيان بالركاب، كما مر جمعا بينه وبين ما في مسلم، أن العباس كان آخذا بزمامها، وللبخاري في الجهاد فنزل، أي عن البغلة، فاستنصر.

وفي مسلم فقال: "اللهم أنزل نصرك". وهو يقول: "أنا النبي لا كذب" قال ابن التين: كان بعض العلماء يفتح الباء ليخرجه عن الوزن، قال الدماميني: وهذا تغيير للرواية بمجرد خيال يقوم في النفس ولا حاجة

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٢٤١

للعدول عن الرواية؛ لأن هذا لا يسمى شعرا، أي: لما سيذكره المصنف، "أنا ابن عبد المطلب".

قال الحافظ: اتفقت الطرق التي أخرجها البخاري لهذا الحديث على سياقه إلى هنا، إلا رواية زهير بن معاوية فزاد في آخرها: ثم صف أصحابه، وفي مسلم قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وإن الشجاع منا الذي يحاذيه يعني النبي صلى الله عليه وسلم، قال: وفي الحديث من الفوائد **حسن الأدب** في الخطاب، والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب، وذم الإعجاب، وفيه الانتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية، والنهي عنه محمول على ما هو خارج الحرب، ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها، وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله تعالى، ولا يقال كان صلى الله عليه وسلم متيقنا بالنصر بوعد الله تعالى له به، وهو حق لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه آخذا بلجام بغلته، وليس هو في اليقين، وقد استشهد في تلك الحالة ابن أم أيمن، كما مر وفي ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات؛ لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي، وإذا كان رئيس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار وأخذ أسباب ذلك، كان ذلك أدعى لاتباعه على الثبات، وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة في الشجاعة، وعدم المبالاة بالعدو. انتهى.." (١)

"ونزل فيهم: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ [الآية، [الحجرات: ٤] ورد عليهم صلى الله عليه وسلم الأسرى والسبي.

قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا، واصطفى خير خلقه رسولا أكرمه نشبا وأصدقه حديثا، وأفضله حسبا، وأنزل عليه كتابا، وائتمنه على خلقه، فكان خيرة الله في العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس أحسابا، وأحسن الناس وجوها، وخير الناس فعالا، ثم كنا أول الخلق إجابة واستجابة لله حين دعا رسول الله، فنحن أنصار الله وزراء رسول الله، نقاتل الناس حتي يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبدا، وكان قتله علينا يسير.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم، فقام الزبرقان، فقال قصيدة، وكان حسان غائبا، فبعث إليه صلى الله عليه وسلم فلما فرغ قال: "يا حسان قم فأجب الرجل"، فقام فأجابه والقصيدتان في ابن إسحاق، وسيكون لنا إن شاء الله تعالى عودة لذكرهما، حيث ذكر المصنف بعض

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٥١٧/٣

القصيدة في ترجمة حسان.

قال ابن إسحاق: فلما فرغ حسان، قال الأقرع بن حابس: وأبي إن هذا الرجل المؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا، فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم، فأحسن جوائزهم، قال: "ونزل فيهم": من القرآن: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ من خارجها، خلفها أو قدامها؛ لأن وراء في الأصل مصدر جعل ظرفا فيضاف للفاعل، ويراد به ما يتوارى به وهو خلفه، وللمفعول ويراد به ما يواريه وهو قدامه، ولذا عد من الأضداد، والمراد حجرات نسائه ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة، حجرة، فنادوه، أو تفرقوا عليها متطلبين له؛ لأنهم لم يعلموه بأيها مناداة الأعراب بغلظة وجفاء: ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم، إذ العقل يقتضي **حسن الأدب**، وفيه تسلية الرسول وتلميح بالصفح عنهم، "ورد عليهم صلى الله عليه وسلم الأسرى والسبي"، بفداء النصف، والمن على النصف، كما روي عن ابن عباس أو من على الكل تفضلا بعد إسلامهم ترغيبا لهم فيه، وإن وافقهم قبل على فداء النصف، وهذا هو الظاهر من مزيد كرمه صلى الله عليه وسلم، وإن جزم ابن إسحاق بأنه أعتق بعضا، وفادى بعضا.

وقد روى ابن شاهين وغيره من طريق المدائني، عن رجاله قالوا: لما أصاب عيينة بن حصن بني العنبر من بني تميم، قدم وفدهم، فذكر القصة وفيها فكلم الأقرع بن حابس رسول الله صلى الله عليه وسلم في السبي، وكان بالمدينة قبل قدوم السبي، فنازعه عيينة بن حصن، وفي ذلك." (١)

"بيوتكم. الحديث.

وقوله: عافسنا: بالعين المهملة وبعد الألف فاء فسين مهملة ساكنة -أي: عالجنا أهلنا ولاعبناهم.

ومن تواضعه -صلى الله عليه وسلم- أنه ما عاب ذواقا قط، ولا عاب طعاما قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه رواه الشيخان.

بيوتكم" لفظ أحمد، والترمذي: "لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم في بيوتكم" ، قال بعض العلماء: معناه، لو أنكم في معاشكم، وأحوالكم، كحالتكم عندي، لأظلتكم الملائكة، لأن حال كونكم عندي حال مواجيد، والذي يجدونه معه خلاف المعهود، إذا رأوا الأموال والأولاد، ومعه يرون سلطان الحق، ويشاهدونه، وترق أنفسهم لزوال سلطان الشهوة، ولم تصافحهم عنده؛ لأنها لم تكن حالتهم، بل حالة الحق، ولو كان

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٤/٤

ما يجدونه عنده حالهم، لكانت حالة ثابتة لهم هبة من الله، والله لا يرجع في هبة، ولا يسلب كرامته إلا بالتقصير في واجباته، "الحديث" بقيته، "ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون، كي يغفر لهم"، وأخرجه أبو يعلى والبزار، برجال ثقات من حديث أنس بلفظ: "لو أنكم إذا خرجتم من عندي، تكونون على الحال الذي تكونون عليها، لصافحتكم الملائكة بطرق المدينة"، وأخرج مسلم، والترمذي، وابن ماجه، والإمام أحمد، عن حنظلة الأسيدي، أنه سأل نحو سؤال أبي هريرة، فقال –صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، لو كنتم تكونون في بيوتكم، على الحالة التي تكونون عليها عندي، لصافحتكم الملائكة، ولأظلتكم بأجنحتها، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة" ، وقوله: "عافسنا، بالعين المهملة، وبعد الألف فاء، فسين مهملة ساكنة، أي: يعالجنا أهلنا ولاعبناهم" نحوه قول النهاية المعافسة، المعالجة، الممارسة، والملاعبة، "ومن تواضعه –صلى الله عليه وسلم– أنه ما عاب ذواقا" أي مذوقا "قط"، من إطلاق المصدر على اسم المفعول، قال في الدرر: الذواق المأكول والمشروب، فعال بمعنى مفعول من الذوق، "ولا عاب طعاما قط" سواء كان من صنع الآدمي أم لا، فلا يقول مالح نيء، ونحو ذلك، "إن اشتهاه أكله، وإلا تركه" واعتذر بأنه لم يكن بأرض قومه، كالضب، وهذا، كما قال ابن بطال من **حسن الأدب**، لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره، وكل مأذون فيه من جهة الشرع لا عيب فيه. انتهى.

ثم هو بمعنى ما قبله، ففي المصباح: الطعام يقع على كل ما يساغ حتى الماء، وذوق الشيء، "رواه الشيخان" البخاري في الصفة النبوية، والأطعمة، ومسلم في الأطعمة من حديث أبي هريرة، قال: ما عاب النبي –صلى الله عليه وسلم– طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه، وفي رواية وإلا." (١)

"تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ إذ العقل يقتضي **حسن الأدب** ومراعاة الحشمة، ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم﴾ ، أي: لكان الصبر خيرا لهم، أي: لكان الصبر خيرا من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب.

ومنها أنه يحرم الجهر له بالقول، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ وقال ابن عباس لما نزل قوله تعالى: ﴿لا ترفعوا أصواتكم﴾ .

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٧٨/٦

تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ ، بأن أتوها حجرة حجرة، فنادوه أو تفرقوا عليها متطلبين له، لأنهم لم يعلموه بأيها ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ الآية، محلك الرفيع، وما يناسبه من التعظيم، "إذ العقل يقتضي حسن الأدب ومراعاة الحشمة" عطف سبب على مسبب، " ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم﴾ ، أي: لكان الصبر خيرا من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب، وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب" وهذا نزل في وفد بني تميم، وسبقت قصتهم في المقصد الأول، وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم، وتلميح بالصفح عنهم، خصوصا بقوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ [الحجرات: ٥] الآية.

"ومنها: أنه يحرم الجهر له بالقول، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ إذا نطقتم "فوق صوت النبي" إذا نطق، "ولا تجهروا له بالقول" إذا ناجيتموه ﴿كجهر بعضكم لبعض﴾ ، بل دون ذلك إجلالا له، ﴿أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ الآية" أي: خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين. روى البخاري عن ابن أبي مليكة، قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر لما قدم وفد بني تميم، قال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] الآية، إلى قوله: ﴿عظيم﴾ [الحجرات: ٣] الآية.

قال ابن أبي مليكة، عن ابن الزبير: فكان عمر بعد إذا حدث النبي صلى الله عليه وسلم، حدثه كأخي السرار، لم يسمعه حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني أبا بكر.

"وقال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿لا ترفعوا أصواتكم﴾ الآية، "كان أبو بكر." (١)

"فقال: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم﴾ الآية، وذم قوما، فقال: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ الآية. وإن حرمته ميتا كحرمته حيا، فاستكان لها أبو جعفر.

ومن الأدب معه أن لا يجعل دعاؤه كدعاء بعضنا بعضا، قال تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ [النور: ٦٣] وفيه قولان للمفسرين.

أحدهما: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا، بل قولوا: يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتواضع، فعلى هذا: المصدر مضاف إلى المفعول، أي: دعاءكم الرسول.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٢٥/٧

"ومدح قوما" كالعمرين وثابت بن قيس وغيرهم، "فقال: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم﴾ " [الحجرات: ٣] "الآية، وذم قوما" أي: بني تميم "فقال: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم﴾ " أي: حجرات نسائه بأن أتوها حجرة حجرة، فنادوه أو تفرقوا عليها متطلبين له؛ لأنهم لم يعلموه بأيها مناداة الإعراب، بغلظة وجفاء أكثرهم، لا يعقلون محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم، إذ العقل يقتضي **حسن الأدب**، وفيه تسلية وتلميح بالصفح عنهم "الآية، وإن حرمته ميتا كحرمته حيا" إذ هو حي في قبره، فيجب أن يراعى بعد مماته ما كان له في حياته، "فاستكان": خضع وذل "لها"، لهذه المقالة والموعظة.

وفي نسخة له، أي: لمالك أي: لقوله "أبو جعفر" المنصور، لوضوح استدلاله، "ومن الأدب معه أن لا يجعل دعاؤه كدعاء بعضنا بعضا.

"قال تعالى: ﴿لا تجعلو دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ [النور: ٦٣] ، بأن تنادوه باسمه، بل قولوا: يا نبي الله يا رسول الله بلين وتواضع وخفض صوت.

روى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس، قال: كانوا يقولون: يا محمد يا أبا القسم فأنزل الله ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ ، فقالوا: يا نبي الله يا رسول الله، "وفيه قولان للمفسرين".

"أحدهما: لا تدعوه" وفي نسخة تدعونه على أنه خبر بمعنى النهي "باسمه، كما يدعو" ينادي "بعضكم بعض ا، بل قولوا: يا نبي الله يا رسول الله".

وهذا ما دل عليه سبب النزول المذكور "مع التوقير" الإجلال "والتواضع" وخفض الصوت لآية الحجرات، "فعلى هذا" القول "المصدر مضاف إلى المفعول، أي: دعاءكم الرسول" أي: نداءكم له، "والثاني: أن المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم." (١)

"يزني عبده أو تزني أمته، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، ألا هل بلغت".

أي لو تعلمون من عظم انتقام الله من أهل الجرائم وشدة عقابه وأهوال القيامة، وما بعدها. كما علمت وترون النار كما رأيت في مقامي هذا وفي غيره لبكيتم كثيرا، ولقل ضحككم لتفكركم فيما علمتموه.

وفي حديث عائشة عند البخاري: فخرج إلى المسجد، فصف الناس وراءه، فكبرنا فاقترأ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قراءة طويلة، ثم كبر فركع ركوعا طويلا، ثم قال: "سمع الله لمن حمده"، فقام ولم يسجد، وقرأ قراءة طويلة، وهي أدنى من القراءة

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٥٢٦/٨

في إثارة النفوس وغلبة الغضب ناسب ذلك تخويفهم في هذا المقام من مؤاخذة رب العزة؛ "أن يزني عبده أو تزني أمته" متعلق بأغير، وحذف من قبل أن قياس مستمر، وتخصيصهما بالذكر رعاية **لحسن الأدب** مع الله لتنزهه عن الزوجة والأهل ممن تتعلق بهم الغيرة غالبا "والله" لفظ الموطأ والصحيحين: يا أمة محمد والله بتكرير النداء تنبيها على ما بينه من الفزع إلى الله "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، ألا" بالفتح والتخفيف "هل بلغت" ما أمرت به من الإحذار والإنذار وغير ذلك مما أرسلت به، وهذا أعني: ألا هل بلغت من رواية مسلم من طريق عبد الله بن نمير عن هشام عن عروة عن عائشة، وليست في رواية البخاري من طريق مالك عن هشام "أي: لو تعلمون من عظم انتقام الله من أهل الجرائم وشدة عقابه وأهوال القيامة وما بعدها" أي: الأهوال "كما علمت، وترون النار كما رأيت في مقامي هذا وفي غيره لبكيتم كثيرا ولقل ضحككم لتفكركم فيما علمتموه" قيل: معنى القلة هنا العدم والتقدير لتركتم الضحك، أو لم يقع منكم إلا نادرا لغلبة الخوف واستيلاء الحزن، وقيل: معناه لو دام علمكم كما دام علمي؛ لأن علمه متواصل بخلاف غيره، وقيل: معناه لو علمتم من سعة رحمة الله وحلمه وغير ذلك ما علم لبكيتم على ما فاتكم من ذلك.

"وفي حديث عائشة عند البخاري" ومسلم وغيرهما قالت: خسفت الشمس في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– "فخرج إلى المسجد" لا الصحراء لخوف الفوات بالانجلاء والمبادرة إلى الصلاة مشروعة "فصف الناس" بالرفع، أي: اصطفوا، ويجوز النصب والفاعل محذوف وهو النبي –صلى الله عليه وسلم، قاله الحافظ: فأفاد أن الرواية بالرفع "وراءه" خلفه "فكبرنا" تكبيرة الإحرام "فاقترأ" أي: قرأ "رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قراءة طويلة" نحوا من سورة البقرة "ثم كبر فركع ركوعا طويلا" مسبحا فيه قدر مائة آية من البقرة "ثم قال: "سمع الله لمن حمده" أي: أجاب دعاءه "فقام" من الركوع "ولم يسجد، وقرأ قراءة طويلة وهي أدنى" أي: أقل "من القراءة الأولى" وهي نحو من سورة." (١)

"فقال: يا أبا عبد الله، أأستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله –صلى الله عليه وسلم؟ فقال مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك، ووسيلة أبيك آدم –عليه السلام– إلى الله يوم القيامة. وقال مالك في "المبسوط": لا أرى أن يقف عند القبر يدعو، ولكن يسلم ويمضي. قال ابن فرحون: ولعل ذلك ليس اختلاف قول، وإنما أمر المنصور بذلك؛ لأنه يعلم ما يدعو به، ويعلم آداب الدعاء بين يديه –صلى

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ١٠١/١١

الله عليه وسلم، فأمن عليه **من سوء الأدب،** فأفتاه بذلك، وأفتى العامة أن يسلموا وينصرفوا لئلا يدعوا تلقاء وجهه الكريم ويتوسلوا به

أراد أبسبع، وهو من خصائص الهمزة، "وأدعو أم أستقبل رسول الله –صلى الله عليه وسلم" أي: أجعل وجهي مقابلا لجهته، وحينئذ أستدبر القبلة، فلذا أشكل عليه؛ لأن استقبالها في الدعاء مشروع، فإذا عارضه هذا فأيهما يقدم، "فقال مالك: ولم تصرف وجهك عنه" أي: عن مقابلته ومواجهته حال الدعاء، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك أدم –عليه السلام" الوسيلة: السبب المتوصل به إلى إجابة الدعاء، وكنى بآدم عن جميع الناس، أي: هو الشفيع المشفع المتوسل به، "إلى الله يوم القيامة" إشارة إلى حديث الشفاعة العظمى، وإلى ما ورد أن الداعي إذا قال: اللهم إني أستشفع إليك بنبيك، يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك، استجيب له، وبقيته كما في الشفاء: بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله، قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾ [النساء: ٦٤] وإنما أعاد هذا المصنف وإن قدمه آنفا لوقوعه في كلام ابن فرحون نقلا عن الشفاء، لكن سؤال المنصور أورده في الشفاء بإسناده في الباب الثالث، ثم بعده يطول في حكم زيارة قبره.

أورد رواية ابن وهب والمبسوط دون الحكاية، فجمع بينهما ابن فرحون، ونسبة للشفاء وهو صادق؛ لأنه كله فيه في موضعين، وإنما نبعت على هذا لئلا يقف ناقص العلم على أحد الموضعين فينكر الآخر.

وقال مالك في المبسوط" اسم كتاب لإسماعيل القاضي: "لا أرى" لا أستحب، وأعده رأيا "أن يقف عند القبر يدعو" أي: حال كونه داعيا؛ "لكن يسلم" عليه "ويمضي" ينصرف من غير وقوف.

"قال ابن فرحون: ولعل ذلك ليس اختلاف قول" هكذا في النسخ الصحيحة، ليس، وهو الذي يتأتى ترجيه؛ إذ كونه اختلافا صريحا ظاهرا لا يترجى، ولهذا ولما بعده أشكل سقوط ليس في بعض النسخ، وتعسف توجيهها لمنابذتها لقوله: "وإنما أمر المنصور بذلك؛ لأنه يعلم ما يدعو به، ويعلم آداب الدعاء بين يديه –صلى الله عليه وسلم، فأمن عليه **من سوء الأدب**، فأفتاه بذلك"؛ لأنه كان عالما" وأفتى العامة أن يسلموا وينصرفوا" بدون دعاء "لئلا يدعو تلقاء" بكسر فسكون،." (١)

"تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢١٣/١٢

وقال آخر:

لكل شيء حسن زينة ... وزينة العاقل **حسن الأدب**

قد يشرف المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيع النسب

وكان يقال: **حسن الأدب** خلف من الحسب.

وسمع معاوية رجلا يقول: أنا الغريب، فقال له: الغريب من لا أدب له.

وقال بعض الشعراء:

قد كانت الآداب في دهر ... تعلم الناس فعال الكرام

فصارت الآداب في عصرنا ... تفيد ما يأنف منه اللئام

وقيل لبعض الحكماء: أخبرنا عن دعائم الحكمة، فقال: هي أربع: العقل والعلم والمعرفة والأدب.

وقيل: حلي الرجال الأدب، وحلي النساء الذهب.

وقالت الحكماء: الأدب أشرف النسب.

وقالوا: قد يستغنى بالأدب عن الحسب.

وقال سيبويه: تكلم رجل من أهل الأدب بين يدي المأمون، فقال له: ابن من تكون؟ فقال: ابن أدب، أعز الله الأمير، فقال له: نعم النسب الذي انتسبت له.

وسمع بعض الأعراب رجلا يتكلم في فن الآداب، فازدراه لما اراد الكلام معه لخساسة حاله، فقال: مالكم يا عبدة الثياب ويا شياة الذئاب حقرتموني لأطماري ولم تسألوني عن مكنون أخباري؟! وقدم عبد الملك بن صالح بن علي بن عبيد الله بن عباس من الرقة بعد خروجه من الحبس، وقد ولاه الأمين الشام والجزيرة والعواصم، فلقيه ولد أبيه، فلم يرهم أدباء، فقال: سوأة لكم يا شر خلف من خير سلف، أبتز العز من أمية آبائكم قسرا، وحضوه وحاطوه ثم مضوا إلى رحمة الله وخلفوا لكم فرشا ممهدة، فأهملتم وضيعتم إقبالا على الأشربة الخبيثة الملاهي الفاحشة. لله در أخي كلاب حيث يقول:

إذا الحسب الرفيع تواكلته ... ولاة السوء أوشك أن يضيعا

ورثنا المجد عن آباء صدق ... أسأنا في ديارهم الصنيعا

وقال عبد الملك: لقد استهتر أحداثنا باللذات، وشغلوا بالشهوات، وبطروا النعم، وأضاعوا الكرم، فصاروا كما قال عبد الرحمان بن حسان بن ثابت:

إني رأيت من المكارم حسبكم ... أن تلبسوا حر الثياب وتشبعوا

فإذا تذوكرت المكارم مرة ... في مجلس أنتم به فتقنعوا
تمت مقدمة الكتاب بعونه تعالى، فلنشرع بذكر الأبواب، وهي مرتبة على حروف الهجاء، متضمنة ذكر ما أنشأته أنا وعمنا المهدي فيه وفي أبيه وإخوته والأماجد من قبيلته، وأذكر في الأثناء ما اشتملت عليه تلك القصائد من الأنواع البديعية، والمطالب الأدبية، والبعض من تراجم من يجيء له ذكر في أثناء ذلك الشعر، وليعلم أن هذه الأبواب المشيدة البناء ليستدعي فتح أقفالها المحكمة ذكر نبذة من ترجمة ابيه وإخوته ليعلم بذلك أن هذا العرق في أي طينة وشج، وبأي أعراق لفه الشرف فانتسج: كان أبوه محمد الملقب ب "الصالح" ديمة منن ومنايح يباري النجوم، ويجاري الغيوم، فيباهي تلك مناقب، ويضاهي هذه مواهب، بل أين غيوث السماء من سما يده البيضاء، وهي في استهلال عواديها كما قلت فيه وفيها:
صدقت بروقك والبوارق خلب ... وأضاء بشرك والزمان مقطب
لا قسمت كفك بالسحاب مساويا ... بالجود بينهما مخافة أكذب
فالسحب يحلبها النسيم وكفك ال ... بيضاء طبعا جودها يتحلب
وكان مع خطره وعظمه في النفوس، حلو البشاشة، طيب المفاكة، سهل الخليقة، حسن السمت، يديم اصطناع المعروف، ويتابع للعفاة بره الموصوف، ولقد بنى في الزوراء دار كرم بيد مجده، لإضافة وفده، فخمد ركب الآمال فيها مناخه، وربى طائر الرجاء فيها أفراخه، ولم يكفه ذلك حتى بنى على كواهل الطرق حصونا منيعة، وبيوتا رفيعة، يريح إليها السفر، ويأمن فيها غائلة القفر، وما برح شاغلا أوقاته بأداء نفل أو قضاء فرض، وما انفك عن عمل الصالحات وتربية العلم وطلابه أجمع، وتشييد بيوت أذن الله أن ترفع، حتى سافر إلى نعيم الآخرة، ولم تدنس الدنيا بعلائقها أثوابه الطاهرة، كانت ولادته ١٢٠١، وقد أرخت ذلك العام، وإن لم أدركه، بقولي:
أتى اليوم خاتم أهل النهى ... على أنه للندى فاتح
أغر غدا السعد لما استهل ... وهو لغرته ماسح." (١)

"وكتب في الفتاوى كتائب عزيزة من أهمها كتابه "معين المفتي" وكتب "حاشية جليلة على القطر" لابن هشام سلك فيها مسلك المحققين من علماء المعقول قد طبعت في المطبعة التونسية وقرأناها وأقرأناها فإذا هي عنوان علم واسع ومدرك شاسع، ومنها يستفاد أن له كتابة على شواهد المغني غير أنا لم نقف عليها، أما "حاشيته على لامية الزقاق" فهي كنز التحارير الرقاق، وناهيك به من إمام شريف، تحلى بالعلم

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/٥٨

والتأليف، وزين ذلك **بحسن الأدب** اللطيف، له غيرة وحمية، وكرم نفس وإنسانية، وهيبة ربانية، رفعت مقامه على سائر أهل الروية. وله من علو المقدار وحسن الآثار، ما خلد ذكر، بكثير من الأخبار، الدالة على خلوص علمه وعمله بغير إنكار، ولم تزل الرجال تأخذ عنه طبقة بعد طبقة إلى أن أتاه أجله فتوفي ليلة السبت الثامن والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف ودفن بتربة آبائه في أعلى الزلاج عليه رحمة الله. وقد رثاه الشيخ "أحمد الكيلاني" بقوله: [الطويل]

أيا عين فيضي واهطلي بسجام ... أمام ضريح ضم خير إمام

ويا قلب كيف الصبر قد حال بيننا ... وبين غمام الديق غيم حمام

فأعظم به رزءا لقد حل بالثرى ... وأمسى به في حيرة وهيام

وأظلم أفق الجو واعبر لونه ... متى هتف الناعي بنعي همام

إمام جليل القدر من آل هاشم ... سليل فحول من بطون كرام

هو الحسن الندب الشريف الذي رقت ... به زمرة الأشراف أعلى مقام

فقد كان في دنياه أعذب مورد ... وقد صار مرجوا ليوم قيام

وقد كان للدين الحنيفي صارما ... وللعان والملهوف صوب غمام

وما كنت أدري قبل أن ضمه الثرى ... بأن الثرى يخفي بدورتمام

فراح ولم تعرف له قط هفوة ... وسار إلى فردوسه بسلام

فمن لدروس العلم أو لمنابر ... ومن للقضايا عند نشر خصام

ومن لعويص القول من بعد سيد ... يحل من التعقيد كل كلام

تآليفه قد طار في الأرض صيتها ... بتحرير أبحاث وحسن نظام

سيندبه البيت العتيق ومن به ... ويبكيه طول الدهر كل إمام

ولا غرو أن شخ السماء بنوئه ... وصار الثرى من فقده كرجام

وماذا عجيب للذي كان علمه ... سراجا منيرا في سواد ظلام

فلا زلت يا فخر الزمان مخلدا ... لأرفع مجد في أعز مقام

ولازلت يا طود العلوم مرقرقا ... على تربك المسكي فيض ركام

عليك سلام الله ما هبت الصبا ... وما لاح برق من خلال غمام

مدى الدهر ما قد قال فيك مؤرخ: ... فلله من رمس لأسمى همام

[..١٢٣٤..] ٣٩ الشيخ محمد الشريف هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكبير أخو الإمام المتقدم الذكر، وناهيك به من جوهرة برزت من أصداف النبوة، وتقدم إلى التكريم والتبجيل في زمن الفتوة، ولد سنة خمس وستين ومائة وألف وتربى في عز بيته وتعاليم أبيه وجده، وأخذ عن والده والشيخ "صالح الكواش" والشيخ "محمد الغرياني" وعن خاله الشيخ "محمد الشحمي" والشيخ "محمد بن قاسم المحجوب" وغيرهم من أعلام جامع الزيتونة إلى أن بلغ في العلوم أشده، وظهرت عليه البراعة التي أضافت إلى شرفه ومفاخره مكارم مستجدة، وجلس للتدريس، وقلد الأجياد من در علومه النفيس. وتقدم لشهادة الديوان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة عشرين ومائتين وألف عوضا عن الشيخ "حسونة بوكراع"، ثم قدمه والده عوضه للتدريس بجامع محمد باي المرادي، ونقابة الأشراف، وإمامة مسجد دار الباشا فزان جميعها بعلمه وفضله. غير أنه عند وفاة والده تنقلت نقابة الأشراف من بيتهم واستمر هو في خدمة العلم لولا أنه شغلته خطة الإشهاد على أوقاف الديوان، وكانت من الخطط النبيهة في ذلك الأوان، بما يقتضيه التحري والوقوف على جزئيات مداخيل الوقف ومصاريفه كما هو شأن عدول الرضا أمثاله، ولذلك لم يبلغ في بث العلوم إلى غاية آماله. ومع ذلك كان يقرىء بجامع الزيتونة قرب باب الشفاء وأقرأ شرح التاودي على العاصمية وغيره.." (١)

"مع الهيبة والجلال، دائم الاصطلام على ممر الأيام، لا يتقيد بلباس ولا بمعرفة قدر أحد من الناس، قد أسكره شراب المحبة، وقصره على الشخوص إلى الأحبة. وكان كثير القعود في الطريق أمام المحل الذي دفن فيه، ويطلب من المارين الدراهم فمن لم يعطه شتمه بملء فيه، ولكن من الغريب وأعجب العجيب، أن من مر عليه ولم يكن معه شيء من الدراهم لم يتعرض له بل يمر عليه وهو له باسم.

ولد بدمشق الشام ونشأ بها وهو على حالة الجذب والاصطلام، ولم يزل يقوى عليه الحال ويترقى في مدارج الجلال، ويزداد تصديق الناس لحاله ويحكمون بنواله لمرغوبه حسب آماله، إلى أن مات رضي الله عنه يوم عيد عرفة سنة سبع عشرة ومائتين وألف، وحضر جنازته الجم الغفير والعدد الكثير، ودفن في حجرته في جامع السكة جانب حمام العفيف، ويعرف الجامع الذي دفن فيه بجامع العفيف، وعليه شعرية حائلة بين القبر ومصلى الناس، وهو مقصود بالزيارة يزوره الناس ويتبركون به، ومن جملة ما رقم عند قبره الشريف رفع الله قدره المنيف:

أعط المعية حقها ... والزم له **حسن الأدب**

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/٥٢

واعلم بأنك عبده ... في كل حال وهو رب

الشيخ محمد بن سعيد سنبل الدمشقي

العالم العامل والفاضل الكامل. ولد بدمشق وبها نشأ وأخذ عن والده المذكور، وعن الشيخ سعيد سفر وعن العلامة أحمد الجوهري وأخيه محمد الطاهر ووالدهما وعن العلامة محمد عارف بن حجار وعن العجيمي والدمنهوري، واشتهر بالعلم والصلاح والفضل. توفي عام ثمانية عشر ومائتين وألف رحمه الله تعالى.." (١)

"فما زلت أجد وأكدح حتى بلغت المنزلة التي تراها، وبيني وبين علي ما تعلم من الشأو البعيد والمدى المستحيل، فهل يسرك وقد طلبت منزلتي أن يكون ما بينك وبيني من المدى مثل ما بيني وبين علي.

كثيرا ما يخطئ الناس في التفريق بين التواضع وصغر النفس، وبين الكبر وعلو الهمة، فيحسبون المتذلل المتملق الدنيء متواضعا، ويسمون الرجل إذا ترفع بنفسه عن الدنايا وعرف حقيقة منزلته من المجتمع الإنساني متكبرا، وما التواضع إلا الأدب، ولا الكبر **إلا سوء الأدب**، فالرجل الذي يلقاك متبسما متهللا، ويقبل عليك بوجهه ويصغي إليك إذا حدثته، ويزورك مهنئا ومعزيا، ليس صغير النفس كما يظنون، بل هو عظيمها؛ لأنه وجد التواضع أليق بعظمة نفسه فتواضع، والأدب أرفع لشأنه فتأدب.

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة ... ولكن كبرا أن يقال به كبر

فإن بلغ الذل بالرجل ذي الفضل أن ينكس رأسه للكبراء ويترامى على أيديهم وأقدامهم لثما وتقبيلا، ويتبذل بمخالطة السوقة والغوغاء بلا ضرورة ولا سبب، ويكثر من شتم نفسه." (٢)

"كم مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أموات

لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

لعمرك ما الأيام إلا معارة ... فما اسطعت من معروفها فتزود

لكل داء دواء يستطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها

لكل شيء حسن زينة ... وزينة العقل **حسن الأدب**

للموت فينا سهام وهي صائبة ... من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

ليس السعيد الذي دنياه تسعده ... إن السعيد الذي ينجو من النار

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٣٢٥

(٢) النظرات المنفلوطي ٢٨٤/١

ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله ... وأقبح الكذب عند الله والناس

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وبنفسي ارتفعت لا بجدودي

ما حك جلدك مثل ظفرك ... فتول أم أنت جميع أمرك

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

متى يبلغ البنيان يوما تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

من يصنع الخير مع من ليس يعرفه ... كواقد الشمع في بيت لعميان

من يحمد الناس يحمدوه ... والناس من ع١بهم يعاب

من كان فوق محل الشمس رتبته ... فليس يرفعه شيء ولا يضع

نحن بنو الموتى فما بالنا ... نعاف ما لا بد من شربه

ندمت ندامة الكسعي لما ... رأت عيناه ما صنعت يداه

هب الدنيا تقاد إليك عفوا ... أليس مصير ذاك إلى الزوال

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل." (١)

"سيف قاطع. العجب عنوان الحماقة. البشاشة حبل المودة. الارتقاء إلى الفضائل صعب. الانحطاط إلى الرذائل سهل. السكوت عن الأحمق جوابه. إمام عادل خير من مطر وابل. المحسن حي وإن نقل إلى منازل الأموات. العاقل إذا سكت فكر وإذا انطق ذكر وإذا نظر اعتبر. الداعي بلا عمل كالقوس بلا وتر. إعجاب الرجل بنفسه عنوان ضعف عقله. أحسن الجود عفو بعد مقدرة. (ب) . بركوب الأهوال تكسب الأموال. بالسخاء يستر العيوب. (ت) . تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه. (ث) . ثوب التقى أشرق الملابس. ثوب الآخرة ينسي مشقة الدنيا. ثروة العاقل في علمه وثروة الجاهل في ماله. ثلاث يوجبن المحبة الدين والتواضع والسخاء. (ج) . جهاد النفس أفضل الجهاد. (ح) . **حسن الأدب** يستر قبح النسب. حلاوة الظفر تمحو مرارة الصبر. حد اللسان يقطع الأوصال. (خ) . خير الثناء ما جرى على ألسنة الأخبار. (د) . دوام الفتن من أعظم المحن. (ر) . رب سكوت أبلغ من كلام. (ز) . زلت العالم كانكسار السفينة تغرق وتغرق معها غيرها. زخارف الدنيا تفسد العقول الضعيفة. (س) . سلاح اللئام قبح الكلام.

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٩/١

سمع الأذن لا ينفع مع غفلة القلب. (ش) . شر الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئا. شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الشباب والعافية. (ص) . ضمتك حتى تستنطق أجمل من." (١)

"إياها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه. ولا تمعن في مساحته فيستحلي الفراغ ويألفه. وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة. فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة. (للشريشي)

رقة الأدب في الظاهر

٢١٠ قال أبو حفص: **حسن الأدب** في الظاهر عنوان **حسن الأدب** في الباطن. قيل لأبي وائل: أيكما أكبر أنت أم الربيع ابن خثيم. قال: أنا أكبر منه سنا. وهو أكبر مني عقلا.

قال رجاء بن حياة لعبد العزيز: ما رأيت أكرم أدبا ولا أكرم عشيرة من أبيك. سمرت عنده ليلة فبينا نحن كذلك إذ عشي المصباح ونام الغلام. فقلت: يا أمير المؤمنين قد عشي المصباح ونام الغلام فلو أذنت لي أصلحته. فقال: إنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه. ثم حط رداءه عن منكبيه. وقام إلى الدبة. فصب من الزيت في المصباح وأشخص الفتيلة. ثم رجع فلم يقم أحد.

قال بعضهم في معاشرة الأدباء:

فكم من جاهل أمسى أديبا ... بصحبة عاقل. وغدا إماما

كما البحر من ثم تحلو ... مذاقته إذا صحب الغماما

الأدب في الحديث والاستماع

٢١١ قالت الحكماء: رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم.." (٢)

"والإصغاء للمتكلم. قال بعض الحكماء لابنه: يا بني تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث. وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول. فاحذر أن تسرع في القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل. قالوا: من **حسن الأدب** أن لا تغالب أحدا على كلامه. وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه. وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه. ولا تقتحم عليه فيه. ولا تره أنك تعلمه.

يقال إن هشاما كتب إلى ملك الروم: من هشام أمير المؤمنين إلى الملك الطاغية. فكتب إليه: ما ظننت أن

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٧٠/٢

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٣٧/٢

الملوك تسب. وما الذي يؤمنك أن أجيبك: من ملك الروم إلى الملك المذموم.

الأدب في المجالسة

٢١٢ قال إبراهيم النخعي: إذا دخل أحدكم بيتا فليجلس حيث أجلسه أهله. قال سعيد بن العاص: ما مددت رجلي قط بين يدي جليسي. ولا قمت حتى يقوم. وقال أيضا: لجليسي على ثلاث. إذا دنا رحبت به. وإذا جلس وسعت له. وإذا حدث أقبلت عليه. قال زياد: إياك وصدور المجالس وإن صدرك صاحبها فإنها مجلس قلعة. ولأن أدعى من بعد إلى قرب أحب إلي من أن أقصى من قرب إلى بعد. قال ابن المعتز: لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس فالموضع الذي تحط إليه خير من الموضع الذي تحط منه. (لابن عبد ربه)." (١)

"يا بني الذي لا ناصح له مثلي ولا منصوح لي مثله. قدمت لك في هذا النظم ما إن أخطرته بخاطرك في كل أوان رجوت لك حسن العافية إن شاء الله تعالى. وإن أخف منه للحفظ وأعلق بالفكر وأحق بالتقدم قول الأول:

يزين الغريب إذا ما اغترب ... ثلاث فمنهن **حسن الأدب**

وثانية حسن أخلاقه ... وثالثة اجتناب الريب

واصغ يا بني إلى البيت الذي هو يتيمة الدهر وسلم الكرم والصبر:

ولو أن أوطان الديار نبت بكم ... لسكنتم الأخلاق والآدابا

إذ حسن الخلق أكرم نزيل. والأدب أرحب منزل. ولتكن كما قال بعضهم في أديب متغرب: وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد وإليه قصد. غير مستريب بدهره. ولا منكر شيئا من أمره. وإذا دعاك قلبك إلى صحبة من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سلما وهب في روض أخلاقه هبوب النسيم. وحل بطرفه حلول الوسن. وانزل بقلبه نزول المسرة حتى يتمكن لك وداده. ويخلص فيك اعتقاده. وطهر من الوقوع فيه لسانك. وأغلق سمعك ولا ترخص في جانبه لحسود لك منه يريد إبعادك عنه لمنفعته. أو حسود له يغار لتجمله بصحبتك. ومع هذا فلا تغتر بطول صحبته ولا تتمهد بدوام رقدته. فقد ينبهه الزمان. ويتغير منه القلب واللسان. وإنما العاقل من جعل عقله معيارا وكان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله.." (٢)

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٣٨/٢

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٦٩/٤

"إشارة الفرس

فقال الفرس: أيها الفقير الصابر. الطالب سبل المآثر. تعلم مني **حسن الأدب**. وصدق الطلب. لبلوغ الأرب. ها أنا أحمل مباهلي. على كاهلي. فأجتهد في السير. وأنطلق به كالطير. أهجم هجوم الليل. وأقتحم اقتحام السيل. فإذا كان طالبا أدرك بي طلبه. وبلغ بي أربه. وإن كان مطلوبا قطعت عن طالبه سببه. وجعلت أسباب الردى عنه محجبة. فلا يدرك مني إلا الغبار. ولا يسمع عني إلا الأخبار. فإن كان الجمل هو الصابر المجرب. فأنا الشاكر المقرب. وإن كان هو المقتصد اللاحق. فأنا المجتهد السابق. فإذا كان يوم اللقا. وأوان الملتقى. أقدمت إقدام الواله. وسبقت ضرب نباله. وذاك متخلف لثقل أحماله. معاق لتفتيش ما في رحاله. ورأيت ثم حقوقا لا يستوفيها إلا كل موف. وطريقا ر يقطعها إلا كل مخف. فلذلك شمرت عن ساق. وتضمرت ليوم السباق. وقلت لمن أسكره الطيش فما أفاق. وغره العيش الذي قد راق: ما عندكم ينفد وما عند الله باق. فيا من هو عن المراد مردود. وفي الطراد مطرود. هلا نظرت إلى الوجود. وفهمت المقصود. وأقمت على نفسك الحدود. وأوثقت جوارحك بالقيود. وذكرت الأجل المحدود. والنفس المعدود. وخشيت اليوم الموعود. ها أنا لما أوثق سائسي قيدي. أمن قائدي كيدي. فكم أكل سائقي من صيدي.." (١)

"- الرئيس وهو يمسح عينيه: الموضوع الموضوع!

- المحامية: ما هو الفعل الوجودي في جريمة قلبي المسكين؟ ما هو الواقع من جريمة يضرب صاحبها المثل بنفسه للشباب في تسامي غريزته عن معناها إلى أطهر وأجمل من معناها؟ لبئس القانون إن كان القانون يعاقب على أمر قد صار إلى عمل ديني من أعمال الفضيلة!

- النائب: ألا يخجل من شعوره بأنه يحب راقصة؟

- المحامية: ومم يخجل؟ أمن جمال شعوره أم من فن شعوره؟ أيخجل من عظمة في سمو في كمال؟ أيخجل البطل من أعمال الحرب وهي نفسها أعمال النصر والمجد؟

أتأذنون يا حضرات المستشارين أن أصف لكم جمال صاحبته وأن أظهر شيئا من سر فنها الذي هو سر البيان في فنه؟

- النائب: إنها تتماجن علينا يا حضرات المستشارين، فالذي يحاكم على السكر لا يدخل المحكمة ومعه الزجاجة..

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٤/١٤٥

– الرئيس: لا حاجة إلى هذا النوع من ترجمة الكلام إلى أعمال يا حضرة الأستاذة.

– المحامية: كثيرا ما تكون الألفاظ مترجمة خطأ بنيات المتكلمين بها أو المصغين إليها؛ فكلمة الحب مثلا قد تنتهي إلى فكر من الأفكار حاملة معنى الفجور، وهي بعينها تبلغ إلى فكر حاملة إلى سموه من سموها؛ وعلى نحو من هذا يختلف معنى كلمة الحجاب عند الشرقيين والأوربيين؛ فالأصل في مدنية هؤلاء إباحة المعاني الخفيفة من العفة.. وإكرام المرأة إكرام مغازلة.. يقولون: إن رقم الواحد غير رقم العشرة، فيضعونه في حياة المرأة، فما أسرع ما يجيء "الصفر" فإذا هو العشرة بعينها!

أما الشرقيون فالأصل في مدنيتهم التزام العفة وإقرار المرأة في حقيقتها، لا جرم كان الحجاب هنا وهناك بالمعنيين المتناقضين: الاستبداد والعدل، والقسوة والرحمة، و ...

– النائب: وامرأة البيت وامرأة الشارع ...

– المحامية: وبصر القانون وعمي القانون ...

– الرئيس: **وحسن الأدب** وسوء الأدب ... الموضوع الموضوع.

– المحامية: لا والذي شرفكم بشرف الحكم، يا حضرات المستشارين؛ ما." (١)

"٩٢٥ – قاضي الجماعة أبو يحيى محمد بن أبي بكر محمد بن عاصم: الأستاذ المحقق العالم الحافظ النظار المتحلي بالجلال والوقار نخبة الأعيان فريد العصر والأوان فصيح القلم واللسان المتفنن العمدة الشهير الوزير الخطير تولى اثنتي عشرة خطة في وقت واحد منها القضاء والكتابة والوزارة والإمامة والخطابة. أخذ عن جماعة منهم والده وعمه وأبو الحسن بن سمعت وابن سراج والمنتوري وأبو عبد الله البياني وأبو جعفر الشريف السبتي له تآليف منها شرح تحفة والده والروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض ذيل للإحاطة في أسفار وجنة الرضا في التسليم لما قدر وقضى كتاب عجيب جدا غريب ألفه يندب بلاد الأندلس ويحرك عزائم الإسلام لنصرة الدين لما استولى العدو على غالب تلك البلاد، وله تآليف في فنون من العلم نقل عنه الونشريسي في مواضع من معياره وقع بينه وبين عصريه المفتي الصالح أبي عبد الله السرقسطي نزاع في مسائل ومراجعات مع التزام كل منهما **حسن الأدب** مع صاحبه شأن سادات العلماء. كان بالحياة سنة ٨٥٧ هـ توفي على ما قيل ذبيحا من جهة السلطان، قلت: وقوله جنة الرضا قد ألف في الغرض المذكور أدباء الأندلس منهم أبو الطيب صالح الشريف الرندي ناظم القصيدة المشهورة التي أولها:

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ١٣٤/٣

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان

وهؤلاء الأعلام الشران وابن عمر وابن عاصم والرندي ترجم لهم في أزهار الرياض وأطال وهم من الطراز الأول في البلاغة.

فرع فاس

٩٢٦ – أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني: الشيخ الإمام العلامة الفقيه المحقق الفهامة رئيس الصلحاء والزهاد والأئمة العباد صاحب الكرامات المشهورة والديانة المأثورة الولي المجاب الدعوة. أخذ عن أعلام كالشيخ موسى العبدوسي والأبلي وأبي عبد الله الشريف التلمساني وسعيد العقباني، وعنه." (١)

"**وحسن الأدب** وتهذيب الأخلاق وصفاء السريرة والمحافظة على السنة ونوافل الخيرات. أقبل عليه العالمون والجاهلون وله في العلوم العقلية والنقلية مجال من غير كبير سعي ولا تفرغ لطلب وله المدارك الدقيقة والمباحث الرقيقة. وبالجملة فهو إمام عصره، له من التآليف شمس التحقيق وعروة أهل التوفيق وأرجوزة في التصوف والتوحيد شرحها أحد تلامذته بشرح حافل وتشطير البردة وغير ذلك. مولده سنة ١٢٥٠هـ وتوفي سنة ١٣١٦هـ[١٨٩٨م].

١٦٤٥ – مصطفى بن يونس الورداني: منشأ نسبة لقرية وردان بالجيزة الإسكندري قرارا الفقيه العالم العلامة الفاضل الفهامة شيخ المالكية في وقته، كان فصيح العبارة في تقريره واضح الحجة خافضا جناحه لكل سائل. أخذ عن الشيخ منصور كساب العدوي والشيخ حسن العدوي الحمزاوي ولازمهما وانتفع بهما والشيخ إبراهيم باشا والشيخ مصطفى عبدي الشهير بالشامي وغيرهم وتصدر للتعليم فأقبل عليه الطلاب من كل حدب وتلقوا عنه علوم الدين ونبغ عليه الكثير وصاروا من علماء هذا العصر منهم الشيخ موسى سعد الله المالكي والشيخ عمر بن خليفة والشيخ يوسف أبو السعود الحنفي والشيخ عبد السلام اللقاني والشيخ محمد سعيد باشا والشيخ أحمد الطويل. مولده بعد سنة ١٢٤٠هـ وتوفي سنة ١٣١٦هـ[١٨٩٨م].

١٦٤٦ – أبو محمد الشيخ حسن الطويل: الإمام العالم المتفنن في العلوم كان صالحا تقيا وورعا زاهدا متبعا أوامر الشرع متجنبا نواهيه عالما بموارد السنة متين الدين. حفظ القرآن وأقام ثلاث سنين بطنطا لتلقي العلوم ثم أرسله والده إلى الأزهر وفي مدة قليلة لاحت عليه معالمه وصار من طلاب العلم الآخذين الشهرة

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية مخلوف، محمد بن محمد ٣٥٨/١

في عصره ثم أحيل عليه تدريس علم الأصول والحديث والتفسير بمدرسة دار العلوم فتخرج عليه كثير من طلبتها وكان ممن تلقى عنهم العلوم الشيخ حسن العدوي الحمزاوي والبرهان السقا والشيخ محمد الأشموني والشيخ محمد الأنفاسي والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري المولود سنة ١٢٣٦هـ المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ وتمهر في العلوم العقلية وصار في ذلك إماما وتحصن بحصن الشريعة الإسلامية في جميع تعاليمه وكان إليه المرجع في حل المشكلات، تخرج عليه أغلب علماء الأزهر منهم الأستاذ الكبير أحمد تيمور باشا المتوفى في ذي القعدة سنة ١٣٤٨هـ وأخذ الطريقة الخلوتية وكان على قدم متين فيها. مولده سنة ١٢٥٦هـ وتوفي سنة ١٣١٧هـ[١٨٩٩م].." (١)

"المذكور وجزء منتخب من التاريخ المذكور تضمن أسماء الحفاظ للحديث ومن برع منهم في الأدب وله جزء في تسمية شيوخ أبي داود ولأبي محمد عبد الله بن محمد بن أسد الجهني جزء في تسمية شيوخ النسائي ولأبي عبد الله الحميدي جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس ولأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فتوح مصر وإفريقية ولأبي محمد عبد الله بن أبي زيد كتاب الأمر والاقتداء والنهي عن الشذوذ وله مختصر المدونة والنوادر والرسالة والذب عن مذهب مالك وغير ذلك من تآليفه. ولأبي عبد الله محمد بن بقي بن رزب كتاب الخصال. ولأبي عبد الله محمد بن فرج كتاب أحكام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الفقه وكتاب الوثائق المختصرة وله تآليف في زوائد ابن أبي زيد ولأبي عبد الله محمد بن أبي زمنين المقرب في اختصار المدونة والمشتمل في الوثائق والمنتخب في الأحكام وكتاب المواعظ وكتاب حياة القلوب وكتاب أنس المريد وغيرها رواها عنه ابن الحذاء ولابن العطار الوثائق والسجلات وللقاضي أبي القاسم أحمد بن ورد الجوابات الحسان. ولأبي عبد الله محمد بن سحنون نوازل الصلاة وكتاب الزهد وكتاب ما يجب على المتناظرين من **حسن الأدب** وكتاب آداب المتعلمين وله مجالس ابن القاسم وللقاضي عبد الوهاب الملخص في الأصول وغير ذلك، ولأبي عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي رسالة في شرح مذاهب المتبعين للكتاب والسنة رواها عنه أبو بكر بن إسماعيل بن إسحاق بن عزرة المالكي ورواها أبو علي الغساني عن أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمي الطبني عن أبي عبد الله محمد بن هبة الله الضرير قراءة عليه بالقصر الكبير بالمنستير عن ابن إسماعيل المذكور عن مؤلفه، ولأبي محمد عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي كتاب التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين في عقائدهم ومذاهبهم، ولأبي عمر أحمد الطلمنكي كتاب الوصول إلى معرفة

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية مخلوف، محمد بن محمد ٥٨٥/١

الأصول في مسائل العقود في السنة وكتاب الرسائل المختصر في مذاهب أهل السنة وكتاب الدليل لطاعة الجليل والروضة في القراءات العشرة ولأبي الحسن علي بن المديني كتاب الأشربة ولأبي علي شقران كتاب الفرائض. ولأبي محمد عبد الله بن المبارك كتاب الزهد والرقائق، ولأبي محمد الأصيلي كتاب المواعيد ولأبي عبد الله محمد بن وضاح كتاب العباد والعوابد، ولأبي بكر بن رزق كتاب الزهد ولأحمد بن مروان المالكي فضائل مالك بن أنس. ولأبي القاسم الحسن بن عبد الله الزبيدي النحوي المتوفى سنة ٣١٨ هـ فضائل مالك. ولأبي الحسن بن فهد فضائل مالك وللقاضي أبي الوليد يونس بن مغيث كتاب الابتهاج بمحبة الله تعالى وكتاب المنقطعين لله تعالى." (١)

"(لا يروى ولا يقلب كفا ... - _ وأكف الرجال في تقليب)

(ليس يزرى السواد بالرجل الشهم ... - _ ولا بالفتى الأديب الأريب)

(إن يكن للسواد فيك نصيب ... - _ فبياض الأخلاق منك نصيبي)

(يعد رفيع القوم من كان عاقلا ... - _ وإن لم يكن في قومه بنسيب)

(وإن حل أرضا عاش فيها بعقله ... - _ وما عاقل في بلدة بغريب)

(لكل شيء حسن زينة ... - _ وزينة العاقل **حسن الأدب**)

(قد يشرف المرء بآدابه ... يوما وإن كان وضيع الحسب)

(وما أدب الإنسان شيء كعقله ... - _ وما عقله إلا بحسن التأدب)

(ذهب الشباب فما له من عودة ... - _ وأتى المشيب فأين منه المهرب)

(أدب الكبير من التعب ... - _ كبر الكبير عن الأديب)

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية مخلوف، محمد بن محمد ٦٦٨/١

(حتى متى والى متى ... – ــ لا تستفيق من اللعب)

(وخير ما يجمع الفتى أدب ... – ــ يزينه حين يعرض الخطب)

(لا يعرف الله حق معرفة ... – ــ من لم يكن عاقلا له أدب)

(يا طالب العلم نعم الشيء تجمعه ... – ــ لا تعدلن به درا ولا ذهبا)

(العلم كنز وذخر لا نفاذ له ... – ــ نعم القرين إذا ما عاقلا صحبا)

(وجامع العلم مغبوط به أبدا ... – ــ ولا يحازر فيه الفوت والسلبا)." (١)

"المبحث الأول في الأمر

الأمر: هو طلب حصول الفعل من المخاطب: على وجه الاستعلاء (١)

مع الالزام – وله أربع صيغ

(١) فعل الأمر – كقوله تعالى «يا يحيى خذ الكتاب بقوة»

(٢) والمضارع المجزوم بلام الأمر – كقوله تعالى «لينفق ذو سعة من سعته»

(٣) واسم فعل الأمر – نحو «عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم» .

(٤) والمصدر النائب على فعل الأمر – نحو سعيا في سبيل الخير وقد تخرج صيغ الأمر عن معناه الأصلي وهو (الإيجاب والالزام) إلى معان أخرى: تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الاحوال.

(١) كالدعاء في قوله تعالى «رب أوزعني أن اشكر نعمتك» (٢)

(٢) والالتماس كقولك لمن يساويك – أعطني القلم أيها الأخ.

---

(١) بأن يعد الآمر نفسه عاليا لمن هو أقل منه شأنا، سواء أكان عاليا في الواقع أولا. ولهذا نسب **إلى سوء الأدب** إن لم يكن عاليا واشتراط الاستعلاء بهذا المعنى هو ما عليه الأكثر من الما تريدية_ والامام

---

(١) السحر الحلال في الحكم والأمثال أحمد الهاشمي ص/١٢

الرازي – والآمدي من الأشعرية – وأبو الحسن من المعتزلة، وذهب الأشعري إلى أنه لا يشترط هذا – وبه قال كثير من الشافعية – والأشبه أن الصدور من المستعلى يفيد إيجابا في الأمر، وتحريما في النهي – وأعلم أن الأمر للطلب مطلقا – والفور والتراخي من القرائن – ولا يوجب الاستمرار والتكرار في الأصح، وقيل ظاهر» الفور كالنداء والاستفهام إلا بقرينة – وهو ما اختاره السكاكي – واعلم أيضا أن الأمر يكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماسا مع النظير.

(٢) والالتماس كقولك لمن يساويك. أعطني القلم أيها الأخ.." (١)

"ولا تقل اسلم لي وحدتي ... فقد تقاسي الذل في وحدتك

ولتجعل العقل محكما وخذ ... كلا بما يظهر في نقدتك

واعتبر الناس بألفاظهم ... واصحب أخا يرغب في صحبتك

كم من صديق مظهر نصحه ... وفكره وقف على عثرتك

إياك أن تقربه إنه ... عون مع الدهر على كربتك

وأن نمو النبت قد زاره ... غب الندى واسم إلى قدرنك

ولا تضيع زمنا ممكنا=تذكاره يذكي لظى حسرتك والشر مهما استطعت لا تأته= فإنه جور على مهجتك

يا بني الذي لا ناصح له مثلي ولا منصوح لي مثلة قد قدمت لك في هذا النظم ما إن أخطرته بخاطرك في كل أوان رجوت لك حسن العاقبة إن شاء الله تعالى وإن أخف منه للحفظ وأعلق بالفكر وأحق بالتقدم قول الأول.

يزين الغريب إذا ما اغترب ... ثلاث فمنهن **حسن الأدب**

وثانية حسن أخلاقه ... وثالثة اجتناب الريب

واصغ يا بني إلى البيت الذي هو يتيمة الدهر وسلم الكرم والصبر ولو أن الديار نبت بكم لسكنتم الأخلاق والآدابا.

إذ حسن الخلق أكرم نزيل والأدب أرحب منزل ولتكن كما قال بعضهم في أديب متغرب وكلن كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد وإليه قصد غير مستريب بدهره ولا منكر شيئا من أمره وإذا دعاك قلبك إلى صحبة

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/٧١

من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سلما وهب في روض أخلاقه هبوب النسيم وحل بطرفه حلول الوسن وانزل بقلبه نزول المسرة حتى يتمكن لك وداده ويخلص فيك اعتقاده." [1]

"بالأعراب، هم أهل باديتنا ونحن أهل حاضرتهم، وإذا دعوا أجابوا، فليسوا الأعراب)) (١) قصد النبي – صلى الله عليه وسلم – بذلك أنهم يعرفون أحكام الشريعة، وإذا دعوناهم إلى نصرة الدين فإنهم يجيبون ولا يترددون، إذن هم ليسوا من الأعراب.

ولما سمعت قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – ((سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخل أحدا الجنة عمله)) فاستغربت من قوله: ((فإنه لا يدخل أحدا الجنة عمله)) لظنها أن المعصومين يستثنون من هذه القاعدة العامة، فسألت: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ((ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة)) (٢).

ورأت مرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يريد أن ينام قبل أن يوتر، فقالت: يا رسول لله أتنام قبل أن توتر؟ قال: ((يا عائشة إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي)) (٣).

قد تبدو هذه الأسئلة من **قبيل سوء الأدب** لأولئك الذين لا يدركون حقيقة الأمور، ولا يتعمقون في التفكير، لكن الواقع الذي لا ينازع فيه اثنان أنه لو لم تكن هذه الجرأة النسائية لتوجيه الأسئلة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – والاستفسارات عن الإشكالات، لما أمكن اليوم لأبناء الأمة المحمدية أن يطلعوا على حقيقة النبوة، وبغض النظر عن هذه الأسئلة والمناقشات العلمية والمباحث الدراسية فهناك جانب آخر مهم ألا وهو مراقبة النبي – صلى الله عليه وسلم – لكل أعمال وحركات عائشة (ض) وإيلاؤه إياها اهتماما بالغا، فكان – صلى الله عليه وسلم – ينبهها على زلاتها، ويربيها ويعلمها بعناية فائقة، ولم يفتأ رويدا رويدا يشركها في العبء الذي ينبغي أن تنهض به زوجة النبي وأم المؤمنين وسفيرته الأولى إلى عالم النساء.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٤٢/ ٤ رقم ٧١٦٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٩/ ٤ باب ثواب الهدية والثناء والمكافأة، وأحمد في المسند ١٣٣/ ٦ برقم ٢٥٠٥٤، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٩٤/ ٨، وأورده ابن عبد البر في الاستيعاب ١٩٤٢/ ٤،وابن حجر في الإصابة ٨/ ٢٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق برقم ٦٤٦٧، وسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم ٢٨١٨.

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ١/ ١٨٠

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب صلاة التراويح برقم ٢٠١٣، ومسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم ٧٣٨.." (١)

"توفي بقرية الزاق (من قرى كاشان) ونقل نعشه إلى النجف فدفن فيه (١) .

ابن مهنا

(٦٨٤ - ٧٤٩ هـ = ١٢٨٥ - ١٣٤٨ م)

أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثة الطائي ثم الثعلي (بضم الثاء وفتح العين) : أمير عرب الفضل في بادية الشام. وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة آخذة على سقي الفرات وأطراف العراق. قدم القاهرة مرارا، واعتقله (طقز دمر) نائب الشام، سنة ٧٤٥ هـ بدمشق ثم بصفد، وأطلقه الكامل (شعبان بن قلاوون) سنة ٧٤٦ وأعيد إلى الإمارة، وعزل ثم أعيد إلى أن توفي. وكان جوادا وفيا بالعهد، ليس في أولاد مهنا مثله في العقل والسكون والديانة. (٢)

ابن مجاهد

(٢٤٥ - ٣٢٤ هـ = ٨٥٩ - ٩٣٦ م)

أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد: كبير العلماء بالقرآت في عصره.

من أهل بغداد. وكان **حسن الأدب**، رقيق الخلق، فطنا جوادا. له (كتاب القرآت الكبير) وكتاب (قراءة ابن كثير) و (قراءة أبي عمرو) و (قراءة عاصم) و (قراءة نافع) و (قراءة حمزة) و (قراءة الكسائي) و (قراءة ابن عامر) و (قراءة النبي صلى الله عليه وسلم) و (كتاب اليآت)

وكتاب (الهآت (٣) .

ابن مردويه

(٣٢٣ - ٤١٠ هـ = ٩٣٥ - ١٠١٩ م)

أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني،. أبو بكر، ويقال له ابن مردويه الكبير:

---

(١) سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين سليمان الندوي ص/٦٧

(١) روضات الجنات ١: ٢٧ والذريعة ٧: ١٥٢.

(٢) الدرر الكامنة ١: ٣٢١ وصبح الأعشى ٤: ٢٠٧ وفيه: وفاته سنة ٧٤٧ هـ

والعبر لابن خلدون ٥: ٤٣٩ وفيه أن الذي ولاه الإمارة سنة ٧٤٦ هـ والسلطان حسين بن الناصر، صاحب مصر والشام.

(٣) الفهرست لابن النديم ١: ٣١ وغاية النهاية ١: ١٣٩ وانظر شستربتي (٤٩٣٠) .." [١]

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٢٦١/١